الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

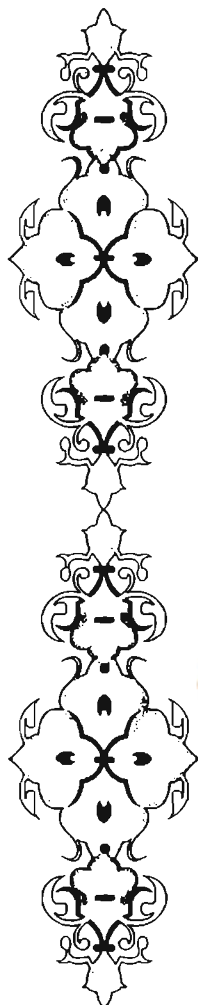
مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمه الله تعالى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

المجلد الأول

دار المنهاج




الوسيلة الأدبية
إلى العلوم العربية
١


بسم الله الرحمن الرحيم

الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمه الله تعالى

(ت ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م)

عني به

الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل





الطَّبْعَة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

اسم الكتاب : الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية
المؤلف : العلامة حسين المرصفي (ت ١٣٠٧ هـ)
الإعداد : مركز دار المنهاج للدراسات
موضوع الكتاب : لغة وأدب
مقاس الكتاب : (٢٥ سم)
تصنيف ديوي الموضوعي : (٨١١)

عدد الأجزاء : (٢)
عدد المجلدات : (٤)
نوع الورق : شاموا فاخر
نوع التجليد : مجلّد كرتوناج
عدد الصفحات : (٢٠٨٠ صفحة)
عدد ألوان الطباعة : لونان

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني



دار المنهاج

لبنان ـ بيروت

هاتف : 806906 05 ـ فاكس : 813906 05

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر سالم باجخيف

وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة

حي الكندرة ـ شارع الملك فهد ـ جانب البنك الفرنسي

هاتف رئيسي 6326666 12 00966

المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392

ص. ب 22943 ـ جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب

عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين

عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون المعتمدون داخل المملكة العربية السعودية

جدة

مكتبة دار كنوز المعرفة

هاتف 6570628 . 6510421

مكة المكرمة

مكتبة الأسدي

هاتف 5570506 . 5273037

مكة المكرمة

مكتبة نزار الباز

هاتف 5473838 . فاكس 5473939

المدينة المنورة

دار البدوي

هاتف 0503000240

المدينة المنورة

مكتبة الزمان

هاتف 8366666 . فاكس 8383226

الرياض

مكتبة جرير

وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها

هاتف 4626000 . فاكس 4656363

الرياض

مكتبة العبيكان

وجميع فروعها داخل المملكة

هاتف 4654424 . فاكس 2011913

الرياض

دار التدمرية

هاتف 4924706 . فاكس 4937130

الدمام

مكتبة المتنبي

هاتف 8344946 . فاكس 8432794

الطائف

مكتبة أم هاني

هاتف 7320809

عرعر

مكتبة المتنبي العلمية

هاتف 6628586

الموزعون المعتمدون خارج المملكة العربية السعودية

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة - حضرموت

هاتف 417130 - فاكس 418130

دولة قطر

مكتبة الثقافة - الدوحة

هاتف 44421132 - فاكس 44421131

جمهورية مصر العربية

دار السلام - القاهرة

هاتف 22741578 - فاكس 22741750

مكتبة نزار الباز - القاهرة

هاتف 25060822 - جوال 0122107253

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع - أبو ظبي

هاتف 5593007 - فاكس 5593027

مكتبة الإمام البخاري - دبي

هاتف 2977766 - فاكس 2975556

دولة الكويت

مكتبة دار البيان - حَوَلي

تلفاكس 22616490 - جوال 99521001

دار الضياء للنشر والتوزيع - حَوَلي

هاتف 22658180 - فاكس 22658180

المملكة المغربية

دار الأمان - الرباط

هاتف 0537723276 - فاكس 0537200055

الدار العالمية - الدار البيضاء

هاتف 052282882 - فاكس 052283354

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق - المنامة

هاتف 17272204 - فاكس 17256936

مكتبة الريان - المنامة

هاتف 0097339247759

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم - بيروت

هاتف 785107 - فاكس 786230

مكتبة التمام - بيروت

هاتف 707039 - جوال 03662783

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس - عمّان

هاتف 4653390 - فاكس 4653380

الجمهورية العربية السورية

دار السنابل - دمشق

هاتف 0988156620 - فاكس 2237960

جمهورية العراق

مكتبة دار الميثاق - الموصل

هاتف 7704116177 - فاكس 7481732016

جمهورية الجزائر

دار المشرق والمغرب - الجزائر

هاتف 0780380501 - 0559380141

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر ـ مقديشو

هاتف 002525911310

جمهورية تشاد

مكتبة الشيخ التيجاني ـ أنجامينا

هاتف 0023599978036

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية ـ سوروبايا

هاتف 0062313522971

جوال 00623160222020

ماليزيا

مكتبة توء كنالي ـ كوالا لمبور

هاتف 00601115726830

جمهورية داغستان

مكتبة دار الرسالة ـ محج قلعة

هاتف 0079285708188

مكتبة نور الإسلام ـ محج قلعة

هاتف 0079882124001

هاتف 0079887730306

الهند

مكتبة الشباب العلمية ـ لكنهو

هاتف 00919198621671

بنغلادش

مكتبة الحسن ـ دكا

هاتف 008801675399119

جمهورية جنوب أفريقيا

دار الإمام البخاري

هاتف 0027114210824

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد ـ إستانبول

هاتف 02126381633 ـ فاكس 02126381700

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا ـ باريس

هاتف 0148052928 ـ فاكس 0148052997

إنكلترا

دار مكة العالمية ـ برمنجهام

هاتف 01217739309 ـ جوال 07533177345

فاكس 01217723600

الولايات المتحدة الأمريكية

مكتبة الإمام الشافعي ـ جورجيا

هاتف 0017036723653

أستراليا

المكتبة الإسلامية

هاتف 0061297584040



فيرجن وفروعها في العالم العربي

جميع إصداراتنا متوافرة على

nwf.com
نيل وفرات.كوم

موقع مكتبة نيل وفرات . كوم لتجارة الكتب

www.nwf.com

Furat
فرات
Furat.com

موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات العربية

www.furat.com

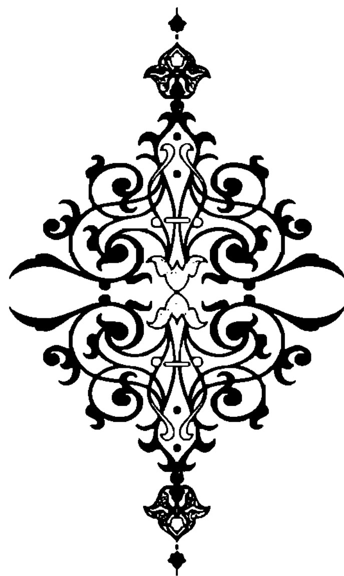
قالوا في «الوسيلة الأدبيّة»

الكتاب الأوّل الّذي راض خيال شوقي، وصقل طبعه وصحّح نشأته الأدبيّة.. هو بعينه الّذي كانت منه بصيرة حافظ أي: كتاب «الوسيلة الأدبيّة» للمرصفيّ

مصطفى صادق الرّافعيّ

«الوسيلة الأدبيّة» أنشأت أكثر من شوقي وحافظ
وبعثت الشّعر من مرقده
وأحيت للأدب العربيّ دولة جديدة

الأمير شكيب أرسلان



قالوا في العلّامة المرصفيّ

بلَوْتُ ضروبَ النّاسِ طُرّاً فلم يكنْ
سوى المَرْصَفيّ الحَبْرِ في النّاسِ كاملُ
هُمامٌ أراني الدّهرَ في طيّ بُرْدِهِ
وفقّهني حتّى اتّقتني الأماثلُ
أخٌ حين لا يبقى أخٌ، ومجامِلٌ
إذا قلّ عند النّائباتِ المُجامِلُ
بعيدُ مَجالِ الفِكر لو خالَ خِيلةً
أراكَ بظهرِ الغيب ما الدّهرُ فاعلُ
طرحْتُ بني الأيّام لمّا عرفتُهُ
وما النّاسُ عند البحثِ إلّا مَخايِلُ

فلو سامني ما يورِدُ النّفسَ حتفَها

لأوردْتُها.. والحبُّ للنّفسِ قاتلُ

فلا برحَتْ منّي إليه تحيّةٌ

تَناقَلُها عني الضّحى والأصائلُ

ولازال غضَّ العُمْرِ ممتنعَ الذُّرا

مَربعَ الفَنا تُطوى إليه المراحلُ

محمود سامي البارودي

إنّ أُستاذي الوحيد الّذي أَعُدُّ نفسي مدينًا له

هو الشّيخ حسين المرصفيّ

أحمد شوقي

طليعة الكتاب

بقلم

فضيلة الإمام الأكبر أ. د أحمد الطيب

شيخ الأزهر، رئيس مجلس حكماء المسلمين

لهٰذا السِّفر الجليل قصَّةٌ يحسُنُ تسجيلها في هٰذه التَّقدمةِ ؛ وهيَ أنِّي أثناء دراستي بكلية أُصول الدِّين كنتُ أهرب ـ بينَ الحين والآخر ـ مِنَ القراءة المفروضة في المقرَّرات الدِّراسيَّة من علوم النَّقل والعقل إلىٰ قراءةٍ حُرَّةٍ لها طَعمٌ مختلفٌ ومذاقٌ خاصٌّ ؛ وهيَ القراءةُ في كتب الأدب نثراً وشعراً ، بقدر ما يتَّسعُ له الوقت ، وحسبما نمتلِكُه من هٰذه الكتب الَّتي كنَّا نعدِلُ في قسمة (المصروف) بينَها وبين النَّفقات الضَّروريَّة ؛ من إيجارٍ ومأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ

وكانت مؤلَّفاتُ عميد الأدب العربي الدكتور/ طٰه حسين مِنْ أَحبِّ الكتب إلىٰ قلبي ، وكنتُ أجدُ في قراءتها متعةً للذوق والشُّعور ، وتأثيراً ملموساً في ترقية أفكارِنا ، وانفتاح وعينا علىٰ تجارب الحياة بكلِّ ما تضطرب به مِنْ آمالٍ وآلامٍ ، ومن دموعٍ وابتسامات ، وعِبَر وَعِظَاتٍ ، ومعَ أن كتاباته كانت تجنَحُ ـ في بعض المواطن ـ إلىٰ شيءٍ من النَّقد السَّاخر لمناهج تدريس الأدب في الأزهر الشَّريف مرَّةً ، وفي دار العلوم مرَّةً أُخرىٰ ، ومدرسة القضاء الشرعي مرَّةً ثالثةً ، إلَّا أنَّ هٰذه الكتابات لم تكُن لِتُثيرَ في نفوسنا ـ نحنُ أبناءَ الأزهر ـ شيئاً من الحفيظة يُعكِّر على الشَّغَف بهٰذا الأُسلوب الرَّشيق الَّذي كُنَّا نحارُ في وصفه هل هو شعرٌ منثورٌ ، أو نثرٌ منظومٌ ، أو هو فنٌّ مبتكرٌ من فنون القول ، لا هو هٰذا ولا هو ذاك

وكانَ كتابه « في الأدب الجاهلي » في مقدِّمة ما حرصتُ علىٰ قراءته ؛ لِما

ثارَ حولَ أصله المسمَّى «الشِّعر الجاهلي» من ضجَّةٍ فِكريَّةٍ، مُزِجَتْ مِنْ جَدَلٍ دينيٍّ وآخرَ أدبيٍّ في قِصَّةٍ قديمةٍ معروفةٍ، وقد لفت هٰذا الكتابُ أنظارنا ـ نحن الطُّلاب ـ وفي صفحته الأُولىٰ إلىٰ تلخيص دراسةِ مذاهبِ الأدب في مصرَ علىٰ عهده، وكيفَ أنَّها انحصرت في مذهبين مذهبِ القدماء في أروقة الأزهر، والمذهب الأُوربي الذي استحدثَهُ المستشرق الإيطالي (نلينو) في الجامعة المصريَّة، وتابعَهُ عليه ثلَّةٌ من زملائه المستشرقينَ، وقد تولَّىٰ تدريسَ الأدب علىٰ طريقة القدماء الشَّيخ (سيد المرصفي)، واضطلع فيه بشرح أُمَّهات كتب الأدب والنقد في اللُّغة العربيَّة؛ مثلَ «ديوان الحماسة»، وكتاب «الأمالي»، وكتاب «الكامل» للمبرِّد

وقد أثارت كلماتُ الدكتور طٰه حسين عن شرح كتاب «الكامل» للشيخ سيد المرصفي ضمن كتابه «في الأدب الجاهلي»، وكتب أُخرىٰ رغبةً عارمةً في البحث عن الكتاب؛ للاستعانة به علىٰ تلمُّس الطَّريق الصَّحيح لقراءة آدابنا العربيَّة، والدُّربة علىٰ فهمها، غيرَ أنَّه سرعانَ ما رغبتُ عن هٰذا الكتاب حين نصحني أحدُ الخبراء من الورَّاقينَ بأنَّ كتاب «الوسيلة الأدبيَّة» للشَّيخ الأزهري العبقري حسين المرصفي أنسب وأسرع في تكوين مَلَكة الطَّالب الجامعي الأدبيَّة والعلميَّة من كتاب «رغبة الآمل من كتاب الكامل» للشيخ سيد بن علي المرصفي (١)

وهٰكذا استبدلتُ البحثَ عن كتاب «رغبة الآمل» بالبحثِ عن كتاب «الوسيلة الأدبيَّة» للشَّيخ حسين المرصفي عند الورَّاقين في حي الأزهر، ومنطقة مستشفىٰ أحمد ماهر، وحي السَّيِّدة زينب، ولٰكن بدا لي واضحاً ـ بعد طول بحث وطلب ـ أنَّ هٰذا الكتاب لم تُكتَب لَه الشُّهرةُ أو الانتشارُ مثل كُتبٍ أُخرىٰ أدْونَ منه قيمةً وأقلَّ وزناً، وسرعانَ ما انقطعَ الرَّجاء وغاض

---

(١) صدرت الطبعة الأولىٰ من هٰذا الكتاب عن مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر (١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م)، وأعادت نشره أخيراً دار الذخائر مصوراً عن الطبعة الأولىٰ بدون تاريخ

الأمل في اقتناء نسخةٍ منه ، ثمَّ ما لبثت الفكرةُ أن ارتحلت برُمَّتِها إلىٰ هامش اللَّاشعور

وظلَّ الأمرُ كذٰلك حتىٰ فاجأنا الأستاذ المحقِّق المدقِّق الدُّكتور عبد العزيز الدُّسوقي [1] بتحقيق الجزء الأوَّل من « الوسيلة الأدبيَّة » ، الَّذي كانَ يداعِبُ أحلامَ كثيرينَ ممَّن يعرفونَ قدر التُّراث ، وقدرَ المتضلِّعين مِنْ حياضِهِ من جهابذة العلم وأساطين الفِكر ، وما إن ظهرَ هٰذا الجزء في عام (١٩٨٢ م) ، من الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب حتَّىٰ تلقَّفه النَّاس تلقُّفَ الباحث عن ضالَّته بعد يأسٍ ونسيان ، وظننَّا أيامئذٍ أنَّ أجزاءَ « الوسيلة » سوفَ تصدُر وتتلاحقُ تباعاً ، غيرَ أنَّه كانَ علينا أن ننتظرَ عشرةَ أعوامٍ أُخرىٰ ليصدرَ الجزءُ الثاني في عام (١٩٩١ م) ، ثمَّ ليسدَلَ ستارُ الإهمالِ بعدَ ذٰلكَ علىٰ هٰذا السِّفر الجليل ، وعلىٰ مؤلِّفه العلَّامة الكبير ، ويُهملَ ذكرُهما في ساحة التَّعليم والثَّقافة والفِكر والأدب

إلىٰ أن ساقت الأقدارُ رجلاً شاءَهُ اللهُ أن يكونَ رائداً في كتيبة إنقاذِ تراثِ المسلمينَ في أيَّامنا هٰذه ، ونفضِ التُّراب عن محياه المضيء ، وبعثِه من مراقد البِلىٰ والضَّياع ؛ وهوَ الأستاذ عمر سالم باجخيف ؛ صاحب دار المنهاج بجدَّة ، الَّتي نشرت أُمهات التَّراث ، ومنها تراث الفقه الشَّافعي كـ « نهاية المطلب في دراية المذهب » لإمام الحرمين الجويني ، و« النَّجم الوهَّاج » للدَّميري ، و« البيان » للعمراني ، ومؤلَّفات الإمام الغزالي وفي مقدِّمتها « إحياء علوم الدِّين » وكثيرٍ من مؤلَّفاته الأُخرىٰ ورسائله ، وغيرِ ذٰلكَ من كنوز التُّراث الحديثيِّ واللُّغويِّ والصُّوفيِّ

---

(١) عبد العزيز الدُّسوقي (١٣٤٣ ـ ١٤٣٦ هـ/١٩٢٥ ـ ٢٠١٥ م) وُلِد في مركز قويسنا بمحافظة المنوفية ، وكانت نشأته الأولىٰ أزهرية ، حصل على الابتدائية والثانوية الأزهريتَين ، وحصل على الدكتوراه في الأدب والنَّقد من كُلِّية آداب عَينِ شمس ، وهو أوَّل رئيس تحرير لمجلَّة « الثَّقافة الجديدة » المصرية ، ويُعتَبر من الأُدباء والنُّقَّاد الذين أثروا الحياة الفِكرية الأدبية المصرية خلال النصف الثاني من القرن العشرين انظر « من أعلام العصر كَيف عرفتُ هٰؤلاء ؟ » لمُحمَّد رجب البيُّومي (٢٠٥ ـ ٢١١)

وكنتُ ألمُسُ في النَّاشرِ في كلِّ مرَّةٍ يزورني فيها بمشيخة الأزهر غيرةً نادرةً ، وعزيمةً صادقةً ، وإخلاصاً لله ورسوله ، وتجرُّداً مُتعالياً على المادَّة وظلماتها

وقد شجَّعني شغفُهُ بإحياء التُّراث على أن أطلب إليه نشرَ « الوسيلة الأدبيَّة » بحسبانِها ذخيرةً وكنزاً مِنْ ذخائر الأدب العربي وكنوزه في القرن التَّاسع عشر والقرن العشرين ، وذكرتُ له بعضاً مِمَّا احتفظَتْ به الذَّاكرة عن مؤلِّفها العلَّامة الشَّيخ حسين المرصفي ، والَّذي يَعدُّه أدباءُ مصرَ وعلماؤها من أكابر روَّاد النَّهضة العلميَّة وحركة إحياء الأدب العربي ، وتجديده ، وبعث تراثه ومصادره

وكنتُ أشكُّ في أن يأخذَ الأستاذُ عمر هٰذا الأمر مأخذَ الجدِّ ؛ فالكتابُ مفقودٌ ـ تقريباً ـ في أسواق الكُتُب قديمها وحديثها ، وهوَ مجهولُ القَدر لدىٰ طلَّاب العلم وشباب الباحثين ، وأُسلوبه ـ إن طُبع ـ غيرُ مألوفٍ ولا مأنوسٍ لديهم ، وكلُّ هٰذه « مثبِّطاتٌ » لا تُغري النَّاشرينَ بالإقدام علىٰ طبعِ مرجعٍ ضخمٍ في علوم اللُّغة والأدب ، يؤولُ مصيرهُ إلى المخازن ورفوفها المتربة

لٰكن سرعان ما تبدَّدت هٰذه الشُّكوك حينَ شرحَ الله صَدْرَ صديقنا الكريم لإعادة هٰذا السِّفر إلى الحياة مَرَّةً ثانيةً ؛ بإخراجه مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّور ، ولم تمضِ أيَّام قلائلُ قبل أن يزورَني في مكتبي ، ومعَهُ نسخةٌ مُصوَّرةٌ مِنَ « الوسيلة الأدبيَّة » في طبعتها القديمة الوحيدة الَّتي لم يُقدَّر لها أن تُطبعَ مرَّةً أُخرىٰ منذ صدور الجزء الأول منها عام (١٨٧٥ م) بمطبعة المدارس الملكيَّة بالقاهرة ، والجزء الثاني عام (١٨٧٩ م)[١] بالمطبعة ذاتها بدرب الجماميز بالقاهرة المحروسة ، ومعَ وعدٍ كريمٍ بالطَّبعة الثانية من « الوسيلة الأدبيَّة » في ثوبٍ تزهو « الوسيلة » بجماله ، وتستعيد بجلاله ريادتَها ومكانتَها السَّامقة مِنْ جديدٍ

وأخيراً ؛ هٰذه هيَ « الوسيلة الأدبيَّة » بمجلَّداتها الأربعة ، وفي طبعتها المتألِّقة ، خذها أيُّها القارئُ الكريمُ ، وأطبق عليها بجمع يديك ، شادياً كنت

---

(١) انظر مقدمة تحقيق الدكتور/ عبد العزيز الدسوقي للوسيلة الأدبية ، جـ ١ ، ص ٧

في طلب اللغة والأدب ، أو ضارباً في حياضها بحظٍّ وافرٍ ؛ فهٰذا سفرٌ نادرٌ في بابه ، يستوي في الحاجة إليه الطَّالب والأستاذ والمثقَّف والأديب علىٰ حدٍّ سواء ، بل هوَ درَّةٌ فريدةٌ أملاها هٰذا الشَّيخ الأزهري الكفيف علىٰ طلابه ، ولم يجرؤ عالِم ولا أديبٌ في عهدِه ولا فيما تلاه مِنْ عهودٍ حتَّى الآنَ أن يأتيَ بمثل ما أتىٰ به هٰذا العلَّامةُ الأوحدُ المتفرِّد في علمه وأستاذيَّته وبصيرته

هٰذا ؛ وقد كانَ في الحُسْبان أن أكتُبَ كلمةً وافيةً عن « **الوسيلة** » ومؤلِّفها ، ولٰكن وجدتني سأكرِّر كثيراً ممَّا كُتِب عنهُما ، ولا أُضيف جديداً لِما كتبه أساتذةٌ فُضلاء مُتخصِّصون في الأدب العربي وعلوم اللُّغة ، وبخاصَّة مقدِّمة الدُّكتور عبد العزيز الدُّسوقي عن الشَّيخ حسين ، للجزئين المنشورين في تسعينات القرن الماضي ؛ وذٰلك لِما امتازَ به الدُّكتور الدُّسوقي رحمه الله من ريادة في نهضتنا الأدبيَّة ، ومن دراسةٍ عبقريَّةٍ ضاربةٍ في جنبات هٰذا السِّفر وفي أعمق أعماقه ، معَ إنصافٍ ذبَّ عن الشَّيخ المرصفي كثيراً ممَّا أصابه من جرَّاء الغيرة وأخواتها ، وهو إنصافٌ لا يفي به إلَّا مَن هو في وزن الدُّكتور الدُّسوقي ؛ سعةً في العلم ، ويقظةً في الضَّمير ، وأمانةً في أداء الكلمة ، ورغبةً إلى الله في القول والعمل

هٰذا ؛ وكنتُ قد جمعتُ طائفةً من المصادر الَّتي ترجمتْ للشَّيخ حسين المرصفي ، وسَرَّحتُ فيها النَّظر ، وحصَّلتُ منها الكثيرَ ممَّا كنتُ أتطلَّع لمعرفته ، وكنتُ أجهلُه مِنْ سيرة الشَّيخ ، وآثرتُ أن أُلحِقَها هنا في هٰذه الكلمة الموجزة ، بعناوينها ، وأسماء مؤلفيها ؛ فقد تلقىٰ رغبةً في صدور بعض الشَّباب مِنَ الحريصينَ علىٰ لُغتهم العربيَّة لعلهم يتنبهونَ إلىٰ أنَّ هٰذه اللُّغة هي سرُّ قوَّتهم ، ومناطُ عزِّهم ، وسبيلُ استعادةِ مجدهم ، وهٰذه المصادر هي

ـ الدُّكتور عبد العزيز الدُّسوقي حسين المرصفي ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب (١٩٩٠ م) ، رقم (٢) من سلسلة نقَّاد الأدب

ـ محمَّد عبد الغني حسن أعلام مِنَ الشَّرق والغرب ، دار الفكر العربي

(١٩٤٧ م) . فصل بعنوان : (أول رائد في تدريس الأدب العربي الشَّيخ حسين المرصفي ت ١٨٨٩ م) ، (ص ٦٧ ـ ٨١)

ـ عبد الحي دياب التُّراث النَّقدي قبل مدرسة الجيل الجديد ، دار الكتاب العربي للطِّباعة والنَّشر (١٩٦٨ م) (ص ٣٩ ـ ٥٤)

ـ رسالة الكلم الثَّمان ، للشَّيخ حسين المرصفي ، تحقيق ودراسة الدُّكتور أحمد زكريا الشَّلق ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب (٢٠١٤ م)

ـ الشَّيخ حسين المرصفي : جهوده البلاغيَّة والنَّقديَّة ، إعداد الطَّالب عبد الله أحمد العطَّاس ، رسالة ماجستير ، إشراف الدُّكتور عبد الواحد علَّام (١٤٠٦ ـ ١٤٠٧ هـ) ، كُليَّة اللُّغة العربيَّة ، جامعة أُمِّ القرى ، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة (نسخة مصورة)

شكرَ اللهُ للأخ الأستاذ/ عمر ، ولدار المنهاج ، ولكُلِّ العاملينَ بها على هٰذا المعروف الذي أَسدَوه إلى الأُمَّة الإسلاميَّة ، ولُغتها العربيَّة ؛ لُغة القُرآن ، وحصن العرب وسَنَد المسلمينَ

أحمد الطيّب
شيخ الأزهر
رئيس مجلس حكماء المسلمين

مشيخة الأزهر
٢٧ من جمادى الآخرة سنة ١٤٤٠ هـ
الموافق : ٤ من مارس سنة ٢٠١٩ م

بين يدي الكتاب

حمداً لمن خلق الإنسان علمه البيان ، ورفد الأمة المحمدية بمعجزة الفرقان

وصلاة وسلاماً علىٰ من أعطي جوامع الكلم ، واختصر له الكلام اختصاراً ، وعلىٰ صحابته والتابعين

وبعد

فإن الوسائل هي الطرق الموصلة إلى المقاصد ، وصُنَّاع الصروح الأدبية متفننون في إتقانها ، متمرسون في تبيانها ، يركبون مطايا الإبداع ، ويرتشفون كؤوس البلاغة ، ثم يمجونها من لهواتهم على الطروس شهداً مصفّىً ، يستهوي كل من ذاقه ، ويشفي من علل الجهل

فكم من ذوَّاقة يستأسر لنفثات الأدباء ، « وإن من البيان لسحراً » !!

كيف أنجو وأسرها إيماء   والشراك العيون نفسي الفداء (١)

ولا مراء عند أولي المعرفة   أن بناء الوسائل الأدبية يعتريها التفاوت البياني ؛ بالنظر إلى الإيضاح والإفصاح عن مكونات أي فن من فنون الأدب

وقد أجمع أولو العلم علىٰ أنه متىٰ تعاضد التبيان والتحقيق في هندسة التأليف   فإن المعروض العلمي ترتفع قيمته ، وتعلو مكانته ، وتسمو منزلته ، ويلبس تاج القبول ، ويعم نفعه

(ب)

وبين يديَّ الآن كتاب « **الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية** » قد جمع بين البيان الأدبي والتحقيق المعرفي

---

(١) من أبيات لكاتب هـٰذه الأحرف

إضافة إلىٰ مزايا سامية ارتفع بها إلىٰ منزلة تقاصر عنها كثير من الأسفار الأدبية المعاصرة ، فأجرى الأقلام معنِقةً للإعلام بعلياء مكانته ، وأنطق الألسن لتبيان مناقبه وسمو شرفه ؛ لأنه أبهر الناظرين فيه بما أودعه من فوائد فرائد ، وبما طرزه بمحاسن بنت عدنان ، وبما حبره قلمه من أدبٍ عالٍ ، وتأليف بديع

فكم منادمٍ له ووارد منهله الروي !! وكم ناظر في فنونه ومقتبس من عيونه !!

إنه نسيج هٰذا الأزهري العبقري ، فمن طالع هٰذا السفر يجزم بأن منتجه بحر الفنون ، وقاموس البلاغة ، ومعجم الأدباء ، فهو بدر يتجول في بروج التحقيق والتدقيق

من نادم « وسيلته » علم أنه كان أعجوبة عصره ، وأن ما وشّاها به من العلوم والحكم تدل علىٰ مكانته الرفيعة ، ورسوخه العلمي

وهبه المولىٰ جل وعلا عقلاً ثاقباً ، وفكراً صائباً ، وقلماً لامعاً ، وهٰذه « الوسيلة » من آثاره الروائع ، نسيجها محكم ، ووشاحها ذهبي ، تباعد فيها عن الحشو والإخلال ، وسبكها في قوالب الفصحاء ، فلا حذف ولا إعلال

فرحمه الله تعالىٰ ، وصب علىٰ جدثه شآبيب المغفرة والرضوان ، وغمره بعفوٍ يفوز به في يوم التناد

(ج)

ولعمري ؛ لقد أردت أن أقيد هنا أحرفاً تومئ إلىٰ رفعة شأن الكتاب ، وتشيد بناسجه ، فسقطت في يم الحيرة ، وطفقت أتردد من أين أبدأ ، عن أي خصيصة أتكلم ، وبأي المزايا أترنم ؟

تكاثرت الظباء علىٰ خراش ... فما يدري خراشٌ ما يصيد

نعم ؛ إن هٰذا الكتاب ضم بين خوافيه علوم العربية ، ونشر جواهر من

المعارف تطوق أعناق الأدباء بفرائدها ، وتصقل الأذهان بعوائدها ، ويستهدي المتأدبون بضيائها

ففي طيات هٰذا الكتاب أكثر من ثلاثة عشر فناً من العلوم العربية ، تتلامع سناها في صفحاته ، ففواكهه العلمية دانية للأدباء ، وفوائده المصفوفة معروضة للنبلاء ؛ فقد اصطفىٰ من لغتنا الجميلة أحلاها ، وامتص برسوخه رحيقها ، واقتطف من السنة النبوية أحاديث تدعو إلىٰ مكارم الأخلاق ، وتنشر محاسن الدين

كما ضمن « الوسيلة » روائع من نفثات يراعته ، وقيد فوائد تشي برسوخه وإتقانه

فمن أراد التزود من علوم العربية ، والتأدب بأدب القوم فليسامر هٰذا الكتاب ، وليجعله من زمرة الأصحاب والأحباب

أعز مكان في الدجىٰ سرح سابحٍ وخير جليس للرجال كتاب

وقد اضطلعت عزيمة الشيخ الموفق أبي سعيد عمر بن سالم باجخيف وأخيه خادم العلم أبي نصوح محمد غسان عزقول الحسيني الدمشقي بإعادة نشر هٰذا الكتاب ؛ بعد أن منَّ الله عليَّ بتصحيحه وضبطه ومراجعته وتدقيقه ؛ لما في نشره من النفع العام ، وخدمة الشرع الحكيم

وها هو يتبدىٰ في طبعته الأنيقة ، وحلته الجديدة ، وتعليقاته المفيدة يتهادىٰ ، فالله تعالىٰ ينفع به

يوم الثلاثاء
(١٢) ربيع الأنور (١٤٤٠هـ)
(٢٠) نوفمبر / تشرين الثاني (٢٠١٨م)
الطائف

وكتبه
د . محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل
الأزهري

ترجمة

العلّامة الأديب، النّاقد الأريب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفيّ

رَحِمَهُ اللهُ تعَالىٰ[1]

(ت ١٣٠٧ هـ/ ١٨٩٠م)

اسمه ونسبه

هو الشيخ العلامة ، والنابغة الفهامة ، المدرس المحقق ، والأديب المدقق ، الشيخ حسين بن أحمد بن حسين أبي حلاوة الكبير ، المرصفي

قال عنه الأستاذ محمد عبد الجواد في ترجمته له (كان المترجم له معجزة زمانه ، ونابغة عصره ، وقد شع نوره ، وانتشر شعاعه ، فأضاء الأفق العلمي ؛ لقربه من أعرق القرىٰ ، وكشف عن فضل « مرصفا » وأهلها)[2]

نشأته وتعلمه

نشأ العلامة المرصفي في قرية (مرصفا) التي كانت منبتاً للعلماء ؛ فقد نبغ فيها كثير منهم حتىٰ صارت النسبة إليها مفخرة من المفاخر ، فها هو ذا المرصفي لم ينسب إلىٰ أحد أجداده ، بل نسب إلىٰ قريته التي غدا لا يُعرَف إلا بها ، ولا تُعرَف إلا به

قال عنها الأستاذ محمد عبد الجواد (إن نسبة التعليم فيها عالية ، وخاصة

---

(١) مصادر الترجمة « الخطط التوفيقية الجديدة » للعلامة علي مبارك باشا (١٥/١٢٥ ـ ١٢٦) ، وكتاب « الشيخ الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول للعلوم الأدبية بدار العلوم » للأستاذ محمد عبد الجواد ، ترجم فيه للمؤلف ، و« الأعلام » للزركلي (٢/٢٣٢)

(٢) من مقدمة كتاب الأستاذ محمد عبد الجواد « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٣)

التعليم الأولي ، فلا تكاد تجد فيها أمياً ، والمتعلمون فيها كثير ؛ ولذٰلك يضرب بها المثل ، فيقال جاهل مرصفا أعلم من علماء الشموت ، والشموت قرية تبعد عن مرصفا بنحو أربعة آلاف ذراع ، ويقال أيضاً لو كان العلم ينبع من الحيطان لنبع من حيطان مرصفا)[1]

ومرصفا إحدىٰ قرىٰ مركز (بنها) بمحافظة (القليوبية) ، وهي من القرى القديمة التي كانت عامرة قبل الإسلام[2] ، ولأهلها اعتناء زائد بالعلم والتعليم ، وقد ذكرها ياقوت الحموي في « معجم البلدان » قائلاً (نُسب إليها قوم من أهل العلم)[3]

أخرجت لمصر وللعلم والعربية منذ أجيال عشرات من حملة ألوية العلم والأدب والفضل ؛ فمن يذكر المرحوم الشيخ زيناً المرصفي يذكر مفخرة من مفاخر الجيل الماضي ، ومن يذكر مترجمنا العلامة حسيناً المرصفي يذكر النبوغ والعبقرية ، وكذٰلك تجد أهل مرصفا من المشتغلين بطلب العلم أو بخدمته[4]

والد العلامة المرصفي

هٰذا ؛ وإن والد العلامة المرصفي من العلماء الأعلام ، ذكر صاحب « الخطط التوفيقية » أنه كان بين علماء مرصفا الفضلاء الشيخ أحمد بن حسين المرصفي ، ويكنىٰ بأبي الحلاوة ، دخل المكتب بعد بلوغه ثماني عشرة سنة ، فحفظ القرآن الكريم في ستة أشهر ، واشتغل بالعلم حتىٰ صار إماماً فيه في

---

(١) الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول (ص ٢١)

(٢) انظر « الخطط التوفيقية الجديدة » (١٢٠/١٥)

(٣) معجم البلدان (١٠٧/٥)

(٤) انظر « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٢٠) ، وذكر فيه أيضاً عن النسبة لهٰذه القرية (ص ٢٦) أن عدداً من أهلها قديماً نزح منها ، واستقروا في بلاد وقرىً أُخَر ، فأطلق عليهم لقب (المرصفاوي) ؛ ليتميزوا عن المرصفيين المحتفظين بعادات قريتهم وطباع أهلها

أقرب زمن ، وأخذ عن جماعة من فضلاء الأزهر ، فلازم الشيخ داوود القلعاوي وسمع منه الكتب الستة ، وأخذ عن الشيخ الدمهوجي والفَضَالي والقُويسني والشَّرقاوي

وكان رحمه الله تعالىٰ زاهداً حافظاً ، يميل إلىٰ حب العزلة ، لم يُرَ في وليمة إلا نادراً ، وكثيراً ما كان يدعوه الأمراء إلىٰ منازلهم فلا يجيبهم ، وكان يزور الإمام الشافعي رضي الله عنه ماشياً علىٰ كبر سنه

وكان رحمه الله تعالىٰ مهيباً في درسه ؛ بحيث لا يستطيع الطالب أن يرفع فيه صوته ولو بالسعال

سافر في مبدأ أمره إلى الصعيد مع بعض مماليك العزيز المرحوم محمد علي ، وأقام هناك سنتين ، ثم رجع وانقطع للعلم بالأزهر إلىٰ أن توفي رحمه الله تعالىٰ ، وعمره اثنتان وسبعون سنة [١]

وذكر الأستاذ محمد عبد الجواد أن من طلاب الشيخ أحمد المرصفي العلامةَ محمداً الأشموني ، ومن معاصريه العلامةَ الباجوريَّ ، وأورد صورة إجازة من العلامة الأشموني يجيز الشيخَ محمد حفني ناصف بروايته عن العلامةِ الباجوري والشيخِ أحمدَ المرصفيِّ أبي حلاوة ، وكفىٰ بإجازة العلامة الأشموني هٰذه دليلاً وشاهداً علىٰ مكانة والدِ مترجَمِنا هٰذا

ملامة وعتب علىٰ مؤرخي الأدب

لم يتبين لنا علىٰ وجه التحديد سنة ولادة العلامة المرصفي ، ولولا بضعة أسطر كتبها عنه العلامة علي مبارك باشا لما علمنا من سيرته شيئاً

قال الأستاذ محمد عبد الجواد مستغرباً ومتعجباً (ولأقف هنيهة أُسائل فيها مؤرخي الأدب عن إغفالهم ترجمة الشيخ ترجمة وافية مفصلة ، تظهر

(١) الخطط التوفيقية (١٥/١٢٤ ـ ١٢٥) بتصرف يسير

مناحي شخصيته ، وتميط اللثام عن استعداده وكفايته ، وتفصح عن جوانب عبقريته ، وتوضح لماذا كان معجزة زمانه

ويظهر أن الترجمة للشيخ حسين المرصفي كانت شاقة ، لمن جاؤوا بعد علي مبارك باشا ، فأغفله المرحوم جرجي زيدان بك ، وهو يترجم لقرابة تسعين علماً من أعلام النهضة في كتابه المشهور « تراجم مشاهير الشرق » ، كما تركه الأستاذ حسن السندوبي في كتابه « أعيان البيان » ، الذي ترجم فيه لطائفة من أعلام الأدب والشعر منذ عصر محمد علي

وأعجب من ذٰلك كله أن يتركه المغفور له أحمد تيمور باشا ، وهو يترجم لأربعة وعشرين عيناً من أعيان العلم والأدب في كتابه « تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر » الذي طبع بعد وفاته !!

وما زال حظ الشيخ المرصفي يضؤل من الأسطر التسعة التي تفرد بها علي مبارك باشا في « خططه » حتىٰ بلغ نصيبه ثلاثة أسطر من الترجمة في كتاب « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » للأب لويس شيخو اليسوعي ، وهو نصيب لا يقوم كفاء ما أسداه الشيخ إلىٰ دراسة تاريخ الأدب من خدمات ، علىٰ أن مؤرخنا المنصف عبد الرحمـٰن الرافعي بك لم يفته ـ وهو يترجم لأعلام الأدب في عصر إسماعيل ـ أن يردد بضعة الأسطر التي جاءت في كتاب علي مبارك باشا ، وهي المصدر الوحيد في ترجمة الشيخ الجليل

والحق أن الشيخ المرصفي لم يترك لنا ترجمة تفي بحاجات المؤرخ ، أو تلقي ضوءاً قوياً علىٰ حياته

وأكثر من هـٰذا أنه لم يمد المؤرخ بما يكفي لدراسته دراسة لا تشق على الذين يأتون من بعده ؛ فقد كان معاصراً لعلي مبارك باشا ، وكان صديقاً له ، وقد كان في مقدوره أن يمده بطرف من أخباره ؛ ليذكر في كتابه « الخطط » كما كانت عادة علي مبارك باشا مع رجالات عصره ؛ فقد كان يرجو أن يمدوه بآثارهم ليدونها في كتابه

وإني قد أبحت لنفسي نقل هٰذه الفقرات الثلاث من الأستاذ محمد عبد الغني حسن في ترجمته ؛ لأنها تمثل أصدق تمثيل ما كان يدور بخلدي وقت أن فكرت في الكتابة عنه ، وقبل اطلاعي على هٰذه الترجمة وإن كنت أخالفه في بعض قضاياه ، كما سيتضح ذٰلك فيما بعد

وإذا كان العجب قد استولىٰ على الأستاذ من ترك تيمور باشا ترجمته للشيخ فقد كانت مفاجأة مدهشة أن أجده أغفل الشيخ مع ترجمته لبعض تلاميذه ؛ مثل الشيخ أحمد مفتاح ، ومع ذكره بعض أشعار هٰذا التلميذ في الشيخ الحسين ، حين قال في شيخيه حسن الطويل ، الذي خلف الحسين [من الكامل]

دَارُ ٱلْعُلُومِ شَكَتْ فِرَاقَ أَبِي ٱلْهُدَىٰ ... اَلْمَرْصَفِيُّ ٱلْحَبْرُ أَوْحَدُ ذا ٱلزَّمَنْ

فَأَجَبْتُهَا حَسَنُ ٱلْمَعَارِفِ بَعْدَهُ ... لَا تَجْزَعِي إِنَّ ٱلْحُسَيْنَ أَخُو ٱلْحَسَنْ

وهٰذا أيضاً مع ترجمته للشيخ زين المرصفي ، مع أنه كان صهر الحسين ، وإني أستبعد ألا يكون تيمور باشا عارفاً قدر الحسين !! وقد يكون السر في إغفال ترجمته أن الكتاب طبع بعد وفاة الباشا ، فأسقط الترجمة من قام بالطبع)(١)

ومن الاطلاع على الوقائع يتبين أن ولادة العلامة حسين المرصفي كانت تقريباً مطلعَ القرن التاسع عشر ، نحو عام (١٨١٥ م) ؛ لأن وفاته كانت سنة (١٨٩٠ م) ، وعاش أكثر من سبعين سنة رحمه الله تعالىٰ

ثم ذكر الأستاذ محمد عبد الجواد بعض الأسباب التي اعتقد أنها السبب في إهمال ترجمة العلامة حسين المرصفي ، ثم قال (ومن أهم الأسباب التي عملت علىٰ إغفال مؤرخي الأدب الترجمة للشيخ عدم مقدرتهم علىٰ تقويم علمه وفضله من كتبه ؛ فإن من يريد الترجمة له ترجمة قيمة لا بد له من

---

(١) الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول (ص ٩ ـ ١١)

قراءة كتبه وآثاره التي خلفها ، حتىٰ يستشف منها فضل الشيخ ومقدرته ، وسعة أفقه في العلم والأدب ، وليس هـٰذا الأمر بالهين أو اليسير على الذين كتبوا عن غيره من معاصريه ؛ لعدم إلمامهم بالفنون التي احتوتها مؤلفاته

هـٰذا ؛ ولست أوافق الرأي القائل بأن الشيخ لم يترك ترجمة تفي بحاجات المؤرخ إلىٰ آخره ، بل في الحق أن ما ذكره علي مبارك باشا عن الشيخ فيه الكفاية ، بالنسبة لدائرة المعارف التي وضعها في « خططه » ، وما يريده هـٰؤلاء من المعلومات عن الشيخ لم تكن تستحق التسجيل في نظره ، وبخاصة إذا علمنا أن الشيخ كان يثافنه ويجتمع به في مجالس خاصة ، ومحافل عامة

ولولا ما كتبه علي مبارك باشا من الأسطر التسعة عن الشيخ في « خططه » ، عرضاً في الكلام علىٰ قرية « مرصفا » والتي أصبحت مصدراً يستقي منه كل من يتعرض لترجمته لكان الشيخ نسياً منسياً)[1]

قال عنه العلامة علي مبارك باشا بعد أن ذكر ترجمة والده في « الخطط التوفيقية » (وقد ترك ابنه العلامة الشيخ حسيناً : من أجلاء العلماء وأفضلهم ، له اليد الطولىٰ في كل فن ، وقل أن يسمع شيئاً إلا ويحفظه ، مع رقة المزاج ، وحدة الذهن ، وشدة الحذق

اجتهد في التحصيل وحفظ المتون ، حتىٰ متن « جمع الجوامع » ، و« تلخيص المفتاح »

وتصدر للتدريس ، وقرَّأ بالأزهر كبار الكتبِ كـ « مغني اللبيب » في النحو لابن هشام ، وله تآليف مفيدة ، أجاد فيها وأفاد ؛ منها كتاب « الوسيلة الأدبية في علوم العربية » ، جمع فيها نحو اثني عشر فناً ، وتكلم باللسان الفرنساوي ، وقرأ الخط العربي والفرنساوي في أقرب زمن مع انكفاف بصره ؛ وهو حروف اصطلح عليها اصطلاحاً جديداً ، تدرك بالجس باليد

---

(١) الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول (ص ١٢)

وقد أنشأ الخديوي إسماعيل من ضمن ما أنشأ من المدارس ، مدرسة للعميان يتعلمون فيها هٰذا الخط مع فنون أخر ، وكان الشيخ حسين معلم العربية في دار العلوم وبالمدارس الكبرىٰ وبمدرسة العميان)[1]

لقد أوفىٰ رحمه الله تعالىٰ على الغاية ، وجاء بخلاصة الخلاصة ، وقد هيأ المولىٰ سبحانه الأستاذ محمد عبد الجواد لهٰذه المهمة ، قال في مقدمة بحثه (وقد شجعني علىٰ ذٰلك   أني لم أجد من ترجم لهٰذا الشيخ الجليل ترجمة تليق بمركزه ، وتفصح عن قيمته ، وتلقي ضوءاً يكشف عن شخصيته

هٰذه الأسباب وغيرها حفزتني إلى الترجمة لهٰذا العالم الأديب ، والنادرة الفذ ، حتىٰ أستمتع بلذة البحث عن هويته ، في مهامِهِ الظلام التاريخي الحالك ، الذي كان يسود جوه وعصره ، وسأتتبع حال الشيخ من خلال تلك الوصاوص[2] التي عثرت عليها حين كنت أجمع أصول « تقويم دار العلوم » ، وسأتخذ من هٰذه الذرات مصابيح تضيء تاريخ الشيخ ، وتكشف عن أفق علمه الواسع ، وفضله السابغ ، مستعيناً بما أستنبطه من مؤلفاته القيمة النادرة ، ومما أتلقطه من أفواه بعض تلاميذه ومعاصريه ، ومن سمع عنه من بعض عارفيه ومشاهديه

وإني لأعتبرها فرصة ذهبية ـ كما يقولون ـ أن أندمج في غمار من يعمل علىٰ إظهار فضل هٰذا العالِم البارع ، الذي يدعوه كل من تحدثت معه في تاريخه   معجزة زمانه ، ونادرة وقته ، مع أنه لم يفكر أو لم يوفق أحد من قبل في الترجمة له ، والحديث عنه في كتاب خاص !!)[3]

ومن مفاتيح البحث عن سيرة الشيخ   آثاره ومؤلفاته ، وما يلقاه الباحث في ثنايا سطورها ، مما يشير إلىٰ سعة في الاطلاع ، وتبحر في العلوم والفنون ، مع اتساع أفق معلوماته الخاصة والعامة

---

(١) الخطط التوفيقية (١٥/١٢٥ ـ ١٢٦)

(٢) الوصاوص   جمع وصواص ؛ وهو الخرق في الستر بمقدار عين تنظر فيه

(٣) الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول (ص ٩)

ومع أن العلامة المرصفيَّ كان كفيف البصر لٰكنه ذو بصيرة ثاقبة ، وكم قد سبق من البصراء فلم يدركوا شأوه رحمه الله تعالىٰ ، وكأن لسان حاله يردد ما قاله سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما (من البسيط)

إنْ يَأْخُذِ ٱللهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا ... فَفِي لِسَانِي وَسَمْعِي مِنْهُمَا نُورُ

قَلْبِي ذَكِيٌّ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ ... وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَٱلسَّيْفِ مَأْثُورُ (١)

وقال أبو العلاء المعريُّ (من الوافر)

وَقَالُوا قَدْ عَمِيتَ فَقُلْتُ كَلَّا ... وَإِنِّي ٱلْيَوْمَ أَبْصَرُ مِنْ بَصِيرِ

سَوَادُ ٱلْعَيْنِ زَادَ سَوَادَ قَلْبِي ... لِيَتَّفِقَا عَلَىٰ فَهْمِ ٱلْأُمُورِ

ولقد أشار الأستاذ محمد عبد الجواد إلىٰ أن الشيخ حسيناً المرصفيَّ أصابته علة وهو في الثالثة من عمره أذهبت بصره ، ولم يكن أكمه ، وكان الشيخ إبان طلبه للعلم ملازماً للأزهر الشريف ، فلا يفارقه أياماً ولياليَ على الرغم من قرب بيت والده من الجامع الأزهر ؛ لأنه كان في (الباطنية) ، وكان من عادته أن يأكل مرة واحدة في اليوم والليلة (٢)

تدريسه في الأزهر الشريف

كان تدريسه في الأزهر أُولىٰ ثمرات نبوغه ونتائج اجتهاده ، قال العلامة محمود الطناحي في كتابه « مدخل إلىٰ تاريخ نشر التراث » (أنشئت مدرسة

(١) قال العلامة خليل بن أيبك الصفدي رحمه الله تعالىٰ في « نكت الهميان » (ص ٧٢) : (قلَّ أن وجد أعمىٰ بليداً ، ولا يرىٰ أعمىٰ إلا وهو ذكي ؛ منهم الترمذي الكبير الحافظ ، والفقيه منصور المصري الشاعر ، وأبو العيناء ، والشاطبي المقرئ ، وأبو العلاء المعري ، والسهيلي صاحب « الروض الأنف » ، وابن سيده اللغوي ، وأبو البقاء العكبري ، وابن الخباز النحوي ، والنيلي شارح « الحاجبية » وغيرهم ، والسبب الذي أراه في ذٰلك أن ذهن الأعمىٰ وفكره يجتمع عليه ، ولا يعود متشعباً بما يراه ، ونحن نرى الإنسان إذا أراد أن يتذكر شيئاً نسيه أغمض عينيه وفكر ، فيقع علىٰ ما شرد من حافظته ، وفي المثل أحفظ من العميان)

(٢) انظر « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٣٨)

دار العلوم سنة « ١٨٧٢ م » ، وتولى التدريس فيها أفذاذ الرجال ، وكان على رأسهم الشيخ حسين المرصفي ، هٰذا الأزهري الضرير الذي تولى التدريس بالأزهر ، ثم كان أستاذاً للأدب العربي وتاريخه بمدرسة دار العلوم ، وكان يعرف الفرنسية ، وهو من عظماء رجال الإحياء ـ أي إحياء التراث ـ وألف كتابه « الوسيلة الأدبية » وهو مجموع محاضراته على طلبة دار العلوم ، ولهٰذا الكتاب أثر ظاهر في إحياء اللغة وآدابها ، وقد انتفع به كل من تخرج في دار العلوم ، وكل أبناء الجيل عامة)[١]

لقد تصدى للتدريس في الأزهر قبل صدور القانون الذي ينظم إجازة التدريس أو شهادة العالمية سنة (١٢٨٨ هـ) ، واستمرَّ في التدريس بعد صدوره ، وكان واحداً من الأساطين التي يعتمد عليها بدار العلوم ، والذي سماها بهٰذا الاسم صديقه العلامة علي مبارك باشا صاحب « الخطط التوفيقية » ، وكانت أشبه بمجمع علمي أو جامعة شعبية ، تلقى فيها المحاضرات في كل فن ، ومن المحاضرين البارزين فيها الشيخ حسين المرصفي لمدة ثمانية عشر عاماً ، وتخرج على يديه عدد كبير من فطاحل العربية والأدب ، وظهر فضله ، وانتشر ذكره ، وكان يدرس العلوم الأدبية ؛ وهي التي تتضمن النحو والصرف ، ورسم الحروف ، وحروف المعاني ، والعروض والقوافي ، والإنشاء وعلوم البلاغة ، وأدبيات اللغة والمنطق ، ولما أرادوا رفع مستوى المدرسة والطلاب أضاف الشيخ حسين المرصفي للطلاب درساً في « المقامات » ، ودرساً في كتاب « التمرين على القراءة في اللغة العربية » ، وهو كتاب يتضمن خمساً وعشرين مسامرة في مسائل عامة ؛ كونية ونباتية وحيوانية وطبيعية وفلكية ، ومن يتصدى لتدريسها لا بد أن يكون واسع الأفق ، غزير المعلومات ، مع تباينها وتنوعها ، وعندما تنظر في عناوينها تدرك بأنه يملك عقلية فذة ، ونظرة ثاقبة في غور الأمور ، وبصيرة سبقت الأبصار والمبصرين

---

(١) مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي (ص ٣٦)

وذكر الأستاذ محمد عبد الجواد مثالاً لتبحره وغزارة علمه ؛ وهو أنه دخل الفصل أول السنةِ فسأل من الأول ؟ فرد عليه الأستاذ الحناوي أنا ، فقال الشيخ أعوذ بالله من قول « أنا » ، وسأله عن اسمه ، فقال له الحناوي ، فأخذ الشيخ يسأله عن النسبة في كلمة (الحناوي) هل هي قياسية أو غير قياسية ، وقال الحناوي أو الحني ، نسبة إلى الحنة أو الحناء ؟

ثم شرع يتكلم علىٰ نبات الحنة وأثرها في الصناعة وتلوين الورق ، وفوائدها وغير ذٰلك ، ويذكرون أنه قضىٰ نحو أسبوع في الكلام على الحناء

وفضلاً عما يفهم من سعة اطلاع الأستاذ تجد أنه يتبع طريقة التعليم بالمناسبة ، وهي خير طريقة لتثبيت المعلومات عند الطلاب(١)

وكان يرتب الطلاب في الصف أول السنة بترتيب مخصوص ؛ بحيث يعرف مكان كل طالب ، ويحفظ أسماءهم ، فإذا حصل همس أو عبث نادىٰ باسم الطالب ، وكان يشعر بغياب من لم يحضر ، ولو دخل الطالب خلسة كان يقول من الذي شوش علينا الدرس ؟!

وإذا سمع صريف القلم نادىٰ علىٰ صاحبه بالكف عن الكتابة ، وكان مرهف الحس ، حاضر الذهن ، سريع البديهة ، شعلة من الذكاء ، دقيق الملاحظة

تدريسه بمدرسة العميان

تأسست هٰذه المدرسة الخصوصية في عهد الخديوي إسماعيل سنة (١٨٧٥ م) ، واستمرت إلىٰ سنة (١٨٨٩ م) ، وكانت الأُولىٰ من نوعها بمصر ، وإن وجود العلامة المرصفي مدرِّساً بها مع تدريسه بدار العلوم ساعده علىٰ

---

(١) انظر « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٤٤) ، ونقل أن طلابه كانوا يروون عنه أشياء تشبه الأساطير كما هي العادة في الكلام على العباقرة مما يستدل من ذٰلك علىٰ نبوغه وتبحره ، وأنه كان خارقاً للعادة في حياته رحمه الله تعالىٰ

تعلم الخط العربي والفرنسي علىٰ طريقة (بريل Braille) من خلال جس الحروف باليد

وقد أتقنها الشيخ رحمه الله تعالىٰ ، ووصل في تعلمه اللسان الفرنسي إلىٰ أن صار يترجم كتباً عن الفرنسية إلى العربية ، وكان ذٰلك في وقت يسير ، وكان يمتلك آلة كاتبة في ذٰلك العصر

مؤلفاته

لقد عاش العلامة المرصفي في عهد محمد علي وعباس الأول وسعيد ، وأدرك عهد إسماعيل وتوفيق ، فكان في عهد هٰذين الأخيرين في طليعة المؤلفين ؛ لأن مؤلفاته لم تظهر إلا بعد تدريسه بدار العلوم ، وربما وقف علىٰ أمور في تدريسه الطلبة أحوجته إلىٰ تجديد الأساليب وتنويع الخطاب والأمثلة ، فجاء بمَعينٍ عذب وردَهُ واستقىٰ منه أجيال وأجيال ، فأضحىٰ بحق معلم الجيل الأول ، وشيخ مؤلفي العصر الحديث بلا منازع !!

قال العلامة المحقق محمود شاكر في كتابه القيم « أباطيل وأسمار » (فأنشئت مدرسة دار العلوم سنة « ١٨٧٢ م » أي قبل وفاة رفاعة الطهطاوي بعام واحد ، فتولى التدريس فيها رجل من عظماء رجال الإحياء هو الشيخ حسين المرصفي ، فكان له أثر عظيم جداً علىٰ كل من تخرج في دار العلوم ، واقترن وجود المرصفي بظهور شاعر فذ ، نقل اللغة يومئذ من حال إلىٰ حال ، فأسقط عن الهمم تلك الأغلال التي كانت تمسكها إلى الأرض ، وتقعدها بالعجز عن توهم إدراك الأوائل في نصاعة العبارة وتجويد الشعر ، وهو الإمام الأول محمود سامي البارودي ، المولود سنة « ١٨٤٠ م » ، وظهر اسمه وشعره في نحو هٰذا الوقت ؛ أي « ١٨٧٠ م » ، وبدأت العربية من يومئذ تستعيد شبابها وقوتها ، وانطلقت الألسنة من عقال العجز بفضل هٰذين الرجلين)[١]

---

(١) أباطيل وأسمار (ص ١٣١)

وأما مؤلفات هٰذا العالم الكبير فأهمها أربعة كتب ؛ هي

١ ـ « الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية » وهو أهم كتب العلامة وأشهرها ، وهو كتابنا هٰذا الذي شرفنا الله بخدمته وبعثه من جديد

٢ ـ « زهرة الرسائل » طبع بمصر دون تاريخ ، كما أشار إلىٰ ذٰلك سركيس [١]

٣ ـ « دليل المسترشد في فن الإنشاء » مخطوط في ثلاثة مجلدات ، وكان العلامة يلقيه في المحاضرات التي يدرسها في دار العلوم علىٰ طلبته

٤ ـ « رسالة الكلم الثمان » في العلوم السياسية أو التربية الوطنية (علم الاجتماع) ، وهي تسمية مبتكرة جديدة ، يتكلم فيها المؤلف على (الأمة ، والوطن ، والحكومة ، والعدل ، والظلم ، والسياسة ، والحرية ، والتربية) ، وقد استفتحها بعد البسملة بهٰذين البيتين (من مجزوء الكامل)

أَرْجُو قَبُولَ هَدِيَّةٍ   لَقَبْتُهَا ٱلْكَلِمَ ٱلثَّمَانِ
أَهْدَيْتُهَا لِأُولِي ٱلنُّهَىٰ   فِتْيَانِ أَبْنَاءِ ٱلزَّمَانِ

ثم أعقبها بقوله (هٰذه رسالة ، ألتمس من قرائها أن يخصوها بجانب عظيم من عنايتهم ؛ حتىٰ لا يفوت فهمهم شيء مما تشير إليه بعض عباراتها ، وأن يكرروا النظر لاستثبات معانيها ، وبها أخاطب أذكياء الشبان من أهل هٰذه الأزمنة ، التي ابتدأتها الألطاف الحاضرة ، شرحت فيها كلمات جارية علىٰ ألسن الناس لهجوا بذكرها في هٰذه الأوقات ؛ كلفظ الأمة والوطن والحكومة ، والعدل والظلم والسياسة ، والحرية والتربية ، وأرجو من الله تعالىٰ كما هداني لذٰلك أن يستعقب المنفعة المنهوض لتحصيلها) [٢]

فهي رسالة جديرة أن تُخدَم وتُقرأ وتُدرس

---

(١) معجم المطبوعات العربية (٢/١٧٣٥) ، وعزاه له في « الأعلام » (٢/٢٣٢) ، وعزاه أيضاً لمحمد بن حسن نائل المرصفي (٦/٩٥) ، ولعل الثاني سبق قلم

(٢) انظر « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٩٢ ـ ٩٣)

لقد كان العلامة المرصفي نادرة عصره ، ودرة وقته ، حاملاً لواء النهضة ، أمضىٰ عمره في التدريس ، وأوصل رسالته ، وأدىٰ أمانته ، وسبق مَن معه وكثيراً ممن قبله ، لقد غرس لأهل مصر بل وللعربية جمعاء غرساً لا يقلع إلىٰ يوم القيامة

لقد تزعم رجال النهضة الحديثة ، وأخرج روَّاداً للحضارة من دار العلوم ؛ أمثال محمد دياب ، وحفني ناصف ، والشيخ مفتاح ، والشيخ زيد ، وسلطان محمد ، وحسن توفيق العدل ، كما أخذ عنه من غيرهم أمثالُ البارودي ، وعبد الله باشا فكري أميرَي البيان والشعر في وقتهما ، وكذٰلك أمير الشعراء أحمد شوقي ، والشيخ حمزة فتح الله وهٰكذا ؛ كان بحق شيخَ النهضة الأدبية

ومن ثماره أن تلاميذه هم الذين ألفوا الدروس النحوية : محمد بك دياب ، ومحمد صالح باشا ، وحفني ناصف بك ، والشيخ مصطفىٰ طموم ، ومحمود عمر بك ، وسلطان محمد بك ، هٰؤلاء هم مؤلفو الدروس النحوية للمدارس الابتدائية والثانوية ودروس البلاغة للمدارس الثانوية ، ثم جاء الشيخ أحمد الحملاوي وألف « شذا العرف في فن الصرف » و« زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع » ، واتبع طريقة المرصفي في التأليف

وفاته

بعد حياة مليئة بالعلم دراسة وتدريساً ، وكتابة وتأليفاً لبىٰ نداء ربه سبحانه وتعالىٰ ، وانتقل هٰذا الطود الشامخ إلىٰ رحمة الله تعالىٰ ، ولسان الحال ينشد (من البسيط)

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ ٱلْعَيْشِ إِنْسَانُ
وَهَٰذِهِ ٱلدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَىٰ أَحَدٍ وَلَا يَدُومُ عَلَىٰ حَالٍ لَهَا شَانُ

وكانت وفاته في السنة التي توفي فيها صديقه عبد الله فكري باشا (١٣٠٧ هـ) غير أن وفاة الأخير كانت في يوليو سنة (١٨٩٠ م)

والواقع : أن وفاته كانت يوم الأحد (٥) من جمادى الآخرة سنة (١٣٠٧ هـ) ، ويوافق (٢٦) من يناير سنة (١٨٩٠ م) ؛ فقد جاء في عدد الوقائع المصرية الصادر يوم الاثنين (٢٧) من يناير سنة (١٨٩٠ م) النعي الآتي

إنا لله وإنا إليه راجعون

في اليوم الماضي انتقل من هٰذه الدار الفانية إلىٰ دار الكرامة والرضاء ، العالم الشهير ، العلامة الكبير ، الشيخ حسين المرصفي ، مدرس العلوم العربية والآداب الشرعية بمدرسة دار العلوم الخديوية

وقد شيعت جنازته في مشهد حافل ، كان فيه كبراء أهل العلم ـ يؤمهم حضرات أصحاب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر ، ومفتي الديار المصرية ـ وغيرُهم ، وعدد عظيم جداً من حضرات نظار المدارس الأميرية وموظفيها ، ورجال المعارف العمومية ، وكثير من الوجوه والأعيان

ثم صلي عليه في الجامع الأزهر الأنور ، وتليت هناك قصائد الرثاء علىٰ ما جرت به العادة في موت العلماء الكبار ، ودفن بغاية التبجيل والتوقير ، رحمه الله رحمة واسعة ، وعزىٰ آله وذويه وأهلَ العلم والفضل فيه العزاءَ الجميل

هٰذا ؛ وقد حُمل جثمانه إلىٰ مقره الأخير بقرافة العفيفي ، بالقرب من الشيخ عبد الله المنوفي ، والشيخ عليش

رحمه الله رحمة الأبرار

لمحاتٌ مضيئةٌ
عن الوسـيلة الأدبيّة إلى العلوم العربيّة

دلالة العنوان

قال الله تعالىٰ ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ (١)

إن اسم الشيء هو الصورة الدالة علىٰ صفاته ، ولمَّا كان العنوان أول شاهد علىٰ أي عمل كان لا بدَّ من نظرة تأمُّلية فيه تميط اللثام عن الغاية من ورائه

الوسيلة هي المنزلة عند الملِك وذي السلطان ، وهي الواسطة والدرجة والقربىٰ ، ويرادفها الأداة والطريقة والأسلوب ، والعلامة المرصفي قد ابتغىٰ إلىٰ علوم العربية وسيلةً أحسَنَ في مبناها ومعناها معاً ، فجاء العنوان مصدِّقاً لما بين يديها ؛ إذ قامت وسيلته على النظرِ في القديم الموروث من عصور الازدهار ، بعلومه وأدبه ونقده ، ثم بعثِه بعثاً جديداً ؛ ليكون الأداةَ المنتظرة لإيقاظ الراقدين من سباتهم

فلمَّا اشتمل الكتاب علىٰ علوم العربية جميعِها هدَفَ إلىٰ تقديم ثقافة كاملة متكاملة ، بأسلوبٍ جديد وطريقةٍ بيانية ، تصل بالقارئ إلى البغية المنشودة في تعلُّم وتعليم العربية ، فالعلوم عند المؤلف ليست غايةً في ذاتها ، وإنما هي وسيلة للغاية الأسمىٰ والمنزلة الأعلىٰ ؛ ألا وهي الارتقاء بالقارئ إلىٰ معرفة مكامن الجمال وإدراك مواطن الحسن في هٰذه اللغة

سبب ودافع التأليف

بدايةُ الكتاب محاضراتٌ ألقاها الشيخ المرصفي علىٰ طلبة (دار العلوم)

---

(١) سورة المائدة (٣٥)

أولَ إنشائها ، إملاءً على الشيخ حسنٍ أبي زيد سلامة الذي أشرف فيما بعد علىٰ طبعها ، بل إن هـٰذه المحاضرات كانت نواةَ إنشاءِ هـٰذه الدار التي أصبحت كليةً عريقةً ثم جامعةً فيما بعد

وترتبط أسباب تأليف الكتاب بحركة الإحياء نهايةَ القرن التاسعَ عشرَ وبدايةَ القرن العشرين ؛ أي مع عصر النهضة ، حيث إن فلسفة الشيخ تنطلق من وضع كل شيء في موضعه المناسب ؛ كما بيَّنها في كتابه « الكلم الثمان » ، فيتحقق بذٰلك العدلُ وينتفي الظلمُ الذي هو سبب التخلف

وقديماً قال أبو الطيِّب المتنبِّي (من الطويل)

وَوَضْعُ ٱلنَّدَىٰ فِي مَوْضِعِ ٱلسَّيْفِ بِٱلْعُلَا مُضِرٌّ كَوَضْعِ ٱلسَّيْفِ فِي مَوْضِعِ ٱلنَّدَىٰ

فالكتاب أداة لوضع الإنسان العربي وغير العربي ممن أراد تعلُّم العربية علىٰ جادة الطريق القويم للنهوض بفكره ، ومن ثم النهوض بالأمة

منزلة الكتاب وقيمته العلمية

ظهرت ميول الشيخ الأدبية واضحةً جليةً بعد إتمام تعليمه في الأزهر الشريف ؛ فقد بدت هـٰذه الميول في دروسه بمدرَّج (دار العلوم) ، ووجد الطلاب فيها منهجاً جديداً لم يألفوه ، ولم يسمعْه شيوخ الأزهر ولا عرفه ذوقُ العصر

جاء الكتاب بأسلوب جديد ، واتَّخذَ فيه النقدُ طابعاً لغوياً وبيانياً ، عرض فيه المؤلف علوم العربية عرضاً مختلفاً ، ولا سيما علوم البلاغة في الجزء الثاني منه ؛ من خلال الحديث عنها حديثاً نظرياً ، مُبيِّناً منزلة كل علم منها ، ثم تطبيقياً ؛ من خلال عرض نصوصٍ أدبية ونقدها وموازنتها بنصوص بعض القدماء والمحدثين ، معلِّقاً ومصححاً بعض ما شذ وندَّ عند القدماء في كتبهم

عدَّه النقاد المعاصرون أولَ كتاب أدبي نقدي أُلِّف في علوم العربية في هـٰذا

العصر علىٰ منهج حديث ، فأدخل المؤلِّف بكتابه على التفكير الأدبي ما أدخله تلميذه العلامة محمد عبده فيما بعد على التفكير الديني والاجتماعي ؛ حيث مثَّلت مادتُه وأسلوبُه ثورةً وانقلاباً في مجال النقد والدراسات الأدبية ، أثَّرَتْ في مسار الثقافة العربية بالتزامه منهجاً علمياً غيرَ معهود في أيامه ، فكان مؤلِّفُه أباً روحياً لروَّاد النهضة الأدبية الحديثة ، ساهم في تشكيل عقولهم وتكوين أذواقهم ، وكان ملهماً للأدباء والشعراء باستنهاض مواهبهم وتحريك ملكاتهم

لقد وجَّه الكتاب الأدب العربي وجهة جديدة ، صحَّحَتْ مساره في حركة البعث والإحياء ؛ من خلال النقل المباشر عن التراث والانتقاء منه وانتقاده في محاولة لإحياء الأدب العربي والتجديد فيه

منهجه

يمثل الكتاب اتِّجاه الانتقاء والانتقاد ، فجاء بمحاولة إحيائية واعية وناضجة ، كان هدفها تجديدياً أصيلاً ، وهٰذا الاتجاه مع احترامه وإجلاله للتراث إلا أنه لا ينقاد له كلَّ الانقياد ، ولا يسلم له كلَّ التسليم ، بل إنه يتناوله ويفحصه ، ثم يستمد منه ما يتلاءم مع حاجة العصر ، فيحاول أن يعين القارئ علىٰ إنتاج تصوراتٍ ودلالاتٍ ؛ من خلال نصوص التراث التي يسوقها فيه ، يحيي بها فكره ويهدم الفجوة بينه وبينها ، مروراً بهدف إحياء الفكر العربي ووصولاً لهدف إحياء الأمة العربية

اتَّبع العلامة المرصفي أسلوباً علمياً رصيناً ، يقوم على التدقيق والتحقيق ، والتأمل العميق ، بهدف الوصول إلىٰ غايته المنشودة بوضع الشيء في موضعه المناسب ، وكان أميناً في النقل عن كتب غيره ممن سبقوه أو عاصروه ؛ فهو يشير في الغالب إلى المنقول عنه إلَّا ما ندر ، ثم إنه لا يكتفي بذكر اسم المنقول عنه ، بل ينعت فيه صاحبه بما يليق به من النعوت والأوصاف

وتأتي نقوله أحياناً خالية من التعليق ومن محاولة التجديد ، وهٰذا يرجِّح

أن الشيخ متمسك بالقديم أشدَّ التمسك ، لكن تأتي اختياراته بما يلائم مقتضيات عصره

ولم يكن العلامة المرصفي في كتابه ناقداً فحسب ، بل كان مؤرخاً أيضاً ؛ حيث إنه يأخذ علىٰ عاتقه مهمة الكشف عن نشأة وتطور كل فن قبل أن يفصل حديثه عنه ، فكان يحرص عند مطلع كل باب أن يستحضر تاريخ العلم الذي يتناوله ، موضحاً تطوره وذاكراً أهم أعلامه

وكان كثيرَ الاستطراد ما دام يرىٰ في ذٰلك فائدة للموضوع الذي يتناوله ، وكثيرَ الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والأمثال ، والحكايات ، والنوادر ، قاصداً بذٰلك أن يُمدَّ القارئ بأكبر قدر من الشواهد التي تعينه علىٰ تربية ملكته الأدبية وتحسين ذوقه ، وهو في استشهاداته يراعي التسلسل الزمني وتدرُّج العصور التاريخية ، وبذٰلك يكون قد أرسىٰ قواعد المنهج التاريخي في الدرس الأدبي

وأخيراً خلَّصَ العلامة المرصفي العلومَ العربية ، ولا سيما النحو والبلاغة من تعقيدات كتب الأقدمين ، فمهَّد السبيل لظهور مؤلفات بأسلوب جديد علىٰ يد تلامذته من بعده

مضمونه

إن الكتاب موسوعة عربية شاملة ، ودائرة معارف متكاملة ، وهو شبيه بكتب الأمالي العربية ، غيرَ أنه شمل علوم العربية جميعَها ؛ فتناول فيه المؤلف ما يزيد على اثنين وعشرين فناً ؛ هي (النحو ، والبلاغة ، والعروض ، والقوافي ، والكتابة ، والإنشاء ، وقرض الشعر ، والموازنات الأدبية ، والطرائف ، والأمثال ، والمقامات ، والنقد ، واللغة ، والمقولات العشر ، والتاريخ ، وتواريخ نشأة الفنون ، وتاريخ التربية ، والكتَّاب ، وتدوين العلوم ، ونشأة اللغة العامية وعلاجها ، ومخارج الحروف)

أما منهجه في عرض هـٰذه الفنون فإنه لا يجري فيه مَجرىٰ كتب التراث ؛ فنجده يترك تقسيمها ويهجر تبويبها ، فلا يستعمل ألفاظَ (المقدمة ، والباب ، والفصل ، والكتاب) ، بل يأتي بألفاظ جديدة ؛ هي (المقصد ، والصدر ، والجهة ، والقسم ، والتقسيم)

وقد جاء أصل الكتاب في جزأين ، جعل المؤلف الجزء الأول مدخلاً للفنون التي تناولها في الجزء الثاني وتمهيداً نظرياً لها ؛ فتكلم علىٰ مقصدين ؛ الأول في المنطق ، والثاني في اللغة ، وقسَمَ الثاني أقساماً ثلاثة ؛ الأول في فقه اللغة ، والثاني في الصرف ، والثالث في النحو

واهتم في هـٰذا الجزء بتعريفات العلوم ، والقواعد العامة ، والمسائل النظرية المتصلة بالأدب ، والتأصيل النظري للعلوم الإنسانية ، وأنهىٰ كلامه عليه بخاتمة تحدث فيها عن أحسن طرق تحصيل العلوم العربية

أما الجزء الثاني فتكلم فيه كلاماً مفصلاً علىٰ مقصدين ؛ الأول في البلاغة وفنونها البيانِ والمعاني والبديعِ ، وألحق به الحديث عن العروض والقوافي ، والثاني في الكتابة ، وتحدث فيه عن الإنشاء أو صناعة الترسل ، وألحق به فصلاً عن صناعة الشعر



وصف النسخة المعتمدة

تم إخراج هـٰذا الكتاب النفيس بالاعتماد على النسخة التي طُبعت في حياة المؤلف رحمه الله تعالىٰ ، وهـٰذا وصفها

تتألف هـٰذه الطبعة من مجلدين بينهما تباين من حيث الحجم وسنة الطبع

المجلد الأول يتألف هـٰذا المجلد من (٢١٦) صفحة ، مع أربع صفحات لمحتوى الكتاب ، فهو لطيف الحجم مقارنة مع المجلد الثاني ؛ لأنه يعادل ثلث المجلد الثاني

المجلد الثاني يتألف من (٧٠٤) صفحات ، مع ست صفحات لمحتوى الكتاب

جرىٰ إثبات عنوان الكتاب في المجلد الأول « **الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية** » ، واختلف اختلافاً بسيطاً في المجلد الثاني فأثبت هـٰكذا (**للعلوم العربية**) باللام بدل (إلىٰ) ، ولعل سبب الاختلاف هو ما سنذكره من التفاوت في تاريخ طبع المجلدين

وأثبت في المجلد الأول وصف المؤلف بقوله (تأليف الفاضل العلامة ، واللوذعي الكامل الفهامة ، المتوكل علىٰ ربه العلي ، حضرة الشيخ حسين المرصفي ، معلم العلوم العربية بدار العلوم الخديوية)

وأثبت في بداية المجلد الثاني (تأليف حضرة الشيخ حسين المرصفي ، مدرس علوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية)

والذي يلفت الانتباه ويستحق التأمل هو تاريخ الطبع للمجلدين ؛ فقد أثبت مصحح الكتاب في نهاية المجلد الأول تاريخ طبعه ، وهو سنة

(١٢٩٢ هـ) مع أنه أثبت علىٰ صفحة العنوان سنة (١٢٨٩ هـ)[١]

وأثبت في نهاية المجلد الثاني أنه طبع سنة (١٢٩٦ هـ) ، وبين المجلدين أربع سنوات ، إضافة إلىٰ أمر آخر ؛ وهو أن المجلد الأول طبع بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز بالقاهرة المحروسة ، والمجلد الثاني طُبع بمطبعة باب النيل البهية ، بخط باب الشعرية من مصر المحمية[٢]



(١) لعله أرسل إلى المطبعة سنة (١٢٨٩ هـ) ، ثم أُنجز سنة (١٢٩٢ هـ) ، ثم أرسل الثاني إلىٰ مطبعة ثانية وأنجز سنة (١٢٩٦ هـ) ، والله أعلم

(٢) وقد تأيد هـٰذا الملمح بما سطره العلامة محمود الطناحي في كتابه القيم « مدخل إلىٰ تاريخ نشر التراث العربي » (ص ٤٢) وهو يتكلم عن المطابع التي أنشئت بعد المطبعة البولاقية (الأميرية) فقال (وأول هـٰذه المطابع المطبعة الأهلية التي عرفت فيما بعد بمطبعة الوطن ، وقد أنشئت سنة « ١٨٦٠ م » ثم تلتها مطبعة وادي النيل سنة « ١٨٦٦ م » ، وقد أنشأها عبد الله أبو السعود أفندي ، وطبع فيها صحيفة وادي النيل إلىٰ جانب بعض كتب التراث ، وفي هـٰذه المطبعة تم طبع كتاب « الوسيلة الأدبية » للشيخ حسين المرصفي سنة « ١٢٩٦ هـ » ، وكان قد بدأ طبعه بمطبعة المدارس الحكومية بدرب الجماميز سنة « ١٢٩٢ هـ »)

منهج العمل في الكتاب

اعتمدنا في إخراج هٰذا الكتاب النافع المفيد على النسخة الأصلية التي طبعت في حياة المؤلف رحمه الله تعالىٰ وفق الخطوات الآتية

ـ نسخ الكتاب عن هٰذه النسخة ، ومعارضته بها بدقة وتمعن

ـ كتابة الآيات القرآنية الكريمة برسم المصحف الشريف ، من رواية حفص عن عاصم ، والتنبيه على القراءات الأُخَر إن استشهد بها المؤلف ، وحصر هٰذه الآيات بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ مع ذكر اسم السورة ورقم الآية

ـ تخريج الأحاديث النبوية ، والأخبار والأقوال المأثورة ، والحِكَم والأمثال ، والقصص والشواهد الواردة في الكتاب من مصادرها التي عزا لها المؤلف دون الاستطراد في ذٰلك ؛ مراعاة لمقصود المؤلف من الكتاب ، كيف لا ؛ وقد جعله نبراساً للطلاب ، ومرجعاً للكتاب ؟!

ـ عزو الأبيات الشعرية ـ مع كثرتها في الكتاب ـ إلىٰ دواوين الشعر وكتب اللغة والأدب ، والبلاغة والنحو ، مع ذكر اسم البحر الشعري دون الاستفاضة في التخريج أيضاً

ـ أضفنا بين معقوفين [ ] بعض التصويبات ضمن النص اعتماداً علىٰ مصادر المؤلف رحمه الله تعالىٰ ، وأضفنا أيضاً بعض العناوين بين معقوفين ؛ ليسهل تقسيم مواضيع الكتاب وفهرسته

ـ ضبطنا النص بالحركات الإعرابية مع ضبط المشكل منها ؛ تيسيراً على الطالب والقارئ

ـ زينا الكتاب بعلامات الترقيم المناسبة ؛ زيادة في إيضاح النص وتيسير فهمه

ـ أثبتنا عنوان الكتاب كما ورد في المجلد الأول ، وأشرنا إلىٰ سبب اختلاف ذٰلك خلال وصفنا لنسخة الأصل المعتمدة

ـ قسمنا الكتاب إلىٰ أربعة أجزاء متقاربة ، الأول منها أبقيناه علىٰ تقسيم مؤلفه رحمه الله تعالىٰ ، وقسمنا المجلد الثاني من الأصل إلىٰ ثلاثة أجزاء ؛ تيسيراً على القارئ والطالب

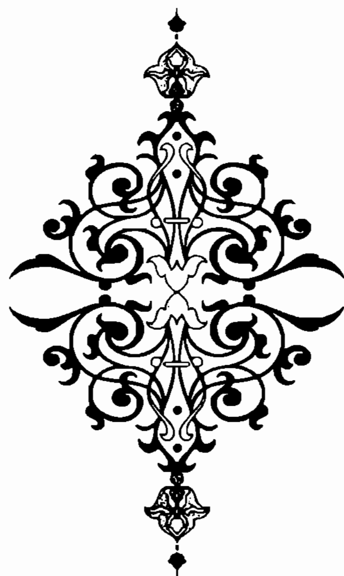
ـ ترجمنا للمؤلف ترجمة موجزة مختصرة ، وقدمنا للكتاب بمقدمة توضح أهميته ومنزلته بين كتب النقد الحديث ، مع بيان منهجه ومضمونه

ـ صنعنا فهرساً لموضوعات الكتاب

وفي الختام نسأل الله الملك العلام ، أن يكتب القَبول لهٰذا الكتاب وينفع به جميع الأنام ، وأن يجعلنا خداماً لدين الإسلام ولكتب الأئمة الأعلام ، وأن تكون هٰذه المؤلفات شافعة لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

والحمد لله رب العالمين

صور من النسخة المعتمدة



الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية

تأليف الفاضل العلامة واللوذعي

الكامل الفهامة المتوكل

على ربه العلي حضرة

الشيخ حسين

المرصفي

معلم العلوم العربية بدار العلوم الخديوية

(طبعة أولى)

(بمطبعة المدارس الملكية)

(سنة ١٢٨٩)

ورقة العنوان من المجلد الأول

(٢)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(٣)

الورقة الأولى من المجلد الأول

﴿٢٤٤﴾

[illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible]

كما قيل

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله • لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وقيل

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله • ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل

ومن لم يذل النفس في طلب العلا • يسيراً يعش دهراً طويلاً أخا ذل

وكما قيل اطلب ولا تضجرن من مطلب • فآفة الطالب أن يضجرا

أما ترى الحبل بتكراره • في الصخرة الصماء قد أثرا

وقيل [illegible] • [illegible]

[illegible] • [illegible]

وزمن

﴿٢٤٥﴾

ومن التحصيل [illegible]

[illegible]

طريق

يقول المفتقر الى اللطف به الخفي ... قد تم بحمد الله طبع الجزء الاول من الوسيلة الادبية الى العلوم العربية ويليه الجزء الثاني أوله (المقصد الثالث) في فنون البلاغة تأليف الفاضل الامجد والاستاذ الاوحد حضرة العلامة الشيخ حسين المرصفي [illegible] صاحب المعارف السنية [illegible] للمدارس والاوقاف المصرية [illegible] الامير الجليل سعادة [illegible] باشا [illegible] بمطبعة المدارس الملكية سنة الف ومائتين واثنين وتسعين هجرية والحمد لله والصلاة والسلام على النبي وآله وأصحابه الأئمة الاعلام آمين

الورقة الأخيرة من المجلّد الأوّل

الجزء الثاني من الوسيلة الادبية للعلوم العربية

تأليف حضرة الشيخ حسين المرصفي

مدرس علوم الادب بدار

العلوم الخديوية

المصرية

٢

﴿طبعة أولى﴾

﴿طبعت بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز﴾

من القاهرة المحروسة

﴿سنة ١٢٩٢ هجرية﴾

ورقة العنوان من المجلّد الثاني

(٢)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المقصد الثالث في فنون البلاغة)

(٣)

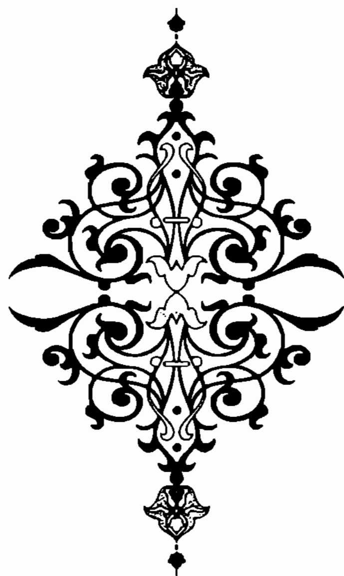
(الكلام على المجاز)

الورقة الأولى من المجلّد الثّاني

(٢٠٢)

(٢٠٣)

الورقة الأخيرة من المجلّد الثاني



الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف

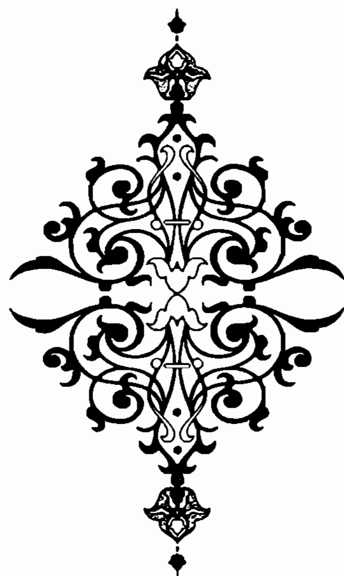
العلامة اللغوي الناقد الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمه الله تعالى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)



خطبة المؤلف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باسمِكَ اللّهمَّ نستفتحُ بابَ الرشادِ ، سائليكَ أن تصلَ بنا إلىٰ غايةِ السَّدادِ ، راغبينَ إليكَ في أقربِ هدايةٍ ، آملينَ تمامَ العصمةِ مِنْ مهاوي الغوايةِ ، رافعينَ لفضلِكَ أكفَّ الضراعةِ ، خافضينَ لجلالِ عِزِّكَ أرؤسَ الطاعةِ ، ناصبينَ لأمرِكَ قوائمَ الامتثالِ ، جازمينَ بحسْنِ الحالِ وأحسنيَّةِ المآلِ

وندعوك ربَّنا مبتهلينَ ، ونحنُ مِنَ الإجابةِ علىٰ يقينٍ أن تديمَ لنا رَوْحَ أرواحِنا[1] ، وحافظَ أشباحِنا ، ومُحكِمَ أسبابِ ارتياحِنا ؛ مَنْ صرَّفتَهُ فينا فحسُنَتْ سيرتُهُ ، وطابَتْ بشهادةِ الحالِ سريرتُهُ

عَـزِيـزَ مِـصْـرَ أَدَامَ ٱللهُ دَوْلَـتَـهُ ... وَيُـكْـرِمُ ٱللهُ عَـبْـداً قَـالَ آمِـيـنَـا[2]

فغيرُ خافٍ علىٰ ذوي الأسماعِ والأبصارِ ، ما قدِ اخترعَ لطيفُ فكرِهِ وأبدىٰ سديدُ رأيِهِ ؛ مِنْ جلائلِ ثوابتِ الآثارِ ، وإذا أطنبَ لسانُ الحالِ فأحسِنْ بأن يُوجِزَ لسانُ القال !!

أدِمْهُ يا ربِّ مُتمِّماً مقاصدَهُ ، واصلاً عليَّ همَّتَهُ بأكملِ مُساعَدةٍ ، مُفرِّحاً قلبَهُ الرحيمَ في كلِّ حالٍ ؛ بترقيةِ أنجالِهِ الكرامِ ورعيَّتِهِ إلىٰ أوْجِ الكمالِ ، ناظراً بعينِ العنايةِ لِمَنْ أحسنَ خدمتَهُ ، وأعملَ في تحصيلِ أغراضِهِ همَّتَهُ ، بجاهِ سيِّدِ المرسلينَ ، صلواتُ اللهِ عليهِم وعلىٰ أهاليهِم أجمعينَ

---

(١) رَوْح ـ بفتح الراء ـ الاستراحة

(٢) البيت من البسيط ، وفيه اقتباس ظاهر بتصرف من قول مجنون ليلىٰ ، كما في « ديوانه » (ص ٢٨٣)

يَـا رَبِّ لَا تَـسْـلُـبَـنِّي حُـبَّـهَـا أَبَـداً ... وَيَـرْحَـمُ ٱللهُ عَـبْـداً قَـالَ آمِـيـنَـا

أما بعد

فإنَّ اللهَ جلَّ ذكرُهُ هوَ المخصوصُ بكمالِ الذاتِ والصفاتِ ، وبمحضِ فضلِهِ شَرَّفَ النوعَ الإنسانيَّ بملابسَ مِنْ صفاتِهِ ، وأباحَهُ طَرَفاً مِنْ سماتِهِ ، فكانَ سبحانَهُ بذاتِهِ حيّاً عالِماً مريداً قادراً فاعلاً ، وجعلَ هٰذا النوعَ ذا حياةٍ وعلمٍ وإرادةٍ وقدرةٍ وفعلٍ ؛ وهٰذا معنىٰ ما وردَ مِنْ خَلْقِ آدمَ علىٰ صورتِهِ (١)

والعِلْمُ رئيسٌ ؛ أريكتُهُ الحياةُ ، ورسولُهُ الإرادةُ ، ومُنْفِذُ أمرِهِ القدرةُ ، ووظيفتُهُ تمييزُ الحسَنِ والأحسَنِ مِنْ غيرِهما ؛ فاللهُ يقولُ ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (٢) ، فهٰذا بعثَ على استعمالِ ما بهِ مَنَّ عليهِم مِنْ قُوَّةِ التمييزِ ، وبَيَّنَ أُنموذجَ ذٰلكَ بما يقولونَ في خطابِ المشركينَ ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ (٣) ، ومِنْ ثَمَّ كانَ العِلْمُ أشرفَ الصفاتِ

وما أكثرَ ما امتنَّ به (٤) سبحانَهُ !! ومِنْ ذٰلكَ ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٥)

وضربَ لهُ (٦) المثلَ بالحياةِ ، ومَثَّلَ الجهلَ بالموتِ ، فقالَ : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ ؟! (٧)

(١) إذ أخرج البخاري (٦٢٢٧) ، ومسلم (٢٨/٢٨٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً « خلق اللهُ آدمَ علىٰ صورته » الحديث

(٢) سورة الإسراء (٥٣)

(٣) سورة الإسراء (٥٤)

(٤) يعني العلم

(٥) سورة النحل (٧٨)

(٦) أي العلم

(٧) سورة الأنعام (١٢٢)

فيَستعمِلُ الإنسانُ سمعَهُ وبصرَهُ ، فيَعقِلُ قلبُهُ ، وتربيتُهُ[1] بالعملِ بالقَدْرِ الذي حصلَ منهُ ، كما قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ ٱللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »[2] ؛ وذلكَ بظهورِ ما يكونُ إتقانُ العملِ وراءَهُ ، كما أرشدَ إليهِ أيضاً بقولِهِ « إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ »[3]

ثمَّ العِلْمُ صفةٌ واحدةٌ لها تعلُّقاتٌ كثيرةٌ ، كلُّ جملةٍ منها متناسبةٌ بوَحدةِ موضوعٍ وغايةٍ ورسمٍ ؛ ومِنْ هنا تَعدَّدَتِ العلومُ المُدوَّنةُ ، ومُيِّزَتْ بالأسماءِ ؛ وهيَ قسمانِ

عقليةٌ براهينُها مِنْ جهةِ العقلِ

ونقليَّةٌ دلائلُها مِنْ جهةِ النقلِ



والقسم الأول نشوءُهُ وبعضُ تربيتِهِ قبلَ الإسلامِ ، وقَسَمَهُ أصحابُهُ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ الطبيعيِّ ، والرياضيِّ ، والإلـٰهيِّ ، وجعلوا المَنطِقَ لهُ مُقدِّمةً ؛ إذ كانَ قانوناً تُورَدُ عليهِ البراهينُ مادةً وصورةً

والثاني نشوءُهُ وتربيتُهُ في الإسلامِ ؛ كتفسيرِ الكتابِ والسنَّةِ ، والأحكامِ الشرعيَّةِ ، والعلومِ المُلقَّبةِ بعلومِ العربيةِ وفنونِ الأدبِ ؛

---

(١) أي العلم

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/١٤ ـ ١٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٩٠١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٩٢٩) عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها

وهيَ التي نظمَها محمدٌ النواجيُّ بقولِهِ[1] [من الكامل]

خُذْ نَظْمَ آدَابٍ تَضَوَّعَ نَشْرُهَا ... يَحْكِي شَذَا ٱلْمَنْثُورِ حِينَ يَضُوعُ

لُغَةٌ وَصَرْفٌ وَٱشْتِقَاقٌ نَحْوُهَا ... عِلْمُ ٱلْمَعَانِي وَٱلْبَيَانُ بَدِيعُ

وَعَرُوضُ قَافِيَةٌ وَإِنْشَا نَظْمُهَا ... بِكِتَابَةِ ٱلتَّارِيخِ لَيْسَ يَضِيعُ

فاللغةُ عِلْمٌ يُبيِّنُ صورَ الألفاظِ ، وتعيينَها للأشياءِ التي يَفهمُها العالِمُ بوضعِها لها

والصَّرفُ عِلْمٌ يُبيِّنُ صيغَ الألفاظِ ، وكونَها أصولاً وزوائدَ ، ومتبادلةَ الحروفِ ، وكيفيةَ النطقِ بها

والاشتقاقُ عِلْمٌ يُبيِّنُ جعلَ بعضِ الألفاظِ أصولاً ، وتفريعَ بعضٍ آخَرَ عنها

والنَّحْوُ عِلْمٌ يُبيِّنُ أحوالَ أواخرِ الكلماتِ عندَ تركيبِها ، وتقديمَ بعضِ الكلماتِ عندَهُ علىٰ بعضٍ جوازاً ووجوباً ، وحذفَ بعضٍ وذكرَ بعضٍ وجوباً وجوازاً

والمعاني عِلْمٌ يُبيِّنُ الأغراض المُترتِّبةَ علىٰ إيرادِ التركيبِ في صورٍ مختلفةٍ ، وأنَّ لكلِّ صورةٍ غرضاً

والبيانُ عِلْمٌ يُبيِّنُ المجازَ والكنايةَ

والبديعُ عِلْمٌ يُبيِّنُ أحوالاً تَعرِضُ للَّفظِ فتكسوهُ حُسْناً ورَونقةً

والعَروضُ عِلْمٌ يُبيِّنُ الأوزانَ التي وَزَنَتْ بها العربُ شعرَها كيفيَّةً وكمِّيَّةً

---

(١) أوردها العلامة نصر الهوريني في « المطالع النصرية » (ص ٩) ونسبها لمحشي « القاموس » العلامةُ ابن الطيب الفاسي في « إضاءة الراموس »

والقوافي عِلْمٌ يُبيّنُ أحوالاً تَعرِضُ لأواخرِ الأبياتِ ؛ منها ما يكونُ لازماً ، ومنها ما يكونُ زينةً ، ومنها ما يكونُ عيباً

والإنشاءُ عِلْمٌ يُبيّنُ كيفيةَ تأليفِ الخطبِ ، ورسائلِ المخاطباتِ ، وما أشبهَ ذٰلك ، ويُسمَّىٰ فنَّ الكتابةِ والنثرِ ، وصاحبُهُ الكاتبَ والناثرَ

والنَّظمُ ويُقالُ لهُ القريضُ وقَرْضُ الشِّعرِ ؛ وهوَ عِلْمٌ يُبيّنُ كيفيةَ النَّظمِ في الأغراضِ المُختلِفةِ ؛ مِنْ حِكَمٍ ، ووعظٍ ، ونسيبٍ ، ومدحٍ ، وعَتْبٍ ، وتعطُّفٍ ، وتأديبٍ ، وغيرِ ذٰلكَ

والكتابةُ ويُقالُ لها فنُّ الرسمِ والخطِّ ؛ وهوَ عِلْمٌ يُبيّنُ رسمَ الحروفِ علىٰ هيئاتٍ مخصوصةٍ حَسَبَ ما عليهِ الاصطلاحُ

والتاريخُ عِلْمٌ يُبيّنُ أسماءَ مشاهيرِ الناسِ ، وأزمنتَهُم ، وأمكنتَهُم ، وأعمارَهُم ، وأعمالَهُم

ولعلَّ للتاريخِ الإسلاميِّ خصوصيَّةً أوجبَتْ عدَّهُ مِنَ العلومِ العربيَّةِ ، ولذٰلكَ أبدلَهُ بعضُهُم بالمحاضراتِ ؛ وهيَ النوادرُ في الفنونِ المُختلِفةِ التي يُحاضِرُ بها بعضُ الناسِ بعضاً في مسامراتِهِم

وموضوعُ ما قبلَ عِلْمِ الخَطِّ اللفظُ

وباختلافِ الجهةِ تَنوَّعَتِ العلومُ ، وقدِ اختارَ بعضُ الناسِ في ترتيبِ تحصيلِ العلومِ العربيَّةِ ما قالَ بعضُ شعراءِ المغاربةِ [من مجزوء الرجز]

اَلْـعِـلْـمُ شَـيْءٌ حَـسَـنٌ ... فَـكُـنْ لَـهُ ذَا طَـلَـبِ
فَـٱبْـدَأْهُ بِـٱلـنَّـحْـوِ وَخُـذْ ... مِـنْ بَـعْـدِهِ فِـي ٱلْأَدَبِ
وَإِنْ أَرَدْتَ بَـعْـدَ ذَا ... جَـاهـاً وَفَـضْـلَ مَـكْـسَـبِ
فَـٱحْـفَـظْ أُصُـولَ مَـالِـكٍ ... وَٱعْـرِفْ فُـرُوعَ ٱلْـمَـذْهَـبِ

فَـــــإِنَّ قَـــــوْلَ مَـــــالِـــــكِ   سِـــلْـــسِـــلَـــةٌ مِـــنْ ذَهَـــبِ

ولكونِ المغاربةِ أتباعَ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنه   قالَ ذٰلكَ شاعرُهُم

واختارَ بعضٌ الابتداءَ باللغةِ

واختارَ بعضٌ الابتداءَ بتعريفِ أنواعِ الأشياءِ التي عُيِّنَتِ الألفاظُ بإزائِها

ولكلٍّ وجهٌ ، والأخيرُ أَحكَمُ ، وإن كانَ لا بدَّ مِنْ تحصيلِ مِقدارٍ مِنَ اللغةِ يكونُ به التمكُّنُ مِنَ المخاطباتِ الأوليَّةِ



تمهيدٌ

[في تعريفِ الأدبِ]

اعلمْ أنَّ الأدبَ معرفةُ الأحوالِ التي يكونُ الإنسانُ المُتخلِّقُ بها محبوباً عندَ أُولي الألبابِ ، الذينَ هُم أُمناءُ اللهِ علىٰ أهلِ أرضِهِ

مِنَ القولِ في موضعِهِ المناسبِ لهُ ، فإنَّ لكلِّ قولٍ موضعاً يَخصُّهُ ؛ بحيثُ يكونُ وضعُ غيرِهِ فيه خروجاً عنِ الأدبِ ، كما قالَ جَرْوَلٌ الشاعرُ المشهورُ بالحطيئةِ (١) [من المتقارب]

فَــإِنَّ لِــكُــلِّ مَــقَــامٍ مَــقَــالَا

ومِنَ الصَّمتِ ـ وهوَ السكوتُ المقصودُ ـ في موضعِهِ

فإنَّ للصمتِ موضعاً يكونُ القولُ فيه خلافَ الأدبِ ؛ يرشدُ إلىٰ ذٰلكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً ؛ قَالَ خَيْراً فَغَنِمَ ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ » (٢)

وفي « لاميَّةِ الطُّغرائيِّ » (٣) [من البسيط]

وَيَا خَبِيراً عَلَى ٱلْأَسْرَارِ مُطَّلِعاً ... اُصْمُتْ فَفِي ٱلصَّمْتِ مَنْجَاةٌ مِنَ ٱلزَّلَلِ

---

(١) انظر « ديوان الحطيئة » برواية وشرح ابن السكيت (ص ٣٣٥) ، والبيت بتمامه

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ ٱلْمَلِيكُ ... فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَا

(٢) أخرجه هناد في « الزهد » (١١٠٦) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٤١) عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ مرسلاً ، وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٨٩) مرفوعاً عن سيدنا أنس رضي الله عنه

(٣) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٩)

ولبعضِهِم [1] [من الطويل]

عَـجِبْـتُ لِإِزْرَاءِ ٱلْـغَـبِـيِّ بِـنَـفْـسِـهِ وَصَمْتِ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ بِٱلْعِلْمِ أَحْزَمَا

وَلَـلـصَّـمْـتُ خَـيْـرٌ لِـلْـغَـبِـيِّ وَإِنَّـمَـا صَحِيفَةُ لُبِّ ٱلْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

والكلامُ المُنبِّهُ على مواضعِ الأقوالِ وعلى مواضعِ الصمتِ كثيرٌ

ومِنَ الأحوالِ التي يكونُ التخلُّقُ بها أدباً وضعُ الأفعالِ في مواضعِها ، كما قالَ اللهُ تعالى ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [2] ، فنبَّهَ سبحانَهُ على أنَّ المطلوبَ العفْوُ المُصلِحُ دونَ المُفسِدِ

وقالَ النابغةُ الجَعديُّ بينَ يدَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ [3] [من الطويل]

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ لَبِيبٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ ٱلْأَمْرَ أَصْدَرَا

فقالَ لهُ النبيُّ « لَا يَفْضُضِ ٱللَّهُ فَاكَ » [4]

---

(١) وهو الخطفى جدُّ جرير ، والبيتان بروايتهما هنا عند الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص ٤٤٤) ، ولكن في « البيان والتبين » (١/٢٢٠) ، و« عيون الأخبار » (٢/١٧٥) (العَييّ) بدل (الغبي) ، ولا تخفى مناسبته ، وأثبتنا اسم كتاب الجاحظ بياء واحدة (التبيُّن) لأن محققه العلامة عبد السلام هارون رحمه الله تعالى نصَّ في كتابه « قطوف أدبية » (ص ٩٧ ـ ٩٨) أنه بياء واحدة ، ثم قال (وسأعيد هـٰذه التسمية الصحيحة إلى نصابها في الطبعة الخامسة إن شاء الله تعالى) ، فاعتمدنا هـٰذا التصويب في هوامش هـٰذا الكتاب كله ، ونسأل الله أن يعيد الناشر التسمية إلى نصابها ؛ فإن المنية اخترمت المحقق رحمه الله تعالى

(٢) سورة الشورى (٤٠)

(٣) البيتان ضمن قصيدة في « ديوان النابغة الجعدي » رضي الله عنه (ص ٨٥) ، وانظر « أدب الدين والدنيا » (ص ٤٠٩) ، وفيهما (حليم) بدل (لبيب)

(٤) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/٢٣٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/١٣٢) عن سيدنا النابغة الجعدي رضي الله عنه

وقالَ أبو الطيِّبِ (١) [من الطويل]

إذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱلْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
فَوَضْعُ ٱلنَّدَىٰ فِي مَوْضِعِ ٱلسَّيْفِ بِٱلْعُلَا مُضِرٌّ كَوَضْعِ ٱلسَّيْفِ فِي مَوْضِعِ ٱلنَّدَىٰ

والناسُ في الأدبِ متفاوتونَ تفاوتاً عظيماً ؛ فمَنْ قرأَ العلومَ ، وطافَ في البلادِ ، وعاشرَ طوائفَ الناسِ بعقلٍ حاضرٍ وتنبُّهٍ قائمٍ وضبطٍ جيدٍ ؛ حتىٰ عرفَ العوائدَ المختلفةَ ، والأهواءَ المتشعِّبةَ ، ومَيَّزَ الحسنَ منها وتَخلَّقَ بهِ يكونُ بالضرورةِ أكثرَ أدباً ممَّنْ قرأَ وخالطَ ولم يطفْ ، وممَّن قرأَ وطافَ ولم يعاشرْ

وموافقةُ جميعِ الناسِ أمرٌ غيرُ ممكنٍ ؛ فإنَّ الدِّينَ والعقلَ يمنعانِ مِنِ ارتكابِ أمورٍ لا يَسُرُّ بعض ذوي الأهواءِ غيرُها ، وأولئكَ همُ السفهاءُ الذينَ لا ألبابَ لهُم ، فهُم بمنزلةِ قُشورِ الأشياءِ التي لولا لبُّها لم تَصلُحْ إلَّا للنارِ أو ما أشبهَ

فيجبُ على الإنسانِ لأجلِ أن يكونَ محبوباً عندَ الناسِ ، حاصلاً علىٰ أغراضِهِ منهم أن يطلبَ الأخلاقَ المحمودةَ عندَ أُولي النُّهىٰ ؛ ليتحلَّىٰ بها ، ويَتخلَّىٰ عن أضدادِها ، وأن يعرفَ أنَّهُ لا سببَ لفسادِ الأقوالِ والأفعالِ حتىٰ تكونَ مشنوءةً مبغوضةً إلَّا وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ ، فلا بدَّ لهُ مِنِ اجتهادٍ عظيمٍ في طلبِ مواضعِ الأشياءِ ؛ ليأمنَ كثيراً مِنَ الغوائلِ ومُكدِّراتِ النفوسِ ، ومِنَ العيبِ الفاحشِ ؛ وهوَ نقصُ القادرِ على التمامِ ، كما قالَ أبو الطيِّبِ أحمدُ بنُ الحسينِ المشهورُ بالمُتنبِّي (٢) [من الوافر]

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ ٱلنَّاسِ شَيْئاً كَنَقْصِ ٱلْقَادِرِينَ عَلَى ٱلتَّمَامِ

---

(١) البيتان ضمن قصيدة في « ديوان المتنبي » (ص ٢٨١) ، وقوله الآتي (بالعلا) متعلق بقوله (مضرٌّ) بعده

(٢) كما في « ديوان المتنبي » (ص ٣٦٤) من قصيدته التي مطلعها

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ ٱلْمَلَامِ وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ ٱلْكَلَامِ

المثالُ الأوَّلُ
في التخلُّقِ ببعضِ الأخلاقِ

غيرُ خافٍ أن التخلُّقَ بالكِبْرِ والخُيَلاءِ والإعجابِ والتعاظمِ على الناسِ بما أفضلَ اللهُ بهِ على الإنسانِ مِنْ عِلْمٍ وجاهٍ ومالٍ أمرٌ غيرُ حسنٍ ؛ لِمَا جُبِلَتْ عليهِ النفوسُ مِنَ الإباءِ والنَّفرةِ عمَّنْ يَتعاظَمُ عليها ، فما أكثرَ ما بَدَّلَ حسنَ الوُدِّ والتألُّفِ بأشنعِ العداوةِ والتنافرِ !! لٰكنْ لذٰلكَ موضعٌ يكونُ فيهِ حسناً

وبيانُهُ أنَّ مِنَ المُشاهَدِ كونَ النوعِ الإنسانيِّ محتاجاً في حُسْنِ تَعيُّشِهِ[1] وتحصيلِ أغراضِهِ إلى اجتماعِ ألفةٍ ومَودَّةٍ وإنصافٍ ؛ بأن يُحِبَّ المرءُ لأخيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ ، وكلَّما كانَتِ الفِرْقةُ المُجتمِعةُ منهُ أكثرَ وأحفظَ للحقوقِ كانَتْ أحسنَ حالاً في العِلْمِ والجاهِ والثروةِ ، فإذا خرجَ بعضُ الناسِ عنِ الجمعيَّةِ ، وسعىٰ في الأرضِ بالفسادِ وجبَ على الناسِ تأديبُهُ بما يُعيدُهُ إلى الصلاحِ

وربَّما كانَ التكبُّرُ والزَّهْوُ عليهِ أنكىٰ له ، وأرجىٰ لمَثابِ فكرِهِ وانحيازِهِ إلىٰ حَيِّزِ الاستقامةِ ، كما وردَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأىٰ فارساً مِنْ أصحابِهِ يمشي بينَ الصَّفَّينِ مُختالاً ، يميلُ يميناً وشِمالاً ، فقالَ « هَـٰذِهِ مِشْيَةٌ يَكْرَهُهَا ٱللهُ تَعَالَىٰ ، إِلَّا فِي هَـٰذَا ٱلْمَوْضِعِ »[2] ، فقد علمنا أنَّ للتكبُّرِ موضعاً يكونُ فيه حسناً

(١) التعيُّش تكلُّف أسباب المعيشة

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠٤/٧) عن خالد بن سليمان بن عبد الله بن خالد بن سماك بن خرشة ، عن أبيه عن جدِّه ، وأصله عند مسلم (٢٤٧٠) دون ذكر المشية ، وصاحب هٰذه المشية هو سيدنا سِمَاك بن خرشة المشهور بأبي دجانة رضي الله عنه

المثالُ الثاني

التكلُّمُ بصحيحِ اللغةِ أمرٌ حسنٌ ، واللحنُ غيرُ حسنٍ

كما يُحكىٰ أنَّ هندَ بنةَ أسماءَ بنِ خارجةَ زوجَ الحَجَّاجِ لحنَتْ بينَ يدَيهِ يوماً ، فعابَ ذٰلكَ منها ، وازدراهُ عليها ، فقالَتْ ألم تسمعْ قولَ أخي مالكٍ [من الخفيف]

وَحَــدِيــثٍ أَلَــذُّهُ هُــوَ مِــمَّــا ... يَـنْـعَـتُ ٱلـنَّـاعِـتُـونَ يُـوزَنُ وَزْنَـا

مَـنْـطِـقٌ صَـائِـبٌ وَتَـلْـحَـنُ أَحْـيَـا ... نـاً وَأَحْلَى ٱلْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

فقالَ الحَجَّاجُ وهٰذا خطأٌ ثانٍ ؛ فإنَّ التحريفَ والخطأَ عيبٌ لا يُحسِّنُهُ أحدٌ ، فهوَ لم يُرِدْ باللحنِ ما فَهِمتِ ، وإنَّما أرادَ بهِ معنىً لهُ آخرَ ؛ وهوَ الرمزُ والإشارةُ إلىٰ أمرٍ لم يكنِ الكلامُ المنطوقُ به موضوعاً لهُ ، ألم تسمعي إلىٰ قولِهِ تعالىٰ ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾(١)

ومِنْ ذٰلكَ قولُ الشاعرِ(٢) [من الكامل]

وَلَقَدْ لَـحَـنْـتُ لَهُمْ لِكَيْمَا يَفْهَمُوا ... وَٱلـلَّـحْـنُ يَـفْـهَـمُـهُ أُولُـو ٱلأَلْـبَـابِ

لٰكنْ لمَّا اعتادَ الناسُ الميلَ بالكلامِ عن وجهِهِ العربيِّ ، وصارَ فهمُهُم مربوطاً بالمَنطِقِ الملحونِ وجبَ التكلُّمُ معَهُم بما جرَتْ به عادتُهُم ؛ يدخلُ ذٰلكَ في عمومِ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ « خَاطِبُوا ٱلنَّاسَ بِمَا يَفْهَمُونَ »(٣)

---

(١) الخبر عند أبي عبيد البكري في « سمط اللآلي » (١/١٧) ، والآية من سورة محمد (٣٠)

(٢) البيت للقتَّال الكلابي كما في « سمط اللآلي » (١/١٢) ، وهو بروايته عنده

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْهَمُوا ... وَوَحَيْتُ وَحْياً لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

(٣) هو عند البخاري في « صحيحه » (١/٣٧) معلَّقاً من قول سيدنا علي رضي الله عنه بلفظ (حدِّثوا الناس بما يعرفون ؛ أتحبُّون أن يُكذَّبَ اللهُ ورسولُهُ ؟!) .

وقولِهِ « خَاطِبُوا ٱلنَّاسَ عَلَىٰ قَدْرِ عُقُولِهِمْ »[1] ، وقد قيلَ (خطأٌ مشهورٌ ولا صوابٌ مهجورٌ)

فعلمنا أنَّ للتكلُّمِ بالعربيةِ موضعاً يكونُ فيه حسناً ؛ كقراءةِ الكتبِ ، ومحاورةِ الفُطناءِ ، حيثُ تكونُ في المباحثاتِ العلميَّةِ ، ومراجعاتِ التعليمِ والتعلُّمِ ، وموضعاً يكون فيه غيرَ حسنٍ ؛ وهيَ المخاطباتُ السائرةُ بينَ عمومِ الناسِ

المثالُ الثالثُ

الشعرُ كانَ زائدَ الحُسْنِ

بدليلِ شهرتِهِ وكثرتِهِ ، وارتياحِ عُقلاءِ السلفِ إليهِ ، حتىٰ إنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يَستنشِدُ الشعراءَ رجالاً ونساءً ؛ فكانَ يَستنشِدُ الخنساءَ ، فإذا رأىٰ منها بعضَ الفُتورِ قالَ « هِيه يَا خُنَاسُ »[2] ؛ طلباً للمزيدِ ، يبعثُ مِنْ نشاطِها ، وأثابَ على الشعرِ مراراً[3] ، وسنَّ الإجازةَ ، وقالَ « إِنَّ مِنَ ٱلشِّعْرِ لَحِكْمَةً »[4] ، وقالَ « أُنْزِلَتِ ٱلْحِكْمَةُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَعْضَاءٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْيُونَانِ ، وَعَلَىٰ أَيْدِي أَهْلِ ٱلصِّينِ ، وَعَلَىٰ أَلْسِنَةِ ٱلْعَرَبِ »[5]

وكانَ الملوكُ ونُبهاءُ الناسِ جاهليةً وإسلاماً مقبلينَ عليهِ غايةَ الإقبالِ ، حتىٰ قيلَ إنَّ الشعرَ يرفعُ قوماً ويضعُ آخرينَ ؛ مِنْ ذٰلكَ ما وردَ أنَّ الحطيئةَ سافرَ مَرَّةً في طلبِ كريمٍ يَأوي إليهِ ، فلقيَهُ الزِّبرقانُ بنُ بدرٍ في الطريقِ وهوَ مُتوجِّهٌ بصدقةِ قومِهِ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطابِ ، فعرفَهُ وهوَ لم

---

(١) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (١٦١١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما

(٢) كذا في « الاستيعاب » (ص ٨٩٧)

(٣) كإثابته صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير رضي الله عنه ببردته ، كما في « الإصابة » (٣/٢٧٩)

(٤) أخرجه البخاري (٦١٤٥) عن سيدنا أُبي بن كعب رضي الله عنه

(٥) هو قولٌ أورده ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٥/٣٢٥) ، وليس بحديث

يَعرِفُهُ ، فقالَ إلىٰ أينَ يا أبا مُليكةَ ؟ ـ وهيَ كنيةُ الحطيئةِ ـ فقالَ أطلبُ كريماً ، فقالَ قد وجدتَ ، وعَرَّفَهُ بنفسِهِ ، واعتذرَ لهُ عنِ الرجوعِ معَهُ ، وأرسلَهُ إلىٰ ديارِهِ ، وأوصىٰ بهِ

فلمَّا وصلَ أكرمَهُ أهلُ الزِّبرِقانِ ، وبَنَوْا عليهِ بيتاً ، واهتمُّوا بأمرِهِ

وكانَ في ذٰلكَ الموضعِ قومٌ قد أسقطَهُم جدُّهُم [١] ، يُقالُ لهُم بنو أنفِ الناقةِ ، فعملوا حيلةً لصرفِ الحطيئةِ إليهِم ونزولِهِ عليهِم ، فجاؤوا زوجةَ الزِّبرقانِ سِرّاً وقالوا لها إنَّ زوجَكِ أرادَ أن يَتزوَّجَ ابنةَ هٰذا الشاعرِ ، فتحيَّلي في إقصائِهِ عنكِ ، فأخذَتْ في ذٰلكَ ، فجاءَتِ الحطيئةَ يوماً وأخبرَتْهُ أنَّها تريدُ الانتجاعَ إلىٰ مكانٍ بعيدٍ ، وأنَّ جمالَ الحَمْلِ التي عندَها لا تَكفي لحملِ متاعِها ومتاعِهِ ، فقالَتْ تحمَّلْ أنتَ ثمَّ أرسلِ الظَّهرَ لنلحقَكَ ، فقالَ أنتُم أحقُّ بالسَّبْقِ وأنتظرُكم ، فتحمَّلَتْ وتركَتْهُ بينَ الأرضِ والسماءِ ، وانتظرَها ، وفاتَ الموعدُ ولم يَجِئْهُ منها خبرٌ

فاجتمعَ إليهِ أولـٰئكَ القومُ ، وأخذوهُ وأكرموهُ ، وجمعوا لهُ مالاً عظيماً ، وطلبوا منهُ أن يهجوَ الزِّبرِقانَ ، فقالَ كيفَ أهجو رجلاً لم يَجْنِ عليَّ ، ولعلَّهُ إذا اطلعَ علىٰ ما صنعَتْ زوجتُهُ لمْ يرضَهُ ؟!

ثمَّ إنَّهُ حضرَ وعرفَ ما حصلَ ، فتَغيَّرَ ، وطلبَ الحطيئةَ ، فامتنعَ ومنعَهُ أولـٰئكَ القومُ ، فطالَ الكلامُ ، وفَرَطَ مِنَ الزِّبرِقانِ فوارطُ ، فهجاهُ الحطيئةُ بقصيدةٍ ، منها [٢] [من البسيط]

مَنْ يَفْعَلِ ٱلْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ ٱلْعُرْفُ بَيْنَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ

(١) وهو جعفر أنفُ الناقة بن قريع ، كما في « الكامل » للمبرد (٧١٦/٢) ، و« ديوان الحطيئة » (ص ١٥)

(٢) البيتان في « ديوان الحطيئة » (ص ٥٠ ـ ٥١) ضمن قصيدة

دَعِ ٱلْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي

فوضعَ مِنْ قدرِهِ ، وخفض مِنْ ذكرِهِ ، حتىٰ رفعَ أمرَهُ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ ، فاستحضرَهُ وقالَ بماذا هجاكَ ؟ فأنشدَهُ ذٰلكَ ، فقالَ أميرُ المؤمنينَ لا أرىٰ بأساً ؛ دعاكَ إلى الراحةِ ، وذكرَ كثرةَ نِعَمِ اللهِ عليكَ ، فقال سلِ الشعراءَ يا أميرَ المؤمنينَ ليشهدوا لي عليه ، فقالَ حسانُ بنُ ثابتٍ الأنصاريُّ شاعرُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هوَ ما هجاهُ ، وإنَّما سَلَحَ عليهِ !![1]

وكانَ مِنْ أمرِهِ بعدَ ذٰلكَ معَ أميرِ المؤمنينَ ما كانَ[2]

وأصلُ وَضاعةِ بني أنفِ الناقةِ وخمولِ ذكرِهِم ونبزِهِم بهٰذا اللقبِ أنَّ والدَ أنفِ الناقةِ كانَ له جملةُ أولادٍ مِنْ عِدَّةِ أزواجٍ ، وكانَ أنفُ الناقةِ واحدَ أُمِّهِ ، فنحرَ يوماً ناقةً وقالَ لأولادِهِ اذهبوا فاقتسموها ، فتباطأَ أنفُ الناقةِ حتىٰ لم يبقَ منها إلا رأسُها ، فذهبَ ليأخذَهُ وأدخلَ ذراعَهُ في أنفِها واحتملَهُ ، فقيلَ له أنفُ الناقةِ ، وعُيِّرَ بذٰلكَ[3] ، فلمَّا قالَ في مدحِهِمُ الحطيئةُ[4] [من البسيط]

قَوْمٌ هُمُ ٱلْأَنْفُ وَٱلْأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ ٱلنَّاقَةِ ٱلذَّنَبَا

علا قَدرُهُم ، وارتفعَ ذِكرُهُم ، وصاروا يفتخرونَ بهٰذا اللقبِ ، بعدَ أن كانَ

---

(١) انظر الخبر في « الكامل » للمبرد (٧١٥/٢) ، و« ديوان الحطيئة » بشرح ابن السكيت (ص ٥٠) ، وسلح عليه تغوَّط وأخرج ما في بطنه رقيقاً ، وهو كناية عن أمر قبيح ، والمراد أخرسه فلم ينبس ببنت شفة

(٢) من حبس أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه للحطيئة باستعداء الزبرقان عليه ، إلىٰ أن أطلقه حين قال كما في « ديوانه » (ص ١٩١) قصيدته التي مطلعها (من البسيط)

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخٍ بِذِي مَرَخٍ حُمْرِ ٱلْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ
غَيَّبْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَٱغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ يَا عُمَرُ

(٣) كذا أورد خبرهم ابن السكيت في « شرح ديوان الحطيئة » (ص ١٥)

(٤) انظر « ديوان الحطيئة » (ص ١٥)

الواحدُ منهُم إذا سُئِلَ أن يَنتسِبَ انتسبَ إلىٰ بعضِ أجدادِهِ ، ولم ينطِقْ بهٰذا اللقبِ

ومِنْ ذٰلكَ أنَّ قبيلةَ نُمَيْرٍ كانَتْ مِنْ أعزِّ قبائلِ العربِ ، وكانَتْ تُسمَّىٰ جمرةَ العربِ ؛ إذ كانَتْ أنسابُهُم مقصورةً عليهِم ، ليسَ فيهِم دخيلٌ ؛ لا يُخرِجونَ مِنْ نسائِهم ، ولا يُدخِلونَ مِنْ رجالِ غيرِهِم ، وإذا قيلَ لأحدِهِم ممَّنِ الرجلُ ؟ قالَ (نُمَيْرِيّ) وفخَّمَها وملأَ بها فاهُ ، فلمَّا قالَ جريرٌ يهجو الراعيَ[1] [من الوافر]

فَغُضَّ ٱلطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

ذلَّ هٰذا الاسمُ واتَّضعَ ، وانتسبوا بعدَ ذٰلكَ لجدٍّ أعلىٰ منهُ ، فكانَ الرجلُ يقولُ إذا سُئِلَ الانتسابَ (عامريّ) إلىٰ غيرِ ذٰلكَ

وبالجملةِ فقد كانَ الشِّعرُ هوَ الحاكمَ الأكبرَ والمُطاعَ الذي يَتصرَّفُ الناسُ تحتَ أمرِهِ ونهيِهِ ، وبقيَ علىٰ ذٰلكَ حتىٰ مضىٰ شطرٌ مِنْ أيامِ بني العباسِ وإن يكنْ حصلَ لهُ تنازلُ درجاتٍ في أثناءِ ذٰلكَ ؛ فلقد كانَ بعضُ الشعراءِ يهجو المَلِكَ يرىٰ أنَّهُ يُؤدِّبُهُ ، حتىٰ قالَ بشَّارُ بنُ بُرْدٍ [من البسيط]

بَنِي أُمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمُ إِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُودِ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمُ فَٱلْتَمِسُوا خَلِيفَةَ ٱللهِ بَيْنَ ٱلنَّايِ وَٱلْعُودِ

يريدُ محمدَ المهديَّ ثالثَ ملوكِ بني العباسِ ، فقتلَهُ ضرباً[2]

ثمَّ صارَ الشعرُ ليسَ بتلكَ المنزلةِ ، بل صارَ كثيرُ ما يَتجدَّدُ منهُ لا يَخِفُّ على الأسماعِ ، ولا ترتاحُ إليه القلوبُ ، ولا تميلُ إليه النفوسُ ، ولا سببَ لذٰلكَ إلَّا وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ

---

(١) البيت ضمن قصيدة في « ديوان جرير » (٢/٨٢١)

(٢) الخبر والبيتان في « معاهد التنصيص » (١/٣٠١ ـ ٣٠٢)

وبيانُهُ أنَّ الشعرَ كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ كثرَتْ أنواعُهُ بحَسَبِ كثرةِ أغراضِهِ ، وموضعُ تفصيلِ ذٰلكَ عندَ التكلُّمِ علىٰ قَرْضِ الشعرِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ[1] ، ولا بدَّ هنا مِنْ نُبذةٍ يسيرةٍ لأجلِ تحقيقِ الغرضِ الذي نحنُ بصددِهِ ، فنقولُ الشعرُ ينقسمُ إلىٰ نَسيبٍ ، ومدحٍ ، وتأديبٍ ، وغيرِ ذٰلكَ

أمَّا النَّسيبُ فهوَ ذكرُ محاسنِ النساءِ خَلْقاً وخُلُقاً ؛ يُقالُ نَسَبَ بفلانةَ يَنْسِبُ نَسِيباً ؛ أي تغنَّىٰ بذكرِ محاسنِها

والمدحُ الإخبارُ عنِ الأشياءِ بالأوصافِ الجميلةِ

والتأديبُ الإخبارُ عنِ الإنسانِ بأشياءَ لا يَستحسِنُها الناسُ

ولكلٍّ جودةٌ ورَداءةٌ ، فيحسنُ النسيبُ إذا كانَ جيداً مُنزَّهاً عنِ الإفحاشِ ، حتىٰ يكونَ كما قيلَ يدخلُ على العذراءِ في خِدْرِها ، فلا تستحيي مِنْ إنشادِهِ

وكانَ إنشادُهُ بحضرةِ فُطناءِ الناسِ وظرفائِهِمْ ، الذينَ تمَّتْ فحولتُهُم ، وطابَتْ طباعُهُم ، واعتدلَتْ أمزجتُهُم ، فلقد كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يستمعُ إليهِ وهوَ يُنشَدُ بينَ يدَيهِ ، والصحابةُ يتناشدونَهُ في المسجدِ ، ويشغلونَ بهِ كثيراً مِنْ أوقاتِهِم ؛ تَرَوُّحاً واستنشاطاً واستجماماً للأفكارِ والعقولِ ، وكلَّما كانَ الرجلُ تامَّ الفُحولةِ كانَ أميلَ إلى التقوُّلِ

وهوَ أمرٌ مقصودٌ ، يُنبِّهُ علىٰ ذٰلكَ ما وردَ أنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها كانَ عندَها كفيلةٌ لها[2] ، فزوَّجَتْها لبعضِ الأنصارِ[3] ، وزفَّتْها

---

(١) انظر (٣/٣١٩)

(٢) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٨/٦٧) (كانت يتيمة في حجرها ، كما في « الأوسط » للطبراني [٣٢٨٩] ، وعند ابن ماجه [١٩٩٣] قرابة لها ، وعند أبي الشيخ بنت أختها ، أو ذات قرابة منها ، وفي « أسد الغابة » [٧/٢١٤] ما يدل على أن اسمها الفارعة بنت أسعد بن زرارة)

(٣) هو نبيط بن جابر من بني مالك بن النجار ، كذا في « أسد الغابة » (٧/٢١٤)

بنفسِها وصواحبُ لها ، فلمَّا رجعَتْ قالَ لها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « يَا عَائِشَةُ ؛ أَمَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ ؟ فَإِنَّ ٱلْأَنْصَارَ قَوْمٌ فِيهِمْ غَزَلٌ ، يُعْجِبُهُمُ ٱللَّهْوُ » قالَتْ لا ، فقالَ « هَلَّا بَعَثْتُمْ جَارِيَةً تَضْرِبُ بِٱلدُّفِّ وَتُغَنِّي » فقالَتْ يا رسولَ اللهِ ؛ ما كانَتْ تقولُ ؟ فقالَ « كَانَتْ تَقُولُ

[من مجزوء الوافر]

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ
فَلَوْلَا ٱلذَّهَبُ ٱلْأَحْمَـ ـرُ مَا حَلَّتْ بِوَادِيكُمْ
وَلَوْلَا ٱلْحِنْطَةُ ٱلسَّمْرَا ءُ مَا سَمِنَتْ عَذَارِيكُمْ »[١]

ويُحكىٰ أنَّ بعض أتقياءِ أهلِ الحجازِ وعُبَّادِهم[٢] رأىٰ بمنىً امرأةً ذاتَ حسنٍ فائقٍ وجمالٍ رائقٍ ، وهيَ مُلقِيةٌ علىٰ وجهِها بُرْداً مُهلهَلَ النَّسجِ ، مُظهِراً لمحاسنِها ، فقالَ يا هـٰذهِ ؛ اختبئي !! فقالَتْ لهُ أنا مِنَ اللَّواتي قالَ فيهِنَّ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ[٣]

[من الطويل]

أَمَاطَتْ رِدَاءَ ٱلْخَزِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِهَا وَأَلْقَتْ عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ بُرْداً مُهَلْهَلَا
مِنَ ٱللَّاءِ لَمْ يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ جَنَّةً وَلَـٰكِنْ لِيَقْتُلْنَ ٱلتَّقِيَّ ٱلْمُغَفَّلَا

فقالَ اللَّهمَّ ؛ لا تُعذِّبْ هـٰذا الوجهَ ، ومضىٰ

فبلغَ ذٰلكَ بعضَ الأئمَّةِ أصحابِ المذاهبِ في وقتِهِ[٤] ، فقالَ تلكَ ظرافةُ

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٦٢) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها دون الشعر المذكور ، وأخرجه مع الشعر الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٢٨٩) من حديثها رضي الله عنها
(٢) هو أبو حازم سلمة بن دينار رحمه الله تعالىٰ
(٣) البيتان إنما هما للعرجي ، كما في « ديوانه » (ص ٧٤) ضمن قصيدته التي مطلعها
رَأَتْنِي خَضِيبَ ٱلرَّأْسِ شَمَّرْتُ مِئْزَرِي وَقَدْ عَهِدَتْنِي أَسْوَدَ ٱلشَّعْرِ مُسْبِلَا
وفي « المنتظم » (يبغين ريبة) بدل (يبغين جنَّة) ، ولعلها أنسب
(٤) هو سعيد بن المسيب رحمه الله تعالىٰ

أهلِ الحجازِ ، أمَا لو سمعَها بعضُ مُتنطِّعةِ أهلِ العراقِ لشتمَها وصَخِبَ عليها[1]

فعلمنا مِنْ ذٰلكَ موضعَ حسنِ النسيبِ مِنْ غيرِهِ ، وحسنِ المدحِ إذا كانَ مدحاً بالأوصافِ القائمةِ ، باعثاً على الازديادِ وعُلُوِّ الهِمَّةِ مِنْ ممدوحِهِ وممَّنْ يَسمعُهُ ، كما قالَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ في تفضيلِ زهيرٍ على الشعراءِ (كانَ لا يُعاظِلُ في الكلامِ ، ولا يَمدحُ الرجلَ بغيرِ ما هوَ فيهِ)[2]

فعلمنا أنَّ مدحَ الرجلِ بغيرِ ما هوَ فيهِ وضعٌ للشيءِ في غيرِ موضعِهِ ، مُوجِبٌ لسقوطِ صاحبِهِ وتفضيلِ غيرِهِ ، كما قيلَ[3] [من البسيط]

وَإِنَّمَا ٱلشِّعْرُ عَقْلُ ٱلْمَرْءِ يَعْرِضُهُ عَلَى ٱلْبَرِيَّةِ إِنْ كَيْساً وَإِنْ حُمُقَا
وَإِنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا مَا قُلْتَهُ صَدَقَا

والمُعاظَلةُ في الكلامِ أن يُدخِلَ الشاعرُ أجزاءَ جملةٍ في أجزاءِ جملةٍ حتىٰ يصيرَ مُعقَّداً ، خارجاً عنِ الفصاحةِ والمَلاحةِ ، لا يبينُ معناهُ إلَّا بعدَ لأْيٍ وشِدَّةٍ ؛ كقولِ الفرزدقِ يمدحُ إبراهيمَ المخزوميَّ خالَ هشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ أحدِ ملوكِ بني أميَّةَ[4] [من الطويل]

وَمَا مِثْلُهُ فِي ٱلنَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

ووجهُ الكلامِ وما مثلُهُ حيٌّ يقاربُهُ إلَّا مُملَّكاً أبو أُمِّهِ أبوهُ[5]

---

(١) أخرج الخبر ابن الجوزي في « المنتظم » (٩٦/٥) ، وفيه تعيين مبهماته المنقولة

(٢) أخرجه أبو زيد القرشي في « جمهرة أشعار العرب » (١٨٧/١ ـ ١٨٨)

(٣) البيتان في « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (٤٣٠/١) ، والحُمُق ـ بضمتين ـ قلة العقل ، بخلاف الكَيْس الذي هو الفطنة

(٤) كذا في « طبقات فحول الشعراء » (٣٦٤/٢ ـ ٣٦٥)

(٥) قال المبرد في « الكامل » (٤٢/١) (يعني بالمملَّك هشاماً ، أبو أم ذٰلك المملك أبو هـٰذا الممدوح ، ولو كان هـٰذا الكلام علىٰ وجهه لكان قبيحاً ، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن

ومتىٰ كانَ المدحُ شكراً واعترافاً بالنعمةِ كانَ داخلاً في عمومِ قولِهِ تعالىٰ ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[1] ، وهوَ المرادُ بقولِ النبيِّ « لَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ ٱلْمَدْحُ مِنَ ٱللهِ »[2]

ومتىٰ كانَ آلةَ كسبٍ ، مُدخِلاً لصاحبِهِ في المُلحِفينَ المُلحِّينَ في السؤالِ ، سيَّما إذا كانَ قادراً ، ذا قُوىً يَصرِفُها في منافعِ الناسِ ، حتىٰ يَحصُلَ علىٰ مطالبِهِ باستحقاقٍ لم يكنْ أمراً حميداً ؛ وهوَ المعنيُّ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « ٱحْثُوا ٱلتُّرَابَ فِي وُجُوهِ ٱلْمَدَّاحِينَ »[3] ، وبقولِ بعضِهِم[4] [من السريع]

ٱلْـكَـلْـبُ وَٱلـشَّـاعِـرُ فِـي مَـنْـزِلٍ ... يَـا لَـيْـتَ أَنِّـي لَـمْ أَكُـنْ شَـاعِـرَا

أَمَـا تَـرَاهُ بَـاسِـطـاً كَـفَّـهُ ... يَـسْـتَـوْهِـبُ ٱلْـوَارِدَ وَٱلـصَّـادِرَا

وَٱللهِ لَـوْلَا حُـرُقَـاتُ ٱلْـهَـوَىٰ ... مَـا كُـنْـتُ إِلَّا رَجُـلاً تَـاجِـرَا

وأمَّا التأديبُ ـ وهوَ الهجوُ ـ فإنَّما يَحسُنُ إذا عُلِمَ تأثيرُهُ وردعُهُ المُفسِدَ ، فهوَ مِنَ الغِيبةِ التي لم يُنْهَ عنها ، وإلَّا فهوَ أمرٌ مُتناهٍ في القبحِ ؛ لأنَّهُ الغِيبةُ المُفْظِعُ أمرُها في القرآنِ المجيدِ[5]

والقولُ العامُّ في الشعرِ أنَّهُ وإن كانَ صناعةً مِنَ الصِّناعاتِ يجودُ بدِقَّةِ معناهُ ، ومَلاحةِ لفظِهِ ، وإحكامِ بنائِهِ ، كما سيأتي بيانُهُ ، ويَردُؤُ بخلافِ ذٰلكَ ، لٰكنَّهُ مُتغيِّرُ الأمرِ والحالِ بتغييرِ العوائدِ تغييراً عظيماً ؛ إذ لم يكنْ

يقول وما مثله في الناس حيٌّ يقاربه إلا مملَّك ، أبو أم هٰذا المملَّك أبو هٰذا الممدوح ، فدل علىٰ أنه خاله بهٰذا اللفظ البعيد ، وهجَّنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير)

(١) سورة الضحىٰ (١١)

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٧) ، ومسلم (٣٣/٢٧٦٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

(٣) أخرجه مسلم (٦٩/٣٠٠٢) عن سيدنا المقداد رضي الله عنه

(٤) هو أبو سعيد المخزومي ، كما في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٨٧) ، وفي صلبها البيتان الأولان ، ونحو البيت الثالث في هامشها نسخةً

(٥) أفظع الأمر اشتدَّت شناعته ، وجاوز المقدار في ذٰلك

مِنْ حوائجِ الناسِ الأصليَّةِ ، إذْ كانَ بمنزلةِ الفاكهةِ التي لا تطيبُ إلَّا بعدَ الغذاءِ

وأوَّلُ مُغيِّرٍ لهُ الإسلامُ ، وقولُ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (١)

معناهُ أنَّ الشعراءَ كانوا مُترسِّلينَ معَ الأهواءِ ، لا يمنعُهُم مانعٌ ولا يَردعُهُم رادعٌ ، حَسَبَ ما تقتضيهِ وساوسُ الشهواتِ ، ولهُم قُوَّةٌ علىٰ تحسينِ القبيحِ ، وتقبيحِ الحسنِ ، وسفهاءُ الناسِ لهُم تَبَعٌ ، فكانَ يَتولَّدُ مِنْ ذٰلكَ ما يَتولَّدُ مِنَ الفتنِ والفسادِ بينَ الناسِ

وقدِ استثنىٰ سبحانَهُ الشعراءَ الذين عَقَلوا الدِّينَ ؛ فوقفوا عندَ حدودِهِ ، واجتنبوا الفحشاءَ والمُنكرَ ، حيثُ كانَتْ أوقاتُهُم معمورةً بذكرِ محاسنِ ما أرشدَ اللهُ إليهِ ، فهُم لا يَضعونَ الأشياءَ إلَّا في مواضعِها

وهٰذا معنىٰ كثرةِ ذكرِ اللهِ في قولِهِ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ (٢)

فمعنىٰ ﴿ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ مُفسَّرٌ بقولِهِ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٣)

وقولُهُ ﴿ وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ تنبيهٌ علىٰ موضعِ الهجوِ

ثمَّ تَغيَّرَ أمرُ الشعرِ بعدَ ذٰلكَ تغيراً (٤) عظيماً باشتغالِ الناسِ بالعلومِ

(١) سورة الشعراء (٢٢٤ ـ ٢٢٦)

(٢) سورة الشعراء (٢٢٧)

(٣) سورة العنكبوت (٤٥)

(٤) في الأصل (تغييراً)

الكثيرةِ المتزايدةِ التي ارتبطَ بها مصالحُ الناسِ ، حتىٰ قالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ[1] [من الوافر]

وَلَوْلَا ٱلشِّعْرُ بِٱلْعُلَمَاءِ يُزْرِي ... لَكُنْتُ ٱلْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ

وقالَ (لولا مُجونُ أبي نُواسٍ لَأخذتُ عنهُ العِلْمَ)

وحَرَّمَ قبلَ ذٰلكَ لبيدٌ الشعرَ علىٰ نفسِهِ وقالَ (لا أقولُهُ بعدَ أن حفظتُ « البقرةَ » و« آلَ عمرانَ »)[2]

وخلاصةُ القولِ في ذٰلكَ أنَّ مدارسةَ الأشعارِ العربيةِ ؛ لِمَا فيها مِنَ الفوائدِ العلميَّةِ المُتعلِّقةِ بأوضاعِ اللغةِ العربيَّةِ أمرٌ لازمٌ ؛ لكونِهِ مُعرِّفاً لمقاصدِ القرآنِ وأقوالِ النبيِّ ، فهوَ مِنَ الدِّينِ ، كما قيلَ[3] [من المجتث]

حِفْظُ ٱللُّغَاتِ عَلَيْنَا ... فَرْضٌ كَفَرْضِ ٱلصَّلَاةِ

فَلَيْسَ يُحْفَظُ دِينٌ ... إِلَّا بِحِفْظِ ٱللُّغَاتِ

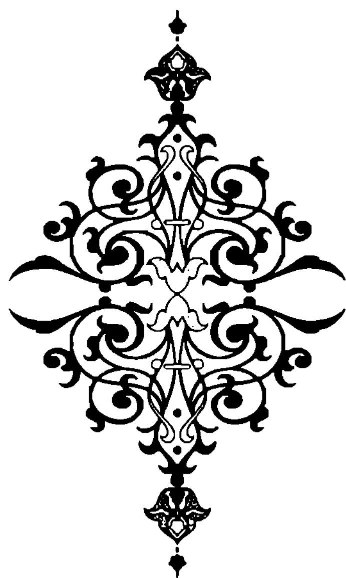
وأمَّا إنشاؤُهُ فمعَ الإتقانِ بوضعِهِ في مواضعِهِ ، وصرفِهِ بحَسَبِ اللزومِ ؛ فهو حِليةُ العلماءِ ، وزينةُ الأدباءِ ، والأعمالُ بالنيَّاتِ ، واللهُ الهادي إلىٰ أحسنِ المقاصدِ



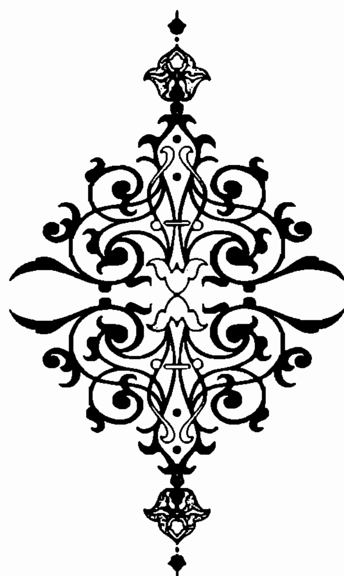
(١) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٦٢/٢) مع بيتين آخرين ضمن خبر لطيف

(٢) انظر « الإصابة » (٣٠٧/٣)

(٣) أوردهما الإمام السيوطي في « المزهر » (٣٠٢/٢) من غير عزو



المقصد الأوّل
في العقل، وبيان أصناف المعقول



[بيانُ معنىٰ كلمةِ العقلِ]

كلمةُ (العَقْل) لها معنيانِ

المعنى الأوَّلُ جمعُ ساقِ البعيرِ وفخذِهِ بحبلٍ يُربَطُ عليهِما ، ويُسمَّىٰ عِقالاً ؛ ليثبتَ مكانَهُ فلا يشرُدَ

المعنى الثاني رؤيةُ النفسِ الشيءَ واطلاعُها عليهِ وضبطُها له ، والمرادُ بالنفسِ الأمرُ الساكنُ في أبدانِنا ، الذي نجدُهُ يتحدَّثُ بالأشياءِ ، ويكونُ تحدُّثُ اللسانِ تابعاً لتحدُّثِهِ ؛ تقولُ عَقَلْتَ الشيءَ عَقْلاً ، فأنتَ عاقلٌ ، والشيءُ معقولٌ

ويُستعمَلُ الإدراكُ والعلمُ والمعرفةُ في هٰذا المعنىٰ ، وأصلُ الإدراكِ الوصولُ إلىٰ غايةٍ ؛ ومنهُ طلبتُ فلاناً الهاربَ فأدركتُهُ في مكانِ كذا ، ومنهُ أدركَ الغلامُ ؛ أي : بلغَ الحُلُمَ ؛ تقولُ أدركتُ الشيءَ ؛ فأنتَ مُدرِكٌ ، والشيءُ مُدرَكٌ



والحفظُ إثباتُ النفسِ صورَ الأشياءِ

والفهمُ أن تدركَ ما أُريدَ منها

تقولُ حفظتُ القرآنَ ؛ أي عقلتُ ألفاظَهُ وأثبتُّها إثباتَ النقوشِ على الأحجارِ

وفهمتُهُ ؛ أي عقلتُ ما أُريدَ بألفاظِهِ ، فالحفظُ والفهمُ نوعانِ خاصَّانِ مِنَ التعقُّلِ

[مراتبُ العقلِ]

وللعقلِ [أربعُ] مراتبَ [١]

ـ المرتبةُ الأُولىٰ عقلُ الطفلِ قبلَ أوانِ التكلُّم ، ويُسمَّى : العقلَ بالطبعِ ، وبالفطرةِ ، وبالقوَّةِ ، والهَيُولَىٰ

ـ المرتبةُ الثانيةُ عقلُهُ بعدَ أوانِ التكلُّم ، ويُسمَّى العقلَ بالفعلِ ، وبالحالِ ، والتلقينِ ، وفي هٰذه المرتبةِ يدركُ الإنسانُ مِنْ صورِ الأشياءِ ومِنْ تأثيراتِها إدراكاً به يَطلُبُ المحبوبَ ، ويَهرُبُ مِنَ المكروهِ

ـ المرتبةُ الثالثةُ عقلُ الغلامِ الذي حَصَلَ عندَهُ كثيرٌ مِنَ المعقولاتِ ، وتمكَّنَ مِنِ استحضارِها إذا أرادَ ، وأخذَ يستعملُ شيئاً مِنَ القياسِ حتىٰ يستحصلَ ما لم يكنْ حاصلاً عندَهُ ، ويُسمَّى العقلُ في هٰذهِ المرتبةِ العقلَ بالملكتَينِ ؛ وهما

ملكةُ الاستحضارِ ، وتُسمَّى المُذكِّرةَ ؛ وهيَ قُوَّةٌ للنَّفْسِ تَتمكَّنُ بها مِنِ استحضارِ ما عَقَلَتْ

وملكةُ الاستحصالِ ، وتُسمَّى : المُفكِّرةَ ؛ وهيَ قُوَّةٌ للنَّفْسِ تَتمكَّنُ بها مِنِ استحصالِ ما ليسَ معقولاً لها بالقياسِ علىٰ ما هوَ معقولٌ

ـ المرتبةُ الرابعةُ : عقلُهُ إذا مَهَرَ في الاستحصالِ ودَرِبَ عليهِ بالفكرِ والنظرِ ،

---

(١) وأوصلها الحكماء إلىٰ ثمانية ، وانظر التفصيل في « معيار العلم » (ص ٣٤٦) ، وفي الأصل (أربعة) بدل (أربع)

الذي هوَ ملاحظةُ المعقولاتِ الحاضرةِ عندَ المُدرِكِ لتحصيلِ المجهولاتِ الغائبةِ عنه ، ويُسمَّى العقلُ في هـٰذه المرتبةِ العقلَ المُستفادَ

وقد يُرادُ مِنَ العقلِ قُوَّةُ النَّفْسِ التي تُدرَكُ بها الأشياءُ ، ولذٰلكَ تسمعُهُم يقولونَ العقلُ الغريزيُّ والعقلُ المطبوعُ ، والعقلُ الكسبيُّ والعقلُ المسموعُ



ثمَّ الأشياءُ التي يَتعلَّقُ بها العقلُ فتكونُ معقولةً أحدَ عشرَ صنفاً[1]

ـ الصِّنفُ الأوَّلُ ذاتٌ ثابتٌ ثبوتاً أزليّاً لم يَسبقْهُ عدمٌ ، أبديّاً لا يلحقُهُ عدمٌ ، موصوفٌ بصفاتٍ كذٰلكَ ، يُسنِدُ العقلُ إليهِ جميعَ الكائناتِ بالسببيَّةِ والمُسبَّبيَّةِ ، فهوَ السببُ وغيرُهُ مُسبَّبٌ لهُ ؛ وهوَ اللهُ جلَّ ذكرُهُ

ـ الصِّنفُ الثاني أعيانُ الكائناتِ ، وتُسمَّىٰ ذواتِ الكائناتِ وجواهرَها ، ويقابلونَ العينَ بالحالِ ، والذاتَ بالصفةِ ، والجوهرَ بالعرضِ ، ومعنى الحالِ والصفةِ والعرضِ واحدٌ ، ومعنى العينِ والذاتِ والجوهرِ واحدٌ ؛ وهوَ الأمرُ الثابتُ الذي تتعاقبُ عليهِ الأحوالُ

وينقسمُ الجوهرُ إلىٰ جوهرٍ غيرِ مُمتدٍّ ، مُتحيِّزٍ ؛ أي شاغلٍ فراغاً ؛ والحَيِّزُ الفراغُ المشغولُ به ، ويُسمَّىٰ جوهراً فرداً ، وجزءاً لا يَتجزَّأُ

وإلىٰ جوهرٍ مُتحيِّزٍ مُمتدٍّ ، ويُسمَّىٰ جسماً

وينقسمُ الجسمُ إلىٰ

نامٍ أي متزايدٍ في الحجمِ

---

(١) انظر تفصيل المقولات العشر في « معيار العلم » (ص ٣٨٦ ـ ٤١٠)

وإلىٰ جامدٍ أي غيرِ متزايدٍ فيه

وينقسمُ النامي إلىٰ حَسَّاسٍ مُتحرِّكٍ بالإرادةِ ، وإلىٰ غيرِهِ ، ويُسمَّى الحَسَّاسُ حيواناً ، ويُسمَّىٰ غيرُهُ نباتاً

وينقسمُ الحَسَّاسُ إلىٰ ناطقٍ ؛ أيْ مطبوعٍ علىٰ أن يَتفكَّرَ فيما عَقَلَ ؛ ليعقلَ شيئاً بشيءٍ ، ويُعبِّرَ عمَّا حصلَ عندَهُ مِنْ ذٰلكَ ؛ وهوَ النوعُ المُسمَّىٰ إنساناً وبشراً ، ويُسمَّى الإنسانُ النوعَ الآخرَ ؛ وهوَ مُركَّبٌ مِنْ أمرَينِ ؛ أمرٍ مُشترَكٍ بينَهُ وبينَ الأنواعِ التي في رتبتِهِ ، ويُسمَّىٰ هٰذا الأمرُ جنسَهُ القريبَ ؛ ويُعبَّرُ عنهُ بالحيوانِ ، وأمرٍ مُختصٍّ بهِ مُميِّزٍ لهُ عن غيرِهِ ، ويُسمَّىٰ فَصْلاً ؛ فتقولُ الإنسانُ حيوانٌ ناطقٌ ، والجملُ حيوانٌ راغٍ ، والبقرُ حيوانٌ خائرٌ ، فالحيوانُ جنسٌ ؛ لكونِهِ مشتركاً ، والناطقُ والراغي والخائرُ فصولٌ ؛ لكونِها مُختصَّةً

والشيءُ العامُّ الذي لا خصوصَ فِيه ـ وهوَ الجوهرُ ـ يُسمَّىٰ جنساً عالياً ، وجنسَ الأجناسِ ، والأشياءُ التي بينَهُ وبينَ الإنسانِ تُسمَّى : الأجناسَ المُتوسِّطةَ إذا نسبتَها لِمَا تحتَها باعتبارِ شمولِها لهُ ، وتُسمَّى الأنواعَ المُتوسِّطةَ إذا نسبتَها لِمَا فوقَها باعتبارِ كونِها مشمولةً لهُ ، وتُسمَّىٰ فصولاً باعتبارِ ما فيها مِنَ الخصوصِ والتميزِ

فالجوهرُ جنسٌ لا غيرُ ، والجسمُ والنامي والحَسَّاسُ أجناسٌ وأنواعٌ وفصولٌ بالاعتباراتِ الثلاثةِ ، والإنسانُ وما في رتبتِهِ مِنَ الحيوانِ أنواعٌ لا غيرُ

وكيفيةُ تعقُّلِ هٰذهِ المعانِي أنَّهُم نظروا إلى الأشياءِ المحسوسةِ المتمايزةِ غايةَ التمايزِ وسَمَّوْها أشخاصاً ، ووجدوا أموراً مُشترِكةً بينَ جملِ الأشخاصِ اشتراكاً متفاوتاً على الترتيبِ الذي سبقَ شرحُهُ ، فسمَّوها بتلكَ الأسماءِ حسَبَ اختلافِ الاعتباراتِ

ويُخبَرُ بالنوعِ وسائرِ الأجناسِ عنِ الشخصِ ، والشخصُ لا يُخبَرُ بهِ ، والجنسُ العالي لا يُخبَرُ عنهُ

والحكماءُ يُسمُّونَ الإخبارَ بالشيءِ عنِ الشيءِ **حَمْلاً وقولاً** ، ويُسمُّونَ المُخبَرَ بهِ **محمولاً ومقولاً** ، ويُسمُّونَ المُخبَرَ عنهُ **موضوعاً ومقولاً عليهِ** ، فتقولُ

زيدٌ إنسانٌ ، وحيوانٌ ، ونامٍ ، وجسمٌ ، وجوهرٌ

والإنسانُ حيوانٌ ، ونامٍ ، وجسمٌ ، وجوهرٌ

والحيوانُ نامٍ ، وجسمٌ ، وجوهرٌ

والنامي جسمٌ ، وجوهرٌ

والجسمُ جوهرٌ

وليسَ قبلَ الجوهرِ شيءٌ يكونُ خبراً عنِ الجوهرِ ، وليسَ بعدَ الشخصِ شيءٌ يكونُ الشخصُ مُخبَراً بهِ عنهُ

فالشخصُ **موضوعٌ** لا غيرُ ، والجنسُ العالي **محمولٌ** لا غيرُ ، وما بينَهُما موضوعٌ لِمَا قبلَهُ ، محمولٌ علىٰ ما بعدَهُ

والأمرُ الشاملُ يُسمَّىٰ **عامّاً** ، والمشمولُ يُسمَّىٰ **خاصّاً** ، والارتباطُ بينَ الشاملِ والمشمولِ يُسمَّىٰ **عموماً وخصوصاً** ، وتفصيلُ العامِّ الشاملِ إلىٰ خاصيَّةِ المشمولينَ لهُ بضمِّ الأمورِ المميزةِ التي سبقَ تسميتُها بالفصولِ يُسمَّىٰ : تقسيماً ، وحينَئذٍ يُسمَّى الشاملُ : **مُقسَّماً** ، ويُسمَّىٰ كلٌّ مِنَ المشمولينَ بالنسبةِ له **قِسْماً منهُ** ، ويُسمَّىٰ كلٌّ منهُما بالنسبةِ لصاحبِهِ **قِسْماً لهُ**[1]

والأنواعُ مُقسِّمةٌ للأجناسِ ، والأجناسُ مُقوِّمةٌ للأنواعِ ، ومُحصِّلةٌ لها بضمِّ

---

(١) كذا في الأصل ، ولعله أراد (قسيماً له)

الفصولِ إليها ، والجميعُ مُقوِّمٌ للشخصِ ؛ فكلُّ عالٍ مُقوِّمٌ للسافلِ ، وكلُّ سافلٍ مُقسِّمٌ للعالي

ـ الصِّنفُ الثالثُ أحوالٌ تُسمَّىٰ كمّاً ؛ والكمُّ قسمانِ

مُتصِلٌ وهوَ الأبعادُ العارضةُ للجسمِ ؛ مِنَ الخَطِّ ؛ وهوَ ما يَنقسِمُ طُولاً فقطْ ، والسَّطحِ ؛ وهوَ ما يَنقسِمُ طُولاً وعَرْضاً ، والجسمِ التعليميّ ؛ وهوَ ما يَنقسِمُ طُولاً وعَرْضاً وعُمقاً ، ومَعروضُ الجسمِ التعليميّ هوَ الجسمُ الطبيعيُّ ، والمرادُ بالطُّولِ الامتدادُ المفروضُ أوَّلاً ، والمرادُ بالعَرْضِ الامتدادُ المفروضُ ثانياً ، والمرادُ بالعُمقِ الامتدادُ الآخِذُ مِنَ السَّطحِ الأعلىٰ ذاهباً إلى السَّطحِ الأسفلِ ، فإنِ اعتُبِرَ آخِذاً مِنَ الأسفلِ إلى الأعلىٰ سُمِّيَ سَمْكاً ، وإنِ اعتُبِرَ قائماً واصلاً بينَ السَّطحَينِ مِنْ غيرِ اعتبارِ أخذٍ مِنْ جهةٍ إلىٰ جهةٍ يُسمَّىٰ ثِخَناً ، وهٰذا القسمُ يُسمَّى المِقدارَ

ومنفصلٌ وهوَ العددُ

ويُسمَّى المِقدارُ مُتَّصِلاً ؛ لأنَّ كلَّ جزأَينِ منهُ يَشترِكانِ في نُقطةٍ تكونُ نهايةً لأحدِهما وبدايةً للآخَرِ ، وتُسمَّىٰ هٰذِهِ النُّقطةُ حدّاً مُشترَكاً ، وليسَ للمُنفصِلِ حدٌّ مُشترَكٌ

ـ الصِّنفُ الرابعُ أحوالٌ تُسمَّىٰ كيفاً ؛ والكيفُ هوَ المُبصَراتُ مِنَ الألوانِ والأضواءِ والأشكالِ ، والمسموعاتُ ؛ مِنَ الأصواتِ ، والمشموماتُ مِنَ الروائحِ ، والمَذوقاتُ مِنَ الطُّعومِ ، والملموساتُ مِنَ الحرارةِ والبرودةِ ، والنعومةِ والخشونةِ ، وجميعُ ما ذُكِرَ يُسمَّىٰ بالمحسوساتِ

والوجدانيات وهيَ الأحوالُ الباطنةُ ، ما رَسَخَ منها وثبتَ يُسمَّىٰ مَلَكَةً ، وغيرُهُ يُسمَّىٰ حالاً

والصَّلابةُ واللِّينُ لكونِهما يُدرَكانِ ولو بالغمزِ بعُودٍ في اليدِ لم يَعدُّوهُما مِنَ المحسوساتِ ، وهُما مِنَ الكيفياتِ

ـ الصِّنفُ الخامسُ حالٌ يُسمَّىٰ أَيناً ؛ وهوَ الحصولُ في المكانِ

ـ الصِّنفُ السادسُ حالٌ يُسمَّىٰ متىٰ ؛ وهوَ الحصولُ في الزمانِ ، والزمانُ أطولُ امتدادٍ وجوديٍّ يُتوهَّمُ تَجزِئتُهُ إلى الامتداداتِ المتفاوتةِ ، واسمُ الزمانِ يُطلَقُ عليهِ وعلىٰ جميعِ الامتداداتِ كيفَما كانَتْ ، والجزءُ الذي لا يَنقسِمُ مِنْ أجزاءِ الامتدادِ يُسمَّىٰ آناً ، واسمُ الدَّهرِ واسمُ السَّرمدِ مُختصَّانِ ؛ فالدَّهرُ الامتدادُ الطويلُ ، والسَّرمدُ الأطولُ

ـ الصِّنفُ السابعُ حالٌ يُسمَّىٰ إضافةً ؛ وهوَ حالٌ لا يُعقَلُ إلَّا بتعقُّلِ حالٍ آخَرَ ، كما أنَّ الحالَ الآخَرَ لا يُعقَلُ إلَّا بهِ ؛ كالأُبوَّةِ لا تُعقَلُ إلَّا بتعقُّلِ البُنوَّةِ ، كما أنَّ البُنوَّةَ لا تُعقَلُ إلَّا بتعقُّلِ الأُبوَّةِ

ـ الصِّنفُ الثامنُ حالٌ يُسمَّىٰ وضعاً ؛ وهو حالُ الشيءِ المأخوذُ مِنْ نسبةِ أجزائِهِ بعضِها إلىٰ بعضٍ وإلى الخارجِ عنها ؛ كحالِ القائمِ والقاعدِ ، والمقابلِ والمجانبِ ، والفوقِ والتحتِ ، وغيرِ ذٰلكَ

ـ الصِّنفُ التاسعُ حالٌ يُسمَّىٰ مِلْكاً وجِدَةً ووَجداً ؛ وهوَ هيئةُ إحاطةٍ طبيعيَّةٍ أو غيرِ طبيعيَّةٍ تُوجِبُ انتقالَ المحيطِ بانتقالِ المُحاطِ ؛ كالجلودِ والملابسِ

ـ الصِّنفُ العاشرُ حالٌ يُسمَّىٰ فعلاً ؛ وهوَ التأثيرُ ؛ أي إيجادُ الأثرِ ، ويُعبَّرُ عنهُ بـ (أن فعلَ) و(أن يفعلَ)

ـ الصِّنفُ الحاديَ عشرَ حالٌ يُسمَّى انفعالاً ؛ وهوَ التأثُّرُ ؛ أي : قَبولُ أثرِ المُؤثِّرِ ، ويُعبَّرُ عنهُ بـ (أنِ انفعلَ) و(أن ينفعلَ)

وهـٰذهِ الفصولُ التي شرحَتِ الأصنافَ العشرةَ الواقعةَ بعدَ الصِّنفِ الأوَّلِ الذي هوَ وحدَهُ في مقابلةِ مجموعِ هـٰذهِ الأصنافِ تُسمَّىٰ بالمَقولاتِ العشرِ ، ومجموعُ هـٰذهِ الأصنافِ هوَ المُسمَّىٰ بالعالَمِ وبالممكنِ ، في مقابلةِ ذاتِ الصانعِ الواجبِ الثُّبوتِ



[التكلُّمُ عن أنواعِ المعقولِ ضمنَ مسائلَ]

ثمَّ للمعقولِ حالَ تعقُّلِهِ تنوُّعٌ إلىٰ أنواعٍ يَستحِقُّ كلُّ نوعٍ منها لقباً يَخصُّهُ ، ولنوردْ ذٰلكَ في مسائلَ

المسألةُ الأولىٰ

[في صورِ المعقولِ ، وأوجهِ تعقُّلِ النِّسَبِ التصديقيَّةِ] [١]

المعقولُ تارةً يكونُ عيناً مِنَ الأعيانِ ، وتارةً يكونُ حالاً مِنَ الأحوالِ ، وتارةً يكونُ ارتباطَ أمرٍ بأمرٍ ؛ ويُسمَّىٰ ذٰلكَ الارتباطُ نسبةً ، ونفسُكَ مُحِبَّةٌ للاطِّلاعِ على الأشياءِ الواقعةِ ، ونسبةُ أمرٍ إلىٰ أمرٍ مُترَدِّدةٌ عندَكَ بينَ أن تكونَ واقعةً وألَّا تكونَ ، وإن كانَتْ في نفسِها علىٰ حالٍ منهُما ، وحينَئذٍ يكونُ تعقُّلُكَ لها علىٰ ثمانيةِ أوجهٍ

ـ الوجهُ الأَوَّلُ أن تَتخيَّلَها ضارباً صَفْحاً عن كونِها واقعةً أو غيرَ واقعةٍ

ـ الوجهُ الثاني أن تَتعقَّلَها مُنكِراً لوقوعِها مُكذِّباً بِهِ

ـ الوجهُ الثالثُ أن تَتعقَّلَها مُترَدِّداً بينَ الوقوعِ وعدمِهِ ، لا يَتميَّزُ أحدُ طرفَيها عندَكَ على الآخَرِ

ـ الوجهُ الرابعُ أن تَتعقَّلَها مُرجِّحاً لطرفٍ مِنْ طرفَيها بسببِ أَمارةٍ قامَتْ عندَكَ لا تَصِلُ بكَ إلىٰ حدِّ الجزمِ

ـ وحينَئذٍ يكونُ الطَّرفُ الآخَرُ مرجوحاً معَ كونِهِ يَحتمِلُ أن يكونَ هوَ الحقَّ ، فلهُ تعقُّلٌ أيضاً ؛ وهوَ الوجهُ الخامسُ مِنْ وجوهِ تعقُّلِ النسبةِ

---

(١) انظر « معيار العلم » (ص ٢١٢) ، و« حاشية العطار علىٰ جمع الجوامع » (١/١٩٢)

ـ الوجهُ السادسُ أن تَتعقَّلَها جازماً بأحدِ طرفَيها عن تقليدِ الغيرِ

ـ الوجهُ السابعُ أن تَتعقَّلَها جازماً بأحدِ طرفَيها بسببِ جزمِكَ بمعقولٍ آخَرَ هوَ حقٌّ يكونُ الجزمُ بهِ مُوجِباً لجزمِكَ بأحدِ طرفَيها ، ويُسمَّىٰ هٰذا المُوجِبُ دليلاً وبرهاناً وحُجَّةً

ـ الوجهُ الثامنُ أن تَتعقَّلَها جازماً بأحدِ طرفَيها بسببِ جزمِكَ بمعقولٍ آخَرَ هوَ غيرُ حقٍّ ، ويُسمَّىٰ هٰذا المعقولُ شُبْهةً

التعقُّلُ في الوجهِ الأَوَّلِ يُسمَّىٰ تَخيُّلاً ، وفي الثاني يُسمَّىٰ تكذيباً ، وفي الثالثِ يُسمَّىٰ شكّاً ، وفي الرابعِ يُسمَّىٰ ظنّاً ، وفي الخامسِ يُسمَّىٰ وَهْماً ، وفي السادسِ يُسمَّىٰ تقليداً ، وفي السابعِ يُسمَّىٰ يقيناً ، وفي الثامنِ يُسمَّىٰ جهلاً مركَّباً

وكلٌّ مِنَ الظَّنِّ والتقليدِ واليقينِ والجهلِ المُركَّبِ يُسمَّىٰ تصديقاً ، وما عدا هٰذهِ الأربعةَ ـ وهوَ ستَّةُ تعقُّلاتٍ ـ يُسمَّىٰ تصوراً ؛ فالتعقُّلُ إمَّا تصوُّرٌ ، وإمَّا تصديقٌ

المسألةُ الثانيةُ

[في انقسامِ التعقُّلِ إلىٰ نظريٍّ وبديهيٍّ ، وأنواعِ البديهياتِ]

التعقُّلُ إن كانَ مستفاداً مِنْ تعقُّلٍ آخَرَ يُسمَّىٰ نظريّاً ، وإن لم يكنْ مستفاداً مِنْ تعقُّلٍ آخَرَ سُمِّيَ بديهياً

والبديهيُّ ستَّةُ أنواعٍ

ـ النوعُ الأَوَّلُ ويُسمَّىٰ بالأولياتِ ؛ وهيَ نِسَبٌ تجزمُ بها بمُجرَّدِ تصوُّرِ المنسوبِ والمنسوبِ إليهِ

ـ النوعُ الثاني ويُسمَّىٰ بالمشاهداتِ ؛ وهيَ المحسوساتُ والوجدانياتُ

ـ النوعُ الثالثُ ويُسمَّىٰ بالتجرِبيَّاتِ ؛ وهيَ التعقُّلاتُ التي تُستفادُ مِنَ التجربةِ

ـ النوعُ الرابعُ وتُسمَّىٰ بالحدسيَّاتِ ؛ وهيَ التي تُستفادُ مِنَ الحَدْسِ والتخمينِ الكثيرِ الصِّدْقِ

ـ النوعُ الخامسُ وتُسمَّىٰ بالفطرياتِ ؛ وهيَ تعقُّلاتٌ مفيدُها حاضرٌ معَها دائماً

ـ النوعُ السادسُ : وتُسمَّىٰ بالتواتريَّاتِ ؛ وهيَ تعقُّلاتٌ تفيدُها أخبارٌ تَنقُلُها جماعةٌ ، لا يُجوِّزُ العقلُ تَواطُؤَهُم وتوافقَهُم على الكذبِ ، عن مثلِهِم ، حتىٰ ينتهيَ ذٰلكَ إلى المشاهدةِ

المسألةُ الثالثةُ

[في انقسامِ المعقولِ إلىٰ كليٍّ وجزئيٍّ] (١)

المعقولُ إن كانَ شاملاً لأكثرَ مِنْ شيءٍ سُمِّيَ كلِّيّاً ، وإن لم يكنْ لهُ شمولٌ سُمِّيَ جزئيّاً

ويُسمَّىٰ شمولُ الشيءِ للشيءِ صِدْقاً ، ويُسمَّى الشاملُ صادقاً على المشمولِ ، ويُسمَّى المشمولُ ماصَدَقاً وفرداً

المسألةُ الرابعةُ

[في انقسامِ المعقولِ إلىٰ كلٍّ وجزْءٍ] (٢)

المُركَّبُ مِنْ شيئَينِ يُسمَّىٰ كُلّاً ، والشيئانِ اللَّذانِ تَركَّبَ منهُما يُسمَّيانِ

(١) انظر « معيار العلم » (ص ٦٩)

(٢) انظر « حاشية الصبان على الملوي على السلم » (ص ٧٨)

جزأينِ ، فيُنسَبُ الجزءُ إلى الكلِّ لكونِهِ داخلاً فيهِ ، فيُقالُ لهُ كُلِّيٌّ ، ويُنسَبُ الكلُّ إلى الجزءِ لكونِهِ صاحبَهُ ، فيُقالُ جزئيٌّ ، ومِنْ هنا يُقالُ (كلُّ كلِّيٍّ جزءٌ لجزئيِّهِ ، وكلُّ جزئيٍّ كلٌّ لكلِّيِّهِ)

المسألةُ الخامسةُ

[في الكليَّاتِ الخمسةِ] (١)

طبيعةُ الشيءِ ذاتُهُ مِنْ جهةِ كونِها مبدأً ومَنشأً لآثارِهِ المُختصَّةِ بهِ ، فالإنسانُ مثلاً مَنشأٌ للنطقِ وتوابعِهِ مِنْ حيثُ إنَّهُ إنسانٌ ، لا مِنْ حيثُ كونُهُ حيواناً ، وإلَّا لكانَ كلُّ حيوانٍ مَنشأً للنطقِ وتوابعِهِ ، والحيوانُ مِنْ حيثُ إنَّهُ حيوانٌ مَنشأٌ للحِسِّ والحركةِ الإراديةِ ؛ فالإنسانُ ذو طبيعتَينِ ؛ طبيعةٌ مُشترَكةٌ ، وطبيعةٌ مُختصَّةٌ ؛ وهيَ الجنسُ والفصلُ ، وبهٰذا يُسمَّىٰ حقيقةً مُركَّبةً ، ونوعاً

والنوعُ والجنسُ والفصلُ تُسمَّىٰ بالكليَّاتِ الذاتيَّةِ ، وما يُؤخَذُ مِنَ الأحوالِ المُختصَّةِ بالنوعِ ليخبرَ بهِ عنهُ يُسمَّىٰ خاصَّةً ؛ كالضاحكِ المأخوذِ مِنَ الضَّحكِ المُختصِّ بالإنسانِ ليُخبَرَ بهِ عنهُ ، وما يُؤخَذُ مِنَ الأحوالِ المشترَكةِ بينَ نوعَينِ فأكثرَ يُسمَّىٰ عرضيّاً عامّاً ؛ كالماشي المأخوذِ مِنَ المَشْيِ الذي هوَ عَرَضٌ عامٌّ للإنسانِ وغيرِهِ مِنْ أنواعِ الحيوانِ ، والخاصَّةُ والعَرَضيُّ العامُّ كلِّيَّانِ ؛ لكونِهِما شاملَينِ

فالكليَّاتُ خمسةٌ

النوعُ ، والجنسُ ، والفصلُ ، والخاصَّةُ ، والعَرَضيُّ العامُّ ، وما عداها فجزئيَّاتٌ وأفرادٌ وأشخاصٌ

---

(١) انظر « حاشية الصبان على الملوي على السلم » (ص ٦٧)

المسألةُ السادسةُ

[في النسبةِ بينَ مفهومَينِ] (١)

كلُّ مفهومَينِ قرنتَ بينَهُما ـ لا محالةَ ـ يكونُ بينَهُما إحدىٰ نسبٍ أربعٍ ؛ وهيَ التساوِي ، والتباينُ ، والعمومُ والخصوصُ المُطلَقانِ ، والعمومُ مِنْ جهةٍ والخصوصُ مِنْ جهةٍ

لأنَّهُما إن تصادقا تصادقاً كلِّيّاً ؛ بحيثُ يكونُ جميعُ الأفرادِ التي هيَ مشمولةٌ لأحدِهِما مشمولةً للآخَرِ ، كما بينَ النوعِ والفصلِ وخواصِّهِ فهيَ التساوِي ، وحينَئذٍ يُسمَّى المفهومانِ اللَّذانِ هـٰذا شأنُهُما بالمتساويَينِ

وإن تفارقا تفارقاً كلِّيّاً ؛ بحيثُ لا يكونُ شيءٌ مِنْ أفرادِ أحدِهِما فرداً للآخَرِ ، كما بينَ نوعٍ ونوعٍ فهوَ التباينُ ، وحينَئذٍ يُسمَّيانِ بالمُتباينَينِ

وإن تصادقا علىٰ شيءٍ وانفردَ واحدٌ منهُما بشيءٍ يَصدُقُ هوَ عليهِ دونَ الآخَرِ فهوَ العمومُ والخصوصُ المُطلَقانِ ، وحينَئذٍ يُسمَّيانِ بالعامِّ المُطلَقِ والخاصِّ المُطلَقِ ، كما بينَ الأجناسِ والأنواعِ

وإن تصادقا علىٰ شيءٍ واختصَّ كلٌّ منهُما بشيءٍ كما في العَرَضيَّاتِ معَ أنفسِها أو معَ غيرِها . فالعمومُ مِنْ جهةٍ والخصوصُ مِنْ جهةٍ ، وحينَئذٍ يُسمَّيانِ بالعامِّ مِنْ جهةٍ والخاصِّ مِنْ جهةٍ ، وهـٰذهِ النِّسَبُ هيَ مَنشأُ جميعِ الأحكامِ

المسألةُ السابعةُ

[في بيانِ القياسِ الحمليِّ ، والشرطيِّ المتصلِ والمنفصلِ] (٢)

الحكمُ هوَ إدراكُ الارتباطِ بينَ الشيءِ [والشيءِ] علىٰ وجهِ الاعترافِ بوقوعِهِ ، فهوَ بمعنى التصديقِ

---

(١) انظر « شرح تنقيح الفصول » (ص ٩٦)

(٢) انظر « معيار العلم » (ص ١٢٠)

ثمَّ الارتباطُ بينَ الشيئَينِ ثلاثةُ أنواعٍ

ـ النوعُ الأوَّلُ ثبوتُ أمرٍ لأمرٍ أو انتفاؤُهُ عنهُ ، ويُسمَّىٰ نسبةً حمليَّةً ؛ وذٰلكَ كالنسبةِ في قولِكَ (العدلُ حسنٌ) و(الظلمُ ليسَ بحسنٍ)

ـ النوعُ الثاني لزومُ وقوعِ نسبةٍ لوقوعِ نسبةٍ أخرىٰ ؛ بمعنىٰ أن يكونَ بينَ وقوعَيهِما لزومٌ ؛ وهوَ امتناعُ الانفكاكِ بحيثُ يَحصُلُ واحدٌ ولا يَحصُلُ الآخرُ ، وذٰلكَ كالنسبةِ في قولِكَ (إن كانَتِ الشمسُ طالعةً كانَ النهارُ موجوداً) ويُسمَّى الأَوَّلُ ملزوماً ، والثاني لازماً

ـ النوعُ الثالثُ عنادُ وقوعِ نسبةٍ لوقوعِ نسبةٍ أخرىٰ ؛ فهُما لا يَقعانِ معاً ولا يَرتفعانِ معاً ، أو لا يقعانِ معاً وقد يَرتفِعانِ ، أو لا يَرتفِعانِ معاً وقد يَقعانِ معاً ؛ كالنسبةِ في قولِكَ (إمَّا أن تكونَ الشمسُ طالعةً ، وإمَّا أن يكونَ النهارُ غيرَ موجودٍ)

والنوعُ السابقُ يُسمَّى النسبةَ الشرطيَّةَ الاتصاليَّةَ ، وهٰذا النوع يُسمَّى النسبةَ الشرطيَّةَ الانفصاليَّةَ

ومَنشأُ الاتصالِ السببيَّةُ في الوجودِ أو التضايفِ ، ومَنشأُ الانفصالِ التناقضُ والتضادُّ

والنقيضانِ هما الأمرانِ اللَّذانِ لا يَجتمعانِ في موضوعٍ ولا يَرتفِعانِ معاً عنهُ ؛ وهما الثبوتُ والانتفاءُ ، أو ما يساوي الانتفاءَ ؛ مثلُ قولِكَ (العددُ زوجٌ أو لا زوجٌ) ، وقولِكَ (العددُ زوجٌ أو فردٌ) فقولك (فردٌ) يساوي قولَكَ (لا زوجٌ)

والضِّدَّانِ هما الأمرانِ الوجوديانِ اللَّذانِ لا يَجتمعانِ في موضوعٍ وقد يَرتفِعانِ لحلولِ ثالثٍ بدلَهُما ؛ كالبياضِ والسَّوادِ المرتفعَينِ عنِ الأحمرِ مثلاً

ويُسمَّى الحكمُ إيجاباً وسلباً ، وإثباتاً ونفياً ، ويُسمَّى الطرفُ الأوَّلُ في النسبةِ الحمليَّةِ موضوعاً ، والثاني محمولاً ، كما سبق ، ويُسمَّى الأوَّلُ في الشرطيتَينِ مُقدَّماً ، والثانِي تالياً

المسألةُ الثامنةُ

[في أنواعِ الحدودِ][1]

تمييزُ الشيءِ بذكرِ ما يميّزُهُ من فصْلٍ أو خاصَّة يُسمَّىٰ تعريفاً ، والتعريفُ بجنسِهِ القريبِ وفصلِهِ يُسمَّىٰ حدّاً تامّاً ، وبجنسِهِ البعيدِ والفصلِ يُسمَّىٰ حدّاً ناقصاً ، وبجنسِهِ القريبِ وخاصَّتِهِ يُسمَّىٰ رسماً تامّاً ، وغيرُهُ يُسمَّىٰ رسماً ناقصاً

والأُدباءُ يُسمُّونَ كلَّ مُميّزٍ للشيءِ عن غيرِهِ حدّاً ورسماً ، ولا يُفصِّلونَ تفصيلَ أهلِ المَنطِقِ

المسألةُ التاسعةُ

[في أنواعِ النِّسَبِ ، والخبرِ والإنشاءِ][2]

العبارةُ عنِ النسبةِ وطرفَيها مُركَّبٌ تامٌّ إن كانَتِ النسبةُ مقصودةً بالإفادةِ ؛ بحيثُ يَصِحُّ السكوتُ على المُركَّبِ الذي يفيدُ النسبةَ بهيئتِهِ التركيبيَّةِ ، ويُسمَّى المُركَّبُ التامُّ قضيةً وكلاماً خبرياً إن كانَ حكايةً عن واقعٍ ، وإنشائيّاً إن لم يكنْ حكايةً عن واقعٍ

وناقصٌ إن كانَتِ النسبةُ غيرَ مقصودةٍ بالإفادةِ ؛ بحيثُ لا يَصِحُّ السكوتُ على المُركَّبِ الذي يفيدُها بهيئتِهِ ؛ وهيَ [كنسبةِ] المملوكِ إلى المالكِ ،

---

(١) انظر « محك النظر » (ص ١٨٦)

(٢) انظر « حاشية الصبان على الملوي على السلم » (ص ٨٨)

وتُسمَّى النسبةَ الإضافيَّةَ ؛ مثلُ (دارُ زيدٍ) و(عبدُ عمرٍو) ، ونسبةُ الصفةِ إلى الموصوفِ ، وتُسمَّى النسبةَ التوصيفيَّةَ ؛ مثلُ قولِكَ (الرجلُ العاقلُ) و(الإنسانُ الكاملُ) ، وكلتا هاتَينِ النسبتَينِ تُسمَّىٰ بالتقييديَّةِ ، وهيَ لا تُخرِجُ المعقولَ عن كونِهِ تصوُّراً

والعبارةُ عن غيرِ النسبةِ مفردٌ فعلٌ إن أفادَ تأثيراً أو تأثُّراً في أحدِ الأزمنةِ الثلاثةِ ؛ الماضي والحالِ والآتي ؛ طلباً لذٰلِكَ أو إخباراً عنهُ ، واسمٌ إن كانَ مَفادُهُ عيناً مِنَ الأعيانِ أو حالاً مُستقِلّاً بالمعقوليَّةِ والملاحظةِ ، وحرفٌ إن كانَ مَفادُهُ حالاً غيرَ مُستقِلٍّ بالمعقوليَّةِ ، بل كانَ لا يمكنُ تعقُّلُهُ إلَّا بالتبعيَّةِ لتعقُّلِ غيرِهِ

فالعبارةُ إمَّا مُركَّبٌ ، وإمَّا مُفرَدٌ ، **والمُركَّبُ** إمَّا تامٌّ ، وإمَّا ناقصٌ ، **والمُفرَدُ** إمَّا فعلٌ ، وإمَّا اسمٌ ، وإمَّا حرفٌ

ومِنْ هنا أمكنَ أن نشرعَ في العلومِ العربيَّةِ التي موضوعُها الألفاظُ ، وأمكنَ أن نُتمِّمَ المسائلَ المَنطِقيَّةَ التي ما سبقَ مِنَ المسائلِ بعضُها ، فنقولُ على الإجمالِ

المسألةُ العاشرةُ
[في أنواعِ القضايا][1]

القضيةُ إن كانَ موضوعُها شخصاً سُمِّيَتْ شخصيَّةً ومخصوصةً ، وإن كانَ موضوعُها غيرَ شخصٍ ؛ فإن حُكِمَ فيها علىٰ جميعِ الأفرادِ ، وذُكِرَ في موضوعِها لفظةُ (كلٍّ) سُمِّيَتْ كُلِّيَّةً ، ولفظةُ (كلٍّ) تُسمَّىٰ سُوراً ، وإن حُكِمَ فيها علىٰ بعضِ الأفرادِ ، وذُكِرَ في الموضوعِ لفظةُ (بعضٍ) سُمِّيَتْ جزئيَّةً ، ويُسمَّىٰ لفظُ (البعضِ) سُوراً ، وإن حُكِمَ على الأفرادِ ولم يُذكَرْ لفظُ (كلٍّ) ولا (بعضٍ) سُمِّيَتْ مُهمَلةً ، وهيَ جزئيَّةٌ في الاستعمالِ ، وإن

---

(١) انظر « محك النظر » (ص ٨١)

لم تُلحَظِ الأفرادُ وكانَ الحكمُ علىٰ طبيعةِ المعنى الشاملِ ؛ مثلُ (الحيوانُ جنسٌ) ، و(الإنسانُ نوعٌ) سُمِّيَتْ طبيعيَّةً

فالقضيَّةُ شخصيةٌ ، أو كليةٌ ، أو جزئيةٌ ، أو مهملةٌ ، أو طبيعيةٌ

وما أفادَ العمومَ مِنَ الألفاظِ يقومُ مَقامَ لفظةِ (كلِّ) في التسويرِ ؛ مثلُ (جميعاً) و(قاطبةً) و(طُرّاً) في الإيجابِ ، و(لا شيءَ) و(لا واحدَ) في السَّلبِ

وكلفظِ (البعضِ) ما أفادَ البعضيَّةَ والجزئيَّةَ إيجاباً وسلباً ؛ كـ (واحدٍ) و(شيءٍ) و(رُبَّ واحدٍ) و(ليسَ بعض) و(بعضٌ ليسَ) و(ليسَ كلّ)

المسألةُ الحاديةَ عشرةَ

[في انقسامِ القضايا إلىٰ ضروريةٍ وممكنةٍ] [1]

ثبوتُ شيءٍ لشيءٍ أوِ انتفاؤُهُ عنهُ إمَّا أن يكونَ واجباً لا يُجوّزُ العقلُ خلافَهُ ؛ بحيثُ يُقالُ بالضَّرورةِ هٰذا كذا ، أو ليسَ كذا ، وحينَئذٍ تُسمَّى القضيةُ ضروريَّةً ، وإن كانَ كلٌّ مِنَ الثبوتِ والانتفاءِ ممكناً ؛ بحيثُ يُجوّزُ العقلُ كُلّاً بدلَ الآخَرِ سُمِّيَتْ ممكنةً

فالقضايا ضرورياتٌ ، أو ممكناتٌ

المسألةُ الثانيةَ عشرةَ

[في أدلَّةِ صدقِ القضايا] [2]

حيثُ كانَتِ القضيةُ حكايةً عن واقعٍ جازَ أن تكونَ مطابقةً لهُ ، وألَّا تكونَ مطابقةً

---

(١) انظر « محك النظر » (ص ٨٣)

(٢) انظر « معيار العلم » (ص ١٤٩ ، ١٨٤ ، ١٩٠)

والمطابقةُ تُسمَّىٰ صِدْقاً ، وعدمُ المُطابقةِ يُسمَّىٰ كذباً ، وحينَئذٍ لا يلتزمُ العقلُ الوقوفَ عن تجويزِهِما إلَّا بمُلزِمٍ ؛ وذٰلكَ المُلزِمُ يُسمَّىٰ دليلاً وحُجَّةً ، وكذٰلِكَ لا يُرجِّحُ أحدَهُما إلَّا بمُرجِّحٍ ؛ ويُسمَّىٰ أَمارةً

والدليلُ ثلاثةُ أنواعٍ نوعٌ يُسمَّى استقراءً ، ونوعٌ يُسمَّىٰ تمثيلاً ، ونوعٌ يُسمَّىٰ قياساً

ـ الاستقراءُ : تَتبُّعُ جميعِ أفرادِ الشيءِ ليحكمَ عليها بحكمٍ كلِّيٍ ، ويُسمَّى استقراءً تامّاً ، أو تتبعُ أكثرِ الأفرادِ لذٰلِكَ ، ويُسمَّى استقراءً ناقصاً ؛ كتتبُّعِ أكثرِ أفرادِ الحيوانِ ، فقالوا (كلُّ حيوانٍ يُحرِّك فَكَّهُ الأسفلَ) ، فوُجِدَ التِّمساحُ علىٰ خلافِ ذٰلكَ

ـ والتمثيلُ إلحاقُ أمرٍ بأمرٍ في صفةٍ ليحكمَ على المُلحَقِ بحكمِ المُلحَقِ به ؛ حيثُ تكونُ تلكَ الصفةُ هيَ السببَ في الحكمِ على المُلحَقِ بهِ بذٰلِكَ الحكمِ

ـ والقياسُ تصديقانِ يَلزمُهُما تصديقٌ ثالثٌ ، والتصديقانِ يُسمَّيانِ مُقدِّمتَي القياسِ ، والتصديقُ الثالثُ يُسمَّىٰ نتيجةً ، والنتيجةُ قبلَ الاستدلالِ تُسمَّىٰ مطلوباً ، والمُقدِّمتانِ تشتملُ إحداهُما علىٰ موضوعِ النتيجةِ ، والأخرىٰ علىٰ محمولِها ، وتَشترِكانِ في شيءٍ يكونُ سبباً لربطِ محمولِ النتيجةِ بموضوعِها ، وحينَئذٍ يُسمَّىٰ موضوعُ النتيجةِ حالَ كونِهِ في المُقدِّمةِ التي اشتملَتْ عليهِ حدّاً أصغرَ ، ويُسمَّىٰ محمولُها حالَ كونِهِ في المُقدِّمةِ التي اشتملَتْ عليهِ حدّاً أكبرَ ، ويُسمَّى المُشترَكُ حدّاً

وَسَطاً ، وحينَ الاستدلالِ يَسقطُ المُشترَكُ ، فتنتظمُ النتيجةُ ، وتُسمَّىٰ ذاتُ المُقدِّمتَينِ مادَّةَ القياسِ ، وتُسمَّىٰ هيئتُهُما الحاصلةُ لهُما مِنْ تأليفِهِما صورةً وشكلاً

والشَّكلُ يكونُ علىٰ أنحاءٍ شتَّىٰ ، كلُّ نحوٍ منها يُسمَّىٰ ضرباً ، وللشكلِ صحَّةٌ وفسادٌ ، فالأشكالُ الصحيحةُ تُسمَّىٰ ضُروباً مُنتِجةً ، والفاسدةُ تُسمَّىٰ ضُروباً عقيمةً

ثمَّ القياسُ باعتبارِ صورتِهِ نوعانِ نوعٌ يُسمَّى اقترانيّاً ، ونوعٌ يُسمَّى استثنائيّاً

فالاقترانيُّ مثلُ قولِكَ : (كلُّ إنسانٍ حيوانٌ ، وكلُّ حيوانٍ مُتنفِّسٌ) يُنتِجُ (كلُّ إنسانٍ مُتنفِّسٌ)

والاستثنائيُّ مثلُ قولِكَ (لو كانَ هـٰذا الشيءُ حيواناً لكانَ مُتنفِّساً ، لـٰكنَّهُ غيرُ مُتنفِّسٍ) يُنتِجُ (هـٰذا الشيءُ غيرُ حيوانٍ)

والقياسُ باعتبارِ مادَّتِهِ خمسةُ أنواعٍ تُسمَّىٰ بالصِّناعاتِ الخمسِ ؛ لأنَّهُ إن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ مُقدِّماتٍ يقينيةٍ بديهيةٍ أو منتهيةٍ إلى البديهيةِ فهوَ نوعٌ يُسمَّىٰ بالبرهانِ ، وإن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ مُقدِّماتٍ مُسلَّمةٍ عندَ الخصمِ وإن لم تكنْ حَقَّةً في نفسِها فهوَ نوعٌ يُسمَّىٰ بالجَدَلِ ، وإن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ مُقدِّماتٍ مقبولةٍ مشهورةٍ صادرةٍ عمَّنْ يَحسُنُ فيهِ الاعتقادُ فهوَ نوعٌ يُسمَّى الخَطابةَ ، وإن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ مُقدِّماتٍ تخييليَّةٍ تُؤثِّرُ في الأنفسِ قبضاً أو بسطاً فهوَ نوعٌ يُسمَّىٰ شعراً ، وإن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ قضايا باطلةٍ وهميَّةٍ فهوَ نوعٌ يُسمَّى السَّفسطةَ

والمُتكلِّمُ بالبرهانِ يُسمَّىٰ حكيماً ، والمُتكلِّم بالسَّفسطةِ يُسمَّىٰ

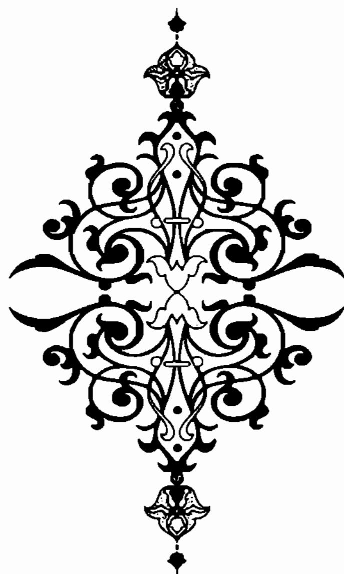
[سُوفسطائيّاً][1] ، وكلامُهُ معَ الحكيمِ يُسمَّىٰ مغالطةً ، ومعَ غيرِهِ يُسمَّىٰ مشاغبةً

والبرهانُ أشرفُ أنواعِ الدليلِ ، والحصولُ عليه أحسنُ غايةٍ

وحيثُ كانَ الغرضُ التكلُّمَ على العلومِ العربيَّةِ ، وكانَ فهمُ كثيرٍ مِنْ مسائلِها فهماً حقيقيّاً مُتوقِّفاً على الشعورِ بما أسلفنا مِنَ المسائلِ الحُكْميَّةِ وجبَ أن نَقتصِرَ علىٰ هٰذا القَدْرِ ، ونشرعَ فيما هوَ المقصودُ بالأصالةِ ؛ فنقولُ

(١) في الأصل (سوفسطي)

المقصد الثّاني
في حدّ اللّغة، ودواعي وضعها



[تعريفُ اللغةِ وأقسامُ علومِها]

اللغةُ العربيةُ ألفاظٌ معدودةٌ عُيِّنَتْ عندَ العربِ للأشياءِ لتحضرَ بها في العقولِ عندَ الإرادةِ ، كانوا يَنطِقونَ بها علىٰ صورٍ مُعيَّنةٍ إفراداً وتركيباً

اللفظُ يكونُ حرفاً ، ويكونُ أكثرَ ، والحروفُ التي تتكوَّنُ منها الألفاظُ تُسمَّىٰ **حروفَ المباني** ، والحروفُ بالمعنى السابقِ في تفصيلِ العبارةِ مِنَ المسائِلِ المَنطِقيَّةِ تُسمَّىٰ **حروفَ المعاني** ، وربَّما كانَ حرفُ المعنىٰ حرفَ مبنىً واحداً ، ويكونُ حرفَيْ مبنىً ، ويكونُ أحرفاً

وحرفُ المبنىٰ صوتٌ مقطوعٌ علىٰ مقطعٍ مِنَ المقاطعِ التسعةِ والعشرينَ التي تُسمَّىٰ **مخارجَ الحروفِ** حَسَبَ ما وُجِدَ فِي اللغةِ العربيةِ

والصوتُ كيفيةٌ قائمةٌ بالهواءِ ؛ أي حالةٌ مسموعةٌ منسوبةٌ إلى الكيفِ الذي فُصِّلَ فِي المَقولةِ الثالثةِ (١)

وتعيينُ اللفظِ للشيءِ بحيثُ يكونُ وظيفةُ اللفظِ إحضارَ ذٰلكَ الشيءِ في أذهانِ المخاطبينَ عندَ إطلاقِهِ وإرسالِهِ مِنَ الفمِ يُسمَّىٰ **وضعاً**

ويُسمَّى الشيءُ الذي وُضِعَ لهُ اللفظُ **معنىً** ؛ أي موضعَ العنايةِ والقصدِ ، وإحضارُ اللفظِ معناهُ في ذهنِ مَنْ عَلِمَ وضعَهُ عندَ سماعِهِ يُسمَّىٰ **دلالةً** ، واللفظُ **الدالُّ** ، والمعنىٰ **مدلولٌ** ، وحروفُ اللفظِ تُسمَّىٰ **مادَّتَهُ** ، والهيئةُ الحاصلةُ للحروفِ مِنْ تأليفِها وأوصافِها مِنْ حركاتٍ وسكناتٍ تُسمَّى **الصورةَ الإفراديَّةَ** ، ومادةُ **المُركَّبِ** لفظانِ فأكثرَ ، وصورتُهُ الهيئةُ الحاصلةُ لهُ مِنَ التأليفِ المُرتَّبِ علىٰ تألُّفِهِ وارتباطِهِ معنىً

---

(١) تقدم (١/٨٢)

والعِلْمُ الذِي يُعرِّفُكَ أوضاعَ الألفاظِ لمعانيها هوَ المُسمَّىٰ بعِلْمِ متنِ اللغةِ ، وللألفاظِ باعتبارِ تخالفِها في المعاني التي وُضِعَتْ لها أحوالٌ بحثَ بعضُ العلماءِ عنها ، وضبطُوها وفصَّلُوها ، وسمَّوْها فقهَ اللغةِ

والعِلْمُ الذي يُعرِّفُكَ صورَ الألفاظِ الإفراديَّةِ وكيفيةَ النطقِ بها هوَ المُسمَّىٰ بعِلْمِ الصَّرفِ

والعِلْمُ الذي يُعرِّفُكَ صورَ المُركَّباتِ ، وأنَّ معانيَ المُركَّباتِ تَختلِفُ باختلافِ صورِها هوَ المُسمَّىٰ بعِلْمِ النَّحْوِ

فالكلامُ على اللغةِ العربيَّةِ في هٰذا المَقصِدِ ثلاثةُ أقسامٍ

- قسمُ فقهِ اللغةِ
- وقسمُ الصرفِ
- وقسمُ النحْوِ

وأمَّا عِلْمُ متنِ اللغةِ فليسَ مِنَ القوانينِ ، وإنَّما هوَ سردُ الألفاظِ ، وذكرُ ما لهُ وُضِعَتْ ، وقد أكثرَ الناسُ فيهِ مِنْ وَضْعِ الكتبِ ما بينَ مُكثِرٍ ومُقِلٍّ ، وأسهلُها وأنفعُها ما كانَ مُبوَّباً بالأواخرِ ، مُفصَّلاً بالأوائلِ ، مميَّزَ المَوادِّ ؛ كـ « قاموسِ » المجدِ ، و« أقيانوسِ » عاصمٍ رحمَهُما اللهُ تعالىٰ[(١)] ، وسَيرِدُ عليكَ عندَ الكلامِ علىٰ فقهِ اللغةِ ألفاظٌ مبينةُ المعنىٰ لا تخرجُنا عن مَقصِدِ بيانِ القوانينِ

ولا بأسَ بالتكلُّمِ علىٰ أُمَّةِ العربِ بما عسىٰ أن يكونَ مُقيِّداً[(٢)] فيما إليهِ قصدُنا ، فنقولُ

---

(١) أراد مجد الدين الفيروزابادي ، وأحمد عاصم العينتابي

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها (مفيداً)

[لمحةٌ عن أُمَّةِ العربِ] (١)

أُمَّةُ العربِ إحدى الأُممِ المُتميِّزةِ بالألسنةِ ، والعوائدِ ، والمساكنِ

أمَّا مساكنُهُم فكانَ أوَّلُها أرض اليمنِ ، فلمَّا كثروا وانتشروا في البلادِ استقرَّ أمرُهُم علىٰ سكنىٰ جميعِ اليمنِ وما تحتَها إلىٰ جهةِ الشمالِ مِنْ نجدٍ والحجازِ وتِهامةَ ، وهيَ في ترتيبِ الهُبوطِ علىٰ هٰذا الترتيبِ ؛ أخذاً مِنَ الجَنوبِ إلى الشمالِ ، وبعضِ أرضِ الشَّامِ من جهةِ الشمالِ أيضاً ، ومِنْ جهةِ الشَّرقِ الحِيرةُ وما صاقبَهُما ، ويُسمَّىٰ عراقَ العربِ

وأمَّا عوائدُهُم فكثيرةٌ مُفصَّلةٌ مُبيَّنةٌ في أشعارِهِم وأخبارِهِم ، وقد وُضِعَ لذٰلكَ كتبٌ كثيرةٌ

منها أنَّهُم كانوا لا يخالطونَ غيرَ جنسِهِم إلَّا مخالطةَ التجارةِ ؛ يذهبونَ إلىٰ أطرافِ بلادِهِم وأطرافِ بلادِ غيرِهِم ، فيعطونَ ما عندَهُم ، ويأخذونَ ما عندَ غيرِهِم ، ثمَّ يَرجِعونَ إلىٰ مَقارِّهِم

ومنها أنَّهُم كانوا لا يُدخِلونَ في أنسابِهِم دخيلاً مِنْ غيرِهِم ؛ لا مِنْ جهةِ العَصَبِ ، ولا مِنْ جهة الرَّحِمِ ، ويستنكرونَ ذٰلِكَ استنكاراً عظيماً ، حتىٰ إنَّ ذٰلكَ إذا كانَ في خيلِهِم أو إبلِهِم استنكروهُ واستنكفوا منهُ ، وربَّما كانَ بعضُ الأوضاعِ أو مَنْ غلبَتْ عليهِ الأحوالُ البهيميةُ داخَلَ غيرَ العربِ ، وكانَ منهُ نسلٌ ؛ فإذا كانَ الفحلُ عربياً والأُنثىٰ غيرَ عربيةٍ سُمِّيَ النسلُ الحاصلُ بينَهُما هجيناً ، ومنهُ اشتقاقُ الهُجْنةِ ، وهَجَّنَهُ ؛ أي قبَّحَ أمرَهُ ،

---

(١) انظر « الرحيق المختوم » (ص ١٩)

وإذا كانَتِ الأُنثىٰ عربيةً والفحلُ غيرَ عربيّ   سُمّيَ النسلُ [مُقرِفاً] ، فهُم كانوا يتحاشَونَ [الإقرافَ] والهُجْنةَ ، بل كانَ بعضُ القبائلِ يحافظونَ علىٰ أنفسِهِم لا يخالطونَ غيرَهُم مِنَ العربِ

ومنها محافظتُهُم على الأنسابِ ، ومِنْ ذٰلكَ كانوا شُعوباً وقبائلَ وعمائرَ وفصائلَ وأفخاذاً وبطوناً وبيوتاً ، كلُّ اسمٍ مِنْ هـٰذهِ الأسماءِ لقبٌ لجماعةٍ يجمعُهُم جَدٌّ ، فجدُّ الشَّعْبِ أعلىٰ جدٍّ معروفٍ ، وجدُّ البيتِ أدنى الجدودِ إلىٰ جماعةِ البيتِ ، فكانَ الواحدُ ينتسبُ فيَعُدُّ مِنَ الجدودِ عدداً متفاوتاً ؛ فمنهُمُ المُقِلُّ والمُتوسِّطُ والمُكثِرُ

وأعدلُ الأنسابِ نسبُ النبيِّ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، الذي ينتهي بالتحقيقِ إلىٰ عدنانَ ، وإلىٰ عدنانَ تُنسَبُ العربُ العدنانيَّةُ ، وهُم غيرُ أهلِ اليمنِ ، وأهلُ اليمنِ يُسمَّونَ بالعربِ القحطانيَّةِ ؛ نسبةً إلىٰ قحطانَ الذي يُقالُ إنَّهُ أوَّلُ مَنْ تكلَّمَ باللغةِ العربيَّةِ ، ومنهُ كانَ نَشْؤُها ، وكانَتْ تربيتُها وكثرتُها واتساعُها   بحَسَبِ كثرةِ أولادِهِ ، حتى انتهتْ بانتهائِهِم ، ويُقالُ لأولادِ قحطانَ قبلَ دخولِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهِما الصلاةُ والسلامُ فيهِم العربُ العاربةُ والعَرباءُ ، فلمَّا دخلَ فيهِم إسماعيلُ ، ونشأَ فيهِم ، وتكلَّمَ بلغتِهِم ، ونسلَ حتىٰ قامَ منهُ جيلٌ عظيمٌ[1]   قيلَ لهُ ولأولادِهِ العربُ المُستعرِبةُ والمُتعرِّبةُ

فالعربُ إذاً قسمانِ عَرباءُ ومُتعرِّبةٌ ، وأوَّلُ شَعْبٍ اشتَهرَ مِنْ ولدِ إسماعيلَ   عدنانُ ؛ أوَّلُ النَّسبِ الصحيحِ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ اشتَهرَ نزارٌ ، ثمَّ اشتَهرَ أربعةُ شعوبٍ مِنْ أولادِ نزارٍ مُضَرُ ، وربيعةُ الفرسِ ، وإيادٌ ، وأنمارٌ ؛ أولادُ صلبِ نزارٍ ، وصاروا قبائلَ أربعةً كباراً ، ثم اشتَهرَ

(١) قوله (نَسَلَ) أي كثر نسله

كنانةُ ، ثم اشتَهرَ قريشٌ وبقيَتْ لهُ الشهرةُ ؛ وهيَ قبيلةُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ ولذلكَ يُقالُ القرشيُّ

و[سببُ] دخولِ إسماعيلَ عليهِ السلامُ في العربِ ، وانتقالِهِ مِنْ أرضِ كنعانَ التي كانَتْ مُهاجَرَ أبيهِ مِنْ بلدِهِ أرفةَ إلىٰ أرضِ الحجازِ : أنَّ إبراهيمَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا خرجَ مِنْ بلدِهِ لأسبابٍ اقتضَتْ ذلكَ تَوطَّنَ أرض كنعانَ مِنَ الشامِ جوارَ بيتِ المقدسِ ، وأخذَ يطوفُ البلادَ

فلمَّا نزلَ مصرَ كانَ بها إذ ذاكَ مَلِكٌ جبَّارٌ ، مِنْ حالِهِ أنَّ لهُ عيوناً ينظرونَ لهُ في المُتوطِّنينَ والأغرابِ ، فمتىٰ رَأَوْا امرأةً جميلةً حملُوها لهُ ، فعثروا بالسيدةِ سارةَ زوجةِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ ، فحملوها إليهِ ، وأخذَ إبراهيمُ في توصيتِها يقولُ تَعلَّمي أنَّهُ ليسَ علىٰ وجهِ الأرضِ مؤمنٌ غيري وغيرُكِ ، ولمَّا سُئِلَ عنها إبراهيمُ قالَ هيَ أختي ؛ أي في الدينِ

فلمَّا وصلَتْ سارةُ إلى المَلِكِ وهمَّ بالدُّنوِّ منها فزعَتْ إلى اللهِ ، وقامَتْ تُصلِّي ، فارتعدَتْ فرائصُ المَلِكِ ، وعَجَزَ عنِ الحركةِ ، فخضعَ لها ، وسألَها أن تدعوَ ربَّها الذي قامَتْ تعبُدُهُ وفعلَ بهِ ما حصلَ لهُ ، فدعَتْ ، فسُرِّيَ عنه

ثمَّ تكرَّرَ هٰذا الحالُ مِراراً حتىٰ أيقنَ أنَّهُ مِنْ ربِّها الذي تعبدُهُ ، فعندَ ذلكَ أخذَ في إكرامِها وإجلالِها هيَ وزوجِها ، وأهدىٰ لها في ضمنِ ما أهدىٰ مِنَ التحفِ والكرامةِ جاريةً اسمُها هاجَرُ

فأخبرَتْ إبراهيمَ بما جرىٰ ، وأهدتْهُ تلكَ الجاريةَ ، فواقعَها ، وولدَتْ له إسماعيلَ ، فلحقَتْ سارةَ الغَيرةُ الطبيعيَّةُ ، وخافَتِ الافتتانَ في دينِها ، فسألَتْ إبراهيمَ أن يُغيِّبَ عنها الجاريةَ وولدَها ، فأوحى اللهُ إلىٰ إبراهيمَ أن أسكنْهُما مكَّةَ ، فحملَهُما إليها وهيَ حينَئذٍ ليسَ بها أنيسٌ ؛ لكونِها لا

ماءَ فيها ولا مرعىٰ ، فأكرمَ اللهُ إسماعيلَ ، فأخرجَ لهُ هنالكَ ماءً كثيراً طيباً ومراعيَ

واتَّفق أن جازَ بعضُ العربِ وهُم ناسٌ مِنْ قبيلةٍ يُقالُ لها جُرْهُمُ بنواحي مكَّةَ ، فوجدوا الطَّيرَ صاعداً هابطاً بذٰلكَ الموضعِ ، فقصدوهُ ، فوجدوا هنالكَ هاجَرَ وابنَها ، وسألوها أن ينزلوا معَها بذٰلكَ الموضعِ ، فاشترطَتْ عليهِم شروطاً عاقدوها عليها ، وسكنوا معَها ، وعُمِرَتْ تلكَ الناحيةُ ، وكانَ بعدَ ذٰلكَ ما كانَ مِنْ كِبَرِ إسماعيلَ ، وتزوُّجِهِ في جُرْهُمَ ، وتجديدِهِ معَ أبيهِ الكعبةَ ، وغيرِ ذٰلكَ

فإسماعيلُ أوَّلُ دخيلٍ مِنَ العجمِ في ولدِ قحطانَ الذينَ همُ العربُ ، ثمَّ كانوا بعدَ ذٰلكَ يتحاشونَ غايةَ التحاشي مِنْ مداخلةِ العجمِ ، حتىٰ إنَّ إياداً أحدَ الشعوبِ الأربعةِ لمَّا ساكنَتِ الفرسَ وخالطَتْهُمْ سقطَتْ منزلتُهُم بينَ العربِ ، واحتُقِروا احتقاراً شديداً ، وعُدُّوا مِنَ العجمِ ، واتُّقِيَتْ مداخلتُهُم

يرشدُكَ إلىٰ تحقُّق ذٰلكَ أنَّ قبيلتَيْ تغلبَ وبكرٍ اللَّتَينِ يجمعُهُما وائلٌ مِنْ بني ربيعةَ قويَ أمرُهُما ، وعزَّا في العربِ ، وقهرا كثيراً مِنَ الناسِ ، وفي بعضِ الأيامِ نزلَ منهُم رجلٌ بناحيةِ قريةٍ مِنْ بلادِ الفرسِ مِنْ منازلِ إيادٍ ومعَهُ ابنتُهُ ، وكانَتْ مِنْ أجملِ نساءِ العالمِ ، فوشىٰ بها رجلٌ مِنْ إيادٍ يُقالُ لهُ بردٌ كانَ مِنْ خاصَّةِ مَلِكِ الفُرْسِ إذ ذٰلكَ

فقالَ لهُ المَلِكُ : ما عسىٰ أن تبلغَ منها والعربيةُ تُقدِّمُ القتلَ علىٰ أن يغشاها عجميٌّ ؟! فقالَ تُرغِّبُها بمحاسنِ المطاعمِ والمشاربِ والملابسِ والمساكنِ والمطاعمِ [1] ، وكثرةِ المالِ والخولِ

(١) كذا تكررت كلمة (المطاعم) في الأصل

وتمَّ بينَهُما هـٰذا الخيالُ ، وأرسلَ المَلِكُ فاغتصبَها مِنْ أبيها ، ثمَّ عرض عليها جميعَ المشتهياتِ ، وخَوَّفَها بجميعِ العقوباتِ ، ومسَّها بكثيرٍ مِنَ المؤلماتِ ؛ ليرىٰ وجهَها ، فأبَتْ ، وخيَّرتْهُ بينَ أن يقتلَها أو يعيدَها لأبيها ، فلمَّا يئسَ منها أسكنَها في موضعٍ ، وأجرىٰ عليها الوظائفَ الترفُّهيَّةَ ، واكتفىٰ برؤيةِ قامتِها تحتَ ملابسِها فِي بعضِ الأحيانِ

وبسببِ ذٰلكَ نشبَتِ الحروبُ بينَ العربِ والفُرْسِ ، حتىٰ قهرَ العربُ الفُرْسَ ، وأخذوا كثيراً مِنْ بلادِهِم ، وكانَ مِنْ بني بكرٍ فارسٌ عظيمٌ يُقالُ لهُ البراقُ ، يهوىٰ هـٰذهِ المرأةَ وهيَ تهواهُ ، وخطبَها مِنْ أبيها فامتنعَ ، واشتدَّ بينَهُما العشقُ ، والبراقُ لا يرضىٰ بقهرِ أبيها معَ تمكُّنِهِ مِنْ ذٰلكَ ، وأشارَتِ العربُ عليهِ بهِ ، فما زالَ يحتالُ حتىٰ خلَّصَها وقتلَ مَلِكَ الفُرْسِ

ومِنْ كلامِ ليلىٰ بنتِ لُكَيْزٍ هـٰذهِ في أثناءِ ما حصلَ لها [من الرمل]

لَـيْـتَ لِـلْـبَـرَّاقِ عَـيْـنـاً فَـتَـرَىٰ ... مَـا أُلَاقِـي مِـنْ بَـلَاءٍ وَعَـنَـا

يَـا كُـلَـيْـبـاً وَعَـقِـيـلاً إِخْـوَتِـي ... يَـا جُـنَـيْـداً أَسْـعِـدُونِـي بِـٱلْـبُـكَـا

عُـذِّبَـتْ أُخْـتُـكُـمُ يَـا وَيْـلَـكُـمْ ... بِـعَـذَابِ ٱلـنُّـكْـرِ صُـبْـحاً وَمَـسَـا

غَـلِّـلُـونِـي قَـيِّـدُونِـي ضَـرَبُـوا ... مَـلْـمَـسَ ٱلْـعِـفَّـةِ مِـنِّـي بِـٱلْـعَـصَـا

يَـكْـذِبُ ٱلْأَعْـجَـمُ مَـا يَـقْـرَبُـنِـي ... وَمَـعِـي بَـعْـضُ حُـشَـاشَـاتِ ٱلْـحَـيَـا

قَـيِّـدُونِـي غَـلِّـلُـونِـي وَٱفْـعَـلُـوا ... كُـلَّ مَـا شِـئْـتُـمْ جَـمِـيـعاً مِـنْ بَـلَا

فَـأَنَـا كَـارِهَـةٌ بَـغْـيَـكُـمُ ... وَيَـقِـيـنُ ٱلْـمَـوْتِ شَـيْءٌ يُـرْتَـجَـىٰ

يَـا بَـنِـي كَـهْـلَانَ يَـا أَهْـلَ ٱلْـعُـلَا ... أَتَـدُلُّـونَ عَـلَـيَّ ٱلْأَعْـجَـمَـا

يَـا إِيَـاداً خَـسِـرَتْ أَيْـدِيـكُـمُ ... خَـالَـطَ ٱلْـمَـنْـظَـرَ مِـنْ بَـرْدٍ عَـمَـىٰ

فَـٱصْـطِـبَـاراً وَعَـزَاءً حَـسَـنـاً ... كُـلُّ نَـصْـرٍ بَـعْـدَ ضُـرٍّ يُـرْتَـجَـىٰ

أَصْبَحَتْ لَيْلَىٰ يُغَلَّلْ كَفُّهَا مِثْلَ تَغْلِيلِ ٱلْمُلُوكِ ٱلْعُظَمَا
وَتُقَيَّدْ وَتُكَبَّلْ جَهْرَةً (١) وَتُطَالَبُ بِقَبِيحَاتِ ٱلْعَنَا
قُلْ لِعَدْنَانَ هُدِيتُمْ شَمِّرُوا لِبَنِي مَبْغُوض تَشْمِيرَ ٱلْوَفَا
وَٱعْقِدُوا ٱلرَّايَاتِ فِي أَقْطَارِهَا وَٱشْهَرُوا ٱلْبِيض وَسِيرُوا لِي ضُحَىٰ
يَا بَنِي تَغْلِبَ سِيرُوا وَٱنْصُرُوا وَذَرُوا ٱلْغَفْلَةَ عَنْكُمْ وَٱلْكَرَىٰ
اِحْذَرُوا ٱلْعَارَ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَعَلَيْكُمْ مَا بَقِيتُمْ فِي ٱلدُّنَا

وللعربِ في ذٰلكَ المعنىٰ وقائعُ كثيرةٌ

وأمَّا لسانُهم فهوَ هٰذا اللسانُ الذي يَتكلَّمُ بهِ أهلُ مصرَ والحجازِ واليمنِ والشامِ ومغربِ مصرَ ، غيرَ أنَّهُ علىٰ صورةٍ فاسدةٍ ، خرجَ بها عن كونِهِ لساناً عربيّاً ، وصارَ يُقالُ له لغةٌ عاميةٌ ، وهوَ لسانٌ قد دخلَ فيهِ الاستحسانُ علىٰ أربعِ مراتبَ

ـ المرتبةُ الأُولى استحسانُ قدماءِ العربِ الذينَ همُ العاربةُ ، فإنَّهُم كما قيلَ كانوا يأخذونَ بعضَ الألفاظِ مِنَ اللُّغاتِ ، فيختصرونَها ويُغيِّرونَ أشكالَها إلىٰ أن تصيرَ خفيفةً عذبةً ، وحكىٰ صاحبُ « المثلِ السائرِ » أنَّهُ وردَ في بعضِ سياحتِهِ مصرَ ، فلقيَ رجلاً مِنْ بني إسرائيلَ عالِماً ، فجرىٰ بينَهُما ذكرُ اللغةِ بالفصاحةِ والمَلاحةِ ، فقالَ اليهوديُّ كيفَ لا تكونُ فصيحةً مليحةً وهيَ مُنتخَبةٌ مِنَ اللغاتِ ؟! ومَثَّلَ لذٰلكَ بلفظِ الجملِ فقالَ إنَّهُ كانَ بالعبرانيَّةِ ([كوميل]) فغُيِّرَ إلىٰ ما سمعتَ ، فصارَ عذباً فصيحاً (٢)

---

(١) قولها (وتقيد وتكبل) كلاهما بالسكون لضرورة الشعر
(٢) المثل السائر (١/١٩٣)

ـ المرتبةُ الثانيةُ استحسانُ إسماعيلَ عليهِ السلامُ وأوائلِ أولادِهِ ، فقد كانَتْ لهُ لغةٌ عربيَّةٌ فصيحةٌ تُنسَبُ إليهِ بشهادةِ قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقد سُئِلَ ما لكَ يا رسولَ اللهِ أفصحُنا ، ولم تخرجْ مِنْ بينِ أظهرِنا ؟ قالَ « إِنَّ لُغَةَ إِسْمَاعِيلَ كَانَتْ دَرَسَتْ ، فَجَاءَنِي بِهَا جِبْرِيلُ فَحَفِظْتُهَا »[1]

وسببُ دروسِ لغةِ إسماعيلَ : ما جرىٰ بينَ أولادِهِ مِنَ الحُروبِ الضُّرْسِ[2] التي فَنِيَ بها منهُم كثيرٌ ، وتَشتَّتَ منهُم في البلادِ كثيرٌ ، وبحكمِ العادةِ أنَّ الإنسانَ إذا خالطَ أهلَ لسانٍ غلبَ عليهِ وغَيَّرَ لسانَهُ

ـ المرتبةُ الثالثةُ استحسانُ قريشٍ ، وهم سُكَّانُ مكَّةَ وما حولَها ؛ فقد كانَتِ العربُ تَرِدُ إليهِم في موسمِ الحجِّ كلَّ سنةٍ ، فيقيمونَ عندَهُم قريباً مِنْ خمسينَ يوماً ؛ ثلاثةَ أيامٍ بسوقِ ذي المَجازِ ، وسبعةً بسوقِ مَجَنَّةَ ، وثلاثينَ بسوقِ عكاظِ ، والباقي في مواضعِ مناسكِ الحجِّ ، يَعرِضونَ عليهِم أشعارَهُم ، ويتحاكمونَ في قضاياهم ، ويتعاقدونَ ويتعاتبونَ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأمورِ التي تقتضي كثرةَ المقاولةِ ، فكانوا ينتخبونَ مِنْ سائرِ لغاتِ العربِ ما حَلِيَ في الذَّوقِ ، وخَفَّ على السمعِ ؛ مثلاً يسمعونَ الحَوْجَمَ والحَوْجمةَ بفتحِ الحاءِ وسكونِ الواوِ ، والوردَ والوردةَ ، فيستعملونَ الثانيَ ، ويجتنبونَ الأَوَّلَ

هٰذا ما كانَ قبلَ مجيءِ الإسلامِ

ـ فلمَّا جاءَ الإسلامُ ، وحصلَتِ الدعوةُ إلى الاجتماعِ العامِّ والمخالطةِ الشاملةِ جاءَتِ المرتبةُ الرابعةُ مِنَ الاستحسانِ ؛ وهوَ استحسانُ فُطناءِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/٤) عن سيدنا عمر رضي الله عنه

(٢) الضُّرْس ـ جمع ضَرُوس ـ وهي الحرب الطاحنة

الناسِ مِنْ بقايا العربِ وغيرِهِم ، الذينَ نصبوا أنفسَهُم لضبطِ اللغةِ العربيةِ مفرداتٍ ومُركَّباتٍ ، وتدوينِها في كتبٍ ، ونوَّعَتْهُم مقاصدُهُم أنواعاً

فمنهُم نَقَلَةُ المفرداتِ علىٰ صورِها وبيانِ معانيها ، ذاهبينَ إلىٰ تمييزِ اللغاتِ إلىٰ رديءٍ وغيرِ رديءٍ ، وحوشيّ غريبٍ ومستعملٍ مشهورٍ

ومنهُم نَقَلَةُ صورِ المُركَّباتِ ، مُنبّهينَ على اختلافِ معانيها باختلافِ صورِها ، ذاهبينَ أيضاً إلىٰ تمييزِ الفصيحِ مِنْ غيرِ الفصيحِ

ومنهُم نَقَلَةُ الأشعارِ والخُطَبِ وعالي الكلامِ ، مُنبّهينَ علىٰ محاسنِ السياقاتِ ، ولطائفِ العباراتِ ، وعلىٰ توسُّعاتِ العربِ في الاستعمالاتِ

ومِنْ ذٰلكَ تَنوَّعَتِ العلومُ الباحثةُ عنِ اللغةِ العربيَّةِ مُميَّزةً بالألقابِ وجهاتِ البحثِ

[فشوُ اللحنِ سببٌ لوضعِ علمِ النحوِ]

والذي دعا الناسَ إلى النُّهوضِ في التفتيشِ في أحوالِ اللغةِ أنَّ العربَ لمَّا بعثَهُمُ الإسلامُ في البلادِ ، واختلطوا بغيرِ جنسِهِمُ اختلاطَ المعاشرةِ والمصاهرةِ حصلَ في مُدَّةٍ يسيرةٍ تغييرٌ عظيمٌ في اللغةِ ، وفشا بينَ الناسِ اللحنُ ، وصارَ مَنْ يضبطُ مِنَ العربِ لسانَهُ عنِ اللحنِ يفتخرُ بذٰلكَ ، كما وردَ أنَّ خالدَ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ حضرَ يوماً مجلسَ عبدِ المَلِكِ بنِ مروانَ ، فجرَتْ مخاطبةٌ بينَهُ وبينَ الوليدِ بنِ عبدِ المَلِكِ

فكانَ مِنْ كلامِ خالدٍ التمدُّحُ بالسلامةِ مِنَ اللَّحنِ ، والغضُّ مِنَ الوليدِ بكونِهِ لَحَّانةً [1]

---

(١) انظر « تاريخ دمشق » (١٦/٣١٠)

ولبعضِ شعراءِ العربِ[١] [من البسيط]

أَبَا ضُبَيْعَةَ لَا تَعْجَلْ بِسَيِّئَةٍ إِلَى ٱبْنِ عَمِّكَ وَٱذْكُرْهُ بِإِحْسَانِ
أَمَا تَرَانِي وَأَثْوَابِي مُقَارِبَةٌ لَيْسَتْ بِخَزٍّ وَلَا مِنْ نَسْجِ كَتَّانِ
فَإِنَّ فِي ٱلْمَجْدِ هِمَّاتِي وَفِي لُغَتِي عُلْوِيَّةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَّانِ

ومِنَ اللَّحنِ في العربِ ما دعا إلىٰ وضعِ النحوِ ؛ وذٰلكَ أنَّ رجلاً مِنْ أصحابِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ يُقالُ لهُ أبو الأسودِ ظالمٌ الدُّؤليُّ ، قالَتْ لهُ ابنتُهُ ليلةً يا أبتِ ؛ ما أحسنُ السماءِ !! بضمِّ نونِ (أحسنُ) وكسرِ همزةِ (السماءِ) ، فقالَ لها نجومُها ، فقالَتْ أنا مُخبِرةٌ لا سائلةٌ ، فقالَ لها كانَ يلزمُ أن تقولي ما أحسنَ السماءَ !! بفتحِ النونِ والهمزةِ

فلمَّا أصبحَ أخبرَ بذٰلك عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ ، وسألَهُ النظرَ في طريقةٍ لحفظِ اللغةِ العربيَّةِ مِنَ الضَّياعِ ، فقالَ لهُ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ الكلامُ كلُّهُ لا يخرجُ عنِ اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ جاءَ لمعنىً ؛ **فالاسمُ** ما أنبأَ عنِ المُسمَّىٰ ، **والفعلُ** ما أنبأَ عن حركةِ المُسمَّىٰ ، **والحرفُ** ما ليسَ كذٰلكَ ، ثمَّ قالَ : انحُ هٰذا النحوَ يا أبا الأسودِ

ومِنْ هنا جاءَ الاسمُ للعِلْمِ الباحثِ عن حالِ المُركَّباتِ ، فبدأَ لهُ علمُ النَّحْوِ[٢] ، وتكلَّم أبو الأسودِ بعدَ ذٰلكَ ، وأخذَ الناسُ في تتميمِهِ

ولا غروَ أن يسرعَ الفسادُ إلى اللغةِ العربيةِ والأطفالُ يَتعلَّمونَ التلفُّظَ أوَّلاً مِنْ أُمَّهاتِهِم ، فإذا كنَّ عجمياتٍ لا يَقدِرنَ على التكلُّمِ بصحيحِ اللغةِ فكيفَ تبقىٰ صورةُ اللغةِ العربيةِ ؟!

---

(١) نسبت الأبيات لسويد بن أبي كاهل اليشكري كما في « ديوانه » (ص ٤١) ، وانظر « البيان والتبين » (١٦٧/١)

(٢) أي أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه ، أو (فبدا له) بمعنىٰ ظهر

وقد ابتُدِئَ التعليمُ والتأديبُ في أوائلِ أيامِ مُلْكِ بني أُميَّةَ ، فكانَ المَلِكُ يُحضِرُ لأولادِهِ وأولادِ أتباعِهِ مِنَ العلماءِ مَنْ يُؤدِّبُهُم ، ويُعوِّدُ ألسنتَهُم على التكلُّمِ بفصائحِ اللغاتِ ، ويُلقِّنُهم مختارَ الأشعارِ

وكانَ للمُؤدِّبينَ معَ الأطفالِ نوادرُ ؛ منها أنَّ مُؤدِّبَ أولادِ هشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ ـ وكانَ اسمُهُ عبدَ الصمدِ ـ وردَ عليهِ غلامٌ مِنْ أولادِ عظماءِ بني أُميَّةَ ليُؤدِّبَهُ معَ أولادِ المَلِكِ ، وكانَ غلاماً جميلاً ، فاتفقَ في بعضِ الأيَّامِ أن أساءَ المُؤدِّبُ أدبَهُ معَ ذٰلكَ الغلامِ ، فقامَ يعدو للمَلِكِ ، وتَمثَّلَ بينَ يدَيهِ وقالَ شعراً [من الرمل]

إنَّــهُ وَٱللهِ لَــوْلَا أَنْــتَ لَــمْ ... يَنْجُ مِنِّي سَالِماً عَبْدُ ٱلصَّمَدْ

فقالَ المَلِكُ ولماذا ؟ فقالَ الغلامُ

إنَّــهُ قَــدْ رَامَ مِــنِّــي خُــطَّــةً ... لَـمْ يَـرُمْـهَـا قَـبْـلَـهُ مِـنِّـي أَحَـدْ

فقالَ المَلِكُ وما رامَ ؟ فقالَ الغلامُ

رَامَ جَـهْـلاً بِـي وَجَـهْـلاً بِـأَبِـي ... يُولِجُ ٱلْعُصْفُورَ فِي خِيسِ ٱلْأَسَدْ (١)

ثمَّ أخذَ التعليمُ في التزايدِ والكثرةِ بتزايدِ انتشارِ المسلمينَ في البلادِ ، وظهورِ تغيُّرِ اللسانِ ، إلىٰ أن تَقرَّرَتِ العلومُ المُتعلِّقةُ باللغةِ ، وتَهذَّبَتْ بعدَ أن كانَتْ مُختلِطةً كثيرةَ السَّقْطِ والغلطِ ، خفيةَ الدلالةِ ، عسيرةَ الإرشادِ ، كما هو شأنُ الأمورِ المُتجدِّدةِ ، فبتلاحقِ الأفكارِ يتزايدُ حسنُ المخترعاتِ وإتقانُها ، حتىٰ لو بذلَ واحدٌ همَّتَهُ وكانَ جيدَ الحفظِ والضبطِ أمكنَهُ في مُدَّةٍ غيرِ طويلةٍ أن يقفَ علىٰ أمرِ اللغةِ العربيَّةِ

ومِنْ حيثُ كونُ اللغةِ قد فسدَتْ صورتُها في الصَّدرِ الأوَّلِ ، وتزايدَ فسادُها

---

(١) انظر « محاضرات الأدباء » (١/١١٠ ـ ١١١)

كما شرحنا كانَتْ ألفاظُها معدودةً ؛ إذ لم يبقَ مِنْ أهلِها مَنْ يُنسَبُ إليهِ ما يَضطرُّ تجدُّدُ الأحوالِ واستكشافُ الأشياءِ إلىٰ وضعِهِ مِنَ الألفاظِ للأشياءِ التي يَتجدَّدُ ظهورُها والاطلاعُ عليها ، فلا جرمَ تكونُ ألفاظاً غيرَ عربيَّةٍ ما لم تكنْ مأخوذةً بطريقِ الاشتقاقِ مِنْ ألفاظِهِم ، وذٰلكَ أمرٌ عسيرٌ ، ومحتاجٌ إلىٰ نظرِ جمٍّ غفيرٍ ، والتنبيهُ علىٰ ما حصلَ مِنَ الفسادِ في اللغةِ يَقرُبُ أن يكونَ مُعجِزاً ، وقد تَعرَّض لذٰلكَ بعضُ المغاربةِ ؛ فوضعَ فيهِ كتاباً ، فلم يأتِ بطائلٍ عظيمٍ

وإذا قرأَ الطالبُ العلومَ ، وعرفَ الصحيحَ عرفَ الفسادَ ، ولا بأسَ بالتنبيهِ على البعضِ ليظهرَ الداعي إلىٰ وضعِ العلومِ غايةَ الظُّهورِ ؛ فمِنْ عادةِ العامَّةِ إبدالُ الذالِ المعجمةِ حيثُما كانَتْ دالاً مهملةً ، فيقولونَ في (ذا وذي) دَهْ ، ودِي ، وفي (حاذقٍ) حادِئ ، فيبدلونَ القافَ همزةً حيثُما كانَتْ ، ويبدلونَ الثاءَ المثلثةَ تاءً مثناةً فوقيةً أو سيناً ؛ فيقولونَ في (ثابتٍ) تابت ، وفي (ثوبٍ) توب ، وفي (ثُمَّ) سم ، ويحذفونَ بعض الحروفِ ، ويبدلونَ الحركاتِ ؛ فيقولونَ في (وجهٍ) مثلاً وِشّ ، فهٰذا يَضطرُّ إلىٰ وضعِ علمِ متنِ اللغةِ

ويقولونَ : (فلان يِوعد ويِخْلف) بكسرِ الياءِ وسكونِ ما بعدَها ، والصَّوابُ يَعِدُ ويُخْلِفُ ؛ بفتحِ الياءِ الأُولىٰ ، وحذفِ الواوِ ، وضمِّ الياءِ الثانيةِ ، ويقولونَ (إِوعه) بهمزةٍ مكسورةٍ وواوٍ ساكنةٍ ، والصَّواب (عِهْ) بلا همزةٍ ولا واوٍ ، فهٰذا وأمثالُهُ أوجبَ وضعَ علمِ الصَّرْفِ

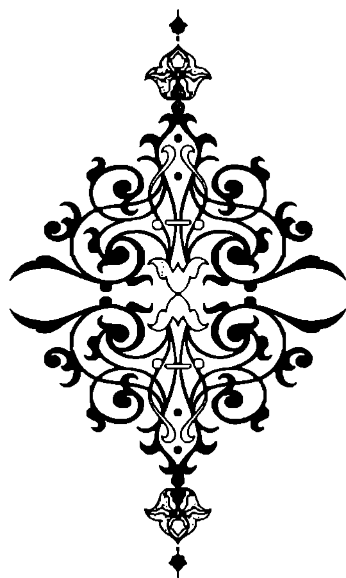
ثمَّ اللغةُ العامِّيَّةُ وإن كانَتْ بهٰذهِ المنزلةِ مِنَ الفسادِ مُشتمِلةٌ علىٰ كثيرٍ مِنَ الألفاظِ العربيَّةِ الفصيحةِ بحَسَبِ الحاجةِ ، ومُتضمِّنةٌ كثيراً مِنْ محاسنِ السياقاتِ ولطائفِ الكناياتِ ، وغيرِ ذٰلكَ مِنَ الأمورِ التي يُسمَّى العالِمُ بها

العاملُ بمقتضاها فصيحاً بليغاً ، كما يَتبيَّنُ ذٰلكَ عندَ التكلُّمِ علىٰ علومِ البلاغةِ ، فإذا تأمَّلَ المُتعلِّمُ في كلامِ الناسِ سَهُلَ عليهِ كثيرٌ مِنَ المسائلِ التي صعَّبَتْها وأبعدَتْ فهْمَ معناها العباراتُ الاصطلاحيَّةُ والمناظراتُ فيها ؛ بحيثُ يَقرُبُ أن يُخرَجَ غيرُ المعتادِ إلى المعتادِ

وقدْ آنَ أن نشرعَ في بيانِ الأقسامِ الثلاثةِ التي ضمَّنَّاها هٰذا المَقصِدَ ؛ فنقولُ

القسم الأوّل

في فقه اللّغة



[تقاسيمُ الكلمةِ]

سبقَتِ الإشارةُ إلىٰ أنَّ فقهَ اللغةِ هو العلمُ الباحثُ عن أحوالِ عامَّةٍ للألفاظِ [١] ، ولنوردْ ذٰلكَ في ثلاثةِ تقاسيمَ وتتميمٍ

التقسيمُ الأوَّلُ [٢] اللفظُ

ـ إمَّا أن يُعيِّن لشخصٍ ؛ وهوَ ـ كما عرفتَ في المسألةِ الخامسةِ مِنَ المسائلِ المَنطِقيَّةِ ـ الموجودُ البالغُ إلىٰ غايةِ التمييزِ ، فيُسمَّى اللفظُ حينَئذٍ باسمِ الشخصِ وعَلَمِ الشخصِ

ـ وإمَّا أن يُعيِّنَ لأمرٍ كلِّيٍّ مشروطاً استعمالُهُ في مُعيَّنٍ عندَ المُخاطَبِ معروفٍ لهُ بسببِ انضمامِ أمرٍ آخَرَ ملحوظٍ لهُ هوَ المُعيِّنُ للمرادِ ، ويُسمَّىٰ ذٰلكَ الأمرُ قرينةَ المرادِ باللفظِ ، ويُسمَّى اللفظُ الذِي هٰذا شأنه معرفةً بالقرينةِ ، ويُسمَّىٰ عَلَمُ الشخصِ معرفةً بنفسِهِ

ـ وإمَّا أن يُعيِّنَ لأمرٍ كلِّيٍّ غيرِ مشروطٍ فيهِ ذٰلكَ ؛ بحيثُ يكونُ صالحاً لأن يُرادَ بهِ كلُّ واحدٍ ممَّا صدقَ عليهِ ذٰلكَ الأمرُ الكليُّ ، فيكونُ المرادُ بهِ مُبهَماً على المُخاطَبِ ، ويُسمَّىٰ نكرةً

ثمَّ الأمرُ الكليُّ الذي عُيِّنَ لهُ اللفظُ المُسمَّىٰ نكرةً

ـ إمَّا أن يكونَ جنساً مِنَ الأجناسِ الجوهريَّةِ ، ويُسمَّى اللفظُ حينَئذٍ اسمَ جنسٍ جوهرياً جامداً

---

(١) انظر (١/١٠٠)

(٢) انظر « إتحاف الإنس في العلمين واسم الجنس » للعلامة الأمير الكبير

ـ وإمَّا أن يكونَ جنساً مِنَ الأجناسِ العَرَضيَّةِ ، ويُسمَّى اللفظُ المُعيّنُ لهُ اسمَ جنسٍ عَرَضيّاً جامداً ، ويُسمَّىٰ مصدراً ، فلهُ اسمانِ

ـ وإمَّا أن يكونَ أمراً إجماليّاً يمكنُ للعقلِ أن يفصلَهُ إلىٰ عَرَضٍ منسوبٍ ، وإلىٰ نسبةٍ ، وإلىٰ منسوبٍ إليهِ ، وحينَئذٍ إن كانَ الملحوظُ أوّلاً حالةَ الاستعمالِ هوَ العَرَض ، والملحوظُ ثانياً النسبةَ ، والملحوظُ ثالثاً المنسوبَ إليهِ المُعيّنَ عندَ المُتكلِّمِ ملاحظةً وعندَ المُخاطَبِ حُكْماً ؛ بحيثُ يكونُ مُنتظِرَ العبارةِ عنهُ فقطْ يُسمَّى اللفظُ المُعيّنُ لذٰلكَ فِعْلاً

وإن كانَ الملحوظُ أوّلاً هوَ المنسوبَ إليهِ ، والملحوظُ ثانياً النسبةَ ، والملحوظُ ثالثاً المنسوبَ العَرَض سُمّيَ اللفظُ المُعيّنُ لذٰلكَ مُشتقّاً

ـ وإمَّا أن يكونَ الأمرُ الكلِّيُّ نسبةَ أمرٍ لأمرٍ وارتباطَهُ بهِ ، أو حالَ نسبةٍ يُعيّنُ لهُ اللفظُ مشروطاً استعمالُهُ في نِسَبٍ مُعينةٍ مُتبدّلةٍ بتبدُّلِ المعاني والتراكيبِ ، أو في أحوالٍ كذٰلكَ ؛ طلباً لمعرفتِهِ ، أو إخباراً بهِ يُسمَّى اللفظُ الذي هٰذا شأنُهُ حَرْفاً

ومِنْ هٰذا التقسيمِ يخرجُ تنويعُ اللفظِ إلى الاسمِ والفعلِ والحرفِ بينةَ الحقائقِ

وبتأمُّلِ ما سبقَ تَعرِفُ ضوابطَ عديدةً لكلِّ نوعٍ مِنْ هٰذهِ الأنواعِ الثلاثةِ ، وهٰذا تقسيمٌ إجماليٌّ لِلَّفظِ ، ولأجلِ تمامِ المعرفةِ وجبَ أن نتكلَّمَ علىٰ أقسامِ اللفظِ قِسْماً قِسْماً ؛ فنقولُ

قِسْمُ العَلَمِ [1]

العَلَمُ اسمٌ مُعيّنٌ لشخصٍ لا يُرادُ بهِ غيرُهُ وَضْعاً ، ولا يُخرِجُهُ عن ذٰلكَ عُروضُ الاشتراكِ فيهِ بعدُ وإن أحوجَ إلىٰ قرينةٍ تُعيّنُ المرادَ بهِ حالةَ الاستعمالِ ؛ ولذٰلكَ يُسمَّىٰ معرفةً بالنفسِ

ويَنقسِمُ العَلَمُ إلىٰ ألقابٍ ، وكُنىً ، وأسماءٍ

فالاسمُ هوَ الموضوعُ أوّلاً لغرضِ تمييزِ المُسمَّىٰ بهِ عن غيرِهِ عندَ الحاجةِ لذٰلكَ

واللقبُ ما وُضِعَ ثانياً لذٰلكَ الغرضِ ولغرضِ الإشعارِ بالمدحِ أوِ الذمِّ ؛ تفاؤُلاً أوِ استهزاءً

والكُنيةُ ما صُدِّرَتْ بأبٍ أو أُمٍّ ، أوِ ابنٍ أو بنتٍ

فالاسمُ كزيدٍ ، وخالدٍ ، وعمرٍو ، وعيسىٰ ، وموسىٰ

واللقبُ كفخرِ الدِّينِ ، وعَلَمِ الدِّينِ ، وسيفِ الدَّولةِ ، وعَضُدِ الدَّولةِ ، والحاكمِ بأمرِ اللهِ ، والمستعينِ باللهِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنْ ألقابِ الخُلفاءِ والسلاطينِ وسائرِ الناسِ ، وكبطَّةَ ، وأنفِ الناقةِ

والكُنيةُ كأبي بكرٍ ، وأبي حفصٍ ، وأُمِّ هانئٍ ، وأُمِّ كُلثومٍ ، وابنِ بطوطةَ ، وابنِ المراغةِ ، وبنتِ بري [2]

وقد أمرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالمبادرةِ إلىٰ وضعِ الكُنىٰ ،

---

(١) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (١٢٦/١) .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها (بنت برح) ، وهي الشدة

فقالَ « اكْنُوا أَوْلَادَكُمْ قَبْلَ أنْ تَغْلِبَ عَلَيْهِمُ الْأَلْقَابُ »[1] ، ونهى اللهُ جلَّ ذكرُهُ في كتابِهِ العزيزِ عنِ التنابزِ ؛ أيِ الترامي بالألقابِ ، فقال ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾[2]

وقد سمَّتِ العربُ بمفرداتٍ

وبمركباتٍ تامَّةٍ ؛ كـ (بَرَقَ نَحرُهُ) و(تَأَبَّطَ شرّاً) و(شابَ قرناها)

وبمُركَّبٍ ناقصٍ إضافيٍّ ؛ كـ (عبدِ شمسٍ) و(أبي قُحافةَ)

وبمُركَّباتٍ مزجيَّةٍ ؛ بمزجِ الكلمتَينِ وجعلِهِما كلمةً واحدةً ؛ كـ (بعلبكَّ) و(مَعدِيكربَ) و(سيبويهِ) و(درستويهِ)

وأسماءُ الأشخاصِ للنَّاسِ ، والبلادِ ، والأقطارِ ، والجبالِ ، والبحارِ ، وبعضِ الحيوانِ

وقد عاملَ العربُ بعضَ الأجناسِ معاملةَ الأشخاصِ ، فوضعوا لها أعلاماً أجروا عليها أحكامَ الأعلامِ الشخصيَّةِ ؛ لكونِهِم ميَّزوها مِنْ بينِ الأجناسِ ، ورأَوا بها معنىً خاصّاً ، فهُم لا يزالونَ يستحضرونَها

مِنْ ذٰلكَ تسميتُهُمُ الأسدَ أسامةَ ؛ لظهورِ شرِّهِ عندَهُم ، وخوفِهِم إيَّاهُ ، وتسميتِهِمُ الثعلبَ ثُعالةَ ، وتكنيتِهِ بأبي الحصينِ ؛ لكثرةِ إفسادِهِ في غنمِهِم ، وامتناعِهِ منهُم

وهٰكذا كلُّ جنسٍ سَمَّوهُ ؛ فإنَّهُ لا بدَّ أن يكونَ راعَوْا فيهِ معنىً مميزاً مُحْوِجاً إلىٰ تمييزِهِ وإفرادِهِ بالعبارةِ عنهُ

---

(١) أخرجه الدارقطني ، كما في « أطراف الغرائب والأفراد » (٢٩٩٩) ، وكذا أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٢٠٧٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما

(٢) سورة الحجرات (١١)

وقد سمَّوْا بعض الأجناسِ المعنويَّةِ ؛ فَسمَّوا المَبرَّةَ برَّةَ ، بغيرِ ميمٍ ، وسَمَّوْا الفُجورَ فَجَارِ ؛ كـ (نَزَالِ) ، قالَ الشاعرُ[1] [من الكامل]

إنَّـا ٱقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةَ وَٱحْتَمَلْتَ فَجَارِ

وسَمَّوْا الغدرَ كَيْسَانَ كسكرانَ ، ومنهُ[2] [من الطويل]

إِذَا مَا دَعَوْا كَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولُهُمْ إِلَى ٱلْغَدْرِ أَسْعَىٰ مِنْ شَبَابِهِمُ ٱلْمُرْدِ

وسَمَّوْا اليسرَ يَسَارِ كفَجارِ ، ومنهُ[3] [من الطويل]

فَقُلْتُ ٱمْكُثِي حَتَّىٰ يَسَارِ لَعَلَّنَا نَحُجُّ مَعاً قَالَتْ وَعَاماً وَقَابِلَهْ



(١) هو للنابغة الذبياني في « ديوانه » (ص ٥٥)

(٢) هو للنمر بن تولب في « ديوانه » (ص ٦٠)

(٣) هو لحميد الأرقط كما في « خزانة الأدب » (٦/٣٢٧ ، ٣٣٨)

قسمُ المعارفِ بالواسطةِ[1]

هيَ ستةُ أصنافٍ

الصِنفُ الأوَّلُ الضمائرُ

ضمائرُ المُتكلِّمِ مَعرِفةٌ بقرينةِ حكايتِهِ عن شخصِهِ الحاضرِ ، ومثلُها ضمائرُ المُخاطَبِ ، وضمائرُ الغائبِ لا تُذكَرُ إلَّا بعدَ ذكرِ ما يدلُّ على الغائبِ مِنَ الأسماءِ الظاهرةِ ؛ فلا يجيءُ الضميرُ إلَّا ومعناهُ مُعيَّنٌ ملحوظٌ ، وبيانُ الضمائرِ يأتي بعدُ

الصِنفُ الثاني أسماءُ الإشارةِ

وهيَ أسماءٌ موضوعةٌ لكلِّ مُشارٍ إليهِ بإحدى الجوارحِ حاضرٍ مُبصَرٍ ، ودليلُ أنَّهُ المقصودُ بعينِهِ الإشارةُ إليهِ ، وألفاظُهُ (ذا) لمفردٍ مذكرٍ قريبٍ ، و(ذاكَ) و(ذٰلكَ) لمفردٍ مُذكَّرٍ بعيدٍ أو أبعدَ ، و(ذي) و(ذهِ) و(تِي) و(تِهِ) و(تا) و(ذاتُ) للمفردةِ المؤنثةِ القريبةِ ، و(تِيكَ) و(تلكَ) للبعيدةِ أوِ البُعدىٰ ، و(ذانِ) للاثنَينِ القريبَينِ ، و(ذانِكَ) للبعيدَينِ ، ولا تَدخلُهُ اللامُ ، و(تانِ) للاثنتَينِ القريبتَينِ ، و(تانِكَ) للبعيدتَينِ ، و(أولاءِ) مُشترَكةٌ بينَ جماعتَي الذُّكورِ والإناثِ ، وأهلُ الحجازِ يأتونَ بالهمزةِ بعدَ الألفِ ، وتميمٌ لا ، ويُقالُ في البعدِ (أولـٰئكَ) و(أولاكَ)

ويُشارُ بهـٰذهِ الأسماءِ إلىٰ كلِّ شيءٍ ، وتَختصُّ الأمكنةُ بأسماءٍ يُشارُ بها إليها ؛ وهيَ (هنا) للمكانِ القريبِ ، و(هناكَ) و(هنالكَ) و(ثَمَّ) ـ بفتحِ

---

(١) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (١/١٣٨ ـ ١٧٦)

المثلثةِ ـ للبعيدِ ، ويُؤتىٰ عندَ اختلاطِ ما يُشارُ إليهِ بغيرِهِ باسمِ جنسِ المُشارِ إليهِ ؛ ليَتِمَّ بهِ التمييزُ ؛ فتقولُ ذٰلكَ الرجلُ ، وذٰلكَ الكتابُ

الصِّنفُ الثالثُ الأسماءُ الموصولةُ

وهيَ أسماءٌ تُعبِّرُ بها عنِ الشيءِ الذي علمتَ أنَّ مُخاطبَكَ عرفَهُ بسببِ اطلاعِهِ علىٰ حالٍ مِنْ أحوالِهِ عَيَّنَتْهُ عندَهُ ، فالواسطةُ في تعيينِهِ عهدُ المُخاطَبِ إيَّاهُ بتلكَ الحالِ ، والعبارةُ عنِ الحالِ التي هيَ صفةُ معنى الموصولِ تُسمَّىٰ صلةً ، وللصلةِ أحكامٌ تُبيَّنُ عندَ الكلامِ على الجملِ مِنْ قسمِ النحوِ

الأسماءُ الموصولةُ هيَ (الذي) للمفردِ المذكرِ ، و(التي) للمفردةِ المؤنثةِ ، و(اللَّذانِ) للاثنَينِ ، و(اللَّتانِ) للاثنتَينِ ، و(الذِينَ) و(الأُلىٰ) لجماعةِ الذكورِ ، و(اللَّاتِي) و(اللائِي) لجماعةِ الإناثِ ، وهٰذهِ الأسماءُ تُسمَّىٰ بالموصولاتِ المُختصَّةِ(١)

ومِنَ الموصولاتِ أسماءٌ تُسمَّىٰ بالموصولاتِ المُشترَكةِ ؛ وهيَ (مَنْ) لذوي العِلْمِ ، و(ما) لغيرِهِم ، و(أل) و(أيْ) كـ (ما)

وتُستعمَلُ الأسماءُ الموصولةُ في أجناسٍ ، وفي جميعِ أفرادِ جنسٍ ، وفي فردٍ معهودٍ ، وضابطُ ما يُستعمَلُ في جميعِ الأفرادِ أن يَصِحَّ دخولُ (كلِّ) عليهِ ، وضابطُ ما يُستعمَلُ في الجنسِ أَلَّا يَصِحَّ دخولُ (كلِّ) عليهِ

مثالُ ما يُرادُ بهِ الجنسُ (الذي تثيرُ بهِ الأرض ، وتسقي الحرثَ نوعُ لحمِهِ داءٌ ، ولبنُهُ شفاءٌ) فإنَّهُ لا يَصِحُّ أن تقولَ (كلُّ واحدٍ نوعُ)

ومثالُ ما يُرادُ بهِ جميعُ الأفرادِ قولُكَ (اللهُ يعلمُ الذي غابَ ، والذي حضرَ) فإنَّه يَصِحُّ أن تقولَ (اللهُ يعلمُ كلَّ شيءٍ غابَ ، وكلَّ شيءٍ حضرَ)

---

(١) المختصة ؛ أي التي ليست بمشتركة

ومثالُ ما يُرادُ بهِ واحدٌ معهودٌ قولُكَ (الذي كانَ عندَنا أمسِ رجلٌ آتاهُ اللهُ الحكمةَ وفصلَ الخطابِ)

الصِّنفُ الرابعُ [المُحلَّىٰ بـ (أل)]

الشيءُ المعهودُ القائمُ الصورةِ في الذهنِ بسببِ حضورِهِ أو شهرتِهِ يُعبَّرُ عنهُ باسمِ جنسِهِ مُفتتَحاً بكلمةِ (أل) ويُسمَّىٰ حرفَ التعريفِ

وحينَئذٍ يُسمَّى الاسمُ المقرونُ بها ذا الأداةِ والمُحلَّىٰ بـ (أل) نحوُ خذِ الكتابَ ، واقرأ الكتابَ بينَ يدَيكَ ، وقَدِمَ الأميرُ ، ونحوُ ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ ﴾[1]

ويُستعمَلُ ذو الأداةِ كما يُستعمَلُ الموصولُ ، وعندَ استعمالِهِ في الجنسِ تُسمَّىٰ (أل) (أل) الجنسيَّةَ ، وعندَ استعمالِهِ في جميعِ الأفرادِ تُسمَّىٰ (أل) الاستغراقيةَ ، وعندَ استعمالِهِ في المعهودِ تُسمَّى العهديَّةَ

مثالُ ما يُستعمَلُ في الجنسِ قولُكَ (الرجلُ خيرٌ مِنَ المرأةِ) فإنَّ المعنىٰ هٰذا النوعُ إجمالاً خيرٌ مِنْ هٰذا النوعِ ، ولا يَسوغُ أن تلاحظَ في التفضيلِ تفصيلَ الأشخاصِ ؛ فلو قلتَ (كلُّ رجلٍ خيرٌ مِنْ كلِّ امرأةٍ) كذبَ الكلامُ بـ (مريمَ) مثلاً وكثيرٍ مِنَ الرجالِ ، ونظيرُ ذٰلكَ (القائمُ أكثرُ مِنَ القاعدِ ، والماشي أقلُّ مِنَ الراكبِ) إذ لا يمكنُ أن تقولَ (كلُّ قائمٍ أكثرُ) لأنَّ الواحدَ لا يُوصَفُ بالكثرةِ

ومثالُ استعمالِهِ في المعهودِ : قولُكَ : (صبيحةَ يومِنا جاءَ الرجلُ وأخبرَني بكذا) لمعهودٍ بينَكَ وبينَ مُخاطَبِكَ

---

(١) سورة المزمل (١٥ ـ ١٦)

الصِّنفُ الخامسُ   المُضافُ لشيءٍ مِنَ المعارفِ

ويُستعمَلُ كما يُستعمَلُ الموصولُ وذو الأداةِ ، والأحكامُ تُميّزُ المرادَ مِنْ جنسٍ وغيرِهِ ؛ فما يُرادُ بِهِ الجنسُ هوَ موضوعُ القضيَّةِ الطبيعيَّةِ ، وما يُرادُ بِهِ جميعُ الأفرادِ هوَ موضوعُ القضيةِ الكليةِ ، وما يُرادُ بِهِ شخصٌ مُعيَّنٌ مِنَ الأعلامِ والضمائرِ وأسماءِ الإشارةِ والموصولاتِ وذي الأداةِ والمُضافاتِ . هوَ موضوعُ القضيَّةِ الشخصيَّةِ

وقد يُرادُ بالأشياءِ التي لها الاستعمالاتُ الثلاثةُ واحدٌ ما ملحوظٌ تَعيُّنُهُ بتعيُّنِ جنسِهِ ، حيثُ يَحصُلُ الغرضُ بواحدٍ مِنْ آحادِ الجنسِ ؛ فهوَ مُعيَّنٌ مِنْ جهةٍ ، مُبهَمٌ مِنْ جهةٍ ، ويُسمَّى المعهودَ الذهنيَّ ؛ مثلُ قولِكَ (ادخلِ السُّوقَ فاشترِ لنا طعاماً) فإنَّكَ لا تريدُ سُوقاً بشخصِهِ ، بل تريدُ واحداً مِنْ هٰذا الجنسِ لحصولِ الغرضِ ، فتعريفُ الموصولِ وذي الأداةِ والمضافِ أربعةُ أنواعٍ ، لكلِّ نوعٍ مواضعُ تخصُّهُ مِنَ الكلامِ

الصِّنفُ السادسُ   الاسمُ المقرونُ بـ (يا)

المطلوبُ بِهِ إقبالُ شخصٍ بعينِهِ مُتوجَّهٍ إليهِ ؛ مثلُ : (يا رجلُ ، ويا زيدُ)

فالمعارفُ سبعٌ   مَعرِفةٌ بنفسِها ؛ وهيَ الأعلامُ الشخصيَّةُ ، والأعلامُ الجنسيَّةُ ، والعلمُ الجنسيُّ بمنزلةِ ذي الأداةِ الذي يُرادُ بِهِ الجنسُ ، إلَّا أنَّ الإشارةَ إلى التعيُّنِ بنفسِ اللفظِ في الأولِ ، وبكلمةِ (أل) في الثاني



قِسْمُ اسمِ الجنسِ الجوهريِّ الجامدِ

هوَ كإنسانٍ ، وحيوانٍ ، وأسدٍ ، وحَجَرٍ ، وشجرٍ ، وماءٍ ، ونارٍ ، ويُقسَمُ إلىٰ ثلاثةِ أنواعٍ

- نوعٌ يُسمَّىٰ أسماءَ الجنسِ الأحاديَّةَ
- ونوعٌ يُسمَّىٰ أسماءَ الجنسِ الجمعيَّةَ
- ونوعٌ يُسمَّىٰ أسماءَ الجنسِ الإفراديَّةَ

فالأوَّلُ : هوَ ما وُضِعَ للجنسِ ليُرادَ بهِ كلُّ واحدٍ مِنْ آحادِهِ لا يَتميَّزُ بهِ واحدٌ عن واحدٍ ؛ كإنسانٍ ، وأسدٍ ، وشجرةٍ ، ومَدَرةٍ

الثاني : هوَ ما وُضِعَ للجنسِ يُستعمَلُ في كلِّ جماعةٍ مِنْ جماعاتِ الجنسِ إلى الجميعِ ، فلا يُستعمَلُ في غيرِ الجماعةِ ؛ كشجرٍ ، ومَدَرٍ ، وتمرٍ ، وبقرٍ

وهـٰذانِ النوعانِ فيما إذا تَفصَّلَتْ أفرادُ الأجناسِ وتَشخَّصَتْ ؛ بحيثُ تُعَدُّ فيكونُ فيها الآحادُ والجماعاتُ ، وإذا دخلَتْ على اسمِ الجنسِ الجمعيِّ التاءُ صارَ للواحدِ ؛ كشجرٍ وشجرةٍ ، ومَدَرٍ ومَدَرةٍ ، ورملٍ ورملةٍ ؛ فذو التاءِ للواحدِ ، والمُجرَّدُ منها للجماعةِ ، إلَّا في لفظِ (كَمْءٍ وكمأةٍ) ، فذو التاءِ للجماعةِ ، والمُجرَّدُ للواحدِ

والثالثُ ما وُضِعَ ليُستعمَلَ في الكثيرِ والقليلِ منهُ حيثُ لم تكنْ لهُ آحادٌ مُفصَّلةٌ مُتميِّزةٌ ؛ كأسماءِ السَّوائلِ ؛ مِنْ ماءٍ ، وزيتٍ ، وسَمْنٍ ، وعسلٍ ؛ فإنَّ المُفصَّلَ منها لو جمعتَهُ صارَ شيئاً واحداً ، بخلافِ الأجناسِ ذوي الآحادِ

قسمُ المصدرِ

عرفتَ المرادَ به ، ولفظُهُ يكونُ علىٰ صورٍ كثيرةٍ يأتي شرحُها في قسمِ الصَّرفِ ، ومعناهُ مُطلَقٌ يَتقيَّدُ بالنسبِ إلىٰ مُتعلَّقاتِهِ ، ويَتبيَّنُ في قسمِ النحوِ ، كما أنَّ الكلامَ علىٰ قسمَيِ الفعلِ والمُشتقِّ يأتي بعضُهُ في قسمِ الصَّرفِ ، وبعضُهُ في قسمِ النحوِ



قسمُ الحروفِ

بيانُ معاني حروفِ المعاني مِنْ وظيفةِ عِلْمِ متنِ اللغةِ ، وتُذكَرُ في عِلْمِ النحوِ لاحتياجِهِ إلىٰ [بعضِها] ، ورأيتُ إيرادَها في هٰذا الموضعِ لتجيءَ المسائلُ الموقوفةُ علىٰ معرفتِها بينةً واضحةً ، ليسَ فيها إحالةٌ ؛ فنقولُ

[أحرفُ الإضافةِ]

سبعةَ عشرَ حرفاً تُسمَّىٰ أحرفَ الإضافةِ ؛ لكونِها لربطِ معنىٰ كلمةٍ بمعنىٰ كلمةٍ ، والمربوطُ يُسمَّىٰ مُتعلِّقاً بكسرِ اللامِ ، والمربوطُ بهِ يُسمَّىٰ مُتعلَّقاً بفتحِها ؛ وهيَ (مِنْ ، وإلىٰ ، وعن ، وعلىٰ ، وعدا ، وحاشا ، وخلا ، وفي ، وكافٌ ، ولامٌ ، وباءٌ ، [وواوٌ] ، وتاءٌ ، ومُذْ ، ومُنْذُ ، وحتىٰ ، وكي)

الكلام في (مِنْ) بكسرِ الميمِ وسكونِ النونِ ، وتُفتَحُ لوقوعِ (أل) بعدَها ، وتُكسَرُ لوقوعِ ساكنٍ آخَرَ ، [وهيَ] مُشترِكةٌ بينَ معانٍ

ـ **الأوَّلُ** كونُ موضعٍ أو وقتٍ ـ وهما مدلولُ ما بعدَها ـ مَبدأَ مسافةِ فعلٍ ؛ وهوَ مدلولُ ما قبلَها ؛ **مثالُهُ** (سعيتُ مِنَ الصَّفا ، وطُفتُ مِنَ الصُّبحِ)

ـ **الثاني** كونُ ما بعدَها عِلَّةً لِمَا قبلَها ؛ **مثالُهُ** (أكرمتُكَ مِنْ عِلْمِكَ) وكثيراً ما يُذكَرُ بعدَها كلمةُ (أَجْلِ) فيُقالُ (مِنْ أَجْلِ عِلْمِكَ)

ـ **الثالثُ** كونُ ما قبلَها مُبعِّضاً لِمَا بعدَها ؛ **مثالُهُ** (أنفقْ مِنْ مالِكَ يُخلَفْ عليكَ)

ـ الرابعُ كونُ شيءٍ بدلَ شيءٍ بتعويضٍ أو بغيرِ تعويضٍ ؛ مثالُهُ (ارغبْ في الأعلىٰ مِنَ الأدنىٰ)

ـ الخامسُ كونُ ما بعدَها هوَ الجنسَ المرادَ مِنْ أجناسٍ يَحتمِلُها لفظٌ سابقٌ عليها ، وتُسمَّى البيانيَّةَ ؛ مثالُهُ (أنتَ علىٰ ما أسلفتَ مِنْ خيرٍ مأجورٌ)

الكلامُ في (إلىٰ) بكسرِ الهمزةِ ، وألفُها بدلٌ مِنْ ياءٍ تظهرُ في بعضِ الكلامِ ، وهيَ مُشترِكةٌ بينَ معانٍ

ـ الأوَّلُ كونُ ما بعدَها مِنْ مكانٍ أو وقتٍ غايةَ مسافةِ فعلٍ ، وهيَ في مقابلةِ (مِنْ) الابتدائيةِ ؛ تقولُ (سارَ مِنَ المغربِ إلى المَشرِقِ ، مِنَ الصُّبحِ إلى العصرِ)

ـ الثاني كونُ ما قبلَها مصاحباً لِمَا بعدَها ؛ كقولِكَ (فلانٌ شَرَّفَهُ كَرَمُ حَسَبٍ وعُلُوُّ نَسَبٍ إلىٰ طبعٍ نقيٍّ)

ـ الثالثُ كونُ ما بعدَها مفعولاً لِمَا قبلَها لا فاعلاً ، وهـٰذهِ تقعُ في تركيبِ (أحبَّ) في مقابلةِ (لامٍ) تدلُّ علىٰ أنَّ ما بعدَها مفعولٌ لِمَا قبلَها ؛ كقولِكَ (زيدٌ أحبُّ إليَّ مِنْ عمرٍو) فـ (إلىٰ) تدلُّ علىٰ أنَّ ما بعدَها محبوبٌ ، بخلافِ (أحبُّ لي) فاللامُ للدلالةِ علىٰ أنَّ ما بعدَها مُحِبٌّ[1] ، ومثلُ (أحبَّ) (أبغضُ) ، وتُسمَّى (اللَّامُ) و(إلىٰ) في هـٰذا التركيبِ حرفَيِ التبيينِ

---

(١) كذا في الأصل ، والذي في « حاشية الصبان على الأشموني » (٢/٢١٧) (اعلم أن ما بعد « إلى » التبيينية فاعل ، وما قبلها مفعول ، واللام التبيينية بعكس ذٰلك ؛ فإذا قلت « زيد أحب إليَّ » كنت أنت المحِبَّ وزيد المحبوب ، وإذا قلت « زيد أحبُّ لي » كنت أنت المحبوب وزيد المحب)

الكلامُ في (عَنْ) بسكونِ النونِ ، وتُكسَرُ لوقوعِ ساكنٍ بعدَها ، ومعناها كونُ شيءٍ فارقَ شيئاً بعدَ اجتماعٍ

الكلامُ في (علىٰ) (علىٰ) ألفُها بدلٌ مِنْ ياءٍ تظهرُ في بعضِ الكلامِ ، ومعناها كونُ شيءٍ فوقَ شيءٍ حِسّاً أو معنىً ؛ نحوُ (زيدٌ واقفٌ على الأرضِ علىٰ نيَّةِ المَشْيِ)

الكلامُ في (عدا) و(حاشا) و(خلا) معنىٰ هٰذهِ الحروفِ كونُ ما بعدَها مصروفاً عنهُ حكمٌ علىٰ أمرٍ شاملٍ للمصروفِ عنهُ وغيرِهِ ؛ مثلُ : (خرجَ أهلُ البلدِ عدا زيدٍ ، وحاشا عمرٍو ، وخلا بكرٍ)

الكلامُ علىٰ (في) هيَ مُشترِكةٌ بينَ معانٍ

ـ الأوَّلُ كونُ ما بعدَها ظرفاً لِمَا قبلَها

ـ الثاني كونُ ما بعدَها سبباً ؛ كقولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « دَخَلَتِ ٱمْرَأَةٌ ٱلنَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا ، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ ٱلْأَرْضِ »(١)

ـ الثالثُ كونُ شيءٍ فوقَ شيءٍ ؛ فهيَ كـ (علىٰ) نحوُ ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾(٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٥) ، ومسلم (٢٢٤٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما

(٢) سورة طه (٧١)

الكلامُ في (الكافِ) هيَ مُشترِكةٌ بينَ معنيَينِ

ـ أحدُهما كونُ ما قبلَها شبيهاً لِمَا بعدَها

ـ وثانيهِما كونُ ما بعدَها عِلَّةً لِمَا قبلَها

مثلُ (زيدٌ كالقمرِ) ، ومثلُ ﴿ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾[1]

الكلامُ في (اللامِ) وهيَ مُشترِكةٌ بينَ معانٍ

ـ أحدُها كونُ ما قبلَها مملوكاً لِمَا بعدَها أو مُنزَّلاً منزلتَهُ

ـ وثانيها كونُ ما بعدَها عِلَّةً

ـ وثالثُها كونُهُ نهايةً[2]

الكلامُ في (الباءِ) هيَ مُشترِكةٌ بينَ معانٍ

ـ أحدُها كونُ ما قبلَها مُلصَقاً بما بعدَها

ـ وثانيها كونُهُ مُصاحِباً ؛ مثلُ (اشترى الفرسَ بسرجِهِ ، وأخذَ الشيءَ برمَّتِهِ وبأسرِهِ)

ـ وثالثُها كونُ ما بعدَها ظرفاً

ـ ورابعُها كونُهُ سبباً ؛ مثلُ : ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ ﴾[3]

---

(١) سورة البقرة (١٩٨)

(٢) مثال الأول ؛ وهو لام الملك (المالُ لزيد) ، ومثال ما نزل منزلة الملك (أدومُ لكَ ما تدومُ لي) ، ومثال الثاني ؛ وهو لام التعليل (زرتُك لشرفك) ، ومثال الثالث ؛ وهو كون اللام بمعنىٰ (إلى) التي لانتهاء الغاية قوله تعالىٰ ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة ٥]

(٣) سورة النساء (١٦٠)

ـ وخامسُها كونُهُ عوضاً

ـ وسادسُها كونُهُ آلةً ، وتُسمَّىٰ باءَ الاستعانةِ

ـ وسابعُها كونُ ما بعدَها مُقسَماً ومحلوفاً بِهِ لتأكيدِ الدَّعوىٰ أوِ الاستعطافِ ، والواوُ والتاءُ كالباءِ في معنى القَسَمِ لغيرِ الاستعطافِ

الكلامُ في (مُذْ) و(مُنْذُ) هما بمعنىٰ (مِنْ) إن صحبَتا زماناً ماضياً ، وبمعنىٰ (في) إن صحبَتا زماناً حاضراً ، وبمعنىٰ (مِنْ) و(إلىٰ) إن صحبَتا زماناً ماضياً بعضُهُ ؛ مثلُ : (مُذْ أوَّلِ يومٍ ، ومُذْ يومِنا ، ومُذْ عامٍ ، ومُذْ يومَينِ)

الكلامُ في (حتىٰ) معناها كونُ ما بعدَها غايةً لِمَا قبلَها في أمرٍ مُرتَّبٍ في الذِّهنِ شَرَفاً أو خِسَّةً ؛ مثلُ (اقرأ العِلْمَ حتى السَّحَرِ)

الكلامُ في (كَيْ) هيَ في هـٰذا البابِ لا تَصحَبُ إلَّا كلمةَ سؤالٍ ؛ وهيَ (ما) مثلُ (كَيْمَهْ) فهيَ للعلَّةِ المطلوبةِ بـ (ما)

[أحرفُ المعاني]

حرفا التشبيهِ هما الكافُ السابقة ، و(كأنَّ) مثلُ (كأنَّ زيداً قمرٌ)

أحرفُ التوكيدِ وهيَ التي تفيدُ بها أنَّكَ جازمٌ بنسبةِ أمرٍ إلىٰ أمرٍ (إنَّ) بكسرِ الهمزةِ ، و(أَنَّ) بفتحِها ، ولامٌ تُسمَّىٰ (لامَ الابتداءِ) نحوُ (لَزيدٌ أفضلُ مِنْ عمرٍو) ، و(قَدْ) وتَختصُّ بالأفعالِ

حرفُ الاستدراكِ (لٰكنَّ) ، والاستدراكُ : رفعُ وَهْمٍ نشأَ مِنَ الكلامِ السابقِ ؛ نحوُ (فلانٌ عالمٌ ، لٰكنَّهُ سيِّئُ الخُلُقِ)

حرفُ التمنِّي (ليتَ) ، والتمنِّي تَشوُّفُ النفسِ وطلبُها حصولَ ما لا يمكنُ أو يَبعُدُ

حرفُ التوقُّعِ (لعلَّ) ، ويُقالُ الترجِّي والترقُّبِ

أحرفُ النَّفْيِ هيَ (ما) و(لا) و(لن) و(لم) و(لمَّا) و(إنْ) و(لاتَ)

أحرفُ الجوابِ (نَعَمْ) و(بلىٰ) و(أَجَلْ) و(جَيْرِ) و(إنَّ) ، و(إيْ)

فـ (نَعَمْ) و(أَجَلْ) و(جَيْرِ) و(إنَّ) لتصديقِ المُخبِرِ ، ووعدِ الطالبِ ، وإعلامِ السائلِ ، و(لا) ضدُّها ، و(بلىٰ) لإبطالِ نَفْيٍ سابقٍ ، و(إيْ) يَغلِبُ وقوعُها بعدَ الاستفهامِ ، ويَصحَبُها القَسَمُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾[1] ، ومنهُ قولُ (إِيوَهْ) بكسرِ الهمزةِ ، والاقتصارِ مِنَ القَسَمِ علىٰ واوِهِ ، وإلحاقِ هاءٍ تُسمَّىٰ هاءَ السكتِ ، تقعُ في مواضعَ مِنْ كلامِ العربِ ، يأتي بيانُها في قسمِ الصَّرفِ



أحرفُ النداءِ وهوَ التصويتُ طلباً للإقبالِ (أَيْ) و(أَيَا) و(آ) و(يا) وهمزةٌ مفردةٌ

---

(١) سورة يونس (٥٣)

حرفُ العَرْضِ وهوَ الطلبُ برفقٍ (أَلَا)

أحرفُ التحضيضِ : وهوَ الطلبُ بشدَّةٍ : (أَلَّا) و(هلَّا) و(لولا) و(لوما)

حرفا الاستفهامِ الهمزةُ و(هلْ) ، (هلْ) لطلبِ التصديقِ ، فيكونُ المُتكلِّمُ بها غيرَ حاكمٍ بوقوعِ النسبةِ ، يَطلُبُ أن تُعلِمَهُ ليحكمَ ، والهمزةُ مثلُها ، ولطلبِ التصوُّرِ ، فيكونُ المُتكلِّمُ بها حاكماً بوقوعِ النسبةِ ، مُتردِّداً بينَ فاعلَينِ ، أو مفعولَينِ ، أو مكانَينِ ، أو زمانَينِ ، أو حالَينِ ، أو غيرِهما ، وبعدَ الهمزةِ التي لطلبِ التصوُّرِ يُؤتىٰ بـ (أَمْ) وتُسمَّىٰ (أمِ) المُتصِلةَ والمُعادِلةَ

همزةُ التسويةِ هيَ التي تقعُ بعدَ (سواءٍ) غالباً ، ويُؤتىٰ معَها بـ (أمِ) المُتصِلةِ ، كما يُؤتىٰ بها معَ همزةِ الاستفهامِ

[أحرفُ الشَّرطِ]

أحرفُ الشرطِ (إنْ) و(لو) و(أمَّا) و(لولا) و(لمَّا)

فـ (إنْ) لتعليقِ حصولِ أمرٍ علىٰ أمرٍ آخَرَ مشكوكٍ في حصولِهِ ، لٰكنْ بفَرْضِ حصولِهِ يلزمُ حصولُ ما علقتَهُ بهِ ووقفتَهُ عليهِ ، وهٰذا هوَ معنىٰ لفظِ (الشَّرْطِ)

وتمامُ الكشفِ عن ذٰلكَ أنَّ كلَّ أمرٍ مُتردِّدٍ بينَ أن يكونَ وألَّا يكونَ لا بدَّ لهُ مِنْ سببٍ يُرجِّحُ أحدَ طرفَيهِ ، وربَّما تَوقَّفَ تَحقُّقُ ما يُرجِّحُهُ السببُ علىٰ شروطٍ ، فمتىٰ وُجِدَ السببُ وتمَّتِ الشروطُ وجبَ حصولُ المُسبَّبِ ؛ مثلُ قولِكَ (إن طلعَتِ الشمسُ ولم يَحجُبْها الغَمامُ أضاءَتِ الآفاقُ) فطلوعُ

الشمسِ سببٌ للإضاءةِ ، وعدمُ حَجْبِ الغَمامِ شرطٌ ، فالعبارةُ الواقعةُ بعدَ (إنْ) عبارةٌ عن سببٍ أو شرطٍ ، فهيَ لتعليقِ الأمورِ المستقبلةِ

وأمَّا (لو) فهيَ لربطِ أمرٍ بأمرٍ والحكمُ باللزومِ بينَهُما في الماضي ، ولها في اللغةِ ثلاثةُ استعمالاتٍ

ـ الأوَّلُ أن يُفادَ بها أنَّ شيئاً انتفىٰ وامتنعَ وجودُهُ لانتفاءِ سببِهِ أو شرطِهِ ؛ كقولِ الشاعرِ (١) [من المتقارب]

فَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا لَطَارَتْ وَلَٰكِنَّهُ لَمْ يَطِرْ

وحينَئذٍ يكونُ المرادُ منها هـٰذا المعنىٰ يُستدرَكُ برفعِ ما يليها ؛ وهوَ المُقدَّمُ ، ليرتَفِعَ ما يليهِ ؛ وهوَ التالي

ـ الاستعمالُ الثاني أن يُفادَ بها أنَّ مضمونَ التالي واقعٌ علىٰ كلِّ حالٍ ؛ وذٰلكَ حيث يُعلَّقُ حصولُهُ علىٰ ما ينافيه ، فإذا كانَ واقعاً معَ ما ينافيهِ فوقوعُهُ معَ ما يلائمُهُ أَولىٰ ؛ كقولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في بعضِ الصَّحابةِ « إِنَّ سَالِماً شَدِيدُ ٱلْحُبِّ لِلهِ ، لَوْ لَمْ يَخَفِ ٱللهَ لَمْ يَعْصِهِ » (٢) ، فعدمُ العصيانِ يلائمُهُ الخوفُ ، فلمَّا عُلِّقَ على المُنافي عُرِفَ أنَّه واقعٌ علىٰ أيِّ حالٍ فُرِضَتْ ، وحينَئذٍ يكونُ المرادُ منها هـٰذا المعنىٰ لا يُستدرَكُ ؛ إذِ الغرضُ التقريرُ

ـ الاستعمالُ الثالثُ أن يُفادَ بها أنَّ بينَ مُقدَّمِها وتاليها لزوماً ؛ فيُستدَلُّ بوقوعِ المُقدَّمِ الملزومِ علىٰ وقوعِ التالي اللازمِ ، ويُستدَلُّ بانتفاءِ التالي اللازمِ على انتفاءِ المُقدَّمِ الملزومِ ، فيُستدرَكُ بثبوتِ المُقدَّمِ ليثبتَ التالي ، ويُستدرَكُ بانتفاءِ التالي لينتفيَ المُقدَّمُ

---

(١) هو أُبي بن أبي سلمى بن ربيعة بن ريَّان ، كما في « الزهرة » (٢/٢٤٣)

(٢) أخرجه بنحوه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/١٧٧) عن سيدنا عمر رضي الله عنه

مثالُ ذٰلك قولُكَ (لو كانَ زيدٌ عالماً أحبَّ العلماءَ ، لٰكنَّهُ عالِمٌ ؛ فهو يُحِبُّ العلماءَ) أو (لٰكنَّهُ لا يُحِبُّ العلماءَ فهوَ ليسَ بعالِمٍ)

ولمَّا كانَ اللازمُ قد يكون لازماً لأكثرَ مِنْ شيءٍ ؛ كالمُسبَّبِ الذي لهُ أسبابٌ كلُّ واحدٍ منها يكفي لوجودِهِ لم يكنْ وجودُ اللازمِ المُسبَّبِ دليلاً علىٰ وجودِ سببٍ بعينِهِ ، ولم يكنِ انتفاءُ سببٍ بعينِهِ دليلاً على انتفاءِ المُسبَّبِ

مثالُ ذٰلك الضَّوءُ ؛ فإنَّهُ يَتسبَّبُ عنِ الشمسِ ويَتسبَّبُ عنِ النارِ ، فلا يكونُ وجودُهُ دليلاً علىٰ وجودِ الشمسِ ، ولا يكونُ انتفاءُ الشمسِ دليلاً على انتفاءِ الضَّوءِ

وهٰذا الاستعمالُ لـ (لو) هوَ المبحوثُ عنهُ في عِلْمِ المَنطِقِ ؛ لأنَّهُ هوَ العِلْمُ الباحثُ عن حالِ الاستدلالِ ، وجميعُ استعمالاتِ (لو) واردةٌ في الكتابِ العزيزِ

ـ فالأوَّلُ كقولِهِ ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ (١) ؛ أي لٰكنَّهُ لم يَعلَمْ فيهِم خيراً ، فلم يُسمِعْهُم

ـ والثاني كقولِهِ ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ (٢) ؛ أي فكلماتُ اللهِ غيرُ متناهيةٍ علىٰ أيِّ حالٍ فُرِض

ـ والثالثُ كقولِهِ ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ (٣) ؛ أي لٰكنَّهُم لمْ يُعِدُّوا ، فهوَ دليلٌ علىٰ عدمِ إرادتِهِمُ الخروجَ

---

(١) سورة الأنفال (٢٣)

(٢) سورة لقمان (٢٧)

(٣) سورة التوبة (٤٦)

وأمَّا كلمةُ (أمَّا) فهيَ للتحقيقِ في صورةِ التعليقِ

مثلاً تقولُ أنا مسافرٌ الحجازَ ، فيقولُ لكَ إنسانٌ إنَّ الوقتَ شديدُ الحرِّ ، والطرقَ مَخوفةٌ ، ولولا ذٰلكَ لصحبتُكَ

فتقولُ : (أمَّا أنا . فمسافرٌ) ومعناهُ : مهما يكنْ مِنْ حرٍّ أو بردٍ أوِ اعتدالٍ ، أو أمنٍ أو خوفٍ فأنا مسافرٌ

استغنَتِ العربُ بكلمةِ (أمَّا) عن (مهما يكنْ) وبيانِ (مهما) ، وزحلقَتِ الفاءَ اللازمةَ لـ (أمَّا) عن موضعِها ، فبانَ أنَّ الغرض مِنْ تركيبِ (أمَّا) هوَ التحقيقُ بصورةِ التعليقِ

وأمَّا (لولا) فهيَ لإفادةِ انتفاءِ شيءٍ لوجودِ آخَرَ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾[1] ؛ أيِ انتفى الفسادُ لوجودِ الدَّفعِ

ويُقالُ في (لولا) (لوما)

وأمَّا (لمَّا) فهيَ لإفادةِ حصولِ أمرٍ لحصولِ سببِهِ في الماضي ؛ مثلُ قولِهِ تعالىٰ ﴿ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ ﴾[2]

وغيرُ سيبويهِ وأتباعِهِ يقولُ إنَّ (لمَّا) هٰذهِ اسمٌ بمعنىٰ (إذ) مِنْ أسماءِ الزمنِ الماضي[3]

أحرفُ التنبيهِ (يا) و(ألَا) و(أمَا) ويُستفتَحُ بهٰذهِ الكلامُ ، والتنبيهُ يُنبِئُ عنِ الاعتناءِ ، و(ها) وتَصحَبُ أسماءَ الإشارةِ التي ليسَ معَها لامٌ ؛

---

(١) سورة البقرة (٢٥١)

(٢) سورة يونس (٩٨)

(٣) انظر « شرح التصريح على التوضيح » (٣٩/٢ ـ ٤٠)

مثلُ (هٰذا) و(هاذاكَ) فلا يُقالُ (هاذالِكَ) ، وتَصحَبُ ضميراً مصحوباً باسمِ إشارةٍ ؛ مثلُ (هـأنذا) ، و(هـأنتَ ذا) ؛ لدقَّةِ الإشارةِ ، وصغرِ لفظِها ، وغلبةِ الإشكالِ في المُشارِ إليهِ

وتَصحَبُ وتعقبُ كلمةَ (أيٍّ) مثلُ (يا أيُّها الإنسانُ)

أحرفُ التشريكِ بينَ شيئَينِ في حكمٍ أو حصولٍ

الفاءُ و(ثُمَّ) للتشريكِ والترتيبِ ، معَ الاتصالِ في الأُولىٰ والفوريَّةِ ، ومعَ الانفصالِ في الثانية والمهلةِ ؛ مثلُ (قرأَ زيدٌ فعمرٌو) أو (ثمَّ عمرٌو) ، أو (قرأَ زيدٌ فقرأَ عمرٌو) أو (ثمَّ) ، وربَّما أفادَتِ الفاءُ سببيةَ السابقِ للَّاحقِ

والواوُ و(حتىٰ) للتشريكِ المطلقِ ، بترتيبٍ وبغيرِ ترتيبٍ ، باتصالٍ وغيرِهِ ؛ مثلُ (خرجَ زيدٌ وعمرٌو) ، وزيدٌ قبلُ أو بعدُ أو مقارنٌ

لٰكنْ (حتىٰ) لا تكونُ إلَّا معَ ذي أجزاءٍ أو جزئياتٍ ، ويكونُ ما بعدَها غايةً لِمَا قبلَها في خِسَّةٍ أو شرفٍ ؛ مثلُ (خرجَ أهلُ البلدِ للنزهةِ حتى الكنَّاسونَ ، أو أُمراؤُها)

حرفُ الترديدِ للشكِّ ، أوِ التشكيكِ ، أوِ الإبهامِ (أو) مثلُ ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ (١) ، وتكونُ للتخييرِ بينَ أمرَينِ لا يجوزُ جمعُهُما عقلاً أو شرعاً ؛ مثلُ (تكلَّمْ أوِ اسكتْ) ، و(تزوَّجْ

(١) سورة سبأ (٢٤)

هنداً أو أختَها) ، وللإباحةِ عندَ جوازِ الجمعِ ؛ مثلُ (جالسِ العلماءَ أوِ الزُّهَّادَ)

حرفُ الإضرابِ والإعراضِ ؛ أيِ الانتقالِ مِنْ ضَرْبٍ إلىٰ ضَرْبٍ ، وعُرْضٍ ـ بضم العين ـ إلىٰ عُرْضٍ كلمةُ (بلْ) وهيَ مثلُ (جاءَ زيدٌ بل عمرٌو) ، و(أَحسِنْ إلىٰ زيدٍ بل عمرٍو) ظاهرةٌ في صرفِ الحكمِ عنِ الأوَّلِ وتخصيصِهِ بالثاني ، معَ جوازِ اشتراكِهِما ، فإذا قلتَ (لا بل) كانَ صرفُ الحكمِ قطعيّاً ، وفي مثلِ (ما أساءَ زيدٌ بل عمرٌو) و(لا تُهِنْ زيداً بل عمراً) لتقريرِ ما سبقَ ، والانتقالِ بضدِّهِ لِمَا بعدَها ، وما فيهِ تقريرُ السابقِ يُسمَّىٰ إضراباً انتقاليّاً ، وما فيهِ رفعُ السابقِ يُسمَّىٰ إضراباً إبطاليّاً

وتُستعمَلُ كلمةُ (أم) بمعنىٰ (بل) فقطْ ، وبمعنىٰ (بل) والهمزةِ جميعاً في بعضِ الكلامِ ، وحينَئذٍ تُسمَّىٰ (أم) المُنقطِعةَ في مقابلةِ (أمِ) المُتصِلةِ ، التي سبقَ القولُ بأنَّها تكونُ بعدَ همزةِ الاستفهامِ التصوُّريِّ ، وبعدَ همزةِ التسويةِ[1]



حرفُ التفصيلِ (إمَّا) بكسرِ الهمزةِ مثلُ (إمَّا زيدٌ وإمَّا عمرٌو) وتقومُ مقامَ الثانيةِ (أو) مثلُ (إمَّا زيدٌ أو عمرٌو)



حرفُ النَّهْيِ (لا) في مثلِ (لا تَحقِرْ نفسَكَ)

---

(١) انظر (١/١٣٢)

حرفُ الأمرِ اللامُ في مثلِ (لِيَحسُنْ رأيُكَ ، فلْيَزِدْ جِدُّكَ ، ولْتَطِبْ نفسُكَ ، ثمَّ لِتطلُبْ كلَّ خيرٍ) ، وتُسكَّنُ بعدَ الواوِ والفاءِ ، وتُكسَرُ معَ غيرِهِما

حرفُ الاستثناءِ (إلَّا) : مثلُ : (كلُّ الكلامِ حسنٌ ، إلَّا كلاماً أعقبَ شرّاً)

أحرفُ التعليلِ (مِنْ) ، واللامُ ، والكافُ ، والفاءُ ، والباءُ ؛ مثلُ (أكرمْ زيداً مِنْ أنَّهُ حكيمٌ) ، أو (لأنَّهُ) ، أو (كما أنَّهُ) ، أو (فإنَّهُ) ، أو (بأنَّهُ)

أحرفُ الاستقبالِ ـ أيِ التي يكونُ ما بعدَها مُستقبَلاً آتياً لا يَحتمِلُ الكونَ في الحالِ ـ : السينُ ، و(سوفَ) ، و(أنْ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ النونِ ، و(إنْ) بكسرِ الهمزةِ ، و(لن) مثلُ (سيقولُ) ، ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾ [1] ، ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [2] ، و(إن تجهدْ تسعدْ) ، و(لن تَغلِبَكَ صعوبةُ صعبٍ إن صبرتَ وسلكتَ إليهِ مِنْ مسالِكِهِ)

خمسةُ أحرفٍ تُسمَّى الأحرفَ المصدريَّةَ ، والموصولاتِ الحرفيَّةَ ، والأحرفَ السوابكَ ؛ لأنَّها تجعلُ ما بعدَها ـ وهوَ صلتُها مِنْ فعلٍ أو مُشتقٍّ آخَرَ ـ بمنزلةِ مصدرٍ ، فكأنَّها سَبَكَتْ ما بعدَها مصدراً ؛ بحيثُ لو رفعتَها وصلتَها ووضعتَ المصدرَ مكانَهُما استقامَ لكَ الكلامُ ، ولذٰلك تُسمَّىٰ

---

(١) سورة الضحىٰ (٥)

(٢) سورة البقرة (١٨٤)

هـٰذهِ الأحرفُ معَ ما بعدَها المصادرَ التأويليَّةَ ؛ لأنَّها في اللفظِ أحرفٌ وأفعالٌ أو مُشتقَّاتٌ أُخَرُ ، وفي اللَّحظِ هيَ مصادرُ ، والمصادرُ التأويليَّةُ في مقابلةِ المصادرِ الصريحةِ

والأحرفُ المذكورةُ هيَ (أَنْ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ النونِ ، و(أَنَّ) بفتحِ الهمزةِ والنونِ المشدَّدةِ ، و(كَيْ) ، و(ما) ، و(لو) مثلُ (حَسُنَ أن تكتبَ العِلْمَ ؛ لأنَّ الكَتْبَ يَحفظُهُ مِنَ الضَّياعِ ، ولكي تراجعَ الكتابَ متىٰ شئتَ ، وممَّا وُضِعَتِ الكتبُ حُفِظَتِ العلومُ)

وقد يُلحَظُ معَ (ما) هـٰذهِ معنى الوقتِ ، فتُسمَّى المصدريةَ الظرفيةَ ؛ مثلُ (أنتَ حكيمٌ محبوبٌ ما طلبتَ الخيرَ وجهدتَ في تحصيلِهِ) فهوَ علىٰ معنىٰ مُدَّةِ ما طلبتَ الخيرَ ، وعلىٰ تأويلِ مُدَّةِ طلبِكَ

و(أودُّ لو تَتحفَّظُ) و﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (١)

حرفُ الردعِ والزجرِ (كـلَّا) مثلُ ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ كَلَّا ﴾ (٢)

حرفا التفسيرِ (أَيْ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ الياءِ ، و(أَنْ) بالفتحِ فالسكونِ

فـ (أي) تكونُ بعدَ ما يَحتاجُ إلى البيانِ [بلاحقِها] ؛ مثلُ (غضنفرٌ ؛ أي أسدٌ) و(عسجدٌ ؛ أي ذهبٌ)

و(أن) تقعُ بعدَ مُبهَمٍ مذكورٍ أو محذوفٍ مُتعلِّقٍ بفعلٍ في معنى القولِ

---

(١) سورة البقرة (٩٦)

(٢) سورة التكاثر (١ ـ ٣)

دونَ حروفِهِ ؛ كـ (أمرَ) و(أشارَ) ، وما بعدَ (أن) جملةٌ مُفسِّرةٌ للمبهَمِ السابقِ هيَ معناهُ ؛ مثلُ : ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [١]

ومثلُ : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ [٢] ؛ أي [فأوحينا] إليهِ موحىً هوَ اصنعِ الفلكَ

حرفا التوكيدِ الفعليِّ نونٌ ساكنةٌ تُسمَّىٰ نونَ التوكيدِ الخفيفةَ ، ونونٌ مفتوحةٌ مُشدَّدةٌ تُسمَّىٰ نونَ التوكيدِ الثقيلةَ

لا يلحقانِ الأفعالَ الماضيةَ ، ويلحقانِ الأفعالَ الأمريَّةَ عندَ الحاجةِ إلى التوكيدِ

ويلحقانِ المضارعَ وجوباً ؛ إذا كانَ مُستقبَلاً مثبتاً جوابَ قَسَمٍ ؛ مثلُ ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [٣]

وقريباً مِنَ الوجوبِ ؛ إذا كانَ شرطاً لـ (إن) المزيدِ معَها لفظُ (ما) مثلُ ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ [٤]

وكثيراً ؛ إذا كانَ ذا طلبٍ ؛ مِنِ استفهامٍ ، أو تَمَنٍّ ، أو نَهْيٍ ، أو عَرْضٍ ، أو حَضٍّ ؛ مثلُ (هل تصغيَنَّ) ، و(ليتَكَ تَحفَظَنَّ) ، و(لا تَكسَلَنَّ) ، و(ألَا تَدأَبَنَّ) ، و(هلَّا تَطلُبَنَّ)

وقليلاً ـ والأحسنُ تركُهُ والاقتصارُ علىٰ ما سُمِعَ مِنَ العربِ ـ إذا كانَ

---

(١) سورة طٰه (٣٨ ـ ٣٩)

(٢) سورة المؤمنون (٢٧)

(٣) سورة الأنبياء (٥٧)

(٤) سورة الزخرف (٤١)

منفيّاً بـ (لم) أو زِيدَ قبلَهُ لفظُ (ما) كقولِ الشاعرِ [١] [من الطويل]

وَمِنْ عِضَةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا

أو كانَ شرطاً لغيرِ (إمَّا)

ويمتنعُ توكيدُ المضارعِ بِهما في غيرِ هٰذهِ المواضعِ ، فلهُما معَ المضارعِ خمسُ أحوالٍ ، وقد شذَّ بعضُ العربِ فلا يُنطَقُ بمثلِ ما بِهِ نطقَ ، فأكَّدَ الفعلَ الماضيَ الدعائيَّ ؛ تنزيلاً لهُ منزلةَ الأمرِ لاشتمالِهِ علىٰ معنى الطلبِ ، فقالَ [٢] [من الكامل]

دَامَنَّ سَعْدُكِ إِنْ رَحِمْتِ مُتَيَّماً   لَوْلَاكِ لَمْ يَكُ لِلصَّبَابَةِ جَانِحَا

فهوَ بمنزلةِ : اللَّهمَّ ؛ أديمنَّ سعدَها ، وشذَّ بعضٌ آخَرُ ، فأكَّدَ اسمَ الفاعلِ ؛ تنزيلاً لهُ منزلةَ المضارعِ ، فقالَ [٣] [من الرجز]

أَرَيْتَ إِنْ جَاءَتْ بِهِ أُمْلُودَا
مُرَجَّلاً وَيَلْبَسُ ٱلْبُرُودَا
أَقَائِلُنَّ أَحْضِرُوا ٱلشُّهُودَا

فهوَ بمنزلةِ أتقولَنَّ

وللنطقِ بالأفعالِ معَهُما كيفياتٌ لم تكنْ لهُ بدونِهِما ، تقفُ عليها في قسمِ الصَّرفِ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (٢٢/٤) ، والبيت بتمامه

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ سُرِقَ ٱبْنُهُ   وَمِنْ عِضَةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا

وقال (يريد أن الابن يشبه أباه ، فمن رأىٰ هٰذا ظنَّه هٰذا ، فكأن الابن مسروق) ، والشكير ما ينبت حول الشجرة من أصلها ، والعضة واحدة العضاه ؛ شجر

(٢) انظر « شرح الصبان على الأشموني » (٢١٣/٣)

(٣) ديوان رؤبة بن العجاج (ص ١٧٣) ، وانظر « خزانة الأدب » (٤٢٠/١١) ، والأملود الناعم اللين

تكملةٌ للكلامِ علىٰ قسمِ الحروفِ

اعلمْ أنَّ العربَ قد يُسمُّونَ الشيءَ باسمٍ ، ثمَّ يزيدونَهُ حرفاً ويُسمُّونَ بهِ ما هوَ أكبرُ مِنْ ذٰلكَ الشيءِ مِنْ جنسِهِ ؛ ومِنْ هنا قالَتِ العلماءُ (زيادةُ المبنىٰ تدلُّ علىٰ زيادةِ المعنىٰ)

مِنْ ذٰلك : ما حكاهُ الزمخشريُّ عن نفسِهِ قالَ : اجتزتُ يوماً بساحلِ البحرِ ، فرأيتُ رجلاً أعرابيّاً عندَ مَركبَينِ صغيرٍ وكبيرٍ ، فسألتُهُ عنِ اسمِ الكبيرِ ، فأشارَ إلى الصغيرِ وقالَ أليسَ هٰذا الشُّقْدُفَ ؟ فقلتُ لهُ بلىٰ ، فقال فهٰذا [الشِّقِنْدافُ]

إذا وَعَيْتَ هٰذا فاعلمْ أنَّ بعض أحرفِ المعاني تُستعمَلُ في بعضِ الكلامِ زائدةً لا لإفادةِ معنىً ، بل لغرضِ التوكيدِ والتقويةِ ؛ مِنْ بابِ (زيادةُ المعنىٰ بزيادةِ المبنىٰ) وتلكَ الأحرفُ هيَ (مِنْ) ، والباءُ ، واللَّامُ ، و(إن) بكسرِ الهمزةِ ، و(لا) ، و(ما) ، والكاف

فتُزادُ (مِنْ) بعدَ نَفْيٍ أو نَهْيٍ أوِ استفهامٍ داخلةً علىٰ نكرةٍ ؛ مثلُ ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[1] ، و(ما لباغٍ مِنْ مَفَرٍّ)[2] ، و(لن ترىٰ مِنْ أحدٍ يَعرِفُ الخيرَ ولا يأتيهِ ، ولا يجهلُ الشرَّ وهوَ يبتغيهِ) ، و(لا تُخَيِّبْ مِنْ آملٍ وأنتَ قادرٌ)

---

(١) سورة الحاقة (٤٧)

(٢) ألمح إلىٰ قول الإمام ابن مالك في « الألفية » (من الرجز)

وَزِيدَ فِي نَفْيٍ وَشِبْهِهِ فَجَرْ نَكِرَةً كَمَا لِبَاغٍ مِنْ مَفَرْ

وتُـزادُ (الـبـاءُ) كـثيراً بعـدَ نَـفْـيٍ (مـا) و(لـيسَ) مـثـلُ ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ (1)

ومثلُ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (2)

ونـادراً في غيرِهما ، فلا يَسوغُ أن يُحمَلَ فصيحُ الكلامِ عليهِ معَ إمكانِ غيرِهِ ، ومِنَ الشاذِّ قولُهُم (بحَسْبِكَ درهمٌ) فلا يُقالُ في (بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ) يُحتمَلُ زيادةُ الباءِ



وتُـزادُ (الـلَّامُ) في مثلِ (لِلعِلْمِ يكتبُ مَنْ أحبَّهُ) و(زيـدٌ كاتـبٌ للعِلْمِ)

وتُزادُ (إن) بعدَ (ما) النافيةِ في مثلِ (3) [من البسيط]

مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ

وتُـزادُ (مـا) معَ بعضِ أحـرفِ الإضـافـةِ ؛ مـثـلُ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (4) ، و﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ ﴾ (5) ، و﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴾ (6) ،

---

(1) سورة الحاقة (41)

(2) سورة الزمر (36)

(3) انظر « مغني اللبيب » (1/38) ، والشطر للنابغة الذبياني في « ديوانه » (ص 25) ، ورواية البيت فيه

مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أُتِيتَ بِهِ ... إذاً فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي

(4) سورة آل عمران (159)

(5) سورة نوح (25)

(6) سورة المؤمنون (40)

ومثلُ[1] [من الطويل]

وَنَـنْـصُـرُ مَـوْلَانَـا وَنَـعْـلَـمُ أَنَّـهُ كَمَا ٱلنَّاسِ مَجْرُومٌ عَلَيْهِ وَجَارِمُ

وتُزادُ أيضاً بعدَ (أينَ) ، و(أيّ) ، و(إذا) ، و(متىٰ) ، و(حيثُ) ، و(كيفَ) ، و(إنَّ) ، و(أنَّ) ، و(ليتَ) ، و(لعلَّ) ، و(كأنَّ) ، و(لٰكنَّ)

وتُزادُ (لا) بعدَ عاطفٍ علىٰ منفيٍّ ؛ مثلُ (ما جاءَ زيدٌ ولا عمرٌو) ، وبعدَ (أنْ) واللَّامِ ؛ مثلُ ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2]

وتُزادُ (الكافُ) في نحوِ قولِهِ تعالىٰ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[3]

وثَمَّةَ حرفٌ يُقالُ لهُ الشبيهُ بالزائدِ ؛ وهوَ (رُبَّ) وذٰلكَ أنَّهُ يُذكَرُ معَ أحرفِ الإضافةِ ، وقد عرفتَ أنَّ حرفَ الإضافةِ يفيدُ معنىً ويَحتاجُ إلىٰ مُتعلَّقٍ ، وبذٰلكَ سُمِّيَ حرفاً أصليّاً ، وما لا يفيدُ معنىً ولا يَحتاجُ لمُتعلَّقٍ يُسمَّىٰ : زائداً ، فلفظُ (رُبَّ) لكونِهِ يفيدُ معنىً وهوَ غيرُ مُحتاجٍ إلىٰ مُتعلَّقٍ سُمِّيَ شبيهاً بالزائدِ والأصليِّ

ومعنىٰ (رُبَّ) تكثيرُ شيءٍ أو تقليلُهُ ؛ مثلُ قولِ الشاعرِ[4] [من الخفيف]

رُبَّمَا تَكْرَهُ ٱلنُّفُوسُ مِنَ ٱلْأَمْـ ـرِ لَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ [ٱلْعِقَالِ]

---

(١) انظر « همع الهوامع » (٢/٤٧٦)

(٢) سورة الحديد (٢٩)

(٣) سورة الشورىٰ (١١)

(٤) هو أمية بن أبي الصلت في « ديوانه » (ص ٤٤٤)

وقولِ الآخَرِ (١) [من الخفيف]

رُبَّـهُ فِـتْـيَـةً دَعَـوْتُ إِلَـىٰ مَـا يُـكْـسِـبُ ٱلْـمَـجْـدَ دَائِـبـاً فَـأَجَـابُـوا

وقولِ آخَرَ (٢) [من المديد]

رُبَّـمَـا أَوْفَـيْـتُ فِـي عَـلَـمٍ تَـرْفَـعَـنْ ثَـوْبِـي شَـمَـالَاتُ

وتُستعمَلُ في مَقامِ التسليةِ ، والإدلالِ ، والافتخارِ ، والامتنانِ ، والتهديدِ ، وتُحذَفُ (رُبَّ) ويُعوَّضُ عنها الواوُ ، ويُقالُ لها (واوُ ربَّ) كقولِ الشاعرِ (٣)

وَفِـتْـيَـةٍ زَهَـرُ ٱلْآدَابِ بَـيْـنَـهُـمُ أَزْهَـىٰ وَأَزْهَـرُ مِـنْ زَهْـرِ ٱلْـبَـسَـاتِـينِ

مَشَوْا إِلَى ٱلرَّاحِ مَشْيَ ٱلرُّخِّ وَٱنْصَرَفُوا وَٱلرَّاحُ تَمْشِي بِهِمْ مَشْيَ ٱلْفَرَازِينِ

وقولِ آخَرَ (٤) [من البسيط]

وَلَـيْـلَـةٍ بِـتُّ أُسْقَـىٰ فِـي غَـيَـاهِـبِـهَـا رَاحاً تَـسُـلُّ شَـبَـابِـي مِـنْ يَـدِ ٱلْـهَـرَمِ

مَا زِلْتُ أَشْرَبُهَا حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ غَزَالَةِ ٱلصُّبْحِ تَرْعَىٰ نَرْجِسَ ٱلظُّلَمِ

وقولِ آخَرَ (٥) [من السريع]

وَأَهْـيَـفٍ [مُـبْـتَـسِـمٍ] عَـنْ حَـبَـبْ مُـوَرَّدِ ٱلْـخَـدِّ مَـلِـيـحِ ٱلـشَّـنَـبْ

يَـلُـومُـنِـي ٱلْـعَـاذِلُ فِـي حُـبِّـهِ وَمَـا دَرَىٰ شَـعْـبَـانُ أَنِّـي رَجَـبْ

انتهى الكلامُ علىٰ معاني الحروفِ ، ولها أحكامٌ يجيئُكَ تفصيلُها في قسمِ النحوِ

---

(١) انظر « مغني اللبيب » (٦٣٨/٢)

(٢) انظر « مغني اللبيب » (١٨٠/١)

(٣) هو السري الرفاء في « ديوانه » (ص ٤٥٥) ، والبيت من البسيط

(٤) هو مجير الدين ابن تميم ، كما في « الوافي بالوفيات » (٢٣٢/٥)

(٥) انظر « ديوان الصبابة » (ص ١٧١ ـ ١٧٢)

التقسيمُ الثاني مِنْ تقاسيمِ فقهِ اللغةِ

[في الخاصِّ والمُشترَكِ][1]

اللفظُ الواحدُ

ـ إمَّا أن يكونَ موضوعاً وضعاً أصليّاً لمعنىً واحدٍ ، ويُسمَّىٰ **مُختصّاً** ككثيرٍ مِنْ أسماءِ الأجناسِ

ـ وإمَّا أن يكونَ موضوعاً وضعاً أصليّاً لأكثرَ مِنْ معنىً ، ويُسمَّىٰ **مُشترَكاً**

ـ وإمَّا أن يكونَ موضوعاً وضعاً أصليّاً لمعنىً ، وتبعيّاً لجميعِ ما يناسبُ ذٰلكَ المعنىٰ ، ولهُ بهِ علاقةٌ وارتباطٌ ؛ كالمشابهةِ ، واللُّزومِ ، والسببيَّةِ ، والكليَّةِ ، والجزئيَّةِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ العلاقاتِ بينَ المعاني

ويُسمَّى اللفظُ باعتبارِ الوضعِ الأصليِّ **حقيقةً** ، وباعتبارِ الوضعِ التبعيِّ **مجازاً** إن كانَتِ المناسبةُ مَرعيَّةً حالةَ الوضعِ والاستعمالِ دائماً

فإن كانَتِ المناسبةُ مرعيةً حالةَ الوضعِ فقطْ ؛ بحيثُ صارَ المعنى الثاني الذي وُضِعَ لهُ اللفظُ وضعاً تبعيّاً هوَ الذي يتبادرُ إلى الأفهامِ عندَ استعمالِ اللفظِ ، ويكونُ المعنى الأوَّلُ مهجوراً غيرَ ملحوظٍ عندَ الاستعمالِ سُمِّيَ اللفظُ **منقولاً** ؛ فإن كانَ الناقلُ عامَّةَ الناسِ سُمِّيَ **حقيقةً عرفيَّةً** ، وإن كانَ الناقلُ الشرعَ سُمِّيَ **حقيقةً شرعيةً** ، وإن كانَ الناقلُ أهلَ فنٍّ مِنَ الفنونِ سُمِّيَ **حقيقةً اصطلاحيةً**

فالأوَّلُ كلفظِ (الدابَّةِ) كانَ اسماً لكلِّ ما يَدِبُّ علىٰ وجهِ الأرضِ ، ثمَّ

---

(١) انظر « معيار العلم » (ص ٨٦)

تعارفَهُ الناسُ اسماً لذواتِ الأربعِ ، وكـ (النجمِ) كانَ اسماً لكلِّ كوكبٍ ، ثمَّ تعارفَهُ الناسُ اسماً للثريَّا ، وعليهِ وردَ قولُهُ تعالىٰ ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[1] ، والمثلُ (إذا طلعَ النجمُ عِشاءً ابتغى الراعي كساءً) ، وكـ (العقبةِ) كانَ اسماً لكلِّ كُديةٍ[2] تَعترِضُ في الطريقِ ، ثمَّ تعارفَهُ الناسُ اسماً لـ (عقبةِ أيلةَ) التي في طريقِ أهلِ مصرَ إلى الحجازِ ، وهٰذا النوعُ غيرُ كثيرٍ

والثاني كـ (الصَّلاةِ ، والطَّهارةِ ، والوُضوءِ ، والتيممِ ، والصَّومِ ، والزَّكاةِ) إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الألفاظِ التي نقلَها الشرعُ عن معانيها اللغويةِ إلىٰ معانٍ تَجدَّدَتْ بتجدُّدِ الإسلامِ

والثالثُ كلفظِ (الفاعلِ ، والمفعولِ ، والحالِ ، والتمييزِ) إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الألفاظِ التي نقلَها أهلُ النحوِ ، وكذٰلكَ أكثرُ ألفاظِ الفنونِ العلميَّةِ

ثمَّ الحقائقُ تارةً تُستعمَلُ في معانيها وهيَ المرادةُ بالإفادةِ ، وتارةً تُستعمَلُ في معانيها والمرادُ بالإفادةِ غيرُها مِنَ المعاني المناسبةِ لها ، وحينَئذٍ تُسمَّى الحقائقُ بالاعتبارِ الأوَّلِ صرائحَ ، وبالاعتبارِ الثاني كناياتٍ

مثالُ ذٰلكَ (زيدٌ كثيرُ الرمادِ) والرَّمادُ ما تبقيهِ النارُ بعدَ انتهاءِ فعلِها ؛ فتارةً يكونُ المرادُ الإخبارَ بكثرةِ رمادِ زيدٍ فقطْ ؛ كأن يكونَ خبَّازاً أو طبَّاخاً ، وتارةً يكونُ المرادُ الإخبارَ بكرمِ زيدٍ ؛ فإنَّ كثرةَ الرمادِ دليلٌ علىٰ كثرةِ الإحراقِ ، وكثرةَ الإحراقِ دليلٌ علىٰ كثرةِ الخبزِ والطبخِ ، وكثرةَ الخبزِ والطبخِ دليلٌ علىٰ كثرةِ الأَكَلَةِ ، وكثرةَ الأَكَلَةِ دليلٌ علىٰ كثرةِ الضُّيوفِ وسماحِهِ لهُم بما ملكَتْ يداهُ واختصَّ بحيازتِهِ

---

(١) سورة النجم (١)

(٢) الكدية ما ارتفع من الأرض وكان فيه غلظ وصلابة

وتفصيلُ العلاقاتِ بينَ المعاني ، وتنويعُها إلىٰ أنواعٍ بسببِها تَنوَّعَ المجازُ ، وبيانُ أنواعِ الكنايةِ قد وُضِعَ لهُ فنٌّ هوَ المُسمَّىٰ بـ (فنِّ البيانِ)

[المُشترَكُ ولطائفُهُ]

وأمَّا المُشترَكُ فلا بدَّ مِنْ تفصيلِهِ في هـٰذا الموضعِ نوعاً مِنَ التفصيلِ ، وبيانِ ما تسهلُ بسببِهِ للبلغاءِ مِنَ [اللطائفِ]

فنقولُ المُشترَكُ واجبُ الوقوعِ ؛ لأنَّ الأشياءَ التي تَستحِقُّ العبارةَ عنها غيرُ متناهيةٍ ، والألفاظَ متناهيةٌ ؛ لكونِها مُؤلَّفةً مِنَ الحروفِ المتناهيةِ ، ولكثرةِ المُشترَكِ ادَّعىٰ بعضُهُم أنَّ المُشترَكَ أكثرُ مِنَ المُختصِّ ، واستدلَّ بأنَّ جميعَ الحروفِ مُشترَكةٌ ، والأفعالَ الماضيةَ مُشترَكةٌ بينَ الدعاءِ والإخبارِ ، والأفعالَ المضارعةَ مُشترَكةٌ بينَ الحالِ والاستقبالِ ، والأَفعالَ الأمريَّةَ مُشترَكةٌ بينَ الطلبِ الجازمِ والإباحةِ والتخييرِ والتهديدِ ، وكثيرٌ مِنَ الأسماءِ مُشترَكةٌ ؛ فإذا ثبتَ أنَّ قسمَينِ وبعض الثالثِ مِنْ أقسامِ الكلمةِ مِنَ المُشترَكِ ثبتَ أنَّ المُشترَكَ أكثرُ مِنَ المُختصِّ ، لـٰكنَّ الاستقراءَ مُبطِلٌ دعواهُ

[من أغراضِ اشتراكِ المعاني في اللفظِ الواحدِ]

ولتشريكِ المعاني في اللفظِ الواحدِ أغراضٌ

منها : **التوريةُ بالشيءِ عن غيرِهِ لدفعِ المحذورِ معَ الصدقِ** [1] ؛ كما رُوِيَ أنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يومَ خرجَ معَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُهاجرَينِ إلى المدينةِ سألَهُ رجلٌ مَنْ هـٰذا الذي معَكَ ؟ فقالَ لهُ : هـٰذا رجلٌ يهديني السبيلَ [2]

---

(١) انظر « عروس الأفراح » (٣٤٤/٤)

(٢) أخرجه البخاري (٣٩١١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه

فالهدايةُ مُشترَكةٌ بينَ تعريفِ ما ينبغي وما لا ينبغي مِنَ الأعمالِ ، وبينَ الدلالةِ على الطريقِ المُوصِلِ إلى الجهةِ المقصودةِ ، فأوهمَ أنَّهُ يريدُ هدايةَ الطريقِ ، وهوَ يريدُ هدايةَ الدِّينِ

ورُوِيَ أيضاً أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا خرجَ يريدُ غزوَ المشركينَ غزوةَ بدرٍ ، وانتهىٰ إلىٰ نصفِ الطريقِ مِنَ المدينةِ إلىٰ مكَّةَ وجدَ رجلاً أعرابيّاً ، فسألَهُ « مَا عِلْمُكَ بِقُرَيْشٍ وَمُحَمَّدٍ ؟ » فقالَ لهُ الأعرابيُّ [ممَّنْ] أنتَ ؟ فقالَ له النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم « حَتَّىٰ تُخْبِرَنِي » فقالَ الأعرابيُّ بلغَني أنَّ قريشاً خرجوا يومَ كذا ، ومحمداً خرجَ يومَ كذا ؛ فإن كانَ هٰذا صِدْقاً فمحمدٌ بموضعِ كذا ، وقريشٌ بموضعِ كذا

ثمَّ استنجزَ الأعرابيُّ الوعدَ ، فقالَ لهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « أَنَا مِنْ مَاءٍ » ومضىٰ ، فأوهمَ أنَّهُ مِنَ العراقِ ؛ لأنَّ مِنْ أسماءِ العراقِ ماءً ، وهوَ يريدُ أنَّهُ مِنْ ماءٍ دافقٍ ، يخرجُ مِنْ بينِ الصُّلبِ والترائبِ [1]

ومِنْ ثَمَّ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إِنَّ فِي ٱلْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ ٱلْكَذِبِ » [2]

[ألفاظٌ وأضدادُها من المشتركِ]

ومِنَ المُشترَكِ ألفاظٌ موضوعةٌ لأشياءَ وأضدادِها سمَّاها نَقَلَةُ اللغةِ بالأضدادِ ؛ فتراهُم يقولونَ مثلاً الجونُ ـ بفتحِ فسكونٍ ـ : الأبيضُ ، والأسودُ ؛ ضِدٌّ

(١) الخبر عند ابن هشام في « السيرة النبوية » (١/٦١٦)

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٤٥٨) عن سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما

مِنْ ذٰلكَ الجَلَلُ للعظيمِ ، والحقيرِ ، قالَ الشاعرُ مِنَ الأوَّلِ[1]   [من الكامل]

قَـوْمِـي هُـمُ قَـتَـلُـوا أُمَـيْـمَ أَخِـي ... فَـإِذَا رَمَـيْـتُ يُـصِـيـبُـنِـي سَـهْـمِـي
فَـلَـئِـنْ عَـفَـوْتُ لَأَعْـفُـوَنْ جَـلَـلاً ... وَلَـئِـنْ سَـطَـوْتُ لَأُوهِـنَـنْ عَـظْـمِـي

ومِنَ الثاني قولُ آخَرَ[2]   [من الرمل]

كُـلُّ شَـيْءٍ مَـا خَـلَا ٱلْـمَـوْتَ جَـلَـلْ ... وَٱلْـفَـتَـىٰ يَـسْـعَـىٰ وَيُـلْـهِـيـهِ ٱلْأَمَـلْ

وقولُ الطُّغرائيِّ[3]   [من البسيط]

فَقُلْتُ أَدْعُوكَ لِلْجُلَّىٰ لِتَنْصُرَنِي ... وَأَنْتَ تَخْذُلُنِي فِي ٱلْحَادِثِ ٱلْجَلَلِ

ومنهُ الغابرُ لماضي الزمنِ وغيرِهِ ، وللآتي

قيلَ ومِنَ الأضدادِ لفظُ (سوىً) فإنَّها تُطلَقُ علىٰ عينِ الشيءِ ، وعلىٰ غيرِهِ ، وخرَّجوا علىٰ ذٰلكَ قولَ حسَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ يمدحُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[4]   [من الطويل]

أَتَـانَـا فَـلَـمْ نَـعْـدِلْ سِـوَاهُ بِـغَـيْـرِهِ ... نَبِيٌّ أَتَىٰ مِنْ عِنْدِ ذِي ٱلْعَرْشِ هَادِيَا

قالوا : إنَّ معناهُ : لم نجعلْ شخصَهُ عديلاً لشخصٍ مِنَ الأشخاصِ المغايرينَ لهُ ، بل فضَّلناهُ على الكلِّ ، وخرَّجَهُ غيرُ هٰؤلاءِ علىٰ أنَّ لفظَ (سوىً) بمعنىٰ (غيرٍ) فقالوا إنَّ معناهُ : لم نشتغلْ بتفضيلِ أحدٍ علىٰ غيرِهِ إلَّا محمداً ؛ فإنَّا مُشتغِلونَ بإثباتِ فضلِهِ علىٰ كلِّ مَنْ عداهُ ، فالضميرُ في (بغيرِهِ) يعودُ علىٰ (سوىً) ، وعلى التخريجِ الأوَّلِ يعودُ الضميرُ على (النبيِّ) ، فإنَّ التقديرَ أتانا نبيٌّ فلم نَعدِلْ شخصَهُ بغيرِهِ

(١) هما للحارث بن وعلة الذهلي ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (١/١٠٧)
(٢) انظر « المزهر في علوم اللغة » (١/٣٩٨)
(٣) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٣)   (٤) كذا في « المزهر » (١/٣٩٢)

[الجناسُ التامُّ من لطائفِ المشتركِ]

ومِنْ لطائفِ المُشتَرَكِ (١) تحسينُ الكلامِ بالنوعِ الذي عدَّهُ أهلُ فنِّ البديعِ مِنَ الأمورِ المُحسِّنةِ وسمَّوهُ الجناسَ التامَّ ، وإنِ ازدراهُ بعضُ فُطناءِ المُتأخِّرينَ ، حتىٰ قالَ مُنفِّراً عنهُ (٢) [من الكامل]

طَبْعُ ٱلْمُجَنِّسِ فِيهِ نَوْعُ قِيَادَةٍ أَوَمَا تَرَىٰ تَأْلِيفَهُ لِلْأَحْرُفِ

وذٰلكَ أنَّ ناساً مِنَ المُتقدِّمينَ لَهِجُوا باستعمالِهِ ، حتى انصرفَتْ أفكارُهُم إلىٰ جهةِ الألفاظِ مُهمِلينَ جانبَ المعاني ، حتىٰ صارَ أكثرُ كلامِهِم ركيكاً مرذولاً ، وأحسنُ الجناسِ ما اقتضاهُ المعنىٰ حتىٰ تكونَ الألفاظُ في مواقعِها مُتمكِّنةً ، ويكونَ الشاعرُ أوِ الناثرُ بريئاً مِنْ تكلُّفِهِ ، ساعياً في الطريقِ الذي نَهَجَهُ بعضُ الأُدباءِ بقولِهِ (٣) [من الوافر]

إِذَا أَحْبَبْتَ قَوْلَ ٱلشِّعْرِ فَٱخْتَرْ لِنَظْمِكَ كُلَّ سَهْلٍ ذِي ٱمْتِنَاعِ
وَلَا تَقْصِدْ مُجَانَسَةً وَمَكِّنْ قَوَافِيَهُ وَكِلْهُ إِلَى ٱلطِّبَاعِ

ومِنَ الجناسِ المقصودِ بِهِ إحصاءُ المعاني التي اشتركَتْ في اللفظِ قولُ يحيى بنِ سلامةَ الحصكفيِّ نسبةً إلىٰ (حصنِ كيفا) إحدىٰ بلادِ الشامِ (٤) ، مِنْ أُدباءِ القرنِ السادسِ ؛ عصرِ أبي محمدٍ الحريريِّ صاحبِ « المَقاماتِ » [من المنسرح]

عَادَكَ عِيدٌ وَطَالَمَا عَادَا وَهٰكَذَا كُلَّمَا ٱنْقَضَىٰ عَادَا
عَدَاكَ عَمَّا تُرِيدُهُ زَمَنٌ لَسْتَ بِقَرْنٍ لَهُ إِذَا عَادَا

---

(١) انظر « عروس الأفراح » (٤/٣٧٧)

(٢) هو الأسعد ابن ممَّاتي ، كما في « خزانة الأدب » للحموي (١/٣٨٣)

(٣) هو ابن الوردي ، كما ذكر في « خزانة الأدب » للحموي (١/٣٨٢)

(٤) انظر « اللباب في تهذيب الأنساب » (١/٣٦٩)

يَجْنَحُ لِلسِّلْمِ مَاكِراً فَإِذَا ... سَالَمَ فَاْعْلَمْ بِأَنَّهُ عَادَا

وَكَمْ عَدَا دَاؤُهُ إِلَىٰ مَلِكٍ ... عَدْوَاهُ مَخْشِيَّةٌ فَمَا عَادَا

قَصَّرَ آمَالَ قَيْصَرٍ وَمَضَىٰ ... يَكْسِرُ كِسْرَىٰ وَقَبْلَهُ عَادَا

فَإِنْ رَمَىٰ صَرْفُهُ عِدَاكَ فَلَا ... تَبْدُ شَمَّاتاً فَرُبَّمَا عَادَا

كَمِ ٱدَّعَىٰ مُدَّعٍ عَلَىٰ وَرَعٍ ... فَٱلْتَزَمَ ٱلْمُدَّعَىٰ وَمَا عَادَا

وَكَمْ عَدَا ظَالِمٌ فَأَبْصَرَ مَنْ ... سُلِّمَ فِيهِ ٱلْمُنَىٰ وَمَا عَادَا

وَكَمْ عَدَا طَالِبٌ فَعِيقَ وَكَمْ ... نَالَ ٱلْمَدَا مَنْ مَشَىٰ فَمَا عَادَا

وَكَمْ مَرِيضٍ أَبَلَّ مِنْ مَرَضٍ ... وَمَاتَ مَنْ طَبَّهُ وَمَنْ عَادَا

فلفظُ (عادَ يعودُ) مُشترَكٌ بينَ ثلاثةِ معانٍ

ـ الأوَّلُ اتخذَ عادةً وديدناً ؛ وهوَ المرادُ بـ (عادَكَ عيدٌ) ، والعيدُ ما تَكرَّرَ ورودُهُ عليكَ مِنَ الأحوالِ ؛ فكلَّما انصرفَ أو قلَّ عادَ

ـ والثاني رجعَ بعدَ ذهابٍ ؛ وهوَ المرادُ بقافيةِ البيتِ الأوَّلِ ، والألفُ المرسومةُ بعدَ الدالِ ليسَتْ مِنَ اللفظِ ، تُرسَمُ في رَوِيِّ الشعرِ المفتوحِ ؛ تُسمَّىٰ ألفَ الإطلاقِ ؛ لإطلاقِ الصوتِ بها ، ولأجلِها يُرسَمُ بالألفِ ما حقُّهُ أن يُرسَمَ بالياءِ ؛ كالقوافي السبعِ مِنْ هـٰذا الشعرِ ؛ وهيَ غيرُ الأُولىٰ والخامسةِ والأخيرةِ ، و(عادَ) في القافيةِ الخامسةِ اسمُ القبيلةِ المشهورةِ المذكورُ معَ (ثمودَ) ، وكانَ اسمَ أبيها ، فسُمِّيَتْ بهِ كما هوَ عادةُ العربِ ؛ يُسمُّونَ القبائلَ بأسماءِ آبائِها

ـ والمعنى الثالثُ لـ (عادَ) : زارَ المريض ؛ وهوَ المرادُ بقافيةِ البيتِ الأخيرِ

وقد جمعَ ثلاثةَ المعاني بعضُ الأُدباءِ يشكرُ أصحابَهُ بقولِهِ [من المجتث]

مَــــرِضْـــــتُ لِلهِ قَـــــوْمٌ ... مَــا فِـيــهِــمُ مَــنْ جَــفَــانِــي

عَــــادُوا وَعَــــادُوا وَعَــــادُوا ... عَــلَى ٱخْــتِــلَافِ ٱلْــمَــعَــانِــي

أي زاروا ، ورجعوا بعدَ انصرافِهِم ، واتخذوهُ عادةً

و(عدا يعدو) مُشتَرَكٌ بينَ أربعةِ معانٍ

ـ عداهُ عنِ الأمرِ صرفَهُ عنهُ ، وربَّما قيلَ : (عادَهُ) بالقلبِ ؛ وهوَ مِنْ سَنَنِ العربِ ، ويُسمَّى القلبَ المكانيَّ ؛ لكونِهِ تقديمَ حرفٍ عن مكانِهِ وتأخيرَ آخَرَ ، فلا يَرِدُ نقضاً علىٰ حصرِ معاني (عادَ)

ـ وعدا الداءُ مِنْ موضعِهِ إلىٰ غيرِهِ لم يَقتصِرْ عليهِ ، وجاوزَهُ إليهِ

ـ وعدا عليهِ بغىٰ وظلمَ

ـ وعدا أَحْضَرَ ؛ أي جرىٰ شديداً

و(عادىٰ) علىٰ صيغةِ المغالبةِ مُشتَرَكةٌ بينَ سبعةِ معانٍ ، نَسرُدُها علىٰ ترتيبِ القوافي

ـ عاداهُ صارفَهُ ؛ أي غالبَهُ في الصَّرفِ والعطفِ عنِ الوجهةِ

ـ وعاداهُ كانَ عدوّاً مثلَ ما كانَ

ـ وعاداهُ جاوزَهُ وتحامىٰ أن يصلَ إليهِ

ـ وعادىٰ بينَ الشيئَينِ والىٰ بينَهُما ؛ كأن يوالِيَ بينَ صيدَينِ

فـي طَـلَـقٍ ؛ أي شـوطٍ واحـدٍ ؛ مِـنَ الـعَـدْوِ ، وقـالَ امـرؤُ القـيسِ يصفُ حصانَهُ[1] [من الطويل]

فَـعَـادَىٰ عِـدَاءً بَـيْـنَ ثَـوْرٍ وَنَـعْـجَـةٍ   دِراكـاً وَلَـمْ يُـنْـضَـحْ بِـمَـاءٍ فَـيُـغْـسَـلِ

ـ وعاداه قابلَهُ بالظلمِ والبغيِ

ـ وعاداه إلى الحاكمِ رافعَهُ بالخصومةِ إليهِ

ـ وعاداهُ جاراهُ

ومِنْ هـٰذا النوعِ قولُ المذكورِ[2] [من الوافر]

أَقُـولُ فَـرُبَّـمَـا نَـفَـعَ ٱلْـمَـقَـالُ   إِلَـيْـكَ سُـهَـيْـلُ إِذْ طَـلَـعَ ٱلْـهِـلَالُ

تُـكَـاثِـرُنِـي [بِـآلَاتِ ٱلْـمَـعَـانِـي]   وَكَـيْـفَ يُـكَـاثِـرُ ٱلْـبَـحْـرَ ٱلْـهِـلَالُ

وَتَـطْـمَـعُ أَنْ تَـنَـالَ ٱلْـمَـجْـدَ قَـبْـلِـي   وَأَنَّـىٰ تَـسْـبِـقُ ٱلـنُّـجُـبَ ٱلْـهِـلَالُ

وَتُـبْـطِـنُ شِـرَّةً فِـي لِـيـنِ مَـسٍّ   كَـمَـا لَانَـتْ مَـعَ ٱلـشَّـرِّ ٱلْـهِـلَالُ

وَتَـبْـسِـمُ حِـيـنَ تُـبْـصِـرُنِـي نِـفَـاقـاً   وَشَـخْـصِـي فِـي جَـوَانِـحِـكَ ٱلْـهِـلَالُ

وَتَـنْـتَـظِـرُ ٱلـدَّوَائِـرَ بِـي وَلَـٰكِـنْ   عَـلَـيْـكَ تَـدُورُ بِـٱلـشَّـرِّ ٱلْـهِـلَالُ

كَـأَنَّ وُجُـوهَـكُـمْ فِـي ذُلِّ مَـثْـوىً   وَفَـرْطِ صَـلَابَـةٍ فِـيـهَـا ٱلْـهِـلَالُ

وَأَعْـرَاضٍ أُذِيـلَـتْ[3] لِـلْأَهَـاجِـي   كَـمَـا تَـبْـدُو عَـلَـى ٱلْـقَـدَمِ ٱلْـهِـلَالُ

وَمَـا تُـغْـنِـي ٱلْـكَـتَـائِـفُ[4] فِـي صُـدُوعٍ   بِـهَـا أَنْ يَـرْأَبَ ٱلـصَّـدْعَ ٱلْـهِـلَالُ

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٢٢)

(٢) يعني يحيى بن سلامة الحصكفي ، وانظر « خريدة القصر » (٤٨٩/١٧) ، وهو الجزء الثاني من شعراء الشام

(٣) في « خريدة القصر » (٤٨٩/١٧) (وأعراضاً أُذيلت)

(٤) في « خريدة القصر » (٤٨٩/١٧) (الكثائف)

وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَلْزَمُكُمْ كِتَابٌ   وَأَعْقَلُ مِنْ لَبِيبِكُمُ ٱلْهِلَالُ

للهلالِ ثمانيةَ عشرَ معنىً ، ذكرَها صاحبُ « القاموسِ » ، وأتىٰ هٰذا الشاعرُ منها بعشرةٍ ، فلم يفِ بالمقصودِ مِنْ مثلِ هٰذا الشعرِ ، والذي ذكرَهُ الهلالُ المعروفُ ، وبقيةُ الماءِ في الحوضِ ، والناقةُ الهزيلةُ ، والحيةُ ، والحربةُ ذاتُ الحدَّينِ يُعرقَبُ بها الصيدُ ، والرحا ، ونعلُ الدابةِ ، وجمعُ (هَلّ) بفتحِ الهاءِ كالهَلْهَلِ ؛ وهوَ الثوبُ لا يُضَمُّ نسجُهُ ، والقطعةُ مِنَ السلكِ يُشعَبُ بها الإناءُ ؛ وهيَ الكتيفةُ ، واحدةُ الكتائفِ ، والطفلُ الصغيرُ

وفيما ذكرَهُ بعضُ مخالفةٍ لِمَا في « القاموسِ » ، ومثلُ هٰذا الشعرِ كثيرٌ ، ولكونِ المقصودِ منهُ ما أسلفنا يُحتمَلُ ركاكتُهُ ، ويُرمىٰ بالقصورِ أوِ التقصيرِ مَنْ لم يُوفِّهِ حقَّهُ مِنِ استيفاءِ المعاني المُشترَكةِ في اللفظِ

[ألغازٌ فقهيةٌ من لطائفِ المشتركِ]

ومِنْ لطائفِ المُشترَكِ أن تَمكَّنَ بعضُ الأدباءِ مِنْ وَضْعِ أسئلةٍ فقهيَّةٍ يكونُ الجوابُ عنها مخالفاً للشرعِ بحَسَبِ المعنى المتبادرِ مِنَ المُشترَكِ ، موافقاً بحَسَبِ غيرِهِ ، وسمَّوهُ فُتيا فقيهِ العربِ ؛ مِنْ ذٰلكَ ما وضعَ الحريريُّ في (المَقامةِ الثانيةِ والثلاثينَ) مِنْ « مقاماتِهِ »[1] السؤالَ علىٰ لسانِ شابٍّ عربيٍّ ، والجوابَ علىٰ لسانِ أبي زيدٍ السروجيِّ ، قالَ (ما تقولُ فيمَنْ تَوضَّأَ ثمَّ لمسَ ظهرَ نَعْلِهِ ؟ قالَ انتقض وضوءُهُ مِنْ فعلِهِ) المتبادرُ مِنَ النَّعلِ المَداسُ ، ولمسُهُ لا يَنقضُ الوضوءَ ، وغيرُ المتبادرِ الزوجةُ ، ولمسُها يَنقضُ الوضوءَ

قالَ (فإن تَوضَّأَ ثمَّ أتكأَهُ البردُ ؟ قالَ يُجدِّدُ الوضوءَ مِنْ بعدُ) أتكأَهُ

(١) مقامات الحريري (ص ٢٣٨)

أضجعَهُ علىٰ مرفقِهِ ، والمُتبادَرُ مِنَ البردِ ضدُّ الحَرِ ، وإتكاؤُهُ صاحبَهُ لا يُبطِلُ الوضوءَ ، ولا يُوجِبُ تجديدَهُ ، والبردُ النومُ ، ومِنْ كلامِهِم (منعَ البردُ البردَ) وإتكاءُ النومِ صاحبَهُ بحيثُ يُخرِجُهُ عنِ التمكُّنِ مُبطِلٌ للوضوءِ

قالَ (أيمسحُ المُتوضِّئُ أنثيَيهِ ؟ قالَ قد نُدِبَ إليهِ ، ولم يجبْ عليهِ) ، المتبادرُ مِنَ الأُنثيَينِ الخِصيتانِ ، وليستا مِنْ أعضاءِ الوضوءِ ، والأنثيانِ الأذنانِ ، ومسحُهُما في الوضوءِ مطلوبٌ محبوبٌ غيرُ لازمٍ

قالَ (أيجوزُ التوضُّؤُ ممَّا يَقذفُهُ الثُّعبانُ ؟ قالَ وهل ماءٌ أنظفُ منهُ [للعُربانِ]) ، المُتبادرُ مِنَ الثُّعبانِ الحيوانُ المعروفُ ، ولا يجوزُ التوضُّؤُ ممَّا يَقذِفُهُ مِنْ لُعابِهِ وغيرِهِ ، والثُّعبانُ جمعُ ثَغْبٍ بفتحٍ فسكونٍ ؛ وهيَ مناقعُ الماءِ يَقَرُّ فيها فيصفو

قالَ (أَيُستباحُ ماءُ الضريرِ ؟ قالَ نعمْ ، ويُجتنَبُ ماءُ البصيرِ) المُتبادرُ مِنَ الضَّريرِ فاقدُ البصرِ ، ومِنَ البصيرِ واجدُهُ ، وماؤُهُما ـ وهوَ المنيُّ ـ مُجتنَبٌ لا يجوزُ استعمالُهُ ، والضَّريرُ حرفُ الوادي ، وماؤُهُ كماءِ وَسَطِهِ ، والبصيرُ : الكلبُ

قالَ (أيَحِلُّ التطوُّفُ في الربيعِ ؟ قالَ [يُكرَهُ] ذٰلكَ للحدثِ الشنيعِ) ، المُتبادرُ مِنَ الربيعِ زمانُ نضارةِ النباتِ وكثرةِ الأعشابِ ، والتطوُّفُ تردُّدُ الإنسانِ في البلادِ لحوائجِهِ ، وذٰلكَ أمرٌ جائزٌ أو واجبٌ في أيِّ زمنٍ ، والتطوُّفُ قضاءُ الحاجةِ ، والربيعُ النهرُ الصغيرُ ، وقضاءُ الحاجةِ فيهِ مكروهٌ ؛ للنهيِ عنِ البولِ في الماءِ الدائمِ ؛ أيِ الراكدِ

ومضى الحريريُّ علىٰ هٰذا حتى استتمَّ مئةَ مسألةٍ مِنْ أبوابِ الفقهِ ،

وحذا حذوهُ في ذٰلكَ [الحصكفيُّ] المُقدَّمُ ذكرُهُ[1] ، فوضعَ مسائلَ ؛ منها (ما تقولُ في قاطعِ الطريقِ ؟ قالَ لم يزغْ عنِ التحقيقِ) ، الطريقُ النخلُ القِصارُ

قالَ (ما تقولُ في قتلِ العاقلِ ؟ قالَ حلَّ وإن كانَ غيرَ واقلٍ) العاقلُ التيسُ الوحشيُّ ، والواقلُ الصاعدُ في الجبلِ

قالَ (فما تقولُ في ركوبِ الخيلِ ؟ قالَ هوَ بريدُ الويلِ) الخيلُ الظنُّ

قالَ (فما تقولُ في ركوبِ الداية ؟ قال حلَّ كصيدِ الجداية) الدايةُ : في ظهرِ الدابةِ ، والجدايةُ الظبيةُ الفتيَّةُ

وقد ألَّفَ بعضُ أهلِ اللغةِ في المُشترَكِ مُؤلَّفاتٍ سَمَّوها « شجرَ الدرِّ »[2] ؛ وذٰلكَ أنَّهُم سلكوا في التأليفِ كيفيةً بها يمكنُ وضعُ الكلامِ علىٰ صورةِ شجرةٍ ذاتِ أصلٍ وفروعٍ ؛ وذٰلكَ أنَّ المُؤلِّفَ منهُمُ اختارَ كلمةً مُشترَكةً ، فصدَّرَ بها الكلامَ ، وبَيَّنَ أحدَ معانيها بلفظٍ مُشترَكٍ ، وتركَ معناهُ المُتبادرَ ، وبَيَّنَ معنىً آخَرَ لهُ بلفظٍ مُشترَكٍ ، وعملَ فيهِ ما عملَ في سابقِهِ ، وهٰكذا حتىٰ وقفَ عندَ حدٍّ ، ثمَّ قالَ (فرعٌ) وأتىٰ بالكلمةِ التي صَدَّرَ بها ، وفسَّرَها بمعنىً آخَرَ ، ومضىٰ علىٰ تلكَ الصورةِ حتى استوفىٰ معانيَ الكلمةِ الأُولىٰ

وهٰذا مثالُهُ (العَيْنُ عينُ الوجهِ ، والوجهُ القصدُ ، والقصدُ الكسرُ ، والكسرُ جانبُ الخِباءِ ، والخِباءُ مصدرُ خابَأْتُ الرجلَ ؛ إذا خبأْتَ لهُ خَبْئاً ، وخَبَأَ لكَ مثلَهُ ، والخَبْءُ السَّحابُ ؛ مِنْ قولِهِ تعالىٰ ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ

(١) انظر (١/١٥١)

(٢) هو أبو الطيب اللغوي ، كما في « المزهر » (١/٤٥٤)

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١] ، والسَّحابُ اسمُ عِمامةٍ كانَتْ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وسلَّمَ ، والنبيُّ التلُّ العالي ، والتلُّ مصدر التليلِ ؛ وهوَ المصروعُ علىٰ وجهِهِ ، والتليلُ صَفحُ العُنُقِ ، والعُنُقُ الرِّجْلُ مِنَ الجرادِ)[٢]

ثمَّ قالَ (فرعٌ[٣] والعَيْنُ عينُ الشمسِ ، والشمسُ شِمَاسُ الخيلِ ، والخيلُ الوَهْمُ ، والوَهْمُ الجملُ الكبيرُ ، والجملُ دابَّةٌ مِنْ دوابِّ البحرِ ، والبحرُ الماءُ المِلْحُ ، والمِلْحُ الحُرْمةُ ، والحُرْمةُ ما كانَ للإنسانِ حراماً علىٰ غيرِهِ ، وحَرامٌ حيٌّ مِنَ العربِ ، والحيُّ ضدُّ الميتِ

فرعٌ والعَيْنُ النقدُ ، والنقدُ ضَرْبُكَ أذنَ الرجلِ أو أنفَهُ بإصبَعِكَ ، والأُذُنُ الرَّجُلُ القابلُ لِمَا يسمعُ ، والقابلُ الذي يأخذُ الدَّلْوَ مِنَ الماتحِ ، والدلوُ السيرُ الرفيقُ ، والرفيقُ الصاحبُ ، والصاحبُ سيفٌ ، والسيفُ مصدرُ سافَ مالُهُ ؛ إذا أودىٰ ، وأودى الرَّجُلُ إذا خرجَ مِنْ إحليلِهِ الوَدْيُ ، والوَدْيُ الفسيلُ

فرعٌ والعَيْنُ موضعُ انفجارِ الماءِ ، والانفجارُ انشقاقُ عَمودِ الصبحِ ، والصُّبحُ جمعُ أصبحَ ؛ وهوَ لونٌ مِنْ ألوانِ الأسودِ ، واللَّونُ الضَّربُ ، والضَّربُ الرجلُ المهزولُ ، والمهزولُ الفقيرُ ، والفقيرُ المكسورُ فِقَرِ الظَّهْرِ ، والفقرُ البوادرُ ، والبوادرُ أُنوفُ الجبالِ ، والأُنوفُ الأوائلُ مِنْ كلِّ شيءٍ ، والواحدُ أُنفٌ بضمِّ الهمزةِ ، وفي النونِ الضمُّ والسكونُ

فرعٌ والعَيْنُ عينُ الميزانِ ، والميزانُ برجٌ في السماءِ ، والسماءُ أعلىٰ متنِ الفَرَسِ ، والمتنُ الصلبُ من الأرضِ ، والأرضُ قوائمُ الدابَّةِ ،

---

(١) سورة النمل (٢٥)

(٢) انظر « المزهر » (١/٤٥٤)

(٣) أي عودة للكلمة كما بيَّنَ المؤلف ، علىٰ أن الفرع هنا بمعنىٰ غصن الشجرة

والقوائمُ جمعُ قائمةٍ ؛ وهيَ الساريةُ ، والساريةُ المُزنةُ تنشأُ ليلاً ، واللَّيلُ فَرْخُ الكَرَوَانِ ، والفرخُ ما اشتملَتْ عليهِ قبائلُ الرأسِ مِنَ الدِّماغِ ، والقبائلُ مِنَ العربِ دونَ الأحياءِ

فرعٌ والعَيْنُ مطرٌ لا يُقلِعُ أياماً ، ومطرٌ حيٌّ مِنْ أحياءِ العربِ ، والأحياءُ جمعُ حياءِ الناقةِ ، والحياءُ الاستحياءُ ، والاستحياءُ الاستبقاءُ ، والاستبقاءُ التماسُ النظرةِ ، والالتماسُ الجماعُ ، والجماعُ ضدُّ الفِراقِ ، والفِراقُ جمعُ فَرَقٍ ؛ وهوَ ظرفٌ يَسَعُ ستينَ رطلاً ، والفرقُ جمعُ فارقٍ ، والفارقُ مِنَ النوقِ والأتنِ التي تذهبُ علىٰ وجهِها عندَ الولادةِ ، فلا يُدرىٰ أينَ تُنتَجُ

فرعٌ : والعَيْنُ : رئيسُ القومِ ، والرئيسُ : المُصابُ في رأسِهِ بعصاً أو غيرِها ، والرأسُ زعيمُ القبيلةِ ؛ أي سيِّدُها ، والزعيمُ الصَّبيرُ ؛ أيِ الكفيلُ ، والصَّبيرُ السحابُ الأبيضُ المُتراكِمُ أعناقاً في الهواءِ

فرعٌ والعَيْنُ نفسُ الشيءِ ، والنفسُ ملءُ الكفِّ مِنْ دباغٍ ، والكفُّ الذَّبُّ ، والذَّبُّ الثورُ الوحشيُّ ، والثورُ : قُشورُ القصبِ تعلو علىٰ وجهِ الماءِ ، والقصبُ رهانُ الخيلِ

فرعٌ والعَيْنُ الذهبُ ، والذهبُ زوالُ العقلِ ، والعقلُ الشدُّ ، والشدُّ الإحكامُ)[1]

وعلىٰ هـٰذا سياقُ تأليفِ المُشجَّرِ في المُشترَكِ

وكلُّ لفظٍ تَعدَّدَ معناهُ يجبُ عندَ استعمالِهِ أن يكونَ مقروناً بما يُعيِّنُ المرادَ منهُ ؛ حيثُ كانَ الغرضُ مِنَ الكلامِ الإفادةَ والاستفادةَ ، ولمَّا كانَ

(١) انظر « المزهر » (١/٤٥٤ ـ ٤٥٩)

الكلامُ عندَ أُمَّةِ العربِ كأنَّهُ صنعتُهُمُ التي بإتقانِها يتفاخرونَ ، وفي أحكامِها يَتفاوتونَ ، حتىٰ قيلَ خطيبٌ مِذْرَهٌ ، ومِصْقَعٌ ، وشاعرٌ مُفْلِقٌ وبليغٌ كانَ المجازُ والمُشترَكُ لِمَا فيهِما مِنَ المحاسنِ الكلاميَّةِ والمقاصدِ في المحاوراتِ لازمَينِ للغةِ العربيةِ ، ومَنْ لم يَقِفْ مِنَ الأعاجمِ علىٰ مرادِ اللغةِ منهُما وانتفاعِ أهلِها بهِما عدَّهُما مِنْ عيوبِ اللغةِ ، واللهُ يهدي مَنْ شاءَ لِمَا شاءَ



التقسيمُ الثالثُ

[في الأسماءِ المتباينةِ والمترادفةِ والمتكافئةِ] [1]

العددُ مِنَ اللفظِ

ـ إمَّا أن يُوضَعَ لمعانٍ متخالفةٍ مِنْ ذواتٍ ، أو صفاتٍ ، أو موصوفاتٍ ؛ كإنسانٍ وفرسٍ ، ونطقٍ وصهيلٍ ، وناطقٍ وصاهلٍ ، وهـٰذا النوعُ يُسمَّى : **الألفاظَ المتباينةَ**

ـ وإمَّا أن يُوضَعَ لمعنىً واحدٍ دونَ اعتبارِ أحوالٍ زائدةٍ على الشيءِ الموضوعِ لهُ ؛ كالحنطةِ والبُرِّ والقمحِ ، وهـٰذا النوعُ يُسمَّى **الألفاظَ المترادفةَ**

ـ وإمَّا أن يُوضَعَ لمعنىً واحدٍ باعتبارِ أحوالٍ زائدةٍ على الشيءِ الموضوعِ لهُ ؛ كالصَّارمِ والعَضْبِ والباترِ للسيفِ ، وهـٰذا النوعُ يُسمَّى **الألفاظَ المتكافئةَ** ، ومنهُ أسماءُ اللهِ تعالىٰ ؛ مِنَ العليمِ والقادرِ والمُقتدِرِ وغيرِها ، ويُقالُ لهـٰذا النوعِ الأوصافُ التي غلبَتْ عليها الاسميةُ ؛ لأنَّها عندَ استعمالِها لا يُقصَدُ بها إلَّا إحضارُ المُسمَّىٰ دونَ التوصيفِ

وادعىٰ بعضُ أهلِ اللغةِ أنَّ المترادفَ مُتكافِئٌ ، وتَكلَّفَ تبيينَ الاعتباراتِ في بعضِ الألفاظِ ، والجمهورُ علىٰ ما فصَّلنا

وفائدةُ المترادفِ التوسيعُ على الشاعرِ والناثرِ ؛ فإذا لم يوافقِ اللفظُ وزناً أو سلاسةً عَدَلَ إلىٰ مرادفِهِ الموافقِ ، قالَ المقَّرِيُّ في « مزدوجتِهِ » في تعريفِ الحُبِّ [2] [من الرجز]

فَـإِنْ تَـشَــأْ فَـقُـلْ عَـذَابٌ يَـعْـذُبُ ... أَوْ ضَـرَبَـانٌ فِـي ٱلْـهَـوَىٰ أَوْ ضَـرَبُ

---

(١) انظر « معيار العلم » (ص ٨٠)

(٢) انظر « مجموع مزدوجات مستغربات » (ص ٢) ، وأوله مزدوجة المقري

فلفظُ (الضَّرَبِ) مرادفٌ للفظِ (العسلِ) ، فلمَّا لم يوافقْ لفظُ (العسلِ) عدلَ إلىٰ مرادفِهِ ، ومضىٰ في شعرِهِ

ومعرفةُ ذٰلكَ في الشعرِ سهلةٌ ، وفي النثرِ تحتاجُ إلىٰ دقَّةِ نظرٍ ، ولطفِ حِسٍّ ، وفضلِ ذوقٍ

وقد تَتعدَّدُ الأسماءُ للشيءِ المُسمَّىٰ باسمٍ واحدٍ بسببِ تنوُّعِهِ لملاحظةِ قيودٍ ؛ بحيثُ لا يكونُ الاسمُ مِنْ تلكَ الأسماءِ مُحضِراً لجميعِ أنواعِ ذٰلكَ الشيءِ ؛ كالمتكافئِ والمترادفِ ، فلا تكونُ منهُما ؛ وذٰلكَ كالكأسِ والكوبِ والكوزِ والقدحِ ؛ فإنَّ القدحَ اسمٌ لكلِّ ما تتناولُ بهِ الماءَ وتشربُ منهُ ، والكأسُ : اسمٌ للقدحِ الممتلئِ مِنَ الماءِ أو غيرِهِ ، والكوبُ : اسمٌ للقدحِ الذي لا عروةَ لهُ ، والكوزُ اسم للقدحِ الذي لهُ عروةٌ

وكالدَّلوِ والذَّنُوبِ والسَّجْلِ ؛ فالدَّلوُ اسمٌ لِمَا يُشَدُّ في الرشا ليُستخرَجَ مِنَ البئرِ بهِ الماءُ ، والذَّنُوبُ اسمٌ لهُ بشرطِ أن يكونَ ممتلئاً

ومِنْ ذٰلكَ أسماءُ الصوتِ المختلفةُ بحَسَبِ اختلافِ الإضافةِ ؛ كصوتِ الريحِ في الشجرِ يُسمَّىٰ حفيفاً ، وفي الفلواتِ دَوِيّاً ، وكلُّ صوتِ شيءٍ لهُ اسمٌ يَخصُّهُ ؛ كرُغاءِ الجملِ ، وخُوارِ البقرِ ، ونُباحِ الكلابِ ، وعُواءِ الذئابِ

وهٰذا يُسمِّيهِ أهلُ اللغةِ المُطلَقَ والمُقيَّدَ ؛ فإذا أردتَ إفادةَ الخاصِّ وجبَ أن تأتيَ باسمِهِ ، ولم يَصِحَّ أن تأتيَ بالاسمِ العامِّ إلَّا إذا تركتَ الإيجازَ إلى الإطنابِ ؛ فتقولُ مثلاً الحفيفُ ربَّما نشأَ مِنْ شدَّتِهِ الدُّوارُ ، أو تقولُ صوتُ الريحِ في الأشجارِ ، وهٰذهِ الألفاظُ التي سَمَّوها مُطلقاً ومُقيَّداً داخلةٌ في قسمِ المتباينِ ؛ لكونِها مِنْ أسماءِ الأنواعِ المُشترَكةِ في أمرٍ ، المُتميِّزةِ بآخَرَ



التتميمُ

[في ذكرِ أربعةِ أنواعٍ من الأسماءِ العامةِ]

أوردنا في هٰذا التتميمِ أربعةَ أنواعٍ مِنَ الأسماءِ العامَّةِ ؛ أي أسماءِ الأجناسِ ؛ وهيَ أسماءُ الشرطِ ، وأسماءُ الاستفهامِ ، وأسماءُ الأزمانِ ، والضمائرُ ، وألممنا بكلامٍ عامٍّ على الأفعالِ

أسماءُ الشرطِ

هيَ أسماءٌ ذاتُ معانٍ مُستقِلَّةٍ ضُمِّنَتْ معنىٰ كلمةِ (إنْ) فأغنَتْ عنِ النطقِ بها ؛ وهيَ (مَنْ) لذوي العلمِ ، و(ما) و(مهما) و(أيٌّ) لكلِّ شيءٍ ، و(متىٰ) و(إذا) و(أيَّانَ) للزمانِ ، و(حيثُما) و(أينَ) و(أنَّىٰ) للمكانِ ، و(كيفَما) للحالِ

فقولُكَ (مَنْ يعملْ خيراً لم يلقَ ضيراً) معناهُ (كلُّ شخصٍ إن يعملْ خيراً) ، فلفظةُ (مَنْ) ـ وهيَ حرفانِ ـ أغنتْكَ عن قولِكَ (كلُّ شخصٍ إن) ، وقولُكَ (متىٰ تَجِدَّ تَجِدْ) معناهُ (إن تَجِدَّ في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ) وهٰكذا بيانُ البقيَّةِ

أسماءُ الاستفهامِ

هيَ أيضاً أسماءٌ ذاتُ معانٍ مُستقِلَّةٍ ضُمِّنَتْ معنىٰ همزةِ الاستفهامِ التصوُّريِّ ، فأغنَتْ عن النطقِ بها

وهيَ (مَنْ) و(مَنْ ذا) لذوي العِلْمِ ، و(ما) و(ماذا) و(أيٌّ) لكلِّ شيءٍ ، و(متىٰ) للزمانِ ، و(أينَ) للمكانِ ، و(كيفَ) للحالِ ، و(أنَّىٰ)

تكونُ بمعنىٰ (مِنْ أينَ) فهيَ للمكانِ ، وتكونُ بمعنىٰ (كيفَ) فهيَ للحالِ ، و(كم) للعددِ

فإذا قلتَ : (مَنْ عندَكَ ؟) . فمعناهُ : أزيدٌ عندَكَ ، أم عمرٌو ، أم بكرٌ ؟ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنْ كلِّ شخصٍ يجوزُ أن يكونَ عندَكَ ، فلفظةُ (مَنْ) أغنتْكَ عنِ الهمزةِ و(أم) وما يُعجِزُكَ مِنْ سَرْدِ الأسماءِ

وإذا قلتَ (كيفَ زيدٌ ؟) فمعناهُ أمستقيمٌ زيدٌ أم مُعْوَجٌّ ؟ صحيحٌ أم مريضٌ ؟ حاضرٌ أم غائبٌ ؟ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأحوالِ الممكنةِ ، فلفظةُ (كيفَ) أغنَتْ عن هٰذا

وإذا قلتَ (كم بيتاً تحفظُ ؟) فمعناهُ أعشرينَ بيتاً أم ثلاثينَ أم مئةً أم ألفاً ؟ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ العددِ ، فلفظةُ (كم) مغنيةٌ عن هٰذا التفصيلِ ، وهٰكذا بيانُ البقيَّةِ

أسماءُ الزمانِ

نقلتُ هٰذا البابَ وتفسيرَهُ مِنْ « مُقدِّمةِ الأدبِ » للزمخشريِّ ، يذكرُ المفردَ وما وردَ لهُ مِنْ جمعٍ ، قالَ[1]

بابٌ

- (م) وقتٌ ، (ج) أوقاتٌ
- (م) حِينٌ ، (ج) أحيانٌ
- (م) أَجَلٌ مُدَّةُ بقاءِ الشيءِ ، (ج) آجالٌ
- (م) أَوَانٌ ـ بفتحِ الهمزةِ ، وكسرُها لغةٌ ـ : وقتُ وجودِ الشيءِ ، (ج) آوِنةٌ .

---

(١) مقدمة الأدب (ص ٣) ، مع تصرُّفٍ في بيان بعض المفردات من « القاموس المحيط » وغيره

ـ (م) إبَّانٌ وقتُ صلاحِ الشيءِ وإقبالِ نضرتِهِ ، وزنُهُ فِعْلَانٌ ؛ مِنْ أبَّ الشيءُ ؛ أي تَهيَّأَ ، (ج) أبابينُ

ـ (م) دهرٌ اسمٌ للزمنِ مُعتبَراً اتصالُهُ ، بخلافِ الزمانِ ؛ فإنَّهُ يُعتبَرُ فيهِ التفصيلُ إلى الساعاتِ والأيامِ والشهورِ والفصولِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، (ج) دُهورٌ أدهارٌ

ـ (م) حُقْبٌ ـ بضمٍّ فسكونٍ ـ : مُدَّةٌ طويلةٌ ؛ ثمانونَ سنةً أو أكثرُ ، ويُضَمُّ ثانيهِ ، (ج) حِقابٌ وأحقابٌ

ـ (م) حِقْبٌ بكسرٍ فسكونٍ ، (ج) حِقَبٌ ؛ كعِنَبٍ

ـ (م) بُرْهةٌ ـ بضمٍّ فسكونٍ ، وتُفتَحُ باؤُها ـ : قطعةٌ مِنَ الزمنِ ، والسَّبتُ ، بفتحٍ فسكونٍ ، والسُّباتُ بضمِّ سينِهِ الدَّهرُ ، والسَّبتُ والسَّبتةُ والسَّنْبةُ والسَّنْبَتَةُ البُرْهةُ « قاموس »

ـ (م) مَنُونٌ مِنْ أسماءِ الدَّهرِ ؛ مأخوذٌ مِنْ (مَنَّ) بمعنىٰ قطعَ ؛ لكونِهِ قَطُوعاً غيرَ وَصُولٍ ، علىٰ صيغةِ المبالغةِ ، ورَيبُ المَنُونِ ورُيوبُهُ حوادثُ الدَّهرِ

ـ (م) عَصْرٌ ـ بفتحٍ فسكونٍ وبضمتَينِ ـ : مُدَّةُ الجيلِ ، (ج) أعصارٌ وعُصورٌ

ـ (م) أُمَّةٌ طائفةٌ مِنَ الزمنِ ، ومنهُ قولُهُ تعالىٰ ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾[1]

ـ (م) زمنٌ ، (ج) أَزمُنٌ

ـ (م) زمانٌ ، (ج) أَزمِنةٌ ، وصَرْفُ الزَّمانِ وصُروفُهُ تغيُّراتُهُ وتنقُّلاتُ أحوالِهِ

---

(١) سورة يوسف (٤٥)

ـ (م) فترةٌ ، [(ج) فَتَراتٌ][1]

ـ (م) قَرْنٌ مئةُ سنةٍ ، (ج) قُرونٌ

ـ (م) سَنَةٌ ، (ج) سِنُونَ وسنواتٌ وسَنَهَاتٌ ، وتقولُ سانيتُ وسانهتُ ، وآجرتُ الدارَ مساناةً ومسانهةً

ـ (م) حَوْلٌ ، (ج) أحوالٌ

ـ (م) حِجَّةٌ بكسرِ الحاءِ ، (ج) حِجَجٌ

ـ (م) عامٌ ، (ج) أعوامٌ

والأسماءُ الأربعةُ[2] لمُدَّةِ اثنيْ عشرَ شهراً ، وتقولُ : أَحُجُّ العامَ ، وحججتُ عاماً أوَّلَ ، وأَحُجُّ القابلَ

ـ (م) فصلٌ اسمٌ لربعِ السنةِ ، (ج) فصولٌ ربيعٌ ، صيفٌ ، خريفٌ ، شتاءٌ شَتْوةٌ [مَشتاةٌ]

ـ (م) شهرٌ ، (ج) شهورٌ وأشهرٌ ، والأشهرُ المعلوماتُ أشهرُ الحجِّ

ـ (م) غُرَّةٌ أوَّلُ الشهرِ

(م) محاقٌ مثلثُ الميمِ ، وسَرَارٌ ، وسَلْخٌ الثلاثةُ آخرُ الشهرِ

أسماءُ الشهورِ المُحرَّمُ ، وصفرٌ ، وشهرُ ربيعِ الأوَّلِ ، وشهرُ ربيعِ الآخِرِ ، وجُمادى الأُولىٰ ، وجُمادى الآخِرةُ ، ورجبٌ ، وشعبانُ ، وشهرُ رمضانَ ، وشَوَّالٌ ؛ وهوَ أوَّلُ أشهرِ الحَجِّ ، وذو القَعدةِ بفتحِ القافِ وكسرِها ، وذو الحِجَّةِ كذٰلكَ ؛ وهوَ آخِرُ أشهرِ الحَجِّ

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من « مقدمة الأدب » (ص ٣)

(٢) السنة ، والحول ، والحجة ، والعام

أسماءُ اليومِ والليلةِ الجديدانِ ، والمَلَوانِ ، والعَصْرانِ ، والدَّائبانِ ، مُثنّىً لا يُستعمَلُ له مفردٌ

ـ (م) ليلةٌ اسمُ جنسٍ جمعيٍّ ، ليلٌ ، (ج) ليالٍ

ـ (م) قطعةٌ اسمُ الجنسِ قِطْعٌ

ـ (م) زلفةٌ قطعةٌ ، (ج) زُلَفٌ

ـ (م) وَهْنٌ ومَوْهِنٌ ثُلُثُ الليلِ الأوَّلُ ، أو ربعُهُ أو نصفُهُ ، وبهرةُ الليلِ وَسَطُهُ ، والسَّحَرُ والسُّحْرَةُ آخِرُهُ ، (ج) أسحارٌ ، والجُنْحُ جزءٌ مِنَ الليلِ

وتقولُ زرتُ زيداً الليلةَ للحاضرةِ التي أنتَ فيها مِنَ المغربِ إلىٰ زوالِ الشمسِ ، وتقولُ البارحةَ لليلةِ التي مضىٰ يومُها ، والبارحةَ الأُولىٰ للتي قبلَها ، وليلةُ غدٍ للَّيلةِ المُقبِلةِ ، وليلةُ السَّذَقِ ـ بفتحِ الذالِ المعجمةِ ـ وليلةُ الوَقُودِ للَّيلةِ الأربعينَ مِنَ الشتاءِ ، وليلةُ القَدْرِ ، وليلةُ القضاءِ لليلةِ نصفِ شعبانَ ، وليلةُ البراءةِ ـ وفي « القاموسِ » البراءِ ـ اسمٌ لآخِرِ ليلةٍ مِنَ الشهرِ ، أو لآخِرِ يومٍ منهُ ، أو لأوَّلِ ليلةٍ مِنَ الشهرِ ، أو لأوَّلِ يومٍ منهُ

ـ (م) يومٌ ، (ج) أيامٌ

ـ (م) نهارٌ مِنَ الفجرِ الصادقِ لغروبِ الشمسِ في لسانِ الشرعِ ، ومِنْ طلوعِ الشمسِ إلىٰ غروبِها في لسانِ أهلِ الهيئةِ ، (ج) نُهُرٌ ، نحرُ النهارِ وصدرُهُ ووجهُهُ لأوَّلِهِ

تقولُ صاحبتُ فلاناً مُدَّةَ إقامتِهِ بمصرَ يومَ يومَ ، بالتركيبِ والفتحِ ؛ أي جميعَ الأيامِ على التعاقبِ ، وتقولُ أنتظرُ اليومَ قُدومَ زيدٍ ؛ للحاضرِ ، وتقولُ جئتُكَ أمسِ ؛ بكسرِ آخِرِهِ ؛ للوقتِ المُعيَّنِ الذي قبلَ وقتِكَ بلا

فصلٍ ، وتقولُ لِمَا قبلَهُ أولَ مِنْ أمسِ ، وتقولُ لِمَا قبلَهُ أولَ مِنْ أوَّلَ مِنْ أمسِ ، وتقولُ ألقاكَ غداً ؛ لِمَا يلي يومَكَ ، وبعدَ غدٍ ؛ لِمَا يليهِ

تباشيرُ الصبح عمودُ الفجرِ ، **الفَلَقُ** لوقتِ انفصالِ الليلِ مِنَ النهارِ وذهابِ الظُّلمةِ وبُدُوِّ النورِ ، **الفجرُ والصبحُ والصباحُ والبُكْرةُ** لوقتِ النورِ قبلَ الشمسِ ، **والغَداةُ** لِمَا قبلَ الضَّحوةِ ؛ وهوَ ربعُ النهارِ الأوَّلِ ، والجمعُ غَدَوَاتٌ ، ومثلُها **الغُدْوةُ** بضمٍّ فسكونٍ ، والجمعُ غُدُواتٌ ـ بضمَّتَينِ ، أو بضمٍّ فسكونٍ ، أو ففتحٍ ـ ولا يُقالُ غدايا إلَّا معَ عشايا ؛ للازدواجِ ، وتقولُ خرجَ زيدٌ **الغَداةَ** ؛ للحاضرةِ القائمةِ أوِ الذاهبةِ مِنْ يومِكَ ، وغداةَ أمسِ ، وغداةَ غدٍ

والضُّحىٰ ـ بضمِّ أوَّلِهِ والقصرِ ـ **والضَّحوةُ** لربعِ النهارِ الثاني ، **والظُّهرُ والظَّهيرةُ** ، والجمعُ ظهائرُ ، **والقائلةُ** لربعِ النهارِ الثالثِ ، **والعصرُ والأصيلُ** ، والجمعُ أُصُلٌ ، وجمعُهُ آصالٌ ، وجمعُهُ أصائلُ ، **والمُسْيُ والمَساءُ والعشيَّةُ** ، واسمُ الجنسِ : **العَشِيُّ** ، والجمعُ **العشيَّاتُ والعشايا** لآخِرِ النهارِ ، **والعِشاءُ** مِنْ أواخرِ النهارِ إلىٰ منتهى الليلِ ، **والعَتَمَةُ** لأولِ الليلِ ، وتقولُ تَعهَّدتُ الشيءَ صباحَ مساءَ ، بالتركيبِ والفتحِ ؛ أي كلَّ صباحٍ ومساءٍ

أسماءُ الأيامِ في لسانِ العربِ القديمِ يومُ السبتِ **شِيارٌ** ؛ بكسرِ أولِهِ ، ويومُ الأحدِ **أوَّلُ** ، ويومُ الاثنَينِ **أهونُ** ، ويومُ الثَّلاثاءِ **جُبارٌ** ؛ بضمِّ أوَّلِهِ وكسرِهِ ، ويومُ الأربعاءِ **دُبارٌ** كذٰلكَ ، ويومُ الخميسِ **مُؤنِسٌ** ، ويومُ الجُمُعةِ **العَروبةُ** ، وبغيرِ (أل) فيكونُ عَلَمَ جنسٍ

اسمُ مجموعِ الأيامِ **أُسبوعٌ** ، (ج) أسابيعُ

ـ (م) **يومُ عاشوراءَ وتاسوعاءَ** للتاسعِ والعاشرِ مِنَ المُحرَّمِ

النَّوروزُ أوَّلُ يومٍ مِنَ الخريفِ

المِهْرَجانُ أوَّلُ يومٍ مِنَ الربيعِ

عيدُ الفِطرِ ، عيدُ الضَّحِيَّةِ ، (ج) أعيادٌ

يومُ الترويةِ للثامنِ مِنْ ذي الحِجَّةِ ، يومُ عرفةَ للتاسعِ منهُ ، يومُ النَّحرِ للعاشرِ ، أيامُ التشريقِ للثلاثةِ بعدَهُ ؛ وهيَ الأيامُ المعدوداتُ ، والأيامُ المعلوماتُ العشرُ قبلَها

ـ (م) مُدَّةٌ ، (ج) مُدَدٌ ، (م) أَمَدٌ ، (ج) آمادٌ ، (م) مَدىً ، (م) غايةٌ ، (م) نهايةٌ ، (م) أبدٌ ، يُقالُ لا أفعلُ كذا أبدَ الدهرِ ، ومَدَى الدَّهرِ ، وجَدَى الدَّهرِ ؛ أي أبداً

ـ (م) ساعةٌ ، (ج) ساعاتٌ ، اسمُ جنسٍ ساعٌ

ـ (م) إِنْيٌ ، (ج) آناءٌ ، وأُنِيٌّ

ـ (م) فَيْنةٌ قطعةٌ مِنَ الزمنِ ؛ تقولُ كنتُ أذهبُ لزيدٍ الفَينةَ بعدَ الفَينةِ ، (ج) فَيْناتٌ

ـ (م) فُواقٌ بضمِّ أوَّلِهِ : الزمنُ بينَ الحلبتَينِ ؛ تقولُ انتظرْني فُواقَ ناقةٍ ؛ أي زمناً قَدْرَ تلكَ المُدَّةِ ، وتقولُ الساعةَ يجيءُ زيدٌ للحاضرةِ ، وتقولُ حضرَ الآنَ للوقتِ الحاضرِ ، وآنفاً للوقتِ الذاهبِ

ومِنَ الأسماءِ الزمانيَّةِ (متىٰ) ، و(أيَّان) ، و(إذ) ، و(إذا) التي سبقَ لها ذكرٌ في أسماءِ الشرطِ والاستفهامِ ، و(مُذْ) و(مُنذُ) اللَّتانِ تَقدَّمَ ذكرُهُما في الحروفِ ، فهُما مُشترِكتانِ بينَ الاسميَّةِ والحرفيَّةِ

والكَرَّةُ الغَداةُ والعَشِيُّ ، وتقولُ ألقاهُ كرَّتَيِ النهارِ ؛ أي طرفَيهِ

ـ (م) تارةٌ وطورٌ حِينٌ ، (ج) تاراتٌ وأطوارٌ

وتقولُ لقيتُهُ ذاتَ مَرَّةٍ ؛ أي : مُدَّةً صاحبةَ مَرَّةٍ ، وعلىٰ هٰذا التقديرِ كلُّ ما

وردَ مِنْ (ذاتِ كذا) وهيَ ذاتُ سنةٍ ، وذاتُ شهرٍ ، وذاتُ ليلةٍ ، وذاتُ يومٍ ، وذاتُ غَداةٍ ، وذاتُ عِشاءٍ

ويُؤتىٰ ببعضِ أسماءِ الزمانِ مُضافةً إلىٰ كلمةِ (إذ) مُضافةً إلىٰ جملةٍ مذكورةٍ أو محذوفةٍ ؛ اعتماداً علىٰ علمِها مِنْ سياقِ الكلامِ ، ويُعوَّضُ عنها عندَ حذفِها نونٌ يُلفَظُ بها ولا تُكتَبُ تُسمَّى التنوينَ ؛ نحوُ حينَئذٍ ، وعامَئذٍ ، وغداتَئذٍ ، وعشيَّتَئذٍ ، وساعتَئذٍ ، ويومَئذٍ ، وليلتَئذٍ ؛ تقولُ حينَ إذ أطاعَ اللهَ زيدٌ أكرمَهُ الناسُ ، وتقولُ أطاعَ اللهَ زيدٌ وأكرمَهُ الناسُ حينَئذٍ ؛ أي حينَ إذ أطاعَ اللهَ

أسماءُ يومِ القيامةِ الساعةُ ، يومُ القيامةِ ، يومُ البعثِ ، يومُ الدِّينِ ، يومُ النُّشورِ ، يومُ الخُروجِ ، يومُ الحَشْرِ ، يومُ الجَمْعِ ، يومُ الحسابِ ، يومُ العَرْضِ ، يومُ الهَيْبةِ ، يومُ الحَسْرةِ ، يومُ النَّدامةِ ، الحاقَّةُ ، القارعةُ ، الواقعةُ ، الطامَّةُ ، الصاخَّةُ ، الغاشيةُ ، الآزفةُ ، وأكثرُها واردٌ في القرآنِ المجيدِ ، وأشراطُ الساعةِ ـ جمعُ شَرَطٍ بفتحاتٍ ـ : العلاماتُ علىٰ قرْبِ يومِ القيامةِ

أسماءُ مُدَّةِ النَّشأةِ الأُولى الدُّنيا ، والأُولىٰ ، والعاجلةُ

أسماءُ مُدَّةِ النَّشأةِ الآخِرةِ الآخِرةُ ، الآجِلةُ ، الأُخرىٰ

أسماءُ المُدَّةِ بينَ النشأتَينِ الرَّقْدةُ ، الهَمْدةُ ، البَرْزخُ انتهىٰ ما نقلناهُ مِنْ « مُقدِّمةِ الأدبِ » ببعضِ تصرُّفٍ وزيادةٍ [1]

الضَّمائرُ [2]

(أنا) ، و(إيَّايَ) ، وتاءٌ مضمومةٌ ؛ مثلُ كتبتُ ، وياءٌ ساكنةٌ تُفتَحُ

---

(١) مقدمة الأدب (ص ٣ ـ ٥)

(٢) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (١/١٠٧)

أحياناً ؛ نحوُ كتابي ، اذكرْني لكلِّ مُتكلِّمٍ يريدُ الحكايةَ عن نفسِهِ وحدَهُ

و(نحنُ) ، و(إيَّانَا) ، و(نا) نحوُ عرفْنا لكلِّ مُتكلِّمٍ يريدُ الحكايةَ عن نفسِهِ وغيرِهِ

و(أنتَ) ، و(إيَّاكَ) ، وتاءٌ مفتوحةٌ ؛ مثلُ فهمتَ ، وكافٌ مفتوحةٌ ؛ مثلُ علَّمَكَ لكلِّ مُخاطَبٍ مُذكَّرٍ

و(أنتِ) بكسرِ التاءِ ، و(إياكِ) بكسرِ الكافِ ، وتاءٌ مكسورةٌ ؛ مثلُ قرأتِ ، وكافٌ مكسورةٌ ؛ مثلُ أَخبرَكِ لكلِّ مُخاطَبةٍ مُؤنَّثةٍ(١)

و(أنتُما) ، و(إيَّاكُما) ، وتاءٌ مضمومةٌ بعدَها ميمٌ فأَلِفٌ ؛ مثلُ : حفظتُما ، وكافٌ مضمومةٌ فميمٌ فألفٌ ؛ مثلُ هداكُما ربُّكُما لكلِّ مُخاطَبَينِ مُذكَّرَينِ أو مُؤنَّثَينِ أو مُختلِطَينِ

و(أنتُم) ، و(إيَّاكُم) ، وتاءٌ مضمومةٌ فميمٌ ، وكافٌ مضمومةٌ فميمٌ لكلِّ جماعةِ ذكورٍ مُخاطَبينَ ، وإن تكنِ الجماعةُ مُختلِطةً غُلِّبَتِ الذُّكورُ على الإناثِ

و(أنتُنَّ) ، و(إيَّاكُنَّ) ، وتاءٌ مضمومةٌ بعدَها نونٌ مُشدَّدةٌ ، وكافٌ مضمومةٌ بعدَها نونٌ مفتوحةٌ مُشدَّدةٌ لكلِّ جماعةِ إناثٍ مُخاطَباتٍ

و(هوَ) ، و(إيَّاهُ) ، والمُستتِرُ المَلحوظُ بعدَ عَرَفَ ؛ نحوُ زيدٌ عرفَ لكلِّ مُذكَّرٍ غائبٍ

و(هيَ) ، و(إيَّاها) ، والمُستتِرُ المَلحوظُ بعدَ عرفَتْ ، مِنْ نحوِ هندٌ عرفَتْ لكلِّ مُؤنَّثةٍ غائبةٍ

---

(١) وياء ساكنة ؛ مثل تضربين

و(هُما) ، و(إيَّاهُما) ، والألفُ مِنْ نحوِ عَرَفَا وعَرَفَتَا لكلِّ غائبَينِ مُذكَّرَينِ أو مُؤنَّثَينِ أو مُختلِطَينِ ، لا فرقَ إلَّا معَ الأَلِفِ ؛ فالتاءُ قبلَها حرفٌ يَدُلُّ علىٰ أنَّ المَحكيَّ عنهُ مُؤنَّثٌ ، وكانَتْ ساكنةً ففُتِحَتْ لأجلِ الألفِ ، وتُسمَّىٰ هٰذهِ التاءُ تاءَ التأنيثِ الساكنةَ

و(هُم) ، و(إيَّاهُم) ، والواوُ في نحوِ عَرَفوا لكلِّ جماعةِ ذكورٍ غائبينَ

و(هُنَّ) ، و(إيَّاهُنَّ) ، والنونُ في نحوِ عَرَفْنَ لكلِّ جماعةِ إناثٍ غائباتٍ

والأَلِفُ والواوُ والنونُ تكونُ في الخطابِ أيضاً ؛ مثلُ اكتُبا ، واحفظوا ، وافهمْنَ ، وما عدا هٰذهِ الأسماءَ يُسمَّى **الأسماءَ الظاهرةَ**

وما كانَ مِنَ الضَّمائرِ ظاهرَ الاستقلالِ في النُّطقِ يُسمَّىٰ **مُنفصِلاً** ، وما كأنَّهُ حرفٌ مِنَ الكلمةِ السابقةِ عليهِ يُسمَّىٰ **مُتَّصِلاً**

وللضَّمائرِ مواضعُ مِنَ الكلام يَختصُّ كلُّ صنفٍ منها بموضعٍ ، وبيانُ ذٰلكَ في قسمِ النحوِ



الكلامُ العامُّ على الأفعالِ

[تقسيمُ الفعلِ إلىٰ لازمٍ ومُتعَدٍّ][1]

الفعلُ إن كانَ يكفي في حصولِ معناهُ شيءٌ واحدٌ مُحصِّلٌ لهُ ؛ وهوَ الفاعلُ يُسمَّى الفعلُ قاصراً ، ولازماً ، والفعلَ ذا النِّسبةِ الواحدةِ

وإن كانَ يَفتقِرُ في حصولِ معناهُ لأكثرَ مِنْ شيءٍ يُسمَّىٰ مُتجاوِزاً ، ومُتعدِّياً والفعلَ ذا النِّسبتَينِ

فتارةً يكونُ مُفتقِراً لشيئَينِ فاعلِهِ ، وشيءٍ آخَرَ يقعُ بهِ تأثيرُهُ ؛ وهوَ المفعولُ به ، وحينَئذٍ يُسمَّى المُتعدِّيَ لواحدٍ

[أقسامُ الفعلِ المتعدِّي]

وتارةً يكونُ يَفتقِرُ إلىٰ ثلاثةِ أشياءَ فاعلٍ ، ومفعولَينِ ، وهـٰذا النوعُ ثلاثةُ أصنافٍ

الصِّنفُ الأوَّلُ أفعالٌ تَدُلُّ علىٰ أنَّ فاعلَها جعلَ شيئاً يَفعَلُ فعلاً في شيءٍ آخَرَ ، فيكونُ المجعولُ فاعلاً مفعولاً أوَّلَ ، والشيءُ الآخَرُ مفعولاً ثانياً ، فالمفعولُ الأوَّلُ في هـٰذا الصِّنفِ هوَ ما لهُ فاعليَّةٌ في المعنىٰ ، والمفعولُ الثاني : ما لا فاعليةَ لهُ في المعنىٰ ، بل لهُ المفعوليةُ الخالصةُ ، وهـٰذا الصِّنفُ مِنَ الأفعالِ يُسمَّىٰ بابَ أعطىٰ ؛ كأعطىٰ ، ومنعَ ، ومنحَ ، وكسا ، ووهبَ ، وألبسَ ، وأطعمَ ، وأسقىٰ ، وسقىٰ

وبيانُ ذلكَ أنَّ قولَكَ أعطىٰ زيدٌ عمراً درهماً ؛ معناهُ أنَّ زيداً جعلَ

---

(١) انظر « همع الهوامع » (٧/٣)

عمراً عاطياً ؛ أي مُتناوِلاً درهماً ؛ تقولُ عطا عمرٌو درهماً يَعطوهُ ، وأعطيتُهُ إيَّاهُ ؛ فأنتَ [مُناوِلٌ] ، وعمرٌو مُتناوِلٌ لنفسِهِ ، مُناوَلٌ منكَ ، والدِّرهمُ بينَكُما مفعولٌ خالصٌ

الصِّنفُ الثاني أفعالٌ تَتعلَّقُ بنسبةِ أمرٍ لأمرٍ حقيقةً ، وبطرفَيِ النِّسبةِ ظاهراً ، وتُسمَّى الأفعالَ الإدراكيةَ ، وأفعالَ القلوبِ ، بعضُها لليقينِ ، وبعضُها للظنِّ والحِسْبانِ ؛ فما لليقينِ فقطْ أربعةُ أفعالٍ ، هيَ : وجدَ ، وألفىٰ ، ودرىٰ ، وتَعلَّمْ ؛ بمعنى اعلمْ ، وهٰذهِ الكلمةُ وردَتْ في اللغةِ وليسَ لها فعلٌ ماضٍ ولا مضارعٌ

قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ (١)

وقالَ ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴾ (٢)

وقالَ بعضُ العربِ (٣) [من الطويل]

دُرِيتَ ٱلْوَفِيَّ ٱلْعَهْدِ يَا عُرْوَ فَٱغْتَبِطْ فَإِنَّ ٱغْتِبَاطاً بِٱلْوَفَاءِ حَمِيدُ

وقالَ آخَرُ (٤) [من الطويل]

تَعَلَّمْ شِفَاءَ ٱلنَّفْسِ قَهْرَ عَدُوِّهَا وَبَالِغْ بِلُطْفٍ فِي ٱلتَّحَيُّلِ وَٱلْمَكْرِ

وما للظنِّ فقطْ خمسةُ أفعالٍ ؛ وهيَ جعلَ ، وحَجَا ، وعَدَّ ، وهَبْ ـ ولا تكونُ إلَّا طلباً (٥) ، فهيَ أختُ (تَعلَّم) السابقةِ ، ولا ثالثَ لهُما في اللغةِ ـ وزعمَ

---

(١) سورة المزمل (٢٠)
(٢) سورة الصافات (٦٩)
(٣) انظر « أوضح المسالك » (٣٢/٢)
(٤) هو لزياد بن سيار ، كما في « خزانة الأدب » (١٢٩/٩)
(٥) يعني هَبْ

قالَ تعالىٰ ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ (١)

وقالَ الشاعرُ (٢) [من البسيط]

قَدْ كُنْتُ أَحْجُو أَبَا عَمْرٍو أَخَا ثِقَةٍ حَتَّىٰ أَلَمَّتْ بِنَا يَوْماً مُلِمَّاتُ

وقالَ آخرُ (٣) [من الطويل]

فَلَا تَعْدُدِ ٱلْمَوْلَىٰ شَرِيكَكَ فِي ٱلْغِنَىٰ وَلَٰكِنَّمَا ٱلْمَوْلَىٰ شَرِيكُكَ فِي ٱلْعُدْمِ

وقالَ آخرُ (٤) [من المتقارب]

فَقُلْتُ أَجِرْنِي أَبَا خَالِدٍ وَإِلَّا فَهَبْنِي ٱمْرَأً هَالِكَا

وقالَ آخرُ (٥) [من الخفيف]

زَعَمَتْنِي شَيْخاً وَلَسْتُ بِشَيْخٍ إِنَّمَا ٱلشَّيْخُ مَنْ يَدِبُّ دَبِيبَا

وما للأمرينِ ـ والغالبُ استعمالُهُ في اليقينِ ـ فعلانِ رأىٰ ، وعَلِمَ

قالَ تعالىٰ ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ (٦)

وقالَ ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (٧)

وقالَ ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴾ (٨)

---

(١) سورة الزخرف (١٩)

(٢) هو لأبي شبل ، كما في « معجم الأدباء » (٣٨٦/٢)

(٣) هو سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، كما في « عيون الأخبار » (٩٧/٣)

(٤) انظر « مغني اللبيب » (٧٧٥/٢)

(٥) انظر « مغني اللبيب » (٧٧٥/٢)

(٦) سورة المعارج (٦ ـ ٧)

(٧) سورة محمد (١٩)

(٨) سورة الممتحنة (١٠)

وما للأمرَينِ ـ والغالبُ استعمالُهُ في المُرجَّحاتِ ـ ثلاثةُ أفعالٍ ظنَّ ، وحَسِبَ ، وخالَ

قالَ الشاعرُ (١) [من الطويل]

ظَنَنْتُكَ إِنْ شَبَّتْ لَظَى ٱلْحَرْبِ صَالِياً فَعَرَّدْتَ فِيمَنْ كَانَ عَنْهَا مُعَرِّدَا

وقالَ تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ (٢)

وقالَ الشاعرُ (٣) [من الطويل]

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً عَشِيَّةَ لَاقَيْنَا جُذَامَ [وَحِمْيَرَا] (٤)

وقالَ آخرُ (٥) [من الطويل]

حَسِبْتُ ٱلتُّقَىٰ وَٱلْجُودَ خَيْرَ تِجَارَةٍ رَبَاحاً إِذَا مَا ٱلْمَرْءُ أَصْبَحَ ثَاقِلَا

وقالَ آخرُ (٦) [من الطويل]

إِخَالُكَ إِنْ لَمْ تَغْضُضِ ٱلطَّرْفَ ذَا هَوىً يَسُومُكَ مَا لَا يُسْتَطَاعُ مِنَ ٱلْوَجْدِ

وقالَ آخرُ (٧) [من المنسرح]

مَا خِلْتُنِي زِلْتُ بَعْدَكُمْ ضَمِناً أَشْكُو إِلَيْكُمْ حُمُوَّةَ ٱلْأَلَمِ

الصِّنفُ الثالثُ أفعالٌ تَدُلُّ علىٰ تحويلِ شيءٍ ونقلِهِ مِنْ حالةٍ إلىٰ غيرِها ،

---

(١) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (٢/٢١)

(٢) سورة البقرة (٤٦)

(٣) انظر « أوضح المسالك » (٢/٤٠)

(٤) في الأصل (وحمير)

(٥) انظر « أوضح المسالك » (٢/٤١)

(٦) انظر « أوضح المسالك » (٢/٤٢)

(٧) انظر « أوضح المسالك » (٢/٤٣)

وتُسمَّىٰ أفعالَ التصييرِ ؛ وهيَ جعلَ ، وردَّ ، وتركَ ، واتَّخذَ ، وتَخِذَ ، وصَيَّرَ ، ووَهَبَ

قالَ تعالىٰ ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (١)

وقالَ ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ (٢)

وقالَ ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ﴾ (٣)

وقالَ : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٤)

وقالَ الشاعرُ (٥) [من الوافر]

تَـخِـذْتُ [غُـرَازَ] إِثْـرَهُـمُ دلِـيـلاً وَفَـرُّوا فِـي ٱلْـحِـجَـازِ لِـيُـعْـجِـزُونِـي

وقالَ الراجزُ (٦) [من السريع الموقوف]

فَـصُـيِّـرُوا مِـثْـلَ كَـعَـصْـفٍ مَـأْكُـولْ

وسُمِعَ مِنَ العربِ (وَهَبَني اللهُ فداءَكَ) ولم يستعملوا منهُ غيرَ الماضي

ولمفعولَيْ أفعالِ الإدراكِ مباحثُ تأتي في قسمِ النحوِ

وتَتعلَّقُ أحرفُ الإضافةِ بجميعِ الأفعالِ ؛ لازمِها ومُتعدِّيها ، ويُقالُ لها

---

(١) سورة الفرقان (٢٣)

(٢) سورة البقرة (١٠٩)

(٣) سورة الكهف (٩٩)

(٤) سورة النساء (١٢٥)

(٥) انظر « أوضح المسالك » (٢/٤٧)

(٦) هو عجز بيت لرؤبة بن العجاج في « ديوانه » (ص ١٨١) ، والبيت بتمامه

وَلَـعِـبَـتْ طَـيْـرٌ بِـهِـمْ أَبَـابِـيـلْ فَـصُـيِّـرُوا مِـثْـلَ كَـعَـصْـفٍ مَـأْكُـولْ

انظر « أوضح المسالك » (٢/٤٨)

مفاعيلُ غيرُ صريحةٍ ، ويُقالُ للأفعالِ اللَّازمةِ مُتعدِّيةٌ بالواسطةِ ؛ لأنَّ أحرفَ الإضافةِ تربطُها بما بعدَها ؛ فإذا قلتَ (خرجتُ مِنَ الدارِ إلى الطريقِ) فكلمتا (مِنْ) و(إلىٰ) ربطتا (خرجَ) بـ (الدارِ) و(الطريقِ)

وأمَّا مفاعيلُ الأفعالِ المُتعدِّيةِ بنفسِها فإنَّها تُسمَّى المفاعيلَ الصَّريحةَ

تقسيمٌ آخَرُ للفعلِ [إلىٰ تامٍّ وناقصٍ] (١)

الفعلُ منهُ ما يكونُ معناهُ مقصوداً بالإفادةِ ؛ بحيثُ يَتِمُّ بهِ وبشيءٍ واحدٍ معَهُ وهوَ فاعلُهُ كلامٌ ، ويُسمَّىٰ فعلاً تامّاً ؛ كقامَ زيدٌ ، وأعطىٰ خالدٌ ، ومَنْ يَسمعْ يَخَلْ

وإمَّا ألَّا يكونَ معناهُ مقصوداً بالإفادةِ ؛ بحيثُ لا يكونُ لهُ فاعلٌ يَتِمُّ بهِما كلامٌ ، بل يكونُ المقصودُ بهِ الذهابَ إلىٰ حكايةِ نسبةِ أمرٍ لأمرٍ مُفاداً بذٰلكَ الفعلِ وقتَ تلكَ النسبةِ وحالِها ، وهٰذا النوعُ مِنَ الفعلِ يُسمَّىٰ ناقصاً ، وألفاظُهُ

(كان) لمُطلَقِ التوقيتِ ، و(أصبحَ) للتوقيتِ بالصُّبحِ ، و(أضحىٰ) للتوقيتِ بالضُّحىٰ ، و(أمسىٰ) للتوقيتِ بالمَساءِ ، و(ظلَّ) للتوقيتِ بالنَّهارِ ، و(باتَ) للتوقيتِ باللَّيلِ ، و(صارَ) للتوقيتِ والدلالةِ على التحويلِ مِنْ صفةٍ إلىٰ صفةٍ ، ومثلُها (حارَ) و(آضَ) في ألفاظٍ أُخَرَ ، و(ليسَ) للنفْيِ ، و(زالَ) و(بَرِحَ) و(فَتِئَ) و(انفكَّ) و[رامَ] للاستمرارِ (٢) ، ولا تُستعمَلُ هٰذهِ إلَّا مَنفيَّةً أو مَنهيّاً عنها ؛ كـ . ما زالَ ، ولن يزالَ ، وما رامَ ، ولا يريمُ

(١) انظر « همع الهوامع » (١/٤٠٨)

(٢) في الأصل (و« دام » للاستمرار) ، وسيذكر بعد قليل (وما رام)

ولفظُ (ما دامَ) لبيانِ مُدَّةِ حكمٍ يُذكَرُ قبلَها ، ولا تُستعمَلُ هٰذا الاستعمالَ إلَّا معَ (ما) المَصدريَّةِ الظرفيَّةِ

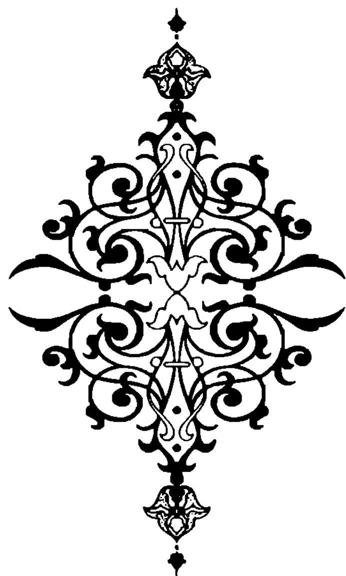
و(عسىٰ) و(حَرَىٰ) و(اخلَوْلَقَ) للدلالةِ علىٰ أنَّ أمراً قاربَ أن يُحصِّلَ أمراً بحَسَبِ الرجاءِ ، وتُسمَّى الأفعالُ الثلاثةُ **أفعالَ الرجاءِ**

و(كادَ) و(أوشكَ) و(كَرَبَ) للدلالةِ علىٰ أنَّ أمراً قاربَ أن يَحصُلَ منهُ أمرٌ بحَسَبِ الواقعِ ونفسِ الأمرِ ، فهيَ للإخبارِ بذٰلكَ ، وتُسمَّىٰ **أفعالَ المقاربةِ**

و(جعلَ) و(أخذَ) و(طَفِقَ) و(أنشأَ) و(أقبلَ) للدلالةِ علىٰ أنَّ أمراً شرعَ في أن يُحصِّلَ أمراً ، وتَهيَّأَ لذٰلكَ وتَصدَّىٰ

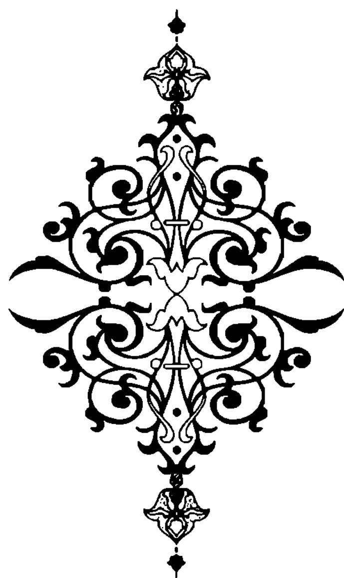
وكما تُسمَّىٰ هٰذهِ الأفعالُ **أفعالاً ناقصةً** تُسمَّى **الأفعالَ النسبيَّةَ** ؛ لكونِها ـ كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ ـ لشرحِ حالِ نسبةٍ تُذكَرُ بطرفَيها بعدَها ، ولها اسمٌ ثالثٌ يأتي هوَ وأحكامُ تراكيبِها في قسمِ النحوِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ





القسم الثّاني

قسم الصّرف



[تعريفُ الصرفِ ومحاورُ البحثِ]

عرفتَ أنَّ الصَّرفَ عِلْمٌ يُبيِّنُ صيغَ الألفاظِ ، وكونَها أصولاً وزوائدَ ، ومتبادلةَ الحروفِ ، وكيفيةَ النطقِ بها(١)

ولنجعلِ الكلامَ عليهِ في

- مُقدِّمةٍ
- ومَقالتَينِ
- وخاتمةٍ



---

(١) تقدم (١/٥٦)

المُقدِّمةُ

[في التمهيدِ لعلمِ الصرفِ]

اعلمْ أنَّ الناسَ الذينَ نصَبوا أنفسَهُم لضبطِ صورِ مفرداتِ اللغةِ وجدوا أنَّ العربَ تَقصِدُ إلى الحروفِ ، فتُركِّبُ منها الكلمةَ لأجلِ أن تضعَها لشيءٍ تكونُ دالةً عليهِ مفيدةً لهُ ، فإذا أرادوا جعلَها مفيدةً لمعنىً آخَرَ يكونُ المعنى الأولُ جزءاً لهُ غيَّروا صورةَ الكلمةِ ؛ إمَّا بتبديلٍ في الحركاتِ ، وإمَّا بزيادةٍ أو نقصٍ في الحروفِ ، ومِنْ هنا جاءَ الاشتقاقُ

فيكونُ اللفظُ بصورتِهِ الأُولىٰ أصلاً ، وبالصورةِ الأُخرىٰ فرعاً ، وحينَئذٍ يُسمَّى الأصلُ مصدراً ، وتُسمَّى الفروعُ مُشتقَّاتٍ

[الاشتقاقُ ، والميزانُ الصرفيُّ]

فالاشتقاقُ تبديلُ صورةِ كلمةٍ ذاتِ معنىً بصورةٍ أخرىٰ لتكونَ ذاتَ معنىً آخَرَ

وللمصدرِ أنواعٌ يأتي بيانُها وبيانُ فروعِها في الموضعِ المناسبِ لذٰلكَ

ثـمَّ نظروا في الألفاظِ ؛ فوجدوا أكثرَ الكلماتِ الموضوعةِ للمعاني الأصليَّةِ لا تزيدُ علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ ، فذهبوا إلىٰ جعلِ أصولِ الكلماتِ ثلاثةَ أحرفٍ يُعبَّرُ عن أوَّلِها بـ (الفاءِ) ، وعن ثانيها بـ (العينِ) ، وعن ثالثِها بـ (اللَّامِ)

ووضعوا لوزنِ أصولِ الكلمةِ لفظَ (فعل) مُصوَّراً عندَ النطقِ بصورةِ الموزونِ

[أنواعُ الزيادةِ في الكلماتِ]

ثمَّ الكلماتُ الزائدةُ علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ ثلاثةُ أنواعٍ

نوعٌ تكونُ زيادتُهُ أصليةً ؛ بأن تكونَ الكلمةُ مِنْ أوَّلِ وضعِها على الأحرفِ الزائدةِ علىٰ ثلاثةٍ ، وتُسمَّى الكلماتُ التي هٰذا شأنُها بالكلماتِ المُجرَّدةِ

فإن كانَتِ الكلمةُ فعلاً لم تَزِدْ عن أربعةٍ ، وإن كانَتِ اسماً لم تَزِدْ علىٰ خمسةٍ

فالأفعالُ المُجرَّدةُ ثُلاثياتٌ ؛ كنصرَ وذهبَ ، ورُباعياتٌ ؛ كدَحْرجَ وعَزبدَ

والأسماءُ المُجرَّدةُ أُحاديةٌ ؛ كـ (تاءِ) أكرمتُكَ و(كافِهِ) ، وثُنائيةٌ ؛ كـ (مَنْ) و(كَمْ) ، وثُلاثياتٌ ؛ كفهمٍ وحفظٍ وزيدٍ وعمرٍو ، ورباعياتٌ ؛ كبُرْثُنٍ ، وجعفرٍ ، وزِبْرِجٍ ، وخماسياتٌ ؛ كسَفَرْجَلٍ ، وجَحْمَرِشٍ

فإذا أردتَ أن تَزِنَ ما زادَ على الثلاثةِ مِنْ هٰذا النوعِ كرَّرتَ اللَّامَ ؛ فجئتَ بلامَينِ أو ثلاثةٍ ، فتقولُ (دَحْرَجَ) علىٰ وزنِ (فَعْلَلَ) ، وتقولُ (سَفَرْجَلٌ) علىٰ وزنِ [(فَعَلَّلٍ)] ، و(جَحْمَرِشٌ) علىٰ وزنِ (فَعْلَلِلٍ)

ونوعٌ تكونُ زيادتُهُ بتكريرِ عينِ الكلمةِ أو لامِها ؛ ويُسمَّىٰ مُضعَّفاً ، فإذا أردتَ أن تَزِنَ كلمةً مِنْ هٰذا النوعِ كرَّرتَ العينَ في مُضعَّفِ العينِ ، وكرَّرتَ اللَّامَ في مُضعَّفِ اللَّامِ ، فتقولُ (عَظَّمَ) وزنُهُ (فَعَّلَ) بتشديدِ العينِ ، فتكونُ ناطقاً بعينَينِ ، ومُجرَّدُهُ (عَظُمَ) بتخفيفِ الظاءِ ، وتقولُ (جَلْبَبَ) وزنُهُ (فَعْلَلَ)

ونوعٌ تكونُ زيادتُهُ حرفاً أو أكثرَ مِنْ حروفِ (سألتُمونيها) وهيَ عشرةُ أحرفٍ تُسمَّىٰ أحرفَ الزيادةِ

ولا يَتجاوزُ الفعلُ بالزيادةِ ستةَ أحرفٍ ، ولا يَتجاوزُ الاسمُ بالزيادةِ سبعةَ أحرفٍ ، وكلُّ زائدٍ أقلَّ ممَّا قبلَهُ في عددِ الكلماتِ

فإذا أردتَ أن تَزِنَ الكلمةَ مِنْ هٰذا النوعِ نطقتَ بألفاظِ الحروفِ الزائدةِ ؛ فتقولُ (ضارَبَ) وزنُهُ (فاعَلَ) ، و(استخرجَ) وزنُهُ (استفعلَ) ، و(اقتدرَ) وزنُهُ (افتعلَ) وهٰكذا ، وتعيينُ مواضعِ الزياداتِ يأتي في مواضعِهِ مِنَ الكلامِ على الأفعالِ والأسماءِ



المقالةُ الأُولىٰ
في الكلامِ على الفعلِ

للفعلِ تقاسيمُ



التقسيمُ الأوَّلُ
[مِنْ حيثُ الزمنُ]

قد عرفتَ أنَّ الفعلَ كلمةٌ موضوعةٌ لمنسوبٍ ملحوظٍ أوَّلاً ، ونسبةٍ ملحوظةٍ ثانياً ، ومنسوبٍ إليهِ مُعيَّنٍ ملحوظٍ ثالثاً

فإن كانَ مُخبَراً بهِ عن حدوثِ أمرٍ في الزمنِ الماضي . فهوَ الفعلُ الماضي

وإن كانَ مُخبَراً بهِ عن حدوثِ أمرٍ في الحالِ ؛ أيِ الزمنِ الحاضرِ الذي فيهِ المكالمةُ فهوَ الفعلُ المضارعُ الحاليُّ

وإن كانَ مُخبَراً بهِ عن حدوثِ أمرٍ في الزمنِ الآتي بعدَ زمنِ التكلُّمِ فهوَ الفعلُ المضارعُ الاستقباليُّ

وإن كانَ مطلوباً بهِ تحصيلُ أمرٍ في الزمنِ المُستقبَلِ فهوَ فعلُ الأمرِ

فالفعلُ أربعةُ أصنافٍ ، وصيغةُ المضارعَينِ واحدةٌ مُشترَكةٌ بينَهُما ، وتَعيُّنُ المرادِ منها كسائرِ المُشترَكاتِ بالقرينةِ ؛ أيِ الدليلِ على المرادِ ؛ مثلُ كتبَ زيدٌ ، وقرأَ ، وحفظَ ، وعمرٌو يكتبُ وسيقرأُ ، وسوفَ يحفظُ ، واكتبْ يا بكرُ ، واقرأْ ، واحفظْ



التقسيمُ الثاني
[مِنْ حيثُ الصحةُ والاعتلالُ] [١]

الفعلُ إن كانَتْ أصولُهُ غيرَ الألفِ والواوِ والياءِ يُسمَّىٰ صحيحاً ؛ كعَلِمَ ، وشَرُفَ

وإن كانَ بعضُ أصولِهِ مِنَ الأحرفِ الثلاثةِ يُسمَّىٰ مُعتلّاً

فإن كانَتْ فاؤُهُ منها يُسمَّىٰ مِثالاً ؛ كوَعَدَ ، ويَسَرَ

وإن كانَتْ عينُهُ يُسمَّىٰ أجوفَ ؛ كعَوِرَ ، وغَيِدَ ، وقالَ

وإن كانَتْ لامُهُ يُسمَّىٰ ناقصاً ؛ كرَضِيَ ، وخَشِيَ ، وتَلا ، ورَمَىٰ

وإن كانَ منها اثنانِ يُسمَّىٰ لفيفاً مَفروقاً إن لم يَجتمِعا ؛ كوَقَىٰ ، ووَفَىٰ ، ولفيفاً مَقروناً إنِ اجتمعا ؛ كيَاوَمَ ، وغَوَىٰ ، ورَوَىٰ

والأحرفُ الثلاثةُ تُسمَّىٰ أحرفَ العِلَّةِ ؛ لأنَّ الفعلَ كثيراً ما يَتغيَّرُ عن صورةِ نوعِهِ بسببِها ؛ فإن كانَتْ هٰذهِ الأحرفُ ساكنةً سُمِّيَتْ أحرفَ اللِّينِ ، فإن كانَتْ ساكنةً ، وقبلَ الواوِ ضمةٌ ، وقبلَ الياءِ كسرةٌ [٢] سُمِّيَتْ أحرفَ مَدٍّ

فالأَلِفُ حرفُ مَدٍّ ولينٍ دائماً ؛ لدوامِ سكونِها وفتحِ ما قبلَها ؛ لامتناعِ غيرِ ذٰلكَ فيها

وأمَّا الواوُ والياءُ فلهُما ثلاثةُ أحوالٍ يَستحِقَّانِ في واحدةٍ منها اسماً واحداً ، وفي أُخرى اسمَينِ ، وفي الثالثةِ ثلاثةَ أسماءٍ تَستحِقُّها الأَلِفُ مُطلَقاً

---

(١) انظر « همع الهوامع » (٣/٣٠٨)

(٢) أي وقبل الألف فتحة

وإن كانَ بعضُ الأصولِ همزةً يُسمَّى الفعلُ مهموزاً ؛ كأخذَ ، وسألَ ، وقرأَ ، وإن كانَ أصلانِ مِنْ جنسٍ واحدٍ كباءين أو لامين يُسمَّى الفعلُ مُضعَّفاً ، كسَبَّ ، ومَلَّ ، وشَدَّ

ولكونِ الفعلِ يَتغيَّرُ عن صورةِ نوعِهِ بسببِ الهمزةِ والتضعيفِ قالَ أهلُ الفَنِّ يُسمَّى الفعلُ سالماً إذا خلا مِنَ الهمزةِ والتضعيفِ وحروفِ العِلَّةِ ؛ فكلُّ سالمٍ صحيحٌ ، وليسَ كلُّ صحيحٍ سالماً

ثمَّ إنَّ هٰذهِ الأسماءَ لتلكَ الأسبابِ لا تَخُصُّ الفعلَ ، بل تكونُ في الاسمِ



التقسيمُ الثالثُ

الفعلُ باعتبارِ مادَّتِهِ وعددِ حروفِهِ أربعةُ أصنافٍ

ثُلاثيٌّ ، ورُباعيٌّ ، وخُماسيٌّ ، وسُداسيٌّ ؛ كنصرَ ، ودحرجَ ، وانطلقَ ، واستخرجَ

وباعتبارِ صورتِهِ التي هيَ هيئتُهُ الحاصلةُ لهُ مِنَ الحركاتِ أوِ الحركاتِ والسَّكَناتِ على التراتيبِ الخاصَّةِ سبعةٌ وثلاثونَ باباً

ستةُ أبوابٍ للثُّلاثيِّ ، وعشرةٌ للرُّباعيِّ ، وثلاثةَ عشرَ للخُماسيِّ ، وثمانيةٌ للسُّداسيِّ

لٰكنَّ أبوابَ الثُّلاثيِّ باعتبارِ حالِ الماضي ومضارعِهِ ؛ لاختلافِ صورةِ المضارعِ معَ اتفاقِ صورةِ الماضي ، بخلافِ جميعِ الأبوابِ ؛ فإنَّها باعتبارِ حالِ الماضي فقطْ ؛ لأنَّ كلَّ فعلٍ منها يكونُ مضارعُهُ علىٰ صورةٍ واحدةٍ



الكلامُ علىٰ أبوابِ الثلاثيّ [1]

هيَ مُرتَّبةٌ بحَسَبِ الكثرةِ والقِلَّةِ ؛ فكلُّ سابقٍ منها أكثرُ أفراداً مِنْ لاحقِهِ

ولا يَخرجُ الماضي عن ثلاثِ صورٍ (فَعَلَ) بفتحِ العينِ ؛ كنصَرَ ، وضرَبَ ، وفتَحَ ، و(فَعِلَ) بكسرِ العينِ ؛ كفرِحَ ، وحَسِبَ ، و(فَعُلَ) بضمِّ العينِ ؛ كشَرُفَ

وكلٌّ منها بعضُ أفرادِهِ مُتعدٍّ والبعضُ لازمٌ ، إلَّا (بابَ شرُفَ) فإنَّ جميعَ أفرادِهِ لازمةٌ ، فهيَ باعتبارِ التعدِّي واللُّزومِ أحدَ عشرَ صنفاً

البابُ الأوَّلُ

(فَعَلَ) بفتحِ العينِ (يَفعُلُ) بضمِّها ، ويُسمَّىٰ (بابَ نَصَرَ) كنَصَرَ يَنْصُرُ ، وأَخَذَ يأخُذُ ، وقالَ يقولُ ، ودعا يدعو ، وشَدَّ يَشُدُّ ، وقَعَدَ يَقعُدُ ؛ فهٰذهِ الأفعالُ وأمثالُها بفتحِ العينِ في الماضي ، وضمِّها في المضارعِ

والأمرُ مِنْ كلِّ فعلٍ علىٰ صورةِ مضارعِهِ بحذفِ حرفِ المضارعةِ

فإذا كانَ أوَّلُهُ ساكناً وأردتَ الابتداءَ بهِ . جئتَ بهمزةٍ مضمومةٍ في مضمومِ العينِ ، ومكسورةٍ في غيرِهِ ؛ تُسمَّىٰ همزةَ الوصلِ ؛ لكونِكَ تَصِلُ بها إلى التمكُّنِ مِنَ النطقِ بالساكنِ

ولهمزةِ الوصلِ مواضعُ يأتي بيانُها ، لٰكنْ إذا كانَتْ فاءُ الفعلِ مِنْ هٰذا البابِ همزةً ؛ كأخذَ ، وأمرَ ، وأكلَ أُبدِلَتْ في المضارعِ ألِفاً إذا سبقَتْها همزةُ المُتكلِّمِ ؛ لقاعدةِ أنَّهُ متى اجتمعَ همزتانِ في أوَّلِ الكلمةِ وسَكَنَتْ

---

(١) انظر « همع الهوامع » (٣/٣٠٨) ، و« شذا العرف » (ص ٤١)

ثانيتُهُما أُبدِلَتْ مِنْ جنسِ حركةِ الأُولىٰ ، فتُبدَلُ أَلِفاً للفتحةِ ، وواواً للضمةِ ، وياءً للكسرةِ ، وحُذِفَتْ همزةُ الفعلِ مِنَ الأمرِ ، فيبقىٰ عينُهُ ولامُهُ ؛ تقولُ آخُذُ وآمُرُ وآكُلُ ، وخُذْ ومُرْ وكُلْ ، وحينَئذٍ يستغني الأمرُ عن همزةِ الوصلِ

وإذا كانَتْ عينُ الفعلِ واواً ؛ كقَوَلَ ورَوَمَ أُبدِلَتْ أَلِفاً في الماضي ، ونُقِلَتْ ضمَّتُها إلى الساكنِ قبلَها ، وبَقِيَتْ ساكنةً سكوناً مُرسَلاً في المضارعِ ، فإذا سكنَ آخِرُهُ حُذِفَتْ كما تُحذَفُ مِنَ الأمرِ إذا لم يَتحرَّكْ آخِرُهُ ، فيكونُ النطقُ هٰكذا قالَ ، يَقُولُ ، لم يَقُلْ ، قُلْ ، قَوْلاَ[1] ، ورَامَ ، يَرُومُ ، لم يَرُمْ ، رُمْ ، رُومُوا

وإذا كانَتْ لامُ الفعلِ واواً ؛ كدَعَوَ ، وعَلَوَ أُبدِلَتْ أَلِفاً في الماضي

ولها في المضارعِ ثلاثةُ أحوالٍ السكونُ المُرسَلُ ، والفتحُ ، والحذفُ ، وبيانُ سببِ ذٰلكَ مِنْ وظيفةِ النحوِ

ولها في الأمرِ ثلاثةُ أحوالٍ حذفُها عندَ خطابِ الواحدِ ، وعندَ خطابِ جماعةِ الذُّكورِ ، وعندَ خطابِ الواحدةِ ، وفي هٰذا تُبدَلُ الضمةُ التي كانَتْ قبلَها كسرةً ، وبقاؤُها مفتوحةً عندَ خطابِ الاثنَينِ ، وبقاؤُها ساكنةً عندَ خطابِ جماعةِ الإناثِ ، فيكونُ النطقُ هٰكذا علا ، يعلو ، لن يعلوَ ـ بفتحِ الواوِ ـ لم يَعْلُ ، اُعلُ ، اُعلُوْا ، اِعلِي ، اُعلُوَا ، اُعلُوْنَ

وإذا كانَتْ عينُ الفعلِ ولامُهُ مِنْ جنسٍ واحدٍ ؛ كدالَينِ أو جيمَينِ كرَدَدَ سكنَتِ العينُ ، وأُدغِمَتْ في اللَّامِ في الماضي ، ونُقِلَتْ ضمَّتُها إلى الساكنِ قبلَها ، فتَسكُنُ وتُدغَمُ في المضارعِ والأمرِ ، ولذٰلكَ يُحرَّكُ آخِرُ الأمرِ في موضعِ سكونِهِ

---

(١) لعل القياس أن يقول (قولوا) ، كما سيأتي في (رُوموا) ، والله تعالىٰ أعلم

البابُ الثاني

(فَعَلَ) بفتحِ العينِ (يَفْعِلُ) بكسرِها ، ويُسمَّىٰ (بابَ ضَرَبَ) كضرَبَ ، وباعَ ، ورمىٰ ، ووَعَدَ ، ووَفَىٰ ، ووَجَدَ

فإذا كانَتْ عينُ الفعلِ ياءً ؛ كبَيَعَ قُلِبَتْ أَلِفاً في الماضي ، ونُقِلَتْ كسرتُها إلى الساكنِ قبلَها ، وبَقِيَتْ ساكنةً سكوناً مُرسَلاً في المضارعِ ، وحُذِفَتْ إن سكنَ آخِرُهُ ، كما تُحذَفُ مِنَ الأمرِ إن لم يَتحرَّكْ آخِرُهُ ؛ كباعَ ، يَبيعُ ، لم يَبِعْ ، بِعْ ، بِعْنَ ، بِيعا ، بِيعُوا ، بِيعِي

وإذا كانَتْ لامُ الفعلِ ياءً ؛ كرَمَيَ قُلِبَتْ أَلِفاً في الماضي

ولها في المضارعِ ثلاثةُ أحوالٍ سكونُها ، وفتحُها ، وحذفُها

ولها في الأمرِ ثلاثةُ أحوالٍ حذفُها في خطابِ الواحدِ والواحدةِ وجماعةِ الذُّكورِ ، وتُبدَلُ الكسرةُ التي كانَتْ قبلَها في هٰذا ضمةً ، وبقاؤُها مفتوحةً في خطابِ الاثنَينِ ، وبقاؤُها ساكنةً في خطابِ جماعةِ الإناثِ ، فيكونُ النطقُ هٰكذا : رمىٰ ، يَرمي ، لن يَرميَ بفتحِ الياءِ ، لم يَرمِ ، ارمِ يا زيدُ ، ارمي يا هندُ ، ارموا يا رجالُ ، ارميا ، ارمينَ

وإذا كانَتْ فاؤُهُ واواً حُذِفَتْ مِنَ المضارعِ والأمرِ ، فيبقى الفعلُ علىٰ حرفَينِ هما عينُهُ ولامُهُ ؛ كوَعَدَ ، يَعِدُ ، عِدْ ، ووَزَنَ ، يَزِنُ ، زِنْ

وإذا كانَتْ فاءُ الفعلِ واواً ، ولامُهُ ياءً ؛ كوَقَىٰ ووَفَىٰ عُومِلَ معاملةَ ما فاؤُهُ واوٌ ، وما لامُهُ ياءٌ ، فيكونُ نطقُهُ هٰكذا وَقَىٰ ، يَقي ، لن يَقِيَ ، لم يَقِ ، قِ ، قِي ، قُوا ، قِيَا ، قِينَ

وعندَ حذفِ لامِهِ يبقىٰ علىٰ حرفٍ واحدٍ هوَ عينُهُ ، وإذا أردتَ حينَئذٍ أن تَقِفَ عليهِ أتيتَ بهاءِ السكتِ ؛ فتقولُ قِهْ ، وعِهْ ، وفِهْ

وإذا كانَتْ عينُهُ ولامُهُ مِنْ جنسٍ واحدٍ عملتَ فيهِ عملَكَ في (ردَّ) سوىٰ أنَّ هنا كسرةً ، وهناكَ ضمةً

البابُ الثالثُ

(فَعَلَ ، يَفْعَلُ) بفتحِ العينِ فيهِما ، ويُسمَّىٰ (بابَ فتحَ) كفَتَحَ يَفْتَحُ ، وذَهَبَ يَذهَبُ ، ولم يَرِدْ هٰذا البابُ إلَّا وعينُهُ أو لامُهُ مِنَ الحروفِ الحلقيَّةِ ؛ وهيَ الهمزةُ ، والهاءُ ، والعينُ ، والحاءُ ، والغينُ ، والخاءُ ؛ كسأَلَ يسأَلُ ، ولجأَ يَلجَأُ ، ودَهَمَ يَدهَمُ ، وشَذَّ أبىٰ يَأْبَىٰ ، وكانَ حقُّه يَأبي ؛ كيَرمي

ومتىٰ كانَتْ لامُ الفعلِ ياءً ؛ كسَعَيَ ورَعَيَ أُبدِلَتْ أَلِفاً في الأفعالِ الثلاثةِ ، وتُحذَفُ مِنَ المضارعِ والأمرِ في بعضِ التراكيبِ ـ علىٰ قياسِ أُختَيها الياءِ والواوِ مِنْ نحوِ (يَرمي) و(يدعو) ـ غيرَ أنَّ فتحتَها تُحفَظُ ولا تُبدَلُ كسرةً لأجلِ الياءِ أو ضمةً لأجلِ الواوِ ، فيكونُ النطقُ هٰكذا سَعَىٰ ، يَسْعَىٰ ، لن يسعىٰ ، لم يَسْعَ ، اسعَ ، اسعَيْ بفتحِ العينِ ، اسعَوْا بفتحِها أيضاً ، اسعَيَا اسعَيْنَ بالياء فيهِما على الأصلِ ، والمُضعَّفُ منهُ كالمُضعَّفِ مِنْ غيرِهِ ، والتخالفُ بالحركةِ

البابُ الرابعُ

(فَعِلَ) بكسرِ العينِ (يَفْعَلُ) بفتحِها ، ويُسمَّىٰ (بابَ فَرِحَ) كفَرِحَ يَفرَحُ ، وفَهِمَ يَفْهَمُ ، وخَافَ يَخَافُ ، وعَوِرَ يَعْوَرُ

ومِنْ هٰذا البابِ الأفعالُ الدالَّةُ على الفرحِ وتوابعِهِ ، والحُزْنِ وتوابعِهِ ، والامتلاءِ ، والخُلُوِّ ، والألوانِ ، والعُيوبِ ، والخِلَقِ الظاهرةِ التي تُذكَرُ لتحليةِ الإنسانِ في الغزلِ ؛ كفَرِحَ ، وطَرِبَ ، وبَطِرَ ، وأَشِرَ ، وكغَضِبَ ، وحَزِنَ ، وكشَبِعَ ، ورَوِيَ ، وسَكِرَ ، وعَطِشَ ، وظَمِئَ ، وصَدِيَ ، وهَيِمَ ، وكحَمِرَ ،

وسَوِدَ ، وكعَوِرَ ، وعَمِشَ ، وعَشِيَ ، وجَهِرَ ، وكغَيِدَ ، وهَيِفَ ، ولَمِيَ

وإذا كانَتْ عينُ الفعلِ مِنْ هـٰذا البابِ واواً أو ياءً ؛ فإن كانَ مصدرُهُ علىٰ (فَعَلٍ) بفتحتَينِ ؛ كعَوِرَ عَوَراً ، وغَيِدَ غَيَداً سَلِمَتْ ولم تُغيَّرْ ، وإن كانَ مصدرُهُ علىٰ (فَعْلٍ) بفتحٍ فسكونٍ ؛ كخافَ يَخافُ خَوْفاً أُبدِلَتْ أَلِفاً في الماضي ، وكذا في المضارِعِ ، بعد نقلِ فتحِها إلىٰ ما قبلَها ، وإذا سكنَ آخِرُهُ حُذِفَتْ كما تُحذَفُ مِنَ الأمرِ إن لم يَتحرَّكْ آخِرُهُ ؛ كخافَ ، يَخافُ ، لم يَخَفْ ، خَفْ ، خَفْنَ ، خافِي ، خافا ، خافُوا

وإذا كانَتْ لامُهُ واواً أُبدِلَتْ ياءً في الماضي ، وأَلِفاً في المضارعِ والأمرِ ، وعُومِلَتْ معاملةَ أَلِفِ (يسعىٰ) كرَضِيَ وعَشِيَ ، أصلُهُما رَضِوَ وعَشِوَ ؛ بدليلِ الرضوانِ ، وعشواءَ ، ومثلُ الياءِ المُبدَلةِ الياءُ الأصليةُ في إبدالِها أَلِفاً في المضارعِ والأمرِ ؛ كلَمِيَ يَلْمَىٰ ، والمُضعَّفُ مِنْ هـٰذا البابِ كغيرِهِ

البابُ الخامسُ

(فَعُلَ ، يَفْعُلُ) بضمِّ العينِ فيهِما ، ويُسمَّىٰ (بابَ كَرُمَ) نحوُ كَرُمَ يَكرُمُ ، وشَرُفَ يَشرُفُ

وجميعُ أفعالِ هـٰذا البابِ دالَّةٌ علىٰ غرائزَ مطبوعةٍ في الفِطَرِ ، ولكَ أن تُحوِّلَ كلَّ ثُلاثيٍّ إلىٰ هـٰذا البابِ ؛ للدلالةِ علىٰ أنَّ معناهُ قد صارَ كالغريزةِ في صاحبِهِ ، وربَّما تَعجَّبوا بأفعالِ هـٰذا البابِ ، فلا تكونُ للإخبارِ عن حدوثِها كما هوَ وضعُ الأفعالِ ، ولهـٰذا شرحٌ في النحوِ

البابُ السادسُ

(فَعِلَ ، يَفْعِلُ) بكسرِ العينِ فيهِما ، ويُسمَّىٰ (بابَ حَسِبَ) كحَسِبَ يَحْسِبُ ، ووَثِقَ يَثِقُ

وهٰذا البابُ أقلُّ الأبوابِ أفعالاً ، ولذٰلك أُخِّرَ ولم يكنْ معَ (بابِ فَرِحَ) كما تقتضي المناسبةُ لكسرِ عينِ الماضي فيهِما

ولم يُوجَدْ في اللغةِ العربيةِ ـ فهوَ مُهمَلٌ ـ (فَعِلَ) بكسرِ العينِ (يَفعُلُ) بضمِّها ، ولا (فَعُلَ) بضمِّ العينِ (يَفعِلُ) أو (يَفعَلُ) بكسرِها أو فتحِها ، ولو وُجِدَتْ لكانَتْ أبوابُ الثُّلاثيِّ تسعةً



الكلامُ علىٰ أبوابِ الرباعيِّ (١)

هيَ خمسةُ أقسامٍ قسمُ المُجرَّدِ ، وقسمُ مُلحقاتِ المُجرَّدِ بالزيادةِ ، وقسمُ المهموزِ ، وقسمُ مُضعَّفِ العينِ ، وقسمُ المفاعلةِ ؛ كدَحْرجَ ، وبَعْثرَ ، وعَرْبدَ ، ودَرْبجَ ، وكحَوْقلَ ، وبَيْطرَ ، وجَهْورَ ، وعَثْيرَ ، وجَلْببَ ، وسَلْقىٰ ، وكأكرمَ ، وكعَظَّمَ ، وكفاخَرَ

ومِنَ المُجرَّدِ أفعالٌ نحتَتْها العربُ مِنْ مُركَّباتٍ ؛ كـ (بَسْمَلَ) مِنْ باسمِ اللهِ ، و(حَمْدَلَ) مِنَ : الحمدُ للهِ ، و(حَوْقَلَ) مِنْ لا حولَ ولا قوَّةَ [إلَّا باللهِ] ، و(طَلْبَقَ) مِنْ أطالَ اللهُ بقاءَهُ ، و(دَمْعَزَ) مِنْ دامَ عِزُّهُ ، و(جَعْفَلَ) مِنْ جعلَني اللهُ فداءَكَ ، ويُقتصَرُ مِنْ هـٰذا علىٰ ما سُمِعَ ، فليسَ لنا أن نَنحِتَ كما نحتوا

والزيادةُ في المُلحقاتِ للدلالةِ علىٰ قُوَّةِ الفعلِ أو كثرتِهِ ، وأمَّا صيغةُ المهموزِ ، وصيغةُ مُضعَّفِ العينِ ، وصيغةُ المفاعلةِ فهيَ لمعانٍ يَكثرُ في الكلامِ دورُها ، فلا بدَّ مِنْ تفصيلِها ، والتنبيهِ علىٰ مواضعِها

صيغةُ المهموزِ يَكثرُ استعمالُها في ستَّةِ معانٍ

ـ أحدُها تصييرُ شيءٍ فاعلاً فِعْلاً ؛ كأقمتُ زيداً ، وأقعدتُهُ ، وأقرأتُهُ القرآنَ ؛ أي صيَّرتُهُ فاعلاً للقيامِ والقعودِ والقراءةِ

فمتىٰ كانَ أصلُ الفعلِ لازماً صارَ بالهمزةِ مُتعدِّياً لواحدٍ ، ومتىٰ كانَ مُتعدِّياً لواحدٍ . صارَ مُتعدِّياً لاثنينِ ؛ وذٰلكَ أنَّ صيغةَ المهموزِ مُشتمِلةٌ علىٰ

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٥١)

معنيَينِ هما فعلانِ التصييرُ ، ومعنىٰ أصلِ الفعلِ ، فإذا قلتَ (أعطىٰ زيدٌ عمراً درهماً) فمعناهُ صَيَّرَ زيدٌ عمراً عاطياً درهماً ؛ فالتصييرُ فعلُ زيدٍ ، وعمرٌو مفعولُهُ[1] ، والعطوُ ـ أيِ التناولُ والأخذُ ـ فعلُ عمرٍو ، والدرهمُ مفعولُهُ

ولم يَرِدْ في اللغةِ إدخالُ همزةٍ علىٰ فعلٍ مُتعدٍّ لاثنَينِ ليصيرَ مُتعدِّياً لثلاثةٍ إلَّا (رأىٰ) و(علمَ) وهما مِنَ الأفعالِ الإدراكيَّةِ التي سبقَ معرفتُكَ أنَّها مُتعدِّيةٌ لاثنَينِ بعدَ الفاعلِ ، فإذا أدخلتَ الهمزةَ صارَ ما كانَ فاعلاً مفعولاً ؛ فتقولُ أريتُ زيداً بكراً نافعاً ، أو أعلمتُهُ

ومِنْ كلامِهِمُ البركةُ أعلمَنا اللهُ معَ الأكابرِ

وثَمَّ خمسةُ أفعالٍ مُتضمِّنةٌ معنى الإعلامِ ، فهيَ مُتعدِّيةٌ إلىٰ ثلاثةٍ ؛ وهيَ أخبرَ ، وخَبَّرَ ، ونَبَّأَ ، وأنبأَ ، وحَدَّثَ

ـ وثانيها سلبُ شيءٍ وإزالتُهُ عن شيءٍ ؛ كأعتبَ زيدٌ عمراً ، وأشكاهُ ، وأقذىٰ عينَهُ ؛ أي أزالَ عَتْبَهُ عليهِ بترضِّيهِ والاعتذارِ لهُ ، وأزالَ شكايتَهُ منهُ ، وسلبَ القَذىٰ عن عينِهِ ؛ والقَذَىٰ ما يسقطُ في العينِ فيؤذيها

ـ وثالثُها مصادفةُ الشيءِ علىٰ صفةٍ ؛ كأكرمتُ زيداً وأحمدتُهُ حينَ قصدتُهُ ، وأبخلتُ عمراً وأذممتُهُ ؛ أي : وجدتُ زيداً كريماً محموداً ، وصادفتُ عمراً بخيلاً مذموماً

ـ ورابعُها صيرورةُ شيءٍ ذا شيءٍ بكونِهِ مالكاً لهُ كألبنَ ، وأتمرَ ، وأَفلسَ ، وأَنقدَ ، وأعرض ؛ أي صارَ مالكاً للَّبنِ ، والتمرِ ، والفلوسِ ، والنقدِ ، والعَرَضِ ، أو حاصلاً فيهِ ؛ كأمسىٰ ، وأَصبحَ ، وأَشأمَ ، وأعرقَ

---

(١) في الأصل (وعمرو ومفعوله)

ـ وخامسُها حينونةُ الشيءِ للشيءِ ؛ أي مجيءُ حينِهِ وأوانِهِ ؛ كأَحصدَ الزرعُ ، وأَجدَّ النخلُ ، وأَقطفَ الكَرْمُ ، وأَجنى الوردُ ، وأَزوجَتْ عقيلةُ فلانٍ ؛ أي جاءَ حينُ ذٰلكَ

ـ وسادسُها تعريضُ الشيءِ لشيءٍ ؛ كأرهنتُ المتاعَ فما وجدتُ مُرتهِناً ، وأبعتُ الجاريةَ فلم أرَ مشترياً ؛ أي عرضتُها لذٰلكَ

وربَّما جاءَ المهموزُ كأصلِهِ ، وهوَ نادرٌ ؛ كلَحِقَ وأَلحقَ ، وحَرَمَ وأَحَرَمَ ، وشَغَلَ وأَشْغَلَ ، وحَبَّ وأَحَبَّ ؛ فتارةً يكونُ المتروكُ المُستَرَدُّ هوَ الثلاثيَّ كحبَّ ، فالفصيحُ أحبَّ ، وتارةً يكونُ المهموزَ كأشغلَ ، فالفصيحُ شغلَ

يُحكىٰ أنَّ كاتباً للصاحبِ إسماعيلَ بنِ عبَّادٍ رفعَ لهُ ذاتَ يومٍ كتاباً فيهِ (وأشغلَني هٰذا الأمرُ) فوَقَّعَ الصاحبُ تحتَهُ (لا يَصلُحُ لعملِنا مَنْ يقولُ أشغلَني) وأبعدَهُ عنِ الخدمةِ

وربَّما كانَ الفعلُ الثلاثيُّ مُتعدِّياً ، فتدخلُ عليهِ الهمزةُ ، فيصيرُ لازماً علىٰ خلافِ المعتادِ ؛ مِنْ ذٰلكَ نَسَلتُ ريشَ الطائرِ ، وأَنسلَ ريشُ الطائرِ ، وعرضتُ الشيءَ ؛ أي أظهرتُهُ ، وأَعرض الشيءُ ؛ أي ظهرَ ، وكَبَبتُ زيداً علىٰ وجهِهِ ، وأَكَبَّ زيدٌ ، وقَشَعَتِ الريحُ السحابَ ، وأَقشعَ السحابُ

قالَ الشاعرُ (١) [من الطويل]

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْماً عِطَاشاً سَحَابَةٌ فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ

صيغةُ المُضعَّفِ تشاركُ المهموزَ في معنيَينِ

ـ أحدُهُما تصييرُ الشيءِ فاعلاً ؛ كقَوَّمتُ زيداً ، وقَعَّدتُهُ ، وقَرَّأتُهُ شِعراً

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٥١)

ـ وثانيهما السَّلْبُ والإزالةُ ؛ كقَشَّرتُ الشيءَ ، وجَرَّبتُهُ ؛ أي أزلتُ عنهُ قِشرَهُ وجَرَبَهُ

وَتنفرِدُ بستَّةِ معانٍ

ـ أحدُها صيرورةُ الشيءِ شبهَ شيءٍ ؛ كقَوَّسَ زيدٌ ، وحَجَّرَ عمرٌو ؛ أي صارَ شبهَ القوسِ في الانحناءِ ، وشبهَ الحَجَرِ في الجمودِ

ـ وثانيها نسبةُ شيءٍ لشيءٍ باعتقادٍ أو دونِهِ ؛ كوَحَّدتُ اللهَ وقَدَّستُهُ ، وخَطَّأَ زيدٌ عمراً وفَسَّقَهُ ، أو صَوَّبَهُ وحَسَّنَ رأيَهُ

ـ وثالثُها الحضورُ إلىٰ شيءٍ ؛ كجَمَّعَ ، وسَوَّقَ ، ووَسَّمَ ؛ أي حضرَ الجُمُعةَ ، والسُّوقَ ، والمَوسِمَ

ـ ورابعُها النطقُ بألفاظٍ تأخذُ منها الصيغةَ كلَبَّىٰ ، وسَمَّىٰ ، وسَبَّحَ

ـ وخامسُها قَبولُ شيءٍ وتحصيلُ الغرضِ منهُ ؛ كشَفَّعتُ زيداً في عمرٍو ؛ أي قَبِلتُ شفاعتَهُ وأبرأتُهُ مِنَ الدَّينِ

ـ وسادسُها التكثيرُ ، وربَّما اعتُبِرَ معَ التكثيرِ التدريجُ ؛ نحوُ نَزَّلَ اللهُ القرآنَ ؛ أي أكثرَ مِنْ نزولِهِ شيئاً فشيئاً ؛ لكونِهِ نزلَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نجوماً

ثمَّ التكثيرُ يكونُ

بالنظرِ للفعلِ في نفسِهِ ؛ نحوُ طَوَّفَ زيدٌ ، وجَوَّلَ ، وفرَّيتُ الأديمَ

وقد يكونُ بالنظرِ للفاعلِ ، حيثُ لا يكونُ الفعلُ في نفسِهِ قابلاً للتكثير ؛ نحوُ مَوَّتَتِ الإبلُ ، أو بَرَّكَتْ ، ورَبَّضَتِ الشاءُ

وقد يكونُ بالنظرِ للمفعولِ ؛ نحوُ ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴾ (١)

وربَّما لم يَزِدِ المُضعَّفُ علىٰ أصلِهِ ولم يَتغيَّرْ معناهُ ؛ كعاض وعوَّض ، وبَشَرَ وبَشَّرَ ، وماز وميَّزَ

وربَّما استُعمِلَتْ صيغةُ المُضعَّفِ هٰذهِ بمعنىٰ (تَفعَّلَ) كوَلَّىٰ ؛ بمعنىٰ تَوَلَّىٰ ، وفَكَّرَ ؛ بمعنىٰ تَفكَّرَ ، وربَّما أغنَتْ عنِ الثُّلاثيِّ ، كعَرَّدَ في القتالِ ؛ إذا فرَّ ، وعَيَّرَهُ ؛ أي عابَهُ ، وعَجَّزَتِ المرأةُ ؛ أي صارَتْ للسِّنِّ العاليةِ



صيغةُ (فاعَلَ) تأتي لمعنَيينِ

ـ أحدُهُما أنَّ شيئاً فَعَلَ فِعلاً معَ شيءٍ آخَرَ ، فقابلَهُ ذٰلكَ الشيءُ الآخَرُ بمثلِهِ ؛ فيكونُ كلٌّ فاعلاً مفعولاً ، لٰكنْ ليسَ النظرُ لمُجرَّدِ الاشتراكِ ، بل معَ أنَّ أحدَهُما بدأَ والآخَرَ قابَلَ ، فلذٰلكَ يُنسَبُ لأحدِهِما [نسبةُ] الفاعليَّةِ ، وللآخَرِ نسبةُ المفعوليَّةِ

وإذا كانَ أصلُهُ لازماً صارَ مُتعدِّياً لواحدٍ ، وإذا كانَ مُتعدِّياً لواحدٍ فربَّما صارَ مُتعدِّياً لاثنَينِ ؛ نحوُ ماشيتُهُ ، وأصلُهُ مشىٰ ومشيتُ ، وجاذبتُهُ الثوبَ ، والأصلُ جذبتُ ثوبَهُ وجذبَهُ ، وفي هٰذه الصيغةِ معنى المغالبةِ والمسابقةِ

ويُدَلُّ علىٰ سبقِ أحدِهِما وغَلَبتِهِ بصيغةِ (فَعَلَ) مِنْ (بابِ نَصَرَ) ، إلَّا إذا كانَ واويَّ الفاءِ أوِ يائيَّ العينِ أو اللامِ ؛ فإنَّهُ مِنْ (بابِ ضَرَبَ) تقولُ كاثَرَ زيدٌ عمراً وفاخَرَهُ ، فكَثَرَهُ يَكثُرُهُ وفَخَرَهُ يَفخُرُهُ ؛ كنَصَرَهُ يَنصُرُهُ ، وتقولُ : واثبَهُ فوَثَبَهُ يَثِبُهُ ، وبايعَهُ فباعَهُ يَبيعُهُ ، وماشاهُ فمشاهُ يَمشِيهِ

---

(١) سورة يوسف (٢٣)

فمتىٰ كانَ (فَعَلَ) للدلالةِ على الغَلَبةِ   كانَ مُتعدِّياً وإن كانَ أصلُهُ لازماً ، ومِنْ (بابِ نَصَرَ) وإن كانَ أصلُهُ مِنْ أيِّ بابٍ ؛ تقولُ   كارمَ زيدٌ عمراً ، فكَرَمَهُ يَكرُمُهُ ؛ كنصَرَهُ يَنصُرُهُ ، وأصلُهُ (كَرُمَ) لازمٌ مِنْ البابِ الخامسِ

ـ وثاني المعنيَينِ   تصييرُ الشيءِ ذا صفةٍ ؛ كتابعتُ القراءةَ ، وواليتُ السَّفرَ ؛ أي   صَيَّرتُ القراءةَ تابعاً بعضُها بعضاً ، وصَيَّرتُ السَّفرَ كذٰلكَ

وربَّما كانَتْ هٰذهِ الصيغةُ بمعنىٰ (فَعَّلَ) مُضعَّفاً ؛ كضاعفتُ الشيءَ ؛ بمعنىٰ   ضَعَّفتُهُ ؛ أي   جعلتُ لهُ ضِعفاً ؛ وهوَ قدرُهُ مَرَّةً

وربَّما كانَتْ صيغةُ المفاعلةِ قائمةً مَقامَ (فَعَلَ) ثلاثيّاً أو (أفعلَ) مهموزاً

فالأوَّلُ   كبارَكَ ، وقاسىٰ ، وبالىٰ

والثاني   كوارى الشيءَ ؛ أي   أخفاهُ

وربَّما كانَتِ المُفاعلةُ بتنزيلِ غيرِ الفعلِ منزلةَ الفعلِ وجعلِهِ مِنْ جنسِهِ ؛ مثلُ   حاربَ اللهُ الكُفَّارَ ؛ جَعَلَ عِنادَهُم ونُفورَهُم عن قَبولِ الحقِّ حرباً ، وحَربُهُم   إيذاؤُهُم بسَلْبِ أموالِهِم وإهلاكِ أبدانِهِم



الكلامُ علىٰ أبوابِ الخُماسيِّ [1]

هيَ ثلاثةُ أقسامٍ خُماسيُّ الثلاثيِّ ، وخُماسيُّ الرُّباعيِّ ، وخُماسيُّ مُلحقاتِ الرُّباعيِّ

نحوُ انبعثَ ، واحمَرَّ ، وتغافلَ ، وتَصبَّرَ ، واقتدرَ ، ونحوُ تَدحرجَ ، ونحوُ تَشَيْطَنَ ، وتَجَوْرَبَ ، وتَرَهْوَكَ ، وتَجَلْبَبَ ، وتَقَلْنَسَ ، وتَقَلَّسَ ، وتَمَسْكَنَ

بيانُ المعاني التي تأتي لها تلكَ الصِّيغُ

صيغةُ (اَنْفَعَلَ) كانبعثَ وانطلقَ تأتي لمعنىً واحدٍ ؛ وهوَ المُطاوعةُ ؛ أي قَبولُ تأثيرِ الغيرِ ، ولا تكونُ إلَّا في الأفعالِ العِلاجيَّةِ ، وتكونُ لمطاوعةِ ثُلاثيٍّ كثيراً ؛ كطَبعتُهُ فانطبعَ ، وبَعثتُهُ فانبعثَ ، وكَسرتُهُ فانكسرَ ، ولغيرِهِ قليلاً ؛ كأطلقتُهُ فانطلقَ ، وعَدَّلتُهُ بالتضعيفِ فانعدلَ ، فلا يُقالُ علمتُ الشيءَ فانعلمَ ؛ لكونِهِ غيرَ علاجيٍّ



صيغةُ (اَفْعَلَّ) كاحمرَّ ، واسودَّ ، واعورَّ ، واعمشَّ تأتي لمعنىً واحدٍ ؛ هوَ قُوَّةُ اللَّونِ أوِ العيبِ



صيغةُ (تَفَاعَلَ) تأتي لأربعةِ معانٍ

ـ أحدُها تَشاركُ شيئَينِ فأكثرَ ، فيكونُ كلٌّ فاعلاً مفعولاً ، لا يُنظَرُ فيهِ

---

(1) انظر « شذا العرف » (ص ٦٢)

للبَدْءِ والمقابلةِ كما يُنظَرُ في المفاعلةِ ؛ ولذٰلكَ إذا كانَ (فاعَلَ) مُتعدِّياً لواحدٍ صارَ بالتاءِ لازماً ، وإذا كانَ مُتعدِّياً لاثنينِ صارَ بها مُتعدِّياً لواحدٍ

فتقولُ ضاربَ زيدٌ عمراً ، وتَضاربَ زيدٌ وعمرٌو ، وجاذبَ زيدٌ عمراً ثوباً ، وتَجاذبَ زيدٌ وعمرٌو ثوباً ، فتُلغىٰ نسبةُ المفعوليَّةِ ما لم تَزِدْ عن واحدةٍ

ـ وثانيها التظاهرُ بالفعلِ دونَ حقيقةٍ ؛ كتَغافلَ وتَناومَ [وتغابىٰ] ؛ أي أظهرَ الغفلةَ والنومَ والغَباوةَ ، ولا غفلةَ ولا نومَ ولا غَباوةَ ، قالَ الشاعرُ (١) [من الكامل]

لَيْسَ ٱلْغَبِيُّ بِكَامِلٍ فِي قَوْمِهِ لَٰكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ ٱلْمُتَغَابِي

ـ والثالثُ حصولُ الشيءِ تدريجاً ؛ كتَزَايَدَ النِّيلُ ، وتَكاثَفَ الغَمامُ ؛ أي حَصَلَتْ زيادةُ النِّيلِ وكثافةُ الغَمامِ شيئاً فشيئاً

ـ والرابعُ مُطاوعةُ (فاعَلَ) كباعدتُهُ فتَباعَدَ

صيغةُ (تَفَعَّلَ) تأتي لخمسةِ معانٍ

ـ أحدُها تَكَلُّفُ الشيءِ ومحاولةُ أن يَحصُلَ ؛ كتَحَلَّمَ وتَصَبَّرَ وتَشَجَّعَ ؛ حيثُ يقومُ الغضبُ والجَزَعُ والجُبْنُ ، فهوَ يَتعقَّلُ ما في هٰذهِ الأشياءِ مِنَ المَضارِّ ، وما في تلكَ مِنَ المنافعِ ؛ فهوَ يُحاوِلُ أن يَتحلَّىٰ بتلكَ الفضائلِ ويُحصِّلَ منافعَها

ـ وثانيها تَجنُّبُ الشيءِ ؛ نحوُ تَحرَّجَ ، وتَأثَّمَ ، وتَهجَّدَ ؛ أي تَجنَّبَ الحَرَجَ ، والإثمَ ، والهُجودَ

---

(١) انظر « عيون الأخبار » (١/٢٢٥)

ـ وثالثُها اتخاذُ الشيءِ شيئاً[1] ؛ نحوُ توسَّدتُ الحَجَرَ ، وتَفرَّشتُ الأرض ، وتَبيَّتُّ الدنيا ؛ أيِ اتخذتُ الحَجَرَ وِسادةً ، والأرض فِراشاً ، والدُّنيا بيتاً

ـ ورابعُها تحصيلُ الشيءِ تدريجاً ؛ نحوُ تَحفَّظتُ العِلْمَ ، وتَفهَّمتُ مسائلَهُ

ـ وخامسُها مُطاوعةُ (فَعَّلَ) مُضعَّفَ العينِ ؛ نحوُ عَلَّمتُهُ فتعلَّمَ ، ونَبَّهتُهُ فتَنَبَّهَ

وربَّما كانَتْ صيغةُ (تَفَعَّلَ) مُغنِيةً عنِ النطقِ بفعلِ الثُّلاثيِّ قائمةً مَقامَهُ ؛ نحوُ تَكلَّمَ ، وتَصدَّىٰ



صيغةُ (ٱفْتَعَلَ) تأتي لستةِ معانٍ

ـ أحدُها الاتخاذُ ؛ نحوُ اختتمَ زيدٌ ، واختدمَ ؛ أيِ اتخذَ خاتِماً وخادماً

ـ وثانيها الاجتهادُ ؛ نحوُ اكتتبَ ، واحتمَلَ ، واجتهدَ

ـ وثالثُها التشاركُ في الفعلِ ، فترادفُ صيغةَ (تَفاعلَ) نحوُ اختصمَ زيدٌ وعمرٌو ؛ أي تخاصما ، واجتورَ العربُ ، واختلفَ الناسُ ، ومنهُ قولُهُ تعالىٰ ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾[2]

ـ ورابعُها إظهارُ الشيءِ ؛ نحوُ اعتذرَ ، واعتظمَ ؛ أي أظهرَ عُذرَهُ وعَظمَتَهُ

---

(١) أي اتخاذُ أصلٍ ما اشتُقَّ منه ذٰلك الفعلُ ، والأصل هو : الوسادة والفراش والبيت كما مثل به المؤلف

(٢) سورة الحجرات (٩)

ـ وخامسُها القُوَّةُ ؛ نحوُ اقتدرَ ، [واحتدَّ] ، وارتدَّ

ـ وسادسُها مُطاوعةُ ثلاثيٍّ كثيراً ، ومُطاوعةُ غيرِهِ قليلاً ؛ نحوُ عَدَّلتُهُ فاعتدلَ ، وهَمَّمتُهُ بالأمرِ فاهتمَّ بهِ ، وغَمَّمتُهُ فاغتمَّ ، وقَرَّبتُهُ بالتضعيفِ فاقتربَ ، وحَمَّلتُهُ فاحتمَلَ

هـٰذا ؛ ومتىٰ كانَتْ فاءُ (افتعلَ) زاياً أو دالاً   وجبَ إبدالُ التاءِ دالاً ؛ ليحسنَ اللفظُ ويَخِفَّ النطقُ بهِ ؛ نحوُ ازدانَ ؛ مِنَ الزينةِ ، وادَّان ؛ مِنَ الدَّينِ

ومتىٰ كانَتْ ذالاً   فأنتَ مُخيَّرٌ بينَ أن تُبدِلَ التاءَ والذالَ دالَينِ ، وبينَ أن تُبقِيَ الدالَ وتَقلِبَ التاءَ ذالاً ؛ فتقولَ في (اذتكرَ) ادَّكرَ ، أوِ اذَّكرَ ، وبكلتيهِما يَحصُلُ المقصودُ

ومتىٰ كانَتْ أحدَ حروفِ الإطباقِ ؛ وهيَ الطاءُ ، والضادُ ، والصادُ ، والظاءُ   وجبَ إبدالُ التاءِ طاءً في الثلاثةِ الأُوَلِ ؛ نحوُ اطَّحَنَ ؛ مِنَ الطَّحنِ ، واضطُرَ ؛ مِنَ الضُّرِّ ، واصطبرَ ؛ مِنَ الصَّبرِ ، وفي الرابعِ أنتَ مُخيَّرٌ بينَ أن تُبدِلَ التاءَ طاءً ، أو تُبدِلَها ظاءً ، أو تُبدِلَ الظاءَ والتاءَ [طاءَينِ] ؛ فتقولَ : اظطلمَ ، أوِ اظَّلَمَ ، أوِ اطَّلَمَ ؛ في (ظَلَمَ) وبالأوجهِ الثلاثةِ رُوِيَ قولُ زهيرٍ[1]   [من البسيط]

هُوَ ٱلْجَوَادُ ٱلَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ   عَفْواً وَيُظْلَمُ أَحْيَاناً فَيَظَّلِمُ

ويَظْطَلِمُ ، ويَطَّلِمُ

ومتىٰ كانَتْ فاءُ (افتعلَ) واواً أو ياءً   وجبَ إبدالُها تاءً ؛ نحوُ ٱتَّكَلَ وٱتَّأَدَ وٱتَّقىٰ ؛ فأصلُهُ اِوْتَكَلَ ، واِوْتَأَدَ ، واِوْتَقىٰ ، ونحوُ ٱتَّسَرَ ؛ وأصلُهُ اِيتَسَرَ ، فهـٰذهِ التغيُّراتُ التي تَلحَقُ هـٰذهِ الصيغةَ

---

(١) انظر « شرح شعر زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ١١٩)

صيغةُ (تَفَعْلَلَ) نحوُ : (تَدَحْرَجَ) لمطاوعةِ أصلِهِ في الأفعالِ المُتعدِّيةِ ، وفي غيرِها لمُجرَّدِ التقوّي

وقيلَ في نحوِ (تَمَسْكَنَ) إنَّهُ ليسَ مِنَ المُلحقاتِ ، بل هوَ مِنْ بابِ (تَفَعْلَلَ) بناءً علىٰ تَوهُّمِ أصالةِ الميمِ في نحوِ (مِسكينٍ ، ومكانٍ ، ومَكرُمةٍ) وهيَ زائدةٌ لكونِها مِنَ السُّكونِ والكَونِ والكَرَمِ ، ومَنِ ادَّعىٰ هٰذا كَمَّلَ أبوابَ الفعلِ بعَدِّ (تَكَلَّمَ) مِنَ المُلحقاتِ ؛ وهوَ فعلٌ وُضِعَ بهٰذهِ الصورةِ لم يُنطَقْ لهُ بثُلاثيّ



الكلامُ علىٰ أبوابِ السداسيّ [1]

هيَ قسمانِ سُداسيُّ الثُّلاثيِّ ، وسُداسيُّ الرُّباعيِّ

كاْحمارَّ ؛ مِنْ حَمِرَ ، واْخشَوْشَنَ ؛ مِنْ خَشُنَ ، واْجْلَوَّذَ ؛ مِنْ جَلذَ ، واْقْعَنْسَسَ ؛ مِنْ قَعِسَ ، واْسْلَنْقَىٰ ؛ مِنْ سَلَقَ ، واستخرجَ ؛ مِنْ خَرَجَ ، وكاْحْرَنْجَمَ ؛ مِنْ حَرْجَمَ ، واْقْشَعَرَّ ؛ مِنْ قَشْعَرَ

والخمسةُ الأُوَلُ مِنَ القسمِ الأولِ ؛ للدلالةِ علىٰ قُوَّةِ المعنىٰ

والصِّيغةُ السادسةُ منهُ تأتي لستةِ معانٍ

ـ أحدُها طلبُ الشيءِ حقيقةً أو مجازاً ؛ كاستكتبَ زيداً ؛ أي طلبَ منهُ الكَتْبَ ، واستخرجتُ المَعدِنَ ؛ أي طلبتُ منهُ الخروجَ ؛ سمَّيتَ علاجَكَ ومحاولتَكَ أن يخرجَ طلباً

ـ وثانيها اعتقادُ الشيءِ ؛ كاستحسنَ زيدٌ كذا أوِ استقبحَهُ ، واستنسبَ واستصوبَ ؛ أيِ اعتقدَ حسنَهُ أو قبحَهُ

ـ وثالثُها صيرورةُ الشيءِ ؛ كاستحصنَ المُهْرُ ؛ أي صارَ حصاناً ، واستحجرَ الطِّينُ [2]

ـ ورابعُها المُصادفةُ والوِجدانُ ؛ كاستكرمتُ زيداً حينَ قصدتُهُ ، أو استبخلتُهُ

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٦٧)

(٢) استحجر الطين صار حجراً

ـ وخامسُها النطقُ بكلامٍ أُخِذَ منهُ الفعلُ ؛ كاسترجعَ ؛ أي قالَ إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ

ـ وسادسُها القُوَّةُ ؛ كاستحمقَ ، واستهتَرَ ؛ أي قَوِيَتْ حماقتُهُ وهِتارُهُ



والصِّيغةُ الأُولىٰ مِنَ القسمِ الثاني للمطاوعةِ ؛ كحرجمتُ الإبلَ ؛ أي جمعتُها ، فاحرنجمَتْ ؛ أيِ اجتمعَتْ ، والصِّيغةُ الثانيةُ منهُ للتقويةِ

تكملةٌ فيها مسائلُ

المسألةُ الأولىٰ

[في همزتيِ الوصلِ والقطعِ في الأفعالِ]

الهمزةُ التي تُبدَأُ بها مواضي هٰذهِ الأفعالِ وأوامرُها همزةُ وصلٍ كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ [١] ، إلَّا همزةَ مهموزِ الثلاثيِّ كأكرمَ ؛ فإنَّها تُسمَّىٰ همزةَ قطعٍ ، لا تسقطُ أصلاً ، بدأتَ بها أو وصلتَها بغيرِها ، بخلافِ السابقةِ

فتقولُ أكرمَ ، وأجملَ ، وأحسنَ ، وأكرمْ ، وأجملْ ، ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [٢] ، فتنطقُ بالهمزةِ

وتقولُ انطلقَ ، واستخرجَ ، فتَنطِقُ بالهمزةِ في الأُولىٰ فقطْ ، معَ كونِها تُرسَمُ مطلقاً إلَّا في (بسمِ اللهِ) ، كما قالَ بعضُ الشعراءِ مشيراً لذٰلكَ [٣]

[من الطويل]

أَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ يُعْطَىٰ ثَلاثُونَ شَاعِراً وَيُحْرَمَ مَا دُونَ ٱلرِّضَا شَاعِرٌ مِثْلِي

(١) انظر (١/١٩١)

(٢) سورة القصص (٧٧)

(٣) هو أبو سعيد الرستمي ، كما في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٢)

كَـمَـا سَـامَـحُـوا عَـمْـراً بِـوَاوٍ مَـزِيـدَةٍ وَضُوِيقَ (بِسْمِ ٱللهِ .) فِي أَلِفِ ٱلْوَصْلِ

وبقيةُ مواضعِ همزةِ الوصلِ مصادرُ هٰذهِ الأفعالِ الآتي بيانُها ، إلَّا همزةَ مصدرِ نحوِ (أكرمَ) وعشرةُ أسماءٍ ؛ هيَ ٱسمٌ ، وٱبنٌ ، وٱبنُمٌ ، وٱبنةٌ ، وٱمرُؤٌ ، وٱمرأةٌ ، وٱستٌ ، وٱثنانِ ، وٱثنتانِ ، وٱيمُنٌ القَسَميَّةُ ؛ كقولِ الشاعرِ (١) [من الطويل]

وَقَالَ فَرِيقٌ لَأَيْمُنُ ٱللهِ مَا نَدْرِي

وحرفٌ واحدٌ علىٰ خلافٍ فيهِ ؛ وهوَ (ألِ) التعريفيَّةُ ، فمَنْ قالَ إنَّ حرفَ التعريفِ هوَ اللامُ فقطْ حكمَ بوصليَّةِ الهمزةِ ، ومَنْ قالَ مجموعُ الحرفَينِ حكمَ بقطعيتِها ، وتسقطُ تخفيفاً لكثرةِ الاستعمالِ

المسألةُ الثانيةُ

[في أحرفِ المضارعةِ]

الأحرفُ الأربعةُ التي يُبتدَأُ بها المضارعُ ويَجمعُها قولُكَ (أنيتُ) تُسمَّىٰ أحرفَ المضارعةِ ، وهيَ مفتوحةٌ إلَّا في مضارعِ الرباعيِّ مُجرَّداً أو مزيداً ؛ فإنَّها مضمومةٌ

والهمزةُ للمُتكلِّمِ المُخبِرِ عن نفسِهِ وحدَهُ

والنونُ للمُتكلِّمِ المُخبِرِ عن نفسِهِ وغيرِهِ

والتاءُ للمُخاطَبِ ، والمُخاطَبةِ ، والمُخاطَبَينِ ، والمُخاطَبتَينِ ، والمُخاطَبينَ ، والمُخاطَباتِ ، وللغائبةِ ، والغائبتَينِ

---

(١) عجز بيت من قصيدة لنصيب بن رباح في « ديوانه » (ص ١٥٢) ، والبيت بتمامه

فَقَالَ فَرِيقُ ٱلْقَوْمِ لَا وَفَرِيقُهُمْ وَقَالَ فَرِيقٌ لَأَيْمُنُ ٱللهِ مَا نَدْرِي

وانظر « مغني اللبيب » (١/١٣٧)

والياءُ للغائبِ ، والغائبَينِ ، والغائباتِ ، والغائبينَ

الأمثلةُ لذٰلكَ أنا أكتبُ نحنُ نكتبُ ، يا رجلُ تكتبُ ، يا امرأةُ تكتبينَ ، يا رجلانِ تكتبانِ ، يا امرأتانِ تكتبانِ ـ لا فرقَ بينَ خطابِ الاثنَينِ وخطابِ الاثنتَينِ ـ يا رجالُ تكتبونَ ، يا نساءُ تكتبْنَ ـ بسكونِ الباءِ ـ هندٌ تكتبُ ، والهندانِ تكتبانِ ، زيدٌ يكتبُ ، والزيدانِ يكتبانِ ، والرجالُ يكتبونَ ، والنساءُ يكتبْنَ ـ بسكونِ الباءِ ـ .

المسألةُ الثالثةُ

[في حركةِ الحرفِ الواقعِ قبلَ آخرِ المضارعِ في غيرِ الثلاثيِّ]

الحرفُ الواقعُ قبلَ آخرِ المضارعِ مِنْ غيرِ الثلاثيِّ مكسورٌ ولو تقديراً(١) ، إلَّا في الأفعالِ المُبتدَأةِ بالتاءِ الزائدةِ ؛ كتَصبَّرَ وتَغافلَ ، فإنَّهُ مفتوحٌ

المسألةُ الرابعةُ

[في اشتمالِ المضارعِ علىٰ أحرفِ الماضي ، وما يُستثنىٰ مِنْ ذٰلكَ]

المضارعُ يَشتمِلُ علىٰ جميعِ أحرفِ الماضي غيرِ همزةِ الوصلِ ، إلَّا في (بابِ أكرمَ) فتسقطُ همزتُهُ ؛ فتقولُ أُكرِمُ ، ونُكرِمُ ، وكانَ حقُّهُ أُؤَكرِمُ كأُدَحرِجُ ، فخُفِّفَ بإسقاطِ الهمزةِ

المسألةُ الخامسةُ

[في أحوالِ النطقِ بالفعلِ الماضي]

الفعلُ الماضي متىٰ أُسنِدَ للتاءِ أو نونِ الإناثِ أو (نا) يَسكُنُ آخرُهُ ، فإن كانَ قبلَهُ أَلِفٌ حُذِفَتْ ؛ لقاعدةِ متى التقىٰ ساكنانِ ؛ فإن كانَ أولُهُما

---

(١) الحرف المكسور تحقيقاً نحو (يستغفِر) ، والمكسور تقديراً نحو (يحمَرُّ)

مَدّاً ليسَ بعدَهُ حرفٌ مُشدَّدٌ حُذِفَ ، وإلَّا حُرِّكَ أحدُهُما ؛ للتخلُّصِ ، وتعيينُ المُتحرِّكِ منهُما بالسماعِ

فبناءً على هٰذا تقولُ في (قالَ ، وباعَ ، وخافَ) قُلتُ وبِعتُ وخِفتُ ، والنساءُ قُلْنَ وبِعنَ وخِفْنَ ، ونحنُ قُلْنا وبِعْنا وخِفْنا ، فإن كانَتِ الألِفُ المحذوفةُ بدلاً عن واوٍ غيرِ مكسورةٍ ضَممتَ أوَّلَ الفعلِ ؛ تنبيهاً على أنَّهُ مِنْ بناتِ الواوِ ؛ كقُلْتُ وطُلْتُ ، الأوَّلُ مِنْ (بابِ نَصَرَ) ، والثاني مِنْ (بابِ كَرُمَ)

وإن كانَتِ الألِفُ بدلاً مِنْ ياءٍ أو واوٍ مكسورةٍ كُسِرَ أوَّلُ الفعلِ ؛ تنبيهاً على أنَّهُ مِنْ بناتِ الياءِ في الأوَّلِ ، وعلى كسرِ عينِهِ في الثاني ؛ كخِفْتُ ونِمْتُ ؛ مِنَ الخوفِ والنومِ ، وهما مِنْ (بابِ فَرِحَ) [١]

ومتى أُسنِدَ لواوِ جماعةِ الذُّكورِ ضُمَّ آخِرُهُ ؛ كقاموا ، وباعوا ، وأكلوا ، وشربوا ، ويُفتَحُ في غيرِ ذٰلكَ

ومتى كانَ آخِرُهُ أَلِفاً حُذِفَتْ عندَ إسنادِهِ للواوِ لتلكَ القاعدةِ [٢] ، وتبقى الفتحةُ التي كانَتْ قبلَها ، فتقولُ رجالٌ سَعَوْا ودَعَوْا ؛ بفتحِ العينِ وحذفِ الألِفِ مِنْ سعى ودعا

وعندَ إسنادِهِ لغيرِ الواوِ مِنَ الضَّمائرِ البارزةِ يَرجِعُ الفعلُ لأصلِهِ ؛ فتقولُ دَعَوْتُ ، ودَعَوْنا ، [ودَعَوَا] ، والنِّسوةُ دعَوْنَ ، ورَمَيْتُ ، ورَمَيْنا ، ورَمَيَا ، والنِّسوةُ رَمَيْنَ

ومتى كانَ آخِرُهُ ياءً لم تُبدَلْ ؛ كرَضِيَ وخَشِيَ حُذِفَتْ عندَ إسنادِهِ لواوِ الجماعةِ ، وأُبدِلَتِ الكسرةُ التي قبلَها ضمَّةً ؛ فتقولُ رَضُوا وخَشُوا

---

(١) مثال ما كان من بنات الياء (بِعتُ) من البيع

(٢) وهي (متى التقى ساكنان) المارَّةُ أول هٰذه المسألة

المسألةُ السادسةُ

[في أحوالِ النطقِ بالفعلِ المضارعِ]

الفعلُ المضارعُ إذا أُسنِدَ لأَلِفِ الاثنَينِ ، أو لواوِ الجماعةِ ، أو لياءِ المُخاطَبةِ جيءَ بعدَ الضَّمائرِ بنونٍ لا معنىً لها ، ولها فائدةٌ تُعرَفُ في النحوِ ، وحينَئذٍ إذا كانَتْ لامُ الفعلِ واواً أو ياءً حُذِفَتْ معَ ياءِ المُخاطَبةِ ، وتُبدَلُ الضَّمةُ التي قبلَ الواوِ كسرةً ؛ كتَدعِينَ وتَرمِينَ ، وحُذِفَتْ أيضاً معَ واوِ الجماعةِ ، وتُبدَلُ الكسرةُ التي قبلَ الياءِ ضمةً ؛ كتَرْمُونَ

والأمرُ كالمضارعِ ، لكنِ النونُ الزائدةُ لا يُنطَقُ بها معَهُ

وإذا أُكِّدَ بإحدىٰ نونَيِ التوكيدِ ؛ فإنِ اتصلَتْ بهِ . فُتِحَ آخِرُهُ ، وإنِ انفصلَتْ بأحدِ الضَّمائرِ الثلاثةِ حُذِفَتِ النونُ الزائدةُ ، وحُذِفَتْ واوُ الجماعةِ وياءُ المُخاطَبةِ ، إلَّا معَ الفعلِ المُعتلِّ بالأَلِفِ ؛ فإنَّهُما يَبقيانِ وتُضَمُّ الواوُ وتُكسَرُ الياءُ ؛ كتخشَوُنَّ وتخشَيِنَّ

وأمَّا الأَلِفُ فلا تُحذَفُ ، ولا يقعُ بعدَها مِنَ النُّونَينِ إلَّا الثقيلةُ مكسورةً ، وكذٰلكَ بعدَ نونِ الإناثِ ، ويُفصَلُ بينَها وبينَ نونِ التوكيدِ بأَلِفٍ ؛ كتَعْرِفْنَانِّ

وإذا وَلِيَ الخفيفةَ ساكنٌ حُذِفَتْ وبقيَتِ الفتحةُ التي كانَتْ قبلَها ؛ كقولِ الشاعرِ (١) [من المنسرح]

لَا تُهِينَ ٱلْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ ... تَرْكَعَ يَوْماً وَٱلدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ



---

(١) هو الأضبط بن قريع ، كما في « خزانة الأدب » (١١/٤٥٠)

التقسيمُ الرابعُ

[في بنائِهِ للفاعلِ والمفعولِ]

الفعلُ إن ذُكِرَ فاعلُهُ . سُمِّي فعلَ معلومٍ ، وإن لم يُذكَرْ فاعلُهُ . سُمِّي فعلَ مجهولٍ ، وحينَئذٍ تَتغيَّرُ صورتُهُ ؛ فإن كانَ ماضياً كُسِرَ ما قبلَ آخِرِهِ ، وضُمَّ أَوَّلُهُ وثانيهِ إن كانَ مُفتتَحاً بتاءٍ زائدةٍ ، وضُمَّ أَوَّلُهُ وثالثُهُ إن كانَ مُفتتَحاً بهمزةِ وصلٍ ، وضُمَّ أَوَّلُهُ فقطْ في غيرِ ذٰلكَ

فإن كانَ بعدَ المضمومِ أَلِفٌ قُلِبَتْ واواً ؛ كبُويِعَ وتُغُوفِلَ ، وإن كانَتْ عينُ الفعلِ أَلِفاً ؛ سواءٌ كانَتْ بدلَ واوٍ أو ياءٍ أُبدِلَتْ ياءً وكُسِرَ ما قبلَها على الأفصحِ ؛ كقِيلَ ، وبِيعَ ، واختِيرَ ، وانقِيدَ ، واستُقِيدَ ، وإن كانَ مُضارِعاً ضُمَّ أَوَّلُهُ وفُتِحَ ما قبلَ آخِرِهِ ، فإن كانَ ما قبلَ الآخِرِ واواً أو ياءً ؛ كيقولُ ويبيعُ ويستطيلُ أُبدِلَتْ أَلِفاً ؛ كيُقالُ ويُباعُ ويُستطالُ



التقسيمُ الخامسُ

[في انقسامِهِ إلىٰ مُتصرِّفٍ وجامدٍ]

الفعلُ إمَّا مُتصرِّفٌ تامُّ التصرُّف يجيءُ ماضياً ومُضارِعاً وأمراً ؛ كنصرَ ينصرُ انصرْ ، وناقصُهُ يجيءُ ماضياً ومُضارِعاً فقطْ ؛ كزالَ يزالُ ، وبَرِحَ يَبرَحُ ، وفَتِئَ يَفتأُ ، وانفكَّ يَنفَكُّ ، وكادَ يَكادُ ، وأَوشَكَ يُوشِكُ

وإمَّا جامدٌ لا يجيءُ منهُ غيرُ الماضي ؛ كليسَ ، وأفعالِ الشُّروعِ ، وبقيةِ أفعالِ المقاربةِ ، ونِعْمَ وبئسَ في المدحِ [والذَّمِّ] ، وعدا وخلا وحاشا في الاستثناءِ



المقالةُ الثانيةُ
في الكلامِ على الاسمِ

للاسمِ تقاسيمُ
التقسيمُ الأوَّلُ
[في الجامدِ والمُشتقِّ]

الاسمُ إمَّا جامدٌ ؛ وهوَ أسماءُ الأجناسِ الجوهريَّةِ ، وأسماءُ الأجناسِ العرضيَّةِ ؛ كإنسانٍ وسبعٍ وفرسٍ وشجرٍ وورَقٍ ، وكفَهْمٍ وعِلْمٍ وقيامٍ وقُعودٍ

وإمَّا مُشتقٌّ ؛ كأكثرِ الأفعالِ ، وهوَ الأسماءُ الدالَّةُ علىٰ أمرٍ ذي صفةٍ

والاشتقاقُ مِنْ أسماءِ الأجناسِ المعنويَّةِ ؛ كالفَهْمِ والعِلْمِ والحفظِ ، وجاءَ قليلاً مِنِ اسمِ العينِ ؛ كأَورقَ الشجرُ ؛ مِنَ الوَرَقِ ، وأسبعَتِ الأرضُ ؛ مِنَ السَّبُعِ

والأصلُ الذي منهُ الاشتقاقُ غالباً يُسمَّىٰ ـ كما عرفتَ ـ مصدراً ، ويُشتقُّ منهُ عشرةُ أشياءَ (الماضي ، والمضارعُ ، والأمرُ ، واسمُ الفاعلِ ، واسمُ المفعولِ ، والصِّفةُ ، واسمُ الزمانِ ، واسمُ المكانِ ، واسمُ الآلةِ ، واسمُ التفضيلِ) فتَحصَّلَ معنا أحدَ عشرَ شيئاً ؛ الأصلُ والفروعُ العشرةُ ، وكلٌّ يحتاجُ إلى البيانِ

أمَّا بيانُ الأفعالِ فقد مضىٰ



بيانُ المصدرِ[1]

سبقَ أنَّ الفعلَ باعتبارِ مادتِهِ أربعةُ أنواعٍ[2] ، ولكلِّ نوعٍ مصادرُ ؛ فهيَ أنواعٌ أربعةٌ

النوعُ الأوَّلُ
مصادرُ الثُّلاثيِّ

اعلمْ أنَّهُم يقولونَ هٰذا الشيءُ قياسيٌّ ، وهٰذا الشيءُ سماعيٌّ

أمَّا القياسيُّ فهوَ كلُّ شيءٍ كَثُرَتْ أفرادُهُ وصَعُبَ حصرُها وعدُّها ، فوُضِعَ لهُ ضابطٌ كُلِّيٌّ يَنتظِمُ بهِ جميعُ أفرادِها أو أكثرُها

وأمَّا السماعيُّ فهوَ ما قَلَّتْ أفرادُهُ فعُدَّتْ ، ولم يُوضَعْ لها ضابطٌ

فإذا سمعتَ القياسيَّ والسماعيَّ فهوَ علىٰ هٰذا المعنىٰ

كلُّ فعلٍ ثُلاثيٍّ يَدُلُّ علىٰ حركةٍ واضطرابٍ فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فَعَلَاناً) بفتحاتٍ ؛ كجالَ جَوَلَاناً ، وطافَ طَوَفَاناً ، وغلىٰ غَلَيَاناً

وكلُّ ثُلاثيٍّ يَدُلُّ علىٰ حِرفةٍ أو صناعةٍ فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فِعَالةً) بكسرِ أوَّلِهِ ؛ كوَلِيَ البلادَ وِلايةً ، وساسَ العبادَ سِياسةً ، وراض الخيلَ رِياضةً

وكلُّ ثُلاثيٍّ يَدُلُّ علىٰ إباءٍ وامتناعٍ فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فِعَالاً) بكسرِ أوَّلِهِ ؛ كأبىٰ إباءً ، وشَرَدَ شِراداً ، وحَرَنَ حِراناً

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١١٩)

(٢) انظر (١/١٨٧)

وكلُّ ثُلاثيٍّ يَدُلُّ علىٰ سيرٍ فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فَعِيلاً) بفتحِ أوَّلِهِ ؛ كرَحَلَ رَحِيلاً ، ورَسَمَ رَسِيماً ، وذَمَلَ ذَمِيلاً

وكلُّ ثُلاثيٍّ يَدُلُّ علىٰ داءٍ فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فُعَالاً) بضمِّ أوَّلِهِ ؛ كدارَ رأسُهُ دُواراً ، وصُدِعَ صُداعاً ، ومَشَتْ بطنُهُ مُشَاءً

وكلُّ ثُلاثيٍّ يَدُلُّ علىٰ صوتٍ فمصدرُهُ القياسيُّ نوعانِ يَتوزَّعانِهِ **أحدُهُما** يوازنُ (فُعَالاً) بضمِّ أولِهِ ، **والآخَرُ** يوازنُ (فَعِيلاً) بفتحِ أوَّلِهِ ؛ كصَرَخَ صُرَاخاً ، ونَبَحَ الكلبُ نُبَاحاً ، وعَوَى الذِّئبُ عُوَاءً ، وكزَأَرَ الأسدُ زَئِيراً ، وصَهَلَ الفرسُ صَهِيلاً

وكلُّ ثُلاثيٍّ مِنْ (بابِ كَرُمَ) فمصدرُهُ القياسيُّ نوعانِ يَقتسمانِهِ **أحدُهُما** يوازنُ (فُعُولةً) بضمِّ أوَّلِهِ ، **والآخَرُ** يوازنُ (فَعَالةً) بفتحِ أوَّلِهِ ؛ كصَعُبَ صُعُوبةً ، وخَشُنَ خُشُونةً ، وسَهُلَ سُهُولةً ، وجَزُلَ جَزَالةً ، ونَبُهَ نَبَاهةً ، وظَرُفَ ظَرَافةً

وكلُّ ثُلاثيٍّ لازمٍ مِنْ (بابِ فَرِحَ) فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فَعَلاً) بفتحتَينِ ؛ كفَرِحَ فرَحاً ، وهَوِيَ هَوىً ، وشَلَّ شَلَلاً ، وكلُّ ما دَلَّ مِنْ هٰذا البابِ علىٰ لونٍ فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فُعْلةً) بضمٍّ فسكونٍ ؛ كحَمِرَ حُمْرةً ، وصَفِرَ صُفْرةً ، وحَوِيَ حُوَّةً

وكلُّ فعلٍ ثُلاثيٍّ لازمٍ ليسَ مِنْ (بابِ فَرِحَ) ولا مِنْ (بابِ كَرُمَ) فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فُعُولاً) بضمِّ أولِهِ ؛ كقَعَدَ قُعُوداً ، وجَلَسَ جُلُوساً ، وذَهَبَ ذُهُوباً ، ووَثِقَ وُثُوقاً

وكلُّ ثُلاثيٍّ مُتعدٍّ كنَصَرَ وضَرَبَ وفَتَحَ وفَهِمَ فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فَعْلاً) بفتحٍ فسكونٍ ؛ كنَصَرَ نَصْراً ، وضَرَبَ ضَرْباً ، وفَتَحَ فَتْحاً ، وفَهِمَ فَهْماً ، وخافَ خَوْفاً

فهٰذهِ هيَ أنواعُ المصادرِ القياسيَّةِ للأفعالِ الثُّلاثيَّةِ ؛ وهيَ ثلاثةَ عشرَ نوعاً

ولأهلِ العربيةِ خلافٌ في تفسيرِ القياسيِّ ؛ فمنهُم مَنْ ذهبَ إلىٰ أنَّهُ ما وُضِعَ لهُ قانونٌ كُلِّيٌّ يَضبطُ أفرادَهُ ؛ بحيثُ متىٰ سمعتَ فِعْلاً مِنْ أيِّ بابٍ نطقتَ بمصدرِهِ حسبَ القانونِ الموضوعِ لمصدرِ نوعِ ذٰلك الفعلِ وإن لم يكنْ مسموعاً مِنَ العربِ وكان المسموعُ غيرَهُ ؛ فلكَ إذاً الخيارُ بينَ أن تَنطِقَ بالمسموعِ ، وأن تَنطِقَ بما اقتضاهُ القياسُ

ومنهُم مَنْ ذهبَ ـ وهوَ الصحيحُ ـ إلىٰ أنَّهُ ما وُضِعَ للكثيرِ المسموعِ منهُ قانونٌ ، فيكونُ الضبطُ لِمَا كَثُرَ ، لا لجميعِ الأفرادِ ، فوجبَ أن تقفَ علىٰ حدِّ ما سُمِعَ ؛ فإن كانَ المسموعُ مِنَ المضبوطِ فذاكَ ، وإلَّا نطقتَ بما سُمِعَ

وفائدةُ وضعِ القوانينِ حينَئذٍ التنبيهُ على الكثيرِ ، وأنَّكَ إذا سمعتَ مصدراً مِنَ المضبوطاتِ عرفتَ هيئةَ فعلِهِ

وأمَّا المسموعُ القليلُ مِنْ مصادرِ الثلاثيةِ فهيَ هٰذهِ نَسرُدُها عليكَ (شُرْبٌ) بضمٍّ فسكونٍ ، و(حِفْظٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(رَحْمَةٌ) [بفتحٍ] فسكونٍ ، و(نِشْدَةٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(دَعْوىٰ) بفتحٍ فسكونٍ ، و(ذِكْرىٰ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(بُشْرىٰ) بضمٍّ فسكونٍ ، و(لَيَّانٌ) بفتحٍ فسكونٍ ، و(حِرْمانٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(غُفْرانٌ) بضمٍّ فسكونٍ ، و(طَلَبٌ) بفتحتَينِ ، و(حَنِفٌ) بفتحٍ فكسرٍ[١] ، و(صِغَرٌ) بكسرٍ ففتحٍ ، و(هُدىً) بضمٍّ ففتحٍ ، و(غَلَبَةٌ) بفتَحاتٍ ، و(سَرِقَةٌ) بفتحٍ فكسرٍ ، و(ذَهَابٌ) بفتحِ أوَّلِهِ ، و(صِرَافٌ) بكسرِهِ ؛ شهوةُ الكلبةِ إلى الفحلِ ، و(زَهَادةٌ) بفتحِ أوَّلِهِ ، و(دِرَايةٌ) بكسرِهِ ،

---

(١) حَنِف كذا في الأصل ، ولعلها (حَلِفٌ) باللام بدل النون

و(بُغَايةٌ) بضمِّهِ ، و(قَبُولٌ) بفتحِهِ ، و(كَرَاهيةٌ) بفتحِهِ ، و(رُجُوليَّةٌ) بضمِّهِ ، وتشديدِ الياءِ ، و(شَيْخوخةٌ) بفتحٍ فسكونٍ

وربَّما نُطِقَ للفعلِ بمصدرَينِ فأكثرَ

فهٰذهِ خمسةٌ وعشرون وزناً وردَتْ مصادرَ لبعضِ الأفعالِ الثُّلاثيَّةِ ، لا يجوزُ على الصَّحيحِ أن تَنطِقَ بغيرِ المسموعِ منها قياساً على الكثيرِ في مصدرِ نوعِهِ

مثلاً (شَرِبَ) فعلٌ ثُلاثيٌّ مُتعدٍّ كـ (فَهِمَ) ، فالكثيرُ في مصدرِ نوعِهِ ـ كما عرفتَ ـ أن يوازنَ (فَعْلاً) بفتحٍ فسكونٍ كـ (فَهْمٍ) ، لٰكنِ المسموعُ شربَ الماءَ شُرْباً ؛ بضمِّ أوَّلِهِ ، فهوَ مُلتزَمٌ

وقد وردَتْ ألفاظٌ علىٰ أوزانٍ أُخَرَ اختلفَ أهلُ العربيَّةِ في كونِها مصادرَ

فمنهُم مَنْ بنىٰ علىٰ ظاهرِ ما يعطيهِ الكلامُ ؛ فحَكَمَ بمصدريَّتِها

ومنهُم مَنْ رأىٰ سُهولةَ التأويلِ ؛ محافظةً علىٰ ضبطِ الانتشارِ ، فحكمَ بكونِها غيرَ مصادرَ ، وأخرجَها في أبوابِ أشكالِها

وذٰلكَ كالمعقولِ ، والمفهومِ ، والميسورِ ، والمعسورِ ، والمجلودِ ، والباقيةِ ، والعاقبةِ ؛ في مثلِ (ليسَ لفلانٍ معقولٌ) علىٰ معنىٰ : ليسَ لهُ عقلٌ ، مصدرُ عَقَلَ بمعنىٰ أدركَ ، فالظاهرُ أنَّهُ مصدرٌ جاءَ علىٰ وزنِ (مفعولٍ) لأنَّ الغرض مِنْ هٰذا الكلامِ كما عرفتَ نفيُ العقلِ بمعنى الإدراكِ

وبمصدريَّتِهِ ـ بناءً علىٰ هٰذا ـ حكمَ الأوَّلونَ ؛ فهوَ نفيٌ للعقلِ بغيرِ واسطةٍ

وقالَ الآخَرونَ معنى الكلامِ (ليسَ لفلانٍ أمرٌ معقولٌ) وإذا لم يكنْ لهُ أمرٌ معقولٌ لم يكنْ لهُ عقلٌ ؛ فهوَ نفيٌ للعقلِ بواسطةٍ

ومِنْ هٰذا قالَ المُفسِّرونَ في قولِهِ تعالىٰ ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ [(١)] يحتملُ أن يكونَ معناهُ فهل ترىٰ لهم مِنْ بقاءٍ ، وأن يكونَ معناهُ مِنْ فِرقةٍ باقيةٍ ، أو حالةٍ باقيةٍ ؛ فلفظُ (باقيةٍ) على الأولِ مصدرٌ جاءَ علىٰ وزنِ (فَاعلةٍ) ، وعلى الثاني غيرُ مصدرٍ ، والتأويلُ في بعضِ المواضعِ مُتكلَّفٌ

وجاءَ للدلالةِ على الكثرةِ مصدرٌ لهٰذه الأبوابِ يوازنُ (التَّفْعالَ) بفتحٍ فسكونٍ ؛ كالتَّطوافِ ، والتَّجوالِ ، والتَّكرارِ ، والتَّذكارِ ، وشذَّ كسرُ [التاءِ] في تِبيانٍ وتِلْقاءٍ

وثَمَّ لجميعِ الأفعالِ الثُّلاثيةِ مصدرٌ يُقالُ لهُ المصدرُ الميميُّ ؛ لكونِهِ مبتدأً بميمٍ زائدةٍ ، لا خلافَ في كونِهِ مصدراً ، وإنَّما الخلافُ في كونِهِ مُشتقّاً مِنَ المُجرَّدِ عنِ الميمِ ، أو مرادفاً لهُ

ومبنى الأوَّلِ علىٰ أنَّ الاشتقاقَ لا يلزمُ أن يُغيِّرَ المعنىٰ ، ومبنى الثاني علىٰ ذٰلكَ

وضابطُهُ لتَعرفَ كيفيَّةَ النطقِ بهِ أنَّهُ إذا كانَ مصدراً لمثالٍ حُذِفَتْ فاؤُهُ في المضارعِ وصَحَّتْ لامُهُ فهوَ بكسرِ عينِهِ ؛ كمَوْعِدٍ لـ (وَعَدَ) ومَوْئلٍ لـ (وَأَلَ) تقولُ وعدَني زيدٌ مَوْعِداً لم يُخْلِفْهُ ، كما تقولُ وعدَني وَعْداً

وفي غيرِ ذٰلكَ بفتحِ عينِهِ ؛ كَمَنْظَرٍ ، ومَضْرَبٍ ، ومَجْلَسٍ ، ومَفْرَحٍ ، ومَكْرَمٍ ، ومَوْجَلٍ ، ومَيْسَرٍ ، ومَغْلىً ، ومَرْمىً ؛ تقولُ رميتُ مَرْمَىٰ زيدٍ ؛ علىٰ معنىٰ رميتُ مَرْمىً مثلَ مَرْمىٰ زيدٍ ؛ كما تقولُ رَمْياً مثلَ رَمْيِ زيدٍ ، فهوَ علىٰ معنىٰ تمثيلِ الفعلِ الصادرِ منكَ بالفعلِ الصادرِ منهُ

وقد سُمِعَ ما يُخالِفُ هٰذا الضابطَ في قليلٍ مِنَ الكلماتِ ، فيُلتزَمُ المسموعُ ؛

---

(١) سورة الحاقة (٨)

كلفظِ (مَعْرِفةٍ) بكسرِ الراءِ ، والضابطُ يقتضي فتحَها ، و(مَقْدرةٍ) بتثليثِ الدالِ ، والموافقُ الفتحُ

ولوجودِ الشَّواذِّ لم تَتِمَّ جميعُ القوانينِ ، فأنتَ بعدُ مُفْتقِرٌ للكشفِ في كتبِ متنِ اللغةِ عنِ المصدرِ وغيرِهِ مِنَ الألفاظِ التي تريدُ أن تستعملَها لتَعرِفَ صورتَها ، ولٰكنْ لوضعِ القوانينِ فوائدُ سبقَ تنبيهُكَ لها

النوعُ الثاني
مصادرُ الأفعالِ الرباعيَّةِ

للرباعيِّ المُجرَّدِ وما أُلحِقَ بهِ ـ إلَّا نحوَ زلزلَ وقلقلَ وبخبخَ ـ وزنٌ واحدٌ ؛ هوَ (فَعْلَلَةٌ) كدَحْرَجَ دَحْرَجَةً ، وحَوْقَلَ حَوْقَلةً ، وبَيْطَرَ بَيْطرةً

وأمَّا نحوُ (زلزلَ) فلهُ وزنانِ هما (فَعْلَلَةٌ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ ، و(فِعْلَالٌ) بكسرٍ فسكونٍ ؛ كزَلْزَلَ زَلْزَلَةً وزِلْزَالاً ، ووَسْوَسَ وَسْوَسَةً ووِسْوَاساً ؛ قيلَ ويُفْتَحُ هٰذا ، وقيلَ هوَ حينَئذٍ غيرُ مصدرٍ ، بلِ اسمٌ موضوعٌ لذٰلكَ المعنىٰ

ولمهموزِ الثُّلاثيِّ ؛ كأسلمَ وآمنَ (الإِفْعالُ) كأَسلمَ إسْلاماً ، وآمنَ إيماناً ، وأَحسنَ إحساناً ، لٰكنْ إذا كانَتْ فاءُ (الإفعالِ) همزةً كالإيمانِ قُلِبَتْ ياءً ، وإذا كانَتْ واواً فكذٰلكَ ؛ كأَوصىٰ إيصاءً ، وأَوغلَ إيغالاً ، وأَوعدَ إيعاداً

وإذا كانَتْ عينُ فعلِهِ مُبدَلةً أَلِفاً حذفتَ منهُ أَلِفَ (الإفعالِ) وجئتَ بعدَهُ بتاءٍ هي عوضٌ منها ، فيكونُ وزنُ المصدرِ (إِفَعْلةً) بكسرٍ ففتحٍ فسكونٍ ؛ كأقامَ إقامةً ، وأجازَ إجازةً ، وأبانَ إبانةً ، ويُقالُ في تصريفِهِ أصلُ (إبانةٍ) مثلاً إِبْيَانٌ كإِكْرَامٍ ، نُقِلَتْ فتحةُ الياءِ إلى الباءِ وأُبدِلَتْ أَلِفاً ، وحُذِفَتْ أَلِفُ

الإفعالِ ، وعُوِّض منها التاءُ ؛ وذٰلكَ ليَخِفَّ اللَّفظُ ويَعذُبَ ؛ إذ كانَ وضعُ اللغةِ علىٰ مَلَاحةِ المَنطِقِ ورَشاقةِ اللَّفظِ

وإذا كانَتْ لامُ فعلِهِ مُبدَلةً أَلِفاً صارَتْ فيهِ همزةً ؛ كأحلىٰ إحلاءً ، وألقىٰ إلقاءً ، وأبقىٰ إبقاءً

ولمُضعَّفِ العينِ (التَّفْعِيلُ) بفتحِ فسكونٍ فكسرٍ فسكونٍ ؛ كسَبَّحَ تَسبِيحاً ، وجَرَّبَ تَجرِيباً ، لٰكنْ إذا كانَتْ لامُ فعلِهِ مُعتلَّةً حُذِفَتْ منهُ ياءُ التفعيلِ ، وعُوِّض منها تاءٌ بعدَهُ ، فوزنُهُ (تَفْعِلَةٌ) بفتحِ فسكونٍ فكسرٍ ؛ كزَكَّىٰ تَزْكِيَةً ، ورَبَّىٰ تَرْبِيَةً ، وحَلَّىٰ تَحْلِيَةً ، وسُمِعَ هٰذا التغييرُ في بعضِ الصَّحائحِ ، فلا يتجاوزُ المسموعَ ؛ كتَجْرِبَةٍ وتَكْرِمَةٍ

ومثلُ مُعتلِّ اللَّامِ مهموزُها ؛ مثلُ جَزَّأَ تَجْزِئَةً ، ووَطَّأَ تَوْطِئَةً ، وبَرَّأَ تَبْرِئَةً

ولـ (فَاعَلَ) كضَارَبَ وخَاصَمَ مصدرانِ (فِعالٌ) بكسرِ أوَّلِهِ ، و(مُفاعَلةٌ) ؛ كعِيانٍ ومُعايَنةٍ ، وخِصامٍ ومُخاصَمةٍ ، لٰكنْ إذا كانَتْ فاؤُهُ ياءً ؛ كياوَمَ ويامَنَ وياسَرَ التُزِمَ الثاني وتُرِكَ الأوَّلُ ؛ لثقلِهِ ؛ كمُياوَمةٍ ، ومُيامَنةٍ ، ومُياسَرةٍ

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً فهيَ في الأوَّلِ همزةٌ ، وفي الثاني أَلِفٌ ؛ كوالىٰ وِلاءً ومُوالاةً ، وجارىٰ جِراءً ومُجاراةً

النوعُ الثالثُ

مصادرُ الخماسيِّ

لـ (تَفَعْلَلَ) نحوُ تَدَحْرَجَ ، وتَشَيْطَنَ (التَّفَعْلُلُ) بفتحِ أوَّلِهِ وثانيهِ وسكونِ ثالثِهِ وضمِّ رابعِهِ ؛ كالتَّدَحْرُجِ ، والتَّشَيْطُنِ

ولـ (تَفَعَّلَ) نحوُ تَصَبَّرَ ، وتَكَلَّمَ (التَّفَعُّلُ) بفتحِ أوَّلِهِ وثانيهِ وضمِّ

ثالثِهِ مُشدَّداً إن لم تكنْ لامُهُ مُعتلَّةً ، فإن كانَتْ كُسِرَ ؛ فالأولُ كتَصَبُّرٍ وتَكَلُّمٍ ، والثاني كتَدَلِّي تَدَلِّياً ، وتَأَلِّي تَأَلِّياً ، وتَأَنِّي تَأَنِّياً

ولـ (تَفَاعَلَ) كتَغَافَلَ وتَقَاصَرَ (التَّفَاعُلُ) بضمِّ ما قبلَ آخِرِهِ إن لم يكنِ الآخِرُ مُعتلاً ، وإلّا كُسِرَ ؛ كتَغَافُلٍ وتَدَاخُلٍ ، والتَّغابي والتَّداني والتَّقاضي[1] ، وإن كانَ الآخِرُ وما قبلَهُ مِنْ جنسٍ واحدٍ سَكَنَتْ وأُدغِمَتْ كما هوَ الواجبُ في مثلِهِ ؛ كتَحابٍّ ، وتَوادٍّ ، وتَشادٍّ

ولـ (ٱنفعلَ) كانطلقَ (الاْنفعالُ) كالانطلاقِ

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً أُبدلَتْ همزةً ؛ كالاْنجلاءِ ، والاْنطواءِ ، والاْنضواءِ

ولـ (ٱفتعلَ) كاقتدرَ (الاْفتعالُ) كالاقتدارِ

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً أُبدِلَتْ همزةً ؛ كالاصطفاءِ ، والاقتداءِ ، والاختباءِ

وإذا كانَتْ فاؤُهُ واواً أو ياءً أُبدِلَتْ تاءً وأُدغِمَتْ في تاءِ (الاْفتعالِ) كما فَعَلْتَ بفعلِهِ ؛ كاتِّقاءٍ واتِّكالٍ واتِّسارٍ

ولـ (ٱفعلَّ) كاحمرَّ الذي أصلُهُ قبلَ الإدغامِ الواجبِ في مثلِهِ احْمَرَرَ ، وارعوى الذي أصلُهُ قبلَ الإبدالِ الواجبِ في مثلِهِ ارعَوَيَ (الاْفْعِلَالُ) بكسرٍ فسكونٍ فكسرٍ ؛ كاحمرارٍ واصفرارٍ

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً أُبدِلَتْ همزةً ؛ كارعواءٍ

النوعُ الرابعُ
مصادرُ السداسيِّ

لـ (ٱستفعَلَ) كاستخرجَ (الاْستفعالُ) كاستخراجٍ واستمهالٍ

(١) هٰذه المفردات الثلاثة مكانها في الأصل بعد قوله (وتشادٍّ)

وإذا كانَتْ فاؤُهُ واواً أُبدِلَتْ ياءً ؛ كاستوعدَ استِيعاداً ، واستولى استِيلاءً

وإذا كانَتْ عينُ فعلِهِ مُبدَلَةً أَلِفاً حُذِفَتْ أَلِفُ الاستفعالِ ، وعُوِّض منها تاءٌ لزوماً ؛ كاستعانةٍ ، واستقامةٍ ، واستطالةٍ

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً أُبدِلَتْ همزةً ؛ كاستبقاءٍ ، واستيفاءٍ ، واستهداءٍ

ولنحوِ (ٱخْشَوْشَنَ) الاخْشِيشانُ ؛ بكسرِ فسكونٍ فكسرٍ ، وإبدالِ الواوِ ياءً

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً أُبدِلَتْ همزةً ؛ كاعريراءٍ

ولمصادرِ الأفعالِ المبدوءةِ بهمزةِ الوصلِ ضابطٌ ؛ وهوَ أنَّ المصدرَ كالفعلِ الماضي ، غيرَ أنَّهُ يُكسَرُ ثالثُهُ ، وإذا كانَتْ بعدَهُ أَلِفٌ أو واوٌ . أُبدِلَتْ ياءً ، ويُزادُ قبلَ آخِرِهِ أَلِفٌ ، وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً أُبدِلَتْ همزةً

ومَنْ وعىٰ صورَ الأفعالِ لم يَصعُبْ عليهِ تمثيلُ المصادرِ

تكملةٌ

[في صيغتَيِ المَرَّةِ والهَيئةِ]

بنيتانِ إحداهُما توازن (فَعْلةً) بفتحٍ فسكونٍ ، والثانيةُ توازنُ (فِعْلةً) بكسرٍ فسكونٍ يُصوَّرُ بهما كلُّ مصدرِ فعلٍ ثُلاثيٍّ لم يكنْ وضعُهُ علىٰ إحداهُما

الأُولىٰ تُذكَرُ بعدَ الفعلِ للدلالةِ علىٰ حصولِهِ مَرَّةً

والثانيةُ للدلالةِ علىٰ هيئةِ الفعلِ حالَ صدورِهِ مِنْ فاعلِهِ

تقولُ زارَني زيدٌ زَوْرةً ، وجلسَ جَلْسةً ، وفَرِحَ فَرْحَةً ، وتقولُ : مشىٰ مِشْيةَ الأُمراءِ ، وهوَ حسنُ السِّيرةِ ، وخاتمٌ جَيِّدُ الصِّيغةِ ؛ بإبدالِ الواوِ ياءً كما هوَ الواجبُ في مثلِهِ ؛ كقيمةٍ

فإذا كانَ وضعُ المصدرِ علىٰ (فَعْلةٍ) كَرَحْمةٍ ، أو (فِعْلةٍ) كنِشْدةٍ دَلَّتْ على المَرَّةِ والهَيئةِ بما يفيدُ ذٰلك ؛ تقولُ رَحِمَ رَحْمةً واحدةً ، ونَشَدَ الضَّالَّةَ نِشْدةَ المنادي ، كما هو الحالُ إذا أردتَ الدلالةَ على الهيئةِ مِنْ غيرِ الثُّلاثيَّاتِ ؛ تقولُ عظَّمتُهُ تعظيمَ العنايةِ والاحتفالِ ، أو تعظيماً قويّاً

وأمَّا الدلالةُ على المَرَّةِ مِنْ غيرِ الثُّلاثيِّ فبإلحاقِ التاءِ للمصدرِ المشهورِ للفعلِ ؛ كعظَّمتُهُ تعظيمةً ، وأكرمتُهُ إكرامةً ، فإن كانَ المصدرُ مختوماً بالتاءِ ؛ كإقامةٍ ودحرجةٍ دَلَّتْ على المَرَّةِ بلفظِ (واحدةٍ)

ومِنَ الشَّاذِّ قولُهُمُ اعتمَّ عِمَّةَ الأعرابيِّ ، وتَقمَّص قِمْصةَ الرُّعاةِ ، واختمرَتْ خِمْرةَ الحضرِ ، وانتقبَتْ نِقْبةً حسنةً ؛ إذ لم تكنِ الأفعالُ ثُلاثيةً كما هوَ شرطُ البِنيةِ



بيانُ اسمِ الفاعلِ [1]

كلُّ فعلٍ ثُلاثيّ مُتعدٍّ مطلقاً أو لازمٍ ليسَ مِنْ بابِ (فَرِحَ) أو (كَرُمَ) فاسمُ الفاعلِ منهُ يوازنُ (فَاعِلاً) كناصرٍ مِنْ نَصَرَ ، وضَارِبٍ مِنْ ضَرَبَ ، وفَاتِحٍ مِنْ فَتَحَ ، وحَافِظٍ مِنْ حَفِظَ ، ووَارِثٍ مِنْ وَرِثَ

فإذا كانَتْ عينُ فعلِهِ مُبدَلَةً أَلِفاً ؛ كقامَ وباعَ فهيَ فيهِ همزةٌ ؛ كقائمٍ وبائعٍ

وإذا كانَتْ لامُ فعلِهِ مُعتلَّةً فهيَ فيهِ ياءٌ تُحذَفُ لوقوعِ ساكنٍ بعدَها ؛ كقاضٍ وداعٍ ، وقاضي البلدِ ، وداعي الخيرِ ، والقاضي والداعي

وتَلحقُهُ التاءُ في الأوصافِ المُشترَكةِ بينَ الذُّكورِ والإناثِ للفَرْقِ ؛ كقائمٍ وقائمةٍ ، ولا تَلحَقُ الأوصافَ المُختصَّةَ بالإناثِ لعدمِ الحاجةِ ؛ كحائضٍ ، وامرأةٍ حاملٍ وحائلٍ وفاركٍ

والغرضُ مِنِ اسمِ الفاعلِ الدلالةُ علىٰ أنَّ صاحبَهُ مُتلبِّسٌ بإيجادِ الفعلِ وإحداثِهِ ، فهوَ بمنزلةِ المضارعِ الحالي وقائمٌ مَقامَهُ ؛ بحيثُ يَصِحُّ وضعُ كلٍّ مكانَ الآخَرِ ، فيَحصُلُ المعنى المقصودُ ، أوِ الدلالةُ علىٰ أنَّهُ سيَتلبَّسُ أو سوفَ يَتلبَّسُ بالفعلِ ، فهوَ بمنزلةِ المضارعِ الاستقباليّ كذٰلكَ

مثلاً يسألُكَ سائلٌ ما حالُ زيدٍ الآنَ ؟ فتقولُ ها هوَ ذا قائمٌ ، أو يقومُ ، حالَ ما هو آخذٌ في نصبِ أعضائِهِ والهُوِيّ برأسِهِ إلىٰ جهةِ الفَوقِ

أو ما يفعلُ زيدٌ غداً ؟ فتقولُ هوَ راكبٌ فرسَهُ ، ومُسابِقٌ الفُرسانَ ، أو يركبُ ويُسابقُ

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٣١)

ويُقالُ لاسمِ الفاعلِ في هٰذَينِ الموضعَينِ اسمُ الفاعلِ الذي يَحُلُّ مَحَلَّهُ الفعلُ

وقد يُذكَرُ لتعيينِ موصوفِهِ ؛ حيثُ يكونُ سبقَ عهدُهُ بهِ ؛ كما تقولُ هٰذا سائلُكَ أمسِ ، ويُسمَّىٰ حينَئذٍ اسمَ الفاعلِ الذي يَحُلُّ مَحَلَّهُ الموصولُ وصلتُهُ ؛ فإنَّهُ في معنىٰ هٰذا الشخصُ الذي سألَكَ أمسِ وعرفتَهُ بذٰلكَ

[اسمُ الفاعلِ من غيرِ الثلاثيِّ]

وكلُّ فعلٍ غيرِ ثُلاثيٍّ فاسمُ الفاعلِ منهُ يوازنُ مضارعَهُ ، غيرَ أنَّ اسمَ الفاعلِ مبدوءٌ بميمٍ مضمومةٍ مكسورٍ ما قبلَ آخرِهِ مطلقاً ؛ كمُدحرِجٍ ، ومُكرِمٍ ، ومُعظِّمٍ ، ومُخاصِمٍ ، ومُنطلِقٍ ، ومُقتدِرٍ ، ومُتغافِلٍ ، ومُستخرِجٍ ، وهٰكذا



بيانُ اسمِ المفعولِ (١)

كلُّ فعلٍ غيرِ ثُلاثيّ فاسمُ المفعولِ منهُ يوازنُ اسمَ فاعلِهِ ، غيرَ أنَّهُ يُفتَحُ ما قبلَ آخِرِهِ ؛ كمُدحرَجٍ ، ومُنتظَرٍ ، ومُستخرَجٍ

وكلُّ فعلٍ ثلاثيّ فاسمُ المفعولِ منهُ يوازنُ (مفعولاً) ؛ كمَخلوقٍ ، ومَرزوقٍ ، ومَوجودٍ ، ومَقصودٍ ، ومَفروحٍ به ، ومَفروغٍ منهُ

وإذا كانَتْ عينُهُ واواً نُقِلَتْ ضمَّتُها إلى الساكنِ قبلَها ، فتبقىٰ ساكنةً ، وتُحذَفُ إحدى الواوَينِ ؛ كمَصونٍ ومَقولٍ

وإذا كانَتْ عينُهُ ياءً نُقِلَتِ الضَّمَّةُ وحُذِفَتِ الواوُ ، وأُبدِلَتِ الضَّمَّةُ كسرةً ؛ للفرقِ بينَ ذواتِ الياءِ وذواتِ الواوِ ؛ كمَبيعٍ ومَدِينٍ

وتميمُ تُصحِّحُ هٰذا ؛ فيقولونَ مَبْيُوعٌ ومَدْيُونٌ ، وعليهِ لسانُ مصرَ ، قالَ شاعرُ تميمَ (٢) [من الكامل]

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّداً وَإِخَالُ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ

مِنْ عانَهُ ، فهوَ عائنٌ ، وذاكَ مَعيُونٌ ، أصابَهُ بعينِهِ

وإذا كانَتْ لامُهُ واواً سَكَنَتْ واوُ مفعولٍ سُكوناً مُقيَّداً ، وأُدغِمَتْ ، وشَذَّ قلبُ الواوَينِ ياءَينِ ، وإبدالُ الضَّمَّةِ كسرةً ، كما هوَ لسانُ مصرَ ، قالَ بعضُ الشُّعراءِ (٣) [من الطويل]

وَقَدْ عَلِمَتْ عِرْسِي مُلَيْكَةُ أَنَّنِي كَمَا ٱلنَّاسِ مَغْدِيّاً عَلَيَّ وَعَادِيَا

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٣٥)

(٢) هو العباس بن مرداس ، كما في « ديوانه » رضي الله عنه (ص ١٥٦)

(٣) انظر « الكتاب » لسيبويه (٣٨٥/٤) .

مِنْ عدا عليهِ يعدو ، والفصيحُ مَعدوٌّ عليهِ ؛ كمَدعوٍّ ومَقلوٍّ

وإذا كانَتْ لامُهُ ياءً أُبدِلَتْ واوُ مفعولٍ ياءً ، وأُدغِمَتْ ، وأُبدِلَتِ الضَّمَّةُ كسرةً ؛ كمَرمِيٍّ ومَرضِيٍّ

[ألفاظٌ علىٰ وزنِ (فعيلٍ) بمعنىٰ أوزانٍ أخرىٰ]

وقد جاءَتْ ألفاظٌ كثيرةٌ توازنُ (فَعِيلاً) تُستعمَلُ بمعنىٰ (مفعولٍ) ، ولا يُفرقُ فيها بينَ المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ غالباً ؛ كقَتيلٍ ، وجَريحٍ ، وكَحيلٍ

وكذا وردَتْ ألفاظٌ تُستعمَلُ بمعنىٰ (مُفْعَلٍ) اسمَ مفعولٍ ؛ نحوُ حكيمٍ ، وألفاظٌ تُستعمَلُ بمعنىٰ (مُفاعِلٍ) كسَميرٍ وخَليطٍ وجَليسٍ ، وبمعنىٰ (فاعلٍ) كقَديرٍ وعَليمٍ ، وبمعنىٰ (مُفْعِلٍ) اسمَ فاعلٍ نحوِ أبدعَ ؛ كبديعٍ وحكيمٍ وسميعٍ ، وندرَ هٰذا ، حتىٰ نفاهُ الكثيرُ ، ومَنْ أثبتَهُ عدَّ منهُ اثنيْ عشرَ لفظاً



بيانُ الصفةِ (١)

الأوصافُ مِنْ (بابِ كَرُمَ) وكذا مِنْ (بابِ فَرِحَ) اللازمِ تُسمَّىٰ صفاتٍ مُشبَّهةً ، ولا يُقالُ لها : اسمُ فاعلٍ ؛ وذٰلكَ لأنَّها لإفادةِ الأوصافِ باعتبارِ قرارِها وثبوتِها لمَحالِّها ، مِنْ غيرِ نظرٍ إلىٰ حدوثٍ وتَجدُّدٍ كما هوَ المُعتبَرُ في حقيقةِ اسمِ الفاعلِ ؛ بحيثُ لا يَصِحُّ أن تُوضَعَ الأفعالُ مكانَ تلكَ الصفاتِ ، حتىٰ لو أُريدَ أن يُفادَ بها معنى الحدوثِ والتجدُّدِ وجبَ ردُّها إلىٰ زنةِ فاعلٍ

مثلاً إذا قلتَ زيدٌ حسنُ الوجهِ ، كانَ المعنىٰ زيدٌ لهُ صفةُ الحسنِ ، لا أنَّها حدثَتْ أو تَحدُثُ ، فلو قلتَ حَسُنَ وجهُهُ أو يَحسُنُ فاتَ الغرضُ المقصودُ ، وتَبدَّلَ المعنىٰ ، فلو أردتَ هٰذا المعنى الفعليَّ قلتَ زيدٌ حاسنٌ وجهُهُ ؛ لاستعمالِ الأغذيةِ اللَّطيفةِ والأدويةِ المُنضِّرةِ ، فهوَ علىٰ معنىٰ آخِذٌ وجهُهُ في الحُسْنِ لذٰلكَ ؛ بحيثُ يَصِحُّ أن تقولَ زيدٌ يَحسُنُ وجهُهُ

وكلُّ وصفِ فاعلٍ أو مفعولٍ استُعمِلَ بهٰذا المعنى المشروحِ لأوصافِ هٰذَينِ البابَينِ فهوَ مِنَ الصِّفةِ المُشبَّهةِ

الأوصافُ مِنْ بابِ (كَرُمَ)

منها ما جاءَ علىٰ وزنِ (فَعْلٍ) بفتحِ فسكونٍ ؛ كضَخْمٍ وشَهْمٍ ، ومنها ما جاءَ علىٰ وزنِ (فَعِيلٍ) بفتحِ فكسرٍ ؛ كجَمِيلٍ وظَرِيفٍ ، وهٰذانِ الوزنانِ يقتسمانِ حَسَبَ السماعِ أكثرَ أوصافِ البابِ

ومنها ما وردَ بأوزانٍ أُخَرَ كصُلْبٍ بضمٍّ فسكونٍ ، وبَطَلٍ بفتحتَينِ ، وشُجَاعٍ وجَبَانٍ

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٣٨)

والفرقُ بينَ الإناثِ والذُّكورِ في هٰذه الأوصافِ بالتاءِ

الأوصافُ مِنْ بابِ (فَرِحَ)

جاءَتْ أوصافُ هٰذا البابِ علىٰ ثلاثةِ أنواعٍ

ـ النوعُ الأوَّلُ يوازنُ (فَعِلاً) بفتحٍ فكسرٍ ، ويُؤنَّثُ بالتاءِ ؛ كفَرِحٍ وطَرِبٍ وبَطِرٍ وأَشِرٍ

ـ النوعُ الثاني يوازنُ (أَفْعَلَ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ للمُذكَّرِ ، و(فَعْلَاءَ) بفتحٍ فسكونٍ وفي آخِرِهِ همزةٌ للمُؤنَّثِ ؛ كأحمرَ وحمراءَ ، وأجهرَ وجهراءَ

ـ النوعُ الثالثُ يوازنُ (فَعْلانَ) بفتحٍ فسكونٍ للمُذكَّرِ ، و(فَعْلَىٰ) بفتحٍ فسكونٍ وآخِرُهُ أَلِفٌ للمُؤنَّثِ ؛ كغضبانَ وغَضْبىٰ ، وسكرانَ وسَكْرىٰ

ولهٰذهِ الأنواعِ ضابطٌ بهِ تُميّزُ بينَ مواضعِها

فالأوَّلُ في أحوالٍ تَحصُلُ ويَسرُعُ زوالُها عادةً ؛ كالفَرَحِ والطَّرَبِ والأَشَرِ

والثاني في صفاتٍ وضعُها على البقاءِ ؛ وهوَ دائرٌ بينَ الألوانِ والعيوبِ والحِلَىٰ ؛ كالحُمرةِ والصُّفرةِ ، والحُمقِ والعَمىٰ ، والهَيفِ والغَيدِ

والثالثُ في أمورٍ بطيئةِ الزوالِ ؛ كالرِّيِّ والعَطَشِ ، والجُوعِ والشِّبعِ ، والسُّكْرِ والغَضَبِ ، وتسميةُ هٰذه الأوصافِ صفاتٍ مُشبَّهةً يُذكَرُ سببُهُ في النحوِ [1]



(١) انظر (١/٤٧٥)

بيانُ اسمِ زمانِ الفعلِ واسمِ مكانِهِ مِنْ مادَّتِهِ[1]

صيغتُهُما واحدةٌ ؛ فإن كانا مِنْ غيرِ الثُّلاثيِّ فهيَ كصيغةِ اسمِ المفعولِ منهُ ، وكذٰلكَ مصدرُهُ الميميُّ ، فالصِّيغةُ مُشترَكةٌ بينَ أربعةِ أشياءَ ؛ تقولُ استخرجتُ الذهبَ مِنَ المَعدِنِ صُبحاً مُستخرَجاً حسناً ، فالذَّهبُ مُستخرَجٌ ، والصبحُ مُستخرَجُهُ ؛ أي وقتُ استخراجِهِ ، والمَعدِنُ مُستخرَجُهُ أيضاً ؛ أي مكانُ استخراجِهِ

وقولُكَ (مُستخرَجاً حسناً) بمنزلةِ قولِكَ (استخراجاً حسناً) ، فهوَ مصدرُهُ ، ومنهُ قولُ الشاعرِ[2] [من الكامل]

أَظَلُومُ إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلاً رَدَّ ٱلسَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

معناهُ إنَّ إصابتَكُم بالمكروهِ رجلاً حيَّاكُم وسَلَّمَ عليكُم ظلمٌ منكُم لهُ

وإن كانَ مِنَ الثُّلاثيِّ فهُما على زنةِ (مَفْعلٍ) فإذا كانَ مضمومَ عينِ المضارعِ ، أو مفتوحَها ، أو مُعتلَّ اللَّامِ فُتِحَتْ عينُهُ ؛ كمَنْصَرٍ ومَنْظَرٍ ، ومَفْتَحٍ ومَفْرَحٍ ومَطْرَحٍ ، ومَرْمىً ومَدْعىً ومَسْعىً

وإن كانَ مكسورَ عينِ المضارعِ ، أو كانَ فعلُهُ مثالاً واويّاً ، أو يائيّاً كُسِرَتْ عينُهُ ؛ كمَضْرِبٍ ومَجْلِسٍ ، ومَوْعِدٍ ومَوْئِلٍ ومَوْضِعٍ ومَوْجِلٍ ، ومَيْسِرٍ

وما جاءَ على خلافِ ذٰلكَ ؛ كـ (مَسْجِدٍ) بالكسرِ ، و(مَشْرُبَةٍ) بالضَّمِّ ،

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٥٣)

(٢) هو للعرجي ، وانظر خبره في « مغني اللبيب » (٢/٦٩٧)

وحقُّهُما الفتحُ ؛ لكونِ مضارعِهِما مضمومَ العينِ في الأَوَّلِ ، ومفتوحَها في الثاني فإنَّهُ جُعِلَ اسماً للموضعِ المُعَدِّ للفعلِ وإن لم يقعْ فيهِ الفعلُ ، ألا ترىٰ أنَّكَ إذا بنيتَ بيتاً للعبادةِ كانَ اسمُهُ مَسْجِداً وإن لم يَسْجُدْ فيهِ أحدٌ ؟!

وأمَّا اسمُ مكانِ الفعلِ المضبوطِ فهوَ للموضعِ الذي وقعَ فيهِ الفعلُ ، فإذا أردتَ مِنْ لفظِ المَسْجِدِ هٰذا المعنىٰ فتحتَ عينَهُ ، كما تقولُ (اسجدْ مَسْجَدَ زيدٍ تَعُدْ عليكَ بركتُهُ) فمعناهُ في الموضعِ الذي سجدَ فيهِ زيدٌ



بيانُ اسمِ آلةِ الفعلِ [1]

آلةُ الفعلِ التي وقعَ بها يكونُ اسمُها على وزنِ (مِفْعَلٍ) بكسرٍ فسكونٍ ففتحٍ ، أو (مِفْعَالٍ) بزيادةِ الأَلِفِ ؛ كمِفْصَلٍ ، ومِفْصَدٍ ، ومِبْضَعٍ ، ومِقْوَلٍ ، ومِقْوَدٍ ، ومِخْيَطٍ ، ومِسْبَرٍ ، ومِسْبَارٍ ، ومِهْمَازٍ ، ومِخْيَاطٍ

وتلحقُهُ التاءُ ؛ كمِنْسَأةٍ ، ومِكْنَسَةٍ ، ومِقْرَعَةٍ

ولا يُغيَّرُ مِنْ أسماءِ الآلةِ ما عينُهُ واوٌ أو ياءٌ كما رأيتَ ، على خلافِ قاعدةِ (أنَّهُ إذا تَحرَّكَتِ الواوُ أوِ الياءُ وسَكَنَ ما قبلَهُما نُقِلَتْ حركتُهُما إليهِ ، وبقيتا ساكنتَينِ ، سكوناً مرسلاً ، أو أُبدِلتا أَلِفاً) كما سبقَ التصريحُ بهِ في مواضعَ ، والإشارةُ إليهِ في غيرِها [2]

وكما استُثنِيَ مِنْ هٰذهِ القاعدةِ أسماءُ الآلاتِ . استُثنِيَ منها نحوُ : ٱبْيَضَّ ، وٱسْوَدَّ ، وأبْيَض وأَسْوَدَ ، وأقْوَمَ وأَفْيَحَ ، لٰكنْ إذا كانَتْ فاءُ الكلمةِ واواً أُبدِلَتْ ياءً كما هوَ شأنُ كلِّ واوٍ وقعَتْ إثْرَ كسرةٍ ؛ كمِيزانٍ ومِيقاتٍ مِنَ الوزنِ والوقتِ ، ودِيمةٍ وقِيمةٍ وقِيامٍ مِنْ يدومُ ويقومُ



---

(1) انظر « شذا العرف » (ص ١٥٧)

(2) انظر (١/١٩٢ ، ٣٠٠)

بيانُ اسمِ التفضيلِ [1]

هوَ اسمٌ يوازنُ (أَفْعَلَ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ ، وكما يُسمَّى اسمَ تفضيلٍ يُسمَّىٰ (أَفْعَلَ مِنْ)

وهٰذهِ الصِّيغةُ للدلالةِ علىٰ أنَّ شيئَينِ اشتركا في صفةٍ ، وزادَ أحدُهُما على الآخَرِ فيها ، والزائدُ مُفضَّلٌ ، والآخَرُ مُفضَّلٌ عليهِ ، وهوَ الذي يُقرَنُ بـ (مِنْ)

ثمَّ لا تكونُ هٰذهِ الصِّيغةُ إلَّا لفعلٍ ، ثُلاثيٍّ ، مُتفاوِتٍ قُوَّةً وضَعفاً أو قِلَّةً وكثرةً ، مُتصرِّفٍ ، مُثبَتٍ ، ليسَ وصفُهُ علىٰ وزنِ (أفعلَ) ولا علىٰ صورةِ فعلِ المجهولِ ، ولا مِنَ الأفعالِ الناقصةِ

لأنَّ غيرَ الثُّلاثيِّ لا تُمكِنُ فيهِ الصِّيغةُ ، وغيرَ المُتفاوِتِ لا يزيدُ فيهِ شيءٌ عن شيءٍ ، والجامدَ لا يُصاغُ منهُ شيءٌ ، والمَنفيَّ مُركَّبٌ معَ أداةِ النفيِ ، وما وصفُهُ علىٰ (أفعلَ) مشغولٌ بهٰذه الصِّيغةِ لغيرِ معنى التفضيلِ ، وما علىٰ صورةِ فعلِ المجهولِ يُؤدِّي للإلباسِ ، والأفعالُ الناقصةُ لم يُقصَدْ بها إفادةُ إحداثِها

ومِنَ الشَّواذِّ قولُهُم (أشغلُ مِنْ ذاتِ النِّحْيَينِ) ، و(زيدٌ أشهرُ مِنْ عمرٍو) فإنَّ معناهُ : أقوىٰ مشغوليَّةً ومشهوريَّةً ؛ فهوَ مِنْ فعلِ المجهولِ

وقالَ أهلُ الكوفةِ يُصاغُ اسمُ التفضيلِ مِنَ الأفعالِ التي وصفُها يوازنُ (أفعلَ) وعليهِ قولُ أبي الطيبِ المتنبي يُخاطِبُ الشَّيبَ [2] [من البسيط]

اِبْعَدْ بَعِدْتَ بَيَاضاً لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ ٱلظُّلَمِ

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٤٣)

(٢) كما في « ديوان المتنبي » (ص ٢٤)

وقيلَ (كلامٌ أخصرُ) صوغاً مِنِ (اختُصِرَ) فعلٍ مجهولٍ خماسيٍّ ؛ ففيهِ شذوذانِ

لٰكنْ أنتَ محتاجٌ إلى التفضيلِ فيما فقدَ بعض تلكَ الشروطِ ؛ فالطريقُ لذٰلكَ أن تَصوغَ اسمَ تفضيلٍ مِنْ نحوِ : (قَوِيَ) و(كَثُرَ) و(عَظُمَ) و(زادَ) ، ثم تأتي بمصدرِ الفعلِ المُمتنِعِ صوغُ (أفعلَ منهُ) بعدَ ذٰلكَ ، مُبيِّناً بذٰلكَ أنَّهُ موضعُ التفضيلِ ؛ مثلاً تقولُ زيدٌ أقوىٰ إكراماً لعمرٍو ، وأزيدُ اشتغالاً بالخيرِ ، وأكثرُ استخراجاً للفوائدِ ، وأقوىٰ حمرةً

ويقومُ مَقامَ المصدرِ لفظٌ مُركَّبٌ مِنِ اسمِ فاعلٍ أوِ اسمِ مفعولٍ ، وياءٍ مُشدَّدةٍ تُسمَّىٰ ياءَ النِّسبةِ ، وتاءٍ ؛ كضاربيّةٍ ، ومَضروبيَّةٍ ، ومُكرِميَّةٍ ؛ فتقولُ (زيدٌ أكثرُ مُكرِميَّةً بينَ الناسِ) مُتوصِّلاً بذٰلكَ لإفادةِ التفضيلِ في فعلٍ مجهولٍ ؛ لأنَّ معناهُ أنَّ زيداً أكرمُ وغيرُهُ أكرمُ ، مِنْ غيرِ تَعرُّضٍ إلىٰ بيانِ المكرمِ ، وزيدٌ أكثرُ مِنْ غيرِهِ في ذٰلكَ المعنىٰ



ثمَّ إنَّ اسمَ التفضيلِ لهُ مِنْ جهةِ نطقِهِ ثلاثُ حالاتٍ ، ومِنْ جهةِ معناهُ ثلاثةُ استعمالاتٍ

أمَّا كيفياتُ نطقِهِ

ـ فالأُولىٰ أن تَنطِقَ بهِ مُفرَداً مُذكَّراً دائماً ، سواءٌ كانَ صفةَ واحدٍ أوِ اثنَينِ أو جماعةٍ مِنَ الإناثِ أوِ الذُّكورِ ؛ وذٰلكَ حيثُ تضيفُهُ إلىٰ نكرةٍ ، أو تأتي بعدَهُ بالمُفضَّلِ عليهِ مقروناً بـ (مِنْ) فتقولُ زيدٌ أفضلُ رجلٍ ، والزيدانِ أفضلُ رجلَينِ ، والزيدونَ أفضلُ رجالٍ ، وهندٌ أفضلُ امرأةٍ ، والهِندانِ أفضلُ امرأتَينِ ، والهِنداتُ أفضلُ نساءٍ ، فتُطابِقُ الموصوفَ بالمُضافِ إليهِ وجوباً كما رأيتَ

وتقولُ زيدٌ أفضلُ مِنْ عمرٍو ، والزيدانِ أفضلُ منهُ ، والزيدونَ أفضلُ منهُ ، وهندٌ أفضلُ مِنْ دعدٍ ، والهِندانِ أفضلُ منها ، والهِنداتُ أفضلُ منها

ـ **الحالةُ الثانيةُ** أن تَنطِقَ باسمِ التفضيلِ مطابقاً للمُفضَّلِ في التذكيرِ والتأنيثِ ، والإفرادِ والتثنيةِ والجمعِ

وتأنيثُ اسمِ التفضيلِ أن تجعلَهُ علىٰ وزنِ (فُعْلىٰ) بضمٍّ فسكونٍ ؛ وذٰلكَ حيثُ تُعرِّفُ اسمَ التفضيلِ بـ (ألْ) ، وحينَئذٍ لا تأتي بـ (مِنْ) ، فتقولُ زيدٌ الأفضلُ ، والزيدانِ الأفضلانِ ، والزيدونَ الأفضلونَ أوِ الأفاضلُ ، وهندٌ الفُضْلَىٰ ، والهِندانِ الفُضْلَيَانِ ، والهِنداتُ الفُضْلَيَاتُ أوِ الفُضَلُ

ـ **الحالةُ الثالثةُ** أن تَنطِقَ بهِ كيفَ شئتَ ، مُطابِقاً أو غيرَ مُطابِقٍ ؛ وذٰلكَ حيثُ يُضافُ لمعرفةٍ ؛ فتقولُ الزيدونَ أفضلُ الرجالِ ، أو أفاضلُهُم ، وهندٌ أفضلُ النساءِ ، أو فُضْلاهُنَّ ، وهٰكذا

[استعمالاتُ اسمِ التفضيلِ]

وأمَّا استعمالاتُهُ بحَسَبِ المعنىٰ

ـ **فالأوَّلُ** ما سَلَفَ شرحُهُ

ـ **والثاني** أن تفيدَ بهِ أنَّ شيئاً زادَ في صفةِ نفسِهِ علىٰ شيءٍ آخَرَ في صفتِهِ ؛ فلا يكونُ المُفضَّلُ والمُفضَّلُ عليهِ مُشترِكَينِ في صفةٍ ، كما هوَ الحالُ في الاستعمالِ الأوَّلِ ؛ **كقولِهِمُ** (العسلُ أحلىٰ مِنَ الخَلِّ) ، و(الصَّيفُ أحرُّ مِنَ الشتاءِ) ، **معناهُ** العسلُ زائدٌ في حلاوتِهِ على الخلِّ في حموضتِهِ ، وعلىٰ هٰذا تأويلُ ما وردَ مِنْ ذٰلكَ

ـ **الاستعمالُ الثالثُ** أن تفيدَ بهِ ثبوتَ الوصفِ لمَحَلِّهِ ؛ فهوَ كاسمِ الفاعلِ لم يُقصَدْ تفضيلُ شيءٍ علىٰ شيءٍ ، وأهلُ العربيَّةِ يُمثِّلونَ لذٰلكَ بقولِ بعضِ

العربِ (الأشجُّ والناقصُ أعدلا بني مروانَ) أي هما العادلانِ ، ولا عدلَ في غيرِهما

ومِنْ هٰذا الاستعمالِ قولُ الحسنِ بنِ هانئٍ[1] [من البسيط]

كَأَنَّ صُغْرَىٰ وَكُبْرَىٰ مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَىٰ أَرْضٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ

أي صغيرةَ الفواقعِ وكبيرتَها ، وإلَّا لأفردَ وذكَّرَ ؛ لعدمِ التعريفِ والإضافةِ لمعرفةٍ

تكملةٌ
[في صيغِ المبالغةِ]

كلٌّ مِنَ الفعلِ واسمِ الفاعلِ إذا نسبتَهُ لصاحبِهِ كفىٰ في صدقِهِ حصولُهُ منهُ ولو مرَّةً ؛ فهوَ يَحتمِلُ القلَّةَ والكثرةَ ، فإذا أردتَ أن تَنُصَّ على الكثرةِ ضَعَّفتَ عينَ الفعلِ فقلتَ في (ضَرَبَ) مثلاً (ضَرَّبَ) بتشديدِ الراءِ ، وقد سبقَ[2] ، وجئتَ بدلَ (فاعلٍ) بإحدىٰ صيغٍ ثلاثٍ مُطَّردةٍ في ذٰلكَ ؛ وهيَ (فَعَّالٌ) بفتحِ أوَّلِهِ وتشديدِ ثانيهِ ، و(مِفْعالٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(فَعُولٌ) بفتحٍ فضمٍّ ؛ فتقولُ زيدٌ رَكَّابٌ للخيلِ ، ومِنْحارٌ للإبلِ ، وصَبُورٌ على الشدائدِ ، وأهلُ الفنِّ يُسمُّونَ هٰذهِ الصيغَ صيغَ المبالغةِ

وسُمِعَ مِنَ العربِ ـ علىٰ قِلَّةٍ ، فيُقتصَرُ علىٰ ما سُمِعَ ـ للدلالةِ على الكثرةِ صيغٌ أُخَرُ ؛ كعليمٍ ، ورحيمٍ ، وقديرٍ ، هٰذا بنقلِ الفعلِ لـ (بابِ فَعُلَ) بضمِّ العينِ الذي سبقَ القولُ بكونِهِ مُختصّاً بالغرائزِ ، ونحوُ حَذِرٍ ، ومِعْطِيرٍ ، وشِرِّيبٍ

وإذا كانَتْ فاءُ (مِفْعالٍ) واواً أُبدِلَتْ ياءً ؛ كمِيزانٍ

---

(١) كما في « ديوان أبي نواس » (ص ٦٢)

(٢) انظر (١/٢٠٠)

وإذا كانَتْ لامُهُ أو لامُ (فَعَّالٍ) مُعتلَّةً   أُبدِلَتْ همزةً ؛ كمِشْواءٍ ومِقْلاءٍ ، وشَوَّاءٍ وقَلَّاءٍ

وإذا كانَتْ عينُ (فَعُولٍ) واواً   أُبدِلَتْ همزةً ؛ كقَؤُولٍ وصَؤُولٍ

وإذا كانَتْ لامُهُ واواً   أُدغِمَتْ فيها الواوُ قبلَها ؛ كعَدُوٍّ وصَبُوٍّ

وإذا كانَتْ ياءً   أُبدِلَتِ الواوُ قبلَها ياءً ، وأُدغِمَتْ فيها ؛ كبَغِيٍّ وسَعِيٍّ ، وأصلُهُما بَغُويٌ وسَعُويٌ



التقسيمُ الثاني
[في المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ][1]

الاسمُ إمَّا مُذكَّرٌ ، وإمَّا مُؤنَّثٌ

فالمُذكَّرُ ما وُضِعَ لذكرٍ

والمُؤنَّثُ ما وُضِعَ لأنثىٰ

وقدِ اعتبَرتِ العربُ التأنيثَ في بعضِ الأشياءِ لأسبابٍ ، فعاملوها معاملةَ الإناثِ ؛ كالشَّمسِ اعتبروها أنثىٰ لوقوعِها في مقابلةِ القمرِ ، والكأسِ ؛ لوقوعِها في مقابلةِ الإبريقِ ، والحربِ ؛ اعتبروها وَلَّادةً غَرَّارةً كما قالَ عمرٌو[2] [من الكامل]

اَلْـحَـرْبُ أَوَّلُ مَـا تَـكُـونُ فُـتَـيَّـةٌ ... تَـسْـعَـىٰ بِزِيـنَـتِـهَـا لِـكُـلِّ جَـهُـولِ
حَتَّىٰ إِذَا ٱلْتَهَبَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا ... عَادَتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ

ومِنْ ثَمَّ قالَ أهلُ العربيَّةِ مُؤنَّثٌ حقيقيٌّ لذواتِ الفروجِ ، ومُؤنَّثٌ مجازيٌّ لغيرِها

ومعرفةُ المُؤنَّثِ المجازيِّ بتتبعِ كتبِ اللغةِ ؛ إذ ليسَ لها ضابطٌ

وقد يكونُ التأنيثُ لفظيّاً فقطْ ؛ بمعنىٰ أنَّ اللَّفظَ يكونُ معَهُ علامةُ التأنيثِ ، ومدلولُهُ مِنَ الذُّكورِ ؛ كطلحةَ وبَطَّةَ اسمَيْ رجلَينِ

وللمُؤنَّثِ أحكامٌ ؛ كاختصاصِهِ بإشارةٍ وضميرٍ ، كما تقولُ : (هٰذهِ الكأسُ

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٥٩)

(٢) هو سيدنا عمرو بن معديكرب ، كما في « شعر عمرو بن معديكرب » رضي الله عنه (ص ١٥٤)

لا أشربُها) لـٰكنَّ المؤنَّثَ اللَّفظيَّ تَتبعَّضُ فيه الأحكامُ ؛ ففي بعضِ الأبوابِ يُعامَلُ مُعاملةَ المُؤنَّثِ ، وفي بعضِها يُعامَلُ مُعاملةَ المُذكَّرِ ، كما يَتبيَّنُ ذٰلكَ في مواضعِهِ ، والمُؤنَّثُ المجازيُّ يُخالِفُ المُؤنَّثَ الحقيقيَّ في بعضِ الأحكامِ كما يَتبيَّنُ في مواضعِهِ أيضاً

ثـمَّ إنَّ الأشياءَ التي لا يَتميَّزُ ذَكَرُها مِنْ أُنثاها ؛ ما كانَ منها بالتاءِ مُؤنَّثٌ ؛ كنملةٍ وبعوضةٍ ، وما خلا منها مُذكَّرٌ ؛ كبُرغوثٍ وجُنْدَبٍ

[علاماتُ التأنيثِ]

وللتأنيثِ ثلاثُ علاماتٍ

ـ تاءٌ مُتحرِّكةٌ يُختَمُ بها الاسمُ

ـ وأَلفٌ بعدَ أَلِفٍ لا يمكنُ النطقُ بها فتُبدَلُ همزةً ، وتُسمَّىٰ أَلِفَ التأنيثِ الممدودةَ

ـ وأَلِفٌ مفردةٌ ، وتُسمَّىٰ أَلِفَ التأنيثِ المقصورةَ

الكلامُ على التاءِ

أكثرُ ما تَلحَقُ الأوصافُ المُشترَكةُ للفَرْقِ ، وقَلَّ لُحوقُها الأسماءَ لذٰلكَ ؛ كرَجُلٍ ورَجُلَةٍ ، وغلامٍ وغلامةٍ ، وفتىً وفتاةٍ ، كما قلَّ لُحوقُها للأوصافِ المُختصَّةِ بالإناثِ ؛ فلا يُقالُ حائضةٌ ومرضعةٌ ، إلَّا إذا أُريدَ بها معنى الفعلِ ؛ كما تقولُ هيَ حائضةٌ بعدَ شهرٍ ، فهيَ بمنزلة هيَ تحيضُ

ولا تَلحقُ مِنَ الأوصافِ ما كانَ علىٰ وزنِ (مِفْعالٍ) أو (مِفْعِيلٍ) أو (فَعولٍ) بمعنىٰ (فاعلٍ) ، أو (فَعِيلٍ) بمعنىٰ (مفعولٍ) إن عُلِمَ في هـٰذا

الموصوفُ ؛ فتقولُ امرأةٌ مِكْسالٌ ، ومِعطِيرٌ ، وصَبورٌ ، وجَريحٌ ، وتقولُ رأيتَ جريحةً[1]

وتكونُ التاءُ معَ التأنيثِ للوَحْدةِ في أسماءِ الأجناسِ الجمعيَّةِ ، وتكونُ للمبالغةِ فقطْ ، أو لتأكيدِها ؛ [كراويةٍ] ، وعلَّامةٍ ، وفَروقةٍ ، وتكونُ عوضاً عن حرفٍ محذوفٍ كما سبق في نحوِ إقامةٍ وتزكيةٍ ، ويأتي لذلكَ مواضعُ[2]

الكلامُ على الألفَينِ

قدِ اختصَّ كلٌّ بأبنيةٍ ، واشتركتا في أبنيةٍ

[أبنيةُ الألفِ المقصورةِ]

فمِنْ أبنيةِ المقصورةِ (فُعْلَىٰ) بضمٍّ فسكونٍ ، و(فُعَالَىٰ) بضمِّ أوَّلِهِ ، و(فُعَّلَىٰ) بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مُشدَّداً ، و(فِعَلَّىٰ) بكسرٍ ففتحٍ فسكونٍ[3] ، و(فِعْلَىٰ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(فُعُلَّىٰ) بضمِّ أوَّلِهِ وثانيهِ وتشديدِ ثالثِهِ ، و(فُعَّالَىٰ) بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مُشدَّداً

ـ فالأوَّلُ كبُهْمَىٰ لنبتٍ ، وحُبْلَىٰ ، وكُبْرَىٰ ، وطُولَىٰ ، وأُولَىٰ ، ورُجْعَىٰ ، وبُشْرَىٰ

ـ والثاني كحُمَادَىٰ[4] ، وسُمَانَىٰ وحُبَارَىٰ لطائرَينِ

ـ والثالثُ كسُمَّهَىٰ للباطلِ

---

(١) لأجل تعيين التأنيث ؛ إذ لا قرينة دالة عليه

(٢) انظر (١/٢٧٣)

(٣) لعل الأولى والأنسب (فتشديد ثالثه) بدل (فسكون)

(٤) بمعنى الغاية ؛ يقال حماداك وحماديَّ ؛ أي غايتك وغايتي ، أو أن التمثيل بـ (جُمادَى) اسم شهر

ـ والرابعُ كسِبَطْرَىٰ ودِفَقَّىٰ ؛ لنوعَينِ مِنَ المشيِ

ـ والخامسُ كحِجْلَىٰ ، في جمعِ حَجَلَةٍ بفتَحاتٍ ؛ لطائرٍ ، وظِرْبَىٰ ، في ظَرِبانٍ بفتحٍ فكسرٍ ؛ لدابَّةٍ مُنتِنةِ الفَسوِ في حجمِ الهِرَّةِ ، ولا ثالثَ لهـٰذَينِ الجمعَينِ في أوزانِ الجموعِ

وكدِفلَىٰ لنبتٍ ، وكِيصَىٰ للرجلِ يأكلُ وحدَهُ ، وينزلُ وحدَهُ ، ولا يُهِمُّهُ غيرُ نفسِهِ ، وذِفْرىٰ للعظمِ خَلْفَ الأُذنِ ، وضِيزَىٰ بالياءِ وهوَ بالهمزِ ، مُثلَّثُ الأوَّلِ

وربَّما نُوِّنَ بعضُ الكلماتِ الواردةِ علىٰ هـٰذا الوزنِ ، فتكونُ أَلِفُهُ للإلحاقِ بدرهمٍ مِنَ الأسماءِ الرُّباعيَّةِ ؛ مِنْ ذٰلكَ ذِفْرىٰ ؛ فعلىٰ كونِ الأَلِفِ للتأنيثِ تقولُ (هـٰذهِ ناقةٌ ذاتُ ذِفْرىٰ نضَّاخةٍ) بالأَلِفِ ، وعلىٰ كونِها للإلحاقِ تقولُ (ذِفْرىً) بالتنوينِ

ـ والسادسُ كحُذُرَّىٰ للحَذَرِ ، وبُذُرَّىٰ للتبذيرِ ، وكُفُرَّىٰ لوعاءِ الطَّلْعِ

ـ والسابعُ كخُبَّازَىٰ وشُقَّارَىٰ ؛ لنبتَينِ

[أبنيةُ الألفِ الممدودةِ]

ومِنْ أبنيةِ الممدودةِ (فَاعُولَاءُ) ، و(مَفْعُلَاءُ) بفتحٍ فسكونٍ فضمٍّ ، و(فِعْلِيَاءُ) بكسرٍ فسكونٍ فكسرٍ ، و(فِعَلَاءُ) بكسرٍ ففتحٍ ، و(فَعَالَاءُ) بفتحِ أوَّلِهِ ، و(فَعِيلَاءُ) بفتحٍ فكسرٍ ، و(فَاعِلَاءُ) بكسرِ ثالثِهِ ، و(أَفْعِلَاءُ) بفتحٍ فسكونٍ فكسرٍ

ـ فالأوَّلُ كتاسُوعاءَ ، وعاشُوراءَ

ـ والثاني كمَشْيُخاءَ للشيوخِ

ـ والثالثُ ككِبْرِياءَ ، وكِيمِياءَ ، وإِيلِياءَ لبيتِ المقدسِ

ـ والرابعُ كسِيَراءَ ؛ للثيابِ المُخطَّطةِ ألواناً

ـ والخامسُ كبَراساءَ ؛ للناسِ ، يُقالُ لا أدري مِنْ أيِّ البَراساءِ هوَ ، وبَراكاءَ ؛ لمُعظَمِ القتالِ

ـ والسادسُ كبَرِيساءَ ؛ لغةٌ في سابقِهِ ، وقَرِيشاءَ ؛ لنوعٍ من التمرِ

ـ والسابعُ كقاصِعاءَ ونافِقاءَ ؛ لبابَيْ جُحْرِ اليَربوعِ

ـ والثامنُ كأَصْدِقاءَ ، وأَنْبِياءَ ، وأَرْبِعاءَ لليومِ الرابعِ مِنَ الأُسبوعِ ، ويُضَمُّ ثالثُهُ ويُفتَحُ

[الأبنيةُ المشتركةُ بينَ الألفِ المقصورةِ والممدودةِ]

ومِنَ الأبنيةِ المُشترَكةِ بينَهُما (فَعْلَىٰ) بفتحٍ فسكونٍ ، و(فُعَلَىٰ) بضمٍّ ففتحٍ ، و(فَعَلَىٰ) بفتَحاتٍ ، و(أَفْعَلَاءُ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ

فالمقصورُ مِنَ الأوَّلِ كسَكْرَىٰ ، وشَبْعَىٰ ، وقَتْلَىٰ ، وجَرْحَىٰ ، ودَعْوىٰ ، ونَجْوَىٰ

والممدودُ [كصَحْراءَ] ، وحَمْراءَ ، وهَطْلاءَ ، وطَرْفاءَ

والمقصورُ مِنَ الثاني كأُرَبَىٰ للشدائدِ ، وأُدَمَىٰ ، وجُنَفَىٰ ، وشُعَبَىٰ ؛ لمواضعَ ، ومِنْ كلامِ جريرٍ (١) [من الوافر]

أَعَبْداً حَلَّ فِي شُعَبَىٰ غَرِيباً أَلُؤْماً لَا أَبَا لَكَ وَٱغْتِرَابَا

والممدودُ كجُنَفَاءَ ، لغةٌ في السابقِ ، وكُبَرَاءَ ، وعُلَمَاءَ ، وحُنَفَاءَ

والمقصورُ مِنَ الثالثِ كمَرَطَىٰ ، وبَشَكَىٰ ، وجَمَزَىٰ ؛ لسرعةِ العَدْوِ ، وَحَيَدَىٰ ؛ يُقالُ حمارٌ حَيَدَىٰ ؛ أي يحيدُ عن ظلِّهِ لنشاطِهِ ، وبَرَدَىٰ لنهرِ

---

(١) انظر « ديوان جرير » (٢/٦٥٠)

بالشأمِ ؛ وهوَ المعنيُّ في قولِ حسَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ[1] [من الكامل]

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ ٱلْبَرِيص عَلَيْهِمُ بَرَدَىٰ يُصَفِّقُ بِٱلرَّحِيقِ ٱلسَّلْسَلِ

والممدودُ كقَرَماءَ وَجَنَفاءَ لموضعَينِ ، ودَأَثاءَ للأمةِ ، وابنُ دَأْثاءَ الأحمقُ

والمقصورُ مِنَ الرابعِ كأَجْفَلَىٰ للدعوةِ العامَّةِ ؛ يقالُ فلانٌ يدعو الأَجْفَلىٰ والجَفَلَىٰ بفتَحاتٍ ، ويقابلُها النَّقَرَىٰ بفتَحاتٍ للدعوةِ الخاصَّةِ ، ولبعضِ العربِ[2] [من الرمل]

نَحْنُ فِي ٱلْمَشْتَاةِ نَدْعُو ٱلْجَفَلَىٰ لَا تَرَى ٱلْآدِبَ مِنَّا يَنْتَقِرْ

والممدودُ كأَرْبَعَاءَ

والغرضُ مِنْ ذكرِ هٰذهِ الأبنيةِ التنبيهُ علىٰ أنَّ لألِفَيِ التأنيثِ أبنيةً مُشتبِهةً ؛ بحيثُ ينبغي عندَ رؤيةِ بعضِ الكلماتِ التي يكونُ آخِرُها أَلِفاً أن يُبحَثَ عن كونِها ممدودةً أو مقصورةً ، للتأنيثِ أو للإلحاقِ ، وهٰذا الموضعُ مِنَ المواضعِ الصَّعبةِ في اللغةِ



(١) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (١/٧٤)

(٢) هو لطرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٦٥)

التقسيمُ الثالثُ
[في المُجرَّدِ والمزيدِ][1]

الاسمُ إمَّا مُجرَّدٌ ، وإمَّا مزيدٌ

والمُجردُ إمَّا ثُلاثيٌّ ، أو رُباعيٌّ ، أو خُماسيٌّ ، ولكلٍّ أنواعٌ مِنَ الأوزانِ لم يَرِدْ علىٰ غيرِها

بيانُ أوزانِ الثُّلاثيِّ

(فَعلٌ) بفتحِ أوَّلِهِ ، وسكونِ ثانيهِ أو فتحِهِ أو ضمِّهِ أو كسرِهِ ؛ كسَهْلٍ وجَفْنٍ وسَيْفٍ وثَوْبٍ ، وكشَرَطٍ وحَسَنٍ وبابٍ وحَوَلٍ ، وكنَدُسٍ وعَضُدٍ ، وكفَرِحٍ وكَتِفٍ

و(فُعلٌ) بضمِّ أوَّلِهِ ، وسكونِ ثانيهِ أو فتحِهِ أو ضمِّهِ أو كسرِهِ ؛ كحُسْنٍ ونُعْمٍ ، وكرُطَبٍ وصُرَدٍ ، وكعُنُقٍ وسُبُلٍ ، وكدُئِلٍ ورُئِمٍ ؛ وهو قليلٌ جدّاً

و(فِعلٌ) بكسرِ أوَّلِهِ ، وسكونِ ثانيهِ أو فتحِهِ أو كسرِهِ ؛ كذِكْرٍ ونِحْيٍ ، وكعِنَبٍ وقِرَبٍ ، وكإِبِلٍ

و(فِعُلٌ) بكسرِ أوَّلِهِ وضمِّ ثانيهِ غيرُ موجودٍ في اللُّغةِ ، فأوزانُ الثُّلاثيِّ أحدَ عشرَ

بيانُ أوزانِ الرُّباعيِّ

(فَعْلَلٌ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ ؛ كسَلْهَبٍ ، وجَعْفَرٍ

و(فُعْلُلٌ) بضمٍّ فسكونٍ فضمٍّ ؛ كبُرْقُعٍ ، وبُرْثُنٍ

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٠٩)

و(فِعْلِلٌ) بكسرٍ فسكونٍ فكسرٍ ؛ كزِبْرِجٍ ، وحِزْمِلٍ

و(فِعَلٌّ) بكسرٍ ففتحٍ فسكونٍ ؛ كفِطَحْلٍ ، وسِبَطْرٍ

و(فِعْلَلٌ) بكسرٍ فسكونٍ ففتحٍ ؛ كدِرْهَمٍ ، وضِفْدَعٍ

فلهُ خمسةُ أوزانٍ ليسَ غيرُ

بيانُ أوزانِ الخماسيِّ

[فَعَلَّلٌ] بفتحتَينِ فسكونٍ ففتحةٍ ؛ كسَفَرْجَلٍ ، وشَمَرْدَلٍ

و(فَعْلَلِلٌ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ فكسرٍ ؛ كقَهْبَلِسٍ ، وجَحْمَرِشٍ

و[فِعْلَلٌّ] بكسرٍ فسكونٍ ففتحٍ فسكونٍ ؛ كقِرْطَعْبٍ ، وجِرْدَحْلٍ

و[فُعَلِّلٌ] بضمٍّ ففتحٍ فسكونٍ فكسرٍ ؛ كقُبَعْثِرٍ ، وقُذَعْمِلٍ

فهٰذهِ عشرونَ صيغةً لم يردِ اسمٌ مُجرَّدٌ علىٰ غيرِها ، فما عداها فمزيدٌ ؛ كمُنطلِقٍ ، ومُحْرَنْجِمٍ ، وظَريفٍ ، وحُبلىٰ ، أو ناقصٌ كعُلَبِطٍ بضمٍّ ففتحٍ فكسرٍ ، أصلُهُ عُلَابِطٌ ، أو أعجميُّ الوضعِ كسَرَخْسَ وبَلَخْشٍ ، بفتحتَينِ

والمزيدُ كلُّ لفظٍ قامَ دليلٌ علىٰ أنَّ بعض حروفِهِ ليسَ أصلاً

[أدلةُ الزيادةِ في الاسمِ تسعةٌ]

وأدلَّةُ الزيادةِ تسعةٌ

ـ الأوَّلُ سقوطُ بعضِ الكلمةِ مِنْ أصلِها ؛ كضارِبٍ وتَضارُبٍ مِنَ الضَّربِ ، فما زادَ على الضَّادِ والراءِ والباءِ التي هيَ حروفُ الأصلِ تحكمُ بزيادتِهِ لذٰلكَ

ـ الدليلُ الثاني : سقوطُ بعضِ الكلمةِ مِنْ فرعٍ ؛ كأسبلَ الزرعُ ،[وحَظِلَتِ]

الإبلُ ؛ أي خرجَ سنبلُ الزرعِ ، وتأذَّتِ الإبلُ مِنْ أكلِ الحنظلِ ، فنونا (سنبلٍ) و(حنظلٍ) زائدتانِ ؛ لسقوطِهِما في الفرعَينِ

ـ الدليلُ الثالثُ لزومُ خروجِ الكلمةِ عن أوزانِ نوعِها لو حكمنا بأصالةِ حروفِها ؛ كتَنْضُبٍ وتَتْفُلٍ[1] بفتحٍ فسكونٍ فضمٍّ ، فالتاءُ فيهِما زائدةٌ لعدمِ هـٰذا الوزنِ في الرُّباعيِّ المُجرَّدِ

ـ الدليلُ الرابعُ التكلُّمُ بالكلمةِ أربعةً مرَّةً ، وثلاثةً مرَّةً ؛ مثلاً كأَيْطَلٍ وإِطْلٍ

ـ الدليلُ الخامسُ ورودُ الكلمةِ علىٰ صورتَينِ تخرجُ بإحداهُما عن أوزانِ نوعِها لو حكمنا بأصالةِ حروفِها دونَ الأخرىٰ ، فنحكمُ بالزيادةِ علىٰ كلتا الصورتَينِ ؛ لوحدةِ الكلمةِ

ـ الدليلُ السادسُ : كونُ بعضِ الكلمةِ دالّاً علىٰ معنىً ؛ كأحرفِ المضارعةِ

ـ الدليلُ السابعُ : وقوعُ الحرفِ مِنَ الكلمةِ الجامدةِ في [موضعٍ] لو كانَتِ الكلمةُ مُشتقَّةً قطعنا بزيادتِهِ ؛ كنونِ (غضنفرٍ) التي هيَ في موضعِ نونِ (جحنفلٍ) المحكومِ بزيادتِها ؛ لسقوطِها مِنْ أصلِ الكلمةِ ؛ وهيَ الجحفلةُ

ـ الدليلُ الثامنُ وقوعُهُ منها في موضعٍ تَغلِبُ زيادتُهُ فيهِ مِنَ المُشتقَّةِ ؛ كهمزةِ (الأفكلِ) الموازنةِ لـ (الأحمرِ)

ـ الدليلُ التاسعُ اختصاصُ الحرفِ بموضعٍ لا يقعُ فيهِ إلَّا حرفٌ مِنْ حروفِ الزيادةِ ؛ كالنونِ في كِنْتَأْوٍ وحِنْطَأْوٍ ، بكسرٍ فسكونٍ ففتحٍ فسكونٍ فيهِما ، والأوَّلُ يُستعمَلُ بالمثناةِ فوقُ وبالمثلثةِ عظيمُ اللِّحيةِ ، والثاني [يُستعمَلُ] بالطاءِ والظاءِ عظيمُ البطنِ

---

(١) التنضب شجر تتخذ منه السهام ، والتتفل الثعلب أو ولده

[ضوابطُ الزيادةِ]

وحاصل ذٰلكَ أنَّكَ تَعرِفُ الزيادةَ والأصالةَ بمعرفةِ الاشتقاقِ ؛ فتقولُ حروفُ الأصلِ أصولٌ ، وما عداها في الفروعِ زوائدُ ، وبضبطِ الأوزانِ التي جاءَتْ عليها الألفاظُ المقطوعُ بأصالةِ حروفِها ، فإذا سمعتَ لفظاً مُحتمِلاً للزيادةِ والأصالةِ ؛ فإن وافقَ وزنَ نوعِهِ علىٰ تقديرِ الأصالةِ فأصلٌ ، وإن لم يوافقْ . فزائدٌ ، ويكونُ الحرفُ الذي تريدُ الحكمَ عليه معروفَ الزيادةِ بطريقِ الاشتقاقِ في كثيرٍ مِنَ المواضعِ

مثلاً همزةُ (إصبعٍ) تحكمُ بزيادتِها ؛ لأنَّ الاشتقاقَ دَلَّكَ علىٰ زيادتِها في أسماءِ التفضيلِ ، ومضارعِ المُتكلِّمِ ، وفي الجمعِ علىٰ أفعلٍ

ثمَّ إنَّ خروجَ اللفظِ عن التجرُّدِ تارةً يكونُ بتكرُّرِ بعضِ أصولِهِ ويُسمَّى المُضعَّفَ ، ولا يَختصُّ التكرُّرُ ببعضِ الحروفِ دونَ بعضٍ ، وتارةً يكونُ خروجُهُ عنِ التجرُّدِ بزيادةِ بعضِ الحروفِ ؛ وذٰلكَ مُختصٌّ بالأحرفِ العشرةِ التي عرفتَها سابقاً(١) ، وجمعَها ابنُ مالكٍ في بيتٍ أربعَ مرَّاتٍ فقالَ(٢) [من الطويل]

هَنَاءٌ وَتَسْلِيمٌ ، تَلَا يَوْمَ أُنْسِهِ نِهَايَةُ مَسْؤُولٍ ، أَمَانٌ وَتَسْهِيلُ

غيرَ أنَّ زيادةَ الهاءِ واللَّامِ قليلةٌ ، ومَثَّلوا لزيادةِ الهاءِ بقولِهم أَهَراقَ الماءَ ، وبـ (أُمَّهاتٍ) في جمعِ أُمٍّ ، علىٰ خلافٍ في هٰذا ، ومَنْ مَثَّلَ لزيادةِ الهاءِ بهاءِ السكتِ في نحوِ (لِمَهْ) و(لم تَرَهْ) و(عِهْ) رُدَّ عليهِ بكونِ الهاءِ السكتيَّةِ كلمةً مُستقِلَّةً

---

(١) انظر (١٨٦/١)

(٢) انظر « شرح التصريح على التوضيح » (٣٦٠/٢)

ومَثَّلوا للَّامِ بـ (طيْسَلٍ) و(زَيْدَلٍ) ، والأصلُ طَيْسٌ ؛ وهو الكثيرُ ، وزَيْدٌ ، ومَنْ مَثَّلَ لها بلامِ ذٰلكَ وتلكَ رُدَّ عليهِ بردِّ هاءِ السَّكتِ

ولزيادةِ بقيَّةِ الأحرفِ ضوابطُ هيَ دلائلُ حاضرةٌ معَكَ ؛ متىٰ تَحقَّقَتْ قطعتَ بالزيادةِ ، وإلَّا رجعتَ للدلائلِ السابقةِ

وبيانُ ذٰلكَ أنَّهُ متىٰ صحبَتِ الأَلِفُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ فهيَ زائدةٌ ؛ كضارَبَ ، وعمادٍ ، وحُبْلىٰ

ومتىٰ صحبَتِ الواوُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ ، ولم تَتصدَّرْ ، ولم تكنْ كلمتُها مِنْ (بابِ سمسمٍ) فهيَ زائدةٌ ؛ كمحمودٍ ، وبُويِعَ

ومتىٰ صحبَتِ الياءُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ ، ولم تَتصدَّرْ سابقةً أكثرَ مِنْ ثلاثةِ أصولٍ ، ولم تكنْ كلمتُها مِنْ (بابِ سمسمٍ) . فهيَ زائدةٌ ؛ كيَضرِبُ فعلاً ، ويَرْمَعٍ [1] اسماً

ومتىٰ سبقَتِ الميمُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ فهيَ زائدةٌ ؛ كمحمودٍ ، ومنطلقٍ ، ومَسجِدٍ ، ومِفتاحٍ

ومتىٰ سبقَتِ الهمزةُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ ، أو تأخَّرَتْ مسبوقةً بأَلِفٍ مسبوقةٍ بأكثرَ مِنْ أصلَينِ فهيَ زائدةٌ ؛ كاحفظْ فعلاً ، وأفضلَ اسماً مُشتقاً ، وإصبعٍ اسماً جامداً ، وأَفلُسٍ في جمعِ فَلْسٍ ، وكحمراءَ وصحراءَ

ومتىٰ تطرَّفَتِ النونُ مسبوقةً بأَلِفٍ مسبوقةٍ بأكثرَ مِنْ أصلَينِ ؛ كسَكرانَ وعُثمانَ ، أو تَوسَّطَتْ ساكنةً غيرَ مُضعَّفةٍ أربعةَ أحرفٍ ؛ كغَضَنْفَرٍ وقَرَنْفُلٍ ، أو كانَتْ في بابِ (الانفعالِ) ؛ كانطلقَ ومُنطلقٍ ، أو بدأَتِ المضارعَ فهيَ زائدةٌ

---

(١) اليرمع حجارة رخوة إذا فُتِّتت انفتَّت

ومتىٰ كانَتِ التاءُ في بابِ (**التفعُّلِ**) كالتفهُّمِ ، أوِ (**التَفَعْلُلِ**) كالتَّدحرجِ ، أوِ (**التَّفاعُلِ**) كالتَّعاوُنِ ، أوِ (**الافتعالِ**) كالاقترابِ ، أوِ (**الاستفعالِ**) كالاستخراجِ ؛ وهوَ الموضعُ الذي تقطعُ بزيادةِ السينِ فيهِ ، أو كانَتِ التاءُ في (التفعيلِ ، أوِ التَّفعالِ) ، أو كانَتْ للتأنيثِ ، أو بدأَتِ المضارعَ فهيَ زائدةٌ



التقسيمُ الرابعُ
[في المقصورِ والممدودِ والمنقوصِ]

الاسمُ إن كانَ آخِرُهُ أَلِفاً سُمِّيَ مقصوراً ، وإنْ كانَ آخِرُهُ همزةً بعدَ أَلِفٍ زائدةٍ سُمِّيَ ممدوداً ، وإن كانَ آخِرُهُ ياءً مكسوراً ما قبلَها سُمِّيَ منقوصاً ، وليسَ في الأسماءِ ما يكونُ آخِرُهُ واواً مضموماً ما قبلَها

وألفُ المقصورِ إمَّا أصلٌ بدلٌ مِنْ واوٍ ؛ كعصاً وقفاً ، بدليلِ عصوتُهُ وقفوتُهُ ، أو مِنْ ياءٍ ؛ كفتىً ورحىً

وإمَّا زائدةٌ للتأنيثِ ؛ كحُبلىٰ وذِكرىٰ ، أو للإلحاقِ ؛ كذِفرىً وأَرطىً علىٰ ما سبقَ [١]

وهمزةُ الممدودِ إما أصلٌ ؛ ككَرَّاءٍ ووَضَّاءٍ مِنْ [قرأَ] [٢] ووَضُؤَ

وإمَّا بدلٌ مِنْ أصلٍ واوٍ أو ياءٍ ؛ ككِساءٍ مِنَ الكسوةِ ، ووِلاءٍ مِنَ الوَلْيِ

وإمَّا بدلٌ مِنْ زائدةٍ للتأنيثِ ؛ كحمراءَ وصحراءَ ، أو للإلحاقِ ؛ كـ (عِلْبَاءٍ) المُلحَقِ بزيادةِ الياءِ المُبدلةِ همزةً بـ (قِرْطَاسٍ) مِنَ الصحيحِ



---

(١) انظر (١/٢٤٤)

(٢) في الأصل (قرء)

التقسيمُ الخامسُ
[في المُفرَدِ والمُثنَّىٰ والجمعِ][1]

الاسمُ إمَّا مُفرَدٌ ، وإمَّا مُثنّىً ، وإمَّا جمعُ تصحيحٍ للذُّكورِ ، وإمَّا جمعُ تصحيحٍ للإناثِ ، وإمَّا جمعُ تكسيرٍ ؛ تارةً يكونُ مُشترَكاً ، وتارةً يكونُ مُختصّاً ، كما ستقفُ عليه عندَ تفصيلِهِ

فالمُثنَّى اسمٌ مُشترَكٌ بينَ شيئَينِ تزيدُ بعدَهُ أَلِفاً ونوناً في حالٍ ، وياءً ونوناً في حالٍ ؛ ليَدُلَّ على اثنَينِ أو اثنتَينِ

وأمَّا جمعُ تصحيحِ الذُّكورِ فهوَ اسمٌ مُشترَكٌ بينَ ثلاثةِ أشياءَ فأكثرَ ، تزيدُ بعدَهُ واواً ونوناً في حالٍ ، وياءً ونوناً في حالٍ ؛ ليَدُلَّ علىٰ أكثرَ مِنِ اثنَينِ

وأمَّا جمعُ تصحيحِ الإناثِ فهوَ اسمٌ مُشترَكٌ بينَ ثلاثِ إناثٍ أو أكثرَ ، تزيدُ بعدَهُ أَلِفاً فتاءً ؛ ليَدُلَّ علىٰ أكثرَ مِنِ اثنتَينِ

وأمَّا جمعُ التكسيرِ فهوَ اسمٌ مُشترَكٌ بينَ أكثرَ مِنْ شيئَينِ ، تُغَيِّرُهُ إلىٰ صورةٍ مِنَ الصُّورِ الآتي بيانُها ؛ ليَدُلَّ علىٰ أكثرَ مِنْ شيئَينِ

الكلامُ على المثنىٰ

الاسمُ الذي تريدُ تثنيتَهُ

إن كانَ مقصوراً ؛ فإن زادَ علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ وجبَ إبدالُ أَلِفِهِ ياءً ؛ كـ (حُبْلَيَانِ ، ومُصْطَفَيَانِ) وإن لم يَزِدْ ؛ فإنْ كانَتْ أَلِفُهُ بدلَ واوٍ . عادَتِ

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٧٤)

الواوُ ؛ كـ (عَصَوَانِ ، وقَفَوَانِ) وإن كانَتْ بدلَ ياءٍ عادَتِ الياءُ ؛ كـ (فَتَيَانِ ، ورَحَيَانِ) ويُعرَفُ ذٰلكَ بالتتبعِ

وإن كانَ الاسمُ ممدوداً فإن كانَتْ همزتُهُ للتأنيثِ أُبدِلَتْ واواً ؛ كـ (حَمْراوانِ ، وصَحْراوانِ) وإن كانَتْ أصلاً لم تُبدَلْ ؛ كـ (قَرَّاءانِ ، ووَضَّاءانِ) وإن كانَتْ غيرَ ما ذُكِرَ جازَ إبدالُها واواً ، والأحسنُ إبقاؤُها ، فتقولُ عِلْباوانِ وكِساوانِ مثلاً ، والأحسنُ عِلْباءانِ وكِساءانِ

وإن كانَ الاسمُ غيرَ ما ذُكِرَ فتحتَ آخِرَهُ فقطْ ؛ كـ (زيدانِ ، وقاضيانِ) والنونُ التي تزيدُها للتثنيةِ مكسورةٌ

الكلامُ علىٰ جمعِ تصحيحِ الذُّكورِ

الاسمُ الذي تريدُ جمعَهُ

إن كانَ مقصوراً حذفتَ أَلِفَهُ

وإن كانَ ممدوداً عملتَ بهِ عملَكَ بالمُثنَّىٰ

وإن كانَ منقوصاً حذفتَ ياءَهُ ، وضممتَ آخِرَ ما بقيَ معَ الواوِ ، وكسرتَ معَ الياءِ ، كما هوَ الحالُ في بقيَّةِ الأسماءِ غيرِ المقصورةِ

ولا يُجمَعُ هٰذا الجمعَ إلَّا الأسماءُ الخاليةُ مِنْ تاءِ التأنيثِ والتركيبِ ؛ مِنْ أسماءِ الذُّكورِ العُقلاءِ ، أو أوصافِهِمُ الواردةِ علىٰ غيرِ (أفعلَ ، فَعلاءَ) بالفتحِ والمدِّ ، و(فَعلانَ ، فَعلىٰ) بالفتحِ والقصرِ ، وليسَتْ مِنَ الأوصافِ التي يستوي فيها المُذكَّرُ والمُؤنَّثُ

الكلامُ علىٰ جمعِ المؤنَّثِ السالمِ

تُعامَلُ الأسماءُ في هٰذا الجمعِ معاملتَها في التثنيةِ ، وصورةُ المفردِ عندَ

زيادةِ الأَلِفِ والتاءِ بعدَهُ ؛ لتقومَ صيغةُ هٰذا الجمعِ محفوظةٌ ، لا يَعرِضُ لها تَغيُّرٌ إلَّا في الأسماءِ ذواتِ التاءِ ؛ فإنَّها تُحذَفُ تاؤُها ، وإلَّا في الأسماءِ الثُّلاثيَّةِ الساكنةِ العينِ التي لم تكنْ عينُها مُضعَّفةً ولا حرفَ عِلَّةٍ ؛ فإنَّها إذا كانَتْ مفتوحةَ الفاءِ وجبَ فتحُ عينِها عندَ الجمعِ ؛ كخَطْوةٍ وخَطَواتٍ ، وجَفْنةٍ وجَفَناتٍ ، ووَثْبةٍ ووَثَباتٍ ، ودَعْدَ ودَعَداتٍ

وإذا كانَتْ مضمومةَ الفاءِ جازَ في العينِ ثلاثةُ أوجهٍ الضمُّ ، والتسكينُ ، والفتحُ ، إلَّا إذا كانَتْ لامُ الكلمةِ ياءً ، فإنَّهُ يَمتنِعُ ضمُّ العينِ ، ويجوزُ الوجهانِ الآخَرانِ ؛ فتقولُ في جمعِ غُرْفةٍ وخُطْوةٍ غُرفاتٌ وخُطواتٌ ، بالأوجهِ الثلاثةِ ، وفي جمعِ زُبْيةٍ زُبياتٌ ، بتسكينِ الباءِ وفتحِها لا بضمِّها

وإذا كانَتْ مكسورةَ الفاءِ جازَ في العينِ ثلاثةُ أوجهٍ أيضاً الكسرُ ، والتسكينُ ، والفتحُ ، إلَّا إذا كانَتْ لامُها واواً ، فإنَّهُ يمتنعُ الكسرُ ؛ فتقولُ في جمعِ كِسْرةٍ كِسراتٌ ، بالأوجهِ الثلاثةِ ، وفي جمعِ ذِرْوةٍ ذرواتٌ ، بالتسكينِ والفتحِ

تنبيهٌ
[علىٰ أنَّ المرادَ بالاسمِ في الجموعِ ما يقابلُ الصفةَ]

المرادُ بالاسمِ في أبوابِ الجُموعِ : ما قابلَ الصفةَ ؛ فنحوُ : (ضَخْمةٍ) بفتحِ الضَّادِ وسكونِ الخاءِ صفةٌ مِنَ الضَّخامةِ ، إذا جمعتَها قلتَ ضَخْماتٌ ، بسكونِ الخاءِ لا غيرُ ؛ لِمَا عرفتَ مِنْ أنَّ فتحَ العينِ إتباعاً لفتحِ الفاءِ إنَّما هوَ في الأسماءِ ؛ كجَفْنةٍ وشَرْبةٍ

الكلامُ علىٰ جمعِ التكسيرِ

هوَ نوعانِ

جمعُ قِلَّةٍ يُستعمَلُ في العَشَرةِ فما دونَها إلى الثَّلاثةِ

وجمعُ كثرةٍ يُستعمَلُ في الثَّلاثةِ فما فوقَها إلىٰ غيرِ نهايةٍ

ولكلٍّ صيغٌ ؛ منها ما كثُرَ واشتَهرَ ، ومنها ما قَلَّ ونَدَرَ ، والمقصودُ في هـٰذا البابِ ضبطُ الكثيرِ المُشتَهِرِ ؛ لتقليلِ الانتشارِ ، وسهولةِ الحفظِ

صيغُ جمعِ القِلَّةِ

هيَ أربعٌ

أَفْعِلَةٌ بفتحٍ فسكونٍ فكسرٍ

وأَفْعالٌ بفتحٍ فسكونٍ

وأَفْعُلٌ بفتحٍ فسكونٍ فضمٍّ

وفِعْلَةٌ بكسرٍ فسكونٍ



الصِّيغةُ الأُولىٰ تكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ مُذكَّرٍ رُباعيٍّ قبلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ؛ كطعامٍ وأَطعِمةٍ ، وجِرابٍ وأَجرِبةٍ ، وغُرابٍ وأَغرِبةٍ ، ورَغيفٍ وأرغِفةٍ ، وسَريرٍ [وأَسِرَّةٍ] ، وعَمودٍ وأَعمِدةٍ

وما كانَ مِنْ أسماءِ هـٰذا النوعِ الذي يُجمَعُ هـٰذا الجمعَ مفتوحَ الفاءِ أو مكسورَها ، مُضعَّفاً ، أو مُعتلَّ اللَّامِ ومَدَّتُهُ أَلِفٌ لم يكنْ لهُ جمعٌ غيرُ هـٰذا ؛ كبَتَاتٍ وأَبِتَّةٍ ، وكزِمامٍ وأَزِمَّةٍ ، وكقَباءٍ وأَقبيةٍ ، وكإِناءٍ وآنيةٍ

صيغةُ (أَفْعَالٍ) تكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ ثُلاثيٍّ علىٰ أيِّ صورةٍ ، إلَّا ما كانَ منها موازناً لـ (فُعَل) بضمٍّ ففتحٍ ، فإنَّ هـٰذهِ الصِّيغةَ فيهِ قليلةٌ ، والكثيرُ

غيرُها كما سيأتي التنبيهُ عليه[1] ، وإلَّا ما وازنَ (فَعْلاً) بفتحِ فسكونٍ ، وصَحَّتْ عينُهُ ، ولم تكنْ فاؤُهُ واواً ، ولم يكنْ مُضعَّفاً ؛ كفَلْسٍ وكَلْبٍ ، فإنَّ هٰذهِ الصِّيغةَ لا تكونُ جمعاً لهُ إلَّا نادراً جدّاً ؛ كقولِهِ[2] [من البسيط]

مَـاذَا تَـقُـولُ لِأَفْـرَاخٍ بِـذِي سَـلَـمٍ

وما عدا هٰذَينِ النوعَينِ مِنَ الأسماءِ الثُّلاثيَّةِ فتلكَ الصِّيغةُ فيهِ إمَّا لازمةٌ ، وإمَّا أكثرُ مِنْ غيرِها ؛ كبَيْتٍ وأبياتٍ ، وثَوْبٍ وأثوابٍ ، ووقتٍ وأوقاتٍ ، وجَدٍّ وأجدادٍ

صيغةُ (أَفْعُلٍ) تكونُ جمعاً لنوعَينِ مِنَ الأسماءِ أحدُهُما كلُّ اسمٍ موازنٍ لـ (فَعْلٍ) الذي سبقَ أنَّهُ لا يُجمَعُ علىٰ أفعالٍ ؛ ككَلْبٍ وأَكْلُبٍ ، وفَلْسٍ وأَفْلُسٍ ، وجَرْوٍ وأَجْرٍ ، وظَبْيٍ وأَظْبٍ

وما كانَ مِنْ هٰذا النوعِ واويَّ اللَّامِ أو يائيَّها تُكسَرُ عينُهُ في الجمعِ ، وتُحذَفُ لامُهُ إن وَلِيَها ساكنٌ ، كما رأيتَ في أَجْرٍ وأَظْبٍ

وثانيهِما كلُّ اسمِ مُؤنَّثٍ رُباعيٍّ قبلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ؛ كعَناقٍ بفتحِ أَوَّلِهِ وأَعْنُقٍ ، وذِراعٍ بكسرِ أَوَّلِهِ علىٰ لغةِ تأنيثِها وأَذْرُعٍ ، ولِسانٍ كذٰلكَ وأَلْسُنٍ ، وعُقابٍ بضمِّ أَوَّلِهِ وأَعْقُبٍ ، ويَمينٍ وأَيْمُنٍ

صيغةُ (فِعْلَةٍ) هيَ مِنَ النوادرِ ؛ لكونِها لم تَرِدْ إلَّا في أسماءٍ معدودةٍ ،

---

(١) انظر (١/٢٦٣ ـ ٢٦٤)

(٢) هو للحطيئة في « ديوانه » (ص ١٩١) ، وفيه

مَــاذَا تَـقُـولُ لِأَفْـــرَاخٍ بِــذِي مَـرَخٍ ... حُـمْـرِ ٱلْـحَـوَاصِـلِ لَا مَـاءٌ وَلَا شَـجَـرُ

ويُروىٰ أيضاً (زغب الحواصل)

وإنَّما ذُكِرَتْ لاستيفاءِ جموعِ القِلَّةِ ؛ سُمِعَ صِبْيَةٌ في جمعِ صبيٍّ وصبيَّةٍ ، وفِتْيَةٌ في جمعِ فتىً ، وغِلْمةٌ في جمعِ غلامٍ ، وغِزْلةٌ في جمعِ غزالٍ ، وثِيرةٌ في جمعِ ثورٍ ، وشِيخةٌ في جمعِ شيخٍ ، وثِنْيةٌ في جمعِ ثنْيٍ بضمِّ المثلثةِ أو كسرِها وسكونِ النونِ ؛ وهوَ الثاني في السيادةِ

صيغُ جموعِ الكثرةِ

هيَ سبعَ عشرةَ

الصِّيغةُ الأُولىٰ (فُعْلٌ) بضمٍّ فسكونٍ ، تكونُ جمعاً لكلِّ صفةٍ توازنُ (أفعلَ) أو (فعلاءَ) كأحمرَ وحمراءَ وحُمْرٍ ، فإنْ كانَتْ عينُ الكلمةِ ياءً ؛ كأبيض وبيضاءَ كُسِرَتْ فاءُ الجمعِ ؛ كبِيضٍ وغِيدٍ



الصِّيغةُ الثانيةُ (فُعُلٌ) بضمَّتَينِ ، تكونُ جمعاً لنوعٍ مِنَ الأسماءِ ، ونوعٍ مِنَ الأوصافِ

ـ فالأوَّلُ كلُّ اسمٍ رُباعيٍّ قبلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ، ولم تكنْ لامُهُ حرفَ عِلَّةٍ ، ولم يكنْ مُضعَّفاً ومَدَّتُهُ أَلِفٌ ؛ كحمارٍ وحُمُرٍ ، وأتانٍ وأُتُنٍ ، وسريرٍ وسُرُرٍ ، وعَمودٍ وعُمُدٍ

ـ والثاني كلُّ وصفٍ علىٰ وزنِ (فَعُولٍ) بمعنىٰ فاعلٍ ؛ كصَبورٍ وصُبُرٍ ، وصَدوقٍ وصُدُقٍ



الصِّيغةُ الثالثةُ (فُعَلٌ) بضمٍّ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لنوعٍ مِنَ الأسماءِ ، ونوعٍ مِنَ الأوصافِ

ـ فالأوَّلُ كلُّ اسمٍ على وزنِ (فُعْلَةٍ) بضمٍّ فسكونٍ ؛ كبُرْمَةٍ وبُرَمٍ ، وقُرْبَةٍ وقُرَبٍ ، وغُرْفَةٍ وغُرَفٍ

فإن كانَتْ لامُ الكلمةِ واواً أو ياءً أُبدِلَتْ أَلِفاً في الجمعِ ؛ كرَبْوَةٍ ورُبىً ، وزُبْيَةٍ وزُبىً ، ومُنْيَةٍ ومُنىً

ـ والثاني كلُّ صفةٍ على وزنِ (فُعْلَىٰ) بضمٍّ فسكونٍ في تأنيثِ (أفعلَ) للتفضيلِ ؛ كالكُبْرَىٰ والكُبَرِ ، والدُّنْيَا والدُّنَا ، والعُلْيَا والعُلَا ، والقُصْوَىٰ والقُصَىٰ ؛ بحذفِ أَلِفِ التأنيثِ ، وإبدالِ الأَلِفِ مِنَ الواوِ والياءِ

الصِّيغةُ الرابعةُ (فِعَلٌ) بكسرٍ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ يوازنُ (فِعْلَةً) بكسرٍ فسكونٍ ، كقِرْبَةٍ وقِرَبٍ ، ودِيمَةٍ ودِيَمٍ

وربَّما نابَتْ هٰذهِ الصِّيغةُ عن سابقتِها ، ونابَتْ سابقتُها عنها ؛ كصُورةٍ وقُوَّةٍ بالضمِّ ، وصِوَرٍ وقِوىً [بالكسرِ] ، وكحِلْيةٍ ولِحْيةٍ بالكسرِ ، وحُلىً ولُحىً بالضمِّ

الصِّيغةُ الخامسةُ (فُعَلَةٌ) بضمٍّ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لوصفِ عاقلٍ على وزنِ (فاعلٍ) منقوصٍ ، وتُقلَبُ الياءُ فيها أَلِفاً ؛ كداعٍ ودُعاةٍ ، وراوٍ ورُواةٍ

الصِّيغةُ السادسةُ (فَعَلَةٌ) بفتَحاتٍ ، تكونُ جمعاً لفاعلٍ وصفِ عاقلٍ صحيحِ اللَّامِ ، فإن كانَتْ عينُهُ مُعتلَّةً أُبدِلَتْ أَلِفاً ؛ مثلُ كاملٍ وكَمَلَةٍ ، وبائعٍ وبَاعَةٍ

الصِّيغةُ السابعةُ (فَعْلَىٰ) بفتحِ فسكونٍ وأَلِفِ التأنيثِ المقصورةِ ، تكونُ جمعاً لكلِّ وصفٍ فيهِ معنى الآفةِ أوِ الهلاكِ ؛ كمَرِيضٍ ومَرْضَىٰ ، وأَسِيرٍ وأَسْرَىٰ ، وشَتِيتٍ وشَتَّىٰ ، وجَرِيحٍ وجَرْحَىٰ ، وأَحْمَقَ وحَمْقَىٰ ، وسَكْرَانَ وسَكْرَىٰ ، وقَتِيلٍ وقَتْلَىٰ ، وهالكٍ وهَلْكَىٰ ، وزَمِنٍ وزَمْنَىٰ ، ومَيِّتٍ ومَوْتَىٰ ، ولكونِ عَتيقٍ يقعُ في مقابلةِ أسيرٍ قيلَ في جمعِهِ عَتْقَىٰ

الصِّيغةُ الثامنةُ (فِعَلَةٌ) بكسرٍ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لاسمٍ صحيحِ اللَّامِ يوازنُ (فُعْلاً) بضمٍّ فسكونٍ ؛ كدُرْجٍ ودِرَجَةٍ ، وكُوزٍ وكِوَزَةٍ ، وحُبٍّ وحِبَبَةٍ

الصِّيغةُ التاسعةُ : (فُعَّلٌ) بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مُشدَّداً ، تكونُ جمعاً لكلِّ وصفٍ مُذكَّرٍ أو مُؤنَّثٍ صحيحِ اللَّامِ يوازنُ (فاعلاً) كعاذلٍ وعاذلةٍ وعُذَّلٍ ، وصائمٍ وصائمةٍ وصُوَّمٍ

الصِّيغةُ العاشرةُ (فُعَّالٌ) بضمِّ أوَّلِهِ وتشديدِ ثانيهِ وبعدَهُ أَلِفٌ ، تكونُ جمعاً لمُذكَّرِ الصِّيغةِ الماضيةِ ؛ فلهُ صيغتانِ

الصِّيغةُ الحاديةَ عشرةَ (فِعَالٌ) بكسرِ أوَّلِهِ ، تكونُ جمعاً بكثرةٍ لثمانيةِ أنواعٍ

ـ أحدُها وثانيها (فَعْلٌ) و(فَعْلةٌ) بفتحٍ فسكونٍ ، اسمَينِ أو وصفَينِ ، ليسَتْ عينُهُما ياءً ؛ مثلُ كَلْبٍ وكَلْبةٍ وكِلَابٍ ، وصَعْبٍ وصَعْبةٍ وصِعَابٍ ، وتُبَدَّلُ الواوُ ياءً ؛ كثَوْبٍ وثِيَابٍ

ـ وثالثُها ورابعُها (فَعَلٌ) و(فَعَلَةٌ) بفتَحاتٍ ؛ اسمَينِ صحيحَي اللَّامِ ، ليسَتْ عينُهُما [ولامُهُما] مِنْ جنسٍ ؛ مثلُ جَمَلٍ وجِمَالٍ ، ورَقَبَةٍ ورِقَابٍ

ـ وخامسُها (فِعْلٌ) بكسرٍ [فسكونٍ] اسماً ؛ كقِدْحٍ وقِدَاحٍ ، وذِئْبٍ وذِئَابٍ ، ونِهْيٍ ونِهَاءٍ

ـ وسادسُها (فُعْلٌ) بضمٍّ فسكونٍ ، اسماً صحيحَ اللَّامِ ؛ كرُمْحٍ ورِمَاحٍ ، وجُبّ وجِبَابٍ

ـ وسابعُها وثامنُها (فَعِيلٌ) و(فَعِيلَةٌ) وصفَيْ (بابِ كَرُمَ) صحيحَيِ اللَّامِ ؛ كظريفٍ وظريفةٍ وظِرَافٍ ، وتلزمُ صيغةُ (فِعَالٍ) فيما عينُهُ واوٌ مِنْ هٰذا النوعِ ، فلا يُجمَعُ علىٰ غيرِ هٰذهِ الصِّيغةِ ؛ كطويلٍ وطويلةٍ وطِوالٍ

وشاعَتْ هٰذهِ الصِّيغةُ أيضاً في كلِّ وصفٍ علىٰ (فَعْلانَ) بفتحٍ فسكونٍ للمُذكَّرِ ، و(فَعْلَىٰ) للمؤنثِ ، و(فُعْلانَ) بضمٍّ فسكونٍ لهُ ، و(فُعْلَانةٍ) لها ؛ كغَضْبانَ وغَضْبىٰ وغِضَابٍ ، وعَطْشانَ وعَطْشىٰ وعِطاشٍ ، وكخُمْصانٍ وخُمْصانةٍ وخِماصٍ

الصِّيغةُ الثانيةَ عشرةَ (فُعُولٌ) بضمَّتَينِ ، تكونُ جمعاً لخمسةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ

ـ النوعُ الأوَّلُ (فَعِلٌ) بفتحٍ فكسرٍ ؛ مثلُ كَبِدٍ وكُبُودٍ ، وكَرِشٍ وكُرُوشٍ

ـ النوعُ الثاني (فَعْلٌ) بفتحٍ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً لا وصفاً ، وألَّا تكونَ عينُهُ واواً ؛ كفَلْسٍ وفُلُوسٍ ، وقَلْبٍ وقُلُوبٍ ، وبَيْتٍ وبُيُوتٍ ، ودَلْوٍ ودُلِيٍّ ، ونَهْيٍ ونُهِيٍّ ، وفي مثلِ هٰذَينِ تُقلَبُ واوُ (فُعُولٍ) ياءً ، وتُدغَمُ في الياءِ ؛ لقاعدةِ : (متى اجتمعَ واوٌ وياءٌ وسُبِقَتْ إحداهُما بالسكونِ قُلِبَتِ

الواوُ ياءً ويُدغَمُ الأوَّلُ في الثاني) فلا يُجمَعُ الوصفُ ؛ كصَعْبٍ ولا واويُّ العينِ ؛ كحوضٍ علىٰ هـٰذهِ الصِّيغةِ إلَّا نادراً

ـ النوعُ الثالثُ (فُعْلٌ) بضمّ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ، وألَّا تكونَ عينُهُ واواً ، وألَّا تكونَ لامُهُ ياءً ، وألَّا يكونَ مُضعَّفاً ؛ مثلُ جُنْدٍ وجُنُودٍ ، وبُرْدٍ وبُرُودٍ ، فلا يُجمَعُ علىٰ هـٰذه الصِّيغةِ وصفٌ ؛ كحُلْوٍ ، ولا واويُّ العينِ ؛ كحُوتٍ ، ولا يائيُّ اللَّامِ ؛ كمُدْيٍ لنوعٍ مِنَ المَكاييلِ ، ولا مضاعفٌ ؛ كخُفٍّ

ـ النوعُ الرابعُ (فِعْلٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ؛ كقِرْدٍ وقُرُودٍ ، وحِمْلٍ وحُمُولٍ ، ونِحْيٍ ونُحِيٍّ ، ونِهْيٍ ونُهِيٍ لغةٌ في النَّهْيِ [مفتوحَ] الأوَّلِ ؛ اسمٌ للنهرِ الصغيرِ ، وتُلحَظُ فيهِ وفي أمثالِهِ قاعدةُ الواوِ والياءِ ، فلا يُجمَعُ علىٰ هـٰذهِ الصِّيغةِ وصفٌ ؛ كحِلْفٍ

ـ النوعُ الخامسُ (فَعَلٌ) بفتحتَينِ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ، وألَّا يكونَ مُضعَّفاً ؛ كأَسَدٍ وأُسُودٍ ، وذَكَرٍ وذُكُورٍ ، ورَحىً ورُحِيٍّ ، وعصاً وعُصِيٍّ ، وكلُّ ما تَصرَّفتَ فيهِ بقاعدةِ الواوِ والياءِ يجوزُ كسرُ أوَّلِهِ إتباعاً لثانيهِ ؛ لتخفيفِ النطقِ فتقولُ عِصِيّ بكسرِ العينِ ، ورِحِيّ ودِلِيّ كذٰلكَ ، فلا يُجمَعُ علىٰ هـٰذهِ الصِّيغةِ الوصفُ منهُ ؛ كحَسَنٍ وبَطَلٍ ، ولا المُضعَّفُ ؛ كَلَبَبٍ وعَدَدٍ



الصِّيغةُ الثالثةَ عشرةَ (فِعْلانٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، تكونُ جمعاً لأربعةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ

ـ النوعُ الأوَّلُ (فُعَالٌ) بضمّ أوَّلِهِ ؛ كغُلامٍ وغِلْمانٍ ، وغُرابٍ وغِرْبانٍ ، وقُرادٍ وقِرْدانٍ

ـ النوعُ الثاني (فُعَلٌ) بضمّ ففتحٍ ؛ كصُرَدٍ وصِرْدانٍ لطيرٍ ، وجُرَذٍ وجِرْذانٍ

لنوعٍ مِنَ الفأرِ ، وغلبَ الاكتفاءُ بهٰذهِ الصيغةِ في جمعِ هٰذا النوعِ عن صيغةِ (أفعالٍ) التي هيَ جمعُ القِلَّةِ لغالبِ الثُّلاثيَّاتِ

ـ النوعُ الثالثُ (فُعْلٌ) بضمٍّ فسكونٍ واويَّ العينِ ؛ كحُوتٍ وحِيتانٍ ، ونُونٍ ونِينانٍ ، وكُوزٍ وكِيزانٍ

ـ النوعُ الرابعُ (فَعَلٌ) بفتحتَينِ واويَّ العينِ أيضاً ؛ كقاعٍ وقِيعانٍ ، وبابٍ وبِيبانٍ ، ولحركةِ الواوِ وفتحِ ما قبلَها في هٰذا النوعِ تُبدَلُ أَلِفاً ؛ بحكمِ قاعدةِ (متىٰ تَحرَّكَتِ الواوُ أوِ الياءُ وانفتحَ ما قبلَها قُلبَتْ أَلِفاً)

الصِّيغةُ الرابعةَ عشرةَ (فُعْلانٌ) بضمٍّ فسكونٍ ، تكونُ جمعاً لثلاثةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ

ـ النوعُ الأوَّلُ (فَعْلٌ) بفتحٍ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً لا صفةً ؛ كبَطْنٍ وبُطْنانٍ ، وسَيْفٍ وسُوفانٍ ، وتُبدَلُ الياءُ واواً لأجلِ الضمَّةِ

ـ النوعُ الثاني (فَعِيلٌ) بشرطِ أن يكونَ اسماً أيضاً ؛ مثلُ كَثِيبٍ وكُثْبانٍ ، وغَديرٍ وغُدْرانٍ ، وقَضِيبٍ وقُضْبانٍ

ـ النوعُ الثالثُ : (فَعَلٌ) بفتحتَينِ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ، صحيحَ العينِ ؛ كحَمَلٍ وحُمْلانٍ ، وذَكَرٍ وذُكْرانٍ

الصِّيغةُ الخامسةَ عشرةَ (فُعَلاءُ) بضمٍّ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لنوعٍ واحدٍ مِنَ المفرداتِ ؛ وهوَ (فَعِيلٌ) مِنْ أوصافِ الفاعلينَ ، بشرطِ أَلَّا تكونَ عينُهُ واواً ، وبشرطِ أَلَّا يكونَ مُعتلَّ اللَّامِ ، وبشرطِ أَلَّا يكونَ مُضعَّفاً ؛ نحوُ بَخِيلٍ وبُخَلاءَ ، وكَرِيمٍ وكُرَماءَ ، ونَبِيهٍ ونُبَهاءَ ، وحُمِلَ عليهِ مِنْ (فاعلٍ)

ما دلَّ علىٰ ما يُشبِهُ المطبوعَ ؛ كصالحٍ وصُلَحاءَ ، وفاسقٍ وفُسَقاءَ ، وعاقلٍ وعُقَلاءَ



الصِّيغةُ السادسةَ عشرةَ (أَفْعِلاءَ) بفتحٍ فسكونٍ فكسرٍ ، تكونُ جمعاً لنوعَينِ

ـ أحدُهُما (فَعِيلٌ) المُضعَّفُ ؛ كخَلِيلٍ وأَخِلَّاءَ ، وجَلِيلٍ وأَجِلَّاءَ ، وذَلِيلٍ وأَذِلَّاءَ ، وعزيزٍ وأَعِزَّاءَ

ـ وثانيهِما (فَعِيلٌ) مُعتلُّ اللَّامِ ؛ كنَبِيٍّ وأَنْبِياءَ ، وتَقِيٍّ وأَتْقِياءَ ، ووَلِيٍّ وأَوْلِياءَ

الصِّيغةُ السابعةَ عشرةَ صيغةٌ تُسمَّىٰ صيغةَ منتهى الجموعِ ، والجمعَ الذي لا نظيرَ لهُ في الآحادِ ؛ وذٰلكَ أنَّ صيغَ الجموعِ ربَّما جُعِلَتْ مفرداتٍ وجُمِعَتْ ، فيكونُ جمعُها جمعَ الجمعِ ؛ كأفراسٍ جمعَ فَرَسٍ ، يُجمَعُ علىٰ أَفارِسَ ، وحينَئذٍ يكونُ لكلِّ صيغةٍ مِنَ الصِّيغِ السالفةِ نظيرٌ مِنَ المفرداتِ ؛ مثلاً : غِرْبانٌ جمعَ غُرابٍ ؛ نظيرُهُ في المفرداتِ سِرْحانٌ اسماً للذئبِ ، وحُمْرٌ جمعَ أحمرَ ، نظيرُهُ في المفرداتِ قُفْلٌ ، وهٰكذا ، وهٰذهِ الصِّيغةُ لا تُجمَعُ ، وليسَ لها في المفرداتِ نظيرٌ ، ولذٰلكَ مُنِعَتِ الصَّرفَ كما تَعرِفُهُ في علمِ النحوِ

ثمَّ إنَّ هٰذهِ الصِّيغةَ تكونُ علىٰ أوزانٍ شتَّىٰ ، وضابطُها أنَّها مُتحصِّلةٌ مِنْ خمسةِ أحرفٍ إذا لم يكنْ قبلَ آخِرِ المفردِ حرفُ لينٍ ، وإلَّا كانَتْ ستةَ أحرفٍ ؛ حرفانِ مُتحرِّكانِ بعدَهُما أَلِفٌ ، وبعدَ الأَلِفِ حرفٌ مكسورٌ ، وآخِرُ الصِّيغةِ أو بينَهُما ياءٌ ساكنةٌ ؛ كصَيْرَفٍ وصيارفَ ، وفرعونَ وفراعينَ

[تفصيلُ أوزانِ منتهى الجموعِ]

تفصيلُ أوزانِها

الوزنُ الأَوَّلُ (فواعلُ) يكونُ جمعاً لستةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ

- **النوعُ الأَوَّلُ** (فَوْعَلٌ) كجوهرٍ وجواهرَ ، وجوربٍ وجواربَ ، وصومعةٍ وصوامعَ

- **النوعُ الثاني** (فاعَلٌ) بفتحِ ثالثِهِ ؛ كطَابَعٍ وطوابعَ ، وخاتَمٍ وخواتمَ ، وقالَبٍ وقوالبَ

- **النوعُ الثالثُ** (فاعِلاءُ) بكسرِ ثالثِهِ ؛ كقاصِعاءَ وقَواصعَ ، ونافِقاءَ ونوافقَ ، وراهِطاءَ ورواهطَ ؛ أسماءُ أبوابِ جُحْرِ اليربوعِ

- **النوعُ الرابعُ** كلُّ اسمٍ غيرِ صفةٍ يوازنُ (فاعِلاً) مثلُ كاهلٍ وكواهلَ ، وعامرٍ وعوامرَ ، وجابرٍ وجوابرَ

- **النوعُ الخامسُ** أوصافُ الإناثِ الموازنةُ لـ (فاعِلٍ) مُختتَمةً بالتاءِ أو لا ؛ كحائضٍ وحوائض ، وفارِكٍ وفوارِكَ ؛ وهيَ المُبغِضةُ لزوجِها ، وصائمةٍ وصوائمَ ، وقائمةٍ وقوائمَ

- **النوعُ السادسُ** أوصافُ غيرِ العُقلاءِ الموازنةُ لـ (فاعِلٍ) كصاهلٍ وصواهلَ ، وناهقٍ ونواهقَ

الوزنُ الثاني مِنْ أوزانِ صيغةِ منتهى الجموعِ (فَعائِلُ) بفتحِ أَوَّلِهِ وكسرِ [رابعِهِ] ، يكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ مُؤنَّثٍ ، قبلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ، مُختتَمٍ بالتاءِ ؛ كسَحابةٍ وسحائبَ ، ورِسالةٍ بكسرِ أَوَّلِهِ ورسائلَ ، وذُؤابةٍ بضمِّ أَوَّلِهِ وذوائبَ ، وحَمُولةٍ بفتحِ أَوَّلِهِ وحمائلَ ، وفَعِيلةٍ بفتحِ أَوَّلِهِ ؛ كصَحيفةٍ وصحائفَ ،

وخَمِيلةٍ وخَمائلَ ، وتُجمَعُ الأوصافُ الموازنةُ لـ (فَعِيلةٍ) بهـٰذهِ الصِّيغةِ ؛ كعقيلةٍ وعقائلَ ، وكريمةٍ وكرائمَ ؛ إن لم تكنْ بمعنىٰ (مفعولٍ) كجريحةٍ وقتيلةٍ



الوزنُ الثالثُ (فَعالِي) بفتحِ أوَّلِهِ وكسرِ رابعِهِ وآخِرُهُ ياءٌ ، وتُبدَلُ الياءُ أَلِفاً في البعضِ ، فيُفتَحُ ما قبلَها ضرورةً ، وقدِ التُزِمَتِ الهيئةُ الأُولىٰ في بعضِ المفرداتِ ، والتُزِمَتِ الثانيةُ في بعضٍ آخَرَ ، وورِدَ كلٌّ منهُما في بعضٍ ثالثٍ ، فأنتَ بالخيارِ بينَهُما

فممَّا التُزِمَتْ فيهِ الأُولىٰ : حِذْرِيَةٌ بكسرٍ فسكونٍ فكسرٍ [فياءٍ] خفيفةٍ ؛ اسمٌ للقطعةِ الغليظةِ مِنَ الأرضِ ، والأَكَمةِ ، فجمعُها [حَذارٍ] لا غيرُ ، وسِعْلَاةٌ بكسرٍ فسكونٍ ؛ اسمُ ساحراتِ الجِنّ ؛ فجمعُهُ [سَعالٍ] ، وعَرْقُوةٌ بفتحٍ فسكونٍ فضمٍ فواوٍ خفيفةٍ ؛ كتَرْقُوةٍ ، فالجمعُ [عَراقٍ وتَراقٍ] ، والعَرْقُوةُ هيَ الخشَباتُ التي تُجعَلُ للدِّلاءِ مِنْ فوقٍ يُربَطُ فيها الرِّشاءُ ، والتَّرْقُوةُ العظمُ الذي يلي العنقَ إلى الكتفِ مِنْ أعلى الصَّدرِ

وممَّا التُزِمَتْ فيهِ الثانيةُ كلُّ وصفٍ علىٰ (فَعْلانَ) للمُذكَّرِ ، و(فَعْلَىٰ) للمُؤنَّثِ ؛ كسَكْرانَ وسَكْرىٰ وسَكارَىٰ ، وغَضْبانَ وغَضْبىٰ وغَضابَىٰ ، وعَطْشانَ وعَطْشىٰ وعَطاشَىٰ

وممَّا وردَ فيهِ كلٌّ منهُما كلُّ اسمٍ علىٰ وزنِ (فَعْلاءَ) كصحراءَ ؛ فتقولُ صَحارِي بالكسرِ والياءِ ، وصَحارَىٰ بالفتحِ والألفِ

وكلُّ اسمٍ علىٰ وزنِ (فَعْلَىٰ) بفتحٍ فسكونٍ ؛ كعَلْقَى اسمَ نبتٍ ؛ فتقولُ عَلاقِي وعَلاقَىٰ

أبقيت هـٰذه الياءات مثبتة للتوضيح فقط

وكلُّ اسمٍ علىٰ وزنِ (فِعْلَىٰ) بكسرٍ فسكونٍ ؛ كذِفْرى ، اسمٌ للعظمِ خلفَ أُذُنِ الناقةِ ؛ فتقولُ ذَفارِي وذَفارَىٰ

وكلُّ وصفٍ علىٰ وزنِ (فُعْلَىٰ) بضمٍّ فسكونٍ لمُؤنَّثٍ غيرِ (أفعلَ) كحُبْلَىٰ ؛ فتقولُ حَبالِي وحَبالَىٰ

الوزنُ الرابعُ (فُعالَىٰ) بضمِّ أوَّلِهِ وآخِرُهُ ألفٌ ، يكونُ جمعاً لـ (فَعْلانَ) و(فَعْلَىٰ) كسَكْرانَ وسَكْرىٰ وسُكارىٰ ، وهوَ أرجحُ مِنَ المفتوحِ

الوزنُ الخامسُ (فَعالِيُّ) بفتحِ أوَّلِهِ وكسرِ رابعِهِ وتشديدِ الياءِ ، يكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ مختومٍ بياءٍ مُشدَّدةٍ تُشبِهُ ياءَ النَّسبِ [وليسَتْ] لهُ ؛ مثلُ كُرْسيٍّ وكَراسيَّ ، وكُرْكيٍّ وكَراكيَّ



خاتمةٌ فيها مسائلُ

المسألةُ الأُولىٰ

[في ضوابطِ الجمعِ بصيغةِ منتهى الجموعِ]

اعلمْ أنَّ صيغةَ منتهى الجموعِ إنَّما يُجمَعُ بها مِنَ الأسماءِ ما زادَ علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ مِنَ الأسماءِ الرُّباعيَّةِ والخُماسيَّةِ والسُّداسيَّةِ والسُّباعيَّةِ ، وحيثُ كانَتْ غيرَ مُمْكِنةٍ فيما زادَ علىٰ أربعةِ أحرفٍ وجبَ أن تَرُدَّ ما زادَ على الأربعةِ إليها ؛ ليمكنَكَ أن تَجمعَهُ بهٰذهِ الصِّيغةِ

ولذٰلكَ تفصيلٌ ؛ حاصلُهُ : أنَّ الاسمَ إذا كان خُماسيّاً مُجرَّداً وجبَ حذفُ خامسِهِ ؛ كسَفَرْجَلٍ وسَفَارِجَ

وإن كانَ خُماسيّاً بزيادةٍ حُذِفَ الزائدُ ، إلَّا إذا كانَ ليناً قبلَ الآخِرِ ؛ فإنَّهُ يُبدَلُ ياءً ويَبقىٰ ؛ كغَضَنْفَرٍ وقَرَنْفُلٍ وغَضَافِرَ وقَرافلَ ، وكفِرْعَوْنَ وفَراعينَ ، [وغُرْنَيْقٍ] وغرانيقَ ، وكِرْبَاسٍ وكَرابيسَ ، وعُصْفورٍ وعصافيرَ

وإن كانَ اسماً مُشتمِلاً علىٰ زيادتَينِ أو أكثرَ حذفتَ باختيارِكَ مِنَ الزوائدِ ما يكونُ الباقي بعدَهُ صالحاً لأن يُجمَعَ بهٰذهِ الصِّيغةِ ، إلَّا إذا كانَ أحدُ الزائدَينِ ذا مزيَّةٍ ؛ بحيثُ يكونُ دالّاً علىٰ معنىً مُحقِّقاً لصيغةٍ ، أو كانَ حذفُهُ مُخرِجاً للكلمةِ عنِ النظائرِ ؛ فتقولُ في عَلَنْدَىٰ [وسَرَنْدَىٰ] مثلاً علاندُ [وعلادٍ] ، وسراندُ [وسرادٍ]

وتقولُ في مستدعٍ ومقتدرٍ [مداعٍ] ومقادرُ ، وفي نحوِ استخراجٍ تخاريجُ ، علىٰ وزنِ تماثيلَ ، فلا تَحذِفُ التاءَ وتُبْقِي السينَ ؛ لخروجِهِ بذٰلك عنِ النظائرِ ، وإلَّا إذا كانَتِ الكلمةُ كـ (حَيْزَبُونٍ) و(عَيْطَبُولٍ) فإنَّ

الواجبَ حذفُ الياءِ دونَ الواوِ ؛ فتقولُ في جمعِهِ حزابينُ وعطابيلُ

وممَّا علمتَ في هٰذا الموضعِ تَعرِفُ سائرَ أوزانِ صيغةِ منتهى الجموعِ ؛ فتقولُ في جمعِ (جعفرٍ) مثلاً جعافرُ ، وزنُهُ (فَعالِلُ) وفي جمعِ (أفضلَ) أفاضلُ ، وزنُهُ (أفاعلُ) وفي جمعِ (مسجدٍ) مساجدُ ، وزنُهُ (مفاعلُ) وبالتفكُّرِ لا يَخفىٰ عليكَ اعتبارُ ذٰلكَ

المسألةُ الثانيةُ
[في جمعِ الجمعِ]

قد تَتفصَّلُ آحادُ النوعِ جُملاً ، وتَتصنَّفُ أصنافاً ، فيُستعمَلُ جمعٌ في كلِّ جملةٍ ، فإذا أردتَ أن تَدُلَّ علىٰ تلكَ الجملِ جمعتَ الجمعَ

مثلاً إذا كانَ لزيدٍ جِمالٌ نجاتيةٌ[1] ، وجِمالٌ مصريَّةٌ ، وجِمالٌ شاميةٌ قلتَ جِمالُ زيدٍ المصريَّةُ ؛ وهوَ جمعُ (جملٍ) وقلتَ أحصيتُ جِمالاتِ زيدٍ ؛ وهو جمعُ (جِمالٍ) الذي هوَ جمعُ (جملٍ) وهٰذا ضابطُ جمعِ الجمعِ ؛ فإذا [لم] تَتفصَّلِ الآحادُ جُملاً لم يَصِحَّ أن تجمعَ الجمعَ ؛ وذٰلكَ أنَّ الجمعَ يقتضي ثلاثةَ أفرادٍ ، والجمعُ الأصليُّ مستغرقٌ لجميعِ الآحادِ ، فمِنْ أينَ يجيءُ مفردٌ ثانٍ وثالثٌ حتىٰ تأتيَ بجمعِ الجمعِ ما لم تَتفصَّلِ الآحادُ جُملاً ؟!

وتأمَّلْ قولَهُ تعالىٰ ﴿ تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴾[2] ، فإنَّهُ لو قالَ (كأنَّهُ جِمالٌ) لم يُفِدْ كونَ الشَّرارِ يخرجُ جماعةً جماعةً ، فكانَ جمعُ الجمعِ لازماً لإفادةِ هٰذا المعنىٰ

---

(١) كذا بالنون والجيم في الأصل ، ولعلها : (بخاتية) وهي الإبل الخراسانية

(٢) سورة المرسلات (٣٢ ـ ٣٣) ، وهي قراءة أغلب السبعة

وعلىٰ هـٰذا الحدِّ تَعتبِرُ جمعَ الجمعِ في نحوِ بيوتاتِ العربِ ، ورجالاتِ قريشٍ ، وأفارسِ العسكرِ ، وهـٰكذا

المسألةُ الثالثةُ

[في الجمعِ ، واسمِ الجمعِ ، واسمِ الجنسِ الجمعيِّ]

يقولونَ جمعٌ ، واسمُ جمعٍ ، واسمُ جنسٍ جمعيٌّ

والفرقُ بينَ هـٰذهِ الأنواعِ الثلاثةِ

ـ أنَّ **الجمعَ** : هوَ ما يُعتبَرُ فيهِ تفصيلُ الآحادِ ؛ بحيثُ يكونُ الحكمُ مُنصرِفاً لكلِّ واحدٍ

فإذا قلتَ (رجالُ البلدِ قائلونَ) فمعناهُ كلُّ رجلٍ منهُم قائلٌ

ـ وأنَّ **اسمَ الجمعِ** هوَ ما وُضِعَ للجملةِ مِنْ غيرِ تفصيلِ الآحادِ ، فيكونُ الحكمُ مُنصرِفاً للمجموعِ ؛ مثلاً تقولُ ارتحلَ قومُ فلانٍ وحلُّوا بكذا ، ورَكْبُ هـٰؤلاءِ أحسنُ مِنْ رَكْبِ أولـٰئكَ

ـ وأنَّ **اسمَ الجنسِ الجمعيَّ** هوَ ما وُضِعَ لماهيَّةٍ بشرطِ أن يُستعمَلَ في جماعةٍ جماعةٍ مِنْ آحادِها إلى الجميعِ ، فإذا أردتَ بهِ واحداً ألحقتَهُ التاءَ للفرقِ ؛ كتمرٍ وتمرةٍ ، وقمحٍ وقمحةٍ ، وتُثنِّي ذا التاءِ إذا أردتَ اثنتَينِ

وكما يُجمَعُ الجمعُ يُجمَعُ اسمُ الجمعِ وأسماءُ الأجناسِ الجمعيَّةُ للاختلافِ وتعدُّدِ الجماعاتِ ؛ فتقولُ الأقوامُ ، والتمورُ ، والأعنابُ

والتثنيةُ كالجمعِ عندَ الحاجةِ ، فتقولُ قومانا مُؤتلِفانِ ، ومدينةُ كذا يُوجَدُ فيها تمرانِ ، أحدُهُما أحلىٰ مِنَ الآخَرِ

المسألةُ الرابعةُ

[في كيفيةِ جمعِ المُركَّباتِ والمُثنَّىٰ والجمعِ إذا جُعِلَتْ أعلاماً]

المُركَّباتُ الإضافيَّةُ التي جُعِلَتْ أسماءً[1] تُجمَعُ أجزاؤُها الأُوَلُ كما تُثنَّىٰ ؛ فتقولُ عبدا اللهِ ، وعُبدانُ اللهِ ، وعبادُ الحقِّ ، وذَوُو القَعدةِ والحِجَّةِ ، وأذواءُ القَعدةِ ، وذواتُ القَعدةِ

وما كانَ مِنَ الأسماءِ ؛ كابنِ عِرْسٍ ، وابنِ آوىٰ ، وابنِ لَبُونٍ يُقالُ في جمعِهِ بناتُ عِرْسٍ ، وبناتُ آوىٰ ، وبناتُ لَبُونٍ

والمُركَّباتُ المزجيَّةُ ، والمُركَّباتُ الإسناديَّةُ ، والمُثنَّىٰ ، والجمعُ ؛ إذا جُعِلَتْ أسماءً[2] جئتَ بـ (ذو) وثَنَّيتَ أو جمعتَ حَسَبَ حاجتِكَ ؛ فتقولُ [ذَوَا] معديكربَ ، وذَوُو بعلبكَّ ، وأذواءُ سيبويهِ ، وهٰكذا

المسألةُ الخامسةُ

[في زيادةِ ياءٍ لصيغةِ منتهى الجموعِ التي حُذِفَ منها]

الأسماءُ التي حُذِفَ منها لتَصِحَّ صيغةُ منتهى الجموعِ يجوزُ أن يُزادَ قبلَ آخِرِها ياءٌ ساكنةٌ في الجمعِ ؛ لتكونَ عوضاً عنِ المحذوفِ[3]

المسألةُ السادسةُ

[في أنَّ صيغةَ منتهى الجموعِ تلحقُها تاءُ التأنيثِ]

صيغةُ منتهى الجموعِ تَلحقُها تاءُ تأنيثٍ ؛ وهيَ علىٰ ثلاثةِ أصنافٍ

---

(١) في « شذا العرف » (ص ٢١٤) (أعلاماً) بدل (أسماء)

(٢) في « شذا العرف » (ص ٢١٤) (أعلاماً) بدل (أسماء) .

(٣) مثال هٰذه المسألة (سفرجل) تقول في جمعه (سفارج) بحذف اللام ، وإن عوضت عن المحذوف قلت (سفاريج) بزيادة الياء قبل آخره انظر « شذا العرف » (ص ٢١٠)

ـ أحدُها تاءٌ تُجعَلُ عوضاً عنِ الياءِ التي قبلَ آخِرِ الجمعِ بعدَ حذفِها ؛ تقولُ في مثلِ قناديلَ قنادلةٌ

ـ وثانيها : تاءٌ تَلحقُ جمعَ المنسوبِ للدلالةِ علىٰ أنَّ الجمعَ لهُ لا لأصلِهِ ؛ كالأشاعثةِ والأزارقةِ والمهالبةِ في جمعِ أشعثيّ نسبةً إلىٰ أشعثَ ، وأزرقيّ نسبةً إلى الأزرقِ ، ومُهَلَّبيّ نسبةً إلى [المُهَلَّبِ] .

فلو كانَ الجمعُ للأشعثِ والأزرقِ [والمُهلَّبِ] . قلتَ : المهالبُ والأزارقُ والأشاعثُ ، دونَ تاءٍ

ـ وثالثُها تاءٌ تُزادُ لإلحاقِ الجمعِ بمفردٍ ؛ كصيارفةٍ في جمعِ صَيْرَفٍ ، وصياقلةٍ في جمع صَيْقَلٍ ؛ لإلحاقِهِ بكراهيةٍ وطواعيةٍ

وما أدخلتَ فيهِ التاءَ مِنْ هٰذهِ الجموعِ   يَنصرِفُ بعدَ أن كانَ ممنوعاً من الصرفِ

وربَّما لحقَتِ التاءُ بعضَ صيغِ الجموعِ لتحقيقِ معنى الجمعيَّةِ ؛ كالتاءِ في حِجارةٍ جمعِ حجرٍ ، وفُحولةٍ وعُمومةٍ وخُؤولةٍ جمعِ فَحْلٍ وعمٍّ وخالٍ ؛ فالأصلُ حِجارٌ كجِبالٍ ، وفُحولٌ وعُمومٌ وخُؤولٌ

المسألةُ السابعةُ

[في الأفصحِ مِنْ صِيَغِ الجمعِ عندَ تعدُّدِها]

تَبيَّنَ لكَ أنَّ النوعَ الواحدَ مِنَ المفرداتِ قد يَعتورُهُ صيغتا جمعٍ أو أكثرُ ؛ مثلُ كاملٍ ، وكَمَلَةٍ بفتحتَينِ ، وكُمَّلٍ بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مشدَّداً ، ومثلُ فَحْلٍ ، وفِحالٍ ، وفُحولٍ ، وفُحْلانٍ ، وأَفْحُلٍ ، هٰذا مقتضىٰ ما تَقدَّمَ مِنْ توزيعِ صِيَغِ الجموعِ علىٰ أنواعِ المفرداتِ

ولٰكنْ حيثُ كنتَ مريداً أن تَتكلَّمَ باللغةِ العربيةِ كما نطقَ بها أهلُها

فواجبٌ عليكَ أن تبحثَ عنِ الصِّيغةِ التي نطقوا بها ؛ فتارةً تجدُهُم نطقوا بالصيغتَينِ للمفردِ الواحدِ ، وتارةً تجدُهُمُ اقتصروا علىٰ إحداهُما ، فتنطقُ كما نطقوا

وقد سبقَ التنبيهُ علىٰ أنَّ هٰذهِ الضوابطَ إنَّما هيَ للتقريبِ والتسهيلِ[1] ، وإلَّا فالسماعُ لازمٌ ، ولذٰلكَ ترىٰ أصحابَ كتبِ اللغةِ يذكرونَ المفردَ ويُعقِّبونَهُ بذكرِ جمعِهِ وإن كانَ مِنَ المشاهيرِ ؛ تنبيهاً علىٰ أنَّهُ المنطوقُ بهِ للعربِ



(١) انظر (١/٢١٧)

التقسيمُ السادسُ
[في المُكبَّرِ والمُصغَّرِ][1]

الاسمُ إمَّا مُكبَّرٌ ؛ وهوَ المنطوقُ بهِ علىٰ صيغتِهِ الوضعيَّةِ ، وإمَّا مُصغَّرٌ ؛ وهوَ المُحوَّلُ إلىٰ إحدى الصِّيَغِ الآتي بيانُها لغرضِ الدلالةِ علىٰ حقارةِ قدرِ مُسمَّاهُ ، أو صِغرِ حجمِهِ ، أو قربِهِ مكاناً أو زماناً

وربَّما استُعمِلَتِ الصِّيغةُ للتلطُّفِ والتملُّحِ ، أو فظاعةِ المُسمَّىٰ ونكارتِهِ ؛ كرُجَيْلٍ ، وجُبَيْلٍ ، ودُوَيْنٍ ، وقُبَيْلٍ ، وحُبَيْبٍ ، ودُوَيْهِيَةٍ

بيانُ الصِّيَغِ

هيَ ثلاثٌ (فُعَيْلٌ) بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ وزيادةِ ياءٍ ساكنةٍ تُسمَّىٰ ياءَ التصغيرِ ؛ لتصغيرِ الثُّلاثيَّاتِ

و(فُعَيْعِلٌ) و(فُعَيْعِيلٌ) بضمٍّ ففتحٍ فزيادةِ تلكَ الياءِ وكسرِ تاليها ، ولأجلِ الكسرةِ تُبدَلُ الألفُ والواوُ الواقعتانِ بعدَها ياءً ؛ في تصغيرِ الأسماءِ الزائدةِ علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ

[مسائلُ في أحكامِ التصغيرِ]

وللتصغيرِ أحكامٌ ، ولنوردْها في مسائلَ

المسألةُ الأُولىٰ
[في أحوالِ الحرفِ الثاني بعدَ التصغيرِ]

الحرفُ الثاني مِنْ أحرفِ الاسمِ الذي تريدُ [تصغيرَهُ] إن كانَ أَلِفاً مبدلةً

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٢١٨)

مِنْ واوٍ ، أو مبدلةً مِنْ همزةٍ ؛ لوقوعِها ساكنةً بعدَ همزةٍ مفتوحةٍ ، أو كانَتْ زائدةً ، أو أصليَّةً مجهولةً لم يُعلَمْ أنَّها بدلٌ عمَّاذا ، أو كانَ ياءً مبدلةً مِنْ واوٍ وجبَ أن تَنطِقَ بهِ عندَ التصغيرِ واواً ؛ كبابٍ وبُوَيْبٍ ، وكآدمَ وأُوَيْدِمٍ ؛ أصلُها أَأْدمُ بهمزتَينِ ؛ لكونِهِ وصفَ المُذكَّرِ مِنَ الأُدمةِ ، ومُؤنَّثُهُ أَدماءُ ، ونحوِ ضاربٍ وضُوَيْرِبٍ ، وكاهلٍ وكُوَيْهِلٍ ، وعاصمٍ وعُوَيْصِمٍ ، وجاموسٍ [وجُوَيْمِيسٍ] ، ونحوِ صابٍ وصُوَيْبٍ ؛ اسمُ شجرٍ مُرٍّ ، وعاجٍ وعُوَيْجٍ ؛ اسمُ عظمِ الفيلِ ، ونحوِ قِيمةٍ وقُوَيْمَةٍ ، ودِيمةٍ ودُوَيْمَةٍ ، ومِيزانٍ ومُوَيْزِينٍ

وإذا كانَ ذٰلكَ الحرفُ أَلِفاً مبدلةً مِنْ ياءٍ ، أو واواً كذٰلكَ (١) نُطِقَ بهِ عندَ التصغيرِ ياءً ؛ كنابٍ ونُيَيْبٍ ، ومُوقِنٍ ومُيَيْقِنٍ ، ومُوسِرٍ ومُيَيْسِرٍ ؛ مِنَ اليقينِ واليسارِ

وإذا كانَ ذٰلكَ الحرفُ ياءً مبدلةً مِنْ همزةٍ رُدَّ في التصغيرِ همزةً ؛ كذئبٍ وذُؤَيْبٍ

وإذا كانَ ياءً بدلَ حرفٍ صحيحٍ رُدَّ لأصلِهِ ؛ كدينارٍ ودُنَيْنِيرٍ ، وقِيراطٍ وقُرَيْرِيطٍ ، ودِيوانٍ ودُوَيْوِينٍ

فإذا كانَ ذٰلكَ الحرفُ ياءً أصليَّةً فالأفصحُ إبقاؤُها في التصغيرِ ، وفي لغةٍ رديئةٍ إبدالُها واواً ، وعليه قولُ العامَّةِ (شوية) في تصغيرِ شيءٍ ؛ فتقولُ على الفصيحِ بيتٌ وبُيَيْتٌ ، وفي الأسماءِ حُيَيُّ بنُ أخطبَ

ويشاركُ التصغيرُ في غالبِ ما سلفَ وما سيأتي جمعَ التكسيرِ ؛ ولذٰلكَ اشتَهرَ أنَّ التصغيرَ والتكسيرَ يَرُدَّانِ الألفاظَ إلىٰ أصولِها

ألا ترىٰ أنَّكَ تقولُ في جمعِ بابٍ أبوابٌ ، كما قلتَ في تصغيرِهِ بُوَيْبٌ ، وعليكَ باعتبارِ ذٰلكَ

---

(١) يعني أو كان ذٰلك الحرف واواً مبدلة من ياء

المسألةُ الثانيةُ

[في أحوالِ الحرفِ التالي لياءِ التصغيرِ]

الحرفُ التالي لياءِ التصغيرِ إن كانَ ياءً مُشدَّدةً حُذِفَتْ أُولاهما لتوالي الأمثالِ ؛ تقولُ في تصغيرِ صبيٍّ وصبيَّةٍ صُبَيٌّ وصُبَيَّةٌ

وإن كانَ أَلِفاً أو واواً ساكنةً أُبدِلَ ياءً ؛ كمَقامٍ ومُقَيِّمٍ ، وعَجُوزٍ وعُجَيِّزٍ

وإن كانَتِ الواوُ مُتحرِّكةً جازَ إبقاؤُها ، والأفصحُ إبدالُها ياءً ؛ فتقولُ في تصغيرِ أسودَ وجدولٍ أُسَيْوِدٌ وجُدَيْوِلٌ ، والأفصحُ [أُسَيِّدٌ] وجُدَيِّلٌ إذا لم تكنِ الواوُ المُتحرِّكةُ لامَ الكلمةِ ، وإلَّا وجبَ إبدالُها ياءً ؛ كدَلْوٍ ودُلَيَّةٍ وكَرَوَانٍ وكُرَيَّانٍ

المسألةُ الثالثةُ

[في تتمةِ أحوالِ الحرفِ التالي لياءِ التصغيرِ]

الحرفُ التالي لياءِ التصغيرِ إن كانَ بعدَهُ تاءُ تأنيثٍ أو أَلِفُهُ أو مَدَّتُهُ ، أو أَلِفُ أفعالٍ جمعاً ، أو مَدَّةُ فعلانٍ الذي لم يُجمَعْ على فَعالِينَ كسَراحينَ يجبُ فتحُهُ ، وإلَّا جرَتْ عليهِ حركاتُ الإعرابِ في الصِّيغةِ الأُولىٰ(١) ، وكُسِرَ في الصِّيغةِ الثانيةِ(٢) ، ولأجلِ كسرتِهِ إذا كانَ بعدَهُ أَلِفٌ أو واوٌ قُلِبَتْ ياءً ؛ فتقولُ فُوَيْطِمَةُ(٣) ، وحُبَيْلَىٰ ، وحُمَيْراءُ ، وأُجَيْمالٌ ، وسُكَيْرانٌ ، وتقولُ رُجَيْلٌ ، تُجرِي على اللَّامِ حركاتِ الإعرابِ ، وتقولُ جُعَيْفِرٌ ، ودُنَيْنِيرٌ ، [وعُصَيْفِيرٌ] ، بالإبدالِ

---

(١) وهي (فُعَيْلٌ)

(٢) وهي (فُعَيْعِلٌ ، وفُعَيْعِيلٌ)

(٣) كذا في الأصل ، وتمثيله به لا ينطبق على القاعدة ، ومثَّل له في « شذا العرف » (ص ٢٢٥) بـ (شُجَيْرَة)

المسألةُ الرابعةُ

[في تصغيرِ الاسمِ الزائدِ علىٰ أربعةِ أحرفٍ]

متىٰ زادَ الاسمُ الذي تريدُ تصغيرَهُ علىٰ أربعةِ أحرفٍ وجبَ حذفُ الزائدِ وردُّهُ إلى الأربعةِ ؛ لتمكنَ صيغةُ التصغيرِ على التفصيلِ الذي سبقَ في صيغةِ منتهى الجموعِ ، إلَّا إذا كانَتِ الزيادةُ ألفَ التأنيثِ الممدودةَ ، أو تاءَهُ ، أو ياءَ نسبٍ ، أو زائدَيْ نحوِ زعفرانٍ ، أو علمَ تثنيةٍ ، أو علمَ جمعِ تصحيحٍ للذُّكورِ أو الإناثِ ، أو جزءاً ثانياً مِنَ المُركَّبِ المزجيِّ فإنَّكَ لا تَحذِفُها ؛ لكونِها في تقديرِ الانفصالِ ، وكأنَّها كلماتٌ مُستقِلَّةٌ ، والتصغيرُ واردٌ علىٰ ما قبلَها

وأمَّا أَلِفُ التأنيثِ المقصورةُ إذا لم تكنْ رابعةً[1] ؛ فإن كانَتْ سادسةً أو سابعةً حُذِفَتْ ، وإن كانَتْ خامسةً ؛ فإن لم تَسبِقْها مَدَّةٌ في الاسمِ الذي هيَ فيهِ [وبحذفها] تصلحُ الصِّيغةُ حُذِفَتْ أيضاً ، وإلَّا فأنتَ بالخيارِ بينَ حذفِ المَدَّةِ السابقةِ وإبقاءِ أَلِفِ التأنيثِ ، وبينَ حذفِ أَلِفِ التأنيثِ وإبقاءِ المَدَّةِ

نحوُ حُبَارىٰ ؛ فلكَ أن تقولَ حُبَيِّرٌ ؛ بحذفِ أَلِفِ التأنيثِ وإبقاءِ المَدَّةِ التي هيَ الأَلِفُ المبدلةُ ياءً لأجلِ ياءِ التصغيرِ ، وأن تقولَ حُبَيْرىٰ ؛ بحذفِ المَدَّةِ وإبقاءِ الأَلِفِ

المسألةُ الخامسةُ

[في تصغيرِ الاسمِ الباقي علىٰ حرفَينِ]

إذا كانَ الاسمُ الذي تريدُ تصغيرَهُ باقياً علىٰ حرفَينِ بحذفِ أحدِ حروفِهِ ؛

(١) وإذا كانت رابعة فإنها تثبت في التصغير ؛ فتقول في (حبلىٰ) (حُبَيْلى) انظر « شذا العرف » (ص ٢٢٧)

كعِدَةٍ أصلُها وِعْدٌ ، وسَنَةٍ أصلُها سَنْوَةٌ أو سَنْهَةٌ ، وشَفَةٍ أصلُها شَفْهَةٌ ، ويدٍ أصلُها يَدْيٌ ردَدتَ المحذوفَ ليمكنَ التصغيرُ ؛ فتقولُ وُعَيْدَةٌ ، وسُنَيَّةٌ أو سُنَيْهَةٌ ، وشُفَيْهَةٌ ، ويُدَيَّةٌ ، ودُمَيٌّ

وإذا كانَ علىٰ حرفَينِ وضعاً وجعلتَهُ اسماً ؛ فإن كانَ ثانيهِ صحيحاً ضَعَّفتَهُ بزيادةِ حرفٍ مِنْ جنسِ ثانيهِ ، أو كمَّلتَهُ بياءٍ ؛ فتقولُ في تصغيرِ (هل) هُلَيْلٌ ، أو [هُلَيٌّ]

وإن كانَ ثانيهِ حرفَ عِلَّةٍ كمَّلتَهُ بحرفٍ مِنْ جنسِهِ ؛ كـ (لو) و(كي) و(ما) فتقولُ لُوَيٌّ ؛ بإبدالِ الواوِ ياءً ، وكُيَيٌّ ، [ومُوَيٌّ]

المسألةُ السادسةُ

[في تصغيرِ الأسماءِ المُؤنَّثةِ الثُّلاثيَّةِ]

الأسماءُ المُؤنَّثةُ الثُّلاثيَّةُ ولو حالَ التصغيرِ ، الخاليةُ مِنْ علامةِ التأنيثِ إذا صغرتَها ألحقتَها تاءَ التأنيثِ ، إلَّا إذا حصلَ لَبْسٌ ؛ فتقولُ دُوَيْرَةٌ ، وسُنَيْنَةٌ ، ويُدَيَّةٌ ، وعُيَيْنَةٌ ، وأُذَيْنَةٌ ، ولا تقولُ شُجَيْرَةٌ ؛ لالتباسِهِ بتصغيرِ شجرةٍ ، وأنتَ تريدُ تصغيرَ شَجَرٍ ، ولا تقولُ خُمَيْسَةٌ ؛ لالتباسِهِ بتصغيرِ خمسةٍ وأنتَ تريدُ تصغيرَ خَمْسٍ

وقد شَذَّ التجريدُ مِنَ التاءِ في بعضِ الأسماءِ ؛ نحوُ قُوَيْسٍ ، ونُعَيْلٍ

وشذَّ إلحاقُ التاءِ بغيرِ الثُّلاثيِّ ؛ فقالوا في تصغيرِ أمامٍ ووراءٍ وقُدَّامٍ وُرَيِّئَةٌ ، وأُمَيِّمةٌ بتشديدِ الياءِ فيهما ، وقُدَيْدِيمةٌ

المسألةُ السابعةُ

[في تصغيرِ الترخيمِ]

قد يُقتصَرُ مِنَ الاسمِ علىٰ أصولِهِ ويُصغَّرُ ويُسمَّىٰ تصغيرَ الترخيمِ ؛

فتقولُ في تصغيرِ إرواد رُوَيْدٌ ، وفي تصغيرِ مِعطَفٍ عُطَيْفٌ ، وفي تصغيرِ حمَّادٍ ، وحَمْدانَ ، وحَمْدُونَ ، ومحمودٍ ، ومُحمَّدٍ حُمَيْدٌ ، والاعتمادُ في بيانِ المرادِ على القرينةِ

المسألةُ الثامنةُ

[في شذوذِ تصغيرِ الأفعالِ والحروفِ والأسماءِ المبنيةِ]

يَتبيَّنُ لكَ ممَّا سلفَ أنَّ التصغيرَ خاصٌّ بالأسماءِ المُتمكِّنةِ ، لا يكونُ في الأفعالِ ، ولا في الحروفِ ، ولا في الأسماءِ المَبنيَّةِ ، وشذَّ تصغيرُ أفعلَ في التعجُّبِ ، وتصغيرُ أسماءِ الإشارةِ ، وبعضِ الأسماءِ الموصولةِ ؛ فسُمِعَ ذَيَّا وتَيَّا واللَّتَيَّا بفتحِ أوائلِها ، وأُولَيَّاءُ بضمِّ أوَّلِهِ ، قالوا بعدَ اللَّتَيَّا [والتي] أي بعدَ الصغيرةِ والكبيرةِ ، وقالَ [1] [من البسيط]

يَـا مَـا أُمَـيْـلِـحَ غِـزْلَانـاً شَـدَنَّ لَـنَـا ... مِنْ هَـؤُلَيَّائِكُنَّ ٱلضَّالِ وَٱلسَّمُرِ



(١) انظر « خزانة الأدب » (٣٦٣/٩)

[النَّسَبُ]

المنسوبُ اسمُ قبيلةٍ أو قُطرٍ أو بلدٍ أو غيرِ ذٰلكَ ، تزيدُ بعدَ آخِرِهِ ياءً مُشدَّدةً يَنتقِلُ إليها الإعرابُ ، ولأجلِها يُكسَرُ آخِرُ الاسمِ ؛ لأنَّ المجموعَ صارَ كلمةً واحدةً ؛ [كنِزاريّ][1] ومُضَريّ ، وحِجازيّ وشاميّ ومِصريّ ودِمَشْقيّ ، وقُطْنيّ وشاهيّ

وبذٰلكَ العملِ يصيرُ الاسمُ وصفاً يُنعَتُ بهِ ، ويَعملُ عملَ الأوصافِ كما يَتبيَّنُ في النحوِ

[مسائلُ في أحكامِ المنسوبِ]

وللمنسوبِ أحكامٌ نوردُها في مسائلَ

المسألةُ الأُولىٰ
[في النَّسَبِ لِمَا آخِرُهُ ياءٌ مُشدَّدةٌ]

الاسمُ الذي تريدُ أن تَنسُبَ إليهِ إذا كانَ آخِرَهُ ياءٌ مشدَّدةٌ ؛ فإذا كانَتْ مسبوقةً بحرفٍ واحدٍ فتحتَ الياءَ الأُولىٰ ، ورددتَها لأصلِها إن كانَتْ مُنقلِبةً عن واوٍ ، وقلبتَ الياءَ الثانيةَ واواً مطلقاً ؛ فتقولُ في النسبةِ إلىٰ (حيّ) حَيَوِيٌّ ، وإلىٰ (طيّ ، وليّ) مصدرَيْ طَوَىٰ ولَوَىٰ طَوَوِيٌّ ، ولَوَوِيٌّ

وإذا كانَتْ مسبوقةً بحرفَينِ خففتَها ، وقلبتَها واواً ، وفتحتَ ثانيَ الاسمِ ؛ فتقولُ في النسبةِ إلىٰ (عَليّ ، وعَديّ ، وقُصَيّ) بضمِّ أولِهِ عَلَوِيٌّ ، وعَدَوِيٌّ ، وقُصَوِيٌّ

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٢٤٠)

وإذا كانَتْ مسبوقةً بثلاثةِ أحرفٍ فأكثرَ ؛ فإن كانَتْ زائدةً حذفتَها ؛ [لئلَّا يجتمعَ أربعُ ياءاتٍ في] كلمةٍ واحدةٍ ؛ فتقولُ في النسبةِ إلىٰ (شافعيّ) (شافعيٍّ) حُذِفَتْ ياءُ الاسمِ ، ووُضِعَتْ مكانَها ياءُ النَّسَبِ

وإذا كانَتْ قائمةً مِنْ أصليّ وزائدٍ ؛ كمَرْميّ اسمَ مفعولٍ ، أصلُهُ مَرْمُويٌ ؛ فالياءُ لامُ الكلمةِ ، والواوُ زائدةٌ قُلِبَتْ ياءً كما هوَ القاعدةُ في مثلِهِ . فالأحسنُ أن تُحذَفَ كسابقِهِ ، وفي لغةٍ تُحذَفُ الياءُ الزائدةُ ، وتُقلَبُ الأصليةُ واواً ؛ فتقولُ على الأول مَرْميٌّ ، وعلى الثاني مَرْمَوِيٌّ

المسألةُ الثانيةُ

[في النَّسَبِ للاسمِ المقصورِ والمنقوصِ]

الاسمُ إذا كانَ مقصوراً أو منقوصاً

فمتىٰ جازَتْ أَلِفُ الأوَّلِ أو ياءُ الثاني أربعةَ أحرفٍ حُذِفَتْ ، ومتىٰ كانتا ثالثَتَينِ قُلِبَتا واواً ، وفُتِحَ ما [قبلَهُما] ؛ فتقولُ في المُصطفى اسمَ مفعولٍ ، والمُصطفِي اسمَ فاعلٍ مصطفيٌّ ، وتقول في النِّسبةِ إلى العصا والرَّحا عَصَوِيٌّ ورَحَوِيٌّ ، وإلى الشَّجا شَجَوِيٌّ

ومتىٰ كانتا رابعتَينِ فالأفصحُ حذفُ الياءِ ؛ كقاضيّ وقاليّ ، ويجوزُ قلبُها واواً ، فيُفتَحُ ما قبلَها ؛ كقاضَوِيّ وقالَوِيّ

وأمَّا الأَلِفُ ؛ فإذا كانَتْ أَلِفَ تأنيثٍ ولم يَسكُنْ ثاني الاسمِ الذي هيَ فيهِ حُذِفَتْ أيضاً ، فإن سَكَنَ فالأحسنُ الحذفُ ، ويجوزُ قلبُها واواً ، ولكَ زيادةُ أَلِفٍ قبلَها ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ نحوِ حُبْلىٰ حُبْلِيٌّ ، وحُبْلَوِيٌّ ، وحُبْلَاوِيٌّ

وإذا كانَتِ الأَلِفُ لإلحاقِ كلمةٍ بكلمةٍ أخرىٰ ؛ كلفظةِ (أَرْطىً) التي

أصلُها (أَرْطٍ) ، فزيدَتْ فيها الألفُ لإلحاقِها بـ (جعفرٍ) ، أو كانَتِ الألفُ أصليةً ؛ كـ (مَعْلىً) و(مَرْمىً) فالأحسنُ فيهِما القلبُ واواً ؛ فتقولُ أَرْطَوِيٌّ ومَعْلَوِيٌّ ، ويجوزُ الحذفُ ؛ فتقولُ أَرْطِيٌّ ومَعْلِيٌّ

المسألةُ الثالثةُ

[في النَّسَبِ إلى الاسمِ المختومِ بتاءِ التأنيثِ]

الاسمُ إذا كانَ مختوماً بتاءِ التأنيثِ حُذِفَتْ[1] ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ فاطمةَ فاطميٌّ

وإذا كانَ نحوُ طَيِّبٍ ونَيِّرٍ حُذِفَتِ الياءُ الثانيةُ ؛ فتقولُ طَيْبِيٌّ ونَيْرِيٌّ ، بياءٍ واحدةٍ ساكنةٍ ، وعليهِ فكانَ حقُّ النِّسبةِ إلىٰ طَيِّئٍ طَيْئِيٌّ ، لـٰكنَّهُم شَذُّوا فقالوا طائيٌّ

وإذا كانَ الاسمُ علىٰ وزنِ (فُعَيْلَةٍ) بضمٍّ ففتحٍ فسكونٍ ؛ نحوُ جُهَيْنَةَ ومُزَيْنَةَ حُذِفَتْ ياؤُهُ ؛ فقيلَ جُهَنِيٌّ ومُزَنِيٌّ

وإذا كانَ علىٰ وزنِ (فَعِيلةٍ) بفتحٍ فكسرٍ فسكونٍ ، ولم يكنْ واويَّ العينِ ولا مضاعفاً حُذِفَتْ ياؤُهُ ، وفُتِحَتْ عينُهُ ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ حَنِيفةَ حَنَفِيٌّ ، وفي النِّسبةِ إلىٰ طَويلةٍ وجَليلةٍ طَويليٌّ وجَليليٌّ ، دونَ تغييرٍ

المسألةُ الرابعةُ

[في النَّسَبِ إلى المُركَّباتِ]

المُركَّباتُ الإسناديَّةُ المُسمَّىٰ بها ؛ نحوُ تأبَّطَ شرّاً ، وبَرَقَ نحرُهُ ، وجادَ الحقُّ ، والمُرَكَّباتُ المَزجيَّةُ ، والمُركَّباتُ الإضافيَّةُ إذا نسبتَ إليها

---

(١) أي حُذِفت تاؤه

حذفتَ أعجازَها ، واقتصرتَ علىٰ صدورِها ناسباً لها ؛ فتقولُ تأبَّطيٌّ ، وبَرَقيٌّ ، وجاديٌّ

وتقولُ بعليٌّ في النِّسبةِ إلىٰ بعلبكَّ ، ومعديٌّ وقاليٌّ في النسبةِ إلىٰ معديكربَ وقالي قلا[1] ، وذو الياءِ كمَعديٍّ وقاليٍّ مِنَ المنقوصِ ؛ فإذا كانَتِ الياءُ رابعةً فحكمُها ما مرَّ في المنقوصِ[2]

ويُستثنىٰ مِنَ المُركَّبِ الإضافيِّ الكُنىٰ والأعلامُ الغالبةُ ، وما يكونُ فيهِ المضافُ لفظاً واحداً أُضيفَ إلىٰ أشياءَ كثيرةٍ على البدلِ ؛ كأبي بكرٍ ، وأبي طالبٍ ، وأُمِّ كُلثومٍ ، وابنِ عباسٍ ، وابنِ الزبيرِ ، وابنِ عمرَ ، وعبدِ الأشهلِ ، وعبدِ قيسٍ ؛ فإنَّهُم نسبوا في هٰذهِ المواضعِ إلى الأعجازِ ، وحذفوا الصُّدورَ ، وقالوا بكريٌّ ، وطالبيٌّ ، وكُلثوميٌّ ، وعباسيٌّ ، وهٰكذا

وربَّما نحتوا مِنَ المضافِ والمضافِ إليهِ اسماً علىٰ وزنِ (فَعْلَلٍ) بفتحِ الفاءِ وسكونِ العينِ وفتحِ اللَّامِ الأولىٰ ؛ كحَضْرَمٍ [من] حضرموتَ ، وعَبْشَمٍ مِنْ عبدِ شمسٍ ، وعَبْقَسٍ مِنْ عبدِ القيسِ ، ومَرْقَسٍ مِنِ امرئِ القيسِ الشاعرِ ؛ فقالوا الشِّعرُ المَرْقَسيُّ أوَّلُ ما يُستجادُ مِنْ شعرِ العربِ ، وقالَ الشاعرُ[3] [من الطويل]

وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كَأَنْ لَمْ تَرَا قَبْلِي أَسِيراً يَمَانِيَا

المسألةُ الخامسةُ
[في النَّسبِ إلىٰ فعِلٍ بتثليثِ أوَّلِهِ]

الاسمُ إذا كانَ علىٰ وزنِ فعِلٍ بتثليثِ أوَّلِهِ وكسرِ ثانيهِ ، كدُئِلٍ

---

(١) قالي قلا موضع ، وهما اسمان جُعلا واحداً ، وبُني كل واحد منهما على الوقف

(٢) أي من جواز مَعْدَوِيّ ، وقَالَوِيّ

(٣) هو عبد يغوث بن الحارث انظر « البيان والتبين » (٢/٢٦٨) ، و(ترا) في البيت تسهيل (ترأ) علىٰ لغة (راءَ) بمعنىٰ (رأىٰ) ، وانظر « مغني اللبيب » (١/٣٦٥ ـ ٣٦٦)

بضمّ أوَّلِهِ ، وإِبِلٍ ، ونَمِرٍ بفتحِ أوَّلِهِ وجبَ عندَ النِّسبةِ إليهِ فتحُ عينِهِ ؛ فتقولُ دُؤَليٌّ بفتحِ الهمزةِ ، وإِبَليٌّ بفتحِ الباءِ ، ونَمَريٌّ بفتحِ الميمِ

المسألةُ السادسةُ

[في النَّسَبِ إلى الاسمِ الممدودِ]

المنسوبُ إليهِ إذا كانَ ممدوداً ؛ فإن كانَتْ أَلِفُهُ للتأنيثِ قُلِبَتْ واواً ؛ فتقولُ حمراويٌّ ، وخَضراويٌّ ، وصَفراويٌّ

وإذا كانَتِ الهمزةُ بدلاً عن أصلٍ ؛ نحوُ كِساءٍ أصلُهُ كِساوٌ مِنَ الكسوةِ ، أو مزيدةً بإلحاقِ الكلمةِ بكلمةٍ أخرىٰ ؛ كعِلْباءٍ أصلُهُ عِلْبٌ ، زِيدَتِ المَدَّةُ لإلحاقِهِ بقِرْطاسٍ فلكَ قلبُ الهمزةِ واواً وإبقاؤُها ؛ فتقولُ كساويٌّ وعِلْباويٌّ ، وكسائيٌّ وعِلْبائيٌّ

وإذا كانَتِ الهمزةُ أصليةً ؛ كقَرَّاءٍ ووَضَّاءٍ بقيَتِ الهمزةُ ؛ فتقولُ قَرَّائيٌّ ووَضَّائيٌّ

المسألةُ السابعةُ

[في المنسوبِ الثُّلاثيِّ إن بقيَ منهُ حرفانِ]

المنسوبُ إليهِ إذا كانَ اسماً ثُلاثيّاً ، حُذِفَ منهُ حرفٌ في الاستعمالِ ، فإذا كانَ المحذوفُ لامَهُ ؛ فإن عُهِدَ رَدُّهُ في تثنيةٍ أو جمعِ تصحيحٍ وجبَ ردُّهُ في النَّسَبِ ؛ كأبٍ وأخٍ ، قيلَ في تثنيتِهِ أبوانِ وأخوانِ ، فيُنسَبُ إليهِ بالردِّ ؛ فيُقالُ أَبَويٌّ وأَخَويٌّ ، وكسَنَةٍ وعِضَةٍ ، قالوا في الجمعِ سَنَواتٌ وعِضَواتٌ ، وسَنَهاتٌ وعِضَهاتٌ ، على اللُّغتَينِ ؛ فتقولُ في النَّسَبِ سَنَوِيٌّ وعِضَوِيٌّ ، أو سَنَهِيٌّ وعِضَهِيٌّ

وإن لم يُعهَدْ ردُّ اللَّامِ في التثنيةِ وجمعِ التصحيحِ ؛ نحوُ ثُبَةٍ جازَ الردُّ وعدمُهُ ؛ فتقولُ ثُبِيٌّ وثُبَوِيٌّ ، إلَّا إذا كانَتْ عينُهُ مُعتلَّةً ؛ فإنَّهُ يجبُ الردُّ أيضاً ، فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ شاةٍ و(ذي) بمعنىٰ صاحبٍ شاهيٌّ وذَوَوِيٌّ ، ومَنْ قالَ في يدٍ ودمٍ يَدانِ ودَمانِ جازَ عندَهُ الردُّ والحذفُ ، ومَنْ قالَ يَدَيانِ ودَمَيانِ وجبَ عندَهُ الردُّ

ويجبُ فتحُ عينِ هٰذهِ الأسماءِ عندَ ردِّ لاماتِها ، وتكونُ كالثُّلاثيَّاتِ المقصورةِ في قلبِ أَلِفِها عندَ النَّسبةِ واواً

والنِّسبةُ لأُختٍ كالنِّسبةِ لأخٍ ، وبنتٌ كابنٍ ؛ فتقولُ أَخَوِيٌّ وبَنَوِيٌّ بفتحِ أوَّلِهما وثانيهِما ، وما كانَ كابنٍ واسمٍ محذوفَ اللَّامِ مُعوَّضاً عنها همزةُ الوصلِ يجوزُ ردُّ لامِهِ وحذفُ الهمزةِ ، ويجوزُ عكسُهُ ، و(كِلتا) مثلُ (كِلا) ، و(اثنتانِ) كـ (اثنانِ) فتقولُ كِلَوِيٌّ بفتحِ اللَّامِ ، وثَنَوِيٌّ بفتحِ النونِ

وإذا كانَ المحذوفُ الفاءَ ؛ فإن كانَتِ اللَّامُ صحيحةً لم يُرَدَّ المحذوفُ ؛ تقولُ في النِّسبةِ لعِدَةٍ وزِنَةٍ عِدِيٌّ وزِنِيٌّ ، وإن كانَتْ مُعتلَّةً ؛ كشِيَةٍ ودِيَةٍ رُدَّتْ ؛ فتقولُ وَشَوِيٌّ بفتحِ أوَّلِهِ وثانيهِ[1]

وإن كانَ المحذوفُ العينَ ؛ فإن كانَتْ لامُهُ صحيحةً . لمْ تُرَدَّ ؛ نحوُ مُذْ أصلُها منذُ ، يُنسَبُ إليها مُذِيٌّ

وإنْ كانَتِ اللَّامُ مُعتلَّةً رُدَّتِ العينُ ، فتُنسَبُ إلىٰ (مُرٍ) اسمَ فاعلٍ مِنْ (أرىٰ) فتقولُ مُرْئِيٌّ

---

(١) كذا في الأصل (بفتح أوله وثانيه) ، وذكر صاحب « شذا العرف » (ص ٢٥٤) أنها بكسر الواو الأولى ، ومثال (دِية) وِدَوِيّ

المسألةُ الثامنةُ

[في النَّسَبِ إلى الثُّنائيِّ وضعاً]

إذا كانَ المنسوبُ إليهِ ثُنائيّاً وَضْعاً ؛ فإن كانَ ثانيهِ صحيحاً ؛ نحوُ : (كَمْ) و(لَمْ) جازَ تضعيفُهُ عندَ النَّسَبِ إليهِ ، وإبقاؤُهُ علىٰ صورتِهِ ؛ فتقولُ كَميّ ولَميّ بالتشديدِ والتخفيفِ

وإذا كانَ ثانيهِ مُعتلّاً وجبَ تضعيفُهُ ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ (لا) و(ما) لائيٌّ ، ومائيٌّ

وفي النِّسبة إلىٰ (كيْ) كَيَوِيٌّ ؛ كالنِّسبةِ إلىٰ حَيٍّ ، وفي النِّسبةِ إلىٰ (لوْ) لَوِّيٌّ ؛ كالنِّسبةِ إلى الدَّوِّ

المسألةُ التاسعةُ

[في النَّسَبِ إلى الجمعِ]

إذا نسبتَ إلى الجمعِ أعدتَهُ إلىٰ لفظِ المفردِ ونسبتَ إليهِ ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ أجمالٍ جَمَلِيٌّ ، إلَّا إذا صارَ الجمعُ بمنزلةِ المفردِ لاستعمالِهِ استعمالَ الأسماءِ ؛ كالأنصارِ ، فإنَّهُ يُنسَبُ إليهِ علىٰ لفظِهِ ؛ فتقولُ أنصاريٌّ ، أو لكونِهِ لا واحدَ لهُ ؛ كعبابيدَ

المسألةُ العاشرةُ

[في النَّسبِ إلى الحِرَفِ]

قد نسبوا في الحِرَفِ بلفظِ علىٰ وزنِ (فَعَّالٍ) فقالوا حَدَّادٌ ، ونَجَّارٌ ، وبَزَّازٌ مِنَ البَزِّ ؛ وهوَ الأقمشةُ

وربَّما استُعمِلَ معَ (فعَّالٍ) النَّسبُ الأصليُّ ؛ فقالوا لبائعِ العِطْرِ عَطَّارٌ

وعِطْرِيٌّ ، وهـٰذا كثيرٌ ، واستعملوا أيضاً وزنَ (فاعلٍ) وهوَ قليلٌ ؛ فقالوا لابنٌ وتامرٌ ؛ أي ذو لبنٍ وذو تمرٍ ، وأقلُّ منهُ وزنُ (فَعِلٍ) بفتحِ فكسرٍ ، قالَ الشاعرُ (١) [من الطويل]

وَلَـسْـتُ بِـلَـيْـلِـيٍّ وَلَـٰكِنَّنِي نَـهِـرْ

أرادَ لستُ ممَّنْ كسبُهُ باللَّيلِ فأُنسَبَ إليهِ ، ولـٰكنَّ كسبي بالنهارِ ، فقولُهُ (نَهِرٌ) كقولِهِ نَهاريٌّ



(١) أراد رجزاً أورده سيبويه في « الكتاب » (٣/٣٨٤) ، والبيت بتمامه

لَسْتُ بِلَيْلِيٍّ وَلَـٰكِنِّي نَهِرْ لَا أُدْلِجُ ٱللَّيْلَ وَلَـٰكِنْ أَبْتَكِرْ

الخاتمةُ

في أمورٍ لا تَخُصُّ بعضَ أنواعِ الكلمةِ



الأمرُ الأوَّلُ أحكامُ الوقفِ[1]

وهوَ قطعُ النطقِ عندَ آخِرِ الكلمةِ ؛ إمَّا لتمامِ الكلامِ ، أو للاستراحةِ

إذا وقفتَ على الضَّمائرِ المتصلةِ ؛ نحوُ لهُ ، وبهِ ، وغلامِهِ حذفتَ الواوَ والياءَ وسَكَّنتَ الهاءَ إذا لم يكنْ قبلَ الضَّميرِ ساكنٌ موجودٌ أو محذوفٌ ، وإلَّا جازَ لكَ حذفُ الواوِ والياءِ وإبقاؤُهُما ؛ نحوُ منهُ ، وإليهِ ، وادعُهُ ، وارمِهِ ، ولا تُحذَفُ الألِفُ مِنْ نحوِ بها وغلامِها

وإذا وقفتَ على المُنوَّناتِ حذفتَ تنويناتِها ، إلَّا إذا كانَ التنوينُ بعدَ فتحةٍ ؛ فإنَّهُ يُبدَلُ ألِفاً

وإذا كانَ آخِرُ الموقوفِ عليهِ ألِفاً وقفتَ على ألِفِهِ ، وألحقوا (إذاً) الناصبةَ للمضارعِ أحياناً بالمُنوَّنِ المفتوحِ ، فأبدلوا نونَها ألِفاً

وإذا وقفتَ على المنقوصِ ؛ فإذا لم يكنْ منصوباً ولا محذوفَ الفاءِ ؛ كـ (يفي) مُسمّىً بهِ ، ولا محذوفَ العينِ كـ (مُرٍ) اسمَ فاعلٍ مِنْ (أرىٰ) فإن كانَ مُنوَّناً فالأحسنُ حذفُ يائِهِ ، وإن لم يكنْ مُنوَّناً فالأحسنُ إثباتُها

وفي المنصوبِ وما بعدَهُ يجبُ الإثباتُ

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٣٤٥)

وإذا وقفتَ علىٰ مُتحرّكٍ غيرِ تاءِ تأنيثٍ سَكَّنتَهُ ؛ وهوَ الفصيحُ في اللغةِ

وبعضُ العربِ يَميلُ بالحرفِ نحوَ الحركةِ ميلاً خفيفاً ، ويُسمّيهِ العلماءُ روماً

وبعضُهُم إذا وقفَ على المضمومِ ضمَّ شفتَيهِ ومدَّهُما ، ويُسمُّونَهُ إشماماً

وبعضُهُم يُشدِّدُ الحرفَ الموقوفَ عليهِ ، ويُسمَّىٰ تضعيفاً ، ومحلُّ ذٰلكَ إذا لم يكنْ همزةً ولا واواً ولا ياءً ولا أَلِفاً ، ولم يكنْ ما قبلَهُ ساكناً

وبعضُهُم يَنقُلُ غيرَ الفتحةِ مِنَ الحرفِ الصحيحِ لسابقِهِ الساكنِ الذي يمكنُ تحريكُهُ ولم يَثقُلْ بالتحريكِ ، إذا لم يُؤدِّ النقلُ إلىٰ صيغةٍ لا نظيرَ لها ، ويُغتفَرُ ذٰلكَ إذا كانَ الموقوفُ عليهِ همزةً كما ينقلُ الفتحةَ من الهمزةِ

ونقلُ الحركةِ للمُتحرّكِ السابقِ بعدَ سلبِ حركتِهِ لغةٌ لخميَّةٌ بقيَتْ في لسانِ أهلِ مصرَ ؛ فيقولونَ في الوقفِ علىٰ (كتبَهُ) بفتحِ الباءِ (كتبُهْ) بضمِّها

وإذا وقفتَ علىٰ تاءِ التأنيثِ المتصلةِ بالأفعالِ أوِ الحروفِ ، أو في أختٍ وبنتٍ لم يَتغيَّرْ لفظُها إلَّا بتسكينِ المُتحرّكِ منها ؛ فتقولُ ثَمَّتْ ، ورُبَّتْ ، وأختْ وبنتْ ؛ بسكونِ التاءِ ، كما تقولُ قالَتْ

وإذا وقفتَ على التاءِ مِنْ جمعِ المُؤنَّثِ السالمِ وما أشبهَهُ فالأحسنُ إبقاؤُها تاءً ساكنةً ، والأحسنُ في غيرِ ذٰلكَ إبدالُها هاءً

وإذا وقفتَ على الفعلِ المحذوفِ اللَّامِ للجزمِ أوِ البناءِ ، أو علىٰ (ما)

الاستفهاميةِ المخفوضةِ ويجبُ حذفُ ألفِها عندَ ذلكَ ، أو علىٰ مبنيٍّ علىٰ حركةٍ وليسَ فعلاً ماضياً ، ولا اسمَ (لا) ، ولا منادىً ، ولا (قبلُ) و(بعدُ) وما أُلحِقَ بهِما جازَ لكَ أن تَقِفَ علىٰ أواخرِ هٰذهِ الكلماتِ بالسكونِ ، وجازَ لكَ أن تَجتلِبَ هاءً ساكنةً تُسمَّىٰ هاءَ السَّكتِ ، إلَّا معَ (ما) الاستفهاميةِ المخفوضةِ بالاسمِ ؛ فإنَّهُ يجبُ ، وإلَّا معَ الفعلِ المحذوفِ اللَّامِ والفاءِ جميعاً ؛ فإنَّهُ يَترجَّحُ ، حتىٰ قيلَ بوجوبِهِ في المضارعِ ؛ كـ (لم [يَعِهْ]) و(لم [يَقِه]) ، ويجبُ في الأمرِ ؛ كـ (قِهْ) و(عِهْ)



الأمرُ الثاني

مِنَ الأمورِ التي لا تَخُصُّ بعضَ أنواعِ الكلمةِ الإبدالُ[1]

وهوَ جعلُ حرفٍ مكانَ حرفٍ جعلاً مُلتزَماً ، وسببُهُ التخفيفُ ولَطافةُ الألفاظِ

والإبدالُ وإن سبقَ التنبيهُ عليهِ في كثيرٍ مِنَ المواضعِ إلَّا أنَّهُ يَحتاجُ لضبطٍ واستيفاءٍ ؛ لتكونَ علىٰ بصيرةٍ مِنْ أصولِ الألفاظِ وما آلَتْ إليهِ ؛ إذ هوَ ركنٌ عظيمٌ مِنْ أركانِ الصَّرفِ[2]

اعلمْ أنَّهُ قد وقعَ الإبدالُ في لغةِ العربِ علىٰ نوعَينِ

نوعٌ شائعٌ مُطَّردٌ في اللُّغاتِ ، وهوَ المرادُ بالبيانِ والشرحِ في هـٰذا الموضعِ

النوعُ الآخَرُ مُختصٌّ ببعضِ اللُّغاتِ ، يُطَّلَعُ عليهِ في كتبِ اللُّغةِ ، وليسَ يَحتاجُهُ مَنْ يريدُ معرفةَ الفنونِ العربيةِ لأجلِ أن يَنطِقَ بالنطقِ الصحيحِ ويأمنَ الغلطَ في شائعِ الحديثِ ؛ إذِ المُهِمُّ للطالبِ أن يَعرِفَ الأمورَ الكثيرةَ الاستعمالِ التي تستوفي معظمَ أحوالِ الكلامِ

[أحرفُ الإبدالِ]

ثمَّ الأحرفُ التي يكونُ فيها التبادلُ تسعةٌ ، يَجمعُها قولُكَ هدأتَ مُوطِياً ، ومِنْ هـٰذهِ الأحرفِ ما يكونُ بدلاً عن غيرِهِ ، ويكونُ غيرُهُ بدلاً عنهُ[3] ، كما ستطَّلِعُ عليهِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٢٧٥)

(٢) انظر (١/١٩٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٤)

(٣) في الأصل هنا زيادة (ومنها ما يكون بدلاً عن غيره) ، ويظهر أنه تكرار

حرفُ الهاءِ

تكونُ بدلاً مِنْ تاءِ التأنيثِ في الوقفِ كما سلفَ بيانُهُ[1] ، وربَّما نطقوا بها بدلاً مِنَ الهمزةِ فقالوا في (أراقَ الماءَ) هَرَاقَ ، وفي (آتىٰ) هاتىٰ ، وذٰلكَ مقصورٌ علىٰ ما سُمِعَ منهُ

حرفُ الهمزةِ

الهمزةُ تكونُ بدلاً عن غيرِها علىٰ سبيلِ الوجوبِ في خمسةِ مواضعَ ، وعلىٰ سبيلِ الجوازِ في مواضعَ يأتي الإلمامُ بها

ـ الموضعُ الأوَّلُ مِنْ مواضعِ الوجوبِ الواوُ والياءُ إذا وقعتا طرفَينِ بعدَ أَلِفٍ زائدةٍ وجبَ إبدالُهُما همزةً ؛ نحوُ كساءٍ مِنَ الكسوةِ ، وسماءٍ مِنَ السُّمُوِّ ، ودعاءٍ مِنْ دعوتُ ، وظِباءٍ جمعِ ظَبْيٍ ، ودِلاءٍ جمعِ دَلْوٍ

ـ الموضعُ الثاني الواوُ والياءُ مِنِ اسمِ فاعلِ الفعلِ الأجوفِ بإحداهُما مُبدَلةً أَلِفاً يجبُ إبدالُهُما همزةً ؛ كقالَ فهوَ قائلٌ ، وباعَ فهوَ بائعٌ

ـ الموضعُ الثالثُ المَدَّةُ الثالثةُ الزائدةُ في المفردِ إذا جمعتَهُ بصيغةِ منتهى الجموعِ يجبُ إبدالُها همزةً ؛ نحوُ قلادةٍ وقلائدَ ، وصحيفةٍ وصحائفَ ، وعجوزٍ وعجائزَ

ـ الموضعُ الرابعُ إذا اجتمعَ في الكلمةِ واوانِ ، أو ياءانِ ، أو ياءٌ وواوٌ ، وجمعتَها علىٰ صيغةِ منتهى الجموعِ وجبَ إبدالُ الثانيةِ منهُما همزةً ، كالأوائلِ في جمعِ (أَوَّلَ) ، والنيائفِ في جمع (نَيِّفٍ) ، والسيائدِ في جمعِ (سَيِّدٍ)

---

(١) انظر (١/٢٩٠)

ـ الموضعُ الخامسُ : الواوانِ إذا اجتمعتا في أوَّلِ الكلمةِ وتَحرَّكَتْ ثانيتُهُما أو سَكَنَتْ وكانَتْ أصليةً وجبَ إبدالُ أُولاهُما همزةً ؛ فتقولُ في واصلةٍ إذا صَغَّرتَها أُوَيْصِلَةٌ ، وإذا جمعتَها أَواصلُ قالَ الشاعرُ[1] [من الخفيف]

ضَـرَبَـتْ صَـدْرَهَـا إِلَـيَّ وَقَـالَـتْ يَـا عَـدِيّـاً لَـقَـدْ وَقَـتْـكَ ٱلْأَوَاقِـي

جمعُ واقيةٍ ؛ أي حافظةٍ

وتكونُ الهمزةُ على سبيلِ الجوازِ بدلاً مِنْ واوٍ مضمومةٍ ضمّاً لازماً ، غيرِ مُشدَّدةٍ ؛ كوُجوهٍ وأُجُوهٍ ، ووُقُوتٍ وأُقُوتٍ ، وأَدْوُرٍ وأَدْؤُرٍ ، وأَنْوُرٍ وأَنْؤُرٍ ؛ في جمعِ دارٍ ونارٍ ، وقَؤُولٍ وصَؤُولٍ صيغةِ مبالغةٍ مِنْ قالَ وصالَ ، وصُؤُولٍ وغُؤُورٍ مصدرَيْ صالَ وغارَ ، وخُؤُولٍ جمعِ خالٍ

وكذٰلكَ تكونُ بدلاً مِنْ ياءٍ بعدَ أَلِفٍ وقبلَ ياءٍ مُشدَّدةٍ ؛ كغائيّ في النِّسبةِ لـ (غايةٍ) ، ورائيّ في النِّسبةِ لـ (رايةٍ)

وكذٰلكَ تكونُ بدلاً عن واوٍ مكسورةٍ في أوَّلِ الكلمةِ ؛ كإشاحٍ وإفادةٍ وإسادةٍ ؛ في وِشاحٍ ووِفادةٍ ووِسادةٍ

وجاءَتِ الهمزةُ بدلاً مِنَ الهاءِ في ماءٍ ؛ لتصغيرِهِ على مُوَيْهٍ ، وجمعِهِ على أمواهٍ

تنبيهٌ

إنَّما تُبدَلُ الهمزةُ مِنَ الواوِ والياءِ نطقاً بعدَ أَلِفِ صيغةِ منتهى الجموعِ إذا لم يكنْ لامُ الكلمةِ همزةً أو واواً أو ياءً ، وإلَّا نطقتَ بالواوِ في جمعِ مثلِ هِراوةٍ ، وبالياءِ في جمعِ مثلِ خطيئةٍ وهديَّةٍ ومطيَّةٍ ، وتُبدَلُ لامُ الكلمةِ أَلِفاً

(١) هو المهلهل بن ربيعة في « ديوانه » (ص ٥٨)

فيها ، فتقولُ هَراوَىٰ وهدايا وخطايا ومطايا ، ذٰلك أمرٌ لازمٌ لا يَصِحُّ النطقُ بغيرِهِ

حرفُ الياءِ

تكونُ بدلاً عنِ الأَلِفَ في موضعَينِ

ـ الموضعُ الأَوَّلُ إذا وقعَتْ بعدَ كسرةٍ ، كما في جمعِ مِصباحٍ وقِنطارٍ علىٰ مصابيحَ وقناطيرَ ، وكما في تصغيرِهما

ـ الموضعُ الثاني إذا وقعَتْ بعدَ ياءِ التصغيرِ ، كما في غزالٍ وغُزَيِّلٍ

وتكونُ بدلاً عن الواوِ في عشرةِ مواضعَ

ـ الموضعُ الأولُ أن تقعَ مُتطرِّفةً إثرَ كسرةٍ ، ولا يَمنعُ مِنْ كونِها طرفاً وقوعُ تاءِ التأنيثِ أو أَلِفِهِ أو مَدَّتِهِ أو أَلِفٍ ونونٍ زائدتَينِ بعدَها ؛ نحوُ رضيَ مِنَ الرضوانِ ، وقَوِيَ مِنَ القُوَّةِ ، والغازي والداعي مِنْ غزوتُ ودعوتُ

ـ الموضعُ الثاني أن تقعَ عيناً لمصدرِ فعلٍ أُعِلَّتْ فيهِ وقبلَها كسرةٌ وبعدَها أَلِفٌ ؛ كصِيامٍ وقِيامٍ لصامَ وقامَ ، وانقِيادٍ واعتِيادٍ مِنِ انقادَ واعتادَ

ـ الموضعُ الثالثُ أن تقعَ عيناً لجمعٍ قبلَها كسرةٌ وبعدَها أَلِفٌ إذا صَحَّتْ في المفردِ ، فإذا أُعِلَّتْ فيهِ لم يُشترَطِ الأَلِفُ ؛ كدِيمةٍ مِنَ الدوامِ ، وقِيمةٍ مِنْ يقومُ ، وحِيلةٍ مِنْ يحولُ ، فجمعُهُ دِيَمٌ وقِيَمٌ وحِيَلٌ ، وكحوضٍ وثوبٍ ، جمعُهُ حِياضٌ وثِيابٌ

هٰذا إذا لم تَعتلَّ لامُ الكلمةِ ، وإلَّا لم تُبدَلِ الواوُ ياءً ؛ تقولُ في جمعِ جَوٍّ جِواءٌ

ـ الموضعُ الرابعُ أن تقعَ طرفاً رابعةً فصاعداً ؛ نحوُ أعطيتُ وعاطيتُ وتعاطيتُ ، وما تَصرَّفَ منها

ـ الموضعُ الخامسُ أن تقعَ ساكنةً غيرَ مُشدَّدةٍ إثرَ كسرةٍ ؛ نحوُ مِيزانٍ مِنَ الوزنِ ، ومِيقاتٍ مِنَ الوقتِ ، وإيصاءٍ مِنَ الوصيَّةِ

ـ الموضعُ السادسُ أن تقعَ لاماً لوصفٍ علىٰ وزنِ (فُعْلَىٰ) بضمِّ الفاءِ ؛ كدُنْيَا مِنَ الدُّنوِّ ، وعُلْيَا مِنَ العُلُوِّ

وخالفَ أهلُ الحجازِ في قُصْوَىٰ ، وتميمٌ يقولونَ [قُصْيَا] علىٰ حكمِ القاعدةِ

ـ الموضعُ السابعُ أن تَجتمِعَ معَ الياءِ ويكونَ السابقُ ساكناً واجبَ الوجودِ في كلمةٍ واحدةٍ ؛ كسَيِّدٍ مِنَ السُّؤْدُدِ ، وعَلِيٍّ مِنَ العُلُوِّ ، وعُصِيٍّ ، وكطَيٍّ مِنْ طَوَيْتُ ، ولَيٍّ مِنْ لَوَيْتُ ، وطَيَّانٍ ولَيَّانٍ

ـ الموضعُ الثامنُ أن تقعَ لامَ (مفعولٍ) لفعلٍ مكسورِ العينِ ؛ كرضيَ فهوَ مَرْضيٌّ

ـ الموضعُ التاسعُ أن تقعَ لاماً لجمعٍ علىٰ فُعُولٍ ؛ كعُصِيٍّ ودُلِيٍّ ، أصلُهُما عُصُوٌّ ودُلُوٌّ ، جمعُ عَصاً ، أصلُهَا عَصَوٌ ، ودَلْوٍ

ـ الموضعُ العاشرُ أن تكونَ عيناً لجمعٍ علىٰ (فُعَّلٍ) بضمِّ أوَّلِهِ وتشديدِ ثانيهِ ؛ كصُيَّمٍ ونُيَّمٍ ، وذٰلكَ إبدالٌ جائزٌ ، والتصحيحُ أفصحُ ؛ كصُوَّمٍ ونُوَّمٍ

حرفُ الواوِ

يكونُ بدلاً عنِ الألِفِ إذا اقتضى الحالُ ضمَّ ما قبلَها ؛ كبُويِعَ مجهولِ بايعَ ، وضُوَيْرِبٍ مُصغَّرِ ضاربٍ

ويكونُ بدلاً عنِ الياءِ في أربعةِ مواضعَ

ـ الموضعُ الأوَّلُ أن تقعَ بعدَ ضمَّةٍ ؛ كمُوقنٍ مِنَ اليقينِ ، ومُوسرٍ مِنَ اليسارِ ، إلَّا إذا كانَتِ الكلمةُ جمعاً لنحوِ أبيض ؛ فإنَّ الياءَ تبقىٰ ، ولأجلِها تُبدَلُ الضمَّةُ كسرةً ؛ فتقولُ بِيضٌ ، بكسرِ الباءِ

ـ الموضعُ الثاني أن تقعَ لامَ كلمةٍ بعدَ ضمَّةٍ ؛ مثلُ نَهُوَ مِنَ النُّهيةِ ، وقَضُوَ المُحوَّلِ مِنْ (قضىٰ يقضي) للتعجُّبِ وإلحاقِهِ بالطبائعِ

ـ الموضعُ الثالثُ أن تقعَ لاماً لاسمٍ علىٰ وزنِ (فَعْلَىٰ) بفتح الفاء ؛ كتَقوىٰ وفَتوىٰ

ـ الموضعُ الرابعُ أن تقعَ عيناً لاسمٍ علىٰ وزنِ (فُعْلَىٰ) بضمِّ الفاءِ وما في حكمِ الاسمِ ؛ وهيَ الصِّيغةُ التفضيليةُ ؛ كطُوبىٰ مِنَ الطِّيبِ ، والكُوسىٰ مِنَ الكِيَاسةِ

حرفُ الأَلِفِ

تكونُ الأَلِفُ بدلاً عنِ الواوِ والياءِ إذا تحرَّكتا تَحرُّكاً أصليّاً وانفتحَ ما قبلَهُما مِنْ كلمتِهِما ، وتَحرَّكَ ما بعدَهُما إن كانتا غيرَ لامِ كلمةٍ ، وإلَّا فالشرطُ ألَّا يقعَ بعدَهُما أَلِفٌ ولا ياءٌ مُشدَّدةٌ ، ولا [تُبدَلانِ] إذا وقعتا عيناً في (فَعِلَ) الذي مصدرُهُ علىٰ (فَعَلٍ) بفتحتَينِ ، وكذا في مصدرِهِ ؛ نحوُ غَيِدَ غَيَداً ، وعَوِرَ عَوَراً ، ولا تُبدَلُ الواوُ إذا كانَتْ عيناً لـ (افتعلَ) الدالِّ على التفاعلِ ؛ نحوُ اجتوروا ، واشتوروا ، واعتوروا ، ولا يُبدَلانِ أيضاً إذا وقعَ بعدَهُما حرفٌ أُعِلَّ بإعلالِهِما ؛ كالهوىٰ والجوىٰ

وكذٰلك إذا وقعَ بعدَهُما زيادةٌ تَخُصُّ الاسمَ ؛ كالأَلِفِ والنونِ مِن [نحوِ] الجَوَلَانِ والطَّوَفَانِ والهَيَمَانِ ، والأَلِفِ في نحوِ صَوَرَىٰ وحَيَدَىٰ بفتحاتٍ

حرفُ التاءِ

تكونُ التاءُ بدلاً مِنَ الواوِ والياءِ إذا وقعتا فاءً لصيغةِ (افتعلَ) نحوُ اتَّقىٰ ، واتَّكل ، واتَّسر ، أصلُهُ : اِوتَقىٰ واوتَكلَ وايتَسرَ

حرفُ الطاءِ ، وحرفُ الدالِ

يكونانِ بدلاً مِنْ تاءِ الافتعالِ كما سبقَ تفصيلُهُ(١)

حرفُ الميمِ

يكون بدلاً مِنْ نونٍ ساكنةٍ وقعَتْ قبلَ باءٍ

الهمزةُ إذا وقعَتْ بعدَ همزةٍ في آخِرِ الكلمةِ قُلِبَتْ ياءً مطلقاً ، ثمَّ إن كانَ ما قبلَها مفتوحاً قُلِبَتْ أَلِفاً ، وإن كانَ مضموماً أو مكسوراً حُذِفَتْ في غيرِ النصبِ إذا وقعَ بعدَها ساكنٌ ؛ لكونِ ما هيَ فيهِ صارَ منقوصاً ، وإن كانَ ما قبلَها ساكناً بقيَتْ ياءً كما هوَ شأنُ مثلِها

وإذا كانَ الهمزتانِ في أوَّلِ الكلمةِ ؛ فإن سَكَنَتْ ثانيتُهُما وجبَ إبدالُها مِنْ جنسِ حركةِ السابقةِ ؛ نحوُ آثرتُ أُوثرُ إيثاراً ، وآمنتُ أُومنُ إيماناً ؛ مِنَ الأثرةِ والأمنِ

وإن تَحرَّكَتْ ؛ فإن كانَتْ مضمومةً أو مفتوحةً بعدَ ضمَّةٍ أو فتحةٍ . وجبَ قلبُها واواً

وإن كانَتْ مكسورةً أو مفتوحةً بعدَ كسرةٍ وجبَ قلبُها ياءً

(١) تقدم (٢٠٦/١)

وإذا كانَتِ الهمزةُ الأُولىٰ همزةَ المضارعِ تَخيَّرتَ بينَ تحقيقِ الهمزةِ الثانيةِ وبينَ قلبِها ؛ على حكمِ القاعدةِ ، وعليكَ باستخراجِ الأمثلةِ ورعايةِ تفصيلِ الحكمِ فيما يَرِدُ عليكَ مِنَ الكلامِ

وإن كانَتِ الهمزتانِ في أثناءِ الكلمةِ أُدغِمَتِ الأُولىٰ في الثانيةِ ؛ نحوُ سَأَّلٍ ورَأَّسٍ ولَأَّلٍ

فهٰذا تقريبُ ضوابطِ الإبدالِ الشائعِ في اللغةِ العربيةِ ، وهناكَ إبدالاتٌ تَطَّلِعُ عليها إذا تَوسَّعتَ في مطالعةِ كتبِ اللغةِ



الأمرُ الثالثُ

نقلُ الحركاتِ مِنْ مواضعِها ، وحذفُ بعضِ حروفِ الكلمةِ

متىٰ تَحرَّكَتِ الواوُ والياءُ وكانَ ما قبلَهُما ساكناً صحيحاً ، ولم تكنِ الكلمةُ فعلاً تَعجُّبيّاً ، ولا كأبيض وأسودَ ، ولا مضارعاً لنحوِ عَورَ ، ولا اسمَ آلةٍ كالمِقْودِ والمِخْياطِ نُقِلَتْ حركتُهُما إلى الساكنِ قبلَهُما ، وبقيتا ساكنتَينِ سكوناً مرسلاً إن كانَ قبلَ الواوِ ضمَّةٌ ، وقبلَ الياءِ كسرةٌ ، وإلَّا . قُلِبتا أَلِفينِ ؛ نحوُ يقولُ ويبيعُ ، وأقامَ وأباعَ ، واستقامَ واستباعَ

وتُحذَفُ الأَلِفُ مِنَ الإفعالِ والاستفعالِ ، ويُعوَّضُ منها تاءٌ لازمةٌ كما تَقدَّمَ التنبيهُ عليهِ في بابِ المصدرِ[1] ، ويُحذَفُ لهٰذا الإعلالِ واوُ (مفعولٍ) نحوِ مَصُونٍ ومَبِيعٍ ، بإبدالِ الضَّمَّةِ كسرةً في نحوِ مبيعٍ



(١) انظر (١/٢٢٢)

الأمرُ الرابعُ في الإدغامِ والفكِّ

اعلمْ أنَّهُ إذا توالىٰ حرفانِ مِنْ جنسٍ واحدٍ ؛ كباءَينِ أو دالَينِ في كلمةٍ أو كلمتَينِ فهُما موضعُ الفكِّ والإدغامِ ، واستيفاءُ الكلامِ في ذٰلكَ مِنْ وظيفةِ عِلْمِ القراءاتِ

وإنَّما تَكلَّمَ الصَّرفيونَ على المِثلَينِ في كلمةٍ واحدةٍ ؛ حيثُ كانَ بحثُهُم عن أحوالِ المفرداتِ ، فوجبَ أن نسيرَ معَ القومِ

فنقولُ إذا اجتمعَ المِثلانِ في كلمةٍ فتارةً يجبُ الفكُّ ، وتارةً يجبُ الإدغامُ ، وتارةً يجوزُ كلٌّ منهُما

مواضعُ جوازِهِما يجوزُ كلٌّ مِنَ الفكِّ والإدغامِ في نحوِ حَيِيَ مِنَ الحياةِ أوِ الحَياءِ ، وعَيِيَ ؛ أي عَجَز عنِ الإبانةِ ، فيجوزُ أن تقولَ [حَيَّ وعَيَّ] ، وفي نحوِ تتابعَ فيجوزُ أن تقولَ اتَّابعَ ؛ بجلبِ همزةِ الوصلِ ، وفي نحوِ استترَ فيجوزُ أن تقولَ سَتَّرَ ؛ بنقلِ الفتحةِ إلى السينِ ، وكسرُ السينِ لغةٌ ، فيُستغنَىٰ عن همزةِ الوصلِ

وفي المضارعِ الساكنِ الآخِرِ للجزمِ أوِ الوقفِ ، والفكُّ لغةُ الحجازِ ، والإدغامُ لغةُ تميمٍ ، وبكلتَيهِما جاءَ القرآنُ ، وفي الأمرِ

وإذا أدغمتَ في المضارعِ والأمرِ وجبَ تحريكُ ثاني الحرفَينِ للتخلُّصِ

ويجبُ الفكُّ في موازنِ (فُعَلٍ) بضمٍّ ففتحٍ ؛ كصُفَفٍ وعُقَقٍ ، وفي موازنِ (فِعَلٍ) بكسرٍ ففتحٍ ؛ مثلُ كِلَلٍ وحِبَبَةٍ ، وفي موازنِ (فُعُلٍ) بضمَّتَينِ ؛ كذُلُلٍ وسُرُرٍ ، وفي موازنِ (فَعَلٍ) بفتحتَينِ ؛ كمَلَلٍ ولَبَبٍ ورَدَدَةٍ ، وفي صيغةِ

إلحاقيَّةِ ؛ كهَيْلَلَ وجَلْبَبَ ، وفي (فُعَّلٍ) بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مُشدَّداً ؛ نحوُ جُسَّسٍ في جمعِ جاسٍّ

وفي الأفعالِ الماضيةِ إذا اتصلت بها الضمائرُ المرفوعةُ البارزةُ ؛ نحوُ حَلَلْتُ ومَلِلْتُ وصَبَبْتُ

ويجبُ الإدغامُ في غيرِ ذٰلكَ ، فإن كانَ أَوَّلُ الحرفَينِ ساكناً فذاكَ ، وإن كانَ مُتحرِّكاً نُقِلَتْ حركتُهُ للساكنِ قبلَهُ إن كانَ ؛ نحوُ أَزِمَّةٌ تُشَدُّ ، وإلَّا حُذِفَتْ ؛ كحَلَّ ومَلَّ وصَبَّ

وشَذَّتِ العربُ بالفكِّ حيثُ يجبُ الإدغامُ ؛ فقالوا أَلِلَ السِّقاءُ يَأْلَلُ ؛ أي فسدَ ، ودَبَبَ زيدٌ يَدبِبُ ؛ أي نبتَ الشعرُ في جبهتِهِ ، وفي كلماتٍ أُخَرَ مِنَ الأفعالِ والأسماءِ نَبَّهَتْ عليها علماءُ اللغةِ

مسألةٌ

التاءانِ في أوَّلِ المضارعِ إذا ابتدأتَ بهِ لا يجوزُ فيهما الإدغامُ ، كما لا يجوزُ في المتصدرَينِ سوىٰ ما سلفَ ، ويكثرُ حذفُ إحدىٰ تاءَيِ المضارعِ تخفيفاً ؛ نحوُ تَلظَّىٰ وتَيمَّموا ، فإذا لم تَبتدِئْ بالمضارعِ جازَ الإدغامُ ، فلكَ فيهِ حينَئذٍ ثلاثةُ أوجهٍ ؛ تقولُ لا تَتَرَدَّدْ ، ولا تَرَدَّدْ ، ولا تَّرَدَّدْ

مسألةٌ

النونُ الساكنةُ ومنها التنوينُ لها خمسةُ أحوالٍ

ـ الأَوَّلُ إبدالُها مِنْ جنسِ ما بعدَها ، وإدغامُها فيه بلا غُنَّةٍ ؛ وذٰلكَ حيثُ تلاقي الراءَ واللَّامَ ؛ مثلُ مِنْ رَبِّهِم ، وأن لَّو

ـ الثاني إبدالُها مِنْ جنسِ ما بعدَها وإدغامُها فيهِ بغُنَّةٍ ، والغُنَّةُ إخراجُ

الصوتِ مِنَ الخَيْشُومِ في نوعِ تَرنُّمٍ ؛ وذٰلكَ حيثُ تلاقي الميمَ والواوَ والياءَ ، إلَّا إذا لاقتْهُما في كلمةٍ[1] ؛ نحوُ دُنْيا وصِنْوانٍ ، والإدغامُ بغُنَّةٍ حكمُها إذا لقيَتْ مثلَها

ـ الثالثُ إبدالُها ميماً معَ غُنَّةٍ حيثُ تلاقي الباءَ كما مرَّ

ـ الرابعُ إظهارُها حيثُ تلاقي حرفاً حلقيّاً

ـ الخامسُ إخفاؤُها ؛ وهوَ حالةٌ بينَ الإدغامِ والإظهارِ فيما عدا الحروفَ السابقةَ



---

(١) أي لاقت الياءَ والواوَ

[مخارجُ الحروفِ]

هٰذا ؛ واعلمْ أنَّ مِنْ وظيفةِ عِلْمِ الصَّرفِ إبانةَ مخارجِ الحروفِ ؛ أي مواضعِ خروجِها وأوصافِها ؛ لتَعرِفَ كيفيةَ النطقِ بها ، وقد وضعَ بعضُ العلماءِ في ذٰلكَ رسائلَ مُستقِلَّةً ، وسمَّوهُ علمَ تجويدِ القرآنِ ؛ لأنَّ القارئَ يلزمُهُ شِدَّةُ الحرصِ علىٰ إصابةِ النطقِ بحروفِهِ

هٰذا ؛ وقد سبقَ اطِّلاعُكَ علىٰ أنَّ لكلِّ حرفٍ مخرجاً يَخُصُّهُ[1] ، ولٰكنَّ العلماءَ مشَوا معَ الظاهرِ ، فشرَّكوا بينَ الحروفِ في المخارجِ ؛ فلذٰلكَ عدُّوها سبعةَ عشرَ

ـ أوَّلُها الجوفُ للألِفِ وحرفَيِ المَدِّ الآخَرَينِ ، واعتُبِرَ الجوفُ أوَّلَ المخارجِ ، وجرى الترتيبُ علىٰ ما ترىٰ ؛ لأنَّ الصوتَ قائمٌ بالهواءِ الآخذِ مِنَ الجوفِ إلى الخارجِ ، ولوِ اعتُبِرَ وضعُ الإنسانِ وأنَّ أوَّلَهُ رأسُهُ كانَ أوَّلُها الشفتَينِ

ـ وثانيها أقصى الحَلْقِ للهمزةِ والهاءِ

ـ وثالثُها وَسَطُهُ للعينِ والحاءِ المهملتَينِ

ـ ورابعُها أدناهُ للغينِ والخاءِ المعجمتَينِ

وهٰذه الأحرفُ الستةُ كما عرفتَ تُسمَّى الأحرفَ الحَلْقيَّةَ

ـ وخامسُها ما يلي الحَلْقَ للقافِ

---

(١) انظر (١/٩٩)

ـ وسادسُها ما يلي ذٰلكَ للكافِ ، ويُنسَبُ الحرفانِ إلى اللَّهاةِ التي هيَ الحدُّ بينَ الحَلْقِ والحَنَكِ ، فيُقالُ الحرفانِ اللَّهوِيَّانِ

ـ وسابعُها وَسَطُ اللِّسانِ وما فوقَهُ مِنَ الحَنَكِ للجيمِ والشِّينِ والياءِ ، وتُسمَّى الأحرفَ الشَّجْرِيَّةَ ـ بسكونِ الجيمِ ـ نسبةً لشَجْرِ الحَنَكِ ؛ وهوَ ما انفتحَ منهُ بينَ اللَّحْيَينِ

ـ وثامنُها إحدىٰ حافَّتَيِ اللِّسانِ معَ ما يليها مِنَ الأضراسِ : للضادِ ، وأكثرُ الناسِ يستعملونَ اليسرىٰ ، ومَنْ قَدَرَ على استعمالِهما جميعاً يُسمَّىٰ أضبطَ ، وكذٰلك كانَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ

ـ وتاسعُها حافَّةُ اللِّسانِ وما يليها واقعاً على الضَّاحكِ والنَّابِ والرَّباعيَةِ والثَّنِيَّةِ للَّامِ ، وهوَ أوسعُ الحروفِ مخرجاً ، والثَّنِيَّةُ إحدى الثنايا الأربعِ ؛ وهيَ الأسنانُ الوسطى ؛ اثنتانِ فوقُ ، واثنتانِ تحتُ ، ويليها الرَّباعيَاتُ بفتحِ الراءِ وتخفيفِ الياءِ ، ويليها الأنيابُ ، ويليها مِنَ الأضراسِ الضَّواحكُ الأربعةُ ، ويليها الطَّواحنُ الاثنا عشرَ ، ويليها النواجذُ المعروفةُ بأضراسِ العقلِ

ـ وعاشرُها ما يلي حافَّةَ اللِّسانِ واقعاً على الثَّنِيَّتَينِ للنونِ الظاهرةِ

ـ والحاديَ عشرَ طرفُ اللِّسانِ بينَ المخرجَينِ السابقَينِ للراءِ المهملةِ

ـ والثانيَ عشرَ طرفُ اللِّسانِ مُنطبِقاً علىٰ نِطْعِ الحَنَكِ بكسرِ النونِ وسكونِ الطاءِ ؛ وهوَ ما وراءَ الثنيتَينِ الفوقيتَينِ للطاءِ والدالِ والتاءِ ، وتُسمَّىٰ لذٰلكَ الأحرفَ النِّطْعِيَّةَ

ـ والثالثَ عشرَ طرفُ اللِّسانِ ممَّا يلي الثنايا للصاد والزاي والسينِ ، وتُسمَّى الأحرفَ الأَسَلِيَّةَ ؛ نسبةً لأَسَلَةِ اللِّسانِ بفتحِ السينِ وهيَ طرفُهُ

ـ والرابعَ عشرَ طرفُ اللِّسانِ مُنطبِقاً علىٰ طرفِ الثنيتَينِ للظاءِ والذالِ

فالمخارجُ المنسوبةُ للسانِ اثنا عشرَ ، وحروفُها ثمانيةَ عشرَ

ـ والخامسَ عشرَ طرفُ الثنيتَينِ موضوعاً علىٰ بطنِ الشَّفَةِ السُّفلىٰ للفاءِ

ـ والسادسَ عشرَ الشَّفَتانِ مُنفتحتَينِ للواوِ ، ومُنطبِقتَينِ للميمِ والباءِ ، فالأحرفُ الشَّفَويَّةُ أربعةٌ

ـ والسابعَ عشرَ الخَيْشُومُ وهوَ ما وراءَ الأنفِ إلى الرأسِ ، لغُنَّةِ النونِ والميمِ في نحوِ لمَّا وعمَّا

[صفاتُ الحروفِ]

هـٰذا ؛ وأمَّا أوصافُ الحروفِ فهيَ

الهمسُ وحروفُهُ يَجمعُها قولُ الجزريِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ (فحثَّهُ شخصٌ سَكَتْ)[1] ، ويقابلُهُ الجهرُ ، وحروفُهُ ما عدا تلكَ الأحرفَ ، فيُقالُ الحروفُ المهموسةُ والمجهورةُ ؛ لِمَا في الأُولىٰ مِنَ الخَفاءِ بالنسبةِ للثانيةِ

والشِّدَّةُ ، والرَّخاوةُ ، والتَّوسُّطُ

فالشديدةُ يَجمعُها قولُهُ (أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ)

والمُتوسِّطةُ يَجمعُها قولُهُ (لِنْ عُمَرُ)

والرِّخوةُ ما عدا ذٰلكَ

والاستعلاءُ وأحرفُهُ (خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ) ، ويقابلُهُ الاستفالُ

والإطباقُ وأحرفُهُ الصادُ والطاءُ والضادُ والظاءُ ، ويقابلُهُ الانفتاحُ ، ولا يَخفاكَ مناسبةُ التسميةِ إذا تأمَّلتَ عملَ آلاتِ النطقِ

---

(١) انظر « المقدمة الجزرية » (ص ٣)

والذَّلاقةُ وأحرفُها (فَرَّ مِنْ لبٍّ) ويُقالُ الأحرفُ الذُّلْقُ ، ويقابلُها الإصماتُ ؛ وهوَ المنعُ ، قيلَ في وجهِ التسميةِ بالمصمتةِ إنَّها ممنوعةٌ مِنَ الانفرادِ أصولاً في بناتِ الأربعةِ فما فوقُ ، ولذٰلكَ حكموا بأعجميَّةِ لفظِ العسجدِ

والصَّفيرُ وأحرفُهُ الصادُ ، والزايُ ، والسينُ

والقَلْقَلَةُ ويُقالُ اللَّقْلَقَةُ ؛ وأحرفُها (قُطْبُ جَدٍ) فإذا سَكَّنتَ هٰذهِ الأحرفَ مِلْتَ بها مَيلاً خفيفاً نحوَ الفتحةِ

واللِّينُ وحرفاهُ الواوُ والياءُ إذا سَكَنتا وانفتحَ ما قبلَهُما

والانحرافُ وحرفاهُ اللَّامُ والراءُ ، ويُقالُ لهُما المُنحرِفانِ

قيلَ ومِنَ الصفاتِ التكريرُ ، وحرفُهُ الراءُ ، ومعناهُ أنَّها قابلةٌ للتكريرِ ؛ لكونِها يَرتعِدُ بها اللِّسانُ ، لا أنَّها تُكرَّرُ في النطقِ ، بل يجبُ الاحتراسُ منهُ

والتفشِّي وحرفُهُ كما ذكرَهُ جميعُ المُؤلِّفينَ الشينُ المعجمةُ ، وقالَ بعضُهُم إنَّهُ صفةُ الفاءِ والثاءِ المثلثةِ والضادِ ؛ وهوَ انتشارُ الهواءِ بالحرفِ واتساعُهُ

والاستطالةُ وحرفُها الضادُ ؛ لأنَّكَ إذا مَكَّنتَها في مَخرَجِها وجدتَها مُمتدَّةً زيادةً عن سائرِ الحروفِ

والتفخيمُ وأحرُفُهُ المُستعلِيةُ

والترقيقُ وحروفُهُ المُستفِلةُ ، وبعضُ الحروفِ ـ كالراءِ واللامِ ـ تارةً يُفخَّمُ ، وتارةً يُرقَّقُ ؛ كذكرٍ وفِرْعونَ وصِرَاطٍ وخيرٍ

فهٰذهِ صفاتُ الحروفِ التي يَلزمُ المحافظةُ عليها ، سيَّما في تلاوةِ القرآنِ الشريفِ ؛ لتكونَ ممتثلاً أمرَ اللهِ تعالىٰ في قولِهِ ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[1] ، سواءٌ قرأتَ بالترتيلِ ؛ وهوَ التأنِّي ، أوِ الحَذْرِ ؛ وهوَ العجلةُ ، أوِ التدويرِ ؛ وهوَ التوسُّطُ ، قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنها (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا قرأَ تُعَدُّ حروفُهُ ، لا كما تَسرُدونَهُ اليومَ)[2]

وينبغي للإنسانِ أن يُروِّض آلاتِ نطقِهِ ؛ لتكونَ ألفاظُهُ بيّنةً واضحةً دونَ تَكلُّفٍ ؛ حتىٰ يَخِفَّ على السمعِ ولا يَمُجُّهُ الطبعُ ، وباللهِ التوفيقُ



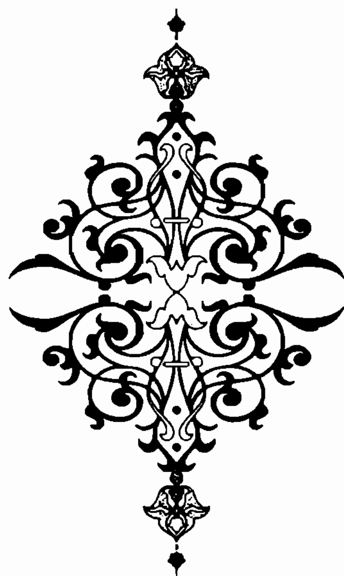
---

(١) سورة المزمل (٤)

(٢) أخرجه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠١٧٣) ، والبيهقي في « السنن الكبير » (٣٢٣/٦) برقم (٥٨٢٣)

القسم الثّالث

قسم النّحو



[وصيةٌ قبلَ البدءِ بمطالعةِ هٰذا العِلْمِ]

قبلَ المُضيِّ معَكَ في تقريرِ المسائلِ النحْويَّةِ التي بإتقانِها تَعرِفُ كيفَ كانَ فُصحاءُ الأُمَّةِ العربيةِ يَنطِقونَ بلغتِها ، ولِمَ كانَتْ هيئاتُ المُركَّباتِ القرآنيَّةِ علىٰ ما أنتَ واجدُها عليه لا بدَّ مِنْ دلالتِكَ على السلوكِ الواصلِ بكَ في المُدَّةِ اليسيرةِ إلى المنفعةِ التي هيَ غايةُ كلِّ سعيٍ وطلبٍ ؛ لتلتزمَهُ وتجتنبَ ما عداهُ ، فتكونَ مُمتثِلاً قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « ٱحْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ ، وَٱسْتَعِنْ بِٱللهِ وَلَا تَعْجِزْ »[١] ، ومُتحقِّقاً مِنْ إصابةِ قولِ القائلِ[٢]

[من الطويل]

لِمَا نَافِعٍ يَسْعَى ٱللَّبِيبُ فَلَا تَكُنْ لِشَيْءٍ بَعِيدٍ نَفْعُهُ ٱلدَّهْرَ سَاعِيَا

وذٰلكَ السلوكُ المُنوَّهُ بهِ والمدلولُ عليهِ هوَ أن تَجهَدَ كلَّ اجتهادِكَ ، وتَصرِفَ جميعَ هِمَّتِكَ وقتاً ما في تخليصِ الأحكامِ التي اشتملَتْ عليها العلومُ الآليَّةُ مِنْ سواقطِ الشبهاتِ ، وتناقضِ العباراتِ ؛ حتىٰ يسهلَ عليكَ ضبطُها وجودةُ حفظِها ، ويَتهيَّأَ لكَ ملاحظتُها متىٰ شئتَ ، حيثُ اعترفتَ أنَّها آلاتٌ وغيرَها المقصودُ

قالَ أحدُ أكابرِ عقلاءِ الأُمَّةِ ، وقدوةُ سائرِ الأممِ في إخراجِ التاريخِ عن كونِهِ قصصاً وأحاديثَ يُتعجَّبُ منها أو يُضحَكُ عليها ، إلىٰ جعلِهِ أكبرَ مُربٍّ للعقولِ ، وأجلَّ مظهرٍ للإنسانيةِ ؛ عبدُ الرحمٰنِ بنُ خلدونَ رحمةُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ عليهِ (اعلَمْ أنَّ العلومَ المتعارفةَ بينَ أهلِ العُمرانِ علىٰ صِنفَينِ

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤/٢٦٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) انظر « مغني اللبيب » (٣٩١/١)

علومٌ مقصودةٌ بالذاتِ ؛ كالشَّرعياتِ مِنَ التفسيرِ ، والحديثِ ، والفقهِ ، وعِلْمِ الكلامِ ، وكالطبيعيَّاتِ والإلـٰهيَّاتِ مِنَ الفلسفةِ

وعلومٌ هيَ آليَّةٌ ووسيلةٌ لهـٰذهِ العلومِ ؛ كالعربيةِ والحسابِ وغيرِهما للشَّرعياتِ ، وكالمَنطِقِ للفلسفةِ ، وربَّما كانَ آلةً لعِلْمِ الكلامِ ولأصولِ الفقهِ علىٰ طريقةِ المُتأخِّرينَ

فأمَّا العلومُ التي هيَ مقاصدُ فلا حرجَ في توسعةِ الكلامِ فيها ، وتفريعِ المسائلِ واستكشافِ الأدلةِ والأنظارِ ؛ فإنَّ ذٰلك يزيدُ طالبَها تمكُّناً في مَلَكَتِهِ ، وإيضاحاً لمعانيها المقصودةِ

وأمَّا العلومُ التي هيَ آلاتٌ لغيرِها ؛ مثلُ العربيةِ والمَنطِقِ وأمثالِهما فلا ينبغي أن يُنظَرَ فيها إلَّا مِنْ حيثُ هيَ آلةٌ لذٰلكَ الغيرِ فقطْ ، ولا يُوسَّعْ فيها الكلامُ ، ولا تُفرَّعُ فيها المسائلُ ؛ فإنَّ ذٰلكَ مُخرِجٌ لها عنِ المقصودِ ؛ إذِ المقصودُ منها ما هيَ آلةٌ لهُ لا غيرُ

فكلَّما خرجَتْ عن ذٰلكَ خرجَتْ عنِ المقصودِ ، وصارَ الاشتغالُ بها لغواً ، معَ ما فيهِ مِنْ صعوبةِ الحصولِ علىٰ مَلَكَتِها ؛ بطولِها وكثرةِ فروعِها ، وربَّما يكونُ ذٰلكَ عائقاً عن تحصيلِ العلومِ المقصودةِ بالذاتِ ؛ لطولِ مسائلِها ، معَ أنَّ شأنَها أهمُّ ، والعمرُ يَقصُرُ عن تحصيلِ الجميعِ علىٰ هـٰذهِ الصورةِ ، فيكونُ الاشتغالُ بهـٰذهِ العلومِ الآليَّةِ تضييعاً للعمرِ ، وشغلاً بما لا يعني

وهـٰذا كما فعلَ المُتأخِّرون بصناعةِ النحوِ والمنطقِ وأصولِ الفقهِ ؛ فإنَّهُم أوسعوا دائرةَ الكلامِ فيها ، وأكثروا مِنَ التفاريعِ والاستدلالاتِ بما أخرجَها عن كونِها آلةً ، وصَيَّرَها مِنَ المقاصدِ ، وربَّما يقعُ فيها أنظارٌ لا حاجةَ بها في العلومِ المقصودةِ ؛ فهيَ مِنْ نوعِ اللَّغوِ ، وأنَّها مُضِرَّةٌ بالمُتعلِّمينَ على الإطلاقِ ؛

لأنَّ المُتعلِّمينَ اهتمامُهُم بالعلومِ المقصودةِ أكثرُ مِنِ اهتمامِهِم بوسائِلها ، فإذا قطعوا العمرَ في تحصيلِ الوسائلِ فمتىٰ يظفرون بالمقاصدِ ؟!

فلهٰذا يجبُ على المُعلِّمينَ لهٰذهِ العلومِ الآليَّةِ ألَّا يَتبحَّروا في شأنِها ، ويُنبِّهوا المُتعلِّمَ على الغرضِ منها ، ويقفوا بهِ عندَهُ ، فمَنْ نزعَتْ بهِ هِمَّتُهُ إلىٰ شيءٍ مِنَ التوغُّلِ فليَرْقَ لهُ ما شاءَ مِنَ المراقي ، صعباً أو سهلاً ، وكلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لهُ)[1]

وقالَ في موضعٍ آخَرَ كانَتْ مُدَّةُ التلميذِ في تونسَ خمسةَ أعوامٍ ، وفي فاسَ ستَّ عشرةَ سنةً ، وكانَتِ المنفعةُ في أهلِ تونسَ كثيرةً ، والتقدُّمُ ظاهراً ، وأهلُ فاسَ علىٰ خلافِ ذٰلكَ

وسببُهُ أنَّ علماءَ تونسَ جرتْ عادتُهُم أن يسلكوا بالتلامذةِ مسلكَ التعقُّلِ والتفهُّمِ لِمَا تَحفَّظوهُ ، حتىٰ إذا انقضَتْ مُدَّةُ التعلُّمِ خرجَ التلميذُ ومعَهُ محصولٌ معقولٌ مفهومٌ يُرشِدُهُ إلىٰ تحصيلِ ما لم يكنْ قد حصلَ لهُ ، ولا يَعجِزُ إلَّا عن بعضِ الأشياءِ ؛ بحيثُ متىٰ رَدَّدَ فكرَهُ أو شاركَ بعض إخوانِهِ فيما خَفِيَ عليهِ واستصعبَ تَجلَّىٰ لهُ وانقادَ

وأمَّا أهلُ فاسَ . فكانَتْ عادتُهُم أن يأخذَ التلامذةُ بحفظِ الكتبِ الطويلةِ ، والعباراتِ العويصةِ ، واللُّغاتِ الحُوشيَّةِ دونَ تَعقُّلٍ ، إلَّا أن يكونَ التعقُّلُ قهرياً بديهيّاً أو شبيهاً بهِ

وبما شرحناهُ مِنَ السببِ وأشباهِهِ تفاوتَ أهلُ الأمصارِ وأجيالُ الأعصارِ في كثرةِ العِلْمِ وثباتِهِ وسرعةِ تحصيلِهِ علىٰ ما كانَ مِنْ صعوبةِ المُؤلَّفاتِ وتقصيرِها وكثرةِ أغلاطِها ، كما هوَ شأنُ الأمورِ المُتجدِّدةِ

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٣٧)

فبتلاحقِ الأفكارِ وتفاوتِ الأنظارِ واختلافِ الأذواقِ تَسهلُ المُؤلَّفاتُ ، ويظهرُ الصَّوابُ ، ويَحصُلُ الفائتُ ، حتىٰ تكونَ بمنزلةِ الثمارِ التي بدا صلاحُها وتمَّ نضجُها ، فلسانُ حالِها ينادي تناولوني ، ولا تَتركوني تُتلِفوني

ويُنبّهُكَ علىٰ ذٰلكَ أنَّهُ لم يزلْ عملُ المُتأخِّرينَ لِمَا فيهِ مِنَ المحاسنِ يَنسَخُ عملَ مَنْ سبقَ بهِمُ الزمنُ

ألا ترىٰ إلىٰ مُؤلَّفاتِ جمالِ الدينِ ابنِ مالكٍ كيفَ أبطلَتِ العملَ بما سبقَ مِنَ التآليفِ ؟! بلِ المُتأخِّرُ مِنْ مُؤلَّفاتِهِ أبطلَ العملَ بالمُتقدِّمِ منها ، وعلىٰ ذٰلكَ القياسُ

وبالجملةِ فقد تَصفَّتِ العلومُ وتَهذَّبَتْ ، وأمكنَتْ مِنْ نفسِها ، فلا مُعطِّلَ عن سرعةِ تحصيلِها إلَّا سوءُ طريقةِ التعليمِ ، والغفلةُ عنِ المُعوّقاتِ التي يجبُ اجتنابُها والحذرُ مِنَ الوقوعِ فيها

فمِنَ المُعوّقاتِ المناقشةُ قبلَ فهمِ الأصلِ ، فربَّما تَسمعُ المُعلّمَ يقولُ قالَ المُؤلّفُ كذا وكذا ، فقبلَ أن يُفسّرَ ألفاظَهُ ويُبيّنَ الغرض منهُ يقولُ وفيهِ شيءٌ ، أو بحثٌ ، أو إشكالٌ ، أوِ اعتراضاتٌ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الألفاظِ

ومنها نقلُ عباراتِ الكتبِ الكبيرةِ في الكتبِ الصَّغيرةِ عندَ تفهُّمِها ، ويَجمعُ الناقلُ تلكَ النقولَ في كتابٍ ويُسمّيهِ حاشيةً ، وربَّما صَعُبَ عليهِ نفسِهِ بعضُ ما يَنقلُهُ ، فيكونُ التلميذُ كمَنْ يَتعلَّمُ السباحةَ في نهرٍ صغيرٍ ، فيُكلَّفُ أن يَخرُجَ إلى البحرِ يقطعُهُ بالسباحةِ !!

ومنها كثرةُ التأليفِ في الفنِّ الواحدِ ، وتكليفُ الطالبِ أن يَقرأَ جميعَ تلكَ المُؤلَّفاتِ ، فإنَّهُ معَ كونِهِ تَكراراً . مانعٌ مِنْ تحصيلِ فنٍّ آخَرَ ، وربَّما كانَ سبباً لضياعِ الفنِّ نفسِهِ ؛ فإنَّ الطالبَ إذا تَكرَّرَ استماعُهُ للمسألةِ الواحدةِ ملَّ وانصرفَ ذهنُهُ عنِ الحضورِ ، فلو فرضنا أنَّ الكتابَ الثانيَ والثالثَ والرابعَ كلٌّ يَشتمِلُ علىٰ أمرٍ أو أمورٍ لم يَشتمِلْ عليها الآخَرُ لم يكنْ ذٰلكَ مفيداً ؛ فإنَّ نفسَ الطالبِ قد مَلَّتْ ، وذهنَهُ قدِ انصرفَ

وأشدُّ مِنْ ذٰلكَ أنَّ الكتابَ لهُ شرحٌ ، وللشرحِ شرحٌ ، ولشرحِ الشرحِ شرحٌ ، وهَلُمَّ جرّاً ، يريدُ الشارحُ الأوَّلُ أن يُوضِّحَ الكتابَ ويَفتحَ مُقفلَهُ ، فيَعمِدُ الشارحُ الثاني لإغلاقِهِ ، ويزيدُهُ الثالثُ إغلاقاً

وبالجملةِ فالطالبُ يقعُ مِنْ كثرةِ الشُّروحِ المستعملةِ في وقتٍ واحدٍ في أمرٍ عظيمٍ وورطةٍ شديدةٍ ، وتَستشعِرُ نفسُهُ اليأسَ مِنْ تحصيلِ العِلْمِ

ومِنَ المُعوِّقاتِ حملُ المُتعلِّمِ على التطبيقِ قبلَ المعرفةِ فضلاً عن جودتِها اللَّازمةِ لذٰلكَ ؛ مثلاً يَحضُرُ المُبتدِئُ الذي سمعَ كلمةَ النحوِ ليتَعلَّمَهُ ، فقبلَ أن يَعرِفَ شيئاً ما مِنَ النحوِ يَسمعُ الشيخَ يقولُ باسمِ اللهِ الباءُ حرفُ جرٍّ أصليٌّ ، ويَشرعُ في تقريرِ الأصليِّ والزائدِ ، ونقلِ الخلافاتِ ، وتكثيرِ الأوجهِ بالعباراتِ الطويلةِ والاستدلالاتِ الدقيقةِ

فالطالبُ الشديدُ الذكاءِ يَحفظُ تلكَ الألفاظَ ولا يَتعقَّلُ لها معنىً ، ويَبقىٰ علىٰ ذٰلكَ مُدَّةً طويلةً يقرأُ فيها كتباً عديدةً ، فبعدَ انقضاءِ سنواتٍ يكونُ قد تَحصَّلَ معَهُ ألفاظٌ كثيرةٌ ، وقد وصلَ لسنِّ الاحتياجِ وتمييزِ النافعِ مِنْ غيرِهِ ، فيَبتدِئُ أن يَتعقَّلَ المرادَ مِنْ تلكَ الألفاظِ ، ويكونُ ذٰلكَ الوقتُ أوَّلَ طلبِهِ ومعرفتِهِ

وينقسِمُ الطَّلَبةُ حينَئذٍ قسمَينِ

ـ أحدُهُما إنسانٌ تَذكَّرَ منفعةَ الاستكمالِ ، فيأخذُ في التفكُّرِ والتعلُّمِ بنفسِهِ

ـ وآخَرُ يقولُ إنِّي حَصَّلتُ مَلَكَةَ العِلْمِ ، فأفهمُ الكتبَ وأُعلِّمُ الناسَ ، وأكونُ في درجةِ الفضلاءِ

فيذهبُ الأوَّلُ صاعداً ، والثاني هابطاً ، حتىٰ يستويا

فيجبُ ديانةً وعقلاً تداركُ هٰذا الخَلَلِ ، واختيارُ أقربِ الطُّرقِ ومُثْلاها ؛ لتصلَ طَلَبةُ العِلْمِ إلىٰ حقيقةِ المعرفةِ ، ويعودَ لهُم شرفُ العلماءِ ، ويظهرَ عليهِم رَوْنقُ التهذُّبِ وجمالُ السيادةِ ، ويكونوا قد حفظوا جوهرةَ العقلِ التي مَيَّزَتْهُم مِنْ بينِ أنواعِ جنسِهِم ، واستعملوها فيما خُلِقَتْ لأجلِهِ ، ويَقتطِفَ ثمراتِ الامتثالِ بالدخولِ في المُخاطبينَ بقولِهِ تعالىٰ شأنُهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ (١)

وامتثلوا الأمرَ المُخاطَبَ بهِ النبيُّ والمقصودُ الكلُّ ؛ وهوَ ﴿ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾ (٢)

وقد آنَ أن نمضيَ معَكَ في تقريرِ المسائلِ النحويةِ علىٰ ترتيبِ « الخُلاصةِ » لحسنِهِ ، وعمومِ استعمالِها ، والانتفاعِ بها شرقاً وغرباً ، منذُ نظمَها ابنُ مالكٍ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ؛ فلقد كانَ صادقَ النيَّةِ ، صحيحَ العزمِ ، شديدَ الاجتهادِ في

(١) سورة المجادلة (١١)

(٢) سورة الكهف (٢٤)

تأييدِ الإسلامِ ونفعِ المسلمينَ ، حتَّىٰ إنَّ الناسَ بعدَهُ أكثروا مِنْ نظمِ ألفيَّاتٍ مختلفةٍ ، وزادوا فيها على « الخُلاصةِ » ، ولم يُلتفَتْ إليها

فنقولُ ينبغي أن نجعلَ الكلامَ في النحوِ منقسماً إلىٰ

- مُقدِّمةٍ
- وخمسةِ أقسامٍ
- وخاتمةٍ



المُقدِّمةُ

[في بيانِ الإفرادِ والتركيبِ ومعنى الكلامِ]

اعلمْ أنَّ الإفرادَ جعلُ الشيءِ فرداً ليسَ معَهُ آخَرُ ، ويقابلُهُ التزويجُ ؛ وهوَ جعلُ الشيءِ زوجاً يقارنُهُ زوجٌ آخَرُ ، قالَ تعالىٰ ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (١) ، وقالَ ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ (٢)

ثمَّ نقلَهُ النحويونَ كما هوَ شأنُ أكثرِ الألفاظِ المستعملةِ في الفنونِ ؛ فتارةً يريدونَ بالمفردِ ما ليسَ مُركَّباً مِنَ الألفاظِ ، وتارةً يقابلونَ بِهِ المُثنَّىٰ والجمعَ ، وتارةً يقابلونَ بِهِ الجملةَ ، وطوراً يقابلونَ بِهِ المضافَ والشبيهَ بِهِ

وأنَّ التركيبَ وضعُ الشيءِ على الشيءِ ، ونُقِلَ إلىٰ جمعِ كلمتَينِ فأكثرَ بحيثُ يفيدُ الاجتماعُ معنىً لم يكنْ قبلُ

وقد عرفتَ أنَّ موضوعَ النحوِ المُركَّبُ ؛ لكونِهِ يَبحثُ عن أحوالِ الكلماتِ ، حيثُ تكونُ أجزاءً لهُ ؛ مِنَ الإعرابِ والبناءِ ، والتقديمِ والتأخيرِ ، والحذفِ والذِّكرِ ، ولذٰلكَ تَأَخَّرَتْ رتبتُهُ عمَّا سبقَهُ من العلومِ العربيةِ ؛ لكونِها تَبحثُ عنِ المفرداتِ

وضابطُ المفردِ في هـٰذا الموضعِ ما يكونُ إعرابُهُ واحداً وإن كانَ قائماً مِنْ كلمتَينِ يفيدُ كلٌّ منهُما معنىً ؛ مثلُ الرجلِ ، وفاطمةَ ، ومصريٍّ

وضابطُ المُركَّبِ : ما يَتعدَّدُ فيهِ الإعرابُ وإن كانَ معناهُ واحداً ؛ كعبدِ اللهِ ، والإنسانِ الكاملِ ، عَلَمَيْنِ

---

(١) سورة النساء (١)

(٢) سورة الذاريات (٤٩)

وعرفتَ أنَّ الكلامَ هوَ المُركَّبُ التامُّ المُشتمِلُ على النسبةِ التامَّةِ التي شأنُها أنْ تُقصَدَ إفادتُها ، ويَتلوَها مقطعٌ وفصلٌ بينَها وبينَ غيرِها ، سواءٌ قُصِدَتِ الإفادةُ بالفعلِ أم لا ، وسواءٌ زاحَتْ جهالةً وحَصَّلَتْ عِلْماً أم لا ، وإن كانَ الكلامُ لا يُعتَدُّ بهِ ولا يُعتبَرُ إلَّا إذا وافقَ الحكمةَ الأصليَّةَ في تشريفِ الخالقِ نوعَنا بمزيَّةِ الكلامِ ؛ وهيَ الإفادةُ والاستفادةُ

وشكَّ أهلُ اللُّغةِ في تفسيرِ الكلامِ هل هوَ مساوقٌ للقولِ والنطقِ ، أو هوَ ما اكتُفِيَ بنفسِهِ ، ويُستعمَلُ موضعَ التكليمِ كما قالَ شاعرُهُم[1] : [من الوافر]

فَإِنْ تُمْسِ ٱبْنَةُ ٱلسَّهْمِيِّ مِنَّا بَعِيداً مَا تُكَلِّمُنَا كَلَامَا

وإطلاقُ الكلامِ على المعاني النفسيَّةِ المُتعرِّضةِ للعبارةِ عنها مجازٌ ، وجعلَها الأخطلُ هيَ الجديرةَ باسمِ الكلامِ والأحقَّ بهِ حيثُ يقولُ[2] [من الكامل]

إِنَّ ٱلْكَلَامَ لَفِي ٱلْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ ٱللِّسَانُ عَلَى ٱلْفُؤَادِ دَلِيلَا

وأرادَ الأخطلُ بهٰذا البيتِ الردعَ والزجرَ لفريقٍ ، والتسليةَ وتسكينَ الخاطرِ لفريقٍ آخَرَ

وبيانُ ذٰلكَ أنَّ بعضَ الناسِ إذا تَجبَّرَ وعتا ، وساءَتْ أخلاقُهُ ، وقَبُحَتْ أفعالُهُ ، وكانَ معَهُ مِنَ القهرِ والسَّلاطةِ ما يَحبِسُ الألسنَ فهوَ مشتومٌ بالضَّميرِ ، ممقوتٌ بالقلوبِ ، مُتمنَّى الزوالِ ، وحَسْبُ امرِئٍ جهلاً أن يَعرِفَ بُغْضَ القلوبِ وشَحناءَ النفوسِ ويتمادىٰ في غيِّهِ

وأنَّ بعضَ الناسِ تَحسُنُ أحوالُهُ ، وتَطيبُ أفعالُهُ ، وتَملأُ الرحمةُ قلبَهُ ،

---

(١) انظر « الأغاني » (١٣/٤٧٢٢) ، والبيت لحاجز بن عوف الأزدي

(٢) انظر « شرح شذور الذهب » (ص ٢٨)

ثـمَّ يَمنَعُ خوفُ ضدِّ غَشومٍ مِنِ انطلاقِ الألسنِ بتقريظِهِ ، والثناءِ عليهِ ، وبثِّ فضائِلِهِ ، ولٰكنَّ القلوبَ منطويةٌ علىٰ حُبّهِ ، ناطقةٌ بمدحِهِ وشكرِهِ ، فهوَ يقولُ إنَّ العبرةَ بالبواطنِ ، فعندَها الحقائقُ

وخَصَّ النقلُ الكلمةَ بالقولِ المفردِ ، وفي اللغةِ تُطلَقُ على الجملةِ ، ومنهُ الكلمةُ الباقيةُ ؛ وهيَ كلمةُ الإخلاصِ ، وعلى القصيدةِ يقولونَ مثلاً قالَ امرؤُ القيسِ في كلمتِهِ الفلانيَّةِ

والكلمةُ بفتحِ الكافِ وكسرِ اللامِ أو سكونِها وعليهِ تُفتَحُ الكافُ وتُكسَرُ ، ثمَّ إنَّها بمعنى المفردِ واحدُ الكَلِمِ الذي هوَ اسمُ جنسٍ جمعيٌّ ، موضوعٌ ليُستعمَلَ بالمشيئةِ عندَ الحاجةِ في جميعِ الألفاظِ ، وكلِّ جماعةٍ منها دونَ الاثنَينِ والواحدِ ، ويُذكَّرُ ، ويُؤنَّثُ ، ويُفرَقُ بينَهُ وبينَ واحدِهِ بالتاءِ ، كما هوَ شأنُ هٰذا النوعِ مِنَ الأسماءِ ، فتقولُ الكَلِمُ منهُ كَلِمٌ طيّبٌ ، وكَلِمٌ غيرُ طيبٍ

[علاماتُ أنواعِ الكلمةِ]

وعرفتَ تَنوُّعَ الكَلِمِ ، وتَميُّزَ أنواعِهِ الثلاثةِ بالحقائقِ ، ويُذكَرُ لأجلِ التنويرِ على الطالبِ المُبتدِئ وإرشادِهِ بمُرشدٍ محسوسٍ خواصُّ لكلِّ نوعٍ منها ؛ فيُقالُ لهُ

إذا سمعتَ الكلمةَ مخفوضةَ الآخِرِ ؛ نحوُ باسمِ اللهِ ، أو منادىً معناها مطلوبُ الإقبالِ بأحدِ الأحرفِ الموضوعةِ لذٰلكَ ، أو مختومةً بنونٍ ساكنةٍ تُلفَظُ ولا تُكتَبُ ولا يُكتَبُ لها بدلٌ غالباً ، أو مُفتتَحةً بـ (أل) التعريفيةِ ، أو مسنداً إليها ، أو مضافةً ، أو مُثنَّاةً ، أو مجموعةً فاعرفْ أنَّها اسمٌ

وإذا رأيتَ الكلمةَ مصحوبةً بتاءٍ ؛ نحوُ أنا كتبتُ ، وأنتَ كتبتَ ، وهندٌ كتبَتْ ، أو ياءٍ ؛ نحوُ تكتبينَ يا هندُ ، واقرئي ، أو نونٍ ؛ نحوُ ﴿ لَيُسۡجَنَنَّ

﴿ وَلَيَكُونًا ﴾[1] ، و﴿ لَأَكِيدَنَّ ﴾[2] ، و﴿ لَنَسْفَعًا ﴾[3] ، أو بـ (قد) في نحوِ قد قامَتِ الصلاةُ ، و﴿ قَدْ يَعْلَمُ ﴾[4] ، أو بالسين في نحوِ : سيقولُ ، أو بـ (سوف) في نحوِ ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾[5] فاعرفْ أنَّها فعلٌ

وتَعرِفُ المضارعَ بدخولِ (لم) عليهِ في نحوِ ﴿ لَمْ يَكُنْ ﴾[6] ، و(لمَّا) في نحوِ : ﴿ لَمَّا يَذُوقُواْ ﴾[7] ، واللَّامِ في نحوِ ﴿ لِيُنفِقْ ﴾[8] ، و(لا) في نحوِ ﴿ وَلَا تُلْقُواْ ﴾[9]

وتُميِّزُ الماضيَ بتاءٍ ؛ نحوُ أنا كتبتُ ، وهندٌ كتبَتْ

وعلامةُ فعلِ الأمرِ دلالتُهُ على الطلبِ ، وتوكيدُهُ بنونَيِ التوكيدِ

[أسماءُ الأفعالِ]

وهنالكَ ألفاظٌ تَدُلُّ علىٰ معاني الأفعالِ ولا تَصحبُها سماتُ الأفعالِ وعلاماتُها ، يُقالُ لها أسماءُ الأفعالِ ؛ لأنَّها وُضِعَتْ ليُستغنىٰ باستعمالِها عنِ النطقِ بألفاظِ الأفعالِ ، وهيَ مثلُ أفعالِها في التعدِّي واللُّزومِ غالباً ؛ فتقولُ دَراكِ زيداً ، كما تقولُ أَدرِكْهُ ، ونَزالِ يا عمرُو ، كما تقولُ انزلْ

ومِنَ النادرِ لفظُ (آمينَ) ، فلا تقولُ آمينَ دعاءَنا ، كما تقولُ استجبْ دعاءَنا

---

(١) سورة يوسف (٣٢)
(٢) سورة الأنبياء (٥٧)
(٣) سورة العلق (١٥)
(٤) سورة النور (٦٣)
(٥) سورة الضحىٰ (٥)
(٦) سورة البينة (١)
(٧) سورة صٓ (٨)
(٨) سورة الطلاق (٧)
(٩) سورة البقرة (١٩٥)

وهيَ أيضاً مثلُ أفعالِها ؛ في أنَّ فاعلَ بعضِها ضميرٌ مستترٌ أبداً ، وبعضَها يكونُ فاعلُهُ ضميراً مستتراً تارةً ، وتارةً يكونُ اسماً ظاهراً ، وبعضَها في مقابلةِ أفعالٍ ماضيةٍ ، وبعضَها في مقابلةِ أفعالٍ مضارعةٍ ، وبعضَها ـ وهوَ الأكثرُ ـ في مقابلةِ أفعالٍ أمريَّةٍ

ثمَّ إنَّها ثلاثةُ أقسامٍ

ـ قسمٌ موضوعٌ مِنْ أوَّلِ أمرِهِ اسمَ فعلٍ

ـ وقسمٌ نُقِلَ عن ظرفٍ

ـ وقسمٌ نُقِلَ عن مصدرٍ

فمِنَ الأوَّلِ للماضي هيهاتَ ؛ أي بَعُدَ ، وشَتَّانَ ؛ أي : افترقَ ، وسَرَعانَ بفتَحاتٍ ، ووَشْكانَ بفتحٍ فسكونٍ ؛ أي أسرعَ ، وبُطْآنَ بضمٍّ فسكونٍ ؛ أي أبطأَ

وللمضارعِ وَيْ ؛ أي أتعجَّبُ ، وأَوَّهْ ؛ أي أتوجَّعُ ، وأُفٍّ ؛ أي أتضجَّرُ ، وَبَخٍ بَخْ بفتحِ باءَيهِما وكسرِ الخاءِ في الأُولىٰ مُنوَّنةً ؛ أي أستحسنُ وأتعجَّبُ

وللأمرِ تَيْدَ بسكونٍ بينَ فتحتَين ؛ أيِ ارفقْ ، وآمينَ ؛ أيِ استجبْ ، وها ؛ أي خُذْ ، وتُمَدُّ ويُخاطَبُ بها الواحدُ وغيرُهُ بلفظٍ واحدٍ ، وتَتصِلُ بها كافُ الخطابِ مُتصرِّفةً تَصرُّفَ الكافِ الضميرِ ، وتُبدَلُ الكافُ همزةً ، ومنهُ ﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴾[1] ، وهَيْتَ كتَيْدَ ، وهِئْتَ كشِئْتَ ، وهيَّا بفتحِ الهاءِ وكسرِها وتشديدِ الياءِ ، وهَيْتُ كبَيْتِ[2] ؛ أي أسرِعْ ، وهَلُمَّ ؛

(١) سورة الحاقة (١٩)

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها (كحيثُ)

أي أَقبِلْ ، وحَيَّهَلَ مثلُ هَلُمَّ ، ويُنطَقُ بـ (حيَّ) وحدَها ، وتُستعمَلُ في استحثاثِ العقلاءِ ، وتُستعمَلُ (هَلَا) في استحثاثِ غيرِهِم غالباً ، ومِنَ النادرِ [1] [من الطويل]

أَلَا حَيِّيَا لَيْلَىٰ وَقُولَا لَهَا هَلَا

ومَهْيَمْ كمَرْيَمَ ؛ أي أَخبِرْ [2]

* * *

ومِنَ المنقولِ عن ظرفٍ عليكَ زيداً ؛ أي الزمْهُ ، وإليكَ ؛ أي تأخَّرْ ، وإليَّ ؛ أي أَقبِلْ ، وعندَكَ ، ودونَكَ ؛ أي خُذْ ، ومكانَكَ ؛ أي اثبُتْ

*

ومِنَ المنقولِ عن مصدرٍ لم يُنطقْ لهُ بفعلٍ بَلْهَ ، بسكونٍ بينَ فتحتَينِ ، قالَ كعبُ بنُ مالكٍ الأنصاريُّ في ذكرِ السيوفِ [3] [من الكامل]

تَذَرُ ٱلْجَمَاجِمَ ضَاحِياً هَامَاتُهَا   بَلْهَ ٱلْأَكُفَّ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ

ومعناهُ اتركْ ، ورُوَيْدَ مُصغَّرَ إروادٍ مصدرِ أرودَ ؛ أي أمهلْ ، تصغيرَ ترخيمٍ

وبعضُ أسماءِ الأفعالِ قد يُنوَّنُ وحينَئذٍ يكونُ نكرةً ، ويُسمَّىٰ تنوينُهُ تنوينَ التنكيرِ

مثلاً إذا أردتَ أن تنهىٰ جليسَكَ عن حديثٍ بعينِهِ مبيحاً لهُ غيرَهُ

---

(١) هـٰذا صدر بيت للنابغة الجعدي رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ١٣٣) والبيت بتمامه

أَلَا حَيِّيَا لَيْلَىٰ وَقُولَا لَهَا هَلَا   فَقَدْ رَكِبَتْ أَمْراً أَغَرَّ مُحَجَّلَا

(٢) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/٤) (كلمة يستفهم بها ؛ أي ما شأنك)

(٣) انظر « خزانة الأدب » (٦/٢١١)

قلتَ صَهْ ، دونَ تنوينٍ ، معناها اسكتِ السكوتَ المُتعلّقَ بهٰذا الحديثِ ، وحَدِّثْ ما شئتَ ، وإذا أردتَ أن تنهاهُ عنِ الحديثِ مطلقاً قلتَ صَهٍ ، بالتنوينِ ، ومعناهُ اسكتْ سكوتاً مُتعلِّقاً بكلِّ حديثٍ

وعلىٰ ذٰلك قياسُ ما يَرِدُ عليكَ مِنْ هٰذا النوعِ ؛ كمَهْ ومَهٍ ؛ أي انكفِفْ ، وإيهِ وإيهٍ ؛ أي زِدْ في الحديثِ

ومِنْ أسماءِ الأفعالِ ما يقومُ مَقامَ جملةٍ مثلُ هَمْهامْ ، ومَحْماحْ ، وحَمْحامْ ، وبَخْباخْ ؛ بفتحٍ فسكونٍ ، ساكنةَ الأواخرِ ؛ أي لم يبقَ شيءٌ

[أسماءُ الأصواتِ]

ويُذكَرُ معَ أسماءِ الأفعالِ ألفاظٌ يُقالُ لها أسماءُ الأصواتِ ؛ وهيَ نوعانِ

ـ الأوَّلُ الألفاظُ التي تُخاطَبُ بها الحيواناتُ ؛ مثلُ (هَلَا) في زجرِ الخيلِ ، و(عَدَسْ) في زجرِ البغالِ

ـ والثاني الألفاظُ التي تُحكىٰ بها الأصواتُ المسموعةُ مِنَ الحيواناتِ وغيرِها ؛ كقولِهِم في حكايةِ صوتِ الغُرابِ (غاقْ غاقْ) ، وفي حكايةِ صوتِ الذُّبابِ (خازِ بازِ) ، وفي حكايةِ صوتِ السيفِ في الضَّريبةِ (قَبْ قَبْ)

ومَنْ أرادَ التوسُّعَ في معرفةِ أسماءِ الأفعالِ والأصواتِ فعليهِ بكتبِ اللغةِ ؛ فإنَّها موضعُ ذٰلكَ ، وإنَّما يذكرُها النحويُّ لتنبيهِ المُتعلِّمينَ ، وحفظِهِم مِنِ اعتقادِ كونِها أفعالاً ؛ حيثُ دَلَّتْ دلالتَها وأفادَتْ معانيَها

وبما أوردناهُ في هٰذا الموضعِ تستغني عن وضعِ بابٍ لأسماءِ الأفعالِ



القسمُ الأوَّلُ

في الإعرابِ والبناءِ ، والمُعرَبِ والمَبنيِّ

الإعـرابُ كلمةٌ مُشتَركةٌ بينَ معانٍ كثيرةٍ ، منها الإبانةُ والإظهارُ ، وهوَ الأنسبُ بالمعنى المنقولِ إليهِ ، الذي هوَ الآثارُ المختلفةُ علىٰ آخِرِ الكلمةِ المُركَّبةِ حَسَبَ اختلافِ الاقتضاءِ ؛ لتمييزِ المعاني المتعاقبةِ على الكلمةِ مِنَ الفاعليةِ والمفعوليةِ وغيرِهما

والبناءُ وضعُ حجرٍ علىٰ حجرٍ بلاصقٍ بينَهُما ؛ لحفظِ الصورةِ المرادِ بقاؤُها ، نُقِلَ إلىٰ حالةِ آخِرِ الكلمةِ اللَّازمةِ التي لا تَتبدَّلُ معَ اختلافِ المقتضياتِ

أنواعُ الإعرابِ أربعةٌ رفعٌ ، ونصبٌ ، وخفضٌ ، وجزمٌ

الرفعُ ضمةٌ ، وأَلِفٌ ، وواوٌ ، ونون ، يُقالُ للضمَّةِ أصلٌ ، وللأحرفِ الثلاثةِ نائبةٌ عنها

والنصبُ فتحةٌ ، وأَلِفٌ ، وياءٌ ، وكسرةٌ ، وحذفُ نونٍ ، كسابقِهِ أصلٌ ، ونائبٌ

والخفضُ كسرةٌ ، وياءٌ ، وفتحةٌ كذٰلكَ

والجزمُ سكونٌ ، وحذفُ حرفِ عِلَّةٍ ، وحذفُ نونٍ ، أصلٌ ونائبانِ

والبناءُ أربعةُ أنواعٍ سكونٌ ، وفتحٌ ، وضمٌّ ، وكسرٌ

ويَنوبُ عنِ السكونِ حذفُ حرفِ عِلَّةٍ وحذفُ نونٍ ، وينوبُ عنِ الفتحِ ياءٌ وكسرةٌ ، وينوبُ عنِ الضمِّ أَلِفٌ ، ولا ينوبُ عنِ الكسرِ شيءٌ ، وسيردُ عليكَ مواضعُ ما ذُكِرَ ، فلتكنْ علىٰ ذُكْرٍ منهُ



[أصنافُ المَبنيِّ]

المبنيُّ موضعُ البناءِ ؛ وهوَ جميعُ الحروفِ ، وجميعُ الأفعالِ الماضيةِ ، وجميعُ الأفعالِ الأمريةِ ، والفعلُ المضارعُ المُتَّصلُ بإحدىٰ نونَي التوكيدِ أو بنونِ الإناثِ

ومِنَ الأسماءِ الضَّمائرُ ، وأسماءُ الإشارةِ ، وأسماءُ الاستفهامِ ، وأسماءُ الشرطِ ، وأسماءُ الأفعالِ ، والأسماءُ الموصولةُ ، والأعدادُ المُركَّبةُ مِنْ أحدَ عشرَ إلىٰ تسعةَ عشرَ ، وما أُجريَ مُجراها ؛ كبيتَ بيتَ ، وصباحَ مساءَ ، وأوَّلَ أوَّلَ ، ويومَ يومَ

والمُركَّباتُ المَزجيَّةُ المختومةُ بـ (وَيْهِ) ، واسمُ (لا) والمنادى المفردانِ ، وحيثُ ، وإذ ، وإذا ، وبابُ قبلُ وبعدُ

ويَحسُنُ ـ ولا يجبُ ـ بناءُ أسماءِ الزمنِ المضافةِ إلىٰ جملٍ مُصدَّرةٍ بمبنيّ

ويجوزُ بناءُ كلمةِ (غيرِ) و(مثلِ) و(شبهِ) إذا أُضيفَتْ لمبنيّ

فما كانَ مِنَ المبنياتِ ساكناً . فهوَ ساكنٌ أبداً ؛ كـ (لمْ) و(مِنْ) و(كَمْ) ، وكذٰلكَ المفتوحُ والمضمومُ والمكسورُ ، كذٰلكَ اللغةُ العربيةُ

الفعلُ الماضي إذا اتَّصلَ بغيرِ الأَلِفِ والواوِ مِنَ الضَّمائرِ البارزةِ مبنيٌّ على السكونِ ، ومعَ الواوِ على الضمِّ ، وفي غيرِ ذٰلكَ على الفتحِ ظاهراً أو مُقدَّراً

والأمرُ الصحيحُ الآخِرِ في خطابِ الواحدِ وفي خطابِ جماعةِ الإناثِ مبنيٌّ على السكونِ ، وفي غيرِ ذٰلكَ علىٰ حذفِ النونِ

والمُعتلُّ الآخِرِ مبنيٌّ بحذفِ حرفِ العِلَّةِ في خطابِ الواحدِ ، وفي خطابِ جماعةِ الإناثِ مبنيٌّ بالسكونِ ، وفي غيرِهما بحذفِ النونِ

والمُتَّصِلُ بإحدىٰ نونَيِ التوكيدِ مبنيٌّ على الفتحِ

والمضارعُ المُتصِلُ بإحداهُما مبنيٌّ على الفتحِ ، **والمُتصِلُ بنونِ الإناثِ** مبنيٌّ على السكونِ

وما كانَ مِنَ الأسماءِ علىٰ صورةِ المُثنَّىٰ مبنيٌّ على **الأَلِفِ** في مواضعِ الرفعِ ، وعلى الياءِ في مواضعِ النصبِ والخفضِ

ويُبنى (الذينَ) الدالُّ على الجماعةِ بالياءِ مطلقاً

وجمعُ المُؤنَّثِ السالِمِ في موضعِ النصبِ حيثُ يَستحِقُّ البناءَ مبنيٌّ على الكسرِ

والمُعرَبُ غيرُ ما ذُكِرَ

وحيثُ كانَ الغرضُ مِنَ الإعرابِ تمييزَ المعاني المتواردةِ على الكلمةِ كانَ حقُّ الأسماءِ أَلَّا يُبنىٰ منها شيءٌ ، ولذٰلكَ تجدُ النحويينَ يلتمسونَ العِلَّةَ لبناءِ ما بُنِيَ منها ؛ فيقولونَ **إنَّما بُنِيَتِ الضَّمائرُ لأمرَينِ**

- **الأَوَّلُ** أنَّ كثيراً منها كائنٌ مِنْ حرفٍ أو حرفَينِ ، وتلكَ حالُ أكثرِ الحروفِ ، وما زادَ مِنَ الضَّمائرِ محمولٌ علىٰ غيرِهِ ، ويُسمُّونَ ذٰلكَ **بالشَّبَهِ الوضْعيِّ**

- **والثاني** أنَّ الضَّمائرَ أنواعٌ ، كلُّ نوعٍ منها مُختصٌّ ببابٍ ، فلم تتواردْ عليها المعاني

مثلاً التاءُ المضمومةُ في نحوِ (كتبتُ) مُختصَّةٌ بالفاعليَّةِ ، وكلمةُ (أنا) مُختصَّةٌ بالابتداءِ ، وهٰكذا

وبُنِيَتْ أسماءُ الشَّرطِ ؛ لتضمُّنِها معنىٰ (إنْ)

وأسماءُ الاستفهامِ ؛ لتضمُّنِها معنى الهمزةِ و(أَمْ)

وأسماءُ الإشارةِ ؛ لتضمُّنِها معنىٰ (أل) التعريفيةِ

ويمكنُ اعتبارُ ذٰلكَ في الضَّمائرِ أيضاً ، ويُسمُّونَ ذٰلكَ الشَّبَهَ المعنويَّ

وبُنِيَتْ أسماءُ الأفعالِ ؛ لأنَّها لا يُؤثِّرُ فيها عاملٌ لفظيٌّ ، وهيَ مُؤثِّرةٌ في غيرِها بسببِ نيابتِها عنِ الفعلِ ، فأشبهَتْ (إنَّ) التي معناها أُحقِّقُ ، و(لٰكنَّ) التي معناها أستدركُ ، ويُسمُّونَهُ الشَّبَهَ الاستعماليَّ

وبُنِيَتِ الأسماءُ الموصولةُ و(حيثُ) و(إذ) و(إذا) لافتقارِها في تحصُّلِ عينِ المرادِ بها إلىٰ ضميمةِ جملةٍ ، كما أنَّ الحرفَ لا يَتحصَّلُ معناهُ المرادُ إلَّا بضميمةٍ ، ويُسمُّونَهُ الشَّبَهَ الافتقاريَّ

وبُنِيَ العددُ المُركَّبُ وما أشبهَهُ ؛ لتضمُّنِهِ معنىٰ حرفِ العطفِ

وبُنِيَتْ (قبلُ) و(بعدُ) وقَبِيلُهُما لتضمُّنِها معنىٰ (أل) التعريفيةِ

وأثبتَ بعضُ النحويينَ مُوجِباً للبناءِ ، وسمَّاهُ الشَّبَهَ اللفظيَّ ، وجعلَ المبنيَّ بهِ لفظَ (لدىٰ) و(علىٰ) و(عن) والكافِ ؛ حيثُ استُعمِلَتْ (علىٰ) وما بعدَها أسماءً

ولا تَرِدُ لفظةُ (إلىٰ) بمعنى النعمةِ مفردَ الآلاءِ ؛ لكونِها مقصورةً كالفتىٰ والعصا ، فكما تقولُ فتاكَ وفتىً بالألِفِ والتنوينِ تقولُ إلاكَ وإلىً ، فلم تُشبِهْ (إلى) الحرفيةَ ، بخلاف (لدىٰ) فإنَّها لا تُنوَّنُ ، وإذا أضفتَها قلتَ لديكَ ولدينا ، كما تقولُ عليكَ وعلينا

أصنافُ المُعرَبِ

الاسمُ المفردُ وجمعُ التكسيرِ المُنصرِفانِ الصحيحا الآخِرِ يُرفعانِ بضمَّةٍ ظاهرةٍ ، ويُنصَبانِ بفتحةٍ ظاهرةٍ ، ويُخفَضانِ بكسرةٍ ظاهرةٍ ، وغيرُ المُنصرِفَينِ يُخفَضانِ بفتحةٍ ظاهرةٍ نيابةً عنِ الكسرةِ

والمُعتلَّانِ بالأَلِفِ تُقدَّرُ فيهِما الحركاتُ الثلاثُ ؛ لامتناعِ تحريكِ الأَلِفِ

والمُعتلَّانِ بالياءِ المكسورِ ما قبلَها يُقدَّرُ فيهِما ما عدا الفتحةَ ؛ لثقلِ تحريكِها بغيرِها

والمُعتلَّانِ غيرُ المُنصرِفَينِ تُقدَّرُ فيهِما الحركتانِ إلَّا فتحةَ النصبِ في المنقوصِ ، ويُقالُ مخفوضٌ بفتحةٍ مُقدَّرةٍ نيابةً عنِ الكسرةِ

المُضافُ إلىٰ ياءِ المُتكلِّمِ تُقدَّرُ فيهِ الحركاتُ الثلاثُ ؛ لاشتغالِ آخِرِهِ بالكسرةِ المجلوبةِ لمناسبةِ الياءِ قبلَ جعلِ ذٰلكَ المضافِ جزءَ كلامٍ ، فتَعذَّرَتْ ولم تمكنْ حركاتُ الإعرابِ

وتُقدَّرُ الحركاتُ أيضاً في **الجملِ المجعولةِ أعلاماً** ، **وفي الأعدادِ المُركَّبةِ المُسمَّىٰ بها** إذا حكيتَها ولم تُعرِبْها لفظاً ؛ لجوازِ الأمرَينِ فيها

أبوك ، وأخوك ، وحموها ، وفوهُ ، وذو جاهٍ مُخرَجةٌ مِنْ حكمِ المفرداتِ ، فهيَ مُعرَبةٌ بالواوِ رفعاً ؛ نيابةً عنِ الضمةِ ، وبالأَلِفِ نصباً ؛ نيابةً عنِ الفتحةِ ، وبالياءِ خفضاً ؛ نيابةً عنِ الكسرةِ ، بشرطِ أَلَّا تُصغَّرَ ، ولا تُجمَعَ ، ولا تُضافَ للياءِ ، ولا تُثنَّىٰ ، ولا تقطعَ عنِ الإضافةِ ، وإلَّا أُعرِبَتْ بالحركاتِ أو بإعرابِ المُثنَّىٰ

المُثنَّىٰ إعرابُهُ حرفانِ أَلِفٌ مكسورٌ ما بعدَها ؛ نيابةً عنِ الضمَّة ، وياءٌ ساكنةٌ مفتوحٌ ما قبلَها مكسورٌ ما بعدَها ؛ نيابةً عنِ الفتحةِ والكسرةِ

وأُلحِقَ بهِ اثنانِ واثنتانِ ، وكِلا وكِلتا مضافتَينِ لضميرٍ ، وإلَّا فهُما مِنَ المقصورِ

جمعُ المُذكَّرِ السالمِ[1] إعرابُهُ حرفانِ واوٌ مضمومٌ ما قبلَها مفتوحٌ ما بعدَها ؛ نيابةً عنِ الضمةِ ، وياءٌ ساكنةٌ سكوناً مرسلاً مكسورٌ ما قبلَها مفتوحٌ ما بعدَها ؛ نيابةً عنِ الفتحةِ والكسرةِ

وأُلحِقَ بهِ بابُ عشرينَ ، وأُولو جاهٍ ، وما شذُّوا بجمعِهِ على هٰذهِ الصِّيغةِ ؛ كأَرَضينَ ، وسِنينَ وبابِهِ ؛ مِنْ جمعِ كلِّ كلمةٍ ثُلاثيَّةٍ حُذِفَتْ لامُها وعُوِّض عنها تاءُ التأنيثِ ؛ كعِضِينَ وعِزِينَ ، وما سُمِّيَ بِه مِنْ ذٰلكَ

جمعُ المُؤنَّثِ السالمِ تنوبُ فيهِ الكسرةُ عنِ الفتحةِ ، فإعرابُهُ حركتانِ

الفعلُ المضارعُ المُعَربُ لهُ أربعةُ أحوالٍ

ـ الأُولىٰ أن يكونَ صحيحَ الآخِرِ ، غيرَ مُتَّصلٍ بأحدِ الضَّمائرِ الثلاثةِ التي هيَ واوُ الجماعةِ ، وأَلِفُ الاثنَينِ ، وياءُ المخاطبةِ ، وإعرابُهُ إذاً رفعٌ بضمَّةٍ ظاهرةٍ ، ونصبٌ بفتحةٍ ظاهرةٍ ، وجزمٌ بسكونٍ

ـ الحالةُ الثانيةُ أن يكونَ مُعتلَّ الآخِرِ بالأَلِفِ ؛ فيُرفَعُ بضمَّةٍ مُقدَّرةٍ ، ويُنصَبُ بفتحةٍ مُقدَّرةٍ ، ويُجزَمُ بحذفِ الأَلِفِ نيابةً عنِ السكونِ

ـ الحالةُ الثالثةُ أن يكونَ مُعتلَّ الآخِرِ بالواوِ أوِ الياءِ ؛ فيُرفَعُ بضمَّةٍ مُقدَّرةٍ لثقلِ تحريكِهما بها ، ويُنصَبُ بفتحةٍ ظاهرةٍ لخفتِهِ ، ويُجزَمُ بحذفِها نيابةً عنِ السكونِ

---

(١) يصح في كلمة (السالم) أن تكون نعتاً للمضاف ، وأن تكون نعتاً للمضاف إليه ، والأرجح أن تكون نعتاً للمضاف إليه ؛ لأن السلامة في الحقيقة للمضاف إليه عند جمعه انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (١/٨٠)

ـ **الحالةُ الرابعةُ** أن يَتصِلَ بأحدِ الضَّمائرِ الثلاثةِ ؛ فيُرفَعُ بالنونِ نيابةً عنِ الضَّمةِ ، ويُنصَبُ ويُجزَمُ بحذفِها نيابةً عنِ الفتحةِ والسكونِ ، وهٰذهِ فائدةُ تلكَ النونِ

هٰذا ؛ ولقائلٍ أن **يقولَ** إنَّكم قلتُم إنَّ الغرض مِنَ الإعرابِ تمييزُ المعاني المتواردةِ على الكلمةِ ، وكيفَ يَحصُلُ ذٰلكَ معَ نيابةِ حركةٍ عن حركةٍ ، وحرفٍ واحدٍ عن حركتَينِ ، ومعَ كونِ الإعرابِ تقديرياً ؟

فيُقالُ لهُ إنَّ الإنسانَ يَنشأُ خاليَ الذِّهنِ ، مطبوعاً فيهِ حبُّ المعرفةِ ، لٰكنْ في أوَّلِ أمرِهِ يكونُ مشغولاً بالمحسوساتِ ، فَرِحاً بالاطِّلاعِ عليها ، طالباً لمعرفةِ أسمائِها ، دونَ أن يَسرِيَ في المعقولات ، فينبغي كما تقتضي الحكمةُ أن يكونَ تعريفُهُ في هٰذه الحالةِ بأمورٍ ظاهرةٍ وعلاماتٍ محسوسةٍ

فإذا انتقلَ عن هٰذهِ الحالةِ ، وتراسخَتْ عندَهُ المعاني ، وصارَ موكولاً إلىٰ تعقُّلِهِ أُحيلَ في المعرفةِ علىٰ إدراكِ ارتباطِ الكلماتِ في التراكيبِ ، واستغنىٰ بذٰلكَ عنِ العلاماتِ الظاهرةِ والتمييزِ بها



القسمُ الثاني
في الجملةِ الاسميَّةِ

الجملةُ الاسميَّةُ هيَ المُصدَّرةُ بالاسمِ ، ويُقالُ لأحدِ جزأَيها مبتدأٌ ، وللجزءِ الآخَرِ خبرٌ ؛ نحوُ العلمُ نافعٌ ، والأدبُ حسنٌ

فالعلمُ والأدبُ مبتدآنِ ، ونافعٌ وحسنٌ خبرانِ

المبتدأُ قسمانِ مبتدأٌ حقيقةً وصورةً ، ومبتدأٌ صورةً فعلٌ حقيقةً

ويُسمَّى القسمُ الأوَّلُ المبتدأَ ذا الخبرِ ، ويُسمَّى القسمُ الثاني المبتدأَ ذا المرفوعِ المغني عنِ الخبرِ



بيانُ المبتدأ ذي الخبرِ

هوَ اسمٌ ظاهرٌ ، صريحٌ أو مُؤوَّلٌ ، أو ضميرٌ يَلحَظُ العقلُ معناهُ أوّلاً ليحكمَ عليهِ بحالٍ مِنْ أحوالِهِ أو بحالٍ مِنْ أحوالِ مُتعلِّقِهِ

فالاسمُ الصَّريحُ نحوُ زيدٌ قائمٌ ، والزيدانِ قائمانِ ، والزيدونَ قائمونَ ، والرجالُ قُوَّمٌ ، وهندٌ قائمةٌ ، والهندانِ قائمتانِ ، والهنداتُ قائماتٌ ، والهُنودُ قُوَّمٌ ، والفتىٰ حاضرٌ ، وغلامي شاهدٌ ، والقاضي حاكمٌ

والاسمُ المُؤوَّلُ نحوُ ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[1] ، وما تَقرأُ العلمَ حسنٌ ، ومُعتقَدي أنَّكَ فاضلٌ

وأمَّا الضَّميرُ فهوَ أنا قائمٌ ، ونحنُ قائمانِ ، وقائمونَ ، وأنتَ قائمٌ ، وأنتِ قائمةٌ ، وأنتُما قائمانِ ، أو قائمتانِ ، وأنتُم قائمونَ ، وأنتُنَّ قائماتٌ ، وهوَ قائمٌ ، وهيَ قائمةٌ ، وهُما قائمانِ ، أو قائمتانِ ، وهم قائمونَ ، وهُنَّ قائماتٌ

وهٰذهِ الضَّمائرُ تُسمَّىٰ ضمائرَ الرفعِ المُنفصِلةَ ؛ لأنَّها لا تقعُ إلَّا مبتدأً ، أو فاعلاً ، أو نائباً عنِ الفاعلِ ، والكلُّ مرفوعٌ

وفي اللغةِ العربيةِ ضميرٌ يُسمَّىٰ ضميرَ الشأنِ أوِ القِصَّةِ ؛ وهوَ ضميرُ غائبٍ أو غائبةٍ لا يَتقدَّمُ لهُ مَرجِعٌ ، بل يكونُ عبارةً عن مضمونِ جملةٍ تُذكَرُ بعدَهُ ، وتُسمَّىٰ مُفسِّرةَ الضَّميرِ

وذٰلكَ إنَّما يُستعمَلُ في الأخبارِ الخطيرةِ ؛ نحوُ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[2] ،

---

(١) سورة البقرة (١٨٤)

(٢) سورة الإخلاص (١)

فلفظُ (هوَ) ضميرُ غائبٍ لم يَتقدَّمْ له مَرجِعٌ ، بل هوَ عبارةٌ عن مضمونِ الجملةِ بعدَهُ ؛ وهيَ اللهُ أحدٌ ، فهيَ مُفسِّرتُهُ ، ونحوُ[1] [من الطويل]

هِيَ ٱلنَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ

ويُؤتىٰ بهـٰذا الضَّميرِ مُذكَّراً ، ويُسمَّىٰ ضميرَ الشَّأنِ إن كانَ عمدةُ الجملةِ بعدَهُ مُذكَّراً ، ويُؤتىٰ بهِ مُؤنَّثاً ويُسمَّىٰ ضميرَ القصَّةِ إن كانَ عمدتُها مُؤنَّثاً

فالمبتدأُ ذو الخبرِ اسمٌ صريحٌ ظاهرٌ ، أوِ اسمٌ مُؤوَّلٌ ، أو ضميرٌ معتادٌ ، أو ضميرُ شأنٍ ، وهـٰذا القسمُ يجبُ أن يطابقَهُ المرفوعُ الذي معَهُ ـ وهوَ خبرُهُ ـ إفراداً وتثنيةً وجمعاً ، وتأنيثاً وتذكيراً ، كما سبقَ في الأمثلةِ ، فلا يجوزُ أن يُقالَ الزيدانِ قائمٌ ، مثلاً ، بل قائمانِ

بيانُ المبتدأ ذي المرفوعِ المغني عنِ الخبرِ

هوَ كلُّ اسمِ فاعلٍ أوِ اسمِ مفعولٍ ولو تأويلاً ، نُفِيَ أو استُفهِمَ عنهُ ؛ نحوُ ما قائمٌ الزيدانِ ، وما مضروبٌ العمرانِ ، وأَذاهبٌ أخوكَ ؟ وهل أسدٌ هوَ ؟ ولا مُؤدَّبٌ غلاماكَ ، وغيرُ ضائعٍ عملٌ مُخلَصٌ ، و[2] [من المديد]

غَـيْـرُ مَـأْسُـوفٍ عَـلَـىٰ زَمَـنٍ يَـنْـقَـضِـي بِـٱلْـهَـمِّ وَٱلْـمِـحَـنِ

و[3] [من الخفيف]

غَـيْـرُ لَاهٍ عِـدَاكَ فَـٱطَّـرِحِ ٱلـلَّـهْـ ـوَ وَلَا تَـغْـتَـرِرْ بِـعَـارِضِ سَـلْـمِ

ولا قائمٌ إلَّا زيدٌ

---

(١) صدر بيت لعلي بن الجهم في « ديوانه » (ص ١٧٢) ، والبيت بتمامه

هِـيَ ٱلنَّـفْـسُ مَـا حَـمَّـلْـتَـهَـا تَـتَـحَـمَّـلُ وَلِـلـدَّهْـرِ أَيَّـامٌ تَـجُـورُ وَتَـعْـدِلُ

(٢) انظر « خزانة الأدب » (١/٣٤٥)

(٣) انظر « مغني اللبيب » (٢/٨٨٦)

وهٰذا القسمُ يُقالُ في إعرابِهِ الوصفُ مبتدأٌ ، والمرفوعُ بعدَهُ فاعلُهُ أغنىٰ عنِ الخبرِ ، ونائبُ فاعلِهِ كذٰلكَ ، ما لم يَخرُجْ إلىٰ بابٍ آخَرَ ، وإلَّا سُمِّيَ بالاسمِ الذي لهُ في ذٰلكَ البابِ

لٰكنْ إذا كانَ النافي اسماً جُعِلَ هوَ المبتدأَ ، وأُضيفَ للوصفِ

وشرطُ تَعيُّنِ هٰذا الإعرابِ في هٰذا القسمِ ألَّا يَشتمِلَ الوصفُ علىٰ علامةِ تثنيةٍ ، أو علامةِ جمعٍ ؛ لأنَّ الوصفَ حينَئذٍ عُومِلَ لفظُهُ معاملةَ الفعلِ ، فأُسنِدَ للمُثنَّىٰ والجمعِ وهوَ بصورةٍ واحدةٍ ، كما أنَّ معناهُ معنى الفعلِ ؛ إذ عرفتَ أنَّهُ فعلٌ حقيقةً واسمٌ صورةً ، فلا يَصِحُّ أن يكونَ خبراً مُقدَّماً ، والمرفوعُ مبتدأً مُؤخَّراً ؛ لعدمِ التطابقِ الواجبِ بينَ المبتدأِ ذي الخبرِ وخبرِهِ

فلو طابقَ الوصفُ المرفوعُ في التثنيةِ والجمعِ علىٰ حدِّ المُثنَّىٰ تَعيَّنَ أن يكونَ الوصفُ خبراً مُقدَّماً ، والمرفوعُ مبتدأً مُؤخَّراً ؛ لوجودِ شرطِهِ ؛ وهوَ التطابقُ ، ولعدمِ إجراءِ لفظِ الوصفِ مُجرى الفعلِ ؛ حيثُ كانَ فيهِ علامةُ التثنيةِ وعلامةُ الجمعِ ؛ إذِ الفعلُ يجبُ تجريدُهُ مِنَ العلامتَينِ عندَ إسنادِهِ لغيرِ المفردِ

وفي غيرِ موضعَيْ تَعيُّنِ أحدِ الإعرابَينِ يجوزُ كلاهُما

فللوصفِ المَنفيِّ أو المُستفهَمِ عنهُ معَ المرفوعِ بعدَهُ ثلاثُ حالاتٍ تَعيُّنُ الابتداءِ والفاعليَّةِ ، وتَعيُّنُ الخبريَّةِ والابتداءِ ، وجوازُ الأمرَينِ

فلو جاءَ الوصفُ بعدَ المرفوعِ ، أو لم يكنْ منفيّاً ولا مُستفهَماً عنهُ وجبَ المطابقةُ بينَهُ وبينَ المرفوعِ ، وكانَ مِنَ القسمِ الأوَّلِ

واعلمْ أنَّ مِنْ تراكيبِ هٰذا القسمِ كلمةَ التوحيدِ كما أشارَ إليهِ

الزمخشريُّ[1] ، حيثُ قالَ الأصلُ اللهُ إلـٰهٌ ، فقُدِّمَ وأُخِّرَ ، وبيانُهُ أنَّ مثلَ هـٰذا التركيبِ يُقالُ لهُ عبارةُ القصرِ والتخصيصِ ، ومُفادُهُ حكمٌ إجماليٌّ يَتفصَّلُ إلىٰ حكمَينِ إثباتٍ ونفيٍ ؛ فتقولُ لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، أصلُهُ اللهُ إلـٰهٌ ، وغيرُهُ ليسَ بإلـٰهٍ ، فإذا أردتَ تحويلَهُ إلىٰ عبارةِ الاستثناءِ قلتَ لا شيءَ إلـٰهٌ إلَّا اللهُ ، أو لا إلـٰهَ شيءٌ إلَّا اللهُ ، علىٰ أن يكونَ التركيبُ مِنَ القسمِ الأوَّلِ ، أو مِنَ القسمِ الثاني ، لـٰكنِ الموجودُ معَنا في عبارةِ القصرِ (لا إلـٰهَ) ، فتَعيَّنَ أن يكونَ مِنَ القسمِ الثاني

فالمحذوفُ المُستثنىٰ منهُ هوَ المرفوعُ بكلمةِ (إلـٰهٌ) ، وذٰلكَ أنَّهُ ملحوظٌ في معناها الفاعلُ بالقدرةِ عن إرادتِهِ التابعةِ لعلمِهِ ، فهوَ مثلُ لا أسدَ إلَّا زيدٌ ؛ فالمعنىٰ لا فاعلَ شيءٍ مِنَ الأشياءِ الموجودةِ إلَّا اللهُ ، فيكونُ هَدْماً قريباً لمُعتقَداتِ الباطلِ



(١) في تأليف له مفرد في هـٰذه المسألة ، كما ذكر ذٰلك ابن هشام في « مغني اللبيب » (٢/٧٤٦)

بيانُ الخبرِ

الخبرُ ما يَلحَظُ العقلُ معناهُ ثانياً ليَحكمَ بهِ على المبتدأ ، أو ليُفسِّرَهُ ويُبيِّنَ المرادَ بهِ

وهوَ قسمانِ خبرٌ حقيقيٌّ ، وخبرٌ سببيٌّ

ـ فالحقيقيُّ ما يكونُ حالاً مِنْ أحوالِ المبتدأ المُنتسِبةِ لهُ نسبةَ الفاعليَّةِ ، أو نسبةَ المفعوليَّةِ ، أو مُبيِّناً لحقيقتِهِ ؛ نحوُ زيدٌ قائمٌ ، ومُكرَمٌ ، وزيدٌ أَكرَمَ ، أو أُكرِمَ ، وأكرمَهُ عمرٌو ، وهٰذا القنديلُ ذهبٌ

ـ والسببيُّ ما يكونُ حالاً مِنْ أحوالِ شيءٍ لهُ تَعلُّقٌ بالمبتدأ ، فيكونُ الخبرُ مُنتسِباً لذٰلكَ المُتعلِّقِ ، لٰكنْ لكونِ الحالِ حالَ مُتعلِّقِ بالمبتدأ يُخبَرُ بها عنه ؛ نحوُ زيدٌ قائمٌ أبوهُ ، وركبتُ فرسَهُ ، وجُلِسَ في دارِهِ

ثمَّ الخبرُ

ـ يكونُ مفرداً جامداً غيرَ مُؤوَّلٍ بمُشتقٍّ ، فلا يكونُ مُشتمِلاً علىٰ ضميرٍ ؛ نحوُ هٰذا القنديلُ زجاجٌ ، وهٰذا الخاتمُ حديدٌ

ـ ويكونُ مفرداً مُشتقّاً ، فيكونُ مُشتمِلاً علىٰ ضميرٍ مُستترٍ يعودُ للمبتدأ إن لم يَرفعْ ظاهراً ولا ضميراً مُنفصِلاً ؛ نحوُ زيدٌ قائمٌ ، تَلحَظُ في قائمٍ معنىٰ (هوَ) ، وهندٌ قائمةٌ ، تَلحَظُ معنىٰ (هيَ) ، والزيدانِ قائمانِ ، تَلحَظُ معنىٰ (هما) ، وهٰكذا

ـ ويكونُ مفرداً جامداً مُؤوَّلاً بمُشتقٍّ ، فيَشتمِلُ علىٰ ضميرٍ كذٰلكَ ؛ نحوُ

زيدٌ أسدٌ ، وعمرٌو ذئبٌ ، وخالدٌ سيفٌ ؛ إذِ المعنىٰ شجاعٌ يُشبِهُ الأسدَ ، وخَتَّالٌ يُشبِهُ الذئبَ ، وصارمٌ ماضٍ يُشبِهُ السيفَ

ـ ويكونُ جملةً فعليَّةً ، ماضويَّةً أو مضارعيَّةً أو أمريَّةً ، وجملةً اسميَّةً ، ولا بدَّ أن تَشتمِلَ علىٰ ضميرِ المبتدأ ليَربِطَها بهِ ، ويُعيِّنَ أنَّها خبرُهُ ، ويكونُ مذكوراً أو محذوفاً يَدُلُّ الكلامُ عليهِ ؛ نحوُ زيدٌ جاءَ ، وعمرٌو ذهبَ أبوهُ ، وخالدٌ يَتكلَّمُ ، وبكرٌ اضربْهُ ، وحسنٌ غلامُهُ ظريفٌ ، والسَّمْنُ مَنَوَانِ بدرهمٍ ؛ أي منوانِ منهُ ، ويَدُلُّ الكلامُ عليهِ ، والمذكورُ مُستتِرٌ وبارزٌ كما رأيتَ

فالخبرُ مفردٌ أو جملةٌ ، وجميعُ المُشتقَّاتِ إن كانَ الملحوظُ فيها المعنى الوصفيَّ لا تكونُ إلَّا أخباراً أو مبتدآتٍ صوريَّةً ، وإذا كانَ الملحوظُ فيها الموصوفَ كانَتْ مبتدآتٍ حقيقيةً وكانَتْ أخباراً ؛ فنحوُ (زيدٌ ضاربٌ) معناهُ يضربُ أو سيضربُ ، فـ (ضاربٌ) بهٰذا المعنىٰ لا يكونُ مبتدأً حقيقيّاً ؛ لأنَّ الملحوظَ فيه المعنى الوصفيُّ ، فهوَ بمنزلةِ الفعلِ الذي لا يكونُ إلَّا مُسنَداً ، ونحوُ (ضاربُ زيدٍ هوَ ضاربُ عمرٍو) معناهُ الشخصُ الذي ضربَ زيداً هوَ الشخصُ الذي ضربَ عمراً ، فـ (ضاربٌ) هنا مبتدأٌ حقيقيٌّ وخبرٌ ؛ لأنَّ الملحوظَ فيهِ الموصوفُ ، فهوَ بمنزلةِ الموصولِ الذي يكونُ مُسنَداً ومُسنَداً إليهِ

ونحوُ (السَّفرُ الحميدُ في يومِ الاثنَينِ) ، و(السيرُ الرفيقُ في الأرضِ السَّهلةِ) ، و(زيدٌ في الدارِ) ، و(عمرٌو عندَ خالدٍ) مِنْ كلِّ اسمٍ مِنْ أسماءِ الأعيانِ الجواهرِ أو أسماءِ المعاني الأعراضِ ، أُخبرَ عنهُ بالكونِ والحصولِ مِنْ غيرِ اعتبارِ حالٍ خاصَّةٍ في مكانٍ أو زمانٍ مُختصَّينِ جملةٌ تامَّةٌ مُركَّبةٌ مِنْ مبتدأٍ وخبرٍ ، لٰكنَّ اللغةَ التزمَتْ أنْ تَحذِفَ منها شيئاً ؛ لأنَّهُ يَقرُبُ جدّاً فهمُهُ مِنْ نفسِ الكلامِ ؛ فنحوُ (زيدٌ في الدارِ) علىٰ معنىٰ زيدٌ

حاصلٌ أو كائنٌ أو ثابتٌ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأفعالِ العامَّةِ ، أو حصلَ أو كانَ ، أو يَحصُلُ أو يكونُ ، حَسَبَ ما تريدُ مِنَ الأزمنةِ ؛ فإذا لاحظتَ (حاصلٌ) ونحوَهُ كانَ مِنْ قبيلِ الخبرِ المفردِ ، وإذا لاحظتَ (حصلَ) أو (يَحصُلُ) كانَ مِنْ قبيلِ الخبرِ الجملةِ ، لٰكنْ ليسَ لكَ أن تَنطِقَ بهِ ، بل عليكَ أن تلاحظَهُ فقطْ

لٰكنْ أسماءُ الأعيانِ الجواهرِ لا يفيدُ الإخبارُ عنها بالكونِ والحصولِ في الأزمنةِ ؛ مثلاً إذا قلتَ (زيدٌ يومَ الخميسِ) أو (عمرٌو في شهرِ العيدِ) لم يكنْ مفيداً فائدةً مطلوبةً ، فيكونُ كلاماً غيرَ مُعتدٍّ بهِ

نعم ؛ قدْ يفيدُ ، كما تقولُ للناسي أوِ الغاوي نحنُ في شهرِ رمضانَ ، لٰكنِ الفائدةُ حينَئذٍ ليسَتْ مِنْ مُجرَّدِ الإخبارِ بالكونِ في الزمانِ ، بل ممَّا يَستتبِعُهُ الكلامُ ؛ إذ معنىٰ (نحنُ في شهرِ رمضانَ) تَذكَّرْ فلا تأكلْ ولا تشربْ ، أوِ احترمِ الشهرَ المُعظَّمَ فلا تَفسُقْ ولا تَفجُرْ واعتبرْ مثلَ ذٰلكَ

وقد تكونُ الأعيانُ مُرتبِطةً بالأزمنةِ تَحدُثُ وتَزولُ مُتجدِّدةً ، فتُشبِهُ المعانيَ التي وضعُها وفطرتُها على التجدُّدِ والتقضّي بالارتباطِ بالأزمنةِ التي شأنُها ذٰلكَ ، فيكونُ الإخبارُ عنها بالحصولِ في الزمنِ مفيداً ، كما تقولُ (الهلالُ الليلةَ) أي يكونُ ، و(الوَرْدُ في شهرٍ من السنةِ) أي يَحصُلُ ، و(الرُّطَبُ شهرَينِ) ومنهُ (اليومَ خمرٌ ، وغداً أمرٌ)(١)

فاسمُ المعنىٰ يُخبَرُ عنهُ بالكونِ في المكانِ ، ويُخبَرُ عنهُ بالكونِ في الزمانِ ، واسمُ العينِ يُخبَرُ عنهُ بالكونِ في المكانِ ، ولا يُخبَرُ عنهُ بالكونِ في الزمانِ إلَّا حيثُ الإفادةُ كما رأيتَ ، والاعتمادُ علىٰ حصولِ الفائدةِ ؛ فمتىٰ حصلَتْ كانَ الكلامُ مُعتدّاً بهِ ، ومتىٰ لم تَحصُلْ كانَ مِنْ لغوِ القولِ

---

(١) كلمة لامرئ القيس انظر خبره في « معاهد التنصيص » (١/١٠ ـ ١١)

وإذا توالىٰ مبتدآنِ مُذكَّرانِ أو مُؤنَّثانِ وأُخبِرَ عن ثانيهما بحالِ أوَّلِهما ؛ بحيثُ تكونُ الحالُ مُنتِسبةً للأوَّلِ نسبةً قويَّةً كنسبةِ الفاعليَّةِ ، ومُنتسِبةً للثاني نسبةً ضعيفةً كنسبةِ المفعوليَّةِ فتكونُ الحالُ حالَ الأوَّلِ وصفتَهُ بسببِ قُوَّةِ نسبتِها إليهِ ، ويَصِحُّ الإخبارُ بها عنِ الثاني لكونِها مُنتسِبةً إليهِ ؛ نحوُ زيدٌ عمرٌو ضاربُهُ ، أو ضربَهُ ، أو يَضرِبُهُ ، لا فرقَ بينَ الفعلِ وغيرِهِ ، ونحوُ هندٌ دعدٌ ضاربتُها ، أو مضروبتُها ؛ فزيدٌ مبتدأٌ ، وعمرٌو مبتدأٌ ثانٍ ، وكذا هندٌ ودعدٌ ، فإذا أردتَ أنَّ الضربَ حاصلٌ مِنْ زيدٍ وهندٍ ، واقعٌ بعمرٍو ودعدٍ فقد أخبرتَ عن ثانِ المبتدأَينِ بحالِ أوَّلِهما ، وهٰذهِ إرادتُكَ ونيَّتُكَ ، لٰكنِ الكلامُ يأبىٰ بظاهرِهِ أن يفيدَ ذٰلكَ ؛ إذِ المتبادرُ للفهمِ أن يكونَ الخبرُ صفةَ المُخبَرِ عنهُ وحالَهُ ، فيكونُ القريبُ للفهمِ أنَّ فاعلَ الضربِ عمرٌو ودعدٌ ، ومفعولَهُ زيدٌ وهندٌ

فالمَخلَصُ مِنْ ذٰلكَ أن تأتيَ بدلَ الضميرِ الذي كانَ واجبَ الاتصالِ والاستتارِ بضميرٍ منفصلٍ مُؤخَّرٍ ؛ لأجلِ أن يَدُلَّ ذٰلكَ علىٰ أنَّ الحالَ التي أُخبِرَ بها عنِ الثاني ليسَتْ لهُ ، بل هيَ حالُ الأوَّلِ ؛ فتقولُ زيدٌ عمرٌو ضاربُهُ هوَ ، وضربَهُ هوَ ، وهندٌ دعدٌ ضاربتُها هيَ ، أو ضربَتْها هيَ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ

فإذا كانَ المبتدآنِ مُختلِفَينِ تذكيراً وتأنيثاً ؛ نحوُ : هندٌ زيدٌ ضاربتُهُ ، وزيدٌ هندٌ ضاربُها كنتَ مستغنياً عن فصلِ الضميرِ ؛ لظهورِ المرادِ بالاختلافِ ، وأنَّ الصفةَ للمبتدأ الأوَّلِ بعلامةِ التذكيرِ والتأنيثِ

وحيثُ كانَ الغرضُ مِنْ إعطاءِ النوعِ الإنسانيِّ قُوَّةَ النطقِ أن يُفِيدَ المُتكلِّمُ بكلامٍ سامعَهُ فائدةً لم تكنْ عندَهُ كانَ تَكلُّمُهُ بما يَعرِفُ أنَّ مُخاطَبَهُ عارفٌ بهِ ضائعاً لغواً لا يُعتَدُّ بهِ ؛ نحوُ السماءُ فوقَنا ، والأرضُ تحتَنا ، والنارُ حارَّةٌ ،

والنخلُ طويلةٌ ، ورجلٌ جاءَ ، ودارٌ في البلدِ ، وهٰذا الغلامُ قائمٌ ، وهٰذا الفرسُ يأكلُ ؛ لمَنْ يُبصِرُ ذٰلكَ

هٰذا ؛ وقد سبقَ لكَ أنَّ الأسماءَ إمَّا مُعيَّنةٌ لأشخاصٍ ، وإمَّا مُعيَّنةٌ لأجناسٍ ، وأنَّ الأسماءَ المُعيَّنةَ للأجناسِ إمَّا أن يُرادَ بها أنفسُ الأجناسِ ، وإمَّا أن يُرادَ بها جميعُ أفرادِ الأجناسِ ، وإمَّا أن يُرادَ بها بعضٌ منها مُعيَّنٌ بواسطةِ عهدٍ أو حضورٍ ، أو بعضٌ مُبهَمٌ ؛ وذٰلكَ بحَسَبِ الأحكامِ التي تريدُ إفادتَها [1]

فأحكامُ الأشخاصِ غيرُ أحكامِ الأجناسِ ، وأحكامُ الأجناسِ غيرُ أحكامِ جميعِ الأفرادِ ، وهٰكذا

مثلاً إذا أردتَ أن تَجعلَ زيداً مبتدأً كانَ المحكومُ عليهِ الشخص المُسمَّىٰ بزيدٍ ، وإذاً تَحكمُ عليهِ بحالِهِ التي تَعرِفُها لهُ وتريدُ أن تفيدَها مَنْ يَجهلُها ؛ فتقولُ : زيدٌ كاتبٌ ، وعمرٌو شاعرٌ ، وهٰكذا كلُّ لفظٍ تريدُ بهِ شخصاً بعينِهِ ؛ نحوُ هٰذا الغلامُ طبيبٌ ، والذي هوَ قائمٌ بينَ يدَيكَ يَتكلَّمُ بكثيرٍ مِنَ الألسنةِ

وإذا أردتَ أن تَجعلَ لفظَ الإنسانِ مثلاً مريداً بهِ نفسَ الجنسِ مبتدأً كانَ المحكومُ عليهِ نفسَ جنسِ الإنسانِ مِنْ غيرِ اعتبارِ أفرادِهِ رأساً ، وإذاً تَحكمُ عليهِ بالأحوالِ الثابتةِ للأجناسِ ؛ فتقولُ الإنسانُ نوعٌ شريفٌ بفكرِهِ ونطقِهِ ، والحيوانُ منهُ مُتفكِّرٌ ومنهُ غيرُ مُتفكِّرٍ ، فأمثالُ هٰذا يكونُ المرادُ

---

(١) انظر (١/١١٥ ـ ١١٦)

فيها نفسَ الجنسِ ؛ إذ لا يَصِحُّ أن تقولَ كلُّ فردٍ مِنْ أفرادِ الإنسانِ نوعٌ ، ولا بعضُ الأفرادِ ، ولا كلُّ حيوانٍ منهُ مُتفكِّرٌ ومنهُ غيرُ مُتفكِّرٍ ، ولا بعضُ الأفرادِ

وإذا أردتَ أن تجعلَ اسمَ الجنسِ ؛ كالإنسانِ ، والحيوانِ ، والغائبِ ، والشاهدِ ، مريداً بهِ جميعَ الأفرادِ مبتدأً كانَ المحكومُ عليهِ كلَّ فردٍ ؛ فتخبرُ بالأحوالِ العامَّةِ لكلِّ واحدٍ واحدٍ ؛ فتقولُ الحيوانُ مُتنفِّسٌ مُتيقِّظٌ نائمٌ ، يَصِحُّ ويَمرَضُ ؛ إذ يَصِحُّ أن تقولَ كلُّ حيوانٍ كذٰلكَ

وضابطُ ما يُرادُ بهِ جميعُ الأفرادِ صحَّةُ وضعِ (كلِّ) معَهُ ؛ نحوُ الغائبُ والشاهدُ معلومانِ للهِ ، يَصِحُّ أن تقولَ كلُّ غائبٍ وشاهدٍ

وضابطُ ما يُرادُ بهِ نفسُ الجنسِ ألَّا يَصِحَّ وضعُ (كلِّ) معَهُ ؛ نحوُ النخلُ منهُ طويلٌ ومنهُ قصيرٌ ومنهُ مُتوسِّطٌ ، لا يَصِحُّ أن تقولَ كلُّ نخلٍ

وإذا أردتَ أن تَجعلَ اسمَ الجنسِ مراداً بهِ واحدٌ ما مبتدأً أخبرتَ بالأحوالِ التي تَحصُلُ بأيِّ واحدٍ مِنْ أفرادِ الجنسِ ؛ كقولِ عمرَ حينَ استُفتِيَ في فديةِ الجرادةِ علىٰ قاتلِها في الحجِّ ، فأفتىٰ بالتصدُّقِ بتمرةٍ ، فرأىٰ بعض الناسِ يُقلِّلُ ذٰلكَ (تمرةٌ خيرٌ مِنْ جرادةٍ)[1] ، فواحدٌ مِنْ آحادِ جنسِ التمرِ يَصلُحُ للفديةِ ، وهوَ خيرٌ مِنَ الجرادةِ

فتَلخَّصَ أنَّ المحكومَ عليهِ الذي تَجعلُ اسمَهُ مبتدأً هوَ ما يقتضيهِ

(١) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٨٢٤٦)

الحالُ مِنْ واحدٍ مُعيَّنٍ أو غيرِ مُعيَّنٍ ، ومِنْ نفسِ جنسٍ أو جميعِ أفرادِهِ ، وإنَّما المَدارُ على حصولِ الفائدةِ

وحيثُ كانَ المبتدأُ محكوماً عليهِ موصوفاً ، وكانَ الخبرُ محكوماً بهِ صفةً كانَ المناسبُ أن يُقدَّمَ المبتدأُ في النطقِ ، لكنْ أجازَتِ اللغةُ تقديمَ الخبرِ فيهِ حيثُ لم يَحصُلِ اختلالٌ ، فإذا حصلَ اختلالٌ بتقديمِ الخبرِ . وجبَ تأخيرُهُ وإلزامُهُ موضعَهُ ، وإذا حصلَ اختلالٌ بتقديمِ المبتدأ وجبَ تأخيرُهُ وإزالتُهُ عن موضعِهِ ، والاختلالُ الذي يَحصُلُ مِنْ ذٰلكَ فسادٌ في المعنى الذي تريدُ أن تفيدَهُ

وقدِ استُقرِئَتِ المواضعُ التي يَحصُلُ فيها فسادُ المعنى بتأخيرِ المبتدأ عنِ الخبرِ ، فوُجِدَتْ خمسةً ، والمواضعُ التي يَحصُلُ فيها فسادُ المعنى بتأخيرِ الخبرِ عنِ المبتدأ ، فوُجِدَتْ خمسةً أيضاً ؛ فأحوالُ المبتدأ معَ الخبرِ ثلاثةٌ

- جوازُ التقديمِ والتأخيرِ
- وجوبُ التقديمِ
- وجوبُ التأخيرِ



مواضعُ وجوبِ تقديمِ المبتدأ

الأوَّلُ كلُّ جملةٍ مُركَّبةٍ مِنْ كلمتَينِ تَصلُحُ كلٌّ منهُما لأن تكونَ مبتدأً ولأن تكونَ خبراً ؛ فلا يَتعيَّنُ المبتدأُ لكونِهِ مبتدأً ، ولا يَتعيَّنُ الخبرُ لكونِهِ خبراً إلَّا بالرتبةِ بجعلِ المبتدأ أولاً في اللفظِ والخبرِ آخِراً فيهِ ؛ حتىٰ يَتبيَّنَ كونُ الأوَّلِ محكوماً عليهِ ، والثاني محكوماً بهِ ، فيفيدُ التركيبُ المعنى المرادَ ، فلو عكستَ . لتبادرَ إلى الفهمِ بحَسَبِ هـٰذا الأصلِ المُقرَّرِ أنَّ المُقدَّمَ مبتدأٌ محكومٌ عليهِ ، والمُؤخَّرَ خبرٌ محكومٌ بهِ ، ويفيدُ التركيبُ حينَئذٍ معنىً غيرَ المقصودِ

مثلاً تُخاطِبُ إنساناً بقولِكَ (عدوِّي حبيبُكَ) فهـٰذا القولُ جملةٌ مُركَّبةٌ مِنْ كلمتَينِ تَصلُحُ كلٌّ منهُما لكونِها مبتدأً وكونِها خبراً ، فـ (عدوِّي) مبتدأٌ ، و(حبيبُكَ) خبرُهُ ، ولو قلتَ حبيبُكَ عدوِّي كانَ (حبيبُكَ) [مبتدأً] ، و(عدوِّي) خبراً ، ولكلٍّ مِنَ التركيبَينِ معنىً يخالفُ معنى الآخرِ ؛ فمعنىٰ قولِكَ (عدوِّي حبيبُكَ) أنَّ الشخصَ الذي أعاديه تُحبُّهُ أنتَ ، فأنت عدوِّي ؛ لأنَّ مُحِبَّ العدوِّ عدوٌّ .

فالخُلاصةُ أنَّكَ تريدُ بهـٰذا التركيبِ أن ترميَ مُخاطَبَكَ الذي يَدَّعي حُبَّكَ والصَّداقةَ لكَ بالكذبِ في دعواهُ ، واتصافِهِ بضدِّها

ومعنىٰ (حبيبُك عدوِّي) أنَّ الشخص الذي تُحِبُّهُ أنتَ أعاديهِ أنا ؛ فأنا أُبغِضُكَ وأكرهُكَ

فخُلاصةُ الأمرِ مِنْ هـٰذا التركيبِ أنَّ المُتكلِّمَ يريدُ أن يُبعِدَ المُخاطَبَ عن نفسِهِ ، ويَصُدَّهُ عن ودادِهِ ، ويُعرِّفَهُ أنَّهُ مكروهٌ لهُ

فهٰذان معنيانِ مختلفانِ ، كلٌّ منهُما مخصوصٌ بتركيبٍ مِنَ التركيبَينِ ، ولا يُستفادُ أحدُهُما إلَّا بتعيينِ المحكومِ عليه ، وتعينِ المحكومِ به ، وذٰلك لا يَحصُلُ إلَّا بتقديمِ المبتدأ وتأخيرِ الخبرِ ، فوجبا ، فلو نطقتَ بأحدِ التركيبَينِ مريداً بهِ معنى التركيبِ الآخَرِ كنتَ مخطئاً ؛ إذ لم تُفِدْ مرادَكَ لمخاطبِكَ

وهٰذا المعنىٰ هوَ الذي يُعبّرُ عنهُ النحويونَ بالإلباسِ الذي يجبُ اجتنابُهُ ؛ فالإلباسُ في الكلامِ كونُهُ يتبادرُ منهُ خلافُ المرادِ بهِ

ونظيرُ (عدوّي حبيبُكَ) : (أفضلُ منّي أفضلُ منكَ) حيثُ تريدُ الاستعلاءَ علىٰ مُخاطَبِكَ ، و(أفضلُ منكَ أفضلُ منّي) حيثُ تريدُ الاستدناءَ عنهُ

فإذا لم تَصلُحْ كلٌّ مِنَ الكلمتَينِ لأن تكونَ مبتدأً ولأن تكونَ خبراً ، بل تَعيَّنُ إحداهُما لأحدِهِما ، والأُخرىٰ للآخَرِ لم يجبِ التقديمُ والتأخيرُ ، بل كانَ علىٰ أصلِ الجوازِ

مثلاً إذا أردتَ أن تُلحِقَ صغيراً معلوماً أنَّهُ الصغيرُ بكبيرٍ معلومٍ أنَّهُ الكبيرُ ، علىٰ وجهِ التشبيهِ بإسقاطِ أداةِ التشبيهِ ؛ للمبالغةِ في الإلحاقِ ، كما تقولُ أبو يوسفَ أبو حنيفةَ ، علىٰ معنىٰ أنَّ أبا يوسفَ التلميذَ مثلُ أبي حنيفةَ الشيخِ ، فتسقطُ لفظةَ (مثلِ) ، وتجعلُ الكلامَ مبتدأً وخبراً بلا واسطةٍ ؛ فتقولُ أبو يوسفَ أبو حنيفةَ ، فيُعلَمُ أنَّ المحكومَ عليهِ بالمشابهةِ واللُّحوقِ هوَ أبو يوسفَ ، فهوَ مُتعيّنٌ لكونِهِ مبتدأً ، فلو قُدِّمَ أو أُخِّرَ لم يَختلَّ المعنىٰ ، ومِنْ هٰذا قولُ الشاعرِ (١) [من الطويل]

بَنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ ٱلرِّجَالِ ٱلْأَبَاعِدِ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (١/٤٤٤)

الموضعُ الثاني كلُّ جملةٍ يكونُ خبرُ مبتدئِها جملةً فعليَّةً فاعلُ فعلِها ضميرٌ مُستتِرٌ ؛ نحوُ كلُّ إنسانٍ لا يَبلُغُ حقيقةَ الشكرِ فيجبُ في مثلِ هٰذه الجملةِ تقديمُ المبتدأ ؛ إذ لو أخَّرتَهُ لتبادرَ كونُهُ فاعلاً ، ويَختلِف المعنىٰ ؛ إذ معنىٰ (كلُّ إنسانٍ لا يبلغُ) نفيُ البلوغِ عن جميعِ أفرادِ الإنسانِ ، ومعنىٰ (لا يَبلُغُ كلُّ إنسانٍ) نفيُ الكونِ للكلِّ ، فيُحتمَلُ النفيُ عنِ الجميعِ ، ويُحتَملُ النفيُ عنِ البعضِ والإثباتُ للبعضِ

ويَتعيَّنُ الحملُ عليهِ ما لم تقمْ قرينةٌ علىٰ خلافِهِ ؛ لأنَّهُ القَدْرُ المُتيقَّنُ ، وتلكَ العبارةُ يَعُدُّها المنطقيُّ مِنْ أسوارِ الجزئيَّةِ ؛ لأنَّهُ لا يَعتبِرُ غيرَ المُتيقَّنِ ، والغرضُ النصُّ علىٰ نفيِ البلوغِ عنِ الجميعِ ؛ وذٰلكَ علىٰ جعلِ (كلُّ إنسانٍ) مبتدأً ، فيجبُ تقديمُهُ لذٰلكَ

فلو كانَ فاعلُ الفعلِ اسماً ظاهراً ، أو ضميراً بارزاً ؛ نحوُ زيدٌ قامَ أبوهُ ، وزيدٌ قاما أخواهُ ، وزيدٌ قاموا إخوانُهُ جازَ تأخيرُ المبتدأ ؛ إذ لا يتبادرُ كونُهُ فاعلاً ؛ لاستيفاءِ الفعلِ فاعلَهُ ظاهراً

الموضعُ الثالثُ كلُّ جملةٍ تريدُ أن تَقصُرَ معنىٰ مبتدئِها علىٰ معنىٰ خبرِها ، ويُسمَّىٰ : قَصْرَ الموصوفِ على الصفةِ ؛ رَدّاً علىٰ مَنْ زعمَ اتصافَهُ بغيرِ المذكورِ ، ويُسمَّىٰ قَصْرَ قَلْبٍ ، أو زعمَ اتصافَهُ بالمذكورِ وغيرِهِ ؛ ويُسمَّىٰ قَصْرَ إفرادٍ ، أو قطعاً لشكِّ مَنْ تَردَّدَ في اتصافِهِ بالمذكورِ وغيرِهِ ؛ ويُسمَّىٰ قَصْرَ تَعيينٍ

والقصرُ حكمٌ إجماليٌّ يَتضمَّنُ حكمَينِ

أحدُهُما إثباتُ المذكورِ .

والثاني نفيُ غيرِهِ

نحوُ إنَّما زيدٌ كاتبٌ ؛ معناهُ زيدٌ مقصورٌ على الاتصافِ بالكتابةِ ، ليسَ مُتَّصِفاً بغيرِها ، لا وحدَهُ ولا معَها ، وما زيدٌ إلَّا شاعرٌ ؛ أي مقصورٌ على الاتصافِ بالشعرِ

فلو أخَّرتَ المبتدأَ فقلتَ إنَّما قائمٌ زيدٌ لتبادرَ كونُهُ مِنْ قَصْرِ معنى الخبرِ علىٰ معنى المبتدأ ، ويُسمَّىٰ قَصْرَ الصفةِ على الموصوفِ ، فيكونُ المعنىٰ أنَّ القيامَ ثابتٌ لزيدٍ لا لعمرٍو وحدَهُ أو معَ زيدٍ ، فلو كانَ مرادُكَ هٰذا المعنىٰ كانَ التركيبُ مِنَ المواضعِ التي يجبُ فيها تقديمُ الخبرِ كما سيأتي

الموضعُ الرابعُ كلُّ جملةٍ أجريتَ مبتدأَها مُجرى الشرطِ ، وخبرَها مُجرى الجزاءِ ، فأدخلتَ الفاءَ بينَهُما ؛ وذٰلكَ إذا كانَ المبتدأُ اسماً موصولاً بجملةٍ استقباليةٍ ، أو موصوفاً بهِ ، أو مُضافاً لأحدِهِما ، أو نكرةً موصوفةً بجملةٍ استقباليةٍ ، أو مضافاً إليها ؛ نحوُ الذي يَدُلُّني علىٰ مطلوبي فلهُ دينارٌ ، والرجلُ الذي يطيعُ اللهَ فلهُ الجنَّةُ ، وغلامُ الذي يَعقِلُ الأمورَ فهوَ مُؤدَّبٌ ، ورجلٌ يُصدِّقُني ـ أو كلُّ رجلٍ يُصدِّقُني ـ فهوَ حقيقٌ بالثناءِ ؛ إذِ المعنىٰ في هٰذهِ التراكيبِ هوَ المعنى الذي يُقصَدُ بالجملةِ الشرطيةِ ، كأنَّكَ قلتَ إن دَلَّني أحدٌ علىٰ مطلوبي فلهُ دينارٌ

الموضعُ الخامسُ كلُّ جملةٍ يكونُ مبتدؤُها كلمةً يجبُ تصديرُها في جملتِها ؛ وهيَ كلماتُ الاستفهامِ ، وكلماتُ الشرطِ ، وضميرُ الشأنِ ، ومبتدآتُ الأمثالِ ، والمبتدأُ الذي تدخلُ عليه لامُ التأكيدِ التي تُسمَّىٰ لامَ

الابتداءِ ، يفيدُ بها المُتكلِّمُ جزمَهُ بمضمونِ الخبرِ ؛ نحوُ مَنْ يكرهُ الحقَّ ؟ استفهاماً ، ومَنْ تُكرِمْهُ أُكْرِمْهُ ؛ شرطاً ، وهوَ اللهُ أحدٌ ؛ ضميرَ الشأنِ ، وطُوبىٰ لكَ ، والشرطُ أَملكُ عليكَ أم لكَ ؛ مِنَ الأمثالِ (١)

وتقديمُ المبتدأ في هٰذا الموضعِ التزامٌ لغويٌّ ، لا [فرارٌ] مِنْ فسادِ معنىً ، إلّا في ضميرِ الشأنِ

مواضعُ تقديمِ الخبرِ

خمسةٌ أيضاً

الموضعُ الأوَّلُ كلُّ جملةٍ يكونُ معَ مبتدئِها ضميرٌ يعودُ علىٰ شيءٍ في الخبرِ ؛ نحوُ في الدارِ صاحبُها ، ونحوُ (٢) [من المديد]

لِلْفَتَىٰ عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهْ

لئلّا يلزمَ وجودُ ضميرِ غائبٍ لمْ يَسبِقْ مُبيِّنُهُ ، فيَنفِرَ السامعُ

الموضعُ الثاني كلُّ جملةٍ يكونُ الخبرُ فيها واجبَ التصديرِ ؛ نحوُ أينَ زيدٌ ؟ وكيفَ عمرٌو ؟ ومِنْ أيِّ بابٍ دخولُكَ ؟



الموضعُ الثالثُ كلُّ جملةٍ تريدُ أن تَقصُرَ معنىٰ خبرِها علىٰ معنىٰ مبتدئِها ؛ نحوُ إنَّما شاعرٌ زيدٌ ، وما لنا إلَّا الإسلامُ

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٢٠٦)

(٢) البيت لطرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٨٠)

الموضعُ الرابعُ كلُّ جملةٍ تكونُ مثلَ ﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾[1] ، وفي كلِّ أرضٍ سعدٌ[2]

الموضعُ الخامسُ كلُّ جملةٍ يكونُ مبتدؤُها (أنْ) وصلتَها ؛ نحوُ عندي أنَّكَ فاضلٌ ومرادي أنَّك تَتعلَّمُ ؛ إذ لا يَتعيَّنُ كونُ (أنْ) وصلتِها مبتدأً إلَّا بتأخيرِها وتقديمِ الخبرِ

وحيثُ كانَ الكلامُ مُنبِئاً عن أحدِ الجزأينِ لو حُذِفَ جازَ حذفُهُ ، وكانَ أولىٰ مِنْ ذكرِهِ ؛ مثلاً إذا سألَكَ سائلٌ فقالَ مَنْ عندَكَ ؟ فجوابُكَ زيدٌ أو عمرٌو ؛ بالشخصِ الذي يكونُ عندَكَ ، فزيدٌ في جوابِكَ مبتدأٌ لم يُنطَقْ لهُ بخبرٍ ، والكلامُ لكونِهِ جوابَ سؤالٍ مُنبِئٌ عنِ الخبرِ المحذوفِ ؛ إذِ السائلُ المُخاطَبُ يفهمُ أنَّكَ نويتَ زيدٌ عندي ، والمدارُ في الكلامِ علىٰ فهمِ المُخاطَبِ مرادَ المُتكلِّمِ

وإذا سألَكَ سائلٌ بـ (كيفَ زيدٌ) الذي معناهُ أصحيحٌ زيدٌ أو مريضٌ مثلاً فجوابُكَ (صحيحٌ) فصحيحٌ خبرٌ لم تَنطِقْ بمبتدئِهِ ، والتقديرُ زيدٌ صحيحٌ ، والمُخاطَبُ يفهمُ ذٰلكَ ، فالعمدةُ في الحذفِ أن يَفهَمَ المُخاطَبُ المحذوفَ بسببِ دليلٍ يَدُلُّ عليهِ

وفي أربعةِ مواضعَ يجبُ حذفُ المبتدأ ، فيكونُ النطقُ بهِ خطأً

وفي أربعةِ مواضعَ يجبُ حذفُ الخبرِ ، فيكونُ النطقُ بهِ خطأً أيضاً

---

(١) سورة الأنعام (٦٧)

(٢) مثل مشهور قاله الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، رأىٰ من أهله وقومه أموراً كرهها ، فرأىٰ من غيرهم مثل ما رأىٰ منهم ، فقال (في كل أرض سعد بن زيد) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٥٣٠)

مواضعُ وجوبِ حذفِ المبتدأ

الموضعُ الأوَّلُ الأوصافُ المذكورةُ لغرضِ المدحِ أوِ الذمِّ أوِ الترحُّمِ إذا رُفِعَتْ ؛ نحوُ زرتُ زيداً الوليُّ ، وارفقْ بخالدٍ المسكينُ ، فهوَ علىٰ تقديرِ هوَ الوليُّ ، وهوَ المسكينُ ، وتمامُ القولِ في ذٰلك يأتي في بابِ النعتِ(١)

الموضعُ الثاني كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِكَ : (في ذمَّتي لَأفعلَنَّ كذا) علىٰ معنى اليمينِ ؛ فقولُكَ (في ذمَّتي) خبرٌ لمبتدأٍ واجبِ الحذفِ ، تقديرُهُ في ذمَّتي يمينٌ أو قَسَمٌ أو حَلِفٌ ، كما تَلحَظُ ، ونظيرُهُ في ضماني وفي عُنُقي لأفعلَنَّ كذا ، علىٰ ذٰلك المعنىٰ

الموضعُ الثالثُ كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِكَ (نِعْمَ الرجلُ عمرٌو ، وبئسَ الإنسانُ خالدٌ) تَمدحُ بـ (نِعْمَ) ، وتَذُمُّ بـ (بئسَ) مُعبِّراً عنِ الممدوحِ والمذمومِ أوَّلاً باسمِهِ العامِّ ، ثمَّ تُعبِّرُ عنهُ باسمِهِ الخاصِّ علىٰ نيَّةِ مبتدأٍ يكونُ الاسمُ الخاصُّ خبراً عنهُ ؛ فقولُكَ (نِعْمَ الرجلُ) جملةٌ تامَّةٌ يَفهَمُ منها المُخاطَبُ أنَّكَ تَمدحُ شخصاً مُعيَّناً ، وعَبَّرتَ عنهُ باسمِهِ العامِّ ، فنفسُهُ تَتشوَّقُ لذكرِ اسمِهِ الخاصِّ ، كأنَّهُ يقولُ مَنْ هوَ ذٰلكَ الرجلُ [الذي] تَمدحُهُ ؟ فتقولُ زيدٌ ، علىٰ تقديرِ هوَ زيدٌ ، فهٰذا المبتدأُ لا يُنطَقُ بهِ

الموضعُ الرابعُ نحوُ قولِكَ (سمعٌ وطاعةٌ) جواباً لِمَنْ يأمرُكَ بأوامرَ ، مِنْ كلِّ مصدرٍ يَصِحُّ وضعُ الفعلِ موضعَهُ ؛ لأنَّ المقصودَ هوَ المعنى الفعليُّ ؛

---

(١) انظر (١/٤٨١)

إذ معنىٰ قولِكَ سمعٌ وطاعةٌ أسمعُ قولَكَ وأُطيعُ أمرَكَ ، فمَنْ يقولُ سمعٌ وطاعةٌ ينوي أمري وحالي وشأني سمعٌ وطاعةٌ ، فيجبُ حذفُ هٰذا المبتدأ

كيفيةُ وقوعِ هٰذا في المحاورةِ يقولُ لكَ إنسانٌ تُعظِّمُهُ وتَعتبِرُهُ افعلْ كذا[1] ، ولا تفعلْ كذا ، يأمرُكَ وينهاكَ ، فتقولُ : امتثالٌ لأمرِكَ ، واجتنابٌ عن نهيِكَ ؛ تعني حالي أو صفتي امتثالٌ واجتنابٌ ، يَصِحُّ أن تضعَ موضعَهُ أمتثلُ أمرَكَ ، وأجتنبُ نهيَكَ

مواضعُ وجوبِ حذفِ الخبرِ

الموضعُ الأوَّلُ كلُّ تركيبٍ تبدؤُهُ بلفظِ (لَعَمْرُكَ) أو (لَعَمْرُ اللهِ) أو (لَأَيمُنُ اللهِ) ، وهٰذانِ اللَّفظانِ مُستعملانِ في القَسَمِ ، لا يُستعمَلانِ في غيرِهِ ، فإذا قلتَ لَعَمْرُكَ لَأتبعَنَّ رأيَكَ فمعناهُ لَعَمْرُكَ قَسَمي ويميني ، فلفظُ (قَسَمي) خبرٌ مبتدؤُهُ (لَعَمْرُكَ)

وعمرٌ بفتحِ العينِ وبضمِّها مُدَّةُ الحياةِ ، لٰكنْ لم يقعْ في الحَلِفِ إلَّا المفتوحُ ، وكذٰلكَ لَأيمُنُ اللهِ لَأقتديَنَّ بكَ ، فهوَ علىٰ ذٰلكَ المعنىٰ ، فالخبرُ محذوفٌ وجوباً

الموضعُ الثاني كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِكَ (كلُّ إنسانٍ وعملُهُ ، وكلُّ عاملٍ ونيتُهُ ، وكلُّ شخصٍ وحِرفتُهُ) فإنَّ معناهُ كلُّ شخصٍ وحرفتُهُ مصطحبانِ ، والواوُ الواقعةُ في التركيبِ تفيدُ معنىٰ (مصطحبانِ) الذي هوَ الخبرُ المحذوفُ مِنْ قولِكَ : (كلُّ شخصٍ وحرفتُهُ) الذي هوَ المبتدأُ المذكورُ ،

---

(١) في الأصل زيادة (وافعل)

فلمَّا كانَتِ الواوُ تفيدُ المعيَّةَ والمصاحبةَ قطعاً ، وهوَ معنى الخبرِ وجبَ حذفُهُ



الموضعُ الثالثُ كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِكَ (نصحي الإخوانَ قابلينَ ، وأخذي المالَ حلالاً ، وأكملُ ما يكونُ الإنسانُ مُتَّقِياً ربَّهُ ، وأقربُ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربِّهِ وهوَ ساجدٌ) إذِ المعنىٰ نصحي الإخوانَ إذا وجدتُهُم قابلينَ ، وأكملُ ما يكونُ الإنسانُ إذا استمرَّ مُتَّقِياً ، وهٰكذا

وضابطُ هٰذا الموضعِ أن يكونَ المبتدأُ مصدراً صريحاً أو مُؤوَّلاً عاملاً في اسمٍ يعودُ عليهِ الضميرُ مِنَ الخبرِ المحذوفِ ، أوِ اسمَ تفضيلٍ مضافاً إلىٰ مصدرٍ كذٰلكَ ، فلفظُ (إذا) المُقدَّرُ في هٰذا التركيبِ هوَ الخبرُ ، حُذِفَ وجوباً لانفهامِ الكلامِ بدونِهِ ؛ إذ معناهُ نصحي الإخوانَ حاصلٌ في وقتِ وجدانِهِم قابلينَ للنصحِ ، فهٰذا المعنىٰ مُنفهِمٌ بلا تأمُّلٍ ولا بُعْدٍ مِنْ قولِكَ نصحي الإخوانَ قابلينَ ؛ كأنَّكَ قلتَ نصحي الإخوانَ في حالِ قَبولِهِم ، وهوَ غيرُ خفيٍّ



الموضعُ الرابعُ كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾[1] ، وهيَ التراكيبُ المُفتتَحةُ بـ (لولا) التي وضعَتْها اللغةُ لتفيدَ انتفاءَ مضمونِ جملةٍ بسببِ ثبوتِ مضمونِ جملةٍ أخرىٰ ، وتُسمَّىٰ لولا الامتناعيةَ

ويقولُ النحويونَ لولا لامتناعِ الجوابِ لوجودِ الشرطِ ، فلا بدَّ بعدَها مِنْ جملتَينِ ينتفي مضمونُ ثانيتِهِما بسببِ ثبوتِ مضمونِ أُولاهُما ، وتُسمَّى

---

(١) سورة البقرة (٢٥١)

الجملةُ الأُولىٰ جملةَ الشرطِ ، والثانيةُ جملةَ الجوابِ والجزاءِ

لـٰكنِ الجملةُ الأُولىٰ يجبُ أن تكونَ جملةً اسميةً مُركَّبةً مِنْ مبتدأ يُذكَرُ وخبرٍ يُحذَفُ وجوباً إذا كانَ وصفاً مِنَ الأوصافِ العامَّةِ التي هيَ الكونُ والوجودُ والثبوتُ والحصولُ ؛ فمعنىٰ ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾[1] لولا الدفعُ موجودٌ وحاصلٌ وثابتٌ فيما بينَ الناسِ لَفسدَتِ الأرضُ ، فانتفاءُ فسادِ الأرضِ لثبوتِ وجودِ الدفعِ

فلو كانَ سببُ انتفاءِ الجوابِ ثبوتَ صفةٍ خاصَّةٍ ، كما في قولِكَ : لولا زيدٌ يُكرِمُ عمراً ويُعظِّمُهُ لَأهانَهُ الناسُ واحتقروهُ ، فلفظُ (يُكرِمُ) و(يُعظِّمُ) خبرٌ عن زيدٍ لا يُفهَمُ إلَّا بذكرِهِ وجبَ ذكرُهُ ولم يَصِحَّ حذفُهُ إلَّا إذا دلَّ عليهِ دليلٌ

وتحريرُ هـٰذا الموضعِ الذي يجبُ فيهِ حذفُ الخبرِ هوَ حيثُ يكونُ سببُ انتفاءِ مضمونِ الجوابِ مُجرَّدَ الكونِ والحصولِ ؛ فلو قلتَ لولا زيدٌ لَهلكَ عمرٌو فَهِمَ المُخاطَبُ بسرعةٍ أنَّ المعنىٰ لولا زيدٌ موجودٌ ؛ فمتىٰ كانَ خبرُ المبتدأ الواقعُ بعدَ (لولا) هـٰذهِ كوناً عامّاً لم يُلفَظْ ، ومتىٰ كانَ كوناً خاصّاً ؛ فإن كانَ لو حُذِفَ فُهِمَ صحَّ حذفُهُ ، وإلَّا وجبَ ذكرُهُ ، وبتأمُّلِ المثالَينِ يظهرُ الحالُ

[تعدُّدُ الخبرِ]

ويتعدَّدُ الخبرُ فيكونُ اثنَينِ وأكثرَ ، والمبتدأُ واحدٌ في اللَّفظِ ؛ وهوَ علىٰ نوعَينِ

النوعُ الأوَّلُ أن يكونَ المبتدأُ الواحدُ في اللَّفظِ واحداً في المعنىٰ أيضاً ، وتعدُّدُ خبرِهِ يكونُ علىٰ ثلاثةِ أنواعٍ

---

(١) سورة البقرة (٢٥١)

ـ النوعُ الأوَّلُ أن تُخبِرَ عنهُ بوصفَينِ مُمتزِجَينِ قامَ منهُما وصفٌ ثالثٌ ، فيجوزُ أن تُخبِرَ بالوصفَينِ وأن تُخبِرَ بذٰلكَ الوصفِ ؛ كقولِكَ الرُّمَّانُ حُلْوٌ حامِضٌ ، والرُّمَّانُ مُزٌّ ؛ فالحَلاوةُ والحُموضةُ وصفانِ مُمتزجانِ قامَ منهُما وصفٌ واحدٌ يُسمَّى المُزوزةَ ؛ فلكَ أن تقولَ حُلْوٌ حامضٌ ، ولك أن تقولَ مُزٌّ

ونظيرُهُ هـٰذا الماءُ حارٌّ باردٌ ؛ أي : فاترٌ ، وهـٰذا الفرسُ أبيضُ أسودُ ؛ أي أَكْهَبُ

ولا يَصِحُّ أن تُدخِلَ بينَ الوصفَينِ المُمتزِجَينِ واواً ؛ فلا تقولُ (حُلْوٌ وحامضٌ) إلَّا إذا أثبتَّ الأمرَ المُتوسِّطَ بنفيِ الضِّدَّينِ ، كما تقولُ هـٰذا الرُّمَّانُ لا حُلْوٌ ولا حامضٌ

ـ النوعُ الثاني أن تُخبِرَ بوصفَينِ مُتجاورَينِ مُتمَيِّزَينِ ؛ كقولِكَ هـٰذا الفرسُ أبيضُ أسودُ ؛ أي أبلقُ ، وهـٰذا يَصِحُّ بواوٍ وبدونِها ، فتقولُ أبيضُ وأسودُ ، وأبيضُ أسودُ

ـ النوع الثالثُ أن تُخبِرَ بأوصافٍ لا امتزاجَ فيها ولا تَجاوُرَ ؛ كقولِكَ الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهوٌ ، وزينةٌ ومفاخراتٌ

النوعُ الثاني أن يَتعدَّدَ المبتدأُ معنىً وهوَ واحدٌ لفظاً وتَعدُّدُ الخبرِ فيهِ يكونُ علىٰ نوعَينِ

ـ النوعُ الأوَّلُ أن يكونَ الوصفُ مُشترِكاً بينَ الجميعِ ؛ كقولِكَ غلاما زيدٍ شاعرانِ كاتبانِ صانعانِ ، أو شاعرانِ وكاتبانِ وصانعانِ ، فهوَ كالواحدِ لفظاً ومعنىً

ـ النوعُ الثاني أن يكونَ لكلِّ واحدٍ وصفٌ يَخُصُّهُ ، فتجبُ الواوُ ؛

كقولِكَ أبناؤُكَ كاتبٌ وشاعرٌ وتاجرٌ ، فجميعُ هٰذهِ الأخبارِ التي فيها التعدُّدُ يُقالُ فيها خبرٌ أوَّلُ ، وخبرٌ ثانٍ ، وخبرٌ ثالثٌ ، وهٰكذا إن لم تكنِ الواوُ ، فإن كانَتِ الواوُ قيلَ للأوَّلِ خبرٌ ، وللباقي معطوفاتٌ ، وللواوِ حرفُ عطفٍ كما يُبيَّنُ في التوابعِ ، وإن كانَتِ الكلُّ أخباراً بحَسَبِ المعنىٰ

وقد يكونُ لفظُ الخبرِ هوَ لفظَ المبتدأ ؛ حيثُ يُرادُ التعظيمُ أوِ التحقيرُ ؛ كقولِ الراجزِ (١) [من الرجز]

أَنَا أَبُو ٱلنَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي

وطريقُ التعظيمِ أنَّ المُتكلِّمَ بمثلِ هٰذا الكلامِ يُخيِّلُ أنَّهُ لمَّا ذكرَ المبتدأَ ليصفَهُ بجمائلِ صفاتِهِ تَحيَّرَ لكثرةِ تَوارُدِها عليهِ معَ كونِهِ ظاهرَ الشَّرفِ والكمالِ ، فهوَ يقولُ لا حاجةَ لذكرِ صفاتِهِ ؛ لاستغنائِهِ بظهورِ كمالِهِ ، واضطرارِ المُطَّلِعِ عليهِ بالاعترافِ لهُ بكمالِ رتبتِهِ في بابِهِ

ويقولُ الناسُ العالِمُ عالِمٌ ، والجاهلُ جاهلٌ

وقالَ الشاعرُ [من البسيط]

ٱلسَّبْعُ سَبْعٌ وَإِنْ كَلَّتْ مَخَالِبُهُ وَٱلْكَلْبُ كَلْبٌ وَإِنْ طَوَّقْتَهُ ذَهَبَا

ويُحتملُ أن يكونَ مِنْ هٰذا القبيلِ قولُ اللهِ جلَّ ذكرُهُ ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (٢)

ونظيرُهُ مِنْ بابِ الشرطيةِ : قولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ » (٣)

---

(١) هو أبو النجم العجلي في « ديوانه » (ص ١٩٨)

(٢) سورة الواقعة (١٠ ـ ١١)

(٣) أخرجه البخاري (٥٤) ومسلم (١٩٠٧) عن سيدنا عمر رضي الله عنه

[أحوالُ المبتدأ والخبرِ]

هـٰذا ؛ واعلمْ أنَّ للمبتدأ والخبرِ أربعَ أحوالٍ

الحالةُ الأَولىٰ أن تَنطِقَ بهما مُجرَّدَينِ

وحكمُهُما حينَئذٍ رفعُهُما لفظاً ، أو تقديراً ، أو مَحلّاً ، ولا يفيدُ التركيبُ إلّا مُجرَّدَ الحكمِ بوقوعِ النسبةِ

الحالةُ الثانيةُ أن تَقرُنَ بهما (كانَ) أو إحدىٰ أخواتِها

وحكمُهُما حينَئذٍ رفعُ المبتدأ ونصبُ الخبرِ ، ويَتغيَّرُ الاسمُ ؛ فيُقالُ للمبتدأ (اسمُ كانَ) أو إحدىٰ أخواتِها ، وللخبرِ (خبرُ كانَ) أو إحدىٰ أخواتِها ، ويفيدُ التركيبُ الحكمَ بوقوعِ النسبةِ مع ما لتلكَ الألفاظِ مِنَ المعاني المرادِ بها بيانُ زمانِ النسبةِ وبعضِ أحوالِها

الحالةُ الثالثةُ أن تَقرُنَ بهِما أحدَ الأحرفِ الثمانيةِ التي هيَ (إنَّ) و(أَنَّ) وأخواتُهُما

وحكمُهُما إذاً نصبُ المبتدأ ورفعُ الخبرِ ، ويُقالُ للمبتدأ (اسمُ إنَّ) مثلاً ، وللخبرِ (خبرُها) ويفيدُ التركيبُ الحكمَ بوقوعِ النسبةِ مُقترِناً بمعاني تلكَ الكلماتِ

الحالةُ الرابعةُ أنْ تَقرُنَ بهما كلمةَ (ظنَّ) أو إحدىٰ أخواتِها

وحكمُهُما حينَئذٍ النصبُ ، ويُقالُ للمبتدأ (مفعولٌ أوَّلُ) وللخبرِ (مفعولٌ ثانٍ) ويفيدُ التركيبُ الحكمَ بوقوعِ النسبةِ علىٰ وجهِ الظنِّ أوِ اليقينِ

ولكونِ تلكَ الكلماتِ في الأبوابِ الثلاثةِ تُغيّرُ حكمَ المبتدأ والخبرِ واسمَهُما يُسمُّونَها نواسخَ الابتداءِ ؛ مِنَ النَّسخِ ؛ بمعنى الإبطالِ والإزالةِ



بيانُ بابِ (كانَ)

(كانَ) وأخواتُها إلَّا (كادَ) وصواحبَها تَدخُلُ علىٰ جملةِ الابتداءِ كيفَ كانَتْ ، لٰكنْ لا يقعُ الأمرُ هنا خبراً ، وكذٰلكَ لا يقعُ الماضي خبراً لـ (صارَ) و(ليسَ) وأفعالِ الاستمرارِ ؛ وذٰلكَ لأنَّ (صارَ) دالَّةٌ على الانتقالِ والتحوُّلِ إلىٰ صفةٍ لها استمرارٌ ودوامٌ ؛ نحوُ صارَ زيدٌ أسداً ، وشجاعاً ، ويصنعُ المعروفَ ، وهٰذا هوَ المانعُ مِنْ وقوعِهِ خبراً لأفعالِ الاستمرارِ

وكذٰلكَ لا يقعُ خبراً لـ (ما دامَ) إلَّا إذا كانَ ذا أثرٍ مُستمِرٍّ ؛ نحوُ واجبٌ عليكَ أن تفعلَ كيتَ وكيتَ ما دمتَ أعطيتَ بِهِ عهدَكَ والتزمتَ فعلَهُ

وفيما عدا ذٰلكَ يقعُ خبراً ؛ لتحقيقِ الحصولِ أوِ الدلالةِ علىٰ تقادمِهِ ؛ فتقولُ

كانَ زيدٌ قائماً ، وأصلُهُ زيدٌ قائمٌ

وكانَ الزيدانِ قائمَينِ ، وأصلُهُ الزيدانِ قائمانِ

وكانَ الزيدونَ قائمينَ ، وأصلُهُ الزيدونَ قائمونَ

وكانَ أن تصوموا رمضانَ خيراً ، والأصلُ أن تصوموا رمضانَ خيرٌ ؛ علىٰ تأويلِ صومُكم رمضانَ خيرٌ

وكانَ ما تَحفظُ العِلْمَ حسناً ، وأصلُهُ : ما تَحفظُ العِلْمَ حسنٌ ؛ علىٰ تأويلِ حفظُكَ العِلْمَ حسنٌ

وكانَ اللهُ أحدٌ ، والأصلُ هوَ اللهُ أحدٌ ، علىٰ أنَّ المبتدأ ضميرُ الشأنِ مُفسَّراً بالجملةِ بعدَهُ

وأضحيتُ وأمسيتُ مُرشِداً ، والأصلُ أنا مُرشِدٌ ، فحينَ دخلَ العاملُ

عليهِ   جئتَ بضميرِ الرفعِ المتصلِ بدلَ ضميرِ الرفعِ المنفصلِ ؛ إذ لا يَصِحُّ الفصلُ معَ إمكانِ الوصلِ ، وكذٰلكَ بقيَّةُ الضَّمائرِ ، ومعَ الاتصالِ يَستتِرُ

وليسَ لهُ لفظٌ في كانَ وكانَتْ ويكونُ ، وهندٌ تكونُ ، وأكونُ ، ونكونُ ، وتكونُ ، وكُنْ ، وكانَ زيدٌ يقومُ أبوهُ ، وكانَ زيدٌ أبوهُ قائمٌ

وقالَ زهيرٌ[1]   [من الطويل]

وَكَانَ طَوَىٰ كَشْحاً عَلَىٰ مُسْتَكِنَّةٍ   فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ

وقالَ آخَرُ[2]   [من الطويل]

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً   عَشِيَّةَ لَاقَيْنَا جُذَامَ وَحِمْيَرَا

في الخبرِ الجملةِ ، وكانَ زيدٌ في الدارِ ، وكانَ زيدٌ عندَكَ ، في الخبرِ المُحتمِلِ أن يكونَ جملةً ، وأن يكونَ مفرداً

واعلمْ   أنَّ تركيبَ (كنتُ أفعلُ) و(أكونُ أفعلُ) و(كُنِ افعلْ) وهوَ نادرٌ   للدلالةِ علىٰ تكرُّرِ الفعلِ ، والتحاقِهِ بالعاداتِ ، أمراً بذٰلكَ أو إخباراً عنهُ

وطريقُ ذٰلكَ   أنَّ الفعلَ القابلَ للاستمرارِ حينَ يُعلَّقُ بالكونِ المُستمِرِّ يَدُلُّ علىٰ إرادةِ الاستمرارِ ، فمعنىٰ قولِ الشاعرِ[3]   [من البسيط]

قَدْ كُنْتُ أَحْجُو أَبَا عَمْرٍو أَخَا ثِقَةٍ   حَتَّىٰ أَلَمَّتْ بِنَا يَوْماً مُلِمَّاتُ

أنَّ حِسْبانَهُ أُخوَّةَ أبي عمرٍو وصداقتَهُ   أمرٌ مُستمِرٌّ إلىٰ أن أظهرَتِ الشِّدَّةُ

---

(١) انظر « شرح شعر زهير » لثعلب (ص ٢٩)

(٢) هو زفر بن الحارث ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (١/٧٩)

(٣) هو أبو شبل الأعرابي ، كما في « معجم الأدباء » (٢/٣٨٦)

فسادَ طويَّتِهِ وتمويهَ أُخوَّتِهِ ، ومعنىٰ قولِ الآخَرِ [١] [من الوافر]

وَكُـونِـي بِـٱلْـمَـكَـارِمِ ذَكِّـرِيـنِـي

ليكنْ تذكيرُكِ إيَّايَ بالمكارمِ فعلاً مُستمِرّاً وعادةً دائمةً ، ولو قالَ لها ذكِّريني لكفىٰ ؛ لامتثالِ أمرِهِ التذكيرَ مَرَّةً واحدةً ، وتقولُ إن دامَ هٰذا الطالبُ كما أرىٰ في الاجتهادِ وتَحفُّظِ الأحكامِ الأصليةِ فسيكونُ يَفهَمُ في عَويصاتِ المسائلِ

وخبرُ (كانَ) لكونِهِ أحدَ المنصوباتِ التي ستقفُ علىٰ عددِها عندَ مرورِ أبوابِها عليكَ يكونُ تارةً ضميراً مِنْ ضمائرِ النصبِ المنفصلةِ ، التي هيَ إيَّايَ وإيَّاكَ وإيَّاهُ وفروعُها ، وتارةً ضميراً مِنَ الضَّمائرِ المتصلةِ المُشترَكةِ بينَ النصبِ والخفضِ ، قالَ الشاعرُ [٢] [من الطويل]

بِبَذْلٍ وَحِلْـمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ ٱلْفَتَىٰ وَكَـوْنُـكَ إِيَّـاهُ عَـلَـيْـكَ يَـسِـيـرُ

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لعمرَ حينَ هَمَّ بقتلِ ابنِ صائدٍ الذي ظهرَ في عهدِ الرسالةِ مِنَ اليهودِ علىٰ صورةِ المسيخِ الدجَّالِ الذي أنذرَتْهُ الأنبياءُ أُمَمَها ، وكانَ يَتحدَّثُ ببعضِ المُغيَّباتِ « إنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ » [٣] ، ولا تدخلُ هٰذهِ الأفعالُ علىٰ جملٍ يجبُ حذفُ مبتدآتِها ، ولا علىٰ مبتدآتٍ ملازمةٍ للابتدائيةِ ؛ نحوُ : (ما) التعجبيةِ ، ونحوُ سلامٌ عليكَ ، ومبتدآتِ الأمثالِ

ويجوزُ في هٰذا البابِ تقديمُ الأخبارِ على الأسماءِ ، ويجبُ إن كانَ

---

(١) هٰذا صدر بيت ، انظر « خزانة الأدب » (٢٦٦/٩) ، والبيت بتمامه

وَكُـونِـي بِـٱلْـمَـكَـارِمِ ذَكِّـرِيـنِـي وَدُلِّـي دَلَّ مَـاجِـدَةٍ صَـنَـاعِ

(٢) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (٢٧٠/١)

(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٤) ، ومسلم (٢٩٣٠) عن سيدنا عمر رضي الله عنه

معَ الاسمِ ضميرٌ يعودُ علىٰ شيءٍ في الخبرِ ، أوِ اقترنَ بـ (إلَّا) لفظاً أو تقديراً ، أو كانَ نكرةً والخبرُ ظرفٌ ، أو كانَ (أنْ) وصلتَها ، ويَمتنِعُ إذا كانَ مقصوراً عليهِ

ويجوزُ تقديمُ الأخبارِ علىٰ أنفسِ الأفعالِ ، إلَّا (دامَ) و(زالَ) وصواحبَها ؛ لامتناعِ الفصلِ بينَ هـٰذه الأفعالِ والأدواتِ التي يلزمُ أن تكونَ معَها ، وإلَّا (ليسَ) على الأفصحِ ، **ويَمتنِعُ تقديمُها علىٰ (ما) النافيةِ وحدَها ، أو معَ هـٰذهِ الأفعالِ ، ويجبُ تقديمُها إن كانَتْ مِنَ المُتصدِّراتِ**

ويَمتنِعُ تقديمُ الأسماءِ على الأفعالِ ، كما يَمتنِعُ الفصلُ بينَهُما بغيرِ الظرفِ والجارِّ والمجرورِ مِنْ معمولاتِ الخبرِ

واختصَّتْ (كانَ) بورودِها زائدةً لا يُفادُ بها غيرُ التوكيدِ ، ومُلغاةً لإفادةِ الزمنِ بلا عملٍ

فالأُولىٰ كقولِ الشاعرِ [من الوافر]

سَرَاةُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ تَسَامَىٰ عَلَىٰ ـ كَانَ ـ ٱلْمُسَوَّمَةِ ٱلْجِيَادِ

والثانيةُ نحوُ قولِكَ ما كانَ أصحَّ عِلْمَ مَنْ تَقدَّمَ ، ولا أرىٰ مُوجِباً لإلغائِها في مثلِ هـٰذا ، ويكونُ اسمُها ضميراً عائداً علىٰ (ما) ، والجملةُ بعدُ خبرٌ ، والتعجُّبُ مِنَ الأمورِ الماضيةِ ، وفي مثلِ ما أحسنَ تقريرَكَ وأقوى اجتهادَكَ مِنَ الأمورِ الحاضرةِ

واختصَّتْ (كانَ) أيضاً بجوازِ حذفِها معَ اسمِها ويبقىٰ خبرُها ، وهوَ جيِّدٌ ، أو معَ خبرِها ، وهوَ رديءٌ

واشتَهرَ الحذفُ معَ (لو) ومعَ (إنْ) ، كقولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ « ٱلْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَماً مِنْ حَدِيدٍ »[١] ؛ أي ولو كانَ المُلتمَسُ خاتَماً ، وكقولِهِ « لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ »[٢] ؛ أي ولو كانَتِ الهديَّةُ فِرسنَ وكقولِ الشاعرِ[٣] [من البسيط]

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صِدْقاً وَإِنْ كَذِباً فَمَا ٱعْتِذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلَا

ومنهُ العبارةُ ذاتُ الأوجهِ ؛ كقولِهِ كلُّ امرئٍ مَجزيٌّ بعملِهِ ؛ إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرّاً . فشرٌّ ؛ أي إن كانَ عملُهُ خيراً . فجزاؤُهُ خيرٌ ، وهوَ أرجحُ الأوجهِ

والثاني ـ وهوَ رديئُها ـ : رفعُ الأوَّلِ ونصبُ الثاني ؛ أي إن كانَ في عملِهِ خيرٌ فهوَ يُجزىٰ خيراً ، وكانَ رديئاً ؛ لأنَّ فيهِ حذفَ الخبرِ معَ (كانَ) ، وكثرةَ الحذفِ مِنَ الجزاءِ ، ولأنَّ فيهِ ضَعفاً بحَسَبِ المعنىٰ ؛ لأنَّ الغرض إن كانَ عملُهُ خيراً ، لا إن كانَ بعضُهُ وبعضُهُ

ورفعُهُما يلي الرديءَ ، ونصبُهُما يلي الجيدَ ، وإنَّما يجوزُ رفعُ الأوَّلِ حيثُ يمكنُ تقديرُ الخبرِ ، وإلَّا وجبَ النصبُ ؛ نحوُ أنا ماضٍ معَ زيدٍ إلىٰ مَقصِدِهِ ؛ إن راكباً فراكبٌ ، وإن ماشياً فماشٍ

[المقامةُ النحويةُ للحريريِّ]

وعلىٰ هٰذهِ المسألةِ بنىٰ أبو محمدٍ الحريريُّ مَقامتَهُ الرابعةَ والعشرينَ ، الموسومةَ بـ (المَقامةِ النحويةِ)[٤] ، ورأيتُ إيرادَها في هٰذا الموضعِ ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٢١) ، ومسلم (١٤٢٥) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) ، ومسلم (١٠٣٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) انظر « محاضرات الأدباء » (٣/٥٧٢)

(٤) وسمَّاها مؤلفها : المقامة القطيعية

مُلتمِساً مِنَ الطَّلَبةِ أن يُنعِموا أنظارَهُم في كيفيةِ سياقِها ، وتحيُّلِ البلغاءِ علىٰ إيرادِ المسائلِ العلميَّةِ في الأساليبِ الأدبيَّةِ ؛ عسىٰ أن يَلمَحوا الغايةَ التي لها يسعىٰ مَنْ يَكُدُّ نفسَهُ ويَتحاملُ علىٰ قُواهُ ، ويَصرِفُ مِنْ نفيسِ عمرِهِ في تَعلُّمِ الفنونِ المُتعلِّقةِ باللغةِ العربيةِ ؛ وهيَ [1]

(حكى الحارثُ بنُ همَّامٍ قالَ عاشرتُ بقَطِيعةِ الرَّبيعِ ، في إبَّانِ الرَّبيعِ ، فتيةً وجوهُهُم أبلجُ مِنْ أنوارِهِ ، وأخلاقُهُم أبهجُ مِنْ أزهارِهِ ، وألفاظُهُم أرقُّ مِنْ نسيمِ أسحارِهِ ، فاجتليتُ منهُم ما يُزرِي على الربيعِ الزاهرِ ، ويغني عن رَنَّاتِ المزاهرِ ، وكنَّا تقاسمنا علىٰ حفظِ الودادِ ، وحظرِ الاستبدادِ ، وألَّا يَتفرَّدَ أحدُنا بالتذاذٍ ، ولا يَستأثرَ ولو برَذاذٍ

فأجمعنا في يومٍ سما دَجْنُهُ ، ونما حُسنُهُ ، وحكَمَ بالاصطباحِ مُزنُهُ علىٰ أن نلتهيَ بالخروجِ ، إلىٰ بعضِ المروجِ ؛ لنُسرِّحَ النواظرَ ، في الرياضِ النواضرِ ، ونَصقُلَ الخواطرَ ، بشيمِ المواطرِ ، فبرزنا ونحنُ كالشُّهورِ عِدَّةً ، وكنَدْمانَيْ جَذِيمةَ مَودَّةً ، إلىٰ حديقةٍ أخذَتْ زُخْرُفَها وازَّيَّنَتْ ، وتَنوَّعَتْ أزاهيرُها وتَلوَّنَتْ ، ومعَنا الكُمَيْتُ الشَّمُوسُ ، والسُّقاةُ الشُّموسُ ، والشادي الذي يُطرِبُ السامعَ ويُلهيهِ ، ويَقْري كلَّ سمعٍ ما يَشتهيهِ

فلمَّا اطمأنَّ بنا الجلوسُ ، ودارَتْ علينا الكُؤوسُ وَغَلَ علينا ذِمْرٌ [2] ، عليهِ طِمْرٌ ، فتَجهَّمناهُ تَجهُّمَ الغِيدِ الشِّيبَ ، ووجدنا صفوَ يومِنا قد شِيبَ ، إلَّا أنَّهُ سَلَّمَ تسليمَ أُولي الفهمِ ، وجلسَ يَفُضُّ لطائمَ النثرِ والنظمِ [3] ، ونحنُ

(١) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٦٩) ، وسيأتي المصنف بملحق فيه شرح بعض ألفاظها وأخبارها ، ونقل الفصل الشارح لأحاجيها وألغازها

(٢) يعني دخل علينا رجل شجاع

(٣) اللطائم جمع لطيمة ؛ وهي وعاءُ العطر ، أو المسكُ

ننزوي مِنِ انبساطِهِ ، وننبري لِطَيِّ بساطِهِ ، إلىٰ أن غَنَّىٰ شادينا المُغْرِبُ ، ومُغرِّدُنا المُطرِبُ [من الوافر]

إلَامَ سُعَادُ لَا تَصِلِينَ حَبْلِي ... وَلَا تَأْوِينَ لِي مِمَّا أُلَاقِي
صَبَرْتُ عَلَيْكِ حَتَّىٰ عِيلَ صَبْرِي ... وَكَادَتْ تَبْلُغُ ٱلرُّوحُ ٱلتَّرَاقِي
وَهَاأَنَا قَدْ عَزَمْتُ عَلَى ٱنْتِصَافِ ... أُسَاقِي فِيهِ خِلِّي مَا يُسَاقِي
فَإِنْ وَصْلاً أَلَذُّ بِهِ فَوَصْلٌ ... وَإِنْ صَرْماً فَصَرْمٌ كَٱلطَّلَاقِ

قالَ فاستفهمنا العابثَ بالمثاني[1] ، لِمَ نصبَ الوصلَ الأوَّلَ ورفعَ الثانيَ ؟ فأقسمَ بتربةِ أبوَيهِ ؛ لقد نطقَ بما اختارَهُ سيبويهِ ، فتشعَّبَتْ حينَئذٍ آراءُ الجمعِ ، في تجويزِ النصبِ والرفعِ ؛ فقالَتْ فِرقةٌ رفعُهُما هوَ الصوابُ ، وقالَتْ طائفةٌ لا يجوزُ فيهما إلَّا الانتصابُ ، واستبهمَ علىٰ آخَرينَ الجوابُ ، واستعرَ بينَهُمُ الاصطخابُ ، وذٰلكَ الواغلُ يُبدِي ابتسامَ ذي معرفةٍ ، وإن لم يَفُهْ ببنتِ شفةٍ ، حتَّىٰ إذا سكنَتِ الزَّماجرُ ، وصمتَ المزجورُ والزاجرُ قالَ يا قومِ ؛ أنا أُنبِّئُكم بتأويلِهِ ، وأُميِّزُ صحيحَ القولِ مِنْ [عليلِهِ] ؛ إنَّهُ لَيجوزُ رفعُ الوصلَينِ ونصبُهُما ، والمغايرةُ في الإعرابِ بينَهُما ؛ وذٰلكَ بحَسَبِ اختلافِ الإضمارِ ، وتقديرِ المحذوفِ في هٰذا المضمارِ .

قالَ : ففرَطَ مِنَ الجماعةِ إفراطٌ في مماراتِهِ ، وانخراطٌ إلىٰ مباراتِهِ ، فقالَ أمَّا إذا دعوتُمْ نَزَالِ ، وتَلبَّبتُم للنِّضالِ فما كلمةٌ هيَ إنْ شئتُم حرفٌ محبوبٌ ، أوِ اسمٌ لِمَا فيهِ حرفٌ حَلُوبٌ ؟

وأيُّ اسمٍ يَتردَّدُ بينَ فردٍ حازمٍ ، وجمعٍ ملازمٍ ؟

وأيَّةُ هاءٍ إذا التحقَتْ أماطَتِ الثقلَ ، وأطلقَتِ المُعتقَلَ ؟

---

(١) أراد أوتار العود ؛ لكونها مثنىٰ مثنىٰ

وأينَ تَدخُلُ السينُ فتَعزِلُ العاملَ ، مِنْ غيرِ أن تجاملَ ؟

وما منصوبٌ أبداً على الظَّرفِ ، لا يَخفِضُهُ سوىٰ حرفٍ ؟

وأيُّ مضافٍ أخلَّ مِنْ عُرَا الإضافةِ بعُروةٍ ، واختلفَ حكمُهُ بينَ مساءٍ وغُدْوةٍ ؟

وما العاملُ الذي يَتصِلُ آخِرُهُ بأوَّلِهِ ، ويَعملُ معكوسُهُ مثلَ عملِهِ ؟

وأيُّ عاملٍ نائبُهُ أرحبُ منهُ وَكراً ، وأعظمُ مكراً ، وأكثرُ للهِ تعالىٰ ذِكراً ؟

وفي أيِّ موطنٍ تَلبَسُ الذُّكرانُ ، براقعَ النِّسوانِ ، وتَبرُزُ ربَّاتُ الحِجالِ ، بعمائمِ الرجالِ ؟

وأينَ يجبُ حفظُ المراتبِ ، على المضروبِ والضَّاربِ ؟

وما اسمٌ لا يُعرَّفُ إلَّا باستضافةِ كلمتَينِ ، أوِ الاقتصارِ منهُ علىٰ حرفَينِ ، وفي وضعِهِ الأوَّلِ التزامٌ ، وفي الثاني إلزامٌ ؟

وما وصفٌ إذا أُردِفَ بالنونِ نَقَصَ صاحبُهُ في العُيونِ ، وقُوِّمَ بالدُّونِ ، وخرجَ مِنَ الزَّبونِ ، وتَعرَّض للهُونِ ؟

فهٰذهِ ثنتا عشرةَ مسألةً وَفْقَ عددِكُم ، وزنةَ لَدَدِكُم ، ولو زدتُم زدنا ، وإن عُدتُم عُدنا

قالَ المُخبِرُ بهٰذهِ الحكايةِ : فوردَ علينا مِنْ أحاجيهِ التي هالَتْ لمَّا انهالَتْ ، ما حارَتْ لهُ الأفكارُ وحالَتْ ، فلمَّا أعجَزَنا العَومُ في بحرِهِ ، واستسلمَتْ تمائمُنا لسحرِهِ عدلنا مِنِ استثقالِ الرؤيةِ لهُ ، إلى استنزالِ الروايةِ عنهُ ، ومِنْ بغيِ التبرُّمِ بهِ ، إلى ابتغاءِ التعلُّمِ منهُ

فقالَ والذي نَزَّلَ النحوَ في الكلامِ ، مَنزِلةَ المِلحِ في الطَّعامِ ، وحجبَهُ عن بصائرِ الطَّغامِ ؛ لا أنلتُكُم مراماً ، ولا شَفَيتُ لكُم غراماً ، أو تُخوِّلَني كلُّ يدٍ ،

ويَختصَّني كلٌّ منكم بيدٍ ، فلم يَبقَ في الجماعةِ إلَّا مَنْ أذعنَ لحكمِهِ ، ونبذَ إليهِ خُبْأةَ كُمِّهِ ، فلمَّا حصلَتْ تحتَ وِكائِهِ أضرمَ شُعلةَ ذكائِهِ ، فكشفَ حينَئذٍ عن أسرارِ ألغازِهِ ، وبدائعِ إعجازِهِ ، ما جلا بهِ صَدَأَ الأذهانِ ، وجَلَّىٰ مَطلَعَهُ بنورِ البُرهانِ

قالَ الراوي فَهِمْنا ، حينَ فَهِمْنا ، وعَجِبْنا ؛ إذ أُجِبْنا ، وندمنا ، علىٰ ما ندَّ منَّا ، وأخذنا نعتذرُ إليهِ اعتذارَ الأكياسِ ، ونَعرِضُ عليهِ ارتضاعَ الكاسِ ، فقالَ مَأْرَبٌ لا حفاوةَ ، ومَشرَبٌ لم يَبقَ لهُ عندي حلاوةٌ ، فأطلنا مراودتَهُ ، ووالينا معاودتَهُ ، فشَمَخَ بأنفِهِ صَلَفاً ، ونأىٰ بجانبِهِ أَنَفاً ، وأنشدَ [من البسيط]

نَهَانِيَ ٱلشَّيْبُ عَمَّا فِيهِ أَفْرَاحِي ... فَكَيْفَ أَجْمَعُ بَيْنَ ٱلرَّاحِ وَٱلرَّاحِ
وَهَلْ يَجُوزُ ٱصْطِبَاحِي مِنْ مُعَتَّقَةٍ ... وَقَدْ أَنَارَ مَشِيبُ ٱلرَّأْسِ إِصْبَاحِي
آلَيْتُ لَا خَامَرَتْنِي ٱلْخَمْرُ مَا عَلِقَتْ ... رُوحِي بِجِسْمِي وَأَلْفَاظِي بِإِفْصَاحِي
وَلَا ٱكْتَسَتْ لِي بِكَاسَاتِ ٱلسُّلَافِ يَدٌ ... وَلَا أَجَلْتُ قِدَاحِي بَيْنَ أَقْدَاحِ
وَلَا صَرَفْتُ إِلَىٰ صِرْفٍ مُشَعْشَعَةٍ ... هَمِّي وَلَا رُحْتُ مُرْتَاحاً إِلَىٰ رَاحِ
وَلَا نَظَمْتُ عَلَىٰ مَشْمُولَةٍ أَبَداً ... شَمْلِي وَلَا ٱخْتَرْتُ نَدْمَاناً سِوَى ٱلصَّاحِي
مَحَا ٱلْمَشِيبُ مِرَاحِي حِينَ خَطَّ عَلَىٰ ... رَأْسِي فَأَبْغِضْ بِهِ مِنْ كَاتِبٍ مَاحِي
وَلَاحَ يَلْحَىٰ عَلَىٰ [جَرْيِ] ٱلْعِنَانَ إِلَىٰ ... مَلْهىً فَسُحْقاً لَهُ مِنْ لَائِحٍ لَاحِي
وَلَوْ لَهَوْتُ وَفَوْدِي شَائِبٌ لَخَبَا ... بَيْنَ ٱلْمَصَابِيحِ مِنْ غَسَّانَ مِصْبَاحِي
قَوْمٌ سَجَايَاهُمُ تَوْقِيرُ ضَيْفِهِمُ ... وَٱلشَّيْبُ ضَيْفٌ لَهُ ٱلتَّوْقِيرُ يَا صَاحِ

ثمَّ إنَّهُ انسابَ انسيابَ الأَيْمِ ، وأجفلَ إجفالَ الغَيمِ ، فعلمتُ أنَّهُ سِراجُ سَرُوجَ ، وبدرُ الأدبِ الذي يَجتابُ البُروجَ ، وكانَ قُصارانا التحرُّقَ لبُعدِهِ ، والتفرُّقَ مِنْ بَعدِهِ

تفسيرُ ما أُودِعَ هـٰذهِ المَقامةَ مِنَ النُّكتِ العربيةِ والأحاجي النحويَّةِ[١]

أمَّا صدرُ البيتِ الأخيرِ مِنَ الأُغنيةِ ، الذي هوَ « فإنْ وصلاً أَلَـذُّ بهِ فوصلٌ » فإنَّهُ نظيرُ قولِهِمُ المرءُ مَجزيٌّ بعملِهِ ؛ إنْ خيراً فخيرٌ ، وإنْ شرّاً فشرٌّ ، وهـٰذهِ المسألةُ أَودعَها سيبويهِ « كتابَهُ » ، وجَوَّزَ في إعرابِها أربعةَ أوجهٍ

أحدُها ـ وهوَ أجودُها ـ أن تَنصبَ « خيراً » الأوَّلَ وترفعَ الثانيَ ، وتَنصبَ « شرّاً » الأوَّلَ وترفعَ الثانيَ ، ويكونُ تقديرُهُ إن كانَ عملُهُ خيراً فجزاؤُهُ خيرٌ ، وإن كانَ عملُهُ شرّاً . فجزاؤُهُ شرٌّ ؛ فتَنصِبُ الأوَّلَ علىٰ أنَّهُ خبرُ « كانَ » ، وترفعُ الثانيَ علىٰ أنَّهُ خبرُ مبتدأ محذوفٍ ، وقد حذفتَ في هـٰذا الوجهِ « كانَ » واسمَها ؛ لدلالةِ حرفِ الشرطِ الذي هو « إن » علىٰ تقديرِهِما ، وحذفتَ أيضاً المبتدأَ ؛ لدلالةِ الفاءِ التي هيَ جوابُ الشرطِ عليهِ ؛ لأنَّهُ كثيراً ما يقعُ بعدَها

والوجهُ الثاني أن تنصبَهُما جميعاً ، ويكونُ تقديرُ الكلامِ إن كانَ عملُهُ خيراً فهوَ يُجزىٰ خيراً ، وإن كانَ عملُهُ شرّاً فهوَ يُجزىٰ شرّاً ؛ فيَنتصِبُ الأوَّلُ علىٰ أنَّهُ خبرُ « كانَ » ، ويَنتصِبُ الثاني انتصابَ المفعولِ بهِ

والوجهُ الثالثُ أن ترفعَهُما جميعاً ، ويكونُ تقديرُ الكلامِ إن كانَ في عملِهِ خيرٌ فجزاؤُهُ خيرٌ ؛ فيَرتفِعُ « خيرٌ » الأوَّلُ علىٰ أنَّهُ اسمُ « كانَ » ، ويَرتفِعُ « خيرٌ » الثاني علىٰ ما بُيِّنَ في شرحِ الوجهِ الأولِ ، وقد يجوزُ أن يَرتفِعَ « خيرٌ » الأوَّلُ علىٰ أنَّهُ فاعلُ « كانَ » ، وتَجعلُ « كانَ » المُقدَّرةَ ها هنا هي التامَّةَ التي تأتي بمعنىٰ حدثَ ووقعَ ، فلا تَحتاجُ إلىٰ خبرٍ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[٢] ، ويكونُ التقديرُ

---

(١) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٧٥)

(٢) سورة البقرة (٢٨٠)

في المسألةِ إن كانَ خيرٌ فجزاؤُهُ خيرٌ ؛ أي إن حدثَ خيرٌ فجزاؤُهُ خيرٌ

والوجهُ الرابعُ ـ وهوَ أضعفُها ـ : أن ترفعَ الأوّلَ علىٰ ما تَقدَّمَ شرحُهُ في الوجهِ الثالثِ ، وتَنصِبَ الثانيَ علىٰ ما بُيّنَ ذكرُهُ في الوجهِ الثاني ، ويكونُ التقديرُ إن كانَ في عملِهِ خيرٌ فهوَ يُجزىٰ خيراً

وعلىٰ حَسَبِ هٰذا التقديرِ والمُقدَّراتِ المحذوفةِ فيه يَجري إعرابُ البيتِ الذي غُنِّيَ بهِ ، وممَّا يَنتظِمُ في هٰذا السِّلكِ قولُهُمْ المرءُ مقتولٌ بما قَتلَ بهِ ؛ إنْ سيفاً فسيفٌ ، وإنْ خَنْجَراً فخَنْجَرٌ[1]



وأمَّا الكلمةُ التي هيَ حرفٌ محبوبٌ ، أوِ اسمٌ لِمَا فيهِ حرفٌ حَلُوبٌ

فهيَ « نعمْ » إن أردتَ بها تصديقَ الأخبارِ ، أوِ العِدةَ عندَ السؤالِ فهيَ حرفٌ ، وإن عنيتَ بها الإبلَ فهيَ اسمٌ

والنَّعَمُ تُذكَّرُ وتُؤنَّثُ ، ويُطلَقُ على الإبلِ وعلىٰ كلِّ ماشيةٍ فيها إبلٌ ، وفي الإبلِ الحَرْفُ ؛ وهيَ الناقةُ الضَّامرةُ ، سُمّيَتْ حَرْفاً ؛ تشبيهاً لها بحَرْفِ السيفِ ، وقيلَ إنَّها الضَّخمةُ ؛ تشبيهاً لها بحَرْفِ الجبلِ



وأمَّا الاسمُ المُتردِّدُ بينَ فردٍ حازمٍ وجمعٍ ملازمٍ فهوَ « سراويلُ » قالَ بعضُهُم هوَ واحدٌ ، وجمعُهُ سراويلاتٌ ، فعلىٰ هٰذا القولِ هوَ فردٌ ، وكنَّىٰ عن ضمِّهِ الخصرَ بأنَّهُ حازمٌ

وقالَ آخرونَ بل هوَ جمعٌ ، واحدُهُ سِرْوالٌ ؛ مثلُ شِمْلالٍ وشماليلَ ،

(١) انظر « الكتاب » لسيبويه (١/٢٥٨)

وسِربالٍ وسرابيلَ ، فهوَ علىٰ هـٰذا القولِ جمعٌ ، ومعنىٰ قولِهِ « ملازمٌ » ؛ أي لا يَنصرِفُ ، وإنَّما لم يَنصرِفْ هـٰذا النوعُ مِنَ الجمعِ ؛ وهوَ كلُّ جمعٍ ثالثُهُ أَلِفٌ وبعدَها حرفٌ مُشدَّدٌ أو حرفانِ أو ثلاثةٌ أوسطُها ساكنٌ . [لثقلِهِ] وتفرُّدِهِ دونَ غيرِهِ مِنَ الجموعِ بأنَّهُ لا نظيرَ لهُ في الأسماءِ الآحادِ [1]

وأمَّا الهاءُ التي إذا التحقَتْ أماطَتِ الثِّقلَ ، وأطلقَتِ المُعتقَلَ فهيَ الهاءُ اللَّاحقةُ بالجمعِ المُقدَّمِ ذكرُهُ ؛ كقولِكَ صيارفةٌ وصياقلةٌ ، فيَنصرِفُ هـٰذا الجمعُ عندَ التحاقِ الهاءِ بهِ ؛ لأنَّها قد أصارَتْهُ إلىٰ أمثالِ الآحادِ ؛ نحوُ رفاهيةٍ وكراهيةٍ ، فخَفَّ بهـٰذا السببِ ، وصُرِفَ لهـٰذهِ العِلَّةِ ، وقد كَنَّىٰ في هـٰذهِ الأُحجيةِ عمَّا لا يَنصرِفُ بالمُعتقَلِ ، كما كَنَّىٰ في التي قبلَها عمَّا لا يَنصرِفُ بالملازمِ

وأمَّا السِّينُ التي تَعزِلُ العاملَ مِنْ غيرِ أن تجاملَ فهيَ التي تَدخُلُ على الفعلِ المُستقبَلِ ، وتَفصِلُ بينَهُ وبينَ « أنْ » التي كانَتْ قبلَ دخولِها مِنْ أدواتِ النصبِ ، فيَرتفِعُ حينَئذٍ الفعلُ ، وتَنتقِلُ « أنْ » عن كونِها الناصبةَ للفعلِ إلىٰ [أن] تصيرَ المُخفَّفةَ مِنَ الثقيلةِ ؛ وذٰلكَ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ [2] ، وتقديرُهُ علمَ أنَّهُ سيكونُ

وأمَّا المنصوبُ على الظَّرفِ ، الذي لا يَخفِضُهُ سوىٰ حرفٍ فهوَ « عندَ »

---

(١) زاد في « المقامات » (ص ١٧٧) (وقد كنَّىٰ في هـٰذه الأحجية عما لا ينصرف بالملازم ، كما كنَّىٰ في التي قبلها عمَّا ينصرف باللازم)

(٢) سورة المزمل (٢٠)

إذ لا يَجرُّهُ غيرُ « مِنْ » خاصَّةً ، وقولُ العامَّةِ ذهبتُ إلىٰ عندِهِ لحنٌ

وأمَّا المُضافُ الذي أخلَّ مِنْ عُرَا الإضافةِ بعُروةٍ ، واختلفَ حكمُهُ بينَ مساءٍ وغُدْوةٍ فهوَ « لدنْ » ولدنْ مِنَ الأسماءِ الملازمةِ للإضافةِ ، وكلُّ ما يأتي بعدَها مجرورٌ بها إلَّا غُدْوةً ؛ فإنَّ العربَ نصبَتْها بـ « لدنْ » لكثرةِ استعمالِهِم إيَّاها في الكلامِ ، ثم نوَّنَتْها أيضاً ليَتبيَّنَ بذٰلكَ أنَّها منصوبةٌ ، لا أنَّها مِنْ نوعِ المجروراتِ التي لا تَنصرِفُ

وعندَ بعضِ النحويينَ أنَّ « لدنْ » بمعنىٰ « عندَ » والصحيحُ أنَّ بينَهُما فرقاً لطيفاً ؛ وهوَ أنَّ « عندَ » يشتملُ معناها علىٰ ما هوَ في مِلكِكَ ومُكْنَتِكَ ممَّا دنا منكَ وبَعُدَ عنكَ ، و« لدنْ » يَختصُّ معناها بما حضرَكَ وقرُبَ منكَ

وأمَّا العاملُ الذي يَتَّصِلُ آخِرُهُ بأوَّلِهِ ، ويَعملُ معكوسُهُ مثلَ عملِهِ فهوَ « يا » ، ومعكوسُها : « أيْ » ، وكلتاهُما مِنْ حروفِ النداءِ ، وعملُهُما في الاسمِ المُنادىٰ سِيَّانِ ، وإن كانَتْ « يا » أجولَ في الكلامِ ، وأكثرَ في الاستعمالِ ، وقدِ اختارَ بعضُهُم أن يُنادىٰ بـ « أي » القريبُ فقطْ كالهمزةِ

وأمَّا العاملُ الذي نائبُهُ أرحبُ منهُ وَكْراً ، وأعظمُ مَكْراً ، وأكثرُ للهِ تعالىٰ ذِكراً فهوَ باءُ القسمِ ، وهٰذهِ الباءُ هيَ أصلُ حروفِ القسمِ ؛ بدلالةِ استعمالِها معَ ظهورِ فعلِ القسمِ في قولِكَ أقسمُ باللهِ ، ولدخولِها أيضاً على المضمرِ ؛ كقولِكَ بِكَ لأفعلَنَّ ، وإنَّما أُبدِلَتِ الواوُ منها في القسمِ ؛ لأنَّهُما جميعاً مِنْ حروفِ الشَّفَةِ ، ثمَّ لتقاربِ معنيَيْهِما ، لأنَّ الواوَ تفيدُ الجمعَ والباءَ

تفيدُ الإلصاقَ ، والمعنيانِ متقاربانِ ، ثمَّ صارَتِ الواوُ المبدلةُ مِنَ الباءِ أدورَ في الكلامِ ، وأعلقَ بالإقسامِ ، ولهٰذا ألغزَ بأنَّها أكثرُ للهِ تعالىٰ ذِكراً ، ثمَّ إنَّ الواوَ أكثرُ موطناً مِنَ الباءِ ؛ لأنَّ الباءَ لا تَدخُلُ إلَّا على الاسمِ ، ولا تَعملُ غيرَ الجرِّ ، والواوُ تَدخُلُ على الاسمِ والفعلِ والحرفِ ، وتَجُرُّ تارةً بالقسمِ ، وتارةً بإضمارِ رُبَّ ، وتَنتظِمُ أيضاً معَ نواصبِ الفعلِ وأدواتِ العطفِ ، فلهٰذا وصفَها برَحْبِ الوَكْرِ ، وعِظَمِ المَكْرِ

وأمَّا الموطنُ الذي يَلبَسُ فيهِ الذُّكرانُ براقعَ النِّسوانِ ، وتَبرُزُ فيهِ ربّاتُ الحِجالِ بعمائمِ الرِّجالِ فهوَ أوَّلُ مراتبِ العددِ المُضافِ ، وذٰلكَ ما بينَ الثلاثةِ إلى العشرةِ ؛ فإنَّهُ يكونُ معَ المُذكَّرِ بالهاءِ ، ومعَ المُؤنَّثِ بحذفِها ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ ﴾[1] ، والهاءُ في غيرِ هٰذا الموطنِ مِنْ خصائصِ المُؤنَّثِ ؛ كقولِكَ قائمٌ وقائمةٌ ، وعالمٌ وعالمةٌ ، فقد رأيتَ كيفَ انعكسَ في هٰذا الموضعِ حكمُ المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ ، حتى انقلبَ كلٌّ منهُما في ضدِّ قالَبِهِ ، وبَرَزَ في بِزَّةِ صاحبِهِ

وأمَّا الموضعُ الذي يجبُ فيهِ حفظُ المراتبِ على المضروبِ والضاربِ فهوَ حيثُ يَشتبِهُ الفاعلُ بالمفعولِ ؛ لتعذُّرِ ظهورِ علامةِ الإعرابِ فيهِما ، وذٰلكَ إذا كانا مقصورَينِ ؛ مثلُ موسىٰ وعيسىٰ ، أو مِنْ أسماءِ الإشارةِ ؛ نحوُ ذاكَ وهٰذا ، فيجبُ حينَئذٍ لإزالةِ اللَّبسِ إقرارُ كلٍّ منهُما في رتبتِهِ ؛ ليُعرَفَ الفاعلُ منهُما بتقدُّمِهِ والمفعولُ بتأخُّرِهِ

---

(١) سورة الحاقة (٧)

وأمَّا الاسمُ الذي لا يُفهَمُ إلَّا باستضافةِ كلمتَينِ أوِ الاقتصارِ منهُ علىٰ حرفَينِ فهوَ « مهما » ، وفيها قولانِ

أحدُهُما أنَّها مُركَّبةٌ مِنْ « مَهْ » التي هيَ بمعنى اكفف ، ومِنْ « ما »

والقولُ الثاني ـ وهوَ الصحيحُ ـ أنَّ الأصلَ فيها « ما » فزيدَتْ عليها « ما » أخرىٰ ، كما تزادُ « ما » علىٰ « أنَّ » ، فصارَ لفظُها « ماما » ، فثَقُلَ عليهِم توالي كلمتَينِ بلفظٍ واحدٍ ، فأبدلوا مِنْ أَلِفِ « ما » الأُولىٰ هاءً ، فصارتا « مهما »

ومهما مِنْ أدواتِ الشرطِ ، ومتىٰ لفظتَ بها لم يَتِمَّ الكلامُ ولا عُقِلَ المعنىٰ إلَّا بإيرادِ كلمتَينِ بعدَها ؛ كقولِكَ مهما تَفعلْ أفعلْ ، وتكونُ حينَئذٍ مُلتزِماً للفعلِ ، وإنِ اقتصرتَ منها علىٰ حرفَينِ ؛ وهما « مَهْ » التي بمعنى اكففْ فُهِمَ المعنىٰ ، وكنتَ مُلزِماً مَنْ خاطبتَهُ أن يَكُفَّ

وأمَّا الوصفُ الذي إذا أُردِفَ بالنونِ نَقَص صاحبُهُ في العيونِ ، وقُوِّمَ بالدُّونِ ، وخرجَ مِنَ الزَّبونِ ، وتَعرَّض للهُونِ فهوَ « ضيفٌ » إذا لحِقَتْهُ النونُ استحالَ إلىٰ « ضَيْفَنٍ » وهوَ الذي يَتبعُ الضَّيفَ ، ويَتنزَّلُ في النقدِ منزلةَ الزَّيفِ)[١]

[خبرُ ندمانَي جَذيمةَ الأبرشِ]

وحيثُ أوردنا هٰذهِ المَقامةَ طلباً لتلكَ الفائدةِ فمِنَ اللَّازمِ لإتمامِها أن نُلمِّحَ بكيفيةِ شرحِها ، ونذكرَ ما إليهِ أشارَ الحريريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ مِنْ قِصَّةِ نَدْمانَيْ جَذِيمةَ ، وما يَحسُنُ إلحاقُهُ بحفظِها ممَّا يكونُ حِلْيةً مِنْ حُلِيِّ الرجالِ العُلماءِ ، فنقولُ

---

(١) إلىٰ هنا ينتهي النقل عن العلامة الحريري من « مقاماته » (ص ١٦٩ ـ ١٨١)

المعاشرةُ المخالطةُ ، واشتقاقُهُ مِنْ لفظِ العشرةِ ؛ آخِرِ أُولىٰ مراتبِ العددِ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ كانَ مِنْ عاداتِ العربِ أنَّ القومَ الذينَ يَجتمعونَ في معيشةٍ أن يَجلسوا على الجِفانِ عشرةً عشرةً ؛ يُقالُ عَشَرْتُ القومَ ؛ مِنْ بابِ نصرَ ؛ أي كمَّلتُهُم عشرةً بكوني معَهُم ، كما يُقالُ تَسَعْتُهُم وثَمَنْتُهُم إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، ومنهُ جاءَتِ المفاعلةُ والتفاعلُ

وقَطِيعةُ الرَّبيعِ ناحيةٌ عندَ غربيةِ بغدادَ ، كانَ أقطعَها أبو جعفرٍ المنصورُ ثاني الخلفاءِ مِنْ بني العبَّاسِ وزيرَهُ أبا الفضلِ الرَّبيعَ ، فبنىٰ فيها ، وبنى الناسُ معَهُ ، فصارَتْ قريةً كبيرةً ، وإليهِ نُسِبَتْ ، يُقالُ أقطعَ السلطانُ بعض رعيَّتِهِ أرض كذا ؛ أي مَلَّكَهُ إيَّاها ليَنتفعَ بها كيفَ شاءَ وتُورَثَ عنهُ دونَ مقابلٍ ، وكانَ الموضعُ المحيطُ بجامعِ أحمدَ بنِ طُولونَ يُسمَّىٰ بالقطائعِ ؛ لأنَّهُ كانَ إذ ذاكَ فضاءً ، فمَلَّكَهُ ذاكَ الوالي لبعضِ الناسِ ، فبنَوا فيهِ ، وصارَ بلداً كما تراهُ في وقتِنا هٰذا مِنَ العِمارةِ الإسماعيليَّةِ

والبَلَجُ الوُضوحُ والظُّهورُ ، ومنهُ [الحقُّ أبلجُ]

والأنوارُ : جمعُ نَوْرٍ بفتحِ النونِ ؛ وهوَ الأبيضُ مِنَ الأزهارِ ، وخُصَّتِ الأزهارُ بغيرِ الأبيضِ

ويُقالُ زرىٰ عليهِ مِنْ بابِ ضربَ ؛ أي عابَهُ ، وأزرىٰ بهِ مِنَ المهموزِ ؛ أي نَقَّصَهُ وكانَ غيرَ لائقٍ بهِ

والمِزْهَرُ كمِنْبَرٍ عُودُ الضَّربِ المُطربِ ، والإجماعُ على الأمرِ العزمُ والتصميمُ

وأمَّا قِصَّةُ جَذِيمةَ ونَدْمانَيهِ ـ واسمُهُما مالكٌ وعَقيلٌ ـ فهيَ أنَّ جَذِيمةَ هٰذا كانَ مَلَكَ أيامَ الطَّوائفِ بشاطئِ الفراتِ وما والاهُ إلى السَّوادِ ستينَ سنةً

قالَ ابنُ الكلبيِّ [١] جَذِيمةُ أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ قُضاعةَ بالحِيرةِ ، وأوَّلُ مَنْ حذا النعالَ ، وأدلجَ مِنَ الملوكِ ، ورُفِعَ لهُ الشمعُ

وكانَ مِنْ أفضلِ ملوكِ العربِ رأياً ، وأظهرِهِم حزماً ، وهوَ أوَّلُ مَنِ استَجمعَ المُلْكُ لهُ بأرضِ العراقِ ، وغزا بالجيوشِ ، وكانَ بهِ بَرَصٌ ، فكَنَّتِ العربُ عنِ البرصِ إعظاماً ، فقالَتْ لهُ جَذِيمةُ الوَضَّاحُ ، وجَذِيمةُ الأبرشُ ، وكانَ غزا طَسْماً وجَدِيساً في منازلِهِم ، فصادفَ حسَّانَ بنَ تُبَّعٍ قد أغارَ عليهِما ، فانصرفَ جَذِيمةُ ، وصادفَتْ خيولُ تُبَّعٍ سَرِيَّةً لهُ ، فقتلوهُم ، فبلغَ الخبرُ جَذِيمةَ ، فقالَ [من المديد]

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عَلَمٍ تَرْفَعَنْ ثَوْبِي شَمَالَاتُ
فِي [فُتُوٍّ أَنَا] كَالِئُهُمْ مِنْ بَلَايَا غَزْوَةٍ مَاتُوا
لَيْتَ شِعْرِي مَا أَمَاتَهُمُ نَحْنُ أَسْرَيْنَا وَهُمْ بَاتُوا [٢]

وكانَ جَذِيمةُ قد تَنبَّأَ وتَكهَّنَ ، واتَّخذَ صنمَينِ ، وسمَّاهُما [الضَّيْزَنَيْنِ] ، ومكانُهُما بالحِيرةِ معروفٌ ، وغزا إياداً بعينِ أباغٍ ، فبعثوا قوماً منهُم سرقوا منهُم [الضّيْزَنَيْنِ] ، وأصبحوا بهِما في إيادٍ ، فأرسلوا إليهِ أنَّ صنَميكَ أصبحا عندَنا ؛ زهداً فيكَ ، ورغبةً فينا ، فأعطنا عهداً ألَّا تغزوَنا ونَرُدُّهُما إليكَ ، ففعلَ [٣]

وكانَ بلغَهُ أنَّ غلاماً مِنْ لخمٍ يُسمَّىٰ عديَّ بنَ نصرٍ مقيمٌ في أخوالِهِ مِنْ إيادٍ ، ولهُ ظَرْفٌ ولبٌّ ، وإنَّهُ لحسنٌ أن يُنادِمَ المَلِكَ ويقومَ بمجلسِهِ ، فاشترطَ علىٰ إيادٍ أن يَبعثوا معَ الصنمَينِ بعديِّ بنِ نصرٍ ، وكانَ لهُ جمالٌ وظَرْفٌ ،

---

(١) انظر « الأغاني » (٥٦٥٨/١٦)

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٦١٣/١)

(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٦١٤/١)

فدفعوهُ إليهِ معَهُما ، فضمَّهُ إلىٰ نفسِهِ ، وكانَ ينادمُهُ ، فتَعشَّقَتْهُ رَقَاشِ أختُ جَذِيمةَ ، فبعثَتْ إليهِ إذا سقيتَ أخي واستنشىٰ فاخطُبْني لكَ ، وأشهِدْ عليهِ ، ففعلَ ، فلمَّا طَرِبَ جَذِيمةُ خطبَها ، فأنعمَ عليهِ ، وأشهدَ عليهِ ، فقالَ لهُ عَرِّسْ بأهلِكَ ، ففعلَ

وأصبحَ علىٰ جَذِيمةَ مُضرَّجاً بالطِّيبِ ، فقالَ لهُ ما هٰذهِ الآثارُ ؟ فقالَ آثارُ العُرْسِ ، قالَ وأيُّ عُرْسٍ ؟ قالَ عُرْسُ رَقَاشِ ، فأكبَّ جَذِيمةُ على الأرضِ ، وفرَّ عديٌّ ، وطلبَهُ جذيمةُ فلم يُدرِكْهُ ، وقيلَ ظَفِرَ بهِ ، وقالَ لرَقَاشِ [من الخفيف]

حَدِّثِينِي رَقَاشِ لَا تَكْذِبِينِي أَبِحُرٍّ زَنَيْتِ أَمْ بِهَجِينِ
أَمْ بِعَبْدٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِعَبْدٍ أَمْ بِدُونٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِدُونِ

فقالَتْ لهُ [من الخفيف]

أَنْتَ زَوَّجْتَنِي وَمَا كُنْتُ أَدْرِي فَأَتَانِي ٱلنِّسَاءُ لِلتَّزْيِينِ
ذَاكَ مِنْ شُرْبِكَ ٱلْمُدَامَةَ صِرْفاً وَتَمَادِيكَ فِي ٱلصِّبَا وَٱلْمُجُونِ

فحبَسَها في قصرِها ، فاشتملَتْ علىٰ حَمْلٍ ، فأتَتْ بغلامٍ ، وسَمَّتْهُ عمراً ، وربَّتْهُ حتىٰ تَرعرعَ ، فجمَّلَتْهُ وأعطرَتْهُ وألبَستْهُ كسوةَ مثلِهِ ، ثمَّ أزارَتْهُ خالَهُ ، فأُعجِبَ بهِ وأُلقِيَتْ عليهِ مَحبَّتُهُ

وخرجَ جَذِيمةُ في سنةٍ قد أكمأَتْ ، وبُسِطَ لهُ في روضةٍ ، وعمرٌو معَ [غِلْمةٍ] يَجتنونَ الكمأةَ ، فكانوا إذا أصابوا كمأةً طيبةً أكلوها ، وإذا أصابَها عمرٌو خبأَها ، ثمَّ أقبلوا يَتعادونَ وعمرٌو يقدمُهم يقولُ [من الرجز]

هَٰذَا جَنَايَ وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَىٰ فِيهِ

فالتزمَهُ جَذِيمةُ وحلَّ منهُ بمكانٍ

ثمَّ إنَّ الجِنَّ استهوَتْهُ ، فطُلِبَ زماناً ، وأرسلَ فيهِ في الآفاقِ ، فلم يَجِدْ لهُ خبراً

ثمَّ إنَّ عمراً أوفىٰ علىٰ مالكٍ وعقيلٍ ابنيْ فارجِ بنِ مالكِ بنِ كعبِ بنِ قيسِ بنِ حميرَ بنِ قضاعةَ وقد نزلا منزلاً ، وهما مُتوجِّهانِ إلىٰ خالِهِ جَذِيمةَ ، ومعَهُما قَينةٌ يُقالُ لها أمُّ عمرٍو ، وهيَ تُغنِّيهِما وتَسقِيهما ، فرأَتْ عمراً وقد تَلبَّدَ شعرُهُ ، وطالَتْ أظفارُهُ ، وساءَتْ حالُهُ ، فاحتقرَتْهُ ، فرمتْ إليهِ بكُراعٍ مِنْ طعامِهِما ، وناولَتْهُما ، وأوكأَتْ زِقَّها ولم تناولْ عمراً شيئاً ، فقالَ لها عمرٌو[1] [من الوافر]

صَـدَدْتِ ٱلْكَـأْسَ عَـنَّـا أُمَّ عَـمْـرٍو   وَكَـانَ ٱلْكَـأْسُ مَـجْـرَاهَـا إِلَـيْـنَـا
وَمَـا شَـرُّ ٱلـثَّـلَاثَـةِ أُمَّ عَـمْـرٍو   بِـصَـاحِـبِـكِ ٱلَّـذِي لَا تَـصْـبَـحِـيـنَـا
فَمَا شَرِبَ ٱلشَّرَابَ كَمِثْلِ عَمْرٍو   وَمَـا نَـالَ ٱلْـمَـكَـارِمَ فَـٱصْـبَـحِـيـنَـا
فَـإِلَّا تُـنْـكِـرِي عَـمْـراً فَـإِنِّـي   أَنَـا ٱبْـنُ عَـدِيَّ حَـقّـاً فَـٱعْـرِفِـيـنَـا
وَخَـالِـي لَا أَبَـا لَـكِ ذُو ٱلْـمَـعَـالِـي   جَـذِيـمَـةُ كَـيْـفَ وَيْـحَـكِ تُـنْـكِـرِيـنَـا

فقالا لهُ مَنْ أنت يا فتىٰ ؟ قال أنا عمرُو بنُ عديٍّ ، فضمَّاهُ إليهِما ، وغسلا رأسَهُ ، وأخذا مِنْ شَعَرِهِ ، وقلَّما أظفارَهُ ، وألبساهُ بعضَ الثيابِ التي كانَتْ معَهُما ، وقالا ما كنَّا نُهدي جَذِيمةَ أنفسَ مِنِ ابنِ أختِهِ ، ثمَّ وردا بهِ علىٰ جَذِيمةَ ، فسُرَّ بهِ سروراً شديداً ، وقالَ لهُما تَمَنَّيا ، فسألاهُ أن يكونا نديمَيهِ ما عاشَ وعاشا ، فنادماهُ أربعينَ سنةً ، ما أعادا عليهِ حديثاً ، فضُرِبَ بهِما المثلُ في تأكيدِ الألفةِ[2]

---

(١) انظر « شرح المعلقات » للتبريزي (ص ٢٥٤) فالبيتان الأوَّلان من معلقة عمرو بن كلثوم
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (١/٦١٦)

وقالَ مُتمِّمُ بنُ نُويرةَ في مالكٍ أخيهِ حينَ قتلَهُ خالدُ بنُ الوليدِ في غزوةِ أهلِ الردَّةِ ، وكانَ مُتمِّمٌ أخوهُ أحدَ الصحابةِ ، ولمَّا قُتِلَ مالكٌ أخوهُ جَزِعَ جَزَعاً شديداً ، وأكثرَ مِنْ قولِ الشعرِ في ذٰلكَ ، وقالَ لهُ يوماً أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ ليتَ أخي زيداً قيلَ في رثائِهِ مثلُ ما تقولُ في مالكٍ أخيكَ ، فقالَ لو علمتُ أنَّ مالكاً ماتَ على الإسلامِ كزيدٍ أخيكَ ما رثيتُهُ ، والبيتانِ الموردانِ في هٰذا الموضعِ مِنْ قصيدةٍ طويلةٍ[1] [من الطويل]

وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ ٱلدَّهْرِ حَتَّىٰ قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكاً ... لِطُولِ ٱجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

وقالَ أبو خراشٍ الهذليُّ يرثي أخاهُ[2] [من الطويل]

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةَ لَاهِياً ... وَذَٰلِكَ رُزْءٌ لَوْ عَلِمْتِ جَلِيلُ

فَلَا تَحْسَبِي أَنْ قَدْ تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ ... وَلَٰكِنَّ صَبْرِي يَا أُمَيْمَ جَمِيلُ

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا ... خَلِيلَا صَفَاءٍ مَالِكٌ وَعَقِيلُ

وغزا جَذِيمةُ عمرَو بنَ الظَّرِبِ بن حسانَ بنِ أُذينةَ [السَّمَيْدَعَ] العِمْلِيقيَّ مِنَ العماليقِ ؛ وهم قومٌ مِنْ حميرَ ، وكانَ ملكَ الجزيرةِ وملكَ الحضرِ ؛ وهيَ مدينةٌ قديمةٌ بينَ دجلةَ والفراتِ ، فهزمَ جَذِيمةُ جيوشَ عمرٍو ، وقتلَهُ وفرَّقَ جموعَهُ ، وقالَ في ذٰلكَ شاعرُهُم[3] [من البسيط]

كَأَنَّ عَمْرَو بْنَ بَرْقَىٰ[4] لَمْ يَكُنْ مَلِكاً ... وَلَمْ تَكُنْ حَوْلَهُ ٱلرَّايَاتُ تَخْتَفِقُ

لَاقَىٰ جَذِيمَةَ فِي شَعْوَاءَ مُشْعَلَةٍ ... فِيهَا حَرَاشِفُ بِٱلنِّيرَانِ تَرْتَشِقُ

---

(١) انظرها في « المفضليات » (ص ٢٦٧)

(٢) انظر « ديوان الهذليين » (١١٦/٢)

(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٦١٨/١)

(٤) في « تاريخ الطبري » (٦١٨/١) (ثربى) بدل (برقى)

[خبرُ جذيمةَ الزباءِ]

فملكَتْ بعدَهُ الزَّبَّاءُ ابنتُهُ ، واسمُها نائلةُ ، قالَ ابنُ الكلبيِّ ولم يكنْ في عصرِ الزَّبَّاءِ أجملُ منها جمالاً ، وأكملُ منها كمالاً ، وكانَ لها شَعَرٌ إذا مشَتْ يَتدلَّىٰ وراءَها ، وإذا نشرَتْهُ جَلَّلَها ، فسُمِّيَتِ الزَّبَّاءَ ؛ لكثرةِ شعرِها ، فجمعَتْ خيلَ أبيهَا ، وغزتْ بالجيوشِ مَنْ حواليها مِنَ الملوكِ ، فذلَّلَتْهُم ، فضُرِبَ بها المثلُ ، فقيلَ أعزُّ مِنَ الزَّبَّاءِ ، واشتَهرَ عنها عُلُوُّ الهِمَّةِ ، وسُمُوُّ القدرةِ ، وقُوَّةُ المَنَعَةِ ، ومَضاءُ العزمِ ، وبذلُ الأموالِ

فلمَّا استحكمَ مِلكُها أرادَتْ أن تَغزوَ جَذِيمةَ لتُدرِكَ فيه ثأرَ أبيها ، فنهتْها أختُها زبيبةُ عن ذٰلكَ ، وقالَتْ لا طاقةَ لكِ بهِ ، ولٰكنِ ابني أمرَكِ فيهِ على المكرِ والحِيَلِ ، فبعثَتْ إلىٰ جَذِيمةَ تَخطُبُهُ علىٰ نفسِها ؛ ليَتصِلَ مِلكُهُ بمِلكِها ، فيصيرا بذٰلكَ أعزَّ الملوكِ ، وكانَ بلغَهُ عن جمالِها ما أطمعَهُ في الظَّفَرِ بها ، فأخبرَ أربابَ دولتِهِ بمخاطبتِها إيَّاهُ ، فكلُّهُم أشارَ عليهِ أن يَتزوجَها ، إلَّا قصيرَ بنَ سعدِ بنِ عمرٍو ، وكانَ لبيباً عاقلاً ، لهُ عزمٌ وحزمٌ ، وكانَ خازنَهُ وعميدَ دولتِهِ ؛ فإنَّهُ قالَ لهُ هٰذا رأيٌ فاترٌ ؛ لأنَّ الزَّبَّاءَ قتلتَ أباها ، والدمُ لا ينامُ ، ولكَ في بناتِ الملوكِ الأَكْفاءِ مُتَّسعٌ ، فقالَ لهُ المَلِكُ إنَّ النَّفْسَ إلىٰ ما تُحِبُّ تَوَّاقةٌ ، وإن كانَ القَدَرُ قد جرىٰ بشيءٍ فلا مَفَرَّ عنهُ

وكتبَتْ إليهِ الزَّبَّاءُ تَطلُبُ منهُ قدومَهُ عليها للنكاحِ ، وقالَتْ لهُ لولا أنَّ السعيَ في مثلِ هٰذا بالرجالِ أجملُ ، ولهُم ألزمُ لسرتُ إليكَ ، وأهدَتْ معَ كتابِها مِنَ العبيدِ والسلاحِ والأموالِ والذهبِ هديَّةً سنيَّةً ، فلمَّا وصلَتْ أبهجَتْهُ ، وحَسِبَ أنَّ ذٰلكَ لفَرْطِ رغبتِها فيهِ ، فشاورَ قومَهُ وابنَ أختِهِ عمراً ، فشجَّعوهُ على المسيرِ إليها ، واستخلفَ عمراً علىٰ ملكِهِ ، وسارَ في خَواصِّهِ ،

حتىٰ نزلوا بالفرضةِ ، فشاورَ خَواصَّهُ وقصيراً في الجملةِ ، فأشاروا عليهِ بالمسيرِ إلَّا قصيراً ، فإنَّهُ قالَ أيُّها المَلِكُ ؛ كلُّ عزمٍ لا يُؤيَّدُ بحزمٍ فآخِرُهُ إلىٰ فسادٍ ، ولولا أنَّ الأمورَ تجري على المقدورِ لعزمتُ على المَلِكِ ألَّا يفعلَ

فقالَ جذيمةُ الرأيُ معَ الجماعةِ ، فقالَ قصيرٌ أرى القَدَرَ سابقَ الحذرَ ، ولا يُطاعُ لقصيرٍ رأيٌ

فلمَّا قَرُبَ مِنْ ديارِها أرسلَ إليها يُعلِمُها بموضعِهِ ، فأظهرَتِ السُّرورَ بهِ ، وأخرجَتْ لهُ هدايا وأنواعاً مِنَ الأطعمةِ والأشربةِ ، فقالَ لقصيرٍ كيفَ ترىٰ ؟ فقالَ قصيرٌ : مَنْ لم يَنظُرْ في العواقبِ . لم يأمنِ المصائبَ ، فاستدركِ الأمرَ قبلَ فوتِهِ وارجعْ ؛ فإنَّ في يديكَ بقيَّةً تَستدرِكُ بها الصَّوابَ ، وإن كنتَ لا بدَّ فاعلاً فإنَّ القومَ إن تَلقَّوْكَ غداً يجيءُ قومٌ ويذهبُ قومٌ ، فالأمرُ في يدَيكَ ، وإن تَلقَّوكَ صفَّينِ ؛ فإذا تَوسَّطتَهُم وأحدقوا بكَ فقد ملكوكَ ، وهـٰذهِ العصا ـ وهيَ فرسٌ لجَذِيمةَ ـ تَسبقُ الطيرَ ، فسأعرضُها لكَ ، فاركبْها لتسلمَ عليها ؛ فإنَّهُ لا يُشَقُّ غبارُها ، فأرسلَها مثلاً

فلمَّا كانَ غدٌ لقُوهُ صفَّينِ ، فلمَّا تَوسَّطَهُم انقضوا عليهِ ، فقالَ لقصيرٍ صدقتَ ، فما الرأيُ ، فقالَ لهُ قد تركتَ الرأيَ ، وهـٰذهِ العصا ، اركبْها ، فشغلَهُ الأمرُ عنها ، فلمَّا رأىٰ قصيرٌ الجيوشَ تسيرُ بجَذِيمةَ أعطى العصا عِنانَها ، فهوتْ بهِ هُوِيَّ الريحِ ، فتطاولَ إليهِ جَذِيمةُ يَنظُرُهُ ، فقالَ ويلٌ لهُ جَذِيمةُ ، فجرَتْ بهِ إلىٰ غروبِ الشمسِ

قالَ الأصمعيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[1] لم تقفْ حتىٰ جرتْ ثلاثينَ مِيلاً ، ثمَّ وقفَتْ فبالَتْ فبُنِيَ على الموضعِ برجٌ يُسمَّىٰ برجَ العصا

---

(١) كما في « الأغاني » (١٦/٥٦٦٤)

وأشرَفَتِ الزَّبَّاءُ مِنْ قصرِها تَنظُرُ إلىٰ جذيمةَ وهوَ يُساقُ ، فقالَتْ ما أحسنَكَ مِنْ عروسٍ يُزَفُّ إليَّ ، فدخلوا بهِ إليها وحولَها أَلْفُ وصيفةٍ لا تُشبهُ واحدةٌ صاحبتَها في خَلْقٍ ولا زِيٍّ ، وهيَ بينَهُنَّ كالقمرِ حُفَّتْ بهِ النجومُ ، فأمرَتْ بالأَنطاعِ فبُسِطَتْ ، وقالَتْ للوصائفِ : خذنَ بيدِ سيدِكُنَّ وبعلِ مولاتِكُنَّ فأجلسنَهُ على الأنطاعِ ، ففعلنَ بهِ ذٰلكَ ، ثم كشفَتْ لهُ عن شِعْرَتِها ، فرأىٰ شعرَها قد طالَ حتىٰ عقدَتْهُ مِنْ وراءِ ظهرِها ، فقالَتْ لهُ يا جَذِيمةُ ؛ أَشَوَارَ ذاتِ عروسٍ ؟ قالَ بل شَوارَ بظراءَ تَفِلَةٍ ، وأمرَ غدرٍ قد بلغَ المَدَىٰ ، فقالَتْ واللهِ ؛ ما ذاكَ مِنْ عدمِ المَوَاسي ، ولٰكنَّها شيمةُ أَناسي

ثمَّ أمرَتْ بهِ فسُقِيَ الخمرَ حتىٰ أخذَتْ فيهِ ، وكانَتِ الملوكُ لا تَضربُ الأعناقَ إلَّا في الحربِ ، ثمَّ أمرَتْ أن تُقطَعَ رواهشُهُ ، وقالَتْ : تَحفَّظنَ بدمِهِ ، لأَنَّهُ إن قَطَرَتْ مِنْ دمِهِ قطرةٌ في غيرِ الطَّسْتِ طُلِبَ بدمِهِ ، فجرىٰ دمُهُ في طَسْتِ ذهبٍ ، فلمَّا ضعفَتْ يداهُ سقطتا ، فقطرَتْ على النِّطعِ مِنْ دمِهِ قطَراتٌ ، فقالَتْ لا تُضيِّعوا دمَ الملوكِ ، فقالَ لها لا يَحزُنْكِ دمٌ ضَيَّعَهُ أهلُهُ ، فذهبَتْ مثلاً

فقالَتْ إنَّ دماءَ الملوكِ شفاءٌ مِنَ الكَلَبِ ، وواللهِ ؛ ما وفَّىٰ دمُكَ ، ولا شفىٰ قتلُكَ ، ثم أمرَتْ بهِ فدُفِنَ

وكانَ عمرُو بنُ عديٍّ يَخرجُ كلَّ يومٍ لبعضِ الحِيرةِ يَستطلِعُ أمرَ خالِهِ ، فنظرَ يوماً إلىٰ فارسٍ قد أقبلَ ، فأشرفَ عليهِ قصيرٌ ، فقالَ لهُ ما وراءَكَ ؟ فقالَ لهُ سعى القَدَرُ بالمَلِكِ إلىٰ حَتْفِهِ ، فاطلبْ بثأرِهِ ، فقالَ عمرٌو وأيُّ ثأرٍ يُطلَبُ مِنَ الزَّبَّاءِ وهيَ أمنعُ مِنْ عُقابِ الجوِّ ؟! فقالَ قصيرٌ واللهِ ؛ لا أنامُ عن طلبِ دمِهِ ما لاحَ نجمٌ ، فاجدعْ أنفي ، واضرِبْ ظهري ، ودعْني وإيَّاها ، فقالَ عمرٌو ما أنتَ لذٰلكَ بأهلٍ ، وقد علمتُ نصحَكَ لخالي ، فقالَ خلِّ عنِّي إذاً

فجَدَعَ أنفَهُ ، فلَحِقَ بالزَّبَّاءِ ، فقالَتْ ما جاءَ بكَ ؟ فأشارَ بظهرِهِ وأنفِهِ ، فقالَتْ العربُ لأمرٍ ما جَدَعَ قصيرٌ أنفَهُ ، فقالَتْ يا قصيرُ ؛ وبينَنا دمٌ خطيرٌ ؟! فقالَ يا بنةَ الملوكِ العظامِ ؛ لا ثأرَ ولا قَوَدَ ، ولقد أتيتُ فيهِ ما يأتي مثلُكِ في مثلِهِ ، وقد جئتُكِ مستجيراً بكِ مِنْ عمرٍو ؛ فإنَّهُ عَلِمَ أنِّي أشرتُ علىٰ خالِهِ بالمجيءِ إليكِ ، فجَدَعَ أنفي وأذني ، وأوجعَ ظهري ، وحالَ بيني وبينَ مالي وولدي ، فاستجرتُ بكِ لعلمي أنِّي لا أكونُ معَ أحدٍ أثقلَ عليهِ منكِ

فقالَتْ لهُ أهلاً وسهلاً ، وكانَ يَبلُغُها مِنْ رأيِهِ وحزمِهِ ، فاختصَّتْهُ وأنزلَتْهُ واصطفَتْهُ

فلمَّا وَثِقَتْ بهِ   أخذَتْ تستشيرُهُ في أمورِها ، فقالَ لها يوماً إنَّ عمراً يَطلُبُكِ بخالِهِ ، والرأيُ أن تتخذي نفقاً ؛ لعلَّكِ تحتاجينَ إليهِ ، فقالَتْ لهُ إنِّي قدِ اتخذتُهُ تحتَ سريري ، وخرجتُ بهِ تحتَ سريرِ أختي ، وكانَ الفراتُ يَشُقُّ بينَ قصرَيهِما ، فأظهرَ لها السُّرورَ .

ثمَّ قالَ لها إنَّ لي بالعراقِ أموالاً كثيرةً تَصلُحُ للملوكِ ، فإن جهَّزتِني بمالٍ للتجارةِ . تَوصَّلْتُ بهِ إلىٰ أخذِ تلكَ الذَّخائرِ ، وننقلُها إليكِ ، فجهزَتْهُ ، فاحتالَ حتَّىٰ وصلَ إلىٰ عمرٍو ، فجَهَّزَهُ بطُرَفٍ مِنَ الجواهرِ والخَزِّ والدِّيباجِ والأسلحةِ ، فرجعَ بها

فلمَّا تَحقَّقَتْ نصحَهُ   أرسلَتْهُ إلى العراقِ ثالثَ سَفْرةٍ ؛ ليَضرِبَ لها بها عِدَّةً مِنَ السلاحِ ، ويشتريَ لها خيلاً وعبيداً ؛ لتُجهِزَ جيشاً إلىٰ مَنْ حواليها مِنَ الملوكِ ، فمشىٰ فيما أمرَتْهُ بهِ ، وتَوصَّلَ إلىٰ عمرٍو ، وقالَ قد أصبتَ الفُرْصةَ مِنَ الزَّبَّاءِ ، فقالَ عمرٌو قُلْ أسمعْ ، ومُرْ أفعلْ ؛ فأنتَ طبيبُ هٰذهِ القَرْحةِ ، فقالَ الرجالَ والمالَ ، فقالَ حكمُكَ فيما عندي مُسلَّطٌ ، فعَمَدَ إلىٰ أَلْفَيْ رجلٍ مِنْ أهلِ القتالِ ، وجعلَهُم في غرائرَ سُودٍ ، وجعلَ

سلاحَهُمُ السُّيوفَ والحَجَفَ[1] ، وجعلَ رؤوسَ الغرائرِ مربوطةً مِنْ داخلِها ، وجعلَ عمراً في الحملةِ ، وساقَ الخيلَ والعبيدَ ، فلمَّا قاربَها بعثَ إليها البشيرَ بسلامةِ قصيرٍ وكلِّ ما جاءَ بهِ ، فسألَتْ عنِ العِيرِ أينَ نزلَ ؟ فقيلَ لها بالغُوَيْرِ ، وكانَتْ تَنظُرُهُ مِنْ غيرِ طريقِ الغُوَيْرِ ، فقالَتْ عسى الغُوَيْرُ أبؤساً

وتَقدَّمَ قصيرٌ ، فدخلَ عليها يَسُرُّها ، فرَقِيَتْ سطحاً عالياً لتنظرَ مجيءَ الإبلِ ، فنظرَتْ قوائمَها تَسوخُ في الأرضِ لِمَا عليها مِنَ الأثقالِ ، فقالَتْ يا قصيرُ [من الرجز]

مَـا لِـلْـجِـمَـالِ مَـشْـيُـهَـا وَئِـيـدَا
أَجَـنْـدَلاً يَـحْـمِـلْـنَ أَمْ حَـدِيـدَا
أَمْ صَـرَفَـانـاً بَـارِداً شَـدِيـدَا
أَمِ ٱلـرِّجَـالَ جُـثَّـمـاً قُـعُـودَا

وكانَتْ قالَتْ لجواريها إنِّي أرى الموتَ الأحمرَ في الغرائرِ السُّودِ ، فذهبَتْ مثلاً ، فدخلَتِ الجِمالُ المدينةَ ، فجَسَّ بوَّابٌ بمِخْصَرةٍ في يدِهِ غِرَارةً علىٰ آخِرِ بعيرٍ ، فأصابَتِ المِخْصَرةُ خاصرةَ رجلٍ ، فضرطَ ، فصاحَ الشرَّ الشرَّ ، فأظهروا علامةً كانَتْ بينَهُم ، فحلُّوا رؤوسَ الجَوَالقِ ، فخرجَ منها ألْفا دارعٍ بألْفَيْ سيفٍ ، فصاحوا يا لِثارِ المَلِكِ المقتولِ غدراً ، وهربَتِ الزَّبَّاءُ تَطلُبُ النفقَ إلىٰ تحتِ الفراتِ ، فسبقَ عمرٌو إلىٰ بابِهِ معَ قصيرٍ ، وكانَتْ صورةُ عمرٍو مُصوَّرةً في جانبِها ، فعندَما رأَتْهُ . عرفَتْهُ ، وكانَتْ جعلَتْ تحتَ فَصِّ خاتمِها سُمَّ ساعةٍ ، فمصَّتِ الفَصَّ وقالَتْ بيدي لا بيدِ عمرٍو ، فسقطَتْ وعمرٌو وقصيرٌ يضربانِها بالسيفِ ، فماتَتْ بينَ السُّمِّ والسيفِ

(١) الحَجَف جمع حجفة ؛ وهي الترس

فاستباحوا بلدَها بما فيهِ ، واستولىٰ عمرٌو علىٰ مملكتِها ، واتخذَ عمرٌو الحِيرةَ دارَ ملكِهِ ، وتوارثَها بنوهُ واحداً واحداً إلى النُّعمانِ بنِ المنذرِ ، وهوَ الذي أدركَ زمنَ المصطفىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقتلَهُ كسرىٰ ، وهوَ آخِرُهُم ، وكانَ مَقتَلُ والدِ الزَّبَّاءِ عندَ بعثِ عيسىٰ عليهِ السلامُ

وقال ابنُ دريدٍ (١) [من الرجز]

لَقَدْ سَمَا عَمْرٌو إِلَىٰ أَوْتَارِهِ فَٱخْتَطَّ مِنْهَا كُلَّ عَالِي ٱلْمُنْتَمَىٰ
وَٱسْتَنْزَلَ ٱلزَّبَّاءَ قَسْراً وَهْيَ مِنْ عُقَابِ لَوْحِ ٱلْجَوِّ أَعْلَىٰ مُنْتَهَىٰ

هٰذا ؛ وتجويزُ الحريريِّ أن يكونَ المحذوفُ (كانَ) التامَّةَ التي بمعنىٰ حدثَ ، والمرفوعُ فاعلَها ردَّهُ العلماءُ بعدمِ انسياقِ الفهمِ لها ؛ حيثُ لم يكنْ معتاداً حذفُها

[عودٌ للحديثِ عن (كانَ) وأخواتِها]

ولـ (كانَ) موضعٌ آخَرُ كَثُرَ حذفُها فيهِ ، وتعويضُ كلمةِ (ما) التأكيديةِ عنها ؛ كقولِ الشاعرِ (٢) [من البسيط]

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِيَ لَمْ تَأْكُلْهُمُ ٱلضَّبُعُ

الأصلُ أن كنتَ ؛ مثلُ قولِهِ تعالىٰ ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ ﴾ (٣) ، فحُذِفَتْ (كانَ) ، وحَلَّتَ (ما) مَحَلَّها ، وانفصلَ الضَّميرُ ، وحلُّ البيتِ : يا أبا خراشةَ ؛ لأجلِ أن كنتَ ذا نفرٍ وصاحبَ عشيرةٍ يَحمونَكَ ويدافعونَ عنكَ جزتَ حَدَّكَ ، وتَعدَّيتَ طَورَكَ ، وأدللتَ عليَّ كأنَّكَ ظننتَني فريداً لستُ ذا عشيرةٍ

(١) المقصورة بشرح ابن خالويه (ص ٢٠٤) ، وفيها (منتمىٰ) بدل (منتهىٰ)
(٢) انظر « خزانة الأدب » (٤/١٣)
(٣) سورة القلم (١٤)

مثلِ عشيرتِكَ ؛ فاكفُفْ مِنْ غَرْبِكَ ، والزمْ أدبَكَ ، وقفْ عندَ حَدِّكَ ؛ فإنَّ قومي الذينَ عرفتَهُم لم تأكلْهُمُ الضَّبُعُ

والمرادُ بالضَّبُعِ الحيوانُ المعروفُ ، أوِ السَّنَةُ المُجدِبةُ ؛ إذ كانَ مِنْ عاداتِهِم أن يتركوا القتلىٰ في الحروبِ حتَّىٰ تأكلَهُمُ السِّباعُ ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ حينَ قُتِلَ حمزةُ عمُّهُ رضيَ اللهُ عنهُ « لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ ـ وهيَ أختُ حمزةَ ـ لَتَرَكْتُهُ حَتَّىٰ يُحْشَرَ مِنْ أَجْوَافِ ٱلسِّبَاعِ وَحَوَاصِلِ ٱلطُّيُورِ »[(1)]

وقالَ الشَّنفرىٰ[(2)] [من الطويل]

فَلَا تَقْبُرُونِي إِنَّ قَبْرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَٰكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرِ
إِذَا حَمَلُوا رَأْسِي وَفِي ٱلرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغُودِرَ عِنْدَ ٱلْمُلْتَقَىٰ ثَمَّ سَائِرِي
هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي سَجِيسَ ٱللَّيَالِي مُبْسَلاً بِٱلْحَرَائِرِ

وأمُّ عامرٍ كنيةُ الضَّبُعِ ، فكأنَّهُ قالَ فإنَّ قومي لم تُفنِهِمُ الحروبُ حتىٰ أكلَتْهُمُ السِّباعُ ، أو فإنَّ قومي لم تَتتابعْ عليهِم أيامُ قَحْطٍ وجَدْبٍ حتىٰ أفناهُمُ الجوعُ

ومِنَ الضُّبُعِ بمعنى السَّنَةِ قولُ أبي العلاءِ المعريِّ[(3)] [من الطويل]

إِذَا ٱلضَّبُعُ ٱلشَّهْبَاءُ حَلَّتْ بِسَاحَتِي نَضَوْتُ عَلَيْهَا كُلَّ مَوَّارَةِ ٱلضَّبْعِ

واختصَّتْ أيضاً (كانَ) بجوازِ حذفِ نونِ مضارعِها ، حيثُ يُجزَمُ ولم يَتصِلْ بهِ ساكنٌ ولا ضميرٌ

---

(١) أخرجه أبو داوود (٣١٢٨) ، والترمذي (١٠١٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه
(٢) انظر « ديوان الشنفرىٰ » (ص ٥٨ ـ ٥٩) ، وفيه (بالجرائر) بدل (بالحرائر)
(٣) انظر « شروح سقط الزند » (٣/١٣٤٧)

وأفعالُ هٰذا البابِ مِنَ الألفاظِ المُشتَرَكةِ ؛ فتُستعمَلُ تامَّةً مقصودةَ المعاني بالإفادةِ ، كما تقولُ لصاحبِكَ أمسيتُ ؛ أي : دخلتُ في المساءِ ، إلَّا (فَتِئَ) و(ليسَ) و(زالَ) التي مضارعُها يَزالُ

[الحروفُ التي تَعملُ عملَ (ليسَ)]

وأثبتَ النحويونَ إعمالَ أربعةِ أحرفٍ مِنْ حروفِ النفيِ إعمالَ (ليسَ) وهي (ما) و(إن) ، و(لا) و(لات)

أمَّا كلمةُ (ما) فنسبوا إعمالَها لأهلِ الحجازِ ؛ فيُقالُ (ما) حجازيةٌ ، ويُقالُ عندَ إهمالِها تميميةٌ ، وباللُّغتَينِ وردَ قولُهُ تعالىٰ ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾[1] ، بنصبِ بشرٍ ورفعِهِ[2] ، وألطفَ الشاعرُ في قولِهِ[3] [من الكامل]

وَمُهَفْهَفِ ٱلْأَعْطَافِ قُلْتُ لَهُ ٱنْتَسِبْ فَأَجَابَ مَا قَتْلُ ٱلْمُحِبِّ حَرَامُ

يقولُ إنَّهُ انتسبَ إلىٰ تميمٍ ؛ حيثُ تَكلَّمَ بلغتِهِم

ولٰكنَّ إعمالَها مشروطٌ بأربعةِ شروطٍ

الأوَّلُ ألَّا تصحبَها (إن) مثلُ ما إنِ الحقُّ خافٍ

الثاني ألَّا يَنتقِض نفيُها بـ (إلَّا) مثلُ ما أنتَ إلَّا مجتهدٌ فبالغٌ ، أو متوانٍ فمحرومٌ ؛ لأنَّ إعمالَها إنَّما هوَ بجهةِ نفيِها ، ولذٰلكَ إذا استدركتَ أو أضربتَ بعدَ منصوبِها بإثباتِ مخالفِهِ . رفعتَ ، وكانَ المرفوعُ جزءَ جملةٍ حُذِفَ صدرُها ؛ مثلُ ما زيدٌ كاتباً لٰكنْ شاعرٌ ، أو بل شاعرٌ ؛ أي لٰكنْ هوَ ، أو بل هوَ

---

(١) سورة يوسف (٣١)

(٢) انظر « الدر المصون » (١٠/٢٦٢)

(٣) انظر « نفح الطيب » (٥/٢٢٧)

الثالثُ أَلَّا يَتقدَّمَ معمولُ الخبرِ على المبتدأ ، وليسَ ظرفاً ولا صاحبَهُ

الرابعُ أَلَّا يَتقدَّمَ الخبرُ على المبتدأ ، ولذٰلكَ حكموا بغَلَطِ التميميِّ ـ وهوَ أبو فراسٍ همامُ بنُ غالبٍ المشهورُ بالفرزدقِ ـ حيثُ أرادَ أن يَتكلَّمَ بلغةِ ممدوحِهِ الحجازيِّ فقالَ [1] [من البسيط]

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ ٱللهُ نِعْمَتَهُمْ إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلَهُمْ بَشَرُ

فنصبَ لفظَ (مثلِ) ، والصَّوابُ رفعُهُ بذٰلكَ الشرطِ



وأمَّا كلمةُ (إنْ) فنسبوا إعمالَها لأهلِ عاليةِ نجدٍ خاصَّةً ، قالَ شاعرُهُم [2] [من المنسرح]

إِنْ هُوَ مُسْتَوْلِياً عَلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا عَلَىٰ أَضْعَفِ ٱلْمَجَانِينِ

ومِنْ كلامِ بعضِهِم إن أحدٌ خيراً مِنْ أحدٍ إلَّا بالعافيةِ ، ولقِلَّةِ مَنْ أعملَها حكمَ النحويونَ بقِلَّةِ إعمالِها

وأمَّا (لا) و(لاتَ) بزيادةِ التاءِ فلم يَنسُبوا إعمالَها لأحدٍ ، غيرَ أنَّهُم نقلوا اختصاصَ (لاتَ) بالعملِ في أسماءِ الأزمنةِ ؛ كالحينِ والوقتِ والمُدَّةِ والأوانِ ، وأنَّهُ يَلزمُ حذفُ أحدِ معمولَيها ، وحذفُ المرفوعِ أكثرُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [3] ، تقديرُهُ ولاتَ الحينُ حِينَ مناصٍ

---

(١) انظر « ديوان الفرزدق » (١/٣١٦)

(٢) انظر « أوضح المسالك » (١/٢٦١)

(٣) سورة صٓ (٣)

وأثبتَ الكوفيةُ أنَّ بعضَ العربِ يَجُرُّ بها على اختصاصِها بأسماءِ الأزمنةِ ، وشاهدُهُم علىٰ ذٰلكَ قولُ أبي فراسٍ[1] [من الخفيف]

طَـلَـبُـوا صُـلْـحَـنَـا وَلَاتَ أَوَانٍ فَـأَجَـبْـنَـا أَنْ لَـيْـسَ حِـيـنَ بَـقَـاءِ

وهيَ عندَهُم حينَئذٍ مثلُ (ربَّ) و(لعلَّ) ، وجرىٰ علىٰ ذٰلكَ أبو الطيبِ ؛ حيثُ كانَتِ الكوفةُ مَنشأَهُ ، وبها تَأدَّبَ ، فقالَ[2] [من البسيط]

لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّىٰ لَاتَ مُصْطَبَرٍ وَٱلْآنَ أَقْحَمُ حَتَّىٰ لَاتَ مُقْتَحَمِ

وتفسيرُ البيتِ تَصبَّرتُ إلىٰ زمنٍ غيرِ زمنِ اصطبارٍ ، والآنَ أَقحَمُ إلىٰ زمنٍ غيرِ زمنِ اقتحامٍ

ويظهرُ أنَّهُم حكمُوا باسميَّتِها وتَصرُّفِها تصرُّفَ كلمةِ (غيرٍ) ، فيكونُ التقديرُ في قولِ أبي فراسٍ طلبوا صلحَنا وغيرُ أوانِ صلحٍ أوانُ طلبِهِم ، وقد نصُّوا على اسميَّةِ (لا) في نحوِ جئتُ بلا زادٍ[3]

وأما (لا) فقالَ البصريةُ إنَّها تعملُ بشروطِ (ما) في النكراتِ لا غيرُ ؛ كقولِهِ[4] [من الطويل]

تَـعَـزَّ فَـلَا شَـيْءٌ عَـلَى ٱلْأَرْضِ بَـاقِـيَا وَلَا وَزَرٌ مِـمَّـا قَـضَـى ٱللهُ وَاقِـيَـا

وأثبتَ الكوفيةُ إعمالَها في المعارفِ ، وعليهِ قولُ أبي الطيبِ[5] [من الطويل]

إِذَا ٱلْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصاً مِنَ ٱلْأَذَىٰ فَلَا ٱلْحَمْدُ مَكْسُوباً وَلَا ٱلْمَالُ بَاقِيَا

وإنَّما تَعرَّضتُ في هٰذا الموضعِ لحكايةِ نقلِ الكوفيينَ ؛ ليَعرِفَهُ الطَّلَبةُ

---

(١) في « خزانة الأدب » (٤/١٨٩ ـ ١٩٠) أن البيت لأبي زبيد الطائي

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥)

(٣) يعني الكوفيين انظر « مغني اللبيب » (١/٣٢٢)

(٤) انظر « أوضح المسالك » (١/٢٥٦)

(٥) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٣٤)

في كلامِ أبي الطيبِ المتنبي ، حيثُ يَمرُّ بهِم عندَ قراءتِهِ اللَّازمةِ لطَلَبةِ العلمِ ؛ ليَعرِفوا تفاوتَ الأقوالِ في البلاغةِ ، وحسنِ السياقِ ، واختيارِ العباراتِ ؛ إذ كانَ ذٰلكَ هوَ الطريقَ لمعرفةِ إعجازِ القرآنِ

[(كادَ) وأخواتُها]

وأمَّا (كادَ) وأخواتُها فإنَّها تَختصُّ مِنْ بينِ الجملِ الابتدائيةِ بجملةٍ يكونُ خبرُها فعلاً مضارعاً رافعاً لضميرِ المبتدأ ؛ مثلُ ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾(١) ، ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ ﴾(٢) ، ﴿ وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾(٣)

وأمَّا نحوُ(٤) [من الطويل]

فَأُبْتُ إِلَىٰ فَهْمٍ وَمَا كِدْتُ آيِباً وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ

ونحوُ(٥) [من الرجز]

أَكْثَرْتَ فِي ٱلْعَذْلِ مُلِحّاً دَائِمَا
لَا تُكْثِرَنْ إِنِّي عَسَيْتُ صَائِمَا

ونحوُ عسى الغُوَيْرُ أبؤساً فمحكومٌ بندرتِهِ ، وعدمِ جوازِ استعمالِ مثلِهِ

لٰكنْ يجبُ اقترانُ خبرِ (حَرَىٰ) و(اخلولقَ) بكلمةِ (أنْ) مثلُ : اخلولقَتِ

---

(١) سورة الإسراء (٧٣)
(٢) سورة القلم (٥١)
(٣) سورة البقرة (٧١)
(٤) هو لتأبط شرّاً في « ديوانه » (ص ٩١)
(٥) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (١/٣٢٤)

السماءُ أن تُمطِرَ ، وهوَ الأكثرُ في خبر (عسىٰ) و(أوشك) ، وفي خبرِ (كادَ) و(كَرَبَ) الأكثرُ التجرُّدُ منها

فمِنَ الكثيرِ قولُ العربِ كادَ المُنتعِلُ يكونُ راكباً ، وكادَ العروسُ يكونُ مَلِكاً ، وكادَ الحريصُ يكونُ عبداً ، وكادَ سيّئُ الخُلُقِ يكونُ سَبُعاً ، وكادَ الفقرُ يكونُ كفراً ، وكادَ البيانُ يكونُ سحراً ، وكادَ النَّعامُ يكونُ طيراً ، وكادَ البخيلُ يكونُ كَلْباً

ومِنَ القليلِ ما وقعَ في بعضِ المرويّ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « كَادَ ٱلْحَلِيمُ أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً »(١) ، و« كَادَ ٱلْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً »(٢) ، و« كَادَ ٱلْحَسَدُ أَنْ يَسْبِقَ ٱلْقَدَرَ »(٣)

ويجبُ التجرُّدُ في أخبارِ أفعالِ الشروعِ

ولـ (عسىٰ) و(اخلولقَ) و(أوشكَ) استعمالٌ آخَرُ ؛ وهوَ أن يُؤتَىٰ بعدَ الأفعالِ بـ (أنْ) ومدخولِها ، ويُقالُ (أنْ) وما دَخلَتْ عليهِ سَدَّتْ مَسدَّ الاسمِ والخبرِ ؛ نحوُ عسىٰ أن يَنجليَ الحقُّ ، وأوشكَ أن يَحسُنَ التحصيلُ

وحينَئذٍ يكونُ لكَ في إعرابِهِ وجهانِ

الأوَّلُ أن تقولَ (أن) وما دَخلَتْ عليهِ في موضعِ الاسمِ والخبرِ ، وسادَّةٌ مَسدَّهُما

والثاني أن تقولَ خبرٌ مُقدَّمٌ ، واسمٌ مُؤخَّرٌ

وبناءً على الأوَّلِ تَقولُ عسىٰ أن يقومَ الزيدانِ ، وعسىٰ أن يقومَ الزيدونَ ،

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢/٣٨٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وانظر « المقاصد الحسنة » (٧٨٨)

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦١٨٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه

(٣) انظر « المقاصد الحسنة » (٧٨٧)

وعسىٰ أن تقومَ الهنداتُ ، وعسىٰ أن تظهرَ الشمسُ ، وعسىٰ أن يظهرَ الشمسُ ، والزيدانِ عسىٰ أن يقوما ، والزيدونَ عسىٰ أن يقوموا ، والهِنداتُ عسىٰ أن يَقمنَ ، وهندٌ عسىٰ أن تقومَ

وبناءً على الثاني تقولُ عسىٰ أن يقوما الزيدانِ ، وعسىٰ أن يقوموا الزيدونَ ، وعسىٰ أن يَقمنَ الهِنداتُ ، وعسىٰ أن تظهرَ الشمسُ ، لا غيرُ ، والزيدانِ عسيا أن يقوما ، والزيدونَ عسَوا أن يقوموا ، والهِنداتُ عسينَ أن يَقمنَ ، وهندٌ عستْ أن تقومَ

وبعضُ العربِ يَكسِرُ سينَ (عسىٰ) عندَ إسنادِهِ للضمائرِ البارزةِ ، وبهِ قرأَ نافعٌ



[بيانُ (بابِ إنَّ) وأخواتِها]

بيانُ الأحرفِ الثمانيةِ التي تنصبُ المبتدأَ ويُقالُ لهُ اسمُها ، وتَرفعُ الخبرَ ويُقالُ لهُ خبرُها ؛ وهيَ (إنَّ) و(أنَّ) و(لـٰكنَّ) و(كأنَّ) و(لعلَّ) و(ليتَ) و(لا) و(إلَّا)

الأحرفُ الستةُ الأولُ يَمتنعُ تقديمُ أخبارِها على الأسماءِ ما لم تكنْ ظروفاً أو صواحبَها ، ولْنُفرِدْ كلَّ حرفٍ بالكلامِ عليهِ ؛ فنقولُ

الكلامُ علىٰ (إنَّ)

تكونُ في جملةٍ مستأنفةٍ ، وجملةِ صلةٍ ، وجملةِ جوابِ القسمِ ، وجملةٍ حُكِيَتْ بقولٍ ، وجملةٍ أُخبِرَ بها عنِ اسمِ عينٍ ، وجملةٍ أُضِيفَتْ لها (حيثُ) ، وجملةٍ وقعَتْ حالاً ، وجملةٍ وقعَتْ بعدَ (حتَّى) الابتدائيةِ ؛ وهيَ التي لا يُقصَدُ فيها معنى الغايةِ ، بل يُقصَدُ فيها معنى السببيةِ ؛ كقولِكَ أصلحَ زيدٌ أحوالَهُ ، حتىٰ إنَّ الناسَ مُتفقونَ علىٰ شكرِهِ

وتصحبُها لامُ الابتداءِ ، فتُزحلَقُ عن موضعِها الذي كانَ لها ؛ حيثُ كانَ اسمُ (إنَّ) مبتدأً إلىٰ خبرِ إنَّ ، فتَدخُلُ عليهِ ، وعلىٰ معمولِهِ المُتقدِّمِ عليهِ ، وعلى الفَصْلِ في نحوِ إنَّ زيداً لهوَ المُنطلِقُ ، وإنَّ هنداً لهيَ المُنطلِقةُ ؛ تقريباً للَّامِ مِنْ موضعِها حَسَبَ الإمكانِ ، فلو تَأخَّرَ الاسمُ عنِ المبتدأ صحبَتْهُ ولم تَصحَبِ الخبرَ ؛ لزوالِ المنكرِ الذي هوَ اجتماعُ مُؤكِّدَينِ حرفَينِ شبيهَينِ بالزائدِ في الكلامِ

وإذا كانَ خبرُ (إنَّ) مَنفيّاً ، أو فعلاً ماضياً مُتصرِّفاً خالياً مِنْ (قد) امتنعَتِ اللَّامُ

وتُخفَّفُ (إنَّ) بحذفِ النونِ الثانيةِ وبقائِها [علىٰ] حرفَينِ مُتحرِّكٍ وساكنٍ ، فيَزولُ اختصاصُها بالاسمِ ، وتَدخُلُ على الفعلِ ، ويَكثُرُ إهمالُها معَ وجودِ الاسمِ بلصقِها ، وحينَئذٍ تَلزمُ اللَّامُ معَها ؛ لرفعِ اشتباهِها بـ (إن) النافيةِ ، فلو تَعيَّنَتْ بدونِ اللَّامِ لم تَلزمْ ؛ كقولِهِ[(١)] [من الطويل]

إِنِ ٱلْحَقُّ لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ ذِي بَصِيرَةٍ

وقولِهِ[(٢)] [من الطويل]

أَنَا ٱبْنُ أُبَاةِ ٱلضَّيْمِ مِنْ آلِ مَالِكٍ وَإِنْ مَالِكٌ كَانَتْ كِرَامَ ٱلْمَعَادِنِ

إذْ لَا يَحتمِلُ الكلامُ النافيةَ ؛ لظهورِ فسادِ المعنىٰ

وإذا دخلَتْ على الفعلِ فأكثرُ ما يكونُ فعلاً ماضياً ناسخاً ؛ نحوُ إن كادَ ليَصُدُّنا ، ﴿ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾[(٣)] ، ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾[(٤)]

ودونَهُ أن يكونَ فعلاً مضارعاً ناسخاً ؛ نحوُ ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[(٥)]

ودونَهُ أن يكونَ فعلاً ماضياً غيرَ ناسخٍ ؛ نحوُ [من الكامل]

إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً[(٦)]

واختلفوا في صحةِ القياسِ عليهِ

---

(١) انظر « مغني اللبيب » (١/٣٠٦) ، والبيت بتمامه

إِنِ ٱلْحَقُّ لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ ذِي بَصِيرَةٍ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَعْدَمْ خِلَافَ مُعَانِدِ

(٢) انظر « همع الهوامع » (١/٥١١)

(٣) سورة الأعراف (١٠٢)

(٤) سورة البقرة (١٤٣)

(٥) سورة القلم (٥١)

(٦) انظر « مغني اللبيب » (١/٣٧) ، والبيت بتمامه

شَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ ٱلْمُتَعَمِّدِ

ودونَهُ أنْ يكونَ فعلاً مضارعاً غيرَ ناسخٍ ؛ نحوُ إنْ يَزينُكَ لَنفسُكَ ، وإنْ يَشينُكَ لهيَهْ

وأجمعوا على امتناعِ القياسِ عليهِ[1] ، والسِّرُّ في ذٰلكَ أنَّ وضعَها على الاختصاصِ بالجملةِ الاسميةِ ، فحاولَتِ اللُّغةُ عندَ تخفيفِها ألَّا يزولَ اختصاصُها بالمَرَّةِ ، فأصحبوها النواسخَ التي هيَ مصاحبةٌ دائماً لجملةِ المبتدأ والخبرِ ، فكأنَّها لم تُزَلْ عمَّا لها

الكلامُ علىٰ (أنَّ)

هيَ مِنَ الموصولاتِ الحرفيَّةِ كما سبقَ[2] ، فالجملةُ بعدَها مفردٌ مطلوبٌ لإتمامِ الكلامِ ، أو مُتعلِّقٌ مِنْ مُتعلِّقاتِهِ ؛ وذٰلكَ المفردُ مصدرٌ يُؤخَذُ مِنْ خبرِها ويُضافُ لاسمِها إن كانَ الخبرُ مُشتقّاً ، ونفسُ الخبر مصحوباً بياءِ النَّسَبِ ـ التي تُسمَّىٰ ياءَ المصدريةِ ـ وتاءِ التأنيثِ إن كانَ الخبرُ جامداً ؛ فتقولُ في نحوِ بلغَني أنَّ زيداً قائمٌ ؛ تقديرُهُ بلغَني قيامُ زيدٍ ، وفي نحوِ بلغَني أنَّ زيداً أسدٌ ؛ تقديرُهُ بلغَني أَسديَّةُ زيدٍ ؛ أي كونُهُ أسداً

وتقعُ فاعلاً كما مرَّ ، ومفعولاً ؛ نحوُ علمتُ أنَّ زيداً كاتبٌ ، ومجروراً ؛ نحوُ : قصدتُكَ أنَّكَ فاضلٌ ؛ أي لأنَّكَ ، وتُثابُ في الآخرةِ بأنَّكَ تَعملُ الخيرَ في الدنيا ، ولأجلِ أنَّكَ مستقيمٌ أحبَّكَ الناسُ ، ومبتدأً ؛ نحوُ يقيني أنَّ زيداً مُدرِكٌ ، وخبراً لمبتدأ هوَ اسمُ معنىً غيرُ قولٍ ، ولا يكونُ خبرُ (أنَّ) صادقاً عليهِ ؛ بحيثُ يكونُ مِنْ أفرادِهِ ، وإلَّا كانَ موضعَ المكسورةِ ؛ نحوُ : زيدٌ إنَّهُ فاضلٌ ؛ في الإخبارِ عنِ اسمِ العينِ ، وقولي إنَّهُ مستقيمٌ ، واعتقادي إنَّهُ حقٌّ ،

---

(١) انظر « همع الهوامع » (١/٥١٣)

(٢) انظر (١/١٣٩)

وخبرُ زيدٍ إنَّهُ صادقٌ ؛ [فالاعتقادُ] فردٌ مِنْ أفرادِ الحقِّ ، وخبرُ زيدٍ فردٌ مِنْ أفرادِ الصادقِ ؛ فلا يَصِحُّ اعتقادي حقِّيَّتُهُ ، ولا خبرُ زيدٍ صدقُهُ ، والمثالُ الجامعُ للشروطِ حالُ زيدٍ أنَّهُ يقولُ الحقَّ ، ومُعتقَدي أنَّهُ شاعرٌ ؛ تقولُ حالُهُ قولُ الحقِّ ، ومُعتقَدي شعرُهُ

وتقعُ معطوفةً علىٰ تلكَ الأشياءِ ، فالحاصلُ أنَّ جملتَها بالنسبةِ لأجزاءِ الكلامِ غيرُ مقصودةِ الجمليةِ ، وإن كانَتْ جمليتُها بحَسَبِ المعنىٰ مقصودةً ؛ إذ مركزُ التوكيدِ والتقويةِ هوَ نسبةُ الخبرِ للمبتدأ ، حتىٰ إنَّهُ ليسَ معنىٰ قولِ مَنْ يقولُ أعجبَني أنَّ زيداً قائمٌ ؛ علىٰ تقديرِ أعجبَني قيامُ زيدٍ أنَّ نفسَ القيامِ الذي هوَ الانتصابُ هوَ الذي أعجبَهُ مِنْ حيثُ سرعتُهُ أو مهلتُهُ مثلاً ، بل معناهُ أنَّ الذي أعجبَهُ صدورُ القيامِ وحصولُهُ مِنْ زيدٍ ، وهٰذا هوَ معنى الجملةِ

وتُخفَّفُ (أنَّ) فلا [يَزولُ] اختصاصُها ، لٰكنَّها تَلزمُ حالاً ؛ هيَ أنَّ اسمَها لا يُذكَرُ ، وهوَ ضميرُ شأنٍ إن لم يكنِ المَحَلُّ صالحاً لضميرٍ عادةً ، وأنَّ خبرَها يجبُ أن يكونَ جملةً اسميةً ، أو فعليةً فعلُها جامدٌ أو دعاءٌ أو منفيٌّ ، أو مبتدأٌ بـ (قد) أو مبتدأٌ بالسينِ أو (سوفَ) أو (لو) نحوُ علمتُ أنْ زيدٌ قائمٌ ، وبلغَني أنْ نِعْمَ زيدٌ ، ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنْ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا ﴾ (١) ، ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ (٢) ، ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ ﴾ (٣)

وَٱعْلَمْ فَعِلْمُ ٱلْمَرْءِ يَنْفَعُهُ أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَا (٤)

---

(١) سورة النور (٩) وهي قراءة نافع ، كما في « النشر في القراءات العشر » (٢/٣٣٠)

(٢) سورة البلد : (٥)

(٣) سورة المزمل (٢٠)

(٤) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (١/٣٨٧) ، والبيت من السريع

وسرَّني أن قد قامَ زيدٌ ، ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ [1]

وهنالكَ أربعةُ مواضعَ يجوزُ فيها على اختلافِ الملاحظةِ أن تأتيَ بالمفتوحةِ وأن تأتيَ بالمكسورةِ

الأوَّلُ حيثُ يقعُ التركيبُ بعدَ (إذا) الفجائيةِ ؛ كقولِهِ [من الطويل]

وَكُنْتُ أُرَىٰ زَيْداً كَمَا قِيلَ سَيِّداً إِذَا أَنَّهُ عَبْدُ ٱلْقَفَا [وَٱللَّهَازِمِ]

معنى البيتِ كانَ يُخيَّلُ لي سيادةُ زيدٍ وَفقَ المشهورِ عنهُ ، فلمَّا اختبرتُهُ وجدتُهُ مبذولَ الهِمَّةِ في تسمينِ بدنِهِ ؛ فهوَ عبدُ شهواتِهِ ، لا يَحتمِلُ مكارهَ السيادةِ اللازمةَ لِمَنْ أرادَ الشرفَ والرئاسةَ والتقدُّمَ على الغيرِ ، قالَ العربيُّ [2] [من الطويل]

بِبَذْلٍ وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ ٱلْفَتَىٰ وَكَوْنُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ

وقالَ أبو الطيبِ [3] [من البسيط]

لَوْلَا ٱلْمَشَقَّةُ سَادَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ اَلْجُودُ يُفْقِرُ وَٱلْإِقْدَامُ قَتَّالُ

فإنَّ الواقعةَ بعدَ (إذا) يجوزُ فتحُها علىٰ أنَّ المذكورَ أحدُ ركنَيِ الجملةِ ، والآخَرَ محذوفٌ ، والتقديرُ فإذا عبوديتُهُ لقفاهُ و[لهازمِهِ] هيَ الواقعُ ، ويجوزُ الكسرُ علىٰ أنَّ المذكورَ الجملةُ بتمامِها

الثاني إذا وقعَتْ بعدَ قَسَمٍ وليسَ معَها لامٌ ؛ نحوُ أَحلِفُ أو أُقسِمُ باللهِ ؛ إنَّ اليقينَ خيرٌ مِنَ الظَّنِّ ، فإذا كانَ التقديرُ أَحلِفُ

---

(1) سورة الجن (١٦)

(2) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (١/٢٧٠)

(3) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٦٩)

علىٰ أنَّ اليقينَ خيرٌ فتحتَ (أنَّ) وتكون حذفتَ الجارَّ

الثالثُ إذا وقعَتْ بعدَ فاءِ جوابِ الشرطِ ؛ نحوُ ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] ، الفتحُ علىٰ تقديرِ فمغفرتُهُ لهُ ورحمتُهُ إيَّاهُ واقعتانِ حَسَبَ ما تَفضَّلَ بكتابتِهِ علىٰ نفسِهِ جلَّ ذكرُهُ



الرابعُ حيثُ يكونُ خبرُها يمكنُ أن يُؤخَذَ منهُ ما يَصدُقُ على المبتدأ ؛ نحوُ أوَّلُ كلامي وآخِرُهُ أنِّي أشكرُ اللهَ علىٰ تواترِ نَعمائِهِ

فالكسرُ علىٰ أنَّ المقصودَ أوَّلُ الكلامِ وآخِرُهُ هٰذا اللَّفظُ ، والفتحُ علىٰ أنَّ التقديرَ أوَّلُ الكلامِ وآخِرُهُ شكرُ اللهِ

[الكلامُ علىٰ (كأنَّ)]

وأمَّا (كأنَّ) فإنَّها إذا خُفِّفَتْ لم تُهمَلْ ، ويكونُ اسمُها مذكوراً ، ومحذوفاً ، واسماً ظاهراً ، وضميراً ، وإذا كانَ خبرُها مضارعاً غلبَ كونُهُ منفيّاً ؛ نحوُ ﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾[2] ، وإذا كانَ ماضياً كانَ مُقترِناً بـ (قد) ؛ نحوُ[3] [من الخفيف]

كَـأَنْ قَـدْ أَلَـمَّـا

---

(1) سورة الأنعام (٥٤)

(2) سورة يونس (٢٤)

(3) انظر « أوضح المسالك » (١/٣٣٨) ، والبيت بتمامه

لَا يَهُولَنَّكَ ٱصْطِلَاءُ لَظَى ٱلْحَرْ ... بِ فَمَحْذُورُهَا كَـأَنْ قَـدْ أَلَـمَّـا

ووقوعُهُ مذكوراً ؛ نحوُ[1] [من الطويل]

وَيَـوْمَ تُـوَافِـينَـا بِـوَجْـهٍ مُـقَـسَّـمٍ كَأَنْ ظَبْيَةٌ تَعْطُو إِلَىٰ وَارِقِ ٱلسَّلَمْ

[الكلامُ علىٰ (لـٰكنَّ)]

وأمَّا (لـٰكنَّ) فإنَّها إذا خُفِّفَتْ أهملَتْ في الفصيحِ

[الكلامُ علىٰ (ليتَ) و(لعلَّ)]

وأمَّا (ليتَ) و(لعلَّ) فإنَّهما لا يُخفَّفانِ

وهـٰذهِ الأحرفُ الستةُ تَعقبُها (ما) ، فيَزولُ اختصاصُها بالاسمِ ، وتَدخُلُ على الفعلِ ، فيجوزُ إعمالُها حينَئذٍ وإهمالُها حيثُ تَدخُلُ على الاسمِ ، إلَّا (ليتَ) فلا يَزولُ اختصاصُها ، ولذٰلكَ كانَ إعمالُها أكثرَ مِنْ إهمالِها ، بل أوجبَهُ بعضُهُم

ودخولُها على الفعلِ نحوُ زيدٌ كأنَّما يَنظُرُ بعينَيْ أسدٍ ، ونحوُ إنَّما رأيتُهُ وهوَ ساكتٌ ، إلَّا (أنَّ) و(لـٰكنَّ) و(أنَّ) إذا أتيتَ بعدَ استكمالِ جملتِها مِنَ الاسمِ والخبرِ باسمٍ يشاركُ اسمَها في حكمِهِ جازَ لكَ عطفُهُ عليهِ ، وجازَ لكَ رفعُهُ بالابتداءِ والخبرُ محذوفٌ لدلالةِ السابقِ ، أو بالعطفِ على الضَّميرِ المستترِ في خبرِ (إنَّ) ، وحينَئذٍ لا بدَّ مِنَ الفصلِ بينَهُ وبينَ حاملِ الضَّميرِ كما ستقفُ عليه عندَ القولِ في التوابعِ[2] ؛ نحوُ إنَّ زيداً قائمٌ وعمرٌو ؛ أي كذٰلكَ ، وإنَّ زيداً قائمٌ هوَ وعمرٌو

---

(١) البيت لابن صريم اليشكري ، كما في « الكتاب » لسيبويه (٢/١٣٤)

(٢) انظر (١/٤٨١)

الكلامُ علىٰ (لا)

إذا أردتَ أن تَنُصَّ على انتفاءِ شيءٍ عن جنسِ شيءٍ ؛ بحيثُ يكونُ الانتفاءُ عن جميعِ أفرادِهِ جئتَ بـ (لا) ، وتُسمَّىٰ (لا) التبرئةَ ، و(لا) النافيةَ للجنسِ

ونصبتَ بها الاسمَ لفظاً إن كانَ مضافاً ، أو رفعَ فاعلاً ـ ويُسمَّىٰ هٰذا وما بعدَهُ شبيهاً بالمضافِ ـ أو نصبَ مفعولاً أو تَعلَّقَ بهِ ظرفٌ ؛ نحوُ لا غلامَ خدمةٍ عندَ زيدٍ ، ولا ظريفاً طبعُهُ مذمومٌ ، ولا قارئاً عِلْماً محرومٌ ، ولا رفيقاً بالناسِ مشتومٌ ، ولا واقفاً عندَ حدِّهِ مزيفٌ

ونصبتَهُ مَحَلّاً وبنيتَهُ على الفتحِ إن كانَ غيرَ ذٰلكَ ؛ نحوُ لا رجلَ قائلٌ ما تقولُ ، وعلى الياءِ في نحوِ لا رجلَينِ ، ولا غافلينَ ، وعلى الكسرِ في نحوِ لا ذاكراتِ ، نيابةً عنِ الفتحةِ

وشاعَ في تركيبِ (لا) هٰذهِ تركُ اللَّفظِ بالخبرِ ؛ لانفهامِهِ ، ومنهُ قولُ القارئِ لا أحدَ ، بعدَ قراءتِهِ ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[1] ، وقولُهُ تعالىٰ ﴿ لَا مِسَاسَ ﴾[2]

وربَّما أُرِيدَ بتركيبِها ـ الذي هوَ مِنَ الخبرياتِ ـ النهيُ ، فيصيرُ مِنَ الإنشائياتِ مثلُ هٰذا ، ومثلُ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ »[3] ، ولا بأسَ باستيفاءِ القولِ في (لا) في هٰذا الموضعِ

قد عرفتَ أنَّها مِنْ أحرفِ النفيِ ، لٰكنَّها ذاتُ أحوالٍ مختلفةٍ

فإذا دخلَتْ على المضارعِ لم تعملْ شيئاً ، ولكَ تَكرارُها وعدمُهُ حَسَبَ

---

(١) سورة النساء (٨٧)

(٢) سورة طه (٩٧)

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤٥٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما

حاجتِكَ ؛ نحوُ ﴿ لَا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ (١) ، ونحوُ ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (٢)

وإذا دخلَتْ على الفعلِ الماضي

فإن كانَتْ للدعاءِ فكذٰلكَ ؛ نحوُ لا زالَ طالبُ الخيرِ يجدُهُ ، ولا برحَ باغي الشرِّ يَهديهِ اللهُ ويَصرِفُهُ عنهُ

وإن كانَتْ للإخبارِ وجبَ تَكرارُها ؛ نحوُ ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ (٣) ، ولا راحَ ولا جاءَ

وإذا دخلَتْ على الجملةِ الاسميةِ

فإن كانَتْ أجزاؤُها نكراتٍ ، ولم تُفصَلْ مِنَ المبتدأ أعملتَها عملَ (إنَّ) حيثُ تريدُ النصَّ على النفيِ عنِ الجنسِ ، وأعملتَها عملَ (ليسَ) حيثُ تريدُ النفيَ عنِ الواحدِ ؛ نحوُ لا رجلَ يقولُ ذٰلكَ ، بل جميعُ أهلِ المدينةِ ، ونحوُ لا رجلٌ يقولُ ذٰلكَ ولا رجلانِ ، بل جميعُ الناسِ

وإذا وردَتْ عاملةً هٰذا العملَ ولا قرينةَ علىٰ مرادٍ وجبَ الحملُ على النفيِ عنِ الجنسِ ؛ إذ هوَ الظاهرُ ، ولا مقتضىٰ للعدولِ عنهُ

فإذا كانَتْ أجزاءُ الجملةِ معارفَ أو نكراتٍ ، وفُصِلَتْ (لا) مِنَ المبتدأ لم تَعملْ شيئاً ، ولزمَ تَكرارُها ؛ نحوُ ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ (٤) ، ونحوُ لا زيدٌ في الحقِّ ولا عمرٌو

---

(١) سورة الواقعة (٧٩)

(٢) سورة القيامة (١ ـ ٢)

(٣) سورة القيامة (٣١)

(٤) سورة الصافات (٤٧)

وتجيءُ مُكرَّرةً معَ الأوصافِ إمَّا لإثباتِ الوَسَطِ ؛ نحوُ لا حارٌّ ولا باردٌ ؛ أي فاترٌ ، ولا حلوٌ ولا حامضٌ ؛ أي مُزٌّ ، وإمَّا لغيرِ ذلكَ ؛ نحوُ ﴿ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ (١)

الكلامُ علىٰ (إلَّا)

هيَ مِنَ النواسخِ إذا كانَتْ بمعنىٰ (لٰكنَّ) ، وجاءَ بعدَها ما ليسَ مِنْ جنسِ ما قبلَها ؛ بشرطِ أن يُتوهَّمَ شمولُ الحكمِ لهُ ؛ حتىٰ يَصِحَّ الاستدراكُ ، وإذا كانَ ما بعدَها مِنْ جنسِ ما قبلَها ، وحُكِمَ عليهِ بغيرِ نقيضِ الحكمِ السابقِ ؛ نحوُ خرجَ أهلُ البلدِ للنزهةِ إلَّا حماراً ، علىٰ معنىٰ لٰكنَّ حماراً لم يَخرجْ وبقيَ في البلدِ ؛ فإنَّ الكلامَ السابقَ يُوهِمُ أنَّهُ لم يبقَ حيوانٌ مِنَ المُستعمَلاتِ في الركوبِ حيثُ كانَ الخروجُ عامّاً لأهلِ البلدِ

ونحوُ ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ (٢) علىٰ معنىٰ لستَ عليهِم بمحافظٍ تُلجِئُهُم إلى الدخولِ في الدِّينِ ، لٰكنَّ المتوليَ الكافرَ يُعذِّبُهُ اللهُ ، والكلامُ السابقُ علىٰ (إلَّا) ربَّما أوهمَ إهمالَهُم

هٰذا ؛ وقد رأيتُ تأخيرَ الكلامِ علىٰ مفعولَيِ الأفعالِ الإدراكيَّةِ والأفعالِ التصييريَّةِ اللَّذَينِ عرفتَ أنَّهُما النوعُ الثالثُ مِنَ النواسخِ إلىٰ بابِ المفعولِ بهِ ؛ ليكونَ الكلامُ آخذاً بعضُهُ بحُجَزِ بعضٍ



(١) سورة المرسلات (٣١)

(٢) سورة الغاشية (٢٢ ـ ٢٤) .

القسمُ الثالثُ

في الجملةِ الفعليَّةِ

عرفتَ أنَّ الجملةَ الفعليَّةَ هيَ المُصدَّرةُ بالفعلِ

الكلامُ على الفاعلِ ونائبهِ

الفاعلُ يَرفعُهُ فعلُ المعلومِ بما تَضمَّنَهُ مِنَ المعنى الذي تَنسُبُهُ إليهِ علىٰ وجهِ طلبهِ منهُ ، أوِ الإخبارِ بصدورِهِ عنهُ ، فجميعُ ما دلَّ دلالةَ فعلِ المعلومِ يَرفعُ الفاعلَ ؛ فيَرفعُهُ المصدرُ ، والأفعالُ ، واسمُ الفاعلِ ، والصِّفةُ ، واسمُ التفضيلِ ، والمُصغَّرُ لالتحاقِهِ بالصِّفاتِ ، والمنسوبُ إن لاحظتَ في معناهُ [ينتسبُ] ، والظروفُ المُستقَرَّةُ بما فيها مِنْ معاني الأفعالِ ؛ نحوُ أعجبَتْني كتابةُ العلمِ زيدٌ ، وحرصُهُ على الفائدةِ ، ونِعْمَ ما يَصنعُ ، فأكرموهُ ؛ فإنَّهُ عالي الهِمَّةِ ، حسنُ الصُّنعِ ، ولم أرَ رجلاً أجملَ بهِ الإكرامُ منهُ بطالبِ العلمِ ، وما في ذٰلكَ شكٌّ ، وهل عندَ أحدٍ فيهِ رِيبةٌ ؟ وكلُّ محمديِّ الطريقةِ مُصدِّقٌ بذٰلكَ ، وهل مُسَيْكِينٌ إلَّا مَنْ يَجهلُ قيمةَ أعمالِهِ ؟!

ويكونُ الفاعلُ اسماً ظاهراً ، ويكونُ ضميراً مستتراً ؛ أي ملحوظاً ليسَ لهُ لفظٌ ، وبارزاً ، ومُتصِلاً ، ومُنفصِلاً

يكونُ ضميراً مستتراً في أمرِ الواحدِ ، وفي مضارعِ المُتكلِّمِ الحاكي عن نفسِهِ وحدَهُ ، والحاكي عن نفسِهِ وغيرِهِ ، وفي مضارعِ المُخاطَبِ الواحدِ ، وفي فعلِ التعجُّبِ ، وفي أفعالِ الاستثناءِ ، وفي اسمِ التفضيلِ غيرِ نحوِ ما في المثالِ السابقِ (١)

---

(١) هو قوله المتقدم لم أرَ رجلاً أجملَ به الإكرامُ منه بطالب العلم

ويكونُ ضميراً بارزاً في غيرِ ذٰلكَ ، وفي غيرِ أفعالِ الغيبةِ

ويكونُ ضميراً بارزاً تارةً واسماً ظاهراً تارةً في أفعالِ الغَيبةِ غيرِ فعلِ الغائبِ الواحدِ والغائبةِ الواحدةِ ، وفيهِما يكونُ اسماً ظاهراً تارةً وضميراً مستتراً تارةً

وبسببِ كونِ الفاعِل في هٰذَينِ الموضعَينِ تارةً يكونُ ضميراً مستتراً ، وتارةً يكونُ اسماً ظاهراً تَسمعُ المُعرِبينَ يقولونَ في نحوِ (زيدٌ عرفَ) الفاعلُ فيهِ ضميرٌ مستترٌ جوازاً ، فالجوازُ صفةُ مجموعِ كونِهِ ضميراً مستتراً ؛ لِمَا عرفتَ أنَّ كونَهُ ضميراً غيرُ لازمٍ ، وفي المواضعِ التي لا يكونُ الفاعلُ فيها إلَّا ضميراً مستتراً ؛ نحوُ أكرمْ زيداً يقولونَ الفاعلُ ضميرٌ مستترٌ وجوباً ؛ علىٰ معنىٰ أنَّه لا يكونُ غيرَ ضميرٍ ألبتةَ

ويكونُ ضميراً مُنفصِلاً : إذا حُصِرَ فيهِ الفعلُ بـ (ما) و(إلَّا) ، أو بـ (إنَّما) ، أو فُصِلَ بأداةِ التفصيلِ ، أو حُذِفَ فعلُهُ

الأمثلةُ لذٰلكَ اَعرفْ ، أعرفُ ، نَعرِفُ ، تَعرِفُ ، ما أَعرفَ زيداً ، عُرِفَ القومُ ما خلا زيداً ، وما عداهُ ، وحاشاهُ ، وليسَ ، ولا يكونُ ، وهوَ أَعرَفُ مِنْ عمرٍو ، وعرفتُ ، وعرفنا ، وعرفتَ ، وعرفتِ ، وعرفتُما ، وعرفتُم ، وعرفتُنَّ ، وتَعرِفينَ ، وتَعرِفانِ ، وتِعرِفونَ ، وتَعرِفنَ ، واعرِفي ، واعرِفا ، واعرِفوا ، واعرِفنَ ، وعَرَفَ ويَعرِفُ الرجلانِ ، والرجلانِ عَرَفا ، ويَعرِفانِ ، وعرفتْ ، وتَعرِفُ المرأتانِ ، والمرأتانِ عَرَفَتا ، وتَعرِفانِ ، وعَرَفَ ويَعرِفُ الرجالُ ، والرجالُ عَرَفوا ويَعرِفونَ ، وعَرَفَتْ وتَعرِفُ النساءُ ، والنساءُ عرفنَ ويَعرِفنَ ، وعَرَفَ ويَعرِفُ الرجلُ ، والرجلُ عَرَفَ ويَعرِفُ ، وعرفَتْ وتَعرِفُ المرأةُ ، والمرأةُ عرفَتْ وتَعرِفُ ، وما عَرَفَ إلَّا أنتَ ، وإنَّما عَرَفَ هوَ ، ويَقرأُ إمَّا أنا وإمَّا أنتَ ، ويقولُ إنسانٌ مَنْ قرأَ ؟ فتقولُ أنا ، علىٰ ملاحظةِ قرأتُ ،

فحذفتَ الفعلَ ؛ اتكالاً علىٰ فهمِهِ بقرينةِ السؤالِ ، وفصلتَ الضميرَ

وممَّا سلفَ تَعرِفُ أنَّ الفعلَ متىٰ أُسنِدَ إلى الأسماءِ الظاهرةِ كانَ علىٰ صورةِ فعلِ الغائبِ الواحدِ دائماً ؛ فلا تقولُ : عَرَفا الزيدانِ ، ولا عَرَفوا الرجالُ ، ولا عَرَفنَ النساءُ ، بل تقولُ عَرَفَ الزيدانِ ، وعَرَفَ الرجالُ ، وعَرَفَتِ النساءُ ، كما تقولُ عَرَفَ زيدٌ ، وعرفَتْ هندُ

وهنالكَ لغةٌ رديئةٌ يُسمِّيها النحويونَ لغةَ (أكلوني البراغيثُ) تُلحِقُ الفعلَ الأَلِفَ والواوَ والنونَ أحرفاً تَدُلُّ بها على الاثنينيَّةِ والجمعيَّةِ ، وذٰلكَ المثالُ المسموعُ مِنْ أهلِ تلكَ اللُّغةِ المشهورُ عنهُم

والأوصافُ الملحوظةُ ملاحظةَ الأفعالِ لها حكمُها ، ولذٰلكَ تقولُ كما عرفتَ أقائمٌ الزيدانِ ؟ وما قائمٌ العمرونَ ، كما تقولُ أقائمٌ زيدٌ ؟ وما قائمٌ عمرٌو ، فالتركيبُ مبتدأٌ صوريٌّ وفاعلٌ ، وإذا قلتَ أقائمانِ الزيدانِ ؟ وما قائمونَ العمرونَ فالتركيبُ خبرٌ مُقدَّمٌ ومبتدأٌ مُؤخَّرٌ ، والوصفُ ومرفوعُهُ غيرُ جملةٍ إلَّا في مثلِ هٰذا التركيبِ

وإذا كانَ الفاعلُ مُتصِلاً بالفعلِ ، وكانَ ضميرَ أُنثىٰ حقيقةً ، أوِ اعتباراً ، أوِ اسماً ظاهراً لأُنثىٰ حقيقةً ، أو جمعَ مُؤنَّثٍ سالمٍ لم يُجْرَ مُجرىٰ جمعِ التكسيرِ ، وليسَ مُفردُهُ اسمَ ذكرٍ وجبَ لأجلِهِ تأنيثُ الفعلِ ، فتأتي معَ الماضي بتاءِ التأنيثِ الساكنةِ ، وتفتتحُ المضارعَ بالتاءِ ؛ فتقولُ هندٌ كتبَتْ وتَكتبُ ، والشمسُ طلعَتْ وتَطلُعُ ، وقرأَتْ وتَقرأُ عمرةُ

وإذا فُصِلَ ، أو كانَ اسماً ظاهراً لأُنثى اعتباراً ، أو كانَ جمعَ غيرِ مُذكَّرٍ سالمٍ ، وغيرِ مُؤنَّثٍ لم يُجْرَ مُجرى المُكسَّرِ ، وليسَتْ آحادُهُ ذكوراً جازَ التأنيثُ علىٰ ملاحظةِ معنى الجماعةِ في الجموعِ ، والتذكيرُ علىٰ ملاحظةِ معنى الجمعِ فيها

وأمَّا جمعُ المُذكَّرِ السالمِ فيجبُ معَهُ تذكيرُ الفعلِ ، وقد سَلَفَ حكمُ جمعِ المُؤنَّثِ السالمِ ، والأحسنُ التأنيثُ معَ الإناثِ ، إلَّا في نحوِ ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [١] ، والأحسنُ التذكيرُ في نحوِ ما قامَ إلَّا هندٌ ، وإنَّما كتبَ عمرةُ ، ونِعْمَ المرأةُ هندٌ

ويُحذَفُ الفعلُ جوازاً في نحوِ قولِ المرأةِ إلَّا حظيةٌ فلا أليةٌ ؛ معناه إلَّا تَتفِقْ وتَحصُلُ حالةٌ أحظىٰ بها فلا آلو ؛ أي أُقصِّرُ في أمورِ النساءِ ، وكلامُ هٰذهِ المرأةِ تُخبِرُ بهِ أنَّها عاملةٌ بقولِ الشاعرِ [٢] [من الطويل]

عَلَى ٱلْمَرْءِ أَنْ يَسْعَىٰ لِمَا فِيهِ نَفْعُهُ وَيَقْضِي إِلَـٰهُ ٱلْخَلْقِ مَا كَانَ قَاضِيَا

وفي رواية [٣]

وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَاعِدَهُ ٱلدَّهْرُ

وفي ثالثةٍ [٤]

وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ تَتِمَّ ٱلْمَطَالِبُ

ومِنْ حذفِ الفعلِ جوازاً قولُ الحارثِ بنِ نهيكٍ [٥] [من الطويل]

لِيُبْكَ يَزِيدٌ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ ٱلطَّوَائِحُ

أمرَ ببكاءِ يزيدَ ، ولم يذكرِ الباكيَ ؛ فإنَّ الفعلَ في (لِيُبْكَ يزيدُ) فعلٌ

---

(١) سورة يوسف (٣٠)

(٢) هو إبراهيم بن المهدي ، كما في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٢)

(٣) بهٰذه الرواية عند ابن المقري في « نفح الطيب » (٦٥٩/٢) ، والبيت بتمامه

عَلَى ٱلْمَرْءِ أَنْ يَسْعَىٰ لِمَا فِيه نَفْعُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَاعِدَهُ ٱلدَّهْرُ

(٤) انظر « نفحة اليمن » (ص ١٧٦) ، والبيت بتمامه

عَلَى ٱلْمَرْءِ أَنْ يَسْعَىٰ عَلَى ٱلْخَيْرِ جَهْدَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ تَتِمَّ ٱلْمَطَالِبُ

(٥) انظر « الكتاب » لسيبويه (٢٨٨/١)

مجهولٌ ، فاقتضى الحالُ السؤالَ عنهُ ، فكأنَّهُ قيلَ مَنْ يَبكيهِ ؟ فقالَ يَبكيهِ ضارعٌ ، فحذفَ الفعلَ ؛ اعتماداً على السؤالِ المُقدَّرِ

ويُحذَفُ وجوباً في نحوِ ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ (١) ، وهل زيدٌ كتبَ ؟ مِنْ كلِّ تركيبٍ ذُكِرَ فيهِ مُفسِّرٌ معَ ما يَختصُّ بالفعلِ ، ولا يُحذَفُ الفاعلُ أصلاً ، ويُحذَفانِ معاً ، ومنهُ الحذفُ معَ أحرفِ الجوابِ ؛ نحوُ هل قامَ زيدٌ ؟ فتقولُ نعم ، أو لا ؛ أي قامَ زيدٌ ، أو لم يقمْ

ولا يجوزُ تقديمُ الفاعلِ على الفعلِ

وأمَّا نائبُ الفاعلِ : فيَرفعُهُ فعلُ المجهولِ ، واسمُ المفعولِ ، ومنهُ المنسوبُ إذا لاحظتَ معنى المنسوبِ والمعزيِّ [والمُنْمَىٰ]

وينوبُ عنِ الفاعلِ : المفعولُ بهِ ، والمصدرُ الذي لم يلازمِ النصبَ ؛ نحوُ الليلةَ قُرِئَتْ قراءةٌ جيدةٌ ، والمصادرُ الملازمةُ للنصبِ ؛ نحوُ مَعاذَ اللهِ ، سبحانَ اللهِ   غيرُ قابلةٍ لذٰلكَ

وينوبُ عنهُ أيضاً الظُّروفُ المُتصرِّفةُ ؛ نحوُ تُصُدِّقَ الليلةُ علىٰ غنيٍّ ، تُصُدِّقَ الليلةُ علىٰ سارقٍ ، تُصُدِّقَ الليلةُ علىٰ بغيٍّ (٢)

ومثلُ الظرفِ الجارُّ والمجرورُ ؛ نحوُ بِيعَ واشتُرِيَ في المسجدِ ، وقُرِئَ في الأسواقِ

وإذا كانَ الفعلُ ذا مفعولَينِ   فالأفصحُ إنابةُ أوَّلِهما ، ويجوزُ إنابةُ الثاني معَ وجودِ الأوَّلِ إذا لم يلزمْ لَبْسٌ ؛ نحوُ كُسِيَتْ جُبَّةٌ زيداً ، ولا يجوزُ أُعطِيَ سالمٌ غانماً ؛ لأنَّهُ يَتبادرُ أنَّ سالماً هوَ الآخذُ ، وغانماً هوَ المأخوذُ ، والقصدُ

---

(١) سورة التوبة (٦)

(٢) أصل هٰذه الأمثلة حديث مرفوع أخرجه البخاري (١٤٢١) ، ومسلم (١٠٢٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

خلافُ ذٰلكَ ، فالواجبُ أُعطِيَ غانمٌ سالماً ؛ ليَفهَمَ سامعُكَ مرادَكَ حَسَبَ الغرضِ مِنَ الكلامِ

وإلىٰ هنا عرفتَ الأنواعَ المرفوعةَ مِنْ نوعِ الاسمِ ؛ وهيَ ستةٌ المبتدأُ ، والخبرُ ، واسمُ بابِ (كانَ) ، وخبرُ بابِ (إنَّ) ، والفاعلُ ، ونائبُهُ ، **والمنصوباتُ منهُ عشرةُ أنواعٍ** ، مضىٰ منها اثنانِ ؛ هما خبرُ بابِ (كانَ) ، واسمُ بابِ (إنَّ) ، وبقيتُهُ ثمانيةٌ ؛ وهيَ المفعولُ بهِ ، والمفعولُ المطلقُ ، والمفعولُ لأجلِهِ ، والمفعولُ فيهِ ، والمفعولُ معَهُ ، والمستثنىٰ ، والحالُ ، والتمييزُ



الكلامُ على المفعولِ بهِ

المفعولُ بهِ هوَ اسمُ الشيءِ الذي تَعلَّقَ بهِ الفعلُ علىٰ وجهِ التأثيرِ فيهِ

ويكونُ صريحاً ؛ نحوُ نقشتُ الخاتمَ ، وكتبتُ الكتابَ ، وبريتُ القلمَ ، ومُؤوَّلاً ؛ نحوُ أودُّ لو تَحفظُ العِلْمَ ، فـ (لو) موصولٌ حرفيٌّ يُؤوِّلُ صلتَهُ بمصدرٍ هوَ المفعولُ بهِ ، فالتقديرُ أودُّ حفظَكَ العِلْمَ ، ونحوُ أسألُكَ أن تَجتهِدَ في التعلُّمِ ، تقديرُهُ أسألُكَ الاجتهادَ ، ونحوُ بَلَّغتُ زيداً أنَّكَ مجتهدٌ ، تقديرُهُ : بَلَّغتُ زيداً اجتهادَكَ ، ونحوُ أشكرُ ما تُكرِمُ زيداً ؛ تقديرُهُ أشكرُ إكرامَكَ

ويكونُ ظاهراً كما مرَّ ، وضميراً مُتصِلاً ؛ وهوَ النوعُ المُشترَكُ بينَ مواضعِ النصبِ ؛ نحوُ غلامي أعجبَني[1] ، ومواضعِ الخفضِ ، ومُنفصِلاً ؛ وهوَ النوعُ المُختصُّ بمواضعِ النصبِ ؛ نحوُ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[2]

ويكونُ واحداً واثنَينِ وثلاثةً كما عرفتَ[3]

المفعولُ الواحدُ يكونُ لكلِّ فعلٍ لا يكفي في حصولِهِ فاعلُهُ ، بل يَحتاجُ في حصولِهِ لغيرِ فاعلِهِ ؛ وهوَ المُتعدِّي والمُتجاوِزُ ، فإن كفىٰ في حصولِهِ شيءٌ واحدٌ معَ الفاعلِ . فهوَ المُتعدِّي لواحدٍ ؛ نحوُ قرأتُ القرآنَ ، وحفظتُ المسائلَ ، وفهمتُ ما نطقتَ بهِ حينَ سمعتُهُ

فإذا كانَ المفعولُ الواحدُ ضميراً وجبَ أن يُؤتَىٰ بهِ مُتصِلاً بعاملِهِ ،

---

(١) لعل الأنسب أن يُؤخَّر هـٰذا المثال إلىٰ ما بعد قوله (ومواضع الخفض)

(٢) سورة الفاتحة (٥)

(٣) انظر (١٧٣/١)

إلَّا إذا قدمتَهُ عليهِ ، أو حصرتَ فيهِ الفعلَ ، أو فصلتَهُ بـ (إمَّا) ، أو حذفتَ عاملَهُ ؛ فإنَّهُ يجبُ أن يُؤتَىٰ بهِ مُنفصِلاً في هـٰذهِ المواضعِ

المُتصِلُ : أكرمَني ، وأكرمَنا ، وأكرمَكَ ، وأكرمَكِ ، وأكرمَكُما ، وأكرمَكُم ، وأكرمَكُنَّ ، وأكرمَهُ ، وأكرمَها ، وأكرمَهُما ، وأكرمَهُم ، وأكرمَهُنَّ

والمُنفصِلُ للتقديمِ إيَّايَ أكرمَ زيدٌ ، وإيَّانا ، وإيَّاكَ ، وإيَّاكِ ، وإيَّاكُما ، وإيَّاكُمْ ، وإيَّاكُنَّ ، وزيدٌ إيَّاهُ أُكرِمُ ، وهندٌ إيَّاها أكرمتُ ، وإيَّاهُما ، وإيَّاهُم ، وإيَّاهُنَّ

المُنفصِلُ للقصرِ زيدٌ ما أكرمَ إلَّا إيَّايَ ، وإنَّما أكرمَ إيَّايَ . وهَلُمَّ

المُنفصِلُ للتفصيلِ بـ (إمَّا) نحوُ أنا وزيدٌ لا نجتمعُ ؛ فادعُ إمَّا إيَّايَ ، وإمَّا إيَّاهُ

المُنفصِلُ لحذفِ العاملِ إيَّاكَ وأفعالَ الأراذلِ ؛ تحذيراً ، ونحوُ مَنْ ذَكَرَ عمرٌو بخيرٍ ؟ فتقولُ في جوابِهِ إيَّاكَ ، والأصلُ ذكرَكَ ، والأصلُ في سابقِهِ أُحذِّرُكَ ، فلمَّا حُذِفَ العاملُ لم يجدِ الضميرُ ما يَتصِلُ بهِ ، فانفصلَ ضرورةً

المفعولانِ اللَّذانِ يَطلُبُهُما بابا (أعطىٰ) و(ظنَّ) ولمفعولَيْ كلٍّ مِنَ البابَينِ مسائلُ تَتعلَّقُ بِهما يَتعيَّنُ إيرادُها هنا

مفعولا بابِ (أعطىٰ)

قد عرفتَ أنَّ المفعولَينِ لبابِ (أعطىٰ) يُسمَّىٰ أحدُهُما مفعولاً أوَّلَ ، وضابطُهُ أن يكونَ لهُ فاعليَّةٌ في المعنىٰ ، ويُسمَّى الآخَرُ مفعولاً ثانياً ، وضابطُهُ ألَّا يكونَ لهُ فاعليَّةٌ في المعنىٰ ، بل لهُ المفعوليَّةُ الخالصةُ

والذي يجبُ أن تَعرِفَهُ هنا أنَّهُ يَكثرُ حذفُهُما ، ويكونُ الفعلُ مُنزَّلاً منزلةَ

الأفعالِ اللَّازمةِ ؛ حيثُ يكونُ الغرضُ الإخبارَ بنفسِ الفعلِ ؛ كقولِكَ اللهُ هوَ الذي يُعطي ويَمنعُ

كما يَكثرُ حذفُ المفعولِ الواحدِ ، ويكونُ فعلُهُ كذٰلكَ ؛ نحوُ هوَ الذي يُحيي ويُميتُ ، ويُضحِكُ ويُبكِي ، ويُغني ويُفقِرُ ؛ فهٰذهِ الأفعالُ مُنزَّلةٌ مَنزِلةَ الأفعالِ اللَّازمةِ ؛ إذِ الغرضُ الإخبارُ بحصولِها أنفسِها ، وذٰلكَ مفيدٌ كما رأيتَ

ويجوزُ حذفُ أحدِهِما مِنْ غيرِ دلالةٍ عليهِ ، فيكونُ الفعلُ مُنزَّلاً مَنزِلةَ المُتعدِّي لواحدٍ ؛ حيثُ لا يَتعلَّقُ الغرضُ بذكرِ المحذوفِ ؛ كقولِكَ أعطىٰ زيدٌ عمراً ؛ حيثُ لا يُقصَدُ الإخبارُ بالشيءِ الذي أعطاهُ ، وكقولِكَ أعطىٰ زيدٌ دراهمَ ودنانيرَ ؛ حيثُ لا تقصدُ الإخبارَ بالأشخاصِ الذينَ أعطاهُم ، ويُسمَّىٰ هٰذا الحذفُ الحذفَ اقتصاراً

وأمَّا حذفُ أيِّ لفظٍ مِنَ الكلامِ اعتماداً علىٰ دليلٍ يَدُلُّ عليهِ ، فيكونُ المحذوفُ ملحوظاً ، غايةُ الأمرِ أنَّكَ استغنيتَ عن ذكرِهِ بسببِ كونِهِ مفهوماً مِنَ الدليلِ الذي يَدُلُّ عليهِ فإنَّهُ يُسمَّى الحذفَ اختصاراً ، وهوَ جائزٌ في المفاعيلِ وغيرِها

وإذا كانَ المفعولانِ ضميرَينِ ؛ فإن كانا مِنْ جنسٍ واحدٍ ؛ كقولِكَ لعبدِكَ مَلَّكتُكَ إيَّاكَ ، فيقولُ العبدُ سيِّدي مَلَّكَني إيَّايَ ، فتُخبِرُ أنتَ عن ذٰلكَ فتقولُ عبدي مَلَّكتُهُ إيَّاهُ وجبَ فصلُ الثاني ، فلا يَصِحُّ مَلَّكتُكَكَ ، ولا مَلَّكَنِيَ (١) ، ولا مَلَّكتُهُوهُ ؛ للقبحِ الظاهرِ في غيرِ ضميرَيِ الغَيبةِ ، وفيهِما يَخِفُّ الوصلُ خِفَّةً ما ، سيَّما عندَ اختلافِهِما تذكيراً وتأنيثاً ، وإفراداً وتثنيةً

(١) إذا أصله (مَلَّكَنِيي) الياء الأُولىٰ وهي ياء المتكلم المفعول الأول ، والياء الثانية المفعول الثاني ؛ فأُدغمت الأولىٰ بالثانية

وجمعاً ، فالأفصحُ فيهما الفصلُ ، وجاءَ الوصلُ ؛ قال [1] [من الطويل]

وَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي تَطِيبُ لِضَغْمَةٍ لِضَغْمِهِمَاهَا يَقْرَعُ ٱلْعَظْمَ نَادِمُهْ

وإن لم يكونا مِنْ جنسٍ واحدٍ جازَ لكَ في الذي تَجعلُهُ ثانياً في اللَّفظِ أن تأتيَ بهِ مُنفصِلاً ، وأن تأتيَ بهِ مُتصِلاً ؛ نحوُ ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ [2] ، لكن لا يجوزُ أنْ تأتيَ بهِ متصلاً إلَّا إذا كانَ سابقُهُ أخصَّ منهُ

والمرادُ بالأخصِّ مِنَ الضَّمائرِ الأعرفُ والأبعدُ عنِ الاحتمالِ والاشتباهِ ؛ فالأخصُّ ضميرُ المُتكلِّمِ ؛ إذ لا شبهةَ فيمَنْ يقولُ (أنا) أنَّهُ يَقصِدُ شخصَهُ ، وأنزلُ منهُ ضميرُ المُخاطَبِ ؛ إذ لو كانَ بينَ يدَيكَ اثنانِ وخاطبتَ أحدَهُما بـ (أنتَ) حصلَ اشتباهٌ في مرادِكَ منهُما ، ولذٰلكَ تَحتاجُ في رفعِهِ إلى التوجُّهِ إليهِ والإشارةِ حَسَبَ ما يُحتاجُ لتعيينِهِ

فأنزلُ الضَّمائرِ ضميرُ الغَيبةِ ؛ لأنَّكَ تَعتمِدُ في تعيينِ المرادِ بهِ مَرجِعَهُ ، وربَّما خَفِيَ المَرجِعُ بسببِ كونِهِ التزاميّاً ، أو تضمنيّاً ، أو مُختلِطاً بأشياءَ تَصلُحُ أن تكونَ مَرجِعاً ، حتىٰ إنَّهُ قد يُوجِبُ السؤالَ

فالمَرجِعُ الالتزاميُّ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ [3]

وكقولِ لبيدٍ [4] [من الكامل]

حَتَّىٰ إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ ٱلثُّغُورِ ظَلَامُهَا

والتضمينُ كقولِهِ تعالى ﴿ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [5] ، وتقولُ زيدٌ

---

(١) هو مغلس بن لقيط ، كما في « خزانة الأدب » (٥/٣٠٣) ، والرواية فيها وفي « الكتاب » (٢/٣٦٥) (نابُها) بدل (نادمه)

(٢) سورة هود (٢٨)

(٣) سورة صٓ (٣٢)

(٤) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ٣١٦)

(٥) سورة المائدة (٨)

خزنَ مالاً ، وصرفَ مالاً ، ولو كانَ صرفَهُ في وجوهِ برٍّ لكانَ لهُ خيراً

فتقولُ الدرهمُ أعطيتُكَهُ ، وأعطيتُكَ إيَّاهُ ؛ مُخيَّراً ، فإذا قلتَ الدرهمُ أعطيتُهُ وجبَ الفصلُ ؛ فتقولُ إيَّاكَ ، والمعروفُ سألتُهُ إيَّاكَ ، والجُبَّةُ كسوتُها إيَّاكَ ، فمتىٰ قَدَّمتَ الأخصَّ جازَ لكَ في المُؤخَّرِ الفصلُ والوصلُ ، ومتىٰ أخَّرتَهُ وجبَ فصلُهُ

كما أنَّهُ يجوزُ الفصلُ في خبرِ (كانَ) وأخواتِها إذا وقعَ ضميراً ، وكانَ الاسمُ ضميراً ؛ كقولِكَ الصديقُ الخَصِيصُ كنتَهُ ، وكنتَ إيَّاهُ ، والعدوُّ البغيضُ زيدٌ كانَهُ ، وكانَ إيَّاهُ

[مفعولا بابِ (ظنَّ)]

وكمفعولَيْ (أعطىٰ) إذا كانا ضميرَينِ مفعولا (ظنَّ) وأخواتِها ، ولمفعولَيْ (ظنَّ) وأخواتِها مسائلُ تَتعلَّقُ بها

الأُولىٰ مفعولا (بابِ ظنَّ) أصلُهُما المبتدأُ والخبرُ كما سبقَ (1) ، وجميعُ صورِ المبتدأ والخبرِ والمبتدأ ذي المرفوعِ ومرفوعِهِ تقعُ بعدَ الأفعالِ الإدراكيَّةِ التي هيَ (ظنَّ) وأخواتُها ؛ فتقولُ ظننتُ زيداً قائماً ، وظننتُهُ قامَ ، وظننتُهُ يقومُ ، وظننتُهُ أبوهُ قائمٌ ، وظننتُهُ في الدارِ ، وظننتُهُ عندَكَ ، وظننتُهُ الأمرُ غيرُ هَيِّنٍ علىٰ زيدٍ

لكنَّ الضَّمائرَ المُنفصِلةَ المرفوعةَ تصيرُ ضمائرَ مُتصِلةً منصوبةً ؛ لأنَّكَ تَجعلُ المبتدأَ والخبرَ مفعولَينِ لهٰذهِ الأفعالِ ، ونحوُ أظنُّ زيداً إن تُكرِمْهُ يُكرِمْكَ ، وأظنُّ ما مستقيمٌ الزيدانِ ، وعلمتُ أراضٍ أخواكَ

وحيثُ كانَ مَفادُ هٰذا التركيبِ أنَّ ظنَّكَ أو علمَكَ تَعلَّقَ بوقوعِ نسبةِ أمرٍ

---

(1) انظر (١/١٧٦)

لأمرٍ في زمنٍ ما   لم يمكنْ جعلُ الجملةِ التي يكونُ خبرُها طلباً مُتعلَّقاً للظنِّ أو العِلْمِ إلَّا على التأويلِ

مثلاً   إذا قلتَ   زيدٌ ، وسكتَّ   قالَ سامعُكَ   ما لهُ ؟ فإذا قلتَ : اضربْهُ ، أو   لا تُهِنْهُ ، أو : هل رضيَ أبوهُ عنهُ   حصلَتِ الإفادةُ ، وانقطعَ تَشوُّفُ السامعِ دونَ تأويلٍ وإعمالِ فكرٍ ، بخلافِ ما إذا قلتَ   ظننتُ زيداً ؛ فإنَّ سامعَكَ يقولُ   ظننتَهُ ماذا ؟ فإذا قلتَ   أكرمْهُ   رجعَ السامعُ بفكرِهِ إلى التركيبِ ، واستبانَ أنَّ مُرادَكَ بقولِكَ   ظننتُ زيداً أكرمْهُ   ظننتُ زيداً بسببِ كونِهِ مستقيمَ الأحوالِ حسنَ السيرةِ طيّبَ السريرةِ ؛ مُستحَقّاً لأن تأمرَ بإكرامِهِ ، فحاصلُهُ   أنَّ معنىٰ كلامِكَ   ظننتُ زيداً خَيّراً ، ثمَّ تبينتَ خلافَ ذٰلكَ

الثانيةُ   هٰذهِ الأفعالُ تَتعلَّقُ في الحقيقةِ بنسبةِ الخبرِ للمبتدأ ؛ لأنَّكَ تفيدُ أنَّ أمراً مظنونٌ لكَ ، وأنَّ أمراً معلومٌ لكَ ، فإذا قلتَ   علمتُ زيداً قائماً فليسَ غرضُكَ أن تفيدَ كونَ شخصِ زيدٍ معلوماً لكَ ، ولا أنَّ معنى القائمِ ـ وهوَ شيءٌ منسوبٌ لهُ القيامُ ـ معلومٌ لكَ ، ولٰكنْ تريدُ أن تفيدَ أنَّ ثبوتَ القائمِ لزيدٍ أمرٌ معلومٌ لكَ ، فالموصوفُ بالمعلوميَّةِ هوَ ثبوتُ الخبرِ للمبتدأ أوِ انتفاؤُهُ عنهُ ، فهوَ المفعولُ في الحقيقةِ ، لٰكنْ لمَّا لم يمكنْ إبرازُ النِّسبةِ إلَّا بالتركيبِ   أُوردَ التركيبُ ، وجُعِلَ النصبُ الذي هوَ علامةُ المفعوليةِ على المبتدأ والخبرِ اللَّذَينِ هما الطَّرَفانِ للنسبةِ ؛ إذِ النِّسبةُ هيَ الارتباطُ بينَ الشيئَينِ علىٰ وجهِ ثبوتِ الثاني للأوَّلِ أوِ انتفائِهِ عنهُ

الثالثةُ   إذا قَدَّمتَ الجزأَينِ على الأفعالِ ، أو وَسَّطتَ الأفعالَ بينَهُما جازَ لكَ أن تَنصِبَهُما مفعولَينِ ، وأن ترفعَهُما مبتدأً وخبراً ؛ فتقولُ   زيداً

أظنُّ قائماً ، أو زيدٌ أظنُّ قائمٌ ، وزيداً قائماً أظنُّ ، أو زيدٌ قائمٌ أظنُّ ، وتُسمَّى الأفعالُ عندَ الرفعِ مُلغاةً

الرابعةُ إذا كانَتْ جملةُ المبتدأ والخبرِ مُصدَّرةً بـ (ما) النافيةِ ، أو بـ (إنِ) النافيةِ ، أو بـ (لا) النافيةِ ، أو مُصدَّرةً بقَسَمٍ ، أو مُصدَّرةً باستفهامٍ ، أو مُشتمِلةً علىٰ لامِ الابتداءِ مُصدَّرةً فيها ، أو مُزحلَقةً لوجودِ (إنَّ) في صدرِ الجملةِ وجبَ رفعُ الجزأينِ مبتدأً وخبراً ، ويُقالُ إنَّ الجملةَ في محلِّ نصبٍ مُشتمِلةً علىٰ مفعولَيْ (ظنَّ) مثلاً ؛ كما إذا كانَتِ الجملةُ شرطيَّةً ، وحينَئذٍ تُسمَّى الأفعالُ مُعلَّقةً عنِ العملِ ؛ حيثُ لم يكنْ لها تَسلُّطٌ علىٰ لفظِ ما بعدَها بالنصبِ ؛ نحوُ علمتُ ما زيدٌ قائمٌ ، وأظنُّ لا زيدٌ قائمٌ ولا عمرٌو ، وأرىٰ إنِ الأيامُ إلَّا مُخلِفةٌ ما وعدَتْ ، وعلمتُ واللهِ لَزيدٌ قائمٌ ، وعلمتُ أعندَكَ زيدٌ أم عمرٌو ، وعلمتُ هل زيدٌ في الدارِ ، وتَظنُّ أيُّ الرجلَينِ أفضلُ ؟ وأنا ظانٌّ أو عالمٌ لَزيدٌ قائمٌ ، واعلمْ إنَّ زيداً لَقائمٌ

فإذا وقعَتْ (إنَّ) بعدَ عِلْمٍ ولا لامَ معَها وجبَ فتحُها ، وحينَئذٍ يُقالُ (أنَّ) وصلتُها في تأويلِ مفردٍ مصدرٍ سادٍّ مَسَدَّ مفعولَيْ نحوِ علمتُ أنَّ اللهَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ ، والتقديرُ علمتُ قدرةَ اللهِ علىٰ كلِّ شيءٍ ، ونحوِ علمتُ إن يقمْ زيدٌ يقمْ عمرٌو ، وتَعلَّمْ مهما يُرِدِ اللهُ يكنْ

فلا يكونُ المفعولُ جملةً إلَّا في (بابِ ظنَّ) وقد عرفتَ أنَّ المفعولَ في الحقيقةِ هوَ النسبةُ ، فجعلُ الجملةِ مفعولاً مشيٌ معَ الظاهِرِ

المسألةُ الخامسةُ يَندُرُ حذفُ المفعولَينِ أو أحدِهما في هٰذا البابِ

اقتصاراً ؛ لعدمِ الفائدةِ في الإخبارِ بأنَّ عندَكَ ظنّاً أو عِلْماً غالباً ، فإذا قلتَ أظنُّ أو أعلمُ ؛ تفيدُ أنَّ عندَكَ ظنّاً أو عِلْماً . لم يكنْ مسموعاً منكَ ، بخلافِ زيدٌ يعطي ويَتفضَّلُ ؛ فإنَّ لهُ فائدةً ظاهرةً

ومِنَ النادرِ قولُهُم مَنْ يَسمعْ يَخَلْ ، وهوَ مفيدٌ ، وتقولُ مثلاً خُلِقَ الإنسانُ يَعلمُ ويَظنُّ ويَتخيَّلُ ويَشُكُّ ويَتوهَّمُ ، فكيفَ تُكلِّفُني تركَ ما هوَ خاصَّةُ نوعي ؟! فيكونُ مفيداً كذٰلكَ

وقد عرفتَ أنَّ الاعتمادَ في جميعِ الكلامِ علىٰ حصولِ الفائدةِ التي لم تكنْ عندَ المُخاطَبِ ، وإلَّا كانَ لغواً

تكملةٌ

[في أنَّ القولَ قد يَتعلَّقُ باللَّفظِ]

القولُ يَتعلَّقُ باللَّفظِ ، فيكونُ مفعولُهُ اللفظَ المَحكيَّ بعدَهُ مُفاداً أنَّهُ المنطوقُ بهِ ؛ فتقولُ قلتُ كلمةً ؛ أي هٰذا اللَّفظَ ، أو لفظاً آخرَ عَبَّرتَ عنهُ بالكلمةِ ؛ كزيدٍ أو عمرٍو ، وقلتُ زيداً ؛ أي هٰذا اللَّفظَ ، وقلتُ زيدٌ قائمٌ ، وهٰكذا ، فالمفعولُ بهِ للقولِ وما تَصرَّفَ منهُ هوَ الألفاظُ

والمفعولُ بهِ لبابِ (ظنَّ) هوَ النِّسبةُ ، والمفعولُ بهِ لبقيةِ الأفعالِ هوَ الأشياءُ التي تَعلَّقَتْ بها الأفعالُ علىٰ وجهِ التأثيرِ فيها

وحيثُ عرفتَ أنَّ معنى الفعلِ منسوبٌ يُلحَظُ أوَّلاً ، ونسبةٌ تُلحَظُ ثانياً ، ومنسوبٌ إليهِ يُلحَظُ ثالثاً ، وكانَتْ نسبةُ الفعلِ إلىٰ فاعلِهِ سابقةً في التعقُّلِ عن نسبتِهِ إلىٰ مفعولِهِ ، ونسبتِهِ إلىٰ مفعولِهِ الأوَّلِ كذٰلكَ فالمناسبُ أن يكونَ اللَّفظُ علىٰ هٰذا الترتيبِ ؛ تقولُ كتبَ زيدٌ كتاباً ، وأعطىٰ بكرٌ أباهُ داراً ، ولٰكنْ تارةً يقتضي الحالُ خلافَ ذٰلكَ

أمَّا الفاعلُ فلا يَتقدَّمُ على الفعلِ أصلاً ، وأمَّا غيرُهُ ؛ فإن كانَ كلمةً لها صدرُ الكلامِ وجبَ تقديمُهُ ؛ نحوُ ما تكتبُ ؟ ومَنْ تُخاطِبُ ؟ ومَنْ تُكرِمْ أُكرِمْ ، ومَنْ تُهِنْ إنْ زيداً وإنْ غيرَهُ أُهِنْ

وإن كانَ الفاعلُ ضميراً ، أو كانَ هوَ والمفعولُ غيرَ ظاهرَيِ الإعرابِ ، أو كانَ المفعولُ مقصوراً عليهِ فعلُ الفاعلِ وجبَ تأخيرُ المفعولِ عنِ الفاعلِ ؛ نحوُ أكرمتُ زائراً ؛ لأنَّ تقديمَهُ عليهِ يُوجِبُ فصلَهُ معَ إمكانِ وصلِهِ ، وهوَ ممتنعٌ ، ومنهُ تَفهمُ أنَّ الغرض عدمُ تقديمِهِ على الفاعلِ فقطْ ، والفصلُ بينَهُ وبينَ الفعلِ ، فيَتقدَّمُ على الفعلِ حيثُ لا مانعَ

ونحوُ أساءَ ذلك هذا ، وأكرمَ عيسىٰ موسىٰ ؛ فإنَّهُ لا يَتميَّزُ الفاعلُ مِنَ المفعولِ إلَّا بالموضعِ ؛ لصلاحيةِ كلٍّ لأن يكونَ فاعلاً ، ولأن يكونَ مفعولاً ، ولا ظهورَ للإعرابِ

فلو تَعيَّنَ كلٌّ لكلٍّ بغيرِ الموضعِ لم يَلزمْ ذلكَ ؛ نحوُ أكلَ الكُمَّثرىٰ هٰذا الفتىٰ ، وسبقَ عيسىٰ موسىٰ بألفِ سنةٍ ، ونحوُ إنَّما قصدَ زيدٌ دارَكَ ؛ أي قصدَ دارَكَ ولم يَقصِدْ دارَ غيرِكَ

وأجازَ النحويونَ هنا أن يَتقدَّمَ المقصورُ عليهِ بـ (إلَّا) معَها ؛ نحوُ ما قصدَ إلَّا دارَكَ زيدٌ ؛ فإنَّهُ لا يُعرَفُ المقصورُ عليهِ بـ (إنَّما) إلَّا بالموضعِ ، بخلافِ المقصورِ عليهِ بـ (ما) و(إلَّا)

وإذا كانَ المفعولُ ضميراً ، أو كانَ الفاعلُ مقصوراً عليهِ بـ (إنَّما) ، أو كانَ معَ الفاعلِ ضميرٌ مَرجِعُهُ المفعولُ وجبَ تقديمُ المفعولِ على الفاعلِ ؛ نحوُ أكرمَني زيدٌ ، وإنَّما أهانَ عمراً زيدٌ ، وزانَ الشجرَ نورُهُ

واجعلِ المفعولَ الأوَّلَ فاعلاً ، وأَعمِلْ فكرَكَ في قياسِهما على الفاعلِ والمفعولِ ؛ لتستخرجَ أحكامَهُما ؛ نحوُ أعطيتُكَ عبداً ، وأعطىٰ زيدٌ

سالماً غانماً ، وإنَّما كسا زيدٌ عمراً جُبَّةً ، وإنَّما كسا بكرٌ جُبَّةً خالداً ، وهٰكذا

وقد سمعتَ غيرَ مَرَّةٍ أنَّ كلَّ لفظٍ يُفهَمُ معناهُ دونَ ذكرِهِ لدلالةِ قرينةٍ لفظيةٍ أو حاليةٍ عليهِ جازَ لكَ حذفُهُ ؛ كما قالَ[١] [من الرجز]

وَحَـذْفُ مَـا يُـعْـلَـمُ جَـائِـزٌ

وسمعتَ أيضاً أنَّ بعض الألفاظِ يجبُ حذفُهُ ، وبعضَها يجبُ ذكرُهُ ، فيجبُ ذكرُ المفعولِ بهِ كغيرِهِ إذا كانَ جواباً ، أو مقصوراً عليهِ ، أو مُتعجَّباً مِنْ صفتِهِ ، ما لم يكنْ في معطوفٍ ؛ كقولِكَ أكتبُ جواباً ، لمَنْ يَسألُكَ ماذا تكتبُ ؟ ولا أقصدُ إلَّا إبانةَ الحقِّ ، وما أحسنَ زيداً وأجملَ !!

[مواضعُ وجوبِ حذفِ ناصبِ المفعولِ بهِ]

ويجبُ حذفُ ناصبِ المفعولِ بهِ في خمسةِ مواضعَ بإنابةِ شيءٍ عنهُ وبدونِها

الموضعُ الأوَّلُ تراكيبُ معدودةٌ مسموعةٌ ، وهيَ الأمثالُ وما جرىٰ مَجراها ؛ مِنْ ذٰلكَ قولُهُ تعالى ﴿ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾[٢] ؛ أيِ انتهوا عنِ التثليثِ وأْتوا خيراً ، ومثلُهُ قولُهُم حَسْبُكَ خيراً [لكَ] وقولُ أبي الأسودِ وراءَكَ أوسعَ لكَ ، والقرينةُ ذكرُ ما يُؤمَرُ بهِ لملائمتِهِ وموافقتِهِ عقبَ النهيِ عن غيرِهِ

ومنها قولُهُم امرأً ونفسَهُ ؛ أي دعِ امرأً ونفسَهُ أو معَ نفسِهِ ؛ نهياً عنِ

---

(١) هو ابن مالك في « ألفيته » ، كما في « شرح ابن عقيل على الألفية » (٢٤٣/١) ، والبيت بتمامه
وَحَـذْفُ مَـا يُـعْـلَـمُ جَـائِـزٌ كَـمَـا ... تَـقُـولُ زَيْـدٌ بَـعْـدَ مَـنْ عِـنْـدَكُـمَـا

(٢) سورة النساء (١٧١)

التعرُّضِ بالنصيحةِ لغيرِ قابلٍ وربَّما استعقبَتْ شرّاً ، وفي الحديثِ « مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ »[1]

ولبعضِ الشعراءِ[2] [من السريع]

لَا تَـرْجِـعُ ٱلْأَنْـفُـسُ عَـنْ غَـيِّـهَـا ... مَـا لَـمْ يَـكُـنْ مِـنْـهَـا لَـهَـا زَاجِـرُ

ولآخَرَ [من المتقارب]

إِذَا مَـا هَـدَيْـتَ ٱمْـرَأً مُـخْـطِـئـاً ... أَضَـلَّ ٱلـسَّـبِـيـلَ إِلَـىٰ قَـصْـدِهِ

وَلَـمْ تَـرَهُ سَـامِـعـاً قَـابِـلاً ... فَـحَـسِّـنْ لَـهُ ٱلْـمَـشْـيَ فِـي ضِـدِّهِ

أيْ إنِ اضطُرِرتَ لذٰلكَ ، ومَنْ جَرَّبَ عَرَفَ ، ولأبي الطيِّبِ[3] [من الخفيف]

إِنَّـمَـا تُـنْـجِـحُ ٱلْـمَـقَـالَـةُ فِـي ٱلْـمَرْ ... ءِ إِذَا صَـادَفَـتْ هَـوىً فِـي ٱلْـفُـؤَادِ

ومنها قولُهُم أهلاً وسهلاً ومرحباً ؛ أي لقيتَ أهلاً لا أجانبَ ، وصادفتَ مكاناً سهلاً ، وحللتَ موضعَ رحبٍ ؛ أي سعةٍ ، [مِنْ] رَحُبَتْ دارُكَ ؛ أي كانَتْ رَحْبةً ، بسكونِ الحاءِ ؛ وصفَ المُؤنَّثِ مِنْ رَحُبَ ؛ فهوَ رَحْبٌ ؛ مِنَ البابِ الخامسِ

ومنها قولُهُم هٰذا ولا زعماتِكَ ؛ تقولُهُ إذا رميتَ مُخاطَبَكَ بحكايةِ الأكاذيبِ عندَ سماعِكُما خبراً عليهِ سيما الصدقِ ؛ أي هٰذا أقبلُ وأصدقُ وأزعمُ ولا أسمعُ زعماتِكَ ولا أقبلُها ولا أعتبرُها ، وَقدِّرْ ما يناسبُ الحالَ

ومنها قولُهُم عذيرَكَ مِنْ فلانٍ ، وعذيري منهُ ؛ تقولُهُ لِمَنْ أساءَ شخصاً

(١) أخرجه مسلم (٤٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(٢) انظر « المستطرف » (٣/٣٥٤)

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٥٠)

يظهرُ أنَّهُ لا يَستحِقُّ الإساءةَ عتاباً ، أو يَستحِقُّ ثناءً ؛ أيِ اذكرْ عذرَكَ أو عاذرَكَ ؛ أيِ الحالَ التي بها تعذرُ ، أو أعلمُ أنا عذرَكَ ، أوِ الحالَ التي بها تعذرُ

ومنها قولُهُمُ الكلابَ على البقرِ ؛ أصلُهُ في الصَّيدِ ، وهوَ موردُ المثلِ ، وتَقولُهُ لإرشادِ صاحبِكَ إلىٰ متاركةِ الناسِ وأعمالِهِم

ومنها قولُ العربيِّ لغيرِهِ أهلَكَ واللَّيلَ ؛ أيِ ائتِ أهلَكَ معَ الليلِ ، أوِ ائتِ أهلَكَ نهاراً واسبقِ الليلَ ؛ فإنَّ الليلَ تَنتشِرُ فيهِ السباعُ والحشراتُ واللصوصُ

ومنها قولُهُم عَمْرَكَ اللهَ ، بنصبِ الكلمتَينِ ؛ أي سألتُ اللهَ تعميرَكَ ومدَّ أيامِكَ ، بحذفِ زيادتَيِ المصدرِ

وهٰذا أُنموذجٌ يُنبِّهُكَ على التقاديرِ المناسبةِ فيما يَرِدُ عليكَ مِنَ الأمثالِ وما يَجري مَجراها ؛ فإنَّكَ مُطالَبٌ بما فيهِ زيادةُ منفعتِكَ ؛ مِنَ الاطلاعِ علىٰ أمثالِ العربِ وغيرِهِم ؛ حيثُ كانَتِ الأمثالُ أحرارَ الكلامِ ، ومُستقَرَّ البلاغةِ ، وينابيعَ الحِكَمِ ، منها تستفيدُ ، وبها تَتأدَّبُ ، وعليها تَعتمدُ

الموضعُ الثاني تراكيبُ النداءِ ، بضمِّ أولِهِ علىٰ أنَّهُ مصدرٌ صوتيٌّ ، وبكسرِهِ علىٰ أنَّهُ مصدرُ مفاعلةٍ ؛ فالمنادىٰ مفعولٌ بهِ لا يُذكَرُ ناصبُهُ معَ إقامةِ أحرفِ النداءِ مُقامَهُ

غيرَ أنَّ لهُ أحوالاً بحَسَبِها تَختلِفُ أحكامُهُ

الحالةُ الأُولىٰ أن يكونَ مفرداً ، معرفةً ـ إفرادُهُ وتَعرُّفُهُ اللَّذينِ عرفتَهُما ـ منادىً مطلوبَ الإقبالِ فقطْ

وحكمُهُ في هٰذه الحالةِ البناءُ علىٰ ما يُرفَعُ بهِ لو كانَ مُعرَباً ؛ فيُبنىٰ على الضَّمِّ الظاهرِ في نحوِ يا زيدُ ، ويا رجلُ ، والمُقدَّرِ في نحوِ يا هٰذا ، ويا أنتَ ، ويا إيَّاكَ علىٰ لغةِ مَنْ قالَ يا إيَّاكَ قد كفيتُكَ ، ويا سيبويهِ ، ويا فتىٰ ، ويا قاضي ؛ لامتناعِ ظهورِهِ أو ثقلِهِ ، وعلى الألفِ في المُثنَّىٰ ، وعلى الواوِ في جمعِ المُذكَّرِ السالمِ ، وهوَ في موضعِ نصبٍ ؛ لكونِهِ مفعولاً بهِ لفعلٍ ملتزمِ الحذفِ ، تقديرُهُ : (دعوتُ) بلفظِ الماضي ؛ لأنَّهُ صارَ إنشاءً ، والمعهودُ نقلُهُ إلى الإنشاءِ هوَ الماضي ؛ كبعتُ واشتريتُ

نعم ؛ إذا كانَ المنادىٰ عَلَماً ، موصوفاً بابنٍ أوِ ابنةٍ ، مُتَّصِلَينِ بهِ ، مضافَينِ لعَلَمِ أبيهِ أو أُمِّهِ جازَ لكَ ضمُّ المنادىٰ ، وفتحُهُ ؛ وهوَ المختارُ للتخفيفِ ، ولهٰذهِ العِلَّةِ يُحذَفُ تنوينُهُ وأَلِفُ (ابنٍ) و(ابنةٍ) مِنَ الخَطِّ إن لم تكنْ أوَّلَ سطرٍ

وقولُهُ (١) [من الرجز]

جَـارِيَـةٌ مِـنْ قَـيْـسٍ ٱبْـنِ ثَـعْـلَـبَـهْ

شاذٌّ

وإذا كانَ مكرَّراً ، والثاني مضافٌ ؛ كقولِ الشاعرِ (٢) [من البسيط]

يَـا تَـيْـمُ تَـيْـمَ عَـدِيٍّ لَا أَبَـا لَـكُـمُ   لَا يُـلْـفِـيَـنَّـكُـمُ فِـي سَـوْءَةٍ عُـمَـرُ

وقولِ الآخَرِ (٣) [من الرجز]

يَـا زَيْـدُ زَيْـدَ ٱلْـيَـعْـمَـلَاتِ ٱلـذُّبَّـلِ

تَـطَـاوَلَ ٱلـلَّـيْـلُ عَـلَـيْـكَ فَـٱنْـزِلِ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (٢/٢٣٦)

(٢) انظر « خزانة الأدب » (٢/٢٩٨)

(٣) انظر « خزانة الأدب » (٢/٣٠٣)

جازَ لكَ ضَمُّهُ لكونِهِ مِنَ المنادىٰ ذي الحالةِ التي نحنُ في إبانةِ حكمِ صاحبِها ، وجازَ لكَ نصبُهُ إغضاءً عنِ الثاني ، وكأنَّهُ غيرُ موجودٍ ، فيكونُ المنادىٰ حينَئذٍ ليسَ مِنَ المنادىٰ ذي الحالةِ التي نحنُ في إبانةِ حكمِها ، وعليهِ تقولُ يا غلامانِ غلامَيْ صاحبي ، أو يا غلامَيْ غلامَيْ صاحبي ، ويا زيدونَ زيدِي [اليعملاتِ] ، ويا زيدِي زيدِي اليعملاتِ

وإذا أردتَ أن تناديَ بالاسمِ المُفتتَحِ بـ (أل) وجبَ أن تَفصِلَ بينَهُ وبينَ حرفِ النداءِ بكلمتَيْ (أيُّها) في المُذكَّرِ و(أيَّتُها) في المُؤنَّثِ ؛ فكلمةُ (أيّ) اسمٌ مُبهَمٌ بمعنىٰ شيءٍ فُسِّرَ بالمنادىٰ ، فالمُفتتَحُ بـ (أل) هوَ المنادىٰ في الحقيقةِ ، لٰكنَّ الصناعةَ تُلزِمُكَ أن تقولَ إنَّ كلمةَ (أيّ) هيَ المنادى المبنيُّ على الضمِّ في موضعِ نصبٍ ، وها حرفُ تنبيهٍ ، وما بعدَها صفةٌ ليسَ لها حكمُ تابعِ المنادى الذي يَرِدُ عليكَ تفصيلُ أحكامِهِ عندَ الكلامِ على التوابعِ

ومثلُ (أيّ) في هٰذا اسمُ الإشارةِ ، وربَّما جُمِعَ بينَهُما ؛ نحوُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ ﴾[1] ، ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾[2] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى ﴾[3] ، يا أيُّهٰذا الرجلُ ، يا أيَّتُهاتي المرأةُ ، ولبعضِهِم[4] [من السريع]

أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ إِلَيْهِ ٱذْهَبِي ... فَحُبُّهُ ٱلْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِي
مُفَضَّضُ ٱلثَّغْرِ لَهُ نُقْطَةٌ ... مِسْكِيَّةٌ فِي خَدِّهِ ٱلْمُذْهَبِ
أَيْأَسَنِي ٱلتَّوْبَةَ فِي حُبِّهِ ... طُلُوعُهُ شَمْساً مِنَ ٱلْمَغْرِبِ

---

(١) سورة الانفطار (٦)

(٢) سورة الفجر (٢٧)

(٣) سورة الحجر (٦)

(٤) هو ابن طلحة الصقلي ، كما في « وفيات الأعيان » (١/٢٩١)

وأجازَتْ ضرورةُ الشعرِ أن يجمعَ الشاعرُ بينَ (يا) و(أل) ، فلا يجوزُ في الكلامِ إلَّا إذا كانَ المنادىٰ جُملةً جُعِلَتْ عَلَماً ؛ نحوُ يا المنطلقُ زيدٌ ، وإلَّا إذا كانَ لفظَ الجلالةِ ؛ فتقولُ يا أَللهُ ، بقطعِ الهمزةِ على الأفصحِ ، والأحسنُ اللهُمَّ ، بتعويضِ الشديدةِ عن (يا) ، ولمكانِ التعويضِ شذَّ جمعُهُما في الشعرِ ؛ كقولِهِ[1] [من الرجز]

إِنِّي إِذَا مَا حَدَثٌ أَلَمَّا ... أَقُولُ يَا [ٱللَّهُمَّ] يَا [ٱللَّهُمَّا]

ولضرورةِ الشعرِ يُنوَّنُ هٰذا المنادىٰ ، وهوَ باقٍ علىٰ ضمِّ بنائِهِ في أصحِّ القولَينِ

الحالةُ الثانيةُ ألَّا يكونَ المنادىٰ مطلوبَ الإقبالِ فقطْ ، بل يكونُ معَ طلبِ إقبالِهِ مُستغاثاً مطلوباً أن يكونَ غوثاً مُنقِذاً مِنْ شِدَّةٍ ، ويُذكَرُ بعدَهُ صاحبُ الشِّدَّةِ ، وتارةً يكونُ هوَ المستغيثَ ، وتارةً يكونُ غيرَهُ ، أو يُذكَرُ بعدَهُ نفسُ الشِّدَّةِ ، وحينَئذٍ يُسمَّى المنادىٰ مُستغاثاً ، وصاحبُ الشِّدَّةِ مُستغاثاً لأجلِهِ ، والشِّدَّةُ مُستغاثاً منهُ

وحكمُهُ حينَئذٍ أن يُخفَض بلامٍ مفتوحةٍ ؛ لأنَّ المنادىٰ واقعٌ موقعَ كافِ الخطابِ الضميرِ ، ومعَ الضَّمائرِ تُفتَحُ اللَّامُ ؛ وهيَ لامُ الاختصاصِ ، مُتعلِّقةٌ بالفعلِ المُقدَّرِ وإن كانَ مُتعدِّياً ؛ لضَعفِهِ بالحذفِ ، ويُخفَضُ المُستغاثُ لأجلِهِ بلامٍ مكسورةٍ كما يُخفَضُ بها المعطوفُ ، إلَّا إذا كَرَّرتَ (يا) لكونِهِ مُستغاثاً مُستقِلّاً ، فتفتحُ معَهُ اللَّامَ وتَخفِضُ المُستغاثَ منهُ بـ (مِنْ) نحوُ يا لَزيدٍ لِعمرٍو ، ويا لَبكرٍ لي ، ويا لَهشامٍ ولِخالدٍ ، ويا لَهشامٍ ويا لَخالدٍ ، ويا لَخالدٍ مِنْ جورِ الأحكامِ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (٢/٢٩٥)

ولكَ أن تَحذِفَ لامَ المُستغاثِ وتُعوِّض منها بعدَ آخِرِهِ أَلِفاً ؛ نحوُ يا زيدَا لعمرٍو

ومثلُ المُستغاثِ المُهدَّدُ والمُتعجَّبُ منهُ في كيفِهِ أو كَمِّهِ ؛ نحوُ (١) [من المديد]

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلَيْباً يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ ٱلْفِرَارُ

في التهديدِ

وكقولِ العربيِّ حيثُ ينتهي إلىٰ ماءٍ كثيرٍ نميرٍ صافٍ ، وعشبٍ كثيرٍ ريَّانَ ناضرٍ يا لَلماءِ ، ويا لَلعشبِ

ومنهُ يا عجبَا ، وكثيراً ما يَغلطُ القارئُ فيقولُ (يا عجباً) بالتنوينِ

فحكمُ المُهدَّدِ والمُتعجَّبِ منهُ حكمُ المستغاثِ

الحالةُ الثالثةُ ألَّا يكونَ المنادىٰ مفرداً مُعرَّفاً ، بل إمَّا أن يكونَ مضافاً وما يضارعُهُ ، وإمَّا أن يكونَ نكرةً

وحكمُهُ حينَئذٍ النصبُ لفظاً أو تقديراً ؛ نحوُ يا أخا فهمٍ ، ويا فتى الفتيانِ ، والمرادُ بما يضارعُ المضافَ ثلاثةُ أشياءَ

ـ أحدُها الاسمُ العاملُ ؛ نحوُ يا حسناً وجهُهُ ، ويا محسناً أعمالَهُ ، ويا بصيراً بأمرِهِ

ـ الثاني الاسمُ الموصوفُ بجملةٍ أو ظرفٍ ؛ كقولِهِ (٢) [من الوافر]

أَعَبْداً حَلَّ فِي شُعَبَىٰ غَرِيباً أَلُؤْماً لَا أَبَا لَكَ وَٱغْتِرَابَا

---

(١) البيت لمهلهل بن ربيعة في « ديوانه » (ص ٣٥)

(٢) تقدم (١/٢٤٥)

وكقولِهِ [1] [من الطويل]

أَيَا شَاعِراً لَا شَاعِرَ ٱلْيَوْمَ مِثْلُهُ جَرِيرٌ وَلَٰكِنْ فِي كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ

وكقولِهِ [2] [من الطويل]

أَدَاراً بِحُزْوَىٰ هِجْتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً فَمَاءُ ٱلْهَوَىٰ يَرْفَضُّ أَوْ يَتَرَقْرَقُ

ـ الثالثُ العددُ المُشتمِلُ على العطفِ ؛ كأحدٍ وعشرينَ ، واثنينِ وعشرينَ

وكلُّ ذٰلكَ يُستعملُ في مُعيَّنٍ ، وفي غيرِ مُعيَّنٍ ، ويَظهرُ ذٰلكَ في الأوصافِ

فعلى الأوَّلِ تقولُ يا غلامَ خدمةِ الماهرَ ، ويا حسناً وجهُهُ المحسنَ ، ويا ثلاثةً وثلاثينَ الأذكياءَ

وعلى الثاني تقولُ ماهراً ، ومحسناً ، وأذكياءَ

غيرَ أنَّ الموصوفَ بجملةٍ أو ظرفٍ لا يُوصَفُ بعدُ بالمعرفةِ ، كأنَّهُمُ استنكروا صفةَ المعرفةِ بعدَ صفةِ النكرةِ

والصحيحُ جوازُ نداءِ النكراتِ ؛ وهيَ ما لا يُقصَدُ بها مُعيَّنٌ ، موصوفةً وغيرَ موصوفةٍ ؛ نحوُ يا غافلينَ وقد ترادفَتِ المُذكِّراتُ ، ونحوُ يا رجلاً يرجو رحمةَ ربِّهِ ويَخافُ غضبَهُ

هٰذا ؛ ومِنَ المنادىٰ أسماءُ الأشياءِ التي يُتوجَّعُ منها ، أو يُتفجَّعُ عليها ، ويُسمَّىٰ نداؤُها ندبةً ، ويُسمَّى المنادىٰ مندوباً

ولا يُندَبُ إلَّا معرفةٌ بالعلميَّةِ ، أو بالإضافةِ إلىٰ مُعيَّنٍ ، أو بصلةٍ مشهورةٍ فيما بينَ الناسِ ؛ نحوُ وا زيدُ ، بضمِّ آخِرِهِ مُتفجِّعاً عليهِ ، ونحوُهُ وا كبيرَ

---

(١) القائل هو الصلتان العبدي ، كما في « خزانة الأدب » (٢/١٧٤)

(٢) القائل هو ذو الرُّمة في « ديوانه » (١/٤٥٦)

البلدِ ، وا عظيمَ الكرماءِ ، وا غلامي ، وا غلامَكَ ، وا غلامَكِ إلىٰ آخِرِ الضَّمائرِ ، وا مَنْ حفرَ بئرَ زمزمَ ؛ ندبةً لعبدِ المُطَّلبِ جدِّ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ؛ لكونِهِ اشتَهرَ في ذٰلكَ الأوانِ بمضمونِ هٰذهِ الصِّلةِ ، وا مَنْ وضعَ علمَ النحوِ ؛ لأبي الأسودِ الدُّئِلِيِّ ؛ لاشتهارِهِ بذٰلكَ ، وا مَنْ بنى القاهرةَ ؛ ندبةً لجوهرِ القائدِ مملوكِ المُعِزِّ لدينِ اللهِ ، أوَّلِ ملوكِ الفواطمِ بمصرَ لذٰلكَ

ولكَ أن تزيدَ بعدَ ما تَنطِقُ بهِ في الندبةِ أَلِفاً ، وتَحذِفَ لأجلِها ما قبلَها مِنْ تنوينٍ أو أَلِفٍ ؛ فنحوُ (وا موسىٰ) يحتملُ أن تكونَ الأَلِفُ آخِرَ المندوبِ ، أو زائدةً وآخِرُهُ محذوفٌ ، وتَقلِبَ ضمَّةَ المضمومِ وكسرةَ المكسورِ فتحةً لأجلِ الأَلِفِ التي تزيدُها ، وتُسمِّيها أَلِفَ النُّدبةِ ، إلَّا إذا كانَتِ الضَّمَّةُ مُميِّزةً شيئاً مِنْ شيءٍ ؛ فإنَّكَ تزيدُ بعدَها عِوَض الأَلِفِ واواً ؛ نحوُ وا غلامَهُو ، فالضَّمَّةُ تُميِّزُ ضميرَ المُذكَّرِ مِنْ ضميرِ المُؤنَّثِ ، فلو زدتَ أَلِفاً وقلتَ وا غلامَها لالتبسَ بضميرِ الأُنثىٰ

وإلَّا إذا كانَتِ الكسرةُ مُميِّزةً شيئاً مِنْ شيءٍ ، فإنَّكَ تزيدُ بعدَها ياءً ؛ نحوُ وا غلامَكي ، خطاباً لأُنثىٰ ؛ فإنَّكَ لو قلتَ وا [غلامَكَا] لالتبسَ بخطابِ الذَّكَرِ

ولكَ أن تزيدَ وقفاً هاءَ سكتٍ ؛ فتقولَ وا زيداهْ ، وا غلامَكيهْ ، وا غلامَهُوهْ

ولكَ أن تأتيَ بالمندوبِ مُجرَّداً مِنَ المَدِّ والهاءِ كما رأيتَ

وقد حذفَتِ العربُ تخفيفاً مِنْ آخِرِ المناديٰ غيرِ المندوبِ ، وغيرِ المُستغاثِ ، وغيرِ ذي الإضافةِ وشبهِها ، وغيرِ ذي التركيبِ الإسناديِّ ، وسمَّاهُ النحويونَ ترخيماً

فإذا كان المناديٰ مختوماً بتاءِ التأنيثِ . رُخِّمَ بحذفِها فقطْ

وإذا لم يكنْ مختوماً بها حُذِفَ آخِرُهُ إن كانَ عَلَماً زائداً علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ ؛ كـ (يا سُعا) في سُعادَ

ويُحذَفُ معَ الآخِرِ ما قبلَهُ إن كانَ أَلِفاً زائدةً ، أو واواً قبلَها ضمَّةٌ ، أو ياءً قبلَها كسرةٌ ، وكانَتِ الأحرفُ الثلاثةُ مسبوقةً بثلاثةِ أحرفٍ ؛ نحوُ (يا مَرْوُ) في مروانَ ، و(يا سَلْمُ) في سلمانَ ، ويا (أَسْمُ) في أسماءَ ، و(يا مِسْكُ) في مِسكينٍ علماً ؛ كمسكينٍ الداريّ ، و(يا مَنْصُ) في منصورٍ

وإن كانَ المنادىٰ مُركَّباً مزجيّاً رُخِّمَ بحذفِ عَجُزِهِ ؛ نحوُ (يا بَعْلُ) في بعلبكَّ ، و(يا معدي) في [معديكربَ]

وإذا حذفتَ مِنَ المنادىٰ ما حذفتَ ترخيماً فلكَ فيما بقيَ وجهانِ

الأَوَّلُ أن تبقيَهُ علىٰ صورتِهِ قبلَ الحذفِ ، فيكونُ المحذوفُ ملحوظاً بحالتِهِ ، ويُسمَّىٰ لغةَ مَنْ يَنتظِرُ ؛ أي يَنتظِرُ المحذوفَ

الوجهُ الثاني أن تجعلَهُ منادىً مُستقِلاًّ ، وتقطعَ النظرَ عنِ المحذوفِ ، فتَضُمَّ آخِرَ ما بقيَ معَكَ ، ويُسمَّىٰ لغةَ مَنْ لا يَنتظِرُ

وإذا حصلَ بعدمِ الانتظارِ اشتباهٌ وجبَ الانتظارُ ، فإذا رخمتَ نحوَ (مُسْلِمةٍ) وجبَ أن تقولَ يا مُسْلِمَ ، بفتحِ الميمِ ؛ إذ لو ضممتَ لاشتبهَ بنداءِ مَنِ اسمُهُ مسلمٌ بلا تاءٍ

وقد عاملَتْ لغةُ مَنْ لا يَنتظِرُ ما بقيَ معاملةَ الأسماءِ التامَّةِ ، فأعطتْهُ ما يَستحِقُّهُ حَسَبَ ما أفادَتْكَ القواعدُ الصَّرفيَّةُ

مثلاً إذا ناديتَ (ثمودَ) ورَخَّمتَهُ لزمَ أن يكونَ اسماً آخِرُهُ واوٌ قبلَها ضمَّةٌ ، وقد عرفتَ أنَّهُ غيرُ موجودٍ في اللغةِ ، فوجبَ لذٰلكَ قلبُ الواوِ ياءً ، وإبدالُ الضَّمَّةِ كسرةً ؛ فتقولُ يا ثَمِي ، ويصيرُ مِنَ المنقوصِ

وإذا ناديتَ نحوَ (حَلاوةٍ) و(هِدايةٍ) . قلتَ يا حَلاءُ ويا هِداءُ ، بإبدالِ الواوِ والياءِ همزةً ، كما عرفتَ في نظائرِهِ ؛ كسماءٍ وشراءٍ ، ومَنِ استحضرَ ما عرفَ لم يَصعُبْ عليهِ اعتبارُ ما يلزمُ

وبعضُ الأسماءِ لا تُستعمَلُ في الكلامِ إلَّا مناداةً ؛ وهيَ نَوْمانُ ؛ فتقولُ يا نَوْمانُ ؛ سبّاً بالكسلِ والبلادةِ والوخامةِ ، ولُؤْمانُ بضمِّ أولِهِ ، ومَلْأمانُ بفتحة ؛ سبّاً بقوةِ اللؤمِ ، ومَلْكَعانُ كمَلْأمانَ ؛ سباً بالرخاوةِ ، ومَكْذَبانُ ومَخْبَثانُ ، ومَكْرَمانُ ومَطْيَبانُ ؛ مدحاً بهما

فهٰذهِ الأسماءُ لا تُستعمَلُ في غيرِ النداءِ ، ولا يُقاسُ عليها ، كما أنَّ (فُلُ) كنايةً عن ذَكَرٍ ، و(فُلَةُ) كنايةً عن أُنثىٰ مُختصَّانِ بالنداءِ ، ولا يُستعمَلانِ في غيرِ شعرٍ

ولكَ أن تُحوِّلَ كلَّ اسمِ فاعلٍ ثلاثيٍّ يَدُلُّ علىٰ معنىً يُسَبُّ بهِ إلىٰ وزنِ (فَعالِ) ، ويَختصُّ بالنداءِ في سبِّ الإناثِ ؛ فتقولُ يا خَباثِ ؛ مُحوَّلاً عن خبيثةٍ ، ويا فَجارِ ؛ مُحوَّلاً عن فاجرةٍ ، ويا غَدارِ ؛ مُحوَّلاً عن غادرةٍ ، وليسَ لكَ أن تُحوِّلَ في سبِّ الذُّكورِ

وقد وردَ التحويلُ في سبِّهِم إلىٰ وزنِ (فُعَلِ) ، فتَقتصِرُ علىٰ ما وردَ منهُ ؛ نحوُ يا غُدَرُ ، ويا لُكَعُ ، ويا فُسَقُ ؛ مُضِيّاً بالحكمِ معَ الكثرةِ والقِلَّةِ ، وقد وردَ حذفُ (يا) نحوُ ﴿ ءَازَرُ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ﴾ [1] في قراءةِ ضمِّ الراءِ ، ونحوُ ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ ﴾ [2] ، ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ [3]

❊ ❊

(١) سورة الأنعام (٧٤) ، برفع الراء ، وهي قراءة يعقوب ، كما في « النشر في القراءات العشر » (٢/٢٥٩)

(٢) سورة يوسف (٢٩)

(٣) سورة يوسف (٤٦)

الموضعُ الثالثُ تراكيبُ يُقالُ لها **تراكيبُ الاختصاصِ** ؛ وهيَ كلُّ تركيبٍ مُشتمِلٍ على اسمٍ يُذكَرُ في أثناءِ جملةٍ أو بعدَها ؛ لتبيينِ الموضعِ الذي يُخَصُّ بهِ حكمُ الجملةِ ، ويكونُ مطابقاً للمحكومِ عليهِ فيها ؛ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « نَحْنُ ـ مَعَاشِرَ ٱلْأَنْبِيَاءِ ـ لَا نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ »[1] ، فلفظةُ (معاشرَ) اسمٌ ذُكِرَ في أثناءِ جملةٍ ؛ لبيانِ الموضعِ المخصوصِ بحكمِ الجملةِ الذي هوَ ثبوتُ عدمِ الإرثِ ، وكونُ المتروكِ صدقةً ، المُعبَّرُ عنهُ بـ (نحنُ) ، وهوَ مطابقٌ للمحكومِ عليهِ وهوَ (نحنُ) ، والفعلُ الناصبُ المحذوفُ وجوباً أَخُصُّ معاشرَ الأنبياءِ

ونظيرُهُ قولُهُم نحنُ ـ العربَ ـ أقرى الناسِ للضَّيفِ ، وفي ذكرِ هٰذا الاسمِ رفعُ بهامةٍ في (نحنُ) ، وقد يكونُ لمُجرَّدِ التعاظُمِ ؛ نحوُ أنا ـ فتى الفتيانِ ـ أُكرِمُ الضيوفَ ، وأَستعمِلُ السيوفَ ، وكونُهُ بعدَ ضميرِ مُتكلِّمٍ أكثرُ مِنْ كونِهِ بعدَ ضميرِ خطابٍ

وقد يُؤتىٰ بلفظِ (أيّ) و(أيَّةٍ) مُفسَّراً باسمٍ هوَ المُختصُّ في الحقيقةِ ، فيَلزمُهُما الضَّمُّ ، ويُقالُ إنَّهُما في محلِّ نصبٍ ، والجملةُ الاختصاصيةُ جملةٌ اعتراضيةٌ فائدتُها ما سبقَ أو حاليةٌ

الموضعُ الرابعُ تراكيبُ الإغراءِ والتحذيرِ ، ويُسمَّى المفعولُ فيها مُغرىً بهِ ، أو مُحذَّراً منهُ ؛ نحوُ الغزالَ الغزالَ ، ونحوُ سهمَكَ والغزالَ ، ونحوُ إن لم تَكذِبْ فشأنَكَ ومَدْحَ الناسِ ؛ إغراءً علىٰ تقديرِ اطلبِ الغزالَ ، وخذْ [سهمَكَ] واطلبِ الغزالَ ، وانظرْ شأنَكَ وقلْ مدحَ الناسِ

---

(١) انظر « البدر المنير » (٣١٤/٧) ، وأصله عند البخاري (٣٠٩٣) عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه

ونحوُ الأسدَ الأسدَ ، ورأسَكَ والسيفَ ؛ تحذيراً علىٰ تقديرِ احذرِ الأسدَ ، وقِ رأسَكَ وتَجنَّبِ السيفَ

لٰكنْ شرطُ وجوبِ حذفِ الفعلِ تَكرارُ الاسمِ أوِ العطفُ كما رأيتَ ، إلَّا إذا ذكرتَ في عبارةِ التحذيرِ لفظةَ (إيَّاكَ) فإنَّهُ يجبُ الحذفُ بلا شرطٍ ؛ نحوُ إيَّاكَ الجدلَ في غيرِ حقٍّ

وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ ٱلْمِرَاءَ فَإِنَّهُ ... إِلَى ٱلشَّرِّ دَعَّاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبُ (١)

وإيَّاكَ وفعلَ الأراذلِ ، وإيَّاكُم أن تعتمدوا علىٰ غيرِ اللهِ ؛ علىٰ تقديرِ إيَّاكَ أُحذِّرُ الجدلَ ، وإيَّاكَ أُحذِّرُ وتَجنَّبْ فعلَ الأراذلِ



الموضعُ الخامسُ تراكيبُ الاشتغالِ ، وصورتُها أن تذكرَ اسماً تأتي بعدَهُ بفعلٍ أوِ اسمِ فاعلٍ أوِ اسمِ مفعولٍ مُتصِلاً بهِ أو مُنفصِلاً عنهُ ، وَتشغلُهُ بضميرِ ذٰلكَ الاسمِ أو بما يَشتمِلُ علىٰ ضميرِهِ ، وحينَئذٍ يُسمَّى المحذوفُ المضمرَ علىٰ شريطةِ التفسيرِ ، ويُسمَّى المذكورُ مِنَ الفعلِ وصاحبَيهِ مُفسِّراً

ولمكانِ التفسيرِ وجبَ حذفُ المُفسَّرِ لذكرِ المُفسِّرِ ؛ إذ لا يَجتمِعُ العوضُ والمُعوَّضُ ، لٰكنْ يلزمُ في الأوصافِ المستعملةِ في هٰذهِ التراكيبِ أن تكونَ مُعتمِدةً علىٰ مبتدأٍ يُذكَرُ قبلَ المفعولِ المحذوفِ ناصبُهُ أو بعدَهُ ، أو علىٰ نفيٍ أوِ استفهامٍ ؛ نحوُ زيدٌ هنداً مُكرِمُها ، وعمراً أنتَ مُحسِنٌ إليهِ ، وما زيداً صاحبُهُ أخواهُ ، وأزيداً مُربِّيهِ أبواهُ ؟

فكلُّ ذٰلكَ صحيحٌ ، [ولو] وضعتَ فيهِ الفعلَ موضعَ الأوصافِ لم يكنِ الحكمُ مختلفاً ؛ تقولُ زيدٌ هنداً يُكرِمُها وهٰكذا ، بخلافِ [ما إذا] لم

---

(١) البيت من الطويل ، وهو من شواهد « الكتاب » لسيبويه (١/٢٧٩)

يَعتمِدِ الوصفُ ؛ فإنَّهُ لا يجوزُ استعمالُهُ في هٰذهِ التراكيبِ كما يجوزُ استعمالُ الفعلِ ؛ تقولُ زيداً يُكرِمُهُ أصحابُهُ ، ولا تقولُ زيداً مُكرِمُهُ أصحابُهُ

هٰذا ؛ والمضمرُ علىٰ شريطةِ التفسيرِ إن أمكنَ تقديرُهُ مِنْ مادَّةِ المُفسِّرِ فذاكَ ، وإلَّا قَدَّرتَ ما يناسبُهُ ويَدُلُّ عليهِ ؛ فتقولُ في نحوِ طريقَ الحقِّ سلكتَها ، التقديرُ سلكتَ طريقَ الحقِّ ، وفي نحوِ مذهبَ الخيرِ أنتَ رافعٌ منارَهُ ، التقديرُ أوضحتَ وبيَّنتَ مذهبَ الخيرِ ، وفي نحوِ زيداً اشتريتَ غلامَهُ بايعتَ أو لابستَ زيداً ، وفي نحوِ زيداً مررتَ بهِ إلى الحاكمِ أذهبتَ زيداً

وباعتبارِكَ هٰذهِ الأمثلةَ لا يَصعُبُ علىٰ ذوقِكَ ولا يَبعُدُ عن إدراكِكَ تقديرُ ما يناسبُ في نحوِ زيداً ضربتَ عمراً وأخاهُ ، وشتمتَ رجالاً يصحبونَهُ

هٰذا ؛ واعلمْ أنَّ هٰذا الاسمَ الذي نحنُ في إبانةِ كونِهِ مفعولاً واجباً حَذْفُ عامِلِهِ لا يلزمُ أن يكونَ كذٰلكَ إلَّا في بعضِ التراكيبِ ، ولذٰلكَ تنقسمُ التراكيبُ المُشتمِلةُ علىٰ هٰذا الاسمِ أربعةَ أقسامٍ قسمٌ يَتعيَّنُ فيهِ نصبُ الاسمِ المذكورِ ، وقسمٌ يَترجَّحُ فيهِ النصبُ ، وقسمٌ يستوي فيهِ النصبُ والرفعُ بالابتداءِ ، وقسمٌ يَترجَّحُ فيهِ الرفعُ

ـ **القسمُ الأوَّلُ** كلُّ تركيبٍ وقعَ فيهِ الاسمُ بعدَ ما يَختصُّ بالفعلِ ؛ كأدواتِ الشرطِ والتحضيضِ و(هل) نحوُ إنْ زيداً أكرمتَهُ أكرمْكَ ، وهلَّا زيداً تُكرِمُهُ ، وهل زيداً اختبرتَهُ

ـ **القسمُ الثاني** كلُّ تركيبٍ وقعَ فيهِ الاسمُ بعدَ ما يَغلِبُ صحبتَهُ للفعلِ ؛ كهمزةِ الاستفهامِ ؛ نحوُ أزيداً أكرمتَهُ ؟ وحيثُ ؛ [نحوُ] أجلسُ حيثُ زيداً وجدتَهُ ، أو قبلَ فعلٍ ذي طلبٍ ؛ نحوُ زيداً أكرمْهُ ، وعمراً لا تُهِنْهُ ، أو عُطِفَ ذٰلكَ التركيبُ علىٰ جملةٍ فعليَّةٍ ؛ نحوُ ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ

مُبِينٌ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴾[1] ، أو كانَ نصبُ الاسمِ الواقعِ فيهِ يُعيِّنُ المقصودَ ، والرفعُ يَحتمِلُ غيرَهُ ؛ نحوُ ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[2] ؛ فإنَّ المقصودَ الحكمُ بأنَّ خَلْقَ كلِّ شيءٍ بقَدَرٍ ، لا أنَّ الأشياءَ المخلوقةَ بقَدَرٍ

ـ القسمُ الثالثُ كلُّ تركيبٍ وقعَ بعدَ جملةٍ اسميَّةٍ والخبرُ فيها جملةٌ فعليَّةٌ ؛ نحوُ زيدٌ كَرُمَتْ شمائلُهُ والإحسانُ تحققتُهُ منهُ

ـ القسمُ الرابعُ ما عدا تلكَ التراكيبَ

ولـمَّا كانَ المفعولُ في غيرِ الموضعِ الأوَّلِ مُختصّاً بأحكامٍ مُفصَّلةٍ في مسائلَ ترجمَ النحويونَ لكلِّ جملةٍ متناسبةٍ مِنْ تلكَ المسائلِ ؛ فقالوا بابُ النداءِ ، وبابُ الاختصاصِ ، وبابُ الإغراءِ والتحذيرِ ، وبابُ الاشتغالِ



(١) سورة النحل (٤ ـ ٥)

(٢) سورة القمر (٤٩)

المفعولُ المطلقُ

مصدرٌ ، يُذكَرُ بعدَ مشتقٍّ يكونُ ناصباً لهُ ؛ لأحدِ أغراضٍ ثلاثةٍ

توكيدُ معنىٰ ناصبِهِ ليفيدَ أنَّ معناهُ هوَ المرادُ باللفظِ ، وليسَ المرادُ معنىً آخَرَ عُبِّرَ عنهُ بلفظِهِ مبالغةً ؛ نحوُ قولِكَ ضربتُ زيداً ضرباً ، وأنا مهينُهُ إهانةً ؛ فلفظُ (ضرباً) مصدرٌ أكَّدتَ بهِ معنىٰ (ضربَ) لتفيدَ أنَّ الحاصلَ منكَ ضربُ زيدٍ لا نوعٌ مِنْ أنواعِ الأذيَّةِ ؛ كالشتمِ ، عَبَّرتَ عنهُ بالضَّربِ مبالغةً

وبيانُ نوعِهِ نحوُ ضربتُ زيداً ضرباً شديداً أو ضعيفاً ، وتَكلَّمَ عمرٌو تَكلُّماً حسناً ، وسارَ سيراً طويلاً

أو بيانُ عددِ نحوُ وثبتُ وثبةً ، وقامَ قَوْمةً ، وتَكلَّمَ زيدٌ تَكلُّمَينِ : تَكلُّماً أعجبَ ، وتَكلُّماً لم يُعجِبْ ، وشربَ بكرٌ شَرَباتٍ

[ما ينوبُ عنِ المصدرِ]

وينوبُ عنِ المصدرِ أشياءُ فتُسمَّىٰ مفعولاً مطلقاً بالنيابةِ ؛ وهيَ أربعةَ عشرَ

ـ **لفظةُ (كلٍّ) أو (بعضٍ) مضافتَينِ إليهِ** ؛ نحوُ : اجتهدَ زيدٌ كلَّ الاجتهادِ ، وتوانىٰ عمرٌو بعض التواني ؛ وذٰلكَ لبيانِ النوعِ ؛ إذِ المعنى اجتهاداً كاملاً ، وتوانياً قليلاً

ـ **والإشارةُ إليهِ** ؛ نحوُ : زجرتُهُ ذٰلكَ الزجرَ فلم يُفِدْ فيهِ ؛ لبيانِ النوعِ أيضاً ؛ إذِ المعنى الزجرَ الشديدَ الذي اطلعتَ عليهِ

ـ **وعددُهُ** ؛ نحوُ مررتُ بهِ عشرينَ مَرَّةً

ـ وأداةُ السُّؤالِ عن عددِهِ ؛ نحوُ كم مَرَّةً مررتَ بهِ ؟

ـ والسُّؤالُ عن نوعِهِ ؛ ك : أيَّ وصفٍ وصفتَ زيداً ؟ على معنى أوَصفاً حسناً وصفتَ زيداً أم وصفاً غيرَ حسنٍ ؟

ـ ومصدرُ فعلٍ غيرِ فاعلِهِ على التشبيهِ بهِ بعدَ حذفِهِ وحذفِ أداةِ التشبيهِ ؛ نحوُ قرأَ زيدٌ قراءةَ العلماءِ ؛ على تقديرِ قراءةً مثلَ قراءةِ العلماءِ

ـ ومصدرُ فعلٍ فيهِ معنى فعلِهِ ؛ نحوُ فرحَ زيدٌ بكذا جَذَلاً ؛ إذِ الجَذَلُ الفرحُ الشديدُ ، وسكتَ صمتاً ؛ إذِ الصَّمتُ السكوتُ المقصودُ لخيريَّةِ السكوتِ

ـ واسمُ عينٍ مِنْ مادَّةِ الفعلِ ؛ نحوُ ﴿ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾ (١)

ـ واسمٌ بمعناهُ يُقالُ لهُ اسمُ المصدرِ ؛ نحوُ أعطى زيدٌ عطاءً ؛ بمعنى إعطاءً

ـ وضميرُهُ ؛ نحوُ أعجبَني القولُ الذي قلتَهُ ؛ أيِ النطقُ الذي نطقتَهُ

ـ وصفتُهُ ؛ نحوُ سرتُ طويلاً ؛ أي سيراً ، ولبثنا قليلاً ؛ أي لُبْثاً

ـ وآلتُهُ ؛ نحوُ ضربتُهُ سوطاً ، أو عَصَوَينِ ، وفي هـٰذا معَ بيانِ آلةِ الفعلِ بيانُ عددِهِ ، أليسَ المعنى ضربتُهُ ضربةً بسوطٍ ، وضربتَينِ بعصاً ؟!

ـ وألفاظٌ وُضِعَتْ لبيانِ أنواعِ أفعالٍ ؛ نحوُ رجعَ القهقرى ؛ أي بظهرِهِ إلى خَلْفٍ ، وقعدَ القُرْفُصاءَ ، واشتملَ الصَّمَّاءَ ، واعتمَّ القَفْداءَ ؛ أيِ التفَّ بثوبِهِ ، ولم يُرسِلْ مِنْ [عِمامتِهِ] شيئاً ، وهـٰذِهِ الثلاثةُ ممدودةٌ ، وعدا الجَمَزَى ، والمَرَطَى ، والبَشَكَى ؛ أي عدواً شديداً ، ومشى الحمارُ حَيَدَى ؛ أي مُتلوِّياً إلى يمينٍ مَرَّةً وإلى شِمالٍ مَرَّةً ، في ألفاظٍ أُخَرَ

---

(١) سورة نوح (١٧)

ولأبي الطيِّبِ[1] [من المتقارب]

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ ٱلْخَيْزَلَىٰ فِدَىٰ كُلِّ مَاشِيَةِ ٱلْهَيْدَبَىٰ

فالهَيْدَبَىٰ نوعٌ مِنْ مشيِ الإبلِ ، والخَيْزَلَىٰ نوعٌ مِنْ مشيِ النساءِ ؛ يقولُ تركَ الهزلَ وأخذَ في الجِدِّ ، فهوَ يفدي النوقَ بالنساءِ

والمصدرُ المُؤكِّدُ تكريرٌ للفعلِ ؛ فمَنْ قالَ ضربتُ ضرباً كأنَّهُ قالَ ضربتُ ضربتُ ، ولذٰلكَ لا يُثنَّىٰ ولا يُجمَعُ ، بخلافِ المُبيِّنِ للنوعِ والمُبيِّنِ للعددِ ؛ تقولُ سرتُ سيرَيِ الغاوي والراشدِ

ويُحذَفُ ناصبُ المفعولِ المُطلَقِ إذا دلَّ عليهِ دليلٌ ، ويجبُ حذفُهُ إذا أُقيمَ المصدرُ مُقامَهُ في الطَّلبِ ؛ نحوُ قراءةً للعِلْمِ ؛ أيِ اقرأْ العِلْمَ ، فهوَ بدلُ الفعلِ ، ولذٰلكَ يُؤكِّدُ ويُبيِّنُ نوعَهُ وعددَهُ ؛ فتقولُ ضرباً زيداً ضرباً ، وضربَ تأديبٍ ، وضَرَباتٍ

وإذا كانَ بعدَ استفهامٍ توبيخيٍّ ؛ نحوُ أتوانياً وقد جدَّ الناسُ ؟! أي أتتوانىٰ ؟!

وإذا فُصِلَ بـ (إمَّا) نحوُ ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾[2] ؛ أي فإمَّا تَمنُّونَ ، وإمَّا تَفدونَ

وإذا كُرِّرَ وكانَ عاملُهُ خبراً عنِ اسمٍ لا يكونُ المصدرُ خبراً عنهُ إلَّا مجازاً ، وإذا كانَ مقصوراً عليهِ كذٰلكَ ؛ نحوُ أنتَ سيراً سيراً ؛ أي تسيرُ ، وما أنتَ إلَّا سيراً ، وإنَّما أنتَ سيرةَ الحكماءِ ، وإنَّكَ حفظاً حفظاً ، ويجوزُ أن

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٨٢) ، وفيه (الهيذبىٰ) بدل (الهيدبىٰ) وهما بمعنىً

(٢) سورة محمد (٤)

يكونَ منهُ ما كنتَ إلَّا اشتغالاً بالخيرِ ، وما وجدتُكَ إلَّا حرصاً على الفائدةِ وابتهاجاً بالنادرةِ

كما يجوزُ أن يكونَ مُحدَّثاً بهِ خبراً في الأوَّلِ ، ومفعولاً بهِ في الثاني ، كما لو رفعتَ المصدرَ في سابقِهِ

وإذا كانَ بعدَ جملةٍ مُشتمِلةٍ علىٰ معناهُ قطعاً ، ويُسمَّىٰ حينَئذٍ مُؤكِّداً لنفسِهِ ؛ نحوُ ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾[1] ، فـ (وعدَ اللهِ) مفعولٌ مطلقٌ محذوفُ العاملِ وجوباً ، يُسمَّىٰ : مؤكداً لنفسِهِ ؛ لكونِهِ واقعاً بعدَ جملةٍ تَضمَّنَتْ معنى الوعدِ قطعاً ؛ وهيَ (إليهِ مرجعُكُم) فإنَّها إخبارٌ بأنَّ اللهَ سيحيي الخلقَ ويُعيدُهُم ويَرجِعونَ إلىٰ حسابِهِ ، وهوَ وعدٌ منهُ ، ونحوُ لزيدٍ عليَّ ألفٌ إقراراً

وإذا كانَ بعدَ جملةٍ مُتضمِّنةٍ معناهُ لا حتماً ، ويُسمَّىٰ مُؤكِّداً لغيرِهِ ؛ نحوُ أنا ناصحٌ لكَ صدقاً ؛ فإنَّ (أنا ناصحٌ لكَ) خبرٌ يَحتمِلُ الصدقَ

وإذا كان واقعاً بعدَ مصدرٍ في جملةٍ تامَّةٍ علىٰ معنى التشبيهِ ؛ نحوُ لزيدٍ صوتٌ صوتَ حمارٍ

وإذا بَيَّنَ فاعلَ فعلِهِ أو مفعولِهِ بذكرِهِ بعدَهُ مُضافاً إليهِ أو مجروراً بلامٍ ؛ نحوُ بُعْداً لزيدٍ ؛ أي بَعُدَ زيدٌ بُعْداً ، وحُكْمَ اللهِ ؛ أي حَكَمَ اللهُ حُكْماً ، وسقياً لكَ ، ورَعْياً لكَ ؛ الأصلُ سقاكَ اللهُ سَقْياً ، ورعاكَ ، وحفظَكَ ورعايتَكَ كذٰلكَ

فيُحذَفُ وجوباً في تسعةِ مواضعَ ، وجوازاً في غيرِها إذا دلَّ عليهِ دليلٌ ، كما إذا قيلَ لكَ أضربتَ زيداً ؟ فتقولُ ضرباً ، كما يجوزُ حذفُ المصدرِ

(١) سورة يونس (٤)

كذٰلكَ ؛ كأن يُقالَ لكَ هل ضربتَ زيداً ضربَ التأديبِ علىٰ ما صَدَرَ منهُ ؟ فتقولُ ضربتُهُ ؛ أي ضربتُهُ ضربَ التأديبِ ، كما يُحذَفُ هوَ وعاملُهُ لو أجبتَ بـ (نعم) أو (لا)

ويَتقدَّمُ المفعولُ المُطلَقُ ويَتأخَّرُ حَسَبَ الاقتضاءِ حيثُ لا مانعَ

واعلمْ أنَّ الفعلَ مِنْ حيثُ الحَدَثُ يَتضمَّنُ معنيَينِ معنىً مُشترَكٌ بينَ جميعِ الأفعالِ ويُعبَّرُ عنهُ بالإيجادِ والإيقاعِ والفعلِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، ومعنىً خاصٌّ يَتعلَّقُ بهِ ذٰلكَ المعنىٰ

ألا ترىٰ أنَّكَ تَفهمُ مِنْ قولِنا ضربَ زيدٌ ، وقامَ عمرٌو أوجدَ زيدٌ ضرباً ، وأوقعَ عمرٌو قياماً ؟!

فالمعنى الخاصُّ هوَ المفعولُ ؛ ولذٰلكَ سُمِّيَ الدالُّ عليهِ مفعولاً دونَ تقييدٍ بـ (فيهِ) أو (معَهُ) كما هوَ الحالُ في كلِّ ما يُسمَّىٰ مفعولاً ، ويُوضِحُ لكَ ذٰلكَ أنَّهُ ربَّما اعتُبِرَ المعنى العامُّ في الفعلِ المُتعدِّي فلَزِمَ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾[1] ؛ أي أوجدي الهزَّ بهِ وأوقعيهِ فيهِ ، وقولِ العربيِّ[2] [من الطويل]

يَجْرحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي

أي يَفعلِ الجرحَ بها



(١) سورة مريم (٢٥)

(٢) هو ذو الرُّمة في « ديوانه » (١/١٥٦) ، والبيت بتمامه

وَإِنْ تَعْتَذِرْ بِٱلْمَحْلِ عَنْ ذِي ضُرُوعِهَا إِلَى ٱلضَّيْفِ يَجْرَحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي

المفعولُ لأجلِهِ

وهوَ اسمٌ ، يُذكَرُ لبيانِ العِلَّةِ الباعثةِ على الفعلِ أوِ الغرضِ المُترتِّبِ عليهِ ؛ وهوَ ما يكونُ مُتقدِّماً في التصوُّرِ وتصوُّرُهُ باعثٌ على الفعلِ ، ومُتأخِّراً في الوجودِ ؛ نحوُ أكرمتُكَ لإكرامِكَ إيَّايَ ، أو أكرمتُكَ لتشكرَني

وإنَّما يُنصَبُ : إذا كانَ مصدراً ، وقتُهُ ووقتُ فعلِهِ واحدٌ ، وفاعلُهُما كذٰلكَ ؛ نحوُ قامَ زيدٌ إجلالاً لعمرٍو ؛ فمتىٰ تَخلَّفَ شرطٌ مِنَ الشُّروطِ الثلاثةِ لم يُنصَبْ ؛ نحوُ سافرَ زيدٌ للشتاءِ ؛ فليسَ مصدراً ، وأكرمتُ عمراً لإكرامِهِ إيَّايَ ؛ فليسَ الفاعلُ واحداً ، وأكرمتُ زيداً اليومَ لإهانتي لهُ أمسِ ؛ فليسَ الوقتُ واحداً

ومنهُ أزورُ زيداً مِنْ أجلِ لطافتِهِ ، و« دَخَلَتِ ٱمْرَأَةٌ ٱلنَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا ؛ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا ، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ ٱلْأَرْضِ »[1] ؛ أي بسببِ هِرَّةٍ

ويجوزُ في المستوفي للشروطِ ألَّا يُنصَبَ ؛ فتقولُ : قامَ زيدٌ لإجلالِ عمرٍو ، فليسَ المفعولُ لأجلِهِ مِنَ المنصوباتِ وجوباً



---

(١) أخرجه البخاري (٣٣١٨) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ مقارب

المفعولُ فيهِ

ويُسمَّىٰ ظرفاً ؛ لاشتمالِهِ على الفعلِ وإحاطتِهِ بهِ اشتمالَ الظُّروفِ علىٰ مظروفاتِها وإحاطتَها بها

قد سلفَ لكَ أنَّ جميعَ الألفاظِ التي يَربِطُها بالأفعالِ حروفُ الإضافةِ تُسمَّىٰ مفعولاً بهِ غيرَ صريحٍ ، ومفعولاً بهِ بواسطةٍ ، ويُقالُ حينَئذٍ للأفعالِ إنَّها مُتعدِّيةٌ إليها بالواسطةِ ، في مقابلةِ المفعولِ بهِ الصَّريحِ (١)

فعلىٰ هٰذا تقولُ في نحوِ أنا جالسٌ هنا لانتظارِ زيدٍ ، وخرجتُ للنزهةِ في يومِ الجمعةِ ، وجلستُ في مجلسِ فلانٍ أُحدِّثُهُ ويُحدِّثُني إنَّ لفظَ (لانتظارِ) ولفظَ (في يومِ) ولفظَ (في مجلسِ) منصوبةُ الموضعِ ؛ لكونِها مفاعيلَ غيرَ صريحةٍ ، لٰكنِ [اطَّرَدَ] حذفُ الخافضِ في بعضِ المواضعِ ، والتُزِمَ في بعضِها ، ومِنْ تلكَ المواضعِ المفعولُ لأجلِهِ ، والمفعولُ فيهِ ، وتراكيبُ (أنَّ) بفتحِ النونِ المُشدَّدةِ ، و(أنْ) بسكونِ النونِ ، وتلكَ المواضعُ هيَ التي يكونُ حذفُ حرفِ الإضافةِ فيها قياسيّاً مُطَّرداً حَسَبَ ما تَقرَّرَ في بابِ حروفِ الإضافةِ (٢)

فاتَّضحَ لكَ أنَّ المفعولَ لأجلِهِ والمفعولَ فيهِ مُنتظِمانِ في المفعولِ بهِ ، لٰكنْ [لاطِّرادِ] حذفِ الخافضِ منهُما والتزامِهِ في بعضِهِما جعلَهُما النحويونَ نوعَينِ مُستقِلَّينِ مِنْ أنواعِ المنصوباتِ ، وترجموا لمسائلِهِما ، نظيرُ ما فعلوا في النداءِ وما معَهُ

---

(١) انظر (١/١٧٨)

(٢) انظر (١/١٢٦)

[ضابطٌ لحذفِ الخافضِ وانتصابِ المخفوضِ على الظرفيةِ]

هٰذا ؛ والذي علينا أن نعرفَهُ في هٰذا الموضعِ أنَّ حذفَ الخافضِ وانتصابَ المخفوضِ على الظرفيَّةِ مُطَّردٌ في جميعِ أسماءِ الأزمنةِ ، فنذكرُ بعدَ ما فيه معنى الفعلِ لتعيينِ الزمنِ الذي وقعَ فيهِ الفعلُ نوعاً ما مِنَ التعيينِ ؛ نحوُ سرتُ شهراً ، وأقمتُ سنةً إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنْ أسماءِ الأزمنةِ وما أُضيفَ إليها ممَّا يفيدُ الاستغراقَ أوِ التبعيض ؛ نحوُ انتظرتُكَ كلَّ اليومِ ، ويوماً ، وبعض آخَرَ ، وأكثرَ النهارِ

وأمَّا أسماءُ الأمكنةِ فما كانَ منها لمحدودٍ ذي صورةٍ قارٍّ في موقعِهِ ؛ كالمدينةِ والبلدِ والدارِ والطريقِ فلا يَطَّرِدُ فيها ذٰلكَ إلَّا معَ (دخلتُ) و(سكنتُ) و(نزلتُ) تقولُ دخلتُ دارَ زيدٍ ، وسكنتُ مصرَ ، ونزلتُ بغدادَ

ويَطَّرِدُ في غيرِ ذٰلكَ ؛ كأسماءِ الجهاتِ التي هيَ فوقٌ ، وتحتٌ ، وأمامٌ ، وقُدَّامٌ ، ووراءُ ، وخَلْفٌ ، ويمنةٌ ، ويسرةٌ ، ويمينٌ ، ويسارٌ ، وأسماءِ المُقدَّراتِ ؛ كفَرسخٍ ، ومِيلٍ ، وشِبْرٍ ، وكأسماءِ الأمكنةِ التي سبقَ لكَ أنَّها مِنَ المُشتقَّاتِ ، علىٰ تفصيلٍ فيها حاصلُهُ أنَّ أسماءَ الأمكنةِ المُشتقَّةَ مِنَ الأفعال ؛ إن كانَتْ مأخوذةً مِنْ أفعالٍ دالَّةٍ على الاستقرارِ والكونِ في مكانٍ فإنَّها كما تُنصَبُ بأفعالِها تُنصَبُ بما تضمنَ ذٰلكَ المعنىٰ ؛ نحوُ جلستُ مَجلِسَ زيدٍ ، وأقمتُ مَجلِسَهُ وهٰكذا ؛ كالمكانِ ، والمَقامِ ، والمَسكنِ ، والمَوقِفِ ، والمَقِيلِ ، والمَبيتِ ، وإن لم تكنْ علىٰ هٰذا الحدِّ لم تُنصَبْ إلَّا بأفعالِها ، ومِنَ المسموعِ فلا يُقاسُ عليهِ نصبُ أسماءِ الأمكنةِ الدالَّةِ على القربِ أوِ البعدِ ؛ نحوُ زيدٌ منكَ مَزجَرَ الكلبِ ، ومَناطَ الثُّريَّا ، ومَقعَدَ الخاتِنِ ، ومَقعدَ القابلةِ ، ومَعقِدَ الإزارِ

[الظروفُ المتصرفةُ وغيرُ المتصرفةِ]

ثمَّ إنَّ بعض الظروفِ لم تُستعمَلْ إلَّا منصوبةً أو مخفوضةً بـ (إلىٰ) أو (حتىٰ) ، أو بـ (إلىٰ) فقطْ ؛ نحوُ حتىٰ متىٰ ؟ وإلىٰ متىٰ ؟ وإلىٰ أينَ ؟ أو مخفوضةً بـ (مِن) التي هيَ للابتداءِ أوِ الظَّرفيةِ نيابةً عن (في) حَسَبَ ما يَقتضيهِ ذوقُكَ ، ويَنساقُ إليهِ فهمُكَ ؛ نحوُ ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[1] ؛ أي : في الزمنِ السابقِ ، وفي الزمنِ اللاحقِ ، ونحوُ ﴿ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ﴾[2] ، ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا ﴾[3] ، و﴿ خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ ﴾[4]

وهٰذهِ الظُّروفُ التي هٰذا شأنُها تُسمَّىٰ ظروفاً غيرَ مُتصرِّفةٍ ، وما عداها يُسمَّىٰ ظُروفاً مُتصرِّفةً ، فمعنىٰ كونِها مُتصرِّفةً أنَّها تَخرجُ عنِ الظَّرفيةِ وما أُلحِقَ بها ، لا أنَّ وصفَ التصرُّفِ ثابتٌ لها معَ كونِها ظُروفاً ؛ تقولُ يومُ الجمعةِ يومٌ مُباركٌ ، على الابتداءِ والإخبارِ ، ولا ظرفيةَ

ويَنوبُ عن أسماءِ الأزمنةِ مصادرُ ، فتُنصَبُ بدلَها ؛ نحوُ آتيكَ خُفوقَ النجمِ ، وطلُوعَ الشمسِ ، وقُدومَ الحاجِّ ؛ أي وقتَ خُفوقِ وطُلوعِ وقُدومِ

ومِنَ المصادرِ النائبةِ عنِ اسمِ زمنٍ ، فيكونُ منصوباً على الظَّرفيةِ بالنيابةِ المصدرُ المُؤوَّلُ ملاحظةً مِنْ مُشتقٍّ بسابكِ (ما) التي تُسمَّىٰ مَصدريَّةً ظرفيةً ؛ نحوُ أنا مُنتظِرُكَ ما دامَ هٰذا النجمُ ، فهوَ علىٰ تأويلِ (دوامَ هٰذا النجمِ) ، فـ (دوامَ) منصوبٌ على الظرفيةِ بالنيابةِ ، والأصلُ وقتَ دوامِ

ومنهُ : (رَيْثَما) في نحوِ قولِكَ : انتظرْني رَيْثَما تَقرأُ سورةً وُسْطىٰ ؛ إذ رَيْثَ

---

(١) سورة الروم (٤)

(٢) سورة مريم (٥)

(٣) سورة الكهف (٦٥)

(٤) سورة محمد (١٦)

مصدرُ راثَ ؛ بمعنىٰ بَطُؤَ ، و(ما) التي بعدَها مصدريةٌ فقطْ ، والتقديرُ ريثَ قراءةٍ ، علىٰ معنىٰ وقتَ بطْءِ قراءةٍ

وقلَّ إنابةُ المصدرِ عن ظرفِ المكانِ ؛ نحوُ جريتُ رميةَ نُشَّابةٍ ؛ أي مسافةَ رميِها ، وفي الحديثِ أقطعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ الزبيرَ حُضْرَ فرسِهِ[1] ؛ أي مسافةَ حُضْرِها ، والحُضْرُ ـ بضمٍّ فسكونٍ ـ : العَدْوُ ، وأُريدَ بهِ في الحديثِ العَدْوُ حُبْسَةَ نَفَسٍ



(١) أخرجه أبو داوود (٣٠٦٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما

المفعولُ معَهُ

هوَ اسمُ الشيءِ الذي فُعِلَ الفعلُ بمَعيَّتِهِ وصحبتِهِ ومقارنتِهِ ، يُذكَرُ مسبوقاً بواوٍ بعدَ الفعلِ المُنبِّهِ علىٰ أنَّهُ حصلَ ووقعَ بمقارنتِهِ ؛ تقولُ سرتُ والجبلَ حتىٰ وصلتُ لأقصى الصَّعيدِ ، فمعناهُ أنَّكَ فعلتَ السيرَ والجبلُ مقارنٌ ومصاحبٌ لكَ طولَ سيرِكَ ، وتقولُ لِمَنْ سألَكَ عن موضعٍ امشِ وهٰذا الطريقَ لا تَنحرِفْ لا يَمنةً ولا يَسرةً تَصِلْ إلىٰ مقصودِكَ

[أحوالُ المفعولِ معَهُ مشاركاً في الفعلِ أو لا]

ثمَّ المفعولُ معَهُ تارةً يكونُ مشاركاً في الفعلِ ، وتارةً لا يكونُ مشاركاً فيهِ ، غايةُ الأمرِ أنَّهُ مُصاحِبٌ للفاعلِ حالةَ الفعلِ في الوجودِ والموضعِ

ومِنْ حيثُ إنَّ المفعولَ معَهُ يكونُ مشاركاً تارةً وغيرَ مشاركٍ تارةً ؛ فمتىٰ كانَ مشاركاً كانَ عطفُهُ على الفاعلِ أفصحَ وأرجحَ ، إلَّا إذا أضعفَ العطفَ مُضعِفٌ ، كما إذا كانَ لفظُ الفاعلِ ضميراً مُتصِلاً لم يُفصَلْ بينَهُ وبينَ الواوِ بفاصلٍ ؛ نحوُ سرتُ وزيدٌ وزيداً إلىٰ بلدِ كذا ؛ فإنَّ النصبَ علىٰ كونِهِ مفعولاً معَهُ أرجحُ ؛ وذٰلكَ لأنَّ الضَّميرَ المرفوعَ المُتصِلَ لا يُعطَفُ عليهِ إلَّا إذا وُجِدَ فاصلٌ بينَهُ وبينَ الواوِ ، فإذاً يكونُ العطفُ أرجحَ في نحوِ سرتُ أنا وزيدٌ ، وفي نحوِ سرتُ إلىٰ بلدِ كذا وزيدٌ ، وأرجحيَّةُ العطفِ لكونِهِ نصّاً في المشاركةِ في الفعلِ ؛ إذ قد عرفتَ أنَّ المفعولَ معَهُ تارةً يكونُ مشاركاً ، وتارةً يكونُ غيرَ مشاركٍ ، فلا نصَّ فيهِ على المشاركةِ

ومتىٰ لم يكنِ المفعولُ معَهُ مشاركاً وجبَ نصبُهُ وامتنعَ العطفُ ؛ نحوُ سرتُ والطريقَ ، فالطريقُ غيرُ سائرٍ

ومتىٰ كانَ الفعلُ مِنَ الأفعالِ الاشتراكيةِ التي لا تَحصُلُ إلَّا مِنِ اثنَينِ فصاعداً امتنعَ المفعولُ معَهُ ووجبَ العطفُ ؛ كاختصمَ زيدٌ وعمرٌو ، واصطفَّ خالدٌ وبكرٌ ورجلٌ ؛ إذ وضعُ البابِ علىٰ أن يكونَ الفاعلُ يَستقِلُّ بالفعلِ ، وهٰذهِ الأفعالُ لا يمكنُ استقلالُ الواحدِ بها

وكما أنَّكَ تُنبِّهُ علىٰ مقارنةِ فاعليةِ الفعلِ للمفعولِ معَهُ تُنبِّهُ علىٰ مقارنةِ مفعوليةِ الفعلِ به ؛ نحوُ علفتُهَا تبناً وماءً ؛ حيثُ يكونُ الماءُ حاضراً وقتَ العَلْفِ لا مَسقيّاً ، وإلَّا كانَ نصبُ الماءِ علىٰ تقديرِ وسقيتُها ؛ كقولِ الشاعرِ (١) [من الرجز]

[عَلَفْتُهَا] تِبْناً وَمَاءً بَارِداً حَتَّىٰ غَدَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا

وقولِهِ (٢) [من الوافر]

إِذَا مَا ٱلْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْماً وَزَجَّجْنَ ٱلْحَواجِبَ وَٱلْعُيُونَا

أي كحَّلنَ العيونَ

[وجوبُ نصبِ المفعولِ معَهُ بفعلٍ محذوفٍ]

ونصبَتِ العربُ المفعولَ معَهُ بفعلٍ محذوفٍ وجوباً بعدَ (كيفَ) و(ما) الاستفهاميتَينِ ؛ فقالوا كيف أنت وقصعةً مِنْ ثريدٍ ؟ الأصلُ كيفَ تكونُ وقصعةً ، فكيفَ خبرٌ مُقدَّمٌ لـ (تكونُ) ، واسمُهُ ضميرُ المُخاطَبِ المُتصِلُ المُستتِرُ ، فلمَّا حُذِفَ الفعلُ بَرَزَ الضَّميرُ وانفصلَ ، كما هو

(١) انظر « خزانة الأدب » (٣/١٣٩)

(٢) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (٢/٢٤٢)

العادةُ ، ومعنى العبارةِ أقادراً تكونُ على التهامِ القصعةِ أم عاجزاً عنهُ ؟ أجابَ بعضُهُم فقالَ آكُلُها وأقولُ هل مِنْ مزيدٍ ؟ فذٰلكَ حُطَمةٌ لُهَمةٌ ، ونحوُ ما أنتَ وهٰذا ؟ لِمَنْ يَتعرَّضُ لِمَا لا خبرةَ لهُ بهِ ؛ أي ما تكونُ وهٰذا فعلَ بهِ ما ذُكِرَ



المُستثنىٰ

وهوَ اسمُ شيءٍ ثُنِيَ وصُرِفَ عنهُ حكمٌ شاملٌ لهُ بأداةٍ مخصوصةٍ ؛ نحوُ خرجَ أهلُ البلدِ إلَّا زيداً ؛ فزيدٌ اسمُ شخصٍ صُرِفَ عنهُ حكمٌ وردَ علىٰ أهلِ البلدِ الشاملِ لمُسمَّىٰ زيدٍ ؛ وهوَ الخروجُ

[أحوالُ المستثنىٰ]

وإنَّما يجبُ نصبُهُ إذا كانَ بعدَ كلامٍ مُثبَتٍ تامٍّ كالمثالِ ، أو كانَ معَ كلامٍ مَنفيٍّ تامٍّ وقُدِّمَ على المُستثنىٰ منهُ ؛ نحوُ ما خرجَ إلَّا زيداً أهلُ البلدِ ، فلو لم يكنْ مُتقدِّماً على المُستثنىٰ منهُ لم يجبْ نصبُهُ ، بل جازَ لكَ فيهِ أمرانِ أن تَنصِبَهُ مُستثنىً ، وأن تَجعلَهُ تابعاً للمُستثنىٰ منهُ في إعرابِهِ ، ويُسمَّىٰ حينَئذٍ بدلاً ، كما ستَعرِفُ في شرحِ التوابعِ[(١)]

فإذا لم يكنِ الكلامُ تامّاً ؛ بأن حُذِفَ المُستثنىٰ منهُ قامَ المُستثنىٰ مَقامَهُ ، وعُومِلَ بما يَقتضيهِ العاملُ ؛ فإن كانَ المُستثنىٰ منهُ مرفوعاً رفعتَ المُستثنىٰ ؛ لقيامِهِ مَقامَهُ ؛ نحوُ ما قامَ أحدٌ إلا زيدٌ ؛ فتقولُ ما قامَ إلَّا زيدٌ ، وإذا كانَ منصوباً نصبتَ المُستثنىٰ ؛ نحوُ ما رأيتُ أحداً إلا زيداً ؛ فتقولُ ما رأيتُ إلَّا زيداً ، فتَنصِبُهُ علىٰ أنَّهُ مفعولٌ بهِ ، وإذا كانَ مجروراً جررتَ المُستثنىٰ ، ونقلتَ إليهِ الخافض ؛ نحوُ ما مررتُ بأحدٍ إلَّا زيدٍ أو زيداً ؛ فتقولُ ما مررتُ إلَّا بزيدٍ ، وهـٰذهِ عبارةُ القصرِ

ويُقالُ لهـٰذا النوعِ مِنَ الاستثناءِ **الاستثناءُ المُفرَّغُ** ؛ يعني الاستثناءَ الذي فُرِّغَ فيهِ العاملُ عنِ الاشتغالِ بالمُستثنىٰ منهُ ، وشُغِلَ بالمُستثنىٰ ؛ لعِلْمِكَ أنَّهُ

(١) انظر (١/٤٨١)

أُقيمَ مُقامَهُ ، وأكثرُ ما يكونُ التفريغُ في النفيِ ؛ لأنَّ أكثرَ الإثباتاتِ لا يَصِحُّ فيها التفريغُ ؛ مثلاً إذا قلتَ رأيتُ إلَّا زيداً كانَ معناهُ رأيتُ كلَّ أحدٍ إلَّا زيداً ، وهوَ فاسدٌ ، بخلافِ قولِكَ ما رأيتُ إلَّا زيداً ، فإنَّ معناهُ : ما رأيتُ أحداً إلَّا زيداً ، وهوَ صحيحٌ ؛ لإمكانِهِ

والتفريغُ الصحيحُ في الإثباتِ نحوُ قرأتُ إلَّا سورةَ (الرَّعدِ) فإنَّ معناهُ قرأتُ كلَّ القرآنِ إلَّا سورةَ (الرَّعدِ) وهوَ صحيحٌ ، وضابطُهُ أن يكونَ ثبوتُ الفعلِ لكلِّ أفرادِ جنسِ المُستثنىٰ ممكناً

[الاستثناءُ بغيرِ (إلَّا)]

ويكونَ الاستثناءُ بحرفٍ هوَ (إلَّا) ، وباسمَينِ هما (غيرٌ) و(سوىً) ، وبأربعةِ أفعالٍ هيَ (ليسَ) ، و(خلا) ، و(عدا) ، [و (حاشىٰ)] ، وبكلمةٍ مُركَّبةٍ مِنْ فعلٍ وحرفٍ هيَ (لا يكونُ)

فإذا كانَ الاستثناءُ بـ (غيرٍ) و(سوىً) كانَ المُستثنىٰ مجروراً دائماً بالإضافةِ ، وكانَ حكمُ المُستثنىٰ بـ (إلَّا) مِنْ وجوبِ نصبٍ وجوازِ نصبٍ واتباعٍ ومعاملةٍ بما يَقتضيهِ العاملُ ثابتاً لكلمتَيْ (غيرٍ) و(سوىً)

وإذا كانَ الاستثناءُ بـ (ليسَ) كانَ المُستثنىٰ منصوباً أبداً علىٰ أنَّهُ خبرٌ لـ (ليسَ) ، واسمُها ضميرٌ مستترٌ وجوباً يَعودُ علىٰ بعضِ الشاملِ للمُستثنىٰ ؛ فإذا قلتَ خرجَ أهلُ البلدِ ليسَ زيداً فهوَ علىٰ إضمارِ ضميرٍ في (ليسَ) يَعودُ علىٰ بعضِ أهلِ البلدِ ؛ فالمعنىٰ ليسَ بعضُ أهلِ البلدِ المحكومُ لهُم بالخروجِ زيداً ، ومثلُ (ليسَ) (لا يكونُ)

وإذا كانَ الاستثناءُ بـ (خلا) و(عدا) ؛ فإن أتيتَ قبلَهُما بـ (ما) المصدريةِ وجبَ نصبُ المُستثنىٰ علىٰ أنَّهُ مفعولٌ بهِ للفعلَينِ ، وفاعلُهُما

ضميرٌ مستترٌ وجوباً يَعودُ على بعضِ الشاملِ ، كما في (ليسَ) و(لا يكونُ) ، وإن لم تأتِ بـ (ما) المصدريةِ جازَ لكَ نصبُ المُستثنىٰ علىٰ ما سبقَ ، وجازَ جرُّهُ بـ (خلا) و(عدا) علىٰ أنَّهُما حرفا جرٍّ ؛ لأنَّهُما يُستعمَلانِ فعلَينِ ويُستعمَلانِ حرفَينِ ، كما أنَّ (حاشا) كذٰلكَ ، فيجوزُ نصبُ مستثناها وجرُّهُ على الرعايتَينِ

فالمُستثنىٰ ليسَ مِنَ المنصوباتِ دائماً ، وبعضُهُ مِنْ أنواعِ المنصوباتِ السابقةِ ، خلا أنَّ عباراتِهِ ملحوظٌ فيها معنىٰ (إلَّا) مخصوصةً بحالٍ لم تكنْ قاصرةً عليهِ في غيرِ الاستثناءِ

[أحوالُ المستثنىٰ معَ تكرارِ (إلَّا)]

هٰذا ؛ وقد وردَتْ (إلَّا) مُكرَّرةً فإن كانَ المُستثنىٰ مُتعدِّداً في اللَّفظِ ، واحداً في المعنىٰ ؛ بأن عَبَّرتَ عن شيءٍ باسمَينِ مِنْ أسمائِهِ ؛ نحوُ إلَّا الفتىٰ إلَّا العَلَا ، و إلَّا أبا حفصٍ إلَّا عمرَ كانَتْ (إلَّا) الثانيةُ مُؤكِّدةً للأُولىٰ تأكيداً لفظيّاً ، وكانَ الاستثناءُ واحداً ، وإذا كانَ مُتعدِّداً لفظاً ومعنىً كانَتِ الاستثناءاتُ مُتعدِّدةً أيضاً ، وكانَتْ (إلَّا) مُؤسِّسةً

وتفصيلُ القولِ حينَئذٍ

أنَّهُ إذا كانَ الاستثناءُ مُفرَّغاً ؛ فإذا كانَتِ الاستثناءاتُ مِنْ مُستثنىً منهُ واحدٍ أعطيتَ العاملَ واحداً مِنَ المُستثنياتِ ، والأرجحُ الأوَّلُ ، [ونصبتَ الباقيَ ؛ نحوُ ما أقبلَ إلَّا زيدٌ إلَّا عمراً إلَّا بكراً ، وإذا كانَ لكلِّ مُستثنىً مُستثنىً منهُ علىٰ حِدَةٍ تَعيَّنَ إعطاءُ الأوَّلِ للعاملِ ، ونصبتَ الباقيَ ؛ نحوُ لا تُكرِمْ إلَّا الحكماءَ إلَّا الفسقةَ منهُم إلَّا التائبَ إلَّا مَنْ لا تُؤثِّرُ التوبةُ في جنايتِهِ

وإذا لم يكنْ مُفرَّغاً ؛ فإن تَقدَّمَتِ المُستثنياتُ وجبَ نصبُها بحكمِ ما سَلَفَ ، وإن تَأخَّرَتْ ؛ فإن كانَ الكلامُ إيجابيّاً وجبَ النصبُ كما سَلَفَ أيضاً ، وإن كانَ سلبيّاً تَخيَّرتَ في واحدٍ ؛ بينَ إتباعِهِ للمُستثنىٰ منهُ ـ وهوَ الأرجحُ ـ وبينَ نصبِهِ ، ونصبتَ الباقيَ إذا كانَ المُستثنىٰ منهُ واحداً

وها هنا تركيبٌ وقعَ فيهِ اختلافٌ انبنىٰ عليهِ الاختلافُ في حكمٍ شرعيٍّ ؛ وهوَ نحوُ قولِكَ في الإقرارِ لهُ عليَّ عشرةٌ إلَّا أربعةً إلَّا ثلاثةً

فبعضُ الفقهاءِ يقولُ الاستثناءانِ مِنَ العشرةِ ، فيكونُ المُقَرُّ بهِ ثلاثةً ؛ لأنَّهُ أخرجَ الأربعةَ والثلاثةَ ـ وهيَ سبعةٌ ـ مِنَ العشرةِ ، فبقيَ ثلاثةٌ تكونُ هيَ المُقَرَّ بهِ

وبعضُهُم يقولُ إنَّ استثناءَ كلٍّ ممَّا قبلَهُ ، فيكونُ المُقَرُّ بهِ تسعةً

وبعضُهُم يقولُ إنَّ التركيبَ مُحتمِلٌ ، فيَرجِعُ لاستفسارِ المُقِرّ

وكلُّ ذٰلكَ إذا أمكنَ الأمرانِ ، وإلَّا كانَ استثناءُ كلٍّ ممَّا قبلَهُ ؛ فلو قالَ المُقِرُّ لهُ عليَّ عشرةٌ إلَّا تسعةً إلَّا ثمانيةً وهٰكذا إلى الواحدِ كانَ المُقَرُّ بهِ خمسةً علىٰ رأيِ مَنْ يقولُ بالاحتمالِ[1] ومَنْ يقولُ إنَّ استثناءَ كلٍّ ممَّا قبلَهُ ، وباطلٌ لاغٍ عندَ غيرِهِم



(١) الذي يقول بالاحتمال فإنه يرجع إلى استفسار المقر ، إلا إذا كان هٰذا المثال مما لا يحتمل غير الخمسة عنده ، والله تعالىٰ أعلم

الحالُ

وهوَ اسمٌ أو ما يقعُ مَوقِعَهُ مِنْ جملةٍ ، يُذكَرُ لبيانِ الهيئةِ التي يكونُ عليها الفاعلُ حالَ فاعليتِهِ للفعلِ أو المفعولُ حالَ مفعوليتِهِ لهُ ، ويكونُ الفعلُ مُقيَّدَ الحصولِ بها ؛ نحوُ جاءَ زيدٌ راكباً

فـ (راكباً) اسمٌ ذُكِرَ لبيانِ هيئةِ زيدٍ الفاعلِ للمجيءِ التي هوَ عليها حالةَ فاعليتِهِ للمجيءِ ، ونحوُ أكرِمْ زيداً مجتهداً في طلبِ العِلْمِ

فـ (مجتهداً) اسمٌ ذُكِرَ لبيانِ هيئةِ زيدٍ المفعولِ التي هوَ عليها حالَ المفعوليةِ ، وأفادَتْ أنَّ إكرامَهُ لا يَحصُلُ إلَّا حالةَ اجتهادِهِ

فحصولُ الفعلِ مُقيَّدٌ بوجودِ الاجتهادِ ؛ فلو قلتَ (أَكرِمْ زيداً) ولم تَزِدْ كانَ المعنىٰ أنَّ إكرامَكَ لهُ يَحصُلُ مطلقاً غيرَ مُقيَّدٍ بشيءٍ

[أحوالُ صاحبِ الحالِ وعاملِها]

وللحالِ صاحبٌ هوَ المُتصِفُ بها ، وعاملٌ هوَ رافعُ صاحبِها أو ناصبُهُ مثلاً

وأكثرُ ما يكونُ صاحبُ الحالِ معرفةً ، ويكونُ نكرةً إن سُبِقَ بنفيٍ ، أو نهيٍ ، أو استفهامٍ ، أو وصفٍ ، أو تَقدَّمَتْ عليهِ الحالُ

فالمعرفةُ نحوُ جئتُكَ زائراً ؛ فصاحبُ الحالِ تاءُ المُتكلِّمِ ، وهوَ معرفةٌ

والنكرةُ نحوُ قولِكَ ما جاءَ رجلٌ ماشياً ولا راكباً ، ولا يَغتبْ أحدٌ أحداً

مُحتقِراً إثمَ الغِيبةِ ، وأعقلُ الناسِ رجلٌ مسلمٌ عاملاً بعلمِهِ داعياً لدينِهِ لاطفاً بحزبِهِ (١) ، وقولِهِ (٢) [من مجزوء الوافر]

لِـــمَـــيَّـــةَ مُـــوحِـــشـــاً طَـــلَـــلُ

ولا يكونُ صاحبُ الحالِ مُضافاً إليهِ إلَّا إذا كانَ المُضافُ جزءاً منهُ أو مثلَ الجزءِ ؛ نحوُ خذْ بيدِ المظلومِ مُستغيثاً بكَ ، ونحوُ ﴿ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (٣) ، وإلَّا إذا كانَ المُضافُ عاملاً فيهِ عملَ الفعلِ ولو بالتأويلِ وملاحظةِ المعنىٰ ؛ نحوُ أنا مُكرِمُ زيدٍ باذلاً هِمَّتَهُ فيما يعني ، ونحوُ أنتَ حسنُ الوجهِ نافعاً للناسِ ، ونحوُ قولِكَ وقد رأيتَ رسمَ بابٍ كبيرٍ لدارٍ صغيرةٍ هـٰذا بابُ الدارِ كبيرةً ، علىٰ معنىٰ هـٰذا يناسبُ الدارَ كبيرةً

وعاملُ الحالِ كلُّ ما فيهِ رائحةُ الفعلِ ملاحظةً ؛ كحرفِ التنبيهِ ، واسمِ الإشارةِ ، وأداةِ التشبيهِ ، وحرفِ التمنِّي ، وما عدا الفعلَ وفروعَهُ يُسمَّىٰ عاملاً معنوياً ؛ لأنَّهُ إنَّما عَمِلَ بالمعنى الفعليِّ الملحوظِ معَهُ ؛ نحوُ ﴿ وَهَـٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ (٤) ؛ أي أُنبِّهُكُم لرؤيتِهِ في تلكَ الحالِ ، أو أشيرُ إليهِ فيها ؛ لأجلِ أن تَتحقَّقوا إمكانَ بشراكُم ، ونحوُ كأنَّ زيداً جبلٌ مُزاحِماً شدائدَ الأمورِ

[مواضعُ وجوبِ حذفِ عاملِ الحالِ]

ويُحذَفُ عاملُ الحالِ وجوباً في أربعةِ مواضعَ

الأوَّلُ إذا كانَتْ مُؤكِّدةً لمعنىٰ جملةٍ ، وسيأتي (٥)

---

(١) ومثال النكرة المسبوقة باستفهام قول الشاعر (من البسيط)

يَا صَاحِ هَلْ حُمَّ عَيْشٌ بَاقِياً فَتَرَىٰ   لِنَفْسِكَ ٱلْعُذْرَ فِي إِبْعَادِهَا ٱلْأَمَلَا

(٢) صدر بيت لكثير عزة ، كما في « ديوانه » (ص ٥٠٦) ، والبيت بتمامه

لِـمَـيَّـةَ مُـوحِـشـاً طَـلَـلُ   يَـلُـوحُ كَـأَنَّـهُ خِـلَـلُ

(٣) سورة النحل (١٢٣)

(٤) سورة هود (٧٢)

(٥) انظر (١/٤٥٣)

الثاني إذا كانَتْ سادَّةً مَسدَّ خبرٍ حُذِفَ وجوباً ، وسبقَ [1]

الثالثُ إذا كانَتْ لبيانِ زيادةٍ أو نقصٍ ؛ نحوُ هـٰذا يساوي ألفَ درهمٍ فصاعداً أو فنازلاً ؛ أي فيذهبُ العددُ صاعداً ، وللصَّاحبِ بهاءِ الدينِ زهيرٍ [2] [من مجزوء الخفيف]

لَـعَـنَ ٱللهُ صَـاعِـداً وَأَبَـاهُ فَـصَـاعِـدَا

وَبَـنِـيـهِ فَـنَـازِلاً وَاحِـداً ثُـمَّ وَاحِـدَا

الرابعُ إذا وقعَتْ في التوبيخِ بالاستفهامِ ؛ نحوُ أعاصياً وقد أطاعَ الناسُ ؟! أي أتبقىٰ عاصياً ، ومنهُ أتميمياً مَرَّةً وقيسيّاً أخرىٰ ؟!

وفي غيرِ ذٰلكَ يكونُ كبقيةِ الألفاظِ التي يجوزُ حذفُها ؛ اعتماداً على القرائنِ

ويجوزُ تقديمُ الحالِ علىٰ صاحبِها وعلىٰ عاملِها إن كانَ فعلاً مُتصرِّفاً ، أوِ اسمَ فاعلٍ ، أوِ اسمَ مفعولٍ ، لا غيرُ ، إلَّا إذا كانَ العاملُ اسمَ تفضيلٍ وكانَ المُفضَّلُ والمُفضَّلُ عليهِ كلٌّ منهُما صاحبَ حالٍ ، أو شيئاً واحداً فُضِّلَ علىٰ نفسِهِ باعتبارِ حالَينِ

فالأوَّلُ كقولِكَ زيدٌ مُنفرِداً أنفعُ مِنْ عمرٍو مُصطحِباً جيشاً ؛ فـ (مُنفرِداً) و(مُصطحِباً) حالانِ ؛ الأولىٰ لزيدٍ ، والثانيةُ لعمرٍو ، والعاملُ فيهِما لفظُ (أنفعُ) الذي هوَ اسمُ تفضيلٍ ، وقُدِّمَتْ أُولى الحالَينِ عليهِ

والثاني كقولِكَ هـٰذا البَلَحُ بُسْراً أطيبُ منهُ رُطَباً ؛ فـ (بُسراً) و(رُطَباً) حالانِ للبلحِ ، والعاملُ فيهما لفظُ (أطيبُ) الذي هوَ اسمُ تفضيلٍ ، وقُدِّمَتِ

---

(١) انظر (١/٣٥٢)

(٢) انظر « ديوان بهاء الدين زهير » (ص ٨٩)

الأُولىٰ عليهِ ، والمُفضَّلُ والمُفضَّلُ عليهِ هوَ البَلَحُ باعتبارِ كونِهِ بُسْراً وباعتبارِ كونِهِ رُطَباً

وتعدَّدُ الحالُ وصاحبُها واحدٌ ؛ نحوُ جاءَ زيدٌ راكباً لابساً أحسنَ ثيابهِ مُتقلِّداً سلاحَهُ ، وتَتعدَّدُ وصاحبُها مُتعدِّدٌ ؛ فإذا كانَتْ مِنْ لفظٍ واحدٍ ثُنِّيَت وجمعتَ بحَسَبِ الحالِ ؛ نحوُ لقيتُ زيداً راكبَينِ ، ولقيتُ العُلماءَ مُتذاكرِينَ ، فإن لم يكونا مِنْ لفظٍ واحدٍ ، بلِ اختلفا في ذاتِهِما ، أو بحَسَبِ ما يَتعلَّقُ بهِما أتيتَ بكلٍّ مِنَ الحالَينِ علىٰ حِدَةٍ ؛ نحوُ لقيتُ راكباً زيداً ماشياً ، ولقيتُ زيداً راكباً ماشياً ، وفي هٰذا تكونُ الحالُ الأُولىٰ للاسمِ الثاني ، والحالُ الثانيةُ للاسمِ الأوَّلِ ، أو بالعكسِ ؛ حَسَبَ ما تعطيهِ القرائنُ ، ونحوُ لقيتُ راكباً حماراً زيداً راكباً فرساً ، ورأيتُ زيداً راكباً حماراً راكباً فرساً كذٰلكَ

[أقسامُ الحالِ]

وإذا لم يُفهَمْ معنى الحالِ مِنْ لفظٍ مِنَ الألفاظِ المذكورةِ معَها سُمِّيَتْ حالاً مُؤسِّسةً

وإذا فُهِمَ معناها مِنْ عاملِها . سُمِّيَتْ : مُؤكِّدةً لعاملِها ؛ نحوُ ﴿ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١) ؛ فإنَّ العُثُوَّ معناهُ الإفسادُ ، فلفظُ (مفسدينَ) حالٌ مُؤكِّدةٌ للفظِ (تعثَوا) الذي هوَ عاملُها

وإذا فُهِمَ معناها مِنْ صاحبِها سُمِّيَتْ مُؤكِّدةً لصاحبِها ؛ نحوُ ﴿ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ (٢) ، فـ (جميعاً) حالٌ صاحبُها لفظُ (مَن)

---

(١) سورة البقرة : (٦٠)

(٢) سورة يونس (٩٩)

الموصولِ بلفظِ (في الأرضِ) ، المُؤكَّدِ بـ (كلُّهُمْ) فُهِمَ منهُ معنى الإحاطةِ والشُّمولِ والعمومِ ، وأُفيدَ هٰذا المعنىٰ بلفظِ (جميعاً) ، فهيَ حالٌ مُؤكِّدةٌ لصاحبِها

وتكونُ مُؤكِّدةً لمعنىً تَضمَّنَتْهُ جملةٌ اسميةٌ مُنعقِدةٌ مِن اسمَينِ جامدَينِ ، وتُسمَّىٰ مُؤكِّدةَ الجملةِ ؛ نحوُ زيدٌ أبوكَ شَفُوقاً عليكَ ، وعمرٌو أخوكَ مساعداً لكَ ؛ وذٰلك حيثُ تكونُ الجملةُ معطيةً معنى الحالِ التزاماً حَسَبَ ما تَحكمُ بهِ العادةُ ، وهٰذهِ الحالُ في بابِها نظيرةُ المصدرِ المُؤكِّدِ لنفسِهِ في بابِهِ

وهٰذا مِنْ مواضعِ وجوبِ حذفِ عاملِ الحالِ كما سبقَ الوعدُ بهِ[1] ، وتقديرُهُ خلقَهُ اللهُ وأودعَهُ طباعَهُ وأظهرَ نتائجَها شَفُوقاً عليكَ

وأثبتَ بعضُ العلماءِ للحالِ عاملاً غيرَ ما سَلَفَ ؛ وهوَ نسبةُ الخبرِ للمبتدأ وثبوتُهُ لهُ ، وبهِ رُدَّ منعُ سيبويهِ مجيءَ الحالِ مِنَ المبتدأ ، مُعلِّلاً ذٰلكَ بعدمِ ما تكونُ الحالُ قيداً لهُ ، فإنَّها حينَئذٍ تكونُ قيداً للمعنى الفعليِّ الذي يُشَمُّ مِنْ نسبةِ الخبرِ للمبتدأ ، والردُّ غيرُ صحيحٍ ؛ لأنَّ الحالَ تكونُ حينَئذٍ مِنْ ضميرِ المبتدأ المحمولِ لذٰلكَ الفعلِ الملحوظِ ، وعلىٰ هٰذا تكونُ الحالُ المُؤكِّدةُ للجملةِ المذكورةِ ليسَتْ محذوفةَ العاملِ

وإذا كانَتِ الحالُ مِنَ الأوصافِ الثابتةِ لصاحبِها دائماً سُمِّيَتْ حالاً لازمةً ، وحينَئذٍ لا تفيدُ تقييدَ العاملِ ؛ إذ معنىٰ تقييدِهِ أنَّهُ يَحصُلُ ويُوجَدُ وقتَ وجودِها ، وينتفي حصولُهُ وقتَ انتفائِها وعدمِها ، والحالُ اللَّازمةُ ليسَ لها انتفاءٌ ؛ نحوُ سألتُ اللهَ عالماً بحالِ السائلينَ ، فالعِلْمُ صفةٌ ثابتةٌ

---

(١) انظر (١/٤٥٠)

دائماً للهِ تعالى الذي هوَ صاحبُ الحالِ ، وليسَتْ مُقيَّدةً لحصولِ السُّؤالِ ؛ فإنَّكَ لا تَلحَظُ أنَّكَ تَسألُهُ في حالِ ثبوتِ العِلْمِ لهُ دونَ حالِ انتفائِهِ عنهُ ، فإنَّهُ لا ينتفي ، ومِنَ اللَّازمةِ نحوُ خلقَ اللهُ الزَّرافةَ يدَيها أطولَ مِنْ رجلَيها ، واليَرْبوعَ رجلَيهِ أطولَ مِنْ يدَيهِ

وإذا كانَتْ مِنَ الأوصافِ التي تثبتُ حيناً وتنتفي حيناً ؛ كرُكوبِكَ ومشيِكَ وقُعودِكَ سُمِّيَتْ حالاً مُنتقِلةً ، وهٰذهِ هيَ التي يُقصَدُ بها تقييدُ العاملِ ، فإذا قلتَ اضربْ زيداً مسيئاً فمعناهُ : أطلبُ منكَ ضربَ زيدٍ في حالِ كونِهِ مسيئاً ، فإذا انتفَتْ إساءتُهُ وصارَ محسناً فلا أطلبُ منكَ ضربَهُ

ولا تكونُ الحالُ إلَّا نكرةً فإذا جاءَتْ معرفةً في اللَّفظِ فهيَ نكرةٌ بحَسَبِ المعنى الملحوظِ ؛ نحوُ جاءَ زيدٌ وحدَهُ ، فلفظُ (وحدَهُ) حالٌ ، وهوَ معرفةٌ بإضافتِهِ للضَّميرِ ، لٰكنْ معناهُ جاءَ زيدٌ مُنفرِداً ، فهوَ نكرةٌ بحَسَبِ الملاحظةِ ؛ إذِ الغرضُ مِنَ الحالِ بيانُ هيئةِ صاحبِها وصفتِهِ ، وذٰلكَ يَحصُلُ بلفظِ النكرةِ ، فلا غرض في التعريفِ

ومنهُ قولُهُم أقبلَتِ الخيلُ بَدَادِ ؛ كفَجَارِ ، عَلَمَ جنسٍ للتبدُّدِ ؛ أي : مُتبدِّدةً غيرَ مُجتمِعةٍ ، وقولُهُم أرسلَها العِراكَ ؛ أي مُعترِكةً ، وهٰذا مِنْ تراكيبَ وردَتْ عنهُم مشتملةً علىٰ مصدرٍ منصوبٍ يُتبادرُ مِنْ فحوى الكلامِ أنَّهُمُ اعتبروهُ حالاً ؛ نحوُ طلعَ بغتةً ، وأقبلَ ركضاً ، وبذٰلكَ قالَ بعضُ النحويّينَ حاكماً بشذوذِهِ ، غيرَ مُجيزٍ القياسَ عليهِ ، وأجازَهُ بعضٌ ، ومنهُم مَنْ جعلَهُ مفعولاً مطلقاً ؛ أي طُلوعَ بغتةٍ ، ومجيءَ ركضٍ

وأكثرُ ما تكونُ الحالُ مِنَ المُشتقَّاتِ صراحةً حيثُ عرفتَ أنَّها وصفٌ ،

وجاءَتْ مُشتقَّةً بالتأويلِ والملاحظةِ كما جاءَ أخوها الخبرُ كذٰلك ؛ نحوُ بِعِ البُرَّ إردبّاً بدينارٍ ؛ أي مُسعَّراً ، وكلَّمتُهُ فاهُ إلىٰ فِيَّ ؛ أي مشافهةً ، وبعْهُ كذا يداً بيدٍ ؛ أي مناقدةً ، وكرَّ زيدٌ أسداً ؛ أي مُشْبِهاً [لهُ]

[جملةُ الحالِ وروابطُها]

ثمَّ إنَّ الحالَ تكونُ مفردةً كما رأيتَ ، وتكونُ جملةً خبريَّةً ؛ اسميَّةً أو فعليَّةً ، ماضيَّةً أو مضارعيَّةً ، مثبتةً أو نافيةً ، ولا بدَّ لها مِنْ رابطٍ يَربطُها بصاحبِها ، ورابطُها إمَّا ضميرٌ يَعودُ علىٰ صاحبِها ، أو واوٌ تُفتتَحُ بها الجملةُ ؛ نحوُ جاءَ زيدٌ يَتبسَّمُ ؛ فـ (يَتبسَّمُ) جملةٌ فعليةٌ مضارعيَّةٌ حالٌ مِنْ زيدٍ ، مُرتبِطةٌ بالضَّميرِ المُستترِ في الفعلِ العائدِ علىٰ زيدٍ ، ونحوُ جئتُكَ والشمسُ طالعةٌ ؛ فـ (الشمسُ طالعةٌ) جملةٌ اسميَّةٌ حالٌ مِنْ ضميرِ المُتكلِّمِ أو مِنْ ضميرِ المُخاطَبِ ، مُرتبِطةٌ بالواوِ الداخلةِ عليها

ويكونُ الرابطُ الواوَ وحدَها إن لم يكنْ في الجملةِ ضميرٌ كما رأيتَ ، ويكونُ الرابطُ الضَّميرَ وحدَهُ كما رأيتَ أيضاً ، وقد يَجتمِعانِ ؛ نحوُ جاءَ زيدٌ وهوَ ضاحكُ السِّنِّ

[مواضعُ اقتصار الربطِ على الضميرِ]

لٰكنْ تَمتنعُ الواوُ ، ويجبُ الاقتصارُ في الربطِ على الضَّميرِ في ستةِ مواضعَ

الأوَّلُ إذا كانَتْ جملةُ الحالِ مُؤكِّدةً لمضمونِ جملةٍ ؛ نحوُ هوَ الحقُّ لا شكَّ فيهِ ، و﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

---

(١) سورة البقرة (٢)

الثاني إذا كانَتِ الجملةُ ماضويَّةً عُطِفَ فيها بـ (أو) التعميميةِ ؛ نحوُ لأُكرِمنَّ زيداً أحسنَ أو أساءَ ، معناهُ مُتَّصِفاً بأيِّ صفةٍ

الثالثُ إذا وقعَتْ بعدَ عاطفٍ ؛ نحوُ ﴿ بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾[1]

الرابعُ إذا كانَ مضارعُها مَنفيّاً بـ (ما) نحوُ عهدتُكَ ما تصبو

الخامسُ إذا كانَ مضارعُها مُثبتاً ؛ نحوُ جاءَ زيدٌ يَتبسَّمُ

السادسُ إذا كانَ مضارعُها مَنفيّاً بـ (لا) نحوُ ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ ﴾[2]

وتَتعيَّنُ الواوُ لربطِ المضارعِ المسبوقِ بـ (قد) نحوُ ﴿ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ ﴾[3]



(١) سورة الأعراف (٤)

(٢) سورة المائدة (٨٤)

(٣) سورة الصف (٥)

التمييزُ

اسمٌ يَذكرُهُ المُتكلِّمُ ؛ ليُبيِّنَ بهِ عينَ مرادِهِ مِنِ اسمٍ سابقٍ يَصلُحُ لأن يُرادَ بهِ أشياءُ كثيرةٌ ؛ وهوَ علىٰ نوعَينِ

النوعُ الأوَّلُ أن يُذكَرَ الاسمُ الصالحُ لأن يُرادَ بهِ أشياءُ كثيرةٌ أولاً ، ثمَّ يُذكَرَ الاسمُ الذي نُسمِّيهِ تمييزاً لذٰلكَ الغرضِ

النوعُ الثاني أن يُلحَظَ الاسمُ الصالحُ للأشياءِ أولاً ولا يُلفَظَ ، ثمَّ يُذكَرَ التمييزُ لذٰلكَ الغرضِ

[تمييزُ الكيلِ والوزنِ والعددِ والمساحةِ]

شرحُ النوعِ الأوَّلِ أسماءُ الكيلِ والوزنِ والعددِ والمِساحةِ ؛ مثلاً تُذكَرُ فيُعلَمُ شيءٌ ما مكيلٌ أو موزونٌ أو معدودٌ أو ممسوحٌ ؛ فإذا قلتَ عندي إردبٌّ ، أو عندي قنطارٌ ، أو عندي ذراعٌ ، أو عندي عشرةٌ فمعناهُ عندي مكيلُ إردبٍّ ، وموزونُ قنطارٍ ، وممسوحُ ذراعٍ ، ومعدودُ عشرةٍ ؛ فمكيلُ إردبٍّ يَصلُحُ لأن يُرادَ بهِ قمحٌ [1] ، أو شعيرٌ ، أو رزٌّ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأشياءِ التي اعتادَ الناسُ كيلَها ، وكذٰلكَ موزونُ قِنطارٍ يَصلُحُ أن يُرادَ بهِ عسلٌ موزونُ قنطارٍ ، أو سمنٌ ، أو زيتٌ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأشياءِ التي اعتادَ الناسُ وزنَها ، وهٰكذا في الممسوحِ والمعدودِ

وحينَئذٍ علمتَ أنَّ هٰذهِ الأسماءَ لا تفيدُ مُخاطَبَكَ مُرادَكَ منها ، فصارَتْ مُبهَمةً ؛ أي مُبهَماً مُرادُكَ غيرَ مُتعيّنٍ في ضمنِ الأشياءِ التي تَصلُحُ لإرادتِها هٰذهِ الأسماءُ ، فتَذكرُ اسمَ الشيءِ الذي تريدُهُ ، ويُسمَّىٰ تمييزاً ؛ لتفيدَ

(١) في الأصل زيادة (مكيل إردب)

مُخاطَبَكَ مُرادَكَ ؛ فتقولُ عندي إردبٌ بُرّاً ، أو قِنطارٌ عسلاً ، وذراعٌ قماشاً ، وعشرةُ عبيدٍ ؛ فـ (برّاً) ومثلُهُ هوَ الذي يُسمَّىٰ تمييزاً ؛ لأنَّهُ مَيَّزَ مُرادَكَ مِنَ الأشياءِ التي كانَ مُختلِطاً بها

لـٰكنْ تمييزُ الكيلِ والوزنِ والمِساحةِ لا يجبُ نصبُهُ ، بل يجوزُ ، ويجوزُ جرُّهُ بإضافةِ اسمِ الكيلِ وغيرِهِ إليهِ ، ويجوزُ جرُّهُ بكلمةِ (مِنْ) ، فلكَ فيهِ ثلاثةُ أوجهٍ ؛ تقولُ عندي إردبٌ بُرّاً بالنصبِ ، وعندي إردبُ بُرٍّ ؛ بجرِّ الإضافةِ ، وعندي إردبٌ مِنْ بُرٍّ ؛ بجرِّ (مِنْ) ، فليسَ تمييزُ هـٰذهِ الأسماءِ مِنَ المنصوبِ وجوباً

وأمَّا تمييزُ العددِ فتمييزُ ثلاثةٍ إلىٰ عشرةٍ وتمييزُ مئةٍ سواءٌ كانَتْ وحدَها أو مُركَّبةً معَ ثلاثةٍ إلىٰ تسعةٍ ، أو مُثنَّاةً ، وتمييزُ أَلْفٍ يجبُ جرُّها ، إلَّا أنَّ تمييزَ الثلاثةِ إلى العشرةِ يكونُ بلفظِ جمعٍ ، وتمييزُ المئةِ والأَلْفِ بلفظِ مفردٍ ، وتمييزُ أحدَ عشرَ إلىٰ تسعةَ عشرَ ، وتمييزُ عشرينَ إلىٰ تسعةٍ وتسعينَ يجبُ نصبُهُما ، فليسَ تمييزُ العددِ منصوباً كلِّيّاً ، بل هوَ علىٰ هـٰذا التفصيلِ ؛ تقولُ عندي ثلاثةُ أثوابٍ ؛ بجرِّ إضافةِ اسمِ العددِ إلى اسمِ المعدودِ ، وهـٰكذا أربعةُ عبيدٍ ، وعشرةُ أسيافٍ ، ومئةُ درهمٍ ، ومئتا دينارٍ ، وثلاثُ مئةِ عبدٍ ، وأَلْفُ رجلٍ ، وأحدَ عشرَ بيتاً ، [وعشرونَ] داراً ، وتسعٌ وتسعونَ نَعْجةً

فلو قلتَ عندي عشرونَ ألفَ رأسٍ مِنَ الغنمِ فـ (أَلْفَ) تمييز لـ (عشرينَ) منصوبٌ وجوباً ، و(رأسٍ) تمييزٌ لـ (أَلْفَ) مجرورٌ وجوباً

و﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ ﴾[1] طريقٌ أخرىٰ غيرُ طريقِ التمييزِ ، سُلِكَتْ لزيادةِ التعجيبِ مِنْ هـٰذهِ الحادثةِ الغريبةِ ، علىٰ معنىٰ أردتُ بالعددِ سنينَ ، لا أيّاماً ولا شهوراً

---

(١) سورة الكهف (٢٥)

[تمييزُ النِّسبةِ]

شرحُ النوعِ الثاني مِنَ التمييزِ : هوَ أن تَلحَظَ اسماً صالحاً لأن يُرادَ بهِ أشياءُ كثيرةٌ ولا تَلفظَهُ ، ولٰكنْ تكونُ هٰذهِ الأشياءُ الكثيرةُ مُتعلِّقةً بشيءٍ فتَذكرُ ذٰلكَ الشيءَ الذي لهُ تلكَ الأشياءُ انتساباً وتَعلُّقاً بهِ ، ناسباً إليهِ أمراً بحَسَبِ الظاهرِ ، وفي الملاحظةِ والاعتبارِ هوَ منسوبٌ للاسمِ المُبهَمِ الملحوظِ ، ثمَّ تَذكرُ اسمَ مُرادِكَ بعدُ تمييزاً

مثالُ ذٰلكَ أن تقولَ طابَ زيدٌ ؛ فلفظُ (طابَ) يَدُلُّ علىٰ حصولِ الطيبِ الذي هوَ مقابلُ الرَّداءةِ ، أوِ الطيبِ الذي هوَ مقابلُ التُّفالةِ ، قاصداً أنَّ شيئاً مِنَ الأشياءِ المُنتسِبةِ لزيدٍ هوَ الموصوفُ بالطيبِ ، لٰكنْ لم تَذكرْ لفظَ الشيءِ ، ونسبتَ (طابَ) إلىٰ (زيدٌ) ، فالتقديرُ طابَ شيءٌ مِنَ الأشياءِ المُتعلِّقةِ بزيدٍ ، وزيدٌ يَتعلَّقُ بهِ رائحتُهُ ، ونفسُهُ ، وأهلُهُ ، وغِلمانُهُ ، ودُورُهُ ، ودوابُّهُ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، ومُرادُكَ شيءٌ مِنْ تلكَ الأشياءِ بعينِهِ ، فتَذكرُهُ بعدَ زيدٍ تمييزاً ؛ فتقولُ طابَ زيدٌ رائحةً ؛ أي عطرَتْ ولم تخبثْ ، وخبثُ الرائحةِ هوَ معنى التُّفالةِ ، أو طابَ زيدٌ داراً ، أو طابَ غلاماً ، أو أباً إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأشياءِ المُتعلِّقةِ بهِ ، وتريدُ أن تصفَها بالطيبِ

ومنهُ زيدٌ أعلى الناسِ منزلةً

ومنهُ ما أكرمَ زيداً صاحباً ؛ حيثُ تريدُ مدحَ صاحبِهِ دونَهُ

ومنهُ للهِ زيدٌ فُروسيَّةً أو فارساً ، وبعضُهُم يُعرِبُ (فارساً) حالاً ، وهوَ ظاهرٌ ، كما إذا أردتَ مدحَ زيدٍ بقولِكَ : ما أكرمَهُ صاحباً ، فتُعرِبُ (صاحباً) حالاً ، قالَ جريرٌ (١) [من الكامل]

لَا تَـطْـلُـبَـنَّ خُـؤُولَـةً فِـي تَـغْـلِـبٍ ... فَـٱلـزِّنْـجُ أَكْـرَمُ مِـنْـهُـمُ أَخْـوَالَا

(١) انظر « ديوان جرير » (١/٦٥)

فأخوالاً يُعرَبُ حالاً ، لا تمييزاً ؛ فإنَّكَ تَمدحُ الزَّنجَ وخُؤولتَهُم ، ولا تريدُ أن تَمدحَ أخوالَهُم حتىٰ تكونَ أردتَ شيئاً يُنسَبُ للزَّنجِ ثمَّ بينتَهُ بعدُ كما هوَ شأنُ التمييزِ

ومنهُ ضربتُ زيداً ظهراً وبطناً

وما يكونُ مُفسِّراً لفاعلٍ يُسمَّىٰ تمييزَ الفاعلِ ، وما يكون مُفسِّراً لمفعولٍ يُسمَّىٰ تمييزَ المفعولِ ، وهٰذا النوعُ مِنَ التمييزِ منصوبٌ وجوباً ، وناصبُ التمييزِ الاسمُ المُفسَّرُ بهِ

والنحويونَ يُسمُّونَ النوعَ الأوَّلَ تمييزَ المفردِ ، ويُسمُّونَ النوعَ الثانيَ تمييزَ النسبةِ وتمييزَ الجملةِ ؛ لأنَّ البَهامةَ بحَسَبِ الظاهرِ في نسبةِ الفعلِ التي هيَ روحُ الجملةِ

وتحقيقُ القولِ أنَّ التمييزَ مُفسِّرٌ لمفردٍ مُبهَمٍ دائماً ، غايةُ الأمرِ أنَّهُ ملفوظٌ أو ملحوظٌ

ولا يكونُ التمييزُ إلا نكرةً ، ولا يتقدَّمُ علىٰ عاملِ المفسَّرِ

[أحكامُ تمييزِ العددِ]

هٰذا ؛ وإذا جرىٰ ذكرُ العددِ في هٰذا الموضعِ فلا بأسَ أن نُلخِّصَ لكَ بقيةَ أحكامِهِ ، فنقولُ

اعلمْ أنَّ الواحدَ والاثنَينِ لا يُميَّزانِ ؛ فلا تقولُ واحدٌ رجلٌ مثلاً ، استغناءً بإفادةِ لفظِ رجلٍ وامرأةٍ الوَحدةَ ، ولفظِ رجلَينِ وامرأتَينِ الاثنينيَّةَ ، بخلافِ نحوِ رجالٍ ، فلا دلالةَ لهُ علىٰ عددٍ بعينِهِ ، فيُذكَرُ العددُ المقصودُ ، ويُميَّزُ بالمعدودِ ، وأنَّهُ قد خُولِفَ بألفاظِ العددِ مِنْ ثلاثةٍ إلىٰ عشرةٍ مُفرَدةً أو مُركَّبةً طريقُ التأنيثِ والتذكيرِ ؛ إذ قد عرفتَ أنَّ بعض الألفاظِ المُشترَكةِ بينَ الإناثِ

والذُّكورِ تَلحقُها التاءُ عندَ إرادةِ الأُنثىٰ ، وفي العددِ المذكورِ التاءُ معَ المُذكَّرِ ، والعبرةُ في التأنيثِ والتذكيرِ باللَّفظِ ؛ فتقولُ ثلاثةُ أشخاصٍ ، وأنتَ تريدُ إناثاً ، وثلاثُ أنفسٍ ، وأنتَ تريدُ ذُكوراً

وقد جاءَ اعتبارُ المعنىٰ ، قالَ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ [١] [من الطويل]

وَكَانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

والأفصحُ ثلاثةُ أشخاصٍ كما عرفتَ

وإذا تَعدَّدَ التمييزُ وكانَ مُذكَّراً ومُؤنَّثاً ؛ فإن فصلتَ بينَهُ وبينَ العددِ بكلمةِ (بينَ) أو بكلمةِ (مِنْ) في غيرِ يومٍ وليلةٍ ، أو كانَ المُذكَّرُ عاقلاً فالعبرةُ بالمُذكَّرِ ؛ تقولُ ملكتُ خمسةً بينَ عبدٍ وجاريةٍ ، أو بينَ جاريةٍ وعبدٍ ، ومِنْ عبدٍ وجاريةٍ ، وعكسِهِ ، وتقولُ لقيتُ خمسةَ عشرَ امرأةً ورجلاً

وإذا لم تَفصِلْ ولم يكنِ المُذكَّرُ عاقلاً فالعبرةُ بالسابقِ

وإن كانَ المُميِّزُ يوماً وليلةً فالعبرةُ باللَّيلةِ ؛ فإنَّ اعتبارَ التاريخِ عندَ العربِ باللَّيالي ، قالَ تعالىٰ ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [٢]

وفي الحادي والثاني والثالثِ تَرجِعُ للأصلِ ؛ فتقولُ المسألةُ الحاديةَ عشرةَ ، والبابُ الرابعَ عشرَ ، وموازنُ فاعلٍ هـٰذا تارةً يُستعمَلُ اسمَ فاعلٍ ، ويُضافُ لِمَا يليهِ مِنَ الدَّرجةِ في العددِ ، أو يَنصِبُهُ ؛ فتقولُ خرجتُ إلى الجهةِ الفلانيةِ عاشرَ تسعةِ رجالٍ ، أو عاشراً تسعةَ رجالٍ ، وتارةً يُستعمَلُ لفظاً دالّاً على الواحدِ مِنَ العددِ ، فيُضافُ لهُ فقطْ ؛ فيُقالُ خرجَ فلانٌ رابعَ أربعةٍ ، وجاءَ خامسَ خمسةٍ ؛ أي بعض أربعةٍ ، وبعض خمسةٍ

---

(١) انظر « ديوان عمر بن أبي ربيعة » (ص ١٢٧)

(٢) سورة البقرة (٢٣٤)

وإذا أردتَ تعريفَ العددِ ولم يكنْ مُضافاً أدخلتَ عليهِ (أل) ، فتقولُ هاتِ الخمسةَ عشرَ درهماً ، وإذا كانَ مُضافاً فالفصيحُ إدخالُ (أل) على المُضافِ إليهِ ، قالَ الشاعرُ في يزيدَ بنِ المُهلَّبِ [١] [من الكامل]

مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ فَسَمَا فَأَدْرَكَ خَمْسَةَ ٱلْأَشْبَارِ
يُدْنِي كَتَائِبَ مِنْ كَتَائِبَ تَلْتَقِي فِي كُلِّ مُعْتَرَكِ ٱلْعَجَاجِ مُثَارِ

وبعضُ العربِ يُدخِلُ (أل) على الجزأينِ في المُضافِ والمُركَّبِ

هٰذا ؛ وتقولُ أعطيتُ فلاناً كذا ، أو كذا كذا ، أو كذا وكذا ، كنايةً عن عددٍ ؛ فتُميِّزُهُ بمُميِّزٍ تَنصِبُهُ ، أو تَخفِضُهُ بـ (مِنْ) ، فتقولُ كذا درهماً ، ومِنْ درهمٍ ، ومثلُ (كذا) في هٰذا الحكمِ كلمةُ (كأيِّنْ) و(كمِ) الخبريَّةِ التي يُفادُ بها التكثيرُ ؛ نحوُ كم يدٍ لي عندَكَ ؛ تارةً تُستعمَلُ كالعشرةِ ، فتُميَّزُ بجمعٍ مخفوضٍ بالإضافةِ ، وتارةً تُستعمَلُ كالمئةِ

و(كمِ) الاستفهاميةُ ؛ نحوُ كم كتاباً ملكتَ ؟ يجبُ نصبُ تمييزِها إلَّا إذا خُفِضَتْ هيَ بحرفٍ ؛ نحوُ بكم درهماً اشتريتَ هٰذا ؟ فإنَّهُ حينَئذٍ يجوزُ خفضُهُ بالإضافةِ ، وإلَّا إذا فُصِلَتْ ، فيجوزُ جرُّهُ بـ (مِنْ) نحوُ ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍ ﴾ [٢]



---

(١) هو الفرزدق في « ديوانه » (١/٤٩٨)

(٢) سورة البقرة (٢١١)

الكلامُ على المُضافِ إليهِ
وعلىٰ عواملِ مُعْرَبِ الأفعالِ ، وعلى التوابعِ

المُضافُ إليهِ هوَ الاسمُ الصَّريحُ أو المُؤوَّلُ ، المخفوضُ بأحدِ حروفِ الإضافةِ ملفوظاً أو ملحوظاً

[المخفوضُ بحرفٍ ملفوظٍ]

فالأوَّلُ تتميمُ الكلامِ عليهِ أنَّ المخفوض بـ (مذ) و(منذُ) لا يكونُ إلا اسمَ وقتٍ ظاهراً

والمخفوض بـ (رُبَّ) لا يكونُ إلا نكرةً ، والمخفوض بالكافِ والواوِ و(حتىٰ) لا يكونُ إلَّا ظاهراً ، والتاءُ مُختصَّةٌ بلفظِ الجلالةِ ولفظِ (ربِّ)

و مثلُ قولِ الشاعرِ[1] [من الخفيف]

رُبَّـهُ فِـتْـيَـةً دَعَـوْتُ إِلَـىٰ مَـا ... يُـورِثُ ٱلْـمَـجْـدَ دَائِـبـاً فَـأَجَـابُـوا

وقولِ الراجزِ[2] [من الرجز]

وَلَـنْ تَـرَىٰ بَـعْـلاً وَلَا حَـلَائِـلَا ... كَـهُـوَ وَلَا كَـهُـنَّ إِلَّا حَـاظِـلَا

شاذٌّ ، وبعضُ العربِ يَخفِضُ بـ (متىٰ) ، وهيَ عندَهُم بمعنىٰ (مِنْ) ، قالَ شاعرُهُم[3] [من الطويل]

شَـرِبْـنَ بِـمَـاءِ ٱلْـبَـحْـرِ ثُـمَّ تَـرَفَّـعَـتْ ... مَـتَـىٰ لُـجَـجٍ خُـضْـرٍ لَـهُـنَّ نَـئِـيـجُ

---

(١) تقدم (١/١٤٤)

(٢) انظر « ديوان رؤبة بن العجاج » (ص ١٢٨)

(٣) انظر « ديوان الهذليين » (١/٥٢) وهو لأبي ذؤيب الهذلي

وبعضٌ آخَرُ يَخفِضُ بـ (لعلَّ) ، قالَ شاعرُهُم [١] [من الطويل]

فَقُلْتُ ٱدْعُ أُخْرَىٰ وَٱرْفَعِ ٱلصَّوْتَ جَهْرَةً لَعَلَّ أَبِي ٱلْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ

و(لعلَّ) في هـٰذهِ اللُّغةِ مثلُ (ربَّ) المخفوضِ بها جزءُ الكلامِ الواقعِ بعدَها ، فهوَ مُعرَبُ اللَّفظِ والمَحَلِّ بإعرابَينِ مُختلِفَينِ

وقد وردَ لولا أنا ، ولولايَ ، ولولا نحنُ ، ولولانا إلىٰ آخِرِ الضَّمائرِ ، وعرفتَ أنَّ هـٰذا النوعَ مِنَ الضَّمائرِ مُشترَكٌ بينَ النصبِ والخفضِ ؛ نحوُ غلامُكَ أكرمَكَ [٢] ، فقالَ سيبويهِ إنَّ (لولا) إذاً مثلُ (ربَّ) ، وقالَ آخَرونَ هوَ مِنْ إنابةِ ضميرٍ عن ضميرٍ [٣] ؛ كالإنابةِ في قولِهِم ما أنا كأنتَ ، ولا أنتَ كأنا

وإذا اتصلَتْ (ما) بـ (ربَّ) والكافِ عَمِلا ، ولم يعملا ، وإذا لم يعملا دخلا على الجملتَينِ ، وتُسمَّىٰ حينَئذٍ كلمةُ (ما) الزائدةِ كافَّةً مُهيِّئةً ؛ لكفِّهِما عنِ العملِ ، وتهيئتِهِما للدُّخولِ على الجملِ ، كما تُسمَّىٰ بهـٰذا الاسمِ إذا أبطلَتْ عملَ (إنَّ) وأخواتِها

[المخفوضُ بحرفٍ ملحوظٍ]

النوعُ الثاني مِنَ المُضافِ هوَ المخفوضُ بحرفٍ يُلحَظُ ولا يُلفَظُ أصلاً ؛ وذٰلكَ الحرفُ هوَ لامُ الملكِ وشبهِهِ ؛ نحوُ غلامُ زيدٍ ؛ أيِ الغلامُ المملوكُ لزيدٍ ، ونحوُ سَرجُ الفرسِ ، وبَرْذعةُ الحمارِ

---

(١) هو كعب بن سعد الغنوي في « خزانة الأدب » (١٠/٤٢٦)

(٢) انظر (١/٣٦١)

(٣) انظر « مغني اللبيب » (١/٣٧٧)

والغرضُ مِنَ الإضافةِ تعيينُ المُضافِ ؛ بإضافتِهِ إلىٰ مُعيَّنٍ إن كانَ المُضافُ إليهِ مِنَ المعارفِ ، وتخصيصُهُ بإضافتِهِ إلىٰ مخصوصٍ إن كانَ المُضافُ إليهِ مِنَ النكراتِ

فالأوَّلُ كقولِكَ : هٰذا غلامي ، وغلامُنا ، وغلامُك إلىٰ آخِرِ الضَّمائرِ ، فالمرادُ بـ (غلام) تعيَّنَ بإضافتِهِ إلى الضَّميرِ الذي مدلولُهُ مُتعيّنٌ ، وهٰكذا بقيةُ المعارفِ

والثاني كقولِكَ هٰذا غلامُ رجلٍ ؛ فمدلولُ (غلامٍ) صارَ مخصوصاً بإضافتِهِ إلىٰ مخصوصٍ ؛ وهوَ جنسُ الرجلِ ، فإنَّكَ لو قلتَ غلامٌ يَتناولُ غلامَ الرجلِ وغلامَ المرأةِ ، فلمَّا أضفتَهُ تَخصَّص بأحدِ الجنسَينِ

[أنواعُ الإضافاتِ]

وبعضُ الإضافاتِ قد تكونُ بينَ مظروفٍ وظرفٍ ، فيُتخيَّلُ أنَّها علىٰ معنىٰ (في) كقولِكَ : سيرُ الليلِ مبروكٌ[1] ، ونومُ الظهرِ مندوبٌ ، فمعناهُ الحقيقيُّ السيرُ المنسوبُ لِلَّيلِ بسببِ وقوعِهِ فيهِ ، والنومُ المنسوبُ للظهرِ بذٰلكَ

وبعضُها يكونُ بينَ شيءٍ وجنسِهِ الذي اتُّخِذَ منهُ ، فيُتخيَّلُ أنَّها علىٰ معنىٰ (مِنْ) كقولِكَ خاتمُ ذهبٍ ، وبابُ ساجٍ ، وثوبُ حريرٍ ، فمعناهُ خاتمٌ منسوبٌ للذهبِ بسببِ كونِهِ مُتخَذاً منهُ ، وهٰكذا

وهٰذا النوعُ مِنَ الإضافةِ يُسمَّىٰ إضافةً بيانيةً ، وضابطُها أن يكونَ المُضافُ إليهِ جنساً للمُضافِ

---

(١) كذا في الأصل

وهنالكَ إضافةٌ تُسمَّىٰ بالإضافةِ للبيانِ ؛ نحوُ شجرُ الأراكِ ، وضابطُها أن يكونَ المُضافُ إليهِ نوعاً مِنَ المُضافِ

فالنسبةُ في الإضافةِ البيانيَّةِ العمومُ والخصوصُ مِنْ وجهٍ ، وفي الإضافةِ للبيانِ العمومُ والخصوصُ المطلقانِ

وتُسمَّىٰ هٰذهِ الإضافةُ إضافةً معنويةً

وثَمَّ إضافةٌ تُسمَّىٰ إضافةً لفظيَّةً ؛ وهيَ إضافةُ اسمِ الفاعلِ أوِ اسمِ المفعولِ أوِ الصفةِ المُشبَّهةِ لمعمولٍ مِنْ معمولاتِها ؛ فيكونُ المُضافُ إليهِ مُتعلِّقاً بالمُضافِ تَعلُّقَ الفاعليَّةِ لهُ أوِ المفعوليَّةِ بهِ ، ويكونُ المُضافُ مُتعلِّقاً بالمُضافِ إليهِ تَعلُّقَ الحصولِ منهُ أوِ الوقوعِ بهِ ؛ كقولِكَ أنا راكبُ الفرسِ غداً ، ومسابقُ الفرسانِ ، وزيدٌ عظيمُ الأملِ فيكَ ، وهوَ مُروَّعُ القلبِ

فلفظُ (راكبِ) اسمُ فاعلٍ تَعلَّقَ بالفرسِ تَعلُّقَ الوقوعِ بهِ ، ولفظُ (الفرسِ) مُتعلِّقٌ بـ (راكبِ) تَعلُّقَ المفعوليَّةِ ؛ إذ يَصِحُّ أن تقولَ أنا راكبٌ الفرسَ ؛ بنصبِ الفرسِ على المفعوليَّةِ

وكذٰلكَ مسابقٌ الفرسانَ ، وزيدٌ عظيمٌ أملُهُ ؛ برفعِ الأملِ فاعلاً ، ومُروَّعٌ قلبُهُ ؛ برفعِ القلبِ نائبَ فاعلٍ ، فليسَتْ هٰذهِ الإضافةُ حقيقيةً ، ولذٰلكَ سُمِّيَتْ لفظيَّةً

وفائدتُها التخفيفُ بحذفِ تنوينِ الوصفِ المُفرَدِ ، ونونِ المُثنَّىٰ والجمعِ علىٰ حدِّهِ ، ولا يستفيدُ المُضافُ بها تعيُّناً وهوَ ظاهرٌ ، ولا اختصاصاً ؛ لأنَّهُ حاصلٌ بتَعلُّقِ الفاعليَّةِ أوِ المفعوليَّةِ ، كما يَظهرُ لكَ عندَ الرجوعِ للأصلِ مِنْ نصبِ المفعولِ ورفعِ الفاعلِ

ثمَّ إنَّ الإضافةَ توجبُ حذفَ تنوينِ المُضافِ ، وحذفَ نونِهِ إن كانَ مُثنّىً أو جمعَ مُذكَّرٍ سالمٍ ، وتَمنعُ أن تَدخُلَ (أل) على المُضافِ ، لٰكنِ المُضافُ في الإضافةِ اللفظيَّةِ يجوزُ أن تَدخُلَ عليه (أل) إن كانَ مُثنّىً أو جمعَ مُذكَّرٍ سالمٍ بلا شرطٍ ، وإن كانَ غيرَهُما فجوازُهُ مشروطٌ بكونِهِ مُضافاً إلىٰ ما فيهِ (أل) أو مُضافاً إلىٰ مُضافٍ لِمَا فيهِ (أل) نحوُ هٰذانِ الراكبا فرسٍ ، والطالعو جبلٍ ، والحسنُ الوجهِ ، والضاربُ رأسِ الجاني

[ما يكتسبُهُ المضافُ من المضافِ إليهِ]

ثمَّ إنَّ المُضافَ كما يَكتسِبُ التعيُّنَ مِنَ المُضافِ إليهِ المعرفةِ بسببِ إضافتِهِ إليهِ ، والتخصُّصَ مِنَ المُضافِ إليهِ النكرةِ بسببِ إضافتِهِ إليهِ يَكتسِبُ الظَّرفيةَ منهُ إذا كانَ ظرفاً بسببِ إضافتِهِ إليهِ ؛ نحوُ أجيئُكَ كلَّ حينٍ ، وبعض الأحيانِ ، وذاتَ يومٍ ، وذاتَ ليلةٍ ، وقمتُ كلَّ مَقامٍ لزيدٍ ، وجلستُ بعض مجالسِ عمرٍو

ويَكتسِبُ المفعوليَّةَ المُطلقةَ إذا أُضيفَ لمصدرٍ يكونُ لولا المُضافُ مفعولاً مطلقاً ؛ نحوُ مشيتُ كلَّ مشيٍ ، وقرأتُ أحسنَ القراءةِ ، ووقفتُ بعض الوقوفِ ، ويكونُ مدلولُ لفظةِ (كلِّ) في مثلِ هٰذا جميعَ أفرادِ جنسِ ما أُضيفَتْ إليهِ ، ومعنىٰ (بعضٍ) بعض أفرادِهِ ، ومعنىٰ (أحسنَ) ـ ومثلِهِ مِنْ كلِّ اسمِ تفضيلٍ ـ : الفردَ الزائدَ مِنْ أفرادِ ما أُضيفَ إليهِ في الصفةِ المدلولِ عليها بلفظِهِ

وكذٰلكَ يَكتسِبُ وجوبَ تَصدُّرِهِ في الجملةِ إن كانَ المُضافُ إليهِ مِنَ الأمورِ التي يجبُ تَصدُّرُها ؛ كالمُضافِ لاسمِ استفهامٍ ، أوِ اسمِ شرطٍ ؛ نحوُ غلامَ مَنْ صحبتَ ؟ وكتابَ أيِّ شخصٍ استعرتَ ؟ وغلامَ مَنْ تُكرِمْ أُكرِمْ

وكذٰلك يَكتسِبُ منهُ التأنيثَ إن كانَ المُضافُ مُذكَّراً ، والمُضافُ إليه

مُؤنَّثاً ، ويَكتسِبُ التذكيرَ إن كانَ بالعكسِ ، ولٰكنْ شرطُ هٰذَينِ الاكتسابَينِ أن يكونَ المُضافُ بحيثُ لو حُذِفَ لبقيَ الحكمُ لهُ صحَّةٌ ، أمَّا إذا لو حُذِفَ فسدَ الحكمُ امتنعَ هٰذانِ الاكتسابانِ

صورةُ الصحةِ قولُكَ[1] [من البسيط]

إِنَارَةُ ٱلْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوْعِ هَوىً

الإنارةُ مُؤنَّثٌ مُضافٌ للعقلِ المُذكَّرِ ، اكتسبَ المُؤنَّثُ مِنَ المُضافِ إليهِ التذكيرَ ، ولذٰلكَ قلتَ مكسوفٌ ، ولم تقلْ مكسوفةٌ ، والشرطُ حاصلٌ ؛ فإنَّكَ لو حذفتَ لفظَ الإنارةِ ، وقلتَ العقلُ مكسوفٌ بطوعِ هوىً بقيَ الحكمُ صحيحاً ، ونظيرُهُ[2] [من الخفيف]

رُؤْيَةُ ٱلْفِكْرِ مَا يَؤُولُ لَهُ ٱلْأَمْـ ـرُ مُعِينٌ عَلَى ٱجْتِنَابِ ٱلتَّوَانِي

وقولُكَ قُطِعَتْ بعضُ أصابعِ زيدٍ ، وقولُهُ تعالىٰ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾[3]

صورةُ الفسادِ قولُكَ جاءَتْ فتاةُ زيدٍ ، لا يَصِحُّ أن تقولَ جاءَ فتاةُ زيدٍ ؛ لامتناعِ الاكتسابِ فيهِ ؛ إذ لو حذفتَ لفظَ (الفتاةِ) المُضافَ لفسدَ الحكمُ ؛ فإنَّ المجيءَ لم يَتعلَّقْ بزيدٍ أصلاً ، بخلافِ القطعِ في (قُطِعَتْ بعضُ الأصابعِ) مثلاً ؛ فإنَّ القطعَ الواقعَ على البعضِ واقعٌ على الأصابعِ في الجملةِ ، فلو قلتَ قُطِعَتِ الأصابعُ ؛ بمعنىٰ أنَّ القطعَ تَعلَّقَ بالأصابعِ وحصلَ فيها مِنْ غيرِ ملاحظةِ العمومِ كانَ الحكمُ صحيحاً

---

(١) انظر « مغني اللبيب » (٢/٦٦٥) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه

إِنَارَةُ ٱلْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوْعِ هَوىً وَعَقْلُ عَاصِي ٱلْهَوَىٰ يَزْدَادُ تَنْوِيرَا

(٢) انظر « همع الهوامع » (٢/٥١٢)

(٣) سورة آل عمران (٣٠)

[أسماءٌ ملازمةٌ للإضافةِ]

ثـمَّ إنَّ مِـنَ الأسـماءِ أسـماءً تقتضي بطبيعةِ معناها أن تكونَ مُضافةً ، فلازمَتِ الإضافةَ ؛ وهيَ لفظُ (كلٍّ) و(بعضٍ) ، وربَّما حُذِفَ ما أُضيفا إليهِ ملحوظاً ، ولفظةُ (وَحْدٍ) ، ولا تُضافُ إلَّا إلىٰ ضميرٍ ؛ كوَحدي ، ووَحدَكَ ، ووَحدَهُ ، ومثلُ وَحدَكَ (لبَّيْكَ) ـ تثنيةُ (لَبِّ) محذوفِ زوائدِ التلبيةِ ـ في الجوابِ ، و(سعدَيكَ) و(دوالَيكَ) في الدعاءِ بالسَّعدِ والدولةِ ، و(حنانَيكَ) في الاستعطافِ ، قالَ الشاعرُ[1] [من الطويل]

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَٱسْتَبْقِ بَعْضَنَا ... حَنَانَيْكَ بَعْضُ ٱلشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

و(هذاذَيْكَ) في طلبِ الإسراعِ ، ولفظةُ (حيثُ) مِنْ أسماءِ الأمكنةِ ، ولفظةُ (إذ) مِنْ أسماءِ الزمنِ الماضي ، ولا يُضافانِ إلَّا إلىٰ جملةٍ ، وكَثُرَ تعويضُ التنوينِ عنها معَ (إذ) ، ولفظةُ (إذا) مِنْ أسماءِ الزمنِ المستقبلِ ، ولا تُضافُ إلَّا إلىٰ جملةٍ فعليَّةٍ ، ويُعوَّضُ عنها التنوينُ أيضاً ، ولفظةُ (لدنْ) ، وتُضافُ لمفردٍ وجملةٍ ؛ نحوُ ﴿ مِن لَّدُنَّا ﴾[2] ، ونحوُ[3] [من الطويل]

صَـرِيـعُ غَـوَانٍ رَاقَـهُـنَّ وَرُقْـنَـهُ ... لَدُنْ شَبَّ حَتَّىٰ شَابَ سُودُ ٱلذَّوَائِبِ

ونصبوا بها (غدوةً) تمييزاً ، ولفظةُ (عندَ) ولفظةُ (معَ) ، ولا يُضافانِ إلَّا لمفردٍ ، وتَسكُنُ عينُ (معَ) ، وإذا وليَها ساكنٌ كُسِرَتْ أو فُتِحَتْ ، وتُنصَبُ حالاً ؛ نحوُ (أقبلتا معاً) فلا تُضافُ

ولفظةُ (كلا) و(كلتا) ، ولا يُضافانِ إلَّا للفظٍ يَدُلُّ على اثنَينِ أوِ اثنتَينِ ؛ نحوُ كلا الرجلَينِ ، وكلتا المرأتَينِ ، وكلاهُما ، وكلتاهُما

---

(١) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ١٧٢)

(٢) سورة النساء (٦٧)

(٣) هو للقطامي في « ديوانه » (ص ٢٨٠)

ولفظةُ (أيٍّ) ، ولا تُضافُ إلَّا لِمَا يُلحَظُ فيهِ التعدُّدُ ؛ لأنَّ المقصودَ منها كيفَ استُعمِلَتْ واحدٌ مِنْ آحادِ ما تُضافُ إليهِ ، لٰكنْ إذا استعملتَها موصولةً وجبَ أن تُضافَ لمعرفةٍ ؛ نحوُ يعجبُني أيُّهُم هوَ يَتقي اللهَ ، علىٰ معنى الذي منهُم هوَ يَتقي اللهَ

وإذا كانَتْ صفةً أو حالاً وجبَ إضافتُها إلىٰ نكرةٍ ؛ نحوُ زيدٌ رجلٌ أيُّ رجلٍ ، وهٰذا زيدٌ أيَّ إنسانٍ

وإذا كانَتِ استفهاميةً أو شرطيَّةً جازَ إضافتُها إلىٰ معرفةٍ وإلىٰ نكرةٍ ؛ نحوُ أيُّ الرجالِ عندَكَ ؟ وأيُّ رجلٍ عندَكَ ؟ [ونحوُ] أيَّ الرجالِ تُكرِمْ أُكرِمْ ، وأيَّ رجلٍ تُكرِمْ أُكرِمْ

ولفظةُ (غيرٍ) و(قبلٍ) و(بعدٍ) و(تحتٍ) و(فوقٍ) و(أمامٍ) و(قُدَّامٍ) و(وراءٍ) و(خلفٍ) و(أسفلَ) و(دونٍ) و(أوَّلَ) و(مِنْ علٍ) ، ولهٰذهِ الألفاظِ أربعةُ أحوالٍ

الأوَّلُ إضافتُها لفظاً كما هوَ مقتضىٰ طبيعةِ معناها

الثاني أن يُحذَفَ ما أُضيفَتْ إليهِ ملحوظَ اللَّفظِ ، فتبقىٰ علىٰ صورتِها عندَ وجودِهِ

الثالثُ أن يُحذَفَ غيرَ ملحوظٍ أصلاً ، وتكونُ الكلماتُ مُستعمَلةً نكراتٍ ، فتُعرَبُ حَسَبَ الاقتضاءِ

الرابعُ أن تُستعمَلَ معارفَ ملحوظاً فيها تَعيُّنُ المدلولِ ، فتكونُ مُتضمِّنةً معنىٰ (أل) كما سبقَ في قسمِ المُعرَبِ والمَبني (١)

تقولُ جاءَ زيدٌ قبلَ عمرٍو ، وجاءَ زيدٌ وجاءَ عمرٌو بعدَ ؛ أي بعدَهُ

---

(١) انظر (١/٣٢٥)

بنصبِها كما كانَتْ ، ونحوُ[1] [من الوافر]

فَسَاغَ لِيَ ٱلشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلاً

أي في زمنٍ سابقٍ ، ونحوُ ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[2] ؛ أيِ السابقِ واللاحقِ ، وحينَئذٍ تُبنىٰ على الضمِّ ، وتسمَّىٰ [هٰذهِ] الظُّروفُ غاياتٍ ؛ لأنَّها صارَتْ إذاً غاياتٍ بعدَ أن كانَ الغايةُ غيرَها

ثمَّ كثيراً يُحذَفُ المُضافُ ، فيقومُ المُضافُ إليهِ مَقامَهُ في وظيفتِهِ مِنَ الكلامِ ويُحذَفُ المُضافُ إليهِ ، ويَبقى المُضافُ علىٰ صورتِهِ ؛ بشرطِ أن يُعطَفَ عليهِ لفظٌ مُضافٌ لمثلِ ما حُذِفَ منهُ ؛ نحوُ قولِكَ قطعوا يدَ ورجلَ القاطعِ ، فالأصلُ يدَ القاطعِ ورجلَهُ ، فحُذِفَ المُضافُ إليهِ لـ (يدِ) ، فلم يَبقَ مَرجِعٌ للضَّميرِ في (رِجْلٍ) ، فجيءَ بالاسمِ الظاهرِ ، فدلَّ على المحذوفِ مِنَ الأوَّلِ

ثمَّ لا يُفصَلُ المُضافُ مِنَ المُضافِ إليهِ إلَّا بمعمولِ المُضافِ ، فإنَّهُ يجوزُ ، والأحسنُ تركُهُ ؛ كقولِكَ زيدٌ معطي درهماً عمرٍو ، والأحسنُ معطي عمرٍو درهماً

[أحوالُ المضَافِ لياءِ المتكلِّمِ]

ثمَّ المُضافُ لياءِ المُتكلِّمِ إن كان آخِرُهُ صحيحاً أو مُلحَقاً بهِ وجبَ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (١/٤٢٦) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه

فَسَاغَ لِيَ ٱلشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلاً أَغَصُّ بِنُقْطَةِ ٱلْمَاءِ ٱلْحَمِيمِ

(٢) سورة الروم (٤)

كسرُهُ ، وجازَ لكَ فتحُ الياءِ وتسكينُها ؛ كغلامِي وغلامِيَ ، ودلوِي ودلوِيَ ، وظبيِي وظبيِيَ

وإن كانَ آخِرُهُ أَلِفاً بقيَتِ الأَلِفُ بصورتِها ، وتَعيَّنَ فتحُ الياءِ ؛ كفتايَ وعصايَ وغلامايَ

وإن كانَ آخِرُهُ ياءً ساكنةً وجبَ إبقاؤُها بصورتِها وإدغامُها في ياءِ المُتكلِّمِ مفتوحةً وجوباً ؛ كغُلامَيَّ وزيدِيَّ ، جمعَ مُذكَّرٍ سالمٍ

وإذا كانَ آخِرُهُ ياءً مُشدَّدةً جازَ إبقاؤُها بصورتِها معَ إسكانِ الياءِ ، وجازَ حذفُ ثانيةِ الياءَينِ معَ فتحِ ياءِ المُتكلِّمِ ؛ كقولِكَ هٰذا بُنَيِّي مُصغَّراً ، وبُنَيَّ ، وهٰذا كرسِيِّي وكرسِيَّ

وإن كانَ آخِرُهُ واواً ـ وهوَ جمعُ المُذكَّرِ السالمِ إذا كانَ بالواوِ ـ وجبَ قلبُ واوِهِ ياءً وإدغامُها في ياءِ المُتكلِّمِ ، فإن كانَ ما قبلَ الواوِ ضمةً أُبدِلَتْ كسرةً ، وإن كانَ فتحةً بقيَتْ ؛ نحوُ هٰؤلاءِ زيدِيَّ وهُم مُصطفَيَّ ؛ بفتحِ الفاءِ ، وكسرِ الدالِ

وإذا كانَ المُضافُ لياءِ المُتكلِّمِ منادىً صحيحاً أو مُلحَقاً بهِ جازَ لكَ إبقاءُ الياءِ ساكنةً ، ومفتوحةً ، وحذفُها ، وقلبُها أَلِفاً وفتحُ ما قبلَها لأجلِها ، وحذفُ الأَلِفِ وإبقاءُ الفتحةِ ؛ نحوُ يا غلامِيْ ، وغلامِيَ ، وغلامِ بالكسرِ ، وغلاما ، وغلامَ بالفتحِ ، ونحوُ (يا بُنَيَّ) مُحتمِلٌ

وجازَ في خصوصِ لفظةِ (أبٍ) ولفظةِ (أُمٍّ) حذفُ الياءِ وتعويضُ تاءٍ منها ؛ فتقولُ يا أبتِ ويا أُمَّتِ ، مكانَ أبي وأمي ، فلا يجوزُ أن تَجمعَ بينَهُما ، ولكَ فتحُ التاءِ علىٰ أنَّ المحذوفَ المُعوَّض عنهُ هوَ الأَلِفُ المُنقلِبةُ عن ياءِ المُتكلِّمِ ، ولكَ كسرُها بناءً علىٰ أنَّ المحذوفَ الياءُ

والتزمَتِ العربُ في يا بنَ أُمّ ، وابنةَ أمّ ، وابنَ عمّ ، وابنةَ عمّ   حذفَ ياءِ المُتكلِّمِ دونَ إبدالِها أَلِفاً فيَبقىٰ ما قبلَها مكسوراً ، وبعدَ إبدالِها أَلِفاً فيبقىٰ مفتوحاً

[الممنوعُ مِنَ الصَّرفِ]

هٰذا ؛ وقد عرفتَ أنَّ الأسماءَ التي لا تَنصرِفُ ـ أي لا تُنوَّنُ تنوينَ التمكينِ الذي يُسمَّىٰ صَرْفاً ـ تُخفَضُ بالفتحةِ نيابةً عنِ الكسرةِ ، إلَّا إذا أُضيفَتْ أو عُرِّفَتْ بـ (أل) ، فإنَّها حينَئذٍ تُخفَضُ بالكسرةِ

وهٰذهِ أنواعُ ما لا يَنصرِفُ ؛ وهيٍ

كلُّ جمعٍ لا نظيرَ لهُ في الآحادِ ، والمنقوصُ مِنْ هٰذا النوعِ ـ نحوُ دواعٍ وسوارٍ ـ تُحذَفُ ياؤُهُ في حالتَيِ الرفعِ والخفضِ ، ويُعوَّضُ عنها تنوينٌ يُقالُ لهُ تنوينُ العوضِ

وكلُّ مُؤنَّثٍ بإحدى الألفَينِ

وكلُّ وصفٍ يوازنُ (فَعْلَانَ) بفتحِ الفاءِ ؛ بشرطِ أن يكونَ مُؤنَّثُهُ علىٰ وزنِ (فَعْلَىٰ) كسكرانَ ، سَكرىٰ

وكلُّ وصفٍ أتىٰ علىٰ زنةٍ خاصَّةٍ بالفعلِ أو غالبةٍ فيهِ ، ولم يُؤنَّثْ بالتاءِ ، وكانَ أصليَّ الوصفيَّةِ

وكلُّ وصفٍ معدولٍ عن أصلٍ ؛ كمَوْحَدَ وأُحادَ   إلىٰ آخِرِ ما وردَ ، وأُخَرَ المعدولِ عنِ الآخَرِ ؛ إذ قد عرفتَ أنَّ اسمَ التفضيلِ لا يُثنَّىٰ ولا يُجمَعُ إلَّا حيثُ يُعرَّفُ ، فإذا قلتَ بنساءٍ أُخَرَ   كانَ حقُّهُ بنساءٍ آخَرَ ؛ أي أشدَّ تأخُّراً

وكلُّ عَلَمٍ مُركَّبٍ تركيباً مَزجيّاً بغيرِ (وَيْهِ)

وكلُّ عَلَمٍ زِيدَ في آخِرِهِ أَلِفٌ ونونٌ ؛ كحسَّانَ وعفَّانَ مِنَ الحِسِّ والعِفَّةِ ، لا مِنَ الحُسْنِ والعُفونةِ

وكلُّ عَلَمٍ مُؤنَّثٍ بالتاءِ ، وكلُّ أعلامِ الإناثِ

وكلُّ عَلَمٍ أعجميٍّ ، غيرِ ثُلاثيٍّ ، ساكنِ الوسطِ

وكلُّ عَلَمٍ جاءَ علىٰ زنةٍ تَخُصُّ الفعلَ أو تَغلِبُ فيهِ

وكلُّ عَلَمٍ آخِرُهُ أَلِفُ إلحاقٍ

وكلُّ عَلَمٍ معدولٍ عن أصلٍ ؛ كعُمَرَ المعدولِ بهِ عن عامرٍ ؛ وذٰلكَ لأنَّهُ جرتِ العادةُ أن يسمُّوا عامراً تفاؤلاً بالعمارةِ ، ثمَّ يُعدَلُ بهِ لتلكَ الصِّيغةِ

ولفظُ (سَحَرَ) الذي أردتَ بهِ سَحَرَ يومِكَ ، و(قَطامِ) وما أشبهَهُ ممَّا لا يَنصرِفُ في لغةِ تميمٍ ، ومبنيةٌ على الكسرِ في لغةِ الحجازِ كما سلفَ [1]

وإذا نُكِّرَتِ الأعلامُ صُرِفَتْ ، وكذا إذا صُغِّرَتْ ، ما لم تَخرجْ إلىٰ نوعٍ آخَرَ مِنْ أنواعِ ما لا يَنصرِفُ ؛ كأعورَ ، إذا صغَّرته قلتَ أُعَيْوِرُ ، فيُوازِنُ أُبَيْطِرُ

ويُنوَّنُ ما لا يَنصرِفُ لضرورةِ الشعرِ ، ويُسمَّى التنوينُ تنوينَ الضَّرورةِ ، وللتناسبِ ؛ نحوُ ﴿ سَلَسِلَا وَأَغْلَلَا ﴾ [2] ، ويُسمَّىٰ تنوينَ التناسبِ

وإذا نُوِّنَ ما لا يَنصرِفُ للضَّرورةِ خُفِضَ بالكسرةِ

[تنويهٌ بما مرَّ مِنَ الألفاظِ العاملةِ عملَ الأفعالِ]

هٰذا ؛ وممَّا سلفَ لكَ عرفتَ أنَّ الألفاظَ العاملةَ عملَ الأفعالِ ؛ مِنَ المصدرِ

---

(١) انظر (١/٣٦٩ ـ ٣٧٠)

(٢) سورة الإنسان (٤) ، وهي قراءة نافع والكسائي ، بالتنوين في (سلالاً) انظر « النشر في القراءات العشر » (٢/٣٩٤)

وغيرِهِ قد يُضافُ لبعضِ معمولاتِهِ[1] ؛ مثلاً تقولُ يعجبُني حفظُ زيدٍ لطائفَ الأشعارِ ، بإضافةِ (حفظُ) لـ (زيدٍ) ، وبدونِها ويُنوَّنُ ، وحفظُ لطائفِ الأشعارِ زيدٌ ، وتقولُ معطٍ عمراً درهماً ، ومُعطىٰ عمرٍو درهماً ، ومُعطىٰ درهمٍ عمراً

[بعضُ أحكامِ الصفةِ المُشبَّهةِ]

غيرَ أنَّ للصفةِ المُشبَّهةِ أحكاماً تحتاجُ لتفصيلِها

وحاصلُهُ أنَّكَ إذا أجريتَ صفةَ شيءٍ علىٰ صاحبِهِ إخباراً بها عنهُ أو نعتاً لهُ بها ؛ نحوُ زيدٌ حسنُ الوجهِ ، وهوَ رجلٌ سليمُ القلبِ ؛ فالحسنُ والسلامةُ صفتا الوجهِ والقلبِ ، أجريتَهُما علىٰ صاحبَيهِما ؛ إخباراً في الأوَّلِ ، ونعتاً في الثاني فقد نطقتَ بتركيبٍ يجوزُ أن يكونَ علىٰ صورٍ شتَّىٰ

والضَّبطُ أن تقولَ إنَّ الصفةَ إمَّا أن تكونَ بـ (أل) أو بدونِها ، واسمُ موضعِ الصفةِ بـ (أل) أو بدونِها ، مُضافاً إلىٰ ضميرِ صاحبِهِ أو لا ، واسمُ موضعِ الصفةِ مرفوعٌ أو منصوبٌ أو مخفوضٌ ، فهٰذهِ ثمانيَ عشرةَ صورةً

منها صورتانِ باطلتانِ ؛ هما الحسنُ وجهِهِ ، والحسنُ وجهٍ ، بخفضِ الوجهِ فيهِما

ومنها ثلاثٌ مُمتنِعةٌ في السَّعةِ ؛ وهيَ الحسنُ وجهَهُ ، وحسنٌ وجهَهُ بالنصبِ ، وحسنٌ وجهِهِ بالخفضِ

ومنها صورتانِ غيرُ قبيحتَينِ ؛ وهما الحسنُ الوجهَ ، وحسنٌ الوجهَ ، بالنصبِ فيهِما على التشبيهِ بالمفعولِ بهِ

---

(١) انظر (١/٤٦٦)

ومنها صورتانِ قبيحتانِ ؛ وهما الحسنُ الوجهُ ، وحسنٌ الوجهُ ، بالرفعِ فيهما

ومنها صورتانِ أقبحُ مِنْ هاتَينِ ؛ وهما الحسنُ وجهٌ ، وحسنٌ وجهٌ ، بالرفعِ فيهما

ومنها صورةٌ مُتوسِّطةٌ ؛ وهيَ حسنُ وجهٍ بالجرِّ

وما عدا ذٰلكَ فصيحٌ جيدٌ سائرَ الاستعمالِ ؛ وهيَ الحسنُ وجهُهُ بالرفعِ ، والحسنُ الوجهِ بجرِّ الإضافةِ ، والحسنُ وجهاً بنصبِ التمييزِ ، الأُولىٰ أصلٌ ، والثِّنتانِ فرعاها ، وحسنٌ وجهُهُ ، وحسنُ الوجهِ ، وحسنٌ وجهاً كذٰلك

ومتىٰ رفعَتِ الصفةُ اسمَ موضعِها لم يكنْ فيها ضميرُ صاحبِهِ ، فهيَ تطابقُ اسمَ الموضعِ ؛ تقولُ هندٌ حسنٌ وجهُها ، وزيدٌ حسنةٌ أخلاقُهُ ، ومتىٰ لم ترفعْهُ كانَتْ مُشتمِلةً علىٰ ضميرِ صاحبِهِ ، فهيَ تطابقُهُ ؛ نحوُ هندٌ الحسنةُ وجهاً والوجهِ ، وزيدٌ حسنٌ أخلاقاً والأخلاقِ



بيانُ عواملِ مُعرَبِ الأفعالِ

مُعرَبُ الأفعالِ كما سلفَ لكَ هوَ المضارعُ[1] ؛ فيكونُ مرفوعاً حيثُ يَتجرَّدُ مِنْ ناصبٍ وجازمٍ ، ويكونُ منصوباً إذا دخلَ عليهِ ناصبٌ ، ومجزوماً إذا دخلَ عليهِ جازمٌ

بيانُ نواصبِهِ

هيَ (لن) ، والفعلُ معَها لا يكونُ إلَّا مُستقبَلاً ؛ ولذلكَ يُقالُ فيها إنَّها حرفُ نفيٍ ونصبٍ واستقبالٍ

و(إذاً) ، بشرطِ تَصدُّرِها واستقبالِ منصوبِها ، واتصالِهِ بها ، ولا يَضُرُّ الفصلُ بقسَمٍ أو نداءٍ

و(كي) ، مسبوقةً باللَّامِ وغيرَ مسبوقةٍ

ولـ (أن) ثلاثةُ أحوالٍ وجوبُ ذكرِها ، ووجوبُ حذفِها ، وجوازُ الأمرَينِ

فيجبُ ذكرُها إذا تَوسَّطَتْ بينَ اللَّامِ و(لا) ؛ نحوُ ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2]

ويجبُ حذفُها بعدَ لامِ الجُحودِ ؛ وهوَ أشدُّ الإنكارِ ، وتكونُ مسبوقةً بـ (ماكانَ) أو (لم يكنْ) مثلاً ؛ نحوُ ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾[3] ، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[4] ، وأفادَتِ العبارةُ الجَحدَ بسببِ أنَّهُ قد

(١) انظر (١/٣٣١)

(٢) سورة الحديد (٢٩)

(٣) سورة النساء (١٣٧)

(٤) سورة الأنفال (٣٣)

نُفِيَ الفعلُ بنفيِ الاستعدادِ لهُ ؛ فمَنْ يقولُ ما كنتُ لأكتمَ علماً   يريدُ أنِّي لم أكنْ مُستعِداً لذٰلكَ ، ولم يكنْ مِنَ الأحوالِ الكونيَّةِ التي تدخلُ تحتَ الاستطاعةِ

وبعدَ (أو) التي تُفسَّرُ بـ (إلىٰ أن) إذا وقعَتْ بعدَ فعلٍ لهُ امتدادٌ وبقاءٌ ، وبـ (إلَّا أن) إذا وقعَتْ بعدَ غيرِ مُمتدٍّ ؛ نحوُ[1]   [من الطويل]

لَأَسْتَسْهِلَنَّ ٱلصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ ٱلْمُنَىٰ   فَمَا ٱنْقَادَتِ ٱلْآمَالُ إِلَّا لِصَابِرِ

فاستسهالُ الصَّعبِ أمرٌ يَمتدُّ معَ الأزمنةِ ، فتُفسَّرُ (أو) بـ (إلىٰ أن)

ونحوُ لَأقتلنَّ المُرتدَّ أو يتوبَ ، فالقتلُ ليسَ لهُ امتدادٌ ، فتُفسَّرُ (أو) بـ (إلَّا أن)

وبعدَ (حتى) الغائيةِ الخافضةِ ، فما بعدَها مستقبلٌ لِمَا قبلَها ، لا الابتدائيةِ التي تفيدُ السببيَّةَ ، وما بعدَها حاليٌّ ؛ نحوُ ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ﴾[2] ، أي إلىٰ تبيُّنِ الخيطِ ، والابتدائيةُ كقولِكَ وأنتَ داخلٌ مَكَّةَ سرتُ اللَّياليَ ذواتِ العددِ حتَّىٰ أدخلُ مَكَّةَ ؛ أي فهـٰأنا ذا أدخلُها

وبعدَ فاءٍ تفيدُ سببيَّةَ سابقِها للاحقِها ، فتُسمَّىٰ فاءَ السببيةِ

وبعدَ واوٍ تفيدُ تَعلُّقَ الحكمِ بالجمعِ بينَ أمرَينِ ، فتُسمَّىٰ واوَ المعيَّةِ

ولا يُستعملانِ إلَّا بعدَ نفيٍ ، أو طلبٍ ؛ مِنْ أمرٍ ، ونهيٍ ، واستفهامٍ ، وتَمنٍّ ، وعَرْضٍ ، وحَضٍّ ؛ كقولِهِ[3]   [من البسيط]

يَا بْنَ ٱلْكِرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا   قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَاءٍ كَمَنْ سَمِعَا

---

(١) انظر « أوضح المسالك » (١٥٧/٤)

(٢) سورة البقرة (١٨٧)

(٣) انظر « همع الهوامع » (٣٨٩/٢)

وقولِهِ لا تُعْنَ بالجفاءِ وتَمدحَ عمراً

وإذا حذفتَ الفاءَ بعدَ الطَّلبِ جزمتَ الفعلَ بـ (إن) التي يَتضمَّنُ الكلامُ معناها ، مثلاً تقولُ أعطني ما سألتُكَ فتجدَني مسارعاً إلىٰ هواكَ ، تَحذِفُ الفاءَ فيصيرُ أعطني تجدْني ، فمعناهُ إن تعطني

وهٰذهِ الكلماتُ التي هيَ الواوُ والفاءُ و(أو) هيَ أحرفُ العطفِ ، لٰكنَّ عطفَها يَعتمِدُ ملاحظةَ المعنىٰ ، فالمعطوفُ عليهِ مصدرٌ ملحوظٌ مِنَ الفعلِ السابقِ ؛ فقولُكَ لَأطلبنَّ أو أبلغَ المنىٰ تأويلُهُ : ليكنْ منِّي طلبٌ أو بلوغٌ

ويجوزُ حذفُ (أن) باقيةَ العملِ بعدَ لامِ التعليلِ ، وبعدَ عاطفٍ على اسمٍ ؛ نحوُ أزورُكَ لتزورَني ، أو لأن تزورَني ، ونحوُ [من الوافر]

وَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ ٱلشُّفُوفِ

ونحوُ حالُ الفقراءِ وأَبلُغَ المجدَ خيرٌ

فإذا حذفتَ (أن) في غيرِ هٰذا وجبَ رفعُ الفعلِ ، قالَ[1] [من الطويل]

أَلَا [أَيُّهَـٰذَا] ٱلزَّاجِرِي أَحْضُرُ ٱلْوَغَىٰ وَأَنْ أَشْهَدَ ٱللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

أي أن أحضرَ ، فحذفَ ورفعَ

بيانُ جوازمِهِ

هيَ (لم) ، و(لمَّا) ، و(لا) الناهيةُ ، ولامُ الأمرِ ، و(إن) الشرطيةُ ، وما تَضمَّنَ معناها مِنَ الأسماءِ ، و(إذما)

فـ (لم) تَجزِمُ المضارعَ وتَنفي حصولَهُ في الأوقاتِ الماضيةِ ، فيَخرجُ عن أصلِ وضعِهِ ، ولذٰلك تَسمعُهُم يقولونَ (لم) حرفُ نفيٍ وجزمٍ وقلبٍ

(١) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٣١)

وبينَها وبينَ (لمَّا) فرقٌ ؛ وذٰلكَ أنَّ (لمَّا) يَنسحِبُ نفيُها علىٰ حالِ التكلُّمِ ، ولا تُستعمَلُ إلَّا معَ مُنتظَرِ الحصولِ ، فهيَ مقابلةٌ لـ (قد) في الإثباتِ ، مثلاً تكونُ مُنتظِراً إقامةَ الصلاةِ خارجَ المسجدِ بحيثُ يَسمعُكَ بعضُ مَنْ فيهِ ؛ فتقولُ هل أقاموا الصلاةَ ؟ فيجيبُكَ لمَّا يقيموها ، فإذا أقاموها أجابَكَ بـ : قد أقاموها ، ولذٰلكَ يُقالُ قد حرفُ توقُّعٍ ؛ أي تَصحَبُ المُتوقَّعَ المُنتظَرَ

والفعلُ الماضي معَ (إن) في موضعِ جزمٍ ، يَظهرُ ذٰلكَ في العطفِ عليهِ ؛ تقولُ إن أرضاكَ زيدٌ ويَسْعَ في أغراضِكَ وجبَ إكرامُهُ ؛ لأنَّ الماضيَ إذاً مستقبلٌ في المعنىٰ ، فللماضي حالةُ إعرابٍ



بيانُ التوابعِ

خمسةُ أشياءَ مِنْ أجزاءِ التركيبِ تُسمَّىٰ توابعَ ؛ لأنَّها تكونُ دائماً تابعةً في إعرابِها لِمَا قبلَها ، فيكونُ متبوعاً لها ؛ وهيَ النعتُ ، والتوكيدُ ، وعطفُ البيانِ ، وعطفُ النسقِ ، والبدلُ

[النعتُ وأقسامُهُ]

والنعتُ يَنقسِمُ باعتبارِ الغرضِ منهُ أربعةَ أقسامٍ

ـ القسمُ الأوَّلُ : نعتٌ يكونُ الغرضُ منهُ تعيينَ متبوعِهِ وتمييزَهُ عن سائرِ ما عداهُ ؛ فإن كانَ متبوعُهُ نوعاً مِنَ الأنواعِ سُمِّيَ النعتُ مُعرِّفاً ووصفاً كاشفاً ؛ كقولِكَ الإنسانُ الحيوانُ الناطقُ نوعٌ شرَّفَهُ اللهُ تعالىٰ بالعقلِ ، وصَرَّفَهُ فيما على الأرضِ ، فقولُكَ (الحيوانُ الناطقُ) نعتٌ للإنسانِ يُميِّزُهُ عن سائرِ الأنواعِ ، فهوَ مُعرِّفٌ لهُ ، ووصفٌ كاشفٌ عن حقيقتِهِ

وهٰذا النوعُ مِنَ النعتِ يَصِحُّ أن تضعَ بينَهُ وبينَ منعوتِهِ كلمةَ (أي) ، وهيَ حرفُ تفسيرٍ ؛ لكونِ النعتِ مُفسِّراً ومُبيِّناً ومُفصِّلاً لمجملٍ ؛ فتقولُ الإنسانُ ؛ أيِ الحيوانُ الناطقُ

وضابطُ هٰذا أن يكونَ النعتُ أمراً مُشترَكاً بينَ سائرِ أشخاصِ نوعٍ مُنفرِدةٍ بهِ ؛ بحيثُ يُعيِّنُ جميعَ الأشخاصِ ويُعرِّفُها لِمَنِ اطَّلعَ عليهِ ، ويُميِّزُها مِنْ غيرِها ، والغالبُ فيهِ أن يُؤتىٰ بهِ علىٰ صورةِ خبرٍ لمبتدأٍ هوَ المنعوتُ ، فيُقالُ الإنسانُ حيوانٌ ناطقٌ ؛ حيثُ يكونُ الغرضُ مُجرَّدَ التعريفِ

ـ القسمُ الثاني نعتٌ يكونُ الغرضُ منهُ تعيينَ شخصٍ أو جماعةٍ

أشخاصٍ ، وتمييزَهُ مِنْ مشاركٍ في اسمٍ ، أو في اسمٍ ووصفٍ مثلاً ، ويُسمَّىٰ نعتاً مُقيِّداً ؛ نحوُ جاءَني زيدٌ التاجرُ ؛ حيثُ يكونُ في معلومِكَ علىٰ ما فهِمَ المُتكلِّمُ أشخاصٌ كلُّهُم مُسمَّونَ بزيدٍ ، إلَّا أنَّ زيداً منهُم عالمٌ ، وزيداً آخَرَ تاجرٌ ، وزيداً آخرَ زرَّاعٌ ، فتقولُ (زيدٌ التاجرُ) تمييزاً لهُ مِنْ مشاركيهِ في الاسمِ ، مُقيِّداً لهُ بوصفِهِ

وتقولُ جاءَني زيدٌ التاجرُ العالمُ ؛ حيثُ يكونُ ثَمَّ زيدٌ تاجرٌ فقطْ ، وزيدٌ عالمٌ فقطْ ، وزيدٌ تاجرٌ عالمٌ ، فيَتعدَّدَ النعتُ بسببِ حاجةِ التمييزِ حتىٰ يَحصُلَ

ـ القسمُ الثالثُ نعتٌ يُذكَرُ لغرضِ مدحِ منعوتِهِ بفضيلةٍ أو ذَمِّهِ برذيلةٍ ، وإنَّما يكونُ ذٰلكَ إذا كانَ المنعوتُ مُتعيِّناً مُتميِّزاً بدونِ النعتِ ؛ لأجلِ أن يَنصرِفَ ذهنُ المُخاطَبِ إلىٰ أنَّ الغرضَ هوَ المدحُ أوِ الذمُّ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾[1] ، فامرأةُ أبي لهبٍ ـ أحدِ أعمامِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ـ معلومٌ أنَّها أُمُّ جميلٍ أختُ أبي جهلٍ ، فلم تكنْ مُفتقِرةً إلى التعيينِ والتمييزِ ، فعلمنا أنَّ ذكرَ (حمالةَ الحطبِ) نعتاً إنَّما هوَ لذمِّها بذٰلكَ ، والحَطَبُ الذي كانَتْ تَحمِلُهُ هوَ حطبٌ شائكٌ ، كانَتْ تَلُمُّهُ ثمَّ تلقيهِ وتُفرِّقُهُ في مسالكِ النبيِّ ـ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ـ تؤذيهِ بذٰلكَ

وكقولِكَ جاءَنا والي البلدِ الهُمامُ

ونظيرُ ذٰلكَ الأوصافُ التي تُذكَرُ للترحُّمِ والتعطُّفِ ؛ نحوُ اللهُمَّ ؛ إنِّي عبدُكَ المسكينُ الضعيفُ

---

(١) سورة المسد (٤)

ـ القسمُ الرابعُ : نعتٌ يُذكَرُ لغرضِ تأكيدِ معنىً يَتضمَّنُهُ متبوعُهُ ؛ كقولِهم أبعدُ مِنْ أمسِ الدَّابرِ ، وأقربُ مِنَ الغدِ المُقبِلِ

وجميعُ أقسامِ النعتِ تفيدُ معنىً في المتبوعِ ، لكنْ ليسَتْ إفادتُهُ هيَ الغرض بتبعيتِهِ دائماً ؛ لما عرفتَ

[النعتُ الحقيقيُّ والسببيُّ]

ويَنقسِم باعتبارِ كونِهِ صفةً لمتبوعِهِ ، أو صفةً لشيءٍ مِنْ مُتعلَّقاتِ متبوعِهِ إلىٰ قسمَينِ

القسمُ الأوَّلُ يُسمَّىٰ نعتاً حقيقيّاً

القسمُ الثاني يُسمَّىٰ نعتاً سببيّاً ؛ لأنَّ وصفَ الغيرِ إنَّما جُعِلَ وصفاً للمنعوتِ في الكلامِ بسببِ كونِ صاحبِ الوصفِ مُنتسِباً ومُرتبِطاً بالمنعوتِ

فالأوَّلُ كقولِكَ زيدٌ العالمُ ، فالعِلْمُ صفةُ زيدٍ حقيقةً

والثاني كقولِكَ زيدٌ العالمُ أبوهُ ، فالعِلْمُ صفةٌ للأبِ ، ونُعِتَ بها زيدٌ لكونِ الأبِ مِنْ مُتعلَّقاتِ زيدٍ ، فليسَ العِلْمُ صفةَ زيدٍ ، بل صفةُ أبيهِ ، لكنْ مِنْ حيثُ كونُهُ صفةَ أبيهِ حصلَ لزيدٍ صفةٌ ؛ وهيَ كونُهُ عالمَ الأبِ

وللأوَّلِ حكمٌ وهوَ أنَّه يجبُ أن يكونَ موافقاً لمتبوعِهِ في إعرابِهِ رفعاً ونصباً وجرّاً ، وفي تعريفِهِ وتنكيرِهِ ، وفي إفرادِهِ وتثنيتِهِ وجمعِهِ ، وفي تذكيرِهِ وتأنيثِهِ

ومِنْ هنا سُمِّيَ تابعاً ؛ فلا تُوصَفُ معرفةٌ بنكرةٍ ، ولا بالعكسِ ، ولا مُفرَدٌ بغيرِهِ ؛ فتقولُ زيدٌ الفاضلُ ، ورجلٌ صالحٌ ، والزيدانِ الفاضلانِ ، ورجلانِ فاضلانِ ، والزيدونَ الفاضلونَ ، ورجالٌ فُضَلاءُ ، وهندٌ الفاضلةُ ، وامرأةٌ فاضلةٌ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ

فيُقالُ فيهِ إنَّهُ يتبعُ منعوتَهُ في أربعةِ أشياءَ مِنْ عشرةٍ ؛ هيَ : الرفعُ والنصبُ والجرُّ ، والتعريفُ والتنكيرُ ، والإفرادُ والتثنيةُ والجمعُ ، والتذكيرُ والتأنيثُ

وللثاني حكمٌ : وهوَ [أنَّهُ] يجبُ أن يوافقَ متبوعَهُ في إعرابِهِ ، وفي تعريفِهِ وتنكيرِهِ فقطْ ، وأمَّا تذكيرُهُ وتأنيثُهُ ، وإفرادُهُ وتثنيتُهُ وجمعُهُ فبحَسَبِ ما بعدَهُ ؛ وهوَ صاحبُ الوصفِ المذكورِ حقيقةً ، فيُقالُ إنَّهُ تابعٌ لمنعوتِهِ في شيئَينِ مِنْ خمسةٍ ؛ هيَ الرفعُ والنصبُ والجرُّ ، والتعريفُ والتنكيرُ ؛ فتقولُ زيدٌ القائمةُ أُمُّهُ ، وهندٌ القائمُ أبوها ، ورجلٌ ذاهبةٌ جاريتُهُ

ولكونِ الوصفِ الرافعِ للفاعلِ أو نائبِهِ في الحقيقةِ فعلاً تُجرِّدُهُ مِنْ علامتَيِ التثنيةِ والجمعِ وإنِ اكتنفَتْهُ التثنيةُ ، مثلاً تقولُ رأيتُ الزيدَينِ الكاتبَ أبواهُما ، علىٰ معنى اللَّذَينِ يكتبُ أبواهما ، فلا تقلِ الكاتبَينِ ، ولا اللَّذَينِ يَكتبانِ

لكنْ إنَّما يجبُ إتباعُ النعتِ منعوتَهُ في إعرابِهِ إذا لم يَتعيَّنْ بدونِ النعتِ ، فإذا تَعيَّنَ بدونِهِ جازَ لكَ الإتباعُ ، وجازَ لكَ قطعُ النعتِ بإعرابٍ وحدَهُ تَجعلُهُ بذٰلكَ جملةً مُستقِلَّةً مُشتمِلةً علىٰ ذكرِ وصفٍ مِنْ أوصافِ شيءٍ سبقَ في جملةٍ أخرىٰ

وإذا كانَ الغرضُ المدحَ أوِ الذمَّ أوِ الترحُّمَ وجبَ حذفُ صدرِ الجملةِ التي فيها الوصفُ ؛ كقولِكَ جاءَني زيدٌ السَّهلَ الطِّباعِ ، الحميدَ الخصالِ ، بنصبِ (السهلَ) و(الحميدَ) علىٰ نيَّةِ (أذكرُ السَّهلَ وأمدحُهُ) ، وكقولِكَ رأيتُ زيداً المِسكينُ ؛ ترحُّماً ، أوِ الخبيثُ الشقيُّ ؛ ذمّاً ، علىٰ تقديرِ : هوَ ؛ فمِنْ (أذكرُ) إلىٰ آخِرِهِ ، ومِنْ (هوَ) إلىٰ آخِرِهِ . جملةٌ مُستقِلَّةٌ حُذِفَ منها الفعلُ والفاعلُ أوِ المبتدأُ ذُكِرَتْ لغرضِ المدحِ أوِ الذمِّ

أوِ الترحُّمِ ، وإذا لم يكنِ الغرضُ ذٰلكَ لم يجبْ حذفُ صدرِ الجملةِ ؛ كما تقولُ زارَني اليومَ أميرُ البلدِ المُتصرِّفُ في أمورِ الناسِ وأنفسِهم ، مُخاطِباً مَنْ يَجترِئُ عليكَ ؛ تريدُ بذٰلكَ التهويلَ عليهِ وإزاحةَ غفلتِهِ ، فلكَ أن تذكرَ صدرَ الجملةِ ، فتقولَ أعني المُتصرِّفَ ، أو هوَ المُتصرِّفُ

[انقسامُ النعتِ إلىٰ مفردٍ وجملةٍ]

ويَنقسِمُ إلىٰ مُفرَدٍ وجملةٍ ، لٰكنْ لا يُوصَفُ بالجملِ إلَّا النكرةُ ؛ فلو وقعَتْ جملُ الأوصافِ بعدَ المعارفِ أعرِبَتْ أحوالاً ، وإذا وقعَتْ بعدَ معرفةٍ فيها تنكيرٌ أو نكرةٍ مُخصَّصَةٍ جازَ لكَ الأمرانِ ؛ كقولِكَ جاءَني رجلٌ يَقرأُ العِلْمَ ؛ فجملةُ (يَقرأُ) صفةٌ لـ (رجلٌ) النكرةِ ، وجاءَني زيدٌ يَتكلَّمُ بما يُعجِبُ ، فـ (يَتكلَّمُ) حالٌ مِنْ (زيدٌ) المعرفةِ

وكقولِكَ ادخلِ السُّوقَ يُباعُ فيهِ اللَّحمُ فاشترِ كذا ؛ حيثُ لم يكنْ بينَكَ وبينَ مُخاطَبِكَ معهوديةُ سُوقٍ بعينِهِ ، بلِ الغرضُ مِنَ التعريفِ الإشارةُ إلى الماهيةِ المُتعيّنةِ المُتحقِّقةِ في آحادِها ، فمعناهُ ادخلْ واحداً مِنْ تلكَ الآحادِ المتساويةِ الأقدامِ في استحقاقِ اسمِ السُّوقِ ، فهوَ معرفةٌ في اللَّفظِ ، نكرةٌ في المعنىٰ ، فإن راعيتَ اللَّفظَ جعلتَ الجملةَ حالاً ، وإن راعيتَ المعنىٰ جعلتَها صفةً

وكقولِكَ رأيتُ رجلاً صالحاً يأمرُ بالمعروفِ وينهىٰ عنِ المنكرِ ، فـ (رجلاً) نكرةٌ مُخصَّصةٌ بالصفةِ ، فلكَ في الجملةِ أن تجعلَها صفةً ثانيةً ، فيكونَ التقديرُ رجلاً صالحاً آمراً ناهياً ؛ أي جامعاً بينَ الأوصافِ الثلاثةِ ، وأن تجعلَها حالاً ، فيكونَ المعنىٰ رأيتُ رجلاً مُتَّصِفاً بالصَّلاحِ في حالِ أمرِهِ ونهيِهِ

وإن تَعدَّدَ النعتُ لمُتعدِّدٍ ؛ فإن كانَ النعتُ أوصافاً متخالفةً وجبَ ذكرُ كلِّ نعتٍ علىٰ حِدَةٍ بعطفِ اللَّاحقِ على السابقِ ؛ كقولِكَ جاءَني الزيدونَ العالمُ والتاجرُ والصانعُ

وإن كانَتْ مِنْ جنسٍ ثَنَّيتَ وجمعتَ ؛ فتقولُ الزيدانِ الفاضلانِ ، والزيدونَ الفاضلونَ ، والهِندداتُ الفاضلاتُ

وإذا تَفرَّقَ المنعوتُ بهٰذا النعتِ في جملتَينِ ؛ فإنِ اتفقَ عاملاهُما لفظاً ومعنىً جازَ لكَ الإتباعُ ، وجازَ لكَ القطعُ بشرطِهِ ؛ نحوُ جاءَني زيدٌ وجاءَني عمروٌ العالمانِ ؛ بالإتباعِ ، [والعالمَينِ] ؛ بالقطعِ ، علىٰ تقديرِ : اذكرِ العالمَينِ

فإنِ اختلفَ العاملانِ لفظاً ؛ نحوُ جاءَ وأتىٰ ، أو معنىً ؛ نحوُ تَكلَّمَ ؛ أي نطقَ ، وتَكلَّمَ ؛ أي تَجرَّحَ وجبَ القطعُ ؛ كقولِكَ تَكلَّمَ فأفصحَ زيدٌ وتَكلَّمَ فسالَ دمُهُ عمرٌو الشُّجاعَينِ ، وجاءَ زيدٌ وأتىٰ عمرٌو الفاضلَينِ ، كما إذا كانَ أحدُ المنعوتَينِ مرفوعاً والآخَرُ منصوباً مثلاً ؛ لتعذُّرِ الإتباعِ إذاً

وما سمعتَ في تَعدُّدِ الخبرِ تُجريهِ بعينِهِ في الحالِ وفي النعتِ ؛ حيثُ كانَ الغرضُ العامُّ في الأنواعِ الثلاثةِ هوَ إثباتَ الأوصافِ ونسبتَها إلىٰ موصوفاتِها ، بيدَ أنَّ اختلافَ الأغراضِ الخاصَّةِ أوجبَ اختلافَ الكيفياتِ والمغايرةَ بينَ الألقابِ ، فكما تقولُ هٰذا الرُّمَّانُ حُلْوٌ حامضٌ ، أو لا حُلْوٌ ولا حامضٌ إلىٰ آخِرِهِ ؛ تقولُ آكلُ الرُّمَّانَ حُلْواً حامضاً ، واشتريتُ فرساً أبيض أسودَ

وقد جاءَ الإخبارُ والنعتُ والتقييدُ الحاليُّ بالمصدرِ ؛ مبالغةً في تَحقُّقِ الوصفِ للموصوفِ ؛ نحوُ هٰذا الرجلُ صِدْقٌ ، وهٰذانِ الرجلانِ عَدْلٌ ؛ بإفرادِ المصدرِ وتذكيرِهِ ، علىٰ معنىٰ أنَّهُ تَكوَّنَ من العدلِ ، وليسَ شيئاً آخَرَ وراءَهُ

قالَتِ الخنساءُ في صفةِ ناقةٍ فقدَتْ ولدَها ، فهيَ لا تزالُ تُقبِلُ وتُدبِرُ في البحثِ عنهُ(١) [من البسيط]

فَــإِنَّــمَــا هِــيَ إِقْــبَــالٌ وَإِدْبَــارُ

وليسَ على التأويلِ ، ولا تقديرِ مُضافٍ كما قيلَ ؛ إذ هوَ خروجٌ عنِ الغرضِ ، ولعلَّ حكمَ النحويّينَ بشذوذِ وقوعِ المصدرِ حالاً . مِنْ جهةِ إحداثِهِ كيفيَّةً في التركيبِ ، وإلَّا فهوَ مجازٌ سائغٌ مسموعُ نوعِ العلاقةِ ، كما هوَ شرطُ المَجازِ على ما أوضحَ أهلُ البيانِ

[أحكامٌ متفرقةٌ للنعتِ والمنعوتِ]

ولا يَتقدَّمُ النعتُ على المنعوتِ ؛ فإذا تَقدَّمَ نعتُ النكرةِ جُعِلَ حالاً ، وإذا تَقدَّمَ نعتُ المعرفةِ جُعِلَ المنعوتُ عطفَ بيانٍ ، وخرجَ إذاً عن كونِهِ نعتاً



ولا يُفصَلُ بينَ النعتِ والمنعوتِ بأجنبيٍّ عنهُما ؛ نحوُ إنَّ رجلاً على أبيهِ مُجترِئاً ، ولأُمِّهِ مُهِيناً لَرجلُ سَوءٍ ، وإنَّ مُكرِماً أباهُ راحماً لهُ ، بارّاً بأُمِّهِ لَرجلُ خيرٍ وبِرٍّ

فنحوُ قولِكَ قراءةُ زيدٍ لا تعجبُني الدَّرْجُ لا يَصِحُّ ، بل يجبُ قراءةُ زيدٍ الدَّرْجُ لا تعجبُني ؛ لأنَّ خبرَ المبتدأ ليسَ مُتعلِّقاً بمعنى المصدرِ ، فهوَ أجنبيٌّ مِنَ النعتِ والمنعوتِ



---

(١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٨٣) ، وهو عجز بيت ، والبيت بتمامه
تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّىٰ إِذَا ادَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

ويَكثُرُ حذفُ المنعوتِ ، فيقومُ النعتُ مَقامَهُ ، وربَّما التُزِمَ حيثُ اشتَهرَتِ الصفةُ لموصوفِها ، كما في قولِهِ تعالىٰ ﴿ وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾[(١)] ؛ أي سفينةٍ ذاتِ ألواحٍ ومساميرَ ، فلا تَذكُرُ الموصوفَ في مثلِهِ ، وكقولِهِ ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾[(٢)] ؛ أي دُروعاً سابغاتٍ

وها هنا نكتةٌ بلاغيَّةٌ ؛ وهيَ الاقتصارُ في العبارةِ علىٰ موضعِ العجبِ ؛ كأنَّ الكلامَ يناديكَ انظرْ أيُّها الإنسانُ هدايةَ مولاكَ الذي ألهمَكَ هٰذهِ الأعمالَ حتى استخرجتَ مِنَ الخشبِ والحديدِ هٰذا الشكلَ الذي سلكتَ بهِ البحورَ كما تسلكُ في البرورِ ، وكيفَ وصلتَ إلىٰ إلانةِ الحديدِ حتىٰ صارَ كشمعٍ تُصوِّرُ منهُ ما شئتَ ، وتعملُ منهُ ما تعملُ مِنَ الكتَّانِ وشبهِهِ ثياباً سابغةً تَقيكَ البأسَ ، فلو قالَ (سفينةٍ) و(دروعاً) لمضى الذِّهنُ وما اعتادَ ، فلم يَتأمَّلْ في حُسْنِ صنعِ اللهِ الذي أتقنَ كلَّ شيءٍ ، وفي كلِّ شيءٍ عجبٌ

ولا يُحذَفُ منعوتُ الجملةِ إلَّا إذا كانَ بعضاً مِنْ مجرورٍ بـ (مِنْ) أو (في) ، نحوُ القومُ منهُم ظَعَنَ ومنهُم أقامَ ؛ أي منهُم فريقٌ ظَعَنَ ومنهُم فريقٌ أقامَ ، والناسُ فيهِمُ اجتهدَ في تحصيلِ العِلْمِ ، وفيهِم كَسِلَ واتبعَ الهوىٰ ؛ أي فيهِم جمعٌ اجتهدَ وجمعٌ كَسِلَ

ويَقِلُّ حذفُ النعتِ ؛ نحوُ رأيتُ زيداً الصالحَ وعمراً ومِنَ العجبِ اجتماعُهُما ؛ تريدُ وعمراً الفاسقَ ؛ بدلالةِ الحالِ وإشعارِ المَقالِ



---

(١) سورة القمر (١٣)

(٢) سورة سبأ (١١)

التوكيدُ

لفظٌ يُذكَرُ بعدَ ذكرِهِ أوَّلاً ، ويُسمَّىٰ : توكيداً لفظيّاً ؛ كقولِكَ : قامَ قامَ زيدٌ ، في تأكيدِ المحكومِ بهِ ، وكقولِكَ قامَ زيدٌ زيدٌ ، في توكيدِ المحكومِ عليهِ ، وكقولِكَ قامَ زيدٌ قامَ زيدٌ ، في توكيدِ الحكمِ

وتوكيدُ الضَّمائرِ المُنفصِلةِ بإعادةِ ألفاظِها ؛ نحوُ (أنتَ أنتَ) في قولِهِ [من الكامل]

لَـمْ يَبْـقَ عِـنْـدِي مَـا يُـبَـاعُ بِـدِرْهَـمٍ   وَكَفَاكَ شَاهِدُ مَنْظَرِي عَنْ مَخْبَرِي

إِلَّا صَـبَـابَـةُ مَـاءِ وَجْـهِ صُـنْـتُـهَـا   مِنْ أَنْ تُبَاعَ وَأَنْتَ أَنْتَ ٱلْمُشْتَرِي

ونحنُ نحنُ السَّاعونَ في حاجتِكَ ، وإيَّاكَ إيَّاكَ قصدتُ

والضَّمائرُ المُتصِلةُ تُؤكَّدُ بإعادةِ ألفاظِها معَ ما اتصلَتْ بهِ ؛ نحوُ أكرمتُ أكرمتُ زيداً ، ولهُ لهُ توجَّهتُ

أو بضميرِ رفعٍ مُنفصِلٍ ؛ نحوُ كنتَ أنتَ ، وكنَّا نحنُ ، وإنَّا نحنُ ، وإنِّي أنا

وحيثُ يُؤكَّدُ منصوباً أو مخفوضاً فهوَ مِنْ وضعِ ضميرٍ مكانَ ضميرٍ

ولا يُؤكَّدُ مِنَ الحروفِ إلَّا أحرفُ الجوابِ ؛ كقولِهِ[1] [من مجزوء الرجز]

نَـعَـمْ نَـعَـمْ مَـحَّـضْـتُـهُـمْ   صِـدْقَ [ٱلْـوَلَا] تَـطَـوُّلَا

فَـمَـا رَعَـوْا عَـهْـداً وَلَا   مَـوَدَّةً وَلَا وَلَا

(١) انظر « خلاصة الأثر » للمحبي (٤/٤٨٣)

وبقيةُ الحروفِ تُعادُ معَ ما اتصلَتْ بهِ ؛ نحوُ لزيدٍ لزيدٍ قصدتُ ، وقولُهُ[1] [من الوافر]

فَلَا وَٱللهِ لَا يُلْفَىٰ لِمَا بِي وَلَا لِلِمَا بِهِمْ أَبَداً دَوَاءُ

وقولُهُ[2] [من الكامل]

لَا لَا أَبُوحُ بِحُبِّ بَثْنَةَ إِنَّهَا أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاثِقاً وَعُهُودَا

مِنَ الشُّذوذِ بمكانٍ

[التوكيدُ المعنويُّ وألفاظُهُ]

أو لفظٌ مخصوصٌ يلاقي لفظاً ذُكِرَ أوَّلاً في المعنىٰ ، ويُسمَّىٰ توكيداً معنويّاً

وألفاظُهُ النفسُ ، والعينُ ، وكلا ، وكلتا ، وكلٌّ ، وأجمعُ ، وجمعاءُ ، وأجمعونَ ، وجُمَعٌ ؛ نحوُ جاءَ زيدٌ نفسُهُ ، ومررتُ بعمرٍو عينِهِ ، وجاءَ الزيدونَ أنفسُهُم ، ورأيتُ العَمْرِينَ أنفسَهُم ، ومررت بهندٍ عينِها ، وبالهِنداتِ أعينِهِنَّ ، وجاءَ الزيدانِ أنفسُهُما أو أعينُهُما ؛ بجمعِ التأكيدِ ، وهوَ الأفصحُ ، ويجوزُ الزيدانِ نفساهُما وعيناهُما بالتثنيةِ ، ونفسُهُما وعينُهُما بالإفرادِ

ولا بدَّ مِنِ اتصالِ النفسِ والعينِ بضميرِ المُؤكَّدِ المُطابِقِ لهُ تذكيراً وتأنيثاً ، وإفراداً وتثنيةً وجمعاً ، كما رأيتَ ، ولكَ أن تُدخِلَ باءً على النفسِ والعينِ ، فتقولَ جاءَني زيدٌ بنفسِهِ ، وهٰذا متاعي بعينِهِ ، وتقولَ جاءَ الزيدانِ كلاهُما ، والهِندانِ كلتاهُما ، ورأيتُ الزيدَينِ كليهِما ، ومررتُ بهِما كليهِما ، وهٰكذا

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (٢/٣٠٨)

(٢) انظر « خزانة الأدب » (٥/١٥٩)

وتقولُ جاءَ الرجالُ كلُّهُم وأجمعُ ، والنساءُ جمعاءُ وجُمَعُ ، والأحسنُ أن تكونَ بعدَ (كلِّ)

ولا بدَّ مِن اتصالِ (كلّ) و(كلا) و(كلتا) بالضَّميرِ المُطابِق

ولا تُؤكَّدُ نكرةٌ إلَّا إذا كانَتْ محدودةً بطرفَينِ ، فتُؤكَّدُ لإفادةِ الشُّمولِ ؛ نحوُ انتظرتُكَ يوماً أجمعَ

والغرضُ مِنَ التوكيدِ دفعُ توهُّمِ مُخاطَبِكَ أنَّكَ سهوتَ أو غلطتَ أو تَجوَّزتَ عن شيءٍ بذكرِ مُتعلَّقِهِ ؛ إذ يجوزُ أن تقولَ جاءَني زيدٌ ، وكنتَ تريدُ أن تقولَ جاءَني عمرٌو ، فسهوتَ أو غلطتَ ، وتقولُ هٰذا كتابُكَ ؛ لنسخةٍ نُقِلَتْ منهُ تَجوُّزاً ، ولذٰلكَ تقولُ هٰذا كتابُكَ بعينِهِ

وللتوكيدِ أغراضٌ أُخَرُ ، موضعُ شرحِها عِلْمُ المعاني كما ستقفُ عليهِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ [١]

فاللفظُ المُؤكِّدُ يكونُ تابعاً لمُؤكَّدِهِ في إعرابِهِ رفعاً ونصباً وجرّاً وجزماً إن كانَ مُؤكَّدُهُ مُعرَباً ، وما سوى النَّفْسِ والعينِ لتوكيدِ الإحاطةِ والشُّمولِ وعمومِ الحُكْمِ ، وقد أكَّدوا بلفظِ (عامَّةٍ) فقالوا جاءَ القومُ عامَّتُهُم ، وأكَّدوا بـ (جميعاً) و(طرّاً) و(قاطبةً) و(كافةً) منصوباتٍ على الحالِ



(١) انظر (٢/٦٨)

عطفُ البيانِ

اسمٌ ، فيهِ خصوصٌ ، يُذكَرُ بعدَ اسمٍ يَعُمُّ معنى الاسمِ الذي تذكرُهُ بياناً وغيرِهِ ، فيكونُ مُبيِّناً لخصوصِ مُرادِكَ مِنَ العامِّ

فالبيانُ إمَّا شخصٌ مِنْ أشخاصٍ اشتملَ عليها الأوَّلُ ، أو جنسٌ مِنْ أجناسٍ كذٰلكَ ، فيكونُ المعطوفُ والمعطوفُ عليهِ نكرتَينِ ؛ نحوُ ﴿ مِن شَجَرَةٍ [مُّبَٰرَكَةٍ] زَيۡتُونَةٍ ﴾(١) ، وجاءَني اليومَ إنسانٌ رجلٌ ، أو إنسانٌ امرأةٌ ، ومعرفتَينِ ؛ نحوُ قَدِمَ صديقُكَ خالدٌ

ومِنْ عطفِ البيانِ الاسمُ الواقعُ بعدَ اسمِ الإشارةِ ، المُبيِّنُ جنسَ المُشارِ إليهِ حيثُ يكونُ اشتباهٌ ، كما إذا كانَ بينَ يدَيكَ كتابٌ وقلمٌ ؛ فتقولُ خذْ هٰذا الكتابَ ، أو خذْ هٰذا القلمَ

ومنهُ الأسماءُ والألقابُ الواقعةُ بعدَ الكنىٰ ؛ نحوُ أبو حفصٍ عمرُ ، وأبو يزيدَ معاويةُ ، وأبو الحسنِ عليٌّ ؛ فلولا ما تَذكُرُ مِنَ البيانِ لم يُعرَفْ مرادُكَ ؛ لعمومِ الاسمِ الأوَّلِ وشمولِهِ للبيانِ وغيرِهِ

وكلُّ موصوفٍ قَدَّمتَ عليه صفتَهُ صارَ عطفَ بيانٍ ؛ فلو قلتَ رأيتُ زيداً التاجرَ كانَ لفظُ (التاجرَ) صفةً ، فإذا قلتَ : رأيتُ التاجرَ زيداً كانَ عطفَ بيانٍ

[حرفانِ للتفسيرِ]

ويُستعمَلُ عطفُ البيانِ بكلمةِ (أيِ) التفسيريةِ فاصلةً بينَهُ وبينَ المعطوفِ عليهِ ، وبدونِها ؛ تقولُ عندَ زيدٍ عسجدٌ ؛ أي ذهبٌ ، وهٰذا هوَ الغضنفرُ ؛

---

(١) سورة النور (٣٥)

أيِ الأسدُ ، أو عسجدٌ ذهبٌ ، والغضنفرُ الأسدُ ، وتُسمَّىٰ (أي) حرفَ عطفٍ بيانيٍّ ، فعطفُ البيانِ تابعٌ للمعطوفِ عليهِ مُبيِّنُهُ في إعرابِهِ وتعريفِهِ وتنكيرِهِ

وهنالكَ للتفسيرِ والبيانِ حرفٌ آخَرُ بمنزلةِ (أي) غيرَ أنَّهُ في موضعِهِ لازمٌ لا يَسوغُ حذفُهُ ؛ وهوَ (أنِ) التفسيريةُ ، ولا تقعُ إلَّا بينَ جملةٍ مُفسِّرةٍ ومُفرَدٍ مُفسَّرٍ يُذكَرُ ويُحذَفُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ أَنِ ٱقْذِفِيهِ ﴾[1] ، وقولِهِ ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾[2] ، فللتفسيرِ حرفانِ



---

(١) سورة طه (٣٨ ـ ٣٩)

(٢) سورة المؤمنون : (٢٧) ، والذي في كتب النحو أنَّ الجملة المُفسِّرة هي المسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه انظر « شرح الأشموني على ألفية ابن مالك » (٣/٢٨٥)

عطفُ النسقِ

هوَ تابعٌ بواسطةِ حرفٍ ، يجعلُ الكلمتَينِ شبهَ خرزتَينِ مُنتسِقتَينِ ؛ أي منتظمتَينِ

وأحرفُهُ المُتفَقُ عليها تسعةٌ ؛ وهيَ (الفاءُ ، وثُمَّ ، والواوُ ، وحتىٰ ، وأو ، وأم ، ولٰكنْ ، ولا ، وبل)

وهٰذهِ الأحرفُ وإن سبقَ القولُ فيها لا بأسَ بالتكلُّمِ عليها في هٰذا الموضعِ ؛ لتكونَ علىٰ ثقةٍ مِنْ كيفيةِ استعمالِها وحفظِ أحكامِها ؛ فنقولُ

الكلامُ على (الفاءِ)

الفاءُ إن عطفَتْ ما لهُ إعرابٌ علىٰ ما لهُ إعرابٌ ؛ بأن عطفَتْ مفرداً علىٰ مفردٍ ، أو عطفَتْ جملةً واقعةً موقعَ مفردٍ علىٰ جملةٍ مثلِها شَرَّكَتْ بينَهُما في الحكمِ والإعرابِ ، معَ إفادةِ الاتصالِ الزمانِيّ ، وترتيبِ اللاحقِ معَ السابقِ

فإذا قلتَ جاءَ زيدٌ فعمرٌو فمعناهُ أنَّ زيداً وعمراً اشتركا في المجيءِ ، ومجيءَ عمرٍو واقعٌ بعدَ مجيءِ زيدٍ على الفورِ ، ولذٰلكَ يُقالُ الفاءُ للترتيبِ والتعقيبِ

وإذا قلتَ زيدٌ يَحضرُ أبوهُ فيسافرُ أخوهُ فجملةُ (يسافرُ أخوهُ) وجملةُ (يحضرُ أبوهُ) واقعتانِ موقعَ مفردَينِ ؛ لكونِهِما خبراً لمبتدأ ؛ فالمعنىٰ زيدٌ حاضرٌ أبوهُ فمسافرٌ أخوهُ ، فأفادَتِ الفاءُ الاشتراكَ والتعقيبَ والترتيبَ

وإذا عطفَتْ ما لا إعرابَ لهُ علىٰ مثلِهِ ؛ بأن عطفَتْ جملةً ليسَتْ واقعةً

موقعَ مفردٍ علىٰ مثلِها أفادَتِ اشتراكَهُما في الحصولِ والترتيبِ والتعقيبِ ، وفي عطفِ الجملِ ربَّما أُفيدَ بها سببيةُ السابقِ لِلَّاحقِ ؛ تقولُ جاءَ زيدٌ فذهبَ عمرٌو

الكلامُ علىٰ (ثمَّ)

ثمَّ كالفاءِ في التشريكِ والترتيبِ وعطفِ المفرداتِ والجملِ ، إلَّا أنَّها تفيدُ المهلةَ والتراخيَ ، وتَلحَقُها التاءُ ؛ فيُقالُ ثُمَّتَ ، وإذاً تَختصُّ بعطفِ الجملِ

فإذا قلتَ جاءَ زيدٌ ثمَّ عمرٌو فمعناهُ أنَّ زيداً وعمراً اشتركا في المجيءِ ، وأنَّ مجيءَ عمرٍو بعدَ مجيءِ زيدٍ ، ولٰكنْ بينَ المجيئَينِ مُدَّةٌ طالَتْ أو قَصُرَتْ ، بحيثُ لا يَحكُمُ العُرْفُ معَها باتصالِهما

الكلامُ على (الواوِ)

الواوُ لإفادةِ الاشتراكِ مطلقاً عنِ التقييدِ بترتيبٍ واتصالٍ أو تراخٍ ؛ فأيُّ واحدٍ حَصَلَ ولم يكنِ الغرضُ إفادتَهُ بخصوصِهِ تُستعمَلُ فيهِ الواوُ

فإذا قلتَ جاءَ زيدٌ وعمرٌو فمعناهُ أنَّهُما اشتركا في المجيءِ فقطْ ، ثمَّ تارةً يكونانِ جاءا معاً ، أو مُرتَّباً باتصالٍ ، وبدونِهِ ، فالعاطفُ بالواوِ غيرُ مُتعرِّضٍ لشيءٍ مِنْ ذٰلكَ

وتَعطِفُ الواوُ المفرداتِ والجملَ علىٰ ما سبقَ في الفاءِ

ولكونِ هٰذهِ الأحرفِ الثلاثةِ مُشرِّكةً جامعةً بينَ الشيئَينِ إذا وقعَتْ بينَ جملتَينِ جعلَتْهُما جملةً واحدةً ؛ بحيثُ متىٰ وقعتا في المواضعِ المحتاجةِ للربطِ كفىٰ وجودُ الرابطِ في المعطوفةِ ، كما إذا وقعَتا صلةً أو صفةً أو حالاً

أو خبراً ؛ كقولِكَ (الذي أفرحُ فيفرحُ زيدٌ) ، فجملةُ (أفرحُ) ليسَ فيها ضميرٌ يعودُ على (الذي) ، ولا محذورَ في ذٰلكَ ؛ لأنَّها ليسَتْ صلةً مُستقِلَّةً ، بل جزءُ صلةٍ ؛ لأنَّ الفاءَ جعلَتْها وجملةَ (يفرحُ) المُشتمِلةَ علىٰ ضميرِ الموصولِ العائدِ الذي لا بدَّ منهُ لربطِ الصلةِ بالموصولِ جملةً واحدةً ، فيكونُ المعنى الذي يعقبُ فرحُهُ فرحي ويَتسبَّبُ عنهُ زيدٌ ، فأنتَ ترىٰ بتبيينِ المعنىٰ أنَّ الجملتَينِ صارتا جملةً واحدةً

وكذا البيانُ في نحوِ قولِكَ رأيتُ رجلاً يفرحُ زيدٌ فيغضبُ ، وقولِكَ رأيتُ زيداً يغضبُ عمرٌو فيفرحُ ، وقولِكَ زيدٌ يشتدُّ الحربُ فيزدادُ إقداماً ، وكقولِكَ زيدٌ يقعدُ عمرٌو ثمَّ يقعدُ ، وقولِكَ زيدٌ يجيءُ عمرٌو ويذهبُ ، والبيانُ البيانُ

ولكونِ الواوِ لا تفيدُ تعقيباً ولا ترتيباً ، فتُستعمَلُ في اشتراكِ المعيَّةِ والمصاحبةِ اختَصَّتْ بالعطفِ معَ الأفعالِ التي لا تَحصُلُ إلَّا مِنْ مُتعدِّدٍ ؛ نحوُ اصطفَّ زيدٌ وعمرٌو ، واختصمَ بكرٌ وخالدٌ ، وتَشاجرَ هٰذا وذاكَ ، ومِنْ ثمَّ اختَصَّتْ بالوقوعِ بعدَ (بينَ) نحوُ اجلسْ بينَ زيدٍ وعمرٍو

الكلامُ علىٰ (حتىٰ)

حتىٰ كالواوِ في إفادةِ اشتراكِ الشيئَينِ ، لٰكنْ لا تَعطِفُ إلَّا اسماً ظاهراً يكونُ بعضاً مِنَ المعطوفِ عليهِ أو بمنزلةِ بعضِهِ

ولا بدَّ أن يكونَ بينَ أبعاضِ المعطوفِ عليهِ تَرتُّبٌ عقليٌّ في الوجودِ أوِ الشرفِ والخِسَّةِ ؛ ليكونَ المعطوفُ بـ (حتىٰ) غايةً للمعطوفِ عليهِ ؛ كقولِكَ سرتُ الليلةَ حتىٰ آخِرَها ؛ فالليلةُ ذاتُ أجزاءٍ تَرتَّبَتْ عقلاً في الوجودِ ، والآخِرُ بعضُها وغايتُها ، فمعناهُ سرتُ الليلةَ وآخِرَها أيضاً

وكقولِكَ ماتَ الناسُ حتَّى الأنبياءُ ؛ فالناسُ أشخاصٌ مُرتَّبةٌ في الشرفِ ، والأنبياءُ غايتُهُم فيهِ

وكقولِكَ قَدِمَ الحُجَّاجُ حتَّى المُشاةُ ، وأعجبَتْني الجاريةُ حتَّىٰ حديثُها ؛ فالحديثُ ليسَ بعضِ الجاريةِ ، لـٰكنَّهُ بمنزلتِهِ ؛ لشِدَّةِ الاتصالِ

وما بعدَ حتَّىٰ مُشارِكٌ ما قبلَها في الحكمِ كما رأيتَ

الكلامُ علىٰ (أو)

أو لإفادةِ أحدِ الأمرَينِ

فإذا قلتَ جاءَ زيدٌ أو عمرٌو   فمعناهُ أنَّ أحدَ الشخصَينِ ثبتَ لهُ المجيءُ ، ولم يجتمعا فيهِ

فإذا وقعَتْ بينَ أمرَينِ لا يَجتمِعانِ عقلاً أو شرعاً . سُمِّيَتْ : (أوِ التخييريةَ) لكونِها للتخييرِ بينَ الشيئَينِ ؛ كقولِكَ اجعلْ هـٰذا الثوبَ أسودَ أو أحمرَ ، وتَزوَّجْ هنداً أو أختَها ؛ فالسَّوادُ والحمرةُ لا يَجتمعانِ عقلاً ، وهندٌ وأختُها لا يَجتمِعانِ شرعاً

وإذا وقعَتْ بينَ أمرَينِ يَجتمِعانِ   سُمِّيَتْ (أوِ الإباحيةَ) نحوُ جالسِ العلماءَ أوِ الحكماءَ ، ولا تجالسِ الجُهَّالَ ، فمعناهُ : [حَظْرُ] مجالسةِ الجُهَّالِ ، وإباحةُ مجالسةِ العُلماءِ والحُكماءِ

وإذا [وقعَتْ] بينَ أقسامِ شيءٍ   سُمِّيَتْ التقسيميةَ ، وتَصلُحُ مكانَها الواوُ ؛ نحوُ الكلمةُ اسمٌ ، أو فعلٌ ، أو حرفٌ ، يصِحُّ اسمٌ وفعلٌ ويَستعمِلُها الشاكُّ والمُشكِّكُ

وتكونُ (أو) للإضرابِ والإعراضِ ؛ نحوُ صلتُكَ أقاربَكَ حسنةٌ

أو واجبةٌ ، أعرضتَ عن إثباتِ الحُسْنِ إلىٰ إثباتِ الوجوبِ ، وهوَ معنىٰ (بل) الآتي بيانُها

وقد سلفَ لكَ أنَّها تكونُ قائمةً مقامَ (إلىٰ أن) أو (إلَّا أن)[1]

الكلامُ علىٰ (أم)

أمْ حرفٌ يَستعمِلُهُ المُسوّي بينَ أمرَينِ بكلمةِ (سواءٍ) ، ويقعُ بينَ جملتَينِ لفظاً ، مفردَينِ لحظاً ، ويأتي في صدرِ جملتِها همزةٌ تُسمَّىٰ همزةَ التسويةِ ، وتُحذَفُ تارةً ؛ نحوُ ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾[2] ، تقديرُهُ إنذارُكَ وعدمُ إنذارِكَ سواءٌ ؛ أي متساويانِ

فالجملتانِ اللَّتانِ تكتنفانِ (أم) هٰذهِ مُنسبِكتانِ في الملاحظةِ بمصدرَينِ ؛ مبتدأً ومعطوفٍ عليهِ ، مُخبَرٍ عنهُما بـ (سواءٌ) ، فـ (أم) في هٰذا الاستعمالِ بمعنى الواوِ

وقد وردَ التركيبُ مُصرَّحاً فيهِ بالمُسوَّىٰ بينَهُما مفردَينِ والعطفِ بالواوِ ، قالَتْ بثينةُ العُذْريَّةُ[3] [من الطويل]

سَوَاءٌ عَلَيْنَا يَا جَمِيلَ ٱبْنَ مَعْمَرٍ إِذَا مِتَّ بَأْسَاءُ ٱلْحَيَاةِ وَلِينُهَا

وتقولُ سواءٌ كانَ لي زيدٌ أم كانَ عليَّ ، فلا تَذكُرُ الهمزةَ ، وتقديرُهُ كونُ زيدٍ لي وكونُهُ عليَّ سواءٌ ؛ أي لا يَنفعُ ولا يَضُرُّ

ويَستعمِلُها طالبُ التصوُّرِ بهمزةِ الاستفهامِ علىٰ ما سلفَ بيانُهُ ، ولذٰلكَ تُسمَّىٰ (أم) في هٰذينِ الاستعمالَينِ : (أمِ المُتصِلةَ) ، و(أمِ المُعادِلةَ) لأنَّها

---

(١) انظر (١/٤٧٨)

(٢) سورة البقرة (٦)

(٣) انظر « خزانة الأدب » (١/٣٩٨)

كما رأيتَ لا تقعُ إلَّا بينَ شيئَينِ لا بدَّ منهُما ، فشيئاها بمنزلةِ العِدلَينِ ؛ أي شِقَّي الحِمْلِ

وهيَ في الاستعمالِ الثاني كـ (أو) في كونِها لأحدِ الشيئَينِ ، إلَّا أنَّ (أو) لا تَصِحُّ في موضعِها ؛ لأنَّكَ إذا قلتَ أزيدٌ قائمٌ أو عمرٌو ؟ فمعناهُ : هل أحدُ الشخصَينِ قائمٌ ؟ فتكونُ لم تعلمْ حصولَ أمرٍ وجهلتَ تَعيُّنَهُ ، فهوَ طلبٌ لأصلِ النسبةِ ، فجوابُهُ نعم أو لا ، فإذا أجبتَ بـ (نعم) كانَ المعنىٰ قامَ أحدُ الشخصَينِ ، وإذا أجبتَ بـ (لا) كانَ معناهُ لم يقمْ أحدُ الشخصَينِ ، ومتىٰ أجبتَ بـ (نعم) علمتَ بوقوعِ النسبةِ مِنْ أحدِ الشخصَينِ ، وحينَئذٍ فلكَ أن تطلبَ تعيينَهُ ، فتسألَ بالهمزةِ و(أمِ) المُتصِلةِ فتقولَ أزيدٌ قامَ أم عمرٌو ، أو : مَنِ القائمُ منهُما ؟ والمعنى المعنىٰ ، فيُقالُ بتعيينِ أحدِ الشخصَينِ ، فتقولُ (زيدٌ) إن كانَ الفاعلَ ، وتقولُ (عمرٌو) إن كانَ إيَّاهُ ، فالسُّؤالُ بالهمزةِ و(أم) لا يكونُ إلَّا مِنْ عالمٍ بأمرٍ وجاهلٍ بآخَرَ ، والسُّؤالُ بالهمزةِ و(أو) لا يكونُ إلَّا مِنْ جاهلٍ محضٍ

فمرتبةُ السُّؤالِ بالهمزةِ و(أم) بعدَ مرتبةِ السُّؤالِ بالهمزةِ و(أو) ، وربَّما يَظُنُّ ظانٌّ أنَّ أحدَ الأمرَينِ واقعٌ اعتماداً علىٰ أمارةٍ ، ويكونُ الواقعُ خلافَ ما ظنَّ ، فيَسألُ بالهمزةِ و(أم) ، فيُجابُ بـ (لا) كما في حكايةِ غيلانَ ذي الرُّمَّةِ والعجوزِ ، التي ساقَها في قولِهِ[1] [من الطويل]

تَـقُـولُ عَـجُـوزٌ مَـدْرَجِـي مُـتَـرَوِّحـاً عَلَىٰ بَابِهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِي وَغَادِيَا
أَذُو زَوْجَةٍ بِٱلْمِصْرِ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ أَرَاكَ لَـهَـا بِـٱلْـبَـصْـرَةِ ٱلْـعَـامَ ثَـاوِيَـا
فَـقُـلْـتُ لَـهَـا لَا إِنَّ أَهْـلِـيَ جِـيـرَةٌ بِـمَـنْـزِلَـةِ ٱلـدَّهْـنَـا جَـمِـيـعـاً وَمَـالِـيَـا
وَمَـا أَنَـا مُـذْ أَبْـصَـرْتِـنِـي فِـي خُـصُـومَـةٍ أُرَاجِـعُ فِـيـهَـا يَـا بْـنَـةَ ٱلْـعَـمِّ قَـاضِـيَـا

---

(١) انظر « ديوان ذي الرمة » (١٣١١/٢) ، وفيه (القرم) بدل (العم)

الكلامُ علىٰ (لـٰكنْ)

لـٰكنْ حرفٌ يَستعمِلُهُ المُستدرِكُ علىٰ كلامٍ سبقَ منهُ ؛ ليَرفعَ وهماً غيرَ صحيحٍ يَنشأُ مِنْ كلامِهِ السابقِ ، ولا تُستعمَلُ إلَّا بعدَ نفيٍ أو نهيٍ ، ولا تكونُ عاطفةً إلَّا إذا تَجرَّدَتْ مِنْ واوٍ تَسبقُها ، فإذا لم يَسبقْها نفيٌ ولا نهيٌ كانَتْ لمُجرَّدِ الاستدراكِ ، وسُمِّيَتْ حرفَ ابتداءٍ ، ولم تكنْ عاطفةً ، وكذٰلك إذا سُبِقَتْ بواوٍ فتكونُ الواوُ للعطفِ ، وهيَ لمحضِ الاستدراكِ

فالعاطفةُ كقولِكَ ما جاءَ زيدٌ لـٰكنْ أخوهُ ، ولا تضربْ زيداً لـٰكنْ أخاهُ

بيانُ معنى الاستدراكِ فيهِ أنَّكَ لمَّا قلتَ ما جاءَ زيدٌ ، ومِنَ العادةِ أنَّهُ إذا لم يجئْ أحدُ الأخوينِ لم يجئِ الآخَرُ فيَتوهَّمُ السامعُ عدمَ مجيءِ الآخَرِ بمُقتضى العادةِ ، فيَستدرِكُ المُتكلِّمُ ويرفعُ هـٰذا الوهمَ ويقولُ لـٰكنْ أخوهُ

وضابطُها أنَّكَ تنفي أحدَ أمرَينِ متلازمَينِ في العادةِ ، فيَنصرِفُ ذهنُ المُخاطَبِ إلىٰ أنَّ النفيَ تَعلَّقَ بالمتلازمَينِ ، والواقعُ خلافُهُ ، فتَستدرِكُ وترفعُ الوهمَ

والابتدائيةُ كقولِكَ جاءَ زيدٌ لـٰكنْ عمرٌو لم يجئْ

وإذا قلتَ ما جاءَ زيدٌ ولـٰكنْ عمرٌو فالعاطفُ الواوُ ، فكأنَّكَ قلتَ وعمرٌو جاءَ ، أقحمتَ كلمةَ (لـٰكنْ) لمكانِ الاستدراكِ

الكلامُ علىٰ (لا)

لا حرفٌ لنفيِ حكمِ ما قبلَهُ عمَّا بعدَهُ ، ولا يقعُ إلَّا بعدَ أمرٍ ، أو نداءٍ ، أو خبرٍ مثبتٍ ؛ نحوُ أكرمْ زيداً لا عمراً ، ونحوُ يا زيدُ لا عمرُو ، ونحوُ جاءَ زيدٌ لا عمرٌو

الكلامُ علىٰ (بل)

بل إذا وقعَتْ بعدَ نفيٍ أو نهيٍ كانَتْ لتقريرِهِ وإعطاءِ ما بعدَها خلافَهُ

فإذا قلتَ ما جاءَ زيدٌ بل عمرٌو فمعناهُ أنَّ انتفاءَ المجيءِ عن زيدٍ مُتقرِّرٌ ، لـٰكنِ المجيءُ ثابتٌ لعمرٍو ، وكذٰلكَ إذا قلتَ لا تُهِنْ زيداً بل عمراً

وإذا وقعَتْ بعدَ أمرٍ أو إثباتٍ كانَتْ للإعراضِ عنِ السابقِ ، وتَنْقُلُ حكمَهُ لِلَّاحقِ ، ويُسمَّىٰ إضراباً إبطاليّاً ، وما قبلَهُ يُسمَّىٰ إضراباً انتقاليّاً ؛ نحوُ : اضربْ زيداً بل عمراً ، فمعناهُ غلطتُ في الأمرِ بضربِ زيدٍ ، ومطلوبي ضربُ عمرٍو ، ونحوُ جاءَ زيدٌ بل عمرٌو ، معناهُ أيضاً إظهارُ الغَلَطِ والتداركِ بالصَّوابِ

وإذا جاءَ بعدَ (بل) جملةٌ لم تكنْ عاطفةً ، وسُمِّيَتْ حرفَ ابتداءٍ ؛ كـ (لـٰكنْ) إذ ما بعدَهُما يكونُ كلاماً مُبتدَأً

وتُستعمَلُ (أو) و(أم) هـٰذا الاستعمالَ كما سلفَ ، فتُسمَّىٰ (أم) (أمِ المُنقطِعةَ) ، وتُفسَّرُ بلفظةِ (بل) فقطْ إن كانَ بعدَها (هل) نحوُ : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾ (١) فمعناهُ بل هل تستوي ، وهوَ انتقالٌ مِنْ ضربِ مثلٍ إلىٰ ضربِ مثلٍ آخَرَ

وتُفسَّرُ بـ (بل) والهمزةِ إن لم تكنْ بعدَها (هل) وكانَ المعنىٰ على الاستفهامِ ؛ نحوُ ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ ﴾ (٢) ، فمعناهُ : بل أكنتم شهداءَ

وربَّما استُعمِلَتْ (بل) في التدرُّجِ في النفيِ أوِ الإثباتِ أوِ الأمرِ ، ويُسمَّى الترقِّيَ ؛ فتقولُ ما جاءَ زيدٌ بل عمرٌو ؛ تعني أنَّهُ انتفىٰ مجيءُ زيدٍ ، بلِ

---

(١) سورة الرعد : (١٦)

(٢) سورة البقرة (١٣٣)

انتفىٰ مجيءُ عمرٍو ؛ حيثُ يكونُ انتفاءُ مجيءِ عمرٍو أبعدَ مِنِ انتفاءِ مجيءِ زيدٍ ، وتُنبِّهُ علىٰ ذٰلكَ ، كما تقولُ ما حضرَ زيدٌ بل عمرٌو الذي يَحضرُ كلَّ مَأدُبةٍ وإن لم يُدعَ إليها ، وتقولُ جاءَ الوزيرُ بلِ السلطانُ ، وتقولُ أهِنْ زيداً بل أباهُ

والأحسنُ في هٰذا توسيطُ الواوِ بينَ (بل) ومدخولِها ، فتقولُ جاءَ الوزيرُ بل والسلطانُ ؛ لذٰلك الغرضِ

وأمَّا المُختلَفُ في أنَّهُ حرفُ عطفٍ أو لا فهيَ كلمةُ (إمَّا) التفصيليةِ التي تقعُ مقابلةً لـ (إمَّا) مثلِها ؛ نحوُ المُنطلِقُ إمَّا زيدٌ وإمَّا عمرٌو ، فقيلَ (إمَّا) الثانيةُ حرفُ عطفٍ ، والصَّحيحُ أنَّ (إمَّا) وأختَها حرفا تفصيلٍ يفيدانِ ما تفيدُهُ (أو) وإن كانَ بينَهُما وبينَها فرقٌ دقيقٌ ؛ وذٰلكَ أنَّ (أو) للتردُّدِ في المحمولِ ، وهما للتفصيلِ ، والسياقُ مُختلِفٌ ، والعطفُ معَ (إمَّا) على الصَّحيحِ للواوِ المصاحبةِ لها

وأثبتَ بعضُهُم أنَّ كلمةَ (ليسَ) تكونُ عاطفةً ، فتقولُ : جاءَ زيدٌ ليسَ عمرٌو ؛ كما تقولُ لا عمرٌو

ويُعطَفُ اسمٌ ظاهرٌ على اسمٍ ظاهرٍ ؛ نحوُ زيدٌ وعمرٌو ، وضميرٌ مُنفصِلٌ علىٰ ضميرٍ مُنفصِلٍ ؛ نحوُ أنا وأنتَ ، وإيَّاي وإيَّاكَ قصدَ عمرٌو ، ويُعطَفُ ظاهرٌ علىٰ ضميرٍ وبالعكسِ ؛ نحوُ أنا وزيدٌ ذاهبانِ ، وزيدٌ وأنا مقيمانِ

إلَّا أنَّهُ لا يُعطَفُ علىٰ ضميرٍ مرفوعٍ مُتصِلٍ إلَّا بعدَ أن تَفصِلَ بينَهُ وبينَ العاطفِ بضميرٍ مُنفصِلٍ يُؤتىٰ بهِ للتوكيدِ ، أو بفاصلٍ آخَرَ ؛ نحوُ سرتُ أنا

وزيدٌ ، وسلكتُ الطريقَ وعمرٌو ، فنحوُ سرتُ وزيدٌ نادرٌ لا يُستعمَلُ ، فيُنصَبُ ما بعدَ الواوِ مفعولاً معَهُ

وإذا عطفتَ علىٰ ضميرٍ مخفوضٍ ؛ فإن كانَ المعطوفُ ضميراً وجبَ إعادةُ الخافضِ ؛ نحوُ بي وبكَ ، وغلامي وغلامُكَ ، وإلَّا كانَتِ الأفصحَ

وكما يُعطَفُ الفعلُ على الفعلِ في نحوِ قولِكَ لم يطغْ ويستقمْ زيدٌ يجوزُ أن يُعطَفَ الفعلُ علىٰ وصفٍ بمعناهُ ؛ نحوُ ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ ﴾[1] ، فهوَ علىٰ معنىٰ إنَّ الذينَ تَصدَّقوا واللَّواتي تَصدَّقنَ وأقرضوا ، وضميرُ جماعةِ الذُّكورِ فيهِ عائدٌ على الذُّكورِ والإناثِ بتغليبِ الأشرفِ

ونحوُ زيدٌ راكبٌ فرسَهُ غداً ويسابقُ الفرسانَ ، فهوَ في معنىٰ زيدٌ يركبُ ويسابقُ ، ويجوزُ عكسُهُ ؛ نحوُ زيدٌ يركبُ فرسَهُ غداً فمسابقٌ ، فلكَ في مثلِ هـٰذا التركيبِ أربعةُ أوجهٍ راكبٌ فمسابقٌ ، يركبُ فيسابقُ ، راكبٌ فيسابقُ ، يركبُ فمسابقٌ

وقد يُحذَفُ مِنَ الكلامِ اعتماداً على القرينةِ الفاءُ ومعطوفُها ، والواوُ ومعطوفُها ؛ نحوُ ﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ ﴾[2] ؛ أي فضربَهُ فانفجرَتْ ، ونحوُ راكبُ الناقةِ طليحانِ[3] ؛ أي راكبُ الناقةِ والناقةُ

وقد يُحذَفُ عاملٌ معطوفٌ بالواوِ وتبقى الواوُ ومعمولُ المحذوفِ ؛ نحوُ

---

(١) سورة الحديد (١٨)

(٢) سورة البقرة (٦٠)

(٣) طليحان مثنىٰ طلح ؛ بمعنىٰ متعب ومجهد

﴿ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [1] ؛ أيْ وأَلِفوا الإيمانَ ؛ لأنَّ الدارَ تُسكَنُ والإيمانَ لا يُسكَنُ ، ويظهر أن لا تقديرَ ولا حذفَ في الآيةِ ، ويكونُ التبوُّءُ مُتعلِّقاً بالدارِ والإيمانِ ؛ فإنَّ لفظَ (الإيمانِ) في لسانِ الشرعِ لا يُقتَصرُ فيهِ علىٰ ملاحظةِ معنى التصديقِ ، بل يُلحَظُ هوَ والآثارُ المُترتِّبَةُ عليهِ ؛ مِنْ وقوعِ الأمنِ بينَ الناسِ ، وارتفاعِ المَخافاتِ التي كانَتْ لا تبرحُ قائمةً إذ ذاكَ ، ومِنَ الاشتراكِ في المنافعِ ، والمحافظةِ على الحقوقِ ، وعمومِ ارتفاقِ البعضِ بالبعضِ ؛ حتَّىٰ تكونَ الأُمَّةُ في حالةٍ جامعةٍ ، فهيَ بمنزلةِ الأهلِ بينَ آباءٍ وأبناءٍ ، فتلكَ الحالةُ تُعتَبرُ اعتبارَ الظُّروفِ ، فكأنَّهُ قيلَ جمعَتْهُم وأحاطَتْ بهِم واشتملَتْ عليهِمُ الدارُ وتلكَ الأحوالُ ؛ فهوَ مِنْ عمومِ المجازِ

ولا يَتقدَّمُ المعطوفُ على المعطوفِ عليهِ



(1) سورة الحشر (9)

البدلُ

أربعةُ أقسامٍ

ـ قسمٌ يُسمَّىٰ بدلَ الكلِّ مِنَ الكلِّ ، وتَأدَّبَ المُتأخِّرونَ حيثُ لاحظوا وقوعَهُ في أسماءِ اللهِ تعالىٰ وتَقدَّسَ عن كلٍّ وبعضٍ ، فسمَّوهُ : البدلَ المُطابِقَ

ـ وقسمٌ يُسمَّىٰ بدلَ البعضِ مِنَ الكلِّ

ـ وقسمٌ يُسمَّىٰ بدلَ الاشتمالِ

ـ وقسمٌ يُسمَّىٰ بدلَ الغَلَطِ

البدلُ المُطابِقُ

لفظٌ يُرادُ بهِ معنىً أُريدَ بلفظٍ سابقٍ ؛ نحوُ رأيتُ صديقَكَ خالداً ، وارحمْ أخاكَ زيداً ، وسُمِّيَ بدلَ الكلِّ مِنَ الكلِّ ؛ لأنَّهُ أُريدَ بلفظِ (البدلِ) كلُّ ما أُريدَ بلفظِ المُبدَلِ منهُ

وأمثلةُ هٰذا القسمِ مِنَ البدلِ تَشتبِهُ بأمثلةِ عطفِ البيانِ ؛ فربَّما تَخيَّلَ مُتخيِّلٌ أنَّ أحدَهُما يغني عنِ الآخَرِ ، فلا حاجةَ إلىٰ إثباتِ تابعَينِ يُخَصُّ كلٌّ منهُما باسمٍ ، وهوَ تَخيُّلٌ غيرُ صحيحٍ ؛ لأنَّ بينَ عطفِ البيانِ وبينَ هٰذا القسمِ مِنَ البدلِ فرقَينِ فرقاً معنوياً ، وفرقاً صناعياً

أمَّا الفرقُ المعنويُّ فهوَ أنَّ عطفَ البيانِ إنَّما يُذكَرُ لبيانِ المرادِ مِنَ المعطوفِ عليهِ فحَسْبُ

وأمَّا البدلُ فإنَّهُ يُذكَرُ لبيانِ خصوصيةٍ بمعناهُ اقتضَتِ الحكمَ السابقَ المربوطَ بالمُبدَلِ منهُ ربطاً غيرَ قارٍّ ، بلِ الغرضُ منهُ السلوكُ بهِ إلى المرادِ بالبدلِ

ملحوظاً فيهِ خصوصيةٌ ، ومِنْ هنا يقولُ النحويُّ إنَّ البدلَ تابعٌ هوَ المقصودُ بالحكمِ ، فلا يكونُ المُبدَلُ منهُ مقصوداً بهِ ، بل يقولُ في نيَّةِ الطَّرحِ ، ويقولُ أيضاً إنَّهُ علىٰ نيَّةِ تَكرارِ العاملِ ؛ فمَنْ يَنطِقْ بالبدلِ معَ المُبدَلِ منهُ نَطَقَ بجملتَينِ ، غايةُ الأمرِ أنَّهُ حذفَ مِنَ الجملةِ الثانيةِ بعضَها ؛ اعتماداً علىٰ ذكرِ مثلِهِ في الجملةِ السابقةِ

وبيانُ ذٰلكَ أنَّكَ إذا قلتَ تَوسَّلْ إلىٰ زيدٍ بحبيبِهِ خالدٍ ؛ فإن كنتَ لاحظتَ أنَّ التوسُّلَ إلىٰ زيدٍ وإفادتَهُ ما ترجوهُ منهُ يَحصُلُ بتوسُّطِ الحبيبِ مِنْ جهةِ كونِهِ حبيباً ، لا مِنْ جهةِ خصوصيَّةٍ في شخصِ خالدٍ ، حتَّىٰ لو كانَ حبيبُهُ غيرَ خالدٍ كنتَ آمراً بالتوسُّلِ بهِ ، وكان مفيداً كانَ لفظُ (خالدٍ) عطفَ بيانٍ تُعلِمُ بهِ مُخاطَبَكَ الشخص الذي أردتَهُ بلفظِ (الحبيبِ) الذي هوَ المعطوفُ عليهِ

فإذا كانَ التوسُّلُ لخصوصيةٍ في خالدٍ ؛ بأن يكونَ أعزَّ الأحبَّةِ ، فلا يفيدُ التوسُّلُ إلَّا بهِ ؛ إذ ليسَ مُجرَّدُ المَحبَّةِ كافياً في ذٰلكَ كانَ لفظُ (خالدٍ) بدلاً ؛ كأنَّك قلتَ تَوسَّلْ إليهِ بخصوصِ خالدٍ الذي لا يفيدُ التوسُّلُ إلَّا بهِ ، فكانَ لفظُ (الحبيبِ) كأنَّهُ لم يُذكَرْ

وربَّما أفادَ البدلُ كشفاً وبياناً ، لٰكنَّهُ غيرُ مقصودٍ بهِ

وكذٰلكَ تقولُ ارحمْ أخاكَ زيداً المسكينَ الضَّعيفَ العاجزَ ، تجعلُ عِلَّةَ طلبِ رحمتِهِ كونَهُ خصوصَ زيدٍ بمسكنتِهِ وضَعفِهِ وعجزِهِ ؛ كأنَّكَ تقولُ لو لم يكنْ زيدٌ أخاكَ لكانَ ينبغي أن يُرحَمَ

وبتأمُّلِ هٰذا يُعرَفُ أنَّ البدلَ هوَ المقصودُ بالحكمِ ، وأنَّهُ علىٰ نيَّةِ تَكرارِ العاملِ ، وأنَّهُ لا يغني عنهُ عطفُ البيانِ

وأمَّا الفرقُ الصناعيُّ فهوَ أنَّكَ تضيفُ لفظاً مُصدَّراً بـ (أل) إلىٰ لفظٍ كذٰلكَ ، فتجوزُ الإضافةُ ؛ كقولِكَ : رأيتُ الحسنَ الوجهِ ، فإذا أتبعتَ المُضافَ إليهِ بلفظٍ خالٍ مِنْ (أل) كقولِهِ[1] [من الوافر]

أَنَا ٱبْنُ ٱلتَّارِكِ ٱلْبَكْرِيِّ بِشْرٍ عَلَيْهِ ٱلطَّيْرُ تَرْقُبُهُ وُقُوعَا

تَعيَّنَ في ذٰلكَ التابعِ الخالي مِنْ (أل) كونُهُ عطفَ بيانٍ ، ولا يجوزُ أن يكونَ بدلاً ؛ لأنَّهُ يلزمُ حينَئذٍ إضافةُ ما فيهِ (أل) إلىٰ خالٍ منها ؛ إذ هوَ علىٰ نيَّةِ تَكرارِ العاملِ كما عرفتَ ، وهوَ غيرُ جائزٍ ، فلفظُ (بشرٍ) عطفُ بيانٍ للمرادِ بلفظِ (البكريِّ)

وتقولُ يا رجلُ ، نداءً لمقصودِ العينِ مُوجِّهاً إليهِ الكلامَ ، والمُنادى الذي هٰذا شأنُهُ وليسَ مُضافاً ولا شبيهاً بهِ يُبنىٰ على الضمِّ كما سبقَ[2] ، وهوَ في محلِّ نصبٍ ، فإذا عطفتَ عليهِ بياناً جازَ لكَ نصبُهُ رعايةً للمَحلِّ ، وجازَ لكَ رفعُهُ رعايةً لِلَّفظِ كما ستَعرِفُهُ في تفصيلِ تابعِ المنادىٰ[3] ، فإذا جعلتَهُ بدلاً وجبَ ضمُّهُ بناءً ؛ لكونِهِ منادىً مُستقِلّاً ، فتقولُ على العطفِ يا رجلُ خالدٌ بالرفعِ ، وخالداً بالنصبِ ؛ على الرعايتَينِ ، وعلى البدلِ يا رجلُ خالدُ بالضَّمِّ بلا تنوينٍ ، كأنَّكَ قلتَ يا رجلُ يا خالدُ ، وسيأتي لهٰذا مزيدُ بيانٍ[4]

ومِنْ هٰذا القسمِ مِنَ البدلِ بدلُ التفصيلِ ؛ كقولِكَ جاءَ الرجالُ زيدٌ وعمرٌو وبكرٌ

---

(١) هو المرار الفقعسي ، كما في « خزانة الأدب » (٤/٢٨٤)

(٢) انظر (١/٤١٩)

(٣) انظر (١/٥١٠)

(٤) انظر (١/٥١٠)

بدلُ البعضِ مِنَ الكلِّ

لفظٌ يكونُ المرادُ بهِ بعض المرادِ بلفظِ المُبدَلِ منهُ ؛ نحوُ قرأَ زيدٌ الكتابَ أكثرَهُ ، وسرينا اللَّيلَ مُعظمَهُ ، ولم يفهمْ زيدٌ العِلْمَ شيئاً منهُ

وهٰذا البدلُ يجبُ أن يَصحبَهُ ضميرُ المُبدَلِ منهُ كما رأيتَ ، ونحوُ رأيتُ الرجلَينِ أكبرَهُما

ولا يُستعمَلُ هٰذا البدلُ بلاغةً إلَّا حيثُ يكونُ البعضُ هوَ المُعتبَرَ حتىٰ كأنَّهُ الكلُّ ، وتقريبُهُ أنَّ إنساناً يقولُ لصاحبِهِ فلانٌ شربَ الماءَ ، فيقولُ لهُ صاحبُهُ أشربَهُ كلَّهُ ؟ فيقولُ أكثرَهُ ، فلمَّا كانَ المشروبُ أكثرَ الماءِ ساغَ للمُخبِرِ أن يقولَ شربَ فلانٌ الماءَ ، كأنَّ الباقيَ عدمٌ بعدَ الذاهبِ

بدلُ الاشتمالِ

لفظٌ يكونُ المرادُ منهُ شيئاً لهُ تَعلُّقٌ وارتباطٌ بالمرادِ مِنْ لفظِ المُبدَلِ منهُ ؛ كأوصافِهِ ، ومملوكاتِهِ ، وأهلِهِ ، ومظروفاتِهِ ؛ نحوُ أعجبَني زيدٌ كلامُهُ ، ونفعَني بكرٌ علمُهُ ، وطابَ خالدٌ أبوهُ ، ونحوُ لا يجوزُ يومُ العيدِ صيامٌ فيهِ

وهٰذا البدلُ أيضاً يجبُ أن يَصحبَهُ ضميرُ المُبدَلِ منهُ ، ولا يُستعمَلُ بلاغةً إلَّا حيثُ يكونُ معنى البدلِ كأنَّ المُبدَلَ منهُ ليسَ شيئاً وراءَهُ ؛ فمَنْ يقولُ أعجبَني زيدٌ كلامُهُ كأنَّهُ يقولُ ليسَ زيدٌ شيئاً وراءَ كلامِهِ

بدلُ الغَلَطِ

لفظٌ يُذكَرُ لإفادةِ أنَّ ذكرَ المُبدَلِ منهُ كانَ غَلَطاً أو سهواً ؛ نحوُ جاءَ زيدٌ خالدٌ ، وخذِ الكتابَ الفرسَ ، واستعمالُهُ بـ (بل) أحسنُ

ويُستعمَلُ هٰذا النوعُ مِنَ البدلِ عندَ تَغيُّرِ النيَّةِ ، ويُسمَّىٰ بدلَ البَداءِ ، مثلاً إذا أمرتَ خادمَكَ بإحضارِ الحمارِ ، ثمَّ تَغيَّرَتْ نيَّتُكَ إلى الفرسِ ، فقلتَ أحضرِ الحمارَ الفرسَ . فهوَ بدلُ البَداءِ ؛ أيِ الظُّهورِ ؛ لأنَّهُ ظهرَ لكَ ما لم يكنْ ظاهراً

ولا يُبدَلُ اسمٌ ظاهرٌ مِنْ ضميرِ مُتكلِّمٍ ، ولا مِنْ ضميرِ مُخاطَبٍ إلَّا حيثُ يُنبَّهُ بهِ على الإحاطةِ والشُّمولِ ؛ كقولِكَ يا بني عُذْرةَ ؛ إنَّ العِشقَ فيكم أوَّلِكُم وآخِرِكُم ، وإنَّنا كبارَنا وصغارَنا راغبونَ إلى اللهِ

ويُبدَلُ الاسمُ الظاهرُ مِنْ ضميرِ الغائبِ بدلَ كلٍّ ، ومنهُ ومِنْ غيرِهِ بدلَ بعضٍ واشتمالٍ وغَلَطٍ ؛ نحوُ انتفعتُ بهِ زيدٍ ، وأعجبَتْني كلامُكَ

وإذا أردتَ أن تُبدِلَ مِنِ اسمِ شرطٍ أوِ اسمِ استفهامٍ وجبَ أن تَذكُرَ معَ البدلِ مِنِ اسمِ الشرطِ كلمةَ (إنْ) ، ومعَ البدلِ مِنِ اسمِ الاستفهامِ همزتَهُ ؛ تقولُ : مَنْ عندَكَ أزيدٌ أم عمرٌو ؟ وما تريدُ أذهاباً أم بقاءً ؟ ومَنْ ذا تَطلُبُ أزيداً أم عمراً ؟ أو أزيدٌ أم عمرٌو وهٰكذا ، ومَنْ يأتِكَ إن زيدٌ وإن عمرٌو فأكرمْهُ ، وما تفعل إن خيراً وإن شرّاً تُجزَ بهِ

ويُبدَلُ الفعلُ مِنَ الفعلِ ؛ نحوُ ﴿ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴾[1] ، ونحوُ نعبدُ اللهَ ؛ نصلِّي ونصومُ ، ونرجو ثوابَهُ ونخافُ عقابَهُ

فهٰذهِ التوابعُ يكونُ إعرابُها إعرابَ متبوعاتِها ، والعاملُ في متبوعاتِها هوَ العاملُ فيها ، إلَّا البدلَ

---

(١) سورة الشعراء (١٣٢ ـ ١٣٣) ، ولعل مراد المؤلف بإبدال الفعل من الفعل إبدال الجملة من الجملة ، كما في « أوضح المسالك » (٣/٣٦٢)

لـٰكنْ لكلٍّ مِنْ تابعَيِ المُناديٰ واسمِ (لا) التبرئةِ تفصيلٌ ؛ لأنَّ فيهِما نوعَ مخالفةٍ ، فلا بدَّ مِنْ إيرادِهِ ، فنقولُ

تابعُ المُناديٰ

إن كانَ بدلاً أو معطوفاً عطفَ نسقٍ لم يُصدَّرْ بـ (أل) كانَ كمُناديً مُستقِلٍّ ؛ لكونِ البدلِ علىٰ نيَّةِ تَكرارِ العاملِ ، ولنيابةِ العاطفِ عن حرفِ النداءِ ، فيُبنىٰ علىٰ ما يُرفَعُ بهِ إن كانَ مقصودَ العينِ غيرَ مُضافٍ ولا شبيهٍ بهِ ، ويُنصَبُ إن كانَ أحدَهُما ، سواءٌ كانَ المُناديٰ متبوعُهُ مبنيّاً أو منصوباً ؛ نحوُ يا غلامُ بشرُ ، ويا أبا عبدِ اللهِ بشرُ ، ويا زيدُ وعمرُو ، ويا أبا الفضلِ وعمرُو

وإن كانَ التابعُ غيرَ بدلٍ وغيرَ معطوفٍ كذٰلكَ ؛ فإن كانَ نعتَ (أيٍّ) أوِ اسمِ إشارةٍ كانَ مبنيّاً علىٰ ما يُرفَعُ بهِ ؛ نحوُ يا أيُّها الرَّجلُ ، ويا أيَّتُها المرأةُ ، ويا أيُّها الرَّجلانِ ، ويا أيُّها المؤمنونَ ، ويا هـٰذا الإنسانُ ، ويا تانِ المرأتانِ ، ويا هـٰؤلاءِ الفاضلونَ

فإن لم يكنْ نعتاً لـ (أيٍّ) ولا اسمِ إشارةٍ ؛ فإن كانَ متبوعُهُ منصوباً كانَ منصوباً ، وإن كانَ متبوعُهُ مبنيّاً ؛ فإن كانَ مُضافاً وجبَ نصبُهُ ، إلَّا إذا كانَ المُضافُ نعتاً مُصدَّراً بـ (أل) ، فإنَّهُ يجوزُ رفعُهُ رعايةً لِلَّفظِ ، ونصبُهُ رعايةً للمَحَلِّ

كما أنَّ بقيَّةَ التوابعِ إذا لم تُضَفْ كذٰلكَ في جوازِ الوجهَينِ ؛ نحوُ يا زيدُ حسنَ الوجهِ نعتاً ، ويا زيدُ نفسَكَ توكيداً ، ويا زيدُ أبا عمرٍو عطفَ بيانٍ ، ويا زيدُ الحسنُ الوجهِ بالرفعِ ، أوِ الحسنَ الوجهِ بالنصب ، نعتاً مُصدَّراً بـ (أل) ، ويا تميمُ أجمعونَ أو أجمعينَ توكيداً ، ويا غلامُ بشرُ أو بشراً عطفَ

بيانٍ ، ويا زيدُ والظَّريفَ الطِّباعِ أو والظَّريفُ الطِّباعِ ، معطوفاً عطفَ نسقٍ مُصدَّراً بـ (أل)

تابعُ اسمِ (لا)

إذا أتبعتَ المبنيَّ بمُتَّصِلٍ بهِ نعتاً أو تأكيداً أو بياناً جازَ لكَ فتحُ التابعِ بناءً لتركيبِهِ معَ متبوعِهِ ، ونصبُهُ رعايةً لمَحَلِّ متبوعِهِ ، ورفعُهُ رعايةً لِمَا كانَ لهُ ؛ حيثُ كانَ مبتدأً كما وردَ في اللغةِ

وإذا أتبعتَهُ بها مُنفصِلةً أو بمعطوفٍ عطفَ نَسَقٍ لم تُكرَّرْ معَهُ (لا) جازَ النصبُ والرفعُ دونَ الفتحِ ؛ لامتناعِ التركيبِ إذاً ، فإن كَرَّرتَ (لا) معَ المعطوفِ نَسَقاً جازَتْ فيهِ الأوجهُ الثلاثةُ ؛ وذلكَ حيثُ يكونُ التابعُ مفرداً ، وإلَّا فهوَ كالمُنفصِلِ ، وتابعُ المُعرَبِ لهُ حكمُ سائرُ التوابعِ ، والبدلُ جملةٌ مُستقِلَّةٌ

[التنازعُ في العملِ]

هٰذا ؛ ومِنَ التراكيبِ تركيبٌ تَرجَمَ النحويونَ لبيانِ أحكامِهِ بالتنازعِ في العملِ ، هٰذا موضعُ بيانِهِ ؛ لأنَّهُ يَتعلَّقُ بما سَلَفَ مِنَ الأبوابِ

فاعلمْ أنَّهُ متىٰ كانَ تركيبٌ فألبتةَ يكونُ مُشتمِلاً علىٰ عاملٍ ، ومعمولٍ ، وعملٍ ، ومقتضٍ لذٰلكَ العملِ ، وبعضُهُم قسمَ النحوَ أربعةَ أقسامٍ لذٰلكَ ، ونِعْمَ ما صنعَ

فالعملُ هوَ ما نُسمِّيهِ إعراباً

ومقتضيهِ طالبُ التميُّزِ مِنَ الفاعليةِ والمفعوليةِ وغيرِهِما

والمعمولُ هوَ المُعرَبُ

والعاملُ هوَ ما تَنسُبُ إليهِ إيجادَ العملِ وإحداثَهُ ، فهوَ عندَهُم بمنزلةِ العِلَّةِ الفاعليَّةِ

ومِنَ المعقولِ أنَّهُ لا يمكنُ تأثيرُ مُؤثِّرَينِ في أثرٍ واحدٍ ؛ فمِنْ ثَمَّ إذا وُجِدَ عاملانِ بعدَهُما معمولٌ وجبَ أن تعطيَهُ لأحدِهِما ، وتُقدِّرَ للآخَرِ ، وهـٰذا هوَ صورةُ التركيبِ المذكورِ

حاصلُهُ أن تذكرَ عاملَينِ مِنَ الأفعالِ وشبهِها فقطْ ، وتعقبَهُما بمعمولٍ مِنَ المرفوعاتِ أوِ المنصوباتِ أوِ المخفوضاتِ ، فيكونَ المعمولُ لأحدِهِما ، والثاني أَولىٰ بهِ عندَ البصريَّةِ ؛ لاتصالِهِ بهِ ، والأوَّلُ عندَ الكوفيَّةِ ؛ لسبقِ طلبِهِ

وعلىٰ ملاحظةِ ما رُوِيَ مِنْ أنَّ الصَّيدَ لِمَنْ قَنَصَهُ ، لا لِمَنْ أثارَهُ[1] فالرأيُ معَ البصريَّةِ

فإن كانَ المعمولُ فَضْلةً ؛ فإن أعملتَ الثانيَ أضمرتَ للأوَّلِ ضميراً مُطابِقاً للمعمولِ المذكورِ ، وحذفتَهُ وجوباً ، وإن أعملتَ الأوَّلَ أضمرتَ في الثاني ، وذكرتَهُ وجوباً ؛ نحوُ أكرمتُ وحبوتُ زيداً ، التقديرُ أكرمتُهُ ، فحُذِفَ الضَّميرُ علىٰ إعمالِ الثاني ، وتقولُ أكرمتُ وحبوتُهُ زيداً ، ذاكراً للضَّميرِ علىٰ إعمالِ الأوَّلِ ، وتقولُ مررتُ وطُفتُ بزيدٍ ؛ أي مررتُ بهِ ، ومررتُ وطُفتُ بهِ بزيدٍ ، وخرجَ زيدٌ وسافرَ يومَ الجمعةِ ؛ أي خرجَ فيهِ ، وخرجَ وسافرَ فيهِ يومَ الجمعةِ

---

(١) انظر « الدراية في تخريج أحاديث الهداية » (٢/٢٥٦)

وعلىٰ هٰذا القياسُ ، وجاءَ نادراً ما يخالفُ ذٰلكَ ، قالَ[1] [من الطويل]

إِذَا كُنْتَ تُرْضِيهِ وَيُرْضِيكَ صَاحِبٌ جِهَاراً فَكُنْ فِي ٱلْغَيْبِ أَحْفَظَ لِلْوُدِّ

فذكرَ ما الحُكْمُ وجوبُ حذفِهِ ، وقالَ آخَرُ في صفةِ سيفٍ[2] [من مجزوء الكامل]

بِعُكَاظَ يُغْشِي ٱلنَّاظِرِيـ ـنَ إِذَا هُمُ لَمَحُوا شُعَاعَهْ

أي لمحوهُ ، فحذفَ ما الحُكْمُ وجوبُ ذكرِهِ

ومتىٰ كانَ المعمولُ عُمدةً ؛ بأن كانَ فاعلاً ، أو كانَ مبتدأً ، أو خبراً بحَسَبِ الأصلِ ؛ بأن كانَ العواملُ مِنَ النواسخِ . وجبَ الإضمارُ للمُهمَلِ ، ووجبَ ذكرُ الضَّميرِ مطلقاً ، مُستتِراً في مواضعِ الاستتارِ ، وبارزاً في مواضعِ البُروزِ

تقولُ أصبحَ زيدٌ وأمساهُ قارئاً ، وأصبحَهُ زيدٌ وأمسىٰ قارئاً ، وظنَّنِيهِ زيدٌ وظننتُهُ أخاً ، وظنَّنِي زيدٌ وظننتُهُ إيَّاهُ أخاً

وعلىٰ هٰذا القياسُ ، وفصلُ الضَّمائرِ ووصلُها علىٰ ما سلفَ لكَ شرحُهُ

ومتىٰ لم يُطابِقِ المُفسِّرُ مُفسَّرهُ امتنعَ الإضمارُ ووجبَ الإظهارُ ، وفي هٰذا التركيبِ يعودُ ضميرٌ علىٰ مُتأخِّرٍ لفظاً ورتبةً ، وهوَ أحدُ مواضعَ ستَّةٍ يعودُ فيها الضَّميرُ على المُتأخِّرِ لفظاً ورتبةً ، ويُقالُ إنَّ مَرجِعَ الضَّميرِ تَقدَّمَ حُكْماً ، فأقسامُ تَقدُّمِ المَرجِعِ ثلاثةٌ تَقدُّمٌ لفظيٌّ ، وتَقدُّمٌ رُتْبِيٌّ ، وتَقدُّمٌ حُكْميٌّ

بقيةُ المواضعِ المذكورةِ هيَ تركيبُ (نِعْمَ) و(بئسَ) ، وتركيبُ (رُبَّهُ

---

(١) انظر « مغني اللبيب » (١/٤٣٨)

(٢) القائل هو السيدة عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله عنها ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (٢/١٣٠)

فتىً) ، وتركيبُ (مررتُ بهِ زيدٍ) ، وتركيبُ ضميرِ الشأنِ ، وتركيبُ نحوِ قولِكَ [1] [من الطويل]

هِيَ ٱلنَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ

وقولِكَ : هيَ العربُ تقولُ ما شاءَتْ ، على أنَّ كلمتَي (النفسُ) و(العربُ) خبرانِ



---

(١) تقدم (١/٣٣٥) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه

هِيَ ٱلنَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ

القسمُ الرابعُ
في الجملةِ الشرطيَّةِ

الجملةُ الشرطيَّةُ هيَ المُصدَّرةُ بأداةِ شرطٍ ؛ حرفٍ أوِ اسمٍ ضُمِّنَ معناهُ ، وقد سلفَتْ[1] ، والغرضُ هنا بيانُ مَفادِ الجملةِ الشرطيَّةِ ، وما يعملُ مِنَ الأدواتِ وما لا يعملُ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأحكامِ المُتعلِّقةِ بها ، فنقولُ

أمَّا مَفادُ الجملةِ الشرطيَّةِ فهوَ ارتباطُ وقوعِ النسبةِ التي تَضمَّنَها جملةُ الجزاءِ بوقوعِ النسبةِ التي تَضمَّنَها جملةُ الشرطِ ، علىٰ وجهِ توقُّفِهِ عليهِ توقُّفَ المُسبَّبِ على السببِ ، أوِ المشروطِ على الشرطِ ؛ فوقوعُ نسبةِ جملةِ الشرطِ سببٌ أو شرطٌ لوقوعِ نسبةِ الجزاءِ

فالنسبةُ التي يَتعلَّقُ بها الحكمُ في الجملةِ الشرطيَّةِ مُستقَرُّها بينَ جملتَيِ الشرطِ والجزاءِ ، وهما طرفاها ، فهُما بمنزلةِ المحمولِ والموضوعِ في الجملةِ الخبريَّةِ ، فلا حكمَ فيهِما ، إلَّا أنَّهُ إذا كانَ الجوابُ طلباً . فإنَّهُ يكونُ موضعَ الحكمِ ، والشرطُ قيدٌ لمُسنَدِهِ ، وهٰذا هوَ المذهبُ الأخيرُ الذي انحطَّ عليهِ رأيُ المُحقِّقينَ بعدَ اختلافٍ أُطيلَتْ فيهِ الاعتراضاتُ والأجوبةُ ؛ فكانَ بعضُ العلماءِ المُتقدِّمينَ علىٰ أنَّ الحكمَ في الجزاءِ والشرطُ قيدٌ لمُسنَدِهِ ، وبعضُ المُتوسِّطينَ ـ كالشريفِ الجُرجانيِّ وشيعتِهِ ـ علىٰ أنَّ الحكمَ بينَ الشرطِ والجزاءِ مطلقاً

[أدواتُ الشرطِ]

وأمَّا العاملُ مِنْ أدواتِ الشرطِ فهيَ حرفانِ (إن) و(إذما) ، وعشرةُ

---

(١) انظر (١/٣٤٨)

أسماءٍ (مَنْ) و(ما) و(أيٌّ) و(مهما) و(متىٰ) و(أيَّانَ) و(أينَ) و(حيثُما) و(أنَّىٰ) و(كيفَما)

فـ (كيفَما) منها منصوبةٌ على الحاليَّةِ أبداً ، وأسماءُ الأمكنةِ والأزمنةِ منها منصوبةٌ على الظَّرفيةِ ، وغيرُها مُعرَبةٌ حَسَبَ الاقتضاءِ ، وناصبُ المنصوبِ منها هوَ فعلُ الشرطِ كما يظهرُ لكَ بحَلِّ التركيبِ لإبانةِ صريحِ المعنىٰ

مثلاً إذا قلتَ كيفَما يُصَلِّ الإمامُ يُصَلِّ المأمومُ فحَلُّهُ لذٰلكَ إن يُصَلِّ الإمامُ مُسرِعاً يُصَلِّ المأمومُ مُسرِعاً ، ومُبطِئاً إن مُبطِئاً ، ومُتوسِّطاً إن مُتوسِّطاً

وإذا قلتَ أينَ تجلسْ أجلسْ فحَلُّهُ إن تجلسْ داخلَ المسجدِ أجلسْ داخلَهُ ، وخارجَهُ إن خارجَهُ

وإن قلتَ ما تصنعْ أصنعْ فحَلُّهُ إن تصنعْ معروفاً أصنعْهُ ، ومُنكَراً إن مُنكَراً

وغيرُ الحالِ والظُّروفِ كما يكونُ منصوباً ـ مثلَ ما رأيتَ ـ يكونُ مرفوعاً ومخفوضاً ؛ نحوُ مَنْ تزرْهُ أزرْهُ ، وحلُّهُ كلُّ شخصٍ إن تزرْهُ أزرْهُ ، مبتدأٌ والجملةُ الشرطيةُ خبرٌ ، ونحوُ غلامُ أيِّهِم تُكرِمْهُ أُكرِمْهُ ، وحَلُّهُ غلامُ كلِّ شخصٍ إن تُكرِمْهُ أُكرِمْهُ ، ونحوُ بمَنْ تثقْ أثقْ ، وحَلُّهُ إن تثقْ بزيدٍ أثقْ بهِ ، وبعمرٍو إن بعمرٍو ، وهٰكذا ، مَنْ أعملَ الفكرَ ينلْ ما يَطلُبُهُ

[أحوالُ الشرطِ والجزاءِ]

هٰذا ؛ وأمَّا الشرطُ والجزاءُ فتارةً يكونانِ مضارعَينِ ، وتارةً ماضيَينِ ،

وتارةً يكونُ الشرطُ ماضياً والجزاءُ مضارعاً ، وتارةً يكونُ الشرطُ مضارعاً والجزاءُ ماضياً ، وهوَ قليلٌ ، وتارةً يكونُ الجزاءُ جملةً

والأوَّلُ هوَ الأصلُ ؛ لموافقتِهِ مقتضىٰ تعليقِ ما ليسَ حاصلاً علىٰ مثلِهِ ، وظرفُ الحصولَينِ المستقبلُ ؛ ولذٰلكَ يكونُ الماضي الواقعُ شرطاً هوَ ماضٍ في اللَّفظِ فقطْ ، أُوقِعَ موقعَ المضارعِ لغرضٍ يُبيَّنُ في عِلْمِ المعاني

الأمثلة ﴿ إِن تَعُودُواْ نَعُدْ ﴾ [١] ، ﴿ إِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ [٢] ، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ [٣]

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ « مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ ٱلْقَدْرِ إِيمَاناً وَٱحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ » [٤]

وقالَتْ أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها (إنَّ أبا بكرٍ رجلٌ أَسِيفٌ ؛ متىٰ يقمْ مَقامَكَ رَقَّ) [٥]

وقالَ العربيُّ [٦] [من الخفيف]

مَنْ يَكِدْنِي بِسَيِّءٍ كُنْتُ مِنْهُ ... كَٱلشَّجَا بَيْنَ حَلْقِهِ وَٱلْوَرِيدِ

وآخَرُ [٧] [من البسيط]

إِنْ تَصْرِمُونَا وَصَلْنَاكُمْ وَإِنْ تَصِلُوا ... مَلأْتُمُ أَنْفُسَ ٱلْأَعْدَاءِ إِرْهَابَا

(١) سورة الأنفال (١٩)
(٢) سورة الإسراء (٨)
(٣) سورة الشورىٰ (٢٠)
(٤) أخرجه البخاري (٣٥) ، ومسلم (٧٦٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه
(٥) أخرجه البخاري (٣٣٨٤)
(٦) انظر « خزانة الأدب » (٧٦/٩)
(٧) انظر « همع الهوامع » (٥٥١/٢)

وآخَرُ [1] [من البسيط]

إنْ يَسْمَعُوا سُبَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً ... مِنِّي وَمَا عَلِمُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

وآخَرُ [2] [من البسيط]

إنْ يَعْلَمُوا ٱلْخَيْرَ أَخْفَوْهُ وَإِنْ سَمِعُوا ... شَرّاً أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

وحكمُ الشرطِ والجزاءِ الجزمُ لفظاً أو محلاًّ ، ولا إعرابَ للماضي كما عرفتَ في غيرِ هٰذا الموضعِ ، لٰكنْ إذا كانَ الشرطُ ماضياً جازَ رفعُ الجزاءِ المضارعِ ، قالَ زهيرٌ يَمدحُ هرمَ بنَ سنانٍ [3] [من البسيط]

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ ... يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمُ

وإذا كانَتْ جملةُ الجزاءِ جملةً اسميةً ، أو طلبيةً ، أو مُصدَّرةً بفعلٍ جامدٍ ، أو بـ (قد) ولو مُقدَّرةً ، أو بـ (ما) النافيةِ ، أو بـ (لن) ، أو بالسينِ ، أو بـ (سوفَ) كانَتْ كما يَحكُمُ بهِ الوِجدانُ آبيةً عنِ الربطِ الشرطيِّ ، فأوجبَتِ اللغةُ مساعدةَ الأداةِ بفاءِ السببيةِ الملاقيةِ لها معنىً ، وأجازَتْ ذٰلكَ حيثُ يكونُ مضارعُ الجزاءِ منفيّاً بـ (لا) ، وحيثُ يكونُ ماضيها مقصوداً بِهِ الوعدُ أوِ الوعيدُ ، ولا تجوزُ الفاءُ في غيرِ ذٰلكَ ، وما وردَ علىٰ خلافِهِ مُؤوَّلٌ بتقديرِ ما يجعلُ الجملةَ مِنْ مواضعِ الفاءِ ؛ نحوُ ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ﴾ [4] ، تقديرُهُ فهوَ ينتقمُ ، وحذفُ الفاءِ حيثُ وُجِدَتْ ضرورةٌ ؛ كقولِهِ [5] [من البسيط]

مَنْ يَفْعَلِ ٱلْحَسَنَاتِ ٱللهُ يَشْكُرُهَا

---

(١) انظر « مغني اللبيب » (٢/٩٠٨)

(٢) انظر « عيون الأخبار » (٢/٢٨)

(٣) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ١٢٠)

(٤) سورة المائدة (٩٥)

(٥) انظر « الكتاب » لسيبويه (٣/٦٥) ، و« خزانة الأدب » (١١/٣٥٧) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه

مَنْ يَفْعَلِ ٱلْحَسَنَاتِ ٱللهُ يَشْكُرُهَا ... وَٱلشَّرُّ بِٱلشَّرِّ عِنْدَ ٱللهِ مِثْلَانِ

وقد وردَ بعدَ (إن) خاصَّةً إقامةُ (إذا) الفجائيةِ مُقامَ الفاءِ ؛ حيثُ يكونُ الجوابُ جملةً اسميةً غيرَ طلبيةٍ ولا مُصدَّرةٍ بـ (إنَّ) المُؤكِّدةِ ولا بأداةِ نفيٍ ؛ نحوُ ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [1] ، وقد وردَ الربطُ بـ (إذا) مكانَ الفاءِ ، وبِهما معاً بعدَ (إذا) مِنَ الأدواتِ غيرِ العاملةِ ؛ نحوُ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [2]

وإذا جئتَ بعدَ الجزاءِ بمضارعٍ مسبوقٍ بفاءٍ أو واوٍ جازَ لكَ جزمُهُ على العطفِ ، ورفعُهُ على الاستئنافِ ، ونصبُهُ بـ (أن) مضمرةً بعدَ واوِ المَعيَّةِ وفاءِ السببيةِ ، ويُزادُ هٰذا علىٰ مواضعِهما السالفةِ ، وبثلاثةِ الأوجهِ يُروىٰ قولُهُ [3] [من الوافر]

فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكْ رَبِيعُ ٱلنَّاسِ وَٱلْبَلَدُ ٱلْحَرَامُ
وَنَأْخُذْ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أَجَبِّ ٱلظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ

الذِّنَابُ ككتابٍ ، والسَّنامُ كسَحابٍ ، وإذا وَسَّطتَهُ لم يجزِ الرفعُ



ويجوزُ حذفُ الجزاءِ ؛ نحوُ ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا ﴾ الآيةَ [4] ؛ أي فافعلْ ، ونحوُ ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [5] ؛ أي لكانَ [6]

---

(١) سورة الروم (٣٦)
(٢) سورة الأنبياء (٩٦ ـ ٩٧)
(٣) هو النابغة الذبياني في « ديوانه » (ص ١٠٥)
(٤) سورة الأنعام (٣٥)
(٥) سورة الرعد (٣١)
(٦) أي لكان هٰذا القرآن ، وقدره ابن هشام في « مغني اللبيب » (٢/٨٤٩) لَما آمنوا به

ويجبُ إذا كانَ الشرطُ ماضياً ولو معنىً ، وتَقدَّمَ على الأداةِ أوِ اكتنَفها ما يَصلُحُ أن يكونَ جواباً ، أو تَقدَّمَها قَسَمٌ لم يَصحَبْهُ طالبُ خبرٍ ؛ نحوُ أجلسُ إن جلسَ زيدٌ ، أو إن لم يجلسْ ، وأنا إن لم يجلسْ جالسٌ ، ونحوُ أحلِفُ إن خرجَ زيدٌ لأخرجنَّ ، قالَ تعالىٰ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [1] ، فإن تَأخَّرَ القَسَمُ أو صحبَهُ طالبُ خبرٍ لم يكنِ الجوابُ محذوفاً

[الجوابُ إن توالىٰ شرطانِ]

وإذا توالىٰ شرطانِ ؛ فإذا عطفتَ بالواوِ كانَ الجوابُ المذكورُ لهُما معاً ، وإذا عطفتَ بـ (أو) أجبتَ أحدَهُما وأضمرتَ للآخَرِ ؛ نحوُ إن زارَكَ زيدٌ أو إن زارَتْكَ هندٌ فأكرِمْهُ ، أو فأكرِمْها ، وفي نحوِ إن جاءَ زيدٌ فإن جاءَ عمرٌو فأكرِمْهُ ؛ الجوابُ الفاءُ ومدخولُها ، وإذا لم تعطفْ فالجوابُ للأوَّلِ ، وجوابُ الثاني مُقدَّرٌ بجملةٍ قائمةٍ مِنَ الشرطِ الأوَّلِ وجوابِهِ ؛ كقولِكَ [2] [من البسيط]

إِنْ تَسْتَغِيثُوا بِنَا إِنْ تُذْعَرُوا تَجِدُوا ... مِنَّا مَعَاقِلَ عِزٍّ زَانَهَا كَرَمُ

فالتقديرُ إن تذعَرُوا ؛ فإن تستغيثوا بنا تجدوا

وحذفُ كلِّ الشرطِ قليلٌ جدّاً ؛ كقولِهِ [3] [من الطويل]

مَتَىٰ تُؤْخَذُوا قَسْراً بِظِنَّةِ عَامِرٍ ... وَلَا يَنْجُ إِلَّا فِي ٱلصِّفَادِ يَزِيدُ

تقديرُهُ متىٰ تُثقَفوا ، فعلٌ مجهولٌ ؛ أي تُوجدوا ، والظِّنَّة بكسرِ الظاءِ التُّهَمَةُ ، والصِّفادُ جمعُ صَفَدٍ ، واحدُ الأصفادِ ؛ وهوَ القيدُ

(١) سورة الأنعام (١٢١)
(٢) انظر « خزانة الأدب » (١١/٣٥٨)
(٣) انظر « همع الهوامع » (٢/٥٦٣)

وحذفُ بعضِهِ كثيرٌ ؛ كقولهِ[1] [من الوافر]

فَطَلِّقْهَا فَلَسْتَ لَهَا بِكُفْءٍ   وَإِلَّا يَعْلُ مَفْرِقَكَ ٱلْحُسَامُ

أي وإلَّا تُطلِّقْها ، وقولِ الناسِ إمَّا لا ؛ أي افعلْ هٰذا إلَّا تفعلْ ذٰلكَ ، ونحوِ ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾[2] ، وإنْ خيراً فخيرٌ ، وقد سلفَ أنَّ كلمةَ (إن) مُقدَّرةٌ معَ الطَّلبِ الذي جزمَتْ ما يَدُلُّ على الحاصلِ المُرتَّبِ على امتثالِهِ[3]



(١) هو الأحوص الأنصاري في « ديوانه » (ص ٢٣٨)

(٢) سورة التوبة (٦)

(٣) انظر (١/٣٦٠)

القسمُ الخامسُ
في بيانِ الجملِ الإنشائيةِ ، والجملِ التي لها محلٌّ مِنَ الإعرابِ والجملِ التي لا محلَّ لها منهُ

[الجملُ الخبريةُ والإنشائيةُ]

عرفتَ أنَّ المُركَّبَ التامَّ إن كانَ حكايةً عمَّا لهُ وقوعٌ وحصولٌ فهوَ الخبرُ والقضيةُ ، وإن لم يكنْ كذٰلكَ فهوَ الإنشاءُ

فالخبرُ : مُركَّبٌ تامٌّ مفيدٌ بهيئتِهِ التركيبيةِ الحكمَ بثبوتِ أمرٍ لأمرٍ أوِ انتفائِهِ عنهُ ؛ نحوُ زيدٌ قائمٌ ، وقامَ زيدٌ ، ويقومُ عمرٌو ، وما قامَ عمرٌو ، وليسَ خالدٌ بقائمٍ ، ويُسمَّىٰ هٰذا النوعُ مِنَ الخبرِ خبراً حمليّاً

أو مُركَّبٌ تامٌّ يفيدُ استلزامَ وقوعِ نسبةٍ وقوعَ نسبةٍ أخرىٰ ؛ وهوَ الخبرُ الشرطيُّ

فالخبرُ إمَّا حمليٌّ ، وإمَّا شرطيٌّ

وأمَّا الجملةُ التي يُسمِّيها أهلُ المَنطِقِ الشرطيةَ المُنفصِلةَ في مقابلةِ الشرطيةِ المُتصِلةِ السابقةِ فهيَ عندَ النحويينِ داخلةٌ في الحمليَّةِ ؛ فإنَّ قولَكَ الشيءُ إمَّا أن يكونَ وإمَّا ألَّا يكونَ بمنزلةِ قولِكَ الشيءُ كائنٌ أو غيرُ كائنٍ ، فهوَ مبتدأٌ وخبرٌ

وبينَ هٰذَينِ التركيبَينِ مِنْ جهةِ التعقُّلِ فرقٌ دقيقٌ ؛ وذٰلكَ أنَّ الحكمَ في الأولِ بالعِنادِ والتنافرِ بينَ وقوعَيِ النسبتَينِ ، ولذٰلكَ تلاحظُ أنَّهُ في تقديرِ شرطيتَينِ مُتصلتَينِ يَستلزِمُهُما ؛ وهما إن كانَ الشيءُ كائناً لم

يكنْ غيرَ كائنٍ ، وإن كانَ غيرَ كائنٍ لم يكنْ كائناً ، وبهٰذهِ الملاحظةِ سُمِّيَتِ المُنفصِلةُ شرطيَّةً ، والحكمُ في الثاني بثبوتِ أحدِ الأمرَينِ فحَسْبُ ، وليسَ للملاحظةِ عملٌ بعدَ ذٰلكَ ، ويُسمَّىٰ عندَهُمُ المحمولَ المُردَّدَ

والإنشاءُ هوَ

الأمرُ ؛ نحوُ أكرمْ زيداً

والنهيُ ؛ نحوُ لا تُهِنْ عمراً

والتمنِّي ؛ نحوُ ليتَ الحبيبَ حاضرٌ

والحضُّ ؛ نحوُ هَلَّا أو أَلَّا أو لولا أو لوما تفعلُ أو فعلتَ ؛ وهوَ في المُستقبَلِ بمعنىٰ ينبغي أن تفعلَ ، وفي الماضي بمعنىٰ ما كانَ ينبغي أن تفعلَ ، قيلَ وهوَ طلبٌ لتداركِ ما يمكنُ تداركُهُ ، ويَستعمِلُهُ الزاجرُ ؛ لأنَّ الحَضَّ كما عرفتَ يكونُ بشِدَّةٍ وعنفٍ

والعَرْضُ ؛ نحوُ أَلَا تفعلُ ، ويَستعمِلُهُ المُستعطِفُ الخاضعُ ؛ وذٰلكَ أنَّ أصلَهُ الاستفهامُ ، فهوَ طلبٌ لرأيِ المُخاطَبِ ، ولذٰلكَ صُدِّرَ بأداةِ النفيِ ، فكأنَّهُ قالَ هلِ الأحسنُ بقاءُ الشيءِ على الانتفاءِ ؟ والمقصودُ أنَّ الأحسنَ كونُهُ وحصولُهُ ، ولذٰلكَ يُرتَّبُ عليهِ السببُ في الحكمِ بحسنِهِ ؛ كقولِهِ (١) [من البسيط]

يَا بْنَ ٱلْكِرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَاءٍ كَمَنْ سَمِعَا

والاستفهامُ ، وسبقَ تفصيلُهُ (٢)

---

(١) انظر « همع الهوامع » (٢/٣٨٩)

(٢) انظر (١/١٦٣)

والتعجُّبُ ؛ نحوُ : لِلّهِ أنتَ ، ولِلّهِ دَرُّكَ ، ولهُ صيغتانِ مشهورتانِ يَبحثُ النحويُّ عنهُما

ـ إحداهُما فعلٌ ثلاثيٌّ مهموزٌ يقبلُ معناهُ الشِّدَّةَ والضَّعفَ ، مسبوقٌ بكلمةِ (ما) التي معناها شيءٌ عظيمٌ ، وهيَ مبتدأٌ ، وفاعلُ الفعلِ المذكورِ ضميرٌ واجبُ الاستتارِ يعودُ علىٰ (ما) نحوُ ما أحسنَ زيداً ، وما أجملَ عمراً ، وما ألطفَ خالداً

مَا أَقْدَرَ ٱللهَ أَنْ يُدْنِيْ عَلَىٰ شَحَطٍ   مَنْ دَارُهُ ٱلْحَزْنُ مِمَّنْ دَارُهُ صُولُ[1]

معناهُ شيءٌ عظيمٌ صَيَّرَ اللهَ قادراً[2] ، وشيءٌ عظيمٌ صَيَّرَ زيداً جميلاً ، نُقِلَ هٰذا التركيبُ مِنْ هٰذا المعنى الخبريِّ المشروحِ لإنشاءِ التعجُّبِ مِنْ قُوَّةِ الوصفِ وشِدَّتِهِ

وكيفيةُ السلوكِ للانتقالِ هيَ أنَّ المُتكلِّمَ لمَّا جعلَ حُسْنَ زيدٍ حُسْناً خارجاً عنِ العادةِ جعلَ لهُ مُوجِداً مُبهَماً غيرَ معلومٍ ، غيرَ المُوجِدِ الذي عُلِمَ أنَّهُ يَخلقُ الأوصافَ ، ولذٰلكَ يَجعلُ بعضُ النحويينَ كلمةَ (ما) فيهِ استفهاميةً ، وهٰذهِ المعاني مُحالةٌ في أنفسِها باطلةٌ ، ألا ترىٰ أنَّ قدرةَ اللهِ جلَّ وعزَّ ليسَتْ بإيجادِ موجدٍ ولا بتصييرِ مُصيِّرٍ حتىٰ يُقالَ (ما أقدرَ اللهَ) بذٰلكَ المعنىٰ ؟! بل معناهُ أتعجَّبُ مِنْ قُوَّةِ قدرةِ اللهِ تعالىٰ ، وهوَ معنىً صحيحٌ

ـ الصِّيغةُ الثانيةُ فعلٌ ثلاثيٌّ مهموزٌ بهمزةِ الصَّيرورةِ ، محمولٌ مِنْ صورةِ الماضي إلىٰ صورةِ الأمرِ ؛ نحوُ أَنعِمْ بزيدٍ ، وأَكرِمْ بهِ ، وأَحسِنْ بخالدٍ ،

(١) من البسيط ، والبيت لحندج بن حندج المري ، كما في « شرح الحماسة » (١٦١/٤)

(٢) وسيردُ المؤلفُ هٰذا المعنىٰ قريباً ، وذكر الإمام السيوطي في « همع الهوامع » (٣٢١/٣) (والمعنىٰ في « ما أعظمَ اللهَ » أنه في غاية العظمة ، ومعنى التعجب فيه أنه لا يُنكر ؛ لأنه مما تَحار فيه العقولُ ، وإعظامه تعالىٰ وتعظيمه : الثناء عليه بالعظمة واعتقادها ، وكلاهما حاصل ، والموجب لهما أمر عظيم)

وأَظرِفْ بهِ ، أصلُهُ أحسنَ زيدٌ ؛ أي صارَ ذا حُسْنٍ ، يَتكلَّمُ بهٰذا المُتكلِّمُ المُتعجِّبُ معَ مَنْ يَعلمُ حُسْنَ زيدٍ ، فلا يَحتاجُ لأن يُخبرَ بهِ فيَعلَمَ المُخاطَبونَ أنَّهُ مُتعجِّبٌ ، والباءُ بعدَهُ زائدةٌ ، والاسمُ بعدَها في محلِّ رفعٍ هوَ الفاعلُ

يُقالُ أَحسِنْ بزيدٍ فعلٌ ماضٍ تَعجُّبيٌّ جيءَ بهِ علىٰ صورةِ الأمرِ ، والفعلُ الثلاثيُّ الذي تَهمِزُهُ ليصيرَ فعلاً تَعجُّبيّاً هوَ فعلٌ مِنْ بابِ (كَرُمَ) بالأصالةِ ؛ مثلُ حَسُنَ ؛ مِنَ الحُسْنِ ، ونَعُمَ ؛ مِنَ النَّعْمةِ بفتحٍ فسكونٍ ؛ أيِ التَّرَفِ ، أو بالتحويلِ ؛ كضَرُبَ وفَقُهَ المُحوَّلَينِ عن ضَرَبَ وفَقَهَ بفتحِ عينِهِما

ولكَ ـ كما سلفَ ويأتي ـ أن تَستعمِلَ أفعالَ هٰذا البابِ للتعجُّبِ ، وأن تهمزَها لتحصيلِ تينِكَ الصِّيغتَينِ ، والفعلُ المُتعدِّي يصيرُ بتحويلِهِ لازماً كما هوَ شأنُ البابِ

وإذا أردتَ أن تذكرَ مفعولَهُ أوصلتَهُ إليهِ بلامِ التعديةِ ، وليسَ لها موضعٌ سواهُ ؛ تقولُ ضَرُبَ زيدٌ لعمرٍو ، وفَقُهَ لمسائلِ الكلامِ

ثمَّ إنَّ فعلَ التعجُّبِ لا يُصاغُ إلَّا ممَّا يُصاغُ منهُ اسمُ التفضيلِ ، وما تَوصَّلتَ بهِ إلى التفضيلِ حيثُ تَمتنِعُ الصِّيغةُ تَتوصَّلُ بهِ إلى التعجُّبِ ، والبيانُ البيانُ

ومِنَ الإنشاءِ (نِعْمَ) للمدحِ و(بئسَ) للذمِّ وما جرىٰ مَجراهُما مِنْ كلِّ فعلٍ ثلاثيٍّ علىٰ (فَعُلَ) بضمِّ العينِ ، حيثُ يُرادُ بهِ المدحُ والتعجُّبُ مِنْ قُوَّةِ الوصفِ في صاحبِهِ

وهٰذا الفعلُ الذي يُمدَحُ بهِ أو يُذَمُّ يرفعُ فاعلاً مُفتتَحاً بـ (أل) ، أو مُضافاً لمُفتتَحٍ بها ؛ نحوُ نِعْمَ المُتقي ربَّهُ ، و﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[1] ، و﴿ فَبِئْسَ

---

(١) سورة الرعد (٢٤)

ٱلْقَرِينُ ﴾[1] ، أو ضميرٌ واجبُ الاستتارِ مُذكَّرٌ ، ولك تأنيثُهُ معَ المُؤنَّثِ كما سَلَفَ ، مفردٌ دائماً ، ويُفسَّرُ باسمٍ يُذكَرُ بعدَهُ منصوباً على التمييزِ ، وهٰذا الاسمُ النكرةُ الذي يُجعَلُ تمييزاً مُفسِّراً للضَّميرِ هوَ الذي يُجعَلُ فاعلاً مُفتتَحاً باللَّامِ أو مُضافاً لمُفتتَحٍ بها ، ومعنىٰ هٰذا الاسمِ هوَ الشيءُ الذي يقعُ المدحُ أوِ الذمُّ مِنْ جهتِهِ ولأجلِهِ ؛ وهوَ اسمُ جنسٍ ، والشخصُ المُعيَّنُ الذي سيقَ الكلامُ لمدحِهِ أو ذمِّهِ فردٌ لذٰلكَ الجنسِ ، فيُذكَرُ قبلُ أو بعدُ مبتدأً ، والجملةُ خبرُهُ

وقيلَ إذا تَأخَّرَ كانَ خبراً لمُبتدأٍ واجبِ الحذفِ ، والجملةُ منهُ ومِنَ المحذوفِ مُستأنفةٌ مبنيةٌ علىٰ سؤالٍ يَلزمُ نفسَ المُخاطَبِ ؛ نحوُ زيدٌ نِعْمَ الرجلُ ، ونحوُ نِعْمَ الفارسُ عمرٌو ، فـ (عمرٌو) على القولِ الثاني خبرٌ لـ (هوَ) مُقدَّرٌ ، كأنَّ المُخاطَبَ لمَّا سمعَ المُتكلِّمَ يقولُ نِعْمَ الفارسُ سألَ مَنْ هوَ ؟ فقالَ المُتكلِّمُ عمرٌو ؛ أي هوَ عمرٌو

ويقعُ بعدَ هٰذهِ الأفعالِ كلمةُ (ما) نحوُ نِعْمَ ما يَصنعُ زيدٌ

فإن لاحظتَ أنَّ المعنىٰ نِعْمَ الشيءُ الذي يَصنعُهُ زيدٌ ، علىٰ كونِ (ما) موصولةً كانَتْ فاعلاً

وإن لاحظتَ أنَّ المعنىٰ نِعْمَ شيئاً يَصنعُهُ زيدٌ ، علىٰ كونِها نكرةً موصوفةً بالجملةِ كانَتْ تمييزاً ، والفاعلُ الضَّميرُ المستترُ

وعلىٰ كلٍّ يُذكَرُ المقصودُ بالمدحِ أوِ الذمِّ ، مثلاً تقولُ نِعْمَ ما يَصنعُ زيدٌ ؛ تَكلُّمُهُ في موضعِ الكلامِ ، وصمتُهُ في موضعِ الصمتِ

والأفعالُ التي تُستعمَلُ في المدحِ والذمِّ هيَ (نِعْمَ) و(بِئْسَ) و(ساءَ)

---

(١) سورة الزخرف (٣٨)

و(حُبَّ) ، وسائرُ الأفعالِ الثلاثيةِ الآتيةِ علىٰ (فَعُلَ) بضمِّ العينِ وضعاً أو تحويلاً ؛ فيُقالُ شَرُفَ الرجلُ زيدٌ ، ونَبُهَ المرءُ خالدٌ ، وظَرُفَتِ المرأةُ دعدٌ ، وطابَتِ الفتاةُ هندٌ ، وأصلُهُ طَوُبَ بواوٍ مضمومةٍ قُلِبَتْ أَلِفاً

وقالوا حَبَّذا مدحاً ، ولا حَبَّذا ذمّاً ، فجعلوا الفاعلَ اسمَ إشارةٍ مُذكَّراً مفرداً دائماً كما أفردوا الضَّميرَ الفاعلَ دائماً ؛ فيُقالُ حَبَّذا زيدٌ والزيدانِ والزيدونَ ، وحَبَّذا هندٌ ، كما يُقالُ نِعْمَ رجلَينِ [ورجالاً] ، وقالوا حُبَّ الرجلُ زيدٌ ، وحُبَّتِ المرأةُ هندٌ بضمِّ الحاءِ ، وحُبَّ بزيدٍ عالماً ، وحُبَّ بهندٍ عفيفةً

والاسمُ الخاصُّ الذي سيقَ لهُ المدحُ أوِ الذمُّ يُسمَّى المخصوصَ بالمدحِ أوِ الذَّمِّ

ومِنَ الإنشاءِ صيغُ العقودِ والحلولِ ؛ نحوُ بعتُ ، واشتريتُ ، وحَبَّستُ ، وسَبَّلتُ ، وفسختُ ، وطَلَّقتُ ، وأنتِ طالقٌ ، وأنتَ حرٌّ ؛ إذ لا يُقصَدُ بها الحكايةُ

ومِنَ الإنشاءِ الدُّعاءُ ؛ نحوُ أصلحَ اللهُ حالَكَ ، وأطالَ بقاءَكَ ، ولا زلتَ معَ الحقِّ ، و[نحوُ] [من الخفيف]

لَـنْ تَـزَالُـوا كَـذَٰلِكُمْ ثُـمَّ لَا زِلْـ ـتُ لَـكُـمْ خَـالِـداً خُـلُـودَ ٱلْـجِـبَـالِ (١)

لعدمِ قصدِ الحكايةِ أيضاً

---

(١) هو الأعشى الكبير في « ديوانه » (١/١٢٥)

وأمَّا الجملُ التي لا يَخرجُ الكلامُ عنها ، ومنها : ما لهُ مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ ، ومنها ما لا مَحَلَّ لهُ منهُ فهيَ خمسَ عشرةَ جملةً ؛ سبعٌ لها مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ ، وثمانٍ لا مَحَلَّ لها

[الجملُ التي لها مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ]

فذواتُ المحلِّ

ـ جملةُ الخبرِ عمَّا له خبرٌ ؛ مِنْ مبتدأٍ وناسخٍ

ـ وجملةُ المفعولِ في (بابِ ظنَّ) إذا وقعَتْ مفعولاً ثانياً أو سادَّةً مَسَدَّ المفعولَينِ ؛ حيثُ يُعلَّقُ الفعلُ عن نصبِ الأجزاءِ بإحدى المُعلِّقاتِ ، وبقيةُ الأفعالِ الإدراكيَّةِ التي لم تُعامَلْ مُعاملةَ (ظنَّ) لعدمِ استحقاقِها ذلكَ بحَسَبِ معناها يَدخُلُها التعليقُ ، فالجملةُ بعدَها مفعولٌ ؛ نحوُ ذكرتُ أقامَ زيدٌ أم لم يقمْ ، وشككتُ هل قالَ ما نسبوا لهُ ، ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾[1] ، وفي هٰذا وجهٌ آخَرُ ؛ وهوَ أنَّ (كيفَ) اسمٌ لم يُضمَّنْ معنى الهمزةِ ، فهوَ المفعولُ ، ومنهُ ﴿ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾[2]

ـ وجملةُ الحالِ

ـ وجملةُ النعتِ

ـ والجملةُ المُضافُ إليها

ـ وجملةُ الجزاءِ المُفتتَحةُ بالفاءِ[3]

ـ والجملةُ المعطوفةُ علىٰ إحدىٰ هٰذهِ الجملِ

---

(١) سورة البقرة (٢٥٩)

(٢) سورة البقرة (٢٦٠)

(٣) أو المفتتحة بـ (إذا) الفجائية

كلُّها في محلِّ إعرابٍ ؛ لأنَّها واقعةٌ موقعَ مفرداتٍ ـ وذٰلكَ ضابطُها ـ لو ذُكِرَتْ لكانَتْ مُعرَبةً لفظاً

مثلاً زيدٌ أبوهُ قائمٌ ، (زيدٌ) مبتدأٌ ، و(أبوهُ) مبتدأٌ ، و(قائمٌ) خبرُ المبتدأ الثاني ، والجملةُ في محلِّ رفعِ خبرِ المبتدأ الأوَّلِ واقعةٌ موقعَ (قائمُ الأبِ) ، فلفظُ (قائمٌ) يكونُ خبراً مرفوعاً بضمةٍ ظاهرةٍ ، وعليهِ القياسُ

[الجملُ التي ليسَ لها مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ]

والتي لا مَحَلَّ لها

ـ جملةُ فعلِ الشرطِ

ـ وجملةُ جزاءِ الشرطِ التي لم تَصحَبْها فاءٌ[1]

ـ وجملةُ جوابِ القَسَمِ

ـ وجملةُ الصِّلةِ لاسمٍ أو حرفٍ وصلةُ الاسمِ جملةٌ خبريةٌ ضرورةَ كونِها مسوقةً لتعيينِ المرادِ بسببِ عهدِ المُخاطَبِ وسَبْقِ شعورِهِ بحصولِ مضمونِها

ويجبُ أن تَشتمِلَ ـ كما هوَ شأنُ جميعِ الجملِ المُتعلِّقةِ بغيرِها تَعلُّقاً شديداً ـ علىٰ رابطٍ بمعنى الموصولِ ، ويُسمَّى العائدَ ، ويجبُ كونُهُ مُطابِقاً للموصولِ في الإفرادِ وفرعَيهِ ، والتذكيرِ وفرعِهِ ، إلَّا في الموصولاتِ المُشترَكةِ ، فيجوزُ فيها اعتبارُ اللَّفظِ ، فيُفرَدُ ويُذكَّرُ ، ويكونُ مرفوعاً ومنصوباً ومخفوضاً ، ويجوزُ حذفُهُ مرفوعاً إن لم يكنْ فاعلاً وطالَتِ الصِّلةُ في غيرِ (أيٍّ) لدفعِ البَشاعةِ ، ومنصوباً بفعلٍ أو وصفٍ تامَّينِ ، ومخفوضاً بمُضافٍ

(١) أو لم تصحبها (إذا) الفجائية

وصفٍ أو حرفٍ ، وشرطُ الحذفِ تَعيُّنُهُ ؛ بحيثُ يكونُ عينَ المرادِ بيّناً ، والفصيحُ في صلةِ (أل) كونُها وصفاً جارياً مَجرى الفعلِ

وفي الصِّلةِ والعائدِ تَلطَّفَ شرفُ الدين ابنُ عنينٍ حيثُ كانَ مريضاً وخاطبَ سلطانَ ديارِ الشأمِ في وقتِهِ عيسى المُعظَّمَ الأيوبيَّ بقولِهِ [من الكامل]

أُنْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ مَوْلىً لَمْ يَزَلْ ... يُولِي ٱلنَّدَىٰ وَتَلَافَ قَبْلَ تَلَافِي

أَنَا كَٱلَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ ... فَٱغْنَمْ ثَوَابِي وَٱلْجَزَاءَ ٱلْوَافِي

وأحسنَ السُّلطانُ ـ رحمَ اللهُ الجميعَ ـ جوابَهُ ؛ حيثُ زارَهُ بنفسِهِ ومعَهُ بدرةُ دنانيرَ ، وقالَ (هٰذهِ الصِّلةُ ، وأنا العائدُ) (١)

ـ وجملةُ التفسيرِ

ـ والجملةُ الاعتراضيةُ وهيَ الواقعةُ بينَ أجزاءِ الكلامِ لغرضٍ مِنَ الأغراضِ التي مَحَلُّ بيانِها عِلْمُ المعاني ؛ نحوُ زيدٌ ـ والإكرامُ عادتُهُ ـ أكرمَني ، وتقعُ بالواوِ والفاءِ وبدونِهما ؛ نحوُ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (٢)

ـ والجملةُ الاستئنافيةُ وهيَ الواقعةُ في افتتاحِ النطقِ ؛ نحوُ زيدٌ قارئٌ ، أو بعدَ انتهاءِ الكلامِ جواباً عن سؤالٍ مُقدَّرٍ ؛ نحوُ أكرمْ زيداً ؛ إنَّهُ عالمٌ ، أو غيرَ جوابٍ ؛ نحوُ ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٣) ، وأهلُ البيانِ يَخصُّونَ اسمَ الاستئنافيةِ بالواقعةِ جواباً (٤)

---

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤٩٦/٣) ، وفي « ثمرات الأوراق » لابن حجة الحموي (ص ٤٤) (فحضر إليه المعظَّم بنفسه ومعه ثلاث مئة دينار ، وقال له أنت « الذي » ، وأنا « العائد » ، وهٰذه « الصلة »)

(٢) سورة النحل (٥٧)

(٣) سورة الإسراء (٨١)

(٤) وهو ما يُعبَّر عنه بالاستئناف البياني

ـ والجملةُ التابعةُ لإحدىٰ هـٰذهِ الجملِ

فتَلخَّصَ أنَّ الكَلِمَ العربيَّ مِنْ حيثُ يَبحثُ النحويُّ عنهُ هوَ المُركَّباتُ المتمايزةُ بالضَّوابطِ ، فلا بحثَ لهُ عنِ المُفرَدِ إلَّا مِنْ حيثُ كونُهُ جزءَ كلامٍ ، ولـذٰلكَ عَرَّفَهُ بما يكونُ إعرابُهُ واحداً ؛ إذِ الألفاظُ قبلَ التركيبِ لا تُوصَفُ بإعرابٍ ولا بناءٍ ؛ لأنَّكَ قد عرفتَ أنَّ الإعرابَ والبناءَ تأثيرُ مُؤثِّرٍ مُتحصِّلٍ مُصاحِبٍ وعدمُهُ[١]

وأنَّهُ يَبحثُ عنِ المُركَّباتِ مِنْ جهاتٍ خاصَّةٍ ؛ وهيَ كونُ الكلماتِ ـ التي هيَ أجزاءُ التركيبِ ـ مُعرَبةً لفظاً وموضعاً إعراباً ظاهراً أو مُقدَّراً ، أو مُعرَبةً موضعاً مبنيةً لفظاً ، أو مبنيةً لفظاً وموضعاً ، وأنَّها واقعةٌ في مواضعِها التي يقتضيها لها الترتُّبُ التعقليُّ للمعاني أو لا ، التزاماً لذٰلكَ ودونَهُ ، وأنَّها ملفوظةٌ بأسرِها أو لا كذٰلكَ

والأغراضُ المُترتِّبةُ علىٰ إيرادِ التراكيبِ في تلكَ الصورِ هيَ مباحثُ عِلْمِ المعاني ، ولكونِ تلكَ الصُّورِ في نظرِ صاحبِ عِلْمِ المعاني لأغراضٍ لم تكنْ عندَهُ صورةٌ غيرُ مُلتزَمةٍ ، والنحويُّ لمَّا لم يكنْ باحثاً عن تلكَ الأغراضِ ، ورأى التركيبَ تارةً وتارةً أثبتَ الجوازَ ؛ فتَتبَّعَ أجزاءَ التراكيبِ بضبطِها ضبطاً نوعيّاً ، ومَيَّزَ كُلّاً باسمٍ مناسبٍ يَخُصُّهُ ، فخرجَتْ لهُ مِنْ ذٰلكَ أبوابٌ وفصولٌ ، ثمَّ كما تَتبَّعَ أجزاءَ التراكيبِ تَتبَّعَ أنفسَ التراكيبِ بالكيفيةِ التي تَتبَّعَ بها الأجزاءَ

وعلىٰ ذٰلكَ تمَّ لهُ فنٌّ ضبطَ بهِ اللُّغةَ العربيةَ ضبطاً أصليّاً لازماً ؛ إذ بهِ

(١) انظر (١/٣٢٩)

تبقى اللُّغةُ التي بها وصلَ إلينا دينُنا محفوظاً مَحُوطاً أن يَدخُلَهُ شائبةُ تغييرٍ أو زحزحةٌ عن مُستقَرِّ

فرحمَ اللهُ أولـئكَ المجتهدينَ في تأييدِ هـٰذا الدِّينِ المتينِ ، صلواتُ اللهِ وتسليماتُهُ علىٰ مَنْ جاءَ بهِ وعلىٰ تابعيهِ أجمعينَ



[الإخبارُ بـ (الذي) والألفِ واللَّامِ]

وقد جرتْ عادةُ النحويينَ أن يضعوا باباً لاختبارِ حافظةِ الطَّلَبةِ وتمرينِهِم على استعمالِ تلكَ القوانينِ التي صرفوا لتحصيلِها صدراً مِنْ نفيسِ أعمارِهِم ، واحتملوا لهُ بعضَ الخروجِ عن مألوفِ النفوسِ ، وسمَّوهُ الإخبارَ بـ (الذي) والألف واللَّام

وصورةُ ذٰلكَ أنْ يسألَكَ سائلٌ كيفَ تُخبِرُ بـ (أل) أو بـ (الذي) عن (زيدٍ) مِنْ مررتُ بزيدٍ ؟ فتجيبُهُ المَمرورُ بهِ لي زيدٌ ، أوِ الذي مررتُ بهِ زيدٌ

وبيانُ ذٰلكَ أنَّ غَرَضَ السائلِ أن يأتيَ بتركيبٍ ما ، ويَطلُبَ منكَ أن تُحوِّلَهُ إلىٰ صورةِ التركيبِ الذي تُخبِرُ فيهِ عنِ الموصولاتِ

وضابطُهُ أن تأتيَ بأحدِ الموصولاتِ حَسَبَ الاقتضاءِ وتَجعلَهُ مبتدأً ، وتجعلَ الاسمَ الذي قيلَ (كيفَ تخبرُ عنهُ) خبراً عن ذٰلكَ المبتدأ ، بعدَ أن تضعَ موضعَهُ ضميراً مُطابِقاً يكونُ خلَفاً منهُ

فيظهرُ لكَ حينَئذٍ أنَّ قولَهُم (أَخبِرْ بـ « الذي » عن زيدٍ) فيه قلبٌ ، ووجهُهُ أَخبِرْ عنِ (الذي) بزيدٍ ، ومِنَ التكلُّفِ أن تُجعَلَ الباءُ للآلةِ ، وأنَّ الإخبارَ في الحقيقةِ عن ذٰلكَ الاسمِ ؛ لأنَّ ذٰلكَ التركيبَ الذي يُرادُ التحويلُ إليهِ في هٰذا البابِ تركيبٌ مقصودٌ ، جُعِلَ فيهِ المُسنَدُ إليهِ مِنَ الموصولاتِ لأحدِ الأغراضِ المُبيِّنةِ لهُ في عِلْمِ المعاني

فإذا عرفتَ أنَّ الغَرَض تأخيرُ اسمٍ مِنَ التركيبِ لتجعلَهُ خبراً ، وأن تضعَ مكانَهُ ضميراً ، وأن تأتيَ بموصولٍ تُصدِّرُهُ وتَجعلُهُ مبتدأً أطلقتَ فكرَكَ

في القواعدِ التي حفظتَها ، فقلتَ في نفسِكَ إنَّ تأخيرَ الاسمِ يُوجِبُ ألَّا يكونَ مِنَ الأسماءِ التي يجبُ تصديرُها ، وأنَّ رفعَهُ خبراً يُوجِبُ ألَّا يكونَ مِنَ الأسماءِ التي تَلزمُ حالةً واحدةً ؛ كالمصادرِ الملازمةِ للنصبِ ، والظروفِ غيرِ المُتصرِّفةِ ، وألَّا يكونَ جزءَ مُركَّبٍ ذي معنىً واحدٍ ، وأنَّ وضعَ الضَّميرِ موضعَهُ يُوجِبُ ألَّا يكونَ مِنْ أجزاءِ التراكيبِ التي يجبُ أن تكونَ نكراتٍ أو أسماءً ظاهرةً ، وأن يكونَ بحيثُ يَصِحُّ وضعُ الضَّميرِ موضعَهُ ؛ بألَّا يكونَ مُضافاً ، ولا موصوفاً ، ولا مَصدراً عاملاً ؛ إذِ الضَّميرُ لا يُضافُ ، ولا يُوصَفُ ، ولا يَعملُ ، وألَّا يَحصُلَ بذٰلكَ العملِ فسادٌ في التركيبِ ؛ بحيثُ لا يكونُ مفيداً ، وأنَّ الإتيانَ بالموصولِ ليكونَ مبتدأً يُوجِبُ أن تكونَ الجملةُ التي يُطلَبُ فيها إجراءُ ذٰلكَ صالحةً لأن تكونَ صلةً ، وأن يمكنَ صَوْغُ صلةٍ منها لـ (أل) حيثُ يكونُ الإخبارُ عنها

فحينَئذٍ متىٰ سألَكَ سائلٌ كيفَ تُخبِرُ عن كذا ، وكانَ اسمَ استفهامٍ ، أوِ اسمَ شرطٍ ، أو ضميرَ شأنٍ ، أو مبتدأً ، أو مثلَ معاذَ اللهِ ، وعندَ ولدىٰ ، أو حالاً ، أو تمييزاً ، أو مخفوضاً بـ (رُبَّ) أو بـ (حتىٰ) أو بـ (مذ) إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا تَمنعُ القواعدُ أن يكونَ عليهِ التركيبُ الذي تُحوِّلُ إليهِ المُركَّبَ الذي يُطلَبُ منكَ تحويلُهُ قلتَ لا يمكنُ الإخبارُ ؛ للمانعِ الذي هوَ كذا

مثلاً يُقالُ لكَ أَخبِرْ عنِ الصَّديقِ الخَصيصِ والعدوِّ البغيضِ مِنْ قولِكَ كانَ زيدٌ الصديقَ الخصيص والأيامُ باسمةٌ ، ثمَّ صارَ العدوَّ البغيض وهيَ كاشرةٌ فتقولُ الذي كانَهُ ـ أو إيَّاهُ ـ زيدٌ والأيامُ باسمةٌ الصَّديقُ الخَصيصُ ، ثمَّ الذي صارَهُ ـ أو إيَّاهُ ـ وهيَ كاشرةٌ العدوُّ البغيضُ

ويُقالَ لكَ أَخبِرْ عن رجلٍ مِنْ قولِكَ رُبَّ رجلٍ يَعرِفُ فضلَ العِلْمِ

والتهذُّبَ وحُسْنَ السيرةِ   فتقولُ لا يمكنُ ؛ لأنَّ التركيبَ يصيرُ هٰكذا الذي رُبَّهُ يَعرِفُ   رجلٌ ، فيلزمُ أن يكونَ مخفوضُ (رُبَّ) معرفةً ، وهوَ غيرُ سائغٍ

وعليكَ بالفكرِ في القياسِ واستخراجِ ما يمكنُ فيهِ ذٰلكَ العملُ وما لا يمكنُ ، وقدِ التزمتُ شِدَّةَ الاختصارِ في هٰذا الموضعِ ؛ إبقاءً لفكرِكَ بسطَهُ وتفصيلَهُ حَسَبَ ما تَحصَّلَ معَكَ مِنَ الأحكامِ ومعرفةِ العملِ في هٰذا البابِ

وبعضُ النحويينَ أوردَ هٰذا البابَ عندَ الكلامِ على المبتدأ والخبرِ ، وبعضُهُم عندَ الكلامِ على الموصولِ ؛ مخالفةً لوضعِ المُتقدِّمينَ لهُ في هٰذا الموضعِ ، ونِعْمَ ما صنعَ المُتقدِّمونَ ؛ فإنَّ الغَرَض بهِ ـ كما عرفتَ ـ اختبارُ حفظِكَ لسائرِ قواعدِ الفنِّ

مسألةٌ

[في الطَّلَبِ بكلمتَي (أيٍّ) و(مَنْ)]

كلمتا (أيٍّ) و(مَنْ) إذا طلبتَ بهِما مِنَ المُخاطَبِ تعيينَ مرادِهِ بنكرةٍ أوردَها في كلامِهِ   حكيتَ بالأُولىٰ وصلاً ووَقفاً صورةَ تلكَ النكرةِ مِنَ الإفرادِ والتذكيرِ وفروعِهِما ، وحَرَّكتَ آخِرَها ، وبالثانيةِ وَقفاً فقطْ

فتقولُ أيٌّ وأيَّةٌ بثلاثِ الحركاتِ ، وأيَّانِ وأيَّتانِ وأيَّينِ وأيَّتَينِ ، وأيَّاتٌ ؛ حيثُ تكونُ النكرةُ جمعاً لا يَصلُحُ أن يُوصَفَ بجمعِ مُذكَّرٍ سالمٍ ، وأيُّونَ وأيِّينَ ؛ حيثُ تكونُ النكرةُ جمعَ مُذكَّرٍ سالمٍ ، أو جمعاً يَصلُحُ وصفُهُ بهِ ، مُوزِّعاً ذٰلكَ حَسَبَ ما عرفتَ

وتقولُ مَنُو ومَنَا ومَنِي ، بثلاثِ الحركاتِ وإشباعِها ، ومَنَانْ ومَنَينْ ومَنُونْ ومَنَهْ بفتحِ النونِ ، ومَنْتانْ ومَنْتَينْ بسكونِ النونِ ، ومَنَاتْ

و(أيٌّ) علىٰ إعرابِها ، و(مَنْ) علىٰ بنائِها ، فلواحقُ الثانيةِ مِنَ الحركاتِ والحروفِ للحكايةِ اتفاقاً ، وفي لواحقِ الأُولىٰ خلافٌ ، وعلى القولِ بكونِها إعراباً يكونُ الخافضُ عندَ حكايةِ الخفضِ محذوفاً ، وعلى القولِ بكونِها للحكايةِ فضَمَّةُ (أيِّ) مُقدَّرةٌ ؛ لكونِها حينَئذٍ مبتدأً

وإذا أوردَ مُخاطَبُكَ في كلامِهِ عَلَماً مُشتَرَكاً وطلبتَ تعيينَهُ بـ (مَنْ) دونَ أن تَقرُنَها بـ (واوٍ) أو (فاءٍ) ، وجئتَ بعدَها بلفظِ العَلَمِ غيرَ متبوعٍ إلَّا بعطفِ نسقٍ أو وصفٍ بابنٍ أوِ ابنةٍ جازَ لكَ أن تَنطِقَ بهِ علىٰ صورتِهِ في كلامِ المُخاطَبِ ، فضمَّتُهُ مُقدَّرةٌ ؛ لكونِهِ مبتدأً أو خبراً ، والأفصحُ أن تَنطِقَ بهِ حَسَبَ الاقتضاءِ



الخاتمةُ

[في خلاصةِ ما تقدَّمَ]

قد عرفتَ أنَّ إفادةَ الكلامِ ما يُرادُ بهِ مُرتبطةٌ بهيئتِهِ الصَّحيحةِ ، وذٰلكَ لا يَخُصُّ لغةً دونَ لغةٍ ، ولذٰلكَ احتاجَتْ كلُّ لغةٍ لوضعِ فنونٍ لضبطِ صورِها الصَّحيحةِ ، وكانَتِ اللغةُ العربيةُ أشدَّ احتياجاً لذٰلكَ ؛ بسببِ الإعرابِ والبناءِ وغيرِهِما

ولم يكنْ للعربِ خلا عربِ اليمنِ عِلْمٌ بالكتابةِ ، وإنَّما دخلَتْ فيهِم بعدَ وُرودِ الإسلامِ الذي جمعَ بينَ الأُممِ ، وأوجبَ اختلاطَ الكافَّةِ ، فاحتاج كلٌّ لمعرفةِ كلٍّ ، فكتبَتِ العربُ أحرفاً دالَّةً علىٰ مادَّةِ اللفظِ دونَ صورتِهِ ؛ لاستغنائِهِم بصحَّةِ لغتِهِم

ثمَّ تَنبَّهَ الحَجَّاجُ بنُ يوسفَ ، فنقطَ المصحفَ ؛ حيثُ دخلَ الاشتباهُ ، وحصلَ اللحنُ بالسببِ الذي سبقَ شرحُهُ ، وجرى العملُ على الكتابةِ دونَ شكلٍ يُعرِّفُ صورَ الألفاظِ ، فاشتدَّتِ الحاجةُ لتحصيلِ طريقةٍ بمعرفتِها تُضبَطُ صورةُ اللغةِ ، ولوِ اشتملَتِ الكتابةُ علىٰ ما يَدُلُّ علىٰ صورِ الألفاظِ لَبقيَتْ لغةُ العربِ صحيحةً ، ولم يَدخُلْها كلُّ ذٰلكَ التغييرِ المشهودِ في لسانِ مَنْ يَتكلَّمُ باللغةِ العربيةِ ؛ وهُم ـ كما سلفَ ـ أهلُ مصرَ ومغربِها والشأمِ والحجازِ واليمنِ [1] ، ولم يَطُلْ فنُّ النحوِ هٰذا الطُّولَ

ولٰكنْ لمَّا لم يكنْ ذٰلكَ قامَتْ طائفةٌ مِنْ عقلاءِ الأُمَّةِ مجتهدينَ في تحصيلِ الطُّرقِ التي تَنضبِطُ بها اللغةُ العربيةُ مِنْ كلِّ وجهٍ ، فتَحصَّلَتِ

(١) انظر (١/١٠٦)

العلومُ العربيةُ المُسمَّاةُ بالفنونِ الأدبيَّةِ نسبةً إلى الأدبِ ؛ وهوَ تعويدُ المُتحرّكِ بالإرادةِ على الحركاتِ المُستحسَنةِ الموافقةِ لِمَا جُعِلَ ذٰلكَ المُتحرّكُ لهُ

فلا تظنَّ أنَّ الأدبَ ـ كما تُوهِمُهُ الشُّهرةُ ـ هوَ الأشعارُ والنوادرُ والحكاياتُ وما أشبهَ ذٰلكَ ، ولا أنَّ الأدبَ خاصٌّ بالإنسانِ ، بل هوَ كما يَقتضيهِ تعريفُهُ عامٌّ لكلِّ حيٍّ ؛ فلكلِّ حيٍّ أدبٌ يليقُ بهِ

فأدبُ الإنسانِ تَعوُّدُهُ الأحوالَ التي يصيرُ بها نافعاً لنفسِهِ ولأهلِ الأرضِ المنفعةَ التي يمكنُهُ القيامُ بها في طائفتِهِ المُشارِكةِ لهُ في ذٰلكَ ، حَسَبَ الأوضاعِ الإلٰهيَّةِ ، حيثُ خلقَ كلَّ نوعٍ وخَصَّهُ بأعمالٍ ، وجعلَ نوعَ الإنسانِ هوَ النوعَ الرئيسَ المُدبّرَ لبقيَّةِ الأنواعِ ، فكَثُرَتْ أعمالُهُ ، واقتضى الحالُ تقسيمَهُ طوائفَ مُوزَّعةً عليها أنواعُ الأعمالِ ، مربوطاً بذٰلكَ حفظُ حياتِهِم وحسنُ معيشتِهِم ، ولهٰذا المعنى الإشارةُ بقولِهِ جلَّ ذكرُهُ ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ ﴾[١]

وأدبُ الجَمَلِ تَعوُّدُهُ البُروكَ حيثُ يُرادُ منهُ ، ونهوضُهُ بالأثقالِ المحمولةِ عليهِ ، وانقيادُهُ بتلكَ السَّلاسةِ وهٰكذا

وأدبُ حِمارِ الرُّكوبِ التصاقُهُ بسَلَمِهِ ، وامتثالُهُ لتحريكاتِ اللّجامِ وهلمَّ

إلَّا أنَّ للأدبِ أصولاً هيَ بمنزلةِ الأغذيةِ ، وفُروعاً هيَ بمنزلةِ الفواكهِ ، ولكَ التشبيهُ بصورةِ الإنسانِ مثلاً ؛ فوجودُهُ حيّاً بعِظامِهِ وعُروقِهِ وجميعِ ما لا بدَّ منهُ في الحياةِ ، وجَمالُهُ بأمورٍ لا تزولُ الحياةُ بزوالِها ؛ كالشَّعرِ الأسودِ

---

(١) سورة الزخرف (٣٢)

الأثيثِ المُسترسِلِ ، واللَّونِ الوَسَطِ ، وتناسُبِ الأعضاءِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأمورِ المشروحةِ في الغزلِ

فأصولُ الأدبِ لطائفةِ النَّجَّارِ مثلاً معرفةُ إمساكِ القَدُومِ والمِنشارِ والفأرةِ والمِخرازِ والمِنقرةِ ، واستعمالُ تلكَ الآلاتِ لتحصيلِ ما بِهِ الوقايةُ مِنَ الحرِّ والبردِ والأمنِ مِنَ اللِّصِّ وخروجِ الحيوانِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، وفروعُهُ النقوشُ ، والتحليةُ ، والعملُ على الحسابِ ، ورعايةُ التناسبِ بينَ أنواعِ مصنوعاتِهِ ؛ فالشُّبَّاكُ العالي يناسبُهُ ما لا يناسبُ الشُّبَّاكَ السافلَ ، وبابُ الدارِ لا يكونُ كبابِ أحدِ بيوتِها ، وبابُ القاعةِ الكبيرةِ غيرُ بابِ المبيتِ

وعليكَ الفكرُ ؛ فعلىٰ ذٰلكَ تعرفُ أنَّ أصولَ أدبِ طائفةِ العلماءِ أن يَعرِفوا الكتابةَ والقراءةَ ، وصحةَ الكلامِ مادَّةً وصورةً ، وَيتعقَّلُوا كيفيةَ تحصيلِ المعاني الأصليَّةِ التي تفيدُها أنفسُ التراكيبِ ؛ وذٰلكَ بمعرفةِ ما قبلَ علومِ البلاغةِ ومقاصدِها مِنْ علومِ العربيةِ ، وهوَ ما سبقَ تلخيصُهُ



وكانَ العملُ في تعليمِ تلكَ الفنونِ وتعلُّمِها في صدرِ الإسلامِ أن يَنتخِبَ الشيخُ بعضَ الأشعارِ والخُطَبِ والمحاوراتِ ، ويلقيَها لتلامذتِهِ يَتحفَّظُونَها ويَتصوَّرونَ هيئاتِها الإفراديةَ والتركيبيةَ عملاً مُستمِرّاً ، حتىٰ يَحصُلَ للتلميذِ صورةٌ خياليَّةٌ تكونُ لهُ معياراً وقانوناً بما تقتضيهِ ، يَتكلَّمُ حكايةً وإنشاءً وإنشاداً

ولم يكنْ ذٰلكَ كافياً للضَّبطِ المطلوبِ ؛ لِمَا فيهِ مِنَ الاعتمادِ على الحافظةِ التي هيَ عُرْضةٌ لتغييراتِ حوادثِ الأيامِ ، فجَهَدوا في وضعِ القواعدِ

وابتداءُ ذٰلكَ ـ كما سلفَ ـ لأميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، واستعملَ أبا الأسودِ الدُّؤليَّ في البناءِ علىٰ ما أَسَّسَ لهُ ، فعملَ ما يَسَّرَ اللهُ لهُ

ثمَّ أخذَ الناسُ في تتميمِ ذٰلكَ ؛ مثلُ أبي عمرٍو ، وعبدِ الملكِ الأصمعيِّ ، حتَّىٰ وضعَ عمرُو بنُ بشرٍ المشهورُ بسيبويهِ[١] كتابَهُ الذي صارَ الإمامَ في ذٰلكَ الفنِّ ، وصارَ « الكتابُ » لهُ عَلَماً بالغَلَبةِ ، فأقبلَ الناسُ علىٰ قراءتِهِ وشرحِهِ وبيانِ معانيهِ

ومعَ ذٰلكَ لم يتركوا الحالَ الأُولىٰ ، بل جمعوا بينَ معرفةِ القواعدِ وحفظِها واستعمالِها ، وقراءةِ دواوينِ العربِ ومحاوراتِهِم ، متفاوتينَ في ذٰلكَ حَسَبَ الاقتضاءِ ؛ فمَنْ يسعىٰ ليكونَ مُعلِّماً لايكونُ كأولادِ الملوكِ ، ومَنْ يسعىٰ ليكونَ في إحدى الخَدَمِ السُّلطانيَّةِ لا يكونُ كمَنْ يريدُ التفقُّهَ في الدِّينِ ليجتهدَ في تحصيلِ مذهبٍ يَستخرِجُهُ مِنْ أصولِ الدِّينِ المجملةِ ، التي يَحتاجُ مَنْ يريدُ استخراجَ أحكامِ الحوادثِ منها إلىٰ إعمالِ فكرٍ ، ودِقَّةِ نظرٍ ، وتحصيلِ علومٍ شتَّىٰ ، أو ليتولَّىٰ إفتاءً أو قضاءً وهَلُمَّ

ونِعْمَ ما كانوا يصنعونَ ، وعلىٰ ذٰلكَ جرىٰ عملُ الناسِ ، حتىٰ بلغَ العِلْمُ غايةَ قُوَّتِهِ ، ثمَّ أخذَ الناسُ في الاقتصارِ علىٰ معرفةِ بعضِ القواعدِ دونَ استعمالٍ ، ونظروا إلى الآلاتِ نظرَ المقاصدِ ، واقفينَ عندَ ذٰلكَ الحدِّ ، فصارَتْ علومُهُم بمنزلةِ حبوبٍ تُخزَنُ في أماكنَ صالحةٍ لذٰلكَ أو غيرِ صالحةٍ ؛ حتىٰ تصيرَ تراباً ، ويَنقلِبَ بعضُها حشراتٍ وهوامَّ بشعةَ المناظرِ ، رديئةَ الأعمالِ ، مُؤذيةً بلدغِها ونَتْنِ رائحتِها ، فما يَستحِقُّهُ ذٰلكَ مِنَ اللَّومِ والتعنيفِ والمقتِ مِنَ اللهِ والناسِ يَستحِقُّهُ أولـٰئكَ الناسُ الذينَ يَتظاهرونَ بدعاوىٰ غيرِ مُدلَّلةٍ

---

(١) في « سير أعلام النبلاء » (٣٥١/٨) (عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر)

وَٱلدَّعَاوَىٰ مَا لَمْ يُقِيمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ أَبْنَاؤُهَا أَدْعِيَاءُ [1]

فالطَّريقةُ المُثلىٰ ـ كما سبقَ تنبيهُكَ عليهِ وإرشادُكَ لهُ [2] ـ أن يبتدئَ الطالبُ بتحصيلِ الفنونِ الأصليَّةِ صافيةً نقيَّةً مِنَ الشُّبُهاتِ والاعتراضاتِ، وإيرادِ العباراتِ المنقوضةِ؛ تَحفُّظاً لها، وعملاً بها فيما يَرِدُ عليهِ أثناءَ ذٰلكَ مِنَ الكتبِ التي يَتعلَّمُ بها، والأشعارِ المُضمَّنةِ فيها

فإذا أتقنَ ذٰلكَ واعتادَ لسانُهُ أن يَنطِقَ بالكَلِمِ العربيةِ كما كانَتِ العربُ تَنطِقُ بها انتقلَ إلىٰ معرفةِ الفنونِ البلاغيَّةِ التي يستفيدُ بها دقائقَ المعاني الإشاريَّةِ الملحوظةِ وراءَ المعاني الأصليَّةِ؛ ليبلغَ بذٰلكَ درجةَ إتقانِ الإنشاءِ حَسَبَ اقتضاءِ الأحوالِ، فارقاً بينَ كلِّ مَقامٍ وغيرِهِ؛ فخُطبةُ المِنبرِ غيرُ خُطبةِ عَقدِ الصُّلحِ، وهما غيرُ خُطبةِ رفعِ المُهادنةِ ونبذِ العهدِ، وهيَ غيرُ خُطبةِ الإملاكِ، والعباراتُ عن صيغِ العقودِ والشهاداتِ والمشارطاتِ غيرُ عباراتِ التعزياتِ والتهنئاتِ والبشاراتِ وهٰكذا

وطريقُ الوصولِ إلىٰ ذٰلكَ معرفةُ الفنونِ البلاغيَّةِ، وكثرةُ القراءةِ في منشآتِ المُتقدِّمينَ على اختلافِ أنواعِها؛ بتعقُّلٍ لسياقاتِها ومسالكِها، ومباديها وأوساطِها وغاياتِها، معَ الصبرِ علىٰ ذٰلكَ والتأنِّي في تَعقُّلِهِ، كما قيلَ [3] [من البسيط]

لَا تَحْسَبِ ٱلْمَجْدَ تَمْراً أَنْتَ آكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ تَلْعَقَ ٱلصَّبِرَا

(١) من الخفيف، وانظر «ديوان البوصيري» (ص ٦٣)

(٢) تقدم (١/٥٣٩)

(٣) انظر «شرح الحماسة» للتبريزي (٤/٤٠)

وقيلَ [1] [من الطويل]

وَمَنْ يَصْطَبِرْ لِلْعِلْمِ يَظْفَرْ بِنَيْلِهِ وَمَنْ يَخْطُبِ ٱلْحَسْنَاءَ يَصْبِرْ عَلَى ٱلْبَذْلِ
وَمَنْ لَمْ يُذِلَّ ٱلنَّفْسَ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَا يَسِيراً يَعِشْ دَهْراً طَوِيلاً أَخَا ذُلِّ

وكما قيلَ [2] [من السريع]

اُطْلُبْ وَلَا تَضْجَرَ مِنْ مَطْلَبٍ فَآفَةُ ٱلطَّالِبِ أَنْ يَضْجَرَا
أَمَا تَرَى ٱلْحَبْلَ بِتَكْرَارِهِ فِي ٱلصَّخْرَةِ ٱلصَّمَّاءِ قَدْ أَثَّرَا

وقيلَ [3] [من المنسرح]

مَا وَهَبَ ٱللهُ لِٱمْرِئٍ هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ
هُمَا حَيَاةُ ٱلْفَتَىٰ فَإِنْ فُقِدَا فَفَقْدُهُ لِلْحَيَاةِ أَلْيَقُ بِهْ

وزمنُ التحصيلِ هوَ زمنُ أنفَسِ العمرِ ؛ حيثُ تكونُ الشبيبةُ مشبوبةً ، والقُوىٰ مُستكمَلةً ، والرُّوحُ فرِحاً بامتثالِ أمرِهِ ونهيِهِ ؛ وذٰلكَ يُوجِبُ الإعراض عنِ الشهواتِ ، والإغماض عن كثيرٍ مِنَ اللذَّاتِ ، كما كانَ يقولُ أحدُ شيخَيِ الحديثِ مسلمُ بنُ الحَجَّاجِ النيسابوريُّ بعدَ كَتْبِهِ ما يَتحصَّلُ لهُ مِنْ نتائجِ أعمالِهِ وفرائدِ مكابداتِهِ (لا يُنالُ العِلْمُ براحةِ الجسمِ) [4]

فيَحصُلُ الطالبُ المُجتهِدُ علىٰ ذٰلكَ الحدِّ علىٰ أمرٍ قَلَّما يكونُ في حسابِهِ وتحتَ نظرِهِ ؛ وهوَ أنَّهُ إذا مَسَّهُ بعضُ الضَّعفِ اللّازمِ لخِلقةِ الحيوانِ ، واحتاجَ إلىٰ سكونِ راحةٍ ، وتَحفَّظَ مِنْ آلامِ أمورٍ لم تكنْ تُؤَثِّرُ فيهِ أيامَ التهابِ

(١) البيتان لابن هشام الأنصاري ، كما في « بغية الوعاة » (٢/٦٩)

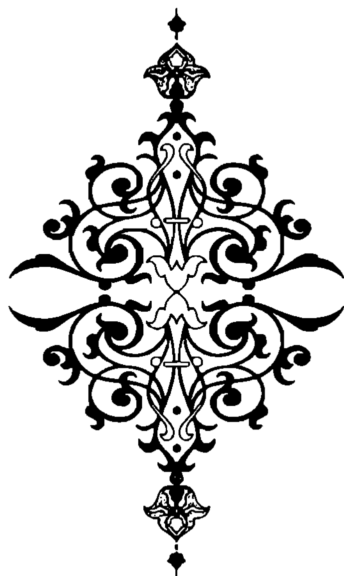
(٢) انظر « المزهر » (٢/٣٠٣)

(٣) انظر « معجم الأدباء » (١/٧٠)

(٤) صحيح مسلم (٦١٢/١٧٥) عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالىٰ من قوله بلفظ (لا يستطاع العلم ...)

شبيبتِهِ تأثيرَها فيهِ أيامَ تخامدِها واستيلاءِ ضدِّها عليهِ ؛ مِنْ يابسِ البردِ ، وبِلَّةِ الرُّطوبةِ وجدَ مأوىً كافياً ، ومَلبساً واقياً ، وخدمةً مريحةً ، وما يعينُهُ على عبادةِ ربِّهِ وسَدادِ رأيِهِ الذي يكونُ إذ ذاكَ وظيفتَهُ المُرادةَ منهُ ، بها ينتفعُ وينفعُ أُمَّتَهُ ، ويكونُ في تلكَ الحالةِ مُستقِرّاً في الرتبةِ النبويَّةِ التي ليسَ وراءَها رتبةُ شرفٍ

وبالله التّوفيق لأقوم طريق



خاتمة الطبع

يقولُ المفتقرُ إلىٰ ألطافِ ربّهِ المَنَّانِ ، عبدُه أحمدُ مروانَ

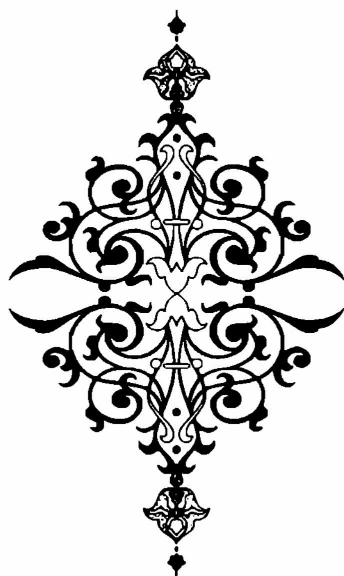
قد تمَّ بحمدِ اللهِ الجزءُ الأولُ مِنَ « الوسيلةِ الأدبيةِ للعلومِ العربيةِ »[١] ، ويليهِ الجزءُ الثاني ؛ أولُهُ المقصدُ الثالثُ في فنونِ البلاغةِ ، تأليفُ الفاضلِ الأمجدِ ، والأستاذِ الأوحدِ ؛ حضرةِ العلَّامةِ الشيخِ حسينِ المَرْصَفيِّ ؛ وذٰلكَ في عهدِ نظارةِ صاحبِ المعارفِ السنيةِ ؛ دولتلو محمد طوسون باشا ، ناظرِ عمومِ المدارسِ والأوقافِ المصريةِ ، ومستشاريةِ الإمامِ الجليلِ سعادة حسن باشا راسم

وصارَ هٰذا الطبعُ بملاحظةِ حائزِ قصبِ السبقِ في ميادينِ البراعةِ ، ناظرِ قلمِ الروضةِ ومطبوعاتِ المعارفِ علي فهمي رفاعة ، بمطبعةِ المعارفِ الملكيةِ ، سنةَ ألفٍ ومئتَينِ واثنتَينِ وتسعينَ هجريةٍ

وأزكى الصلاةِ وأتمُّ السلامِ ، على النبيِّ وآلِهِ وأصحابِهِ الأئمَّةِ الأعلامِ ، آمين



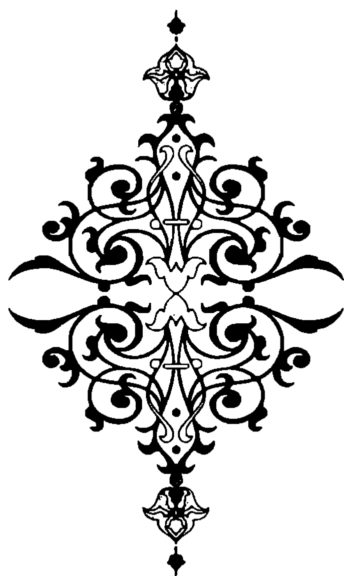
(١) كذا في نسخة الأصل ، وقد أثبت فيها عنوان الجزء الأول « الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية » بإثبات (إلىٰ) بدل اللام ، فليتنبه



تمّ المجلّد الأوّل

ويليه المجلّد الثّاني

وأوّله : (المقصد الثّالث في فنون البلاغة)



محتوى المجلد الأول

القسم الأوّل

في فقه اللّغة ١١٣



الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

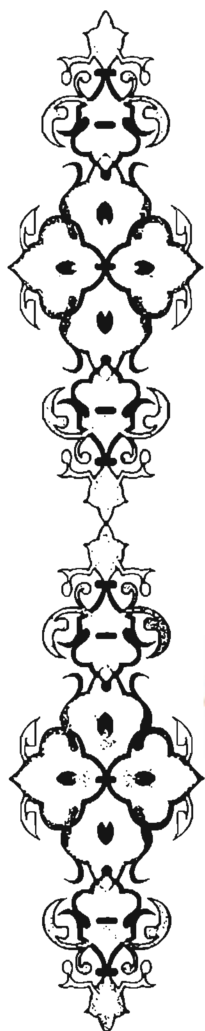
مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمه الله تعالى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

المجلد الثاني

دار المنهاج




الوسيلة الأدبية
إلى العلوم العربية
٢


بسم الله الرحمن الرحيم

الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حُسين بن أحمد بن حُسين المرصفي

مدرِّس العُلوم العربيَّة وعُلوم الأدب بدار العُلوم الخديويَّة المصريَّة

رحمهُ الله تعالى

(ت ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م)

عني به

الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل





الطَّبْعَة الأولى

١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م

دار المنهاج للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ـ جدة

حي الكندرة ـ شارع الملك فهد ـ جانب البنك الفرنسي

هاتف رئيسي 00966 12 6326666

المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392

ص . ب 22943 ـ جدة 21416

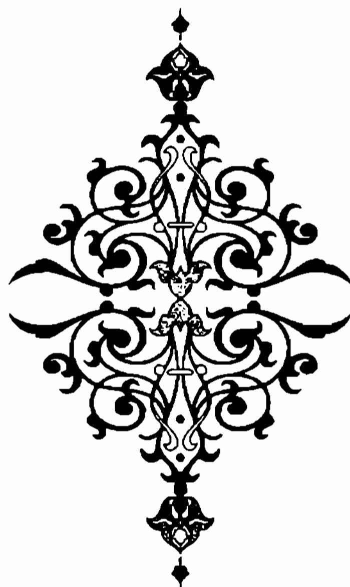
www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

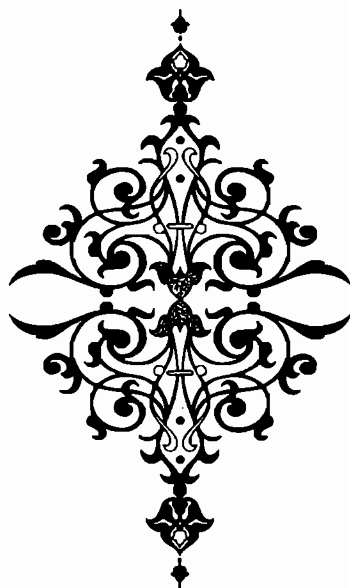
ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6

«الوسيلة الأدبيّة» أنشأت أكثر من شوقي وحافظ
وبعثت الشّعر من مرقده
وأحيت للأدب العربيّ دولةً جديدة

الأمير شكيب أرسلان



المقصد الثّالث
في فنون البلاغة



[توطئةٌ]

[في تاريخِ تدوينِ فنونِ البلاغةِ]

اعلمْ أنَّ هٰذهِ الفنونَ وغيرَها مِنْ علومِ العربيةِ كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ إنَّما تَحصَّلَتْ لباذلي هممِهِم في تحصيلِها ؛ بتتبُّعِ الكَلِمِ العربيِّ ، يسمعونَهُ منهُم ، ويَروُونَهُ عنهُم

وأوَّلُ مَنْ تَنبَّهَ لاستخراجِ هٰذهِ الفنونِ واتخاذِها مِعياراً لصناعةِ الكلامِ حَسَبَ ما تقتضيهِ الشاعرانِ الشهيرانِ مسلمُ بنُ الوليدِ ، وأبو تمامٍ حبيبُ بنُ أوسٍ الطائيُّ ، ولٰكنْ لم يُدوِّناها ، وإنَّما كانا يَتحدَّثانِ بها ، ويُسمِّيانِها البديعَ ، ولمَّا أكثرا مِنِ استعمالِ مقتضياتِها ، وتبعَهُما بعضُ شعراءِ ذٰلكَ العصرِ غالبَ ميلِهِم معَ زخرفةِ الألفاظِ كما سينكشفُ لكَ في فنِّ البديعِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ أخذَ الشعرُ هيئةً غيرَ هيئتِهِ العربيةِ ، حتَّىٰ إنَّ فحولَ الشعراءِ إذ ذاكَ كانوا يقولونَ قد أفسدَ هٰؤلاءِ الشعرَ بذٰلكَ الشيءِ الذي يُسمُّونَهُ البديعَ (١)



ولم يزلْ يتزايدُ الحديثُ في ذٰلكَ إلىٰ أن جاءَ عبدُ اللهِ بنُ المُعتزِّ وقُدامةُ الكاتبُ ، فوضعَ كلٌّ منهُما موضوعاً لطيفاً ، ثمَّ اتسعَ القولُ فيهِ بعدُ ، وأقبلَ عليهِ كُتَّابُ الإنشاءِ ، وسَمَّوهُ البيانَ



(١) كذا في « الأغاني » (٢١/٧٢٦٤)

وهٰذا أُنموذجُ تأليفِ الأوائلِ في هٰذهِ الفنونِ

ابتدأَ بعضُهُم كتابَهُ بقولِهِ : (البلاغةُ علىٰ عشرةِ أقسامٍ : الإيجازُ ، والتشبيهُ ، والاستعارةُ ، والتلاؤمُ ، والفواصلُ ، والتجانسُ ، والتصريفُ ، والتضمينُ ، والمبالغةُ ، وحسنُ البيانِ)(١) ، ثُمَّ أخذَ في بيانِ كلٍّ منها ، والاستشهادِ عليهِ ، وذكرِ تفاوتِ البلغاءِ فيهِ

ولمَّا اتسعَتْ دائرةُ القولِ في العلومِ الفلسفيَّةِ بينَ المسلمينَ ، حتىٰ أفضىٰ بهِمُ التكلُّمُ في تخليصِ العقائدِ الإسلاميةِ وإزاحةِ الشُّبَهِ عنها ، إلىٰ كشفِ حقيقةِ النبوةِ وبيانِ جهةِ إعجازِ القرآنِ   رأى الناسُ نفعَ هٰذهِ الفنونِ في معرفةِ إعجازِ القرآنِ ، الذي هوَ برهانُ الدِّينِ الحقِّ ، فصارَ مِنَ العلومِ الدينيَّةِ ، واشتغلَ بها طائفةٌ مِنَ الناسِ ، وأكثروا فيها مِنَ التآليفِ ، وأوَّلُهُمُ الشيخُ عبدُ القاهرِ

وبحَسَبِ اختلافِ جهاتِ البحثِ مَيَّزوا الفنونَ وخصُّوا كلّاً بلقبٍ ؛ وهيَ ثلاثةُ فنونٍ : فنٌّ يَبحثُ عنِ الألفاظِ مِنْ حيثُ كونُها مُستعمَلةً في معانيها التي وُضِعَتْ لها أو فيما يناسبُها اعتماداً على المناسباتِ ، وسَمَّوهُ   فنَّ البيانِ ، وفنٌّ يَبحثُ عنِ المُركَّباتِ مِنْ حيثُ تختلفُ صورُها لاختلافِ الأغراضِ منها ، وسَمَّوهُ   فنَّ المعاني ، وفنٌّ يَبحثُ عن أحوالٍ تَعرِضُ للكلامِ فتكسبُهُ حُسْناً ، وسَمَّوهُ   البديعَ

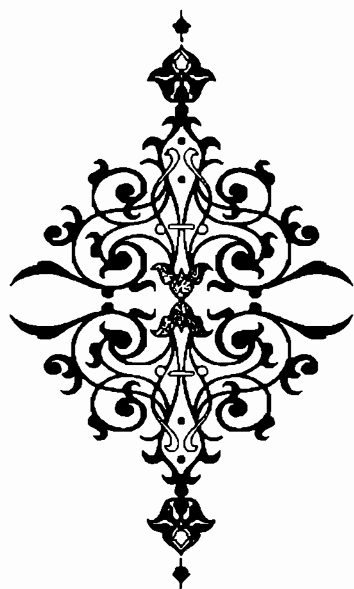
* * *

ولنبدأْ بفنِّ البيانِ ؛ لأنَّ في عِلْمِ المعاني إحالةً عليهِ ، والبديعَ تابعٌ لهُما ، فنقولُ

---

(١) هو العلامة الرمَّاني   انظر « النكت في إعجاز القرآن » ضمن « ثلاث رسائل في إعجاز القرآن » (ص ٧٦)

الفنّ الأوّل
علم البيان



[مدخلٌ إلىٰ علمِ البيانِ]

إنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ التي أسبغَها علينا ظاهرةً وباطنةً أن وهبَنا هـٰذا الصوتَ ، نُصوِّرُهُ حُروفاً ، نصوغُ منها كَلِماً نُعيِّنُها لتلكَ الأشياءِ التي يَتناولُها تعقُّلُنا ، تناولَها الحِسُّ أم لا ؛ لنحضرَها بها عندَ المُدرَكاتِ متى احتجنا لذٰلكَ ، فتلكَ الأشياءُ حينَئذٍ تُسمَّىٰ معانيَ ، وتعيينُ الكَلِمِ لها يُسمَّىٰ : وضعاً ، وإحضارُها إيَّاها يُسمَّىٰ دلالةً

[الدلالةُ الوضعيةُ اللفظيةُ ثلاثةُ أقسامٍ]

ثمَّ إنَّ الشيءَ مِنَ الأشياءِ يَتعلَّقُ بهِ ويُنسَبُ إليهِ أمورٌ إمَّا داخلةٌ فيهِ ؛ وهيَ أجزاؤُهُ ، وإمَّا خارجةٌ عنهُ ؛ كأسبابِهِ ومُسبَّباتِهِ ومشابهاتِهِ ، والكلمةُ المُعيّنةُ لهُ تُحضِرُهُ بجميعِ ما يَتعلَّقُ بهِ جليَّةً مُفصَّلةً عندَ العالِمِ بها ؛ فإحضارُ الكلمةِ إيَّاهُ يُسمَّىٰ دلالةَ المطابقةِ ، وإحضارُها أجزاءَهُ يُسمَّىٰ دلالةَ التضمنِ ، وإحضارُها ما عدا الأجزاءَ مِنَ المُتعلِّقاتِ يُسمَّىٰ دلالةَ الالتزامِ ؛ ولذٰلكَ يُقالُ إنَّ الكلمةَ الموضوعةَ للشيءِ موضوعةٌ لأجزائِهِ وسائرِ مُتعلَّقاتِهِ وضعاً تبعيّاً

وإذاً ؛ يَتبيَّنُ لكَ أنَّ كلَّ ما يُحضِرُهُ اللفظُ عندَ مُدرِكتِكَ يكونُ لهُ معنىً ولكَ أن تريدَهُ بهِ ، وتَقصِدَ فهمَ مُخاطَبِكَ إيَّاهُ منهُ حيثُ تريدُ الحديثَ عنهُ والحكمَ عليهِ ، إلَّا أنَّ الشيءَ الذي لهُ الرُّتبةُ الأُولىٰ مِنَ الملاحظةِ عندَ الوضعِ هوَ الذي يُتبادَرُ إلى الفهمِ ، ويُوجِبُ حكمُ المُخاطَبِ أنَّهُ مُرادُكَ ، وأنَّ الحديثَ عنهُ ، وعليهِ الحكمَ ، وغيرُهُ إنَّما يَحكمُ المُخاطَبُ أنَّهُ مُرادُكَ إذا أصحبتَ اللفظَ بأمرٍ يَدُلُّ علىٰ أنَّهُ مُرادُكَ



فالألفاظُ باعتبارِ الأوضاعِ الأصليَّةِ والمعاني الأوليَّةِ تُسمَّىٰ حقائقَ ، وباعتبارِ الأوضاعِ التبعيَّةِ والمعاني الثانويةِ تُسمَّىٰ مجازاتٍ ؛ فاللَّفظُ إمَّا حقيقةٌ ، وإمَّا مجازٌ

والحقيقةُ إن وقفَتْ بها الملاحظةُ عندَ معناها الأوليِّ لكونِهِ المقصودَ بالإفادةِ ، ولم تَجعلْهُ وسيلةً لإفادةِ بعضِ المعاني بنصبِ دليلٍ علىٰ ذٰلكَ سُمِّيَتْ حقيقةً صريحةً ، وإلَّا سُمِّيَتْ حقيقةً كنايةً ، والمجازُ والكنايةُ ـ كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ[1] ـ هما موضوعُ هٰذا الفنِّ



(١) انظر (١/٥٦)

الكلامُ على المجازِ

لفظُ (المجازِ) اسمُ مكانٍ مِنْ : جازَ الطريقَ ؛ إذا قطعَ جوزَهُ ؛ أي : وَسَطَهُ ، وانتهىٰ لغايتِهِ ؛ تقولُ هٰذا الطريقُ مَجازٌ لكذا ، تُسمِّيهِ مجازاً باعتبارِ أنَّكَ تنتهي منهُ وتَخرُجُ عنهُ إلىٰ غيرِهِ

واللَّفظُ المُسمَّىٰ مجازاً مَسلكٌ تَخرجُ الملاحظةُ مِنْ معناهُ الأصليِّ إلى المعنى المناسبِ لهُ ، الذي تريدُ إفادتَهُ وتُفهِمُ المُخاطَبَ إيَّاهُ ، ومِنْ هٰذا يمكنُكَ أن تَحُدَّ المَجازَ بأنَّهُ اللفظُ الذي تَعتمِدُ في تفهيمِ مُرادِكَ بهِ العلاقةَ والقرينةَ المانعةَ لمُخاطَبِكَ أن يَفهمَ غيرَ مُرادِكَ

والقرينةُ هيَ الأمرُ الذي يَصحَبُ لفظَ المَجازِ مِنْ حالٍ أو لفظٍ آخَرَ

والعلاقةُ هيَ المناسبةُ والارتباطُ بينَ المعنى الأصليِّ والمعنى المرادِ

وقد بحثَ العلماءُ عنِ العلاقاتِ التي لاحظَتْها العربُ في مجازاتِها ، وحصروها باستقصاءِ التتبعِ ، وحكموا بأنَّهُ لا يَصِحُّ أن يُتجوَّزَ بلفظٍ ؛ اعتماداً علىٰ غيرِ تلكَ العلاقاتِ حيثُ كانَ الغَرَضُ التكلُّمَ باللغةِ العربيةِ ، وإلَّا فلا حَجْرَ على المُتخاطِبينَ أن يَعتبِروا ما شاؤوا ، وغايةُ الأمرِ أنَّهُم يكونونَ قد تَكلَّموا بغيرِ اللغةِ العربيةِ ، بيدَ أنَّهُ لا يَلزمُ إلَّا سماعُ نوعِ العلاقةِ ؛ مثلاً سُمِعَ منهُم تسميةُ الشيءِ باسمِ آلتِهِ ، فلنا أن نُسمِّيَ كلَّ شيءٍ باسمِ آلتِهِ وإن لم يكنْ مسموعاً منهُم

ثمَّ إنَّ المَجازَ لكونِهِ خلافَ الأصلِ لا يُصارُ إليهِ إلَّا لفائدةٍ كلاميَّةٍ تَختصُّ بهِ لا تعطيها الحقيقةُ

[علاقاتُ المجازِ عشرونَ]

ثمَّ مَرجِعُ جميعِ تلكَ العلاقاتِ المُعتبَرةِ ـ كما يعطيهِ تقسيمُ الدلالةِ ـ هوَ الكليَّةُ ، والجزئيَّةُ ، أوِ التلازمُ بينَ المعنيَينِ ، لكنِ اختلافُ جهةِ التلازمِ أوجبَ تعدُّدَ العلاقاتِ وأسمائِها ؛ وهيَ باستقصاءِ التتبُّعِ مِنْ أئمَّةِ الفنِّ رحمَهُمُ اللهُ تعالىٰ عشرونَ

اثنتانِ مأخذُهُما التلازمُ بينَ السببِ ومُسبَّبِهِ ؛ وهُما السببيةُ إن كانَ المجازُ لفظَ السببِ ، والمُسبَّبيَّةُ إن كانَ لفظَ المُسبَّبِ

ومأخذُ اثنتَينِ بينَ العامّ وخاصّهِ ؛ وهُما العمومُ إن كانَ لفظَ العامّ ، والخصوصُ إن كانَ لفظَ الخاصّ

وهٰكذا البيانُ في بقيةِ العلاقاتِ التي هيَ الآليَّةُ ، والكليَّةُ والجزئيَّةُ ، والإطلاقُ والتقييدُ ، والحالِّيَّةُ والمَحليَّةُ ، والمُجاورةُ ، والبدليَّةُ والمُبدَليَّةُ ، واعتبارُ ما كانَ وما يَؤولُ إليهِ الشيءُ ، والمَلزوميَّةُ واللازميَّةُ ، والتعلُّقيَّةُ ، والمُشابَهةُ

[بعضُ فوائدِ المجازِ]

الأمثلةُ معَ بيانِ بعضِ فوائدِ المَجازِ

قالَ بعضُ الشعراءِ[1] [من الوافر]

إِذَا نَزَلَ ٱلسَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا

الضَّميرُ مِنْ (رعيناهُ) يعودُ للسماءِ ؛ وهوَ المطرُ ، فكأنَّهُ قالَ رعينا المطرَ ، والمَرعيُّ هوَ النباتُ الذي سببُهُ المطرُ ، قالَ تعالىٰ ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾[2] ، والإسامةُ هيَ إرسالُ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٦٠)

(٢) سورة النحل (١٠)

البهائمِ للرعيِ ، وهيَ سائمةٌ ، فاستعملَ لفظَ السببِ في المُسبَّبِ ؛ فالعلاقةُ السببيةُ

وفائدةُ هٰذا المجازِ توصُّلُ الشاعرِ بهِ إلىٰ وصفِ قومِهِ بأنَّهُم بلغوا مِنَ القُوَّةِ غايتَها ، ومِنَ السَّلاطةِ نهايتَها ، فهُم سادةُ الناسِ ، والناسُ لهُم تَبَعٌ ؛ وذٰلكَ أنَّ معنىٰ قولِهِ إنَّا السابقونَ إلى الانتفاعِ بمنافعِ الأرضِ ، لا يُعارِضُنا أحدٌ في ذٰلكَ ، ولا يُمنِّيهِ نفسَهُ ، فسوائمُنا علىٰ آثارِ الأمطارِ راعيةٌ أنفَ النباتِ في أولِ نشأتِهِ وأوانِ نَضْرتِهِ ، والناسُ في انتظارِ إذنِنا ؛ فلو قالَ : رعينا نباتَ كلِّ أرضٍ وإن غضبَ أهلُها لم يكنْ مفيداً كلَّ ذٰلكَ

وقد أفرغَ بعضُهُم هٰذا المعنىٰ في قالَبٍ آخَرَ حيثُ يقولُ[1] [من الطويل]

أَرَىٰ كُلَّ قَوْمٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ   وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهْوَ سَارِبُ

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾[2] ، ذُرِّيَّةُ الناسِ أولادُهُم ، والمحمولُ في السُّفنِ إلىٰ أرضِ العربِ . هوَ الأطعمةُ وما بهِ حفظُ الحياةِ ومنها نماؤُهم والتولُّدُ منهُم ، فاستعملَ لفظَ المُسبَّبِ في سببِهِ

وفائدتُهُ بيانُ أنَّ المِنَّةَ عليهِم ، والاحتفاءُ بهِم ، وكونُهُما في الدرجةِ التي ليسَ وراءَها مُنتظَرٌ مِنَ الظُّهورِ ؛ بحيثُ تكونُ الغفلةُ عن ملاحظتِهِما ، وقِلَّةُ الشُّكرِ عليهِما ، والخروجُ عن حيّزِ اختصاصِهِ بالعبوديَّةِ لهُ ، وتنزيهُهُ عن تشبيهِ بعضِ مخلوقاتِهِ بهِ أمورٌ تَجعلُ أصحابَها أسوأَ حالاً مِنَ البهائمِ ؛ كما قالَ ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[3]

وفيهِ معَ التنبيهِ علىٰ موضعِ عِظَمِ المِنَّةِ وسلطانِ الدلالةِ ذكرُ جميعِ

---

(١) هو الأخنس بن شهاب بن شريق ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (١٢٦/٢)

(٢) سورة يسٓ (٤١)

(٣) سورة الفرقان (٤٤)

المنافعِ الحيوانيَّةِ والإنسانيَّةِ بأخصرِ عبارةٍ ؛ لأنَّ لفظَ (الذُّرِّيَّةِ) يَذكُرُ جميعَ مُقدِّماتِها ، كما يبعثُ تعقُّلَ حِكَمِ اللهِ تعالىٰ في إنشاءِ هٰذهِ الأنواعِ وترتيبِها في سلسلةِ الشُّهودِ الوجوديِّ بعدَ الغَيبةِ العَدَميَّةِ ، وإرسالِ الأصولِ في تربيةِ الفُروعِ إلى الحدِّ الذي أرادَهُ والغايةِ التي قَدَّرَها ، وعبارةُ الحقيقةِ لا تفيدُ كلَّ هٰذا كما يظهرُ لِمَنْ يَستعمِلُ فكرَهُ فيما خُلِقَ لأجلِهِ

وقالَ تعالىٰ ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ (١) ، والمُرادُ محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فعَبَّرَ عنهُ باسمِهِ العامِّ لهُ ولغيرِهِ ، ومِنْ [فوائدِهِ] تسليمُ المحكيِّ عنهُ مِنْ تناولِ ألسنةِ أعدائِهِ إيَّاهُ ، والإشارةُ إلىٰ أنَّ الحسدَ قبيحٌ تَعلَّقَ بمَنْ كانَ ؛ حيثُ ربطَهُ بالاسمِ العامِّ ، وأنَّ الفضلَ المحسودَ عليهِ هوَ منافعُ الكافَّةِ ؛ الحاسدينَ وغيرِهِم ، ورميُهُم بالغباوةِ أو فَرْطِ العِنادِ حيثُ لم يَعرِفوا منافعَهُم أو عرفوا وتركوا

وقالَ تعالىٰ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ ﴾ (٢) ، فأفادَ هٰذا المجازُ أنَّ المؤمنينَ ـ معَ كونِ أعدائِهِم يداً واحدةً في الإيقاعِ بهِم متىٰ قدروا ، وألسنتُهُم مُنطلِقةٌ بتهديدِهِم والإرجافِ بهِم ـ علىٰ غايةٍ مِنَ اليقينِ وثباتِ الجَنانِ وصدقِ العزيمةِ ، لا يبالونَ بأعدائِهِم ما كانوا ؛ فلو قيلَ الذينَ قالَ لهُم نعيمُ بنُ مسعودٍ لم يُفِدْ ذٰلكَ

وأسماءُ القبائلِ ؛ كتميمَ وقريشَ وتيمَ مِنِ استعمالِ الاسمِ الخاصِّ عامّاً ، وكأن تقولَ في أحزابِ ذوي رُؤساءَ فَرَقَ هٰذا علىٰ زيدٍ ، وهٰذا علىٰ خالدٍ

وقالَ تعالىٰ ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ (٣) ، تسميةٌ للأناملِ أصابعَ

---

(١) سورة النساء (٥٤)

(٢) سورة آل عمران (١٧٣)

(٣) سورة البقرة (١٩)

ويقولُ أميرُ الجيشِ لجواسيسِهِ ودَيْدَبَاناتِهِ[1] إنَّما أنتُم عيونُنا ، إليكُم نجاتُنا ، وهـٰذهِ أوطانُكُم مسكونةً بأهلِكُم وعيالِكُم ، فيُسمِّيهِم عُيوناً ؛ وذٰلكَ إنَّما يكونُ إذا كانَ الجزءُ هوَ المقصودَ مِنَ الشيءِ ، وكأنَّ الشيءَ ليسَ إلَّا ذٰلكَ الجزءَ

وقالَ تعالىٰ ﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾[2] ، تسميةٌ للذِّكرِ الحَسَنِ والثناءِ الجميلِ باسمِ آلتِهِ

ومِنِ استعمالِ المُطلَقِ في المُقيَّدِ قولُهُ تعالىٰ ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[3] ، والمُرادُ رقيقٌ مؤمنٌ

ومِنِ استعمالِ المُقيَّدِ في المُطلَقِ : مثلُ قولِكَ جَحْفَلةُ زيدٍ ؛ والجَحْفَلةُ شَفَةُ الخيلِ

واعتبارُ ما كانَ مثلُ قولِهِ تعالىٰ ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾[4]

واعتبارُ ما يَؤولُ لهُ الشيءُ مثلُ قولِكَ أعطِ رجالَ هـٰذا المكتبِ كذا ، ونساءَهُ كذا

واستعمالُ اسمِ الحالِّ في المَحَلِّ مثلُ قولِهِ تعالىٰ ﴿ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾[5]

ومقابلُهُ مثلُ قولِهِ ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾[6] ؛ والنادي مجلسُ القومِ فيهِ يَتحدَّثونَ

---

(١) الديدبان الرقيب

(٢) سورة الشعراء (٨٤)

(٣) سورة المجادلة (٣)

(٤) سورة النساء (٢)

(٥) سورة آل عمران (١٠٧)

(٦) سورة العلق : (١٧)

ومِنِ استعمالِ اسمِ المُبدَلِ منهُ في البدلِ قولُ الشاعرِ[1] [من الطويل]

أَكَلْتُ دَماً إِنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ

أي دِيةً ، وكانَ مِنَ العارِ عندَهُم أخذُ الديةِ ، ولم يكنْ إلَّا في العاجزينَ عنِ الثأرِ

ومقابلُهُ مثلُ قولِكَ في ملكِ فلانٍ ألفُ دينارٍ ؛ لمتاعٍ يساوي ذٰلكَ

وعلاقةُ اللُّزومِ حيثُ لا يكونُ هنالِكَ معنىً خاصٌّ يُؤخَذُ منهُ اسمٌ ؛ كاستعمالِ الشمسِ في الضَّوءِ في قولِكَ دخلَتِ الشمسُ مِنْ هٰذهِ الكَوَّةِ ، واستعمالِ الضَّوءِ في الشمسِ ، واستعمالِ المصدرِ في معنى المُشتقِّ وعكسِهِ ، قيلَ العلاقةُ فيهِ التعلُّقُ ، وهوَ يَدخُلُ في الكليَّةِ والجزئيَّةِ

هٰذا ؛ والمجازُ المرسلُ ربَّما فاتَ على الملاحظةِ في درجةِ الكلامِ ، وربَّما خفيَتِ الفائدةُ فيهِ ، فهوَ يحتاجُ إلىٰ دقَّةِ نظرٍ

وأمَّا علاقةُ المشابهةِ التي نَوَّعَتِ المَجازَ إلى استعارةٍ ؛ وهوَ ما كانَتْ علاقتَهُ ، وإلىٰ مَجازٍ مرسلٍ ؛ وهوَ ما علاقتُهُ غيرُها فإنَّها تُظهِرُ المجازَ حيثُ كانَتِ الأشياءُ المتشابهةُ أجنبيّاً بعضُها عن بعضٍ ؛ ولذٰلكَ ترىٰ مَنْ خَصَّ عِلْمَ البديعِ بالتأليفِ يشرحُ الاستعارةَ ويَعُدُّها مِنْ أنواعِهِ



---

(١) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (٤/١٧٦) ، والبيت بتمامه

أَكَلْتُ دَماً إِنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ بَعِيدَةِ مَهْوَى ٱلْقُرْطِ طَيِّبَةِ ٱلنَّشْرِ

القولُ في الاستعارةِ

اعلمْ أنَّهُ متى اشتركَ أمرانِ في معنىً أو أكثرَ علىٰ تفاوتٍ بينَهُما فيهِ فثَمَّ معنىً مقصودٌ بالإفادةِ وسمَّىٰ بالعبارةِ عنهُ أهلُ البيانِ عبارةَ التشبيهِ ؛ وعرَّفوهُ بأنَّهُ إلحاقُ أمرٍ بأمرٍ في صفةٍ بأداةٍ لغَرَضٍ ؛ فالأمرانِ المُلحَقُ والمُلحَقُ بهِ هما المُشبَّهُ ، والمُشبَّهُ بهِ ، والصفةُ المُشترَكةُ هيَ وجهُ الشبهِ ، والأداةُ هيَ الألفاظُ المفيدةُ لذٰلكَ

مثلُ وجهُ زيدٍ كالقمرِ ، وكأنَّهُ قمرٌ ، وتَخالُهُ قمراً ، وتَحسَبُهُ ، وتقولُ إنَّهُ ، وهوَ مثلُ

ثمَّ إنَّ عبارةَ التشبيهِ تُورَدُ علىٰ صورٍ مختلفةٍ

تقولُ زيدٌ كالبحرِ ، وزيدٌ بحرٌ بحذفِ الأداةِ ، ويُسمَّىٰ حينَئذٍ تشبيهاً بليغاً ؛ أي بالغاً غايةً لم يَبلُغْها الأوَّلُ ؛ فإنَّ العبارةَ الأُولىٰ مناديةٌ بالفَرْقِ بينَ الطرفَينِ ، والعبارةُ الثانيةُ ناطقةٌ بالاتحادِ

وتقولُ رأيتُ اليومَ قمراً بديعَ الشَّمائلِ ، ساحرَ الطَّرْفِ ، دُرِّيَّ اللفظِ ؛ بحذفِ الأداةِ وأحدِ الطرفَينِ ، وحينَئذٍ يجيءُ اسمُ الاستعارةِ ؛ فالاستعارةُ تشبيهٌ أبلغُ ؛ حيثُ تركتَ العبارةَ المُشعِرةَ بالاثنينيَّةِ معَ الفرقِ أو دعوى الاتحادِ ، فليسَ معَنا إلَّا أمرٌ واحدٌ نخبرُ عنهُ ونحكي في شأنِهِ

[أقسامُ الاستعارةِ]

وتنقسمُ الاستعارةُ حَسَبَ اعتباراتٍ إلىٰ مُصرِّحةٍ ومَكنيَّةٍ ، وإلىٰ أصليَّةٍ وتبعيَّةٍ ، وإلىٰ مُرشَّحةٍ ومُجرَّدةٍ ومُطلَقةٍ ، وإلىٰ تمليحيَّةٍ وتهكُّميَّةٍ ، وإلىٰ تمثيليَّةٍ وغيرِ تمثيليَّةٍ

فإن كانَ المُستعارُ اسمَ جنسٍ جامداً ولو تأويلاً ؛ كالأعلامِ المُشتهِرةِ أصحابُها بأوصافٍ ؛ كحاتمِ المُشتهِرِ بالجُودِ ، ومادِرِ المُشتهِرِ بالبخلِ ، وباقِلٍ المُشتهِرِ بالعِيِّ ، وكانَ هوَ المذكورَ فالاستعارةُ هيَ **المُصرَّحةُ الأصليَّةُ**

وإن كانَ غيرَ اسمِ جنسٍ جامدٍ فعلاً أو حرفاً أو مُشتقّاً فهيَ **التبعيَّةُ**

وإن كانَ المذكورُ لفظَ المُستعارِ لهُ فهيَ **المَكنيَّةُ**

وإن كانَتِ الاستعارةُ مقرونةً بما يناسبُ المُشبَّهَ بهِ فهيَ **المُرشَّحةُ** ، وإن كانَتْ مقرونةً بما يناسبُ المُشبَّهَ فهيَ **المُجرَّدةُ** ، **والمُطلَقةُ** غيرُهُما

وإن كانَ المُستعارُ لفظَ أحدِ الضِّدَّينِ للآخَرِ ؛ فإن كانَ علىٰ سبيلِ الاستهزاءِ فهيَ **التهكميَّةُ** ، وإن كانَ علىٰ سبيلِ التلطُّفِ والتحسينِ فهيَ **التمليحيَّةُ**

وإن كانَ التشبيهُ بينَ هيئتَينِ مُنتزَعتَينِ مِنْ عِدَّةِ أمورٍ فهيَ **الاستعارةُ التمثيليَّةُ**

والتفاوتُ بينَ طرفَيِ التشبيهِ في المعنى المُشترَكِ بينَهُما ؛ وهوَ المُسمَّىٰ وجهَ الشَّبهِ في غيرِ الاستعارةِ ، والجامعَ بينَ الطرفَينِ فيها باعتبارِ كونِهِ في المُشبَّهِ بهِ أقوىٰ أو أعرفَ

والغايةُ في التشبيهِ إفادةُ المساواةِ بينَ أمرَينِ ، أو قُوَّةِ المعنىٰ في المُشبَّهِ ؛ بحيثُ يَحسُنُ ادعاءُ تساوي الطرفَينِ فيهِ

والاستعارةُ التبعيَّةُ هيَ التي تقعُ تبعاً لاستعارةٍ تَسبِقُها في الملاحظةِ ، فتكونُ السابقةُ أصليَّةً ، وتكونُ اللَّاحقةُ تبعيَّةً

وبيانُ ذٰلكَ أنَّ الاستعارةَ إذا جرتْ في المُشتقَّاتِ وقد عرفتَ أنَّ أصلَها

التشبيهُ . فالغَرَضُ إنَّما هوَ تشبيهُ المعاني المُستقِلَّةِ التي تَضمَّنَتْها المُشتقَّاتُ غالباً ، مثلاً إذا قلتَ ركبَ فلانٌ كتفَيْ غريمِهِ فلانٍ فقد شَبَّهتَ شِدَّةَ لزومِهِ إيَّاهُ ومقهوريَّتِهِ لهُ ، فكأنَّكَ قلتَ : لزومُهُ إيَّاهُ كركوبِ كتفَيهِ ، فاستعرتَ الركوبَ للزومِ ، فيكونُ هٰذا الأصلُ مُستعمَلاً في غيرِ ما وُضِعَ لهُ ، فجميعُ الفروعِ تكونُ مُستعارةً تبعاً لهُ

وكما تكونُ الاستعارةُ في المُشتقَّاتِ باعتبارِ المادَّةِ تكونُ باعتبارِ الهيئةِ ، فتُستعارُ الهيئةُ الدالَّةُ على الزمنِ الماضي للزمنِ الآتي ؛ بجامعِ تَحقُّقِ ما يَحصُلُ فيهما والإيقانِ بهِ ، قالَ تعالىٰ ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ (١) ، فبعثُ الناسِ للحسابِ وفصلِ القضاءِ بينَهُم ، وإيصالُ كلٍّ إلىٰ مَقَرِّهِ المُعَدِّ لهُ أمرٌ يقعُ في الزمنِ الآتي ، فعبارتُهُ الدالَّةُ عليهِ (يأتي أمرُ اللهِ) ، فلكونِهِ مُتحقِّقاً يقينيّاً قيلَ أتىٰ أمرُ اللهِ

وقالَ تعالىٰ ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ؛ أيِ المُتلبِّسينَ بالتقوىٰ ؛ وهيَ اجتنابُ ما نُهوا عنهُ وامتثالُ ما أُمِروا بهِ عندَ استماعِ الأمرِ والنهيِ ، فاستُعِيرَ ما يَدُلُّ على التلبُّسِ بالفعلِ لِمَا سيَحصلُ التلبُّسُ بهِ

وربَّما كانَتِ الاستعارةُ في موضوعِ الصفةِ ، كما إذا قلتَ فلانٌ يرىٰ مَضربَهُ كمَقتَلِهِ ، فهوَ يَفزَعُ مِنْ ذٰلكَ فزعَهُ مِنْ هٰذا

وإذا جرتِ الاستعارةُ في الحروفِ فالتشبيهُ يكونُ في المعاني الكليَّةِ ، مثلاً تقولُ تَرتُّبُ عاقبةِ الشيءِ عليهِ مثلُ ترتُّبِ المعلولِ علىٰ عِلَّتِهِ ، فيكونُ كلُّ ترتُّبٍ جزئيٍّ مُشبَّهاً لترتُّبٍ جزئيٍّ ، فتُستعارُ حينَئذٍ الحروفُ الدالَّةُ على الترتُّباتِ الجزئيَّةِ العِلّيَّةِ لتَرتُّباتِ العاقبةِ

---

(١) سورة النحل (١)

(٢) سورة البقرة (٢)

قالَ تعالىٰ ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[1] ، فالغَرَضُ مِنِ التقاطِ موسى الانتفاعُ بهِ كما يُنتفَعُ بالأبناءِ ، ولٰكنْ تَرتَّبَ على التقاطِهِ عداوتُهُ لهُم وإحزانُهُ إيَّاهُم ، فوقعَتِ العاقبةُ موقعَ الغَرَضِ ، فعُبِّرَ عنها بعبارتِهِ

والاستعارةُ بالكنايةِ أوِ المَكنيَّةُ ـ أيِ المستورةُ ـ لا تكونُ مذكورةً في الكلامِ ، وإنَّما يُذكَرُ معَ المُستعارِ لهُ بعضُ خواصِّ المُستعارِ منهُ ، فيَدُلُّ عليها ؛ وهوَ قرينةُ الاستعارةِ ، وتارةً يكونُ لفظُ القرينةِ مُستعاراً أيضاً ، وتارةً لا يكونُ مُستعاراً ، ومعَ ذٰلكَ يُسمَّىٰ في الاصطلاحِ استعارةً **تخييليَّةً**

قالَ تعالىٰ ﴿ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ﴾[2] ، فالعهدُ مُشبَّهٌ بالحبلِ ؛ فإنَّ الدِّينَ يَعصِمُ القلوبَ مِنِ افتراقِ الأهواءِ ما بقيَ على حالتِهِ كما يَمنعُ الحبلُ الحُزْمَةَ مِنْ تَفرُّقِ عِيدانِها ما بقيَ على متانتِهِ والتواءِ بعضِ طاقِهِ على بعضٍ ؛ فالحبلُ المُستعارُ لم يُذكَرْ ، وذُكِرَ النقضُ الذي هوَ تفريقُ طاقاتِ الحبلِ وإزالةُ صورتِهِ ، وهوَ مُستعارٌ لتفريقِ الدِّينِ وإبطالِ صورتِهِ ؛ فقرينةُ المَكنيَّةِ فيهِ **استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ**

وفي قولِ لبيدٍ[3] [من الكامل]

وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقَرَّةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ ٱلشَّمَالِ زِمَامُهَا

تشبيهُ الشَّمالِ والبَرْدِ بإنسانٍ وناقةٍ أمسكَ بزِمامِها ، فهوَ يُقبِلُ بها تارةً ويُدبِرُ تارةً ؛ فاليدُ والزِّمامُ غيرُ مُستعارَينِ لشيءٍ غايتُهُ أنَّهُ يُوقعُ في الخيالِ للقَرَّةِ زِماماً وللشَّمالِ يداً

---

(١) سورة القصص (٨)

(٢) سورة البقرة (٢٧)

(٣) انظر « ديوان لبيد رضي الله عنه » (ص ٣١٥)

والترشيحُ التقويةُ ، والمُرشَّحةُ مُقوَّاةٌ بذكرِ ما يلائمُ المُشبَّهَ بهِ ، قالَ تعالىٰ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ [1] ، فحديثُ ربحِ التجارةِ يُقوّي استعارةَ الاشتراءِ

والتمثيلُ : جعلُ مثالٍ للشيءِ يكونُ علىٰ صورتِهِ وهيئتِهِ ؛ جملتُهُ كجملتِهِ ، وأجزاؤُهُ كأجزائِهِ ، والاستعارةُ التمثيليَّةُ كذٰلكَ ؛ فمَنْ قالَ [2] [من الوافر]

أَرَىٰ مَـاءً وَبِـي ظَـمَـأٌ شَـدِيـدٌ وَلَٰكِنْ لَا سَـبِـيـلَ إِلَى ٱلْـوُرُودِ

مكانَ أن يقولَ أعلمُ أنَّ الحبيبَ وراءَ هٰذهِ الجُدْراناتِ العاليةِ ، ودونَهُ هٰذا الحَرَسُ الشديدُ ، فأنا علىٰ ما بي مِنْ حرارةِ الشَّوقِ وشِدَّةِ الوَلَعِ لا يُمكِنُني الوصولُ إلىٰ مغازلتِهِ والراحةِ بالمحادثةِ معَهُ ؛ فقد شَبَّهَ حالةَ المُحِبِّ هٰذهِ بهيئةِ ظمآنَ شديدِ الظَّمأ واقفٍ علىٰ رأسِ جِدارٍ عالٍ تحتَهُ ماءٌ ، وليسَ لهُ دَرَجٌ ، فهٰذهِ الصُّورةُ مثالُ تلكَ الصُّورةِ

ولمَّا كانَ في التشبيهِ مِنْ تصويرِ الحالِ والتأثيرِ في النفوسِ ما لا تَبلغُهُ العباراتُ الأصليَّةُ كَثُرَ في الكلامِ كثرةً بالغةً ، لا تَكادُ قصةٌ مِنَ الكلامِ العالي تخلو منهُ ، وكلَّما كانَ التشبيهُ أغربَ وأكثرَ معانيَ كانَتِ النفوسُ لهُ أميلَ ، وبهِ أبهجَ ، وسنوردُ عليكَ لهُ أمثلةً تكونُ بمنزلةِ رياضٍ نَضِرةٍ تُنزِّهُ فيها خاطرَكَ وترتاحُ إليها نفسُكَ

قالَ تعالىٰ ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴾ [3] ، فإنَّ تصويرَ حالِ الوِلدانِ ؛ مِنْ كونِهِم في الجَمالِ والمَلاحةِ متشابهينَ ، لا يَتميَّزُ بعضُهُم عن بعضٍ ، بحيثُ لا تَتناولُ العينُ إلَّا مَلاحةً ، ولا تجدُ النفسُ

---

(١) سورة البقرة (١٦)

(٢) هو ابن الرومي في « ديوانه » (٢/٨٠٤)

(٣) سورة الإنسان (١٩)

إلَّا بهجةً باللُّؤلؤِ المنثورِ لا يكونُ بأن يُقالَ وِلدانٌ حِسانٌ رائعونَ يُشبِهُ بعضُهُم بعضاً في الجمالِ

وقالَ ﴿ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾[١] ؛ أيِ اللُّؤلؤِ في صَدَفِهِ ، أوِ المحفوظِ عمَّا يُغيِّرُ نَضارتَهُ ويُكدِّرُ صفاءَ مائيتِهِ

ولمَّا كانَتِ الحُورُ مقصوراتٍ في الخِيامِ ، وكانَ الوِلدانُ مُتردِّدينَ في وظائفِ [خِدْمَتِهِم] كانَ اللُّؤلؤُ المكنونُ مثلَ الحُورِ ، وكانَ مثلَ الوِلدانِ اللُّؤلؤُ المنثورُ[٢]

وقالَ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾[٣] ، وقال ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾[٤] ، وقالَ ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[٥]

أعمالُ الكُفَّارِ ؛ مِنْ عبادةِ الأصنامِ في العربِ بأنواعِ العباداتِ التي ما لا يَضُرُّ منها [ولا] ينفعُ ، وعبادةِ الهُنودِ النارَ والماءَ والبقرَ والكواكبَ ، ومعاناتُهُمُ الشدائدَ في ذٰلكَ أعمالٌ باطلةٌ لا تَستعقِبُ خيراً ، غيرَ أنَّها في ظاهرِ الأمرِ أعمالُ بِرٍّ وانقيادٍ ، وتسليمُ أنفسٍ وأموالٍ في طاعةِ اللهِ ، فضربَ لها المثلَ مِنْ حيثُ ظاهرُها المُطمِعُ وباطنُها المُحسِرُ بالسَّرابِ ، وضربَ الرَّمادَ ـ وهوَ ما يبقيهِ إحراقُ النارِ حيثُ تطيرُ بهِ الريحُ الشديدةُ ـ مثلاً ليأسِهِم مِنَ الانتفاعِ

---

(١) سورة الواقعة (٢٢ ـ ٢٣)

(٢) كذا العبارة في الأصل ، ولعل فيها قلباً ، وتقديرها (كان الحورُ مثلَ اللؤلؤ المكنون ، وكان الولدانُ مثلَ اللؤلؤ المنثور)

(٣) سورة النور (٣٩)

(٤) سورة إبراهيم (١٨)

(٥) سورة الفرقان (٢٣)

بها ، وكذٰلكَ الهَباءُ المنثورُ ، ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١)

وقالَ ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ (٢)

اعلـمْ أنَّ الخالقَ البارئَ المُصوِّرَ قد أَودعَ كلَّ نوعٍ مِنْ أنواعِ مخلوقاتِهِ سِرّاً إليهِ يُنسَبُ جميعُ ما يظهرُ صدورُهُ منهُ في مَسكنِهِ نسبةَ الفعلِ إلى الفاعلِ ، وبإزاءِ ذٰلكَ السِّرِّ ومَسكنِهِ يُوضَعُ اسمُ النوعِ

مثلاً نوعُ الإنسانِ نوعٌ مستوي القامةِ ، عريضُ الأظفارِ ، ماشٍ علىٰ رجلَيهِ ، عاملٌ بيدَيهِ ، دائمُ الفكرةِ في الماضي والحاضرِ ونتائجِهما الآتيةِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الخصائصِ الإنسانيَّةِ ، فهيَ منسوبةٌ لذٰلكَ السِّرِّ المُسمَّىٰ إنساناً ، ولهُ باعتباراتٍ مُختلِفةٍ عِدَّةُ أسماءٍ ؛ فباعتبارِ لطفِهِ ومشابهتِهِ الريحَ يُسمَّىٰ رُوحاً ، وباعتبارِ استضافةِ الأجزاءِ التي يَزدادُ بها حجمُ مَسكنِهِ يُسمَّىٰ غاذياً ونامياً ، وباعتبارِ إفاضتِهِ الصُّورةَ يُسمَّىٰ قُوَّةً مُصوِّرةً ، وباعتبارِ حفظِ الصُّورِ والمعاني يُسمَّىٰ عقلاً

وهٰكذا بقيَّةُ الأسماءِ واعتباراتُها ؛ فاسمُ الزَّرعِ موضوعٌ بإزاءِ السِّرِّ الذي يذهبُ بأعضاءِ النباتِ مُمتدّاً إلى الجهاتِ المختلفةِ على الحدودِ المُعينةِ إلى الغايةِ التي لهُ ، والشَّطْءُ هوَ المادَّةُ الحافظةُ لهُ في الحَبَّةِ والنَّواةِ وغيرِهِما ؛ فمتىٰ أسكنتَ الحَبَّةَ رَحِمَ الأرضِ معَ استيفاءِ شرائطِ النباتِ وَجَدَ ذٰلكَ السِّرُّ مَساغاً لتمديدِ ما معَهُ ، واستضافَ الأجزاءَ المتناسبةَ ، مُوزِّعاً لها علىٰ أحيازِها الطالبةِ لها ، حتىٰ يكونَ شخصٌ تامٌّ قائمٌ علىٰ صورتِهِ

---

(١) سورة البقرة (١١٢)

(٢) سورة الفتح (٢٩)

الخاصَّةِ بهِ ، فيكونَ شيئاً واحداً ذا أجزاءٍ مُؤتلِفةٍ مُنتظِمةِ الأعمالِ علىٰ نهجٍ واحدٍ

ضُرِبَ الزرعُ مثلاً لأُمَّةٍ سِرُّها الدِّينُ الحقُّ الذي بدأَها بواحدٍ ، ثمَّ لم يزلْ يستضيفُ الواحدَ إلى الواحدِ والجملةَ إلى الجملةِ حتىٰ قامَتْ أُمَّةٌ مُؤتلِفةُ القلوبِ ، مُجتمِعةُ الألسنةِ ، ساعيةٌ في طريقٍ واحدةٍ إلىٰ غايةٍ ينظرُ إليها الكلُّ على السَّواءِ ، فأنتَ تجدُ التمثيلَ لها بالزرعِ مفيداً معَ الاختصارِ مِنَ الارتباطِ ووَحدةِ المقصودِ ما لا يعطيهِ أن يُقالَ أُمَّةٌ مُؤتلِفةٌ إلىٰ آخِرِ ما يُقالُ مِنَ العبارةِ عنِ المعاني التي يَحصُرُها عندَ فكرِكَ التمثيلُ بالزرعِ

وفي هٰذا المعنىٰ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « ٱلْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَٱلْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً »[١]

وقولُهُ « ٱلْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ ٱلْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ ٱلرَّأْسِ لِلْجَسَدِ »[٢]

وقولُهُ « ٱلْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَيَسْعَىٰ بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدٌ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ »[٣]

[أمثلةٌ منَ التشابيهِ الرائقةِ]

هٰذا ؛ وعليكَ بإطلاقِ الفكرِ في سائرِ التشابيهِ القرآنيةِ التي هيَ بمنزلةِ الشَّمسِ مِنَ التشابيهِ ؛ إذ كانَتْ صادرةً عنِ اللَّطيفِ الخبيرِ الذي لا تَخفىٰ عليهِ خافيةٌ

وقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ « ٱلنَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ »[٤]

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١) ، ومسلم (٢٥٨٥) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
(٢) أخرجه أحمد (٥/٣٤٠) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما
(٣) أخرجه أبو داوود (٢٧٤٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

وقالَ « أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ ٱلسَّمْعِ وَٱلْبَصَرِ »[1]

وقالَ « أَصْحَابِي كَٱلنُّجُومِ ؛ بِأَيِّهِمُ ٱقْتَدَيْتُمُ ٱهْتَدَيْتُمْ »[2]

وقالَ « مَا أَنْتُمْ فِي غَيْرِكُمْ إِلَّا كَٱلشَّعْرَةِ ٱلْبَيْضَاءِ فِي ٱلثَّوْرِ ٱلْأَسْوَدِ »[3]

وقالَ « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي ٱللهُ بِهِ مِنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْعِلْمِ كَمَثَلِ ٱلْغَيْثِ ٱلْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً ؛ فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ ٱلْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ ٱلْكَلَأَ وَٱلْعُشْبَ ٱلْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ ٱلْمَاءَ فَنَفَعَ ٱللهُ بِهِ ٱلنَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً ، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً ؛ فَذَاكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي ٱللهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَٰلِكَ رَأْساً ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى ٱللهِ ٱلَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ »[4]

وقالَ « ٱلْعَالِمُ فِي قَوْمِهِ كَٱلنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ »[5]

فأيُّ عنايةٍ تَلزمُ طالبَ الأدبِ باعتبارِ مقاصدِ التشبيهِ الذي شَرَّفَهُ بالاستعمالِ الكلامُ المُقدَّسُ الصَّادرُ عنِ الحضرةِ الإلٰهيَّةِ ، والصَّادرُ عن حضرةِ الرسالةِ ؟!

ثمَّ إنَّ الشُّعراءَ لَهِجوا قديماً وحديثاً باستعمالِهِ علىٰ تفاوتٍ عظيمٍ بينَهُم ؛ في توقيعِهِ في مواقعِهِ ، وتزيينِهِ بقرائنَ يناظرُ بعضُها بعضاً في المَلاحةِ ، حتىٰ إنَّهُ ربَّما كانَ التشبيهُ مِنَ المُبتذَلاتِ ، فتَجعلُهُ القرينةُ اللَّطيفةُ مِنَ المُستغرَباتِ ؛ كقولِ أبي الطيبِ[6] [من الكامل]

لَمْ تَلْقَ هَـٰذَا ٱلْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِهِ ... إِلَّا بِوَجْهٍ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤/٧٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما

(٢) أخرجه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٧٦٠) عن سيدنا جابر رضي الله عنه

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٤١) ، ومسلم (٢٢٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(٤) أخرجه البخاري (٧٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

(٥) انظر « المقاصد الحسنة » (٦٠٩)

(٦) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٧)

كَثُرَ علىٰ ألسنةِ الشعراءِ قديماً التشبيهُ بالشمسِ ؛ قالَ النابغةُ الذُّبيانيُّ (١) [من الطويل]

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

وقالَ العباسُ بنُ الأحنفِ (٢) [من المتقارب]

هِيَ ٱلشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ فَعَزِّ ٱلْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلَا

فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا ٱلصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ ٱلنُّزُولَا

فأحسنَ أبو الطيبِ التصرُّفَ فيهِ ؛ حيثُ أثبتَ ونفىٰ ، ورفعَ وخفض

وإذا كانَ وجهُ التشبيهِ خفيّاً وجبَ ذكرُهُ ، وإلَّا فالأحسنُ حذفُهُ ، حتىٰ لو زادَ ظُهورُهُ كانَتِ الاستعارةُ أحسنَ مِنَ التشبيهِ ؛ فالأحسنُ لِمَنْ حَصَّلَ عِلْماً ، وانزاحَتْ عنهُ شُبهةٌ أن يقولَ قدِ انزاحَتْ عن قلبي ظُلمةٌ وامتلأَ نوراً ، دونَ أن يقولَ شُبهةٌ كالظُّلمةِ وعِلْماً كالنورِ

قالَ الطُّغرائيُّ (٣) [من الكامل]

أَبْذُلْ فَإِنَّ ٱلْمَالَ شَعْرٌ كُلَّمَا أَوْسَعْتَهُ حَلْقاً يَزِيدُ نَبَاتَا

فتشبيهُ المالِ بالشَّعرِ في أنَّ إزالةَ كلٍّ تُوجِبُ تَكاثُرَهُ مِنَ التشابيهِ الغريبةِ التي لا تُؤهِّلُها إلَّا الفِطنةُ بعدَ الفِطنةِ

[أنموذجٌ من اختلافِ الشعراءِ في تشبيهِ الثُّريا]

وممَّا ينتهي بكَ إلىٰ غايةِ معرفةِ ما بينَ الشُّعراءِ مِنَ التفاوتِ الأمرُ الواحدُ يَتناولُ تشبيهَهُ العددُ الكثيرُ منهُم ، وهٰذا أُنموذجُ ذٰلكَ

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٤)
(٢) انظر « ديوان العباس بن الأحنف » (ص ٢٢١)
(٣) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ١٠٤)

الثُّرَيَّا : مُصغَّرُ ثَرْوَىٰ بالقصرِ ، امرأةٌ ثَرْوَىٰ كثيرةُ المالِ ؛ وهوَ اسمُ الكوكبِ الذي غلبَ عليهِ اسمُ النجمِ ، كما تَعرِفُهُ مِنْ قولِ العربيِّ (إذا طَلَعَ النجمُ عِشاءَ ابتغى الراعي كساءَ)[1] ، وهوَ مجموعُ كواكبَ صغارٍ مُتقارِبةٍ ، منها ستةٌ ظاهرةٌ والسابعُ خفيٌّ يَختبِرُ الناسُ بهِ حِدَّةَ البصرِ ، وكانَ أكملُ الناسِ في جميعِ أحوالِهِ نبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يَعُدُّ الثُّرَيَّا أحدَ عشرَ كوكباً[2]

أكثرَ الشُّعراءُ مِنَ العربِ وغيرِهِم تشبيهَهُ ؛ قالَ الهيثمُ بنُ عديّ أحدُ علماءِ الأدبِ في الصَّدرِ الأوَّلِ[3] كنَّا عندَ صالحِ بنِ حَسَّانَ فقالَ أنشدوني أحسنَ بيتٍ في تشبيهِ الثُّرَيَّا ، فقالَ قائلٌ بيتُ عبدِ اللهِ بنِ الزَّبيرِ ـ كأميرٍ ـ مِنْ شُعراءِ بني أميَّةَ [من الطويل]

وَقَدْ لَاحَ فِي ٱلْغَوْرِ ٱلثُّرَيَّا كَأَنَّمَا بِهِ رَايَةٌ بَيْضَاءُ تَخْفِقُ لِلطَّعْنِ

فقالَ صالحٌ أريدُ أحسنَ مِنْ هٰذا ، فقيلَ بيتُ امرئِ القيسِ[4] [من الطويل]

إِذَا مَا ٱلثُّرَيَّا فِي ٱلسَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّض أَثْنَاءِ ٱلْوِشَاحِ ٱلْمُفَصَّلِ

فقالَ أريدُ أحسنَ مِنْ هٰذا ، فقيلَ بيتُ ابنِ الطَّثَرِيَّةِ [من الطويل]

إِذَا مَا ٱلثُّرَيَّا فِي ٱلسَّمَاءِ كَأَنَّهَا جُمَانٌ وَهِيَ مِنْ سِلْكِهِ فَتَسَرَّعَا

فقالَ أريدُ أحسنَ مِنْ هٰذا ، فقالَ الحاضرونَ ما عندَنا شيءٌ !! فقالَ صالحٌ بيتُ أبي قيسِ بنِ الأسلتِ [من الطويل]

وَقَدْ لَاحَ فِي ٱلصُّبْحِ ٱلثُّرَيَّا لِمَنْ رَأَىٰ كَعُنْقُودِ مُلَّاحِيَّةٍ حِينَ نَوَّرَا

(١) أورده الزمخشري في « ربيع الأبرار » (١/١٢١)
(٢) انظر « شرح الزرقاني على المواهب » (٥/٢٧١)
(٣) انظر الخبر في « معاهد التنصيص » (٢/٢٨)
(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٤)

فهٰؤلاءِ مِنْ شعراءِ العربِ ؛ جاهليَّانِ أبو قيسٍ ، وامرُؤُ القيسِ ، وأُمويَّانِ يزيدُ بنُ الطَّثَريَّةِ ، وعبدُ اللهِ بنُ الزَّبيرِ

وإنَّما كانَ تشبيهُ ابنِ الأسلتِ أحسنَ ؛ لكونِهِ تَضمَّنَ جميعَ أحوالِ النجمِ ؛ مِنْ شكلِ المجموعِ ، وشكلِ الأجزاءِ ، ومقاديرِها في رأيِ العينِ ، وهيئاتِها الوضعيَّةِ ، وقرارِها في موضعِها ، فقد أمعنَ النظرَ قبلَ التشبيهِ ، ولذٰلك افتخرَ بقولِهِ (لِمَنْ رأىٰ) ، فليسَتْ حشواً

والمُلَّاحيَّةُ ـ بضمِّ الميمِ وتخفيفِ اللَّامِ أو تشديدِها ـ : نوعٌ مِنَ العنبِ الأبيضِ ، في حَبِّهِ طُولٌ ، وامرُؤُ القيسِ فاتَهُ بعضُ ذٰلكَ ، معَ اشتمالِ بيتِهِ علىٰ ما ليسَ لهُ دخلٌ في التشبيهِ ، فإنَّ مَخلَص لفظِ التشبيهِ الثُّريَّا كقطعةٍ مِنْ وشاحٍ مُفصَّلٍ

وفي بيتِ ابنِ الطَّثَريَّةِ الحركةُ في المُشبَّهِ بهِ مفسدةٌ للتشبيهِ ، وأنزلُ هٰذهِ التشابيهِ تشبيهُ ابنِ الزَّبيرِ

ويُروىٰ بيتُ ابنِ الطَّثَريةِ [من الطويل]

جُـمَـانٌ وَهِـيَ مِـنْ سِـلْـكِـهِ فَـتَـبَـدَّدَا

وهوَ أحسنُ ، قالَ ذو الرُّمَّةِ (١) [من الطويل]

وَرَدْتُ ٱعْـتِـسَـافـاً وَٱلـثُّـرَيَّـا كَـأَنَّـهَـا عَـلَىٰ قِـمَّـةِ ٱلرَّأسِ ٱبْـنُ مَـاءٍ مُـحَـلِّـقُ

ومِنْ تشابيهِ المُولَّدينَ للثُّريَّا قولُ ابنِ المعتزِّ (٢) [من المنسرح]

قَـدِ ٱنْـقَـضَـتْ دَوْلَـةُ ٱلـصِّـيَـامِ وَقَـدْ بَـشَّـرَ سُـقْـمُ ٱلْـهِـلَالِ بِـٱلْـعِـيـدِ
يَـتْـلُـو ٱلـثُّـرَيَّـا كَـفَـاغِـرٍ شَـرِهٍ يَـفْـتَـحُ فَـاهُ لِأَكْـلِ عُـنْـقُـودِ

---

(١) انظر « ديوان ذي الرمة » (١/٤٩٠)

(٢) انظر « ديوان ابن المعتز » (٢/١٩٠)

وقولُهُ (١) [من الخفيف]

زَارَنِي وَٱلدُّجَىٰ أَحَمُّ ٱلْحَوَاشِي ... وَٱلثُّرَيَّا فِي ٱلْغَرْبِ كَٱلْعُنْقُودِ

وَهِلَالُ ٱلسَّمَاءِ طَوْقُ عَرُوسٍ ... بَاتَ يُجْلَىٰ عَلَىٰ غَلَائِلَ سُودِ

وقولُهُ (٢) [من الطويل]

أَتَانِيَ وَٱلْإِصْبَاحُ يَرْفُلُ فِي ٱلدُّجَىٰ ... بِصَفْرَاءَ لَمْ تَفْسُدْ بِطَبْخٍ وَإِحْرَاقِ

فَنَاوَلَنِيهَا وَٱلثُّرَيَّا كَأَنَّهَا ... جَنَىٰ نَرْجِسٍ حَيَّا ٱلنَّدَامَىٰ بِهِ ٱلسَّاقِي

وقولُ أبي الفرجِ الببَّغا مِنْ شعراءِ « اليتيمةِ » المُتكسِّبينَ بالشعرِ (٣) [من البسيط]

خُذُوا مِنَ ٱلْعَيْشِ فَٱلْأَعْمَارُ فَانِيَةٌ ... وَٱلدَّهْرُ مُنْصَرِفٌ وَٱلْعَيْشُ مُنْقَبِضُ

فِي حَامِلِ ٱلْكَأْسِ مِنْ بَدْرِ ٱلدُّجَىٰ خَلَفٌ ... وَفِي ٱلْمُدَامَةِ مِنْ شَمْسِ ٱلضُّحَىٰ عِوَضُ

كَأَنَّ نَجْمَ ٱلثُّرَيَّا كَفُّ ذِي كَرَمٍ ... مَبْسُوطَةٌ لِلْعَطَايَا لَيْسَ تَنْقَبِضُ

وقولُ الصَّنوبريِّ (٤) [من المنسرح]

فِي ٱلشَّرْقِ كَأْسٌ وَفِي مَغَارِبِهَا ... قُرْطٌ وَفِي أَوْسَطِ ٱلسَّمَا قَدَمُ

ولبعضِهِم في شِكايةِ طُولِ الليلِ (٥) [من الطويل]

كَأَنَّ ٱلثُّرَيَّا رَاحَةٌ تَشْبُرُ ٱلدُّجَىٰ ... لِتَنْظُرَ طَالَ ٱللَّيْلُ أَمْ قَدْ تَعَرَّضَا

عَجِبْتُ لِلَيْلٍ بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ... يُقَاسُ بِشِبْرٍ كَيْفَ يُرْجَىٰ لَهُ ٱنْقِضَا

---

(١) انظر « ديوان ابن المعتز » (٢/٨٨)

(٢) انظر « ديوان ابن المعتز » (٢/٢٣٨)

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٠)

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢١)

(٥) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٤)

وقولُ الأشهبِ ابنِ رميلةَ (١) [من الطويل]

وَلَاحَتْ لِسَارِيهَا ٱلثُّرَيَّا كَأَنَّهَا ... لَدَى ٱلْأُفُقِ ٱلْغَرْبِيِّ قُرْطٌ مُسَلْسَلُ

فهٰذا أحسنُ ما قيلَ في تشبيهِ الثُّريَّا

قال بشارُ بنُ بردٍ ـ وهوَ مِنْ شعراءِ الدولتَينِ الأمويَّةِ والعباسيَّةِ ـ ما زلتُ منذُ سمعتُ قولَ امرئِ القيسِ في تشبيهِ شيئَينِ بشيئَينِ (٢) [من الطويل]

كَأَنَّ قُلُوبَ ٱلطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً ... لَدَىٰ وَكْرِهَا ٱلْعُنَّابُ وَٱلْحَشَفُ ٱلْبَالِي

أعملُ نفسي في تشبيهِ شيئينِ بشيئينِ ، حتىٰ قلتُ (٣) [من الطويل]

كَأَنَّ مُثَارَ ٱلنَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا ... وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَىٰ كَوَاكِبُهْ

وتشبيهُ بشارٍ هٰذا مِنْ آحادِ التشابيهِ ، يُحكىٰ أنَّهُ قيلَ لبشارٍ مِنْ أينَ جاءَكَ هٰذا التشبيهُ ولم ترَ الدنيا قطُّ ؟! فإنَّهُ وُلِدَ أعمىٰ ، فقالَ إنَّ عدمَ الاشتغالِ بالمنظوراتِ يُوفِّرُ الحِسَّ ، ويُقوّي الذَّكاءَ ، وأنشدَ لنفسِهِ (٤) [من الطويل]

عَمِيتُ جَنِيناً وَٱلذَّكَاءُ مِنَ ٱلْعَمَىٰ ... فَجِئْتُ عَجِيبَ ٱلظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْئِلَا

وَغَاضَ ضِيَاءُ ٱلْعَيْنِ لِلْعِلْمِ رَافِداً ... لِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ ٱلنَّاسُ حَصَّلَا

وَشِعْرٍ كَنَوْرِ ٱلرَّوْضِ لَاءَمْتُ بَيْنَهُ ... بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ ٱلشِّعْرُ أَسْهَلَا

وقدِ استعملَ بشارٌ هٰذا التشبيهَ ونزلَ فيهِ درجةً في قولِهِ مُخاطِباً [من الطويل]

[خَلَقْنَا] سَمَاءً فَوْقَنَا بِنُجُومِهَا ... سُيُوفاً وَنَقْعاً يَقْبِضُ ٱلطَّرْفَ أَقْتَمَا

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (١١/٥٠)

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣٨)

(٣) انظر « ديوان بشار بن برد » (١/٣٣٥) ، و« معاهد التنصيص » (٢/٣٠)

(٤) الخبر والشعر في « معاهد التنصيص » (٢/٣٠)

ثمَّ إنَّ الشُّعراءَ مَشَوا على أثرِ بشارٍ في هٰذا التشبيهِ ؛ قالَ منصورٌ النميريُّ (١) [من البسيط]

لَيْلٌ مِنَ ٱلنَّقْعِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ   إِلَّا جَبِينُكَ وَٱلْمَذْرُوبَةُ ٱلشَّرَعُ

وقالَ مسلمُ بنُ الوليدِ (٢) [من البسيط]

فِي عَسْكَرٍ تُشْرِقُ ٱلْأَرْضُ ٱلفَضَاءُ بِهِ   كَٱللَّيْلِ أَنْجُمُهُ ٱلْقُضْبَانُ وَٱلْأَسَلُ

وقالَ ابنُ المعتزِّ وتركَ الليلَ والنجومَ (٣) [من الطويل]

إِذَا شِئْتُ أَوْقَرْتُ ٱلْبِلَادَ حَوَافِراً   وَسَارَتْ وَرَائِي هَاشِمٌ وَنِزَارُ

وَعَمَّ ٱلسَّمَاءَ ٱلنَّقْعُ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ   دُخَانٌ وَأَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ شَرَارُ

وقالَ المُتنبّي (٤) [من الكامل]

فَكَأَنَّمَا كُسِيَ ٱلنَّهَارُ بِهَا دُجَا   لَيْلٍ وَأَطْلَعَتِ ٱلرِّمَاحُ كَوَاكِبَا

فهٰؤلاءِ فُحولُ الشعراءِ المعدودونَ ، ينبغي أن تَتأمَّلَ كيفَ حالُهُم في المشيِ علىٰ أثرِ ذٰلكَ الشاعرِ الفريدِ ، وقد ضربتُ صفحاً عن كثيرٍ تناولوا ذٰلكَ التشبيهَ كيفَما [تناولوهُ] ، وبيتُ بشارٍ المذكورُ مِنْ قصيدةٍ موجودٌ بعضُها في الكتبِ ، وهيَ مِنَ الشعرِ الرَّصينِ الذي يُعرِبُ عن نفسِهِ بدرجةِ براعتِهِ ، فرأيتُ إثباتَ ما وجدتُ منها ؛ ليتخذَهُ طُلَّابُ الأدبِ سراجاً يمشونَ في ضوئِهِ ، قالَ (٥) [من الطويل]

جَفَا وِدُّهُ فَٱزْوَرَّ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهْ   وَأَزْرَىٰ بِهِ أَلَّا يَزَالَ يُعَاتِبُهْ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٣١/٢)

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٣١/٢)

(٣) انظر « ديوان ابن المعتز » (٦٥/١)

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٨٢)

(٥) انظر « ديوان بشار بن برد » (٣٢٥/١)

خَلِيلَيَّ لَا تَسْتَكْثِرَا لَوْعَةَ ٱلْهَوَىٰ وَلَا سَلْوَةَ ٱلْمَحْزُونِ شَطَّتْ حَبَائِبُهْ
إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ ٱلْأُمُورِ مُعَاتِباً صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ ٱلَّذِي لَا تُعَاتِبُهْ
فَعِشْ وَاحِداً أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى ٱلْقَذَىٰ ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ
رُوَيْداً تَصَاهَلْ بِٱلْعِرَاقِ جِيَادُنَا كَأَنَّكَ بِٱلضَّحَّاكِ قَدْ قَامَ نَادِبُهْ (١)

ومنها

وَسَامٍ لِمَرْوَانٍ وَمِنْ دُونِهِ ٱلشَّجَا وَهَوْلٌ كَلُجِّ ٱلْبَحْرِ جَاشَتْ غَوَارِبُهْ
أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ ٱلْمَنَايَا بَنَاتِهَا بِأَسْيَافِنَا إِنَّا رَدَىٰ مَنْ نُحَارِبُهْ
وَكُنَّا إِذَا دَبَّ ٱلْعَدُوُّ لِسُخْطِنَا وَرَاقَبَنَا فِي ظَاهِرٍ لَا نُرَاقِبُهْ
رَكِبْنَا لَهُ جَهْراً بِكُلِّ مُثَقَّفٍ وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقِي ٱلدِّمَاءَ مَضَارِبُهْ
وَجَيْشٍ كَجُنْحِ ٱللَّيْلِ يَزْحَفُ بِٱلْحَصَىٰ وَبِٱلشَّوْكِ وَٱلْخَطِّيِّ حُمْراً ثَعَالِبُهْ

ومنها

غَدَوْنَا لَهُ وَٱلشَّمْسُ فِي خِدْرِ أُمِّهَا تُطَالِعُهَا وَٱلطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهْ
بِضَرْبٍ يَذُوقُ ٱلْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى ٱلْفِرَارُ مَثَالِبُهْ

ومنها

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ ٱلْفُجَاءَةِ إِنَّنَا بَنُو ٱلْمَوْتِ خَفَّاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهْ
فَرَاحُوا فَرِيقٌ فِي ٱلْأُسَارَىٰ وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَاذَ بِٱلْبَحْرِ هَارِبُهْ
إِذَا ٱلْمَلِكُ ٱلْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِٱلسُّيُوفِ نُعَاتِبُهْ

---

(١) هٰذا البيت ليس في « ديوانه » ، وهو زيادة من « معاهد التنصيص » (٢/ ٢٩)

قالَ بعضُ رُجّازِ العربِ[1] [من الرجز]

وَٱلشَّمْسُ كَٱلْمِرْآةِ فِي كَفِّ ٱلْأَشَلّْ

ومنهُ أخذَ القاضي الفاضلُ قولَهُ[2] [من الكامل]

وَٱلشَّمْسُ مِنْ بَيْنِ ٱلْأَرَائِكِ قَدْ حَكَتْ سَيْفاً صَقِيلاً فِي يَدٍ رَعْشَاءِ

والشهابُ التَّلَعْفَرِيُّ قولَهُ[3] [من البسيط]

أَفْدِي ٱلَّذِي زَارَنِي فِي ٱللَّيْلِ مُسْتَتِراً أَحْلَىٰ مِنَ ٱلْأَمْنِ عِنْدَ ٱلْخَائِفِ ٱلدَّهِشِ

وَلَاحَتِ ٱلشَّمْسُ تَحْكِي عِنْدَ مَطْلَعِهَا مِرْآةَ تِبْرٍ بَدَتْ فِي كَفِّ مُرْتَعِشِ

وإدريسُ بنُ اليمانيِّ العبديُّ قولَهُ [من المديد]

قُبْلَةٌ كَانَتْ عَلَىٰ دَهَشِ أَذْهَبَتْ مَا بِي مِنَ ٱلْعَطَشِ

وَلَهَا فِي ٱلْقَلْبِ مَنْزِلَةٌ لَوْ عَدَتْهَا ٱلنَّفْسُ لَمْ تَعِشِ

طَرَقَتْنِي وَٱلدُّجَا لَبِسٌ خِلَعاً مِنْ جِلْدَةِ ٱلْحَبَشِ

وَكَأَنَّ ٱلنَّجْمَ حِينَ بَدَا دِرْهَمٌ فِي كَفِّ مُرْتَعِشِ

[مِن أنواعِ التَّشبيهِ]

ومِنَ التشبيهِ نوعٌ سَمَّوهُ تشبيهاً ضمنيّاً أو مكنيّاً عنهُ ، كقولِ أبي الطيبِ يُخاطِبُ سيفَ الدولةِ ابنَ حمدانَ[4] [من الوافر]

رَأَيْتُكَ فِي ٱلَّذِينَ أَرَىٰ مُلُوكاً كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالِ

---

(١) هو الشماخ الذبياني رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ٣٩٤)

(٢) انظر « ديوان القاضي الفاضل » (ص ٤٤٠)

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٣٣/٢)

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٠٧)

فَـإِنْ تَـفُـقِ ٱلْأَنَـامَ وَأَنْـتَ مِـنْـهُـمْ   فَـإِنَّ ٱلْـمِـسْـكَ بَـعْـضُ دَمِ ٱلْـغَـزَالِ

فقد تَضمَّنَ احتجاجُهُ لدعواهُ تشبيهَ الممدوحِ بالمِسكِ في أنَّ كلّاً مباينٌ لأصلِهِ بخصائصَ جعلَتْهُ حقيقةً منفردةً ، واستعملَ هٰذا التشبيهَ مَرَّةً ثانيةً في نفسِهِ حيثُ يقولُ(1)   [من الوافر]

وَمَـا أَنَـا مِـنْـهُـمُ بِـٱلْـعَـيْـشِ فِـيـهِـمْ   وَلٰـكِـنْ مَـعْـدِنُ ٱلـذَّهَـبِ ٱلـرَّغَـامُ

ومِنَ الطَّرائفِ ما يُحكىٰ أنَّ بعض الناسِ قالَ لأبي الطيبِ إنَّ القافيةَ ألجأَتْكَ إلىٰ مقابلةِ المستقيمِ بالمُحالِ ، وإنَّما يقابلُهُ المُعْوَجُّ ، وماذا كنتَ تقولُ في قافيةِ البيتِ الثاني لو قلتَ في الأوَّلِ كأنكَ مستقيمٌ في اعوجاجٍ ؟ فقالَ كنتُ أقولُ فإنَّ البيض بعضُ دمِ الدَّجاجِ

ثمَّ إنَّ المقابلةَ صحيحةٌ ؛ إذِ المُحالُ في اللغةِ هوَ المصروفُ عن جهةِ قصدِهِ ، فهوَ مُعوَجٌّ ، والمُحالُ بمعنى الممتنعِ استعمالٌ اصطلاحيٌّ بينَ أهلِ عِلْمِ الكلامِ ، وليسَ لغوياً

ومثلُ قولِ محمدِ بنِ وهيبٍ(2)   [من الكامل]

وَبَـدَا ٱلـصَّـبَـاحُ كَـأَنَّ غُـرَّتَـهُ   وَجْـهُ ٱلْـخَـلِـيـفَـةِ حِـيـنَ يُـمْـتَـدَحُ

يُسمَّى التشبيهَ المقلوبَ

ومثلُ قولِ أبي الطيبِ(3)   [من الوافر]

بَـدَتْ قَـمَـراً وَمَـالَـتْ خُـوطَ بَـانٍ   وَفَـاحَـتْ عَـنْـبَـراً وَرَنَـتْ غَـزَالَا

التشبيهُ المفروقُ

---

(1) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٧٣)
(2) هو محمد بن وُهيب الحميري ، كما في « شعراء عباسيون » (١/٦٩)
(3) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١٠٧)

ومثلُ قولِ امرئ القيسِ(١) [من الطويل]

كَـأَنَّ قُـلُـوبَ ٱلـطَّـيْـرِ

التشبيهُ الملفوفُ

ومثلُ قولِهِ(٢) [من الطويل]

حَمَلْتُ رُدَيْنِيّاً كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

تشبيهُ التفصيلِ

وقد يُترَكُ التشبيهُ إلى الحُكْمِ بالتشابهِ ؛ فِراراً مِنْ ترجيحِ أحدِ المتساويَينِ في رأيِ المُتكلِّمِ ، مثلُ قولِ الصاحبِ إسماعيلَ بنِ عبَّادٍ(٣) [من الكامل]

رَقَّ ٱلزُّجَاجُ وَرَاقَتِ ٱلْخَمْرُ فَتَشَابَهَا وَتَشَاكَلَ ٱلْأَمْرُ

فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ

وعن هٰذا المعنىٰ عَبَّرَ بعضُ المغاربةِ بقولِهِ(٤) [من الكامل]

خَفِيَتْ عَلَىٰ شُرَّابِهَا فَكَأَنَّمَا يَجِدُونَ رَيّاً مِنْ إِنَاءٍ فَارِغِ

ومثلُ قولِ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ هلالٍ الصَّابئِ(٥) [من الطويل]

تَشَابَهَ دَمْعِي إِذْ جَرَىٰ وَمُدَامَتِي فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي ٱلْكَأْسِ عَيْنِيَ تَسْكُبُ

فَوَٱللهِ مَا أَدْرِي أَبِٱلْخَمْرِ أَسْبَلَتْ جُفُونِيَ أَمْ مِنْ عَبْرَتِي كُنْتُ أَشْرَبُ

---

(١) تقدم تخريجه قريباً (٣٤/٢) ، والبيت بتمامه

كَأَنَّ قُلُوبَ ٱلطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً لَدَىٰ وَكْرِهَا ٱلْعُنَّابُ وَٱلْحَشَفُ ٱلْبَالِي

(٢) كذا في « معاهد التنصيص » (٩٢/٢)

(٣) انظر « ديوان الصاحب » (ص ١٧٦)

(٤) هو جعفر المصحفي ، كما في « نفح الطيب » (٥٩٤/١)

(٥) انظر « معاهد التنصيص » (٥٩/٢)

ومِنَ المُشبَّهِ بهِ ما يكونُ أمراً وهميّاً يَحصُلُ بهِ غرضُ التشبيهِ ؛ كقولِ امرئ القيسِ في تشبيهِ النِّبالِ(١) [من الطويل]

وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

يُحكى أنَّ بعض المُلحدينَ الذينَ يتهالكونَ في طلبِ مَثْلَبةٍ يميلونَ بها إلى القرآنِ قالَ في مجلسِ بعضِ الملوكِ ما حُسْنُ التشبيهِ بما لا يَعرِفُهُ الناسُ في قولِهِ ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ ؟!(٢)

فقالَ بعضُ العلماءِ الحاضرينَ انصِبوا لي مِنبراً أجيبُ فوقَهُ عن مسألةِ هٰذا ، فلم يزدْ حينَ علاهُ أن أنشدَ قولَ امرئ القيسِ هٰذا ، فخَرِسَ المُلحِدُ ، وفرحَ المجلسُ

وقد شَبَّهَ بعضُهُم بأمرٍ اخترعَهُ ؛ كقولِ الصَّنوبريِّ(٣) [من مجزوء الكامل]

وَكَأَنَّ مُحْمَرَّ ٱلشَّقِيـ ... ـقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدْ
أَعْلَامُ يَاقُوتٍ نُشِرْ ... نَ عَلَىٰ رِمَاحٍ مِنْ زَبَرْجَدْ

وكقولِ القاضي التنوخيِّ وهوَ مِنَ العباراتِ النيرةِ(٤) [من المتقارب]

وَرَاحٌ مِنَ ٱلشَّمْسِ مَخْلُوقَةٌ ... تَضَمَّنَهَا قَدَحٌ مِنْ نَهَارِ
هَوَاءٌ وَلَٰكِنَّهُ جَامِدٌ ... وَمَاءٌ وَلَٰكِنَّهُ غَيْرُ جَارِ
كَأَنَّ ٱلْمُدِيرَ لَهَا بِٱلْيَمِينِ ... إِذَا مَالَ بِٱلشُّرْبِ أَوْ بِٱلْيَسَارِ

---

(١) انظر « ديوانه » (ص ٣٣) والبيت بتمامه

أَيَقْتُلُنِي وَٱلْمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ... وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

(٢) سورة الصافات (٦٥)

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٤)

(٤) انظر « يتيمة الدهر » (٢/٣٩٧)

تَـدَرَّعَ ثَـوْبـاً مِـنَ ٱلْـيَـاسَـمِـيـنِ   لَـهُ فَـرْدُ كُـمٍّ مِـنَ ٱلْـجُـلَّـنَـارِ

وهٰذا وإن كانَ حسناً لٰكنَّهُ ليسَ في الفضلِ مثلَ قولِ ابنِ الروميِّ (١) [من البسيط]

وَلَازَوَرْدِيَّـةٌ تَـزْهُـو بِـزُرْقَـتِـهَـا   بَيْنَ ٱلرِّيَاضِ عَلَىٰ حُمْرِ ٱلْيَوَاقِيتِ

كَـأَنَّـهَـا فَـوْقَ قَـامَـاتٍ ضَـعُـفْـنَ بِـهَـا   أَوَائِلُ ٱلنَّـارِ فِـي أَطْـرَافِ كِـبْـرِيـتِ

فالتشبيهُ بينَ الأشياءِ المُحقَّقةِ أدلُّ على النَّباهةِ ، وأعجبُ للنفوسِ ، ووقعَ هٰذا التشبيهُ لشاعرٍ آخَرَ ، ولٰكنْ ليسَتْ عبارتُهُ في سَلاسةِ عبارةِ ابنِ الروميِّ ، قالَ (٢) [من البسيط]

بَنَفْسَجٌ بِذَكِيِّ ٱلْمِسْكِ مَخْصُوصُ   مَا فِي زَمَانِكَ إِنْ [وَافَاكَ] تَنْغِيصُ

كَـأَنَّـمَـا شُـعَـلُ ٱلْكِبْرِيتِ مَنْظَرُهُ   أَوْ خَدُّ أَغْيَدَ بِٱلتَّخْمِيشِ مَقْرُوصُ

[مِن شواهدِ التشبيهِ]

هٰذا ؛ وليسَ كلُّ ما فيهِ الكافُ أو (كأنَّ) يُعَدُّ في نظرِ أهلِ صناعةِ الكلامِ العارفينَ بها الواقفينَ علىٰ أسرارِها الملتفتينَ إلىٰ دقائقِها ، وإنَّما التشبيهُ ما جَلَّتْ فائدتُهُ ، وحَسُنَ موقعُهُ مِنْ غرضِهِ ، واعتبرْ هٰذا بتشبيهاتٍ نَختِمُ بها شواهدَ التشبيهِ ؛ قالَ بعضُ العربِ (٣) [من الطويل]

وَلَـمَّـا بَدَا لِي مِنْكَ مَيْلٌ مَعَ ٱلْعِدَا   عَـلَـيَّ وَلَـمْ يَـحْـدُثْ سِـوَاكَ بَـدِيـلُ

صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ ٱلرَّمِيُّ تَطَاوَلَتْ   بِـهِ مُـدَّةُ ٱلْأَيَّـامِ وَهْـوَ قَـتِـيـلُ

---

(١) انظر « ديوان ابن الرومي » (١/٣٩٤)

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٥٧)

(٣) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (٣/١٤٤)

ولراشدِ ابنِ حُكَيْمةَ الكاتبِ حيثُ انتهتْ بهِ السِّنُّ إلىٰ ضَعفِ عضوِ التناسلِ[1] [من الطويل]

يَنَامُ عَلَىٰ كَفِّ ٱلْفَتَاةِ وَتَارَةً لَهُ حَرَكَاتٌ لَا يُحِسُّ بِهَا ٱلْكَفُّ
كَمَا يَرْفَعُ ٱلْفَرْخُ ٱبْنُ يَوْمَيْنِ رَأْسَهُ إِلَىٰ أَبَوَيْهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ ٱلضَّعْفُ

ولم يبقَ في أيدي الناسِ إذ ذاكَ مِنْ شعرِ راشدٍ هٰذا إلَّا شعرُهُ في هٰذا المعنىٰ ، وهوَ كثيرٌ ، وفيهِ محاسنُ ، وتناقلَهُ المُؤلِّفونَ في كتبِ الأدبِ

وقالَ ابنُ الرُّوميِّ[2] [من البسيط]

مَا أَنْسَىٰ لَا أَنْسَىٰ خَبَّازاً مَرَرْتُ بِهِ يَدْحُو ٱلرُّقَاقَةَ وَشْكَ ٱللَّمْحِ بِٱلْبَصَرِ
مَا بَيْنَ رُؤْيَتِهَا فِي كَفِّهِ كُرَةً وَبَيْنَ رُؤْيَتِهَا قَوْرَاءَ كَٱلْقَمَرِ
إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ فِي صَفْحَةِ ٱلْمَاءِ يُلْقَىٰ فِيهِ بِٱلْحَجَرِ

وقالَ ابنُ رشيقٍ[3] [من الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ يَحْمِيهِ عَنْ نَظَرِ ٱلْوَرَىٰ غَيْرَانُ سُكْنَى ٱلْمُلْكِ تَحْتَ قِبَابِهِ
أَوْمَا إِلَيَّ أَنِ ٱئْتِنِي فَأَتَيْتُهُ وَٱلْفَجْرُ يُنْظَرُ مِنْ خِلَالِ [نِقَابِهِ][4]
فَضَمَمْتُهُ لِلصَّدْرِ حَتَّى [ٱسْتَوْهَبَتْ] مِنِّي ثِيَابِي [بَعْض] طِيبِ ثِيَابِهِ
وَكَأَنَّ قَلْبِي مِنْ وَرَاءِ ضُلُوعِهِ طَرَباً يُخَبِّرُ قَلْبَهُ عَمَّا بِهِ

(١) انظر « ثمار القلوب » (١/٣٦٧) ، و« فوات الوفيات » (٢/١٨) وفيه (راشد بن إسحاق يلقب أبا حُكيمة)
(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (٣/١١١٠)
(٣) انظر « ديوان ابن رشيق » (ص ٤٦ ـ ٤٧)
(٤) في الأصل (سحابه)

ومنْ أحسنِ التشابيهِ في خفقانِ القلبِ قولُ مَنْ قالَ[1] [من الطويل]

وَلِي كَبِدٌ حَرَّىٰ وَنَفْسٌ كَأَنَّهَا ... بِكَفِّ عَدُوٍّ مَا يُرِيدُ سَرَاحَهَا

كَأَنَّ عَلَىٰ قَلْبِي قَطَاةً تَذَكَّرَتْ ... عَلَىٰ ظَمَأٍ وِرْداً فَهَزَّتْ جَنَاحَهَا

والتشبيهُ الذي يكونُ المُشبَّهُ بهِ فيهِ مُركَّباً ، فيكونُ وجهُ الشَّبَهِ مُنتزَعاً مِنَ المجموعِ يُسمَّىٰ تشبيهَ التمثيلِ ؛ فمتىٰ حذفتَ منهُ المُشبَّهَ والأداةَ صارَ استعارةً تمثيليةً ، ومتىٰ صَلَحَ لأن يُستعمَلَ في مواضعَ كثيرةٍ استشهاداً أوِ استرواحاً وتأسِّياً سُمِّيَ مَثَلاً ، قالَ[2] [من الطويل]

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْماً عِطَاشاً غَمَامَةٌ ... فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ

وقالَ آخَرُ[3] [من الوافر]

هَجَرْتُكَ لَا قِلىً مِنِّي وَلَٰكِنْ ... رَأَيْتُ بَقَاءَ وُدِّكَ فِي ٱلصُّدُودِ

كَهَجْرِ ٱلْحَائِمَاتِ ٱلْوِرْدَ لَمَّا ... رَأَتْ أَنَّ ٱلْمَنِيَّةَ فِي ٱلْوُرُودِ

تَفِيضُ نُفُوسُهَا ظَمَأً وَتَخْشَىٰ ... حِمَاماً فَهْيَ تَنْظُرُ مِنْ بَعِيدِ

فلو قلتَ هجرَتِ الحائماتُ الوِردَ حينَ رأتِ الأرصادَ ، فهيَ تنظرُ سببَ حياتِها وتَخشىٰ سببَ موتِها كانَ استعارةً تمثيليةً ، كما قيلَ أخذاً مِنْ هـٰذا [من الوافر]

أَرَىٰ مَاءً ... (البيتَ)[4].

---

(١) هو ديك الجن في « ديوانه » (ص ١٠٢)

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٥١)

(٣) انظر كتاب « المحب والمحبوب » للسري الرفاء (٢/٧٠ ـ ٧١)

(٤) تقدم (٢/٢٥) ، والبيت بتمامه

أَرَىٰ مَاءً وَبِي ظَمَأٌ شَدِيدٌ ... وَلَٰكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى ٱلْوُرُودِ

[مِن أمثلةِ الاستعارةِ]

وكفاكَ هـٰذا القدْرُ مِنْ أمثلةِ التشبيهِ مِعياراً تَعرِفُ بهِ جودةَ ما يَرِدُ عليكَ منهُ ، ولنمضِ بكَ حينَئذٍ في أمثلةِ الاستعارةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١)

الباطلُ هوَ الأحكامُ التي مِنْ جهتِها يَدخُلُ الفسادُ على الحالةِ التي هيَ صلاحُ الكافَّةِ ، وبضدِّها تَتميَّزُ الأشياءُ ؛ فالحقُّ خلافُ الباطلِ ، وزهوقُ نفسِ الحيِّ مفارقتُها بدنَهُ ، والباطلُ ليسَ حيواناً ، فيكونُ لفظُ الزُّهوقِ مُستعمَلاً في غيرِ ما وُضِعَ لهُ ؛ وهوَ اضمحلالُ الباطلِ وذهابُهُ مِنَ الكونِ ، فيُعرِّفُنا هـٰذا أنَّ الباطلَ قد شُبِّهَ بذي رُوحٍ يكونُ بهِ حيّاً يَعملُ أعمالَهُ التي أعدَّهُ اللهُ لعملِها ، وتفارقُهُ فلا يستطيعُ عملاً ؛ فالاستعارةُ مكنيةٌ حيثُ كانَ المذكورُ في الكلامِ مِنْ طرفَيِ التشبيهِ هوَ المُشبَّهَ ، والمُشبَّهُ بهِ غيرُ مذكورٍ ، مشارٌ إليهِ بما هوَ لهُ خاصَّةٌ ؛ وذٰلكَ هوَ المُسمَّىٰ قرينةَ المكنيَّةِ

ويظهرُ لكَ مِنَ التقريرِ أنَّهُ هنا استعارةٌ تحقيقيةٌ تصريحيةٌ تبعيَّةٌ ، وهـٰذا الكلامُ معَ شِدَّةِ اختصارِهِ يفيدُ بسببِ الاستعارةِ المكنيةِ ما لا تفيدُهُ الحقيقةُ التي هيَ (ذهبَ الباطلُ) ، ومَنْ لم يكنْ آتاهُ اللهُ عِلْمَ أسرارِ الصناعةِ الكلاميَّةِ يُخيَّلُ لهُ أنَّ الكلامَ لو كانَ (جاءَ الحقُّ وذهبَ الباطلُ) كانَ مُشتمِلاً علىٰ حسنِ (المطابقةِ) التي هي مِنَ الوجوهِ التي تكسو الكلامَ حسناً ، كما يُعرِبُ عنه فنُّ البديعِ ، ويكونُ كقولِهِ قبلُ ﴿ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ (٢)

وبيانُ ما تفيدُهُ الاستعارةُ المكنيةُ هوَ تصويرُها لفكرِ المُتعقِّلِ الباطلَ في

---

(١) سورة الإسراء (٨١)

(٢) سورة الإسراء (٨٠)

صورةِ وقُوَّةِ الحقِّ الذي يبطلُها ويزيلُها ، وأنَّهُ يجبُ أن يكونَ إلٰهيّاً ، ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾(١) ، ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾(٢)

وطريقُ تصويرِ الباطلِ في صُوَرِهِ أنَّهُ لمَّا شَبَّهَهُ بذي رُوحٍ دونَ تخصيصِ حيوانٍ أوجبَ أن يلتفتَ فكرُكَ إلىٰ سائرِ أنواعِ الحيوانِ وخواصِّ كلِّ نوعٍ ، وحينَئذٍ تقولُ الباطلُ مثلُ السِّباعِ العاديةِ افتراساً مجاهرةً أو ختلاً أو بالمكرِ والحِيلةِ ، فتُشبِّهُ باطلاً بأسدٍ ، وباطلاً بذئبٍ ، وباطلاً بثعلبٍ ، وباطلاً بغُرابٍ وحِدَأَةٍ ، وباطلاً بثورٍ وحمارٍ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، وأشدُّ الباطلِ وأنكرُهُ ما يكونُ شَبَهَ الإنسانِ ؛ حيثُ كانَ الإنسانُ جامعاً لسائرِ خصائصِ جميعِ الأنواعِ ؛ فالبعضُ يعملُ بالقهرِ والعُدوانِ والسَّلاطةِ ، والبعضُ بالمكرِ والحِيلةِ والتملُّقِ ، والبعضُ بالاختلاسِ والاختتالِ والاختطافِ

مثلاً قبيلةُ طيِّئٍ أو قبيلةُ نُميرٍ كَثُرَ فيها العَدَدُ والعُدَدُ ، وقبائلُ أخرىٰ دونَها ، فكانَ مِنْ أحكامِها الباطلةِ التي تُنفِّذُها بالقهرِ والسَّلاطةِ فتشبهُ السبعَ أنَّهُ إذا قَتَلَ واحدٌ مِنَ القبيلةِ الضَّعيفةِ واحداً مِنَ القبيلةِ القويَّةِ ؛ فإمَّا أن يطلبوا منهُم للقتلِ في ثأرِ قتيلِهم عشرةً أو عشرينَ ، فإن سلَّموا وإلَّا صبَّحَتْهُمُ الخيلُ بالغارةِ ، فقتلوا الرجالَ ، وسَبَوُا النساءَ جواريَ ، والأولادَ عبيداً ، فربَّما أفنَتْ قبيلةٌ قبيلةً ، وأنَّ حُرَّ الضَّعيفةِ وإن لم يكنِ القاتلَ بعبدِ القويَّةِ ، وأنَّ الشيءَ المغصوبَ يُستَرَدُّ مُضاعفاً إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأحكامِ التي تُطلِعُكَ عليها تواريخُ تلكَ الأُمَّةِ

ومِنَ الباطلِ الذي يَحسُنُ تشبيهُهُ بحيواناتِ المكرِ والحيلةِ والختلِ ما

---

(١) سورة الأنفال (٦٣)

(٢) سورة الأنفال (١٧)

يَصدُرُ عنِ الأشخاصِ الذين يَفتَرونَ على اللهِ الكذبَ ، فيدَّعونَ أنَّهُ تعالىٰ شأنُهُ اختصَّهُم بأسرارٍ أهَّلَتْهُم ليكونوا رؤساءَ ينظرونَ في مصالحِ جمعٍ مِنَ الناسِ وتكميلِ أرواحِهِم ، ويَجعلونَ ذٰلكَ طريقةً إلىٰ أغراضِهِم وشهواتِهِم باستعبادِ ذٰلكَ الجمعِ وتسييرِهِ في تحصيلِها مُخيِّلينَ لهُم أنَّهُم في طاعةِ خالقِهِم ، ومِنْ باطلِ بعضِ هٰؤلاءِ ما يَحسُنُ تشبيهُهُ بالإنسانِ

وأمَّا الباطلُ الذي يَحسُنُ تشبيهُهُ بأغبياءِ الحيواناتِ فهوَ باطلُ أولٰئكَ الناسِ الذين يريدونَ التوصُّلَ إليهِ بالانحيازِ إلىٰ بعضِ الظَّلَمةِ ، وما أشبهَ ذٰلك

وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلضِّرْغَامَ بَازاً لِصَيْدِهِ تَصَيَّدَهُ الضِّرْغَامُ فِيمَنْ تَصَيَّدَا (١)

ومَنْ أرادَ أن يَقدُرَ كلامَ اللهِ حقَّ قدرِهِ ، ويعرفَ مقاصدَ البلغاءِ المعدودينَ لزمَهُ ألَّا يَنصرِفَ بالنظرةِ الحمقاءِ ، بل يُكرِّرَ الفكرَ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ ، ووقتاً بعدَ وقتٍ ، حتىٰ يقفَ علىٰ أسرارِ البلاغةِ

قالَ صاحبُ « المثلِ السائرِ » (كنتُ أقرأُ في اليومِ ختمةً ، ثمَّ في الشهرِ ، ثمَّ في السنةِ ، ثمَّ هاأنا أقرأُ في ختمةٍ منذُ كذا وكذا سنةً ولم أفرُغْ منها ، وكلَّما أعدتُ النظرَ ظهرَ لي ما لم يكنْ قبلُ ظهرَ)

وقدْ جاءَتْ هٰذهِ الاستعارةُ مقرونةً بأخرىٰ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (٢)

ففيهِ استعارتانِ مَكنيَّتانِ ، مِنْ جهتِهِما يَخرُجُ بكَ الفكرُ إلىٰ تلكَ المعاني ، فتفاوتُ الباطلِ الذي هوَ كتفاوتِ الحيواناتِ يُوجِبُ التفاتَكَ إلى التفاوتِ بينَ الأحجارِ المقذوفةِ ؛ فالفيلُ لا يَدمَغُهُ الحجرُ الذي يَدمَغُ الثعلبَ

---

(١) من الطويل ، وهو للمتنبي في « ديوانه » (ص ٢٨١)

(٢) سورة الأنبياء (١٨)

وبما تَقرَّرَ تَعرِفُ أنَّهُ لا يَصِحُّ الاقتصارُ علىٰ أن تقولَ شَبَّهَ كذا بكذا ، واستُعِيرَ كذا لكذا

وقالَ تعالىٰ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

كلمةُ (الشفاءِ) التي معناها زوالُ المرضِ تخبرُنا أنَّ في الآيةِ استعارتَينِ

فإن كانَ المعنىٰ ونُنزلُ مِنَ القرآنِ آياتٍ تشفي الجهلاءَ المؤمنينَ فالاستعارتانِ مَكنيَّتانِ ؛ الأُولىٰ أصليةٌ ، والثانيةُ تبعيةٌ

وإن كانَ المعنىٰ وننزلُ مِنَ القرآنِ أدويةً تشفي المرضى المؤمنينَ فالاستعارتانِ مُصرَّحتانِ ؛ أصليةٌ ، وتبعيةٌ

وفيهِ ـ كما صارَ لا يَخفىٰ عليكَ ـ التنبيهُ علىٰ تفاوتِ الجهالاتِ والبراهينِ كتفاوتِ الأمراضِ والأدويةِ ؛ فمِنَ الجهلِ ما يزولُ بالإشارةِ ، ومنهُ ما يُحتاجُ زوالُهُ إلى العبارةِ ، وربَّما لم يجدْ إلَّا تضافرَ الأدلَّةِ

ويُنوِّرُ عليكَ هٰذا النظرَ إلىٰ مبدأ تحصُّلِ أُمَّةِ الإسلامِ ؛ وذٰلكَ أنَّ رجلاً علىٰ أكملِ ما يكونُ مِنْ خصائصِ الإنسانيةِ قامَ يَدَّعي أنَّ أمراً سماوياً جاءَهُ بغتةً يُعَلِّمُهُ ليُعلِّمَ الناسَ ويرشدَهُم إلىٰ مصالحِهم ، فارتاعَ ، وكانَ أوَّلَ مَنْ أخبرَ بما رأى السيدةُ خديجةُ ، فآمنَتْ بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ورضيَ عنها ، قائلةً كلَّا واللهِ ؛ لا يُخزِيكَ اللهُ أبداً ؛ إنَّكَ لَتصلُ الرحمَ ، وتَحمِلُ الكَلَّ ، وتَكسِبُ المعدومَ ، وتُعِينُ علىٰ نوائبِ الحقِّ ، فهٰذهِ السيدةُ وأشباهُها مِنَ المؤمنينَ اكتفَوا في تصديقِ دعواهُ بتصوُّرِ أنَّ مَنْ كانَ مِنَ الكمالاتِ في تلكَ الدرجةِ لا يكونُ أمرُهُ شيطانياً

وغيرُ هٰؤلاءِ احتاجوا إلىٰ إباناتٍ وتنويراتٍ مختلفةٍ حَسَبَ ما يظهرُ لكَ

---

(١) سورة الإسراء (٨٢)

مِنَ الاطِّلاعِ علىٰ تواريخِ إسلامِ المسلمينَ ، حتىٰ قيلَ أقلُّ الإيمانِ فضلاً الإيمانُ عنِ المعجزةِ

وقالَ تعالىٰ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

علىٰ حرفٌ موضوعٌ ليُستعمَلَ في ارتباطاتٍ جزئيةٍ بينَ شيءٍ وما قَرَّ فوقَهُ ؛ الجبالُ على الأرضِ ، وجدارٌ علىٰ أساسٍ ، وإنسانٌ علىٰ دابَّةٍ ، **والهُدىٰ** هنا هوَ الأمرُ الذي كانَ سبباً في جزمِ المؤمنِ بحقيَّةِ ما أُمِرَ بهِ مِنِ اعتقادٍ وقولٍ وعملٍ ، وإنَّ ذٰلكَ يصلُ بهِ مِنَ السعادةِ إلى الغايةِ التي أُعِدَّتْ لهُ

فإن كانَ الغرضُ تشبيهَ ارتباطِ المؤمنِ بذٰلكَ السببِ الذي هوَ البرهانُ أوِ العِيانُ الكشفيُّ ، بالارتباطِ بينَ الجبلِ والأرضِ مثلاً   **فالاستعارةُ تبعيةٌ** ؛ فإنَّ فكرَكَ يقولُ الارتباطُ كالارتباطِ ، وهٰذا الارتباطُ المطلقُ الذي جرىٰ فيهِ التشبيهُ ليسَ معنى الحروفِ ، ولٰكنْ جزئياتُهُ ، وإذا جرىٰ تشبيهُ المطلقِ بالمطلقِ   فألبتةَ يَحصُلُ تشبيهُ الجزئياتِ بالجزئياتِ ، فالحاصلُ مدحُ المتقينَ الذينَ يؤمنونَ بالغيبِ   إلىٰ آخِرِهِ بالثباتِ وتمامِ الاستقرارِ ، كما هو صفةُ الجبالِ ، ولا يَذهبُ عليكَ ملاحظةُ الإشارةِ إلى التفاوتِ

وإن كانَ الغرضُ تشبيهَ الهدى الذي يصلُ بصاحبِهِ إلىٰ تلكَ الغايةِ ، بالمطيَّةِ التي تصلُ براكبِها إلىٰ مَقصِدِهِ   **فالاستعارةُ مكنيَّةٌ** ، ومِنْ قبيلِ هٰذهِ الاستعارةِ قولُهُم ركبَ مَطِيَّةَ الجهلِ وغوىٰ ، واقتعدَ غاربَ الهوىٰ ، وقولُهُ (٢) [من الطويل]

صَحَا ٱلْقَلْبُ عَنْ سَلْمَىٰ وَأَقْصَرَ بَاطِلُهْ   وَعُرِّيَ أَفْـرَاسُ الـصِّـبَـا وَرَوَاحِـلُـهْ

---

(١) سورة البقرة (٥)

(٢) هو زهير بن أبي سلمىٰ في « ديوانه » (ص ١٠١)

وقالَ تعالىٰ ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ (١)

الختمُ والطَّبعُ يَدُلُّ علىٰ تشبيهِ القلوبِ بصناديقَ مثلاً ؛ ففي الكلامِ استعارةٌ مكنيةٌ ، قرينتُها لفظُ (ختمَ) ، فيفيدُ الكلامُ أنَّ أولـٰئكَ بمنزلةِ الجماداتِ ؛ بحيثُ إنَّها لو كانَ فيها شيءٌ لم تكنْ مُنتفِعةً بهِ ، وقد جُعِلَتْ بحيثُ لا يمكنُ أن يَدخُلَ فيها شيءٌ ، فلا يَطمَعُ طامعٌ في إيمانِهِم

وعلىٰ تشبيهِ القلوبِ بالمُستودَعاتِ أوِ المساكنِ مثلاً قولُهُ تعالىٰ ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (٢)

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ « لَا يُلْدَغُ ٱلْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ » (٣)

إذا قلتَ أدخلَ فلانٌ يدَهُ في جُحْرٍ ، فلدغَتْهُ لادغةٌ ، ثمَّ أعادَها فلدغَتْهُ مَرَّةً ثانيةً فتلكَ استعارةٌ تمثيليةٌ ؛ أصلُها أن تُشبِّهَ بهـٰذهِ الحالةِ حالةَ مَنْ يُصابُ بمكروهٍ مِنْ أمرٍ ، ثمَّ يَحمِلُهُ فَرْطُ الشَّهوةِ والطَّمعِ علىٰ مُغالطةِ نفسِهِ ، فيعودُ فيُصابُ بما أصابَهُ

مثلاً يأكلُ إنسانٌ طعاماً يَستلِذُّهُ ، فلا يوافقُ مِزاجَهُ ، فيُمرِضُهُ ، فتَحمِلُهُ اللَّذةُ منهُ علىٰ أن يقولَ ذٰلكَ الوقتُ كانَ حارّاً ، وقد بَرَدَ الزمنُ ، أو كانَ ذٰلكَ الانحرافُ عنِ الاعتدالِ بسببٍ آخَرَ

يُحكىٰ أنَّ الجاحظَ كانَ علىٰ مائدةِ بعضِ الأُمراءِ ومعَهُم حكيمٌ ، فنهى الجاحظَ عنِ الجمعِ بينَ اللَّبَنِ والسَّمكِ ، فقال الجاحظُ إن كانا حارَّينِ أو باردَينِ فالأكلُ منهُما كالإكثارِ مِنْ أحدِهِما ، وإن كانا مُختلفَينِ عَدَّلَ بعضُهُما بعضاً ، فقالَ الحكيمُ أعرفُ أنَّ هـٰذا

(١) سورة البقرة (٧)

(٢) سورة الحجرات (١٤)

(٣) أخرجه البخاري (٦١٣٣) ، ومسلم (٢٩٩٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

يَحصُلُ عنهُ في العادةِ الفالجُ ، ولستُ خطيباً ، فأصبحَ الجاحظُ مفلوجاً عفا اللهُ عنهُ (١)

والاستعارةُ في كلامِ اللهِ تعالىٰ وفي كلامِ نبيِّهِ تجاوزُ حدَّ الكثرةِ ، وبمعرفتِكَ معانيَ الألفاظِ الأُوَلِ ؛ فمتىٰ وردَتْ عليكَ الكلمةُ غيرَ مُستعمَلةٍ في معنىً أوليٍ لها لزمَكَ أن تقارنَ بينَ المعنيَينِ مُتفكِّراً في الأمورِ المُشترَكةِ بينَ المعنيَينِ ؛ لتَعرِفَ الغَرَض مِنَ الاستعارةِ

[أمثلةٌ للاستعارةِ من أشعارِ البُلغاءِ]

وهٰذهِ أمثلةٌ للاستعارةِ مِنْ أشعارِ البُلغاءِ : قالَ امرُؤُ القيسِ (٢) [من الطويل]

وَبَيْضَةِ خِدْرٍ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرُ مُعْجَلِ

شَبَّهَ الحسناءَ المَصونةَ في النَّضْرةِ وطيبِ المَلمسِ بالبيضةِ المحضونةِ ، فالاستعارةُ مُصرَّحةٌ مُجرَّدةٌ ، وفي قولِهِ (لا يُرامُ خِباؤُها) وصفَ نفسَهُ بغايةِ الشجاعةِ ، ونهايةِ الجسارةِ ، وعدمِ المبالاةِ بما يكونُ كيفَما يكونُ ؛ فإنَّهُ يقولُ إنَّ خِباءَها ممنوعٌ ، حولَهُ الحَرَسُ مُعتقِلينَ الرِّماحَ ، قابضينَ على السيوفِ ؛ بحيثُ لا يَرومُهُ ويَطلُبُ الوصولَ إليهِ أحدٌ ، وقد وصلتُ إليهِ وقضيتُ منهُ مآربي علىٰ مهلةٍ واطمئنانٍ ، كما صَرَّحَ ببعضِ ذٰلكَ في قولِهِ (٣) [من الطويل]

فَقُلْتُ يَمِينَ ٱللهِ أَبْرَحُ قَاعِداً وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي

وهٰذا مِنَ الكنايةِ كما ستقفُ عليهِ عندَ شرحِها ، وقال (٤) [من الطويل]

---

(١) انظر « عيون الأنباء » (ص ٢٥٣)

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٣)

(٣) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣٢)

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٨)

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ أَرْخَىٰ سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ ٱلْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّىٰ بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

أرادَ أن يصفَ حالَهُ مِنْ أنَّ وساوسَ الأفكارِ وبلابلَ الهُمومِ لم تزلْ تَشتدُّ في تقليبِهِ مِنْ جنبٍ إلىٰ جنبٍ ، فأودعَ ذٰلكَ في موجِ البحرِ ، وأرادَ أيضاً أن يصفَ اللَّيلَ بالطُّولِ كما هو حالُهُ معَ العُشَّاقِ والمهمومينَ ، فجعلَهُ قارّاً ثابتاً غيرَ مُتحرِّكٍ ؛ حيثُ شُبِّهَ بالأشياءِ التي هيَ للبقاءِ واللبسِ ، فاستعارَ إرخاءَ السُّدولِ لإحاطةِ الظُّلَمِ بِهِ ، كما استعارَ لها ـ والغَرَضُ واحدٌ ـ بُرُوكَ البعيرِ العظيمِ الخَلْقِ الثقيلِ الجسمِ ، والسدلُ ـ بضمِّ أولِهِ وكسرِهِ ـ السِّترُ ، والكَلْكلُ الصَّدرُ

ومِنِ استعارةِ بُروكِ الجَمَلِ للثباتِ والقرارِ . قولُ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ وقد قيلَ لهُ أمرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بتغييرِ الشَّيبِ ذٰلكَ والدِّينُ قُلٌّ ، فأمَّا وقد ضربَ الدِّينُ بجِرانِهِ فامرؤٌ ونفسُهُ[1]

جِرانُ البعيرِ ـ بكسرِ أوَّلِهِ ـ : ما أمامَ صدرِهِ ، ويَضرِبُ البعيرُ بجِرانِهِ حيثُ يأخذُ تمامَ راحتِهِ

وقالَ زهيرٌ[2] [من الطويل]

لَدَىٰ أَسَدٍ شَاكِي ٱلسِّلَاحِ مُقَذَّفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ

شاكي السلاحِ تامُّهُ ، فاستعارةُ الأسدِ مُرشَّحةٌ باللِّبَدِ والأظفارِ ، ولِبْدَةُ الأسدِ شعرُهُ المُتلبِّدُ علىٰ كتفَيهِ ؛ حيثُ يكونُ في شبيبتِهِ وأوسطِ سِنِّهِ ، ولفظُ (السلاحِ) جرى استعمالُهُ في المخالبِ والأنيابِ والقرونِ إلىٰ

(١) انظر « التذكرة الحمدونية » (٦/٢٨)
(٢) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٣٠)

غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأشياءِ التي خلقَها اللهُ للحيواناتِ تدافعُ بها عن نفسِها ، فلا يكونُ (شاكي السلاحِ) تجريداً ، ويكونُ قولُهُ (أظفارُهُ لم تُقلَّمِ) بمنزلةِ التفسيرِ ، كأنَّهُ قالَ لدىٰ أسدٍ صحيحِ الأظفارِ والأنيابِ في أوانِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ ، وقالَ كثيرُ عزَّةَ أو غيرُهُ[1]

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنىً كُلَّ حَاجَةٍ ... وَمَسَّحَ بِٱلْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

وَشُدَّتْ عَلَىٰ ظَهْرِ ٱلْمَطِيِّ رِحَالُنَا ... وَلَمْ يَنْظُرِ ٱلْغَادِي ٱلَّذِي هُوَ رَائِحُ

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ ٱلْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ... وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ ٱلْمَطِيِّ ٱلْأَبَاطِحُ

الأباطحُ تسيلُ بالماءِ ، والمأخوذُ بأطرافِهِ نحوُ الرداءِ ، فأيُّ تصويرٍ تُصوِّرُ هاتانِ الاستعارتانِ مواصلةَ الأحاديثِ بينَ الأحبَّةِ ، وأنَّها معَ غايةِ فَرَحٍ وأُنْسٍ وملاعبةٍ ، وسهولةِ سيرِ الإبلِ واندفاعِها فيهِ ، وحسنِ هيئةِ اجتماعِها علىٰ كثرتِها وملئِها الأوديةَ

ومِنَ الاستعارةِ الأخيرةِ أخذَ ابنُ المُعتزِّ قولَهُ ـ وقد فاتَتْهُ سَلاسةُ هاتيكَ العبارةِ ـ في رئيسِ أحبَّتِهِ [وأعوانِهِ][2] [من البسيط]

سَالَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ ٱلْحَيِّ حِينَ دَعَا ... أَنْصَارَهُ بِوُجُوهٍ كَٱلدَّنَانِيرِ

وفي كلمةِ (علىٰ) ما ليسَ في كلمةِ (إلىٰ) ، وزيادةُ العربيِّ لفظَ الأعناقِ التي هيَ مظهرُ الحركةِ أفادَ بها ابتهاجَهُم بذٰلكَ المنظرِ

وقالَ القطاميُّ مِنْ قصيدتِهِ التي يقولُ في نسيبِها[3] [من البسيط]

يَقْتُلْنَنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ ... مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٣٤/٢)

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (١٣٥/٢)

(٣) انظر « ديوان القطامي » (ص ٢٠٥)

فَهُنَّ يَنْبُذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ   مَوَاقِعَ ٱلْمَاءِ مِنْ ذِي ٱلْغُلَّةِ ٱلصَّادِي

نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقُدُّ بِهَا   مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَّادِ

القِرىٰ : طعامُ الضَّيفِ ، ومَنْ قَرىٰ ضيفَهُ . فقد أكرمَهُ ، وحفظَ عليهِ حياتَهُ ، وشَدَّ مِنْ قُواهُ ، والمحاربُ مُهِينٌ لأعدائِهِ ، مزيلٌ حياتَهُم ، هادمٌ قُواهُم ، فالاستعارةُ التبعيَّةُ التصريحيةُ تهكميةٌ ، وأصلُ هٰذهِ الاستعارةِ لعمرِو بنِ كلثومٍ في « مُعلَّقتِهِ »[1] [من الوافر]

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ ٱلْأَضْيَافِ مِنَّا   فَأَعْجَلْنَا ٱلْقِرَىٰ أَنْ تَشْتِمُونَا

قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ   قُبَيْلَ ٱلصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا

المِرداةُ اسمُ آلةٍ مِنْ ردىٰ كرمىٰ وزناً ومعنىً ؛ وهيَ مِنَ الصَّخرِ الصُّلبِ

ومِنَ التهكميَّةِ قولُ بشارٍ السابقُ[2] [من الطويل]

مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِٱلسُّيُوفِ نُعَاتِبُهْ

أصلُ العِتابِ معالجةُ الجلدِ بالدِّباغِ حتىٰ يَصلُحَ فراشاً ولباساً ، وفي المثلِ (إنَّما يُعاتَبُ الأديمُ ذو البَشَرةِ)[3] ؛ يُضرَبُ في النهيِ عن تأديبِ مَنْ لا يخافُ علىٰ عِرْضِهِ ، ولا يبالي بفوتِ شرفِهِ ، نُقِلَ العِتابُ إلىٰ ملاطفةِ الإخوانِ في التماسِ أعذارِهِم عمَّا يَصدُرُ مِنْ هفواتِهِم ؛ لتعودَ نقاوةُ أُخوَّتِهِم وطهارةُ ذاتِ بينِهِم ، وأينَ المُلاطفةُ مِنْ طعنِ الرِّماحِ وضربِ السُّيوفِ وسلبِ الأرواحِ ؟!

---

(١) انظر « ديوان عمرو بن كلثوم » (ص ٩٨)

(٢) تقدم (٣٦/٢)

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١٤٦/١)

وقولُ بعضِهِم[1] [من الوافر]

تَـحِـيَّـةُ بَـيْـنِـهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِـيـعُ

والسِّراجُ المنيرُ في التهكميَّةِ قولُهُ جلَّ ذكرُهُ ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2]

ومِنْ شريفِ الاستعارةِ وغريبِها قولُ يزيدَ بنِ مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ في صفةِ فرسِهِ[3] [من الكامل]

عَـوَّدْتُـهُ فِـيـمَـا أَزُورُ حَـبَـائِـبِـي إِهْـمَـالَـهُ وَكَـذَاكَ كُـلُّ مُـخَـاطِـرِ
وَإِذَا ٱحْـتَـبَـىٰ قَـرَبُـوسُـهُ بِـعِـنَـانِـهِ عَلَكَ ٱلشَّكِيمَ إِلَى ٱنْصِرَافِ ٱلزَّائِرِ

القَرَبُوسُ ـ بفتحتَينِ ـ قائمةُ السَّرجِ ، **والشَّكيمُ** واحدُهُ شكيمةٌ ؛ وهيَ الحديدةُ في حَنَكِ الفرسِ العربيِّ ، ليسَ عندَهُ جدارٌ يُسنِدُ إليهِ ظهرَهُ ولا وسادةٌ ، فكانَ يَقعدُ ناصباً فخذَيهِ وساقَيهِ ويدخلُ في حِمالةِ سيفِهِ أو غيرِها مائلاً إلىٰ خَلْفٍ ، فذٰلكَ استنادُهُ ؛ وهوَ الاحتباءُ ، ومِنْ كناياتِهِم فلانٌ تُحَلُّ لهُ الحُبا ؛ أي هوَ شريفٌ يُقامُ لهُ ، والحَبوةُ الاسمُ ، وفتحُ الحاءِ أكثرُ مِنْ ضمِّها ، وقالَ كُثَيِّرٌ في المدحِ بكثرةِ العطاءِ[4] [من الكامل]

غَـمْـرُ ٱلـرِّدَاءِ إِذَا تَـبَـسَّـمَ ضَـاحِـكـاً غَـلِـقَـتْ لِـضِـحْـكَـتِـهِ رِقَـابُ ٱلْـمَـالِ

الـرداءُ صاحبُ الإزارِ ، ومجموعُهُما **الحُلَّةُ** ، والغُمْرُ كما يُقالُ للماءِ الكثيرِ يُقالُ للثوبِ التامِّ الشاملِ ماءٌ غَمرٌ ، ورداءٌ غَمرٌ ، فليسَ الغَمرُ كما قيلَ ملائماً للعطاءِ وحدَهُ حتىٰ تكونَ استعارةُ الرداءِ لهُ مُجرَّدةً ،

---

(١) قيل هو عمرو بن معديكرب رضي الله عنه انظر « ديوانه » (ص ١٤٩) ، والبيت بتمامه
وَخَـيْـلٍ قَـدْ دَلَـفْـتُ لَـهَـا بِـخَـيْـلٍ تَـحِـيَّـةُ بَـيْـنِـهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِـيـعُ
(٢) سورة آل عمران (٢١)
(٣) انظر « معاهد التنصيص » (١٣٢/٢)
(٤) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٢٨٨)

وقدِ استعارَ بعضُ العربِ الرداءَ للسيفِ في قولِهِ[1] [من الوافر]

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرِو بْنِ بَكْرِ
لِيَ ٱلشَّطْرُ ٱلَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي فَدُونَكَ فَٱعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرِ

ولأبي الوليدِ الشاطبيِّ في استعارةِ الرداءِ[2] [من مجزوء الرمل]

فَوْقَ خَدِّ ٱلْوَرْدِ دَمْعٌ مِنْ عُيُونِ ٱلسُّحْبِ يُذْرَفْ
بِرِدَاءِ ٱلشَّمْسِ أَضْحَىٰ بَعْدَمَا سَالَ يُجَفَّفْ



هٰذا ؛ وأمكنْ مِنْ نفسِكَ أنَّ أحسنَ التشبيهِ والاستعارةِ ما وقعَ موقعَهُ ؛ مِنْ غرضِ تصويرِ حالِ المُشبَّهِ والمُستعارِ لهُ ، والإبانةِ عنها بجزيلِ العبارةِ ولطيفِ السِّياقِ ؛ بحيثُ لا يكونُ قصدُ المُتكلِّمِ إلىٰ مُجرَّدِ التشبيهِ والاستعارةِ كما هوَ كثيرٌ في كلامِ المُولَّدينَ ، فعليكَ أن تَعتبرَ مواقعَها بإطالةِ الفكرِ ، وإمعانِ النظرِ في كلامِ اللهِ جلَّ ذكرُهُ ، وفي كلامِ مَنْ يَرِدُ عليكَ بعضُ كلامِهِ مِنْ شعراءِ العربِ ومَنْ حذا حذوَهُم واقتفىٰ أثرَهُم مِنَ المُولَّدينَ ؛ ليكونَ ذٰلكَ لكَ بمنزلةِ المِحَكِّ تَعرِفُ بهِ الزُّيوفَ مِنَ الصِّحاحِ الخِلاصِ .

فمِنْ جَيِّدِ كلامِ المُولَّدينَ مثلُ قولُ أبي طاهرِ البغداديِّ[3] [من الكامل]

خَطَرَتْ تَكَادُ ٱلْوُرْقُ تَسْجَعُ فَوْقَهَا إِنَّ ٱلْحَمَامَ لَمُولَعٌ بِٱلْبَانِ
مِنْ مَعْشَرٍ نَشَرُوا عَلَىٰ هَامِ ٱلرُّبَىٰ لِلطَّارِقِينَ ذَوَائِبَ ٱلنِّيرَانِ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٥٠)

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٥٠)

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٥٩)

وهوَ مأخوذٌ مِنْ قولِ العربيِّ (١) [من الطويل]

يَبِيتُونَ فِي ٱلْمَشْتَىٰ خِمَاصاً وَعِنْدَهُمْ ... مِنَ ٱلزَّادِ فَضْلَاتٌ تُعَدُّ لِمَنْ يُقْرَىٰ

إِذَا ضَلَّ عَنْهُمْ طَارِقٌ رَفَعُوا لَهُ ... مِنَ ٱلنَّارِ فِي ٱلظَّلْمَاءِ أَلْوِيَةً حُمْرَا

ومثلُ قولِ المجدِ الأربليِّ (٢) [من الكامل]

أُصْغِي إِلَىٰ قَوْلِ ٱلْعَذُولِ بِجُمْلَتِي ... مُسْتَفْهِماً عَنْكُمْ بِغَيْرِ مَلَالِ

لِتَلَقُّطِي زَهَرَاتِ وَرْدِ حَدِيثِكُمْ ... مِنْ بَيْنِ شَوْكِ مَلَامَةِ ٱلْعُذَّالِ

وهوَ مأخوذٌ مِنْ قولِ أبي الشِّيصِ (٣) [من الكامل]

وَقَفَ ٱلْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي ... مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدَّمُ

أَجِدُ ٱلْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً ... حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي ٱللُّوَّمُ

وَأَهَنْتِنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي صَاغِراً ... مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكِ مِمَّنْ أُكْرِمُ

ومِنْ قولِ أبي طاهرٍ السابقِ قولُ بعضِهِم وزادَ إحساناً (٤) [من الخفيف]

قَالَ لِي أَكْحَلُ ٱللَّوَاحِظِ صِفْ لِي ... هَيَفِي قُلْتُ يَا رَشِيقَ ٱلْقَوَامِ

لَكَ قَدٌّ لَوْلَا جَوَارِحُ عَيْنَيْـ ... ـكَ لَغَنَّتْ عَلَيْهِ وُرْقُ ٱلْحَمَامِ

وكانَ الصَّاحبُ ابنُ عبَّادٍ كثيراً ما يَتمثَّلُ بقولِ عَصرِيِّهِ عبدِ اللهِ السلاميِّ [من الوافر]

تَبَسَّطْنَا عَلَى ٱلْآثَامِ لَمَّا ... وَجَدْنَا ٱلْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ ٱلذُّنُوبِ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٥٩)
(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٥٩)
(٣) انظر « ديوان أبي الشيص الخزاعي » (ص ١٠١)
(٤) انظر « فوات الوفيات » (٣/٢٧٧)

ويقولُ : ما درىٰ قائلُهُ أيُّ دُرَّةٍ رمىٰ بها ؟! وأيُّ غُرَّةٍ سَيَّرَها وخَلَّدَها ؟![1]

وأقولُ استحسانُ كلِّ شيءٍ حَسَبَ موافقةِ الهوىٰ ، كما قيلَ[2] : [من الخفيف]

إِنَّمَا تَنْجَحُ ٱلْمَقَالَةُ فِي ٱلْمَرْ ءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوىً فِي ٱلْفُؤَادِ

وأرادَ السلاميُّ أنَّهُ لولا الذُّنوبُ لم يكنْ تَحقُّقُ مُسمَّى العفوِ ، وتَحقُّقُهُ واجبٌ حيثُ كانَ مِنَ الكمالاتِ الإلـٰهيَّةِ ، ولـٰكنَّ الذنوبَ تُثمِرُ أيضاً العِقابَ ، كما ترىٰ أنَّ أكثرَ الشَّهواتِ كما تُثمِرُ اللَّذَّةَ تُثمِرُ الألمَ ، وقدِ استلبَ السلاميُّ قولَهُ هـٰذا مِنْ قولِ الحسنِ بنِ هانئٍ الحكميِّ المشهورِ بأبي نُوَاسٍ شاعرِ الرشيدِ[3] [من الوافر]

تَكَثَّرْ مَا ٱسْتَطَعْتَ مِنَ ٱلْخَطَايَا فَإِنَّكَ وَاجِدٌ رَبّاً غَفُورَا
سَتُبْصِرُ إِنْ وَرَدْتَ عَلَيْهِ عَفْواً وَتَلْقَىٰ سَيِّداً مَلِكاً كَبِيرَا
تَعَضُّ نَدَامَةً كَفَّيْكَ مِمَّا تَرَكْتَ مَخَافَةَ ٱلنَّارِ ٱلسُّرُورَا

ولـٰكنَّ السلاميَّ أوجزَ وأبدعَ

قالَ مسلمُ بنُ الوليدِ في رثاءٍ[4] [من الكامل]

سَلَكَتْ بِكَ ٱلْعَرَبُ ٱلسَّبِيلَ إِلَى ٱلْعُلَا حَتَّىٰ إِذَا سَبَقَ ٱلرَّدَىٰ بِكَ دَارُوا
نَفَضَتْ بِكَ ٱلْآمَالُ أَحْلَاسَ ٱلْمُنَىٰ وَٱسْتَرْجَعَتْ نُزَّاعَهَا ٱلْأَمْصَارُ
فَٱذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَثْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلسَّهْلُ وَٱلْأَوْعَارُ

هـٰذا الشعرُ في أرفعِ طبقةٍ وصلَ إليها شاعرٌ !! مَثَّلَ حالَ الممدوحِ

---

(١) كذا في « معاهد التنصيص » (٢/١٥٧)
(٢) انظر « يتيمة الدهر » (١/٢٥٧)
(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (٥/٢٠٤) طبعة (فاغنر)
(٤) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣١٣ ـ ٣١٤)

وأتباعَهُ ؛ مِنِ استدامةِ تحصيلِ الكمالاتِ واقتدائِهم بهِ في أعمالِهِ ، وأنَّهُ لمَّا تَغمَّدَتْهُ الرحمةُ لم يهتدِ العربُ بعدَهُ إلىٰ ما كانَ يُفطِّنُهُم لهُ بحالِ قومٍ ذوي رئيسٍ ، قصدوا علىٰ أثرِهِ جهةً شريفةً ، فلمَّا غابَ عنهُم سيِّدُهُم رجعوا إلىٰ منازلِهِم ، والمُنْيَةُ ـ وهيَ ما يُحِبُّ الإنسانُ ويَتمنَّاهُ ـ لمَّا كانَتْ تَحمِلُ صاحبَها علىٰ مواصلةِ أعمالِهِ وتَجدُّدِ آمالِهِ حَسُنَ تشبيهُها بالمركوبِ ، والحِلْسُ ـ بكسرٍ فسكونٍ ـ كساءٌ يُجعَلُ تحتَ البَرْذَعةِ ، ونفضُ الحِلْسِ كنايةٌ عنِ الإقامةِ وتعطيلِ الدوابِّ حيثُ لم تبقَ للسَّفرِ جدوىٰ ؛ كالكنايةِ في قولِهِم (ألقىٰ عصا التَّسيارِ) ، وفي قولِهِ (فاذهبْ كما ذهبَتْ) مِنَ التفجُّعِ والتأسُّفِ ما لا يَبلُغُهُ قولٌ ؛ أي مشكوراً لكلِّ مكانٍ ، محموداً بكلِّ لسانٍ

ومِنْ أرصنِ الشعرِ وأشدِّهِ قولُ عربيٍّ في المحاجاةِ(١) [من الطويل]

وَدَاهِيَةٍ دَاهَىٰ بِهَا ٱلْقَوْمَ مُفْلِقٍ … شَدِيدٍ بِعَوْرَاءِ ٱلْكَلَامِ أُزُومُهَا
أَصَخْتُ لَهَا حَتَّىٰ إِذَا مَا وَعَيْتُهَا … رَمَيْتُ بِأُخْرَىٰ يَسْتَدِيرُ أَمِيمُهَا
تَرَى ٱلْقَوْمَ مِنْهَا مُطْرِقِينَ كَأَنَّمَا … تَسَاقَوْا بِكَأْسٍ مَا يُبِلُّ سَلِيمُهَا
فَلَمْ تَرَنِي فَهّاً وَلَمْ تَرَ حُجَّتِي … مُلَجْلَجَةً أَبْغِي لَهَا مَنْ يُقِيمُهَا

السَّليمُ اللَّديغُ ، وأبلَّ مِنْ مرضِهِ برئَ ، والأُزومُ العَضُّ وإمساكُ الشيءِ بالأسنانِ ، ومفلقٌ ذاتُ فَلَقٍ ؛ أي عجبٍ ، ودهاهُ أذهلَهُ وحَيَّرَهُ وأدهشَهُ ، وعليكَ باستخراجِ الاستعاراتِ ونسبتِها إلىٰ أجناسِها

وحيثُ كانَ حذفُ الأداةِ مِنْ تركيبِ التشبيهِ وسيلةً إلى المبالغةِ بدعوى

(١) انظر « الكامل » للمبرد (١/١٤٠ ـ ١٤١)

الاتحادِ ، والاستعارةُ كما عرفتَ في ذٰلكَ الغرضِ أقوىٰ تسمعُ مثلَ قولِ العباسِ بنِ الأحنفِ (١) [من المتقارب]

هِيَ ٱلشَّمْسُ [مَسْكَنُهَا] (البيتَينِ)

وقولِ ابنِ العميدِ (٢) [من الكامل]

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ ٱلشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ ٱلشَّمْسِ

وقولِ بعضِهِم (٣) [من المنسرح]

لَا تَعْجَبُوا مِنْ بِلَىٰ غِلَالَتِهِ قَدْ زَرَّ أَزْرَارَهُ عَلَى ٱلْقَمَرِ

الغِلالةُ القميصُ ، ويُقالُ إنَّ القمرَ يبلي ثيابَ الكَتَّانِ

وقولِ أبي تمامٍ (٤) [من المتقارب]

وَيَصْعَدُ حَتَّىٰ يَظُنَّ ٱلْجَهُولُ بِأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي ٱلسَّمَاءِ



---

(١) تقدم (٢/٣٠) ، والبيتان بتمامهما

هِيَ ٱلشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ فَعَزِّ ٱلْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلَا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا ٱلصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ ٱلنُّزُولَا

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١١٣)

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٢٩)

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٤/٣٤)

القولُ في الكنايةِ

حدُّ الكنايةِ على التحقيقِ لفظٌ أُريدَ بهِ لازمُ معناهُ ، معَ جوازِ إرادتِهِ أيضاً ، فيكونُ المرادُ إفادتَهُما جميعاً ، وحينَئذٍ يُقالُ إنَّها حقيقةٌ غيرُ منفردةٍ ، وتقابلُها الحقيقةُ المُجرَّدةُ

[أقسام الكنايةِ باعتبارِ المكنيِّ عنهُ]

وتنقسمُ الكنايةُ باعتبارِ المَكنيِّ عنهُ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ

[الكنايةُ عن صفةٍ]

القسمُ الأوَّلُ كنايةٌ يكونُ المكنيُّ عنهُ فيها صفةً ؛ كقولِ الخنساءِ[1] [من المتقارب]

طَوِيلُ ٱلنِّجَادِ رَفِيعُ ٱلْعِمَادِ   كَثِيرُ ٱلرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا

فقولُها (طويلُ النِّجادِ) المُرادُ به طويلُ القامةِ ؛ مدحاً ببسطِ الجسمِ ، كما مدحَ بها تعالىٰ في قولِهِ ﴿ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ ﴾[2]

وقولُها (رفيعُ العِمادِ) معناهُ كبيرُ البيوتِ المرتفعةِ السماواتِ ؛ وذٰلكَ إنَّما يكونُ للسَّادةِ الأشرافِ ؛ أي هوَ سيدٌ شريفٌ

وقولُها (كثيرُ الرَّمادِ) أي هو كريمٌ مِضيافٌ

ونظمُ الكنايةِ علىٰ طريقِ البرهانِ أن تقولَ كلُّ مَنْ كانَ كريماً

---

(١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ١٤٣) ، والرواية فيه

رَفِيعُ ٱلْعِمَادِ طَوِيلُ ٱلنِّجَا   دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

(٢) سورة البقرة (٢٤٧)

مِضيافاً كانَ كثيرَ الضُّيوفِ ، وكلُّ مَنْ كانَ كثيرَ الضُّيوفِ كانَ كثيرَ الخبزِ والطَّبخِ ، وكلُّ مَنْ كانَ كثيرَهُما كانَ كثيرَ إحراقِ الخشبِ ، وكلُّ مَنْ كانَ كثيرَهُ كانَ كثيرَ الرمادِ ؛ فكثرةُ الرمادِ كنايةٌ عنِ الكرمِ بهٰذهِ الوسائطِ

وكقولِ الخنساءِ أيضاً وقد أرادَ أخوها معاويةُ أن يُزوِّجَها مِنْ دُريدِ بنِ الصِّمَّةِ ولم يكنْ مِنْ غرضِها (١) [من الوافر]

تُبَاكِرُنِي حَمِيدَةُ كُلَّ يَوْمٍ ... بِمَا يُولِي مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو
إِذَا لَمْ أُعْطَ مِنْ نَفْسِي خِيَاراً ... لَقَدْ أَوْدَى ٱلزَّمَانُ إِذاً بِصَخْرِ
أَتُكْرِهُنِي هُبِلْتَ عَلَىٰ دُرَيْدٍ ... وَقَدْ حَرَّمْتُ سَيِّدَ آلِ بَدْرِ
مَعَاذَ ٱللهِ يَرْضَعُنِي حَبَرْكَىٰ ... قَصِيرُ ٱلشِّبْرِ مِنْ جُشَمِ بْنِ بَكْرِ

فقدِ استعاذَتْ مِنْ تزوُّجِهِ كانيةً بالغايةِ عنِ البدايةِ ؛ فإنَّها إذا تَزوَّجَتْ أُتِيَتْ ، وإذا أُتِيَتْ حَمَلَتْ ، وإذا حَمَلَتْ وَضَعَتْ ، وإذا وَضَعَتْ أرضعَتْ

[الكنايةُ عن نسبةٍ]

القسمُ الثاني كنايةٌ يكونُ المكنيُّ عنهُ فيها نسبةً ؛ كقولِ زيادِ الأعجمِ في أحدِ الأمراءِ لبني أُميَّةَ عبدِ اللهِ بنِ الحشرجِ أميرِ خراسانَ إذ ذاكَ (٢) [من الكامل]

إِنَّ ٱلسَّمَاحَةَ وَٱلْمُرُوءَةَ وَٱلنَّدَىٰ ... فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ٱبْنِ ٱلْحَشْرَجِ

كانَتِ القِبابُ لا تُضرَبُ إلَّا علىٰ خيامِ الأمراءِ ، فالمكنيُّ عنهُ نسبةُ الإمارةِ

---

(١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٧١) ، و« زهر الأكم » (١٩١/٣)
(٢) انظر « شعر زياد الأعجم » (ص ٧٧)

والسماحةِ ؛ أيِ ابنُ الحشرجِ سمحٌ كريمٌ ذو مروءةٍ ، وهيَ كمالُ الرُّجوليَّةِ ، ومِنْ هٰذا أخذَ أبو تمامٍ قولَهُ[1] [من الكامل]

لَوْلَا بَنُو جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ فِيكُمُ كَانَتْ خِيَامُكُمُ بِغَيْرِ قِبَابِ

أي بنو جُشَمَ سادتُكم وأمراؤُكم

وابنُ رشيقٍ قولَهُ[2] [من الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ يَحْمِيهِ (البيتَ)

ومِنْ كلامِهِمُ المجدُ بينَ ثوبَيهِ ، والكرمُ تحتَ ردائِهِ

[الكنايةُ عن موصوفٍ]

القسمُ الثالثُ كنايةٌ يكونُ المكنيُّ عنهُ فيها غيرَ صفةٍ ولا نسبةٍ ؛ كقولِهِ كنايةً عنِ القلوبِ[3] [من الكامل]

اَلضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَض مِخْذَمٍ وَٱلطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ ٱلْأَضْغَانِ

[أقسامُ الكنايةِ باعتبارِ الوسائطِ واللَّوازمِ]

ثمَّ الكنايةُ إن قَلَّتْ فيها الوسائطُ ، أو لم تكنْ ووَضَحَتْ سُمِّيَتْ إيماءً وإشارةً

وإن خفيَتْ سُمِّيَتْ رمزاً ؛ كالكنايةِ بعريضِ الوسادةِ ، وعريضِ القفا ، وعظيمِ الهامةِ عنِ الأبلهِ ، وبالسَّمينِ الرخوِ عنِ الغبيِّ البليدِ ،

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٨٩)

(٢) تقدم (٢/٤٢) ، والبيت بتمامه

وَمُهَفْهَفٍ يَحْمِيهِ عَنْ نَظَرِ ٱلْوَرَىٰ غَيْرَانُ سُكْنَى ٱلْمُلْكِ تَحْتَ قِبَابِهِ

(٣) هو عمرو بن معديكرب رضي الله عنه انظر « ديوانه » (ص ١٧٤)

وبمُتناسِبِ الأعضاءِ المُكتَنزِ اللَّحمِ البسيطِ القامةِ   عنِ الذكيِّ الشجاعِ ذي الهِمَّةِ

[التعريضُ وأنواعُهُ]

وهنالكَ نوعُ دلالةٍ للكلامِ يُعتمَدُ فيها على السياقِ والحالِ تُسمَّىٰ تعريضاً ؛ وهوَ إمالةُ الكلامِ إلىٰ عُرْضٍ بضمِّ أوّلِهِ ؛ أي   ناحيةٍ ؛ كقولِكَ روايةً لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وأنتَ تُخاصِمُ إنساناً « ٱلْمُسْلِمُ   مَنْ سَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ »[1] ، وهٰذا الكلامُ معناهُ الكنائيُّ   المؤذي غيرُ مسلمٍ ، والمُعرَّضُ بهِ إليهِ   أنتَ غيرُ مسلمٍ



والتعريضُ يكونُ بالحقائقِ والمجازاتِ والكناياتِ ، وبعدَ قولِ زيادٍ السابقِ (إنَّ ٱلسَّمَاحَةَ   ) يقولُ[2]   [من الكامل]

مَـلِـكٌ أَغَـرُّ مُـتَـوَّجٌ ذُو نَـائِـلٍ   لِـلْـمُـعْـتَـفِـينَ يَـمِـينُـهُ لَـمْ تَـشْـنَـجِ
يَـا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ ٱلْمَنَابِرَ بِٱلتُّقَىٰ   بَـعْدَ ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُتَحَرِّجِ
لَـمَّـا أَتَـيْـتُـكَ رَاجِـيـاً لِـنَـوَالِـكُـمْ   أَلْـفَـيْـتُ بَـابَ نَـوَالِـكُـمْ لَـمْ يُـرْتَـجِ

[إجمالُ ما سبقَ وتلخيصُهُ]

فمُلخَّصُ ما تَعرِفُهُ ويَبقىٰ معكَ أصلاً تَعتبِرُ بهِ ما يَرِدُ عليكَ في الكلامِ أنَّ اللفظَ مُركَّباً كانَ أو جزءَ مُركَّبٍ ؛ إمَّا أن تَعتمِدَ في تفهيمِ مُرادِكَ بهِ مُجرَّدَ الوضعِ الأوليِّ بالأصالةِ أو بالنقلِ ؛ وهيَ **الحقائقُ** ، وإمَّا أن تَعتمِدَ معَ الوضعِ

(١) أخرجه البخاري (١٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

(٢) انظر « شعر زياد الأعجم » (ص ٧٧)

علاقةً وقرينةً مانعةً مِنْ إرادةِ المعنى الحقيقيّ ؛ وهيَ المجازاتُ ، أو غيرَ مانعةٍ ؛ وهيَ الكناياتُ

وأنَّ المجازاتِ : إن كانَتْ علاقتُها المشابهةَ .. فهيَ المجازاتُ بالاستعارةِ ، وإن كانَتْ غيرَها .. فهيَ المجازاتُ المرسلةُ ، وأنَّ الاستعارةَ أصلُها التشبيهُ ، وأنَّ التشبيهَ تارةً تُذكَرُ أركانُهُ ، وتارةً يُحذَفُ بعضُها ، وذكرُ الوجهِ وحذفُهُ لا يُغيِّرُ الاسمَ ، وحذفُ الأداةِ معَ ذكرِ الطرفَينِ يُغيِّرُهُ إلى التشبيهِ البليغِ ، ومعَ حذفِ أحدِ الطرفَينِ إلى الاستعارةِ ، وفي الاستعارةِ والتشبيهِ البليغِ دعوى الاتحادِ ، وبناءً عليها كانَ ما عرفتَ

وأنَّ الاستعارةَ تنقسمُ باعتبارِ المذكورِ والمحذوفِ مِنَ الطرفَينِ إلىٰ مُصرَّحةٍ ومكنيةٍ ، وباعتبارِ جنسِ المُستعارِ إلىٰ أصليةٍ إن كانَ اسمَ جنسٍ ولو تأويلاً ، وإلىٰ تبعيةٍ إن كانَ غيرَهُ ، وباعتبارِ كونِها في الهيئاتِ المُنتزَعةِ مِنْ مُتعدِّدٍ أو في غيرِها إلىٰ تمثيليةٍ وغيرِ تمثيليةٍ ، وباعتبارِ كونِها في الأضدادِ أو في غيرِها إلىٰ ما تصلحُ أن تكونَ تهكميَّةً أو تمليحيَّةً وإلىٰ غيرِها ، وباعتبارِ كونِها مقرونةً بما يلائمُ أحدَ الطرفَينِ أو بما يلائمُهُما إلىٰ مُرشَّحةٍ ومُجرَّدةٍ ومُطلَقةٍ ، وأنَّ قرينةَ المكنيةِ إن كانَتِ استعارةً لشيءٍ مِنْ توابعِ المُستعارِ لهُ .. كانَتْ تحقيقيَّةً ، وإلَّا فهيَ تخييليةٌ

وأنَّ الكنايةَ تنقسمُ بحَسَبِ المطلوبِ بها إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ ، ولها باعتبارِ الواسطةِ أسماءٌ

على الطالبِ أن يجيدَ ضبطَ هٰذا ، ثمَّ يأخذَ في التطبيقِ عليهِ ، ينفعُهُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ

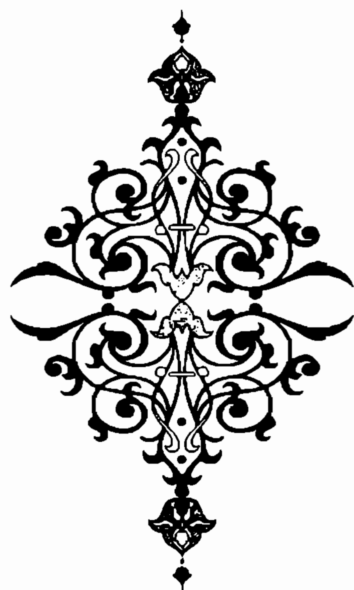
ثمَّ الحقيقةُ والمجازُ السالفُ تقريرُهُما يُسمَّيانِ الحقيقةَ والمَجازَ اللغويَّينِ ،

وثَمَّ حقيقةٌ ومَجازٌ يُسمَّيانِ حقيقةً ومجازاً عقليَّينِ ؛ وهُما إسنادُ أمرٍ لأمرٍ ونسبتُهُ لهُ

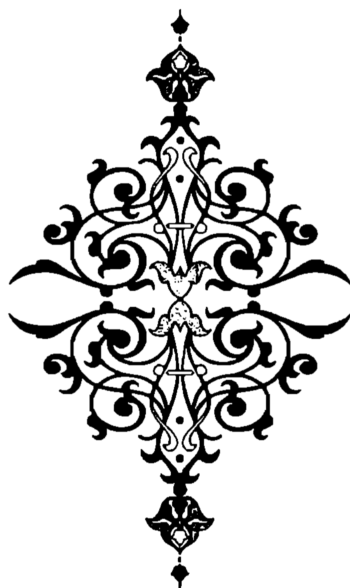
فإن كانَ الإسنادُ إسنادَ الشيءِ لِمَا هوَ لهُ في المتعارفِ ؛ كإسنادِ فعلِ المعلومِ إلى الفاعلِ ، وإسنادِ فعلِ المجهولِ إلى المفعولِ سُمِّيَ حقيقةً عقليةً

وإن كانَ إسنادُهُ لغيرِ ما هوَ لهُ ؛ اعتماداً علىٰ علاقةٍ ، مدلولاً عليهِ بالقرينةِ لبعضِ الاعتباراتِ الكلاميَّةِ والنكتِ البلاغيةِ سُمِّيَ مَجازاً عقليّاً ؛ كنسبةِ فعلِ المعلومِ إلى المفعولِ بجعلِهِ فاعلاً ؛ نحوُ عيشةٌ راضيةٌ ؛ أي مرضيَّةٌ ، وحالٌ مُبتهِجةٌ ، ونِعْمةٌ مُغتبِطةٌ ، وكنسبةِ فعلِ المجهولِ إلى الفاعلِ فيُجعَلُ مفعولاً ؛ نحوُ سيلٌ مُفعَمٌ ، ونِعَمٌ مسرورةٌ ، وكنسبةِ الفعلِ إلىٰ زمانِهِ ومكانِهِ وسببِهِ في نحوِ قولِكَ نامَ ليلُ زيدٍ ، ونَشِطَ نهارُهُ ، وسَعِدَتْ أوقاتُهُ ، وطابَتْ أمكنةُ زيدٍ ، وخَبُثَتْ مجالسُ عمرٍو ، وخرجَتِ المدينةُ لشكرِ السُّقيا ، وأكرمَتْكَ أخلاقُكَ ، واحترمَتْكَ فضائلُكَ ، وغزا السلطانُ بلادَ كذا ، وكذٰلكَ يُنسَبُ الفعلُ إلىٰ مصدرِهِ ؛ نحوُ جَدَّ جِدُّهُ ، وخَشَعَ خشوعُهُ ، واطمأنَّ اطمئنانُهُ





الفنّ الثّاني
علم المعاني



[موضوعُ علمِ المعاني]

عرفتَ أنَّ هٰذا العلمَ يُبيِّنُ الأغراض المُترتِّبةَ علىٰ إيرادِ التركيبِ في صُوَرِهِ المختلفةِ[1] ، فموضوعُهُ المُركَّباتُ مِنْ حيثُ تَختلِفُ صُوَرُها لاختلافِ الدواعي

ثمَّ إنَّ دواعيَ صُوَرِ التراكيبِ لم تَدخُلْ تحتَ حصرٍ ، فما يُذكَرُ منها في هٰذا الفنِّ إنَّما هوَ كالمثالِ نُصِبَ لكَ ؛ لتحذوَ عليهِ إذا استعملتَ ذوقَكَ ودِقَّةَ نظرِكَ في طلبِ ما يمكنُ اعتبارُهُ عندَ قراءتِكَ لكلامِ ربِّ العالَمينَ ، وروايتِكَ لأحاديثِ سيِّدِ المرسلينَ ، ومطالعةِ الآثارِ الصادرةِ عن بلغاءِ صحابتِهِ ومَنِ اقتفىٰ آثارَهُم ممَّنْ جاءَ بعدَهُم ، وإنشادِ ما يَرِدُ عليكَ مِنَ الأشعارِ للجاهليينَ والإسلاميينَ

وبعدُ فمدارُ البحثِ في هٰذا الفنِّ علىٰ إبانةِ صُوَرِ التراكيبِ ودواعيها ؛ رسماً للطريقِ الذي تَسلُكُ منهُ إلى اعتبارِ اللَّطائفِ الكلاميَّةِ التي بها يُسمَّىٰ كلٌّ مِنَ الكلامِ والمُتكلِّمِ بهِ بليغاً

[تعريفُ الفصاحةِ والبلاغةِ]

وقبلَ الشُّروعِ في المقصودِ لا بدَّ مِنْ تعريفِ الفصاحةِ والبلاغةِ وما يَتعلَّقُ بذٰلكَ ، والتنبيهِ علىٰ ما يُوجِبُ قسمةَ هٰذا الفنِّ إلىٰ أقسامِهِ التي ينقسمُ إليها

الفصاحةُ كلمةٌ تُنبِئُ استعمالاتُها عن معنى الصَّفاءِ والخُلوصِ والظُّهورِ ، قالوا يومٌ فِصْحٌ ـ بكسرِ الفاءِ ـ : ليسَ فيهِ غيمٌ ولا قَرٌّ ، وأفصحَ

(١) تقدم في مقدمة الكتاب (٥٦/١)

اللَّبَنُ زالَتْ عنهُ رغوتُهُ ، وأفصحَتِ الشاةُ ؛ أي خَلَصَ لبنُها وصفا إلىٰ غيرِ ذٰلكَ

وعَرَّفَها العلماءُ حيثُ تُوصَفُ بها الكلمةُ ؛ بكونِها سالمةً مِنْ تنافرِ الحروفِ المُوجِبِ ثقلَ النطقِ بها ، كما في لفظِ (مستشزراتٌ) مِنْ قولِ امرئِ القيسِ[1] [من الطويل]

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى ٱلْعُلَا

ومِنَ الغرابةِ المُوجِبةِ فواتَها علىٰ أهلِ العنايةِ بنقلِ اللغةِ وإيداعِها في مُؤلَّفاتٍ ؛ كغرابةِ لفظِ (مُسرَّجٍ) مِنْ قولِ رؤبةَ في صفةِ الأنفِ[2] [من مشطور الرجز]

وَمَرْسِناً مُسَرَّجَا

أي يشبهُ السراجَ في البريقِ واللمعانِ ، أو السيفَ السُّرَيْجيَّ في الدقَّةِ والاستواءِ

ومِنْ مخالفةِ نهجِ الاستعمالِ المُبيَّنِ بعِلْمِ الصرفِ ؛ كالمخالفةِ في قولِ أبي النجمِ[3] [من مشطور الرجز]

اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْأَجْلَلِ

حيثُ فكَّ ، ونهجُ الاستعمالِ الإدغامُ

وحيثُ يُوصَفُ بها الكلامُ ؛ بكونِهِ مُؤلَّفاً مِنَ الكلماتِ الفصيحةِ ،

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٧) ، والبيت بتمامه

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى ٱلْعُلَا تَضِلُّ ٱلْعِقَاصُ فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ

(٢) كذا قال في « معاهد التنصيص » (١/١٤)

(٣) انظر « ديوان أبي النجم العجلي » (ص ٣٣٧)

سالماً مِنْ تنافرِ الكلماتِ ؛ كما في قولِ أبي تمامٍ[1] [من الطويل]

كَـرِيـمٌ مَـتَـىٰ أَمْـدَحْـهُ أَمْـدَحْـهُ

ومِنْ ضعفِ التأليفِ بمخالفةِ القوانينِ النحويَّةِ ؛ كتقديمِ ما يجبُ تأخيرُهُ ، وتأخيرِ ما يجبُ تقديمُهُ ، وحذفِ ما يجبُ ذكرُهُ ، وذكرِ ما يجبُ حذفُهُ

ومِنَ التعقيدِ اللفظيِّ ؛ بإدخالِ بعضِ أجزاءِ جملةٍ بينَ أجزاءِ أخرىٰ ؛ بحيثُ يوجبُ عسرَ الفهمِ ؛ كما في قولِ الفرزدقِ يمدحُ خالَ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ[2] [من الطويل]

وَمَا مِثْلُهُ فِي ٱلنَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً أَبُـو أُمِّـهِ حَـيٌّ أَبُـوهُ يُـقَـارِبُـهْ

ووجهُ الكلامِ وما مثلُهُ في الناسِ حيٌّ يُقارِبُهُ إلَّا مُملَّكاً أبو أُمِّهِ أبوهُ

ومِنَ التعقيدِ المعنويِّ ؛ باستعمالِ مجازاتٍ وكناياتٍ لا يُفهَمُ المرادُ بها ، فتكونُ إلغازاً في غيرِ موضعِهِ

وحيثُ يُوصَفُ بها المُتكلِّمُ بكونِهِ دَرِباً ، ذا قُوَّةٍ واقتدارٍ على استعمالِ الكلامِ الفصيحِ متىٰ أرادَ



والبلاغةُ مصدرُ (بَلُغَ) مِنْ بابِ (كَرُمَ) مُحوَّلاً عن (بَلَغَ) من بابِ (نصَرَ) بمعنىٰ وصلَ إلىٰ حدٍّ ؛ يُقالُ بَلُغَ الرجلُ ، فهوَ بليغٌ ، وبِلْغٌ بفتحِ أوَّلِهِ وكسرِهِ ، وبَلاغاً بفتحِ أوَّلِهِ وضمِّهِ مقصوراً ، إذا كانَ يَبلُغُ بعبارتِهِ كنهَ مرادِهِ ، هـٰذا كلامُ أهلِ اللغةِ

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١١٦/٢) ، والبيت بتمامه

كَـرِيـمٌ مَـتَـىٰ أَمْـدَحْـهُ أَمْـدَحْـهُ وَٱلْـوَرَىٰ مَـعِـي وَمَـتَـىٰ مَـا لُـمْـتُـهُ لُـمْـتُـهُ وَحْـدِي

(٢) تقدم أول الكتاب (٧٠/١)

ومِنْ كلامِ أميرِ المؤمنينَ عليّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ في تفسيرِ البلاغةِ : (**البلاغةُ البصرُ بالحُجَّةِ** ، والمعرفةُ بمواضعِ الفُرصةِ ، ومِنَ البصرِ **بالحُجَّةِ** أن تدعَ الإفصاحَ بها إلى الكنايةِ عنها إذا كانَ الإفصاحُ أوعرَ طريقةً ، وكانَتِ الكنايةُ أبلغَ في الدَّرَكِ وأحقَّ بالظَّفَرِ)[1]

فهٰذا كلامٌ شريفٌ ، تفسيرُهُ لا يكفي فيهِ كلُّ ما شُرِحَ في عِلْمِ البلاغةِ

وعَرَّفَها أهلُ هٰذا الفنِّ حيثُ **يُوصَفُ بها المُتكلِّمُ** بأنَّها مُرونةٌ وقُوَّةُ نفسِهِ علىٰ تأليفِ الكلامِ البليغِ في الأغراضِ المختلفةِ ؛ كالتأديبِ ، والوعظِ ، والتحريضِ ، والاستعطافِ ، والعتابِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ المعاني

وحيثُ يُوصَفُ بها الكلامُ بأنَّها مُطابَقةُ الكلامِ الفصيحِ لمقتضى الحالِ ؛ **والحالُ** ـ ويُسمَّىٰ بالمَقامِ أيضاً ـ هوَ الأمرُ الداعي لإيرادِ التركيبِ علىٰ بعضِ صُوَرِهِ الممكنةِ فيهِ ، **ومقتضى الحالِ** ـ ويُسمَّىٰ بالاعتبارِ المناسبِ أيضاً ـ : هوَ تلكَ الصُّوَرُ الحاصلةُ بسببِ الذِّكرِ والحذفِ ، والتقديمِ والتأخيرِ ، والإطلاقِ والتقييدِ ، ووصلِ بعضِ الجملِ ببعضٍ بالعطفِ وفصلِها بتركِهِ ، والإيجازِ والإطنابِ والمساواةِ ، واشتمالِ الكلامِ على المجازاتِ والكناياتِ المختلفةِ في الوضوحِ عندَ خطابِ الفُطناءِ ، وكونِهِ مِنَ الحقائقِ الصرفةِ والعباراتِ السهلةِ عندَ خطابِ غيرِهِم



وحيثُ كانَتْ مسائلُ الفنِّ ؛ منها ما يَتعلَّقُ بالجملةِ وأجزائِها ، ومنها ما يتعلَّقُ بالجملتَينِ فأكثرَ ، ومنها ما هو مُشتَرَكٌ ناسبَ قسمتَهُ إلىٰ ثلاثةِ أبوابٍ

---

(١) انظر « البيان والتبين » (١/٨٨) ، وفيه أنه لبعض أهل الهند

[البابُ الأولُ]

بابُ الجملةِ وأجزائِها

الجملةُ الخبريَّةُ

أصلُ المقصودِ بها إعلامُ السامعِ بمعناها ، أو بأنَّ المُتكلِّمَ يَعلَمُهُ ، ويُسمَّى الأوَّلُ : فائدةَ الخبرِ ، والثاني : لازمَها ؛ كما تقولُ لصاحبِكَ أنعمَ اللهُ عليكَ بما زادَنا لكَ فَرَحاً ، ولله فيكَ شكراً

ثمَّ يَخرجُ عنِ الإعلامِ لأغراضٍ شتَّىٰ ؛ كقولِكَ لإظهارِ الفرحِ بمُقبِلٍ والشَّماتةِ بمُدبِرٍ جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ ، ولتوبيخِ العاثرِ الشمسُ طالعةٌ ، وللتأسُّفِ ؛ كقولِهِ [١] [من الطويل]

هَوَايَ مَعَ ٱلرَّكْبِ ٱلْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ

[أضربُ الخبرِ]

وحيثُ كانَ الغرضُ مِنَ الكلامِ الإفادةَ فحقُّهُ أن يُقتصَرَ منهُ علىٰ قَدْرِ الحاجةِ ؛ فإنَّ الزيادةَ عنهُ تُعَدُّ مِنَ الفُضولِ

فإذا كانَ الخطابُ معَ خالي الذِّهنِ أُلقِيَ إليهِ الخبرُ مُجرَّداً عن مُؤكِّدٍ

وإذا كانَ معَ مَنْ يَشعُرُ بهِ وهوَ مُنكِرٌ أو شاكٌّ ، ولإدراكِ أحدِ الأمرَينِ طالبٌ أُلقِيَ إليهِ الكلامُ مُؤكَّداً بحَسَبِ الحاجةِ

وشاهدُ ذٰلكَ قولُهُ تعالىٰ حكايةً عن رسلِ الحقِّ لأهلِ الباطلِ بعدَ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/١٢٠)

التكذيبِ الأوَّلِ ﴿ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾[1] ، وبعدَ الثاني ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾[2]

[مُؤكِّدات الخبر]

وأدواتُ التوكيدِ إنَّ ، وأنَّ ، ولامُ الابتداءِ ، وأحرفُ التنبيهِ ، والقَسَمُ ، والتكريرُ ، والحروفُ الزائدةُ ، وقد ، ونونا التوكيدِ ، وأمَّا الشرطيةُ

[كيفيةُ إلقاءِ المُتكلِّمِ الخبرَ للمخاطبِ]

وقد يُنزَّلُ العالمُ منزلةَ الجاهلِ ؛ لعدمِ جريِهِ علىٰ ما يناسبُ علمَهُ ؛ كقولِكَ العدلُ حسنٌ ، والظلمُ قبيحٌ

وقد يُنزَّلُ خالي الذهنِ منزلةَ السائلِ ؛ وذلكَ حيثُ يَسبِقُ ما يشيرُ إلىٰ جنسِ الخبرِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ بعدَ قولِهِ حكايةً ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ﴾[3] ، المشيرِ إلىٰ أنَّ المُتكلِّمَ سيخبرُ عنِ النفسِ بشيءٍ مِنْ إساءتِها

وقد يُجعَلُ غيرُ المُنكِرِ مُنكِراً ؛ وذلكَ حيثُ يَلوحُ عليهِ ما يَلوحُ على المُنكِرينَ ؛ كقولِ العربيِّ[4] [من السريع]

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضاً رُمْحَهُ   إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحْ

أي جاءَ [واضعاً] رمحَهُ علىٰ صورةِ الآمنِ الذي ليسَ يَخشىٰ حرباً ، كأنَّهُ يَعتقِدُ أنَّ أعداءَهُ عُزَّلٌ ليسَ معَهُم سلاحٌ ، ولا هُم أهلُ قتالٍ

---

(١) سورة يسٓ (١٤)

(٢) سورة يسٓ (١٦)

(٣) سورة يوسف (٥٣)

(٤) البيت لحجل بن نضلة ، كما في « معاهد التنصيص » (١/٧٢)

كما يُجعَلُ المُنكِرُ غيرَ مُنكِرٍ إذا كانَ معَهُ مِنْ دلائلِ العِلْمِ ومُوجِباتِ المعرفةِ وهوَ لها طارحٌ ، وعنِ استعمالِ فكرِهِ فيها مُعرِضٌ

يُحكىٰ أنَّ بعض العَجَمِ قالَ لبعضِ العلماءِ إنَّ في لغةِ العربِ فُضولاً وألفاظاً زائدةً ؛ تارةً يقولونَ : عبدُ اللهِ قائمٌ ، وتارةً إنَّ عبدَ اللهِ قائمٌ ، وتارةً إنَّ عبدَ اللهِ لقائمٌ !! فقالَ لهُ إنَّ لكلِّ موضعاً يقتضيهِ ، وكانَ هٰذا مِنْ أسبابِ إقبالِ العلماءِ علىٰ هٰذا الفنِّ

الجملةُ الاسميةُ للثبوتِ وضعاً ، وللدوامِ استعمالاً بالقرينةِ ؛ وذٰلكَ إذا لم يكنْ في خبرِها فعلٌ

الجملةُ الفعليَّةُ للتجدُّدِ والزمانِ باختصارٍ ، وقد يُفادُ بالمضارعِ الاستمرارُ التجدديُّ بمعونةِ المَقامِ وقرينةٍ تُنصَبُ لذٰلكَ

[أغراض بناء الفعل للمفعول]

ويُبنى الفعلُ للمفعولِ **لجهلِ الفاعلِ** ، أو **عِلْمِ السامعِ بهِ** ، فيكونُ ذكرُهُ كالعَبَثِ ، أو **تعظيمِهِ والأدبِ في حقِّهِ** ، تَعرِفُ ذٰلكَ مِنْ قولِهِ تعالىٰ ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[(١)] ، فحيثُ ذُكِرَ الخيرُ صُرِّحَ بالفاعلِ ، وفي مقابلِهِ بُنِيَ الفعلُ للمفعولِ ، أو **تحقيرِ الفاعلِ** ، أو **الخوفِ منهُ أو عليهِ**

وتُقيَّدُ الأفعالُ حيثُ تكونُ القُيودُ مَحَطَّ الفائدةِ ومُتعلَّقَ الأغراضِ الإشاريَّةِ ؛ كما تقولُ ركبَ زيدٌ اليومَ فرساً ، وزارَكَ فلانٌ ماشياً علىٰ قدمَيهِ ، وكَرُمَ زيدٌ أصلاً ، تَتكلَّمُ بالكلامِ لغَرَضِ التعظيمِ والإجلالِ ، أوِ التحقيرِ والإهانةِ ، أوِ التعجُّبِ مِنْ أحوالِ الدنيا ، فتجدُ القيودَ في الجملةِ هيَ مُتعلَّقَ ذٰلكَ ،

---

(١) سورة الجن (١٠)

والنواسخَ في جُمَلِها هيَ قيودَ المسندِ ؛ بما لها مِنَ الأزمنةِ والمعاني التي سَلَفَ بيانُها[1]

ويُوضَعُ الماضي موضعَ المضارعِ ؛ للتنبيهِ على التحقُّقِ أو قربِ الحصولِ ، ويُوضَعُ المضارعُ موضعَ الماضي لحكايةِ الحالِ ؛ حيثُ يكونُ المعنىٰ غريباً ينبغي تأمُّلُهُ والنظرُ فيهِ ، فتُحضَرُ صورتُهُ في الخيالِ لذٰلكَ ؛ مثلُ ﴿ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾[2]

وقد يُقصَدُ بهِ إفادةُ الاستمرارِ في الأوقاتِ الماضيةِ ؛ نحوُ زيدٌ يشربُ ويَطرَبُ ، ويلهو ويلعبُ ، حتىٰ أضاعَ طريفَهُ وتليدَهُ ، فهوَ الآنَ عِبرةٌ لِمَنْ يَعتبِرُ ، وذكرىٰ لِمَنْ يريدُ أن يَذَّكَّرَ



(١) انظر (١/٣٥٧)

(٢) سورة فاطر (٩)

الجملةُ الشرطيةُ

عرفتَ مَفادَها في النحوِ ، وما بينَ أدواتِ الشرطِ مِنَ الاختلافِ ، والذي يَخُصُّ هٰذا الفنَّ أنَّ (لو) قد يُؤتىٰ معَها بلفظِ المضارعِ لإفادةِ معنى الاستمرارِ في الأوقاتِ الماضيةِ ؛ مثلُ ﴿ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾ [1] ، فمعناهُ انتفىٰ عَنَتُكم وحصولُ ما يسوءُكم بسببِ استمرارِ امتناعِ عملِهِ علىٰ رأيِكُم حيثُ كانَتْ نتيجةُ الخيرِ في مخالفتِهِ

و(إن) و(إذا) لكونِهما للتعليقِ في المستقبلاتِ فحقُّهُما أن يُؤتىٰ معَهُما بالمضارعِ الذي هوَ العبارةُ عنِ المستقبلِ ، ولٰكنْ كَثُرَ أن يُؤتىٰ معَهُما بالماضي ؛ للإبرازِ في مَعرِضِ الحاصلِ ؛ لقُوَّةِ الأسبابِ ، أوِ التفاؤلِ ، أو إظهارِ الرغبةِ ؛ نحوُ (إن ظفرتَ بحسنِ العاقبةِ) فإنَّ الطالبَ إذا عَظُمَتْ رغبتُهُ في مطلوبِهِ يَكثرُ تَصوُّرُهُ إيَّاهُ ، فربَّما يَتخيَّلُهُ حاصلاً ، أو للتعريضِ ؛ نحوُ ﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [2] ، فجيءَ بالماضي إبرازاً للإشراكِ في مَعرِضِ الحاصلِ علىٰ سبيلِ الفَرْضِ ؛ تعريضاً للمشركينَ بأنَّهُ قد حَبِطَتْ أعمالُهُم

ونظيرُهُ في التعريضِ : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [3] ؛ قصداً لإسماعِ الحقِّ علىٰ وجهٍ لا يزيدُ غضبَ المُخاطَبينَ ، حيثُ لم يُصرِّحْ بنسبتِهِم إلى الباطلِ ، وهٰذا أدخلُ في إمحاضِ النصحِ لهُم ؛ لإشعارِهِ بأنَّهُ لا يريدُ لهُم إلَّا ما يريدُ لنفسِهِ ، ويُسمَّىٰ هٰذا كلامَ المُنصِفِ ، ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ

---

(١) سورة الحجرات (٧)

(٢) سورة الزمر (٦٥)

(٣) سورة يسٓ (٢٢)

هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1] ؛ حيثُ رَدَّدَ الضَّلالةَ بينَهُم وبينَ نفسِهِ ، ولم يقلْ إنَّا علىٰ هدىً ، وأنتم في ضلالٍ ؛ تحاشياً عنِ التصريحِ بنسبتِهِم إلى الباطلِ

وقد تُستعمَلُ (إن) في غيرِ المشكوكِ ؛ للتجاهلِ ، أو جهلِ السامعِ ، أو تجهيلِهِ ؛ أي تنزيلِهِ منزلةَ الجاهلِ ؛ كقولِكَ لِمَنْ يؤذي أباهُ إن كانَ هـٰذا أباكَ فلا تؤذِهِ

الذِّكرُ

يجبُ عندَ عدمِ القرينةِ ، ويَترجَّحُ معَها لكونِهِ الأصلَ ولا صارفَ ، أو قِلَّةِ الثقةِ بالقرينةِ ؛ لضَعفِها ، أو ضَعفِ فهمِ السامعِ ، أو زيادةِ التقريرِ والإيضاحِ ، أوِ التعريضِ بغَباوةِ السامعِ ، أوِ التبرُّكِ ، أوِ التلذُّذِ ، أو إيهامِهِما ، أوِ التعجُّبِ إذا كانَ الحكمُ غريباً ؛ نحوُ زيدٌ يقاومُ الأسدَ ، أوِ التعظيمِ ، أوِ الإهانةِ ، كما في بعضِ الألقابِ المحمودةِ والمذمومةِ ، أو بسطِ الكلامِ لفائدةٍ في مَقامِ الافتخارِ ونحوِهِ ؛ كما يُقالُ لكَ مَنْ نبيُّكَ ؟ فتقولُ نبيُّنا محمدٌ حبيبُ اللهِ سيِّدُ الأنبياءِ والمرسلينَ ، أو لئلَّا يَتمكَّنَ السامعُ مِنِ ادعاءِ عدمِ التنبيهِ ، أو لتعيُّنِ كونِ المسندِ اسماً أو فعلاً أو ظرفاً لِيَدُلَّ على الثبوتِ أو التجدُّدِ ، وهـٰذا الوجهُ لذكرِ المسندِ ، والباقي مُشترَكٌ بينَ ذكرِ المسندِ إليهِ وغيرِهِ

الحذف

أمَّا الواجبُ منهُ علىٰ ما شُرِحَ في النحوِ . فوجوبُهُ عليكَ لاتباعِ الاستعمالِ ، والذي دعا العربَ لهُ وضوحُ المحذوفِ وظهورُهُ جدّاً ، وقصدُهُمُ الإيجازُ

وربَّما كانَ الحذفُ أعونَ علىٰ تفهيمِ الغَرَضِ مِنَ الكلامِ ؛ مثلاً تقولُ لا

---

(١) سورة سبأ (٢٤)

أزالُ أتبرَّكُ بخدمةِ فلانِ العالمُ الفاضلُ المُتمسّكُ ؛ بقطعِ النعتِ ، فالحذفُ أدخلُ في إفادةِ أنَّ الغَرَض المَسُوقَ إليهِ الكلامُ هوَ المدحُ ، والمدحُ بالاعتقادِ وزعمِ المادحِ ، فلا يَحتمِلُ الجدلَ ، فلو صَرَّحَ بالمبتدأ لاحتملَ أنَّهُ دعوىٰ يحاولُ إثباتَها ، فيفتحُ للمُخاطَبِ بابَ المنازعةِ

وأمَّا الجائزُ في حكمِهِم فيُوجِبُهُ البليغُ لِمَا يَذكُرُ مِنْ دواعيهِ ؛ كضِيقِ المَقامِ ؛ مِنْ تَوجُّعٍ ونحوِهِ ؛ مثلُ[1] [من الخفيف]

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلُ سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ

أي أنا عليلٌ ، وحالي سهرٌ دائمٌ ، فحذفَ لضِيقِ المَقامِ ؛ للتوجُّعِ أوِ الحزنِ

أو للاحترازِ عنِ العبثِ ظاهراً ؛ نحوُ ﴿ يُسَبَّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ ﴾[2] علىٰ قراءةِ المجهولِ ، فكأنَّهُ قيلَ مَنْ يُسبَّحُ لهُ ؟ فقالَ رجالٌ ؛ أي يُسبِّحُ لهُ رجالٌ ، فحُذِفَ للاحترازِ عنِ العَبَثِ ؛ نظراً إلىٰ ظاهرِ القرينةِ ، لا العَبَثِ في الحقيقةِ ؛ لأنَّ ذكرَ المسندِ والمسندِ إليهِ لا يكونُ عَبَثاً حقيقةً أصلاً ، وفيهِ تكثيرُ الفائدةِ بنيابتِهِ عن ثلاثِ جملٍ ؛ أي في هٰذا النظمِ علىٰ هٰذهِ القراءةِ تكثيرُ الفائدةِ بكونِ المذكورِ نائباً عن ثلاثِ جملٍ إحداها المذكورةُ ، والثانيةُ مَنْ يُسبَّحُ لهُ ؟ والثالثةُ يُسبِّحُ رجالٌ ، بخلافِهِ علىٰ قراءةِ المعلومِ ؛ إذ لا حذفَ حينَئذٍ ولا تقديرَ سؤالٍ ، وبكونِ المُسبَّحِ لهُ عمدةً ؛ لأنَّهُ لمَّا كانَ قولُهُ (لهُ) نائبَ الفاعلِ فقد جُعِلَ المُسبَّحُ لهُ عمدةً في الكلامِ ، بخلافِ القراءةِ الأخرىٰ ، وبكونِهِ تفصيلاً بعدَ إجمالٍ ، وهوَ أوقعُ في النفسِ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/١٠٠)

(٢) سورة النور (٣٦ ـ ٣٧) ، وهي قراءة ابن عامر

ولهٰذهِ الوجوهِ تُرجَّحُ روايةُ المجهولِ علىٰ روايةِ المعلومِ في قولِهِ (١) [من الطويل]

لِيُبْكَ يَزِيدٌ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ

أو لتخييلِ العدولِ إلىٰ أقوى الدليلَينِ عقليّ ولفظيّ ؛ فإنَّ الاعتمادَ عندَ الذِّكرِ علىٰ دلالةِ اللفظِ ، وعندَ الحذفِ علىٰ دلالةِ العقلِ ؛ وهو أقوىٰ

أو لاختبارِ تَنبُّهِ السامعِ أو قَدْرِ تَنبُّهِهِ ؛ **فالأوَّلُ** هل يَتنبَّهُ بالقرينةِ أو لا ، **والثاني** هل يَتنبَّهُ بالقرينةِ الخفيةِ أو لا

أو لصونِهِ عن لسانِكَ ، أو عكسِهِ ، أو إيهامِهما ؛ **فالأوَّلُ** للتعظيمِ ، **والثاني** للتحقيرِ ، ويَقرُبُ منهُ الحياءُ مِنَ التصريحِ ؛ كقولِ عائشةَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنها (ما رأىٰ منِّي ، ولا رأيتُ منهُ)(٢) ؛ تعني العورةَ

أو لتعيُّنِهِ ولوِ ادِّعاءً ؛ نحوُ خالقُ كلِّ شيءٍ ؛ فإنَّ الخَلْقَ مخصوصٌ بالباري تعالىٰ ، أو للإخفاءِ ، أو ليمكنَ الإنكارُ ، أو لتكثيرِ الفائدةِ باحتمالِ أمرَينِ ؛ نحوُ ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾(٣) ؛ أي فأمري أو أجملُ ؛ يعني أنَّهُ يُحتمَلُ كونُهُ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ ؛ أي فأمري صبرٌ جميلٌ ، وكونُهُ مبتدأً محذوفَ الخبرِ ؛ أي فصبرٌ جميلٌ أجملُ وأَولىٰ ، ونحوُ ﴿ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(٤) ؛ أي فليكنْ أو فالأمرُ

---

(١) تقدم (١/٤٠٥) ، والبيت بتمامه

لِيُبْكَ يَزِيدٌ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ ٱلطَّوَائِحُ

(٢) انظر « مرقاة المفاتيح » (٦/٢٦٣ ـ ٢٦٤)

(٣) سورة يوسف (٨٣)

(٤) سورة البقرة (١٧٨)

أو للتعميمِ باختصارٍ ؛ نحوُ ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[1] ؛ أي يدعو العبادَ كلَّهُم ؛ إذِ الدعوةُ عامَّةٌ ، وهـٰذا التعميمُ وإن أمكنَ بذكرِ المفعولِ علىٰ صيغةِ العامّ لـٰكنْ يفوتُ الاختصارُ حينَئذٍ

أو للتناسبِ ؛ نحوُ ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾[2] ؛ إذ لو قيلَ وما قَلَاكَ فاتَ شبهُ السَّجعِ

وقد يُحذَفُ المفعولُ نَسْياً ، فلا يكونُ منوياً مُقدَّراً ، ولا يُلاحَظُ تَعلُّقُ الفعلِ بهِ أصلاً ؛ لمُجرَّدِ إثباتِ الفعلِ أو نفيِهِ ، فيُنزَّلُ مَنزِلةَ اللَّازمِ ؛ نحوُ ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3] ؛ فإنَّ الغرض مُجرَّدُ إثباتِ العِلْمِ ونفيِهِ مِنْ غيرِ ملاحظةِ تَعلُّقِهِ بمعلومٍ عامّ أو خاصّ ، والمعنىٰ لا يستوي مَنْ تَثبُتُ لهُ حقيقةُ العِلْمِ ومَنْ لا تَثبُتُ ، ولا يُقدَّرُ لهُ مفعولٌ ، وإلَّا فاتَ هـٰذا الغرضُ

التقديم

اقتصروا في تعليلِ واجبِهِ على اتباعِ الاستعمالِ ، وهم مُطالَبونَ بالتماسِ أسبابِ الاستعمالِ كما هوَ مقتضىٰ وظيفةِ مَنْ نصبَ نفسَهُ لبيانِ مُوجِباتِ اختلافِ هيئاتِ التراكيبِ العربيةِ

وأمَّا الجائزُ فقالوا إنَّه للاهتمامِ بهِ مِنَ المُتكلِّمِ أوِ السامعِ ولوِ ادِّعاءً ، قالَ الشيخُ عبدُ القاهرِ[4] لا بدَّ في تعليلِ تقديمِ اللفظِ ـ أيِ النطقِ بهِ أولاً ـ وإن كانَ موضعَهُ الطبيعيَّ بعدَ الاهتمامِ بهِ والعنايةِ ؛ مِنْ ذكرِ جهةٍ خاصَّةٍ تُوجِبُ الاعتناءَ ؛ بأن يُقالَ لكونِهِ الأصلَ ولا صارفَ ، أو للتشويقِ

---

(١) سورة يونس (٢٥)

(٢) سورة الضحىٰ (٣)

(٣) سورة الزمر (٩)

(٤) انظر « دلائل الإعجاز » (ص ١٠٦)

إلى الخبرِ لتمكينِهِ في ذهنِ السامعِ ، وهـٰذا إذا كانَ المسندُ إليهِ مُشعِراً بغرابةِ الخبرِ ؛ نحوُ[1] [من الخفيف]

وَٱلَّـذِي حَـارَتِ ٱلْـبَـرِيَّـةُ فِـيـهِ حَـيَـوَانٌ مُـسْـتَـحْـدَثٌ مِـنْ جَـمَـادِ

أو لتعجيلِ المَسرَّةِ أو لمساءةٍ تفاؤلاً أو تَطيُّراً إذا كانَ اللفظُ صالحاً لهُما ؛ نحوُ سعدٌ في دارِكَ ، والسَّفاحُ في دارِ صديقِكَ ، ونحوُ العفوُ عن فلانٍ صدرَ بهِ الأمرُ ، ونحوُ إذا ابتسمَ لكَ ثغرُ الأيامِ فنحنُ مقترحونَ عليكَ ما نشاءُ

أو لإيهامِ أنَّهُ لا يزولُ عنِ الخاطرِ ؛ إظهاراً لقُوَّةِ المَحَبَّةِ ؛ لأنَّ اسمَ المحبوبِ كثيراً ما يُوجِبُ بدلَ الغَلَطِ ، والتبرُّكِ ، أوِ التلذُّذِ ، أو كونِهِ مَحَزَّ التعجُّبِ والاستبعادِ ، أو مقطعَ الحكمِ ومَركزَ العنايةِ ؛ نحوُ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2] ، ترتيبُ الكلامِ ولم يكنْ أحدٌ كفؤاً لهُ ؛ فمركزُ العنايةِ نفيُ الكونِ لهُ ، ثمَّ الموضعُ الثاني للفظ (الكفءِ) ، ونحوُ أبَعْدَ طولِ التجربةِ تنخدعُ بهـٰذِهِ الزخارفِ ؟! أو أتنخدعُ بعدَ طولِ التجربةِ ، أو أبهـٰذِهِ الزخارفِ ، هـٰذا حَسَبَ ما تجدُهُ موضعَ التعجُّبِ والإنكارِ

أو لبيانِ اتسامِهِ بالخبرِ ، واشتهارِهِ بمعناهُ ، وكونِهِ صارَ لهُ عادةً ، كما تقولُ في جوابِ (كيفَ الخطيبُ ؟) الخطيبُ يشربُ ويَطرَبُ ، ليسَ غرضُكَ أن تخبرَ بحصولِ الشربِ منهُ في أيِّ زمنٍ ، فلا يَصِحُّ في الجوابِ يشربُ الخطيبُ

أوِ الكنايةِ بلفظِ (مثلِ) و(غيرِ) نحوُ مثلُكَ لا يبخلُ ، وغيرُكَ لا يجودُ ؛ أي أنتَ لا تبخلُ ، وأنتَ تجودُ

---

(١) انظر « شروح سقط الزند » (٣/١٠٠٤) ، والبيت لأبي العلاء المعري

(٢) سورة الإخلاص (٤)

أو للنصِّ علىٰ عمومِ السَّلْبِ في نحوِ كلُّ ذٰلكَ لم يكنْ ، فلو أخَّرَ لفظَ (كلٍّ) ولو رتبةً ؛ بأن كانَ معمولاً قُدِّمَ علىٰ عاملِهِ معَ النفيِ [لم يُفِدْ ذٰلكَ][(1)]

أو للتقويةِ في الخبرِ الفعليِّ لتكرُّرِ الإسنادِ ؛ نحوُ زيدٌ قامَ ، والحقُّ وضحَ ؛ أي لتقويةِ الحكمِ إذا كانَ الخبرُ فعلاً ؛ فإنَّهُ حينَئذٍ يكونُ المسندُ إليهِ مبتدأً ، والفعلُ مسنداً إلىٰ ضميرِهِ ، فيَتكرَّرُ الإسنادُ فيَتقوَّى الحكمُ ، بخلافِ ما لو أُخِّرَ ؛ فإنَّهُ يكونُ حينَئذٍ فاعلاً أُسنِدَ إليهِ الفعلُ ، فلا يَتكرَّرُ الإسنادُ ، وتقوِّي الحكمِ حيثُ يكونُ الخبرُ مُشتقّاً غيرَ فعلٍ أنزَلُ منهُ حيثُ يكونُ فعلاً ؛ لأنَّ ضميرَ المُشتقِّ لكونِهِ لا يَتغيَّرُ كانَ بمنزلةِ المفقودِ

وأمثلةُ التقديمِ لتقويةِ الحكمِ تُستعمَلُ للتخصيصِ بقرينةِ الحالِ ، فنحوُ (زيدٌ فهمَ) يكونُ لتقويةِ الحكمِ ؛ فمعناهُ زيدٌ فهمَ يقيناً ، وأنا مِنْ غيرِهِ في شكٍّ مثلاً ، ويكونُ للتخصيصِ ؛ فمعناهُ زيدٌ فهمَ وغيرُهُ لم يفهمْ ، ونحوُ رجلٌ جاءَ ؛ للتخصيصِ بالجنسِ أوِ الواحدِ ؛ أي لا امرأةٌ ، أو لا أكثرُ

والتقديمُ في نحوِ ما أنا قلتُ ؛ للتخصيصِ قطعاً ، ومعناهُ أنَّ نفيَ فاعليةِ الفعلِ الحاصلِ مُختصٌّ بي ، فيكونُ الفعلُ ثابتاً ، وإنَّما النزاعُ في فاعلِهِ ، فالمُتكلِّمُ يقولُ لستُ الفاعلَ لهُ ، بل غيري ، فانظرْ مَنْ هوَ ، أو هوَ فلانٌ ، فلا يَصِحُّ ما أنا فعلتُ هٰذا ولا غيري ، ولا ما أنا ضربتُ إلَّا زيداً ؛ فإنَّهُ حينَئذٍ يكونُ تفريغاً في الإثباتِ حيثُ لا يمكنُ ؛ فإنَّ المعنىٰ غيري ضربَ كلَّ أحدٍ إلَّا زيداً

---

(1) ما بين معقوفين ليس في الأصل ، وانظر « حاشية الصبان » (٣/٧٥)

والتقديمُ في نحوِ [١] [من الطويل]

لَـهُ هِـمَـمٌ لَا مُـنْـتَـهَـىٰ لِـكِـبَـارِهَـا وَهِـمَّـتُـهُ ٱلصُّـغْـرَىٰ أَجَـلُّ مِـنَ ٱلـدَّهْـرِ

للتحرُّزِ مِنِ احتمالِ الوصفيَّةِ

وفي نحوِ [٢] [من البسيط]

ثَـلَاثَـةٌ تُـشْـرِقُ ٱلـدُّنْـيَـا بِـبَـهْـجَـتِـهَـا شَمْسُ ٱلضُّحَىٰ وَأَبُو إِسْحَاقَ وَٱلْقَمَرُ

لتشويقِ نفسِ السامعِ إلى المُؤخَّرِ

وعلىٰ أمثالِ هٰذهِ الدواعي يدورُ أمرُ التقديمِ ، وبابُ الاعتبارِ مفتوحٌ لذوقِ المُتكلِّمِ ، وما ذُكِرَ مِنَ الدواعي كافٍ لترشيحِهِ وتربيةِ فطنتِهِ إلى اعتبارِ محاسنِ المقاصدِ الكلاميةِ

التعريفُ

حيثُ يكونُ غرضُكَ أن تَتكلَّمَ علىٰ ما يَعرِفُهُ المُخاطَبُ بسببِ حضورِهِ ، أو عهدِهِ ، أو سبقِ ذكرٍ لهُ ، وحينَئذٍ توردُ بعض المعارفِ ، لٰكنْ لكلِّ معرفةٍ موضعٌ

فالعَلَمُ لإحضارِ الشخصِ بالاسمِ الخاصِّ المعروفِ وضعُهُ لهُ ؛ نحوُ ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [٣] ، و﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [٤] ، ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾ [٥] ، ﴿ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ [٦]

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢٠٨/١)

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢١٥/١) ، وعزاه لمحمد بن وهيب

(٣) سورة الفتح (٢٩)

(٤) سورة الأحزاب (٤٠)

(٥) سورة آل عمران (٥٢)

(٦) سورة مريم (٢٧)

أو للتبرُّكِ ، أو التلذُّذِ ، أو التعظيمِ ، أو الإهانةِ ؛ كما في الألقابِ الصالحةِ لمدحٍ أو ذمٍّ ؛ نحوُ أبو الخيرِ ، وأبو الفضلِ ؛ فتقولُ حيثُ تستحسنُ شعراً لأحمدَ بنِ الحسينِ المشهورِ بالمتنبي قالَ أبو الطيبِ ؛ تلحظُ فيهِ الإشارةَ إلىٰ جودةِ ما تنشدُهُ لهُ وطيبِهِ ، كذٰلكَ تقولُ قالَ حبيبُ بنُ أوسٍ ؛ تعني أبا تمامٍ ، وحيثُ تنشدُ للبحتريِّ بعضَ ما لا تستحسنُ مِنْ كلامِهِ تقولُ قالَ الوليدُ

ومِنْ هٰذهِ الملاحظةِ ملاحظةُ أحمدَ بنِ سليمانَ المشهورِ بأبي العلاءِ المعريِّ ، حيثُ شرحَ دواوينَ هٰؤلاءِ الشعراءِ الثلاثةِ ، فسمَّىٰ شرحاً بـ « ذكرىٰ حبيبٍ » ، وشرحاً بـ « عبثِ الوليدِ » ، والثالثَ بـ « معجزِ أحمدَ »



والضميرُ لأغراضٍ تَتعلَّقُ بكلمةِ (أنا) و(أنتَ) مثلاً ؛ تقولُ أنا رجوتُكَ في هٰذا الأمرِ ، وأنتَ كلمتَني فكيفَ أغفلُ ؟! وفلانٌ هوَ سعىٰ لكَ

وسَوْقُ الضَّميرِ الذي يَتأخَّرُ مَرجِعُهُ لفظاً ورتبةً للتفخيمِ والتعظيمِ والإبهامِ والتفسيرِ ، وأصلُ الخطابِ أن يكونَ معَ مُعيَّنٍ ، وقد يكونُ لنكتةٍ معَ غيرِ مُعيَّنٍ ، كما في قولِكَ اللئيمُ مَنْ إذا أحسنتَ إليهِ أساءَ إليكَ ، والكريمُ مَنْ إذا أسأتَهُ أحسنَ بكَ ، واجتهدَ في إصلاحِكَ ؛ فتعميمُ الخطابِ ليصيرَ نفسُ الفعلِ هوَ المُحقِّقَ لحقيقةِ الكريمِ وحقيقةِ اللئيمِ

وحيثُ يكونُ المُتكلِّمُ حاكياً عن نفسِهِ . فالمَقامُ لضميرِ المُتكلِّم ، وحيثُ يكونُ الكلامُ مُلقىً إلىٰ مُخاطَبٍ فالمَقامُ لضميرِ المُخاطَبِ ، وحيثُ يُرادُ ذكرُ الشيءِ بعدَ تقديمِ ما يُشعِرُ بهِ فالمَقامُ لضميرِ الغائبِ ، وقد يُعدَلُ عن مقتضىٰ ظاهرِ المَقامِ والحالِ إلىٰ مُقتضى الحالِ ، فيُوضَعُ الظاهرُ موضعَ الضَّميرِ لغَرَضٍ يَتعلَّقُ بهِ ؛ كقولِ الأميرِ لتابعِهِ أميرُكَ أمرَكَ بكذا ، دونَ أن

يقولَ أنا أمرتُكَ بكذا ؛ تعييناً لجهةِ المَخافةِ المُوجِبةِ للتحرُّزِ بالامتثالِ ، والمسارعةِ إلى القيامِ بالوظائفِ

وقالَ تعالىٰ ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [1] ؛ أي هوَ اللهُ الذي مَنْ تَوكَّلَ عليهِ كفاهُ المُؤَنَ ، حيثُ لا مُعقِّبَ [لحُكْمِهِ] ، ولا تَنفَدُ خزائنُ إمدادِهِ ، وأمثلةُ وضعِ الظاهرِ موضعَ الضَّميرِ في القرآنِ كثيرةٌ

يُحكىٰ أنَّ بعض الناسِ حينَ سمعَ قولَ ابنِ الروميِّ بحضرةِ الصَّاحبِ ابنِ عبادٍ [2] [من الطويل]

بِجَهْلٍ كَجَهْلِ ٱلسَّيْفِ وَٱلسَّيْفُ مُنْتَضىً وَحِلْمٍ كَحِلْمِ ٱلسَّيْفِ وَٱلسَّيْفُ مُغْمَدُ

استهجنَهُ ؛ لِمَا فيهِ مِنَ التكريرِ ، فقالَ الصَّاحبُ إنَّهُ لو قالَ (وهوَ) لا أقولُ إنَّهُ ينكسرُ البيتُ ، ولـٰكنْ أقولُ إنَّهُ ينكسرُ القلبُ ؛ يعني أنَّ حسنَ هـٰذهِ العبارةِ مِنَ الجهةِ التي منها الاستهجانُ ؛ فإنَّ الغَرَض تربيةُ الروعةِ ، وإبقاءُ الاستهالةِ متزايدةً في نفوسِ الأعداءِ ، ألا ترىٰ أنَّكَ في مَقامِ التهديدِ تُكثِرُ مِنْ ذكرِ المرهوباتِ ، كما أنَّكَ في مَقامِ التبشيرِ وبسطِ النفوسِ تُكثِرُ مِنْ ذكرِ المرغوباتِ ؟!

واسمُ الإشارةِ للاحتياجِ إليهِ ، أو لكمالِ العنايةِ بالمَحكيِّ عنهُ ؛ كقولِ ابنِ الروميِّ [3] [من البسيط]

هَـٰذَا أَبُو ٱلصَّقْرِ فَرْداً فِي مَحَاسِنِهِ مِنْ نَسْلِ شَيْبَانَ بَيْنَ ٱلضَّالِ وَٱلسَّمُرِ

---

(١) سورة آل عمران (١٥٩)

(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (٢/٥٩٠)

(٣) كذا أورد البيت في « معاهد التنصيص » (١/١٠٧) ، وفيه (السلم) بدل (السمر) ، والبيت في « ديوان ابن الرومي » (٦/٢٤٢٥)

أَضْحَىٰ أَبُو ٱلصَّقْرِ فَرْداً لَا نَظِيرَ لَهُ بَعْدَ ٱلنَّبِيِّ وَمَنْ وَالَتْ خُرَاسَانُ

أو لإظهارِ الاستغرابِ والتعجُّبِ ؛ كقولِ القائلِ [١] [من البسيط]

كَـمْ عَـاقِـلٍ عَـاقِـلٌ أَعْـيَـتْ مَـذَاهِـبُـهُ وَجَـاهِـلٍ جَـاهِـلٌ تَـلْـقَـاهُ مَـرْزُوقَـا
هَـٰذَا ٱلَّـذِي تَـرَكَ ٱلْأَوْهَـامَ حَـائِـرَةً وَصَـيَّـرَ ٱلْعَـالِـمَ ٱلنِّـحْـرِيـرَ زِنْـدِيـقَـا

أو لإيهامِ بَلادةِ المُخاطَبِ ، أو فطنتِهِ

وتُوضَعُ إشارةُ القريبِ مكانَ إشارةِ البعيدِ وبالعكسِ ؛ لإظهارِ التعظيمِ أوِ التحقيرِ ، والإشارةُ للمُبصَراتِ الحاضرةِ ، ويُنزَّلُ المعقولُ منزلةَ المحسوسِ ، وغيرُ المُبصَرِ منزلةَ المُبصَرِ ، والغائبُ منزلةَ الحاضرِ ، لأمثالِ تلكَ الدواعي المذكورةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [٢] ، ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ﴾ [٣] ، ﴿ أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ [٤] ، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [٥] ، ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [٦] ، ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [٧]



والموصولُ لعدمِ العلمِ بما يخصُّه سوى الصلةِ ؛ نحوُ مَنْ دخلَ هـٰذا الحصنَ فلهُ كذا ، أو للإخفاءِ ، أو استهجانِ التصريحِ بالاسمِ ، أو التشويقِ إلىٰ ما يردُ لتمكُّنِهِ في الذهنِ ، وهـٰذا إذا كانَ مضمونُ الصلةِ حكماً غريباً ؛ نحوُ [٨] [من الخفيف]

وَٱلَّـذِي حَـارَتِ ٱلْـبَـرِيَّـةُ (البيتَ)

---

(١) البيتان لابن الراوندي كما في « معاهد التنصيص » (١/١٤٧)
(٢) سورة البقرة (٢٥٥)
(٣) سورة البقرة (٢٦)
(٤) سورة الفرقان (٤١)
(٥) سورة البقرة (٢)
(٦) سورة الشورىٰ (٤٣)
(٧) سورة الأعراف (٢٦) (٨) تقدم قريباً (٢/٨٢)

أو زيادةِ التقريرِ ؛ نحوُ ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا ﴾[1] ؛ أي راودتْ زَلِيخا يوسفَ عليهِ السلامُ ، والكلامُ مَسُوقٌ لنزاهةِ يوسفَ عليهِ السلامُ ، وكونُهُ في بيتِها أدلُّ علىٰ نزاهتِهِ ، فيكونُ تقريراً للغَرَضِ المَسُوقِ لهُ الكلامُ ، وقيلَ لتقريرِ المراودةِ بدلالةِ كونِهِ في بيتِها علىٰ كثرةِ الخلطةِ وزيادةِ الألفةِ

أوِ التفخيمِ ؛ نحوُ ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴾[2] ؛ أي غطَّاهُم وستَرَهُم موجٌ عظيمٌ لا يمكنُ وصفُهُ ، أو التحقيرِ ؛ نحوُ ومَنْ لم يَدْرِ حقيقةَ الحالِ قالَ ما قالَ ؛ أي قالَ قولاً لا يُعتَدُّ بهِ ، وتحقيقُهُما أنَّ في التعبيرِ بالموصولِ إبهاماً ، والإبهامُ إمَّا للإشعارِ بأنَّهُ لا يُوصَفُ لعلوِّ مرتبتِهِ عنِ الفهمِ ، فيفيدُ التفخيمَ ، وإمَّا للإشعارِ بأنَّهُ لا يُوصَفُ لدُنُوِّ منزلتِهِ عن أن يُلتفَتَ إليهِ ، فيفيدُ التحقيرَ

أوِ التنبيهِ على الخطأ ؛ نحوُ[3] [من الكامل]

إنَّ ٱلَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ ... يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

أو تحقيقِ الحُكْمِ ؛ نحوُ[4] [من البسيط]

إنَّ ٱلَّتِي ضَرَبَتْ بَيْتاً مُهَاجِرَةً ... بِكُوفَةِ ٱلْجُنْدِ غَالَتْ وُدَّهَا غُولُ

أو تعظيمِ المحكومِ بهِ ؛ نحوُ[5] [من الكامل]

إنَّ ٱلَّذِي سَمَكَ ٱلسَّمَاءَ بَنَىٰ لَنَا ... بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

---

(١) سورة يوسف (٢٣)

(٢) سورة طه (٧٨)

(٣) البيت لعبدة بن الطبيب رضي الله عنه ، كما في « معاهد التنصيص » (١/١٠٠)

(٤) البيت لعبدة بن الطبيب رضي الله عنه ، كما في « المفضليات » (ص ١٣٦)

(٥) هو للفرزدق في « ديوانه » (٢/٣١٨)

يريدُ بيتَ العزِّ والشرفِ بالحسبِ والنسبِ ؛ أي فهوَ في الرفعةِ وعلوِّ الشأنِ مِنْ جنسِ السماءِ

أو تعليلِهِ ؛ نحوُ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾ (١) ، فإنَّ الإيمانَ وعملَ الصالحاتِ سببٌ للجنَّاتِ ورفعِ الدرجاتِ



وذو الأداةِ حيثُ تكونُ الحكايةُ عن جنسٍ أو معهودٍ مِنْ أفرادِهِ أو جميعِ أفرادِهِ علىٰ ما سَلَفَ تقريرُهُ في النحوِ (٢) ، وحيثُ يكونُ ذو الأداةِ خبراً كانَ الكلامُ مِنْ عباراتِ التخصيصِ ؛ نحوُ زيدٌ هوَ المنطلقُ ، والكرمُ التقوىٰ ، وذٰلكَ هوَ الرجلُ ؛ فالتخصيصُ حقيقيٌّ أوِ ادِّعائيٌّ



والمُضافُ لتعيينِهِ بالإضافةِ ، أو تخصيصِهِ ، أو تشريفِهِ ، أو تشريفِ المُضافِ إليهِ ، أوِ الاختصارِ ؛ نحوُ ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ (٣) ، ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ (٤) ، ودينُنا الإسلامُ ، ونبيُّنا محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، ونحوُ أنتَ تَعرِفُ رغبةَ فلانٍ ، واعتمدتُ علىٰ هِمَّتِكَ

التنكيرُ

للإفرادِ ؛ شخصاً أو نوعاً ؛ نحوُ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ ﴾ (٥) ؛ أي كلَّ

---

(١) سورة الكهف (١٠٧)

(٢) انظر (١/١٢٢)

(٣) سورة الإسراء (١)

(٤) سورة الفرقان (٦٣)

(٥) سورة النور (٤٥)

فردٍ أو نوعٍ منها ، مِنْ فردٍ أو نوعٍ منهُ ، أو لأنَّهُ لا يُعرَفُ منهُ إلَّا ذلكَ القَدْرُ ولوِ ادِّعاءً ؛ كما تقولُ وقد أُسمِعتَ شعراً هوَ كلامٌ ؛ أي ليسَ إلَّا لفظاً مُركَّباً مفيداً بالوضعِ ، تُجرِّدُهُ عنِ الوزنِ والتقفيةِ والصناعةِ

أو للإخفاءِ ، أوِ التكثيرِ ، أوِ التقليلِ ، أوِ التعظيمِ ، أوِ التحقيرِ ؛ نحوُ[1] [من الطويل]

لَـهُ حَـاجِـبٌ عَـنْ كُـلِّ أَمْـرٍ يَـشِـيـنُـهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ ٱلْعُرْفِ حَاجِبُ
فَـتـىً لَا يُـبَـالِـي ٱلْـمُـدْلِـجُونَ بِنَـارِهِ إِلَـىٰ بَـابِـهِ أَلَّا تُـضِـيءَ ٱلْـكَـوَاكِـبُ
يَـصَـمُّ عَـنِ ٱلْـفَـحْـشَـاءِ حَـتَّـىٰ كَـأَنَّـهُ إِذَا ذُكِرَتْ عَنْ مَجْلِسِ ٱلْقَوْمِ غَائِبُ

أي لهُ حاجبٌ عظيمٌ ، وليسَ لهُ أدنىٰ حاجبٍ ، وهوَ فتىً أيُّ فتىً !! وفي الشعرِ ما يُذكِّرُكَ بكثيرٍ ممَّا مضىٰ ، ونحوُ[2] [من الطويل]

وَلِلهِ عِـنْـدِي جَـانِـبٌ لَا أُضِـيـعُـهُ وَلِـلَّـهْـوِ عِـنْـدِي وَٱلْـخَـلَاعَـةِ جَـانِـبُ

[التقييدُ]

التقييدُ ببعضِ التوابعِ لما سلفَ تقريرُهُ في النحوِ لم يذكروا في هٰذا الفنِّ زيادةً عنهُ ، غيرَ أنَّ عطفَ البيانِ يكونُ كالنعتِ للمدحِ ؛ نحوُ الكعبةُ البيتُ الحرامُ

وإنَّ الفاءَ و(ثُمَّ) كما يكونُ معناهُما بحَسَبِ الزمانِ يكونُ بحَسَبِ المرتبةِ والتفاوتِ فيها ؛ مثلُ أنَّ التفسيرَ يناسبُ أن يعقبَ المُفسَّرَ ؛ نحوُ ﴿ جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ ﴾[3]

---

(١) الأبيات لابن أبي السمط ، كما في « معاهد التنصيص » (١/١٢٧)
(٢) انظر « معاهد التنصيص » (١/١٢٧)
(٣) سورة يسٓ (٨)

والتراخي بحَسَبِ التفاوتِ والبعدِ بينَ الحالتَينِ تفهمُهُ مِنْ آيةِ خلقِ الإنسانِ ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [١]

الفصلُ بلفظِ (هوَ) للتخصيصِ ، أو لتأكيدِهِ حيثُ يُستفادُ مِنْ غيرِهِ

القصرُ

ويُقالُ **الحصرُ والتخصيصُ** يكونُ بعطفِ (لا) قيلَ ويَختصُّ بقصرِ القلبِ ، وبعطفِ (لكنْ) قيلَ : ويَختصُّ بالإفرادِ ، ويكون بأداة نفيٍ و(إلَّا) ، ويكون بـ (إنَّما) ولا يُعرَفُ المقصورُ معَها إلَّا بتأخيرِهِ ، فوجبَ ، ويكونُ بالتقديمِ اعتماداً على القرينةِ ، لا بالوضعِ كسابقِهِ ، ويكونُ بالفصلِ كما سبقَ [٢] ، وبقولِكَ فقطْ ، أو وحدَهُ

والقصرُ حقيقيٌّ وإضافيٌّ ؛ أي بالنسبةِ إلىٰ صفةٍ أخرىٰ ، أو موصوفٍ آخَرَ ، والحقيقيُّ في قصرِ الموصوفِ على الصفةِ نادرٌ جدّاً ، حتىٰ قيلَ إنَّهُ مُتعذِّرٌ ؛ نحوُ إنَّما اللهُ كاملٌ ، فليسَ وراءَ الكمالِ صفةٌ



(١) سورة المؤمنون (١٤)

(٢) انظر (١/٤٠٩)

الجملُ الإنشائيةُ

يَخُصُّها مِنَ الكلامِ أنَّها تَخرُجُ عن استعمالِها في معانيها الأصليَّةِ ـ التي عرفتَها[1] ـ لها في النحوِ إلىٰ مراداتٍ يَلزمُ تنبيهُكَ لها ، تَلحَظُها في كلامِ العامَّةِ فضلاً عن كلامِ الخاصَّةِ ؛ مثلُ كونِ الأمرِ والنهيِ يُرادُ بهِما نحوُ التهديدِ ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾[2] ، والإهانةِ ﴿ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾[3] ، والتعجيزِ ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[4] ، والتسويةِ ﴿ فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ ﴾[5]

وإنَّ عباراتِ الاستفهامِ تكونُ لصِرْفِ الإنكارِ ، فتكونُ كعباراتِ النفيِ ؛ نحوُ ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾[6] ، ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[7] ، وللتوبيخِ ، والتعجُّبِ ، والتعجيبِ ، والتقريرِ ؛ أي حملِ المُخاطَبِ على الإقرارِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا يُنبِّهُ المَقامُ وسياقُ الكلامِ على اعتبارِهِ

والشيءُ الذي يَتعلَّقُ بهِ الاستفهامُ وما يَتولَّدُ منهُ يكونُ والياً للهمزةِ ؛ تقولُ أماشياً جاءَ زيدٌ ؟ حيثُ يكونُ الاستفهامُ مُتعلِّقاً بالحالِ ، وهٰكذا كما سلفَ تقريرُهُ عندَ بيانِ كونِ الاستفهامِ لطلبِ التصديقِ أو طلبِ التصوُّرِ[8]

والكلامُ العامُّ في هٰذا الموضعِ أنَّكَ إذا وجدتَ العبارةَ مدلولاً علىٰ أنَّها

---

(١) انظر (١/٥٢٢) وما بعدها
(٢) سورة فصلت (٤٠)
(٣) سورة الإسراء (١٧ ـ ١٨)
(٤) سورة البقرة (٢٣)
(٥) سورة الطور (١٦)
(٦) سورة الرحمٰن (٦٠)
(٧) سورة آل عمران (١٣٥)
(٨) تقدم (١/١٣٢ ، ١٦٣)

غيرُ مُستعمَلةٍ في معناها الأصليّ الذي عرفتَهُ لها طلبتَ المرادَ منها بإعانةِ القرائنِ وسياقِ الكلامِ مِنْ جنسِ تلكَ الدواعي التي عرفتَها ؛ حيثُ تَقرَّرَ عندَكَ أنَّ الدواعيَ المذكورةَ في هٰذا الفنِّ إنَّما هيَ أُنموذجٌ يُنبِّهُكَ على اعتبارِ ما يَحسُنُ في الذَّوقِ اعتبارُهُ

وكلمةُ (ما) مِنْ أدواتِ الاستفهامِ يُطلَبُ بها تفسيرُ اللفظِ ؛ نحوُ ما العنقاءُ ؟ **وشرحُ الماهيَّةِ** ؛ نحوُ ما هوَ الهواءُ ؟ وما هيَ النارُ ؟ **والإعلامُ بحالِ المذكورِ معَها** ؛ نحوُ ما أنتَ ؟ فتقولُ رسولُ فلانٍ إليكَ في أمرِ كذا

وكلمةُ (هل) إن كانَ الاستخبارُ بها عن وجودِ الشيءِ سُمِّيَتِ البسيطةَ ، وإن كانَ عن غيرِهِ سُمِّيَتِ المُركَّبةَ ، وعليهِ يقولُ أهلُ المَنطِقِ الهَلِيَّةُ البسيطةُ ، والهَلِيَّةُ المُركَّبةُ

وبقيةُ الأدواتِ سبقَ لكَ إبانةُ وظائفِها

[إخراجُ الكلامِ علىٰ خلافِ مقتضى الظاهرِ]

هٰذا ؛ وإجراءُ الكلامِ علىٰ ما تقتضيهِ ظواهرُ الأحوالِ حَسَبَ المتعارفِ يُسمَّىٰ إخراجَ الكلامِ علىٰ مُقتضى الظاهرِ ، وإجراؤُهُ علىٰ خلافِها يُسمَّىٰ إخراجَ الكلامِ علىٰ خلافِ مُقتضى الظاهرِ

مثلاً إذا عرفتَ أنَّ إنساناً يَعرِفُ مضمونَ خبرٍ فمُقتضىٰ ظاهرِ الحالِ ألَّا تُخبِرَهُ بهِ ؛ حفظاً للوقتِ مِنَ الضَّياعِ ، بل تُخبِرُهُ بما تَعرِفُ جهلَهُ بهِ ؛ استزادةً في علمِهِ ، لٰكنْ إذا رأيتَهُ عاملاً علىٰ خلافِ علمِهِ حَسُنَ أن تُنزِلَهُ مَنزِلةَ الجاهلِ ؛ تأديباً لهُ ، وتنفيراً عن غيرِ الحسنِ ، فتُخبِرَهُ بالخبرِ كما هوَ مُقتضىٰ هٰذا الحالِ

فمنهُ تنزيلُ العالِمِ مَنزِلةَ الجاهلِ وعكسِهِ ، مثلاً تقولُ لتلميذِكَ وأنتَ

تَعلَمُ أنَّهُ لم يكتبْ أسمعْني ما كتبتَ ، كأنَّكَ تجهلُ عدمَ كتابتِهِ ؛ ليكونَ هوَ الذاكرَ لجنايتِهِ

ومنهُ وضعُ الظاهرِ موضعَ الضَّميرِ ، والماضي موضعَ المضارعِ وعكسِهِ لِمَا سلف

ومنهُ وضعُ الخبرِ موضعَ الإنشاءِ ؛ للتفاؤلِ في نحوِ هداكَ اللهُ لمحاسنِ الأعمالِ ، أو لإظهارِ الرغبةِ ، أو للتأدُّبِ معَ المُخاطَبِ بتركِ الأمرِ ؛ كما تقولُ يَنظُرُ مولايَ في هٰذهِ القضيةِ ، ويَتفضَّلُ عليَّ برأيِهِ فيها ، بدلَ (انظرْ) وأشباهِ ذٰلكَ

ومنهُ تجاهلُ العارفِ إظهاراً لشِدَّةِ الوَلَهِ ؛ كقولِ أختِ ابنِ طريفٍ حينَ ترثي أخاها(١) [من الطويل]

أَيَا شَجَرَ ٱلْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ٱبْنِ طَرِيفِ

أَوِ الفخرِ بالمسارعةِ إلى الخيرِ ؛ نحوُ أيُّنا كتبَ وحفظَ وفهمَ ؟

ومنهُ التغليبُ ، فيُعبَّرُ عنِ المغلوبِ بعبارةِ الغالبِ ؛ نحوُ ﴿ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾(٢) ، تغليباً للذُّكورِ ، ونحوُ ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣) ، تغليباً للعقلاءِ ، ونحوُ ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾(٤) ، تغليباً

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٥٩/٣)

(٢) سورة التحريم (١٢)

(٣) سورة الفاتحة (٢)

(٤) سورة الحجر (٣٠)

للكثيرِ ، ونحوُ (العُمَرَانِ) لأبي بكرٍ وعمرَ ؛ تغليباً للأخفِّ ؛ كالحسنَينِ ، و(الأبوانِ) و(القمرانِ) تغليباً للمُذكَّرِ



ومنهُ الالتفاتُ كأن تكونَ في الإخبارِ عن شخصٍ بأمورٍ تَعُدُّها عليهِ وهوَ حاضرٌ ، ثمَّ تلتفتُ للكلامِ إلىٰ خطابِهِ بأن تقولَ شاكياً منهُ إلىٰ مَنْ معَهُ المكالمةُ إنّي دللتُهُ علىٰ رشادِهِ ، وأبنتُ لهُ وجوهَ المنفعةِ فيما أمرتُهُ بهِ ، وأريتُهُ جهاتِ الضَّررِ في خلافِهِ تُظهِرُ أنَّهُ قدِ اشتدَّ بكَ الغضبُ ، وآلَتْ بكَ الحالُ إلىٰ تَبدُّلِ الرحمةِ بالقسوةِ ، كما قيلَ (١) [من الكامل]

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِماً فَلْيَقْسُ أَحْيَاناً عَلَىٰ مَنْ يَرْحَمُ

فتلتفتُ إلىٰ خطابِهِ قائلاً فماذا أصنعُ بكَ ؟! أعامِلُكَ معاملةَ البهائمِ ، أم أُخلِيكَ نقمةً علىٰ نفسِكَ وعاراً علىٰ بيتِكَ ؟!

فالالتفاتُ أن تخالفَ الظاهرَ بالإخبارِ بعدَ الخطابِ ؛ نحوُ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ (٢) ، والخطابِ بعدَ الإخبارِ ؛ نحوُ ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ (٣) ، فلا بدَّ مِنْ عبارتَينِ تخالفُ الثانيةُ الأُولىٰ في التكلُّمِ والخِطابِ والغَيبةِ ، أوِ المَدارُ علىٰ مخالفةِ الظاهرِ ، رأيانِ

فقولُ الشاعرِ (٤) [من المتقارب]

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِٱلْأَثْمُدِ

---

(١) انظر « نهاية الأرب » (٧/٢٩١)

(٢) سورة يونس (٢٢)

(٣) سورة الفاتحة (٥)

(٤) هو لامرئ القيس في « ديوانه » (ص ١٨٥) ، والبيت بتمامه

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِٱلْأَثْمُدِ وَنَامَ ٱلْخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ

خطاباً لنفسِهِ مِنَ الالتفاتِ علىٰ أحدِ الرأيَينِ ، كأنَّهُ نظرَ إلىٰ ما حقُّهُ أن يُعبَّرَ بهِ ، فأعرض عنهُ والتفتَ إلىٰ غيرِهِ

والمَدارُ في نِكاتِ الالتفاتِ ما تستحسنُهُ الأذواقُ ، ويَصلُحُ أن يكونَ داعياً لتغييرِ الأسلوبِ ومخالفةِ الظاهرِ ، مثلاً الالتفاتُ في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[(١)] للتنبيهِ علىٰ أنَّ مرتبةَ التوجُّهِ إلىٰ شيءٍ بالعبادةِ وطلبِ المعونةِ إنَّما هيَ بعدَ معرفتِهِ بكونِهِ المُبدِعَ الحافظَ المُحسِنَ بتبليغِ العابدِ المستعينِ إلىٰ حالِ كمالِهِ ، مُقبِلاً عليهِ بأتمِّ رحمةٍ وأسبغِ نعمةٍ ، وهوَ المُتصرِّفُ في جميعِ أحوالِهِ ، لا مُعقِّبَ لحُكْمِهِ ، فيَتضمَّنُ هٰذا تعليمَ العبادِ أنَّهُ لا ينبغي الإقدامُ علىٰ طلبِ ثمرةٍ مِنْ شيءٍ إلَّا بعدَ معرفةِ الطريقِ الموصلةِ إليها ، وما يلزمُ مِنَ العملِ

والنكتةُ في نحوِ ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[(٢)] التمكُّنُ مِنْ ذكرِ الجهةِ التي يَسهُلُ علىٰ كلِّ أحدٍ ملاحظتُها ، داعياً للشكرِ بامتثالِ ما أُمروا بهِ ، واجتنابِ ما نُهُوا عنهُ ؛ وهيَ التربيةُ ، وأنَّ الترتيبَ بهٰذا العنوانِ يكونُ مُشتمِلاً علىٰ بسطِ نفسِ المُخاطَبِ بوعدِهِ التمكينَ مِنْ ثمرةِ الشجرةِ ، كأنَّهُ قالَ أعطيناكَ وسنوصلُكَ إلىٰ جميعِ منافعِ ما لكَ أعطينا

وعليكَ بالتأمُّلِ ؛ لتَستخرِجَ محاسنَ ما يَرِدُ عليكَ مِنَ الالتفاتاتِ بالقياسِ علىٰ هٰذا

[الأسلوبُ الحكيمُ وقصةُ سيِّدنا خالدٍ معَ حكيمِ الحيرةِ]

ومنهُ الأسلوبُ الحكيمُ وهوَ تلقِّي المُخاطَبِ بغيرِ ما هوَ يَترقَّبُهُ جواباً عن كلامِهِ لغرضٍ ؛ كالتنبيهِ علىٰ مَحَلِّهِ مِنَ المعرفةِ ، ودرجتِهِ مِنَ الاعتبارِ

يُحكىٰ أنَّ خالدَ بنَ الوليدِ رضيَ اللهُ عنهُ لمَّا وصلَ بجيشِ الجهادِ وهوَ

---

(١) سورة الفاتحة (٥)

(٢) سورة الكوثر (١ ـ ٢)

أميرُهُ إلى الحِيرةِ ، وتَحيَّرَ أهلُها كانَ فيهِم رجلٌ مُعمَّرٌ ذو رأيٍ وطُولِ تَجرِبةٍ يُقالُ لهُ عبدُ المسيحِ ، فقالَ يا أهلَ الحِيرةِ ؛ مكانَكُم حتىٰ آتيَ هٰؤلاءِ ، فإن وجدتُهُم علىٰ حقٍّ . فلا خيرَ في خلافِهِم ، وإن يكنْ غيرُ ذٰلكَ . فهٰأنذا قدِ استصحبتُ سُمّاً أتناولُهُ إذ ذاكَ ، وشأنَكُم وما ترونَ

فلمَّا حضرَ عندَ خالدٍ كانَ مِنْ كلامِهِ لهُ مِنْ أينَ ؟ فأجابَ مِنْ صلبِ أبي ، فقالَ فيمَ أنتَ ؟ قالَ في ثيابي ، فقالَ علامَ أنتَ ؟ قالَ على الأرضِ ، فقالَ كم سنُّكَ ؟ قالَ اثنانِ وثلاثونَ ، فقالَ خالدٌ أسألُكَ عنِ الشيءِ فتجيبُ بغيرِ جوابِهِ !! فقالَ لم أفعلْ ، إنَّما أجبتُكَ جوابَ ما سألتَ ، فقالَ خالدٌ دعْني مِنْ هٰذا ، ما أنتَ ؟ فقالَ أنا رسولُ مَنْ ورائي ، ونظرَ خالدٌ إلىٰ يدِهِ فوجدَهُ قد أطبقَها علىٰ شيءٍ ، فقالَ ما بيدِكَ ؟ فأخبرَهُ أنَّهُ سُمٌّ وما جرىٰ بينَهُ وبينَ قومِهِ ، فتناولَ خالدٌ السُّمَّ مِنْ يدِهِ وابتلعَهُ ، فغابَ هُنيهةً وضَرَبَ بلحيتِهِ علىٰ صدرِهِ وتَصبَّبَ عرقاً ثمَّ أفاقَ وكَلَّمَ عبدَ المسيحِ ، فأسلمَ [1] ، وهٰذهِ مِنْ معجزاتِ نبيِّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ؛ فإنَّ كراماتِ الأولياءِ معجزاتٌ لأنبيائِهِم

ويُحكىٰ أنَّ شاعراً يُقالُ لهُ القَبَعْثرىٰ في أيامِ الحَجَّاجِ بنِ يوسفَ ، كانَ معَ بعضِ أصحابِهِ في بستانٍ ، فجرىٰ ذكرُ الحَجَّاجِ ؛ فقالَ اللهمَّ ؛ سَوِّدْ وجهَهُ ، واقطعْ عنقَهُ ، واسقني مِنْ دمِهِ

فبلغَ ذٰلكَ الحَجَّاجَ ، فأحضرَهُ وذكرَ لهُ ما كانَ منهُ ، فقالَ إنَّما أردتُ العنبَ ، فأخذَ يَتهدَّدُهُ ، فكانَ مِنْ كلامِهِ لأحملنَّكَ على الأدهمِ ؛ يريدُ القيدَ ، فقالَ القَبَعْثرىٰ مثلُ الأميرِ مَنْ حملَ على الأدهمِ والأشهبِ ، فقالَ أردتُ الحديدَ ، فقالَ لأن يكونَ حديداً خيرٌ مِنْ أن يكونَ بليداً ، فقالَ

---

(١) انظر « تاريخ دمشق » (٣٦٤/٣٧ ـ ٣٦٥)

احملوهُ ، فتلا ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا ﴾ [1] ، فقالَ اطرحوهُ ، فتلا ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [2] ، فصفحَ عنهُ [3] ، وكانَتْ تلكَ عادةَ الحجَّاجِ ، يَهَبُ جناياتِ الشخصِ لآدابِهِ

فالغَرَضُ تنبيهُ المُخاطَبِ علىٰ خطئِهِ ، وأنَّ الأليقَ بإمارتِهِ وقدرتِهِ أن يُصفِدَ ويعطيَ ، لا أن يَصفِدَ ويُقيِّدَ [4]

والنورُ المبينُ في الأسلوبِ الحكيمِ قولُهُ تعالىٰ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [5] ، فمطلوبُ السائلينَ إبانةُ سببِ تشكُّلِ القمرِ في أشكالِهِ ، حيثُ كانَ سؤالُهم ما بالُ الهلالِ يبدو دقيقاً ، ثمَّ يتزايدُ حتىٰ يصيرَ بدراً ، ثمَّ يتناقصُ حتىٰ يعودَ كما بدا ؟ فحُمِلَ سؤالُهُم علىٰ أنَّ مطلوبَهُم إبانةُ الحِكَمِ المُترتِّبةِ علىٰ ذٰلكَ ، فأُجيبوا علىٰ وَفْقِهِ ؛ تنبيهاً علىٰ أنَّهُ الأولىٰ بهِم ؛ إذ كانَ هوَ الذي يُهِمُّهُم في أعمالِ دنياهُم وآخِرتِهم

[القلبُ نوعٌ من خلافِ الظَّاهرِ]

ومِنْ خلافِ الظاهرِ القلبُ ؛ كما في قولِهِم عرضتُ الناقةَ على الحوضِ ، وأدخلتُ الخاتمَ في إصبَعي ، ووجهُ الكلامِ عرضتُ الحوض ، وأدخلتُ إصبَعي ؛ فإنَّ العَرْض أن تُحضِرَ ما لا يَختارُ إلىٰ ما يَختارُ تنظرُ هل يفعلُ ؛ تقولُ : عرضتُ الماءَ على الفرسِ غيرَ مَرَّةٍ فلم يشربْ ؛ كأنَّهُ جَزِئَ برَطْبِ الخَلاءِ عنِ الماءِ

---

(١) سورة الزخرف (١٣)

(٢) سورة طه (٥٥)

(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢/٢٧٠)

(٤) يصفد الأولىٰ بمعنىٰ يعطي ، والثانية بمعنىٰ يقيد

(٥) سورة البقرة (١٨٩)

وهلِ القلبُ مقبولٌ داخلٌ في بابِ البلاغةِ ؟ ثالثُ الأقوالِ : أنَّهُ إنِ اشتملَ علىٰ نكتةٍ تُحسِّنُهُ فهوَ مقبولٌ ، قالَ القطاميُّ في صفةِ ناقتِهِ (١) [من الوافر]

فَلَمَّا أَنْ جَرَىٰ سِمَنٌ عَلَيْهَا كَمَا طَيَّنْتَ بِٱلْفَدَنِ ٱلسِّيَاعَا

الفَدَنُ القصرُ ، والسِّياعُ هوَ الطينُ الذي يُبسَطُ علىٰ ظاهرِ الجُدرانِ لتسويتِها وتحصيلِ مَلاستِها ، والسِّمنُ الشَّحمُ

وترتيبُ الحيوانِ العظمُ وغطاؤهُ اللحمُ ، وغطاءُ اللحمِ الشحمُ ، والغطاءُ الأخيرُ الجلدُ ، فالشحمُ بمنزلةِ السِّياعِ ، وفي المثلِ قيلَ للشحمِ أينَ تذهبُ ؟ فقالَ أُسوِّي العِوَجَ ، فكانَ وجهُ الكلامِ كما طَيَّنتَ الفَدَنَ بالسِّياعِ ، ولٰكنْ لمَّا أرادَ المبالغةَ ليفيدَ كثرةَ الشَّحمِ قَلَبَ في الكلامِ ؛ وذٰلكَ أنَّ العادةَ أن يكونَ الجِدارُ غليظاً ، والساترُ إنَّما هوَ طبقةٌ رقيقةٌ ، فجعلَ الساترَ مستوراً ، والمستورَ ساتراً ؛ نقلاً للغِلَظِ والرِّقَّةِ عن موضعَيهِما ، فجاءَتِ المبالغةُ

ثُمَّ إنَّ القلبَ لم يَكثُرْ في كلامِ العربِ ، ولم يَرِدْ في أبلغِ الكلامِ ، فهٰذا هوَ سببُ الاختلافِ في قَبولِهِ ، ويُقبَلُ منهُ مثلُ أن تقولَ ما زلتُ أعظُ لساني بهِ فلم ينفعْ ، ثمَّ ضربتُ هٰذهِ العِصابةَ حتىٰ تَكسَّرَتْ فلم يَنجَعْ ، فقلتُ لا تهدي مَنْ أحببتَ



(١) انظر « ديوان القطامي » (ص ٢٧٠) ، وفيه (بطنت) بدل (طينت)

[البابُ الثَّاني]

بابُ الجملتَينِ فأكثرَ

[الفصلُ والوصلُ]

وترجموا له بالفصلِ والوصلِ ، والمرادُ بالوصلِ العطفُ ، وبالفصلِ تركُهُ ، والمقصودُ بالبحثِ في هـٰذا البابِ إنَّما هوَ العطفُ بالواوِ ؛ وذٰلكَ أنَّ الواوَ كما عرفتَ لا تفيدُ إلَّا مجرَّدَ الجمعِ بينَ شيئَينِ في حكمٍ إن كانَتْ في عطفِ المفرداتِ أوِ الواقعِ موقعَها مِنَ الجملِ ، وفي مُجرَّدِ الكونِ والحصولِ إذا كانَتْ في عطفِ الجملِ التي ليسَتْ واقعةً موقعَ المفرداتِ

وإنَّكَ لا ترىٰ نفسَكَ تَقنَعُ بهـٰذهِ الفائدةِ للعطفِ ، فإنَّكَ تقولُ لو ذُكِرَتِ الجملُ بدونِ عطفٍ فُهِمَ أنَّها مُشترَكةٌ في الكونِ والحصولِ

وأمَّا بقيةُ حروفِ العطفِ فهيَ ظاهرةُ الفائدةِ بما لها مِنَ المعاني ، فوجبَ أن يمضيَ بكَ التعليمُ لتقفَ علىٰ أسرارِ البلاغةِ إلىٰ إبانةِ مواضعِ فصلِ الجملِ بعضِها عن بعضٍ ومواضعِ وصلِها



مواضعُ فصلِ الجملِ

الموضعُ الأوَّلُ : الجملُ المتباينةُ بالخبريةِ والإنشائيةِ معنىً ؛ نحوُ : (أكرمْ زيداً) و(زيدٌ رجلٌ عالمٌ) ، فإنَّكَ تجدُ مِنْ طبعِكَ نَفرةً عنِ الجمعِ بينَ هاتَينِ الجملتَينِ ؛ لخُلُوِّهِ عنِ الفائدةِ ، بخلافِ أكرمْهُ فهوَ فاضلٌ ، ونحوِ أكرمَني زيدٌ أكرمَهُ اللهُ

لٰكنْ إذا كانَ الفصلُ لهٰذا السببِ مُوهِماً خلافَ المقصودِ وجبَ الوصلُ ؛ لتعارضِ المانعِ والمقتضي إذاً ، وليسَ وراءَ الفصلِ إلَّا الوصلُ

يُحكىٰ أنَّ الصِّدِّيقَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ في محاورةٍ معَ أعرابيٍّ ، فقالَ الأعرابيُّ أثناءَ كلامِهِ لا ، رحمَكَ اللهُ ، فقالَ الصِّدِّيقُ إنَّهُ لو حَسُنَ اعتقادُكُم لأنارَتْ عقولُكُم ، ألا قلتَ لا ، ورحمَكَ اللهُ ؟![1]

فكلمةُ (لا) خبرٌ ، و(رحمَكَ اللهُ) إنشاءٌ ، والوصلُ يُعيِّنُ دعاءَ اللامِ ، والفصلُ يُوهِمُ دعاءَ (على) ، وكلامُ الصِّدِّيقِ يستدعي إبانةً ، فربَّ قاصدٍ يقولُ ما لحسنِ الاعتقادِ وإنارةِ العقولِ ؛ فإنَّهما بالمعارفِ ؟! فتقولُ لهُ إنَّ حسنَ الاعتقادِ عبارةٌ عن كمالِ الإيمانِ المستدعي التخلُّقَ المأمورَ بهِ في قولِهِ « تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ ٱللهِ »[2] ، والتأدُّبَ بآدابِ أنبيائِهِ والراسخينَ في العلمِ ، وذٰلكَ إنَّما يكونُ بمعرفةِ ذٰلكَ ، ومَدخلُكَ إليها مِنْ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي »[3]

---

(١) انظر « ربيع الأبرار » (٥/٢٦٣)

(٢) أخرج ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٢٧) عن سيدنا عثمان رضي الله عنه مرفوعاً : « لله مئةٌ وسبعةَ عشرَ خُلقاً ، من جاء بخُلقٍ منها أدخله الله الجنة » ، وقال سبحانه ﴿ كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ [آل عمران ٧٩]

(٣) أخرجه السمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (١) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه

ويُحكىٰ : أنَّ الصَّاحبَ ابنَ عبادٍ قالَ حينَ سمعَ مِنْ بعضِ مُخاطَبيهِ أوّلَ ما سمعَ لا ، وأيّدَكَ اللهُ : هـٰذهِ الواوُ أحسنُ مِنْ واواتِ الأصداغِ ، علىٰ خدودِ المِلاحِ [1]

الموضعُ الثاني الجملُ التي فُقدَتِ المناسبةُ بينَها ، والجهةُ الجامعةُ التي سيردُ عليكَ شرحُها وتفصيلُها ؛ نحوُ (زيدٌ فاضلٌ) و(الكلبُ نجسُ العينِ في رأيٍ) ، ومِنْ هنا أخذوا علىٰ أبي تمامٍ في قولِهِ [2] [من الكامل]

زَعَمَتْ هَوَاكَ عَفَا ٱلْغَدَاةَ كَمَا عَفَتْ مِـنْـهَـا [طُـلُـولٌ] بِـٱلـلِّـوَىٰ وَرُسُـومُ
لَا وَٱلَّـذِي هُـوَ عَـالِـمٌ أَنَّ ٱلـنَّـوَىٰ صَـبِـرٌ وَأَنَّ أَبَـا ٱلْـحُـسَـيْـنِ كَـرِيـمُ
مَا حِلْتُ عَنْ سَنَنِ ٱلْوِدَادِ وَلَا غَدَتْ نَـفْـسِـي عَـلَـىٰ إِلْـفٍ سِـوَاكَ تَـحُـومُ

حيثُ عطفَ في واسطِ الأبياتِ دونَ مناسبةٍ بينَ الجملتَينِ ، وحاشى أبا تمامٍ أن يَشِذَّ عليهِ مثلُ هـٰذا وهوَ إمامُ البلاغةِ !!

وَكَـمْ مِـنْ عَـائِـبٍ قَـوْلاً صَـحِـيـحـاً وَآفَـتُـهُ مِـنَ ٱلْـفَـهْـمِ ٱلـسَّـقِـيـمِ
وَلَٰكِنْ تَـأْخُـذُ ٱلْآذَانُ مِـنْـهُ عَـلَـىٰ قَـدْرِ ٱلْـقَـرَائِـحِ وَٱلْـفُـهُـومِ [3]

وبيانُ الجهةِ المُحسِّنةِ للوصلِ في قولِهِ بعدَ أن تَعلَمَ أنَّ هـٰؤلاءِ الشُّعراءَ كانَ تَعيُّشُهُم مِنْ جوائزِ مدحِ الأمراءِ إذ ذاكَ ، وكانَتِ الأمراءُ متباعدةَ الأمكنةِ في أقطارِ الدولةِ ، فكانَ الشاعرُ منهُم يَقصِدُ الأميرَ بمصرَ مِنْ بغدادَ ، والأميرَ بخراسانَ مِنَ الشامِ ، قالَ الحسنُ بنُ هانئٍ [4] [من الطويل]

تَقُولُ ٱلَّتِي مِنْ بَيْتِهَا خَفَّ مَحْمِلِي عَـزِيـزٌ عَـلَـيْـنَـا أَنْ نَـرَاكَ تَـسِـيـرُ

---

(١) انظر « ربيع الأبرار » (٥/٢٦٤)
(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/٢٨٩ ـ ٢٩٠)
(٣) البيتان من الوافر ، وهما للمتنبي في « ديوانه » (ص ١٨٠)
(٤) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٨٦)

أَمَا دُونَ مِصْرَ لِلْغِنَىٰ مُتَطَلَّبٌ   بَلَىٰ إِنَّ أَسْبَابَ ٱلْغِنَىٰ لَكَثِيرُ
فَقُلْتُ لَهَا وَٱسْتَعْجَلَتْهَا بَوَادِرٌ   جَرَتْ فَجَرَىٰ فِي إِثْرِهِنَّ عَبِيرُ
دَعِينِي أُكَثِّرْ حَاسِدِيكِ بِرِحْلَةٍ   إِلَىٰ بَلَدٍ فِيهَا ٱلْخَصِيبُ أَمِيرُ
فَتَىً يَشْتَرِي حُسْنَ ٱلثَّنَاءِ بِمَالِهِ   وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلدَّائِرَاتِ تَدُورُ
فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ   وَلَٰكِنْ يَسِيرُ ٱلْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ

وهٰذهِ القصيدةُ هيَ التي يقولُ في براعةِ الانتهاءِ منها

وَإِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِٱلْمُنَىٰ   وَأَنْتَ بِمَا أَمَّلْتُ فِيكَ جَدِيرُ
فَإِنْ تُولِنِي مِنْكَ ٱلْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ   وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ وَشَكُورُ

يُقالُ إنَّ الخصيبَ لمَّا سمعَ هٰذهِ القصيدةَ تَحيَّرَ في جائزةِ الشاعرِ، فرأىٰ في نومِهِ قائلاً أجزهِ بنبحةِ كلبٍ، فأوَّلَها بلفظةِ (أَلْفٍ)، وبعدَ الأَلْفِ حشا فمَهُ دُرّاً، فكانَ الشاعرُ كما ترىٰ يَصِفُ بُعدَهُ عن وطنِهِ، ومفارقتَهُ أهلَهُ وعشيرتَهُ وأحبابَهُ ومراتعَ أُنْسِهِ إيجاباً للحقِّ علىٰ مَنْ قصدَ، فكأنَّهُ يقولُ لهُ جُودُكَ يَرُدُّني إلىٰ وطني، ويَجمعُ بيني وبينَ أحبَّتي في قرارِ عينٍ وسكونِ خاطرٍ

وقد كشفَ هٰذا المعنىٰ أبو نُوَاسٍ في قولِهِ (١)   [من الطويل]

سَأَشْكُو إِلَى ٱلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ   هَوَاكِ لَعَلَّ ٱلْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

وأبو الطيِّبِ في قولِهِ (٢)   [من البسيط]

عَلَّ ٱلْأَمِيرَ يَرَىٰ ذُلِّي فَيَشْفَعُ لِي   إِلَى ٱلَّتِي تَرَكَتْنِي فِي ٱلْهَوَىٰ مَثَلَا

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٦٤)
(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١١)

وقد عِيبَ علىٰ هـٰذَينِ الشاعرَينِ مِنْ جهةِ المعنىٰ ، لا مِنْ جهةِ البلاغةِ الشعريَّةِ ، حيثُ كانَ طلبُ الجمعِ بتلكَ العبارةِ لِمَا فيها مِنْ ملاحظةِ القيادةِ ، فأرادَ أبو تمَّامٍ أن يذكرَ هـٰذا المعنىٰ بعبارةٍ سالمةٍ مِنْ ذٰلكَ النقدِ ؛ فمعنىٰ قولِهِ إنَّ نوى الأحبَّةِ مُرٌّ كالصَّبِرِ ، وقربَهُم حُلْوٌ كالشَّهْدِ ، وإنَّ أبا الحسينِ قادرٌ عليهِ وإنَّهُ كريمٌ غيرُ بخيلٍ ، فهـٰذهِ الجملُ متناسقةٌ ، وصلُها حسنٌ كما ترىٰ

ومِنْ شواهدِ الفصلِ لعدمِ المناسبةِ قولُهُ تعالىٰ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ﴾[١] بعدَ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ ﴾[٢] ، فالجملةُ الأُولىٰ مَسُوقةٌ لمدحِ الكتابِ ، والجملةُ الثانيةُ مَسُوقةٌ لذمِّ الكَفَرةِ

الموضعُ الثالثُ : جملةٌ سَبَقتْها جملتانِ ؛ أُولاهما صالحةٌ للعطفِ عليها ، والثانيةُ في العطفِ عليها فسادٌ ، فلدفعِ الوَهْمِ يُنزَّلُ الوصلُ ، وشاهدُهُ قولُهُ تعالىٰ ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ ﴾[٣] ، يَصلُحُ عطفُها علىٰ قولِهِ ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾[٤] ، ولـٰكنْ يقومُ وَهْمٌ أنَّها معطوفةٌ علىٰ قولِهِ ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ ، وليسَ مِنْ مقولِ قولِهِم ، أو علىٰ ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾[٥] ، وليسَ الاستهزاءُ بهِم مشروطاً

ولبعضِ الشعراءِ[٦] [من الكامل]

وَتَـظُـنُّ سَـلْـمَـىٰ أَنَّـنِـي أَبْـغِـي بِـهَـا   بَـدَلاً أَرَاهَـا فِـي ٱلـضَّـلَالِ تَـهِـيـمُ

(١) سورة البقرة (٦)
(٢) سورة البقرة (٢)
(٣) سورة البقرة (١٥)
(٤) سورة البقرة (١٤)
(٥) سورة البقرة (١٤)
(٦) انظر « معاهد التنصيص » (١/٢٧٩)

يَحسُنُ عطفُ (أراها) علىٰ (وتظنُّ) لٰكنْ يُتوهَّمُ عطفُهُ علىٰ (أبغي بها)



الموضعُ الرابعُ الجملُ المُتحِدةُ مقصوداً ؛ بأن تكونَ الثانيةُ مُؤكِّدةً للأُولىٰ ، أو بياناً لها ، أو بدلاً منها

فالمُؤكِّدةُ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، وقولِهِ ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ، فهما مُؤكِّدتانِ لقولِهِ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾[1] علىٰ وجهٍ مِنَ الإعرابِ ؛ بأن يكونَ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ مبتدأً وخبراً

ومعناهُ ذٰلكَ البعيدُ الرتبةِ ، العالي المنزلةِ هوَ الكتابُ الكاملُ في بابِ الهدايةِ ، فربَّما يُتوهَّمُ أنَّ هٰذا الكلامَ لِمَا فيهِ مِنَ المبالغةِ ممَّا يُرمىٰ بهِ جُزافاً ، فتأكيدُهُ بـ ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ فيهِ تأكيدٌ معنويٌّ ، وتأكيدُهُ بـ ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ تأكيدٌ لفظيٌّ ، فلا يَصِحُّ (ولا ريبَ فيهِ ، وهو هدىً) كما لا يَصِحُّ في قولِكَ زيدٌ زيدٌ قصدَكَ ، وزارَكَ زيدٌ نفسُهُ أن تقولَ زيدٌ وزيدٌ ، وزيدٌ ونفسُهُ

والبيانُ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾[2]

وربَّما عُطِفَ ما يَصلُحُ بياناً لملحوظٍ آخَرَ ؛ كالإشارةِ إلىٰ كونِ الموصولِ جنساً آخَرَ مُنفرِداً لشِدَّةِ الفظاعةِ فيهِ ، كما في آيةِ (الحجرِ) ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾[3]

والبدلُ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴾[4] ،

---

(١) سورة البقرة (٢)

(٢) سورة البقرة (٤٩)

(٣) هي في سورة إبراهيم (٦)

(٤) سورة الشعراء (١٣٢ ـ ١٣٣)

وهوَ بمنزلةِ بدلِ البعضِ في المفرداتِ ، ولبعضِهم (1) [من الطويل]

أَقُولُ لَهُ ٱرْحَلْ لَا تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا وَإِلَّا فَكُنْ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْجَهْرِ مُسْلِمَا

وهٰذا بمنزلةِ بدلِ الاشتمالِ ، فالأمرُ بالرحيلِ لا يُعيّنُ الكراهةَ والبغض ؛ فإنَّكَ تقولُ لصاحبِكَ ارحلْ في طلبِ المجدِ والعلا ، وقولُهُ (لا تقيمنَّ عندَنا) صريحٌ في إبانةِ المقصودِ ونصٌّ عليهِ

الموضعُ الخامسُ جملةٌ يُجابُ بها عن سؤالٍ يَنشأُ مِنْ جملةٍ سابقةٍ ، ويُسمَّىٰ هٰذا **الفصلُ استئنافاً** ، واشتَهرَ **بالاستئنافِ البيانيِّ**

والاستئنافُ النحويُّ أعمُّ منهُ ، وشاهدُهُ قولُهُ تعالىٰ ﴿ يُسَبَّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ ﴾ (2) ، كأنَّهُ قيلَ مَنْ يُسبِّحُهُ ؟ فأجيبَ يُسبِّحُهُ رجالٌ كما سلف (3)

ومِنْ هٰذا البابِ قولُهُ (4) [من الطويل]

لِيُبْكَ يَزِيدٌ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ ٱلطَّوَائِحُ

وفي قولِهِ (5) [من الخفيف]

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلُ

كأنَّهُ قيلَ ما سببُ ذٰلكَ ؟ فأُجيبَ سببُهُ سهرٌ دائمٌ

---

(1) انظر « معاهد التنصيص » (1/278)

(2) سورة النور (36 ـ 37) ، وهي قراءة ابن عامر

(3) تقدم (2/79)

(4) تقدم (1/405)

(5) تقدم (2/79)

وفي قولِهِ [1] [من الكامل]

زَعَمَ ٱلْعَوَاذِلُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ صَدَقُوا وَلَٰكِنْ غَمْرَتِي لَا تَنْجَلِي

كأَنَّهُ قيلَ هل صدقوا ؟

وتقولُ أحسنتُ إلىٰ زيدٍ ، زيدٌ حقيقٌ بالإحسانِ ، وأحسنتُ إلىٰ خالدٍ صديقي ، الصدوقُ أَولىٰ بمعروفي



(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/ ٢٨١)

الوصلُ

له موضعانِ سبقَ أحدُهما[1]

والآخَرُ الجملُ المتفقةُ اسميةً وفعليةً ، ولا يَحسُنُ المخالفةُ بينَهُما إلَّا لنكتةٍ ؛ كأن يكونَ المَقامُ داعياً لجمعٍ مُستمرٍّ وغيرِهِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾[2]

ومعَ اتفاقِ الجملتَينِ مثلاً في الاسميةِ والفعليةِ لا بدَّ أن يتناسبا تناسباً تامّاً ؛ بحيثُ يَتولَّدُ مِنِ اجتماعِهِما معنىً واحدٌ يَجعَلُ الجملتَينِ جملةً واحدةً ، ولتُلفَتْ لذٰلكَ في عبارةٍ عاديةٍ أوردُها عليكَ ؛ مثلاً إذا كنتَ في مجلسٍ نظمَكَ وبعض أصحابِكَ ، فطرأَ عليكُم مَنْ تكرهونَ حضورَهُ معَكُم ليأخذَ منكُم مَنْ لا يَتِمُّ إلَّا بهِ أُنسُكُم ، ولم يَجِدْ بُدّاً مِنَ الذهابِ معَهُ ، فإنَّهُ يَدخُلُ عليكُم لذٰلكَ مِنَ الوَجْدِ والأسفِ ما تألمُ لهُ نفوسُكُم ، فواحدٌ منكم واقفٌ بالبابِ ؛ إذا بالمحبوبِ قد رجعَ ، فأسرعَ يُبشِّرُ الأصحابَ بقولِهِ رجعَ زيدٌ وذهبَ عمرٌو ؛ أي جاءَ الحبيبُ وذهبَ البغيضُ

فأنتَ ترىٰ أنَّ التناسبَ قرنَ بينَ هاتَينِ الجملتَينِ حتىٰ تَولَّدَ منهُما معنىً واحدٌ جعلَ الجملتَينِ جملةً واحدةً ؛ وذٰلكَ المعنىٰ هوَ الفرحُ والسُّرورُ بذهابِ البغيضِ ومجيءِ الحبيبِ ، فكأنَّ ذٰلك المُبشِّرَ يقولُ : ليذهبْ أسفُكم ، وليراجعْكُم أُنْسُكُم وفرحُكُم

وعليكَ بتأمُّلِ كلِّ وصلٍ في الكتابِ العزيزِ تجدِ العجبَ العجيبَ ،

---

(١) في الموضع الأول من مواضع الفصل انظر (٢/١٠١)

(٢) سورة الأعراف (١٩٣)

قالَ ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾[1] ، وقالَ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[2]

والمناسبةُ الجامعةُ للجملتَينِ عندَ مُفكِّرتِكَ بحيثُ يَحكُمُ عقلُكَ بحسنِ الجمعِ بينَهُما يُسمِّيها أهلُ المعاني الجامعةَ بينَ الجملتَينِ فأكثرَ ؛ فإن كانَتِ المناسباتُ ملحوظةً للعقلِ بلا واسطةِ وَهْمٍ ولا خيالٍ ؛ كالجمعِ بينَ المتماثلاتِ والمتضايفاتِ يُسمَّى **الجامعَ العقليَّ** ، وإن كانَ بواسطةِ الوَهْمِ يُسمَّى الوَهْميَّ ، وإن كانَ بواسطةِ الخيالِ يُسمَّىٰ خياليّاً ، فالوَهْمُ يَجعلُ الأشياءَ المُتشابِهةَ والأضدادَ متناسبةً متماثلةً

[إتقانُ مواضعِ الفصلِ والوصلِ]

فعلىٰ مَنْ يحاولُ أن يَعرِفَ البلاغةَ لكلامٍ يُنشِئُهُ أو عباراتٍ بلاغيةٍ يَفهمُها أن يُتقِنَ معرفةَ مواضعِ الفصلِ والوصلِ ، ويُمعِنَ النظرَ في الجهةِ الجامعةِ المُوجِبةِ لوصلِ الجملِ فيما يَرِدُ عليهِ مِنْ كلامِ اللهِ جلَّ ذكرُهُ ، وكلامِ بلغاءِ الناسِ ؛ مِنَ الشُّعراءِ والكُتَّابِ ، وليخصَّ الجامعَ الخياليَّ بفضلِ فكرٍ ؛ فإنَّهُ مُختلِفٌ باختلافِ عُرفِ طوائفِ الناسِ ، حتىٰ تجتليَ بصيرتُهُ حسنَ العروسِ المَجلُوَّةِ علىٰ أرفعِ مرتبةٍ مِنْ مراتبِ البلاغةِ في قولِهِ تعالىٰ في مقامِ الاستدلالِ وطلبِ النظرِ مِنْ خطابِ الأعرابِ ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[3]

فإنَّ هٰذهِ الأشياءَ لا تزالُ حاضرةً مُتعانِقةً في خيالاتِ الأعرابِ ، فإنَّ سببَ حياتِهم وتمامِ تمتُّعِهم بها إنَّما هوَ المواشي ، وأعظمُ أنواعِها عندَهُمُ الإبلُ ، لا

---

(١) سورة التوبة (٨٢)

(٢) سورة الأنفال (٢)

(٣) سورة الغاشية (١٧ ـ ٢٠)

يَعُدُّونَ غيرَها مالاً ، حتىٰ إذا أُطلِقَ لفظُ المالِ عندَهُم لا يَنصرِفُ إلَّا إليها ، وهُم مُضطرُّونَ إلى الانتقالِ بها مِنْ موضعٍ إلىٰ موضعٍ حَسَبَ وجودِ المراعي التي سببُها الغيثُ النازلُ مِنَ السماءِ ، وحصونُهُم عندَ خوفِهِمُ الجبالُ ، فتلكَ الأشياءُ لا تَحضُرُ في ذهنِ الحَضَريِّ حضورَها في ذهنِ البدويِّ ولا قريباً منهُ

فعليهِ أن ينظرَ إلىٰ أحوالِ الناسِ نظرَ تَعلُّمٍ وتَعرُّفٍ ، حتىٰ يمكنَهُ أن يراعيَ المناسباتِ في خطابِ كلِّ صنفٍ ، ومحاورةِ كلِّ فريقٍ

وقد أوردَ صاحبُ « المفتاحِ » أمثلةً في معنىً واحدٍ علىٰ ألسنةِ أشخاصٍ اختلفَتْ حِرَفُهُم وآلاتُ صناعاتِهِم تُرشِدُكَ إلىٰ ما أنتَ بصددِهِ ، فقالَ (وصفُ جوهريٍّ لأحسنِ الكلامِ أحسنُ الكلامِ ما ثقبَتْهُ الفِكرةُ ، ونظمَتْهُ الفِطنةُ ، وفُصِّلَ جوهرُ معانيهِ في سمطِ ألفاظِهِ ، فحملَتْهُ نُحورُ الرواةِ

ووصفُ الصَّيْرَفيِّ خيرُ الكلامِ ما نقدَتْهُ يدُ البصيرةِ ، وجلَتْهُ عينُ الرويَّةِ ، ووزنَهُ مِعيارُ البلاغةِ ، فلا يُنطَقُ فيهِ [بزائفٍ] ، ولا يُسمَعُ فيهِ ببَهْرجٍ

ووصفُ الصَّائغِ خيرُ الكلامِ ما أحميتَهُ بكِيرِ الفكرةِ ، وسبكتَهُ بمشاعلِ النظرِ ، وخَلَّصتَهُ مِنْ خَبَثِ الإطنابِ ، فبرزَ بروزَ الإبريزِ ، مُركَّباً في معنىً وجيزٍ

ووصفُ الحَدَّادِ أحسنُ الكلامِ ما نصبتَ عليهِ مِنفاخَ الرويَّةِ ، وأشعلتَ فيهِ نارَ البصيرةِ ، ثمَّ أخرجتَهُ مِنْ فحمِ الإفحامِ ، [ورققتَهُ] بفِطِّيسِ الإفهامِ ؛ الفِطِّيسُ علىٰ وزنِ سِكِّينٍ المِطرقةُ الكبيرةُ

ووصفُ الخَمَّارِ أبلغُ الكلامِ ما طبخَتْهُ مَراجلُ العِلْمِ ، وضمَّتْهُ دِنانُ الحكمةِ ، وصَفَّاهُ [راوُوقُ][1] الفهمِ ، فتَمشَّتْ في المفاصلِ عذوبتُهُ ، وفي الأفكارِ رِقَّتُهُ ، وفي العقلِ [حِدَّتُهُ]

---

(١) الراووق المِصفاة

ووصفُ البزَّازِ أحسنُ الكلامِ : ما صدقَ رَقْمُ ألفاظِهِ ، وحَسُنَ رسمُ معانيهِ ، فلم يستعجمْ عندَ نشرٍ ، ولم يستبهمْ عندَ طيّ

ووصفُ الكحَّالِ كما أنَّ الرمدَ قذى العينِ كذا الشبهةُ قذى البصائرِ ، فاكحلْ عينَ اللُّكْنةِ بمِيلِ البلاغةِ ، واْجلُ رَمَص الغفلةِ بمرودِ اليقظةِ

ولجمَّالٍ يصفُ بليغاً البليغُ مَنْ أخذَ بخِطامِ كلامِهِ ، فأناخَهُ في مَبْرَكِ المعنىٰ ، ثمَّ جعلَ الاختصارَ لهُ عِقالاً ، والإيجازَ لهُ مجالاً ، فلم يَنِدَّ عنِ الأذهانِ ، ولم يَشِذَّ عنِ الآذانِ)[1]

[مِن محاسنِ الواوِ ومزيَّتِها]

هٰذا ؛ والكلامُ في أمرِ الواوِ يُنبِّهُكَ علىٰ مزيَّتِها ، ويدعوكَ إلى اعتبارِ مواقعِها في نحوِ كِلْ أمرَهُ وعملَهُ ، وفي نحوِ[2] [من الكامل]

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وفي نحوِ ما أنتَ ومطارحَ الأنظارِ ، وكيفَ زيدٌ ومسارحَ الأفكارِ ، وفي نحوِ اطلبِ العلمَ ولو بالصِّينِ

ومِنْ مواقعِها بعضُ الجملِ التي تريدُ أن تَجعلَها حالاً علىٰ ما عرفتَ تفصيلَهُ في النحوِ ، فإنَّكَ إذا اعتبرتَ الجملَ بأنواعِها وجدتَ بعضَها آبياً عنِ الارتباطِ الحاليّ ، مُتبادِراً إلىٰ ذهنِكَ استئنافُهُ ، مثلاً إذا سمعتَ عَثَرَ زيدٌ ، الشمسُ مضيئةٌ مواقعَ الأقدامِ تبادرَ إلىٰ فهمِكَ أنَّ الجملةَ مَسُوقةٌ علىٰ طريقِ الاستئنافِ ؛ لتوبيخِ زيدٍ بنفيِ عذرِهِ ، ونسبتِهِ لإهمالِ التحرُّزِ واستعمالِ

(١) مفتاح العلوم (ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥)

(٢) نُسِب لأبي الأسود الدؤلي في « ديوانه » (ص ٤٠٤)

آلةِ الحفظِ ، ويَندفِعُ ذٰلكَ بالواوِ ، فتفهمُ عَثَرَ في تلكَ الحالةِ ، فكيفَ بهِ في غيرِها ؟!

وأشدُّ الجملِ افتقاراً إلى الواوِ الجملةُ الاسميةُ ، حتىٰ قيلَ بوجوبِها فيها ، وما وردَ بدونِها ضعيفٌ ساقطٌ ، إلّا أنَّ بعضَ الجملِ الاسميةِ تكونُ في حكمِ المفردِ ، فلا يكونُ خُلُوُّها مِنَ الواوِ ضعيفاً ؛ كقولِهم كلَّمتُهُ فوهُ إلىٰ فِيَّ ؛ أي متشافهَينِ ، وقولِهِ[1] [من البسيط]

إِذَا أَتَـيْـتَ أَبَـا مَـرْوَانَ تَـسْـأَلُـهُ وَجَـدْتَـهُ حَـاضِـرَاهُ ٱلْـجُـودُ وَٱلْـكَـرَمُ

والماضي المثبتُ قريبٌ في الافتقارِ إلى الواوِ مِنَ الجملةِ الاسميَّةِ ، حتىٰ قيلَ إنَّهُ لا تُجعَلُ جملتُهُ حالاً إلا بـ (قد) والواوِ ، ويَرُدُّهُ قولُهُ تعالىٰ ﴿ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾[2] ، ولا معنىٰ لكونِهِ علىٰ تقديرِ الواوِ و(قد) ، فإنَّ ذٰلك ليسَ حُكْماً دينيّاً تجبُ المحافظةُ عليهِ ؛ فإنَّ الواوَ و(قد) لأجلِ أن تُقرِّبَ لفهمِكَ إرادةَ الحالِ ، فإنَّ الفعلَ الماضيَ بطبيعتِهِ يَصرِفُ ذهنَكَ إلىٰ أنَّ الغَرَض إفادةُ مضمونِ جملتِهِ ، لا أنَّها مبنيةٌ علىٰ غيرِها ، مُرتبطةٌ بِهِ قيداً لهُ ، فإذا سمعتَ : لقيتُ زيداً ركبَ فرسَهُ الشَّقراءَ ربَّما تَسارعَ لفهمِكَ أنَّ ذٰلكَ أمرٌ آخَرُ تريدُ أن تفيدَهُ بعدَما أنهيتَ ذٰلكَ وأعرضتَ عنهُ ، فإذا سمعتَ لقيتُ زيداً وقد ركبَ . فإنَّكَ لا يَختلِجُ في صدرِكَ إلّا أنَّ المرادَ ثابتاً ركوبُهُ مُتحقِّقاً ، فحاليَّةُ الجملةِ مُعتمِدةٌ على الواوِ ومعنىٰ (قد) ، وهٰذا مرادُ مَنْ قالَ مِنَ المُتقدِّمينَ إنَّ (قد) تُقرِّبُ الماضيَ مِنَ الحالِ ، لا يريدُ الحالَ الزمانيَّ ، بل يريدُ الحالَ المُقيَّدةَ للفعلِ بما سمعتَ مِنَ التأويلِ وبيانِ المعنىٰ



---

(١) هو الأخطل في « ديوانه » (ص ٢٣) ، وفيه (والحسب) بدل (والكرم)

(٢) سورة النساء (٩٠)

البابُ الثالثُ
فيما يتعلَّقُ بالجملةِ وجزئِها والجملِ
وهو الإيجازُ والإطنابُ والمساواةُ

فإنَّها عبارةٌ عن زيادةٍ في الألفاظِ ، وما يقابلُها ، والزائدُ مفردٌ أو جملةٌ أو أكثرُ ، وكذلك المحذوفُ

[حدُّ المساواةِ ، والإيجازِ ، والإطنابِ]

أمَّا المُساواةُ فهيَ كونُ العبارةِ مساويةً لِمَا تريدُ أن تفيدَهُ ؛ كعباراتِ أوساطِ الناسِ ، الذين لم يرتقوا إلىٰ درجةِ البلغاءِ ، ولم يَنحطُّوا إلىٰ موضعِ أهلِ الحَصَرِ والعِيِّ

والاعتمادُ في تحقيقِ المُساواةِ علىٰ عرفِهم في المُحاوراتِ ؛ لتقاضي أغراضِهم ، وتفهيمِ ضمائرِهم ، لا علىٰ ما تقتضيهِ صناعةُ النحوِ ، ولذلكَ صحَّ التمثيلُ للمُساواةِ بقولِهِ جلَّ ذكرُهُ ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [1] ، فلا يُقالُ قد حُذِفَ المُستثنىٰ منهُ ، ومِنْ وادي هٰذا المعنىٰ قولُ الناسِ النيةُ الخبيثةُ ما تضرُّ إلَّا صاحبَها

وبالقياسِ إلىٰ عباراتِ الأوساطِ يُعرَفُ الإيجازُ والإطنابُ ذاهبَينِ في مراتبِهما

فحدُّ الإيجازِ كونُ العبارةِ أقلَّ مِنْ عبارةِ المُتعارَفِ مُتدرّجاً إلىٰ أن تكونَ العبارةُ لوِ اختُصِرَتْ لاختلَّتْ ولم تُفْهِمِ المرادَ

---

(١) سورة فاطر (٤٣)

وحـدُّ الإطنـابِ كونُها أكثرَ منها لفائدةٍ ، وإلَّا كـانَ تطويلاً ؛ مثلُ[1] [من الوافر]

وَأَلْـفَـىٰ قَـوْلَـهَـا كَـذِبـاً وَمَـيْـنَـا

أو حشواً ؛ كقولِهِ[2] [من الطويل]

وَأَعْـلَـمُ عِـلْـمَ ٱلْـيَوْمِ وَٱلْأَمْـسِ قَبْـلَـهُ

قيلَ ومنهُ قولُ أبي الطيبِ[3] [من الطويل]

وَلَا فَضْـلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَٱلنَّدَىٰ وَصَبْرِ ٱلْفَتَىٰ لَوْلَا لِقَاءُ شَعُوبِ

فقيلَ لفظُ (الندىٰ) حشوٌ مُفسِدٌ ، وبَيَّنَ ذٰلكَ بأنَّ الشجاعةَ لو لم يكنْ فيها تعريضُ الحياةِ للزوالِ وما يَقرُبُ منهُ لم تكنْ فضيلةً ، والصَّبرُ عنِ المحبوبِ أو على المكروهِ وفي مواطنِ البأسِ نوعٌ مِنَ الشجاعةِ ، وأمَّا الندىٰ ـ وهوَ الجودُ وبذلُ المالِ ـ . فما لهُ ولشَعوبٍ ؟! بل يرىٰ أنَّ المرءَ لو عرفَ الخُلودَ كانَ بالمالِ أضنَّ ، وليسَ كما قيلَ ، فبالمالِ حفظُ الحياةِ وكمالُ الانتفاعِ بها

حَـيَـاةٌ بِـلَا مَـالٍ حَـيَـاةٌ ذَمِـيـمَـةٌ وَعِـلْـمٌ بِـلَا جَـاهٍ كَـلَامٌ مُـضَـيَّـعُ[4]

فجودُ المرءِ بمالِهِ صدقةً أو فُتوَّةً لبقاءِ الذِّكرِ واغتنامِ الأجرِ ، عالِماً أنَّهُ لو فُقِدَ فُقِدَ بَيَّنَ التعلُّقَ بينَ الشجاعةِ والصَّبرِ

---

(١) هو لعدي بن زيد العبادي في « ديوانه » (ص ١٨٣) ، والبيت بتمامه

وَقَـدَّمَـتِ ٱلْأَدِيـمَ لِـرَاهِـشَـيْـهِ وَأَلْـفَـىٰ قَـوْلَـهَـا كَـذِبـاً وَمَـيْـنَـا

(٢) هو لزهير بن أبي سلمىٰ في « ديوانه » (ص ٣٥) ، والبيت بتمامه

وَأَعْـلَـمُ عِـلْـمَ ٱلْـيَـوْمِ وَٱلْأَمْـسِ قَبْـلَـهُ وَلَـٰكِنَّنِي عَنْ عِـلْـمِ مَا فِي غَـدٍ عَمِي

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٤٦)

(٤) أورده الدلجي في « الفلاكة والمفلوكون » (ص ٤٠) من غير عزو ، وهو من بحر الطويل

[أنواعُ الإيجازِ]

ثمَّ الإيجازُ نوعانِ إيجازُ قصرٍ ، وإيجازُ حذفٍ ، ويُسمَّى اختصاراً

والأوَّلُ هوَ كَدُّ البلغاءِ ، ومِحَكُّ الأذكياءِ ، ومنهُ قولُهُ تعالىٰ ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [1] ، فهٰذا أوجزُ كلامٍ في هٰذا المعنىٰ وأحكمُهُ وأسلسُهُ ، فإنَّكَ لو ذهبتَ تَشرحُهُ كنتَ تقولُ

ولكُم في مشروعيةِ الحُكْمِ بأنَّ مُتعمِّدَ القتلِ يجبُ أن يُسلِّمَهُ السُّلطانُ بنفسِهِ أو نائبِهِ إلىٰ أولياءِ المقتولِ يَشُدُّون وَثاقَهُ بحضرةِ أحبابِهِ وأعدائِهِ ؛ فمِنْ باكٍ عليهِ راحمٍ لهُ باذلٍ عنهُ ديةً أو ديتَينِ إلىٰ عشرٍ ، كما وقعَ مِنْ أميرِ المؤمنينَ معاويةَ رضيَ اللهُ عنهُ في بعضِ مَنْ تَوجَّهَ عليهِ الحُكْمُ بهِ ، ومِنْ شامتٍ مُوبِّخٍ ضاحكٍ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا هوَ أشدُّ على النفوسِ ـ ولا سيَّما العربِ ـ مِنَ الموتِ ، فربَّما قتلَ بعضُ الناسِ نفسَهُ فِراراً مِنْ ذٰلكَ ، فارتدعَ الأقوياءُ عنِ الاجتراءِ ، وشيمَتِ السُّيوفُ إلَّا في جهادٍ ، فاستوى الناسُ ، وعمَّ الأمنُ ، وأقبلَ كلٌّ علىٰ عملِهِ ، وانتفعَ بعضُهُم ببعضٍ ، فطالَتِ الأعمارُ ، وكَثُرَتِ الذُّريَّةُ ، ونما المالُ ، فظهرَتْ حياةٌ كثيرةٌ عظيمةٌ آمنةٌ مطمئنةٌ يتزايدُ خيرُها

ويزيدُكَ معرفةً بفضلِ هٰذا الكلامِ أنَّهُ لا يمكنُكَ أن توازنَهُ بما كانَتِ العربُ ترىٰ أنَّهُ أوجزُ كلامٍ في هٰذا المعنىٰ ؛ وهوَ قولُهُم : القتلُ أنفىٰ للقتلِ ، لا في اللفظِ ولا في المعنىٰ

ومِنَ « الكَلِمِ النوابغِ » للزمخشريِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ فيما يبني العاقلُ عليهِ أمرَهُ في معاشرةِ الناسِ : (استنِدْ أوِ استفِدْ) [2] ، فهاتانِ الجملتانِ المُنتسِقتانِ

---

(١) سورة البقرة (١٧٩)

(٢) الكلم النوابغ (ص ٢٣)

ـ لا أذكرُ دُرّاً ولا جوهراً ولا ما كان مِنْ نفائس هٰذهِ الدنيا ـ يغنيانِكَ عن كتابٍ حافلٍ في النصائحِ والآدابِ ، وتأمَّلِ التفاوتَ بينَهُما باعتبارِ الوجازةِ والنزاهةِ ، وبينَ قولِ مَنْ قالَ شعراً[1] [من السريع]

يَا مَعْشَرَ ٱلْإِخْوَانِ أُوصِيكُمُ ... وَصِيَّةَ ٱلْوَالِدِ وَٱلْوَالِدَهْ
لَا تَنْقُلُوا ٱلْأَقْدَامَ إِلَّا إِلَىٰ ... مَنْ تُرْتَجَىٰ مِنْ عِنْدِهِ فَائِدَهْ
إِمَّا لِعِلْمٍ تَسْتَفِيدُونَهُ ... أَوْ لِكَرِيمٍ عِنْدَهُ مَائِدَهْ

ومِنْ إيجازِ القصرِ في المفردِ مثلُ أن تقولَ معقولٌ ، ومحسوسٌ ، ومجلودٌ ، ومكثورٌ ، بدلَ : مُدرَكٌ بالعقلِ ، ومُدرَكٌ بالحِسِّ ، ومضروبُ الجلدِ ، وكثيرةٌ أعداؤُهُ عليهِ



وإيجازُ الحذفِ يكونُ بحذفِ مفردٍ ، أو جملةٍ ، أو أكثرَ ؛ مثلُ قولِهِ تعالىٰ ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾[2] فصبروا ؛ أي : فاصبرْ وتأسَّ ، وقولِهِم ﴿ أَإِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[3] ؛ أي أإن ذُكِّرتُم ترجمونَ ، ويَمسُّنا منكُم عذابٌ أليمٌ ، وهل يَصلُحُ ذٰلكَ داعياً فتكونوا مصيبينَ ؟ لا ، بل أنتُم قومٌ مسرفونَ ، وقولِهِ ﴿ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾[4] ؛ أي فأرسلوهُ ، فجاءَهُ ، فبَلَّغَهُ عنهُم ، ثم حضرَ ، فقالوا يا يوسفُ

ومِنْ أمثلتِهِم لذٰلكَ قولُ أبي العلاءِ[5] [من الطويل]

طَرِبْنَ لِضَوْءِ ٱلْبَارِقِ ٱلْمُتَعَالِي ... بِبَغْدَادَ وَهْناً مَا لَهُنَّ وَمَا لِي

---

(١) انظر « حياة الحيوان » للدميري (٧٦/٤)
(٢) سورة فاطر (٤)
(٣) سورة يسٓ (١٩)
(٤) سورة يوسف (٤٥ ـ ٤٦)
(٥) انظر « معجم الأدباء » (٤١٩/٥)

أي : طربنَ ، فأخذتُ أُسكِّنُها وهيَ لا تسكنُ ، ثم أعاودُها وتدافعُني ، إلىٰ أن قضيتُ العَجَبَ مِنْ كثرةِ معاودتِي وشِدَّةِ مدافعتِها

[دواعي الإيجاز]

والداعي إلى الإيجازِ تسهيلُ الحفظِ ، وتقريبُ الفهمِ ، وضيقُ المَقامِ ، وإخفاءُ الأمرِ عمَّن لا تُحِبُّ إطلاعَهُ عليهِ ، وسآمةُ المحادثةِ ، والإشارةُ للنَّفرةِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا سبقَ تنبيهُكَ لبعضِهِ ، وليسَ يُعجِزُكَ بعدُ اعتبارُ الأمثالِ

والإطنابُ مثلُ قولِهِ تعالىٰ في مَقامِ الاستدلالِ ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية[١] ، فإيجازُهُ إنَّ في الممكنِ معَ تساوي طرفيهِ آيةً

وقولِهِ في مَقامِ الشَّكوىٰ وطلبِ الإشكاءِ : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[٢] ، وإيجازُهُ شِخْتُ ، وبينَ العبارتَينِ عباراتٌ ؛ مثلُ وهنَ عظمي ، وشابَ رأسي

وقد يُعتبَرُ الإيجازُ والإطنابُ بتفاوتِ المَقاماتِ ؛ فقد يقتضي مَقامٌ كثرةَ الكلامِ لاستقصاءِ الصفةِ ؛ كالأُنْسِ علىٰ ذهابِ الشبابِ ، والتضجُّرِ مِنْ حُلولِ المَشيبِ ، ومِنْ هنا تَسمعُهُم يقولونَ الخُطَبُ والفخرُ مَحَلُّ إطنابٍ ، وكانَ يُقالُ المدحُ أيضاً مَحَلُّ إطنابٍ ، حتىٰ قالَ ابنُ الروميِّ[٣] [من الكامل]

وَإِذَا ٱمْرُؤٌ مَدَحَ ٱمْرَأً لِنَوَالِهِ وَأَطَالَ فِيهِ فَقَدْ أَرَادَ [هِجَاءَهُ]
لَوْ لَمْ يُقَدِّرْ فِيهِ بُعْدَ ٱلْمُسْتَقَىٰ عِنْدَ ٱلْوُرُودِ لَمَا أَطَالَ [رِشَاءَهُ]

---

(١) سورة البقرة (١٦٤)
(٢) سورة مريم (٤)
(٣) انظر « ديوان ابن الرومي » (١/١١١)

ومِنَ الإطنابِ : التخصيصُ بعدَ التعميمِ ؛ نحوُ : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾[1] ؛ أي جبريلُ ، خَصَّهُ بالذِّكرِ معَ دخولِهِ تحتَ عمومِ الملائكةِ ؛ تكريماً لهُ ، كأنَّهُ جنسٌ آخرُ

ومنهُ التكريرُ ؛ نحوُ ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾[2] ؛ للدلالةِ بـ (ثمَّ) على أنَّ الإنذارَ الثانيَ أبلغُ

ومنهُ أشياءُ خُصَّتْ بأسماءٍ ؛ كالإيغالِ ، والتتميمِ ، والتذييلِ ، والتكميلِ ، يأتي بيانُها في فنِّ البديعِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ[3]



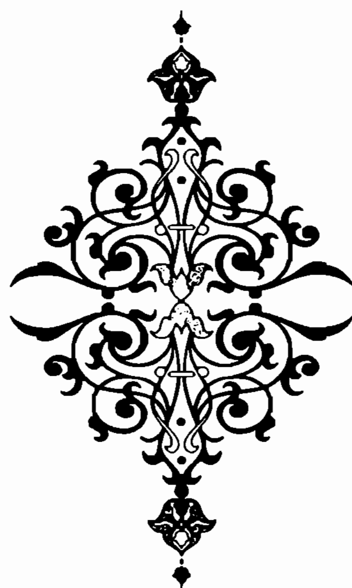
(١) سورة القدر (٤)

(٢) سورة النبأ (٤ ـ ٥)

(٣) انظر (٢/٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١)

الفنّ الثّالث

فنّ البديع



[تمهيدٌ في ترتيبِ الفنونِ]

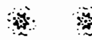
اعلمْ أنَّ العملَ بهٰذا الفنِّ إنَّما هوَ بعدَ العملِ بسابقيهِ ، كما أنَّ العملَ بفنِّ البيانِ بعدَ العملِ بفنِّ المعاني

وبيانُ ذٰلكَ أنَّكَ تنظرُ أوَّلَ ما تنظرُ إلى المعنى الذي تريدُ أن تُعبِّرَ عنهُ ، وأينَ تضعُ العبارةَ ، فحافظُكَ إذاً مِنَ الخطأ في تعيينِ العبارةِ حَسَبَ الموضعِ هوَ فنُّ المعاني

ثمَّ إنَّكَ تنظرُ إلى الألفاظِ ، فتختارُ منها ما تَعرِفُ أنَّهُ يُبيِّنُ مُرادَكَ ، ويجلو صورةَ المعنى الذي شَخَّصتَهُ أولاً للبصائرِ ؛ كما تجلو المرآةُ الصقيلةُ صورةَ ما يقابلُها ، وحافظُكَ إذاً مِنَ الخطأ فنُّ البيانِ

ثمَّ إذ أردتَ أن تُزيِّنَ عبارتَكَ حتىٰ تكونَ بهيجةً مُفرِحةً كالصورةِ المنقوشةِ بنقوشٍ مُحكَمةٍ متناسبةٍ بعدَ أن أخذَتِ الأعضاءُ متانتَها وكمالَها كما يليقُ بنوعِها جاءَ العملُ بهٰذا العلمِ

وليكنْ علىٰ ذُكْرِكَ تمثيلُ الكلامِ الذي تريدُ إنشاءَهُ بالبيتِ الذي تريدُ أن تَسكُنَهُ مِنْ أوَّلِ ما تريدُ أن تبنيَهُ



وقد أفردَ المُتأخِّرونَ هٰذا الفنَّ بالتأليفِ ، وأدخلوا فيهِ كثيراً مِنْ مباحثِ الفنَّينِ ؛ كأنَّهُم قَدَّروا كفايتَهُ لمعرفةِ مِنْ أينَ يَتميَّزُ كلامٌ عن كلامٍ ، وتَشرُفُ عبارةٌ عن عبارةٍ ، وفصَّلوهُ إلىٰ أنواعٍ يزيدُ المُتأخِّرُ فيها على المُتقدِّمِ ، حتىٰ بلغَتْ عدداً كثيراً

ولم يزلِ المُشتغِلونَ بمعرفةِ المحاسنِ الكلاميَّةِ يَعثُرونَ علىٰ أمورٍ إذا

قِيسَتْ لِمَا ذكـرَهُ أهـلُ هـٰذا الفـنِّ كـانَـتْ مُستحِقَّةً لنظمِها في سلكِهِ ، وتسميتِها بما يناسبُها

هـٰذا ؛ والأحوالُ المبحوثُ عنها في هـٰذا الفنِّ تنقسمُ إلىٰ لفظيَّةٍ ، وإلىٰ معنويَّةٍ

اللفظيُّ منها ما يعودُ حسنُهُ على الألفاظِ ؛ كالجناسِ والطِّباقِ

والمعنويُّ ما يَتعلَّقُ بالمعنىٰ ؛ كالمبالغةِ والغُلُوِّ ، وها هي تلكَ أنواعُ البديعِ علىٰ ترتيبِ التآليفِ المُستقِلَّةِ



حسنُ الابتداءِ

ويُقالُ براعةُ المطلعِ

قالَ العلماءُ : ينبغي للمُتكلِّمِ أن تزيدَ عنايتُهُ ويَكثُرَ اهتمامُهُ بأربعةِ مواضعَ مِنْ كلامِهِ ، وإن كانَ ينبغي أن يَتحرَّى الأجودَ في سائرِهِ أَوَّلُ الكلامِ ، وآخِرُهُ ، ومكانُ التخلُّصِ مِنْ فنٍّ إلىٰ فنٍّ ، وموضعُ الطَّلبِ

فقالوا : براعةُ المطلعِ ، وحسنُ التخلُّصِ ، وحسنُ الطَّلَبِ ، وحسنُ الخِتامِ

فبراعةُ المطلعِ بأن تكونَ ألفاظُهُ مختارةً سالمةً عمَّا يَنفِرُ منهُ السامعُ ، أو يَتعلَّقُ بهِ نقدٌ ، وإذا كانَ الكلامُ شعراً أو نثراً مُسجَّعاً لزمَ أن يكونَ كلٌّ مِنَ الشطرَينِ أوِ القرينتَينِ مُستقِلّاً بالإفادةِ معَ شِدَّةِ التناسبِ بينَهُما

[براعةُ الاستهلالِ]

وعلى المُتكلِّمِ أيضاً أن يكونَ أَوَّلُ كلامِهِ مُشتمِلاً علىٰ إشارةٍ لطيفةٍ إلىٰ مقصودِهِ مِنَ الكلامِ ، وسمَّوا ذٰلكَ **براعةَ الاستهلالِ** ، وسنوردُ عليكَ مطالعَ تُحذَرُ أمثالُها ، رمَتْ بأصحابِها إذ ذاكَ خلفَ الاعتبارِ ، علىٰ أنَّهُم مَنْ هُم

قالَ غيلانُ ذو الرُّمةِ يمدحُ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ وكانَ بعينَيهِ عِلَّةٌ(١) [من البسيط]

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا ٱلْمَاءُ يَنْسَكِبُ ... كَأَنَّهُ مِنْ كُلَىً مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ

الكُلْيةُ ـ بضمٍّ فسكونٍ ـ هنا رُقعةٌ تُخرَزُ في القِربةِ تحتَ العُروةِ ، فجرى الشاعرُ علىٰ عادتِهِم في ذكرِ العشقِ وأحوالِهِ ؛ مِنَ السَّهرِ والبكاءِ وحرارةِ القلبِ

---

(١) انظر « ديوان ذي الرمة » (٩/١)

وانفطارِ الكبدِ   إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، ولم يَلتفِتْ إلىٰ حالِ مَنْ معَهُ الخطابُ ، فكانَ جزاؤُهُ أن قالَ لهُ   ما لكَ وهٰذا يا بغيضُ ؟!

وافتتحَ جريرٌ بقولِ[1]   [من الوافر]

أَتَـصْـحُـو أَمْ فُـؤَادُكَ غَـيْـرُ صَـاحِ

فقالَ ممدوحُهُ   بل فؤادُكَ

وقالَ إسحاقُ المَوْصليُّ في أوَّلِ تهنئةٍ بقصرٍ بناهُ مَلِكُهُ[2]   [من الكامل]

يَـا دَارُ غَـيَّـرَكِ ٱلْـبِـلَـىٰ وَمَـحَـاكِ   يَـا لَـيْـتَ شِـعْـرِي مَا ٱلَّـذِي أَبْـلَاكِ

فأمرَ بهدمِهِ لساعتِهِ

ولبعضِهِم يُخاطِبُ عظيماً يرجو إثابتَهُ[3]   [من مشطور الرجز]

مَـوْعِـدُ أَحْـبَـابِـكَ بِـٱلْـفُـرْقَـةِ غَـدْ

فقالَ   [بل] أحبابُكَ ولكَ المثلُ السوءُ

وقالَ مَرَّةً ثانيةً في تهنئةٍ بيومِ المِهْرَجانِ   [من الرمل]

لَا تَـقُـلْ بُـشْـرَىٰ وَلَـٰكِنْ بُـشْـرَيَـانْ   غُـرَّةُ ٱلـدَّاعِـي وَيَـوْمُ ٱلْـمِـهْـرَجَـانْ

فأمرَ بضربِهِ خمسينَ وقالَ   إصلاحُ أدبِهِ أحسنُ مِنْ إثابتِهِ

وقالَ أبو تمامٍ[4]   [من الطويل]

عَـلَـىٰ مِـثْـلِـهَـا مِـنْ أَرْبُـعٍ وَمَـلَاعِـبِ

---

(١) انظر « ديوانه » (٨٧/١) ، والبيت بتمامه

أَتَـصْـحُـو أَمْ فُـؤَادُكَ غَـيْـرُ صَـاحِ   عَـشِـيَّـةَ هَـمَّ صَـحْـبُـكَ بِـٱلـرَّوَاحِ

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢٣٠/٤)

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٢٢٩/٤) ، والرجز لابن مقاتل الضرير

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (١٩٨/١) ، والبيت بتمامه

عَـلَـىٰ مِـثْـلِـهَـا مِـنْ أَرْبُـعٍ وَمَـلَاعِـبِ   أُذِيـلَـتْ مَـصُـونَـاتُ ٱلـدُّمُـوعِ ٱلـسَّـوَاكِـبِ

فقالَ بعضُ الحاضرينَ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ

وقالَ بعضُهُم مدحتُ السلطانَ بقصيدةٍ ، وقبلَ عَرْضِها عليهِ أطلعتُ كثيراً مِنْ حُذَّاقِ الأصحابِ عليها ، فما منهُم إلَّا مَنْ قدحَ فكرَهُ في نقدِها ولم يأخذْ عليَّ منها في شيءٍ ، ثمَّ عرضتُها على الممدوحِ ، فصادفَتْ قَبولاً ، وكانَ مَطلعُها [من الرجز]

دَعْهَا وَلَا تَحْبِسْ زِمَامَ ٱلْمِقْوَدِ تَطْوِي بِأَيْدِيهَا بِسَاطَ ٱلْفَدْفَدِ

وكنتُ بها مُعجَباً ، فأسمعتُها يوماً لبعضِ شُبَّانِ أعيانِ العسكرِ ، فقالَ (ما كانَ يُؤمِّنُكَ أن يقولَ حينَ يتناولُ درجَها فيجدَ في صدرِهِ « دَعْها » : قد فعلتُ ، ويرمي بها ، أَمَا كنتَ تَخجلُ ؟! فقلتُ بلىٰ ، ولٰكنَّ اللهَ قد وقىٰ)(١)

ويُحكىٰ أنَّ صالحَ بنَ حسانَ قالَ يوماً للهيثمِ بنِ عديٍّ أنشدْني بيتاً صدرُهُ أعرابيٌّ في شَمْلةٍ ، وعَجُزُهُ مُخنَّثٌ مِنْ مُخنَّثي المدينةِ ، فقالَ لا أعرفُهُ ، فقالَ أجَّلتُك حولاً ، فقالَ : ولو أجَّلتَني عَشراً ، فقالَ كنتُ أحسَبُكَ أذكىٰ مِنْ هٰذا ، وأنشدَهُ بيتَ جميلٍ(٢) [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا ٱلنُّوَّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا

هٰذا أعرابيٌّ في شَمْلةٍ

أُسَائِلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ ٱلرَّجُلَ ٱلْحُبُّ(٣)

ولمسلمِ بنِ الوليدِ(٤) [من الطويل]

أَدِيرَا عَلَيَّ ٱلرَّاحَ لَا تَشْرَبَا قَبْلِي وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلَتِي ذَحْلِي

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (١/٧٣ ـ ٧٤)

(٢) ديوان جميل بثينة (ص ٢٥)

(٣) انظر الخبر في « وفيات الأعيان » (١/٤٣٨)

(٤) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣٣)

فهٰذهِ المطالعُ كافيةٌ لإرشادِكَ إلىٰ ما يجبُ احتراسُكَ مِنْ مثلِهِ

وأزيدُكَ ما حُكِيَ أنَّ شاعراً مَغربيّاً سمعَ شعرَ الصَّاحبِ بهاءِ الدينِ زهيرِ المصريِّ ، فحملَهُ ذٰلكَ علىٰ أن يَقصِدَ مصرَ ليتعلَّمَ رِقَّةَ الشعرِ مِنْ ذٰلكَ الوزيرِ ، فلمَّا لقيَهُ وعَرَّفَهُ الحالَ قالَ لهُ الصَّاحبُ إنَّ ذٰلكَ أمرٌ لا يُعرَفُ بطريقةِ تعليمٍ علميّ ، وإنَّما يَصرِفُ الشاعرُ فكرَهُ فيما يَرِدُ عليهِ مِنْ لطائفِ الأشعارِ ، ويَتأمَّلُ مِنْ جهاتِ اللطفِ فيها حتىٰ تأخذَ مِنْ طبعِهِ مكاناً ، وحينَئذٍ يَجهَدُ في محاكاتِها ، فعليكَ بإدمانِ قراءتِها علىٰ ذٰلكَ الحدِّ ، والآنَ ألقي عليكَ صدراً لتعملَ لهُ عَجُزاً وتطلعَني لأخبرَكَ بحالِهِ ، فأنشدَهُ [من مجزوء الكامل]

يَـا بَـانَ وَادِي ٱلْأَجْـرَعِ

فأخذَهُ المغربيُّ وانصرفَ يَكُدُّ فكرَهُ في تتميمِهِ ، ثمَّ جاءَ صبيحةَ ليلتِهِ إلى الصَّاحبِ فأنشدَهُ

يَـا بَـانَ وَادِي ٱلْأَجْـرَعِ سُـقِـيـتَ غَـيْـثَ ٱلْأَدْمُـعِ

فقالَ الصَّاحبُ الصَّدرُ يَطلُبُ غيرَ هٰذا ، وأتمَّهُ بقولِهِ

هَـلْ مِـلْـتِ مِـنْ طَـرَبٍ مَـعِـي (١)

فأنتَ ترىٰ أنَّ الميلَ مأخوذٌ مِنَ البانِ ، وتعليلَهُ بطربِ المساعدةِ للعاشقِ ومجانستِهِ إيَّاهُ في العشقِ ، فمثلُ هٰذا ينبغي أن تكونَ المطالعُ ، ومِنْ جيادِ المطالعِ قولُ النابغةِ الذبيانيِّ (٢) [من الكامل]

رَحَلَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أَجْمَالَهَا غَضْبَىٰ عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَا لَهَا

---

(١) انظر « الوافي بالوفيات » (١٤/٢٣٥)

(٢) ذكر البغدادي في « خزانة الأدب » (٤/٢٥٩) أنها للأعشى الكبير

وقولُ القطاميِّ[1] [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا ٱللَّاحِي كَفَاكَ عِتَابَا وَنَفْسَكَ وَفِّقْ مَا ٱسْتَطَعْتَ صَوَابَا

ولأبي تمامٍ في استهلالِ مَرْثِيةٍ[2] [من الطويل]

كَذَا فَلْيَجِلَّ ٱلْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ ٱلْأَمْرُ فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ

ولبعضِهِم في استهلالِ تهنئةٍ بمولودٍ[3] [من البسيط]

بُشْرَىٰ فَقَدْ أَنْجَزَ ٱلْإِقْبَالُ مَا وَعَدَا وَكَوْكَبُ ٱلسَّعْدِ فِي أُفْقِ ٱلْعُلَا صَعَدَا

هٰذا في براعةِ الاستهلالِ ، وحَسُنَ قولُهُ فيها

لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً إِلَّا مُبَالَغَةً فِي صِدْقِ تَوْحِيدِ مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدَا



(١) انظر « ديوان القطامي » (ص ٣١٢)

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٤/٧٩)

(٣) انظر « يتيمة الدهر » (٣/٢٧٧ ـ ٢٧٨)

الجِناسُ والتجنيسُ ، والمجانسةُ والتجانسُ

ألفاظٌ يَستعمِلُها أهلُ هٰذا الفنّ لنوعٍ لفظيٍّ ينبغي أن يُستعمَلَ علىٰ ما حَدَّهُ المُطَرّزيُّ في « شرحِ المَقاماتِ » حيث يقولُ : (إنَّ أنواعَ الجِناسِ لا تُستحسَنُ حتىٰ يساعدَ اللفظُ المعنىٰ ، ولا تُستلَذُّ حتىٰ تكونَ عذبةَ الإصدارِ والإيرادِ ، سهلةَ سلسلةَ المَقادِ ، ولا تَبرُعُ حتىٰ يساويَ مطلعُها مقطعَها ، ولا تَملُحُ حتىٰ يوازيَ مصنوعُها مطبوعَها ، معَ مراعاةِ النظيرِ ، وتمكُّنِ القرائنِ ، وإلَّا .. فما قَلِقَ في أماكنِهِ ، ونبا عن مواقعِهِ .. فبمعزلٍ عنِ الرِّضاءِ عندَ علماءِ البيانِ ، وبمكانٍ مِنَ البَشاعةِ لدىٰ أربابِ النثرِ وأصحابِ النظمِ .

فإذا أردتَ أن تستوفيَ أقسامَ المحاسنِ ، وتجتنِبَ أنواعَ المشاينِ .. فأرسلِ المعانيَ علىٰ سجيَّتِها ، ودعْها تطلبُ لأنفسِها الألفاظَ ؛ فإنَّها إذا تُرِكَتْ وما تريدُ .. لم تَكتسِ إلَّا ما يليقُ بها ، ولم تَلبَسْ مِنَ المعارضِ إلَّا ما يزينُها ، فأمَّا أن تضعَ في نفسِكَ أنَّهُ لا بدَّ لكَ مِنْ تجنيسٍ وتسجيعٍ بلفظَينِ مخصوصَينِ .. فهوَ الذي أنتَ منهُ بمَعرِضِ الاستكراهِ علىٰ خَطَرٍ مِنَ الخطرِ ، فإن ساعدَكَ الجَدُّ كما ساعدَ طاهراً البصريَّ في قولِهِ[1] : [من الخفيف]

نَاظِرَاهُ فِيمَا جَنَىٰ نَاظِرَاهُ ... أَوْ دَعَانِي أَمُتْ بِمَا أَوْدَعَانِي

وأبا تمامٍ في قولِهِ[2] : [من الطويل]

وَأَنْجَدْتُمُ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُمْ ... فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَىٰ سَاكِنِي نَجْدِ

فذاكَ ، وإلَّا .. أطلقتَ لسانَ العَتْبِ ، وأرخيتَ عَنانَ الذَّمِّ ، وأفضىٰ بكَ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٣/٢١١) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٢/١١٠) .

طلبُ الإحسانِ مِنْ حيثُ لم تُحسِنْهُ إلىٰ أشنعِ القبحِ ، وأوقعَكَ الوُلوعُ بالثناءِ عليكَ في ورطةِ القدحِ ، وانقلبَ إحسانُكَ إساءةً ، وتَحوَّلَ سرورُكَ مَساءةً) انتهىٰ كلامُ المُطرّزيِّ[1]

وقالَ ابنُ رشيقٍ في الجِناسِ (هوَ مِنْ أنواعِ[2] الفراغِ ، وقِلَّةِ الفائدةِ ، وممَّا لا شكَّ في تَكلُّفِهِ ، وقد أكثرَ منهُ هٰؤلاءِ السَّاقةُ المُتعقِّبونَ في نظمِهِم ونثرِهِم ، حتىٰ رَكَّ وبَرَدَ)[3]

وأقولُ صدقَ ابنُ رشيقٍ ؛ فإنَّ الجِناسَ لا يخلو مِنْ أن يحيدَ بصاحبِهِ عنِ الجادَّةِ ، ولأهلِ دِقَّةِ النظرِ مِنَ الشعراءِ والكُتَّابِ نقدٌ ليسَ يُدرِكُهُ العلماءُ ؛ فالمُطرّزيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ إنَّ الجَدَّ ـ أيِ الحَظَّ والبَخْتَ ـ ساعدَ طاهراً البصريَّ ، وذٰلكَ لا يقولُهُ أولٰئكَ ؛ فإنَّ بيتَيْ طاهرٍ جائرانِ عن سبيلِ الإحسانِ وإن كانَ ظاهرُهُما خادعاً ، ألا ترىٰ أنَّ للشاعرِ أن يقولَ قولَهُ[4] [من الخفيف]

قُلْتُ لِلْقَلْبِ مَا دَهَاكَ أَجِبْنِي ... قَالَ لِي بَائِعُ ٱلْفَرَانِي فَرَانِي

لفظُ (فراني) كلمةٌ نازلةٌ ، ولأجلِها نَقَّص كلمةَ (الفراني) حقَّها ؛ وهيَ بتشديدِ الياءِ جمعُ فُرنيَّةٍ ، نسبةً إلى الفُرْنِ ؛ لنوعِ خبزٍ ، وقولُهُ [من الخفيف]

نَاظِرَاهُ فِيمَا جَنَىٰ نَاظِرَاهُ ... أَوْ دَعَانِي أَمُتْ بِمَا أَوْدَعَانِي

فيهِ الرِّضاءُ بإدخالِ المحبوبِ تحتَ أسرِ الاحتجاجِ ، وتكلُّفِ الإجابةِ ، وليسَ هوَ الجانيَ ، وهبْ هما ناظراهُ أفكانَ يَسلَمُ ويعيشُ بعد أنِ انفرىٰ قلبُهُ ؟! ثمَّ الودائعُ مردودةٌ ، ثمَّ الكلامُ ينادي علىٰ نفسِهِ أنَّ إنشاءَهُ والقصدَ إليهِ

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (١/٢٢٢ ـ ٢٢٣)

(٢) في « العمدة » (١/٥٤٥) (أبواب)

(٣) العمدة (١/٥٤٥)

(٤) هو لشمسويه المصري ، كما في « معاهد التنصيص » (٣/٢١٠)

إنَّما هوَ قرنُ تلكَ الألفاظِ ، ولذٰلكَ لا ترى الجِناسَ في بليغِ الكلامِ إلَّا نادراً ، وحيثُ كانَ رأيتَهُ ثابتاً في موضعِهِ ، مُتمكِّناً منهُ ، أوجبَهُ المعنىٰ ، مثلاً قولُهُ تعالىٰ ﴿ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ ﴾ [1] ، ربَّما تقولُ إنَّ لفظَ (ينأونَ) أتىٰ بهِ لأجلِ الجِناسِ ، وإلَّا فلفظُ (يَبعُدونَ) يقومُ مَقامَهُ ، لٰكنْ إذا أعطيتَ الألفاظَ حقَّها مِنَ النظرِ رأيتَكَ لا تقولُ لشيءٍ (بَعُدَ) إلَّا حينَ يجاوزُ مواضعَ القربِ ، وأمَّا النَّأْيُ فهوَ الانفصالُ عنِ الشيءِ لقصدِ البعدِ منهُ والنَّفرةِ عنهُ ، فمخالفتُهُم مُتصِلةٌ بفعلِهِم ، والمَذَمَّةُ لاحقةٌ بهِم مِنْ حيثُ ينهونَ

وبعدُ فقد قيلَ في فائدةِ الجِناسِ إنَّهُ يستدعي ميلَ السامعِ وإصغاءَهُ إلى الكلامِ حيثُ تعودُ اللفظةُ التي سمعَها ، فيأخذُهُ ضربٌ مِنَ الاستغرابِ ، ويَستحسِنُ المُكرَّرَ معَ اختلافِ المعنىٰ

[أنواعُ الجناسِ]

وهوَ أنواعٌ

التامُّ

ويكونُ بإيرادِ الألفاظِ المشتركةِ للمعاني المختلفةِ وغيرِ ذٰلكَ ، وردَ في موضعَينِ مِنَ القرآنِ ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [2] ، ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [3] ، ويَحسُنُ منهُ مثلُ قولِ بعضِهِم [4] [من السريع]

إِذَا رَمَاكَ ٱلدَّهْرُ فِي مَعْشَرٍ قَدْ أَجْمَعَ ٱلنَّاسُ عَلَىٰ بُغْضِهِمْ

---

(١) سورة الأنعام (٢٦)

(٢) سورة الروم (٥٥)

(٣) سورة النور (٤٤ ـ ٤٥)

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٣/٢١٠) ، وعزاه لابن فضالة المجاشعي

فَـدَارِهِـمْ مَـا دُمْـتَ فِـي دَارِهِـمْ   وَأَرْضِـهِـمْ مَـا دُمْـتَ فِـي أَرْضِـهِـمْ

وقولِ آخَرَ[1]   [من الكامل]

وَخزُ ٱلْأَسِنَّةِ وَٱلْخُضُوعُ لِنَاقِصٍ   أَمْـرَانِ فِـي رَأْيِ ٱلـنُّـهَـىٰ مُـرَّانِ

وَٱلـرَّأْيُ فِـيـمَـا دُونَـهُ ٱلْأَمْـرَانِ أَنْ   تَـخْـتَـارَ وَقْـعَ أَسِـنَّـةِ ٱلْـمُـرَّانِ

وهٰذا الجِناسُ إذا كانَ ركناهُ مِنْ جنسٍ واحدٍ ؛ كفعلَينِ أوِ اسمَينِ سُمِّيَ متماثلاً ، وإنِ اختلفا سُمِّيَ مستوفىً

الجِناسُ المُطلقُ

يكونُ بتوافقِ ركنَيهِ في الحروفِ وترتيبِها دونَ أن يَجمعَهُما اشتقاقٌ ؛ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « أَسْلَمُ سَالَمَهَا ٱللهُ ، وَغِفَارُ غَفَرَ ٱللهُ لَهَا ، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ »[2]

فإن جمعَهُما اشتقاقٌ ؛ مثلُ ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾[3] فقيلَ يُسمَّىٰ جِناسَ اشتقاقٍ ، وقيلَ هوَ غيرُ جناسٍ

الجِناسُ المُذيَّلُ ، والجِناسُ المُطرَّفُ

يكونُ الأوَّلُ بزيادةِ أحدِ ركنَيهِ في آخِرِهِ ، والثاني بها في أوَّلِهِ ؛ مثلُ قولِ أبي تمامٍ[4]   [من الطويل]

يَـمُـدُّونَ مِـنْ أَيْـدٍ عَـوَاصٍ عَـوَاصِـمٍ   تَـصُـولُ بِـأَسْـيَـافٍ قَـوَاضٍ قَـوَاضِـبِ

---

(١) هما لإبراهيم الغزي ، كما في « وفيات الأعيان » (١/٥٩)

(٢) أخرجه البخاري (٣٥١٣) ، ومسلم (٢٥١٨) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما

(٣) سورة الكافرون (٢ ـ ٣)

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٢٠٦)

وقولِ الخنساءِ[1] [من مجزوء الكامل]

إنَّ ٱلْـبُـكَـاءَ هُـوَ ٱلـشِّـفَـا ءُ مِـنَ ٱلْـجَـوَىٰ بَـيْـنَ ٱلْـجَـوَانِـحْ

وقولِ الشيخِ عبدِ القاهرِ[2] [من الطويل]

وَكَـمْ سَـبَـقَـتْ مِـنْـهُ إِلَـيَّ عَـوَارِفٌ ثَـنَـائِي عَلَىٰ تِلْكَ ٱلْعَوَارِفِ وَارِفُ

وَكَـمْ غُـرَرٍ مِـنْ بِـرِّهِ وَلَـطَـائِـفٍ لِشُكْرِي عَلَىٰ تِلْكَ ٱللَّطَائِفِ طَائِفُ

الجِناسُ المُضارعُ ، والجناسُ اللَّاحقُ

يكونُ الأوَّلُ باختلافِ ركنَيهِ في حرفَينِ لم يتباعدا مَخرجاً ؛ مثلُ ينهونَ وينأونَ ، والثاني في متباعدَينِ ؛ مثلُ ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[3]

الجِناسُ اللفظيُّ

يكونُ باختلافِ ركنَيهِ بالضَّادِ والظَّاءِ ، أوِ التاءِ والهاءِ ، أوِ التنوينِ والنونِ ؛ مثلُ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[4]

ومثلُ قولِ بعضِهِم[5] [من البسيط]

إِذَا جَـلَـسْـتَ إِلَـىٰ قَـوْمٍ لِـتُـؤْنِـسَـهُـمْ بِـمَـا تُـحَـدِّثُ مِـنْ مَـاضٍ وَمِـنْ آتِ

فَـلَا تُـعِـيـدَنْ حَـدِيـثـاً إِنَّ طَـبْـعَـهُـمُ مُـوَكَّـلٌ بِـمُـعَـادَاةِ ٱلْـمُـعَـادَاتِ

---

(١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٢٩)
(٢) كذا في « أنوار الربيع » (١/١٧٦)
(٣) سورة العاديات (٧ ـ ٨)
(٤) سورة القيامة (٢٢ ـ ٢٣)
(٥) هما لأبي الفتح البستي في « ديوانه » (ص ٥٢)

وقولِ آخَرَ (١) [من الرجز]

أَحْسَنُ خَلْقِ ٱللهِ وَجْهاً وَفَماً إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَقَّ بِٱلْحُسْنِ فَمَنْ

حَكَى ٱلْغَزَالَ مُقْلَةً وَلَفْتَةً مَنْ ذَا رَآهُ مُقْبِلاً وَلَا ٱفْتَتَنْ

الجِناسُ المُحرَّفُ

يكونُ باختلافِهما في حركةٍ ؛ مثلُ الضَّلالِ والظِّلالِ ، والكَلِمِ والكَلْمِ ، ومنهُ جُبَّةُ البُرْدِ جُنَّةُ البَرْدِ

الجِناسُ المُصحَّفُ

يكونُ بكلماتٍ لو زالَ إعجامُها . لم تَتميَّزْ ؛ كقولِ بعضِهِم : (غَرَّكَ عِزُّكَ ، فصارَ قَصَارُ ذٰلكَ ذُلَّكَ ، فاخشَ فاحشَ فعلِكَ ، فعَلَّكَ بهٰذا تُهدىٰ) (٢)

الجِناسُ المُركَّبُ ، والجِناسُ المُلفَّقُ

يكونُ الأوَّلُ باختلافِ ركنَيهِ إفراداً وتركيباً ، فإن كانَ مِنْ كلمةٍ وبعضِ أخرىٰ سُمِّيَ مرفوّاً ؛ كقولِ الحريريِّ (٣) [من الطويل]

وَلَا تَلْهَ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَٱبْكِهِ بِدَمْعٍ يُحَاكِي ٱلْمُزْنَ عِنْدَ مَصَابِهِ

وَمَثِّلْ لِعَيْنَيْكَ ٱلْحِمَامَ وَوَقْعَهُ وَرَوْعَةَ مَلْقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِهِ

وإن كانَ مِنْ كلمتَينِ ؛ فإنِ اتفقَ الركنانِ خطّاً . سُمِّي : مقروناً ؛ كقولِهِ (٤)

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَهْ فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَهْ

---

(١) هما للشاب الظريف في « ديوانه » (ص ٢٣٣)

(٢) انظر « تاج العروس » (٤٣٣/١٣) مادة (ق ص ر)

(٣) مقامات الحريري (ص ١٤٦)

(٤) هو أبو الفتح البستي في « ديوانه » (ص ٤٠) ، والبيت من المتقارب

وإلَّا سُمِّيَ مَفروقاً ؛ كقولِهِ[1] [من الكامل]

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى ٱلرُّوَاةِ قَصِيدَةً ... مَا لَمْ تَكُنْ بَالَغْتَ فِي تَهْذِيبِهَا
فَإِذَا عَرَضْتَ ٱلشِّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ ... عَدُّوهُ مِنْكَ وَسَاوِساً تَهْذِي بِهَا

ويكونُ المُلفَّقُ بتركيبِ الركنَينِ جميعاً ؛ كقولِ بعضِهِم[2] [من الوافر]

وَلِيتُ ٱلْحُكْمَ خَمْساً وَهْيَ خَمْسٌ ... لَعَمْرِي وَٱلصِّبَا فِي ٱلْعُنْفُوَانِ
فَلَمْ تَضَعِ ٱلْأَعَادِي قَدْرَ شَانِي ... وَلَا قَالُوا فُلَانٌ قَدْ رَشَانِي

وقولِ آخَرَ[3] [من الطويل]

أَرَىٰ مَجْلِسَ ٱلسُّلْطَانِ تُفْضِي عُفَاتُهُ ... إِلَىٰ رَوْضِ جُودٍ بِٱلْعَطَاءِ مُجَوَّدِ
فَكَمْ لِجِبَاهِ ٱلرَّاغِبِينَ لَدَيْهِ مِنْ ... مَجَالِ سُجُودٍ فِي مَجَالِسِ جُودِ

جِناسُ القلبِ

يكونُ باختلافِ ركنَيهِ في ترتيبِ الحروفِ ؛ كقولِهِ اللهمَّ ؛ استرْ عوراتِنا ، وآمنْ روعاتِنا

الجِناسُ المعنويُّ

نوعانِ جِناسُ إضمارٍ ، وجِناسُ إشارةٍ

الأوَّلُ أن تأتيَ بلفظٍ يُحضِرُ في ذهنِكَ لفظاً آخَرَ بمرادفةٍ أو بطريقٍ أخرىٰ ، وذٰلكَ اللفظُ المُحضَرُ يُرادُ بهِ غيرُ معناهُ بدلالةِ سياقِ الكلامِ ؛ كقولِ الشريفِ ابنِ طباطبا العلويِّ[4] [من البسيط]

مُنَعَّمُ ٱلْجِسْمِ تَحْكِي ٱلْمَاءَ رِقَّتُهُ ... وَقَلْبُهُ قَسْوَةً يَحْكِي أَبَا أَوْسِ

---

(١) هو للمطوعي ، كما في « معاهد التنصيص » (٣/٢٢٢)
(٢) هو القاضي عبد الباقي بن أبي حصين ، كما في « معاهد التنصيص » (٣/٢٤٠)
(٣) هو أبو القاسم عبد الصمد الطبري ، كما في « يتيمة الدهر » (٥/١٩٣)
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٣٨٣)

أوسٌ شاعرٌ مشهورٌ مِنْ شعراءِ العربِ ، واسمُ أبيهِ حَجَرٌ ، فلفظُ (أبي أوسٍ) يُحضِرُ في ذهنِكَ اسمَهُ ؛ وهوَ لفظُ (حَجَرٍ) ، والمرادُ بهِ بدلالةِ قولِهِ (وقلبُهُ قسوةً) الحَجَرُ المعروفُ

وحينَ ظهرَ استعمالُ هٰذا النوعِ استنكرَهُ الأدباءُ ، حتىٰ قالَ مسلمُ بنُ بحرٍ يُخاطِبُ الشريفَ المذكورَ [1] [من الطويل]

أَبَا حَسَنٍ حَاوَلْتَ إِيرَادَ قَافِيَهْ مُصَلَّبَةِ ٱلْمَعْنَىٰ فَجَاءَتْكَ وَاهِيَهْ

وَقُلْتَ أَبَا أَوْسٍ تُرِيدُ كِنَايَةً عَنِ ٱلْحَجَرِ ٱلْقَاسِي فَأَوْرَدْتَ دَاهِيَهْ

فَإِنْ جَازَ هٰذَا فَٱكْسِرَنْ غَيْرَ صَاغِرٍ فَمِي بِأَبِي ٱلْقَرْمِ ٱلْهُمَامِ مُعَاوِيَهْ

ثمَّ استحسنَهُ المُتأخِّرونَ وأكثروا منهُ ، فمنهُ قولُ بعضِهِم [2] [من الطويل]

أَلَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهْوِ كَأْسُ مُدَامَةٍ أَتَتْنَا بِطَعْمٍ عَهْدُهُ غَيْرُ ثَابِتِ

حَكَتْ بِنْتَ بِسْطَامَ بْنِ قَيْسٍ صَبِيحَةً وَأَمْسَتْ كَجِسْمِ ٱلشَّنْفَرَىٰ بَعْدَ ثَابِتِ

بنتُ بِسطامَ اسمُها صهباءُ ، وقولُهُ (كجسم الشنفرىٰ) يشيرُ إلىٰ قولِهِ [3] [من المديد]

فَٱسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلُّ

يقولُ أصبحَتْ خمراً ، وأمسَتْ خلّاً ، ولبهاءِ الدينِ زهيرٍ [4] [من الرجز]

وَجَاهِلٍ طَالَ بِهِ عَنَائِي

لَازَمَنِي وَذَاكَ مِنْ شَقَائِي

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٨٣)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٠٩/١)

(٣) انظر « ديوان الشنفرىٰ » (ص ١٢٠)

(٤) انظر « ديوان بهاء الدين زهير » (ص ١٨)

أَبْـغَـضُ لِـلْـعَـيْـنِ مِـنَ ٱلْأَقْـذَاءِ
أَثْـقَـلُ مِـنْ شَـمَـاتَـةِ ٱلْأَعْـدَاءِ
فَـهْـوَ إِذَا رَأَتْـهُ عَـيْـنُ ٱلـرَّائِـي
أَبُـو مُـعَـاذٍ وَأَخُـو ٱلْـخَـنْـسَـاءِ [1]

ويكونُ جناسُ **الإشارةِ** بذكرِ أحدِ الركنَينِ والإشارةِ للآخَرِ بما يَدُلُّ عليه ؛ وذلكَ حيثُ يمنعُ الشعرُ مِنَ التصريحِ بهِ ، فلا يكونُ في المنثورِ ، وأصلُهُ قولُ امرأةٍ عربيةٍ مِنْ عقيلٍ [2] [من الطويل]

فَمَا مُكْثُنَا دَامَ ٱلْجَمَالُ عَلَيْكُمَا ... بِـثَـهْـلَانَ إِلَّا أَنْ تُـشَـدَّ ٱلْأَبَـاعِـرُ

كأنَّها أرادَتْ أن تقولَ (تُشَدُّ الجمالُ) لتُجانسَ (الجَمالَ) جِناسَ التحريفِ ، فأبَتْ عليها القافيةُ

وأكثرَ المُتأخِّرونَ مِنِ استعمالِهِ ؛ كقولِ بعضِهِم [من المتقارب]

وَتَـحْـتَ ٱلْـبَـرَاقِـعِ مَـقْـلُـوبُـهَـا ... تَـدِبُّ عَـلَـىٰ وَرْدِ خَـدٍّ نَـدِيّْ



(١) أراد جبلاً وصخراً

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١/٢١٩)

الاستطرادُ

هوَ أن يَخرُجَ المُتكلِّمُ مِنَ الفنِّ الذي هوَ مُترسِّلٌ فيهِ إلىٰ معنىً يَذكرُهُ باستدعاءِ مناسبةٍ قويَّةٍ ، ثمَّ يرجعُ إلىٰ تتميمِ ما كانَ فيهِ ؛ كقولِ السموءلِ(١) [من الطويل]

وَإِنَّا أُنَاسٌ لَا نَرَى ٱلْقَتْلَ سُبَّةً   إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ

يُقَرِّبُ حُبُّ ٱلْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا   وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ

وَمَا مَاتَ مِنَّا وَاحِدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ   وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

فسياقُ القصيدةِ للفخرِ ، وتنسيقِ المآثرِ ، استطردَ منهُ إلىٰ هجاءِ عامرٍ وسلولَ ، ثمَّ عادَ إليهِ

والاستطرادُ كثيرٌ في القرآنِ ، وفي أشعارِ العربِ ، ترى الشاعرَ ماضياً في سننٍ ، فيَعترِضُهُ شيءٌ يستدعي الصِّفةَ ، فيَصِفُهُ ، فإذا أتمَّ عادَ

[أصلُ معنى الاستطرادِ]

وأصلُ معنى الكلمةِ أنَّ الفارسَ يكونُ بينَ يديْ قرنِهِ ، فيُظهِرُ أنَّهُ انهزمَ ويَفِرُّ ، فيَطلُبُهُ عادياً خلفَهُ ، حتىٰ إذا استشعرَ صاحبُ المكيدةِ أنَّ تابعَهُ قد أفرغَ قُوَّتَهُ ، وبطلَ استعدادُهُ ، وصارَ في أسرِ ميلِ الطَّلبِ عطفَ عليهِ المطلوبُ ، فكانَ الطالبُ قاتلَ نفسِهِ



(١) انظر « ديوان السموءل » (ص ١٢ ـ ١٣)

ومِنْ شواهدِ النوعِ قولُ البحتريِّ في صفةِ فرسٍ [1] [من الكامل]

يَهْوِي كَمَا هَوَتِ ٱلْعُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ صَيْداً وَيَنْتَصِبُ ٱنْتِصَابَ ٱلْأَجْدَلِ

مَا إِنْ يَعَافُ قَذىً وَلَوْ أَوْرَدْتَهُ يَوْماً خَلَائِقَ حَمْدَوَيْهِ ٱلْأَحْوَلِ

جَذْلَانَ يَنْفُضُ عُذْرَةً فِي غُرَّةٍ يَقَقٍ تَسِيلُ حُجُولُهَا فِي جَنْدَلِ



(١) انظر « ديوان البحتري » (٣/١٧٤٥)

المقابلةُ

هيَ أن تذكرَ معنيَينِ فأكثرَ ، ثمَّ تقابلَ كلاًّ بضدِّهِ

وأكـرمُ شاهدٍ لها قـولُهُ تعالىٰ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ (١)

ومَـنِ استغنىٰ فقد عصىٰ ولـم يـتَّـقِ ، وقـولُـهُ ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ (٢)

ثمَّ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « لَمْ يَكُنِ ٱلرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا [زَانَهُ] ، وَلَمْ يَكُنِ ٱلْخُرْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا [شَانَهُ] » (٣)

ومِنَ الشعرِ قولُ بعضِهِم (٤) [من الطويل]

عَـلَـىٰ رَأْسِ عَـبْـدٍ تَـاجُ عِـزٍّ يَـزِيـنُـهُ وَفِـي رِجْـلِ حُـرٍّ قَـيْـدُ ذُلٍّ يَـشِـيـنُـهُ

وقولُ الطُّغرائيِّ (٥) [من البسيط]

حُلْوُ ٱلْفُكَاهَةِ مُرُّ ٱلْجِدِّ قَدْ مُزِجَتْ بِـشِـدَّةِ ٱلْـبَـأْسِ مِـنْـهُ رِقَّـةُ ٱلْـغَـزَلِ

ولأبي الطيبِ (٦) [من البسيط]

أَزُورُهُـمْ وَسَـوَادُ ٱلـلَّـيْـلِ يَـشْـفَـعُ لِـي وَأَنْـثَـنِـي وَبَـيَـاضُ ٱلصُّبْحِ يُغْرِي بِي

(١) سورة الليل (٥ ـ ١٠)
(٢) سورة التوبة (٨٢)
(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٣٢٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها
(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢١٠)
(٥) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٣)
(٦) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٣٩)

وأخذهُ منهُ بعضُهُم فقالَ (١)　　　　[من الكامل]

أَقْلِي ٱلنَّهَارَ إِذَا أَضَاءَ صَبَاحُهُ　　وَأَظَلُّ أَنْتَظِرُ ٱلظَّلَامَ ٱلدَّامِسَا
فَٱلصُّبْحُ يَشْمَتُ بِي فَيُقْبِلُ ضَاحِكاً　　وَٱللَّيْلُ يَرْثِي لِي فَيُدْبِرُ عَابِسَا



(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٠٩)

الاستخدامُ

هوَ أن تَذكرَ لفظاً وتعيدَ عليهِ ضميراً تريدُ بهِ معنىً آخَرَ لذٰلكَ اللفظِ ، أو تعيدَ عليهِ ضميرَينِ تريدُ بثانيهِما غيرَ ما أردتَ بأوَّلِهما

فمِنَ الأوَّلِ قولُهُ[1] [من الوافر]

إِذَا نَـزَلَ ٱلـسَّـمَـاءُ بِـأَرْضِ قَـوْمٍ ... رَعَـيْـنَـاهُ وَإِنْ كَـانُـوا غِـضَـابَـا

ولابنِ نباتةَ المصريِّ[2] [من الطويل]

إِذَا لَمْ تَفِضْ عَيْنِي ٱلْعَقِيقَ فَلَا رَأَتْ ... مَنَازِلَهُ بِٱلسَّفْحِ تُزْهَىٰ وَتُزْهَرُ

وَإِنْ لَمْ تُوَاصِلْ عَادَةَ ٱلسَّفْحِ مُقْلَتِي ... فَلَا عَادَهَا عَيْشٌ بِمَغْنَاهُ أَخْضَرُ



ومِنَ الثاني قولُ البحتريِّ[3] [من الكامل]

فَسَقَى ٱلْغَضَا وَٱلسَّاكِنِيهِ [وَإِنْ هُمُ] ... شَبُّوهُ بَيْنَ جَوَانِحٍ وَقُلُوبِ

الغضا اسمٌ لمكانَينِ معروفَينِ ، واسمُ شجرٍ نارُهُ شديدةٌ لصلابتِهِ ؛ يُقالُ إنَّ نارَهُ تَمكُثُ تحتَ الترابِ المُطفِئِ عادةً للنارِ ستةَ أشهرٍ

[نوعٌ آخر مِنَ الاستخدامِ]

وثَمَّ استخدامٌ آخَرُ أثبتَهُ بعضُهُم ؛ وهوَ أن تذكرَ كلمةً ذاتَ معنيَينِ وتريدَهُما

(١) تقدم (٢/١٦)

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٧١)

(٣) انظر « ديوان البحتري » (١/٢٤٦)

جميعاً ، ناصباً في الكلامِ لكلٍّ منهُما دليلاً ؛ كقولِ بعضِهِم[1] [من السريع]

دَعِ ٱلْهُوَيْنَىٰ وَٱنْتَصِبْ وَٱكْتَسِبْ   وَٱكْدَحْ فَنَفْسُ ٱلْحُرِّ كَدَّاحَهْ

وَكُنْ عَنِ ٱلرَّاحَةِ فِي مَعْزِلٍ   فَٱلصَّفْحُ مَوْجُودٌ مَعَ ٱلرَّاحَهْ

ومنهُ في الكتابِ العزيزِ : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾[2]

ومِنَ الاستخدامِ الأوَّلِ فيهِ قولُهُ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾[3] في أحدِ التفسيرَينِ



(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٧١) ، وعزاهما للسراج الوراق

(٢) سورة الرعد (٣٨ ـ ٣٩)

(٣) سورة المؤمنون (١٢ ـ ١٣)

الافتنانُ

هوَ أن يَجمعَ المُتكلِّمُ بينَ فنَّينِ مِنَ المعاني ؛ مثلُ الغزلِ والحماسةِ ، والمدحِ والهجاءِ ، والتهنئةِ والتعزيةِ ، قالَ تعالىٰ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[1] ، صدرُ الآيةِ تسليةٌ لعامَّةِ الناسِ وتعزيةٌ ، وبيانُ موضعِ التأسّي ؛ فإنَّ الأمرَ متىٰ عمَّ هانَ ، وعَجُزُها تَمدُّحٌ بالانفرادِ بالبقاءِ والجلالِ ؛ أيِ العظمةِ ، والإكرامِ ؛ أيِ الإعظامِ ، فهُما لهُ لذاتِهِ ، وما كانَ منهُما لغيرِهِ فبإحسانِهِ وإفضالِهِ

[تعزيةٌ وتهنئةٌ]

ويُحكىٰ أنَّهُ لمَّا أجابَ أميرُ المؤمنينَ معاويةُ رضيَ اللهُ عنهُ داعيَ ربِّهِ ، وخَلَفَهُ ابنُهُ يزيدُ دخلَ عليهِ الناسُ يومَ جلوسِهِ لهُم ، فلم يَتكلَّمْ أحدٌ بشيءٍ ؛ حَيرةً بينَ المصيبةِ السالفةِ والنعمةِ الخالفةِ ، حتىٰ دخلَ عبدُ اللهِ بنُ همامٍ السَّلوليُّ ، فقالَ آجرَكَ اللهُ على الرزيَّةِ ، وبارَكَ لكَ في العطيَّةِ ، وأعانَكَ على الرعيَّةِ ، فقد رُزئتَ عظيماً ، وأُعطيتَ جسيماً ، فاشكرِ اللهَ علىٰ ما أُعطِيتَ ، واصبرْ علىٰ ما رُزيتَ ؛ فقد فقدتَ الخليفةَ ، وأُعطِيتَ الخلافةَ ، ففارقتَ خليلاً ، ووُهِبتَ جليلاً ، ثمَّ أنشدَ [من البسيط]

اِصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ ... وَٱشْكُرْ حِبَاءَ ٱلَّذِي بِٱلْمُلْكِ أَصْفَاكَا
لَا رُزْءَ أَصْبَحَ فِي ٱلْأَقْوَامِ نَعْلَمُهُ ... كَمَا رُزِئْتَ وَلَا عُقْبَىٰ كَعُقْبَاكَا[2]

ذٰلك فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ

---

(١) سورة الرحمٰن (٢٦ ـ ٢٧)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١/٣٢١)

كما يُحكىٰ أنَّ أعرابيَّةً لقيَتْ أبا جعفرٍ المنصورَ ـ ثانيَ خلفاءِ بني العباسِ ـ في طريقِ الحجازِ وقد حجَّ بالناسِ أوّلَ حِجَّةٍ بعدَ موتِ أخيهِ السَّفَّاحِ أوَّلِهم ، فقالَتْ لهُ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قد أحسنَ اللهُ إليكَ في الحالتَينِ ، وأعظمَ النعمةَ عليكَ في المنزلتَينِ ، سلبَكَ خليفةَ اللهِ ، وأفادَكَ خلافةَ اللهِ ، فاحتسِبْ عندَ اللهِ ما سلبَكَ ، واشكرْ لهُ ما وهَبَكَ ، وتَجاوزَ اللهُ عن أميرِ المؤمنينَ ، وباركَ لكَ في إمرةِ المؤمنينَ

ثمَّ دخلَ الناسُ بعدُ مِنْ هٰذا البابِ ، فقالوا وأحسنوا ؛ كأبي نُوَاسٍ وأبي تمامٍ ومَنْ جاءَ بعدَهُم (١)

ومِنَ الافتنانِ بالجمعِ بينَ الغزلِ والحماسةِ قولُ ذي اليمينَينِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ (٢) [من الخفيف]

نَحْنُ قَوْمٌ تُذِيبُنَا ٱلْأَعْيُنُ ٱلنُّجْـ ـلُ عَلَىٰ أَنَّنَا نُذِيبُ ٱلْحَدِيدَا
طَوْعُ أَيْدِي ٱلْغَرَامِ تَقْتَادُنَا ٱلْغِيـ ـدُ وَنَقْتَادُ بِٱلطِّعَانِ ٱلْأُسُودَا
نَمْلِكُ ٱلصَّيْدَ ثُمَّ تَمْلِكُنَا ٱلْبِيـ ـضُ ٱلْمَصُونَاتُ أَعْيُناً وَخُدُودَا
تَتَّقِي سُخْطَنَا ٱلْأُسُودُ وَنَخْشَىٰ سَخْطَةَ ٱلْخِشْفِ حِينَ يُبْدِي ٱلصُّدُودَا
فَتَرَانَا يَوْمَ ٱلْكَرِيهَةِ أَحْرَا راً وَفِي ٱلسِّلْمِ لِلْحِسَانِ عَبِيدَا

وإذا جمعَ المُتكلِّمُ بينَ معانٍ كثيرةٍ . خُصَّ مِنْ بينِ الافتنانِ باسمِ التمريجِ ؛ أي جعلِ الكلامِ مثلَ المَرْجِ يَشتمِلُ علىٰ أنواعِ النباتاتِ المختلفةِ



(١) انظر « ربيع الأبرار » (٤/٤١٣)
(٢) كذا في « أنوار الربيع » (١/٣٢٤)

اللفُّ والنشرُ

هوَ أن تَذكُرَ مُتعدِّداً بلفظٍ واحدٍ ، ثمَّ تَذكُرَ مُتعدِّداً آخرَ مُفصّلاً بألفاظٍ ؛ لكلِّ واحدٍ مِنَ الأوّلِ واحدٌ مِنَ الثاني ، مُعتمِداً في ذلكَ على فهمِ المُخاطَبِ ، أو تَذكُرَ مُتعدِّداً بألفاظٍ ، ثمَّ تعقبَهُ بمثلِهِ على ذلكَ

فمِنَ الأوّلِ قولُهُ تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[1] ، فالواوُ في (وقالوا) عبارةٌ عنِ اليهودِ والنصارىٰ ؛ فالمعنىٰ قالَ اليهودُ لن يَدخُلَ الجنَّةَ إلَّا مَنْ كانَ هوداً ، وقالَتِ النصارىٰ لن يَدخُلَ الجنَّةَ إلَّا مَنْ كانَ نصارىٰ ، وتَفهمُ ذلكَ بعلمِكَ أنَّ كلّاً مِنَ الأُمَّتَينِ تُكفِّرُ صاحبتَها

ومنهُ قولُ ابنِ حَيُّوسٍ[2] [من الطويل]

ثَمَانِيَةٌ لَمْ تَفْتَرِقْ مُذْ جَمَعْتَهَا ... فَلَا ٱفْتَرَقَتْ مَا ذَبَّ عَنْ نَاظِرٍ شُفْرُ

يَقِينُكَ وَٱلتَّقْوَىٰ وَجُودُكَ وَٱلْغِنَىٰ ... وَلَفْظُكَ وَٱلْمَعْنَىٰ وَعَزْمُكَ وَٱلنَّصْرُ



ومِنَ الثاني قولُهُ تعالىٰ ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[3] ، ومنهُ قولُ عليِّ ابنِ الروميِّ في المدحِ[4] [من الكامل]

آرَاؤُكُمْ وَوُجُوهُكُمْ وَسُيُوفُكُمْ ... فِي ٱلْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومُ

مِنْهَا مَعَالِمُ لِلْهُدَىٰ وَمَصَابِحٌ ... تَجْلُو ٱلدُّجَىٰ وَٱلْأُخْرَيَاتُ رُجُومُ

---

(١) سورة البقرة (١١١)

(٢) انظر « ديوان ابن حيُّوس الغنوي » (١/٢٤٢)

(٣) سورة القصص (٧٣)

(٤) انظر « ديوان ابن الرومي » (٦/٢٣٤٥)

ومنهُ في الغراميّ قولُ حَمْدُونةَ الأندلسيَّةِ[1] [من الطويل]

وَلَـمَّـا أَبَى ٱلْـوَاشُـونَ إِلَّا فِـرَاقَـنَـا ... وَلَيْسَ لَهُمْ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ ثَارِ
وَشَنُّوا عَلَىٰ أَسْمَاعِنَا كُلَّ غَارَةٍ ... وَقَلَّ حُمَاتِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَنْصَارِي
غَزَوْتُهُمْ مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَأَدْمُعِي ... وَمِنْ نَفَسِي بِٱلسَّيْفِ وَٱلسَّيْلِ وَٱلنَّارِ

وحمدونةُ هٰذهِ مِنْ كُبْرَيَاتِ الأدباءِ ، وكانَ يُقالُ لها خنساءُ المَغربِ ، وهيَ صاحبةُ الأبياتِ المنسوبةِ غلطاً لأبي نصرِ المنازي ، وقد ذُكِرَتْ في ترجمتِها لمعاصريها قبلَ مولدِ المَنَازِيّ بحينٍ ، وهيَ قولُها[2] [من الوافر]

وَقَـانَـا لَـفْـحَـةَ ٱلرَّمْـضَـاءِ وَادٍ ... سَقَاهُ مُضَاعَفُ ٱلْغَيْثِ ٱلْعَمِيمِ
نَزَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَا عَلَيْنَا ... حُنُوَّ ٱلْمُرْضِعَاتِ عَلَى ٱلْفَطِيمِ
وَأَرْشَفَنَا عَلَىٰ ظَمَأٍ زُلَالاً ... أَلَذَّ مِنَ ٱلْمُدَامَةِ لِلنَّدِيمِ
يَصُدُّ ٱلشَّمْسَ أَنَّىٰ وَاجَهَتْنَا ... فَيَحْجُبُهَا وَيَأْذَنُ لِلنَّسِيمِ
تَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ ٱلْعَذَارَىٰ ... فَتَلْمِسُ جَانِبَ ٱلْعِقْدِ ٱلنَّظِيمِ

وقد أخبرَتْ في شعرِها عن شعبِها حيثُ قالَتْ : (وقلَّ حُماتي عندَ ذاكَ) ، فتلكَ مِنْ عباراتِ النساءِ ، وحديثُ الرَّضاعِ والفِطامِ والحَلْيِ أليقُ شيءٍ بشعرِ امرأةٍ

[أمثلةٌ مِن محاسنِ الأدبِ]

ومِنْ محاسنِ الأدبِ أن يشيرَ المُتكلِّمُ في شعرِهِ أو نثرِهِ بحالِهِ ، ومنهُ قولُ عليِّ بنِ بشرٍ الكاتبِ مِنْ شعراءِ « اليتيمةِ »[3] [من مجزوء الكامل]

يَـا مَـنْ يَـمُـرُّ وَلَا تَـمُـرُّ ... بِـهِ ٱلْـقُـلُـوبُ مِـنَ ٱلْـفَـرَقْ

---

(١) انظر « نفح الطيب » (٤/٢٨٧)
(٢) انظر « نفح الطيب » (٤/٢٨٨)
(٣) انظر « أنوار الربيع » (١/٣٥٠ ـ ٣٥١)

بِـــعِــــمَــــامَـــةٍ مِـــنْ خَــــدِّهِ أَوْ خَــــدُّهُ مِـــنْــهَـــا ٱسْـــتَــرَقْ
فَـــــكَـــأَنَّـــــهُ وَكَـــأَنَّـــــهَـــــا قَــمَــرٌ تَــعَــمَّــمَ بِــٱلــشَّــفَــقْ
فَـــإِذَا بَــــدَا وَإِذَا ٱنْـــثَـــنَـــىٰ [وَإِذَا] شَـــــدَا وَإِذَا نَــــطَـــقْ
شَــغَــلَ ٱلْــخَــوَاطِــرَ وَٱلْـجَــوَا رِحَ وَٱلْــمَــسَــامِــعَ وَٱلْــحَــدَقْ

وعارضَهُ ابنُ خفاجةَ الأندلسيُّ بقولِهِ (١) [من مجزوء الكامل]

وَمُــهَــفْــهَــفٍ طَــاوِي ٱلْــحَــشَــا خَــنِــثِ ٱلْـمَـعَــاطِـفِ وَٱلــنَّــظَــرْ
مَـــلأَ ٱلْـــعُـــيُـــونَ بِـــصُـــورَةٍ تُـــلِـيَــتْ مَــحَــاسِــنُــهَــا سُــوَرْ
فَـــإِذَا رَنَـــا وَإِذَا مَـــشَـــىٰ وَإِذَا شَــــدَا وَإِذَا سَــــفَـــرْ
فَــضَــحَ ٱلْــغَــزَالَــةَ وَٱلْــغَــمَــا مَــةَ وَٱلْــحَــمَــامَــةَ وَٱلْــقَــمَــرْ



ويكونُ النشرُ علىٰ ترتيبِ اللَّفِ ، الأوَّلُ للأوَّلِ وهٰكذا ، ويكونُ غيرَ ذٰلكَ ، وحسنُ هٰذا النوعِ إذا سلمَ مِنَ العقادةِ ، ولم يَتبيَّنْ كونُ القصدِ إليهِ فقطْ ، وما كانَ مِنْ بعضِ الشعراءِ مِنَ القصدِ إليهِ بتكثيرِ العددِ إنَّما هوَ لاختبارِ القُوَّةِ ، وتقييدِ النكتةِ ؛ كقولِ بعضِهِم (٢) [من الطويل]

يُقَطِّعُ بِٱلسِّكِّينِ بِطِّيخَةً ضُحىً عَلَىٰ طَبَقٍ فِي مَجْلِسٍ لِأَصَاحِبِهْ
كَبَدْرٍ بِبَرْقٍ قَدَّ شَمْساً أَهِلَّةً لَدَىٰ هَالَةٍ فِي ٱلْأُفْقِ بَيْنَ كَوَاكِبِهْ



(١) انظر « أنوار الربيع » (١/٣٥٠)
(٢) هو نجم الدين البارزي ، كما في « معاهد التنصيص » (٢/٢٧٦)

الاستدراكُ

هوَ ـ كما عرفتَ ـ رفعُ وَهْـمٍ يَنشأُ مِنَ الكلامِ بـ (لٰكنْ) وما بعدَها ، خلا أنَّـهُ لا يُعَدُّ مِنَ البديعِ إلَّا إذا اشتملَ علىٰ نكتةٍ زائدةٍ يَعترِفُ بها الذَّوقُ ؛ كقولِ أبي دويدةَ يُخاطِبُ رجلاً أودعَ قاضياً [وديعةً][1] فادَّعىٰ ضَياعَها[2]

[من الكامل]

إنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّهَا ... ضَاعَتْ وَلَٰكِنْ مِنْكَ يَعْنِي لَوْ تَعِي

أَوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّهَا ... وَقَعَتْ وَلَٰكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعِ

ولصدرِ الدينِ بنِ الوكيلِ[3]

[من الطويل]

وَبِي مَنْ قَسَا قَلْباً وَلَانَ مَعَاطِفاً ... إِذَا قُلْتُ أَدْنَانِي يُضَاعِفُ تَبْعِيدِي

أُقِرُّ بِرِقٍّ إِذْ أَقُولُ أَنَا لَهُ ... وَكَمْ قَالَهَا يَوْماً وَلَٰكِنْ لِتَهْدِيدِي

ولبعضِهِم

[من الطويل]

يَحُجُّونَ بِٱلْمَالِ ٱلَّذِي يَجْمَعُونَهُ ... حَرَاماً إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ٱلْمُحَرَّمِ

وَيَزْعُمُ كُلٌّ أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُمْ ... تُحَطُّ وَلَٰكِنْ فَوْقَهُمْ فِي جَهَنَّمِ



---

(١) ليست في الأصل

(٢) كذا في « أنوار الربيع » (٣٨٩/١) ، وفي « معاهد التنصيص » (١٨٥/٣) (ابن الدويدة) بدل (أبي الدويدة)

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (١٨٢/٣)

الإبهامُ

هوَ أن تأتيَ بعبارةٍ تَحتمِلُ مقصدَينِ على السَّواءِ ؛ كهجاءٍ ومديحٍ ؛ لتبلغَ مِنْ غَرَضِكَ بما لا يُمسَكُ عليكَ

قالَ محمدُ بنُ حزمٍ يُخاطِبُ المأمونَ حينَ تَزوَّجَ بابنةِ الحسنِ بنِ سهلٍ بُورانَ التي تُنسَبُ إليها الأَطبِخةُ البُورانيَّةُ(١) [من مجزوء الخفيف]

بَـــارَكَ ٱللهُ لِـــلْـــحَـــسَـــنْ ... وَلِـــبُـــورَانَ فِـــي ٱلْـــخَـــتَـــنْ

يَـــا إِمَـــامَ ٱلْـــهُـــدَىٰ ظَـــفِـــرْ ... تَ وَلَٰكِنْ بِـــبِـــنْـــتِ مَـــنْ

فهٰذا يَحتمِلُ التعظيمَ والتحقيرَ ؛ أي ببنتِ مَنْ بلغَ فِي العِظَمِ إلىٰ حدٍّ خرجَ عنِ التصوُّرِ ، أو في الحَقارةِ

[فطنةُ ابنِ الجوزيِّ رحمَهُ اللهُ]

ومنهُ ما يُحكىٰ أنَّ سائلاً عجميّاً سألَ ابنَ الجوزيِّ الواعظَ أيُّ الرجلَينِ أفضلُ أبو بكرٍ أم عليٌّ ؟ فقالَ مَنْ كانَتِ ابنتُهُ تحتَهُ ، فالضَّميرُ الأوَّلُ إن عادَ علىٰ (مَنْ) فهوَ تفضيلٌ لأبي بكرٍ ، وابنتُهُ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها ، فالضَّميرُ الثاني يَرجِعُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، وإن عادَ الضَّميرُ الثاني علىٰ (مَنْ) فهوَ تفضيلٌ لعليٍّ ، وهٰذا النوعُ هوَ ما يُسمِّيهِ النحويونَ إجمالاً حيثُ يَتكلَّمونَ على الإلباسِ



(١) انظر « معاهد التنصيص » (٣/١٣٩)

المُطابقةُ

هيَ الجمعُ بينَ ضدَّينِ ؛ فإن كانَ أحدُ اللفظَينِ مَجازاً سُمِّيَتِ المُطابقةَ الإيهاميَّةَ ، وإن كانتِ الألفاظُ مِنْ ألفاظِ الألوانِ سُمِّيَتْ تدبيجاً

وقد تكونُ المُطابقةُ بحَسَبِ المعنىٰ أوِ الاستلزامِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ معَ قولِهِ ﴿ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ (١) ؛ معناهُ إنَّا صادقونَ ، وقولِهِ ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ ﴾ (٢) ، فالرحمةُ تستلزمُ اللِّينَ

فمِنَ المُطابقةِ : مثلُ قولِهِ تعالىٰ ﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ (٣)

ومِنَ المُطابقةِ الجمعُ بينَ إثباتِ شيءٍ ونفيِهِ ؛ مثلُ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا ﴾ (٤)

وأحسنُ المُطابقةِ ما صحِبَها نوعٌ آخَرُ مِنَ البديعِ يكسوها جمالاً ؛ كقولِ فخرِ الدينِ ابنِ مَكَانِسَ (٥) [من الخفيف]

يَـا بْـنَ عَـمِّ ٱلـنَّـبِـيِّ إِنَّ أُنَـاسـاً قَـدْ تَـوَلَّـوْكَ بِـٱلـسَّـعَـادَةِ فَـازُوا
أَنْـتَ لِـلْـعِـلْـمِ فِـي ٱلْـحَـقِـيـقَـةِ بَـابٌ يَـا إِمَـامِـي وَمَـنْ سِـوَاكَ مَـجَـازُ



(١) سورة يسٓ (١٥ ـ ١٦)
(٢) سورة الفتح (٢٩)
(٣) سورة آل عمران (٢٦)
(٤) سورة الروم (٦ ـ ٧)
(٥) انظر « أنوار الربيع » (٥٣/٢)

إرسالُ المثلِ والكلامُ الجامعُ

هما نوعانِ ، فَرَّقَ بينَهُما أهلُ البديعِ بكونِ الأوَّلِ بعض بيتٍ ، والثاني بيتاً كاملاً ؛ كقولِ أبي الطيبِ في إرسالِ المثلِ [1] [من البسيط]

فَإِنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ ... لَيْسَ ٱلتَّكَحُّلُ فِي ٱلْعَيْنَيْنِ كَٱلْكَحَلِ

وقولِ امرئِ القيسِ في الكلامِ الجامعِ [2] [من الطويل]

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ ... فَلَيْسَ عَلَىٰ شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ

وحيثُ كانَ المقصودُ منهُما واحداً فالأحسنُ جعلُهُما نوعاً واحداً ، والضَّابطُ أن يكونَ الكلامُ صالحاً لأن يُتمثَّلَ بهِ في مواطنَ كثيرةٍ لغَرَضٍ ؛ كتسلِّي المحزونِ ، وتشجيعِ الجبانِ ، وتخميدِ الفتنةِ ، وتسكينِ سَورةِ الغضبِ ، وتبكيتِ الخصمِ ، وتحليةِ العتابِ ، وتحسينِ الشكرِ ، وتصبيرِ الجازعِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ المقاصدِ

وأهلُ الحماساتِ يترجمونَ للشعرِ المُشتمِلِ علىٰ مثلِ هٰذا بـ (بابِ الآدابِ) ، ومثلُ هٰذا الكلامِ هوَ المعنيُّ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ ٱلْكَلِمِ » [3] ؛ يعني الكلامَ القليلَ الألفاظِ الكثيرَ المعنى ، الذي يُؤثِّرُ في النفوسِ ؛ بما فيهِ مِنَ الحِكَمِ المُعرِفةِ المنافعَ التي تَطلُبُها النفوسُ ، والمَضارَّ التي تهربُ منها

وقد أكثرَ الناسُ مِنَ التآليفِ في الأمثالِ العربيةِ وغيرِها مِنَ الشعرِ وغيرِهِ ،

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥٩)

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٩٠)

(٣) أخرجه مسلم (٥٢٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

وللطِّباعِ استراحةٌ إلى الأمثالِ ؛ فإنَّكَ تجدُها في سائرِ أجناسِ الناسِ يَجعلونَها في أحاديثِهِم منتهى الحُجَّةِ ، وموضعَ الحِكَمِ ، وذريعةَ الإذعانِ والاعترافِ

قالَ الزمخشريُّ : (ولضربِ العربِ الأمثالَ واستحضارِهِمُ المثلَ والنظائرَ شأنٌ ليسَ بالخفيِّ في إبرازِ خبيئاتِ المعاني ، ورفعِ الأستارِ عنِ الحقائقِ ، حتىٰ تريكَ المَخيلَ في صورةِ المُحقَّقِ ، والمُتوهَّمَ في مَعرِضِ المُتيقَّنِ ، والغائبَ كأنَّهُ مشاهدٌ ، وفيهِ تبكيتٌ للخصمِ الألدِّ ، وقمعٌ لسَورةِ الجامحِ الأبيِّ ، ولأمرٍ ما أكثرَ اللهُ تعالىٰ في كتابِهِ المبينِ وفي سائرِ كتبِهِ الأمثالَ ، وفشتْ في كلامِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ، وكلامِ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ ، والحكماءِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [١] ، ومِنْ سُوَرِ الإنجيلِ سورةُ الأمثالِ

ولم يضربوا مثلاً ولا رأوهُ أهلاً للتسييرِ ولا جديراً بالقَبولِ إلَّا قولاً فيهِ غرابةٌ مِنْ بعضِ الوجوهِ ، ومِنْ ثَمَّ حُوفِظَ عليهِ ، وحُمِيَ عن التغييرِ) انتهىٰ [٢]

[أمثالٌ مِنَ القرآنِ الكريمِ]

وقد عقدَ جعفرُ ابنُ شمسِ الخلافةِ في كتاب « الآداب » باباً في ألفاظٍ مِنَ القرآنِ جاريةٍ مَجرى الأمثالِ ، وأوردَ مِنْ ذٰلكَ قولَهُ تعالىٰ

- ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [٣]
- ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ [٤]

---

(١) سورة العنكبوت (٤٣)

(٢) تفسير الكشاف (١/١٠٩)

(٣) سورة آل عمران (٩٢)

(٤) سورة يوسف (٥١)

- ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ (١)

- ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ (٢)

- ﴿ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (٣)

- ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (٤)

- ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ (٥)

- ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (٦)

- ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ (٧)

- ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (٨)

- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (٩)

- ﴿ مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ (١٠)

- ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ (١١)

- ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (١٢)

---

(١) سورة الحج (١٠)
(٢) سورة يوسف (٤١)
(٣) سورة هود (٨١)
(٤) سورة سبأ (٥٤)
(٥) سورة الأنعام (٦٧)
(٦) سورة فاطر (٤٣)
(٧) سورة الإسراء (٨٤)
(٨) سورة البقرة (٢١٦)
(٩) سورة المدثر (٣٨)
(١٠) سورة المائدة (٩٩)
(١١) سورة التوبة (٩١)
(١٢) سورة الرحمـٰن (٦٠)

- ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾ (١)

- ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ (٢)

- ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (٣)

- ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٤)

- ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (٥)

- ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٦)

- ﴿ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ (٧)

- ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (٨) انتهى (٩)

قالَ الماورديُّ (سمعت أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ مضاربِ بنِ إبراهيمَ يقولُ سمعتُ أبي يقولُ سألتُ الحسينَ بنَ الفضلِ فقلتُ إنَّكَ تُخرِجُ أمثالَ العربِ والعَجَمِ مِنَ القرآنِ ، فهل تَجِدُ في كلامِ اللهِ « خيرُ الأمورِ أوسطُها » ؟ قالَ نعم ، في أربعةِ مواضعَ

قولُهُ ﴿ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ (١٠)

---

(١) سورة البقرة (٢٤٩)

(٢) سورة الحشر (١٤)

(٣) سورة فاطر (١٤)

(٤) سورة المؤمنون (٥٣)

(٥) سورة سبأ (١٣)

(٦) سورة البقرة (٢٨٦)

(٧) سورة المائدة (١٠٠)

(٨) سورة الأنعام (١٦٤)

(٩) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة (ص ٦١ - ٦٣)

(١٠) سورة البقرة (٦٨)

وقولُهُ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (١)

وقولُهُ ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾ (٢)

﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ (٣)

قلتُ فهل تجدُ في كتابِ اللهِ « احذرْ شرَّ مَنْ أحسنتَ إليهِ » ؟ قالَ نعم ، ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ (٤)

قلتُ فهل تجدُ في كتابِ اللهِ « مَنْ جهلَ شيئاً عاداهُ » ؟ قالَ نعم ، في موضعَينِ

﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ ﴾ (٥)

﴿ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٌ قَدِيمٌ ﴾ (٦)

قلتُ فهل تجدُ : « ليسَ الخبرُ كالعِيانِ » ؟ قالَ في قولِهِ ﴿ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾ (٧)

قلتُ فهل تجدُ « في الحركاتِ بركاتٌ » ؟ قالَ في قولِهِ ﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (٨)

قلتُ فهل تجدُ « كما تدينُ تُدانُ » ؟ قالَ في قولِهِ ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ (٩)

---

(١) سورة الفرقان (٦٧)
(٢) سورة الإسراء (٢٩)
(٣) سورة الإسراء (١١٠)
(٤) سورة التوبة (٧٤)
(٥) سورة يونس (٣٩)
(٦) سورة الأحقاف (١١)
(٧) سورة البقرة (٢٦٠)
(٨) سورة النساء (١٠٠)
(٩) سورة النساء (١٢٣)

قلتُ فهل تجدُ فيهِ « لا يُلدَغُ المؤمنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَينِ » ؟ قالَ ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾[1]

قلتُ فهل تجدُ « مَنْ أعانَ ظالماً سُلِّطَ عليهِ » ؟ قالَ ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2]

قلتُ فهل تجدُ فيهِ قولَهُم « لا تلدُ الحيَّةُ إلَّا الحيَّةَ » ؟ قالَ ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[3]

قلتُ فهل تجدُ فيهِ « للحِيطانِ آذانٌ » ؟ قالَ ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾[4]

قلتُ فهل تجدُ فيهِ « الجاهلُ مرزوقٌ ، والعالمُ محرومٌ » ؟ قالَ ﴿ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾[5]

قلتُ : فهل تجدُ فيهِ : « الحلالُ لا يأتيكَ إلَّا قُوتاً ، والحرامُ يأتيكَ جِزافاً » ؟ قالَ ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾) انتهىٰ[6]

ويُقالُ لهٰذهِ الأمثالِ كوامنُ القرآنِ ، تَتمثَّلُ بالمثلِ منها وتُتبِعُهُ بأن تقولَ وتصديقُ ذٰلكَ في كتابِ اللهِ تعالىٰ حيثُ يقولُ كذا

مثلاً يقتضي الحالُ أن تَتمثَّلَ بـ (خيرُ الأمورِ أوسطُها) ، فتقولُ خيرُ

---

(١) سورة يوسف (٦٤)
(٢) سورة الحج (٤)
(٣) سورة نوح (٢٧)
(٤) سورة التوبة (٤٧)
(٥) سورة مريم (٧٥)
(٦) أورده الإمام السيوطي في « الإتقان » (١٩٣٩/٥ ـ ١٩٤١) ، والآية من سورة (الأعراف) (١٦٣)

الأمورِ أوسطُها ، وتصديقُ ذٰلكَ في قولِهِ تعالىٰ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[1] ، وهٰكذا



واعلمْ أنَّهُ يجبُ الحذرُ مِنَ التمسُّكِ ببعضِ الأمثالِ كما قالَ فخرُ الدينِ ابنُ مَكَانِسَ في أرجوزةٍ نصيحةً في فصلٍ منها يُبيِّنُ بهِ آدابَ زيارةِ الأصحابِ[2] [من مجزوء الرجز]

وَلَا تُطَفِّلْ ذَقْنَكَا ... وَلَا تَزُرْهُمْ وَٱبْنَكَا

وَلَا تَقُلْ لِمَنْ تُحِبْ ... ضَيْفُ ٱلْكِرَامِ يَصْطَحِبْ

فَهَٰذِهِ أَمْثَالُ ... غَالِبُهَا مُحَالُ

الأصحابُ المؤتلفونَ الذينَ ارتفعَتْ مِنْ بينِهِم كُلفةُ الاحتشامِ ، يجدونَ في اجتماعِهِم راحةَ نفوسِهِم ، وسرورَ قلوبِهِم ؛ حيثُ يرسلونَ أنفسَهُم علىٰ سجاياها ، يقولونَ ما يقولونَ ، ويفعلونَ ما يفعلونَ ؛ استراحةً مِنْ كَدِّ الجِدِّ إلىٰ فراغِ الهزلِ وقتاً ما مِنْ أوقاتِهِم ، كما قالَ بعضُهُم[3] [من المنسرح]

فِيَّ ٱنْقِبَاضٌ وَحِشْمَةٌ فَإِذَا ... لَاقَيْتُ أَهْلَ ٱلْوَفَاءِ وَٱلْكَرَمِ

أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَىٰ سَجِيَّتِهَا ... وَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

فإذا طرأَ عليهِم مَنْ لا يَعرِفونَ كَدَّرَ عليهِم صفاءَ وقتِهِم ، وألزمَهُمُ العَودَ إلىٰ وضعِ أنفسِهِم في أصفادِ الوَقارِ والحِشمةِ ، كما هوَ مقتضى الاحتراسِ اللَّازمِ للمحافظةِ علىٰ أسبابِ الأمنِ وتوفيرِ الأعراضِ وتزكيةِ

---

(١) سورة الفرقان (٦٧)

(٢) انظر « مطالع البدور في منازل السرور » (١/ ١٧٠) للأديب علاء الدين الغزولي

(٣) هو ابن كناسة ، كما في « أنوار الربيع » (٤/ ٦٥)

الناموسِ ، فلا يَسوغُ لصاحبِ أن يَعتمِدَ على المثلِ القائلِ (ضيفُ الكرامِ يَصْطَحِبُ)

كما أنَّ ما يُقالُ مِنْ بعضِ الناسِ في بابِ التشكِّي (الجاهلُ مرزوقٌ ، والعالمُ محرومٌ) وهوَ بابٌ واسعٌ أكثرَ الناسُ فيه مِنَ الكلامِ شعراً وغيرَ شعرٍ ، وهوَ كلامٌ غيرُ صحيحِ المعنىٰ ، ولا يقولُهُ عالمٌ حقيقيٌّ ، فإنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ قسمَ المعيشةَ علىٰ حَسَبِ أسبابِها التي عَيَّنَها لها ، وحاصلُ الأسبابِ التجارةُ ، والزراعةُ ، والصناعةُ ؛ فالتاجرُ يُرزَقُ رزقَ تجارتِهِ علىٰ حَسَبِها ، فمتىٰ كانَتْ في الأمورِ التي تُشَدُّ حاجةُ الناسِ إليها كانَ كثيرَ المبادلةِ سريعَها ؛ فتظهرُ أرباحُهُ ، ويكثرُ مالُهُ ، وإذا كانَتْ في أمورٍ مستغنىً عنها ، أوِ الحاجةُ إليها نادرةٌ كانَتْ علىٰ خلافِ ذٰلكَ ، والطمعُ والحرصُ يوجبُ شكايةَ هٰذا مِنْ عدمِ بلوغِهِ حالَ ذٰلكَ ، ولو نظرَ وجدَ نفسَهُ إنَّما أُتِيَتْ مِنْ قِبَلِها ؛ حيثُ لم يَسْعَ سعيَ ذٰلكَ ، فكانَتْ شكواهُ مِنْ جهلِهِ ؛ فإذاً يُقالُ (الجاهلُ محرومٌ) ، وهٰكذا القولُ في سائرِ الأسبابِ على اختلافِ أنواعِها ، وما فيها مِنَ المنافعِ المطلوبةِ

فإذاً ؛ يَتبيَّنُ لكَ أنَّ مَنْ صرفَ جميعَ أوقاتِهِ في تحصيلِ المعارفِ لم يكنْ لهُ وقتٌ يَصرِفُهُ في استعمالِ سببٍ مِنْ أسبابِ الدنيا ، فلم يكنْ في أوقاتِ تحصيلِهِ كاسباً ، ثمَّ إذا حصلَتْ لهُ معارفُهُ ، وبلغَ كمالَها الذي لمثلِها ؛ بحيثُ تَمكَّنَ مِنِ استعمالِها في أغراضِها وغاياتِها ، فإذا كانَتْ مِنَ الأمورِ التي يَحتاجُها الناسُ ، فبعدَ كونِها تُكسِبُهُ الجاهَ والشرفَ وعِظَمَ الرتبةِ التي تكونُ دونَها رتبةُ الملكِ ؛ فإنَّ المعارفَ تَجعلُ صاحبَها في رتبةِ الأنبياءِ تُكسِبُهُ مِنَ الدنيا ما يعطيهِ راحةَ نفسِهِ ، ورَفاهةَ سرِّهِ معَ الاحترامِ والإجلالِ مِنَ الكافَّةِ

وخُلاصةُ الكلامِ أنَّ الناسَ لا ينفعونَ إنساناً إلَّا بقدرِ انتفاعِهِم بهِ ،

فعليكَ أن تَتحقَّقَ بأنَّهُ لا دَخْلَ للعلمِ في الحرمانِ أصلاً ، وإنَّما ذٰلكَ سببُهُ الجهلُ

[أمثالٌ مِنَ الحديثِ الشريفِ]

هٰذا ؛ ولنعدْ للكلامِ في إرسالِ المثلِ والكلامِ الجامعِ مِنْ كلامِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ

- « آفَةُ ٱلْعِلْمِ ٱلنِّسْيَانُ ، وَإِضَاعَتُهُ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ » (١)
- « ٱلْحَزْمُ سُوءُ ٱلظَّنِّ » (٢)
- « ٱلْحَيَاءُ مِنَ ٱلْإِيمَانِ » (٣)
- « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ فِي ٱلْإِسْلَامِ » (٤)
- « ٱلظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » (٥)
- « طَائِرُ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي عُنُقِهِ » (٦)
- « ذُو ٱلْوَجْهَيْنِ لَا يَكُونُ عِنْدَ ٱللهِ وَجِيهاً » (٧)
- « ٱلْحِكْمَةُ ضَالَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ » (٨)
- « ٱلْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » (٩)

---

(١) أخرجه الدارمي في « سننه » (٦٤٨) عن الأعمش رحمه الله تعالىٰ يرفعه

(٢) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (٢٤) عن عبد الرحمٰن بن عائذ رحمه الله تعالىٰ يرفعه

(٣) أخرجه البخاري (٢٤) ، ومسلم (٣٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥١٨٩) عن سيدنا جابر رضي الله عنه

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٤٧) ، ومسلم (٢٥٧٩) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما

(٦) أخرجه أحمد (٣/٣٦٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(٧) أخرجه البخاري (٦٠٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ « تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين »

(٨) أخرجه الترمذي (٢٦٨٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٩) أخرجه البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه

ـ « ٱلصَّبْرُ عِنْدَ ٱلصَّدْمَةِ ٱلْأُولَىٰ »[1]

ـ « ٱلشَّاهِدُ يَرَىٰ مَا لَا يَرَى ٱلْغَائِبُ »[2]

ـ « ٱلْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِٱلْقَوْلِ »[3]

ـ « حَلِيفُ ٱلْقَوْمِ مِنْهُمْ »[4]

ـ « ٱلْآمِرُ بِٱلْمَعْرُوفِ كَفَاعِلِهِ »[5]

[أمثال من كلام سيدنا علي كرم الله وجهه]

ومِنْ كلامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، وكلامُهُ في هٰذا البحرُ الزخَّارُ[6]

ـ لا يَعدَمُ الصَّبورُ الظَّفَرَ وإن طالَ بهِ الزمانُ

ـ لكلِّ أمرٍ عاقبةٌ ؛ حُلوةٌ أو مُرَّةٌ

ـ المنيةُ ولا الدنيةُ

ـ صحةُ الجسدِ مِنْ قِلَّةِ الحسدِ

ـ قد أضاءَ الصُّبحُ لذي عينَينِ

ـ كم أكلةٍ تمنعُ أكَلاتٍ

ـ المرءُ مخبوءٌ تحتَ لسانِهِ

ـ قِلَّةُ العِيالِ أحدُ اليسارَينِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٣) ، ومسلم (٩٢٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه

(٢) أخرجه أحمد (٨٣/١) عن سيدنا علي رضي الله عنه

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٩٧) عن سيدنا أنس رضي الله عنه

(٤) أخرجه الدارمي في « سننه » (٢٥٧٠) عن سيدنا عمرو بن عوف رضي الله عنه

(٥) انظر « فيض القدير » (١٦٦/٣)

(٦) انظرها مجموعةً في « أنوار الربيع » (٦١/٢)

ـ الهمُّ نصفُ الهرمِ

ـ إضاعةُ الفُرْصةِ غُصَّةٌ

ـ قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحسِنُ

ـ فَقْدُ الأحبَّةِ غُربةٌ

ـ مَنْ حَذَّرَكَ كمَنْ بَشَّرَكَ

ـ مَنْ أطالَ الأملَ أساءَ العملَ

ـ رُبَّ قولٍ أنفذُ مِنْ صَوْلٍ

ـ الغِيبةُ جهْدُ العاجزِ

ـ مَنْ لم يعطِ قاعداً لم يعطِ قائماً

ـ مَنْ طلبَ شيئاً نالَهُ أو بعضَهُ

[أمثالٌ مِنْ شعرِ المتنبي]

هٰذا ؛ وأمَّا الكلامُ الذي يُتمثَّلُ بهِ مِنَ الأشعارِ أبياتاً وأبعاض أبياتٍ فلنوردْ لكَ منهُ جملةً تكونُ حِليةً لأدبِكَ

فمِنْ ذٰلكَ أبياتُ أبي الطيِّبِ المُتنبِّي

وقدِ استخرجَها الوزيرُ إسماعيلُ بنُ عبَّادٍ المشهورُ بالصَّاحبِ ، لسلطانِهِ فخرِ الدولةِ ابنِ بويهِ

وحينَ اطلعَ السلطانُ علىٰ تلكَ الرسالةِ التي ضمَّنَها ذٰلكَ الوزيرُ تلكَ الأمثالَ وضعَ فوقَ بعضِ الأبياتِ خاءً يشيرُ بها إلى انتخابِ ما وقعَ مِنِ استحسانِهِ موقعاً

وهٰذا لفظُ الرسالةِ بما فيها مِنَ العلامةِ[1]

الحمدُ للهِ الذي ضربَ الأمثالَ للناسِ ، لا يستحيي أن يضربَ مثلاً ما بعوضةً فما فوقَها ، وصلَّى اللهُ علىٰ أفصحِ العربِ ، وسِرِّ عبدِ المُطَّلبِ ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ أخيارِ الأممِ ، وأنوارِ الظُّلَمِ

كم مَثَلٍ ضُرِبَ !! فيهِ الحُجَّةُ البالغةُ ، والحكمةُ الواضحةُ

ثمَّ إنَّ اللهَ تعالىٰ قد أحيا بالأميرِ السيدِ شاهِنْشاه فخرِ الدولةِ وملكِ الأمَّةِ ـ أطالَ اللهُ بقاءَهُ ونصرَ لواءَهُ ـ داثرَ العلومِ والآدابِ ، وأقامَ برأيِهِ ورايتِهِ أسواقَهُما وكانَتْ في يدِ الكسادِ بلِ الذهابِ ، فهوَ يُقدِّمُ على المعرفةِ ، ويُقرِّبُ على التبصرةِ ، لا كالملوكِ الذينَ يُقالُ لهُم[2] [من البسيط]

دَعِ ٱلْمَكَارِمَ لَا تَنْهَضْ لِبُغْيَتِهَا ... وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي

ومِنْ نعمِ اللهِ عليهِ ، أدامَ اللهُ النعمَ لديهِ أنَّ اللهَ قَرَنَ ألفاظَهُ بفَضْلِ المَقالِ ، ووَشَّحَ كلامَهُ بضربِ الأمثالِ ، وسمعتُهُ ـ أعزَّ اللهُ نصرَهُ ـ يَتمثَّلُ كثيراً بفصوصٍ مِنْ شعرِ المُتنبِّي ، هيَ لُبُّ اللُّبِّ ، يضعُ فيها الهِناءَ موضعَ النَّقْبِ ، وهٰذا الشاعرُ معَ تمييزِهِ وبراعتِهِ وتبريزِهِ في صناعتِهِ لهُ في الأمثالِ خصوصاً مذهبٌ سبقَ بهِ أمثالَهُ ، فأمليتُ ما صدرَ عن « ديوانِهِ » مِنْ مَثَلٍ واقعٍ في فنِّهِ ، بارعٍ في معناهُ ولفظِهِ ، يكونُ تذكرةً في المجلسِ العالي ، تَلحظُها العينُ العاليةُ ، وتعيَها الأذنُ الواعيةُ

ثمَّ إن أمرَ ـ أعلى اللهُ أمرَهُ ـ أمليتُ بمشيئةِ اللهِ ما وقعَ مِنَ الأمثالِ في كلِّ ديوانٍ جاهليٍّ أو مخضرمٍ أو إسلاميٍّ ، فما أجدُ مِنَ الأدباءِ مَنْ عَمِلَ في ذٰلكَ

(١) انظر « الأمثال السائرة من شعر المتنبي » للصاحب ابن عباد (ص ٢١ ـ ٧٦)
(٢) تقدم (١/٦٥ ـ ٦٦)

كتاباً مُقنِعاً ، وجمعاً مُشبِعاً ، قَرَنَ اللهُ السعادةَ بأيامِهِ ، والمناجحَ بأعلامِهِ ، إنَّهُ فعَّالٌ لِمَا يريدُ

فَعُذْ بِهَا لَا عَدِمْتُهَا أَبَداً ... خَيْرُ صِلَاتِ ٱلْكَرِيمِ أَعْوَدُهَا (١)

❊ ❊

صَبْراً بَنِي إِسْحَاقَ عَنْهُ تَكَرُّماً ... إِنَّ ٱلْعَظِيمَ عَلَى ٱلْعَظِيمِ صَبُورُ

يَمَّمْتُ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نِيَّةٍ ... إِنَّ ٱلْمُحِبَّ عَلَى ٱلْبِعَادِ يَزُورُ (٢)

❊ ❊

فَمَوْتِي فِي ٱلْوَغَىٰ عَيْشِي لِأَنِّي ... رَأَيْتُ ٱلْعَيْشَ فِي أَرَبِ ٱلنُّفُوسِ (٣)

❊ ❊

أَهْوِنْ بِطُولِ ٱلثَّوَاءِ وَٱلتَّلَفِ ... خ ... وَٱلسِّجْنِ وَٱلْقَيْدِ يَا أَبَا دُلَفِ

لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيهِ مَنْقَصَةً ... خ ... لَمْ يَكُنِ ٱلدُّرُّ سَاكِنَ ٱلصَّدَفِ

غَيْرَ ٱخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بِي ... خ ... وَٱلْجُوعُ يُرْضِي ٱلْأُسُودَ بِٱلْجِيَفِ (٤)

❊

إِذَا قِيلَ رِفْقاً قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ ... خ ... وَحِلْمُ ٱلْفَتَىٰ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ (٥)

❊ ❊

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٧) ، وهو من المنسرح

(٢) ديوان المتنبي (ص ٥١) ، وهما من الكامل

(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٨) ، وهو من الوافر

(٤) ديوان المتنبي (ص ٣٥) ، والأبيات من المنسرح

(٥) ديوان المتنبي (ص ٣١) ، وهو من الطويل

يَفْنَى ٱلْكَلَامُ وَلَا يُحِيطُ بِوَصْفِكُمْ أَيُحِيطُ مَا يَفْنَىٰ بِمَا لَا يَنْفَدُ (١)

يَفْدِي بَنِيكَ عُبَيْدَ ٱللهِ حَاسِدُهُمْ بِجَبْهَةِ ٱلْعَيْرِ يُفْدَىٰ حَافِرُ ٱلْفَرَسِ (٢)

خَيْرُ ٱلطُّيُورِ عَلَى ٱلْقُصُورِ وَشَرُّهَا يَأْوِي ٱلْخَرَابَ وَيَسْكُنُ ٱلنَّاوُوسَا (٣)

وَمَا ٱلْغَضَبُ ٱلطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّىٰ بِمُنْتَصِفٍ مِنَ ٱلْكَرَمِ ٱلتِّلَادِ
وَإِنَّ ٱلْجُرْحَ يَفْنَأُ بَعْدَ حِينٍ إِذَا كَانَ ٱلْبِنَاءُ عَلَىٰ فَسَادِ (٤)

يَجْنِي ٱلْغِنَىٰ لِلِّئَامِ لَوْ عَقَلُوا مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمُ ٱلْعَدَمُ
هُمُ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَسْنَ لَهُمْ وَٱلْعَارُ يَبْقَىٰ وَٱلْجُرْحُ يَلْتَئِمُ (٥)

وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَامُ
وَمَا أَنَا مِنْهُمُ بِٱلْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَٰكِنْ مَعْدِنُ ٱلذَّهَبِ ٱلرَّغَامُ
خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خِلِّي وَإِنْ كَثُرَ ٱلتَّجَمُّلُ وَٱلْكَلَامُ
وَلَوْ حِيزَ ٱلْحِفَاظُ بِغَيْرِ عَقْلٍ تَجَنَّبَ عُنْقَ صَيْقَلِهِ ٱلْحُسَامُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٥) ، وهو من الكامل
(٢) ديوان المتنبي (ص ١٦) ، وهو من البسيط
(٣) ديوان المتنبي (ص ٤٢) ، وهو من الكامل
(٤) ديوان المتنبي (ص ٦٢) ، وهما من الوافر
(٥) ديوان المتنبي (ص ٦٧) ، وهما من المنسرح

وَشِبْهُ ٱلشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهُنَا بِدُنْيَانَا ٱلطَّغَامُ
وَلَوْ لَمْ يَعْلُ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ تَعَالَى ٱلْجَيْشُ وَٱنْحَطَّ ٱلْقَتَامُ
وَمَنْ خَبَرَ ٱلْغَوَانِيَ فَٱلْغَوَانِي ضِيَاءٌ فِي بَوَاطِنِهِ ظَلَامُ
وَمَا كُلٌّ بِمَعْذُورٍ بِبُخْلٍ وَلَا كُلٌّ عَلَىٰ بُخْلٍ يُلَامُ
تَلَذُّ لَهُ ٱلْمُرُوءَةُ وَهْيَ تُؤْذِي وَمَنْ يَعْشَقْ يَلَذُّ لَهُ ٱلْغَرَامُ
وَقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَقَبْضُ نَوَالِ بَعْضِ ٱلْقَوْمِ ذَامُ
أَقَامَتْ فِي ٱلرِّقَابِ لَهُ أَيَادٍ هِيَ ٱلْأَطْوَاقُ وَٱلنَّاسُ ٱلْحَمَامُ (١)

*

وَزَارَكَ بِي دُونَ ٱلْمُلُوكِ تَحَرُّجٌ إِذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجُزْ لِي ٱلتَّيَمُّمُ (٢)

* *

وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ حَتَّىٰ كَأَنَّ مَغِيبَهُ ٱلْأَقْذَاءُ (٣)

*

وَلَٰكِنَّ حُبّاً خَامَرَ ٱلْقَلْبَ فِي ٱلصَّفَا خ يَزِيدُ عَلَىٰ مَرِّ ٱلزَّمَانِ وَيَشْتَدُّ
وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ خ وَفِي عُنُقِ ٱلْحَسْنَاءِ يُسْتَحْسَنُ ٱلْعِقْدُ (٤)

فِي سَعَةِ ٱلْخَافِقَيْنِ مُضْطَرَبٌ وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٧٣) ، والأبيات من الوافر
(٢) ديوان المتنبي (ص ٨٦) ، وهو من الطويل
(٣) ديوان المتنبي (ص ٩٤) ، وهو من الكامل
(٤) ديوان المتنبي (ص ١٦٢) ، وفيه (الصبا) بدل (الصفا) ، وهما من الطويل

أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ ٱلنَّجَاحُ بِهِ ٱلطَّـ ـبْعُ وَعِنْدَ ٱلتَّعَمُّقِ ٱلزَّلَلُ (١)

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرّاً بِهِ ٱلْمَاءَ ٱلزُّلَالَا (٢)

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ ٱلْمَعَالِيَ نَافِذاً فِيهَا وَلَا كُلُّ ٱلرِّجَالِ فُحُولَا (٣)

اَلْحُبُّ مَا مَنَعَ ٱلْكَلَامَ ٱلْأَلْسُنَا وَأَلَذُّ شَكْوَىٰ عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَا خ

وَأَنَهَ ٱلْمُشِيرَ عَلَيْكَ فِيَّ بِضِلَّةٍ وَٱلْحُرُّ مُمْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ ٱلزِّنَا خ

وَمَكَايِدُ ٱلسُّفَهَاءِ وَاقِعَةٌ بِهِمْ وَعَدَاوَةُ ٱلشُّعَرَاءِ بِئْسَ ٱلْمُقْتَنَىٰ خ

لُعِنَتْ مُقَارَنَةُ ٱللَّئِيمِ فَإِنَّهَا ضَيْفٌ يَجُرُّ مِنَ ٱلنَّدَامَةِ ضَيْفَنَا (٤)

وَأَنْفَسُ مَا لِلْفَتَىٰ لُبُّهُ وَذُو ٱللُّبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ (٥)

لَا ٱفْتِخَارَ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ مُدْرِكٍ أَوْ مُحَارِبٍ لَا يَنَامُ

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ ٱلذَّلِيلَ بِعَيْشٍ رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ ٱلْحِمَامُ خ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ١٠٣) ، وهما من المنسرح

(٢) ديوان المتنبي (ص ١٠٩) ، وهو من الوافر

(٣) ديوان المتنبي (ص ١١٥) ، وهو من الكامل

(٤) ديوان المتنبي (ص ١١٦) ، والأبيات من الكامل

(٥) ديوان المتنبي (ص ١٢٣) ، وهو من المتقارب

خ

كُـلُّ حِـلْـمٍ أَتَـىٰ بِـغَـيْـرِ ٱقْـتِـدَارٍ   حُـجَّـةٌ لَاجِـئٌ إِلَـيْـهَـا ٱلـلِّـئَـامُ

مَـنْ يَـهُـنْ يَسْـهُـلِ ٱلْـهَـوَانُ عَـلَـيْـهِ   مَـا لِـجُـرْحٍ بِـمَـيِّـتٍ إِيـلَامُ

إِنَّ بَـعْـضـاً مِـنَ ٱلْـقَـرِيـضِ هُـرَاءٌ   لَـيْـسَ شَـيْـئـاً وَبَـعْـضَـهُ أَحْـكَـامُ (١)

❁ ❁ ❁

وَرُبَّـمَـا فَـارَقَ ٱلْإِنْـسَـانُ مُـهْـجَـتَـهُ   يَوْمَ ٱلْوَغَىٰ غَيْرَ قَالٍ خَشْيَةَ ٱلْعَارِ (٢)

❁

أَفَاضِلُ ٱلنَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا ٱلزَّمَنِ   يَخْلُو مِنَ ٱلْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ ٱلْفِطَنِ

فَقْرُ ٱلْجَهُولِ بِلَا عَقْلٍ إِلَىٰ أَدَبٍ   فَقْرُ ٱلْحِمَارِ بِلَا رَأْسٍ إِلَىٰ رَسَنِ

لَا تُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسْنُ بِزَّتِهِ   وَهَلْ يَرُوقُ دَفِيناً جُودَةُ ٱلْكَفَنِ (٣)

❁ ❁

اِنْـعَـمْ وَلَـذَّ فَـلِـلْأُمُـورِ أَوَاخِـرٌ   أَبَـداً كَـمَـا كَـانَـتْ لَـهُـنَّ أَوَائِـلُ

وَإِذَا أَتَـتْـكَ مَـذَمَّـتِـي مِـنْ نَـاقِـصٍ   فَـهِـيَ ٱلشَّـهَـادَةُ لِي بِـأَنِّـيَ كَـامِـلُ (٤)

❁ ❁ ❁

خ

فِي ٱلنَّاسِ أَمْثِلَةٌ تَدُورُ حَيَاتُهَا   كَمَمَاتِهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا (٥)

❁

---

(١) ديوان المتنبي (ص ١٢٥) ، والأبيات من الخفيف

(٢) ديوان المتنبي (ص ١٢٩) ، وهو من البسيط

(٣) ديوان المتنبي (ص ١٣١) ، والأبيات من البسيط

(٤) ديوان المتنبي (ص ١٣٨) ، وهما من الكامل

(٥) ديوان المتنبي (ص ١٤٧) ، وهو من الكامل

خ

وَمَنْ يُنْفِقِ ٱلسَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ ... مَخَافَةَ فَقْرٍ فَٱلَّذِي فَعَلَ ٱلْفَقْرُ

خ

وَلَا يَنْفَعُ ٱلْإِمْكَانُ لَوْلَا سَخَاؤُهُ ... وَهَلْ نَافِعٌ لَوْلَا ٱلْأَكُفُّ ٱلْقَنَا ٱلسُّمْرُ (١)

❋ ❋

ضُرُوبُ ٱلنَّاسِ عُشَّاقٌ ضُرُوبَا ... فَأَعْذَرُهُمْ أَشَفُّهُمُ حَبِيبَا (٢)

خ

وَمِنْ نَكَدِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْحُرِّ أَنْ يَرَىٰ ... عَدُوّاً لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

وَأُكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءٍ بِغِيبَةٍ ... وَكُلُّ ٱغْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ لَا لَهُ جُهْدُ

فَمَا فِي سَجَايَاكُمْ مُنَازَعَةُ ٱلْعُلَا ... وَلَا فِي طِبَاعِ ٱلتُّرْبَةِ ٱلْمِسْكُ وَٱلنَّدُّ (٣)

❋

خ

مِنَ ٱلْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ ٱلْجَهْلَ دُونَهُ ... إِذَا ٱتَّسَعَتْ فِي ٱلْحِلْمِ طُرْقُ ٱلْمَظَالِمِ (٤)

خ

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ ٱلنَّسِيبِ كَأَصْلِهِ ... فَمَاذَا ٱلَّذِي تُغْنِي كِرَامُ ٱلْمَنَاصِبِ (٥)

وَٱلْهَمُّ يَخْتَرِمُ ٱلْجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ ٱلصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ١٤٨) ، وهما من البسيط

(٢) ديوان المتنبي (ص ١٥١) ، والبيت من الوافر

(٣) ديوان المتنبي (ص ١٥٥) ، والأبيات من الطويل

(٤) ديوان المتنبي (ص ١٦٥) ، وهو من الطويل

(٥) ديوان المتنبي (ص ١٧٦) ، وهو من الطويل

ذُو ٱلْعَقْلِ يَشْقَىٰ فِي ٱلنَّعِيمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو ٱلْجَهَالَةِ فِي ٱلشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ
وَٱلنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا ٱلْحِفَاظَ فَمُطْلَقٌ يَنْسَى ٱلَّذِي يُولَىٰ وَعَافٍ يَنْدَمُ
لَا تَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعَةٌ وَٱرْحَمْ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍّ تُرْحَمُ
خ
لَا يَسْلَمُ ٱلشَّرَفُ ٱلرَّفِيعُ مِنَ ٱلْأَذَىٰ حَتَّىٰ يُرَاقَ عَلَىٰ جَوَانِبِهِ ٱلدَّمُ
وَٱلظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ ٱلنُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ
وَمِنَ ٱلْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ جَهْلِهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ
وَٱلذُّلُّ يُظْهِرُ فِي ٱلذَّلِيلِ مَوَدَّةً وَأَوَدُّ مِنْهُ لِمَنْ يَوَدُّ ٱلْأَرْقَمُ
خ
وَمِنَ ٱلْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنَ ٱلصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
أَفْعَالُ مَنْ تَلِدُ ٱلْكِرَامُ كَرِيمَةٌ وَفِعَالُ مَنْ تَلِدُ ٱلْأَعَاجِمُ أَعْجَمُ (١)



خ
وَلَٰكِنَّ ٱلْغُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرِهَ ٱلْغَمَامَا (٢)



خ
فَطَعْمُ ٱلْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ كَطَعْمِ ٱلْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ
خ
يَرَى ٱلْجُبَنَاءُ أَنَّ ٱلْعَجْزَ عَقْلٌ وَتِلْكَ خَدِيعَةُ ٱلطَّبْعِ ٱللَّئِيمِ
خ
وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي ٱلْمَرْءِ [تُغْنِي] وَلَا مِثْلَ ٱلشَّجَاعَةِ فِي حَكِيمِ
خ
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً وَآفَتُهُ مِنَ ٱلْفَهْمِ ٱلسَّقِيمِ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٤٢٨) ، والأبيات من الكامل
(٢) ديوان المتنبي (ص ١٨٢) ، وهو من الوافر

وَلَٰكِنْ تَـأْخُـذُ ٱلْأَذْهَـانُ مِـنْـهُ　　عَـلَـىٰ قَـدْرِ ٱلْـقَـرَائِـحِ وَٱلْـفُـهُـومِ (١)

كَـلَامُ أَكْـثَـرِ مَـنْ تَـلْـقَـىٰ وَمَـنْـظَـرُهُ　　مِـمَّـا يَـشِـقُّ عَـلَى ٱلْآذَانِ وَٱلْـحَـدَقِ (٢)

إِلْـفُ هَـٰذَا ٱلْـهَـوَاءِ أَوْقَـعَ فِـي ٱلْأَنْـ　　ـفُـسِ أَنَّ ٱلْـحِـمَـامَ مُـرُّ ٱلْـمَـذَاقِ
وَٱلْأَسَـىٰ قَـبْـلَ فُـرْقَـةِ ٱلـرُّوحِ عَـجْـزٌ　　وَٱلْأَسَـىٰ لَا يَـكُـونُ بَـعْـدَ ٱلْـفِـرَاقِ
وَٱلْـغِـنَـىٰ فِـي يَـدِ ٱللَّـئِـيـمِ قَـبِـيـحٌ　　قَـدْرَ قُـبْـحِ ٱلْـكَـرِيـمِ فِـي ٱلْإِمْـلَاقِ (٣)

خ
وَيُـظْـهِـرُ ٱلْـجَـهْـلَ بِـي وَأَعْـرِفُـهُ　　وَٱلـدُّرُّ دُرٌّ بِـرَغْـمِ مَـنْ جَـهِـلَـهْ
فَـصِـرْتُ كَـٱلـسَّـيْـفِ حَـامِـداً يَـدَهُ　　مَا يَـحْـمَـدُ ٱلسَّـيْـفُ كُـلَّ مَـنْ حَـمَـلَـهْ (٤)

وَقَـدْ يَـتَـزَيَّـا بِـٱلْـهَـوَىٰ غَـيْـرُ أَهْـلِـهِ　　وَيَـصْـطَـحِـبُ ٱلْإِنْـسَـانُ مَـنْ لَا يُـلَائِـمُـهْ (٥)

خ
وَإِذَا كَـانَـتِ ٱلـنُّـفُـوسُ كِـبَـاراً　　تَـعِـبَـتْ فِـي مُـرَادِهَـا ٱلْأَجْـسَـامُ
فَـكَـثِـيـرٌ مِـنَ الـشُّـجَـاعِ ٱلـتَّـوَقِّـي　　وَكَـثِـيـرٌ مِـنَ ٱلْـبَـلِـيـغِ ٱلـسَّـلَامُ (٦)

---

(١) ديوان المتنبي (ص ١٨٠) ، والأبيات من الوافر
(٢) ديوان المتنبي (ص ١٨١) ، وهو من البسيط
(٣) ديوان المتنبي (ص ١٨٤) ، والأبيات من الخفيف
(٤) ديوان المتنبي (ص ١٩٢) ، وهما من المنسرح
(٥) ديوان المتنبي (ص ١٩٧) ، وهو من الطويل
(٦) ديوان المتنبي (ص ٢٠١) ، وهما من الخفيف

وَلَوْ جَازَ ٱلْخُلُودُ خَلَدْتَ فَرْداً   خ   وَلَٰكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلُ[1]

وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ   خ   وَلَٰكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ وِصَالِ
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ   خ   نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ
وَلَوْ كَانَ ٱلنِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا   خ   لَفُضِّلَتِ ٱلنِّسَاءُ عَلَى ٱلرِّجَالِ
وَمَا ٱلتَّأْنِيثُ لِٱسْمِ ٱلشَّمْسِ عَيْبٌ   خ   وَلَا ٱلتَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ
فَإِنْ تَفُقِ ٱلْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ   خ   فَإِنَّ ٱلْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ ٱلْغَزَالِ[2]

❊ ❊

إِلَامَ طَمَاعِيَةُ ٱلْعَاذِلِ   وَلَا رَأْيَ فِي ٱلْحُبِّ لِلْعَاقِلِ
يُرَادُ مِنَ ٱلْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ   خ   وَتَأْبَى ٱلطِّبَاعُ عَلَى ٱلنَّاقِلِ
خُذُوا مَا أَتَاكُمْ بِهِ وَٱغْنَمُوا   فَإِنَّ ٱلْغَنِيمَةَ فِي ٱلْعَاجِلِ[3]

❊ ❊ ❊

أَعْلَى ٱلْمَمَالِكِ مَا يُبْنَىٰ عَلَى ٱلْأَسَلِ   خ   وَٱلطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كَٱلْقُبَلِ
وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ ٱلدَّهْرُ بُغْيَتَهُ   وَلَا تُحَصِّنُ دِرْعٌ مُهْجَةَ ٱلْبَطَلِ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٠٤) ، وهو من الوافر
(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٠٤) ، والأبيات من الوافر
(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٠٧) ، والأبيات من المتقارب

بِذِي ٱلْغَبَاوَةِ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرٌ ... كَمَا تَضُرُّ رِيَاحُ ٱلْوَرْدِ بِٱلْجُعَلِ (١)

إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ ٱلزَّمَانَ وَصَرْفَهُ ... تَيَقَّنْتَ أَنَّ ٱلْمَوْتَ ضَرْبٌ مِنَ ٱلْقَتْلِ
هَلِ ٱلْوَلَدُ ٱلْمَحْبُوبُ إِلَّا تَعِلَّةٌ ... وَهَلْ خَلْوَةُ ٱلْحَسْنَاءِ إِلَّا أَذَى ٱلْبَعْلِ
وَمَا ٱلدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ يُؤَمَّلَ عِنْدَهُ ... حَيَاةٌ وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى ٱلنَّسْلِ (٢)

وَرُبَّمَا قَالَتِ ٱلْعُيُونُ وَقَدْ ... يَصْدُقُ فِيهَا وَيَكْذِبُ ٱلنَّظَرُ
أَعَاذَكَ ٱللهُ مِنْ سِهَامِهِمِ ... وَمُخْطِئٌ مَنْ رَمِيُّهُ ٱلْقَمَرُ (٣)

وَإِذَا وَكَلْتَ إِلَىٰ كَرِيمٍ رَأْيَهُ ... فِي ٱلْجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِنْ [مَحْضِهِ] (٤)

دُونَ ٱلْحَلَاوَةِ فِي ٱلزَّمَانِ مَرَارَةٌ ... لَا تُخْتَطَىٰ إِلَّا عَلَىٰ أَهْوَالِهِ (٥)

وَهَلْ تُغْنِي ٱلرَّسَائِلُ فِي عَدُوٍّ ... إِذَا مَا لَمْ يَكُنَّ ظُبىً رِقَاقَا (٦)

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢١٢) ، والأبيات من البسيط
(٢) ديوان المتنبي (ص ٢١٧) ، والأبيات من الطويل
(٣) ديوان المتنبي (ص ٢١٨) ، والبيتان من المنسرح
(٤) ديوان المتنبي (ص ٢١٨) ، وهو من الكامل
(٥) ديوان المتنبي (ص ٢٢٢) ، وهو من الكامل
(٦) ديوان المتنبي (ص ٢٢٥) ، وهو من الوافر

فَـمَـا تَـرَجَّى ٱلـنُّـفُـوسُ مِـنْ زَمَـنٍ ... أَحْـمَـدُ حَـالَـيْـهِ غَـيْـرُ مَـحْـمُـودِ (١)



مَنْ يَعْرِفِ ٱلشَّمْسَ لَا يُنْكِرْ مَطَالِعَهَا ... أَوْ يُبْصِرِ ٱلْخَيْلَ لَا يَسْتَكْرِمِ ٱلرَّمَكَا (٢)



وَمَا ذَاكَ بُخْلٌ بِٱلنُّفُوسِ عَلَى ٱلْقَنَا ... خ ... وَلَـٰكِنَّ صَـدْمَ ٱلـشَّـرِّ بِـٱلـشَّـرِّ أَحْـزَمُ (٣)



أَهْـلُ ٱلْـحَـفِـيـظَـةِ إِلَّا أَنْ تُـجَـرِّبَـهُـمْ ... وَفِي ٱلتَّجَارِبِ بَعْدَ [ٱلْغَيِّ] مَا يَزَعُ

لَا تَحْسَبُوا مَنْ أَسَرْتُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ ... خ ... فَلَيْسَ تَأْكُلُ إِلَّا ٱلْمَيْتَ ٱلضَّبُعُ

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ ٱلشَّمْسِ مَوْضِعُهُ ... خ ... فَـلَـيْـسَ يَـرْفَـعُـهُ شَـيْءٌ وَلَا يَـضَـعُ

فَـقَـدْ يُـظَـنُّ شُـجَـاعـاً مَـنْ بِـهِ خَـرَقٌ ... خ ... وَقَـدْ يُـظَـنُّ جَـبَـانـاً مَـنْ بِـهِ زَمَـعُ

إِنَّ ٱلسِّلَاحَ جَمِيعُ ٱلنَّاسِ يَحْمِلُهُ ... وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ ٱلْمِخْلَبِ ٱلسَّبُعُ (٤)



وَمَـا ٱلْـخَـوْفُ إِلَّا مَـا تَـخَـوَّفَـهُ ٱلْـفَـتَـىٰ ... وَلَا ٱلْأَمْـنُ إِلَّا مَـا رَآهُ ٱلْـفَـتَـىٰ أَمْـنَـا (٥)



وَحِـيـدٌ مِـنَ ٱلْـخُـلَّانِ فِـي كُـلِّ بَـلْـدَةٍ ... خ ... إِذَا عَظُمَ ٱلْمَطْلُوبُ قَلَّ ٱلْمُسَاعِدُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٢٦) ، وهو من المنسرح

(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٢٨) ، وهو من البسيط

(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٣٣) ، وهو من الطويل

(٤) ديوان المتنبي (ص ٢٣٧) ، والأبيات من البسيط

(٥) ديوان المتنبي (ص ٢٤٢) ، وهو من الطويل

بِذَا قَضَتِ ٱلْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
وَكُلٌّ يَرَىٰ طُرْقَ ٱلشَّجَاعَةِ وَٱلنَّدَىٰ وَلَٰكِنَّ طَبْعَ ٱلنَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
فَإِنَّ قَلِيلَ ٱلْحُبِّ بِٱلْعَقْلِ صَالِحٌ وَإِنَّ كَثِيرَ ٱلْحُبِّ بِٱلْجَهْلِ فَاسِدُ (١)

وَقَدْ فَارَقَ ٱلنَّاسَ ٱلْأَحِبَّةُ قَبْلَنَا وَأَعْيَا دَوَاءُ ٱلْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ ٱلشَّمْسَ ضَوْءَهَا وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرِيبِ (٢)

وَمَنْ صَحِبَ ٱلدُّنْيَا قَلِيلاً تَقَلَّبَتْ عَلَىٰ عَيْنِهِ حَتَّىٰ يَرَىٰ صِدْقَهَا كِذْبَا
وَمَنْ تَكُنِ ٱلْأُسْدُ ٱلضَّوَارِي جُدُودَهُ يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً وَمَطْعَمُهُ غَصْبَا (٣)

أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً خ أَنْ تَحْسَبَ ٱلشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ
وَمَا ٱنْتِفَاعُ أَخِي ٱلدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ خ إِذَا ٱسْتَوَتْ عِنْدَهُ ٱلْأَنْوَارُ وَٱلظُّلَمُ
إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ ٱللَّيْثِ بَارِزَةً خ فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ ٱللَّيْثَ يَبْتَسِمُ
إِنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ إِنَّ ٱلْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ ٱلنُّهَىٰ ذِمَمُ
شَرُّ ٱلْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ ٱلْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٤٢) ، والأبيات من الطويل
(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٤٥) ، وهما من الطويل
(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٤٨) ، وهما من الطويل

وَشَـرٌّ مَـا قَـنَـصَـتْـهُ رَاحَـتِـي قَـنَـصٌ ... شُـهْـبُ ٱلْـبُـزَاةِ سَـوَاءٌ فِـيـهِ وَٱلـرَّخَـمُ (١)



وَإِنْ كَـانَ ذَنْـبِـي كُـلَّ ذَنْـبٍ فَـإِنَّـهُ ... مَحَا ٱلذَّنْبَ كُلَّ [ٱلْمَحْوِ] مَنْ جَاءَ تَائِبَا (٢)



وَمَـا صَـبَـابَـةُ مُـشْـتَـاقٍ عَـلَـىٰ أَمَـلٍ ... مِـنَ ٱلـلِّـقَـاءِ كَـمُـشْـتَـاقٍ بِـلَا أَمَـلِ

وَٱلْـهَـجْـرُ أَقْـتَـلُ لِـي مِـمَّـا أُرَاقِـبُـهُ ... أَنَـا ٱلْـغَـرِيـقُ فَـمَـا خَـوْفِـي مِـنَ ٱلْـبَـلَـلِ

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ ... فِي طَلْعَةِ ٱلشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

إِنْ كُنْتَ تَرْضَىٰ بِأَنْ يُعْطُوا ٱلْجِزَىٰ بَذَلُوا ... مِنْـهَـا رِضَـاكَ وَمَـنْ لِـلْـعُـورِ بِـٱلْـحَـوَلِ

لَـعَـلَّ عَـتْـبَـكَ مَـحْـمُـودٌ عَـوَاقِـبُـهُ ... وَرُبَّـمَـا صَـحَّـتِ ٱلْأَجْـسَـامُ بِـٱلْـعِـلَـلِ

لِأَنَّ حِـلْـمَـكَ حِـلْـمٌ لَا تَـكَـلَّـفُـهُ ... لَيْسَ ٱلتَّكَحُّلُ فِي ٱلْعَيْنَيْنِ كَٱلْكَحَلِ

وَمَـا ثَـنَـاكَ كَـلَامُ ٱلـنَّـاسِ عَـنْ كَـرَمٍ ... وَمَـنْ يَـسُـدُّ طَـرِيـقَ ٱلْـعَـارِضِ ٱلْـهَـطِـلِ (٣)



خ

وَلَـيْـسَ يَـصِـحُّ فِـي ٱلْأَفْـهَـامِ شَـيْءٌ ... إِذَا ٱحْـتَـاجَ ٱلـنَّـهَـارُ إِلَـىٰ دَلِـيـلِ (٤)



خ

وَمَـا كَـمَـدُ ٱلْـحُـسَّـادِ شَـيْءٌ قَـصَـدْتُـهُ ... وَلَـٰكِنَّهُ مَـنْ يَـزْحَـمِ ٱلْـبَـحْـرَ يَـغْـرَقِ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٥٣) ، والأبيات من البسيط

(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٥٦) ، وهو من الطويل

(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٥٦) ، والأبيات من البسيط

(٤) ديوان المتنبي (ص ٢٦١) ، وهو من الوافر

خ

وَإِطْرَاقُ طَرْفِ ٱلْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ طَرْفُ ٱلْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ (١)



خ

وَمَنْ كُنْتَ بَحْراً لَهُ يَا عَلِيُّ لَا يَقْبَلُ ٱلدُّرَّ إِلَّا كِبَارَا (٢)

لَيَالِيَّ بَعْدَ ٱلظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ وَلَيْلُ ٱلْعَاشِقِينَ طَوِيلُ (٣)

أَيَدْرِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ وَهَلْ تَرْقَىٰ إِلَى ٱلْفَلَكِ ٱلْخُطُوبُ (٤)



خ

وَمَا قَتَلَ ٱلْأَحْرَارَ كَٱلْعَفْوِ عَنْهُمُ (٥) وَمَنْ لَكَ بِٱلْحُرِّ ٱلَّذِي يَحْفَظُ ٱلْيَدَا

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱلْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

وَوَضْعُ ٱلنَّدَىٰ فِي مَوْضِعِ ٱلسَّيْفِ بِٱلْعُلَا مُضِرٌّ كَوَضْعِ ٱلسَّيْفِ فِي مَوْضِعِ ٱلنَّدَىٰ

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ ٱلْإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا (٦)



---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٦٤) ، وهما من الطويل

(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٧٨) ، وهو من المتقارب

(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٦٩) ، وهو من الطويل

(٤) ديوان المتنبي (ص ٢٧٥) ، وهو من الوافر

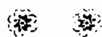
(٥) المعنىٰ من عفا عن حرٍّ صار كأنه قتله ؛ لأنه يسترقه بالعفو ، قال بعضهم غلَّ يداً مطلقها ، واسترق رقبةً معتقها !!

(٦) ديوان المتنبي (ص ٢٨١) ، والأبيات من الطويل

وَأَتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ | وَأَغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ (١)



وَمَا تَرَكُوكَ مَعْصِيَةً وَلَٰكِنْ | يُعَافُ ٱلْوِرْدُ وَٱلْمَوْتُ ٱلشَّرَابُ
تَرَفَّقْ أَيُّهَا ٱلْمَوْلَىٰ عَلَيْهِمْ | فَإِنَّ ٱلرِّفْقَ بِٱلْجَانِي عِتَابُ
خ
وَمَا جَهِلَتْ أَيَادِيكَ ٱلْبَوَادِي | وَلَٰكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ ٱلصَّوَابُ
خ
وَكَمْ ذَنْبٍ مُوَلِّدُهُ دَلَالٌ | وَكَمْ بُعْدٍ مُوَلِّدُهُ ٱقْتِرَابُ
خ
وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ | وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ ٱلْعَذَابُ (٢)



عَلَىٰ قَدْرِ أَهْلِ ٱلْعَزْمِ تَأْتِي ٱلْعَزَائِمُ | وَتَأْتِي عَلَىٰ قَدْرِ ٱلْكِرَامِ ٱلْمَكَارِمُ
تُفِيتُ ٱللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ [أَخَذْتَهُ] | وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ
وَمَنْ طَلَبَ ٱلْفَتْحَ ٱلْجَلِيلَ فَإِنَّمَا | مَفَاتِيحُهُ ٱلْبِيضُ ٱلْخِفَافُ ٱلصَّوَارِمُ
أَيُنْكِرُ رِيحَ ٱللَّيْثِ حَتَّىٰ يَذُوقَهُ | وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ ٱللُّيُوثِ ٱلْبَهَائِمُ (٣)



وَمَا تَنْفَعُ ٱلْخَيْلُ ٱلْكِرَامُ وَلَا ٱلْقَنَا | إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ ٱلْكِرَامِ كِرَامُ
فَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِي ٱلذِّمَامَ طَوَاعَةً | فَعَوْذُ ٱلْأَعَادِي بِٱلْكَرِيمِ ذِمَامُ
وَشَرُّ ٱلْحِمَامَيْنِ ٱلزُّؤَامَيْنِ عِيشَةٌ | يَذِلُّ ٱلَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ (٤)

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٨٥) ، وهو من الطويل
(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٨٧) ، والأبيات من الوافر
(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٩٠) ، والأبيات من الطويل
(٤) ديوان المتنبي (ص ٢٩٤) ، والأبيات من الطويل .

وَمَا ٱلْحُسْنُ فِي وَجْهِ ٱلْفَتَىٰ شَرَفٌ لَهُ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَٱلْخَلَائِقِ
وَمَا بَلَدُ ٱلْإِنْسَانِ غَيْرُ ٱلْمُوَافِقِ ... وَلَا أَهْلُهُ ٱلْأَدْنَوْنَ غَيْرُ ٱلْأَصَادِقِ
وَمَا يُوجِعُ ٱلْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ ... كَمَا يُوجِعُ ٱلْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقِ (١)

إِنَّ خَيْرَ ٱلدُّمُوعِ عَيْناً لَدَمْعٌ ... بَعَثَتْهُ رِعَايَةٌ فَٱسْتَهَلَّا
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ ٱلنَّاسِ كُفْئاً ... ذَاتُ خِدْرٍ تَمَنَّتِ ٱلْمَوْتَ بَعْلَا
وَلَذِيذُ ٱلْحَيَاةِ أَنْفَسُ لِلنَّفْـ ... ـسِ وَأَشْهَىٰ مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَىٰ
وَإِذَا ٱلشَّيْخُ قَالَ أُفٍّ فَمَا مَلَّ ... حَيَاةً وَإِنَّمَا ٱلضَّعْفَ مَلَّا
آلَةُ ٱلْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ ... فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ ٱلْمَرْءِ وَلَّىٰ
أَبَداً تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ ٱلدُّنْـ ... خ ... ـيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلَا
وَهْيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى ٱلْغَدْرِ لَا تَحْـ ... خ ... ـفَظُ عَهْداً وَلَا تُتَمِّمُ وَصْلَا (٢)

وَٱلْعِيَانُ ٱلْجَلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنِّ ... زَوَالاً وَلِلْمُرَادِ ٱنْتِقَالَا
وَإِذَا مَا خَلَا ٱلْجَبَانُ بِأَرْضٍ ... طَلَبَ ٱلطَّعْنَ وَحْدَهُ وَٱلنِّزَالَا
أَقْسَمُوا لَا رَأَوْكَ إِلَّا بِقَلْبٍ ... طَالَمَا غَرَّتِ ٱلْعُيُونُ ٱلرِّجَالَا
إِنَّمَا آنَسَ ٱلْأَنِيسَ سِبَاعٌ (٣) ... يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَٱغْتِيَالَا

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٩٦) ، والأبيات من الطويل
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٠٦) ، والأبيات من الخفيف
(٣) في « ديوان المتنبي » (ص ٣١٢) (إنما أنفسُ)

مَـنْ أَرَادَ ٱلْـتِـمَـاسَ شَـيْءٍ غِـلَابـاً وَٱغْـتِـصَـابـاً لَـمْ يَـلْـتَـمِـسْـهُ سُـؤَالَا
كُـلُّ غَـادٍ لِـحَـاجَـةٍ يَـتَـمَـنَّـىٰ أَنْ يَـكُـونَ ٱلْـغَـضَـنْـفَـرَ ٱلـرِّئْـبَـالَا (١)



وَرَفَـلْـتَ فِـي حُـلَـلِ ٱلـثَّـنَـاءِ وَإِنَّـمَـا عَـدَمُ ٱلـثَّـنَـاءِ نِـهَـايَـةُ ٱلْإِعْـدَامِ (٢)



خ ٱلـرَّأْيُ قَـبْـلَ شَـجَـاعَـةِ ٱلـشُّـجْـعَـانِ هُـوَ أَوَّلٌ وَهِـيَ ٱلْـمَـحَـلُّ ٱلـثَّـانِـي
خ وَلَـرُبَّـمَـا طَـعَـنَ ٱلْـفَـتَـىٰ أَقْـرَانَـهُ بِـٱلـرَّأْيِ قَـبْـلَ تَـطَـاعُـنِ ٱلْأَقْـرَانِ
لَـوْلَا ٱلْـعُـقُـولُ لَـكَـانَ أَدْنَـىٰ ضَـيْـغَـمٍ أَدْنَـىٰ إِلَـىٰ شَـرَفٍ مِـنَ ٱلْإِنْـسَـانِ
وَتَوَهَّمُوا ٱللَّعِبَ ٱلْوَغَىٰ وَٱلطَّعْنُ فِي ٱلْـ ـهَـيْـجَـاءِ غَـيْـرُ ٱلـطَّـعْـنِ فِـي ٱلْـمَـيْـدَانِ (٣)



عُقْبَى ٱلْيَمِينِ عَلَىٰ [عُقْبَى] ٱلْوَغَىٰ نَدَمُ مَـاذَا يَـزِيـدُكَ فِـي إِقْـدَامِـكَ ٱلْـقَـسَـمُ (٤)



وَإِذَا خَـامَـرَ ٱلْـهَـوَىٰ قَـلْـبَ صَـبٍّ فَـعَـلَـيْـهِ لِـكُـلِّ عَـيْـنٍ دَلِـيـلُ (٥)



وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ [ٱلْغَلْبَاءُ] عُنْصُرَهَا فَإِنَّ فِي ٱلْخَمْرِ مَعْنىً لَيْسَ فِي ٱلْعِنَبِ

(١) ديوان المتنبي (ص ٣١١) ، والأبيات من الخفيف
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٢٢) ، وهو من الكامل
(٣) ديوان المتنبي (ص ٣١٣) ، والأبيات من الكامل
(٤) ديوان المتنبي (ص ٣١٦) ، وهو من البسيط
(٥) ديوان المتنبي (ص ٣٢٤) ، وهو من الخفيف

وَعَادَ فِي طَلَبِ ٱلْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ	إِنَّا لَنَغْفُلُ وَٱلْأَيَّامُ فِي ٱلطَّلَبِ
فَلَا تَنَلْكَ ٱللَّيَالِي إِنَّ أَيْدِيَهَا	إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ ٱلنَّبْعَ بِٱلْغَرَبِ
وَلَا [تُعِنَّ] عَدُوّاً أَنْتَ قَاهِرُهُ	فَإِنَّهُنَّ يَصِدْنَ ٱلصَّقْرَ بِٱلْخَرَبِ
وَإِنْ [سَرَرْنَ] بِمَحْبُوبٍ فَجَعْنَ بِهِ	وَقَدْ أَتَيْنَكَ فِي ٱلْحَالَيْنِ بِٱلْعَجَبِ
وَمَا قَضَىٰ أَحَدٌ مِنْهَا لُبَانَتَهُ	وَلَا ٱنْتَهَىٰ أَرَبٌ إِلَّا إِلَىٰ أَرَبِ
وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي ٱلدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ	أَقَامَهُ ٱلْفِكْرُ بَيْنَ ٱلْعَجْزِ وَٱلتَّعَبِ (١)

إِذَا كُنْتَ تَرْضَىٰ أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ	فَلَا تَسْتَعِدَّنَّ ٱلْحُسَامَ ٱلْيَمَانِيَا
فَمَا يَنْفَعُ ٱلْأُسْدَ ٱلْحَيَاءُ مِنَ ٱلطَّوَىٰ	وَلَا تُتَّقَىٰ حَتَّىٰ تَكُونَ ضَوَارِيَا
فَإِنَّ دُمُوعَ ٱلْعَيْنِ غُدْرٌ بِرَبِّهَا	إِذَا كُنَّ إِثْرَ ٱلْغَادِرِينَ جَوَارِيَا
إِذَا ٱلْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصاً مِنَ ٱلْأَذَىٰ	فَلَا ٱلْحَمْدُ مَكْسُوباً وَلَا ٱلْمَالُ بَاقِيَا
وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى ٱلْفَتَىٰ	أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَىٰ أَمْ تَسَاخِيَا
خُلِقْتُ أَلُوفاً لَوْ رَحَلْتُ إِلَى ٱلصِّبَا	لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ ٱلْقَلْبِ بَاكِيَا (٢)

حُسْنُ ٱلْحِضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةٍ	وَفِي ٱلْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ
فَمَا ٱلْحَدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ	قَدْ يُوجَدُ ٱلْحِلْمُ فِي ٱلشُّبَّانِ وَٱلشِّيبِ (٣)

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٢٨) ، والأبيات من البسيط
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٣٤) ، والأبيات من الطويل
(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٤٠) ، وهما من البسيط

أَبَىٰ خُلُقُ ٱلدُّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ ... فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيباً تَرُدُّهُ

وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغَيُّراً ... تَكَلُّفُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ

وَأَتْعَبُ خَلْقِ ٱللهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ ... وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي ٱلنَّفْسُ وَجْدُهُ

فَلَا مَجْدَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَلَا مَالَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ [مَجْدُهُ]

وَفِي ٱلنَّاسِ مَنْ يَرْضَىٰ بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ ... وَمَرْكُوبُهُ رِجْلَاهُ وَٱلثَّوْبُ جِلْدُهُ

وَمَا ٱلصَّارِمُ ٱلْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ ... إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ ٱلنِّجَادُ وَغِمْدُهُ (١)



وَمَا مَنْزِلُ ٱللَّذَّاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلٍ ... إِذَا لَمْ أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ

إِذَا سَاءَ فِعْلُ ٱلْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

أُصَادِقُ نَفْسَ ٱلْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ ... وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَٱلتَّكَلُّمِ

وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ ... مَتَىٰ أَجْزِهِ حِلْماً عَلَى ٱلْجَهْلِ يَنْدَمِ

وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ ... وَلَا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَاكَ وَمَنْ يُرِدْ ... مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ ٱلسَّحَائِبِ يُظْلَمِ

فَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِي ٱلْوَرَىٰ وَجْهُ مُحْسِنٍ ... وَأَيْمَنُ كَفٍّ فِي ٱلْوَرَىٰ كَفُّ مُنْعِمِ

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً ... خ ... وَأَكْثَرَ إِقْدَاماً عَلَىٰ كُلِّ مُعْظَمِ

لِمَنْ تَطْلُبُ ٱلدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا ... خ ... سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمِ (٢)



(١) ديوان المتنبي (ص ٣٤٢) ، والأبيات من الطويل

(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٤٦) ، والأبيات من الطويل

إِنَّمَا تُنْجِحُ ٱلْمَقَالَةُ فِي ٱلْمَرْ ... ءِ إِذَا وَافَقَتْ هَوىً فِي ٱلْفُؤَادِ
قَدْ يُصِيبُ ٱلْفَتَى ٱلْمُشِيرُ وَلَمْ يَجْـ ... ـهَدْ وَيُشْوِي ٱلصَّوَابَ بَعْدَ ٱجْتِهَادِ
وَإِذَا ٱلْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِي طِبَاعٍ ... لَمْ يُحَلِّمْ تَقَدُّمُ ٱلْمِيلَادِ
وَأَطَاعَتْكَ أُسْدُ دَهْرِكَ وَٱلطَّا ... عَةُ لَيْسَتْ خَلَائِقَ ٱلْآسَادِ
وَإِذَا كَانَ فِي ٱلْأَنَابِيبِ خُلْفٌ ... وَقَعَ ٱلطَّيْشُ فِي صُدُورِ ٱلصِّعَادِ
كَيْفَ لَا يُتْرَكُ ٱلطَّرِيقُ لِسَيْلٍ ... ضَيِّقٍ عَنْ أَتِيِّهِ كُلُّ وَادِ (١)

خ

وَمَا ٱلْخَيْلُ إِلَّا كَٱلصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ ... وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنِ مَنْ لَا يُجَرِّبُ
إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا ... وَلَبَّاتِهَا فَٱلْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ
لَحَى ٱللهُ ذِي ٱلدُّنْيَا مُنَاخاً لِرَاكِبٍ ... فَكُلُّ بَعِيدِ ٱلْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ
وَكُلُّ ٱمْرِئٍ يُولِي ٱلْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ ... وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ ٱلْعِزَّ طَيِّبُ
وَلَوْ جَازَ أَنْ يَحْوُوا عُلَاكَ وَهَبْتَهَا ... وَلَٰكِنْ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ
وَأَظْلَمُ أَهْلِ ٱلظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً ... لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ
وَقَدْ يَتْرُكُ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي لَا تَهَابُهُ ... وَيَخْتَرِمُ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي تَتَهَيَّبُ (٢)

فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ ... وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ ٱلْفَائِتَ ٱلْحَزَنُ
يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَىٰ بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ ... كُلٌّ بِمَا زَعَمَ ٱلنَّاعُونَ مُرْتَهَنُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٥٠) ، والأبيات من الخفيف
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٥٣) ، والأبيات من الطويل

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى ٱلْمَرْءُ يُدْرِكُهُ   تَجْرِي ٱلرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي ٱلسُّفُنُ (١)



غَيْرَ أَنَّ ٱلْفَتَىٰ يُلَاقِي ٱلْمَنَايَا   كَالِحَاتٍ وَلَا يُلَاقِي ٱلْهَوَانَا
وَلَوَ اَنَّ ٱلْحَيَاةَ تَبْقَىٰ لِحَيٍّ   لَعَدَدْنَا أَضَلَّنَا ٱلشُّجْعَانَا
خ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلْمَوْتِ بُدٌّ   فَمِنَ ٱلْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا
كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلصَّعْبِ فِي ٱلْأَنْـ   ـفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا (٢)



فَإِنْ يَكُ إِنْسَاناً مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ   فَإِنَّ ٱلْمَنَايَا غَايَةُ ٱلْحَيَوَانِ (٣)



قَالَ ٱلزَّمَانُ لَهُ قَوْلاً فَأَسْمَعَهُ   إِنَّ ٱلزَّمَانَ عَلَى ٱلْإِمْسَاكِ عَذَّالُ
اَلْقَاتِلِ ٱلسَّيْفَ فِي جِسْمِ ٱلْقَتِيلِ بِهِ   وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ
يَرُوعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرْفُهُ أَبَداً   مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ ٱلدَّهْرِ تَغْتَالُ
لَطَّفْتَ رَأْيَكَ فِي وَصْلِي وَتَكْرِمَتِي   إِنَّ ٱلْكَرِيمَ عَلَى ٱلْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ
لَوْلَا ٱلْمَشَقَّةُ سَادَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ   اَلْجُودُ يُفْقِرُ وَٱلْإِقْدَامُ قَتَّالُ
وَإِنَّمَا يَبْلُغُ ٱلْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ   مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِٱلرَّحْلِ شِمْلَالُ
إِنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرْكُ ٱلْقَبِيحِ بِهِ   مِنْ أَكْثَرِ ٱلنَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٥٦) ، والأبيات من البسيط
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٥٨) ، والأبيات من الخفيف
(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٥٩) ، وهو من الطويل

ذِكْرُ ٱلْفَتَىٰ عُمْرُهُ ٱلثَّانِي وَحَاجَتُهُ   مَا فَاتَهُ وَفُضُولُ ٱلْعَيْشِ أَشْغَالُ(١)

وَلَمَّا صَارَ وُدُّ ٱلنَّاسِ خِبّاً   جَزَيْتُ عَلَى ٱبْتِسَامٍ بِٱبْتِسَامِ
وَصِرْتُ أَشُكُّ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ   لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ ٱلْأَنَامِ
وَآنَفُ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي   إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ ٱلْكِرَامِ
أَرَى ٱلْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيراً   عَلَى ٱلْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ ٱللِّئَامِ
وَمَنْ يَجِدِ ٱلطَّرِيقَ إِلَى ٱلْمَعَالِي   فَلَا يَذَرُ ٱلْمَطِيَّ بِلَا سَنَامِ
وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ ٱلنَّاسِ شَيْئاً   كَنَقْصِ ٱلْقَادِرِينَ عَلَى ٱلتَّمَامِ
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَٱلصِّدْقُ شَيْنٌ   إِذَا أَلْقَاكَ فِي ٱلْكَرْبِ ٱلْعِظَامِ(٢)

وَلِلسِّرِّ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ   نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ
وَمَا ٱلْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ   يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصَابُ
وَغَيْرُ فُؤَادِي لِلْغَوَانِي رَمِيَّةٌ   وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابُ
خ
أَعَزُّ مَكَانٍ فِي ٱلدُّنَا ظَهْرُ سَابِحٍ   وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي ٱلزَّمَانِ كِتَابُ
خ
أَيَا أَسَداً فِي جِسْمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ   وَكَمْ أَسَدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابُ
وَقَدْ تُحْدِثُ ٱلْأَيَّامُ عِنْدَكَ شِيمَةً   وَتَنْعَمِرُ ٱلْأَوْقَاتُ وَهْيَ يَبَابُ
إِذَا نِلْتُ مِنْكَ ٱلْوُدَّ فَٱلْمَالُ هَيِّنٌ   وَكُلُّ ٱلَّذِي فَوْقَ ٱلتُّرَابِ تُرَابُ

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٦٧) ، والأبيات من البسيط
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٦٤) ، والأبيات من الوافر

وَلَٰكِنَّكَ ٱلدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةٌ فَمَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ (١)



خ

لَا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ فَحْلٍ لَهُ ذَكَرٌ تَقُودُهُ أَمَةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمُ (٢)



إِذَا أَتَتِ ٱلْإِسَاءَةُ مِنْ وَضِيعٍ وَلَمْ أَلُمِ ٱلْمُسِيءَ فَمَنْ أَلُومُ (٣)



مَاذَا لَقِيتُ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ

خ

جُودُ ٱلرِّجَالِ مِنَ ٱلْأَيْدِي وَجُودُهُمُ مِنَ ٱللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا ٱلْجُودُ

اَلْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ ٱلْخَزِّ مَوْلُودُ

لَا [تَشْتَرِ] ٱلْعَبْدَ إِلَّا وَٱلْعَصَا مَعَهُ إِنَّ ٱلْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

إِنَّ ٱمْرَأً أَمَةٌ حُبْلَىٰ تُدَبِّرُهُ لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ ٱلْعَيْنِ مَفْؤُودُ

خ

مَنْ عَلَّمَ ٱلْأَسْوَدَ ٱلْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً أَقَوْمُهُ ٱلْبِيضُ أَمْ آبَاؤُهُ ٱلصِّيدُ

خ

أَمْ أُذْنُهُ فِي يَدِ ٱلنَّخَّاسِ دَامِيَةٌ أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بِٱلْفَلْسَيْنِ مَرْدُودُ

خ

وَذَاكَ أَنَّ ٱلْفُحُولَ ٱلْبِيضِ عَاجِزَةٌ عَنِ ٱلْجَمِيلِ فَكَيْفَ ٱلْخِصْيَةُ ٱلسُّودُ (٤)



---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٦١) ، والأبيات من الطويل

(٢) انظر « معجز أحمد » (١٦٠/٤) ، وهو من البسيط

(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٧٩) ، وهو من الوافر

(٤) ديوان المتنبي (ص ٣٨١) ، ومعجز أحمد (١٧٤/٤) ، والأبيات من البسيط

وَمَـا كُـلُّ مَـنْ قَـالَ قَـوْلاً وَفَـىٰ وَمَـا كُـلُّ مَـنْ سِـيـمَ خَـسْـفـاً أَبَـىٰ
وَلَا بُـدَّ لِـلْـقَـلْـبِ مِـنْ آلَـةٍ وَرَأْيٍ يُـصَـدِّعُ صُـمَّ ٱلـصَّـفَـا
وَكُـلُّ طَـرِيـقٍ أَتَـاهُ ٱلْـفَـتَـىٰ عَـلَـىٰ قَـدَرِ ٱلـرِّجْـلِ فِـيـهِ ٱلْـخُـطَـا
لَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ ٱلْخَصِيِّ خ أَنَّ ٱلـرُّؤُوسَ مَـحَـلُّ ٱلـنُّـهَـىٰ
فَـلَـمَّـا نَـظَـرْتُ إِلَـىٰ عَـقْـلِـهِ خ رَأَيْتُ ٱلنُّهَىٰ كُلَّهَا فِي ٱلْخُصَىٰ
وَمَـنْ جَـهِـلَـتْ نَـفْـسُـهُ قَـدْرَهُ رَأَىٰ غَـيْـرُهُ مِـنْـهُ مَـا لَا يَـرَىٰ (١)

اَلْـحُـزْنُ يُـقْـلِـقُ وَٱلـتَّـجَـمُّـلُ يَـرْدَعُ وَٱلـدَّمْـعُ بَـيْـنَـهُـمَـا عَـصِـيٌّ طَـيِّـعُ
إِنِّـي لَأَجْـبُـنُ مِـنْ فِـرَاقِ أَحِـبَّـتِـي خ وَتُـحِـسُّ نَـفْـسِـي بِـٱلْـحِـمَـامِ فَـأَشْـجُـعُ
وَيَـزِيـدُنِـي غَـضَـبُ ٱلْأَعَـادِي قَـسْـوَةً خ وَيُـلِـمُّ بِـي عَـتْـبُ ٱلـصَّـدِيـقِ فَـأَجْـزَعُ
تَـصْـفُـو ٱلْـحَـيَـاةُ لِـجَـاهِـلٍ أَوْ غَـافِـلٍ عَـمَّـا مَـضَـىٰ مِـنْـهَـا وَمَـا يُـتَـوَقَّـعُ
وَلِـمَـنْ يُـغَـالِـطُ فِـي ٱلْـحَـقِـيـقَـةِ نَـفْـسَـهُ وَيَـسُـومُـهَـا طَـلَـبَ ٱلْـمُـحَـالِ فَـتَـطْـمَـعُ
وَإِذَا حَـصَـلْـتَ مِـنَ ٱلـسِّـلَاحِ عَـلَـى ٱلْـبُـكَـا فَـحَـشَـاكَ رُعْـتَ بِـهِ وَخَـدَّكَ تَـقْـرَعُ
أَيْـنَ ٱلَّـذِي ٱلْـهَـرَمَـانِ مِـنْ بُـنْـيَـانِـهِ مَـا قَـوْمُـهُ مَـا يَـوْمُـهُ مَـا ٱلْـمَـصْـرَعُ
تَـتَـخَـلَّـفُ ٱلْآثَـارُ عَـنْ أَصْـحَـابِـهَـا حِـيـنـاً وَيُـدْرِكُـهَـا ٱلْـفَـنَـاءُ فَـتَـتْـبَـعُ (٢)

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٨٤) ، ومعجز أحمد (١٩٨/٤) ، والأبيات من المتقارب
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٧٠) ، والأبيات من الكامل

تُسَوِّدُ ٱلشَّمْسُ مِنَّا بِيض أَوْجُهِنَا ... وَلَا تُسَوِّدُ بِيض ٱلْعُذْرِ وَٱللِّمَمِ
وَكَانَ حَالُهُمَا فِي ٱلْحُكْمِ وَاحِدَةً ... لَوِ ٱحْتَكَمْنَا مِنَ ٱلدُّنْيَا إِلَىٰ حَكَمِ
خ
حَتَّىٰ رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي ... ٱلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ ٱلْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ ٱلْإِنْصَافِ قَاطِعَةً ... بَيْنَ ٱلْأَنَامِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ
هَوِّنْ عَلَىٰ بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ ... فَإِنَّمَا يَقَظَاتُ ٱلْعَيْنِ كَٱلْحُلُمِ
وَلَا تَشَكَّ إِلَىٰ خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ ... شَكْوَى ٱلْجَرِيحِ إِلَى ٱلْعُقْبَانِ وَٱلرَّخَمِ
وَكُنْ عَلَىٰ حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ ... وَلَا يَغُرَّكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ
غَاضَ ٱلْوَفَاءُ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَةٍ ... وَأَعْوَزَ ٱلصِّدْقُ فِي ٱلْإِخْبَارِ وَٱلْقَسَمِ (١)



ذَرِينِي أَنَلْ مَا لَا يُنَالُ مِنَ ٱلْعُلَا ... فَصَعْبُ ٱلْعُلَا فِي ٱلصَّعْبِ وَٱلسَّهْلُ فِي ٱلسَّهْلِ
تُرِيدِينَ لُقْيَانَ ٱلْمَعَالِي رَخِيصَةً ... وَلَا بُدَّ دُونَ ٱلشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ ٱلنَّحْلِ
وَلَيْسَ ٱلَّذِي يَتَّبَّعُ ٱلْوَبْلَ رَائِداً ... كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ ٱلْوَبْلِ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدَّعِي ٱلشَّوْقَ قَلْبُهُ ... وَيَحْتَجُّ فِي تَرْكِ ٱلزِّيَارَةِ بِٱلشُّغْلِ (٢)



إِنَّ فِي ٱلْمَوْجِ لِلْغَرِيقِ لَعُذْراً ... وَاضِحاً أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهُ
مَا سَمِعْنَا بِمَنْ أَحَبَّ ٱلْعَطَايَا ... وَٱشْتَهَىٰ أَنْ يَكُونَ فِيهَا فُؤَادُهُ (٣)



---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٧٣) ، والأبيات من البسيط
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٨٨) ، ومعجز أحمد (٢٦٨/٤) ، والأبيات من الطويل
(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٩٦) ، والبيتان من الخفيف

وَغَيْظٌ عَلَى ٱلْأَيَّامِ كَٱلنَّارِ فِي ٱلْحَشَا   خ   وَلَـٰكِنَّهُ غَـيْـظُ ٱلْأَسِـيـرِ عَـلَى ٱلْـقِـدِّ
وَلَيْسَ حَيَاءُ ٱلْوَجْهِ فِي ٱلذِّئْبِ شِيمَةً   خ   وَلَـٰكِنَّهُ مِـنْ شِـيـمَـةِ ٱلْأَسَـدِ ٱلْـوَرْدِ [1]

لَـوْ أَفْـكَـرَ ٱلْـعَـاشِـقُ فِـي مُـنْـتَـهَـىٰ   حُـسْـنِ ٱلَّـذِي يَـسْـبِـيـهِ لَـمْ يَـسْـبِـهِ [2]

هـٰذهِ أكثرُ أمثالِ شعرِ أبي الطيبِ المتنبي ، وكانَ للناسِ بها وَلَعٌ عظيمٌ ؛ لِمَا وجدوهُ مِنْ نفعِها في تحليةِ رسائلِهِم المُنشأَةِ في مُختلِفاتِ أغراضِهِم ، وتفصيلِ أحاديثِهِم في مجالسِهِم ، كما قالَ أبو منصورٍ الثعالبيُّ في كتابِهِ المُلقَّبِ « يتيمةَ الدَّهرِ في محاسنِ أهلِ العصرِ » عندَ ترجمةِ المتنبي (ليسَ اليومَ مجالسُ الدرسِ أعمرَ بشعرِ أبي الطيبِ مِنْ مجالسِ الأنسِ ، ولا أقلامُ كُتَّابِ الرسائلِ أجرىٰ بهِ مِنْ ألسنِ الخُطباءِ في المحافلِ ، ولا لحونُ القوَّالينَ والمُغنِّينَ أشغلَ بهِ مِنْ كتبِ المُؤلِّفينَ والمُصنِّفينَ) انتهىٰ [3]

[أمثالٌ لشعراءَ آخرينَ]

ولطرفةَ بنِ العبدِ [4]   [من الطويل]

وَأَعْـلَـمُ عِـلْـمـاً لَـيْـسَ بِـٱلـظَّـنِّ أَنَّـهُ   إِذَا ذَلَّ مَـوْلَى ٱلْـقَـوْمِ فَـهْـوَ ذَلِـيـلُ
وَإِنَّ لِسَـانَ ٱلْـمَـرْءِ مَـا لَـمْ تَـكُـنْ لَـهُ   حَـصَـاةٌ عَـلَـىٰ عَـوْرَاتِـهِ لَـدَلِـيـلُ

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٩٨) ، وهما من الطويل
(٢) ديوان المتنبي (ص ٤١٧) ، وهو من السريع
(٣) يتيمة الدهر (١٤٠/١)
(٤) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٨٤ ـ ٨٥)

ولجرير بنِ عبدِ المسيحِ المُلقَّبِ بالمُتلمِّسِ مِنْ شعراءِ الجاهليَّةِ (١) [من الوافر]

قَلِيلُ ٱلْمَالِ تُصْلِحُهُ فَيَبْقَىٰ وَلَا يَبْقَى ٱلْكَثِيرُ مَعَ ٱلْفَسَادِ
وَحِفْظُ ٱلْمَالِ خَيْرٌ مِنْ فَنَاهُ وَجَوْلٍ فِي ٱلْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ

وللبيدٍ (٢) [من الرمل]

اِكْذِبِ ٱلنَّفْسَ إِذَا حَدَّثْتَهَا إِنَّ صِدْقَ ٱلنَّفْسِ يُزْرِي بِٱلْأَمَلْ
وَإِذَا رُمْتَ رَحِيلاً فَٱرْتَحِلْ وَٱعْصِ مَا يَأْمُرُ تَوْصِيمُ ٱلْكَسَلْ

ولكعبِ بنِ زهيرٍ (٣) [من الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ ٱلْجَهْلِ وَٱلْخَنَا أَصَبْتَ حَلِيماً أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ

ولحسانِ بنِ ثابتٍ رضيَ اللهُ عنهُ (٤) [من الخفيف]

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ ٱلْمَا لِ وَجَهْلٍ غَطَّىٰ عَلَيْهِ ٱلنَّعِيمُ
مَا أُبَالِي أَنَبَّ بِٱلْحُزْنِ تَيْسٌ أَمْ لَحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

وللنجاشيِّ الحارثيِّ (٥) [من البسيط]

إِنِّي ٱمْرُؤٌ قَلَّمَا أُثْنِي عَلَىٰ أَحَدٍ حَتَّىٰ أَرَىٰ بَعْض مَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ
لَا تَمْدَحَنَّ ٱمْرَأً حَتَّىٰ تُجَرِّبَهُ وَلَا تَذُمَّنَّ مَنْ لَمْ [يَبْلُهُ] ٱلْخَبَرُ

---

(١) انظر « ديوان المتلمِّس الضبعي » (ص ١٧٢ ـ ١٧٣)

(٢) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ١٨٠)

(٣) انظر « ديوان كعب بن زهير » رضي الله عنه (ص ٢٥٧)

(٤) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (٤٠/١)

(٥) انظر « أنوار الربيع » (٨١/٢)

وللكميتِ بنِ زيدٍ [1] [من الطويل]

فَيَا مُوقِداً نَاراً لِغَيْرِكَ ضَوْءُهَا ... وَيَا حَاطِباً فِي غَيْرِ حَبْلِكَ تَحْطِبُ

ولهُ أيضاً [2] [من الطويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُ ٱلْأَسِنَّةِ مَرْكَباً ... فَلَا رَأْيَ لِلْمُضْطَرِّ إِلَّا رُكُوبُهَا

ولعديِّ بنِ الرقاعِ العامليِّ [3] [من الكامل]

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَىٰ أَمِيرِي زَادَنِي ... ضَنّاً بِهِ نَظَرِي إِلَى ٱلْأُمَرَاءِ

وَٱلْقَوْمُ أَشْبَاهٌ وَبَيْنَ حُلُومِهِمْ ... بَوْنٌ كَذَاكَ تَفَاضُلُ ٱلْأَشْيَاءِ

بَلْ مَا رَأَيْتُ جِبَالَ أَرْضٍ تَسْتَوِي ... فِيمَا غَشِيتُ وَلَا نُجُومَ سَمَاءِ

وَٱلْبَرْقُ مِنْهُ وَابِلٌ مُتَتَابِعٌ ... جَوْدٌ وَآخَرُ لَا يَجُودُ بِمَاءِ

ولكُثَيِّرِ عَزَّةَ [4] [من الطويل]

وَمَنْ لَا يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ ... وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهْوَ عَاتِبُ

وَمَنْ يَتَتَبَّعْ جَاهِداً كُلَّ عَثْرَةٍ ... يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمْ لَهُ ٱلدَّهْرَ صَاحِبُ

ولإبراهيمَ الصُّوليِّ [5] [من البسيط]

أَوْلَى ٱلْبَرِيَّةِ طُرّاً أَنْ تُوَاسِيَهُ ... عِنْدَ ٱلسُّرُورِ ٱلَّذِي وَافَاكَ فِي ٱلْحَزَنِ

إِنَّ ٱلْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا ... مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي ٱلْمَنْزِلِ ٱلْخَشِنِ

---

(١) انظر « ديوان الكميت بن زيد الأسدي » (ص ٥٣٥)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (ص ٢/٩٢)

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٢/٩٢)

(٤) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ١٥٤)

(٥) انظر « الطرائف الأدبية » (ص ١٧٧) المشتمل على « ديوان الصولي » ومختارات أخرىٰ ، وانظر « وفيات الأعيان » (١/٤٦)

يُحكىٰ أنَّ تاجراً كانَ لهُ مملوكٌ نبيهٌ ، وكانَ معَهُ في سعةٍ مِنَ العيشِ ، فلم تزلْ بهِ الأيامُ حتى افتقرَ ، فعَرَض عليهِ ذٰلكَ المملوكُ أن يَبيعَهُ ويَنتفِعَ بثمنِهِ ، فبعدَ طولِ امتناعٍ مِنْ ذٰلكَ لم يجدْ بُدّاً منهُ

ثمَّ إنَّهُ بعدَ حينٍ مِنَ الزمانِ رجعَ إلى المدينةِ التي باعَ فيها ذٰلكَ المملوكَ ، فوجدَهُ قدِ ارتقَتْ بهِ الأحوالُ حتىٰ صارَ أميراً كبيراً ، ولم يَتمكَّنْ مِنْ لقائِهِ ، فكتبَ لهُ بيتَينِ وهُما [من البسيط]

كُنَّا جَمِيعَيْنِ فِي بُؤْسٍ نُكَابِدُهُ وَٱلْقَلْبُ وَٱلطَّرْفُ مِنَّا فِي أَذىً وَقَذَىٰ
وَٱلْآنَ أَقْبَلَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَيْكَ بِمَا تَهْوَىٰ فَلَا تَنْسَنِي إِنَّ ٱلْكِرَامَ إِذَا

ولعليِّ بنِ الجهمِ (١) [من الطويل]

هِيَ ٱلنَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ
وَعَاقِبَةُ ٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ ٱلرِّجَالِ ٱلتَّفَضُّلُ
وَلَا عَارَ أَنْ زَلَّتْ عَنِ ٱلْحُرِّ نِعْمَةٌ وَلٰكِنَّ عَاراً أَنْ يَزُولَ ٱلتَّجَمُّلُ

ولابنِ شبلٍ البغداديِّ (٢) [من الخفيف]

صِحَّةُ ٱلْمَرْءِ لِلسَّقَامِ طَرِيقٌ وَطَرِيقُ ٱلْفَنَاءِ هٰذَا ٱلْبَقَاءُ
بِٱلَّذِي نَغْتَذِي نَمُوتُ وَنَحْيَا أَقْتَلُ ٱلدَّاءِ لِلنُّفُوسِ ٱلدَّوَاءُ
مَا لَقِينَا مِنْ غَدْرِ دُنْيَا فَلَا كَا نَتْ وَلَا كَانَ أَخْذُهَا وَٱلْعَطَاءُ
رَاجِعٌ جُودُهَا إِلَيْهَا فَمَهْمَا يَهَبِ ٱلصُّبْحُ يَسْتَرِدَّ ٱلْمَسَاءُ
صَلَفٌ تَحْتَ رَاعِدٍ وَشَرَابٌ كَرَعَتْ فِيهِ مُومِسٌ خَرْقَاءُ

---

(١) تقدم (١/٣٣٤)

(٢) انظر « معجم الأدباء » (٤/٢٣) ، و« مختصر شرح لامية العجم » للدميري (ص ٢٣٠)

لَيْتَ شِعْرِي حُلْماً تَغُرُّ بِهِ ٱلْأَيَّـ ـامُ أَمْ لَيْسَ تُعْقَلُ ٱلْأَشْيَاءُ
مِنْ فَسَادٍ يَكُونُ فِي عَالَمِ ٱلْكَوْ نِ فَمَا لِلنُّفُوسِ مِنْهُ ٱتِّقَاءُ
وَقَلِيلاً مَا تَصْحَبُ ٱلْمُهْجَةُ ٱلْجِسْـ ـمَ فَفِيمَ ٱلشَّقَا وَفِيمَ ٱلْعَنَاءُ
قَبَّحَ ٱللهُ لَذَّةً لِشَقَانَا نَالَهَا ٱلْأُمَّهَاتُ وَٱلْآبَاءُ
نَحْنُ لَوْلَا ٱلْوُجُودُ لَمْ نَأْلَمِ ٱلْفَقْـ ـدَ فَإِيجَادُنَا عَلَيْنَا بَلَاءُ

وفي هٰذا القَدْرِ كفايةٌ ، وطالبُ الأدبِ لا يهدأُ مِنَ الاطِّلاعِ والبحثِ في كلامِ أسلافِهِ ؛ حتىٰ يصيرَ هلالُهُ بدراً ، وهنالِكَ يَكمُلُ جمالُهُ ، ويَعُمُّ الناسَ فضلُهُ وأفضالُهُ



التخييرُ

تقفيةُ البيتِ بأمكنِ قوافٍ ممكنةٍ أن تُتمِّمَ البيتَ دونَ خَلَلٍ ؛ كقولِ الحريريِّ [1] [من البسيط]

إنَّ ٱلْغَرِيبَ ٱلطَّوِيلَ ٱلذَّيْلِ مُمْتَهَنٌ   فَكَيْفَ حَالُ غَرِيبٍ مَا لَهُ قُوتُ

يمكنُ أن يَتِمَّ البيتُ ما لهُ مالٌ ، أو نَشَبٌ ، ولٰكنْ ما لهُ قُوتٌ أمكنُ ؛ رعايةً لغَرَضِ الشَّكوىٰ وصفةِ الفاقةِ

والمشهورُ في التمثيلِ لهٰذا النوعِ قولُ عبدِ السلامِ الحمصيِّ المعروفِ بديكِ الجنِّ [2] [من مجزوء الكامل]

قُولِي لِطَيْفِكِ يَنْثَنِي   عَنْ مَضْجَعِي عِنْدَ ٱلْمَنَامْ

عِنْدَ ٱلرُّقَادْ عِنْدَ ٱلْهُجُوعْ   عِنْدَ ٱلْهُجُودْ عِنْدَ ٱلْوَسَنْ

فَعَسَىٰ أَنَامُ فَتَنْطَفِي   نَارٌ تَأَجَّجُ فِي ٱلْعِظَامْ

فِي ٱلْفُؤَادْ فِي ٱلضُّلُوعْ   فِي ٱلْكُبُودْ فِي ٱلْبَدَنْ

جَسَدٌ تُقَلِّبُهُ ٱلْأَكُفُّ   عَلَىٰ فِرَاشٍ مِنْ سَقَامْ

مِنْ قَتَادْ مِنْ دُمُوعْ   مِنْ وُقُودْ مِنْ حَزَنْ

أَمَّا أَنَا فَكَمَا عَلِمْـ   ـتِ فَهَلْ لِوَصْلِكِ مِنْ دَوَامْ

مِنْ مَعَاذْ مِنْ رُجُوعْ   مِنْ وُجُودْ مِنْ ثَمَنْ



---

(١) انظر « مقامات الحريري » (ص ٣٨١)

(٢) انظر « ديوان ديك الجن الحمصي » (ص ٢٠٤)

النزاهةُ

البعدُ عمَّا تَنفِرُ منهُ النفوسُ ، وأرادَ بهِ أهلُ البديعِ أن يَسلَمَ شعرُ الهِجاءِ مِنَ الإفحاشِ ، والأحسنُ أن تُفسَّرَ بسلامةِ الكلامِ في أيِّ معنىً كانَ مِنَ الألفاظِ المُستكرَهةِ

قالَ أبو عمرِو بنُ العلاءِ (خيرُ الهِجاءِ ما تُنشَدُهُ العذراءُ في خِدرِها فلا تستحي منهُ)[1] ، واستشهدوا لذٰلكَ بقولِ أوسٍ[2] [من الطويل]

إِذَا نَاقَةٌ شُدَّتْ بِرَحْلٍ وَنُمْرُقٍ إِلَىٰ حَسَنٍ بَعْدِي فَضَلَّ ضَلَالُهَا

وقولِ جريرٍ[3] [من الوافر]

فَغُضَّ ٱلطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

[أقسامُ الهجاءِ]

وقالَ ابنُ بسَّامٍ في « الذَّخيرةِ » ـ وكانَ عفا اللهُ عنهُ هَجَّاءً ـ (الهِجاءُ ينقسمُ قسمَينِ

فقسمٌ يُسمُّونَهُ هِجاءَ الأشرافِ ؛ وهوَ ما لم يبلغْ أن يكونَ سِباباً مُقذِعاً ، وهجواً مُستبشَعاً ؛ وهوَ طأطأَ قديماً مِنَ الأوائلِ ، وثَلَّ عُروشَ القبائلِ ، إنَّما هوَ توبيخٌ وتعييرٌ ، وتقديمٌ وتأخيرٌ

والقسمُ الثاني أكثرَ منهُ جريرٌ وطبقتُهُ ، وتبعَهُ الناسُ فيهِ بعدُ ، وكانَ يقولُ

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (١٥٩/٢)

(٢) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ١٠٠)

(٣) تقدم (٦٧/١)

إذا هجوتُم . فأضحكوا ، وهٰذا النوعُ لمْ يَهدِمْ قطُّ بيتاً ، ولا عُيِّرَتْ بهِ قبيلةٌ) انتهىٰ [١]

مثالُ الأوَّلِ قولُ الحطيئةِ [٢] [من البسيط]

دَعِ ٱلْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي

ومثالُ الثاني قولُ جريرٍ [٣] [من الكامل]

وَٱلتَّغْلِبِيُّ إِذَا تَنَحْنَحَ لِلْقِرَىٰ حَكَّ ٱسْتَهُ وَتَمَثَّلَ ٱلْأَمْثَالَا

ولجريرٍ مِنَ القسمَينِ [٤] [من الوافر]

وَيُقْضَى ٱلْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ وَلَا يُسْتَأْمَرُونَ وَهُمْ شُهُودُ
وَإِنَّكَ إِنْ لَقِيتَ عَبِيدَ تَيْمٍ وَتَيْماً قُلْتَ أَيُّهُمُ ٱلْعَبِيدُ

وذمَّ أعرابيٌّ قوماً فقالَ هُم أقلُّ الناسِ ذُنوباً إلىٰ أعدائِهم ، وأكثرُهُم جُرْماً إلىٰ أصدقائِهم ، يصومونَ عنِ المعروفِ ، ويُفطِرونَ على المُنكَرِ ، ألسنةٌ مملوءةٌ بالوعدِ ، وقلوبٌ خَرِبةٌ مِنَ المجدِ



---

(١) الذخيرة في محاسن الجزيرة (١/٤٢٠) ، وانظر « أنوار الربيع » (٢/١٦٢)
(٢) تقدم (١/٦٥ ـ ٦٦)
(٣) انظر « ديوان جرير » (١/٥٢)
(٤) انظر « ديوان جرير » (١/٣٣٢)

التهكُّمُ والهزلُ الذي يُرادُ بهِ الجِدُّ

هٰذانِ النوعانِ متشابهانِ ، والفرقُ بينَهُما أنَّ الأوَّلَ ظاهرُهُ الجِدُّ ، وباطنُهُ الاستهزاءُ ، والثانيَ عكسُهُ

فمِنَ الأوَّلِ مثلُ قولِهِ تعالىٰ ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (١)

وقولِهِ ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ (٢)

وقولِهِ ﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣)

وحاصلُ تعريفِهِ أنَّهُ ذكرُ الألفاظِ الدالَّةِ علىٰ ما يلائمُ النفوسَ ؛ مِنَ الإجلالِ والتعظيمِ والتبشيرِ والتهنئةِ علىٰ سبيلِ السُّخريةِ ، مدلولاً علىٰ ذٰلكَ بقرينةٍ

ومِنَ الثاني مثلُ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ علىٰ سبيلِ المُداعبةِ ـ وكان صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يداعبُ ؛ أي يمازحُ ولا يقولُ إلَّا حقّاً ـ لعجوزٍ « إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ عَجُوزٌ » ، فضاقَتْ لذٰلكَ ، فتبسَّمَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وأخبرَها أنَّ المرادَ كونُ أهلِ الجنَّةِ يدخلونَها شباباً (٤)

وقدِ اشتملَ علىٰ ما يصلحُ للنوعَينِ شعرُ أبي نواسٍ حينَ حبسَهُ الفضلُ بنُ الربيعِ يستتيبُهُ (٥) ؛ وهوَ [من الخفيف]

أَنْتَ يَا بْنَ ٱلرَّبِيعِ عَلَّمْتَنِي ٱلْخَيْـ ـرَ وَعَوَّدْتَنِيهِ وَٱلْخَيْرُ عَادَهْ

(١) سورة الرعد (١١)

(٢) سورة الدخان (٤٩)

(٣) سورة آل عمران (٢١)

(٤) أخرجه الترمذي في « الشمائل » (٢٤٦) عن الحسن رحمه الله تعالىٰ مرسلاً

(٥) ديوان أبي نواس (ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣)

فَٱرْعَوَىٰ بَاطِلِي وَرَاجَعَنِي ٱلْحِلْـ ـمُ وَأَحْدَثْتُ تَوْبَةً وَزَهَادَهْ

مِنْ خُشُوعٍ أَزِينُهُ بِنُحُولٍ وَٱصْفِرَارٍ مِثْلِ ٱصْفِرَارِ ٱلْجَرَادَهْ

اَلتَّسَابِيحُ فِي ذِرَاعِيَ وَٱلْمُصْـ ـحَفُ فِي لَبَّتِي مَكَانَ ٱلْقِلَادَهْ

فَٱدْعُ بِي لَا عَدِمْتَ تَقْوِيمَ مِثْلِي وَتَأَمَّلْ بِعَيْنِكَ ٱلسَّجَّادَهْ

تَرَ أَثْراً مِنَ ٱلصَّلَاةِ بِوَجْهِي تُوقِنُ ٱلنَّفْسُ أَنَّهُ مِنْ عِبَادَهْ

لَوْ رَآهَا بَعْضُ ٱلْمُرَائِينَ يَوْماً لَٱشْتَرَاهَا يُعِدُّهَا لِلشَّهَادَهْ

وَلَقَدْ طَالَ مَا أَبَيْتُ وَلَٰكِنْ أَدْرَكَتْنِي عَلَىٰ يَدَيْكَ ٱلسَّعَادَهْ



القولُ بالمُوجَبِ

هوَ نوعانِ أحدُهُما أن يقعَ في كلامِ أحدٍ إثباتُ صفةٍ لشيءٍ ، وترتيبُ حكمٍ عليها ، فينقلَ السامعُ تلكَ الصفةَ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ الشيءِ ساكتاً عنِ الحكمِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

أثبتَ المنافقونَ لأنفسِهِم صفةَ الأعزيَّةِ ، وللمؤمنينَ صفةَ الأذلِّيَّةِ ، ورتَّبُوا علىٰ ذٰلكَ الإخراجَ مِنَ المدينةِ ، فنُقِلَتْ صفةُ العِزِّ للمؤمنينَ ، وأُبقِيَتْ للمنافقينَ صفةُ الذُّلِّ

وثانيهِما أن يُثبِتَ المُتكلِّمُ أمراً ، فيُوافِقَهُ المُخاطَبُ ، ولٰكنْ يَصرِفُهُ إلىٰ غيرِ مقصودِهِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ (٢)

يُقالُ فلانٌ أُذُنٌ ؛ أي يَسمعُ كلَّ ما يُقالُ ، ويَعملُ علىٰ مُوجَبِهِ دونَ فكرٍ ورَويَّةٍ وتمييزِ المقبولِ مِنْ غيرِهِ ، فوافقَهُم في إثباتِ أنَّهُ أُذُنٌ ، وصرفَهُ عنْ مقصودِهِم ؛ أي هوَ أُذُنٌ لٰكنْ ليسَ أُذُنَ سَوءٍ كما قصدتُم ، بل هوَ أُذُنُ خيرٍ

ومِنْ شواهدِهِ قولُ بعضِهِم (٣) [من المجتث]

لَقَّنْتُهُ ٱلْعُذْرَ عَنْ تَرْ ... كِ حَاجَتِي لَوْ تَصَوَّرْ

فَقُلْتُ أُنْسِيتَهَا وَٱلنِّـ ... ـسْيَانُ أَمْرٌ مُقَدَّرْ

(١) سورة المنافقون (٨)

(٢) سورة التوبة (٦١)

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٣/١٨٣) ، وعزى الأبيات للسراج الوراق

فَــقَــالَ لَــسْــتُ بِــنَــاسِ   فَــقُــلْــتُ مَــوْلَايَ أَخْــبَــرْ

[الأسلوبُ الحكيمُ]

وقولُ آخَرَ (١)   [من الخفيف]

قُلْتُ لِلْأَهْيَفِ ٱلَّذِي فَضَحَ ٱلْغُصْـ   ـنَ كَلَامُ ٱلْوُشَاةِ مَا يَنْبَغِي لَكْ

قَالَ قَوْلُ ٱلْوُشَاةِ عِنْدِيَ رِيحٌ   قُلْتُ أَخْشَىٰ يَا غُصْنُ أَنْ يَسْتَمِيلَكْ

وهٰذا النوعُ إذا كانَ الغرضُ منهُ التنبيهَ علىٰ ما هوَ الأَولىٰ والأليقُ سُمِّيَ الأسلوبَ الحكيمَ



(١) انظر « معاهد التنصيص » (٣/١٨٣)

التسليمُ

هوَ أن تنفيَ شيئاً ، ثمَّ تَفرِض ثبوتَهُ ، وتُبيِّنَ أنَّهُ لا فائدةَ فيهِ ؛ كقولِهِ [1] [من الطويل]

إِذَا أَنَا عَاتَبْتُ ٱلْمَلُولَ فَإِنَّمَا ... أَخُطُّ بِأَقْلَامِي عَلَى ٱلْمَاءِ أَحْرُفَا

وَهَبْهُ ٱرْعَوَىٰ بَعْدَ ٱلْعِتَابِ أَلَمْ تَكُنْ ... مَوَدَّتُهُ طَبْعاً فَصَارَتْ تَكَلُّفَا

فإنَّ معناهُ أنَّ المَلولَ النافرَ عنِ المودَّةِ لا يَعطِفُهُ العِتابُ إليها ، ولو عطفَهُ لم يكنْ مفيداً



(١) هو أبو الحسن الناشئ الأصغر ، كما في « التذكرة الحمدونية » (٥٢/٥)

الاقتباسُ

هوَ أن يُزيِّنَ المُتكلِّمُ كلامَهُ بعبارةٍ مِنَ القرآنِ يظهرُ أنَّها منهُ ، وإنَّما يَحسُنُ ويكونُ مقبولاً إذا وَطَّنَ لها في الكلامِ ؛ بحيثُ تكونُ مندرجةً فيهِ داخلةً في سياقِهِ دخولاً تامّاً ، وكانَ ذٰلكَ في المَقاماتِ الشريفةِ ؛ كالوعظِ والتذكيرِ والزهدِ والمدائحِ النبويَّةِ وما والىٰ ذٰلكَ

وأمَّا الاقتباسُ في المواضعِ الخسيسةِ فبعدَ كونِهِ مِنْ إساءةِ الأدبِ فلا يَبعُدُ أن يكونَ مُجمَعاً علىٰ حرمتِهِ وإن لم يَنُصَّ عليهِ إلَّا بعضُ المالكيَّةِ ؛ كقولِ القائلِ[1] [من مجزوء الرمل]

رُبَّ فَــــلَّاحٍ مَــــلِــــيــــحٍ قَـــالَ يَـــا أَهْـــلَ ٱلْـــفُـــتُـــوَّهْ
كَــفَــلِــي أَضْــعَــفَ خَــصْــرِي فَـــأَعِـــيـــنُـــونِـــي بِـــقُـــوَّهْ

وإنَّما يكونُ اقتباساً إذا لم يكنْ إيرادُ ما يُورَدُ علىٰ سبيلِ الحكايةِ ، وإلَّا كانَ استدلالاً واستشهاداً ، كما يُقالُ بعدَ حكايةِ كلامٍ فاللهُ يقولُ كذا ، أو قالَ كذا ، أوِ اقرؤوا إن شئتُم كذا

[أمثلةٌ منَ الاقتباسِ الحسَنِ]

فمِنَ الاقتباسِ الحسنِ ما وقعَ لعبدِ المؤمنِ الأصبهانيِّ فِي مقالاتِهِ التي سمَّاها « أطباقَ الذهبِ » كقولِهِ مِنْ مقالةٍ[2] (واعلمْ أنَّ الدنيا والآخرةَ ضَرَّتانِ ، لكَ إليهما كَرَّتانِ ، إحداهُما حُرَّةٌ خريدةٌ ، والأخرىٰ أَمةٌ مَريدةٌ ، فاجعلْ للحُرَّةِ يومَينِ ؛ فإنَّ لها قَسْمَينِ ، وللأَمةِ قَسْماً ؛ فإنَّ لها في كتابِكَ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٤/١٤٣)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢/٢٢٧)

اسماً ، وأَضعِفْ نصيبَ العُقبىٰ ، ولا تنسَ نصيبَكَ مِنَ الدنيا ، واحفظِ القسمةَ العادلةَ ، ولا تكنْ ممَّنْ يُحبُّونَ العاجلةَ ، فالويلُ كلُّ الويلِ ، أن تميلوا كلَّ الميلِ ، واتقِ الميلَ بالقلبِ ، فكلُّ أولـٰئكَ كانَ عنهُ مسؤولاً ، وإن كانَ ولا بدَّ فلَلآخرةُ خيرٌ لكَ مِنَ الأُولىٰ ، فإن نفيتَ الزَّيغَ فطَلِّقِ الدُّنيا ؛ فإنَّها زائدةٌ ، وإن خفتُم ألَّا تَعدِلوا فواحدةٌ)

ولابنِ معصومٍ في التذكيرِ والوعظِ (انتبهْ يا نائمُ ، فقد هَبَّتِ النَّسائمُ ، ودعِ المَنامَ ، فقدِ انقشعَ الظلامُ ، هـٰذا الصُّبحُ قد لاحَتْ تباشيرُهُ ، وهـٰذا النُّجْحُ قد وافاكَ بشيرُهُ ، فإلامَ هـٰذهِ الغفلةُ والغِرَّةُ ؟! وحتَّامَ هـٰذهِ الفضيحةُ والمَعرَّةُ ؟! أرُكوناً إلى الدنيا الدنيَّةِ ، واشتغالاً عنِ المَنيَّةِ بالأُمنيَّةِ ؟! وما أُراكَ إلَّا قد تَورَّطتَ ، فبادرْ نفسَكَ قبلَ أن تقولَ يا حسرتا علىٰ ما فَرَّطتُ ، وذَرِ الكِبْرَ والزَّهوَ ، فما الحياةُ الدنيا إلَّا لعبٌ ولهوٌ ، فتبّاً لِمَنْ نسيَ وفاتَهُ ، حتىٰ ذهبَ أمرُهُ وفاتَهُ ، وطُوبىٰ لِمَنْ عملَ لغدِهِ ، ولم يرضَ مِنَ العيشِ برغدِهِ ، فكم هـٰذا التسويفُ يا ماطلُ ، والحقُّ لا يُدرَكُ بالباطلِ ؟! فلا يَغُرَّنَّكَ قومٌ أعرضوا عنِ العلمِ والعملِ ، ذَرْهُم يأكلوا ويَتمتَّعوا ويُلهِهِمُ الأملُ ، إنَّ الذين آمنوا لا يُسوِّفونَ مِنْ يومٍ إلىٰ يومٍ ، ومِنْ عامٍ إلىٰ عامٍ ، والذينَ كفروا يَتمتَّعونَ ويأكلونَ كما تأكلُ الأنعامُ)(١)

ولهُ (مِنْ عجيبِ أمرِ الإنسانِ وكلُّ أمرِهِ عجيبٌ أن يدعوَ فيرجوَ الإجابةَ ويُدعىٰ فلا يجيبَ !! أليسَ كما يدينُ يُدانُ ؟! وهل يُجزىٰ إلَّا بما دانَ ؟! عقلٌ في قِفارِ الجَهالةِ هائمٌ ، وقلبٌ في تَيَّارِ الضَّلالةِ عائمٌ ، يرجو ولا يخافُ ، إيمانٌ ظاهرٌ وكفرٌ خافٍ ، والخوفُ والرجاءُ للمؤمنِ كالجناحَينِ للطَّيرِ ، متىٰ قُصَّ أحدُهُما هوىٰ في هُوَّةِ الضَّيرِ

---

(١) أنوار الربيع (٢/٢٢٧ ـ ٢٢٨)

فيا أيُّها المغرورُ بأملِهِ ، المسرورُ بعملِهِ ؛ إنَّكَ في حبائلِ الشيطانِ واقعٌ ، ألمَّا تَصْحُ والشَّيبُ وازعٌ ؟! فانظرْ لحالِكَ ، قبلَ تَرحالِكَ ، واعملْ في يومِكَ لغدِكَ ، قبلَ فواتِ الأمرِ مِنْ يدِكَ ، ولا تكنْ عنِ الآخِرةِ باللَّاهِ ، وإمَّا يَنزغنَّكَ مِنَ الشيطانِ نزغٌ فاستعذْ باللهِ ، ولا يُعجِبَنَّكَ أمرُ قومٍ رضُوا مِنَ الدنيا الدنيَّةِ بالدُّونِ ، إنَّهُمُ اتخذوا الشياطينَ أولياءَ مِنْ دونِ اللهِ ويَحسَبونَ أنَّهُم مهتدونَ)[١]

ولهُ (للهِ دَرُّ عصابةٍ ، هُم أهلُ الإصابةِ ، ذاقوا شهْدَ الدَّهرِ وصابَهُ ، وقاسوا مِحَنَهُ وأوصابَهُ ، فنبذوا الدنيا وراءَهُم ظهريّاً ، وامتطَوا مِنْ عزمِهِم جملاً مَهْريّاً ، يرونَ ببصائرِهِم ما لا يرونَ بأبصارِهِم ، وينتصرونَ باللهِ سبحانَهُ لا بأنصارِهِم ، هُم أعلامُ الهدىٰ ومعالمُهُ ، وأركانُ التوحيدِ ودعائمُهُ ، أنفسُهُم في عالمِ الملكوتِ سائحةٌ ، وقلوبُهُم في غِمارِ الرَّهبوتِ سابحةٌ ، نطقُهُم حكمةٌ وذكرٌ ، وصَمتُهُم عِبرةٌ وفكرٌ ، إذا خُوطبوا أحسنوا السمعَ ، وإذا سمعوا ما أُنزِلَ إلى الرسولِ ترىٰ أعينَهُم تفيضُ مِنَ الدمعِ ، أكفُّهُم بالبذلِ مبسوطةٌ ، وأوصافُهُم بالفضلِ منوطةٌ ، يبذلونَ مِنَ المالِ خلاصَهُ ، ويؤثرونَ علىٰ أنفسِهِم ولو كانَ بهِم خَصاصةٌ ، يَهدونَ بالحقِّ وبهِ يَعدِلونَ ، ويَصدُّونَ عنِ الباطلِ وعنهُ يَعدِلونَ ، يأمرونَ بالصُّلحِ وهُم المصلحونَ ، أولئكَ علىٰ هدىً مِنْ ربِّهِم وأولئكَ هُمُ المفلحونَ)[٢]

[الاقتباسُ منَ الحديثِ الشريفِ]

ثمَّ إنَّ الاقتباسَ كما يكونُ مِنَ القرآنِ يكونُ مِنَ الحديثِ الشريفِ ، ومِنْ

---

(١) أنوار الربيع (٢/٢٢٨ ـ ٢٢٩)

(٢) أنوار الربيع (٢/٢٢٩)

سائرِ الفنونِ [العلميَّةِ] ؛ كقولِ الصَّاحبِ في الحديثِ [١] [من مجزوء الرمل]

قَالَ لِي إِنَّ رَقِيبِي سَيِّئُ ٱلْخُلْقِ فَدَارِهْ
قُلْتُ دَعْنِي وَجْهُكَ ٱلْجَنَّـ ـةُ حُفَّتْ بِٱلْمَكَارِهْ

ولفظُ الحديثِ « حُفَّتِ ٱلْجَنَّةُ بِٱلْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ ٱلنَّارُ بِٱلشَّهَوَاتِ » [٢]

وكقولِ تقيّ الدينِ بنِ دقيقِ العيدِ مِنْ أصولِ الفقهِ [٣] [من السريع]

قَالُوا فُلَانٌ رَجُلٌ عَالِمٌ فَأَكْرِمُوهُ مِثْلَ مَا يَرْتَضِي
فَقُلْتُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ عَالِماً تَعَارَض ٱلْمَانِعُ وَٱلْمُقْتَضِي

وقولِ ابنِ العفيفِ [٤] [من الوافر]

قُضَاةَ ٱلْحُسْنِ مَا صُنْعِي بِطَرْفٍ تَمَنَّىٰ مِثْلَهُ ٱلرَّشَأُ ٱلرَّبِيبُ
رَمَىٰ فَأَصَابَ قَلْبِي بِٱجْتِهَادٍ صَدَقْتُمْ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبُ

ولابنِ العفيفِ مِنَ المَنطِقِ [٥] [من المنسرح]

لِلْمَنْطِقِيِّينَ أَشْتَكِي أَبَداً عَيْنَ رَقِيبٍ فَلَيْتَهُ هَجَعَا
رَاقَبَهَا مَنْ أُحِبُّهُ فَأَبَىٰ أَنْ نَخْتَلِي سَاعَةً وَنَجْتَمِعَا
كَيْفَ غَدَتْ دَائِماً وَمَا ٱنْفَصَلَتْ مَانِعَةُ ٱلْجَمْعِ وَٱلْخُلُوِّ مَعَا

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢/٢٥٢)
(٢) أخرجه بلفظه هنا مسلم (٢٨٢٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه
(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٩/٢١٤) ، وفيها (لم يكن ذا تقىً) بدل (لم يكن عالماً)
(٤) انظر « ديوان ابن العفيف التلمساني » (ص ٣٣)
(٥) انظر « ديوان ابن العفيف التلمساني » (ص ١٤٧)

ولبعضِهم [1] [من الكامل]

تَـٱللهِ مَـا لِـمُـعَـذِّبِي فِـي حُـسْـنِـهِ   شَبَـهٌ فَـأَيُّ حَـشـاً عَـلَـيْـهِ لَـمْ يَـهِـمْ
لَامُ ٱلْـعِـذَارِ وَمِـيـمُ مَبْـسِـمِـهِ عَـلَـىٰ   مَـا أَدَّعِـي مِـنْ حُـسْـنِـهِ بُـرْهَـانُ لِـمْ

ولأبي المحاسنِ الشوَّاءِ مِنَ النحوِ [2] [من السريع]

هَـاتِـيـكَ يَـا صَـاحِ رُبَـا لَـعْـلَـعٍ   نَـاشَـدْتُـكَ ٱللهَ فَـعَـرِّجْ مَـعِـي
وَٱنْـزِلْ بِـنَـا بَـيْـنَ بُـيُـوتِ ٱلـنَّـقَـا   فَـقَـدْ غَـدَتْ آهِـلَـةَ ٱلْـمَـرْبَـعِ
حَتَّىٰ نُطِيلَ ٱلْيَوْمَ وَقْفاً عَلَى ٱلسَّـ   ـاكِـنِ أَوْ عَـطْـفـاً عَـلَى ٱلْـمَـوْضِـعِ

ولبعضِهِم مِنَ البيانِ [3] [من الكامل]

قَـدْ قُـلْـتُ لِـلْـبَـدْرِ ٱلـتَّـمَـامِ مُـنَـزِّهـاً   عَـنْـهُ مُـعَـذِّبَ مُـهْـجَـتِـي تَـنْـزِيـهَـا
أَشْـبَـهْـتَـهُ لَـمَّـا ٱسْـتَـعَـرْتَ جَـمَـالَـهُ   وَٱلْإِسْـتِـعَـارَةُ تَـقْـتَـضِـي ٱلـتَّـشْـبِـيـهَـا

ولصاحبِ هٰذَينِ البيتَينِ ـ واسمُهُ عبدُ عليِّ بنُ رحمةَ ـ مِنَ البديعِ [من الوافر]

وَحَـوْرَاءُ ٱلْـعُـيُـونِ إِذَا تَـجَـلَّـتْ   لِـجَـيْـشِ ٱلْـهَـمِّ آذَنَ بِـٱلـشَّـتَـاتِ
إِذَا ٱلْـتَـفَـتَـتْ أَفَـادَتْـنِـي نَـشَـاطـاً   وَذَلِكَ وَجْـهُ حُـسْـنِ ٱلْإِلْـتِـفَـاتِ

ولأبي إسحاقَ الغزيّ مِنْ علمِ الهيئةِ [من الرمل]

لَسْتُ أَنْسَىٰ قَوْلَ سَلْمَىٰ ذَاتَ يَوْمٍ   مَا لِهَـٰذَا ٱلْمُنْحَنِي ٱلظَّهْرِ وَمَا لِي
أَنَا شَمْسٌ فِي ٱلضُّحَىٰ وَهْوَ هِلَالٌ   وَكُسُوفُ ٱلشَّمْسِ مِنْ قُرْبِ ٱلْهِلَالِ



---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢/٢٧٧)
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢/٢٧٩ ـ ٢٨٠)
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٢/٢٨٩)

المواربةُ

هيَ أن يَجعلَ المُتكلِّمُ كلامَهُ بحيثُ يمكنُهُ أن يُغيِّرَ معناهُ بتحريفٍ أو تصحيفٍ ؛ ليَسلَمَ مِنَ المؤاخذةِ ، فيكونَ قد وصلَ إلىٰ غرضِهِ معَ سلامةِ العاقبةِ

[قصةُ أبي المنهالِ معَ عبدِ الملكِ]

يُحكىٰ أنَّ أبا منهالٍ عِتْبانَ ابنَ وصيلةَ وكانَ مِنْ قومٍ خرجوا في أيامِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، ثمَّ انقادوا ، فوفدَ عليهِ بعدَ أن بلغَهُ عنهُ قولُهُ [من الطويل]

وَأَبْلِغْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً ... وَذُو ٱلنُّصْحِ لَوْ يُدْعَىٰ إِلَيْهِ قَرِيبُ

فَلَا نُصْحَ مَا دَامَتْ مَنَابِرُ أَرْضِنَا ... يَقُومُ عَلَيْهَا مِنْ ثَقِيفَ خَطِيبُ

وَإِنَّكَ إِلَّا تُرْضِ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ... يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بِٱلْعِرَاقِ عَصِيبُ

فَإِنْ يَكُ مِنْكُمْ كَانَ مَرْوَانُ وَٱبْنُهُ ... وَعَمْرٌو وَمِنْكُمْ هَاشِمٌ وَحَبِيبُ

فَمِنَّا حُصَيْنٌ وَٱلْبَطِينُ وَقَعْنَبٌ ... وَمِنَّا أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ شَبِيبُ

فقالَ ألستَ القائلَ يا عدوَّ اللهِ ومنَّا أميرُ المؤمنينَ ؟! فقالَ إنَّما قلتُ أميرَ المؤمنينَ ، فنصبَ ما كانَ مرفوعاً ، فأفردَهُ بالإمارةِ بعدَ أن أشركَ فيها شبيباً ، أو خَصَّهُ بها ، وإثباتُها أوَّلاً لعبدِ الملكِ يكونُ علىٰ زعمِهِ[1]

[القاضي وقاضي القضاةِ والأُترجَّةِ]

ودخلَ الخطيرُ أسعدُ بنُ مَمَّاتي القاضي علىٰ عبدِ الرحيمِ الفاضلِ وكانَ

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٢/٤٥٦)

في عصرِهِ قاضيَ القضاةِ وصاحبَ الكلمةِ ، لا يُصدِرُ سلطانُهُ يوسفُ صلاحُ الدينِ أمراً إلَّا عن رأيِهِ ، فكانَ مَهيباً جدّاً مَخشيّاً ، فوجدَهُ جالساً وبينَ يدَيهِ أُترُجَّةٌ كبيرةٌ مساويةٌ لرأسِهِ ، وكانَ الفاضلُ أحدبَ ، فأخذَ يُندِّرُ علىٰ نفسِهِ بمقارنةِ تلكَ الأُترُجَّةِ مسابقةً بما يَخطُرُ في أنفسِ المشاهدينَ لتلكَ الحالةِ وهوَ يقولُ لأسعدَ كأنَّ هٰذا يَمُرُّ بفكرِكَ ؟! فقالَ لهُ لا يا سيِّدي أعزَّكَ اللهُ ، وإنَّما حضرَني وأنشدَ [من السريع]

لِلهِ بَـلْ لِـلْـحُـسْـنِ أُتْـرُجَّـةٌ ... تُـذَكِّـرُ ٱلـنَّـاسَ بِـأَمْـرِ ٱلـنَّـعِـيـمْ

كَـأَنَّـهَـا قَـدْ جَـمَـعَـتْ نَـفْـسَـهَـا ... مِنْ هَيْبَةِ ٱلْفَاضِلِ عَبْدِ ٱلرَّحِيمْ

فلمَّا خرجَ قالَ لهُ بعضُ مَنْ كانَ حاضراً أَمَا خشيتَ أن يَتنبَّهَ الرجلُ لقولِكَ (مِنْ هيبةِ) التي تصحيفُها (مِنْ هيئةِ) أي بإبدالِ الباءِ همزةً ، فيكونَ الكلامُ تنديراً ؟! فقالَ أسعدُ ما قصدتُ ذٰلكَ ، وسَلَّمَ اللهُ[1]

فمِنَ الواجبِ علىٰ مَنْ يخافُ الانتقادَ في خطابٍ أن يُفتِّشَ ألفاظَهُ ؛ حذراً مِنْ مثلِ ذٰلكَ

[الموارِبةُ بغيرِ التصحيفِ والتحريفِ]

وتكونُ المواربةُ بغيرِ التصحيفِ والتحريفِ ، والمدارُ فيها علىٰ تأويلٍ قريبٍ يَصرِفُ الكلامَ عنِ المعنى المكروهِ

يُحكىٰ أنَّ المُتوكِّلَ رمىٰ عُصفوراً فأخطأَ ، فقالَ بعضُ حاضريهِ أحسنتَ يا سيِّدي ، فغضبَ ، فقالَ [لهُ] إلى العُصفورِ ، فسُرِّيَ عنهُ وضحكَ[2]



(١) انظر « أنوار الربيع » (٢/١٩١ ـ ١٩٢)
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢/٣٠٣)

ويُحكىٰ أنَّ رافضيّاً وقعَ في أيدي سُنِّيِّينَ ، فقالَ إنَّ أبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلياً مَنْ أبغض واحداً منهم فهوَ كافرٌ ، وامرأتُهُ طالقٌ ، فخلصَ منهُم ، ومرادُهُ بالواحدِ عليٌّ (١)



(١) انظر « أنوار الربيع » (٢/٣٠٣)

التفويفُ

هوَ أن يأتيَ الشاعرُ بجُمَلٍ متناسقةٍ متتابعةٍ ، وحسنُهُ إذا سَلِمَ مِنَ الرَّكاكةِ المُؤدِّيةِ لثقلِ النطقِ ؛ كقولِ ابنِ زيدونَ[1] [من البسيط]

بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَضِعِ ... سِرٌّ إِذَا ذَاعَتِ ٱلْأَسْرَارُ لَمْ يَذِعِ

يَا بَائِعاً حَظَّهُ مِنِّي وَلَوْ بُذِلَتْ ... لِيَ ٱلْحَيَاةُ بِحَظِّي مِنْهُ لَمْ أَبِعِ

يَكْفِيكَ أَنَّكَ إِنْ حَمَّلْتَ قَلْبِيَ مَا ... لَا يَسْتَطِيعُ قُلُوبُ ٱلنَّاسِ يَسْتَطِعِ

تِهْ أَحْتَمِلْ وَٱسْتَطِلْ أَصْبِرْ وَعِزَّ أَهُنْ ... وَوَلِّ أُقْبِلْ وَمُرْ أَسْمَعْ وَقُلْ أُطِعِ

وهـٰذا يُقالُ لهُ التفويفُ بالجُمَلِ المُتوسِّطةِ ، وهنالكَ تفويفٌ بالجملِ الطويلةِ ، وتفويفٌ بالجملِ القصيرةِ ، وذٰلكَ أحسنُها ، وليسَ يخلو الثالثُ مِنْ تَعسُّفٍ وإن تهافتَ عليهِ بعضُ الشُّعراءِ كأنَّهُم يُظهِرونَ بهِ الاقتدارَ ؛ كقولِ المُتنبي[2] [من البسيط]

أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعِ ٱحْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ ... زِدْ هِشَّ بِشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ

مِنْ أقالَ عثرتَهُ ؛ أي سامحَهُ ، وأنالَهُ ؛ أي أعطاهُ ، وأقطعَهُ ملَّكَهُ قطعةَ أرضٍ يَنتفِعُ بها ، وحملَهُ أعطاهُ فرساً ، وعلَّىٰ قدرَهُ ؛ أي رفعَ شأنَهُ ، وسلَّاهُ ؛ أي أفادَهُ السلاوةَ عن فائتٍ لنفسِهِ بهِ تَعلُّقٌ ، وأعادَ ؛ أي كرَّرَ لهُ مسؤولَهُ وزادَهُ خيراً ، وهَشَّ وبَشَّ ؛ أي أظهرَ البِشرَ وتَفضَّلَ عليهِ ، وأدناهُ قَرَّبَهُ ، وسراهُ ؛ أي أعطاهُ جاريةً للفراشِ ، فأنتَ ترىٰ أنَّ بعض هـٰذهِ الألفاظِ ليسَتْ إلَّا تكميلاً للعددِ

---

(١) انظر « ديوان ابن زيدون » (ص ١٨٨) ، وفيه (وقل أسمع وقل أطع)

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥٩)

المراجعةُ

حكايةُ ما جرىٰ بينَ مُتخاطِبَينِ بـ (قالَ) و(قلتُ) مثلاً ، ومِلاحتُها إذا كانَتِ العبارةُ رشيقةً ، والنَّسَقُ مُستغرَباً ؛ كقولِ البحتريِّ [١] [من الخفيف]

وَنَدِيمٍ حُلْوِ ٱلشَّمَائِلِ كَٱلدِّيـ ... ـنَارِ مَحْضِ ٱلنِّجَارِ عَذْبِ ٱلْمُصَفَّىٰ

بِتُّ أَسْقِيهِ صَفْوَةَ ٱلرَّاحِ حَتَّىٰ ... وَضَعَ ٱلْكَأْسَ مَائِلاً يَتَكَفَّا

قُلْتُ عَبْدَ ٱلْعَزِيزِ تَفْدِيكَ نَفْسِي ... قَالَ لَبَّيْكَ قُلْتُ لَبَّيْكَ أَلْفَا

هَاكَهَا قَالَ هَاتِهَا قُلْتُ خُذْهَا ... قَالَ لَا أَسْتَطِيعُهَا ثُمَّ أَغْفَىٰ

وكقولِ بعضِ أجوادِ العربِ [٢] [من السريع]

قَالَتْ أَمَا تَرْحَلُ تَبْغِي ٱلْغِنَىٰ ... قُلْتُ فَمَنْ لِلطَّارِقِ ٱلْمُعْتَمِ

قَالَتْ فَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ لَهُ ... قُلْتُ نَعَمْ جَهْدُ ٱلْفَتَى ٱلْمُعْدِمِ

فَكَمْ وَحَقِّ ٱللهِ مِنْ لَيْلَةٍ ... قَدْ طَعِمَ ٱلضَّيْفُ وَلَمْ أَطْعَمِ

إِنَّ ٱلْغِنَىٰ بِٱلنَّفْسِ يَا هَٰذِهِ ... لَيْسَ ٱلْغِنَىٰ بِٱلثَّوْبِ وَٱلدِّرْهَمِ

وشرطُ حسنِ هٰذا النوعِ أن يَتِمَّ المعنى الذي فيهِ المحاورةُ



(١) انظر « ديوان البحتري » (٣/١٤٢٨) .

(٢) انظر « المستطرف » (١/٥٦١)

المناقضةُ

هيَ تعليقُ الشيءِ علىٰ ممكنٍ يُقدَّمُ ، وغيرِ ممكنٍ يُؤخَّرُ ؛ كقولِ النابغةِ في الهِجاءِ (١) [من الوافر]

وَإِنَّـكَ سَـوْفَ تَـحْـلُـمُ أَوْ تَـنَـاهَـىٰ ... إِذَا مَـا شِـبْـتَ أَوْ شَـابَ ٱلْـغُـرَابُ

أي سوفَ يكونُ لكَ حلمٌ ؛ أي عقلٌ ، أو تتظاهرُ بالنُّهىٰ إدراكاً لفضيلةِ العقلِ ، فكثيراً ما يَتعاقلُ غيرُ العاقلِ ، وهٰذا النوعُ حسنُهُ لِمَا فيهِ مِنَ الهزلِ أوِ الإطماعِ والتيئيسِ



(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٠٩)

المغايرةُ

هيَ مدحُ الشيءِ بعدَ ذمِّهِ وعكسُهُ ، وفيهِ الإبانةُ عن نَباهةِ المُتكلِّمِ وقُوَّةِ حفظِهِ وفهمِهِ ؛ إذ يكونُ أدركَ مِنَ الشيءِ محاسنَهُ ومساويَهُ

[مِن أدبِ الخليلِ وهوَ غلامٌ]

يُحكىٰ أنَّ الخليلَ بنَ أحمدَ قالَ للنظَّامِ يوماً وقد أحضرَهُ أبوهُ لهُ في صغرِهِ ليُعلِّمَهُ ، وكانَ بحضرتِهِما قَدَحُ زجاجٍ يا بنيَّ ؛ صِفْ لي هـٰذا القَدَحَ ، فقالَ مدحاً أو ذمّاً ؟ قالَ مدحاً ، فقالَ : يريكَ القذىٰ ، ولا يقبلُ الأذىٰ ، ولا يسترُ ما ورا ، قالَ فذُمَّهُ ، قالَ سريعُ الكسرِ ، بطيءُ الجبرِ

وكانَ هناكَ نخلةٌ ، فقالَ صِفْ هـٰذهِ مدحاً وذمّاً ، فقالَ حُلْوٌ مجتناها ، باسقٌ منتهاها ، ناضرٌ أعلاها ، صعبةُ المرتقىٰ ، بعيدةُ المجتنىٰ ، محفوفةٌ بالأذىٰ ، فقالَ الخليلُ يا بنيَّ ؛ نحنُ أحوجُ إلى التعلُّمِ منكَ [1]

[غيلانُ ونهرُ الكوفةِ]

ويُحكىٰ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عامرٍ أيامَ إمارتِهِ على الكوفةِ حفرَ نهراً ظهرَتْ منافعُهُ لأهلِ تلكَ الناحيةِ ، فاتفقَ أن مرَّ ذاكَ الأميرُ يوماً ومعَهُ غيلانُ الضَّبيُّ ، فقالَ ما أنفعَ هـٰذا النهرَ يا غيلانُ !! فقالَ نعم ؛ هوَ سُقيا البلدِ ، وفيهِ تَصِلُ إليهِم مِيرتُهُم ، وتَتعلَّمُ السباحةَ صبيانُهُم

ثمَّ زالَتْ عنِ الكوفةِ إمارتُهُ وخلفَهُ زيادٌ ، وتَولَّعَ بإزالةِ آثارِهِ ، ولم يَتمكَّنْ مِنْ طمِّ النهرِ وكانَ بغيتَهُ ، فمَرَّ يوماً معَ غيلانَ المذكورِ ، فقالَ ما أضرَّ هـٰذا

(١) انظر « التذكرة الحمدونية » (٥/٣٦٣ ـ ٣٦٤)

النهرَ يا غيلانُ !! فقالَ نعم ، أصلحَ اللهُ الأميرَ ؛ إنَّهُ مُخِلٌّ بأساسِ الدُّورِ ، وبهِ يكثرُ البعوضُ في البلدِ ، وفيهِ تَغرَقُ الوِلدانُ (١)

[المغايرةُ في الهلالِ لبعضِ الظُّرفاءِ]

قيلَ لبعضِ ظُرفاءِ الكُتَّابِ وكانَ ساكناً في دارِ كِراءً انظرْ للهلالِ ، فقالَ لا أنظرُهُ ؛ لبغضي لهُ ، قيلَ ولِمَهْ ؟ فقالَ لعيوبٍ لو كانَتْ في حمارٍ لرُدَّ ، فسُئِلَ بيانَها ، فقالَ إنَّهُ يَهدِمُ العمرَ ، ويُقرِّبُ الأجلَ ، ويُحِلُّ الدَّينَ ، ويُوجِبُ كِراءَ المنزلِ ، ويَقرِضُ الكُتَّابَ ، ويُشحِبُ الألوانَ ، ويُسخِّنُ الماءَ ، ويفسدُ اللحمَ ، ويعينُ السارقَ ، ويَفضحُ العاشقَ الطارقَ (٢)

وإذا وصلتَ مِنْ « مَقاماتِ الحريريِّ » إلىٰ صفةِ الدينارِ ، ونعتِ الكاتبَينِ كاتبِ الحسابِ وكاتبِ الإنشاءِ ، وذكرِ البِكرِ والثيبِ رأيتَ الغريبَ مِنْ هٰذا النوعِ

[المغايرةُ في الشِّعرِ]

وقالَ أبو تمامٍ (٣) [من الكامل]

نَقِّلْ فُؤَادَكَ مَا ٱسْتَطَعْتَ مِنَ ٱلْهَوَىٰ مَا ٱلْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ ٱلْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْلَفُهُ ٱلْفَتَىٰ وَحَنِينُهُ أَبَداً لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

فغايرَهُ آخرُ فقالَ (٤) [من الكامل]

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ فَلَنْ تَرَىٰ كَهَوىً جَدِيدٍ أَوْ كَوَصْلٍ مُقْبِلِ

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٣/٢٠)
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٣/٢١)
(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٤/٢٥٣)
(٤) هو ديك الجن في « ديوانه » (ص ١٩٦)

مَا لِي أَحِنُّ إِلَىٰ خَرَابٍ مُقْفِرٍ دَرَسَتْ مَعَالِمُهُ كَأَنْ لَمْ يُؤْهَلِ

وراعىٰ آخَرُ الجهتَينِ فقالَ[1] [من الكامل]

أَنَا مُبْتَلىً بِبَلِيَّتَيْنِ مِنَ ٱلْهَوَىٰ شَوْقِي إِلَى ٱلثَّانِي وَذِكْرُ ٱلْأَوَّلِ

قُسِمَ ٱلْفُؤَادُ لِحُرْمَةٍ وَلِلَذَّةٍ فِي ٱلْحُبِّ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ مُسْتَقْبَلِ

يشيرُ إلى المثلِ المشهورِ لكلِّ جديدٍ لذَّةٌ ، ولكلِّ قديمٍ حرمةٌ

وَعَيْنُ ٱلرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ ٱلسُّخْطِ تُبْدِي ٱلْمَسَاوِيَا[2]

كانَ الناسُ لساناً واحداً في تقريظِ بني بَرْمَكَ ، والثناءِ عليهِم في كلامِهِم وأشعارِهِم ، حيثُ كانوا إذ ذاكَ غايةً في جلالِ المَحَلِّ وكرمِ الفِعالِ

وهُم يحيى بنُ خالدٍ ؛ وهوَ الذي ربَّى الرشيدَ ، وكانَ يُسمِّيهِ أباهُ ، وابناهُ الفضلُ ، وجعفرٌ أصغرُهُما وأحظاهُما عندَ الرشيدِ ، حتىٰ كانَ أيامَ إقبالِ الأيامِ عليهِ وشغفِهِ بهِم يَحلِفُ باللهِ أنَّ جعفراً أفصحُ مِنْ قُسِّ بنِ ساعدةَ ، وأشجعُ مِنْ عامرِ بنِ الطفيلِ ، وأَسوَسُ مِنْ عمرَ بنِ الخطابِ ، وأَكتَبُ مِنْ عبدِ الحميدِ بنِ يحيىٰ ، وأَعفُّ مِنْ يوسفَ بنِ يعقوبَ

فلمَّا تَحوَّلَتْ بهِمُ الأحوالُ ، وآلَ أمرُهُم إلىٰ ما آلَ إليهِ ، حتىٰ قالَ قائلُهُم [من الخفيف]

سَأَلُونَا عَنْ حَالِنَا كَيْفَ أَنْتُمْ مَنْ هَوَىٰ عَرْشُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ

نَحْنُ قَوْمٌ أَصَابَنَا عَنَتُ ٱلدَّهْـ ـرِ فَظَلْنَا لِحُكْمِهِ نَسْتَكِينُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٣٧)

(٢) البيت من الطويل ، وهو لعبد الله بن معاوية ، كما في « عيون الأخبار » (٧٦/٣)

غـايـرَ الـنـاسُ فـيـهِـمُ الـقـولَ ، وطـلـبـوا لـهُـمُ الـمـثـالـبَ ، قـالَ أبو نُواسٍ[1] [من البسيط]

قَالُوا ٱمْتَدَحْتَ فَمَا أُعْطِيتَ قُلْتُ لَهُمْ خَـرْقُ ٱلنِّـعَـالِ وَأَخْـلَاقُ ٱلسَّـرَاوِيـلِ
قَـالُـوا فَـسَـمِّ لَـنَـا هَـٰذَا فَـقُـلْـتُ لَـهُـمْ نَعْتِي لَهُ يَعْدِلُ ٱلتَّفْسِيرَ فِي ٱلْقِيلِ
ذَاكَ ٱلْأَمِـيـرُ ٱلَّـذِي طَـالَـتْ عَـلَاوَتُـهُ كَـأَنَّـهُ نَـاظِـرٌ فِـي ٱلسَّـيْـفِ بِـٱلطُّـولِ

فندعوكَ ربَّنا بما دعاكَ بهِ نبيُّكَ عليهِ أفضلُ صلواتِكَ وأشرفُ تسليماتِكَ « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْحَوْرِ بَعْدَ ٱلْكَوْرِ »[2]



(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٤٥٨)
(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٣) عن سيدنا عبد الله بن سرجس رضي الله عنه

التوشيحُ

هوَ كونُ فاتحةِ الكلامِ دالَّةً بمعناها علىٰ خاتمتِهِ

وشاهدُهُ قولُهُ تعالىٰ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] ، وجميعُ القرآنِ شواهدُ لذٰلكَ

وهٰذا النوعُ يرشدُكَ إلىٰ أنَّهُ ينبغي أن يكونَ الكلامُ مِنْ قُوَّةِ التلاؤمِ وشِدَّةِ الائتلافِ يبعثُ بعضُهُ الفهمَ إلىٰ بعضٍ ، وذٰلكَ يستدعي صفاءَ فكرٍ ، وقُوَّةَ ذوقٍ ، ولطفَ رعايةٍ

ومِنْ أمثلتِهِ قولُ أبي فراسٍ الحارثِ بنِ حمدانَ فِي ابنِ عمِّهِ سيفِ الدولةِ عليٍّ [من الوافر]

فَلَمَّا ثَارَ سَيْفُ ٱلدِّينِ ثُرْنَا ... كَمَا هَيَّجْتَ آسَاداً غِضَابَا

أَسِنَّتُهُ إِذَا لَاقَىٰ طِعَاناً ... صَوَارِمُهُ إِذَا لَاقَىٰ ضِرَابَا

دَعَانَا وَٱلْأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتٌ ... فَكُنَّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ ٱلْجَوَابَا



(١) سورة آل عمران (٣٣)

التذييلُ

وهوَ بعضُ أنواعِ الإطنابِ المُلقَّبةِ التي سبقَ بها الوعدُ[١] ؛ وهوَ تعقيبُ جملةٍ تامَّةٍ بجملةٍ تَشتمِلُ على معناها منطوقاً أو مفهوماً ؛ لتقريرِهِ وتمكينِهِ مِنْ قلوبِ السامعينَ

[أقسامُ التذييلِ]

وهوَ إمَّا أن يكونَ مُستقِلّاً خارجاً مَخرجَ المثلِ ، ومِنْ شواهدِهِ قولُهُ تعالى ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[٢]

ومِنْ أمثلتِهِ قولُ النابغةِ[٣] [من الطويل]

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لَا تَلُمُّهُ ... عَلَىٰ شَعَثٍ أَيُّ ٱلرِّجَالِ ٱلْمُهَذَّبُ

وقولُ جَرْوَلٍ[٤] [من الطويل]

تَزُورُ فَتىً يُعْطِي عَلَى ٱلْحَمْدِ مَالَهُ ... وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ ٱلْمَحَامِدِ يُحْمَدِ



ومِنْ غيرِ المُستقِلّ مثلُ قولِ الحماسيِّ[٥] [من الكامل]

وَدَعَوْا نَزَالِ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ ... وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

---

(١) انظر (٢/١١٨)

(٢) سورة الإسراء (٨١)

(٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٤)

(٤) انظر « ديوان الحطيئة » (ص ٨٠) ، وجرول هو جرول بن أوس العبسي

(٥) هو ربيعة بن مقروم الضبي ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (١/٣٣)

وقولِ ابنِ نباتةَ السعديِّ [١] [من البسيط]

قَدْ جُدْتَ لِي بِٱللُّهَا حَتَّىٰ ضَجِرْتُ بِهَا ... وَكِدْتُ مِنْ ضَجَرِي أُثْنِي عَلَى ٱلْبُخْلِ

لَـمْ يُبْـقِ جُـودُكَ لِـي شَـيْـئـاً أُؤَمِّـلُـهُ ... تَـرَكْـتَـنِـي أَصْـحَـبُ ٱلـدُّنْـيَـا بِـلَا أَمَـلِ

[التكميلُ مِن ضروبِ الإطنابِ]

ومِنْ ضروبِ الإطنابِ المذكورةِ التكميلُ ، ويكونُ بجملةٍ وبغيرِ جملةٍ ؛ لرفعِ وَهْمٍ فيما يَسبِقُهُ مِنَ الكلامِ

والسابقُ علىٰ موضعِ الوَهْمِ لدفعِهِ قبلَ حصولِهِ يُسمَّى احتراساً ؛ كقولِهِ [٢] [من الكامل]

فَـسَـقَـىٰ دِيَـارَكَ غَـيْـرَ مُـفْـسِـدِهَـا ... صَـوْبُ ٱلـرَّبِـيـعِ وَدِيـمَـةٌ تَـهْـمِـي

وأوجزَ هـٰذا مِهْيارٌ في قولِهِ [٣] [من الرمل]

بَـكَـرَ ٱلْـعَـارِضُ تَـحْـدُوهُ ٱلـنُّـعَـامَىٰ ... فَـسَـقَـاكِ ٱلـرِّيَّ يَـا دَارَ أُمَـامَـا

[الإيغالُ]

والإيغالُ ويكونُ في الفواصلِ والقوافي بكلمةٍ أو جملةٍ لغرضِ التحقيقِ والتوكيدِ والمبالغةِ في المعنىٰ ؛ كقولِ الخنساءِ [٤] [من البسيط]

وَإِنَّ صَـخْـراً لَـتَـأْتَـمُّ ٱلْـهُـدَاةُ بِـهِ ... كَـأَنَّـهُ عَـلَـمٌ فِـي رَأْسِـهِ نَـارُ

---

(١) انظر « ديوان ابن نباتة السعدي » (١/٢٠٧ ـ ٢٠٨) ، واللُّها العطايا الجزيلة

(٢) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٩٧)

(٣) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (٢/٣٤٣)

(٤) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٨٦)

وقولِها وقدِ استنشدَها أميرُ المؤمنينَ عمرُ[1] [من البسيط]

تُـرَى ٱلْأُمُـورُ سَـوَاءً وَهْـيَ مُـقْـبِـلَـةٌ وَفِـي عَـوَاقِـبِـهَـا تِـبْـيَـانُ مَـا ٱلْـتَـبَـسَـا
تَرَى ٱلْـجَلِيسَ يَقُولُ ٱلْقَوْلَ تَـحْسَبُهُ نُصْحاً وَهَيْهَاتَ مَا نُصْحاً بِهِ ٱلْتَمَسَا
فَـٱسْـمَـعْ مَـقَـالَـتَـهُ وَٱحْـذَرْ عَـدَاوَتَـهُ وَٱلْبَسْ لَهُ ثَوْبَ شَكٍّ مِثْلَ مَا لَبِسَا



(١) انظر « زهر الأكم » (٣/١٨٧)

تشابهُ الأطرافِ

هوَ جعْلُ عَجُزِ جملةٍ صدرَ تاليتِها ، أو قافيةَ بيتٍ صدرَ ما يليهِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾[1]

وقولِهِ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[2]

وفي مديحِ ليلى الأخيليَّةِ للحجَّاجِ بنِ يوسفَ[3] [من الطويل]

إِذَا نَـزَلَ ٱلْـحَـجَّـاجُ أَرْضـاً مَـرِيـضَـةً تَـتَـبَّـعَ أَقْـصَـىٰ دَائِـهَـا فَـشَـفَـاهَـا

شَفَاهَا مِنَ ٱلدَّاءِ ٱلْعُضَالِ ٱلَّذِي بِهَا غُـلَامٌ إِذَا هَـزَّ ٱلْـقَـنَـاةَ سَـقَـاهَـا

سَـقَـاهَـا دِمَـاءَ ٱلْـمَـارِقِـيـنَ وَعَـلَّـهَـا إِذَا جَـمَـحَـتْ يَـوْمـاً وَحَـفَّ أَذَاهَـا



(١) سورة النور (٣٥)

(٢) سورة الروم (٦ ـ ٧)

(٣) انظر « ديوان ليلى الأخيلية » (ص ١٢١) ، وفيه (وخيف) بدل (وحفَّ)

التتميمُ

هوَ زيادةُ كلمةٍ أو أكثرَ تزيدُ المعنىٰ تماماً ، وتفيدُ الكلامَ حُسْناً ؛ بحيثُ تراهُ لو طُرِحَتْ منهُ لصارَ مُبتذَلاً ، قالَ ابنُ المُعتزِّ[1] [من الطويل]

وَخَيْلٍ طَوَاهَا ٱلْقَوْدُ حَتَّىٰ كَأَنَّهَا أَنَابِيبُ سُمْرٌ مِنْ قَنَا ٱلْخَطِّ ذُبَّلُ
صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سِيَاطَنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلُ

وقالَ زهيرٌ[2] [من البسيط]

مَنْ يَلْقَ يَوْماً عَلَىٰ عِلَّاتِهِ هَرِماً يَلْقَ ٱلسَّمَاحَةَ مِنْهُ وَٱلنَّدَىٰ خُلُقَا

وقالَ أبو العلاءِ في مدحِ عربٍ بالباديةِ[3] [من البسيط]

اَلْمُوقِدُونَ بِنَجْدٍ نَارَ بَادِيَةٍ لَا يَحْضُرُونَ وَفَقْدُ ٱلْعِزِّ فِي ٱلْحَضَرِ
إِذَا هَمَى ٱلْقَطْرُ شَبَّتْهَا عَبِيدُهُمُ تَحْتَ ٱلْغَمَائِمِ لِلسَّارِينَ بِٱلْقُطُرِ



(١) انظر « ديوان ابن المعتز » (١/٩٦)
(٢) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٥٠)
(٣) انظر « شروح سقط الزند » (١/١٤٢)

الهجوُ في مَعرِضِ المدحِ

هوَ أن يكونَ الهجوُ بالعباراتِ التي تُستعمَلُ في المدحِ مقرونةً بما يَصرِفُها إلى الهِجاءِ ؛ كقولِ الحماسيِّ (١) [من البسيط]

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي ... بَنُو ٱللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا
إِذاً لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ ... عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَانَا
لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ ... فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَىٰ مَا قَالَ بُرْهَانَا
لَٰكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ ... لَيْسُوا مِنَ ٱلشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ ٱلظُّلْمِ مَغْفِرَةً ... وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ ٱلسُّوءِ إِحْسَانَا
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ ... سِوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ إِنْسَانَا
فَلَيْتَ لِي بِهِمُ قَوْماً إِذَا رَكِبُوا ... شَنُّوا ٱلْإِغَارَةَ رُكْبَاناً وَفُرْسَانَا

وقولِ النجاشيِّ (٢) [من الطويل]

إِذَا ٱللهُ جَازَىٰ أَهْلَ لُؤْمٍ بِذِمَّةٍ ... فَجَازَىٰ بَنِي ٱلْعَجْلَانِ رَهْطَ ٱبْنِ مُقْبِلِ
قُبَيِّلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ... وَلَا يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ
وَلَا يَرِدُونَ ٱلْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً ... إِذَا صَدَرَ ٱلْوُرَّادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلِ
وَمَا سُمِّيَ ٱلْعَجْلَانَ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ ... خُذِ ٱلْقَعْبَ وَٱحْلِبْ أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ وَٱعْجَلِ
أُولَٰئِكَ أَبْنَاءُ ٱلْهَجِينِ وَأُسْرَةُ ٱللَّـ ... ـئِيمِ وَرَهْطُ ٱلْعَاجِزِ ٱلْمُتَذَلِّلِ

---

(١) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (١/٥) ، وهو قريط بن أنيف
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٣/٦١ ـ ٦٢)

تَعَافُ ٱلسِّبَاعُ ٱلضَّارِيَاتُ لُحُومَهُمْ وَتَأْكُلُ مِنْ أَشْلَاءِ كَعْبٍ وَنَهْشَلِ

ولبعضهم(١) [من الوافر]

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ وَمَهْمَا قَالَ فَٱلْحَسَنُ ٱلْجَمِيلُ

وَقَدْ كَانَ ٱلرَّسُولُ يَرَىٰ حُقُوقاً عَلَيْهِ لِغَيْرِهِ وَهُوَ ٱلرَّسُولُ

وللسَّريِّ الرَّفَّاءِ(٢) [من الوافر]

وَشَيْخٍ طَابَ أَخْلَاقاً فَأَضْحَىٰ أَحَبَّ إِلَى ٱلشَّبَابِ مِنَ ٱلشَّبَابِ

لَهُ دَارٌ إِذَا ٱسْتَخْفَيْتَ فِيهَا أَمِنْتَ فَلَمْ تَنَلْكَ يَدُ ٱلطِّلَابِ

طَرَقْنَاهُ وَقِنْدِيلُ ٱلثُّرَيَّا يَحُطُّ وَفَارِسُ ٱلظَّلْمَاءِ كَابِي

فَرَحَّبَ وَٱسْتَمَالَ وَقَالَ حُطَّتْ رِحَالُكُمُ بِأَفْنِيَةٍ رِحَابِ

وَحَضَّ عَلَى ٱلْمُنَاهَدَةِ ٱلنَّدَامَىٰ بِأَلْفَاظٍ مُهَذَّبَةٍ عِذَابِ

وَقَالَ تَيَمَّمُوا ٱلْأَبْوَابَ مِنْهَا فَكُلٌّ جَاءَ مِنْ تِلْقَاءِ بَابِ

فَهَٰذَا قَالَ قِدْرٌ مِنْ طَعَامٍ وَهَٰذَا قَالَ دَنٌّ مِنْ شَرَابِ

وَهَٰذَا قَالَ رَيْحَانٌ وَنَقْلٌ وَثَلْجٌ مِثْلُ رَقْرَاقِ ٱلسَّرَابِ

وَسَمْحُ ٱلْقَوْمِ مَنْ سَمَحَتْ يَدَاهُ بِخَدِّ غَرِيرَةٍ بِكْرٍ كَعَابِ

فَتَمَّ لَهُمْ بِذَٰلِكَ يَوْمُ لَهْوٍ غَرِيبِ ٱلْحُسْنِ عَذْبٍ مُسْتَطَابِ

إِذَا ٱلْعِبْءُ ٱلثَّقِيلُ تَوَزَّعَتْهُ رِقَابُ ٱلْقَوْمِ خَفَّ عَلَى ٱلرِّقَابِ



---

(١) هو محمد بن حمزة السلمي ، كما في « أنوار الربيع » (٣/٦٣)

(٢) انظر « ديوان السري الرفاء » (ص ٧٥)

الاكتفاءُ

هوَ الاقتصارُ مِنْ كلمةٍ علىٰ بعضِها ، أو مِنْ كلامٍ علىٰ جزءٍ منهُ ، اقتصاراً يشبهُ الاقتصارَ علىٰ بعضِ الكلمةِ

ونقلَ أهلُ هـٰذا الفنِّ ندرةَ وقوعِهِ في كلامِ العربِ ، ورَوَوا فيهِ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « كَفَىٰ بِٱلسَّيْفِ شَا »[1] ؛ أي شاهداً ، وأكثرَ منهُ المُتأخِرونَ ؛ كابنِ نباتةَ المصريِّ وأهلِ عصرِهِ ومَنْ قبلَهُ بقليلٍ ، ولم يَستعمِلْهُ مَنْ تَقدَّمَهُم مِنَ الشُّعراءِ

وأحسنُ الاكتفاءِ ما كانَ فيهِ بعضُ الكلمةِ المُقتصَرُ عليهِ كلمةً تامَّةً ، فيكونُ الكلامُ بذٰلكَ مُشتمِلاً على التوريةِ ؛ [كقولِ] بعضِهم[2] [من مجزوء الخفيف]

نَــــزَلَ ٱلــــطَّـــلُّ بُـــكْـــرَةً وَسُـــــرُورِي تَـــــجَــــدَّدَا
وَٱلــــنَّــدَامَــىٰ تَــجَــمَّــعُــوا فَـــأَجْـــلُ كَـــأْسِـــي عَـــلَى ٱلـــنَّـدَا

فلفظُ (النَّدا) مِنَ (الندامىٰ) ، ورشحَ للتوريةِ بقولِهِ (نزلَ الطلُّ)

وشاهدُ النوعِ الآخَرِ قولُ بعضِهِم [من الكامل]

لَا أَنْـتَـهِـي لَا أَرْعَـوِي لَا أَنْـثَـنِـي مَـا دُمْـتُ فِـي قَـيْـدِ ٱلْـحَـيَـاةِ وَلَا إِذَا



(١) أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١٧٩١٨) عن الحسن رحمه الله تعالىٰ مرسلاً ، وانظر « البدر المنير » (٩/١٠)

(٢) هو ابن مكانس ، كما في « أنوار الربيع » (٣/٨٨ ـ ٨٩)

الاحتباكُ

هوَ نوعٌ مِنَ الاختصارِ ، ولخصوصِ هيئتِهِ عُدَّ مِنَ المُحسِّناتِ وأُفرِدَ بالاسمِ

وضابطُهُ أن يُجعَلَ الكلامُ شطرَينِ ، ويُحذَفَ مِنْ كلٍّ منهُما نظيرُ ما يَثبُتُ في الآخَرِ

وشاهدُهُ مِنَ القرآنِ ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [1] ؛ أي إن شاءَ فلا يتوبَ عليهِم ، أو يتوبَ عليهِم فلا يُعذِّبَهُم

ومِنْ قولِ بعضِ العربِ [2] [من الطويل]

وَإِنِّـي لَـتَـعْـرُونِـي لِـذِكْـرَاكِ هِـزَّةٌ ... كَمَا ٱنْتَفَض ٱلْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ ٱلْقَطْرُ

أي هِزَّةٌ وانتفاضٌ كما اهتزَّ وانتفض

ومِنَ القرآنِ أيضاً : ﴿ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [3] ، ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ ﴾ [4] ، وهوَ فيهِ كثيرٌ



---

(١) سورة الأحزاب (٢٤)

(٢) انظر « خزانة الأدب » (٣/٢٥٤)

(٣) سورة هود (٣٥)

(٤) سورة النمل (١٢)

اتصالُ النتائجِ

هوَ مثلُ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتِ ٱلنَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ »[1]

وقولِ عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ (مَنْ كَثُرَ كلامُهُ كَثُرَ خطؤُهُ ، ومَنْ كَثُرَ خطؤُهُ قَلَّ حياؤُهُ ، ومَنْ قلَّ حياؤُهُ قلَّ ورعُهُ ، ومَنْ قلَّ ورعُهُ ماتَ قلبُهُ ، ومَنْ ماتَ قلبُهُ دخلَ النارَ)[2]

ولبعضِهِم [من المتقارب]

تَأَمَّلْ بِعَيْنَيْكَ كَيْفَ ٱلذَّهَابُ ... فَإِنَّ لِكُلِّ حَيَاةٍ مَمَاتَا
فَمَنْ عَاشَ شَبَّ وَمَنْ شَبَّ شَابَ ... وَمَنْ شَابَ شَاخَ وَمَنْ شَاخَ مَاتَا

ولبعضِهِم[3] [من المتقارب]

قُرَيْشٌ خِيَارُ بَنِي آدَمٍ ... وَخَيْرُ قُرَيْشٍ بَنُو هَاشِمِ
وَخَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ أَحْمَدٌ ... رَسُولُ ٱلْإِلَٰهِ إِلَى ٱلْعَالَمِ



(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٥٣٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما
(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٢٨٠) عن سيدنا عمر رضي الله عنه
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٤٩/٣)

رَدُّ العَجُزِ على الصَّدرِ

هوَ تكريرُ كلمةٍ في الشَّطرَينِ مِنَ الشعرِ أوِ الفقرتَينِ مِنَ السَّجعِ ؛ كقولِ بعضِهِم(١) [من الطويل]

سَرِيعٌ إِلَى ٱبْنِ ٱلْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ ... وَلَيْسَ إِلَىٰ دَاعِي ٱلنَّدَىٰ بِسَرِيعِ

وما أشبهَ ذٰلكَ



(١) هو للأقشير ، كما في « خزانة الأدب » (٤/٤٨٨)

الاستثناءُ

هوَ المعروفُ ، وإنَّما يُعَدُّ مِنَ البديعِ إذا كانَ مثلَ قولِ النُّمَيريِّ حيثُ يُخاطِبُ الحَجَّاجَ وكانَ فَرَّ خائفاً منهُ ولم يجدْ فِرارَهُ نافعاً[1]   [من الطويل]

فَهَاكَ يَدِي ضَاقَتْ بِيَ ٱلْأَرْضُ رَحْبُهَا   وَإِنْ كُنْتُ قَدْ طَوَّفْتُ كُلَّ مَكَانِ

فَلَوْ كُنْتُ كَٱلْعَنْقَاءِ أَوْ فِي أُطُومِهَا   لَخِلْتُكَ إِلَّا أَنْ تَصُدَّ تَرَانِي

فإنَّهُ مُشتمِلٌ علىٰ تأكيدِ المبالغةِ في صفتِهِ ؛ بزيادةِ القدرةِ ، وقُوَّةِ السلطانِ ، وشِدَّةِ الضَّبطِ ؛ يقولُ إنَّهُ لا يَفوتُهُ فائِتٌ ، ولا يَنجو منهُ إلَّا مَنِ اختارَ نجاتَهُ ، فلا بدَّ أن يَشتمِلَ الاستثناءُ علىٰ مَزِيَّةٍ مِنْ جنسِ ما يُذكَرُ في علمِ البلاغةِ مِنْ دواعي صُوَرِ التراكيبِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٣/١١٠)

مُراعاةُ النظيرِ

هيَ أن يُذكَرَ الشيءُ وما هوَ مِنْ واديهِ ؛ كقولِ البحتريِّ في صفةِ إبلٍ أنحلَها السَّيرُ (١) [من الخفيف]

يَتَرَقْرَقْنَ كَٱلسَّرَابِ وَقَدْ خُضْـ ـنَ غِمَاراً مِنَ ٱلسَّرَابِ ٱلْجَارِي
كَٱلْقِسِيِّ ٱلْمُعَطَّفَاتِ بَلِ ٱلأَسْـ ـهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ ٱلْأَوْتَارِ

فلمَّا أرادَ أن يَترقَّىٰ في تصويرِ نُحولِها لم يَخرجْ عن وادي القَوسِ

وللشَّريفِ الرَّضيِّ (٢) [من الكامل]

هُنَّ ٱلْقِسِيُّ مِنَ ٱلنُّحُولِ فَإِنْ سَمَا طَلَبٌ فَهُنَّ مِنَ ٱلنَّجَاءِ ٱلْأَسْهُمُ

ولأبي العلاءِ (٣) [من الطويل]

إِذَا صَدَقَ ٱلْجَدُّ ٱفْتَرَى ٱلْعَمُّ لِلْفَتَىٰ مَكَارِمَ لَا تُكْرَىٰ وَإِنْ كَذَبَ ٱلْخَالُ

المُرادُ بالجَدِّ الحظُّ والبَخْتُ ، وبالعمِّ جماعةُ الناسِ ، وبالخالِ : الظنُّ

ومتىٰ سلكَ هٰذا الطريقَ في العبارةِ فالانحرافُ عنهُ بكلمةٍ أجنبيةٍ يُعَدُّ عيباً ؛ كما وقعَ لأبي نُواسٍ في قولِهِ (٤) [من المجتث]

وَقَدْ حَلَفْتُ يَمِيناً مَبْرُورَةً لَا تُكَذَّبْ
بِرَبِّ زَمْزَمَ وَٱلْحَوْ ضِ وَٱلصَّفَا وَٱلْمُحَصَّبْ

ولو قالَ (والبيتِ) لسَلِمَ مِنْ ذٰلكَ

---

(١) انظر « ديوان البحتري » (٢/٩٨٧)
(٢) انظر « ديوان الشريف الرضي » (٢/٣٤٢)
(٣) انظر « شروح سقط الزند » (٣/١٢٦٢)
(٤) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٨٤)

التوجيهُ

هـوَ أن يُـعـبِّـرَ بـألـفـاظٍ هـيَ أسـمـاءٌ لـنـاسٍ أو غـيـرِهِـم ، مـثـلُ قـولِ بعضِهِم[1] [من المتقارب]

وَمَـا حُـسْـنُ بَـيْـتٍ لَـهُ زُخْـرُفٌ تَـرَاهُ إِذَا زُلْـزِلَـتْ لَـمْ يَـكُـنْ

وقولِ الوداعيِّ[2] [من البسيط]

مَـنْ أَمَّ بَـابَـكَ لَـمْ تَـبْـرَحْ جَـوَارِحُـهُ تَرْوِي أَحَادِيثَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ مِنَنِ

فَٱلْعَيْنُ عَنْ قُرَّةٍ وَٱلْكَفُّ عَنْ صِلَةٍ وَٱلْقَلْبُ عَنْ جَابِرٍ وَٱلْأُذْنُ عَنْ حَسَنِ



(١) هو الشريف تقي الدين الحسيني ، كما في « أنوار الربيع » (١٥١/٣)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١٤٤/٣ ـ ١٤٥)

التمثيلُ

هوَ تقريرُ المعنىٰ بذكرِ نظائرِهِ ، وفيهِ تشبيهٌ ضمنيٌّ ؛ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لشخصٍ رآهُ قد أنهكَ نفسَهُ بالعبادةِ « إِنَّ هَـٰذَا ٱلدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ ؛ فَإِنَّ ٱلْمُنْبَتَّ لَا أَرْضاً قَطَعَ ، وَلَا [ظَهْراً] أَبْقَىٰ »[1] ، مَثَّلَ حالَ ذٰلكَ العابدِ بحالِ مسافرٍ قدِ استجادَ دابتَهُ ، فتركَ الرفاقَ ، واشتدَّ في السيرِ ، حتىٰ كَلَّتْ راحلتُهُ ، فلا هوَ وصلَ المَقصِدَ ، ولا أبقىٰ راحلتَهُ

وكقولِ حبيبٍ[2] [من البسيط]

أَخْرَجْتُمُوهُ بِكُرْهٍ عَنْ سَجِيَّتِهِ وَٱلنَّارُ قَدْ تُنْتَضَىٰ مِنْ نَاضِرِ ٱلسَّلَمِ

أَوْطَأْتُمُوهُ عَلَىٰ جَمْرِ ٱلْعُقُوقِ وَلَوْ لَمْ يُحْرَجِ ٱللَّيْثُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ ٱلْأَجَمِ

يُخاطِبُ بهٰذا الكلامِ قوماً أغضبوا رئيسَهُم بالتورُّطِ في مخالفاتِهِ ، حتى اضطرُّوهُ إلىٰ مفارقةِ سجاياهُ ؛ مِنَ العطفِ عليهم ، والرأفةِ بهِم ، وإصلاحِ أحوالِهِم ؛ إلىٰ تأديبِهِم بما يعيدُهُم إلىٰ ما هوَ لهُم صلاحٌ



(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٦٠٢) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالىٰ عنها

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (١٨٩/٣) وحبيب هو أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي

القَسَمُ

هوَ مِنَ المُؤكِّداتِ كما عرفتَ في المعاني [١] ، ويكونُ القَسَمُ بعباراتٍ كثيرةٍ ، وأحسنُهُ ما كانَ موافقاً للغَرَضِ المَسُوقِ لهُ الكلامُ ، وتَعرِفُ ذٰلكَ في أقسامِ الكتابِ العزيزِ ؛ فإنَّها في حَيِّزِ الاستدلالِ لإثباتِ عقائدِ الإسلامِ ، وتراها مُتضمِّنةً ذٰلكَ

ومِنَ المُنبغي أن يُتجنَّبَ : القَسَمُ بما يَنفِرُ عنهُ سمعُ المسلمِ ؛ مثلُ : برئتُ مِنَ الإسلامِ ، وانحرفتُ عنِ الهدىٰ ، كما وقعَ لبعضِ المُستهتَرينَ ، وليكنْ مثلَ قولِ الأشترِ النَّخَعيِّ الذي يقولُ فيهِ عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ (الأشترُ لي كما كنتُ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ) [٢] [من الكامل]

بَقَّيْتُ وَفْرِي وَٱنْحَرَفْتُ عَنِ ٱلْعُلَا ... وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسِ
إِنْ لَمْ أَشُنَّ عَلَى ٱبْنِ هِنْدٍ غَارَةً ... لَمْ تَخْلُ يَوْماً مِنْ نِهَابِ نُفُوسِ
خَيْلاً كَأَمْثَالِ ٱلسَّعَالِي شُزَّباً ... تَغْدُو بِبِيضٍ فِي ٱلْكَرِيهَةِ شُوسِ
حَمِيَ ٱلْحَدِيدُ عَلَيْهِمُ فَكَأَنَّهُمْ ... وَمَضَانُ بَرْقٍ أَوْ شُعَاعُ شُمُوسِ

[قصيدتانِ مشتملتانِ على القَسَمِ]

ولقد أحسنَ بعضُ أصحابِ البديعيَّاتِ عندَ التمثيلِ للقَسَمِ بما صدرَ عن أحمدَ بنِ المنيرِ المشهورِ بمُهذَّبِ الدِّينِ الشيعيِّ في إيرادِ قصيدتَيهِ المُشتملتَينِ على القَسَمِ ، فلا بأسَ باتِّباعِهِ في ذٰلكَ

---

(١) انظر (٢/٧٤)

(٢) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (١/٧٥)

وسببُ القصيدةِ الأُولىٰ[1] أنَّهُ كان أهدىٰ لنقيبِ الأشرافِ في عصرِهِ ببغدادَ مِنْ بلدِهِ طرابلسِ الشامِ عبداً أسودَ ، فكتبَ لهُ الشريفُ لو رأيتَ عدداً أقلَّ مِنَ الواحدِ ولوناً شرّاً مِنَ السَّوادِ لأَهديتَهُ ، يُداعِبُهُ بذٰلك ، فخَجِلَ ابنُ المنيرِ مِنْ ذٰلكَ ، وجَهَّزَ لهُ هديةً وأرسلَها معَ مملوكٍ لهُ كانَ شقيقَ روحِهِ ، واسمُهُ تترُ ، فظنَّهُ الشَّريفُ بعض الهديةِ ، وطلبَهُ ابنُ منيرٍ ، وعلمَ الشريفُ شِدَّةَ شغفِهِ بهِ ، فتوانىٰ عن إرسالِهِ علىٰ سبيلِ المزحِ ، فكتبَ لهُ بهٰذهِ القصيدةِ

[من مجزوء الكامل]

عَـذَّبْـتَ طَـرْفِـي بِـٱلـسَّـهَـرْ وَأَذَبْـتَ قَـلْـبِـي بِـٱلْـفِـكَـرْ
وَمَـزَجْـتَ صَـفْـوَ مَـوَدَّتِـي مِـنْ بَـعْـدِ بُـعْـدِكَ بِـٱلْـكَـدَرْ
وَمَـنَـحْـتَ جُـثْـمَـانِـي ٱلـضَّـنَىٰ وَكَـحَـلْـتَ عَـيْـنِـي بِـٱلـسَّـهَـرْ
وَجَـفَـوْتَ صَـبّـاً مَـا لَـهُ عَـنْ حُـسْـنِ وَجْـهِـكَ مُـصْـطَـبَـرْ
يَـا قَـلْـبُ وَيْـحَـكَ كَـمْ تُـخَـا دِعُ بِـٱلْـغُـرُورِ وَكَـمْ تَـغُـرّْ
وَإِلَامَ تَـكْـلَـفُ بِـٱلْأَغَـنِّ مِـنَ ٱلـظِّـبَـاءِ وَبِـٱلْأَغَـرّْ
رِيـمٌ يُـفَـوِّقُ إِنْ رَمَـا كَ بِـسَـهْـمِ نَـاظِـرِهِ ٱلـنَّـظَـرْ
تَـرَكَـتْـكَ أَعْـيُـنُ تُـرْكِـهَـا مِـنْ بَـأْسِـهِـنَّ عَـلَـىٰ خَـطَـرْ
وَرَمَـتْ فَـأَصْـمَـتْ عَـنْ قِـسِـيٍّ لَا يُـنَـاطُ بِـهَـا وَتَـرْ
جَـرَحَـتْـكَ جُـرْحـاً لَا يُـخَـيَّـ ـطُ بِـٱلْـخُـيُـوطِ وَلَا ٱلْإِبَـرْ
تَـلْـهُـو وَتَـلْـعَـبُ بِـٱلْـعُـقُـو لِ عُـيُـونُ أَبْـنَـاءِ ٱلْـخَـزَرْ
فَـكَـأَنَّـهُـنَّ صَـوَالِـجٌ وَكَـأَنَّـهُـنَّ لَـهَـا أُكَـرْ

(١) انظر « أنوار الربيع » (٣/٢٢٣ ـ ٢٢٩)

تُـخْـفِـي ٱلْـهَـوَىٰ وَتُـسِـرُّهُ وَخَـفِـيُّ سِـرِّكَ قَـدْ ظَـهَـرْ

أَفَـهَـلْ لِـوَجْـدِكَ مِـنْ مَـدىً يُـفْـضَـىٰ إِلَـيْـهِ فَـيُـنْـتَـظَـرْ

نَـفْـسِـي ٱلْـفِـدَاءُ لِـشَـادِنٍ أَنَـا مِـنْ هَـوَاهُ عَـلَـىٰ خَـطَـرْ

عَـذَلَ ٱلْـعَـذُولُ وَمَـا رَآ هُ وَحِـيـنَ عَـايَـنَـهُ عَـذَرْ

قَـمَـرٌ يُـزَيِّـنُ ضَـوْءُ صُـبْـ ـحِ جَـبِـيـنِـهِ لَـيْـلَ ٱلـشَّـعَـرْ

وَتَـرَى ٱلـلَّـوَاحِـظُ خَـدَّهُ فَـيُـرَىٰ لَـهُـنَّ بِـهِ أَثَـرْ

هُـوَ كَـٱلْـهِـلَالِ مُـلَـثَّـمـاً وَٱلْـبَـدْرِ حُـسْـنـاً إِنْ سَـفَـرْ

وَيْـلَاهُ مَـا أَحْـلَاهُ فِـي قَـلْـبِـي ٱلـشَّـجِـيِّ وَمَـا أَمَـرّْ

نَـوْمِـي ٱلْـمُـحَـرَّمُ بَـعْـدَهُ وَرَبِـيـعُ لَـذَّاتِـي صَـفَـرْ

بِـٱلْـمَـشْـعَـرَيْـنِ وَبِـٱلـصَّـفَـا وَٱلْـبَـيْـتِ أُقْـسِـمُ وَٱلْـحَـجَـرْ

وَبِـمَـنْ سَـعَـىٰ فِـيـهِ وَطَـا فَ بِـهِ وَلَـبَّـىٰ وَٱعْـتَـمَـرْ

لَـئِـنِ ٱلـشَّـرِيـفُ ٱلْـمُـوسَـوِيُّ ٱبْـنُ ٱلـشَّـرِيـفِ [أَبِـي] مُـضَـرْ

أَبْـدَى ٱلْـجُـحُـودَ وَلَـمْ يَـرُدَّ إِلَـيَّ مَـمْـلُـوكِـي تَـتَـرْ

وَالَـيْـتُ آلَ أُمَـيَّـةَ ٱلـطُّـ ـهْـرَ ٱلْـمَـيَـامِـيـنَ ٱلْـغُـرَرْ

وَجَـحَـدْتُ بَـيْـعَـةَ حَـيْـدَرٍ وَعَـدَلْـتُ عَـنْـهُ إِلَـىٰ عُـمَـرْ

وَإِذَا جَـرَىٰ ذِكْـرُ ٱلـصَّـحَـا بَـةِ بَـيْـنَ قَـوْمٍ وَٱشْـتَـهَـرْ

قُـلْـتُ ٱلْـمُـقَـدَّمُ شَـيْـخُ تَـيْـ ـمٍ ثُـمَّ صَـاحِـبُـهُ عُـمَـرْ

مَـا سَـلَّ قَـطُّ ظُـبـىً عَـلَـىٰ آلِ ٱلـنَّـبِـيِّ وَلَا شَـهَـرْ

كَـلَّا وَلَا صَـدَّ ٱلْـبَـتُـو لَ عَـنِ ٱلـتُّـرَاثِ وَلَا زَجَـرْ

وَأَثَـابَـهَـا ٱلْـحُـسْـنَـىٰ وَلَا		شَـقَّ ٱلْـكِـتَـابَ وَلَا بَـقَـرْ
وَبَـكَـيْـتُ عُـثْـمَـانَ ٱلـشَّـهِـيـ		ـدَ بُـكَـاءَ نِـسْـوَانِ ٱلْـحَـضَـرْ
وَشَـرَحْـتُ حُـسْـنَ صَـلَاتِـهِ		جُـنْـحَ ٱلـظَّـلَامِ ٱلْـمُـعْـتَـكِـرْ
وَقَـرَأْتُ مِـنْ أَوْرَاقِ مُـصْـ		ـحَـفِـهِ (بَـرَاءَةَ) وَ(ٱلـزُّمَـرْ)
وَرَثَـيْـتُ طَـلْـحَـةَ وَٱلـزُّبَـيْـ		ـرَ بِـكُـلِّ شِـعْـرٍ مُـبْـتَـكَـرْ
وَأَزُورُ قَـبْـرَهُـمَـا وَأَزْ		جُـرُ مَـنْ نَـهَـانِـي أَوْ زَجَـرْ
وَأَقُـولُ أُمُّ ٱلْـمُـؤْمِـنِـيـ		ـنَ عُـقُـوقُـهَـا إِحْـدَى ٱلْـكُـبَـرْ
وَافَـتْ عَـلَـىٰ جَـمَـلٍ لِـتُـصْـ		ـبِـحَ مِـنْ بَـنِـيـهَـا فِـي زُمَـرْ
وَأَتَـتْ لِـتُـصْـلِـحَ بَـيْـنَ جَـيْـ		ـشِ ٱلْـمُـسْـلِـمِـينَ عَـلَـىٰ غَـرَرْ
فَـأَتَـىٰ أَبُـو حَـسَـنٍ وَسَـلَّ		حُـسَـامَـهُ وَسَـطَـا وَكَـرّْ
وَأَذَاقَ إِخْـوَتَـهُ ٱلـرَّدَىٰ		وَبَـعِـيـرَ أُمِّـهِـمُ عَـقَـرْ
مَـا ضَـرَّهُ لَـوْ كَـانَ كَـفَّ		وَعَـفَّ عَـنْـهُ إِذْ قَـدَرْ
وَأَقُـولُ إِنَّ إِمَـامَـكُـمْ		وَلَّـىٰ بِـصِـفِّـيـنٍ وَفَـرّْ
وَأَقُـولُ إِنْ أَخْـطَـا مُـعَـا		وِيَـةٌ فَـمَـا أَخْـطَـا ٱلْـقَـدَرْ
هَـٰذَا وَلَـمْ يَـغْـدِرْ مُـعَـا		وِيَـةٌ وَلَا عَـمْـرٌو مَـكَـرْ
بَـطَـلٌ بِـسَـوْءَتِـهِ يُـقَـا		تِـلُ لَا بِـصَـارِمِـهِ ٱلـذَّكَـرْ
وَٱلْأَشْـعَـرِيُّ بِـمَـا يَـؤُو		لُ إِلَـيْـهِ أَمْـرُهُـمَـا شَـعَـرْ
قَـالَ ٱنْـصِـبُـوا لِـي مِـنْـبَـراً		فَـأَنَـا ٱلْـبَـرِيءُ مِـنَ ٱلْـخَـطَـرْ
فَـعَـلَا وَقَـالَ خَـلَـعْـتُ صَـا		حِـبَـكُـمْ وَأَوْجَـزَ وَٱخْـتَـصَـرْ

وَجَنَيْتُ مِنْ ثَمَرِ ٱلنَّوَا ... صِبِ مَا تَتَمَّرَ وَٱخْتَمَرْ
وَأَقُولُ ذَنْبُ ٱلْخَارِجِيـ ... ـنَ عَلَىٰ عَلِيٍّ مُغْتَفَرْ
لَا ثَائِرٌ بِقِتَالِهِمْ ... فِي ٱلنَّهْرَوَانِ وَلَا أَثَرْ
وَأَقُولُ إِنَّ يَزِيدَ مَا ... شَرِبَ ٱلْخُمُورَ وَلَا فَجَرْ
وَلِجَيْشِهِ بِٱلْكَفِّ عَنْ ... أَبْنَاءِ فَاطِمَةٍ أَمَرْ
وَحَلَقْتُ فِي عَشْرِ ٱلْمُحَرَّ ... مِ مَا ٱسْتَطَالَ مِنَ ٱلشَّعَرْ
وَنَوَيْتُ صَوْمَ نَهَارِهِ ... وَصِيَامَ أَيَّامٍ أُخَرْ
وَلَبِسْتُ فِيهِ أَجَلَّ ثَوْ ... بٍ لِلْمَلَابِسِ يُدَّخَرْ
وَسَهِرْتُ فِي طَبْخِ ٱلْحُبُو ... بِ مِنَ ٱلْعِشَاءِ إِلَى ٱلسَّحَرْ
وَغَدَوْتُ مُكْتَحِلاً أُصَا ... فِحُ مَنْ لَقِيتُ مِنَ ٱلْبَشَرْ
وَوَقَفْتُ فِي وَسَطِ ٱلطَّرِيـ ... ـقِ أَقُصُّ شَارِبَ مَنْ عَبَرْ
وَأَكَلْتُ جِرْجِيرَ ٱلْبُقُو ... لِ بِلَحْمِ جِرِّي ٱلْحُفَرْ(١)
وَجَعَلْتُهَا خَيْرَ ٱلْمَآ ... كِلِ وَٱلْفَوَاكِهِ وَٱلْخُضَرْ
وَغَسَلْتُ رِجْلِي ظِلَّةً(٢) ... وَمَسَحْتُ خُفِّي فِي ٱلسَّفَرْ
وَأَمِينَ أَجْهَرُ فِي ٱلصَّلَا ... ةِ كَمَنْ بِهَا قَبْلِي جَهَرْ
وَأَسُنُّ تَسْنِيمَ ٱلْقُبُو ... رِ لِكُلِّ قَبْرٍ يُحْتَفَرْ
وَإِذَا جَرَىٰ ذِكْرُ ٱلْغَدِيـ ... ـرِ أَقُولُ مَا صَحَّ ٱلْخَبَرْ
وَلَبِسْتُ فِيهِ مِنَ ٱلْمَلَا ... بِسِ مَا ٱضْمَحَلَّ وَمَا دَثَرْ

---

(١) في « ثمرات الأوراق » (ص ٣٣١) (جوني الجفر)

(٢) في « أنوار الربيع » (٢٢٨/٣) (ضلة) بدل (ظلة)

وَسَكَنْتُ جُلَّقَ وَٱقْتَدَيْـ ـتُ بِهِمْ وَإِنْ كَانُوا بَقَرْ
وَأَقُولُ مِثْلَ مَقَالِهِمْ بِٱلْفَاشِرِيَّا قَدْ فَشَرْ
مُصْطَيْحَتِي مَكْسُورَةٌ وَفَطِيرَتِي فِيهَا قِصَرْ
بَقَرٌ تَرَىٰ بِرَئِيسِهِمْ طَيْشَ ٱلظَّلِيمِ إِذَا نَفَرْ
وَخَفِيفُهُمْ مُسْتَثْقَلٌ وَصَوَابُ قَوْلِهِمُ هَذَرْ
وَطِبَاعُهُمْ كَحِبَالِهِمْ (١) جُبِلَتْ وَقُدَّتْ مِنْ حَجَرْ
مَا يُدْرِكُ ٱلتَّشْبِيبُ تَغْـ ـرِيدَ ٱلْبَلَابِلِ بِٱلسَّحَرْ
وَأَقُولُ فِي يَوْمٍ تَحَا رُ لَهُ ٱلْبَصِيرَةُ وَٱلْبَصَرْ
وَٱلصُّحْفُ يُنْشَرُ طَيُّهَا وَٱلنَّارُ تَرْمِي بِٱلشَّرَرْ
هَٰذَا ٱلشَّرِيفُ أَضَلَّنِي بَعْدَ ٱلْهِدَايَةِ وَٱلنَّظَرْ
فَيُقَالُ خُذْ بِيَدِ ٱلشَّرِيـ ـفِ فَمُسْتَقَرُّكُمَا سَقَرْ
لَوَّاحَةٌ تَسْطُو فَمَا تُبْقِي عَلَيْهِ وَلَا تَذَرْ
وَٱللهُ يَغْفِرُ لِلْمُسِيـ ـءِ إِذَا تَنَصَّلَ وَٱعْتَذَرْ
إِلَّا لِمَنْ جَحَدَ ٱلْوَصِيَّ وَلَاءَهُ وَلِمَنْ كَفَرْ
فَٱخْشَ ٱلْإِلَٰهَ بِسُوءِ فِعْـ ـلِكَ وَٱحْتَذِرْ كُلَّ ٱلْحَذَرْ
وَإِلَيْكَهَا بَدَوِيَّةً رَقَّتْ لِرِقَّتِهَا ٱلْحَضَرْ
شَامِيَّةً لَوْ شَامَهَا قُسُّ ٱلْفَصَاحَةِ مَا ٱفْتَخَرْ
حَبَّرْتُهَا فَغَدَتْ كَزَهْـ ـرِ ٱلرَّوْضِ بَاكَرَهُ ٱلْمَطَرْ

---

(١) في « أنوار الربيع » (٣/٢٢٨) (كجبالهم) بدل (كحبالهم)

وَإِلَى ٱلشَّرِيفِ بَعَثْتُهَا ... لَمَّا قَرَاهَا وَٱبْتَهَزْ
رَدَّ ٱلْغُلَامَ وَمَا ٱسْتَمَرَّ ... عَلَى ٱلْجُحُودِ وَلَا أَصَرّْ
وَأَثَابَنِي وَجَزَيْتُهُ ... شُكْراً وَقَالَ لَقَدْ صَبَرْ

هٰذهِ القصيدةُ وأمثالُها مِنَ الشعرِ ؛ كأشعارِ الصَّاحبِ بهاءِ الدينِ زهيرٍ يُقالُ لهُ السَّهلُ الممتنعُ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ يُخَيِّلُ لقارئِهِ القدرةُ علىٰ مثلِهِ ، فمتىٰ ذهبَ يطالبُ طبعَهُ بحكايتِهِ وجدَهُ يَنكُصُ ويأبىٰ عليهِ

والقصيدةُ الثانيةُ قولُهُ[1] [من البسيط]

مَنْ رَكَّبَ ٱلْبَدْرَ فِي صَدْرِ ٱلرُّدَيْنِيِّ ... وَمَوَّهَ ٱلسِّحْرَ فِي حَدِّ ٱلْيَمَانِيِّ
وَأَنْزَلَ ٱلنَّيِّرَ ٱلْأَعْلَىٰ إِلَىٰ فَلَكٍ ... مَدَارُهُ فِي ٱلْقَبَاءِ ٱلْخُسْرُوَانِيِّ
طَرْفٌ رَنَا أَمْ قِرَابٌ سُلَّ صَارِمُهُ ... وَأَغْيَدٌ مَاسَ أَمْ أَعْطَافُ خَطِّيِّ
أَذَلَّنِي بَعْدَ عِزٍّ وَٱلْهَوَىٰ أَبَداً ... يَسْتَعْبِدُ ٱللَّيْثَ لِلظَّبْيِ ٱلْكِنَاسِيِّ
أَمَا وَذَائِبِ مِسْكٍ مِنْ ذَوَائِبِهِ ... عَلَىٰ أَعَالِي ٱلْقَضِيبِ ٱلْخَيْزُرَانِيِّ
وَمَا يُجِنُّ عَقِيقِيُّ ٱلشِّفَاهِ مِنَ ٱلرِّ ... يقِ ٱلرَّحِيقِيِّ وَٱلثَّغْرِ ٱلْجُمَانِيِّ
لَوْ قِيلَ لِلْبَدْرِ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ تَحْسُدُهُ ... إِذَا تَجَلَّىٰ لَقَالَ ٱبْنُ ٱلْفُلَانِيِّ
أَرْبَىٰ عَلَيَّ بِشَتَّىٰ مِنْ مَحَاسِنِهِ ... تَأَلَّفَتْ بَيْنَ مَسْمُوعٍ وَمَرْئِيِّ
إِبَاءُ فَارِسَ مَعْ لِينِ ٱلشَّآمِ مَعَ ٱلظَّـ ... ـرْفِ ٱلْعِرَاقِيِّ وَٱلنُّطْقِ ٱلْحِجَازِيِّ
وَمَا ٱلْمُدَامَةُ بِٱلْأَلْبَابِ أَفْتَكُ مِنْ ... فَصَاحَةِ ٱلْبَدْوِ فِي أَلْفَاظِ تُرْكِيِّ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٣/٢٣١)

حسنُ التخلُّصِ

جرتْ عادةُ الشُّعراءِ قديماً أنَّهُم إذا أرادوا أن يَمدحوا . افتتحوا الكلامَ بنوعٍ مِنَ الغزلِ وغيرِهِ لمقاصدَ

منها إدخالُ السُّرورِ على الممدوحِ ، وتفريحُ قلبِهِ ، واستحضارُ نشاطِهِ بتذكيرِهِ محاسنَ المِلاحِ وأحوالِ الغرامِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأمورِ التي تكونُ بها قلوبُ أهلِ القدرةِ بها أشغفَ ، وإلى التفكُّهِ بثمراتِها أميلَ

ومنها شكْوُ الشاعرِ انقطاعَ الوسائلِ الواصلةِ بينَهُ وبينَ أحبَّتِهِ ، حتىٰ ألجأهُ ذٰلكَ إلى اقتحامِ المفاوزِ ومواصلةِ الأسفارِ ومعاناةِ الشدائدِ ، يبعثُ بذٰلكَ رحمةَ الممدوحِ ، ويُوجِبُ الحقَّ عليهِ ، وغيرُ ذٰلكَ

فإذا أرادوا أن ينتقلوا مِنْ ذٰلكَ إلى المقصودِ فذٰلكَ مكانُ التخلُّصِ

وقالَ أهلُ البديعِ ينبغي أن تزيدَ العنايةُ بهِ زيادتَها بالمطلعِ والمقطعِ وموضعِ الطلبِ ، وذٰلكَ يكونُ بحسنِ التحيُّلِ في إدخالِ ابتداءِ المديحِ في غضونِ انتهاءِ الغزلِ ، حتىٰ ينتقلَ السامعُ دونَ شعورٍ وكأنَّهُ لم يزلْ في استماعِ المعنى الأوَّلِ ، فيُسمَّىٰ حينَئذٍ حسنَ التخلُّصِ

وكانَ يقعُ للمُتقدِّمينَ علىٰ سبيلِ الاتفاقِ ، وهوَ الذي نَبَّهَ المُتأخِّرينَ على اعتبارِ ذٰلكَ وقصدِهِ وإدخالِهِ في الصِّناعةِ ، وغيرُ ذٰلكَ يُسمَّى اقتضاباً ، وهوَ الغالبُ في شعرِ أبي تمامٍ والبحتريِّ ومَنْ قبلَهُم

حتىٰ كانَ الصَّاحبُ ابنُ عبادٍ يقولُ البحتريُّ يسقطُ مِنَ السطحِ إلى المدحِ

ولبعضِ الشعراءِ[1] [من مجزوء الكامل]

يَــغْــتَــابُــنِــي فَــإِذَا ٱلْــتَــفَــتُّ   أَبَــانَ عَــنْ مَــحْــضٍ صَــحِــيــحْ
وَثْــبــاً كَــوَثْــبِ ٱلْــبُــحْــتُــرِيِّ   مِــنَ ٱلــنَّــسِــيــبِ إِلَى ٱلْــمَــدِيــحْ

ويَحسُنُ الاقتضابُ إذا أنهى الشاعرُ المعنى الأوَّلَ ؛ بحيثُ لم يبقَ فيهِ ما تَتشوَّفُ إليهِ النفسُ ، ويقولُ العارفُ بصناعةِ الشعرِ إنَّهُ لا تمكنُ الزيادةُ علىٰ ذٰلكَ ؛ كقولِ أبي تمامٍ وقد ذكرَ الشيبَ ، وذمَّ آثارَهُ ، وتَوجَّعَ مِنْ صحبتِهِ ، واسترسلَ في ذٰلكَ حتىٰ ختمَهُ بالاستدلالِ عليهِ فقالَ[2] [من الخفيف]

لَـوْ رَأَى ٱللهُ أَنَّ فِـي ٱلـشَّـيْـبِ خَـيْـراً   جَـاوَرَتْـهُ ٱلْـوِلْـدَانُ فِـي ٱلْـخُـلْـدِ شِـيـبَـا

فكأنَّهُ يَستحضِرُ السامعَ لأن يَتلقَّىٰ فنّاً آخرَ مِنَ الكلامِ ، فكأنَّهُ ابتدأَ المديحَ ابتداءً ولم يجعلْ لهُ مُقدِّمةً

[استحسانُ حسنِ التخلُّصِ]

ومعَ ذٰلكَ فقد وقعَ الاتفاقُ على استحسانِ ما سمَّوهُ حسنَ التخلُّصِ ؛ فمِنْ ذٰلكَ في شعرِ المُتقدِّمينَ قولُ زهيرٍ[3] [من البسيط]

إِنَّ ٱلْـبَـخِـيـلَ مَـلُـومٌ حَـيْـثُ كَـانَ وَلَٰـ   ـكِـنَّ ٱلْـكَـرِيـمَ عَـلَـىٰ عِـلَّاتِـهِ هَـرِمُ

وقولُ ربيعةَ بنِ مقرومٍ الضَّبيِّ[4] [من البسيط]

وَجَـسْـرَةٍ أُجُـدٍ تَـدْمَـىٰ مَـنَـاسِـمُـهَـا   [أَعْـمَـلْـتُـهَـا] بِـيَ حَـتَّـىٰ تَـقْـطَـعَ ٱلْـبِـيـدَا
كَـلَّـفْـتُـهَـا فَـرَأَتْ حَـتْـمـاً تَـكَـلُّـفَـهَـا   ظَـهِـيـرَةً كَـأَجِـيـجِ ٱلـنَّـارِ صَـيْـخُـودَا

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٤/٢٦٧)
(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (١/١٦١)
(٣) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » (ص ١١٩)
(٤) انظر « ديوان ربيعة الضبي » (ص ٢٩) ، والأُجُد : القوية ، والصيخود : الشديدة الحر

فِي مَهْمَهٍ قُذُفٍ يُخْشَى ٱلْهَلَاكُ بِهِ أَصْدَاؤُهُ لَا تَنِي بِٱللَّيْلِ تَغْرِيدَا
لَمَّا تَشَكَّتْ إِلَيَّ ٱلْأَيْنَ قُلْتُ لَهَا لَا تَسْتَرِيحِينَ مَا لَمْ أَلْقَ مَسْعُودَا

ولا يتجاوزُ مثلَ هٰذا ما تأنَّقَ فيهِ المُتأخِّرونَ إلَّا يسيراً إن كانَ كقولِ لسانِ الدينِ بنِ الخطيبِ (١) [من الكامل]

شِمْتُ ٱلْمُنَىٰ وَحَمِدْتُ إِدْلَاجَ ٱلسُّرَىٰ وَزَجَرْتُ لِلْآمَالِ كُلَّ سَنِيحِ
فَكَأَنَّمَا لَيْلِي نَسِيبُ قَصِيدَتِي وَٱلصُّبْحُ فِيهِ تَخَلُّصِي لِمَدِيحِي

ولبديعِ الزمانِ الهَمْدانيِّ (٢) [من البسيط]

أَبَى ٱلْمُقَامَ بِدَارِ ٱلذُّلِّ لِي كَرَمٌ وَهِمَّةٌ تَصِلُ ٱلتَّخْوِيدَ وَٱلْخَبَبَا
وَعَزْمَةٌ لَا تَزَالُ ٱلدَّهْرَ ضَارِبَةً دُونَ ٱلْأَمِيرِ وَفَوْقَ ٱلْمُشْتَرِي طَنَبَا

وجميعُ انتقالاتِ الكتابِ العزيزِ شواهدُ علىٰ أحسنِ حُسْنِ تَخلُّصٍ



---

(١) انظر « الإحاطة في أخبار غرناطة » (٤/٤٦٣)

(٢) انظر « ديوان بديع الزمان الهمداني » (ص ٣٣) ، والتخويد سرعة السير

الاطِّرادُ

هوَ أن يذكرَ اسمَ شخصٍ فيَنسُبَهُ بذكرِ أبيهِ وجدِّهِ ، وذٰلكَ يزيدُ حسنَهُ في الشعرِ ؛ لأنَّهُ معَ حكمِ الوزنِ إذا كانَ سهلاً سَلْسَلاً مُنحدِراً يُشبِهُ الماءَ في اطرادِهِ وجريانِهِ ورَدَ علىٰ نفسِ السامعِ مُستغرَباً مُتعجَّباً منهُ

وهوَ في غيرِ الشعرِ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « إِنَّ ٱلْكَرِيمَ ٱبْنَ ٱلْكَرِيمِ ٱبْنِ ٱلْكَرِيمِ ٱبْنِ ٱلْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ »[1]

وفي الشعرِ كقولِ بعضِ العربِ[2] [من الكامل]

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ ... بِعُتَيْبَةَ بْنِ ٱلْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ

وقولِ دريدِ بنِ الصِّمَّةِ[3] [من الطويل]

قَتَلْنَا بِعَوْنِ ٱللهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ... ذُؤَابَ بْنَ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ

وقولِ الأعشىٰ[4] [من الطويل]

أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ ... وَأَنْتَ ٱلَّذِي تَرْجُو بَقَاءَكَ وَائِلُ

وقولِهِ أيضاً[5] [من الطويل]

فَنِعْمَ أَخُو ٱلْجُلَّىٰ وَمُسْتَنْبَطُ ٱلنَّدَىٰ ... وَمَلْجَأُ مَحْزُونٍ وَمَفْزَعُ لَاهِثِ

عِيَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ غَانِمِ بْـ ... ـنِ زَيْدِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٠) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما

(٢) انظر « يتيمة الدهر » (٥/٣٠٨)

(٣) انظر « ديوان دريد بن الصمة » (ص ٣٦) ، وفيه (بعبد) بدل (بعون)

(٤) انظر « ديوان الأعشىٰ » (٢/٢٦)

(٥) انظر « أنوار الربيع » (٣/٣٢٧) ، وفيه أنه لابن دريد

جعلَ البيتَ كلَّهُ اطراداً

وكقولِ السِّراجِ الورَّاقِ مِنَ المُتأخِّرينَ (١) [من الكامل]

فَلَهُ ٱلْجَمَالُ غَداً بِغَيْرِ مُنَازِعٍ ... وَلِيَ ٱلْجَوَىٰ فِيهِ بِغَيْرِ قَسِيمِ

وَكَذَا ٱلْعُلَا لِمُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْـ ... ـنِ عَلِيٍّ ٱبْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمِ

بتنوينِ (عليٍّ) لإقامةِ الوزنِ

وزادَ بعضُهُم في حدِّ الاطرادِ لزومَ ذكرِ كنيةِ الشخصِ ولقبِهِ معَ نسبِهِ وقبيلتِهِ ، أو ما أمكنَ مِنْ ذٰلكَ ، فلا يُعَدُّ ذكرُ النسبِ وحدَهُ اطراداً ؛ كقولِ بعضِهِم (٢) [من الوافر]

إِلَى ٱلشَّيْخِ ٱلْجَلِيلِ أَبِي عَلِيٍّ ... مُحَمَّدِ ٱبْنِ عِيسَى ٱلدَّامِغَانِيْ

وقولِ آخَرَ (٣) [من الكامل]

إِنَّ ٱلرِّوَايَةَ وَٱلدِّرَايَةَ خَاتَمٌ ... حَقّاً أَقُولُ وَلَسْتُ فِيهِ بِزَاعِمِ

وَأَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْـ ... ـنِ عُمَيْرٍ ٱلْجُشَمِيُّ فَصُّ ٱلْخَاتَمِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٣/٣٢٩)

(٢) هو أبو القاسم الأليماني ، كما في « أنوار الربيع » (٣/٣٣١)

(٣) هو أبو محمد الحسين الزيادي ، كما في « أنوار الربيع » (٣/٣٣٣)

العكسُ

هو مثلُ قولِهِم عاداتُ الساداتِ ساداتُ العاداتِ ، وكتبُ الأحبابِ أحبابُ الكتبِ ، وكلامُ الأميرِ أميرُ الكلامِ ، وكقولِ بعضِ شعراءِ العربِ (١) [من الوافر]

رَمَى ٱلْحِدْثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدَارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمُودَا
فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ ٱلسُّودَ بِيضاً وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ ٱلْبِيض سُودَا

الحِدْثانُ ـ بكسرٍ فسكونٍ ـ : مِنْ أسماءِ ما جرَتْ عادةُ العربِ بنسبةِ الأفعالِ لهُ ؛ كالدهرِ والزمنِ

وكقولِ بعضِهِم وقد سُئِلَ عنِ الشِّعرِ هوَ أدنىٰ مروءةِ السَّرِيِّ ، وأسرىٰ مروءةِ الدنيِّ

[العكسُ الاتِّفاقيُّ]

ومِنَ العكسِ الاتفاقيِّ قولُ الحسنِ بنِ سهلٍ لا سَرَفَ في الخيرِ ، وقد قيلَ لهُ لا خيرَ في السَّرَفِ

وقولُ أبي تمامٍ ـ وقد أنشدَ ابتداءً مِنِ ابتداءاتِهِ الوَعْرةِ ، [فقالَ أحدُهُم مُنكِراً] لِمَ لَمْ تَقلْ ما يُفهَمُ ؟ ـ لِمَ لَمْ تفهمْ ما يُقالُ ؟!



(١) انظر « خزانة الأدب » (٢/٢٦٤)

الترديدُ

[هـوَ] تكريرُ اللفظِ مختلفِ التعلُّقاتِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ في سورةِ (الرحمٰنِ) وسورةِ (المرسلاتِ) وسورةِ (الشعراءِ) ، ويكونُ المُردَّدُ جملةً ومفرداً ، اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، وأقلُّهُ تكريرُ الكلمةِ مرتَينِ ؛ كقولِ أبي نُواسٍ (١) [من البسيط]

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ ٱلْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا ... لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ

وهٰذا النوعُ تَعرِفُ حسنَهُ بتأمُّلِ مواقعِهِ واعتبارِ آثارِهِ



---

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٥٣)

المناسبةُ

هيَ أن يأتيَ المُتكلِّمُ بألفاظٍ متوازنةٍ ، **وأحسنُها : مُقفَّاها** ؛ كقولِ مروانَ بنِ [أبي] حفصةَ(١) [من الطويل]

هُمُ ٱلْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا ... أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا



---

(١) انظر « ديوان مروان بن أبي حفصة » (ص ٨٨)

الجمعُ

هوَ أن يَذكُرَ أمرَينِ أو أكثرَ ليَجعلَ المُتعدِّدَ مُتَّحِداً بمعنىً مُشترَكٍ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ﴾ (١)

ومنهُ قولُ أبي العتاهيةِ (٢) [من مزدوج الرجز]

إنَّ ٱلشَّبَابَ وَٱلْفَرَاغَ وَٱلْجِدَهْ   مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ



(١) سورة الكهف (٤٦)

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٨٣)

الانسجامُ

يُقالُ انسجمَ الغيثُ ؛ إذا اتصلَ انهمالُهُ في سهولةٍ ، وهٰذا النوعُ مِنَ البديعِ حاصلُهُ أن يكونَ الكلامُ حسنَ التأليفِ حروفاً وكَلِماً ؛ بحيثُ لا يجدُ المُتكلِّمُ بهِ عُسْراً ما علىٰ آلاتِ النطقِ حتىٰ كأنَّهُ لسَلاستِهِ يمضي وحدَهُ معَ النفسِ دونَ عملٍ

وسببُ ذٰلكَ هوَ السببُ الذي مِنْ جهتِهِ تَميُّزُ الشعرِ ؛ حيثُ كانَتْ عبارتُهُ مُفصَّلةَ الحركاتِ والسَّكَناتِ علىٰ أوضاعٍ معينةٍ ، فإذا قَوِيَتْ مراعاةُ ذٰلكَ التفصيلِ ؛ بكونِ الحروفِ متلائمةً مُفصَّلةً حركاتُها بالسكناتِ علىٰ حدِّ التناسبِ ، ممدودةً بأحرفِ المدِّ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا يُوجِبُ سهولةَ النطقِ أخذَ الكلامُ هيئةً لا تختلفُ النفوسُ في استحسانِها ، وتلكَ الهيئةُ هيَ المُسمَّاةُ بالانسجامِ

وجميعُ الكتابِ العزيزِ شاهدٌ لهٰذا النوعِ ، واعتبرْ ذٰلكَ بقراءةِ القُرَّاءِ إذا مدُّوا أصواتَهُم في قراءتِهِ ، فإنَّكَ لا تجدُ ذٰلكَ يتفقُ في كلامٍ ، ولا يمكنُ أن يعطيَهُمُ الحالةَ التي يعطيها القرآنُ إيَّاهُم

ومِنْ إساءةِ الأدبِ وقِلَّةِ التحفُّظِ بنقصانِ المعرفةِ ما وقعَ في هٰذا الموضعِ لبعضِ المُتكلِّمينَ في فنِّ البديعِ مِنْ قولِهِ إنَّ الكلامَ بانسجامِهِ يصيرُ شعراً دونَ قصدٍ ، حيثُ جعلَ المَرجِعَ إلىٰ موافقةِ الشعرِ ، معَ أنَّ الشعرَ قليلٌ فيهِ المُنسجِمُ ، ولذٰلكَ بحثوا عن أبياتٍ مِنْ قصائدَ في العصورِ المتتابعةِ ليجعلوها أمثلةً للانسجامِ ، ومتىٰ كانَ المَرجِعُ في أمرِ الانسجامِ إلى اختبارِ نطقِكَ بالكلامِ ، ولم تكنْ مِنْ أهلِ العِيِّ لم تكنْ مُفتقِراً إلى اعتبارِهِ بشعرٍ أو غيرِهِ

ومِمَّا لا يَستحسِنُهُ الأدبُ أن يُقالَ قولُهُ تعالىٰ كذا هوَ مِنَ البحرِ الفلانيّ ، ويعتذرونَ في تنزيهِ القرآنِ عنِ الشعرِ بكونِ الوزنِ غيرَ مقصودٍ ، وإذا كانَ الشعرُ محدوداً بالكلامِ الموزونِ المُقفَّىٰ فلا يَتحقَّقُ إلَّا ببيتٍ كاملٍ ، فلستَ مُحتاجاً لذٰلكَ الاعتذارِ ؛ إذ ليسَ في القرآنِ ما يُشبِهُ بيتاً أصلاً

[ذكرُ أمثلةٍ منَ الانسجامِ]

هٰذا ؛ ولأجل أن تنظرَ الانسجامَ في كلامِ الناسِ نوردُ عليكَ أشياءَ ممَّا مثَّلوهُ بهِ ؛ فمِنْ ذٰلكَ قولُ امرئ القيسِ (١) [من الكامل]

فَظَلِلْتُ فِي دِمَنِ ٱلدِّيَارِ كَأَنَّنِي ... نَشْوَانُ بَاكَرَهُ صَبُوحُ مُدَامِ

وقولُ المُنَخَّلِ اليَشكُريّ (٢) [من مجزوء الكامل]

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى ٱلْفَتَا ... ةِ ٱلْخِدْرَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْمَطِيرِ
وَٱلْكَاعِبِ ٱلْحَسْنَاءِ تَرْ ... فُلُ فِي ٱلدِّمَقْسِ وَفِي ٱلْحَرِيرِ
فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ ... مَشْيَ ٱلْقَطَاةِ إِلَى ٱلْغَدِيرِ
وَلَثَمْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ ... كَتَنَفُّسِ ٱلظَّبْيِ ٱلْبَهِيرِ
فَدَنَتْ وَقَالَتْ يَا مُنَخَّـ ... ـلُ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ فُتُورِ
مَا شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُبِّـ ... ـكِ فَٱهْدَئِي عَنِّي وَسِيرِي

يقولُ فيها

وَأُحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي ... وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١١٥)
(٢) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (٢/٤٧) .

وَلَـقَـدْ شَـرِبْـتُ مِـنَ ٱلْـمُـدَا   مَـةِ بِـٱلـصَّـغِـيـرِ وَبِـٱلْـكَـبِـيـرِ
فَـإِذَا سَـكِـرْتُ فَـإِنَّـنِـي   رَبُّ ٱلْـخَـوَرْنَـقِ وَٱلـسَّـدِيـرِ
وَإِذَا صَـحَـوْتُ فَـإِنَّـنِـي   رَبُّ ٱلـشُّـوَيْـهَـةِ وَٱلْـبَـعِـيـرِ
يَـا رُبَّ يَـوْمٍ لِـلْـمُـنَـخَّـ   ـلِ قَـدْ لَـهَـا فِـيـهِ قَـصِـيـرِ

ومِـنْ نـواحـيـاتِ الـخـنـسـاءِ مـا هـوَ غـايـةٌ فـي الانـسـجـامِ ؛ كقولِها[1]

[من المتقارب]

أَعَـيْـنَـيَّ جُـودَا وَلَا تَـجْـمُـدَا   أَلَا تَـبْـكِـيَـانِ لِـصَـخْـرِ ٱلـنَّـدَىٰ
أَلَا تَـبْـكِـيَـانِ ٱلْـجَـوَادَ ٱلْـجَـمِـيـلَ   أَلَا تَـبْـكِـيَـانِ ٱلْـفَـتَـى ٱلـسَّـيِّـدَا
طَـوِيـلُ ٱلـنِّـجَـادِ رَفِـيـعُ ٱلْـعِـمَـا   دِ سَـادَ عَـشِـيـرَتَـهُ أَمْـرَدَا
إِذَا ٱلْـقَـوْمُ مَـدُّوا أَيَـادِيَـهُـمْ   إِلَى ٱلْـمَـجْـدِ مَـدَّ إِلَـيْـهِ يَـدَا
فَـنَـالَ ٱلَّـذِي فَـوْقَ أَيْـدِيـهِـمُ   مِنَ ٱلْـمَـجْـدِ ثُـمَّ مَـضَـىٰ مُـصْـعِـدَا
يُـحَـمِّـلُـهُ ٱلْـقَـوْمُ مَـا عَـالَـهُـمْ   وَإِنْ كَـانَ أَصْـغَـرَهُـمْ مَـوْلِـدَا
إِذَا ذُكِـرَ ٱلْـمَـجْـدُ أَلْـفَـيْـتَـهُ   تَـأَزَّرَ بِـٱلْـمَـجْـدِ ثُـمَّ ٱرْتَـدَىٰ

ولسحيمٍ عبدِ بني الحسحاسِ[2]

[من الطويل]

أَشَوْقاً وَلَمَّا يَمْضِ لِي غَيْرُ سَاعَةٍ   فَكَيْفَ إِذَا خَبَّ ٱلْمَطِيُّ بِنَا عَشْرَا
وَمَا كُنْتُ أَخْشَىٰ مَالِكاً أَنْ يَبِيعَنِي   بِشَيْءٍ وَإِنْ أَضْحَتْ أَنَامِلُهُ صِفْرَا
أَخُوهُمْ وَمَوْلَاهُمْ وَحَافِظُ سِرِّهِمْ   وَمَنْ قَدْ ثَوَىٰ فِيهِمْ وَعَاشَرَهُمْ دَهْرَا

---

(١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ١٤٣)
(٢) انظر « ديوان سحيم » (ص ٥٦)

[من عيونِ شعرِ الفرزدقِ في مدحِ سيّدنا زينِ العابدينَ]

يُحكىٰ أنَّ هشامَ بنَ عبدِ الملكِ حجَّ قبلَ أيامِ إمارتِهِ ، فلمَّا أرادَ أن يطوفَ وجدَ المَطافَ شديدَ الازدحامِ ، فوُضِعَ لهُ كرسيٌّ ناحيةً ينتظرُ خِفَّةَ الزحمةِ ومعَهُ أتباعُهُ مِنْ أهلِ الشامِ وغيرِهِم ، وفيهِم أبو فراسٍ همَّامُ بنُ غالبٍ المشهورُ بالفرزدقِ ، فبينا هُم كذٰلك إذا دخلَ زينُ العابدينَ عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، فانفرجَ لهُ الزّحامُ ، واحترمَهُ الناسُ ، فقالَ بعضُ أهلِ الشامِ مَنْ هٰذا الذي هابَهُ الناسُ هٰذهِ المَهابةَ ؟! فقالَ هشامٌ لا أعرفُهُ ، تجاهلَهُ خوفاً أن يميلَ لهُ أهلُ الشامِ ، فقالَ الفرزدقُ لٰكنْ أنا أعرفُهُ ، فقيلَ لهُ مَنْ هوَ يا أبا فراسٍ ، فارتجلَ قصيدةً هيَ مِنْ أكرمِ شواهدِ هٰذا النوعِ ، وإذا قرنتَها بسائرِ شعرِهِ وجدتَ الماءَ والصَّخرَ ؛ وهيَ هٰذهِ[1]

[من البسيط]

هَٰذَا ٱلَّذِي تَعْرِفُ ٱلْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ... وَٱلْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَٱلْحِلُّ وَٱلْحَرَمُ
هَٰذَا ٱبْنُ خَيْرِ عِبَادِ ٱللهِ كُلِّهِمِ ... هَٰذَا ٱلتَّقِيُّ ٱلنَّقِيُّ ٱلطَّاهِرُ ٱلْعَلَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا ... إِلَىٰ مَكَارِمِ هَٰذَا يَنْتَهِي ٱلْكَرَمُ
يَنْمِي إِلَىٰ ذُرْوَةِ ٱلْعِزِّ ٱلَّتِي قَصُرَتْ ... عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ ٱلْإِسْلَامِ وَٱلْعَجَمُ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ ٱلْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَىٰ مِنْ مَهَابَتِهِ ... وَلَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ ٱلْأَنْبِيَاءِ لَهُ ... وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ ٱلْأُمَمُ
هَٰذَا ٱبْنُ فَاطِمَةٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ ... بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ ٱللهِ قَدْ خُتِمُوا
ٱللهُ شَرَّفَهُ قِدْماً وَفَضَّلَهُ ... جَرَىٰ بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ ٱلْقَلَمُ

---

(١) انظر « ديوان الفرزدق » (٣٥٣/٢)

فَلَيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هَـٰذَا بِضَائِرِهِ ... ٱلْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَٱلْعَجَمُ
سَهْلُ ٱلْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَىٰ بَوَادِرُهُ ... يَزِينُهُ ٱثْنَانِ حُسْنُ ٱلْخَلْقِ وَٱلْكَرَمُ
حَمَّالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا فُدِحُوا ... حُلْوُ ٱلشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ
لَا يُخْلِفُ ٱلْوَعْدَ مَيْمُونٌ نَقِيبَتُهُ ... رَحْبُ ٱلْفِنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ
مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ ... كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنْجىً وَمُعْتَصَمُ
إِنْ عُدَّ أَهْلُ ٱلتُّقَىٰ كَانُوا أَئِمَّتَهُمْ ... أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ قِيلَ هُمُ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بُعْدَ غَايَتِهِمْ ... وَلَا يُدَانِيهِمُ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
هُمُ ٱلْغُيُوثُ إِذَا مَا أَزْمَةٌ أَزَمَتْ ... وَٱلْأُسْدُ أُسْدُ ٱلشَّرَىٰ وَٱلْبَأْسُ مُحْتَدِمُ
لَا يُنْقِصُ ٱلْعُسْرُ بَسْطاً مِنْ أَكُفِّهِمِ ... سِيَّانِ ذَٰلِكَ إِنْ أَثْرَوْا وَإِنْ عَدِمُوا
يُسْتَدْفَعُ ٱلسُّوءُ وَٱلْبَلْوَىٰ بِحُبِّهِمِ ... وَيُسْتَرَبُّ بِهِ ٱلْإِحْسَانُ وَٱلنِّعَمُ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ ٱللهِ ذِكْرُهُمُ ... فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ ٱلْكَلِمُ
يَأْبَىٰ لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ ٱلذَّمُّ سَاحَتَهُمْ ... خِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِٱلنَّدَىٰ هُضُمُ
أَيُّ ٱلْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمِ ... لِأَوَّلِيَّةِ هَـٰذَا أَوْ لَهُ نِعَمُ
مَنْ يَعْرِفِ ٱللهَ يَعْرِفْ أَوَّلِيَّةَ ذَا ... وَٱلدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَـٰذَا نَالَهُ ٱلْأُمَمُ

[قصيدةٌ لكثيرِ عزةَ مِن هـٰذا البابِ]

ولكثيِّرِ عَزَّةَ (١) [من الطويل]

خَلِيلَيَّ هَـٰذَا رَبْعُ عَزَّةَ فَٱعْقِلَا ... قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ٱبْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزَّةَ مَا ٱلْبُكَا ... وَلَا مُوجِعَاتِ ٱلْقَلْبِ حَتَّىٰ تَوَلَّتِ

(١) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٩٥)

فَلَا يَحْسَبِ ٱلْوَاشُونَ أَنَّ صَبَابَتِي		بِـعَـزَّةَ كَـانَـتْ غِـرَّةً فَـتَـجَـلَّـتِ
فَـوَٱللهِ ثُـمَّ ٱللهِ مَـا حَـلَّ قَـبْـلَـهَـا		وَلَا بَعْدَهَا مِنْ خِلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتِ
وَمَـا مَـرَّ مِـنْ يَـوْمٍ عَـلَـيَّ كَـيَـوْمِـهَـا		وَإِنْ عَـظُـمَـتْ أَيَّـامُ أُخْـرَىٰ وَجَـلَّـتِ
وَكَانَتْ لِقَطْعِ ٱلْحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا		كَـنَـاذِرَةٍ نَـذْراً فَـأَوْفَـتْ وَحَـلَّـتِ
فَـقُـلْـتُ لَـهَـا يَا عَـزُّ كُـلُّ مُـصِـيـبَـةٍ		إِذَا وُطِّـنَـتْ يَـوْماً لَـهَـا ٱلـنَّـفْـسُ ذَلَّـتِ
أَبَاحَتْ حِمىً لَمْ يَرْعَهُ ٱلنَّاسُ قَبْلَهَا		وَحَلَّت تِلَاعاً لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتِ
أُرِيـدُ ثَـوَاءً عِـنْـدَهَـا وَأَظُـنُّـهَـا		إِذَا مَا أَطَلْنَا عِنْدَهَا ٱلْمُكْثَ مَلَّتِ
فَـوَٱللهِ مَـا قَـارَبْـتُ إِلَّا تَـبَـاعَـدَتْ		لِـهَـجْـرِي وَلَا أَكْـثَـرْتُ إِلَّا أَقَـلَّـتِ
يُكَلِّفُهَا ٱلْغَيْرَانُ شَتْمِي وَمَا بِهَا		هَوَانِي وَلَٰكِنْ لِلْمَلِيكِ ٱسْتَذَلَّتِ
هَـنِـيـئـاً مَـرِيـئـاً غَـيْـرَ دَاءٍ مُـخَـامِـرٍ		لِعَزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا ٱسْتَحَلَّتِ
فَإِنْ تَكُنِ ٱلْعُتْبَىٰ فَأَهْلاً وَمَرْحَباً		وَحُقَّتْ لَهَا ٱلْعُتْبَىٰ لَدَيْنَا وَقَلَّتِ
وَإِنْ تَـكُـنِ ٱلْأُخْـرَىٰ فَـإِنَّ وَرَاءَنَـا		مَهَامِهَ إِنْ سَارَتْ بِهَا ٱلْعِيسُ كَلَّتِ
أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً		لَـدَيْـنَـا وَلَا مَـقْـلِـيَّـةً إِنْ تَـقَـلَّـتِ
فَـمَـا أَنَـا بِـٱلـدَّاعِـي لِـعَـزَّةَ بِـٱلـرَّدَىٰ		وَلَا شَـامِـتٍ إِنْ نَـعْـلُ عَـزَّةَ زَلَّـتِ
وَإِنِّـي وَتَـهْـيَـامِـي بِـعَـزَّةَ بَـعْـدَمَـا		تَـخَـلَّـيْـتُ عَـنْـهَـا بُـرْهَـةً وَتَـخَـلَّـتِ
لَـكَـٱلْـمُـرْتَـجِـي ظِـلَّ ٱلْـغَـمَـامَـةِ كُـلَّـمَـا		تَـبَـوَّأَ مِـنْـهَـا لِـلْـمَـقِـيـلِ ٱضْـمَـحَـلَّـتِ
كَـأَنِّـي وَإِيَّـاهَـا غَـمَـامَـةُ مُـمْـحِـلٍ		رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ ٱسْتَهَلَّتِ
كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ		مِنَ ٱلْعُصْمِ لَوْ تَمْشِي بِهَا ٱلْعُصْمُ زَلَّتِ
صَـفُـوحـاً فَـمَـا تَـلْـقَـاكَ إِلَّا بَـخِـيـلَـةً		فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَٰلِكَ ٱلنَّيْلَ مَلَّتِ

فَمَا أَنْصَفَتْ أَمَّا ٱلنِّسَاءَ فَبَغَّضَتْ إِلَيَّ وَأَمَّا بِٱلنَّوَالِ فَضَنَّتِ
فَوَا عَجَبا لِلْقَلْبِ كَيْفَ ٱغْتِرَارُهُ وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وُطِّنَتْ كَيْفَ زَلَّتِ
وَكُنَّا عَقَدْنَا عُقْدَةَ ٱلْوَصْلِ بَيْنَنَا فَلَمَّا تَوَاثَقْنَا شَدَدْتُ وَحَلَّتِ
وَكُنَّا سَلَكْنَا فِي صُعُودٍ مِنَ ٱلْهَوَىٰ فَلَمَّا تَوَافَيْنَا ثَبَتُّ وَزَلَّتِ
فَإِنْ تَسْأَلِ ٱلْوَاشُونَ كَيْفَ سَلَوْتَهَا فَقُلْ نَفْسُ حُرٍّ سُلِّيَتْ فَتَسَلَّتِ
وَلِلْعَيْنِ تَذْرَافٌ إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا وَلِلْقَلْبِ وَسْوَاسٌ إِذَا ٱلْعَيْنُ مَلَّتِ
فَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَةٍ وَأُخْرَىٰ رَمَىٰ فِيهَا ٱلزَّمَانُ فَشَلَّتِ
فَلَيْتَ قَلُوصِي عِنْدَ عَزَّةَ قُيِّدَتْ بِحَبْلٍ ضَعِيفٍ بَانَ عَنْهَا فَضَلَّتِ
وَأَصْبَحَ فِي ٱلْقَوْمِ ٱلْمُقِيمِينَ رَحْلُنَا وَكَانَ لَهَا بَاغٍ سِوَايَ فَبَلَّتِ
تَمَنَّيْتُهَا حَتَّىٰ إِذَا مَا رَأَيْتُهَا رَأَيْتُ ٱلْمَنَايَا شُرَّعاً قَدْ أَظَلَّتِ
أَصَابَ ٱلرَّدَىٰ مَنْ كَانَ يَبْغِي لَهَا ٱلرَّدَىٰ وَجُنَّ ٱللَّوَاتِي قُلْنَ عَزَّةُ جُنَّتِ
عَلَيْهَا تَحِيَّاتُ ٱلسَّلَامِ هَدِيَّةً لَهَا كُلَّ حِينٍ مُقْبِلٍ حَيْثُ حَلَّتِ

[أمثلةٌ أخرىٰ للانسجامِ]

ولابنِ الدُّمَيْنةِ مِنْ مُتأخِري العربِ (١) [من الطويل]

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَىٰ هِجْتَ مِنْ نَجْدِ فَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجْداً عَلَىٰ وَجْدِي
أَإِنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ فِي رَوْنَقِ ٱلضُّحَىٰ عَلَىٰ فَنَنٍ غَضِّ ٱلنَّبَاتِ مِنَ ٱلرَّنْدِ
بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي ٱلْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ جَزُوعاً وَأَبْدَيْتَ ٱلَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ ٱلْمُحِبَّ إِذَا دَنَا يَمَلُّ وَأَنَّ ٱلْبُعْدَ يَشْفِي مِنَ ٱلْوَجْدِ

(١) انظر « ديوان ابن الدُّمينة » (ص ٨٥)

بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بِنَا ... عَلَىٰ أَنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْبُعْدِ
عَلَىٰ أَنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي وُدِّ

وليزيدَ بنِ الطَّثَريَّةِ منهُم أيضاً[1] [من الطويل]

بِرَغْمِي أُطِيلُ ٱلصَّدَّ عَنْهَا وَإِنْ نَأَتْ ... أُحَاذِرُ أَسْمَاعاً عَلَيْهَا وَأَعْيُنَا
أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ ٱلْهَوَىٰ ... فَصَادَفَ قَلْباً خَالِياً فَتَمَكَّنَا

ولبشارِ بنِ بردٍ[2] [من الخفيف]

عَبْدُ إِنِّي إِلَيْكِ بِٱلْأَشْوَاقِ ... لِتَلَاقٍ وَكَيْفَ لِي بِتَلَاقِ
أَنَا وَٱللهِ أَشْتَهِي سِحْرَ عَيْنَيْـ ... ـكِ وَأَخْشَىٰ مَصَارِعَ ٱلْعُشَّاقِ

وعبدةُ اسمُ حبيبةٍ لهُ كثيراً ما يَهتِفُ بها في شعرِهِ ؛ كقولِهِ[3] [من الرمل]

لَمْ يَطُلْ لَيْلِي وَلَٰكِنْ لَمْ أَنَمْ ... وَنَفَىٰ عَنِّي ٱلْكَرَىٰ طَيْفٌ أَلَمّْ
رَوِّحِي يَا عَبْدُ عَنِّي وَٱعْلَمِي ... أَنَّنِي يَا عَبْدُ مِنْ لَحْمٍ وَدَمْ

ولمسلمِ بنِ الوليدِ ، وهوَ عصريُّ أبي نُوَاسٍ ، وكانَ الناسُ مختلفينَ في المفاضلةِ بينَهُما ، وأهلُ فنِّ الكتابةِ علىٰ تفضيلِ مسلمٍ[4] [من الطويل]

أَدِيرَا عَلَيَّ ٱلْكَأْسَ لَا تَشْرَبَا قَبْلِي ... وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلِي ذَحْلِي
فَمَا جَزَعِي أَنِّي أَمُوتُ صَبَابَةً ... وَلَٰكِنْ عَلَىٰ مَنْ لَا يَحِلُّ لَهَا قَتْلِي
كَتَمْتُ تَبَارِيحَ ٱلصَّبَابَةِ عَاذِلِي ... فَلَمْ يَدْرِ مَا بِي وَٱسْتَرَحْتُ مِنَ ٱلْعَذْلِ

---

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٦/٣٧٠)
(٢) انظر « ديوان بشار بن برد » (٤/١٣٧)
(٣) انظر « ديوان بشار بن برد » (٤/١٨٧)
(٤) انظر « مصارع العشاق » (١/٣٧)

أُحِبُّ ٱلَّتِي صَدَّتْ وَقَالَتْ لِتِرْبِهَا ... دَعُوهُ ٱلثُّرَيَّا مِنْهُ أَقْرَبُ مِنْ وَصْلِي
أَمَاتَتْ وَأَحْيَتْ مُهْجَتِي فَهْيَ عِنْدَهَا ... مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ ٱلْمَوَاعِيدِ وَٱلْمَطْلِ
سَأَنْقَادُ لِلَّذَّاتِ مُنْبَعِثَ ٱلْهَوَىٰ ... لِأَمْضِيَ هَمّاً أَوْ أُصِيبَ فَتىً مِثْلِي
هَلِ ٱلْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَرُوحَ مَعَ ٱلصِّبَا ... وَتَغْدُو صَرِيعَ ٱلْكَأْسِ وَٱلْأَعْيُنِ ٱلنُّجْلِ

يُقالُ إنَّ الرشيدَ لمَّا سمعَ هذا البيتَ عندَ إنشادِ القصيدةِ . لَقَّبَ مسلماً صريعَ الغواني

ولعليّ بنِ الجهمِ وهوَ عصريُّ أبي عبادَة الوليدِ البحتريّ[1] [من الطويل]

عُيُونُ ٱلْمَهَا بَيْنَ ٱلرُّصَافَةِ وَٱلْجِسْرِ ... جَلَبْنَ ٱلْهَوَىٰ مِنْ حَيْثُ نَدْرِي وَلَا نَدْرِي
أَعَدْنَ لِيَ ٱلشَّوْقَ ٱلْقَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ ... سَلَوْتُ وَلَـٰكِنْ زِدْنَ جَمْراً عَلَىٰ جَمْرِ
سَلِمْنَ وَأَسْلَمْنَ ٱلْقُلُوبَ كَأَنَّمَا ... تُشَكُّ بِأَطْرَافِ ٱلْمُثَقَّفَةِ ٱلسُّمْرِ
خَلِيلَيَّ مَا أَحْلَى ٱلْهَوَىٰ وَأَمَرَّهُ ... وَأَعْرَفَنِي بِٱلْحُلْوِ مِنْهُ وَبِٱلْمُرِّ
كَفَىٰ بِٱلْهَوَىٰ شُغْلاً وَبِٱلشَّيْبِ زَاجِراً ... لَوَ ٱنَّ ٱلْهَوَىٰ مِمَّا يُنَهْنَهُ بِٱلزَّجْرِ
بِمَا بَيْنَنَا مِنْ حُرْمَةٍ هَلْ عَلِمْتُمَا ... أَرَقَّ مِنَ ٱلشَّكْوَىٰ وَأَقْسَىٰ مِنَ ٱلْهَجْرِ
وَأَفْضَحَ مِنْ عَيْنِ ٱلْمُحِبِّ لِسِرِّهِ ... وَلَا سِيَّمَا إِنْ أَطْلَقَتْ عَبْرَةً تَجْرِي
وَمَا أَنْسَ مِ ٱلْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا ... لِجَارَتِهَا مَا أَوْلَعَ ٱلْحُبَّ بِٱلْحُرِّ
فَقَالَتْ لَهَا ٱلْأُخْرَىٰ فَمَا لِصَدِيقِنَا ... مُعَنًّى وَهَلْ فِي قَتْلِهِ لَكِ مِنْ عُذْرِ
صِلِيهِ لَعَلَّ ٱلْوَصْلَ يُحْيِيهِ وَٱعْلَمِي ... بِأَنَّ أَسِيرَ ٱلْحُبِّ فِي أَعْظَمِ ٱلْأَسْرِ

(١) انظر « ديوان علي بن الجهم » (ص ١٣٥)

فَقَالَتْ أَذُودُ ٱلنَّاسَ عَنْهُ وَقَلَّمَا يَطِيبُ ٱلْهَوَىٰ إِلَّا لِمُنْهَتِكِ ٱلسِّتْرِ
وَأَيْقَنَتَا أَنِّي سَمِعْتُ فَقَالَتَا مَنِ ٱلطَّارِقُ ٱلْمُصْغِي إِلَيْنَا وَلَا نَدْرِي
فَقُلْتُ فَتىً إِنْ شِئْتُمَا كَتَمَ ٱلْهَوَىٰ وَإِلَّا فَخَلَّاعُ ٱلْأَعِنَّةِ وَٱلْعُذْرِ
عَلَىٰ أَنَّهُ يَشْكُو ظَلُوماً وَبُخْلَهَا عَلَيْهِ بِتَسْلِيمِ ٱلْبَشَاشَةِ وَٱلْبِشْرِ
فَقَالَتْ هُجِينَا قُلْتُ قَدْ كَانَ بَعْضُ مَا ذَكَرْتِ لَعَلَّ ٱلشَّرَّ يُدْفَعُ بِٱلشَّرِّ
فَقَالَتْ كَأَنِّي بِٱلْقَوَافِي سَوَائِراً يَرِدْنَ بِنَا مِصْراً وَيَصْدُرْنَ عَنْ مِصْرِ
فَقُلْتُ أَسَأْتِ ٱلظَّنَّ بِي لَسْتُ شَاعِراً وَإِنْ كَانَ أَحْيَاناً يَجِيشُ بِهِ صَدْرِي
صِلِي وَسَلِي مَنْ شِئْتِ يُخْبِرْكِ أَنَّنِي عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ نِعْمَ مُسْتَوْدَعُ ٱلسِّرِّ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ سَارَ بِٱلشِّعْرِ ذِكْرُهُ وَلَٰكِنَّ أَشْعَارِي يُسَيِّرُهَا ذِكْرِي
وَلِلشِّعْرِ أَتْبَاعٌ كَثِيرٌ وَلَمْ أَكُنْ لَهُ تَابِعاً فِي حَالِ عُسْرٍ وَلَا يُسْرِ
وَلَٰكِنَّ إِحْسَانَ ٱلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ دَعَانِي إِلَىٰ مَا قُلْتُ فِيهِ مِنَ ٱلشِّعْرِ
فَسَارَ مَسِيرَ ٱلشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَهَبَّ هُبُوبَ ٱلرِّيحِ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ
وَلَوْ جَلَّ عَنْ شُكْرِ ٱلصَّنِيعَةِ مُنْعِمٌ لَجَلَّ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَنِ ٱلشُّكْرِ
وَمَنْ قَالَ إِنَّ ٱلْقَطْرَ وَٱلْبَحْرَ أَشْبَهَا نَدَاهُ فَقَدْ أَثْنَىٰ عَلَى ٱلْقَطْرِ وَٱلْبَحْرِ
وَلَوْ قُرِنَتْ بِٱلْبَحْرِ تِسْعَةُ أَبْحُرٍ لَمَا بَلَغَتْ جَدْوَىٰ أَنَامِلِهِ ٱلْعَشْرِ



ومِنَ القصائدِ التي ينبغي لكلِّ مُتأدِّبٍ روايتُها قصيدةُ محمدِ بنِ زريقٍ البغداديِّ

وكـانَ قـصدَ الأنـدلـسَ في طلـبِ الغنىٰ ، فلـم يَرجِعْ لبغـدادَ رحـمـةُ اللهِ عليهِ[1] [من البسيط]

لَا تَـعْـذِلِيـهِ فَـإِنَّ ٱلْـعَـذْلَ يُـولِـعُـهُ قَدْ قُلْتِ حَقّاً وَلَـٰكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
جَـاوَزْتِ فِـي لَـوْمِـهِ حَـدّاً أَضَـرَّ بِـهِ مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتِ أَنَّ ٱللَّوْمَ يَنْفَعُهُ
فَٱسْتَعْمِلِي ٱلرِّفْقَ فِي تَأْنِيبِهِ بَدَلاً مِنْ عُنْفِهِ فَهْوَ مُضْنَى ٱلْقَلْبِ مُوجَعُهُ
قَدْ كَانَ مُضْطَلِعاً بِٱلْخَطْبِ يَحْمِلُهُ فَضُيِّقَتْ بِخُطُوبِ ٱلْبَيْنِ أَضْلُعُهُ
يَكْفِيهِ مِنْ لَوْعَةِ ٱلتَّفْنِيدِ أَنَّ لَهُ مِـنَ ٱلـنَّـوَىٰ كُـلَّ يَـوْمٍ مَـا يُـرَوِّعُـهُ
مَـا آبَ مِـنْ سَـفَـرٍ إِلَّا وَأَزْعَـجَـهُ رَأْيٌ إِلَىٰ سَفَرٍ بِٱلْعَزْمِ يَجْمَعُهُ
كَـأَنَّـمَـا هُـوَ مِـنْ حِـلٍّ وَمُـرْتَـحَـلٍ مُـوَكَّـلٌ بِـفَـضَـاءِ ٱلْأَرْضِ يَـذْرَعُـهُ
إِذَا ٱلـزَّمَـاعُ أَرَاهُ فِـي ٱلـرَّحِـيـلِ غِـنـىً وَلَوْ إِلَى ٱلسِّنْدِ أَضْحَىٰ وَهْوَ يُزْمِعُهُ
تَـأْبَى ٱلْـمَـطَـامِـعُ إِلَّا أَنْ تُـجَـشِّـمَـهُ لِـلـرِّزْقِ كَـدّاً وَكَـمْ مِـمَّـنْ يُـوَدِّعُـهُ
وَمَـا مُـجَـاهَـدَةُ ٱلْإِنْـسَـانِ تُـوصِـلُـهُ رِزْقـاً وَلَا دَعَـةُ ٱلْإِنْـسَـانِ تَـقْـطَـعُـهُ
وَٱللهُ قَـسَّـمَ بَـيْـنَ ٱلْـخَـلْـقِ رِزْقَـهُـمُ لَـمْ يَـخْـلُـقِ ٱللهُ مَـخْـلُـوقـاً يُـضَـيِّـعُـهُ
لَـٰكِنَّهُمْ مُلِئُوا حِرْصاً فَلَسْتَ تَرَىٰ مُسْتَرْزِقاً وَسِوَى ٱلْغَايَاتِ يُقْنِعُهُ
وَٱلسَّعْيُ فِي ٱلرِّزْقِ وَٱلْأَرْزَاقُ قَدْ قُسِمَتْ بَـغْـيٌ أَلَا إِنَّ بَـغْـيَ ٱلْـمَـرْءِ يَـصْـرَعُـهُ
وَٱلدَّهْرُ يُعْطِي ٱلْفَتَىٰ مَا لَيْسَ يَطْلُبُهُ يَوْماً وَيَمْنَعُهُ مِنْ حَيْثُ يُطْمِعُهُ
أَسْـتَـوْدِعُ ٱللهَ فِـي بَـغْـدَادَ لِـي قَـمَـراً بِٱلْكَرْخِ مِنْ فَلَكِ ٱلْأَزْرَارِ مَطْلِعُهُ
وَدَّعْـتُـهُ وَبِـوُدِّي لَـوْ يُـوَدِّعُـنِـي صَـفْـوُ ٱلْـحَـيَـاةِ وَأَنِّـي لَا أُوَدِّعُـهُ
وَكَـمْ تَـشَـفَّـعَ أَنِّـي لَا أُفَـارِقُـهُ وَلِـلـضَّـرُورَاتِ حَـالٌ لَا تُـشَـفِّـعُـهُ

(١) انظر « أنوار الربيع » (١٧٨/٤)

وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ ٱلرَّحِيلِ ضُحىً وَأَدْمُـعِـي مُـسْـتَـهِـلَّاتٌ وَأَدْمُـعُـهُ
لَا أَكْذِبُ ٱللهَ ثَوْبُ ٱلْعُذْرِ مُنْخَرِقٌ عَـنِّـي بِـفُـرْقَـتِـهِ لَٰكِنْ أُرَقِّـعُـهُ
إِنِّـي أُوَسِّـعُ عُـذْرِي فِـي جِـنَـايَـتِـهِ بِـٱلْبَيْنِ عَنْهُ وَقَلْبِي لَا يُوَسِّعُهُ
أُعْطِيتُ مُلْكاً فَلَمْ أُحْسِنْ سِيَاسَتَهُ كَذَاكَ مَنْ لَا يَسُوسُ ٱلْمُلْكَ يَخْلَعُهُ
وَمَنْ غَدَا لَابِساً ثَوْبَ ٱلنَّعِيمِ بِلَا شُـكْـرِ ٱلْإِلَٰهِ فَـعَـنْـهُ ٱللهُ يَـنْـزِعُـهُ
اِعْتَضْتُ عَنْ وَجْهِ خِلِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ كَـأْسـاً أُجَـرَّعُ مِـنْـهَـا مَـا أُجَـرِّعُـهُ
كَمْ قَائِلٍ لِيَ ذَنْبُ ٱلْبَيْنِ قُلْتُ لَهُ اَلـذَّنْـبُ وَٱللهِ ذَنْـبِـي لَـسْـتُ أَدْفَـعُـهُ
هَلَّا أَقَمْتَ فَكَانَ ٱلرُّشْدُ أَجْمَعُهُ لَـوْ أَنَّـنِـي يَـوْمَ بَـانَ ٱلرُّشْـدُ أَتْـبَـعُـهُ
إِنِّـي لَأَقْـطَـعُ أَيَّـامِـي وَأُنْـفِـذُهَـا بِـحَـسْـرَةٍ مِـنْـهُ فِـي قَـلْـبِـي تُـقَـطِّـعُـهُ
بِـمَـنْ إِذَا هَـجَـعَ ٱلـنُّـوَّامُ بِـتُّ لَـهُ بِـلَـوْعَـةٍ مِـنْـهُ لَـيْـلِـي لَـسْـتُ أَهْـجَـعُـهُ
لَا يَطْمَئِنُّ لِجَنْبِي مَضْجَعٌ وَكَذَا لَا يَـطْـمَـئِـنُّ لَـهُ مُـذْ بِـنْـتُ مَـضْـجَـعُـهُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ ٱلدَّهْرَ يَفْجَعُنِي بِـهِ وَلَا أَنَّ بِـي ٱلْأَيَّـامَ تَـفْـجَـعُـهُ
حَتَّىٰ جَرَى ٱلدَّهْرُ فِيمَا بَيْنَنَا بِيَدِ عَـسْـرَاءَ تَـمْـنَـعُـنِـي حَـظِّـي وَتَـمْـنَـعُـهُ
بِٱللهِ يَا مَنْزِلَ ٱلْقَصْفِ ٱلَّذِي دَرَسَتْ آثَـارُهُ وَعَـفَـتْ مُـذْ غِـبْـتُ أَرْبُـعُـهُ
هَـلِ ٱلـزَّمَـانُ مُـعِـيـدٌ فِـيـكَ لَـذَّتَـنَـا أَمِ ٱلـلَّـيَـالِـي ٱلَّـذِي أَمْـضَـتْـهُ تُـرْجِـعُـهُ
فِـي ذِمَّـةِ ٱللهِ مَـنْ أَصْـبَـحْـتَ مَـنْـزِلَـهُ وَجَادَ غَيْثٌ عَلَىٰ [مَغْنَاكَ] يُمْرِعُهُ
مَـنْ عِـنْـدَهُ لِـيَ عَـهْـدٌ لَا يُـضَـيِّـعُـهُ كَـمَـا لَـهُ عَـهْـدُ صِـدْقٍ لَا أُضَـيِّـعُـهُ
وَمَـنْ يُـصَـدِّعُ قَـلْـبِـي ذِكْـرُهُ وَإِذَا جَرَىٰ عَلَىٰ قَلْبِهِ ذِكْرِي يُصَدِّعُهُ
لَأَصْـبِـرَنَّ لِـدَهْـرٍ لَا يُـمَـتِّـعُـنِـي بِـهِ وَلَا بِـيَ فِـي حَـالٍ يُـمَـتِّـعُـهُ
عِلْماً بِأَنَّ ٱصْطِبَارِي مُعْقِبٌ فَرَجاً وَأَضْـيَـقُ ٱلْأَمْـرِ إِنْ فَـكَّـرْتَ أَوْسَـعُـهُ

عَلَّ ٱللَّيَالِي ٱلَّتِي أَضْنَتْ بِفُرْقَتِنَا جِسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْماً وَتَجْمَعُهُ

وَإِنْ تَنَلْ أَحَداً مِنَّا مَنِيَّتُهُ فَمَا ٱلَّذِي بِقَضَاءِ ٱللهِ يَصْنَعُهُ

يُحكىٰ أنَّ بعض ملوكِ مصرَ مِنَ العبيديينَ الفواطمِ جُلِبَتْ لهُ جاريةٌ مُغنّيةٌ مِنْ جواري بغدادَ وكانَتْ مِنْ أظرفِهِنَّ ، فاشتدَّ بها إعجابُهُ ، وتاهَ فيها لُبُّهُ ، فكانَ أوَّلُ ما غنَّتْ[1]

أَسْتَوْدِعُ ٱللهَ فِي بَغْدَادَ

فوردَ عليهِ مِنَ الطَّربِ ما أذهلَهُ حتىٰ قالَ لها تَمنَّي عليَّ ، فقالَتْ كائناً ما كانَ ؟ فقالَ كائناً ما كانَ ، فقالَتْ أغنّي هٰذا الصوتَ ببغدادَ

فبُهِتَ لذٰلكَ ساعةً ، ثمَّ التفتَ لشيخٍ كانَ لهُ سميراً وبهِ خَصيصاً يُقالُ لهُ أبو عليٍّ الأَسْكَريُّ ، فقالَ لهُ قد رأيتَ ما نزلَ بنا ، ولا بدَّ مِنَ الوفاءِ ، ولا أثقُ بغيرِكَ ، فتَجهَّزْ للحجِّ وخُذْها معَكَ ، فإذا فرغتَ فاجعلْ طريقَكَ علىٰ بغدادَ ، فإذا بلغَتْ أمنيتَها فأسرعِ الانحدارَ إلينا

فكانَ ذٰلكَ ، حتىٰ وصلَ بها إلىٰ مَحَلٍّ يُسمَّى (القادسيةَ) ، وهوَ أولُ سوادِ بغدادَ ، وكانَ الحُجَّاجُ ينزلونَ بهِ في ذهابِهِم وإيابِهِم ، فلمَّا مضىٰ شطرٌ مِنَ الليلِ رفعَتْ تلكَ الجاريةُ صوتَها بهٰذهِ الأبياتِ التي هيَ غايةٌ في الانسجامِ ، وهيَ لموسى الكاتبِ الأصبهانيِّ [من مجزوء الكامل]

لَمَّا وَرَدْنَا ٱلْقَادِسِيَّـ ـةَ حَيْثُ مُجْتَمَعُ ٱلرِّفَاقِ

وَشَمِمْتُ مِنْ أَرْضِ ٱلْحِجَا زِ نَسِيمَ أَنْفَاسِ ٱلْعِرَاقِ

أَيْقَنْتُ لِي وَلِمَنْ أُحِبُّ بِجَمْعِ شَمْلٍ وَٱتِّفَاقِ

وَضَحِكْتُ مِنْ فَرَحِ ٱللِّقَا ءِ كَمَا بَكَيْتُ مِنَ ٱلْفِرَاقِ

---

(١) أحد أبيات قصيدة ابن زريق المارّة

لَـمْ يَـبْـقَ لِـي إِلَّا تَـجَـشُّـــ ـمُ هَـٰذِهِ ٱلسَّـبْـعِ ٱلْـبَـوَاقِـي
حَـتَّـىٰ يَـطُـولَ حَـدِيـثُـنَـا بِـصِـفَـاتِ مَـا كُـنَّـا نُـلَاقِـي

فلمَّا فرغَتْ ضجَّ الحجيجُ وقالوا بالله يا صاحبَ الصوتِ ؛ أعِدْ ، فلم تفعلْ ، وبعدَ ساعةٍ جاءَتْ خادمتُها إلىٰ أبي عليٍّ وقالَتْ إنَّ سيدتي ليسَتْ في هودجِها ، فأطالوا البحثَ عنها ، ولم يقفوا لها علىٰ خبرٍ ، وعادوا بحسرتِها إلى الملكِ ، فلم يَنتفِعْ بحياتِهِ بعدُ



وشعرُ مِهيارِ الديلميِّ تلميذِ الشريفِ محمدٍ الرضيِّ أكثرُهُ مُتمكِّنٌ في هـٰذا البابِ ، وهوَ وإن لم يَبلُغْ تجويدَ أستاذِهِ فلقد بلغَ مِنَ الإحسانِ منزلةً لم يَحُلَّها أحدٌ بعدَهُ ، وقلَّ مَنْ ألمَّ بها قبلَهُ ، فمِنْ ذٰلكَ ـ والقطرةُ تشهدُ لسائرِ البحرِ ـ قولُهُ (١) [من الرمل]

يَـا نَـسِـيـمَ ٱلـرِّيـحِ مِـنْ كَـاظِـمَـةٍ شَـدَّ مَـا هِـجْـتَ ٱلْـجَـوَىٰ وَٱلْـبُـرَحَـا
مَـنْ عَـذِيـرِي يَـوْمَ شَـرْقِـيِّ ٱلْـحِـمَـىٰ مِـنْ هَـوىً جَـدَّ بِـقَـلْـبٍ مَـزَحَـا
اَلـصِّـبَـا إِنْ كَـانَ لَا بُـدَّ ٱلـصِّـبَـا إِنَّـهَـا كَـانَـتْ لِـقَـلْـبِـي أَرْوَحَـا
يَـا نَـدَامَـايَ بِـسَـلْـعٍ هَـلْ أَرَىٰ ذَٰلِكَ ٱلْـمُـغْـبَـقَ وَٱلْـمُـصْـطَـبَـحَـا
أُذْكُـرُونَـا مِـثْـلَ ذِكْـرَانَـا لَـكُـمْ رُبَّ ذِكْـرَىٰ قَـرَّبَـتْ مَـنْ نَـزَحَـا
فَـٱرْحَـمُـوا صَـبّـاً إِذَا غَـنَّـىٰ بِـكُـمْ شَـرِبَ ٱلـدَّمْـعَ وَعَـافَ ٱلْـقَـدَحَـا

وقولُهُ (٢) [من الطويل]

بِطَرْفِكَ وَٱلْمَسْحُورُ يُقْسِمُ بِٱلسِّحْرِ أَعَـمْـداً رَمَـانِـي أَمْ أَصَـابَ وَلَا يَـدْرِي

---

(١) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (١/١٧٧)
(٢) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (١/٤١٩)

تَعَرَّض لِي فِي ٱلْقَانِصِينَ مُسَدِّدَ ٱلْ ... إِشَارَةِ مَدْلُولَ ٱلسِّهَامِ عَلَى ٱلنَّحْرِ
رَنَا ٱللَّحْظَةُ ٱلْأُولَىٰ فَقُلْتُ مُجَرِّبٌ ... فَكَرَّرَهَا أُخْرَىٰ فَأَحْسَسْتُ بِٱلشَّرِّ
فَهَلْ ظَنَّ مَا قَدْ حَرَّمَ ٱللهُ مِنْ دَمِي ... مُبَاحاً لَهُ أَمْ نَامَ قَوْمِي عَنِ ٱلْوَتْرِ
بِنَجْدٍ وَنَجْدٌ دَارُ جُودٍ وَذِمَّةٍ ... مِطَالٌ بِلَا عُسْرٍ وَبُخْلٌ بِلَا عُذْرِ
وَسَمْرَاءَ وَدَّ ٱلْبَدْرُ لَوْ حَالَ لَوْنُهُ ... إِلَىٰ لَوْنِهَا فِي صِبْغَةِ ٱلْأَوْجُهِ ٱلسُّمْرِ
خَلِيلَيَّ هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ وَٱلْتِفَاتَةٍ ... إِلَى ٱلْقُبَّةِ ٱلسَّوْدَاءِ مِنْ جَانِبِ ٱلْحِجْرِ
وَهَلْ مَا أَرَانَا ٱلْحَجُّ بِالْخَيْفِ عَائِدٌ ... إِلَىٰ مِثْلِهَا أَمْ عَدَّهَا حِجَّةَ ٱلْعُمْرِ
وَلِلهِ مَا أَوْفَى ٱلثَّلَاثَ عَلَىٰ مِنىً ... لِأَهْلِ ٱلْهَوَىٰ لَوْ لَمْ تَحُلْ لَيْلَةُ ٱلنَّفْرِ
لَقَدْ كُنْتُ لَا أُوتَىٰ مِنَ ٱلصَّبْرِ قِلَّةً ... فَهَلْ تَعْلَمَانِ ٱلْيَوْمَ أَيْنَ مَضَىٰ صَبْرِي
وَكُنْتُ أَلُومُ ٱلْعَاشِقِينَ وَلَا أَرَىٰ ... مَزِيَّةَ مَا بَيْنَ ٱلْوِصَالِ إِلَى ٱلْهَجْرِ
فَأَعْدَىٰ إِلَيَّ ٱلْحُبُّ صُحْبَةَ أَهْلِهِ ... وَلَمْ يَدْرِ قَلْبِي أَنَّ دَاءَ ٱلْهَوَىٰ يَسْرِي
أَيَشْرُدُ لُبِّي يَا غَزَالَةَ حَاجِرٍ ... وَأَنْتِ بِذَاتِ ٱلْبَانِ مَجْمُوعَةُ ٱلْأَمْرِ
خُذِي لَحْظَ عَيْنِي فِي ٱلْغُصُونِ إِضَافَةً ... إِلَى ٱلْقَلْبِ أَوْ رُدِّي فُؤَادِي إِلَىٰ صَدْرِي

وقولُهُ (١) [من الرمل]

بَكَّرَ ٱلْعَارِضُ تَحْدُوهُ ٱلنُّعَامَىٰ ... فَسَقَاكِ ٱلرِّيَّ يَا دَارَ أُمَامَا
وَتَمَشَّتْ فِيكِ أَرْوَاحُ ٱلصَّبَا ... يَتَأَرَّجْنَ بِأَنْفَاسِ ٱلْخُزَامَىٰ
أَجْتَدِي ٱلْمُزْنَ وَمَاذَا أَرَبِي ... أَنْ تَجُودَ ٱلْمُزْنُ أَطْلَالاً رِمَامَا
وَقَلِيلاً قَبْلَ أَنْ أَدْعُو لَهَا ... مَا رَآنِي ٱللهُ أَسْتَجْدِي ٱلْغَمَامَا

---

(١) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (٢/٣٤٣)

أَيْــنَ سُــكَّــانُــكِ لَا أَيْــنَ هُــمُ أَحِــجَــازاً أَوْطَــنُــوهَــا أَوْ شَــآمَــا

صُــدِعُــوا بَــعْــدَ ٱلْــتِــئَــامٍ فَــغَــدَتْ بِــهِــمُ أَيْــدِي ٱلْــمَــرَامِــي[1] تَــتَــرَامَــىٰ

يَــا لُــوَاةَ ٱلــدِّيــنِ عَــنْ مَــيْــسَــرَةٍ وَٱلــضَّــنِــيــنَــاتِ وَمَــا كُــنَّ لِــئَــامَــا

قَــدْ وَقَــفْــنَــا بَــعْــدَكُــمْ فِــي رَبْــعِــكُــمْ فَــقَــضَــيْــنَــاهُ ٱسْــتِــلَامــاً وَٱلْــتِــثَــامَــا

وَبِــجَــرْعَــاءِ ٱلْــحِــمَــىٰ قَــلْــبِــي فَــعُــجْ بِــٱلْحِمَىٰ وَٱقْرَأْ عَلَىٰ قَلْبِي ٱلسَّلَامَا

وَتَــرَحَّــلْ[2] فَــتَــحَــدَّثْ عَــجَــبــاً إِنَّ قَــلْــبــاً سَــارَ عَــنْ جِــسْــمٍ أَقَــامَــا

قُــلْ لِــجِــيــرَانِ ٱلْــغَــضَــىٰ آهــاً عَــلَــىٰ طِــيــبِ عَــيْــشٍ بِــٱلْــغَــضَــىٰ لَــوْ كَــانَ دَامَــا

تَــصِــلُ[3] ٱلْــعَــامَ وَمَــا أَنْــسَــاكُــمُ وَقُــصَــارَى ٱلْــوَجْــدِ أَنْ أَسْــلَــخَ عَــامَــا

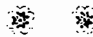
حَــمِّــلُــوا رِيــحَ ٱلــصَّــبَــا نَــشْــرَكُــمُ قَــبْــلَ أَنْ تَــحْــمِــلَ شِــيــحــاً وَثُــمَــامَــا

وَٱبْــعَــثُــوا أَشْــبَــاحَــكُــمْ لِــي فِــي ٱلْــكَــرَىٰ إِنْ أَذِنْــتُــمْ لِــجُــفُــونِــي أَنْ تَــنَــامَــا

وَقَــفَ ٱلــظَّــامِــي عَــلَــىٰ أَبْــوَابِــكُــمْ أَفَــيَــقْــضِــي وَهْــوَ لَــمْ يَــشْــفِ أُوَامَــا

مَــا يُــبَــالِــي مَــنْ سَــقَــيْــتُــنَّ ٱلــلَّــمَــىٰ مَــنْــعَــكُــنَّ ٱلْــمَــاءَ عَــنْــهُ وَٱلْــمُــدَامَــا

أَشْــتَــكِــيــكُــمْ وَإِلَــىٰ مَــنْ أَشْــتَــكِــي شَــمَــلَ ٱلــدَّاءُ فَــمَــنْ يُــبْــرِي ٱلــسَّــقَــامَــا



ولابنِ الخياطِ الدمشقيِّ[4] [من الطويل]

خُــذُوا مِــنْ صَــبَــا نَــجْــدٍ أَمَــانــاً لِــقَــلْــبِــهِ فَــقَــدْ كَــادَ رَيَّــاهَــا تَــطِــيــرُ بِــلُــبِّــهِ

(١) في « ديوان مهيار الديلمي » (٢/٣٤٤) (الموامي) وهي الصحارىٰ
(٢) في « ديوان مهيار الديلمي » (٢/٣٤٤) (وترجَّل) بدل (وترحَّل)
(٣) في « ديوان مهيار الديلمي » (٢/٣٤٤) (نصل) بدل (تصل)
(٤) انظر « ديوان ابن الخياط الدمشقي » (ص ١٧٠)

وَإِيَّاكُمَا ذَاكَ ٱلنَّسِيمَ فَإِنَّهُ   مَتَىٰ هَبَّ كَانَ ٱلْوَجْدُ أَيْسَرَ خَطْبِهِ
خَلِيلَيَّ لَوْ أَحْبَبْتُمَا لَعَلِمْتُمَا   مَحَلَّ ٱلْهَوَىٰ مِنْ مُغْرَمِ ٱلْقَلْبِ صَبِّهِ
تَذَكَّرَ وَٱلذِّكْرَىٰ تَشُوقُ وَذُو ٱلْهَوَىٰ   يَتُوقُ وَمَنْ يَعْلَقْ بِهِ ٱلْحُبُّ يُصْبِهِ
غَرَامٌ عَلَىٰ يَأْسِ ٱلْهَوَىٰ وَرَجَائِهِ   وَشَوْقٌ عَلَىٰ بُعْدِ ٱلْمَزَارِ وَقُرْبِهِ
وَفِي ٱلرَّكْبِ مَطْوِيُّ ٱلضُّلُوعِ عَلَىٰ جَوىً   مَتَىٰ يَدْعُهُ دَاعِي ٱلْغَرَامِ يُلَبِّهِ
إِذَا خَطَرَتْ مِنْ جَانِبِ ٱلرَّمْلِ نَفْحَةٌ   تَضَمَّنَ مِنْهَا دَاءَهُ دُونَ صَحْبِهِ
وَمُحْتَجِبٍ بَيْنَ ٱلْأَسِنَّةِ مُعْرِضٍ   وَفِي ٱلْقَلْبِ مِنْ إِعْرَاضِهِ مِثْلُ حُجْبِهِ
أَغَارُ إِذَا آنَسْتُ فِي ٱلْحَيِّ أَنَّةً   حِذَاراً وَخَوْفاً أَنْ تَكُونَ لِحُبِّهِ

هـٰذا ؛ وإنَّما جلبتُ لكَ هـٰذا القدرَ ، وأمسكتُ عنِ الزيادةِ ليكونَ باعثاً لكَ علىٰ طلبِ مثلِهِ ، والاعتناءِ بتحفُّظِهِ ، والتروّي بعذوبةِ مواردِهِ ، حتىٰ تَضرِبَ صفحاً عنِ التغلغلِ في وُعوراتِ الصُّعوباتِ ، وإذا انتهىٰ بنا القولُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ في الشعرِ . فهنالكَ يَحسُنُ إيرادُ ما يُختارُ منهُ عصراً فعصراً ، ومِنَ اللهِ نستمدُّ ، وعلىٰ معونتِهِ نعتمدُ



ائتلافُ المعنىٰ معَ المعنىٰ

هوَ أن يُقرَنَ بالمعنىٰ ما يناسبُهُ ويشتدُّ ارتباطُهُ بهِ ، وتارةً لا يكونُ الملائمُ المذكورُ مُزاحَماً بملائمٍ آخَرَ ، وتارةً يكونُ مُزاحَماً بملائمٍ آخَرَ يظهرُ في بادئِ الرأيِ أنَّهُ الأولىٰ ، وعندَ التحقيقِ يُعلَمُ أنَّ المذكورَ هوَ الملائمُ

فمِنَ القسمِ الأوَّلِ قولُ أبي الطيبِ (١) [من البسيط]

فَٱلْعُرْبُ مِنْهُ مَعَ ٱلْكُدْرِيِّ طَائِرَةٌ ... وَٱلرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ ٱلْحَجَلِ

فقرنَ بينَ العربِ الذينَ بلادُهُم في المفاوزِ والسهولِ مِنَ الأرضِ التي هيَ مساكنُ القطا ، وقرنَ بينَ الرُّومِ الذين مساكنُهُمُ الجبالُ التي هيَ مساكنُ الحَجَلِ ، وبينَ ما يناسبُ كلّاً مِنَ الفريقَينِ ؛ يعني أنَّ وقائعَ الممدوحِ ورهبتَهُ عَمَّتِ السهلَ والجبلَ



ومِنَ الثاني قولُ امرئِ القيسِ (٢) [من الطويل]

كَأَنِّيَ لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً لِلَذَّةٍ ... وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ

وَلَمْ أَسْبَأِ ٱلزِّقَّ ٱلرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ ... لِخَيْلِيَ كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ

وقولُ أبي الطيبِ (٣) [من الطويل]

وَقَفْتَ وَمَا فِي ٱلْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ ... كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ ٱلرَّدَىٰ وَهْوَ نَائِمُ

تَمُرُّ بِكَ ٱلْأَبْطَالُ كَلْمَىٰ هَزِيمَةً ... وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥٨)

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣٥)

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٩١ ـ ٢٩٢)

[بينَ المتنبي وسيفِ الدَّولةِ]

يُقالُ إنَّ سيفَ الدولةِ عليَّ بنَ حمدانَ لمَّا سمعَ قصيدةَ هٰذَينِ البيتَينِ طَرِبَ لها وأُعجِبَ بها ، غيرَ أنَّه قالَ لأبي الطيبِ إنِّي أنتقدُ عليكَ في قولِكَ (وَقَفْتَ) البيتينِ ، بمثلِ ما انتُقِدَ بهِ على امرئِ القيسِ في قولِهِ (كَأَنِّيَ لَمْ أَرْكَبْ) وهوَ أنَّ الملاءمةَ بينَ المعاني تقتضي تصديرَ كلٍّ مِنَ البيتَينِ بصدرِ صاحبِهِ ، فقالَ أبو الطيبِ ليسَ المُنتقِدُ على امرئِ القيسِ أعلمَ منهُ بالشعرِ ، فإنَّ معرفةَ البزازِ بالثوبِ ليسَتْ كمعرفةِ ناسجِهِ ، أرادَ امرؤُ القيسِ أن يجمعَ بينَ مَركبَيِ اللذَّةِ ؛ وهما خيلُ الصَّيدِ والنساءُ ، وبينَ الكرمِ والشجاعةِ ، ولو جمعَ بينَ الصيدِ والشجاعةِ ، وبينَ الكرمِ والنساءِ لَقالَتْ لهُ الصِّناعةُ دعْني ، فما أنتَ مِنْ أهلي ، وأنا لمَّا أردتُ ذكرَ الثباتِ وصدقَ العزمِ وحسنَ الطمأنينةِ ضربتُ المثلَ في الإحاطةِ والأمنِ وعدمِ المبالاةِ بالكونِ في جفنِ الردىٰ وهوَ نائمٌ ، ولمَّا ذكرتُ مرورَ الكَلْمى المهزومينَ وهُمُ العابسونَ الباكونَ طابقتُ بذكرِ وضاحةِ الوجهِ والابتسامِ ، فعندَ التأمُّلِ صارَ الملائمُ الظاهرُ غيرَ ملائمٍ

وهٰذا النوعُ في الكلامِ مِنَ المداحضِ يستدعي مِنْ مريدِ الإنشاءِ أو فهمِ كلامِ الغيرِ شِدَّةَ فكرٍ ودِقَّةَ نظرٍ ؛ ليَعرفَ حسنَ الملاءمةِ في مثلِ قولِهِ تعالىٰ ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾(١) ؛ حيثُ وصفَ المؤمنينَ بأنَّهُم لا يزالونَ ملاحظينَ في أعمالِهِمُ الخيرَ المحض والرحمةَ الصِّرفةَ ، فهُم لا يخشونَ ويخافونَ بعِلَّةِ كونِهِ جبَّاراً شديدَ العقابِ ، بل هم مُجِلُّونَ لهُ مُعظِّموهُ مُستحضَراً لهُم بصفاتِ الحَنانِ والرحمةِ

---

(١) سورة يسٓ (١١)

وفي مثلِ قولِهِ ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾[1]

ويُبيّنُ لكَ هٰذا حقَّ الإبانةِ ما يُحكىٰ عن بهاءِ الدينِ زهيرِ المصريِّ معَ الشاعرِ المَغربيِّ الذي قصدَهُ مِنْ بلادِهِ ليتعلَّمَ منهُ الرِّقةَ المَشرقيَّةَ ، فقالَ لهُ إنَّ ذٰلكَ ليسَ تعليمُهُ بالقواعدِ ، وإنَّما يَحصُلُ بإدمانِ مطالعةِ كلامِ البلغاءِ ، معَ التأمُّلِ في تأليفِهِ ، ولٰكنْ سألقي عليكَ صدرَ بيتٍ وأنتَ تجتهدُ في تكميلِهِ ، فسمعَ منهُ قولَهُ[2] [من مجزوء الكامل]

يَــــا بَـــــانَ وَادِي ٱلْأَجْــــرَعِ

فجاءَهُ مِنَ الغدِ وأنشدَهُ

يَــــا بَـــــانَ وَادِي ٱلْأَجْــــرَعِ سُــقِــيــتَ غَــيْــثَ ٱلْأَدْمُــعِ

يَخطُرُ بالبالِ عندَ ذكرِ الشجرِ أنَّهُ يحتاجُ للسقيِ ، وأنَّهُ إذا سُقِيَ الكفايةَ كانَ أنضرَ لهُ وأنمىٰ ، ومِنْ حيثُ كونُ المَقامِ مَقامَ ذكرِ العشقِ والغرامِ . جعلَ السُّقيا لذٰلكَ البانِ مِنْ دموعِهِ ، ولم يَتذكَّرْ أنَّهُ لا معنىً لهٰذا الدعاءِ ؛ فإنَّهُ يستلزمُ دوامَ بكائِهِ أو كثرتَهُ وتتابعَ أحزانِهِ ، وأنَّ انتفاعَ الشجرِ بالماءِ العذبِ ، لا بدموعِهِ الملحةِ ، فقال لهُ الصاحبُ زهيرٌ هلَّا قلتَ

يَــــا بَـــــانَ وَادِي ٱلْأَجْــــرَعِ هَــلْ مِــلْــتَ مِــنْ طَــرَبٍ مَــعِــي

فصَفَّقَ المغربيُّ وكادَ يطيرُ فرحاً ، وقالَ ذٰلكَ ما لا يَتأتَّىٰ لمثلي



---

(١) سورة طه (١١٨)

(٢) تقدم مع الخبر (٢/١٢٦)

المبالغةُ ، ويُقالُ التبليغُ

هيَ والإغراقُ والغُلُوُّ ثلاثتُها مُشتَرَكةٌ في أنَّها المجاوزةُ بالصِّفةِ حدَّها الذي لها في نفسِها ، كنايةً عن كثرتِها أو قُوَّتِها أو غيرِ ذٰلكَ ؛ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « إِنَّ فُلَاناً لَا يَضَعُ ٱلْعَصَا »[1] ، كنايةً عن إدامةِ السَّفرِ ؛ أي : هوَ مديمُ السفرِ ، لا يقيمُ ، وهوَ كنايةٌ عن كثرتِهِ جدّاً حتىٰ صارَتِ الإقامةُ لقِلَّتِها لا يُلتفَتُ إليها ولا تُعَدُّ قاطعةً للسفرِ ؛ فالمعنى الكنائيُّ أوِ المجازيُّ هوَ مَحَطُّ الصدقِ والكذبِ ، ومُتعلَّقُ البِرِّ والحِنْثِ

[المبالغةُ والإغراقُ والغلوُّ]

لٰكنْ إذا كانَتِ المجاوزةُ المذكورةُ بما يمكنُ عقلاً وعادةً . فهيَ المبالغةُ

وإن كانَتْ بما يمكنُ عقلاً لا عادةً فهيَ الإغراقُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾[2] ، ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[3] ، ولا يَصِحُّ التمثيلُ بمثلِ هٰذا للغُلُوِّ كما فعلَ بعضُ علماءِ البديعِ[4] ؛ فإنَّ علىٰ مذهبِنا مِنَ الممكنِ عقلاً أن يَخلُقَ اللهُ في الزيتِ الإضاءةَ ، مَسَّتْهُ نارٌ أو لم تَمَسُّهُ

وإن كانَتْ بما لا يمكنُ لا عقلاً ولا عادةً فهيَ الغُلُوُّ ؛ كقولِكَ يكادُ فلانٌ بفطنتِهِ يعلمُ الغيوبَ

ومِنَ الغُلُوِّ ما أوقعَ بعضَ الشعراءِ فيما هوَ فسقٌ أو كفرٌ ، ويُعبَّرُ عنهُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠) عن السيدة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها

(٢) سورة البقرة (٢٠)

(٣) سورة النور (٣٥)

(٤) انظر « أنوار الربيع » (٤/٢٢٩)

حينَئذٍ بالتعجرفِ ؛ كقولِ عليِّ بنِ جبلةَ المشهورِ بالعَكَوَّكِ في مدحِ بعضِ الناسِ(١) [من البسيط]

أَنْتَ ٱلَّذِي تُنْزِلُ ٱلْأَيَّامَ مَنْزِلَهَا ... وَتَنْقُلُ ٱلدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالِ

وَمَا مَدَدْتَ مَدَىٰ طَرْفٍ إِلَىٰ أَحَدٍ ... إِلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَآجَالِ

ذٰلكَ للهِ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، فكانَ ذٰلكَ سبباً لأن أمرَ المأمونُ بسلِّ لسانِهِ مِنْ قفاهُ ، واللائقُ في هٰذا المعنىٰ مِنْ وصفِ ملكٍ بالجلالةِ وقُوَّةِ السلطانِ قولُ شاعرٍ آخَرَ(٢) [من الطويل]

لَهُ نَظَرَاتٌ عَنْ حِفَافَيْ سَرِيرِهِ ... إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ

وكقولِ ابنِ هانئٍ الأندلسيِّ(٣) [من الكامل]

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتِ ٱلْأَقْدَارُ ... فَٱحْكُمْ فَأَنْتَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ

فَكَأَنَّمَا أَنْتَ ٱلنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ... وَكَأَنَّمَا أَنْصَارُكَ ٱلْأَنْصَارُ

عاملَهُ اللهُ بما يَستحِقُّهُ ، ما هٰذا التفاوتُ ؟! رفعَ ممدوحَهُ ذٰلكَ الرفعَ ، ثمَّ هوىٰ به هٰذا الهويَّ ، وقولِهِ(٤) [من البسيط]

أَتْبَعْتُهُ فِكَرِي حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتْ ... غَايَاتِهَا بَيْنَ تَصْوِيبٍ وَتَصْعِيدِ

رَأَيْتُ مَوْضِعَ بُرْهَانٍ يَبِينُ وَمَا ... رَأَيْتُ مَوْضِعَ تَكْيِيفٍ وَتَحْدِيدِ

فلا ينبغي لأحدٍ أن يَحُطَّ مِنْ دينِهِ ليرفعَ مِنْ ممدوحِهِ ، والرضا بذٰلكَ مِنَ الممدوحينَ أنكرُ وأفظعُ ، وبحصولِ ذٰلكَ مِنَ المسلمينَ والسكوتِ عليهِ

---

(١) انظر « ديوان العكوَّك » (ص ٩٥)

(٢) هو ابن هرمة ، كما في « عيون الأخبار » (١/٢٩٤)

(٣) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ١٨١)

(٤) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ١٠١)

لحقوا بمَنْ قيلَ فيهم ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ (١) ، فسَلَّطَ اللهُ عليهِم ما سَلَّطَ ، وأوهنَ منهُم ما أوهنَ ، فإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ

وحاصلُ القولِ أنَّ المبالغةَ وأخويها مجازاً وكنايةً ينبغي أن تكونَ عبارتُها نزهةً عمَّا يُوجِبُ القدحَ ، وحسنُها هوَ حسنُ المجازِ والكنايةِ



---

(١) سورة المائدة (٧٩)

التفريقُ

هوَ أن تَذكُرَ شيئَينِ متشابهَينِ ، وتُفرِّقَ بينَهُما بحالَينِ مختلفَينِ ، ذهاباً بذٰلكَ لتفضيلِ أحدِهما على الآخَرِ ؛ كقولِ بعضِهم[1] [من الخفيف]

مَا نَوَالُ ٱلْغَمَامِ يَوْمَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ ٱلْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ

فَنَوَالُ ٱلْأَمِيرِ بَدْرَةُ عَيْنٍ وَنَوَالُ ٱلْغَمَامِ قَطْرَةُ مَاءِ

وقولِ آخَرَ [من مخلع البسيط]

قَاسُوكَ بِٱلْبَانِ فِي ٱلتَّثَنِّي قِيَاسَ جَهْلٍ بِلَا ٱنْتِصَافِ

هَٰذَا كَغُصْنِ ٱلْخِلَافِ يُدْعَىٰ وَأَنْتَ غُصْنٌ بِلَا خِلَافِ

وقولِ آخَرَ[2] [من المجتث]

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ يَوْماً بِٱلسُّحْبِ أَخْطَأَ مَدْحَكْ

فَٱلسُّحْبُ تُعْطِي وَتَبْكِي وَأَنْتَ تُعْطِي وَتَضْحَكْ



(١) هو رشيد الدين الوطواط ، كما في « أنوار الربيع » (٤/٢٥٩)

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٣٠١)

التلميحُ

هوَ أن يشيرَ المُتكلِّمُ في كلامِهِ لآيةٍ ، أو حديثٍ ، أو شعرٍ مشهورٍ ، أو مثلٍ سائرٍ ، أو قصَّةٍ ؛ كقولِ بعضِهِم (١) [من البسيط]

أَسْتَوْدِعُ ٱللهَ أَحْبَاباً فُجِعْتُ بِهِمْ ... بَانُوا فَمَا زَوَّدُونِي غَيْرَ تَعْذِيبِ

بَانُوا وَلَمْ يَقْضِ زَيْدٌ مِنْهُمُ وَطَراً ... وَلَا ٱنْقَضَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبِ

ولآخَرَ (٢) [من البسيط]

مَا فِي ٱلصِّحَابِ وَقَدْ سَارَتْ حُمُولُهُمُ ... إِلَّا مُحِبٌّ لَهُ فِي ٱلرَّكْبِ مَحْبُوبُ

كَأَنَّمَا يُوسُفٌ فِي كُلِّ رَاحِلَةٍ ... وَٱلْحَيُّ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ يَعْقُوبُ

ولآخَرَ (٣) [من المجتث]

[أهلَ بدرٍ اعملوا ما شئتُم]

يَا بَدْرُ أَهْلُكَ جَارُوا ... وَعَلَّمُوكَ ٱلتَّجَرِّي

وَقَبَّحُوا لَكَ وَصْلِي ... وَحَسَّنُوا لَكَ هَجْرِي

فَلْيَصْنَعُوا مَا أَرَادُوا ... فَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَدْرِ

يشيرُ بذٰلكَ إلىٰ حديثٍ ، حاصلُهُ أنَّ صحابيّاً ممَّنْ غزا غزوةَ بدرٍ يُقالُ لهُ حاطبُ بنُ أبي بلتعةَ كانَ ذا مالٍ بمكَّةَ ، ولم يكنْ لهُ هناكَ عشيرةٌ تَحميهِ لهُ مِنَ الأعداءِ ، فأرادَ أن يَتخِذَ لهُ يداً عندَهُم ، حتىٰ يحصلَ علىٰ

(١) انظر « أنوار الربيع » (٤/٢٦٧)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٤/٢٦٨)

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٤/٢٠٠)

مالِهِ ، فتأوَّلَ في نفسِهِ جوازَ أمرٍ صنعَهُ ؛ وذٰلكَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أسرَّ إلىٰ أصحابِهِ أنَّهُ يريدُ النهوض إلىٰ مَكَّةَ ، فكتبَ لهُم بذٰلكَ حاطبٌ ، فلمَّا اطلعَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ علىٰ ذٰلكَ وسألَ حاطباً وقبلَ اعتذارَهُ قالَ عمرُ دعْني يا رسولَ اللهِ أضربْ عنقَ المنافقِ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « مَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّ ٱللهَ ٱطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ »[1]

[التلميحُ بينَ المحاربيِّ والهلاليِّ]

ومِنَ الإشارةِ إلى الشعرِ المشهورِ[2] ما يُحكىٰ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ ثعلبةَ المحاربيَّ دخلَ علىٰ عبدِ الملكِ بنِ يزيدَ الهلاليِّ أمينِ أرمينيةَ إذ ذاكَ ، فقالَ لهُ ماذا لقينا البارحةَ مِنْ شيوخِ محاربٍ ، منعونا النومَ بضوضائِهِم ولغطِهِم ، فقالَ لهُ عبدُ اللهِ أعزَّ اللهُ الأميرَ ، إنَّهُم أضلُّوا بُرْقعاً ، فكانوا في طلبِهِ ، أشارَ الأميرُ لِمَا قيلَ في محاربٍ [من الطويل]

تَكِشُّ بِلَا شَيْءٍ شَيُوخُ مُحَارِبٍ وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي
ضَفَادِعُ فِي ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ ٱلْبَحْرِ

وأشارَ عبدُ اللهِ لِمَا قيلَ [من الطويل]

لِكُلِّ هِلَالِيٍّ مِنَ ٱللُّؤْمِ بُرْقُعٌ وَلِٱبْنِ يَزِيدٍ بُرْقُعٌ وَجِلَالُ

[النميريُّ والفزاريُّ]

وكانَ سنانُ بنُ أحمسَ النميريُّ يسايرُ الأميرَ عمرَ بنَ هبيرةَ الفزاريَّ وهوَ

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧) ، ومسلم (٢٤٩٤) عن سيدنا علي رضي الله عنه
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٤/٢٧٦)

علىٰ بغلةٍ لهُ ، فتقدَّمَتِ البغلةُ علىٰ فرسِ الأميرِ ، فقالَ اغضضْ بغلتَكَ يا سنانُ ، فقالَ إنَّها مكتوبةٌ أصلحَ اللهُ الأميرَ ، فضحكَ وقالَ قاتلكَ اللهُ ، ما أردتُ ذٰلكَ ، قالَ ولا أنا[1] ، أرادَ ابنُ هبيرةَ قولَ جريرٍ[2] [من الوافر]

فَغُضَّ ٱلطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

وأرادَ سنانٌ قولَ الأخطلِ[3] [من البسيط]

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيّاً خَلَوْتَ بِهِ عَلَىٰ قَلُوصِكَ وَٱكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٢/٢٧٦ ـ ٢٧٨)

(٢) تقدم (١/٦٧)

(٣) البيت لسالم ابن دارة ، هجا ثابت بن رافع الفزاري فقتله ، انظر « الشعر والشعراء » لابن قتيبة (١/٤٠١) ، و« مجمع الأمثال » (١/٣٠٥)

العنوانُ

هوَ أن يذكرَ المُتكلِّمُ لمناسبةِ أغراضِهِ ما يَدُلُّ علىٰ أخبارٍ شهيرةٍ ؛ لأجلِ التأسِّي أوِ الاستشهادِ أوِ الافتخارِ أو غيرِ ذٰلكَ مِنَ المقاصدِ ، وأكثرُ الناسِ استعمالاً لهٰذا النوعِ شعراءُ المغاربةِ ومُنْشِئُوهُم ، لا يكادُ كلامٌ مِنْ كلامِهِم يخلو منهُ

[قصةُ شبيبٍ رأسِ الخوارجِ]

قالَ الحارثُ الحمدانيُّ المشهورُ بأبي فراسٍ وقد كتبَ إليهِ بعضُ أصحابِهِ أيامَ أسرِهِ في بلادِ الرومِ يأمرُهُ بالصَّبرِ ويَحثُّهُ على الثباتِ[1] [من الطويل]

نَدَبْتَ لِحُسْنِ ٱلصَّبْرِ قَلْبَ نَجِيبِ ... وَنَادَيْتَ لِلتَّسْلِيمِ خَيْرَ مُجِيبِ
وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي غَيْرُ قَلْبٍ مُشَيَّعٍ ... وَعُودٍ عَلَىٰ نَابِ ٱلزَّمَانِ صَلِيبِ
وَقَدْ عَلِمَتْ أُمِّي بِأَنَّ مَنِيَّتِي ... بِحَدِّ سِنَانٍ أَوْ بِحَدِّ قَضِيبِ
كَمَا عَلِمَتْ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَهْلَكَ ٱبْنُهَا ... بِمَهْلَكَةٍ فِي ٱلْمَاءِ أُمُّ شَبِيبِ

ففي هٰذا البيتِ الإلمامُ بخبرِ شبيبٍ أحدِ رؤوسِ الخوارجِ في إمارةِ الحَجَّاجِ لعبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، وكانَ الحَجَّاجُ مُتولِّياً قتالَ شبيبٍ هٰذا ، ولقيَ منهُ بلاءً عظيماً ، وكانَ غريباً في الشجاعةِ ، رأتْ أُمُّهُ وهيَ حاملٌ بهِ أنَّها ولدَتْ ناراً ، فطارَتْ في الجوِّ ، وانتشرَتْ في الآفاقِ ، ثم سقطَتْ في ماءٍ فطَفِئَتْ ، فكانَتْ ترىٰ أنَّ ابنَها لا يموتُ إلَّا غريقاً ، فإذا قيلَ لها قُتِلَ أو ماتَ لم تُصدِّقْ ، حتىٰ قيلَ لها قد غرقَ ، فناحَتْ عليهِ ؛ وذٰلكَ أنَّ فرسَهُ وثبَ بهِ في نهرٍ

---

(١) انظر « ديوان أبي فراس الحمداني » (ص ٦٧ ـ ٦٨)

يُقالُ إنَّ عسكرَ الحَجَّاجِ غاصوا عليهِ وأخرجوهُ ، وشقُّوا عن قلبِهِ ، فوجدوهُ في صلابةِ الحجرِ ، ثمَّ فتحوهُ فوجدوا فيهِ قلباً آخَرَ علىٰ شكلِ الكُرَةِ ، ومِنْ هـٰذهِ القصيدةِ قولُهُ

تَحَمَّلْتُ خَوْفَ ٱلْعَارِ أَعْظَمَ خُطَّةٍ وَأَمَّلْتُ نَصْراً كَانَ غَيْرَ قَرِيبِ
وَلِلْعَارِ خَلَّىٰ رَبُّ غَسَّانَ مُلْكَهُ وَفَارَقَ دِينَ ٱللهِ غَيْرَ مُصِيبِ

أومأَ في هـٰذا إلىٰ خبرِ جبلةَ بنِ الأيهمِ آخرِ ملوكِ غسَّانَ بالشامِ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ قدمَ علىٰ عهدِ عمرَ بنِ الخطابِ المدينةَ للإسلامِ في خمسِ مئةِ فارسٍ مِنْ رجالِهِ ، فأسلموا ، وفرحَ بهِمُ المسلمونَ ، وأكرمَهُم أميرُ المؤمنينَ ، فلمَّا كانَ موسمُ الحجِّ مِنْ تلكَ السنةِ خرجَ معَ الناسِ للحجِّ ، فبينا هوَ يطوفُ بالبيتِ . وَطِئَ رجلٌ علىٰ إزارِهِ ، فانحلَّ ، فالتفتَ إليهِ مغضباً ولطمَهُ ، فترافعَ معَهُ الرجلُ إلىٰ عمرَ ، فقالَ لهُ إمَّا أن ترضيَهُ ، وإمَّا أن أُقِيدَهُ منكَ ، فقالَ أتُقِيدُهُ منِّي وهوَ سُوقةٌ وأنا ملكٌ ؟! فقالَ ذٰلكَ حكمُ اللهِ ، لا فضلَ لأحدٍ علىٰ أحدٍ ، وقد سوَّىٰ بينَهُمُ الإسلامُ ، فقالَ دعْني أنظرْ في أمري الليلةَ ، فقالَ ذٰلكَ لكَ

فلمَّا كانَ بعضُ الليلِ خرجَ ابنُ الأيهمِ في قومِهِ ، ولحقَ بقيصرِ الرومِ ، فأكرمَهُ ، وأنزلَهُ منزلاً شريفاً ، وأجرىٰ عليه ما يليقُ بالملوكِ ، ثمَّ كانَ ابنُ الأيهمِ بعدُ يَتأسَّفُ علىٰ ذٰلكَ ويقولُ يا ليتَني أطعتُ عمرَ

يقولُ أبو فراسٍ إنَّ خوفَ العارِ وشرفَ النفسِ ممَّا يقذفُ بصاحبِهِ في المهالكِ ، وشاهدُ ذٰلكَ ما كانَ مِنْ جبلةَ



التسهيمُ ، ويُسمَّى الإرصادَ

وهوَ أن يجعلَ الكلامَ ؛ بحيثُ يَدُلُّ أَوَّلُهُ علىٰ آخِرِهِ مِنْ جهةِ لفظِهِ ، أو مِنْ جهةِ معناهُ

فمِنَ الأوَّلِ قولُ بعضِهِم (١) [من الطويل]

وَلِي فَرَسٌ بِٱلْجَهْلِ لِلْجَهْلِ مُلْجَمٌ ... وَلِي فَرَسٌ بِٱلْحِلْمِ لِلْحِلْمِ مُسْرَجُ

فَمَنْ رَامَ تَقْوِيمِي فَإِنِّي مُقَوَّمٌ

هٰذا يدلُّ علىٰ أنَّهُ يقولُ بعدَهُ

وَمَنْ رَامَ تَعْوِيجِي فَإِنِّي مُعَوَّجُ

وقولُ ابنِ هانئٍ الأندلسيِّ (٢) [من الكامل]

فَإِذَا حَلَلْتَ فَكُلُّ وَادٍ مُمْرِعٌ ... وَإِذَا ظَعَنْتَ فَكُلُّ وَادٍ مَاحِلُ

وَإِذَا بَعُدْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ نَاقِصٌ

هٰذا يدلُّ علىٰ أنَّهُ يقولُ

وَإِذَا قَرُبْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَامِلُ



ومِنَ الثاني قولُ عمرَ بنِ أبي ربيعةَ (٣) [من المتقارب]

تَشُطُّ غَداً دَارُ جِيرَانِنَا ... وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٥٦) ، وفيه أن الشعر لصالح بن جناح اللخمي

(٢) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ٣٠٤)

(٣) انظر « ديوان عمر بن أبي ربيعة » (ص ٩٨)

يُحكىٰ أنَّ عمرَ لمَّا أنشدَ صدرَ البيتِ لعبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما سبقَهُ بإنشادِ العجزِ ، فقالَ كذٰلكَ قلتُ ، فقالَ هٰكذا ينبغي أن يُقالَ [١]

وقولُ عديِّ بنِ الرقاعِ العامليِّ في صفةِ الغزالةِ وولدِها مِنْ قصيدتِهِ التي مطلعُها[٢] [من الكامل]

عَرَفَ ٱلدِّيَارَ تَوَهُّماً فَٱعْتَادَهَا

تُزْجِي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ   قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ ٱلدَّوَاةِ مِدَادَهَا

يُحكىٰ أنَّهُ حينَ كانَ يُنشِدُ هٰذهِ القصيدةَ عرض للملكِ شغلٌ ، فقطعَ الإنشادَ علىٰ صدرِ البيتِ ، وكانَ الفرزدقُ وجريرٌ حاضرَينِ ، فقالَ الفرزدقُ لجريرٍ ما تراهُ يُتمِّمُ البيتَ ، فقالَ لعلَّهُ يستلبُ مثلاً ، فقالَ الفرزدقُ أراهُ يقولُ قلمٌ أصابَ [٣]

وهٰذا لا يسهلُ في درجِ الكلامِ إلَّا علىٰ مَنْ أكثرَ مزاولةَ المعاني والعباراتِ عنها ، فعرفَ أنَّ كلَّ ابتداءٍ لهُ انتهاءٌ ، وأنَّ الأشياءَ يستتبعُ بعضُها بعضاً



(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٣٨)

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٣٨)

(٣) انظر « خزانة الأدب » (٤/٤٥٧ ـ ٤٥٨)

التشريعُ

هوَ أن تَجعلَ الكلامَ علىٰ سجعتَينِ في النثرِ ، وعلىٰ قافيتَينِ في الشعرِ ، أو أكثرَ مِنْ ذٰلكَ ؛ بحيثُ لو وقفتَ علىٰ سجعةٍ مِنَ السوابقِ ، أو علىٰ قافيةٍ منها لتمَّ الكلامُ أو بيتٌ مِنَ الشعرِ

فمِنْ مشهورِ ذٰلكَ قولُ الحريريِّ (١) [من الكامل]

يَا خَاطِبَ ٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةِ إِنَّهَا ... شَرَكُ ٱلرَّدَىٰ وَقَرَارَةُ ٱلْأَكْدَارِ

دَارٌ مَتَىٰ مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا ... أَبْكَتْ غَداً تَبّاً لَهَا مِنْ دَارِ

وَإِذَا أَظَلَّ سَحَابُهَا لَمْ يَنْتَقِعْ ... مِنْهُ صَدىً لِجَهَامِهِ ٱلْغَرَّارِ

فالقافيةُ الأُولىٰ بهٰذهِ الأبياتِ هيَ في قولِهِ (الردىٰ) و(غداً) و(صدىً) تنشدُها قصيدةً ثانيةً فتقولُ (٢) [من مجزوء الكامل]

يَا خَاطِبَ ٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّـ ... ـةِ إِنَّهَا شَرَكُ ٱلرَّدَىٰ

دَارٌ مَتَىٰ مَا أَضْحَكَتْ ... فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ غَدَا

وَإِذَا أَظَلَّ سَحَابُهَا ... لَمْ يَنْتَقِعْ مِنْهُ صَدَىٰ



(١) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٥٩ ـ ١٦٠)

(٢) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٦١)

المذهبُ الكلاميُّ

هوَ إيرادُ الحُججِ في الكلامِ على الطريقةِ التي استعملَها المُتكلِّمونَ في مواضعِ الاستدلالِ

فمنهُ قولُ النابغةِ يُخاطِبُ النعمانَ وكانَ غضبَ عليهِ بسببِ مدحِهِ لملوكِ غسَّانَ بالشامِ (١) [من الطويل]

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ ٱللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً ... لَمُبْلِغُكَ ٱلْوَاشِي أَغَشُّ وَأَكْذَبُ
وَلَٰكِنَّنِي كُنْتُ ٱمْرَأً لِيَ جَانِبٌ ... مِنَ ٱلْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحْتُهُمْ ... أُحَكَّمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأُقَرَّبُ
كَفِعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ ٱصْطَنَعْتَهُمْ ... فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنَبُوا

فحاصلُ الاحتجاجِ لو كانَ مادحو مَنْ أُحسِنُ إليهِم في رأيِكَ مذنبينَ لكانَ مادحوكَ مذنبينَ فيهِ ، لٰكنَّهُم غيرُ مذنبينَ ، فمادحو مَنْ أُحسِنُ إليهِم غيرُ مذنبينَ

ولبعضِهِم (٢) [من البسيط]

دَعِ ٱلنُّجُومَ لِطُرْقِيٍّ يَعِيشُ بِهَا ... وَبِٱلْعَزَائِمِ فَٱنْهَضْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ
إِنَّ ٱلنَّبِيَّ وَأَصْحَابَ ٱلنَّبِيِّ نَهَوْا ... عَنِ ٱلنُّجُومِ وَقَدْ أَبْصَرْتَ مَا مَلَكُوا



---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٢ ـ ٧٣)

(٢) انظر « المحاضرات » لليوسي (١/٢٤٥)

نفْيُ الشيءِ بإيجابِهِ

هوَ أن تَقصِدَ إلىٰ أثرِ شيءٍ يظهرُ في الكلامِ ثبوتُهُ فتنفيَهُ ؛ ليكونَ نفيُهُ نفياً للشيءِ علىٰ طريقِ الكنايةِ ، مِنْ بابِ نفيِ الملزومِ بنفيِ اللازمِ ، والاعتمادُ في ذٰلكَ علىٰ معونةِ المَقامِ وقرائنِ الأحوالِ ؛ كقولِ امرئ القيسِ [1] [من الطويل]

عَـلَـىٰ لَاحِـبٍ لَا يُـهْـتَـدَىٰ بِـمَـنَـارِهِ

ظاهرُ الكلامِ أنَّ اللَّاحبَ لهُ منارٌ ، فلمَّا نفى الاهتداءَ بهِ نفاهُ ؛ إذ لو كانَ لكانَ الاهتداءُ بهِ

ومنهُ قولُهُ تعالىٰ ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [2] ، النفيُ مُنصَبٌّ على القيدِ ، فكأنَّهُ قيلَ لا يُطاعُ لهُم شفيعٌ ؛ أي لا شفيعَ لهُم ؛ إذ لو كانَ لأُطيعَ ، وتقولُ لا يُنتفَعُ في هٰذا البلد بعاقلٍ ؛ أي ليسَ فيهِ عاقلٌ ؛ إذ لو كانَ لانتُفِعَ بهِ

ومِنْ فوائدِ هٰذا النوعِ التفادي مِنَ التصريحِ بحقيقةِ المقصودِ ؛ تقليلاً لسَوْرةِ الجَفاءِ



(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٦٦) ، والبيت بتمامه

عَـلَـىٰ لَاحِـبٍ لَا يُـهْـتَـدَىٰ بِـمَـنَـارِهِ ... إِذَا سَـافَـهُ ٱلْـعَـوْدُ الـنَّـبَـاطِـيُّ جَـرْجَـرَا

(٢) سورة غافر (١٨)

الرجوعُ

هوَ أن يَحكمَ بحكمٍ يَرىٰ أنَّهُ الواقعُ ، ثمَّ يَرجِعَ عنهُ إظهاراً لقُوَّةِ المعنى الذي يريدُ إفادتَهُ بالكلامِ ؛ مِنْ رضاءٍ بأمرٍ ، أوِ افتخارٍ ، أو صفةِ عشقٍ وشوقٍ ، أو غيرِ ذٰلكَ

تقولُ فلانٌ لا يُحسِنُ القراءةَ والكتابةَ ، بلىٰ هوَ أَقرأُ مِنْ فلانٍ ، وأَكتبُ مِنْ فلانٍ ، لا يُبارىٰ في معارفِهِ وحسنِ صناعتِهِ

ومِنْ أصولِ شواهدِهِ قولُ زهيرٍ (١) [من البسيط]

قِفْ بِٱلدِّيَارِ ٱلَّتِي لَمْ يَعْفُهَا ٱلْقِدَمُ   بَلَىٰ وَغَيَّرَهَا ٱلْأَرْوَاحُ وَٱلدِّيَمُ

كأنَّهُ قالَ هل هيَ التي لم يعفُها القِدمُ ؟ بلىٰ هيَ التي عفاها القِدمُ وغَيَّرَها الأرواحُ والدِّيَمُ ، ففي ذٰلكَ إطالةُ النفسِ في شكوىٰ تغيُّرِ الأحوالِ المُوجِبِ للتأسُّفِ والتوجُّعِ



---

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ١١٦)

التوريةُ

هيَ لفظٌ يَحتمِلُ معنيَينِ ؛ قريبٍ يتبادرُ فهمُهُ مِنَ الكلامِ ، وبعيدٍ هوَ المرادُ بالإفادةِ

[أقسامُ التوريةِ]

وهيَ باعتبارِ ما يقارنُها مِنْ ملائمات المعنيَينِ تنقسمُ

إلىٰ مُجرَّدةٍ ؛ وهيَ المقرونةُ بملائمَينِ كلٌّ واحدٍ منهُما لواحدٍ مِنَ المعنيَينِ ، أو لم تُقرَنْ بملائمِ أحدِهِما

وإلىٰ مُرشَّحةٍ ؛ وهيَ المقرونةُ بملائمِ المعنى القريبِ ، يُذكَرُ بعدَها أو قبلَها

وإلىٰ مبينةٍ ؛ وهيَ المقرونةُ بما يلائمُ المعنى البعيدَ كذٰلكَ إن لم يكنْ تَحقُّقُ التوريةِ موقوفاً عليهِ ، وإلَّا سُمِّيَتْ مهيأةً

[أمثلةُ التوريةِ من شعرِ الورَّاقِ]

وهٰذهِ أمثلةٌ تُورَدُ عليكَ ، تَستعمِلُ ذهنَكَ في ردِّ كلِّ توريةٍ إلىٰ جنسِها حَسَبَ ما عيَّنَتْهُ لكَ تلكَ الضَّوابطُ ، لسراجِ الدينِ عمرَ الورَّاقِ ، مِنْ شعراءِ مصرَ ، وكانَتِ الوراقةُ حرفتَهُ ، وكان لَهِجاً بالتوريةِ في لقبِهِ وحرفتِهِ

فمِنْ ذٰلكَ قولُهُ (١) [من الطويل]

إِلَـٰهِي لَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً ... فَشُكْراً لِنُعْمَاكَ ٱلَّتِي لَيْسَ تُكْفَرُ

وَعُمِّرْتُ فِي ٱلْإِسْلَامِ فَٱزْدَدْتُ بَهْجَةً ... وَنُوراً كَذَا يَبْدُو ٱلسِّرَاجُ ٱلْمُعَمَّرُ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢٠٠)

وَعَمَّمَ نُورُ ٱلشَّيْبِ رَأْسِي فَسَرَّنِي ... وَمَا سَاءَنِي أَنِّي ٱلسِّرَاجُ ٱلْمُنَوَّرُ

وقولُهُ (١) [من المتقارب]

بُنَيَّ ٱقْتَدَىٰ بِٱلْكِتَابِ ٱلْعَزِيزِ ... وَرَاحَ لِبِرِّيَ سَعْياً فَرَاجَا
فَمَا قَالَ لِي أُفَّ مُذْ كَانَ لِي ... لِكَوْنِي أَباً وَلِكَوْنِي سِرَاجَا

وقولُهُ (٢) [من المتقارب]

وَكُنْتُ حَبِيباً إِلَى ٱلْغَانِيَاتِ ... فَأَلْبَسَنِي ٱلشَّيْبُ هَجْرَ ٱلْحَبِيبِ
وَكُنْتُ سِرَاجاً بِلَيْلِ ٱلشَّبَابِ ... فَأَطْفَأَ نُورِي نَهَارُ ٱلْمَشِيبِ

وقولُهُ (٣) [من الوافر]

بِكُتْبِكَ رَاجَ لِي أَمَلِي وَقَصْدِي ... وَفِي يَدِكَ ٱلنَّجَاحُ لِكُلِّ رَاجِ
وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُرْفَعْ مَنَارِي ... وَلَا عَرَفَ ٱلْوَرَىٰ قَدْرَ ٱلسِّرَاجِ

وقولُهُ (٤) [من الوافر]

أَمَوْلَانَا ضِيَاءَ ٱلدِّينِ دُمْ لِي ... وَعِشْ فَبَقَاءُ مَوْلَانَا بَقَائِي
فَلَوْلَا أَنْتَ مَا أَغْنَيْتُ شَيْئاً ... وَمَا يُغْنِي ٱلسِّرَاجُ بِلَا ضِيَاءِ

وقولُهُ (٥) [من الكامل]

يَا خَجْلَتِي وَصَحَائِفِي مُسْوَدَّةٌ ... وَصَحَائِفُ ٱلْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
وَمُوَبِّخٍ لِي فِي ٱلْقِيَامَةِ قَائِلٍ ... أَكَذَا تَكُونُ صَحِيفَةُ ٱلْوَرَّاقِ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (١٩٩/٣)
(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (١٩٩/٣)
(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (١٩٩/٣)
(٤) انظر « خزانة الأدب » للحموي (١٩٨/٣)
(٥) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢٠٢/٣)

وقولُهُ (١) [من الكامل]

نَصَبَ ٱلْحَشَا غَرَضاً فَقَرْطَسَ أَوْ رَمَىٰ ... وَهِيَ ٱلْقُلُوبُ سِهَامُهَا ٱلأَحْدَاقُ
وَسَأَلْتُهُ وَصْلاً فَقَالَ بِحُجَّةٍ ... يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيُّنَا ٱلْوَرَّاقُ

ولهُ مِنْ غيرِ ذٰلكَ (٢) [من الوافر]

أَصُونُ لِقَاءَ وَجْهِي عَنْ أُنَاسٍ ... لِقَاءُ ٱلْمَوْتِ عِنْدَهُمُ ٱلأَدِيبُ
وَرَبُّ ٱلشِّعْرِ عِنْدَهُمُ بَغِيضٌ ... وَلَوْ وَافَىٰ بِهِ لَهُمُ حَبِيبُ

وقولُهُ (٣) [من الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ عَنِّي يَمِيلُ وَلَمْ يَمِلْ ... يَوْماً إِلَيَّ فَقُلْتُ مِنْ أَلَمِ ٱلْجَوَىٰ
لِمَ لَا تَمِيلُ إِلَيَّ يَا غُصْنَ ٱلنَّقَا ... فَأَجَابَ كَيْفَ وَأَنْتَ مِنْ جِهَةِ ٱلْهَوَىٰ

وقولُهُ (٤) [من الرجز]

وَأَحْمَقٍ ضَيَّفَنَا بِبَقْلَهْ ... لِنِسْبَةٍ بَيْنَهُمَا وَوُصْلَهْ
فَمَنْ أَقَلُّ أَدَباً مِنْ سِفْلَهْ ... قَدْ مَدَّ فِي وَجْهِ ٱلضُّيُوفِ رِجْلَهْ

[أمثلةٌ أخرىٰ]

يُقالُ للخضراءِ المشهورةِ بالرِّجْلَةِ البقلةُ الحمقاءُ ؛ لكونِها تَنبُتُ في مجاري السُّيولِ ومواطئِ الأقدامِ ، فلا تَتخيَّرُ موضعاً يصونُها ، فحمَّقوها لذٰلكَ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢٠٢/٣)
(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢٠٣/٣)
(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢٠٧/٣)
(٤) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢٠٤/٣)

ولأبي الحسينِ يحيى بنِ عبدِ العظيمِ الجزَّارِ حرفةً ، مِنْ شُعراءِ مصرَ أيضاً (١)

إنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ سَفْكُ ٱلدِّمَاءِ لَهُمْ دَأْبٌ وَسَلْ عَنْهُمُ إنْ رُمْتَ تَصْدِيقِي

تُضِيءُ بِٱلدَّمِ إشْرَاقاً عِرَاصُهُمُ فَكُلُّ أَيَّامِهِمْ أَيَّامُ تَشْرِيقِ

ولهُ (٢) [من الطويل]

أَيَا عَلَمَ ٱلدِّينِ ٱلَّذِي جُودُ كَفِّهِ بِرَاحَتِهِ قَدْ أَخْجَلَ ٱلْغَيْثَ وَٱلْبَحْرَا

لَئِنْ أَمْحَلَتْ أَرْضُ ٱلْكِنَافَةِ إنَّنِي لأَرْجُو لَهَا مِنْ سُحْبِ رَاحَتِكَ ٱلْقَطْرَا

ولهُ (٣) [من السريع]

تَزَوَّجَ ٱلشَّيْخُ أَبِي شَيْخَةً لَيْسَ لَهَا عَقْلٌ وَلَا ذِهْنُ

لَوْ بَرَزَتْ صُورَتُهَا فِي ٱلدُّجَىٰ مَا جَسَرَتْ تُبْصِرُهَا ٱلْجِنُّ

كَأَنَّهَا فِي فَرْشِهَا رِمَّةٌ وَشَعْرُهَا مِنْ حَوْلِهَا قُطْنُ

وَقَائِلٍ لِي قَالَ مَا سِنُّهَا فَقُلْتُ مَا فِي فَمِهَا سِنُّ

ولنصيرِ الدِّينِ الحمَّاميِّ (٤) [من مجزوء الرجز]

لِي مَنْزِلٌ مَعْرُوفَةٌ يَنْهَلُّ غَيْثاً بِٱلسُّحُبْ

أَقْبَلُ ذَا ٱلْعُذْرَ بِهِ وَأُكْرِمُ ٱلْجَارَ ٱلْجُنُبْ

ولهُ (٥) [من مجزوء الرجز]

أَصْبَحْتُ مِنْ أَغْنَى ٱلْوَرَىٰ وَطَائِراً بِٱلْفَرَحِ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢١٠/٣) ، والبيت من البسيط

(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢١٢/٣)

(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢١٣/٣)

(٤) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢١٤/٣)

(٥) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢١٤/٣ ـ ٢١٥)

عِـــنْــدِيَ خَــمْــرٌ ذَهَــبٌ أَكْــتَــالُــهُ بِــٱلْــقَــدَحِ

وللأميرِ ناصرِ الدِّينِ حسنِ بنِ النقيبِ (١) [من الوافر]

أَقُولُ لِنَوْبَةِ ٱلْحُمَّى ٱتْرُكِينِي وَلَا تَكُ مِنْكِ لِي مَا عِشْتُ أَوْبَهْ
فَقَالَتْ كَيْفَ يُمْكِنُ تَرْكُ هَٰذَا وَهَلْ يَبْقَى ٱلْأَمِيرُ بِغَيْرِ نَوْبَهْ

ولهُ (٢) [من مجزوء الكامل]

جُودُوا لِنَسْجَعَ بِٱلْمَدِيـ ـحِ عَلَىٰ عُلَاكُمْ سَرْمَدَا
فَٱلطَّيْرُ أَحْسَنُ مَا يُغَرِّ دُ عِنْدَمَا يَقَعُ ٱلنَّدَىٰ

ولمحيي الدِّينِ بنِ عبدِ الظاهرِ (٣) [من مجزوء الكامل]

شُكْراً لِنَسْمَةِ أَرْضِكُمْ كَمْ بَلَّغَتْ عَنِّي تَحِيَّهْ
لَا غَرْوَ أَنْ حَفِظَتْ أَحَا دِيثَ ٱلْهَوَىٰ فَهِيَ ٱلذَّكِيَّهْ

وللشيخِ عبدِ العزيزِ الأنصاريِّ الحمويِّ (٤) [من السريع]

لَا تَنْسَ وَجْدِي بِكَ يَا شَادِناً بِحُبِّهِ أُنْسِيتُ أَحْبَابِي
مَا لِي عَلَىٰ هَجْرِكَ مِنْ طَاقَةٍ فَهَلْ إِلَىٰ وَصْلِكَ مِنْ بَابِ

ولبدرِ الدِّينِ يوسفَ بنِ لؤلؤٍ الذهبيِّ (٥) [من الكامل]

وَحَدِيقَةٍ مَطْلُولَةٍ بَاكَرْتُهَا وَٱلشَّمْسُ تَرْشُفُ رِيقَ أَزْهَارِ ٱلرُّبَىٰ
يَتَكَسَّرُ ٱلْمَاءُ ٱلزُّلَالُ عَلَى ٱلْحَصَىٰ فَإِذَا جَرَىٰ بَيْنَ ٱلرِّيَاضِ تَشَعَّبَا

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢١٦)
(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢١٨)
(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢٢٢)
(٤) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢٣٣)
(٥) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢٥٨)

ولهُ [من السريع]

أَدِرْ كُــؤُوسَ ٱلــرَّاحِ فِــي رَوْضَــةٍ قَـدْ نَـمَّـقَـتْ أَزْهَـارَهَـا ٱلسُّـحْـبُ
اَلــطَّـيْـرُ فِـيـهَـا شَـيِّـقٌ مُـغْـرَمٌ وَجَــدْوَلُ ٱلْــمَــاءِ بِــهَــا صَــبُّ

ولهُ [من مجزوء الرجز]

وَذِي قَـــوَامٍ أَهْـــيَـــفِ بَـيْـنَ ٱلـنَّـدَامَـىٰ قَـدْ نَـشَـطْ
قَــامَ يَــقُــطُّ شَــمْــعَــةً فَــهَــلْ رَأَيْــتَ ٱلْــبَــدْرَ قَــطّْ

ولهُ [من مجزوء الكامل]

رِفْــقــاً بِــصَــبٍّ مُــغْــرَمٍ أَبْــلَــيْــتَــهُ صَــدّاً وَهَــجْــرَا
وَأَتَــاكَ سَــائِــلُ دَمْــعِــهِ فَــرَدَدْتَــهُ فِــي ٱلْــحَــالِ نَــهْــرَا

ولبدرِ الدِّينِ الصَّاحبِ (١) [من السريع]

فَـاخَـرَتِ ٱلْأَقْـلَامُ سُـمْـرَ ٱلْـقَـنَـا وَٱلسَّـعْـدُ فِـي ٱلْأَقْـسَـامِ مَـكْـتُـوبُ
فَـقُـلْـتُ لِـلْـخَـطِّـيِّ لَا تَـشْـتَـطِـلْ كِـلَاكُـمَـا لِـلْـخَـطِّ مَـنْـسُـوبُ

ولشهابِ الدِّينِ [الحاجبيّ] (٢) [من السريع]

لَـمْ أَنْـسَ أَيَّـامَ ٱلـصِّـبَـا وَٱلْـهَـوَىٰ لِلَّهِ أَيَّـامُ ٱلـنَّـجَـا وَٱلـنَّـجَـاحْ
ذَاكَ زَمَـانٌ مَـرَّ حُـلْـوَ ٱلْـجَـنَـىٰ ظَـفِـرْتُ فِـيـهِ بِـحَـبِـيـبٍ وَرَاحْ

ولبعضِهِم (٣) [من مجزوء الرمل]

كَــانَ مَــا كَــانَ وَزَالَا فَــٱطَّــرِحْ قِــيــلاً وَقَــالَا

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٤٤٣/٣)
(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٤٥٩/٣)
(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢٧٣/٣)

أَيُّـهَـا ٱلْـمُـعْـرِضُ عَـنَّـا   حَـسْـبُـكَ ٱللهُ تَـعَـالَـىٰ

وهٰذهِ الأمثلةُ التي أُورِدَتْ للتوريةِ اتفقَ على التمثيلِ بها مشاهيرُ أهلِ البديعيَّاتِ

وإذا كانَتِ التوريةُ لفظاً يَحتمِلُ معنيَينِ كلٌّ منهُما يَحتمِلُهُ الكلامُ ، غيرَ أنَّ قُوَّةَ القرينةِ تَصرِفُ للمرادِ   فأرىٰ بعض هٰذهِ الأمثلةِ غيرَ منطبقٍ علىٰ هٰذا الحدِّ ، فمثلُ قولِهِ (تعالىٰ) ، وقولِهِ (حبيبٌ وراحٌ)   لا شبهةَ في كونِهِ توريةً ، وحيثُ تَحقَّقتَ مِنَ الضَّابطِ   لم يعسرْ عليكَ تمييزُ المضبوطِ مِنْ غيرِهِ



الاعتراضُ

هوَ أن يفصلَ المُتكلِّمُ بينَ أجزاءِ الكلامِ أو الكلامَينِ المُتصلَينِ معنىً ، بعطفٍ أو بيانٍ أو بدليَّةٍ أو غيرِ ذٰلكَ ، بجملةٍ فأكثرَ ، لغرضٍ ؛ كالاستعجالِ بالتنزيهِ ، وتقريعِ المخطئِ حالَ ذكرِ خطَائِهِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (١)

وبيانِ سببِ الأمرِ الغريبِ مبادرةً بدفعِ الاستغرابِ عن نفسِ المُخاطَبِ ؛ كقولِ الشاعرِ (٢) [من الطويل]

فَلَا صَرْمُهُ يَبْدُو فَفِي ٱلْيَأْسِ رَاحَةٌ وَلَا وَصْلُهُ يَصْفُو لَنَا فَنُكَارِمُهْ

فإنَّ تمني المُحِبِّ أن يبدوَ صرمُ الحبيبِ وهجرُهُ أمرٌ مستغربٌ ، فاستعجلَ بيانَ السببِ حيثُ قالَ (فإنَّ اليأسَ إحدى الراحتَينِ)

وشدةِ الاحتراسِ مِنِ انصرافِ الفهمِ عن هجوِ مهجوٍّ أو مدحِ ممدوحٍ ؛ كقولِ بعضِهِم (٣) [من الوافر]

لَوَ ٱنَّ ٱلْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ ٱلْمِطَالَا

وقولِ آخَرَ [من الوافر]

فَأَيَّةُ طَرْبَةٍ لِلْعَفْوِ إِنَّ ٱلْـ ـكَرِيمَ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ طَرُوبُ

فلو قالَ الأولُ : (لو أنَّ الباخلينَ رأَوكَ تعلَّموا) ، والثاني (إنَّ الكريمَ

---

(١) سورة النحل (٥٧)

(٢) هو ابن ميادة في « ديوانه » (ص ٢٢٥)

(٣) انظر « أنوار الربيع » (١٣٧/٥)

طروبٌ) لفُهِمَ أنَّ المُخاطَبَ في الأول بخيلٌ ، وفي الثاني كريمٌ ، لٰكنْ ربَّما يُتوهَّمُ أنَّ المِطالَ بسببِ غيرِ البخلِ ، وأنَّ الطَّربَ للعفوِ وقعَ اتفاقاً ، وأنَّ الطَّرَبَ صفةُ الكرامِ

ويكونُ الاعتراضُ مقروناً بالواوِ وبالفاءِ ، ومُجرَّداً ، ويُقالُ للحرفَينِ الواوِ والفاءِ الاعتراضيَّتانِ

ولبعضِهِم أنَّ الاعتراض يكونُ بعدَ الكلامِ ، ومِنْ أمثلتِهِ علىٰ رأيِهِ قولُهُ تعالىٰ ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١)

ومعنى الاعتراضِ علىٰ هٰذا أنَّهُ فصلَ بينَ الكلامِ وبينَ ما يَترقَّبُهُ السامعُ مِنْ كلامٍ آخَرَ ، فكأنَّهُ وصلَ بينَ الكلامِ المذكورِ وما يُؤمِّلُهُ ، فاعترض المُتكلِّمُ بذكرِ ما يَتعلَّقُ بالكلامِ السابقِ

وربَّما يَشتبِهُ الاعتراضُ بالحالِ ، فعلى المُتفهِّمِ أن يلاحظَ أنَّ المعنىٰ إن كانَ يستدعي التقييدَ ، وللتقييدِ غَرَضٌ صحيحٌ فالجملةُ حالٌ ، وإلَّا فاعتراضٌ

[أمثلةٌ للاعتراضِ من الشِّعرِ]

وهٰذِهِ أمثلةٌ للاعتراضِ مِنَ الشعرِ

قالَ العباسُ بنُ الأحنفِ (٢) [من المنسرح]

قَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَكُنْتِ رَاضِيَةً ... حِذَارَ هَٰذَا ٱلصُّدُودِ وَٱلْغَضَبِ

إِنْ تَمَّ ذَا ٱلْهَجْرُ يَا ظَلُومُ وَلَا ... تَمَّ فَمَا لِي فِي ٱلْعَيْشِ مِنْ أَرَبِ

---

(١) سورة الإسراء (٨١)

(٢) انظر « ديوان العباس بن الأحنف » (ص ٣٣)

ولأبي الوليدِ محمدِ بنِ يحيى بنِ حزمٍ (١) [من الطويل]

أَتَعْجَبُ مِنْ دَمْعِي وَأَنْتَ سَكَبْتَهُ ... وَمِنْ نَارِ أَحْشَائِي وَأَنْتَ لَهِيبُهَا
وَتَزْعُمُ أَنَّ ٱلنَّفْسَ غَيْرَكَ عُلِّقَتْ ... وَأَنْتَ وَلَا مَنٌّ عَلَيْكَ حَبِيبُهَا

وللشريفِ محمدِ الرضيِّ (٢) [من الكامل]

لَا تَحْسَبِيهِ وَإِنْ أَسَأْتِ بِهِ ... يُرْضِي ٱلْوُشَاةَ وَيَقْبَلُ ٱلْعَذْلَا
لَوْ كُنْتِ أَنْتِ وَأَنْتِ مُهْجَتُهُ ... وَاشِي هَوَاكِ إِلَيْهِ مَا قَبِلَا

وللتهاميِّ (٣) [من البسيط]

إِنِّي لَأَطْرُفُ طَرْفِي عَنْ مَحَاسِنِهَا ... تَكَرُّماً وَأَكُفُّ ٱلْكَفَّ عَنْ أَمَمِ
وَلَا أَهُمُّ وَلِي نَفْسٌ تُنَازِعُنِي ... أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ إِلَّا سَاعَةَ ٱلْحُلُمِ

وقد نزلَ التهاميُّ حالاً عنِ المتنبي حيثُ يقولُ (٤) [من الطويل]

يَرُدُّ يَداً عَنْ ثَوْبِهَا وَهْوَ قَادِرٌ ... وَيَعْصِي ٱلْهَوَىٰ فِي طَيْفِهَا وَهْوَ رَاقِدُ

ولبعضِهم (٥) [من الوافر]

سُعَادُ تَسُبُّنِي ذُكِرَتْ بِخَيْرٍ ... وَتَزْعُمُ أَنَّنِي مَلِقٌ خَبِيثُ
وَأَنَّ مَوَدَّتِي كَذِبٌ وَمَيْنٌ ... وَأَنِّي بِٱلَّذِي أَهْوَىٰ بَثُوثُ
وَلَيْسَ كَذَا وَلَا رَدٌّ عَلَيْهَا ... وَلَٰكِنَّ ٱلْمَلُولَ هُوَ ٱلنَّكُوثُ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/٣٧٢)
(٢) انظر « ديوان الشريف الرضي » (٢/٢٢٩)
(٣) انظر « ديوان التهامي » (ص ٣٣٦)
(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٤٢)
(٥) هو ريسم بن شادلويه ، كما في « معاهد التنصيص » (١/٣٧٤)

رَأَتْ شَغَفِي بِهَا وَنُحُولَ جِسْمِي ... فَصَدَّتْ هَٰكَذَا كَانَ ٱلْحَدِيثُ

ولابنِ النبيهِ (١) [من المنسرح]

سَقْياً لِأَيَّامِنَا ٱلَّتِي سَلَفَتْ ... كَانَتْ بِطِيبِ ٱلْحَيَاةِ مُقْتَرِنَهْ

لَوْ بِيعَ يَوْمٌ مِنْهَا وَكَيْفَ بِهِ ... كُنْتُ بِعُمْرِي مُسْتَرْخِصاً ثَمَنَهْ

وللسيدِ عزِّ الدِّينِ المرتضىٰ (٢) [من الطويل]

أَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَمْضِي ثَلَاثٌ وَأَرْبَعٌ ... وَخَمْسٌ وَسَبْعٌ بَعْدَهُنَّ ثَمَانِ

وَمَا إِنْ أَرَىٰ شَمْسَ ٱلضُّحَىٰ قَمَرَ ٱلدُّجَىٰ ... وَلَا هُوَ حَاشَاهُ ٱلْخُسُوفُ يَرَانِي

نَأَىٰ لَا نَأَىٰ لَمَّا دَنَا ٱلْهَجْرُ لَا دَنَا ... فَيَا لَيْتَ ذَا نَاءٍ وَذَٰلِكَ دَانِ

وللسِّرَاجِ الوَرَّاقِ (٣) [من الرمل]

إِنَّ عَيْنِي وَهْوَ عُضْوٌ دَنِفٌ ... مَا عَلَىٰ مَا كَابَدَتْهُ جَلَدُ

مَا كَفَاهَا بُعْدُهَا مِنْكَ إِلَىٰ ... أَنْ دَهَاهَا وَكُفِيتَ ٱلرَّمَدُ

وللفقيهِ عمارةَ اليمنيِّ (٤) [من الطويل]

لَهُ رَاحَةٌ يَنْهَلُّ جُودُ بَنَانِهَا ... وَوَجْهٌ إِذَا قَابَلْتَهُ يَتَهَلَّلُ

يَرَى ٱلْحَقَّ لِلزُّوَّارِ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ ... عَلَيْهِمْ وَحَاشَا قَدْرَهُ يَتَطَفَّلُ



(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٢٦)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١٤٢/٥)

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٣٧٣/١) .

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٣٧٢/١)

ولابنِ اللبانةِ في ناصرِ الدَّولةِ صاحبِ ميورقةَ مِنَ الأندلسِ [1] [من الكامل]

وَعَمَرْتَ بِٱلْإِحْسَانِ أُفْقَ مَيُورَقَهْ ... وَبَنَيْتَ فِيهَا مَا بَنَى ٱلْإِسْكَنْدَرُ

فَكَأَنَّهَا بَغْدَادُ أَنْتَ رَشِيدُهَا ... وَوَزِيرُهَا وَلَهُ ٱلسَّلَامَةُ جَعْفَرُ



(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/٣٧٣)

حصرُ الجزئيِّ وإلحاقُهُ بالكليِّ

أرادوا بمُسمَّىٰ هٰذا الاسمِ أن يقصدَ المُتكلِّمُ إلىٰ [جمعِ] أنواعٍ تجمعُها ملاحظةٌ تحتَ جامعٍ ؛ بحيثُ تكونُ تلكَ الأنواعُ هيَ أقسامَ ذٰلكَ الجامعِ ، فيَحصُرَها في بعضِ جزئياتِها لغرضِ التعظيمِ أو غيرِهِ ؛ بمعنىٰ أنَّهُ يدَّعي أن ليسَ للكليِّ فردٌ غيرَ ذٰلكَ المخصوصِ

ومثال ذٰلكَ قولُ عبدِ اللهِ السلاميِّ[1] [من الطويل]

إِلَيْكَ طَوَىٰ عَرْض ٱلْبَسِيطَةِ جَاعِلاً ... قُصَارَى ٱلْمَطَايَا أَنْ يَلُوحَ لَهَا ٱلْقَصْرُ

فَسِرْتُ وَعَزْمِي فِي ٱلظَّلَامِ وَصَارِمِي ... ثَلَاثَةُ أَشْبَاحٍ كَمَا ٱجْتَمَعَ ٱلنَّسْرُ

فَبَشَّرْتُ آمَالِي بِمُلْكٍ هُوَ ٱلْوَرَىٰ ... وَدَارٍ هِيَ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمٍ هُوَ ٱلدَّهْرُ

فقد جمعَ أنواعَ العالَمِ مِنَ الأشخاصِ والأمكنةِ والأزمنةِ وحصرَها في الملكِ والدارِ ويومِ اللُّقيا

وقد أغارَ عليهِ الأَرَّجَانيُّ في ذٰلكَ وقَصَّرَ تقصيراً بيِّناً معَ انحطاطِ درجةِ العبارةِ في قولِهِ[2] [من البسيط]

يَا سَائِلِي عَنْهُ لَمَّا جِئْتُ أَمْدَحُهُ ... هَٰذَا هُوَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَارِي مِنَ ٱلْعَارِ

رَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ ٱلنَّاسَ فِي رَجُلٍ ... وَٱلدَّهْرَ فِي سَاعَةٍ وَٱلْأَرْض فِي دَارِ

فلفظُ (الناسِ) ليسَ كلفظِ (الورىٰ) ، ولفظُ (الأرضِ) ليسَ كلفظِ (الدنيا)

---

(١) انظر « يتيمة الدهر » (٢/٤٧٣)

(٢) انظر « ديوان الأرَّجاني » (٢/٧٨٥)

والفاتحُ لهٰذا المعنىٰ أبو نُواسٍ في قولِهِ يمدحُ الفضلَ بنَ يحيىٰ ويُخاطِبُ الرشيدَ (١)
[من السريع]

أَنْـتَ عَـلَـىٰ مَـا بِـكَ مِـنْ قُـدْرَةٍ ... فَـلَـسْـتَ مِـثْـلَ ٱلْـفَـضْـلِ بِـٱلْـوَاجِـدِ

لَـيْـسَ عَـلَـى ٱللهِ بِـمُـسْـتَـنْـكَـرٍ ... أَنْ يَـجْـمَـعَ ٱلْـعَـالَـمَ فِـي وَاحِـدِ



(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٦٢)

الجمعُ والتفريقُ

هوَ أن يَجمعَ بينَ شيئَينِ في معنىً ثمَّ يُفرِّقَ بينَهُما بعدُ ، وهوَ يزيدُ على التفريقِ الماضي بسبقِ الجمعِ ، ويخالفُهُ أيضاً بأنَّ التفريقَ هنا ليسَ الغرضُ منهُ تفصيلَ أحدِ الأمرَينِ

مثالُهُ قولُ مِهيارٍ[1] [من السريع]

حَتَّىٰ إِذَا ٱللَّيْلُ قَضَىٰ مَا قَضَىٰ خَفَّتْ مَعَ ٱلْفَجْرِ خُطَاهَا ٱلثِّقَالْ

أَبْكِي وَتَبْكِي غَيْرَ أَنَّ ٱلْأَسَىٰ دُمُوعُهُ غَيْرُ دُمُوعِ ٱلدَّلَالْ

وقولُ البحتريِّ[2] [من البسيط]

وَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا وَٱلنَّقَا مَوْعِدٌ لَنَا تَعَجَّبَ رَائِي ٱلدُّرِّ مِنَّا وَلَاقِطُهْ

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تَجْلُوهُ عِنْدَ ٱبْتِسَامِهَا وَمِنْ لُؤْلُؤٍ عِنْدَ ٱلْحَدِيثِ تُسَاقِطُهْ

الجمعُ معَ التقسيمِ

هوَ أن يَذكُرَ مجملاً ثمَّ يقسمُهُ ، أو يَذكُرَ مُفصَّلاً ثم يُجمِلُهُ في معنىً ؛ كقول أبي الطيبِ في الأوَّلِ[3] [من البسيط]

حَتَّىٰ أَقَامَ عَلَىٰ أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ تَشْقَىٰ بِهِ ٱلرُّومُ وَٱلصُّلْبَانُ وَٱلْبِيَعُ

لِلسَّبْيِ مَا نَكَحُوا وَٱلْقَتْلِ مَا وَلَدُوا وَٱلنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَٱلنَّارِ مَا زَرَعُوا

فقد أثبتَ أولاً شَقاءَ الرُّومِ ، وشَقاؤُهم بما يَلحَقُهم مِنَ الشدائدِ ،

(١) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (٢/٢٠٩)
(٢) انظر « ديوان البحتري » (٢/١٢٣٠)
(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٣٨) ، و« أنوار الربيع » (٥/١٧٣)

وتلك الشدائدُ هيَ السبيُ والقتلُ والنهبُ والإحراقُ

وقولِ حسَّانَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ في الثاني[1] [من البسيط]

قَــوْمٌ إِذَا حَــارَبُــوا ضَــرُّوا عَــدُوَّهُــمُ   أَوْ حَاوَلُوا ٱلنَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ فِيهِمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ   إِنَّ ٱلْخَلائِقَ فَٱعْلَمْ شَرُّهَا ٱلْبِدَعُ

الجمعُ معَ التفريقِ والتقسيمِ

هوَ أن يَجمعَ مُتعدِّداً في معنىً ، ثمَّ يُفرِّقَ بينَهُما بالصفةِ ، ثمَّ يضيفَ لكلِّ ما أرادَ أن يثبتَ لهُ ويَخصَّهُ بهِ

وشاهدُ ذٰلكَ : قولُهُ تعالىٰ ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[2] ، جمعَ الأنفسَ في السكوتِ حتىٰ يصدرَ الإذنُ بالكلامِ ، ثمَّ فرَّقَهُم شقيّاً وسعيداً ، ثمَّ نصَّ ما أعدَّ لكلِّ

ولابنِ شرفِ القيروانيِّ[3] [من الطويل]

لِمُلْتَمِسِ ٱلْحَاجَاتِ جَمْعٌ بِبَابِهِ   فَهَـٰذَا لَـهُ فَـنٌّ وَهَـٰذَا لَـهُ فَـنُّ
فَلِلْخَامِلِ ٱلْعُلْيَا وَلِلْمُعْدِمِ ٱلْغِنَىٰ   وَلِلْمُذْنِبِ ٱلرُّحْمَىٰ وَلِلْخَائِفِ ٱلْأَمْنُ



(١) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (١٠٢/١)
(٢) سورة هود (١٠٥)
(٣) انظر « ديوان ابن شرف القيرواني » (ص ٩٩)

التوشيعُ

هوَ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « يَشِيبُ ٱبْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ مَعَهُ خَصْلَتَانِ ٱلْحِرْصُ ، وَطُولُ ٱلْأَمَلِ »(١)

وقولِهِ « مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ ، وَطَالِبُ دُنْيَا »(٢)

ولتاجِ الدِّينِ بنِ أبي الحسينِ الكنديِّ البغداديِّ(٣) [من البسيط]

دَعِ ٱلْمُنَجِّمَ يَكْبُو فِي ضَلَالَتِهِ ... إِنِ ٱدَّعَىٰ عِلْمَ مَا يَجْرِي بِهِ ٱلْفَلَكُ

تَفَرَّدَ ٱللهُ بِٱلْعِلْمِ ٱلْقَدِيمِ فَلَا ٱلْـ ... إِنْسَانُ يَشْرَكُهُ فِيهِ وَلَا ٱلْمَلَكُ

أَعَدَّ لِلرِّزْقِ مِنْ إِشْرَاكِهِ شَرَكاً ... فَبِئْسَتِ ٱلْعُدَّتَانِ ٱلشِّرْكُ وَٱلشَّرَكُ



(١) انظر « ميزان الاعتدال » (١٥٦/٤) ، وأخرج البخاري (٦٤٢٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً « لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنين في حب الدنيا ، وطول الأمل »

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٩٢/١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٣٤١/٢)

التكميلُ

هوَ أن يأتيَ المُتكلِّمُ بالمعنىٰ تامّاً ، ثمَّ يَعقِبُهُ بمعنىً يزيدُهُ كمالاً ؛ كقولِ سعدِ بنِ كعبٍ الغنويِّ (١) [من الطويل]

حَلِيمٌ إِذَا مَا ٱلْحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ ... مَعَ ٱلْحِلْمِ فِي عَيْنِ ٱلرِّجَالِ مَهِيبُ

وقولِ البحتريِّ (٢) [من الطويل]

هَلِ ٱلْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تُسَاعِفَنَا ٱلنَّوَىٰ ... بِوَصْلِ سُعَادٍ أَوْ يُسَاعِدَنَا ٱلدَّهْرُ

عَلَىٰ أَنَّهَا مَا عِنْدَهَا لِمُوَاصِلٍ ... وِصَالٌ وَلَا عَنْهَا لِمُصْطَبِرٍ صَبْرُ



(١) انظر « خزانة الأدب » (١٠/٤٣٥)

(٢) انظر « ديوان البحتري » (٢/٨٤٤)

الاحتراسُ

هوَ أن يأتيَ المُتكلِّمُ بزيادةٍ على الكلامِ لدفعِ فسادٍ في معناهُ ولوِ احتمالاً ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾[1] ، فاليدُ تكونُ بيضاءَ بعِلَّةِ البَهَقِ ، وقولِهِ ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[2] ، فنسبةُ الفعلِ توهمُ القصدَ ، ومَنْ نالَهُ الأذىٰ يَعترِضُ علىٰ مَنْ قصدَهُ دونَ مَنْ لم يشعرْ بهِ ، وهوَ في القرآنِ كثيرٌ

ومِنْ شواهدِ الاحتراسِ قولُ الفرزدقِ مِنْ هجائِهِ لجريرٍ[3] [من الكامل]

لَعَنَ ٱلْإِلَـٰهُ بَنِي كُلَيْبٍ إِنَّهُمْ لَا يَغْدِرُونَ وَلَا يَفُونَ لِجَارِ

فقولُهُ (لا يَغدِرونَ) معناهُ : متىٰ أُخِذَ عليهِم عهدٌ عَجَزوا عن نقضِهِ ولو نابَتْهُم بسببِهِ النوائبُ ، والقرينةُ علىٰ ذٰلكَ : ما سبقَ مِنَ اللَّعنِ ، لٰكنْ يَحتمِلُ أنَّهُ استثنىٰ لهُم صفةً مِنْ صفاتِ الكرمِ ، فاحترسَ بقولِهِ (ولا يفونَ) ، وقولُهُ (لجارِ) مِنَ الإيغالِ

وقالَ طرفةُ[4] [من الكامل]

فَسَقَىٰ دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ ٱلرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

وقد فاتَ هٰذا الاحتراسُ المتنبيَ حيثُ يقولُ[5] [من الكامل]

وَإِذَا ٱرْتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلَامَةٌ حَيْثُ ٱتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ مِدْرَارُ

---

(١) سورة النمل (١٢)

(٢) سورة النمل (١٨)

(٣) انظر « ديوان الفرزدق » (١/٥٨١)

(٤) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٩٧)

(٥) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢١٤)

وقدِ استعارَ بعضُ كُتَّابِ المغربِ هـٰذا الكلامَ في رسالةٍ توديعيَّةٍ يُخاطِبُ فيها سلطانَهُ ، وانتقدَ على المتنبي حيثُ يقولُ[1] [من الكامل]

سِرْ حَلَّ حَيْثُ تَحُلُّهُ ٱلنُّوَّارُ وَأَرَاكَ فِيكَ مُرَادَكَ ٱلْمِقْدَارُ
وَإِذَا ٱرْتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلَامَةٌ وَغَمَامَةٌ لَا دِيمَةٌ مِدْرَارُ
تَنْفِي ٱلْهَجِيرَ بِظِلِّهَا وَتُنِيمُ بِٱلرَّشِّ ٱلْقَتَامَ وَكَيْفَ شِئْتَ تُدَارُ
وَقَضَى ٱلْإِلَـٰهُ بِأَنْ تَعُودَ مُظَفَّراً وَقَضَتْ بِسَيْفِكَ نَحْبَهَا ٱلْكُفَّارُ

هـٰذا ما تَمنَّاهُ الوليُّ ، لا ما تَمنَّاهُ الجعفيُّ ؛ فإنَّهُ قالَ (حيثُ ارتحلتَ وديمةٌ) ، وما تكادُ تنعقدُ معَها عزيمةٌ ، وإذا سفحَتْ على ذي سفرٍ فما أحراها بأن تُعوِّقَ عنِ الظفرِ ، ونعتَها بـ (مدرارٍ) ، فكانَ أبلغَ في الاضطرارِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٨٦ ـ ٢٨٧) ، والبيتان الأولان مقتبسان من قصيدة للمتنبي في « ديوانه » (ص ٢١٤) بتصرف

الإيغالُ

هوَ أن يأتيَ المُتكلِّمُ بعدَ تمامِ الكلامِ بلفظٍ يزيدُ في معناهُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾[1]

فقولُهُ ﴿ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ إيغالٌ لتمامِ الكلامِ قبلَهُ وزيادةٌ فيهِ

وقولِهِ ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[2]

ومِنْ كلامِ الناسِ كقولِ الخنساءِ[3] [من البسيط]

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ ٱلْهُدَاةُ بِهِ   كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فقولها (في رأسِهِ نارٌ) وردَ بعدَ تمامِ المعنىٰ ليزيدَ فيهِ

وقولِ امرئِ القيسِ[4] [من الطويل]

كَأَنَّ عُيُونَ ٱلْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا   وَأَرْحُلِنَا ٱلْجَزْعُ ٱلَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ

قالَ الأصمعيُّ (عيونُ الظِّباءِ والبقرِ إذا كانَتْ حيَّةً لم يظهرْ فيها البياضُ ، فإذا ماتَتْ ظهرَ)[5] ، والشِّعرُ في ذِكْرِ يومِ صيدٍ ، فهوَ يقولُ في كثرةِ الصَّيدِ حتىٰ إنَّ عيونَ الوحشِ صارَتْ منتشرةً حولَ رحالِهِم في صورةِ

(١) سورة البقرة (١٦)
(٢) سورة يسٓ (٢٠ ـ ٢١)
(٣) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧)
(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٥٣)
(٥) انظر « أنوار الربيع » (٥/٣٣٤)

الجَزْعِ ؛ وهوَ خرزٌ فيهِ بياضٌ وسوادٌ يُجلَبُ مِنَ اليمنِ ، وقولُهُ (لمْ يُثقَّب) زيادةٌ لتحقيقِ التشبيهِ ؛ كقولِ زهيرٍ [1] [من الطويل]

كَأَنَّ فُتَاتَ ٱلْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ   نَزَلْتَ بِهِ حَبُّ ٱلْفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ



(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » (ص ٢٢)

شجاعة الفصاحة

قالَ مثبتُهُ أبو الفتحِ عثمانُ بنُ جنِّي (هوَ حذفُ شيءٍ مِنْ لوازمِ الكلامِ ثقةً بفهمِ السامعِ)[1] ، ومَثَّلَ لهُ بأمثلةٍ يرجعُ فيها ضميرُ الغائبِ علىٰ ما يلزمُ علمُهُ مِنَ الكلامِ دونَ ذكرِهِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾[2] ، بعدَ قولِهِ ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ﴾[3]

وكقولِ لبيدٍ[4] [من الكامل]

حَـتَّـىٰ إِذَا أَلْـقَـتْ يَـداً فِـي كَـافِـرٍ وَأَجَـنَّ عَـوْرَاتِ ٱلـثُّـغُـورِ ظَـلاَمُـهَـا



(١) انظر « أنوار الربيع » (١٩٢/٥)

(٢) سورة صٓ (٣٢)

(٣) سورة صٓ (٣١)

(٤) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ٣١٦)

الفرائدُ

هٰذا النوعُ عبارةٌ عن كلماتٍ رائعةٍ ظاهرةِ الفصاحةِ يكونُ لها تميُّزٌ بينَ قرائنِها ، فتُشبِهُ الجوهرةَ الفريدةَ في العِقدِ المتماثلِ ، ومَثَّلُوا لهُ بقولِهِ تعالىٰ ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾[1]

وقولِهِ ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ ﴾[2]

وقولِهِ ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾[3]

ومِنَ الشعرِ قولُ أبي كبيرٍ الهذليِّ[4] [من الكامل]

وَمُبَرَّأً مِنْ كُلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغْيِلِ

فقولُهُ (غُبَّرِ) بضمِّ الغينِ مِنَ الفرائدِ ، لا يقومُ مقامَها عقبُ حيضةٍ ، و(كلِّ) في هٰذا البيتِ داخلةٌ على المعدودِ بعدَها ؛ أي هوَ مُبرَّأٌ مِنْ كلِّ ما يُوجِبُ ضعفاً ونقصاً في الخلقِ ، و(المُغيِلُ) اسمُ فاعلٍ مِنْ (أَغيلَ) ، يُقالُ أغيلَتِ المرأةُ ولدَها دونَ إعلالٍ ، وأغالَتْهُ بالإعلالِ ، فهيَ مُغْيِلٌ ومُغِيلٌ ؛ إذا أرضعَتْهُ وهيَ حاملٌ ، جعلَهُ صفةً للداءِ مبالغةً في شناعتِهِ ؛ كأنَّ المرأةَ إذا أرضعَتْ ولدَها وهيَ حاملٌ لم تكنْ هيَ المرضعةَ ، وإنَّما المرضعُ داءٌ

والمرادُ بفسادِ المرضعةِ أَلَّا تكونَ مِنْ ذواتِ اللَّبنِ الجيدِ ، فإنَّ النساءَ

---

(١) سورة يوسف (٥١)

(٢) سورة غافر (١٩)

(٣) سورة البقرة (١٨٧)

(٤) انظر « ديوان الهذليين » (٢/٩٣) ، و« أنوار الربيع » (٥/٢٦٨) ، وفيه الشرح الآتي

وبقيةَ الإناثِ مِنَ الحيواناتِ متفاوتةُ الألبانِ تفاوتاً عظيماً ، فهوَ فسادٌ أصليٌّ ، وفسادُ المغيلِ عارضٌ ، فلا يغني أحدُهُما عنِ الآخَرِ

وهٰذا البيتُ شاهدٌ للعربِ بكمالِ النَّباهةِ وجودةِ الالتفاتِ واعتبارِ التجارِبِ ؛ فإنَّ المرأةَ بعدَ الحيضِ لا تكونُ قد صفَتْ مِنَ الخبثِ وبرئتْ مِنَ الضَّعفِ وتمَّتْ سورتُها لقَبولِ البَذْرِ ، فهيَ كالأرضِ النديَّةِ التي لم تبلغِ الصَّلاحيةَ لقَبولِ الحَبِّ وحسنِ الفعلِ ، فهوَ يخرجُ ضعيفاً ، وقوةُ الغذاءِ باللَّبنِ لها ما بعدَها ، وكانَتِ العربُ قد عرفَتْ بعضَ القبائلِ بجودةِ اللَّبنِ ، فكانوا يُرضِعونَ فيهِم أولادَهم

وفي معنىٰ حديثِ « مَا لِي لَا أَكُونُ أَفْصَحَ ٱلْعَرَبِ وَأَنَا مِنْ قُرَيْشٍ ، وَٱسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ ؟! »[1] ، فأنتَ تَراهُ نفى التعجُّبَ مِنْ قُوَّةِ الفصاحةِ بإثباتِ ما يُوجِبُها ؛ وهوَ سببانِ

أحدُهُما حسنُ الرَّضاعةِ لاستتباعِهِ قُوَّةَ البنيةِ وجودةَ استعدادِ الأعضاءِ لتتميمِ أعمالِها

والسببُ الآخَرُ كونُهُ مِنْ قريشٍ الذينَ هُم أهلُ المجالسِ التي كانَتِ العربُ تتحاكمُ إليها في موسمِ الحجِّ

وتلكَ مَقاماتُ أنواعِ الكلامِ ، ومواضعُ إمكانِ الاختيارِ ، كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ في الكلامِ على اللغةِ[2]

وأمَّا الغِيلةُ فذٰلكَ حكمُها بمُقتضى التجربةِ ، وعليهِ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَىٰ عَنِ ٱلْغِيلَةِ ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ فَارِسَ وَٱلرُّومَ يَفْعَلُونَ

(١) انظر « البدر المنير » (٨/٢٨١)

(٢) انظر (١/١٠٧) وما قبلها وما بعدها

ذَٰلِكَ فَلَا يَضُرُّهُمْ »[1] ، فمعناهُ أنَّهُ همَّ بتحريمِ ذٰلكَ ، ولٰكنْ لدفعِ الحَرَجِ فيهِ تُرِكَ إلى التجربةِ ، فمَنْ وجدَ فيهِ ضرراً كانَ منهيّاً عنهُ بعمومِ النهْيِ عنِ الأذىٰ



(١) أخرجه مسلم (١٤٤٢) عن السيدة جدامة بنت وهب الأسدية رضي الله عنها

الاشتقاقُ

قالَ مثبتُهُ أبو هلالٍ العسكريُّ (هوَ أن تَشتقَّ مِنَ الاسمِ العَلَمِ معنىً في غَرَضِ مدحٍ أو ذمٍّ)[1]

ومِنْ أمثلتِهِ قولُ ابنِ دريدٍ في هجاءِ نفطويهِ النحويِّ[2] [من السريع]

لَوْ أُوحِيَ ٱلنَّحْوُ إِلَىٰ نِفْطَوَيْهْ   مَا كَانَ هَـٰذَا ٱلنَّحْوُ يُغْدَىٰ إِلَيْهْ
أَحْرَقَهُ ٱللهُ بِنِصْفِ ٱسْمِهِ   وَصَيَّرَ ٱلْبَاقِي صُرَاخاً عَلَيْهْ

وللصاحبِ ابن عبَّادٍ وقدِ استأذنَ حاجبُهُ للطَّرَسُوسيِّ ، [فقالَ] مداعبةً الطَّرُّ في لحيتِهِ ، والسُّوسُ في حنطتِهِ[3]

ودخلَ محمدٌ العباسيٌّ المُلقَّبُ أبا العبرِ ـ وكان مشهوراً بالهزلِ ولهُ نوادرُ ظريفةٌ ـ علىٰ رجلٍ يُسمَّىٰ (كُلْثُومْ) فسألَ محمداً عنِ اسمِهِ ، فقالَ لهُ (كُلْ بَصَلْ) فقالَ ما معنىٰ هـٰذا الاسمِ ؟ فقالَ معناهُ معنىٰ (كُلْثُومْ)[4]

وكتبَ ابنُ سُكَّرةَ إلىٰ صديقٍ لهُ يلقَّبُ المِلْحِيَّ[5] [من الخفيف]

يَا صَدِيقاً أَفَادَنِيهِ زَمَانٌ   فِيهِ ضَنٌّ بِٱلْأَصْدِقَاءِ وَشُحُّ
بَيْنَ شَخْصِي وَبَيْنَ شَخْصِكَ بُعْدٌ   غَيْرَ أَنَّ ٱلْخَيَالَ بِٱلْوَصْلِ سَمْحُ
إِنَّمَا بَاعَدَ ٱلتَّأَلُّفَ مِنَّا   أَنَّنِي سُكَّرٌ وَأَنَّكَ مِلْحُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤٨) ، و« أنوار الربيع » (٢٧٦/٥)

(٢) انظر « ديوان ابن دريد الأزدي » (ص ١١١)

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤١٣/١)

(٤) انظر « وفيات الأعيان » (١٢٣/٤) ، ففيه خبر قريب منه

(٥) انظر « وفيات الأعيان » (٤١١/٤)

فكتبَ يجيبُهُ [من الخفيف]

هَـلْ يَـقُـولُ ٱلْإِخْـوَانُ يَـوْمـاً لِـخِـلِّ شَـابَ مِـنْـهُ مَـحْـض ٱلْـمَـوَدَّةِ قَـدْحُ
بَـيْـنَـنَـا سُـكَّـرٌ فَـلَا تُـفْـسِـدَنْـهُ أَوْ غَـدَا بَـيْـنَـنَـا وَبَـيْـنَـكَ مِـلْـحُ

وفي هٰذا الجوابِ تفضيلُ المِلْحِ ، لا رفعُ المنافرةِ بينَ النوعَينِ

ولابنِ الروميِّ (١) [من الطويل]

كَـأَنَّ أَبَـاهُ حِـيـنَ سَـمَّـاهُ صَـاعِـداً رَأَىٰ كَيْفَ يَرْقَىٰ فِي ٱلْمَعَالِي وَيَصْعَدُ



(١) انظر « ديوان ابن الرومي » (٢/٥٩١)

السَّلْبُ والإيجابُ

هوَ إثباتُ شيءٍ ونفيُهُ مِنْ جهتَينِ ؛ كقولِهِ[1] [من الكامل]

خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا لِمَكْرُمَةٍ فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا
رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا سَمَاحَ يَدٍ فَكَأَنَّهُمْ رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا

وقولِ آخَرَ[2] [من الكامل]

لَا يَفْطَنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمِ وَهُمُ لِحِفْظِ جِوَارِهِ فُطُنُ

ولا يلزمُ التصريحُ بالجزئيَّينِ ، فيُعَدُّ منهُ قولُ الخنساءِ[3] [من الطويل]

وَمَا بَلَغَتْ كَفُّ ٱمْرِئٍ مُتَنَاوِلاً مِنَ ٱلْمَجْدِ إِلَّا وَٱلَّذِي نِلْتَ أَطْوَلُ
وَلَا بَلَغَ ٱلْمُهْدُونَ لِلنَّاسِ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا ٱلَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

فإنَّهُ علىٰ تقديرِ بلغَ الناسُ مُتناوَلاً مِنَ المجدِ ، وما بلغوا ما بلغتَ ، وبلغَ الشعراءُ مدحَ الأجوادِ ، وما بلغوا مدحَكَ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٨٢/٥)
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٨١/٥)
(٣) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٢٠)

المُشاكَلةُ

هيَ ذكرُ الشيءِ بلفظِ غيرِهِ لوقوعِهِ في صحبتِهِ مجازاً ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (١)

وقولِهِ ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (٢)

وقد يكونُ المُشاكِلُ ملحوظاً غيرَ موجودٍ في الكلامِ ، فتُسمَّى المُشاكَلةُ تقديريةً ؛ كقولِ بعضِ الشعراءِ وقد نظرَ إلىٰ أميرٍ يَغرِسُ فَسيلاً (٣) [من الكامل]

إِنَّ ٱلْــوِلَايَــةَ لَا تَــدُومُ لِــوَاحِــدٍ ... إِنْ كُـنْـتَ تُـنْـكِـرُهُ فَـأَيْـنَ ٱلْأَوَّلُ

فَٱغْرِسْ مِنَ ٱلْفِعْلِ ٱلْجَمِيلِ غَرَائِساً ... فَـإِذَا عُـزِلْـتَ فَـإِنَّـهَـا لَا تُـعْـزَلُ

كأنَّهُ قالَ أنتَ تَغرِسُ نخلاً ، فاغرسْ فعلاً



(١) سورة البقرة (١٩٤)

(٢) سورة الشورىٰ (٤٠)

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٥/٢٨٦)

ما لا يستحيلُ بالانعكاسِ

هوَ عبارةٌ عن لفظٍ يُقرَأُ مِنْ آخِرِهِ لأولِهِ كما يُقرَأُ مِنْ أولِهِ لآخِرِهِ ، كقولِهِ تعالىٰ ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾[1] ، ﴿ رَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾[2]

ومِنْ كلامِ الناسِ (كنْ كما أمكنَكَ)

ومِنْ النوادرِ : أنَّ العمادَ الكاتبَ كانَ يسايرُ القاضيَ الفاضلَ ، فقالَ العمادُ (سِرْ فلا كبا بِكَ الفرسُ) ، فأجابَهُ القاضي بديهةً بقولِهِ (دامَ عُلَا العمادِ)

وللقاضي الأَرَّجَانيِّ[3] [من الوافر]

أُحِبُّ ٱلْمَرْءَ ظَاهِرُهُ جَمِيلُ ... لِصَاحِبِهِ وَبَاطِنُهُ سَلِيمُ
مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلٍ ... وَهَلْ كُلٌّ مَوَدَّتُهُ تَدُومُ

وشرطُ حسنِهِ أن يكونَ سلساً ، ليسَ فيهِ تكلُّفٌ



(١) سورة يس (٤٠)

(٢) سورة المدثر (٣)

(٣) انظر « ديوان الأرَّجاني » (٣/١٢٣٣ ـ ١٢٣٤)

التقسيمُ

هوَ علىٰ نوعَينِ

أحدُهُما أن يَذكُرَ قسمةَ ذاتِ جزأينِ أو أكثرَ ، ويضيفَ لكلٍّ ما يليقُ بهِ

والثاني أن يستوفيَ جميعَ الأقسامِ الممكنةِ

فمِنَ الأوَّلِ قولُ المُتلمِّسِ [١] [من البسيط]

فَمَا يُقِيمُ عَلَىٰ ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا ٱلْأَذَلَّانِ عَيْرُ ٱلْحَيِّ وَٱلْوَتِدُ

هَٰذَا عَلَى ٱلْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْثِي لَهُ أَحَدُ

وقولُ ربيعةَ الرقيِّ [٢] [من الطويل]

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلْيَزِيدَيْنِ فِي ٱلنَّدَىٰ يَزِيدُ سُلَيْمٍ وَٱلْأَغَرِّ بْنِ حَاتِمِ

يَزِيدُ سُلَيْمٍ سَالِمُ ٱلْمَالِ وَٱلْفَتَىٰ فَتَى ٱلْأَزْدِ لِلْأَمْوَالِ غَيْرُ مُسَالِمِ

فَهَمُّ ٱلْفَتَى ٱلْأَزْدِيِّ إِتْلَافُ مَالِهِ وَهَمُّ ٱلْفَتَى ٱلْقَيْسِيِّ جَمْعُ ٱلدَّرَاهِمِ

ومِنَ الثاني قولُهُ تعالىٰ ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾ [٣]

---

(١) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » (ص ٢٠٨ ـ ٢١١)

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٦/٣٢٣)

(٣) سورة الشورىٰ : (٤٩ ـ ٥٠)

[قصةُ عمرِو بنِ عبيدٍ معَ الحسنِ البصريِّ]

ويُحكىٰ أنَّ الحسنَ البصريَّ كانَ يقولُ لا تُقبَلُ توبةُ قاتلِ المؤمنِ عمداً ، فدسَّ إليهِ عمرُو بنُ عبيدٍ رجلاً يقولُ لهُ لا يخلو أن يكونَ مؤمناً أو كافراً أو منافقاً أو فاسقاً

فإن كانَ مؤمناً فإنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ يقولُ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (١)

وإن كانَ كافراً فإنَّهُ تعالىٰ يقولُ ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ (٢)

وإن كانَ منافقاً فإنَّهُ تعالىٰ يقولُ ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ (٣)

وإن كانَ فاسقاً فإنَّهُ تعالىٰ يقولُ ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ (٤)

فقالَ الحسنُ للرجلِ مِنْ أينَ لكَ هـٰذا ؟ قالَ شيءٌ اختلجَ في صدري ، فقالَ محالٌ ، اصدُقْني ، فقالَ عمرُو بنُ عبيدٍ ، فقالَ الحسنُ عمرٌو وما عمرٌو ؛ إذا قامَ بأمرٍ قعدَ بهِ ، وإذا قعدَ بأمرٍ قامَ بهِ (٥)

وحُكِيَ أنَّهُ قدمَ وفدٌ مِنَ العراقِ علىٰ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ وفيهم رجلٌ

---

(١) سورة التحريم (٨)

(٢) سورة الأنفال (٣٨)

(٣) سورة النساء (١٤٥ ـ ١٤٦)

(٤) سورة النور (٤ ـ ٥)

(٥) انظر « أنوار الربيع » (٥/٢٩٤ ـ ٢٩٥)

مِنْ بني أسدٍ ، فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أصابَتْنا سِنُونَ ثلاثٌ ؛ أمَّا الأُولىٰ فأذابَتِ الشَّحمَ ، وأمَّا الثانيةُ فنحضَتِ اللَّحمَ ، وأمَّا الثالثةُ فهاضَتِ العظمَ ، وفي أيديكُم فضولُ أموالٍ ؛ فإن كانَتْ للهِ فبثُّوها في عبادِ اللهِ ، وإن كانَتْ لهُم فلا تمنعوهُم إيَّاها ، وإن كانَتْ لكُم فتَصدَّقُوا إنَّ اللهَ يَجزي المُتصدِّقينَ

فقالَ هشامٌ ما تركَ لنا في واحدةٍ عذراً ، ثمَّ قالَ لهُ قد قلتَ في حاجةِ العامَّةِ ، فقُلْ في حاجةِ نفسِكَ ، فقالَ ما لي حاجةٌ في خاصَّةٍ دونَ عامَّةٍ [1]

ولأبي تمامٍ في مجوسيٍّ أُحرِقَ [2] [من الكامل]

صَلَّىٰ لَهَا حَيّاً وَكَانَ وَقُودَهَا مَيْتاً وَيَدْخُلُهَا مَعَ ٱلْكُفَّارِ

ولعمرِو بنِ الأهتمِ [3] [من الخفيف]

اِشْرَبَا مَا شَرِبْتُمَا فَهُذَيْلٌ مِنْ قَتِيلٍ أَوْ هَارِبٍ أَوْ أَسِيرِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٥/٢٩٥)
(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٢/٢٠٣)
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٥/٢٩٦)

الإشارةُ

هوَ عبارةٌ عن إيجازٍ في العبارةِ معَ كثرةِ المعنىٰ ، كأنَّهُ يشيرُ إليهِ إشارةً ، ولم تَتناولْهُ العبارةُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ في صفةِ الجنةِ ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾[1]

وقولِهِ ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾[2]

وقولِهِ ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾[3]

ولامرئِ القيسِ[4] [من الطويل]

فَظَلَّ لَنَا يَوْمٌ لَذِيذٌ بِنِعْمَةٍ فَقِلْ فِي مَقِيلٍ نَحْسُهُ مُتَغَيِّبُ

فهٰذهِ عباراتٌ وجيزةٌ أُريدَ بها أشياءُ كثيرةٌ



(١) سورة الزخرف (٧١)

(٢) سورة النازعات (٣١)

(٣) سورة الحجر (٩٤)

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (١/٣٥٦) ، و« الصحاح » (١/١٧٦) ، مادة (غ ي ب)

الترتيبُ

قالَ مُستخرِجُهُ شرفُ الدِّينِ التيفاشيُّ (هوَ ذكرُ أوصافٍ لموصوفٍ واحدٍ مرتبةً على الترتيبِ الطبيعيِّ)[1] ؛ كقولِ مسلمِ بنِ الوليدِ[2] [من البسيط]

هَيْفَاءُ فِي فَرْعِهَا لَيْلٌ عَلَىٰ قَمَرٍ   عَلَىٰ قَضِيبٍ عَلَىٰ حِقْفِ ٱلنَّقَا ٱلدَّهِسِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٥/٣١٧)

(٢) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣٢٥)

المشاركةُ

ويُقالُ الاشتراكُ ؛ وهوَ أن يأتيَ بلفظٍ مُشترَكٍ بينَ معنيَينِ ليُوهِمَ السامعَ أنَّهُ أرادَ أحدَهُما ؛ لكونِهِ جعلَ الكلامَ بحيثُ يتبادرُ منهُ وهوَ يريدُ الآخَرَ ، فيُعقِبُ الكلامَ بما يُحقِّقُ مرادَهُ ؛ كقولِ كُثَيِّرِ عَزَّةَ(١) [من الطويل]

وَأَنْـتِ ٱلَّـتِي حَـبَّـبْـتِ كُـلَّ قَـصِـيـرَةٍ ... إِلَـيَّ وَلَـمْ تَـعْـلَـمْ بِـذَاكَ ٱلْـقَـصَـائِـرُ

عَـنَـيْـتُ قَـصِـيـرَاتِ ٱلْـحِـجَـالِ وَلَـمْ أُرِدْ ... قِـصَـارَ ٱلْـخُـطَـا شَـرُّ ٱلنِّـسَـاءِ ٱلْـبَـحَـاتِـرُ

البَحاترُ جمعُ بُحْتُرٍ بضمٍّ فسكونٍ ؛ القصيرُ المُجتمِعُ الخَلْقِ



(١) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٣٦٩)

التوليدُ

هوَ علىٰ نوعَينِ أحدُهُما لفظيٌّ ، والآخَرُ معنويٌّ

فاللفظيُّ أن يستحسنَ الشاعرُ أوِ الناثرُ لفظاً مِنْ كلامِ غيرِهِ في معنىً فيَستلبُهُ ويَضعُهُ في معنىً آخَرَ ، فإن كانَ استعمالُهُ إيَّاهُ أجودَ ، وكانَ الموضعُ الذي وضعَهُ فيهِ بهِ أليقَ انتظمَ في المقبولِ المُستحسَنِ ، وإلَّا عُدَّ مِنَ المردودِ أوِ المُسترذَلِ ؛ كقولِ أبي تمامٍ (١) [من الطويل]

لَهَا مَنْظَرٌ قَيْدُ ٱلنَّوَاظِرِ لَمْ يَزَلْ   يَرُوحُ وَيَغْدُو فِي خُفَارَتِهِ ٱلْحُبُّ

كلمةُ (القيدِ) مُستلَبَةٌ مِنْ قولِ امرئِ القيسِ في صفةِ الفرسِ (٢) [من الطويل]

وَقَدْ أَغْتَدِي وَٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا   بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

الأوابد : جمعُ آبدةٍ ؛ وهيَ الوَحْشُ ، ومعناهُ أنَّ هٰذا الفرسَ شديدُ السُّرعةِ ؛ بحيثُ متىٰ طُلِبَ عليهِ صيدٌ أدركَهُ ومنعَهُ مِنَ الحركةِ ، فهوَ بمنزلةِ القيدِ لهُ ، فأنتَ ترىٰ أنَّهُ استعملَ لفظَ (القيدِ) معَ الحيوانِ الذي هوَ موضعُهُ ، وبلغَ بهِ غرضَهُ ، وأبو تمامٍ استلبَهُ واستعملَهُ معَ النواظرِ ، فكانَ في غيرِ موضعِهِ

والمعنويُّ هوَ أن يجدَ الشاعرُ أوِ الناثرُ معنىً لغيرِهِ ، فيأخذَهُ ليزيدَ فيهِ ويُحسِّنَ العبارةَ عنهُ ، فيُعَدُّ بديعاً لِمَا فيهِ مِنَ التنبُّهِ والنقدِ الذي يَحصُلُ بمثلِهِ التعليمُ والدلالةُ على الأدبِ ؛ كقولِ أبي الطيبِ (٣) [من البسيط]

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ ٱللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي   وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ ٱلصُّبْحِ يُغْرِي بِي

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١/١٨٠)

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩)

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٣٩)

توليداً مِنْ قولِ عبدِ اللهِ بنِ المعتزِّ (١) [من البسيط]

لَا تَـلْـقَ إِلَّا بِـلَـيْـلٍ مَـنْ تُـوَاصِـلُـهُ ... فَـالشَّـمْـسُ نَـمَّـامَـةٌ وَاللَّـيْـلُ قَـوَّادُ

فالنميمةُ هيَ نقلُ الكلامِ عنِ الغائبِ ، وليسَ فعلَ الشمسِ ، والإغراءُ هوَ تحريضُ حاضرٍ علىٰ حاضرٍ ، وهوَ فعلُ بياضِ الصبحِ

واستعمالُ الشفاعةِ التي تقتضي صحبةَ الإعانةِ معَ شرفِ اللَّفظِ أحسنُ مِنِ استعمالِ القيادةِ

وكقولِ أبي الطيبِ أيضاً (٢) [من الطويل]

هُـمَـامٌ إِذَا مَـا فَـارَقَ الْـغِـمْـدَ سَـيْـفُـهُ ... وَعَـايَـنْـتَـهُ لَـمْ تَـدْرِ أَيُّـهُـمَـا النَّـصْـلُ

توليداً مِنْ قولِ أبي تمامٍ (٣) [من الطويل]

يَـمُـدُّونَ بِـالْـبِـيـضِ الْـقَـوَاطِـعِ أَيْـدِيـاً ... فَـهُـنَّ سَـوَاءٌ وَالـسُّـيُـوفُ الْـقَـوَاطِـعُ

فانظرْ تفاوتَ ما بينَ البيتَينِ !!

وكقولِ الأخطلِ (٤) [من الطويل]

وَإِنَّ أَمِـيـرَ الْـمُـؤْمِـنِـيـنَ وَفِـعْـلَـهُ ... لَـكَـالـدَّهْـرِ لَا عَـارٌ بِـمَـا فَـعَـلَ الـدَّهْـرُ

توليداً مِنْ قولِ النابغةِ (٥) [من البسيط]

وَعَـيَّـرَتْـنِـي بَـنُـو ذُبْـيَـانَ خَـشْـيَـتَـهُ ... وَهَـلْ عَـلَـيَّ بِـأَنْ أَخْـشَـاهُ مِـنْ عَـارِ

---

(١) انظر « ديوان ابن المعتز » (١/١٧٣)

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٠)

(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٤/٥٨٩)

(٤) كذا في « أنوار الربيع » (٥/٣٢٥)

(٥) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٨)

وكقولِ بعضِهِم (١) [من الطويل]

فَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ وَٱقْتَصِدْ كِلَا طَرَفَيْ كُلِّ ٱلْأُمُورِ ذَمِيمُ

توليداً مِنْ قولِ آخرَ (٢) [من البسيط]

عَلَيْكَ بِٱلْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ طَالِبُهُ إِنَّ ٱلتَّخَلُّقَ يَأْتِي بَعْدَهُ ٱلْخُلُقُ

توليداً مِنْ قولِ القطاميِّ (٣) [من البسيط]

قَدْ يُدْرِكُ ٱلْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ ٱلْمُسْتَعْجِلِ ٱلزَّلَلُ

وهوَ عقدٌ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « مَنْ تَأَنَّىٰ أَصَابَ أَوْ كَادَ ، وَمَنِ ٱسْتَعْجَلَ أَخْطَأَ أَوْ كَادَ » (٤)



(١) انظر « وفيات الأعيان » (٢/٢١٥) ، وفيه (قصد) بدل (كل)

(٢) انظر « خزانة الأدب » (١/٣٥٠)

(٣) انظر « ديوان القطامي » (ص ١٩٣)

(٤) انظر « المقاصد الحسنة » (٣١٢)

الإبداعُ

بالباءِ الموحدةِ ؛ هوَ أن يكونَ البيتُ مِنَ الشعرِ ، أوِ الفصلُ مِنَ النثرِ أوِ الجملةِ المفيدةِ مُشتمِلاً علىٰ عِدَّةِ ضروبٍ مِنَ البديعِ

[ثلاثةٌ وعشرونَ نوعاً مِنَ البديعِ في آيةٍ واحدةٍ]

ولم يُوجَدْ في هـٰذا النوعِ مِنَ الكلامِ مثلُ قولِهِ تعالىٰ ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١)

فإنَّها اشتملَتْ علىٰ ثلاثةٍ وعشرينَ نوعاً مِنَ البديعِ ؛ وهيَ سبعَ عشرةَ لفظةً

الأوَّلُ المناسبةُ التامَّةُ بينَ ﴿ ٱبۡلَعِي ﴾ و﴿ أَقۡلِعِي ﴾

الثاني الاستعارةُ فيهما

الثالثُ الطِّباقُ بينَ (الأرضِ) و(السماءِ)

الرابعُ المجازُ في قولِهِ : ﴿ وَيَٰسَمَآءُ ﴾ ، فإنَّ الحقيقةَ (يا مطرَ السماءِ)

الخامسُ الإشارةُ في ﴿ وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾ ، فإنَّهُ عَبَّرَ بهِ عن معانٍ كثيرةٍ ؛ لأنَّ الماءَ لا يَغيضُ حتىٰ يُقلِعَ مطرُ السماءِ ، وتبلعَ الأرضُ ما يَخرُجُ منها مِنْ عيونِ الماءِ ، فيغيض الحاصلُ علىٰ وجهِ الأرضِ مِنَ الماءِ

السادسُ الإردافُ في قولِهِ ﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ ﴾ ، فإنَّهُ عَبَّرَ عنِ استقرارِها في المكانِ بلفظٍ قريبٍ مِنْ لفظِ المعنىٰ

---

(١) سورة هود (٤٤)

السابعُ التمثيلُ في قولِهِ ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ ، فإنَّهُ عَبَّرَ عن هلاكِ الهالكينَ ونجاةِ الناجينَ بلفظٍ بعيدٍ عنِ الموضوعِ

الثامنُ التعليلُ ؛ فإنَّ غَيْض الماءِ عِلَّةُ الاستواءِ

التاسعُ صحةُ التقسيمِ ؛ فإنَّهُ استوعبَ أقسامَ الماءِ حالةَ نقصِهِ ؛ إذ ليسَ إلَّا احتباسَ ماءِ السماءِ والماءِ النابعِ مِنَ الأرضِ ، وغَيْض الماءِ الذي علىٰ ظهرِها

العاشرُ الاحتراسُ في قولِهِ ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، إذِ الدعاءُ يُشعِرُ بأنَّهُم مُستحِقُّو الهلاكِ احتراساً مِنْ ضعيفٍ يَتوهَّمَ أنَّ الهلاكَ لعمومِهِ ربَّما شملَ غيرَ مُستحِقٍّ

الحاديَ عشرَ المساواةُ ؛ لأنَّ لفظَ الآيةِ لا يزيدُ علىٰ معناها

الثانيَ عشرَ حسنُ النسقِ ؛ فإنَّهُ تعالىٰ قصَّ القصَّةَ وعطفَ بعضَها علىٰ بعضٍ بحسنِ الترتيبِ

الثالثَ عشرَ ائتلافُ اللفظِ معَ المعنىٰ ؛ لأنَّ كلَّ لفظةٍ لا يَصلُحُ معَها غيرُها

الرابعَ عشرَ الإيجازُ ؛ فإنَّهُ تعالىٰ أمرَ فيها ، ونهىٰ ، وأخبر ، ونادىٰ ، ونعت ، وسمَّىٰ ، وأهلكَ وأبقىٰ ، وأسعدَ وأشقىٰ ، وقصَّ مِنَ الأنباءِ ما لو شُرِحَ لَجَفَّتِ الأقلامُ

الخامسَ عشرَ التسهيمُ ؛ لأنَّ أوَّلَ الآيةِ يَدُلُّ علىٰ آخرِها

السادسَ عشرَ التهذيبُ ؛ لأنَّ مفرداتِها موصوفةٌ بصفاتِ الحسنِ ، كلُّ لفظةٍ سهلةُ مخارجِ الحروفِ ، عليها رونقُ الفصاحةِ ، سليمةٌ عنِ التنافرِ ، بعيدةٌ عنِ البشاعةِ وعقادةِ التركيبِ

السابعَ عشرَ حسنُ البيانِ ؛ لأنَّ السامعَ لا يَتوقَّفُ في فهمِ معنى الكلامِ ، ولا يُشكِلُ عليهِ شيءٌ منهُ

الثامنَ عشرَ الاعتراضُ ؛ وهوَ قولُهُ ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ ، ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾

التاسعَ عشرَ الكنايةُ ؛ فإنَّهُ لم يُصرِّحْ بمَنْ غاض الماءَ ، ولا بمَنْ قضى الأمرَ وسوَّى السفينةَ ، ولا بمَنْ قالَ ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا ﴾ ، كما لم يُصرِّح بقائلِ ﴿ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى ﴾ ، ﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾ في صدرِ الآيةِ ؛ سلوكاً في كلِّ واحدٍ مِنْ ذٰلكَ سبيلَ الكنايةِ إنَّ تلكَ الأمورَ العِظامَ لا تتأتَّىٰ إلَّا مِنْ ذي قدرةٍ قهَّارٍ لا يُغالَبُ ، فلا مجالَ لذهابِ الوهمِ إلىٰ أن يكونَ غيرَهُ جلَّتْ عظمتُهُ قائلُ يا أرضُ ويا سماءُ ، ولا أن يكونَ غائضُ ما غاض ولا قاضي مثلِ ذٰلكَ الأمرِ الهائلِ غيرَهُ

العشرونَ التعريضُ ؛ فإنَّهُ تعالىٰ عَرَّض لسالكي مسلكِهِم في تكذيبِ الرسلِ ظلماً ، وأنَّ الطوفانَ وتلكَ الصورَ الهائلةَ ما كانَتْ إلَّا لظلمِهِم

الحادي والعشرونَ التمكينُ ؛ لأنَّ الفاصلةَ مستقرةٌ في مَحَلِّها ، مُطمئنَّةٌ في مكانِها ، غيرُ قلقةٍ ولا مستدعاةٍ

الثاني والعشرونَ الانسجامُ ؛ لأنَّ الآيةَ بجملتِها منسجمةٌ كالماءِ الجاري في السلاسةِ

الثالثُ والعشرونَ الإبداعُ الذي هوَ شاهدُ هٰذا النوعِ

وفي هٰذهِ الآيةِ الكريمةِ تفريعاتٌ أُخَرُ ؛ مثلاً أنَّ الاستعارةَ منها في موضعَينِ وأمثالَ ذٰلكَ ممَّا يُستنبَطُ بقُوَّةِ النظرِ والاستقراءِ بمعرفةِ الناقدِ البصيرِ ، وقد أُفرِدَتْ بلاغةُ هٰذهِ الآيةِ بالتأليفِ

وفي « العجائبِ » للكَرْمانيّ : (أجمعَ المعاندونَ علىٰ أنَّ طوقَ البشرِ قاصرٌ عنِ الإتيانِ بمثلِ هٰذهِ الآيةِ ، بعدَ أن فَتَّشُوا جميعَ كلامِ العربِ والعجمِ ، فلم يجدوا مثلَها في فخامةِ ألفاظِها ، وحسنِ نظمِها ، وجودةِ معانيها في تصويرِ الحالِ ، معَ الإيجازِ مِنْ غيرِ إخلالِ) انتهىٰ مِنْ لفظ ابن معصوم رحمة الله عليهِ (١)



(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٥٠٧) ، أنوار الربيع (٥/٣٣٠)

النوادرُ

وكانَ قدامةُ يُسمِّيهِ الإغرابَ بالغينِ المعجمةِ ؛ وهوَ أن يَقصِدَ المُتكلِّمُ إلىٰ معنىً قدِ ابتذلَتْهُ الشُّهرةُ وكثرةُ الاستعمالِ ، فيُبرِزَهُ في صورةٍ يَتخيَّلُها ، فتكسوهُ غرابةً ، وكأنَّهُ لم يكنْ مُستعمَلاً ؛ كقول أبي الطيبِ المتنبي في التشبيهِ بالشمسِ[1] [من الكامل]

لَمْ تَلْقَ هَـٰذَا ٱلْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِهِ ... إِلَّا بِوَجْهٍ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ

وكقولِ القاضي الفاضلِ عبدِ الرحيمِ البيسانيِّ في التشبيهِ بالقمرِ[2] [من الطويل]

تَرَاءَىٰ وَمِرْآةُ ٱلسَّمَاءِ صَقِيلَةٌ ... فَأَثَّرَ فِيهَا وَجْهُهُ صَفْحَةَ ٱلْبَدْرِ

ولأبي الفتحِ البستيِّ فيهِ إغرابٌ آخَرُ[3] [من الكامل]

أَرَأَيْتَ مَا قَدْ قَالَ لِي بَدْرُ ٱلدُّجَىٰ ... لَمَّا رَأَىٰ طَرْفِي يُدِيمُ سُهُودَا

حَتَّامَ تَرْمُقُنِي بِعَيْنَيْ سَاهِرٍ ... أَقْصِرْ فَلَسْتُ حَبِيبَكَ ٱلْمَفْقُودَا

ومِنَ المعاني المشهورةِ دعوىٰ أنَّ الطَّيرَ تَتبعُ الجيشَ لاعتيادِها الوقوعَ علىٰ قتلاهُ لكثرةِ وقائعِهِ ونصرتِهِ فيها

قالَ النابغةُ[4] [من الطويل]

إِذَا مَا غَزَوْا بِٱلْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ ... عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٧)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٣٣٨/٥)

(٣) انظر « ديوان أبي الفتح البستي » (ص ٢٣٧)

(٤) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٤٢)

وتبعَهُ مسلمُ بنُ الوليدِ بقولِهِ (١) [من البسيط]

قَدْ عَوَّدَ ٱلطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقْنَ بِهَا ... فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلِ

وأكثرَ الشعراءُ في ذٰلكَ بعباراتٍ قريبٍ بعضُها مِنْ بعضٍ ، حتىٰ قالَ المتنبي فأغربَ (٢) [من البسيط]

يُطَمِّعُ ٱلطَّيْرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمِ ... حَتَّىٰ تَكَادُ عَلَىٰ هَامَاتِهِمْ تَقَعُ



(١) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ١٢)

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٣٨)

التطريزُ

هوَ علىٰ معنيَينِ

أحدُهُما أن يُؤتىٰ بأمورٍ متقابلةٍ ؛ علىٰ حدِّ قولِ أبي تمامٍ[1] [من الكامل]

أَعْـوَامَ وَصْـلٍ كَـادَ يُنْسِـي طِيبَهَـا ... ذِكْـرُ ٱلـنَّـوَىٰ فَـكَـأَنَّـهَـا أَيَّـامُ

ثُـمَّ ٱنْبَـرَتْ أَيَّـامُ هَـجْـرٍ أَعْـقَـبَـتْ ... بُـؤْسـاً فَـخِـلْـنَـا أَنَّـهَـا أَعْـوَامُ

ثُـمَّ ٱنْقَضَـتْ تِلْكَ ٱلسِّنُونُ وَأَهْلُهَـا ... فَـكَـأَنَّـهَـا وَكَـأَنَّـهُـمْ أَحْـلَامُ



والآخَرُ أن يُبتدَأَ بمُتعدِّدٍ ثمَّ يُخبرَ عنهُ بصفةٍ واحدةٍ مُتكرِّرةٍ ، علىٰ حدِّ قولِ ابنِ الروميِّ[2] [من الوافر]

أُمُـورُكُـمُ بَـنِـي خَـاقَـانَ عِـنْـدِي ... عِـجَـابٌ فِـي عِـجَـابٍ فِـي عِـجَـابِ

قُـرُونٌ فِـي رُؤُوسٍ فِـي وُجُـوهٍ ... صِـلَابٌ فِـي صِـلَابٍ فِـي صِـلَابِ

وقولُ ابنِ لنككَ البصريِّ[3] [من الوافر]

أَقُـولُ لِـصَـاحِـبِـي وَٱلـرَّاحُ رُوحٌ ... لِجِسْمِ ٱلْكَأْسِ فِي كَفِّ ٱلنَّدِيمِ

وَقَـدْ حَـبَـسَ ٱلـدُّجَـىٰ عَـنَّـا بَـوَاكٍ ... [تَسِيلُ] نُفُوسُهَا فَوْقَ ٱلْجُسُومِ

شُـمُـوعُـكَ وَٱلْـكُـؤُوسُ مَـعَ ٱلـنَّـدَامَىٰ ... نُـجُـومٌ فِـي نُـجُـومٍ فِـي نُـجُـومِ



---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/١٥١ ـ ١٥٢)

(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (١/٣٥٣)

(٣) انظر « يتيمة الدهر » (٢/٤١٧)

التنكيتُ

هوَ أن يَخُصَّ المُتكلِّمُ شيئاً بالذِّكرِ لا يَستحِقُّ الاختصاصَ لذاتِهِ ، بل هوَ وغيرُهُ سواءٌ ؛ لكونِهِ دلَّ علىٰ أمرٍ انفردَ بهِ ، ولذٰلكَ يُطلَبُ عندَ سماعِهِ فيُقالُ لِمَ خُصَّ هٰذا بالذِّكرِ ؟ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾[1] ، وهوَ ربُّ كلِّ شيءٍ ، فيُقالُ لِمَ اختصَّ الشِّعرىٰ بالذِّكرِ ؟

والأمرُ الذي أوجبَ لها ذٰلكَ هوَ أنَّ أُمَّةً مِنَ العربِ كانَتْ تعبدُها ، وإمامُهُم في ذٰلكَ رجلٌ كانَ يُقالُ لهُ ابنُ أبي كبشةَ ، قيلَ وهوَ المرادُ في قولِ أهلِ مَكَّةَ حينَ كانوا يستسخرونَ أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أبي كبشةَ[2] ؛ تشبيهاً للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بهِ في مفارقةِ عبادةِ الأصنامِ ، وقيلَ نسبوهُ إلىٰ بعضِ أجدادِهِ لأُمِّهِ

ومِنْ شواهدِ التنكيتِ قولُ الخنساءِ[3] [من الوافر]

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ ٱلشَّمْسِ صَخْراً وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

خَصَّتِ الوقتَينِ لكونِهِما وقتَ إطعامِ الطعامِ ، وتلقِّي المساكينِ والضِّيفانِ

ولأبي تمامٍ مِنَ التنكيتِ قولُهُ[4] [من البسيط]

تِسْعُونَ أَلْفاً كَآسَادِ ٱلشَّرَىٰ نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ ٱلتِّينِ وَٱلْعِنَبِ

مِنْ قصيدةٍ لها خبرٌ يُعرَفُ منهُ نكتةُ اختصاصِ التينِ والعنبِ بالذِّكرِ ،

---

(١) سورة النجم (٤٩)

(٢) أخرجه البخاري (٧) عن سيدنا ابن عباس عن سيدنا أبي سفيان رضي الله عنهما من حديث طويل

(٣) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٢٦)

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٦٩)

حتى اعتَرض عليهِ مَنْ لم يَعرِفِ الخبرَ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ بلغَ المعتصمَ وهوَ في مجلسِ شرابِهِ أنَّ في بلدٍ يُقالُ لها عَمُّوريَّةَ - بتشديدِ الميمِ - مِنْ بلادِ الرومِ أسيرةٌ هاشميةٌ تَصرخُ وا معتصماهْ ، فقالَ المعتصمُ لبَّيكِ لبَّيكِ ، وأمرَ بالختمِ على الكأسِ ، وحلفَ ألَّا يشربَهُ إلَّا بعدَ فتحِ البلدِ وإنقاذِ الأسيرةِ ، فقالَ المُنجِّمونَ إنَّ هٰذا الوقتَ غيرُ صالحٍ للغزوِ ، فلم يَحفِلْ بكلامِهِم ، وخرجَ ، وكانَ المُنجِّمونَ يقولونَ أيضاً إذا لم تُفتَحِ البلدُ قبلَ أوانِ نضجِ التينِ والعنبِ لم تُفتَحْ أبداً ، فقَدَّرَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ أنَّهُ وصلَ إلى البلدِ وفتحَها واستنقذَ الأسيرةَ ، فقامَ أبو تمامٍ وأنشدَهُ قصيدةَ البيتِ ، وأولُها [من البسيط]

اَلسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ

بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ لَا سُودُ ٱلصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ ٱلشَّكِّ وَٱلرِّيَبِ

وهيَ مِنْ جيدِ شعرِ أبي تمامٍ



حسنُ الاتباعِ

هوَ عبارةٌ عن أن يَقصِدَ الشاعرُ إلىٰ معنىً سبقَهُ بهِ غيرُهُ ، فيأخذَهُ ليُخرِجَهُ في صورةٍ أحسنَ مِنَ الصُّورةِ التي كانَ عليها حتىٰ يَستحِقَّهُ وكأنَّهُ لم يُسبَقْ بهِ

ولذٰلكَ يُقالُ مَنْ سَرَقَ واسترقَّ فقدِ استحقَّ ؛ كقولِ بشارٍ[1] [من البسيط]

مَنْ رَاقَبَ ٱلنَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ ... وَفَازَ بِٱلطَّيِّبَاتِ ٱلْفَاتِكُ ٱللَّهِجُ

فأخذَهُ تلميذُهُ سَلْمٌ الخاسرُ ، فاختصرَ وبالغَ حيثُ يقولُ[2] [من مخلع البسيط]

مَنْ رَاقَبَ ٱلنَّاسَ مَاتَ غَمّاً ... وَفَازَ بِٱللَّذَّةِ ٱلْجَسُورُ

وقالَ ابنُ المعتزِّ[3] [من الطويل]

وَتَحْتَ زَنَانِيرٍ شَدَدْنَ عُقُودَهَا ... زَنَانِيرُ أَعْكَانٍ مَعَاقِدُهَا ٱلسُّرَرْ

فأخذَهُ التهاميُّ في قولِهِ[4] [من البسيط]

لَوْلَاهُ لَمْ يَقْضِ فِي أَعْدَائِهِ قَلَمٌ ... وَمِخْلَبُ ٱللَّيْثِ لَوْلَا ٱللَّيْثُ كَٱلظُّفُرِ

مَا صَرَّ إِلَّا وَصَلَّتْ بِيضُ أَنْصُلِهِ ... فِي ٱلْهَامِ أَوْ أَطَّتِ ٱلْأَرْمَاحُ فِي ٱلثَّغَرِ

وَغَادَرَتْ فِي ٱلْعِدَا طَعْناً يَحُفُّ بِهِ ... ضَرْبٌ كَمَا حُفَّتِ ٱلْأَعْكَانُ بِٱلسُّرَرِ

---

(١) انظر « ديوان بشار بن برد » (٢/٥٦)

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٢/٣٥٢)

(٣) انظر « ديوان ابن المعتز » (٢/١٩٣)

(٤) انظر « ديوان التهامي » (ص ١٨٦ ـ ١٨٧)

وقالَ جريرٌ (١) [من الوافر]

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

وتبعَهُ أبو نُواسٍ بقولِهِ (٢) [من السريع]

لَيْسَ عَلَى ٱللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ ٱلْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

وقالَ البحتريُّ (٣) [من الكامل]

أَخْجَلْتَنِي بِنَدَىٰ يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ مَا بَيْنَنَا تِلْكَ ٱلْيَدُ ٱلْبَيْضَاءُ

صِلَةٌ غَدَتْ فِي ٱلنَّاسِ وَهْيَ قَطِيعَةٌ عَجَباً وَبِرٌّ رَاحَ وَهْوَ جَفَاءُ

فتبعَهُ أبو العلاءِ بقولِهِ (٤) [من البسيط]

لَوِ ٱخْتَصَرْتُمْ مِنَ ٱلْإِحْسَانِ زُرْتُكُمُ وَٱلْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي ٱلْخَصَرِ

ومَنْ يَقرأُ الأشعارَ يجدُ شيئاً كثيراً مِنْ ذٰلكَ



(١) انظر « ديوان جرير » (٨٢٣/٢)

(٢) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٦٢)

(٣) انظر « ديوان البحتري » (٢١/١ ـ ٢٢)

(٤) انظر « سقط الزند » (١٢٠/١)

التفريعُ

هوَ نوعانِ

أحدُهُما أن يَحكمَ لمُتعلِّقي أمرٍ بحكمٍ علىٰ وجهٍ يُشعِرُ بتفريعِ الأولِ على الثاني ؛ كقولِ العربيِّ (١) [من البسيط]

أَحْلَامُكُمْ لِسَقَامِ ٱلْجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنَ ٱلْكَلَبِ

قيلَ إنَّ الكَلْبَ تعتريهِ حالةٌ كالجُنونِ ، فإذا عضَّ إنساناً في هٰذهِ الحالةِ جُنَّ ، ويُقالُ كَلِبَ كَلَباً مِنْ بابِ فَرِحَ ، فدواؤُهُ أن يشربَ مِنْ دمِ شريفٍ ، وأنكرَ ذٰلكَ بعضُ الأدباءِ ، وأنَّهُ المرادُ في البيتِ ، وقالَ إنَّ معنى البيتِ مدحُهُم بالشرفِ والسُّؤدَدِ ، وأنَّهُم إذا أُصيبوا في أخذِ الثأرِ كانوا شفاءً مِنَ الغمِّ والحقدِ وحرارةِ القلبِ على القتلىٰ ، حتىٰ يُقالُ هوَ ثأرٌ مُنِيمٌ ؛ إذ كانَتِ العربُ لا تَعتدُّ في أخذِ الثأرِ بقتلِ الأوضاعِ

والثاني مِنْ نوعَيِ التفريعِ هوَ نفيُ زيادةِ شيءٍ موصوفٍ بصفاتٍ علىٰ شيءٍ آخَرَ ؛ كقولِ كثيرٍ (٢) [من البسيط]

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ

يُضَاحِكُ ٱلشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ ٱلنَّبْتِ مُكْتَهِلُ

يَوْماً بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا ٱلْأُصُلُ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/١١١)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/١١٢) ، وفيه أنها للأعشىٰ

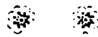
التدبيجُ

هوَ عبارةٌ عن ذكرِ عِدَّةِ ألوانٍ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [1]

[أمثلةٌ من الشعرِ والنثرِ]

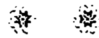
ومِنَ الشِّعرِ كقولِ حسينِ بنِ مُطَيْرٍ [2] [من الطويل]

مُخَصَّرَةُ ٱلْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا ... بِأَكْثَرَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
بِصُفْرٍ تَرَاقِيهَا وَحُمْرٍ أَكُفُّهَا ... وَسُودٍ نَوَاصِيهَا وَبِيضٍ خُدُودُهَا



وقولِ ابنِ حيُّوسٍ [3] [من الخفيف]

إِنْ تُرِدْ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ ... فَٱلْقَهُمْ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نِزَالِ
تَلْقَ بِيض ٱلْوُجُوهِ سُودَ مَثَارِ ٱلنَّـ ... ـقْعِ خُضْرَ ٱلْأَكْنَافِ حُمْرَ ٱلنِّصَالِ



ومِنَ النثرِ كقولِ الحريريِّ (فمُذِ اغبَرَّ العيشُ الأخضرُ ، وازورَّ المحبوبُ الأصفرُ اسودَّ يومي الأبيضُ ، وابيضَّ فَودي الأسودُ ، حتىٰ رثىٰ ليَ العدوُّ الأزرقُ ، فحبذا الموتُ الأحمرُ) [4]

---

(١) سورة فاطر (٢٧)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/١١٩)

(٣) انظر « ديوان ابن حيوس الغنوي » (٢/٤٦٠)

(٤) مقامات الحريري (ص ٨٩ ـ ٩٠)

ولآخَرَ في ذكرِ وقعةٍ (فأوردنا الحديدَ الأخضرَ ، في دمِ الوريدِ الأحمرِ ، مِنْ عدوِّ اللهِ الأزرقِ ، مِنْ بني الأصفرِ)[1]



(١) انظر « وفيات الأعيان » (٧/٣٨)

التفسيرُ ويُقالُ التبيينُ

هوَ عبارةٌ عن أن يأتيَ المُتكلِّمُ في أوَّلِ كلامِهِ بما فيهِ إبهامٌ ، ولا يَستقِلَّ الفهمُ بمعرفةِ المقصودِ منهُ ، فيُعقِبَهُ بما يَكشِفُهُ ويُبيِّنُ الغَرَض منهُ ؛ كقولِ بعضِهِم[1] [من البسيط]

صَالُوا وَجَادُوا وَضَاؤُوا وَٱحْتَبَوْا فَهُمُ أُسْـدٌ وَمُـزْنٌ وَأَقْـمَـارٌ وَأَجْـبَـالُ

لو وقفَ على قولِهِ (واحتبَوا) لم يكنِ الغَرَضُ مِنَ الكلامِ مفهوماً ؛ وهوَ مدحُهُم بتمامِ الشجاعةِ والسخاءِ وسماحةِ الوجوهِ ورجاحةِ الأحلامِ

وكقولِ ابنِ الروميِّ[2] [من الكامل]

آرَاؤُكُـمْ وَوُجُـوهُـكُـمْ وَسُـيُـوفُـكُـمْ فِـي ٱلْـحَـادِثَـاتِ إِذَا دَجَـوْنَ نُـجُـومُ

مِـنْـهَـا مَـعَـالِـمُ لِـلْـهُـدَىٰ وَمَـصَـابِـحٌ تَـجْـلُـو الـدُّجَـىٰ وَٱلْأُخْـرَيَـاتُ رُجُـومُ

فلو وقفَ علىٰ قولِهِ (دجونَ) لم يكنْ مقصودُهُ مفهوماً ، فبيَّنَهُ بأنَّها تَشبِهُ النجومَ ، ثمَّ فَسَّرَ بما للنجومِ مِنَ الخصائصِ علىٰ سبيلِ التقسيمِ

وقولِ محمدِ بنِ [وهيبٍ][3] [من البسيط]

ثَـلَاثَـةٌ تُـشْـرِقُ ٱلـدُّنْـيَـا بِـبَـهْـجَـتِـهَـا شَمْسُ ٱلضُّحَىٰ وَأَبُو إِسْحَاقَ وَٱلْقَمَرُ

يَـحْـكِـي أَفَـاعِـيـلَـهُ فِـي كُـلِّ نَـائِـبَـةٍ ٱلْغَيْثُ وَٱللَّيْثُ وَٱلصَّمْصَامَةُ ٱلذَّكَرُ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٢٣)

(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (٦/٢٣٤٥)

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٢٥)

سياقةُ الأعدادِ ويُقالُ التعديدُ

هوَ عبارةٌ عن ذكرِ مفرداتٍ على نَسَقٍ ، فإنِ اقترنَتْ بمُحسِّنٍ آخرَ ؛ كازدواجٍ أو مقابلةٍ كانَ أتمَّ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١)



ومِنَ الشعرِ كقولِ أبي الطيبِ (٢) [من البسيط]

فَٱلْخَيْلُ وَٱللَّيْلُ وَٱلْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ... وَٱلسَّيْفُ وَٱلرُّمْحُ وَٱلْقِرْطَاسُ وَٱلْقَلَمُ

وكقولِ محمدِ بنِ هانئٍ (٣) [من الكامل]

لِلنَّاسِ إِجْمَاعٌ عَلَىٰ تَفْضِيلِهِ ... حَتَّى ٱسْتَوَى ٱللُّؤَمَاءُ وَٱلْكُرَمَاءُ

وَٱللُّكْنُ وَٱلْفُصَحَاءُ وَٱلْبُعَدَاءُ وَٱلْـ ... ـقُرَبَاءُ وَٱلْخُصَمَاءُ وَٱلشُّهَدَاءُ

فِي ٱلنَّاسِ يَسْرِي جُودُهُ وَجُنُودُهُ ... وَعَدِيدُهُ وَٱلْحَزْمُ وَٱلْآرَاءُ

نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ ٱلسَّمَاءِ بِنَصْرِهِ ... وَأَطَاعَهُ ٱلْإِصْبَاحُ وَٱلْإِمْسَاءُ

وَٱلْفُلْكُ وَٱلْفَلَكُ ٱلْمُدَارُ وَسَعْدُهُ ... وَٱلْغَزْوُ فِي ٱلدَّأْمَاءِ وَٱلدَّأْمَاءُ

وَٱلدَّهْرُ وَٱلْأَيَّامُ فِي تَصْرِيفِهَا ... وَٱلنَّاسُ وَٱلْخَضْرَاءُ وَٱلْغَبْرَاءُ



(١) سورة البقرة : (١٥٥)

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥٤)

(٣) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ١٩ ـ ٢٠)

حسنُ النسقِ

هوَ علىٰ نوعَينِ

أحدُهُما سردُ أوصافٍ لموصوفٍ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ [عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ] ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الآيـةَ[1] ، ومـا أشبـهَهـا مِنَ الآياتِ



والثاني عطفُ عددٍ مِنَ الألفاظِ المتلائمةِ معناها ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ قِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ﴾ الآيةَ[2]

ومِنَ الشعرِ قولُ ابنِ هانئٍ الأندلسيِّ[3] [من الكامل]

قَـدْ جَـالَـتِ ٱلْأَوْهَـامُ فِـيـكَ وَدَقَّـتِ ٱلْـ ... أَلْـبَـابُ عَـنْـكَ وَجَـلَّـتِ ٱلْآلَاءُ

فَعَنَتْ لَكَ ٱلْأَمْصَارُ وَٱنْقَادَتْ لَكَ ٱلْـ ... أَقْـدَارُ وَٱسْـتَـحْـيَـتْ لَـكَ ٱلْأَنْـوَاءُ



---

(١) سورة الحشر (٢٢)

(٢) سورة هود (٤٤) .

(٣) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ٢١) ، و« أنوار الربيع » (٦/١٣٤)

حسنُ التعليلِ

هوَ عبارةٌ عن تعليلِ صفةِ شيءٍ بعِلَّةٍ ادعائيَّةٍ فيها غرابةٌ

[أنواعُهُ وأمثلتُها]

وهوَ علىٰ أربعةِ أنواعٍ ؛ لأنَّ الصِّفةَ

إمَّا ثابتةٌ

أو غيرُ ثابتةٍ يُدَّعَىٰ ثبوتُها

والثابتةُ إمَّا ألَّا يظهرَ لها عِلَّةٌ في العادةِ ، وإمَّا أن يظهرَ

وغيرُ الثابتةِ إمَّا أن تكونَ ممكنةَ الثبوتِ ، أو غيرَ ممكنةٍ

فالأوَّلُ كقولِ أبي الطيبِ (١) [من الكامل]

لَمْ تَحْكِ نَائِلَكَ ٱلسَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا ٱلرُّحَضَاءُ

فإرسالُ السحابِ المطرَ ثابتٌ لا يظهرُ لهُ عِلَّةٌ في العادةِ ، وادَّعىٰ تعليلَهُ باحتمامِها مِنْ حسدِ ممدوحِهِ وغيظِها مِنَ القصورِ عنهُ ، حتىٰ عَرِقَتْ وانصبَّ عَرَقُها ؛ وهوَ الرُّحَضَاءُ

وكقولِ أبي هلالٍ العسكريِّ (٢) [من الكامل]

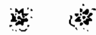
زَعَمَ ٱلْبَنَفْسَجُ أَنَّهُ كَعِذَارِهِ حُسْناً فَسَلُّوا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٧)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٣٦)

فخروجُ ورقةٍ مِنَ البنفسجِ إلىٰ خلفِهِ ثابتٌ لا تظهرُ لهُ عِلَّةٌ ، وادَّعَىٰ أنَّ عِلَّتَهُ الافتراءُ



والثاني كقولِ أبي الطيبِ (١) [من الرمل]

مَـا بِـهِ قَـتْـلُ أَعَـادِيـهِ وَلَـٰكِنْ يَـتَّـقِي إِخْـلَافَ مَا تَـرْجُـو ٱلـذِّئَـابُ

فالقتلُ ثابتٌ ، وعِلَّتُهُ عداوةُ المقتولِ وإزالةُ ضررِهِ

فادَّعَىٰ لهُ عِلَّةً غيرَ تلكَ ؛ وهيَ اتقاؤُهُ وتحاشيهِ مِنْ إخلافِ ما رجتْهُ الذئابُ عندَ رؤيةِ خروجِهِ بالجيشِ مِنْ حصولِ ما اعتادَتْهُ مِنَ الشبعِ علىٰ إثرِ قُفولِهِ مِنْ غزَواتِهِ

وكقولِ ابنِ المعتزِ فيمَنْ أصابَهُ الرمدُ (٢) [من المنسرح]

قَـالُوا ٱشْـتَكَتْ عَيْنُهُ فَقُلْتُ لَـهُـمْ مِـنْ كَـثْرَةِ ٱلْـقَـتْـلِ نَـالَـهَـا ٱلْـوَصَـبُ

حُـمْـرَتُـهَـا مِـنْ دِمَـاءِ مَـا قَـتَـلَـتْ وَٱلـدَّمُ فِـي ٱلـنَّـصْـلِ شَـاهِـدٌ عَـجَـبُ

وكقولِ بعضِهِم (٣) [من المتقارب]

أَتَـتْـنِـي تُـؤَنِّـبُـنِـي فِـي ٱلْـبُـكَـا فَـأَهْـلاً بِـهَـا وَبِـتَـأْنِـيـبِـهَـا

تَـقُـولُ وَفِـي قَـوْلِـهَـا حِـشْـمَـةٌ أَتَـبْـكِـي بِـعَـيْـنٍ تَـرَانِـي بِـهَـا

فَـقُـلْـتُ إِذَا ٱسْـتَـحْـسَـنَـتْ غَـيْـرَكُـمْ أَمَـرْتُ ٱلـدُّمُـوعَ بِـتَـأْدِيـبِـهَـا



(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١١٠)

(٢) كذا في « أنوار الربيع » (١٣٩/٦)

(٣) انظر « أنوار الربيع » (١٣٩/٦ ـ ١٤٠)

والثالثُ كقولِ مسلمِ بنِ الوليدِ[1] [من البسيط]

يَا وَاشِياً حَسُنَتْ فِينَا إِسَاءَتُهُ نَجَّىٰ حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ ٱلْغَرَقِ

فحسنُ إساءةِ الواشي غيرُ ثابتٍ ، فأثبتَهُ وعَلَّلَهُ

والرابع كقولِ الخطيبِ القزوينيّ ترجمةً لشعرٍ فارسيّ [من البسيط]

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ ٱلْجَوْزَاءِ خِدْمَتَهُ لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقِ



(١) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣٢٨)

التعطُّفُ

هوَ أن يأتيَ بلفظٍ في صدرِ البيتِ ، ثمَّ يأتيَ في العَجُزِ بهِ أو شيءٍ مِنْ مُشتقَّاتِهِ ؛ كقولِ أبي الطيبِ (١) [من الطويل]

فَسَاقَ إِلَيَّ ٱلْعُرْفَ غَيْرَ مُكَدَّرٍ ... وَسُقْتُ إِلَيْهِ ٱلْمَدْحَ غَيْرَ مُذَمَّمِ

وممَّا أنشدَ الأصمعيُّ للرشيدِ وقد سألَهُ التذكيرَ (٢) [من الوافر]

فَلَا تَعْجَلْ عَلَىٰ أَحَدٍ بِظُلْمٍ ... فَإِنَّ ٱلظُّلْمَ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ

وَلَا تَفْحُشْ وَإِنْ مُلِّئْتَ غَيْظاً ... عَلَىٰ أَحَدٍ فَإِنَّ ٱلْفُحْشَ لُومُ

وَلَا تَقْطَعْ أَخاً لَكَ عِنْدَ ذَنْبٍ ... فَإِنَّ ٱلذَّنْبَ يَغْفِرُهُ ٱلْكَرِيمُ

وَلَا تَجْزَعْ لِرَيْبِ ٱلدَّهْرِ وَٱصْبِرْ ... فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ فِي ٱلدُّنْيَا سَلِيمُ



---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٤٩) ، وفيه (مجمجم) بدل (مذمم)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١٤٥/٦)

الاستتباعُ

وسمَّاهُ بعضٌ التعليقَ ، وبعضٌ المُضاعفةَ ، وبعضٌ التوجيهَ ؛ وهوَ عبارةٌ عن أن يَتضمَّنَ الكلامُ في أوَّلِهِ نوعاً مِنَ المدحِ أو غيرِهِ ، وفي آخِرِهِ نوعاً آخَرَ منهُ ؛ كقولِ أبي الطيبِ(١) [من الطويل]

نَهَبْتَ مِنَ ٱلْأَعْمَارِ مَا [لَوْ] حَوَيْتَهُ لَهُـنِّئَـتِ ٱلـدُّنْـيَا بِـأَنَّـكَ خَـالِـدُ

فأوَّلُ الكلامِ يَتضمَّنُ مدحَهُ بنهايةِ الشجاعةِ وعُلُوِّ الهِمَّةِ ، وآخِرُهُ يَتضمَّنُ مدحَهُ بأنَّ ذٰلكَ ليسَ عُدواناً وظلماً ؛ إنَّما هوَ لإصلاحِ الأرضِ وإزالةِ الفسادِ وتحصيلِ الفرحِ العامِّ ، حتىٰ إنَّ أهلَ الدنيا يُهنِّئُونَ بتخليدِهِ

وكقولِ ابنِ هانئٍ في الذمِّ(٢) [من الخفيف]

إنَّ لَـفْـظـاً تَـلُـوكُـهُ لَـشَـبِـيـهٌ بِكَ فِي مَنْظَرِ ٱلْجَفَاءِ ٱلْجَلِيفِ



(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٤٥)

(٢) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ٢٢٠)

التمكينُ

هوَ جعلُ قافيةِ البيتِ أو قرينةِ السَّجعِ في مكانِها الذي يُقالُ عندَ سماعِها إنَّهُ لها ، وهوَ السببُ الأكبرُ في حسنِ الكلامِ ومتانتِهِ ، فليسَ أشدُّ علىٰ مَهَرَةِ الشُّعراءِ مِنْ سماعِ القوافي القلقةِ

والطَّريقُ التي يَسلُكُها الشاعرُ أوِ الناثرُ لأجلِ التمكينِ هيَ أن يَستحضِرَ أولاً الألفاظَ التي يريدُ أن يَجعلَها نهاياتٍ ، ثم يأخذَ في إحضارِ المعاني اللَّائقةِ بمعناها ، واختيارِ العباراتِ المناسبةِ لها ، فمتىٰ تَهيَّأَ لهُ ذٰلكَ . تمَّ لهُ التمكينُ ، وأشبهَ كلامُهُ بعضُهُ بعضاً ، وكانَ آخِرُهُ مفهوماً مِنْ أوَّلِهِ ؛ كقولِ [عديّ] ابنِ الرقاعِ العامليِّ مِنْ قصيدتِهِ التي أوَّلُها[1] [من الكامل]

عَـرَفَ ٱلـدِّيَـارَ تَـوَهُّـمـاً فَـٱعْـتَـادَهَـا

في صفةِ غزالةٍ :

تُـــزْجِـــي أَغَـــنَّ كَـــأَنَّ إِبْـــرَةَ رَوْقِـــهِ قَـلَـمٌ أَصَـابَ مِـنَ ٱلـدَّوَاةِ مِـدَادَهَـا

وأكثرُ أشعارِ مَنِ اشتَهرَتْ أشعارُهُم بالجودةِ علىٰ ذٰلكَ



(١) تقدم (٢٧٨/٢)

تأكيدُ المدحِ بما يُشبِهُ الذمَّ
ويُقالُ المدحُ في مَعرِضِ الذمِّ

هوَ عبارةٌ عن ذكرِ صفةِ مدحٍ ثمَّ الاستثناءِ منها صفةَ مدحٍ أخرىٰ ؛ بحيثُ يُوهِمُ أنَّهُ يريدُ الاستدراكَ بإثباتِ صفةِ ذمٍّ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾[1]

وقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « أَنَا أَفْصَحُ ٱلْعَرَبِ ، بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ »[2]

ومِنَ الشعرِ قولُ النابغةِ الذُّبيانيِّ[3] [من الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ ٱلْكَتَائِبِ

وقولُ النابغةِ الجعديِّ[4] [من الطويل]

فَتىً تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ ... عَلَىٰ أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ ٱلْأَعَادِيَا

فَتىً كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ ... جَوَادٌ فَلَا يُبْقِي مِنَ ٱلْمَالِ بَاقِيَا



(١) سورة الواقعة (٢٥ ـ ٢٦)

(٢) تقدم (٢/٣٠٧)

(٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٤٤)

(٤) انظر « ديوان النابغة الجعدي » رضي الله عنه (ص ١٨٨)

الإيضاحُ

هوَ أن يأتيَ بمُبهَمٍ مفرداً أو جملةً ، ثمَّ يُوضِحَهُ ويُبيِّنَهُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ (١)

وقولِهِ : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (٢)



ومِن الشعرِ كقولِ أوسٍ (٣) [من المنسرح]

ٱلْأَلْمَعِيُّ ٱلَّذِي يَظُنُّ بِكَ ٱلظَّـ ... ـنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَىٰ وَقَدْ سَمِعَا

وقولِ أبي الطيبِ (٤) [من الطويل]

وَكَمْ لِظَلَامِ ٱللَّيْلِ عِنْدِيَ مِنْ يَدٍ ... تُخَبِّرُ أَنَّ ٱلْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

وَقَاكَ أَذَى ٱلْأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمُ ... وَزَارَكَ فِيهِ ذُو ٱلدَّلَالِ ٱلْمُحَجَّبُ

المَانَويَّةُ نسبةٌ إلىٰ ماني ؛ وهوَ إمامُ مذهبِ الزنادقةِ الذينَ يقولونَ بإلـٰهينِ ؛ هما النورُ ؛ وهوَ إلـٰهُ الخيرِ ، والظُّلمةُ ؛ وهوَ إلـٰهُ الشرِّ



---

(١) سورة الحجر (٦٦)

(٢) سورة المعارج (١٩ ـ ٢١)

(٣) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ٥٣)

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٥٢)

التوهيمُ

هوَ أن يأتيَ المُتكلِّمُ بكلمةٍ عقبَ لفظٍ يُوهِمُ غيرَها لفظاً أو إعراباً أو معنىً ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ﴾ (1) ، فلفظُ ﴿ أَشَآءُ ﴾ جيءَ بها بعدَ ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ ﴾ ، فالكلامُ يُوهِمُ أنَّها (أساءَ) مِنَ الإساءةِ

[وكقولِهِ] ﴿ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (2) ، الكلامُ يُوهِمُ (ثمَّ لا يُنصروا) بالجزمِ عطفاً ، والغَرَضُ ابتداءُ الإخبارِ

وكقولِهِ ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ (3) ، المراد بالنجمِ الزرعُ

وبعضُ أمثلةِ التوهيمِ تُشبِهُ التوريةَ ، غيرَ أنَّ أحدَ المعنيَينِ في التوهيمِ يكونَ فاسداً لا يَصِحُّ أن يُرادَ ؛ كقولِ الصَّفيِّ الحِلِّيِّ (4) [من الوافر]

وَسَاقٍ مِنْ بَنِي ٱلْأَتْرَاكِ طِفْلٍ ... أَتِيهُ بِهِ عَلَىٰ جَمْعِ ٱلرِّفَاقِ
أُمَلِّكُهُ قِيَادِي وَهْوَ رِقِّي ... وَأَفْدِيهِ بِعَيْنِي وَهْوَ سَاقِي



(1) سورة الأعراف (١٥٦)
(2) سورة آل عمران (١١١)
(3) سورة الرحمٰن (٥ ـ ٦)
(4) انظر « ديوان صفي الدين الحلّي » (ص ٣١٨)

الإلغازُ

عدُّوا هٰذا النوعَ مِنَ البديعِ ، وجعلُهُ فنّاً مُستقِلّاً أليقُ ؛ لأنَّهُ عبارةٌ عن مُؤلَّفاتٍ يُسلَكُ فيها طرقٌ في العباراتِ حتىٰ يَعسُرَ فهمُ المرادِ منها ، وقد خُصَّ بالتأليفِ لبيانِ تلكَ الطرقِ ، ثمَّ لأهلِ النَّباهةِ بُعْدُ قُوَّةٍ على اختراعِ طرقٍ في الإلغازِ غيرُ ما ذُكِرَ ، ومنهُ ما تَستعمِلُهُ العامَّةُ مِنَ الحوازيرِ

ومِنْ أمثلتِهِ قولُ يحيى بنِ أكثمَ في العينِ (١) [من الوافر]

وَبَاسِطَةٍ بِلَا نَصَبٍ جَنَاحاً ... وَتَسْبِقُ مَا يَطِيرُ وَلَا تَطِيرُ
إِذَا أَلْقَمْتَهَا ٱلْحَجَرَ ٱطْمَأَنَّتْ ... وَتَجْزَعُ أَنْ يُبَاشِرَهَا ٱلْحَرِيرُ

وقولُ آخَرَ في الضِّرْسِ (٢) [من البسيط]

وَصَاحِبٍ لَا أَمَلُّ ٱلدَّهْرَ صُحْبَتَهُ ... يَشْقَىٰ لِنَفْعِي وَيَسْعَىٰ سَعْيَ مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَمُذْ وَقَعَتْ ... عَيْنِي عَلَيْهِ تَفَارَقْنَا إِلَى ٱلْأَبَدِ

ولآخَرَ في قَصَبِ السُّكَّرِ (٣) [من الطويل]

وَذِي هَيَفٍ كَٱلْغُصْنِ قَدّاً إِذَا بَدَا ... يَفُوقُ ٱلْقَنَا حُسْناً بِغَيْرِ سِنَانِ
وَأَعْجَبُ مَا فِيهِ يَرَى ٱلنَّاسُ أَكْلَهُ ... مُبَاحاً قُبَيْلَ ٱلْعَصْرِ فِي رَمَضَانِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٤٠ ـ ٤١)
(٢) انظر « وفيات الأعيان » (١/١٩٨ ـ ١٩٩)
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٦/٤٢)

الإردافُ

هوَ بعضُ أنواعِ الكنايةِ المُبيَّنةِ في (علمِ البيانِ) [١]



(١) انظر (٢/٦٠) عند الكلام على الكناية عن صفة

الاتساعُ

هوَ أن يأتيَ المُتكلِّمُ أثناءَ كلامِهِ بما يَحتمِلُ أن يُفسَّرَ بكثيرٍ مِنَ المعاني ؛ لصلاحِهِ لكلٍّ منها ، ومَثَّلُوا لهُ بقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾[(١)]

[اتساعُ أقوالِ العلماءِ في معنىٰ هـٰذهِ الآيةِ]

فقد أمكنَ تفسيرُها بثلاثةٍ وعشرينَ معنىً جُعِلَتْ أقوالاً للعلماءِ[(٢)]

الأولُ قالَ أبو مسلمٍ الزوجُ والفردُ ؛ وهوَ تذكيرٌ بالحسابِ لعِظَمِ نفعِهِ وما يُضبَطُ بهِ مِنَ المقاديرِ ، وهوَ قولُ الحسنِ البصريِّ

الثاني قالَ ابنُ زيدٍ والجُبَّائيُّ جميعُ الخلقِ ؛ لكونِها زوجاً أو فرداً

الثالثُ الشَّفعُ الخَلْقُ ؛ لكونِهِ أزواجاً ؛ كالسماءِ والأرضِ ، والليلِ والنهارِ ، والبَرِّ والبحرِ ، والإنسِ والجنِّ ، والكفرِ والإيمانِ ، والوَترُ اللهُ ؛ وهوَ مرويٌّ مِنْ حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ[(٣)]

الرابع [الشفعُ] صفاتُ الخَلْقِ ؛ لكونِها قدرةً وعَجْزاً ، وحياةً وموتاً ، وعلماً وجهلاً إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، والوَترُ صفاتُ اللهِ

الخامسُ الصلاةُ ، وهوَ مرويٌّ مِنْ حديثِ عمرانَ بنِ حصينٍ[(٤)]

السادسُ : الشَّفعُ يومُ النحرِ ، والوَترُ يومُ عرفةَ ؛ أي شفعُ الليالي العشرِ ووترُها

---

(١) سورة الفجر (٣)

(٢) ساقها بتمامها في « أنوار الربيع » (٦/٥٣ ـ ٥٥)

(٣) انظر « تفسير البغوي » (٤/٤٨١)

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٤٢)

السابعُ يومُ الترويةِ ، ويومُ عرفةَ ، وهوَ مرويٌّ عن جعفرٍ الصادقِ وأبيهِ محمدٍ الباقرِ

الثامنُ شفعُ العشرِ الأخيرةِ مِنْ رمضانَ ، ووترُها

التاسعُ الليالي والأيامُ ، ويومُ القيامةِ

العاشرُ الشَّفعُ والوَترُ للّيالي العشرِ التي أتمَّ اللهُ بها ميقاتَ موسىٰ

الحاديَ عشرَ الصَّفا والمروةُ ، والكعبةُ

الثانيَ عشرَ يوما منىً ، أو ثلاثتُها ؛ فمَنْ تَعجَّلَ في يومَينِ فلا إثمَ عليهِ

الثالثَ عشرَ آدمُ وحواءُ ، واللهُ تعالىٰ

الرابعَ عشرَ آدمُ وحواءُ ، وآدمُ قبلَ حواءَ

الخامسَ عشرَ صلاةُ المغربِ ؛ ركعتانِ ، وركعةٌ

السادسَ عشرَ درجاتُ الجنَّةِ ثمانٍ ، ودركاتُ النارِ سبعةٌ

السابعَ عشرَ هما اللهُ تعالىٰ ، ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ . الآيةَ (١)

الثامنَ عشرَ مسجدا مكةَ والمدينةِ ، والأقصىٰ

التاسعَ عشرَ قِرانُ الحجِّ والتمتعُ ، والإفرادُ

العشرونَ الفرائضُ والسننُ

الحادي والعشرونَ الأعمالُ والنيةُ

---

(١) سورة المجادلة (٧)

الثاني والعشرونَ العبادةُ المُتكرِّرةُ ؛ مِنْ صومٍ وصلاةٍ وغيرِهما ، وغيرُ المُتكرِّرةِ ؛ كالحجِّ

الثالثُ والعشرونَ الروحُ والجسدُ ، والروحُ وحدَهُ

[أمثلةٌ منَ الشعرِ]

هٰذا ؛ ومِنَ الشعرِ كقولِ الحماسيِّ (١) [من البسيط]

بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا ... نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

فالاتساعُ في قولِهِ : (بيضٌ مفارقُنا) ، فقيلَ أرادَ بذٰلكَ الطَّهارةَ والعفافَ ؛ كقولِهِم أبيضُ العِرْضِ والشِّيَمِ والحَسَبِ

وقيلَ أرادَ أنَّهُم كُهولٌ ومشايخُ قد حنَّكَتْهُمُ التجارِبُ ، وليسوا بالأغمارِ

وقيلَ أرادَ أنَّهُم ليسوا بعبيدٍ ؛ لأنَّ [مَفرِقَ] الإنسانِ إذا كانَ أبيض كانَ جميعُ جسدِهِ أبيض

وقيلَ أرادَ انحسارَ الشعرِ عن مُقدَّمِ رؤوسِهِم ؛ لمداومتِهِم لُبْسَ البيضِ والمغافرِ

وقيلَ معناهُ نحنُ أصحابُ حروبٍ ، فقد شابَتْ مفارقُنا مِنْ كثرةِ الشدائدِ

وقيلَ معناهُ نحنُ كرامٌ نكثرُ استعمالَ الطيبِ ، فابيضَّتْ مفارقُنا لذٰلكَ ، ويُقالُ مَنْ أكثرَ استعمالَ الطِّيبِ أسرعَ الشيبُ إليهِ

وقيلَ معناهُ نحنُ مكشوفو الرأسِ ، لا عيبَ فينا ، فعَبَّرَ عنِ النقاءِ بالبياضِ ، والعربُ تقولُ في مدحِ الرجلِ أبيضُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (١/٥٣)

وقيلَ معناهُ نحنُ كرامٌ ، فشابَتْ مفارقُنا دونَ القفا ؛ لأنَّ شيبَ الكرامِ يبدو في المفارقِ ، كما قيلَ [1] [من الطويل]

فَشَيْبُ لِئَامِ ٱلنَّاسِ فِي نُقْرَةِ ٱلْقَفَا وَشَيْبُ كِرَامِ ٱلنَّاسِ يَعْلُو ٱلْمَفَارِقَا

وقيلَ المفارقُ هنا الطرقُ ؛ يقولُ قدِ ابيضَّتْ مفارقُ الطرقِ التي تُؤدِّي إلىٰ رحالِنا لكثرةِ ما يأتينا مِنَ العفاةِ ، فهيَ بيضٌ لائحةٌ لم تعفَ لكثرةِ سالكيها ، وهٰذا الوجهُ أَولىٰ ؛ لمشاكلتِهِ ما بعدَهُ وهوَ قولُهُ (تغلي مراجلُنا) ، والمَراجلُ القُدورُ الكبارُ مِنْ نحاسٍ ، ذكرَ ذٰلكَ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الخطيبُ في « شرح كتابِ الحماسةِ » [2]

وقالَ الصنعانيُّ في كتابِ « الجملةِ والذيلِ والصلةِ » (قد قيلَ في البيتِ المذكورِ مئتا قولٍ) [3] ، وقد أُفرِدَ لتفسيرِهِ كتابٌ

وأقربُ الأقوالِ لِمَا هوَ المتبادرُ مِنْ لفظِ (المفارِق) أنَّهُ كنايةٌ عنِ الشرفِ والسُّؤدَدِ ، فمعنى الكلامِ نحنُ قومٌ أشرافٌ ، نَعمُرُ مجالسَنا للمؤانسةِ والمحادثةِ والمنادمةِ ، وهٰذهِ الخَدَمُ مُتردِّدةٌ حولَنا في أعمالِهِم ، لا نباشرُ عملاً ولا نَتردَّدُ في مَهْنةٍ ، فنحنُ نظافٌ ليسَ علىٰ مفارقِنا غبارٌ كما هوَ شأنُ مَنْ يباشرُ أعمالَ الخدمةِ ، والمُتكفِّلُ بإفادةِ ذٰلكَ قولُهُ (تغلي مراجلُنا)



(١) انظر « أنوار الربيع » (٥٦/٦)
(٢) كذا في « أنوار الربيع » (٥٦/٦) ، وكذا ورد فيه اسم الخطيب
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٥٦/٦)

جمعُ المُؤتلِفِ والمُختلِفِ

هوَ أن يُسوِّيَ بينَ شخصَينِ في المدحِ ، وهوَ يريدُ أن يُفضِّلَ أحدَهُما ، فيَسلُكَ لذلكَ سبيلاً لا يَنقُصُ فيهِ الآخَرَ ؛ كقولِ الخنساءِ تُفضِّلُ أخاها علىٰ أبيها وقد تسابقا[1] [من الكامل]

جَارَىٰ أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا ... يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةَ ٱلْحُضْرِ
فَهُمَا كَأَنَّهُمَا وَقَدْ بَرَزَا ... صَقْرَانِ قَدْ حَطَّا إِلَىٰ وَكْرِ
حَتَّىٰ إِذَا نَزَتِ ٱلْقُلُوبُ وَقَدْ ... لَزَّتْ هُنَاكَ ٱلْعُذْرَ بِٱلْعُذْرِ
وَعَلَا هُتَافُ ٱلنَّاسِ أَيُّهُمَا ... قَالَ ٱلْمُصِيبُ هُنَاكَ لَا أَدْرِي
بَرَزَتْ صَفِيحَةُ[2] وَجْهِ وَالِدِهِ ... وَمَضَىٰ عَلَىٰ غُلْوَائِهِ يَجْرِي
أَوْلَىٰ فَأَوْلَىٰ أَنْ يُسَاوِيَهُ ... لَوْلَا جَلَالُ ٱلسِّنِّ وَٱلْكِبْرِ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٧٠)

(٢) في « أنوار الربيع » (٦/٧٠) (صحيفة)

الإيداعُ ويُقالُ التضمينُ

هوَ أن يُضمِّنَ الشاعرُ كلامَهُ مِصراعاً أو أكثرَ مِنْ كلامِ غيرِهِ ، وربَّما خصَّ اسماً لتضمينِ المِصراعِ

[مِن أغراضِ الإيداعِ]

وهو لأغراضٍ

منها دلالةُ الشاعرِ علىٰ أنَّهُ يُعارِضُ قصيدةَ المُضمَّنِ ؛ كقولِ النواجيِّ في آخرِ قصيدتِهِ التي يتابعُ فيها قصيدةَ كعبٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ [من البسيط]

إنْ لَمْ أَفُزْ بِقَبُولٍ فِي مُتَابَعَتِي ... بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي ٱلْيَوْمَ مَتْبُولُ

ولبعضِ أعيانِ العصرِ ، سامي القَدْرِ والشعرِ ، مِنْ قصيدةٍ يُعارِضُ بها لاميةَ الطُّغرائيِّ المشهورةَ بـ (لاميةِ العجمِ) [من البسيط]

إِنِّي ٱمْرُؤٌ حَلَبَ ٱلْأَيَّامَ أَشْطُرَهَا ... وَشَدَّ فَحْلَ ٱلْهَوَىٰ فِي أَوْثَقِ ٱلْعُقُلِ

مَا زِلْتُ أَبْغِي ٱلصِّبَا حَتَّىٰ إِذَا ٱكْتَمَلَتْ ... أَصَالَةُ ٱلرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ ٱلْخَطَلِ

فَإِنْ يَكُنْ مَرَّ لِي عَصْرٌ أَطَعْتُ بِهِ ... حُكْمَ ٱلتَّصَابِي فَإِنِّي ٱلْيَوْمَ ذُو جَدَلِ

ومنها الانتقادُ علىٰ صاحبِ المُضمَّنِ بأنَّهُ وضعَ الكلامَ في غيرِ موضعِهِ

ومنها الزيادةُ في المُضمَّنِ

ومنها نقلُهُ إلىٰ غيرِ معناهُ ، كما يَتبينُ ذٰلكَ في أمثلتِهِ

وأكثرُ المُتأخِّرينَ تضميناً وقد أتىٰ فيهِ بالعجيبِ الغريبِ **مجيرُ الدينِ**

ابنُ تميمٍ ، ولذٰلكَ يقولُ[1] [من الوافر]

أُطَالِعُ كُلَّ دِيوَانٍ أَرَاهُ ... وَلَمْ أَزْجُرْ عَنِ ٱلتَّضْمِينِ طَيْرِي
أُضَمِّنُ كُلَّ مَعْنىً مُسْتَجَادٍ ... فَشِعْرِي نِصْفُهُ مِنْ شِعْرِ غَيْرِي

فمِنْ تضمينِهِ قولُهُ[2] [من الكامل]

لَوْ كُنْتَ فِي ٱلْحَمَّامِ وَٱلْحِنَّا عَلَىٰ ... أَعْطَافِهِ وَلِجِسْمِهِ لَأْلَاءُ
لَرَأَيْتَ مَا يَسْبِيكَ مِنْهُ بِقَامَةٍ ... سَالَ ٱلنُّضَارُ بِهَا وَقَامَ ٱلْمَاءُ

وقولُهُ تضميناً لهٰذا الشطرِ أيضاً[3] [من الكامل]

لَوْ كُنْتَ شَاهِدَنَا وَقَدْ جُلِيَتْ لَنَا ... فِي كَأْسِهَا وَلِضَوْئِهَا لَأْلَاءُ
لَرَأَيْتَ أَحْسَنَ مَا يُرَىٰ مِنْ أَكْؤُسٍ ... سَالَ ٱلنُّضَارُ بِهَا وَقَامَ ٱلْمَاءُ

وهٰذا الشطرُ ؛ وهوَ (سالَ النضارُ بها وقامَ الماءُ) مِنْ قولِ المتنبي في مدحِ [أبي] عليِّ بنِ هارونَ ، وكانَ أقامَ في بلدٍ أيَّامَ الشتاءِ وقد جَمَدَ الماءُ بالثلجِ ، وبيتُ الشطرِ[4] [من الكامل]

وَكَذَا ٱلْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِبَلْدَةٍ ... سَالَ ٱلنُّضَارُ بِهَا وَقَامَ ٱلْمَاءُ

فأنتَ ترىٰ أنَّ قولَهُ : (وقامَ الماءُ) لا يَدخُلُ في جزاءِ الشرطِ ، وتصحيحُهُ أن تَجعلَ الجملةَ حالاً ، ويكونُ المعنىٰ أنَّ الممدوحَ يكثرُ إنفاقُهُ وإحسانُهُ حالَ اشتدادِ البردِ ، ويكونُ كقولِ العربيِّ[5] [من الرمل]

نَحْنُ فِي ٱلْمَشْتَاةِ نَدْعُو ٱلْجَفَلَىٰ ... لَا تَرَى ٱلْآدِبَ مِنَّا يَنْتَقِرْ

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٧٩)
(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٤/١٤١)
(٣) انظر « مطالع البدور » (١/١٧٩)
(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٤)
(٥) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٦٥)

وكذٰلكَ يَخصُّونَ الشتاءَ بظهورِ جودِ الجوادِ ؛ لكونِهِ الوقتَ الذي يُعوِّقُ المسكينَ عنِ الضربِ في البلادِ في ابتغاءِ فضلِ اللهِ تعالىٰ ، وقد أجادَ مجيرُ الدينِ في تضمينِهِ ، ولهُ في تضمينِ قولِ المتنبي أيضاً في بيتٍ يَتخلَّصُ منهُ إلى المدحِ (١) [من البسيط]

لَوِ ٱسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ إِلَىٰ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بُعْرَانَا

[قالَ]

وَمَعْشَرٍ عَذَلُوا لَمَّا رَكِبْتُ عَلَىٰ أَحْوَىٰ مَحَاسِنُهُ قَبَّحْنَ فِعْلَهُمُ

دَعْ يَعْذُلُوا مَا ٱسْتَطَاعُوا إِنَّنِي رَجُلٌ لَوِ ٱسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ

[قصةُ الحيصَ بيصَ معَ الجروِ]

ومِنْ ظريفِ التضمينِ ما حكاهُ القاضي شمسُ الدِّينِ ابنُ خِلِّكانَ في « تاريخِهِ » (٢) أنَّ الحيص بيص الشاعرَ خرجَ ليلةً مِنْ دارِ الوزيرِ شرفِ الدِّينِ بنِ طرادٍ الزينبيِّ ، فنبحَ عليهِ جروٌ وكانَ مُتقلِّداً سيفاً ، فوَكَزَهُ بعقبِ السيفِ فماتَ ، فبلغَ ذٰلكَ أبا القاسمِ هبةَ اللهِ بنَ المفضلِ المعروفَ بابنِ القطانِ الشاعرِ ، فنظمَ أبياتاً وضَمَّنَها بيتَينِ لبعضِ العربِ قتلَ أخوهُ ابناً لهُ ، فقُدِّمَ إليهِ ليُقتادَ منهُ ، فألقى السيفَ وأنشدَهُما ، والبيتانِ المذكورانِ يوجدانِ في البابِ الأوَّلِ مِنْ كتابِ « الحماسةِ » (٣) ، ثمَّ إنَّ ابنَ المفضلِ المذكورَ جعلَ الأبياتَ في ورقةٍ وعَلَّقَها في عنقِ كلبةٍ لها جراءٌ ، ورتَّبَ معَها مَنْ يطردُها وأولادَها إلىٰ بابِ الوزيرِ المذكورِ كالمستغيثةِ ،

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١٤٢)

(٢) وفيات الأعيان (٦/٥٤ ـ ٥٥)

(٣) شرح الحماسة للتبريزي (١/١١٠)

فأُخِذَتِ الورقةُ مِنْ عنقِها وعُرِضَتْ على الوزيرِ ، فإذا فيها [من البسيط]

يَا أَهْلَ بَغْدَادَ إِنَّ ٱلْحَيْص بَيْص أَتَىٰ ... بِفَعْلَةٍ أَلْبَسَتْهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْبَلَدِ
أَبْدَىٰ شَجَاعَتَهُ بِٱللَّيْلِ مُجْتَرِئاً ... عَلَىٰ جُرَيٍّ ضَعِيفِ ٱلْبَطْشِ وَٱلْجَلَدِ
وَلَيْسَ فِي يَدِهِ مَالٌ يَدِيهِ بِهِ ... وَلَمْ يَكُنْ بِبَوَاءٍ عَنْهُ فِي ٱلْقَوَدِ
فَأَنْشَدَتْ جَعْدَةٌ مِنْ بَعْدِ مَا ٱحْتَسَبَتْ ... دَمَ ٱلْأُبَيْلِقِ عِنْدَ ٱلْوَاحِدِ ٱلصَّمَدِ
أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً ... إِحْدَىٰ يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدِ
كِلَاهُمَا خَلَفٌ مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ ... هَٰذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

وللشيخِ عزِّ الدينِ الموصليِّ (١) [من الكامل]

نَادَمْتُ قَوْماً لَا خَلَاقَ لَهُمْ وَلَا ... مَيْلٌ إِلَىٰ طَرَبٍ وَلَا سُمَّارِ
يَسْتَيْقِظُونَ إِلَىٰ نَهِيقِ حِمَارِهِمْ ... وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ ٱلْأَوْتَارِ

البيتُ الثاني لبعضِ العربِ يهجو قوماً بالجبنِ ، وأنَّهُم لا يَقدِرونَ علىٰ أخذِ ثاراتِهِم ؛ وهيَ الأوتارُ ، ونقلَها الشيخُ إلىٰ أوتارِ العِيدانِ



---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٨١)

الالتزامُ ويُقالُ لزومُ ما لا يَلزمُ

هوَ أن يَلتزِمَ الشاعرُ أوِ الناثرُ قبلَ حرفِ الانتهاءِ حرفاً أو أكثرَ ؛ كقولِ الطُّغرائيِّ في مَطلعِ (اللَّاميَّةِ)(١) [من البسيط]

أَصَالَةُ ٱلرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ ٱلْخَطَلِ ... وَحِلْيَةُ ٱلْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى ٱلْعَطَلِ

وكقولِ عمرَ بنِ أبي ربيعةَ(٢) [من البسيط]

بِٱللهِ قُولِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ ... مَاذَا أَرَدْتَ بِطُولِ ٱلْمُكْثِ فِي ٱلْيَمَنِ

إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ رَضِيتَ بِهَا ... فَمَا أَفَدْتَ بِتَرْكِ ٱلْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ

ولعمرِو بنِ أحمدَ الباهليِّ(٣) [من الطويل]

وَمَنْ يَطْلُبِ ٱلْمَعْرُوفَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ... يَجِدْ مَطْلَبَ ٱلْمَعْرُوفِ غَيْرَ يَسِيرِ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَجْعَلْ لِعِرْضِكَ جُنَّةً ... مِنَ ٱلذَّمِّ سَارَ ٱلذَّمُّ كُلَّ مَسِيرِ

وللحسنِ بنِ عليٍّ الواسطيِّ(٤) [من الطويل]

بَرَانِي ٱلْهَوَىٰ بَرْيَ ٱلْمَدَىٰ وَأَذَابَنِي ... صُدُودُكِ حَتَّىٰ صِرْتُ أَنْحَلَ مِنْ أَمْسِ

فَلَسْتُ أُرَىٰ حَتَّىٰ أَرَاكِ وَإِنَّمَا ... يَبِينُ هَبَاءُ ٱلذَّرِّ فِي أُفُقِ ٱلشَّمْسِ

ولأبي العلاءِ ديوانُ شعرٍ كلُّهُ مِنْ هٰذا النوعِ ، وإنَّما يَحسُنُ الالتزامُ إذا

---

(١) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠١)

(٢) انظر « ديوان عمر بن أبي ربيعة » (ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥)

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٦/٩٥)

(٤) انظر « أنوار الربيع » (٦/٩٧)

حَسُنَ معَهُ الكلامُ ، وإلَّا استحقَّ صاحبُهُ ما قالَ الأَبِيوَرْديُّ [1] [من السريع]

شِعْرُ ٱلْمَرَاغِيِّ وَحُوشِيَّتُهُ كَعَقْلِهِ أَسْلَمُهُ أَسْقَمُ
يَلْزَمُ مَا لَيْسَ لَهُ لَازِماً لَكِنَّهُ يَتْرُكُ مَا يَلْزَمُ



(١) انظر « ديوان الحسن بن علي الواسطي » (٢/١٥٨) ، وفيه (أسقمُهْ ، يلزمُهْ)

المُزاوجةُ

هوَ أن يُرتِّبَ فعلاً واحداً مُختلِفَ المُتعلَّقِ علىٰ شرطٍ وجزائِهِ ؛ كقولِ البحتريِّ [1] [من الطويل]

إِذَا مَا نَهَى ٱلنَّاهِي فَلَجَّ بِيَ ٱلْهَوَىٰ ... أَصَاخَتْ إِلَى ٱلْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا ٱلْهَجْرُ

وقولِهِ [2] [من الطويل]

إِذَا ٱحْتَرَبَتْ يَوْماً فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا ... تَذَكَّرَتِ ٱلْقُرْبَىٰ فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا



(١) انظر « ديوان البحتري » (٨٤٤/٢)

(٢) انظر « ديوان البحتري » (١٢٩٩/٢)

التجريدُ

هوَ أن تُجرِّدَ مِنْ شيءٍ آخَرَ للمبالغةِ في المعنىٰ ؛ كقولِ القائلِ [من الطويل]

تَرَىٰ مِنْهُمُ ٱلْأُسْدَ ٱلْغِضَابَ إِذَا سَطَوْا وَتَنْظُرُ مِنْهُمْ فِي ٱللِّقَاءِ بُدُورَا

ويكونُ بـ (مِنْ) كهٰذا

وبالباءِ ؛ مثلُ (إنَّكَ لتلقىٰ بفلانٍ البحرَ)

وبـ (في) كقولِهِ تعالىٰ ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ﴾ [1]

وبغيرِ ذٰلكَ ؛ كقولِ الأعشىٰ [2] [من المنسرح]

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ ٱلْمَطِيَّ وَلَا يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلَا

كأنَّهُ قالَ هوَ يشربُ بكفِّ كريمٍ

ومِنَ التجريدِ : ما في خطابِ المرءِ نفسَهُ ؛ كقولِ أبي الطيبِ [3] : [من البسيط]

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيُسْعِدِ ٱلنُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ ٱلْحَالُ



(١) سورة فصلت (٢٨)

(٢) انظر « ديوان الأعشىٰ » (٢/٩٣)

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٦٦)

إيهامُ التوكيدِ

هوَ تكريرُ لفظٍ لتأسيسِ المعاني ، فيُوهِمُ التوكيدَ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ ﴾ (١)

ومِنَ الشعرِ كقولِ عليِّ بنِ أحمدَ [الزوزنيِّ] (٢) [من المتقارب]

لَقَدْ حَلَّ بِي عَجَبٌ عَاجِبُ ... تَقَاصَرَ وَصْفِيَ عَنْ كُنْهِهِ

رَأَيْتُ ٱلْهِلَالَ عَلَىٰ وَجْهِ مَنْ ... رَأَيْتُ ٱلْهِلَالَ عَلَىٰ وَجْهِهِ

وكقولِ آخَرَ [من الرجز]

قَالَتْ لِتِرْبٍ مَعَهَا مُنْكِرَةً ... لِوَقْفَتِي هَٰذَا ٱلَّذِي نَرَاهُ مَنْ

قَالَتْ فَتىً يَشْكُو ٱلْهَوَىٰ مُتَيَّمٌ ... قَالَتْ بِمَنْ قَالَتْ بِمَنْ قَالَتْ بِمَنْ



(١) سورة التوبة (١٠٨)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٦٠)

الترصيعُ

هوَ أن يجعلَ الشاعرُ أوِ الناثرُ جميعَ ألفاظِ الشطرَينِ أوِ الفقرتَينِ على نهايةٍ واحدةٍ سوى لفظةِ الضَّربِ في الشعرِ ؛ كقولِ الحريريِّ في المَقامةِ الأولى (يَطبَعُ الأسجاعَ بجواهرِ لفظِهِ ، ويقرعُ الأسماعَ بزواجرِ وعظِهِ)[١]

ولرشيدِ الدِّينِ العمريِّ المشهورِ بالوطواطِ قصائدُ مِنْ هٰذا النوعِ ، منها قولُهُ[٢] [من الطويل]

جَنَابُ ضِيَاءِ ٱلدِّينِ لِلْبِرِّ مَرْتَعُ … وَبَابُ ضِيَاءِ ٱلدِّينِ لِلْحُرِّ مَرْبَعُ

وَسِيرَتُهُ ٱلزَّهْرَاءُ لِلْحَقِّ مَعْلَمٌ … وَسُدَّتُهُ ٱلشَّمَّاءُ لِلْخَلْقِ مَجْمَعُ

فَجُدِّدَ مِنْهُ لِلْمَرَاشِدِ أَرْسُمٌ … وَشُيِّدَ مِنْهُ لِلْمَحَامِدِ أَرْبُعُ

وَعَلْيَاهُ فِيهَا لِلْخَوَاطِرِ مَسْرَحٌ … وَلُقْيَاهُ فِيهَا لِلنَّوَاظِرِ مَرْتَعُ

فَمَنْهَلُ مَنْ يَرْوِي ثَنَاءَكَ مُفْعَمٌ … وَمَنْزِلُ مَنْ يَنْوِي جَفَاءَكَ بَلْقَعُ

وَصَوْلُكَ لِلْأَشْرَارِ مُثْوٍ وَمُتْلِفٌ … وَطَوْلُكَ لِلْأَخْيَارِ مُرْوٍ وَمُشْبِعُ

وجاءَ منهُ في الكتابِ العزيزِ مثلُ قولِهِ تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾[٣] ، ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[٤]



(١) مقامات الحريري (ص ٩)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٦٣ ـ ١٦٤)

(٣) سورة الانفطار : (١٣ ـ ١٤)

(٤) سورة الغاشية (٢٥ ـ ٢٦)

الحذفُ

هوَ التزامُ إخلاءِ الكلامِ مِنْ حرفٍ أو أكثرَ ، أو مِنْ نوعٍ كالمُعجَمِ ؛ فيكونُ الكلامُ مِنَ الحروفِ المهملةِ ، أو المُهمَلِ ؛ فيكونُ مِنَ المعجمةِ ، وللحريريِّ في « المَقاماتِ » مِنْ هٰذَينِ النوعَينِ كلامٌ طويلٌ

[الخطبةُ المونقةُ لسيدنا عليٍّ رضي الله عنه]

ومِنَ المَرويِّ أنَّهُ اجتمعَ ناسٌ مِنْ أصحابِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ فيهِم عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، فتذاكروا أكثرَ الحروفِ دوراناً ، فقيلَ الأَلِفُ ، فخَطَبَهُم رضيَ اللهُ عنهُم خُطبةً أخلاها منها ، وتُسمَّى (المونقةَ) ؛ وهيَ هٰذهِ[1]

حمدتُ مَنْ عظمَتْ مِنَّتُهُ ، وسبَغَتْ نعمتُهُ ، وسبقَتْ رحمتُهُ ، وتَمَّتْ كلمتُهُ ، ونَفَذَتْ مشيئتُهُ ، وبلغَتْ حُجَّتُهُ ، وعدلَتْ قضيَّتُهُ ، حمدتُهُ حمدَ مُقرٍّ بربوبيَّتِهِ ، مُنخضعٍ لعبوديَّتِهِ ، مُتنصِّلٍ مِنْ خطيئتِهِ ، مُعترِفٍ بتوحيدِهِ ، مُؤمِّلٍ مِنْ ربِّهِ مغفرةً تنجيهِ يومَ يشغلُ عن فصيلتِهِ وبنيهِ ، ونستعينُهُ ونسترشدُهُ ، ونؤمنُ بهِ ونتوكَّلُ عليهِ

وشهدتُ لهُ بضميرٍ مُخلصٍ موقنٍ ، وفَرَّدتُهُ تفريدَ مؤمنٍ [متيقنٍ] ، ووحَّدتُهُ توحيدَ عبدٍ مذعنٍ ليسَ لهُ شريكٌ في مُلكِهِ ، ولم يكنْ لهُ وليٌّ في صنعِهِ ، جلَّ عن مشيرٍ ووزيرٍ ، وتَنزَّهَ عن مثلٍ ونظيرٍ

عَلِمَ فسترَ ، وبطنَ فخبرَ ، وملكَ فقهرَ ، وعُصِيَ فغفرَ ، وحكمَ فعدلَ ، لم يزلْ ولن يزولَ ، وليسَ كمثلِهِ شيءٌ ، وهوَ قبلَ كلِّ شيءٍ ، وبعدَ كلِّ شيءٍ

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٩/١٤٠ ـ ١٤٣)

ربٌّ مُتفرّدٌ بعِزَّتِهِ ، مُتمكّنٌ بقُوّتِهِ ، مُتقدّسٌ بعُلُوّهِ ، مُتكبّرٌ بسمُوّهِ ، ليسَ يُدرِكُهُ بصرٌ ، ولم يُحِطْ بهِ نظرٌ ، قويٌّ منيعٌ ، بصيرٌ سميعٌ ، عليٌّ حكيمٌ ، رؤوفٌ رحيمٌ

عَجَزَ في وصفِهِ مَنْ يصفُهُ ، وضلَّ في نعتِهِ مَنْ يَعرِفُهُ

قَرُبَ فبَعُدَ ، وبَعُدَ فقَرُبَ ، يجيبُ دعوةَ مَنْ يدعوهُ ، ويَرزقُ عبدَهُ ويحبوهُ ، ذو لطفٍ خفيٍّ ، وبطشٍ قويٍّ ، ورحمةٍ مُوسَّعةٍ ، وعقوبةٍ مُوجِعةٍ ، رحمتُهُ جَنَّةٌ عريضةٌ مُونِقةٌ ، وعقوبتُهُ جحيمٌ مُؤصَدةٌ مُوبِقةٌ

وشهدتُ ببعثِ محمدٍ عبدِهِ ورسولِهِ ، وصفيِّهِ وحبيبِهِ وخليلِهِ ، بعثَهُ في خيرِ عصرٍ ، وفي حينِ فترةٍ وكفرٍ ؛ رحمةً لعبيدِهِ ، ومِنَّةً لمريدِهِ ، ختمَ بهِ نُبوَّتَهُ ، وقَوّىٰ بهِ حُجّتَهُ ، فوعظَ ونصحَ ، وبَلّغَ وكدحَ ، رؤوفٌ بكلِّ مؤمنٍ ، وليٌّ سخيٌّ ، زكيٌّ رَضِيٌّ ، عليهِ رحمةٌ وتسليمٌ ، وبركةٌ وتكريمٌ ، مِنْ ربٍّ غفورٍ رحيمٍ ، قريبٍ مجيبٍ

وصَّيتُكُم معشرَ مَنْ حضرَني بتقوىٰ ربِّكُم ، وذَكَّرتُكُم بسُنَّةِ نبيِّكُم ، فعليكُم برهبةٍ تُسكِّنُ قلوبَكُم ، وخشيةٍ تُذري دموعَكُم ، وتقيَّةٍ تنجيكُم قبلَ يومٍ [يذهلُكُم] ويبليكُم ، يومٌ يفوزُ فيهِ مَنْ ثقلَ وزنُ حسنتِهِ ، وخَفَّ وزنُ سيئتِهِ ، ولتكنْ مسألتُكُم مسألةَ ذُلٍّ وخضوعٍ ، وشكرٍ وخشوعٍ ، بتوبةٍ ونزوعٍ ، وندمٍ ورجوعٍ

وليغتنمْ كلُّ مُغتنِمٍ منكُم صحَّتَهُ قبلَ سقمِهِ ، وشبيبتَهُ قبلَ هرمِهِ ، وسَعتَهُ قبلَ عدمِهِ ، وخَلوتَهُ قبلَ شغلِهِ ، وحضرَهُ قبلَ سفرِهِ ، قبلَ هوَ يكبرُ ويَهرمُ ، ويَمرضُ ويَسقمُ ، ويَملُّهُ طبيبُهُ ، ويُعرِضُ عنهُ حبيبُهُ ، ويَتغيَّرُ عقلُهُ ، وينقطعُ عمرُهُ ، ثمَّ قبلُ هوَ موعوكٌ ، وجسمُهُ منهوكٌ ، ثمَّ جدَّ في نزعٍ شديدٍ ، وحضرَهُ كلُّ قريبٍ وبعيدٍ ، فشَخَصَ ببصرِهِ ، وطمحَ بنظرِهِ ، ورشحَ جبينُهُ وجذبَتْ

نفسُهُ ، ونَكَبَتْ عِرسُهُ ، وحُفِرَ رَمسُهُ ، ويُتِّمَ ولدُهُ ، وتَفرَّقَ عنه عددُهُ ، وقُسِّمَ جمعُهُ ، وذهبَ بصرُهُ وسمعُهُ ، وغُمِّض ومُدِّدَ ، ووُجِّهَ وجُرِّدَ ، وغُسِّلَ ونُشِّفَ وسُجِّيَ ، وبُسِطَ له وهُيِّئَ ، ونُشِرَ عليهِ كفنُهُ ، وشُدَّ منهُ ذَقَنُهُ ، وقُمِّص وعُمِّمَ ، ولُفَّ وسُلِّمَ ، وحُمِلَ فوقَ سريرٍ ، وصُلِّيَ عليهِ بتكبيرٍ ، ونُقِلَ مِنْ دُورٍ مزخرفةٍ ، وقصورٍ مُشيَّدةٍ ، وحُجَرٍ مُنجَّدةٍ ، فجُعِلَ في ضريحٍ ملحودٍ ، ولحدٍ ضَيِّقٍ [مرصودٍ][1] ، بِلَبِنٍ منضودٍ ، يُسقَفُ بجُلمودٍ ، وهِيلَ [عليهِ] حفرُهُ ، وحُثِيَ عليهِ مدرُهُ ، فتَحقَّقَ حذرُهُ ، ونُسِيَ خبرُهُ ، ورجعَ عنهُ وليُّهُ ونسيبُهُ ، وتَبدَّلَ بهِ قريبُهُ وحبيبُهُ ، وصفيُّهُ ونديمُهُ ، فهوَ حَشْوُ قبرٍ ، ورهينُ قَفْرٍ ، يَسعىٰ في جسمِهِ دودُ قبرِهِ ، ويَسيلُ صديدٌ مِنْ مِنخِرِهِ ، ويُسحَقُ بدنُهُ ولحمُهُ ، ويُنشفُ دمُهُ ، ويرمُّ عظمُهُ ، حتىٰ يومِ حشرِهِ ، فيُنشَرُ مِنْ قبرِهِ ، حتىٰ يُنفَخَ في صورٍ ، ويُدعىٰ لحشرٍ ونشورٍ

فثَمَّ بُعثِرَتْ قُبورٌ ، وحُصِّلَتْ سريرةُ صدورٍ ، وجيءَ بكلِّ نبيٍّ وصِدِّيقٍ ، وشهيدٍ مِنطيقٍ ، وتَوحَّدَ لفصلٍ عندَ ربٍّ قديرٍ ، بعبيدِهِ خبيرٌ بصيرٌ ، فكَمْ مِنْ زفرةٍ تُفنيهِ ، وحسرةٍ تُنضيهِ ، في موقفٍ مَهولٍ عظيمٍ ، ومشهدٍ جليلٍ جسيمٍ ، بينَ يدَيْ ملكٍ كريمٍ ، بكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ عليمٌ ، حينَئذٍ يُلجِمُهُ عَرَقُهُ ، ويَحفِزُهُ قلقُهُ ، عبرتُهُ غيرُ مرحومةٍ ، وصرختُهُ غيرُ مسموعةٍ ، وحُجَّتُهُ غيرُ مقبولةٍ ، ونُوِّلَ صحيفتَهُ ، وتَبيَّنَ جريرتَهُ ، ونطقَ كلُّ عضوٍ منهُ بسوءِ عملِهِ ، فشهدَتْ عينُهُ بنظرِهِ ، ويدُهُ ببطشِهِ ، ورجلُهُ بخطوِهِ ، وجلدُهُ بمسِّهِ ، وفرجُهُ بلمسِهِ

ويُهَدِّدُهُ مُنكَرٌ ونكيرٌ ، وكشفَ عنهُ بصيرٌ ، فسُلسِلَ جِيدُهُ ، وغُلَّتْ يدُهُ ، وسِيقَ يُسحَبُ وحدَهُ ، فوردَ جهنَّمَ بكربٍ شديدٍ ، وظلَّ يُعذَّبُ في جحيمٍ ،

---

(١) في الأصل (مرصوص)

وسُقِيَ شربةً مِنْ حميمٍ ، تَشوي وجهَهُ ، وتَسلَخُ جلدَهُ ، يَضربُهُ زبانيتُهُ بمِقمَعٍ مِنْ حديدٍ ، يعودُ جلدُهُ بعدَ نضجِهِ بجلدٍ جديدٍ ، يَستغيثُ فتُعرِضُ عنهُ خزنةُ جهنَّمَ ، ويَستصرِخُ فيلبثُ حِقْبةً يَندمُ

نعوذُ بربٍّ قديرٍ ، مِنْ شرِّ كلِّ مصيرٍ ، ونسألُهُ عفوَ مَنْ رضيَ عنهُ ، ومغفرةَ مَنْ قبلَ منهُ ، فهوَ وليُّ مسألتِي ، ومُنجِحُ طَلِبَتِي ؛ فمَنْ زُحزِحَ عن تعذيبِ ربِّهِ سكنَ في جنَّتِهِ بقربِهِ ، وخُلِّدَ في قصورٍ مُشيَّدةٍ ، ومُكِّنَ مِنْ حورٍ عينٍ وحَفَدَةٍ ، وطِيفَ عليهِ بكؤوسٍ ، وسكنَ حظيرةَ [قُدُّوسٍ] ، وتَقلَّبَ في نعيمٍ ، وسُقِيَ مِنْ تسنيمٍ ، وشربَ مِنْ عينِ سلسبيلٍ ، ممزوجةٍ بزنجبيلٍ ، مختومةٍ بمِسكٍ وعبيرٍ

مستديمٌ للحُبورِ ، مُستشعِرٌ للسُّرورِ ، يشربُ مِنْ خُمورٍ ، في روضٍ مُشرِقٍ مُغدِقٍ ، ليسَ يُصدَّعُ مَنْ شربَهُ ، وليسَ يُنزَفُ

هٰذهِ مثوبةُ مَنْ خَشِيَ ربَّهُ ، وحَذِرَ نفسَهُ ، وتلكَ عقوبةُ مَنْ جَحَدَ [مشيئةَ] مُنشيهِ ، وسَوَّلَتْ لهُ نفسُهُ معصيةَ مُبديهِ

ذٰلكَ قولٌ فصلٌ ، وحُكمٌ عدلٌ ، خيرُ قَصَصٍ قُصَّ ، ووعظٍ نُصَّ ، تنزيلٌ مِنْ حكيمٍ حميدٍ ، نزلَ بهِ روحُ قدسٍ مبينٍ ، علىٰ قلبِ نبيٍّ مهتدٍ مكينٍ ، صَلَّتْ عليهِ رسلٌ سَفَرةٌ ، مُكرَّمونَ بَرَرةٌ ، عذتُ بربٍّ رحيمٍ ، مِنْ شرِّ كلِّ رجيمٍ ، فليَتضرَّعْ مُتضرِّعُكُم ، وليبتهلْ مُبتهِلُكُم ، فأستغفرُ ربَّ كلِّ مربوبٍ لي ولكُم انتهتْ

وفي سلوكِ هٰذهِ [الطرقِ] دلالةٌ علىٰ سَعَةِ الحفظِ ، وقُوَّةِ الاستحضارِ ، وأكثرُ الكلامِ الطويلِ جاءَ مِنَ المُهمَلِ ؛ لسعتِهِ ، ولبعضِهِم تفسيرٌ على القرآنِ كلُّهُ مُهمَلٌ !!



التسميطُ

هوَ نوعانِ

الأوَّلُ أن يَجعلَ البيتَ علىٰ ثلاثةِ أجزاءٍ مِنْ رويٍّ واحدٍ ، ثمَّ القافيةُ ؛ كقولِ جنوبٍ [الهذليةِ] (١) [من المتقارب]

وَحَــزْبٍ وَرَدْتَ وَثَــغْــرٍ سَــدَدْتَ وَعِلْجٍ شَدَدْتَ عَلَيْهِ ٱلْحِبَالَا
وَمَالٍ حَوَيْتَ وَخَيْلٍ حَمَيْتَ وَضَيْفٍ قَرَيْتَ يَخَافُ ٱلْوَكَالَا

والثاني هوَ التخميسُ المعروفُ ؛ كقولِ امرئِ القيسِ (٢) [من الطويل]

وَمُسْتَلْئِمٍ كَشَّفْتُ بِٱلرُّمْحِ ذَيْلَهُ أَقَمْتُ بِعَضْبٍ ذِي شَقَائِقَ مَيْلَهُ
فَجَعْتُ بِهِ فِي مُلْتَقَى ٱلْكَرِّ خَيْلَهُ تَرَكْتُ عِتَاقَ ٱلطَّيْرِ تَحْجِلُ حَوْلَهُ
كَأَنَّ عَلَىٰ سِرْبَالِهِ نَضْحَ جِرْيَالِ

وعلىٰ هٰذا المثالِ حذا مَنْ يَعمِدُ إلى الأبياتِ أوِ القصيدةِ ، فيضيفُ لها ثلاثةَ أشطارٍ ؛ ليكونَ شعراً مُخمَّساً

ومِنْ حيثُ إنَّهُ يلزمُ فيهِ أن يكونَ الكلامُ متلائماً ، جديدَ المعاني ، مُنسجِماً معَ الأصلِ كانَ الإحسانُ فيهِ قليلاً

يُحكىٰ أنَّ بعضَ الشعراءِ المجيدينَ خطرَ علىٰ بالِهِ وهوَ في الروضةِ الشريفةِ بينَ القبرِ والمِنبرِ أن يُخَمِّسَ همزيةَ أبي سعيدٍ الأبوصيريِّ ،

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٩٠)
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٩٥ ـ ١٩٦)

فأسعفَهُ اللهُ بالفاتحةِ ؛ وهيَ قولُهُ [من الخفيف]

بِـٱبْـنِ عِـمْـرَانَ شُـرِّفَـتْ سِـيـنَـاءُ وَبِـإِدْرِيـسَ وَٱلْـمَـسِـيـحِ ٱلـسَّـمَـاءُ
وَلَـكَ ٱلْـعَـرْشُ مَـوْطِـنٌ وَوِطَـاءُ كَـيْـفَ تَـرْقَـىٰ رُقِـيَّـكَ ٱلْأَنْـبِـيَـاءُ
يَـا سَـمَـاءً مَـا طَـاوَلَـتْـهَـا سَـمَـاءُ

ثمَّ أخذَتْهُ سِنَةٌ ، فرأى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يقولُ لهُ حسبُكَ ؛ فإنَّهُ ما كانَ يُقدرُ أن يُستمَرَّ علىٰ هٰذا النمطِ



التجزئةُ

هيَ أن يُجزَّأَ البيتُ أجزاءَ عروضيةً مسجوعةً برويَّينِ مختلفَينِ ؛ أحدُهُما يوافقُ القافيةَ ، والآخَرُ يخالفُها ؛ كقولِ القائلِ[1] [من الكامل]

هِـنْـدِيَّـةٌ لَـحَـظَـاتُـهَـا خَـطِّـيَّـةٌ   خَـطَـرَاتُـهَـا دَارِيَّـةٌ نَـفَـحَـاتُـهَـا



---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٠١)

سلامةُ الاختراعِ

هوَ عبارةٌ عن أن يُبدِعَ الشاعرُ أمراً شعريّاً لم يَسبِقْهُ أحدٌ إليهِ ، وموضعُ ذٰلكَ الطبقاتُ المُتأخِّرةُ عنِ الطَّبقاتِ الأُوَلِ التي آخِرُها طبقةُ بشَّارٍ

وتحصيلُ سلامةِ الاختراعِ لا يصلُ إلى اليقينِ إلَّا بعدَ معرفةِ كلِّ ما قيلَ ، وإن كانَ المعنىٰ مُخترَعاً بحَسَبِ عدمِ اطلاعِ صاحبِهِ عليهِ فلا يُعَدُّ سارقاً ، ولٰكنْ لا يُقالُ إنَّهُ مُخترِعٌ ، بل تواردَ خاطرُهُ وخاطرُ سابقِهِ

فمِنَ المذكورِ شاهداً لسلامةِ الاختراعِ مِنْ كلامِ المُتأخِّرينَ قولُ ابنِ الروميّ مِنْ أهلِ القرنِ الثالثِ[1] [من الطويل]

تَوَدَّدْتُ حَتَّىٰ لَمْ أَدَعْ مُتَوَدَّدَا وَأَفْنَيْتُ أَقْلَامِي عِتَاباً مُرَدَّدَا

كَأَنِّيَ أَسْتَدْنِي بِكَ ٱبْنَ حَنِيَّةٍ إِذَا ٱلنَّزْعُ أَدْنَاهُ مِنَ ٱلصَّدْرِ أَبْعَدَا

وكقولِ أبي الطيبِ مِنْ أهلِ القرنِ الرابعِ في مدحِ كافورِ الإخشيديّ وكانَ أسودَ[2] [من الطويل]

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانُ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَآقِيَا

وقولِهِ[3] [من البسيط]

صَدَمْتَهُمْ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَسَمْهَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمُ

فَكَانَ أَثْبَتُ مَا فِيهِمْ جُسُومَهُمُ يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَٱلْأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ

---

(١) انظر « ديوان ابن الرومي » (٢/٧٧٠)

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٣٥)

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣١٩)

أوَّلُ البيتَينِ مِنْ قولِ الحماسيِّ [1] [من الوافر]

فَلَوْ أَنَّا شَهِدْنَاكُمْ نَصِرْنَا بِذِي لَجَبٍ أَزَبَّ مِنَ ٱلْعَوَالِي

الأزبُّ مِنَ الإبلِ كثيرُ شعرِ الوجهِ ، وعَبَّرَ مكانَهُ المتنبي بالغمِ

ولأبي العلاءِ [2] [من البسيط]

وَٱلنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ ٱلْأَبْصَارُ طَلْعَتَهُ وَٱلذَّنْبُ لِلْعَيْنِ لَا لِلنَّجْمِ فِي ٱلصِّغَرِ

ولابنِ القيسرانيِّ [من البسيط]

هُوَ ٱلَّذِي سَلَبَ ٱلْعُشَّاقَ نَوْمَهُمُ أَمَا تَرَىٰ عَيْنَهُ مَلْآىٰ مِنَ ٱلْوَسَنِ

المُخترَعُ لهُ حسنُ التعليلِ ، وإلَّا فالوسنُ في الأعينِ مِنَ المعاني الأولِ ، مِنْ لطيفِهِ في كلامِ العربِ [3] [من الكامل]

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ ٱلنِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ [جاسِمِ]

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ ٱلنُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ



(١) انظر « شرح الحماسة » للمرزوقي (١/٥١٩)

(٢) انظر « شروح سقط الزند » (١/١٦٢) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (١/٣٣٦)

ائتلافُ اللفظِ معَ المعنىٰ

هوَ أن تكونَ الألفاظُ موافقةً للمعاني ؛ فتختارُ الألفاظَ الجَزْلةَ والعباراتِ الشديدةَ لمعاني الفخرِ والحماسِ ، والكلماتِ الرقيقةَ والعباراتِ اللينةَ للغزلِ والنسيبِ ، وصفةِ الكأسِ والساقي ، والنديمِ والمُغنِّي ومجلسِ الشرابِ ، كما قيلَ لكلِّ مَقَامٍ مَقالٌ

[محاورةٌ بين خلادٍ وبشارِ بنِ بردٍ]

ويرشدُكَ لذلكَ ما حُكِيَ أنَّ خلَّاداً قالَ لبشارِ بنِ بردٍ[1] إنَّكَ لتجيءُ بالشيءِ المتفاوتِ ، قالَ وما ذاكَ ؟ قلتُ بينَما تقولُ شعراً تثيرُ بهِ النقعَ ، وتخلعُ بهِ القلوبَ ؛ مثلَ قولِكَ [من الطويل]

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً هَتَكْنَا حِجَابَ ٱلشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمَا
إِذَا مَا أَعَرْنَا سَيِّداً مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَىٰ مِنْبَرٍ صَلَّىٰ عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

إلىٰ أن تقولَ [من مجزوء الوافر]

رَبَابَةُ رَبَّةُ ٱلْبَيْتِ تَصُبُّ ٱلْخَلَّ فِي ٱلزَّيْتِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكٌ حَسَنُ ٱلصَّوْتِ

فقالَ : لكلِّ شيءٍ وجهٌ وموضعٌ ، فالقولُ الأوَّلُ جيدٌ ، وهٰذا قلتُهُ في جاريتي ربابةَ ، وأنا لا آكلُ البيض مِنَ السُّوقِ ، فربابةُ هٰذهِ لها عشرُ دجاجاتٍ وديكٌ ، فهيَ تجمعُ ليَ البيض وتحفظُها ، فهٰذا مِنْ قولي عندَها أحسنُ مِنْ [من الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

---

(١) انظر الخبر في « معاهد التنصيص » (١/٢٩٤ ـ ٢٩٥)

[وصيةٌ للشاعرِ والكاتبِ]

ومِنْ كتابِ « الوساطةِ » للقاضي أبي الحسنِ عليّ بنِ عبدِ العزيزِ الجرجانيِّ قولُهُ في وصيةِ الشاعرِ والكاتبِ ؛ فهوَ يعلمُكَ مواقعَ أنواعِ الكلامِ (لا آمرُكَ بإجراءِ أنواعِ الشعرِ كلِّهِ مُجرىً واحداً ، ولا أن تذهبَ بجميعِهِ مذهبَ بعضِهِ ، بل أرىٰ لكَ أن تقسمَ الألفاظَ علىٰ مراتبِ المعاني ، فلا يكونَ غزلُكَ كافتخارِكَ ، ولا مديحُكَ كوعيدِكَ ، ولا هجاؤُكَ كاستبطائِكَ ، ولا هزلُكَ بمنزلةِ جِدِّكَ ، ولا تعريضُكَ مثلَ تصريحِكَ ، بل تُرتِّبُ كلّاً مرتبتَهُ ، وتوفيهِ حَقَّهُ ، فتتلطَّفُ إذا تَغزَّلتَ ، وتُفخِّمُ إذا افتخرتَ ، وتَتصرَّفُ للمديحِ تَصرُّفَ مواقعِهِ ؛ فإنَّ المدحَ بالشجاعةِ والبأسِ يَتميَّزُ عنِ المدحِ باللَّباقةِ والظَّرْفِ ، ووصفَ الحربِ والسلاحِ ليسَ كوصفِ المجلسِ والندامِ (١) ، ولكلِّ واحدٍ مِنَ الأمرَينِ نهجٌ هوَ أملكُ بهِ ، وطريقٌ لا يشاركُهُ الآخَرُ فيهِ

وليسَ ما رسمتُهُ لكَ في هـٰذا البابِ بمقصورٍ على الشعرِ دونَ الكتابةِ ، ولا يَختصُّ بالنظمِ دونَ النثرِ ، بل يجبُ أن تكونَ كتابتُكَ في الفتحِ أوِ الوعيدِ خلافَ كتابتِكَ في الشوقِ أوِ التهنئةِ ، وخطابُكَ إذا حذَّرتَ وزجرتَ أفخمَ منهُ إذا وعدتَ ومنَّيتَ) انتهىٰ (٢)

وإذا تأمَّلتَ الكتابَ العزيزَ في تصرُّفِ العباراتِ للوعدِ والوعيدِ ، وخطابِ الحضريِّ والأعرابِ ، والتذكيرِ ونصِّ الأحكامِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأنواعِ مرَّ بكَ ذٰلكَ في المَحَجَّةِ البيضاءِ ، وإنَّ ائتلافَ اللفظِ معَ المعنىٰ هوَ أعظمُ أركانِ البلاغةِ ، ومِنْ جهتِهِ يَنحَطُّ شأنُ البليغِ أو يرتفعُ



---

(١) كذا في « أنوار الربيع » (٢١٩/٦) ، وفي « الوساطة بين المتنبي وخصومه » (ص ٣٠) (المدام)

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه (ص ٣٠)

ائتلافُ اللفظِ معَ الوزنِ

هوَ أن يكونَ الكلامُ المنظومُ بمنزلةِ الكلامِ المنثورِ ؛ بحيثُ لا يَضطرُّ الوزنُ الشاعرَ إلىٰ تقديمٍ وتأخيرٍ يُبعِدُ فهمَ المعنىٰ ، ولا إلىٰ مخالفةِ لغةٍ أو إعرابٍ ، كما وقعَ للفرزدقِ في قولِهِ (١) [من الطويل]

وَمَا مِثْلُهُ فِي ٱلنَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

وكقولِ المتنبي (٢) [من الكامل]

أَنَّىٰ يَكُونُ أَبَا ٱلْبَرَايَا آدَمٌ وَأَبُوكَ وَٱلثَّقَلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ

أي وأبوكَ محمدٌ ، والثَّقلانِ أنتَ

وكقولِ الكميتِ (٣) [من الخفيف]

لَا كَعَبْدِ ٱلْمَلِيكِ أَوْ كَوَلِيدِ أَوْ سُلَيْمَانَ بَعْدُ أَوْ كَهِشَامِ

أي عبدِ الملكِ



فالخُلاصةُ ألَّا يحيلَ الشاعرُ علىٰ ضرورةِ الشعرِ ، فإذا لزمَ عليهِ ذٰلكَ لضَعفِهِ وجبَ أن يتركَ حتىٰ يقوىٰ ؛ ليستريحَ ويريحَ



---

(١) تقدم أول الكتاب (١/٧٠)

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٥)

(٣) انظر « ديوان الكميت » (ص ٤٩٧)

ائتلافُ الوزنِ معَ المعنىٰ

أرادَ البديعيُّونَ أن يسلمَ الشعرُ مِنَ القلبِ الكائنِ في مثلِ قولِ القطاميّ[1] [من الوافر]

كَمَا طَيَّنْتَ بِٱلْفَدَنِ ٱلسِّيَاعَا

وقد سبقَ القولُ في القلبِ في فنِّ المعاني[2]



(١) تقدم (٢/٩٩) ، والبيت بتمامه

فَلَمَّا أَنْ جَرَىٰ سِمَنٌ عَلَيْهَا　　　كَمَا طَيَّنْتَ بِٱلْفَدَنِ ٱلسِّيَاعَا

(٢) انظر (٢/٩٨ ـ ٩٩)

ائتلافُ اللفظِ معَ اللفظِ

هوَ عبارةٌ عن كونِ ألفاظِ العبارةِ مِنْ وادٍ واحدٍ في الغرابةِ والتأهُّلِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾[1] ، لمَّا أتىٰ بالتاءِ التي هيَ أغربُ حروفِ القسمِ أتىٰ معَها بـ ﴿ تَفْتَؤُاْ ﴾ الذي هوَ أغربُ أفعالِ الاستمرارِ ، وجاورَهُما بقولِهِ ﴿ حَرَضًا ﴾

وكـذٰلكَ ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾[2] مكانَ واللهِ ؛ لأكسرنَّ أصنامَكُم بعدَ أن تذهبُوا



(١) سورة يوسف (٨٥)

(٢) سورة الأنبياء (٥٧)

الموازنةُ

هوَ أن يجعلَ أجزاءَ البيتِ العروضيَّةَ كقولِ امرئِ القيسِ[1] [من المتقارب]

أَفَــادَ فَــسَــادَ وَقَــادَ فَــزَادَ وَسَــادَ فَــجَــادَ وَعَــادَ فَــأَفْــضَــلْ

وقولِ ابنِ هانئٍ[2] [من الكامل]

وَعَــوَانِــسٌ وَقَــوَانِــسٌ وَفَــوَارِسٌ وَكَــوَانِــسٌ وَأَوَانِــسٌ وَقَــنَــابِــلُ



(١) كذا في « أنوار الربيع » (٦/٢٢١)

(٢) انظر « ديوان محمد بن هانئ الأندلسي » (ص ٢٩٦)

السَّجعُ

هوَ تقفيةُ الكلامِ المنثورِ علىٰ نهاياتٍ متماثلةٍ

قيلَ ولا يُقالُ في القرآنِ سجعٌ ، بل يقالُ فواصلُ

وأحسنُ السَّجعِ ما كانَتْ ألفاظُهُ علىٰ ترتيبِ معانيهِ ؛ بحيثُ لا يظهرُ لأجلِهِ تكلُّفٌ بتقديمٍ وتأخيرٍ ، وما قَصُرَتْ فيه القرائنُ أحسنُ ممَّا طالَتْ فيهِ ، وكذٰلكَ تساوي القرائنِ أحسنُ مِنْ طولِ الثانيةِ عنِ الأُولىٰ ، وعكسُهُ غيرُ حسنٍ

قيلَ للصَّاحبِ ابنِ عبادٍ ما أحسنُ السَّجعِ ؟ قالَ ما خفَّ على السمعِ ، قيلَ مثلُ ماذا ؟ قالَ مثلُ هٰذا(١)

[أمثلةٌ من كلامِ رؤساءِ الصناعةِ]

ولنوردْ لكَ بعض فصولٍ مِنْ كلامِ رؤساءِ الصِّناعةِ ؛ لتكونَ لكَ مثالاً تَتمكَّنُ بهِ مِنْ معرفةِ محاسنِ السَّجعِ ؛ كتبَ الصَّاحبُ ابنُ عبادٍ إلى القاضي أبي بشرٍ الفضلِ بنِ محمدٍ الجرجانيِّ ، وقد بلغَهُ أنَّهُ وافدٌ عليهِ ، وأرسلَ بها معَ غلامٍ بريديٍّ ليعودَ إليهِ بتعيينِ يومِ وصولِهِ [من الوافر]

تَحَدَّثَتِ ٱلرِّكَابُ بِسَيْرِ أَرْوَىٰ ... إِلَىٰ بَلَدٍ حَطَطْتُ بِهِ خِيَامِي

فَكِدْتُ أَطِيرُ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهَا ... بِقَادِمَةٍ كَقَادِمَةِ ٱلْحَمَامِ

أفحقٌّ ما قيلَ مِنْ أمرِ القادمِ ، أم ظنٌّ كأمانيِّ الحالمِ ، لا واللهِ ، بل هو دَرَكِ العِيانِ ، وأنَّهُ ونيلَ المنىٰ سيَّانِ ، فمرحباً براحلتِكَ ورحلِكَ ، وأهلاً بكَ

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٢)

وبجميعِ أهلِكَ ، ويا سرعةَ ما فاحَ نسيمُ مَسراكَ ، ووجدنا ريحَ يوسفَ مِنْ ريَّاكَ ، فحُثَّ المَطيَّ [تَزُلْ] عِلَّتِي بلقياكَ ، وتبردْ غُلَّتي بسُقياكَ ، ونُصَّ علىٰ يومِ الوصولِ نجعلْهُ عيداً مشرفاً ، ونتخذْهُ موسماً ومُعرّفاً ، ورُدَّ الغلامَ ، أسرعَ مِنْ رجعِ الكلامِ ؛ فقد أمرتُهُ أن يطيرَ علىٰ جناحِ نسرٍ ، وأن يتركَ الصبا في عقالِ أسرٍ ، والسلامُ[١]

وكتبَ مُهنِّئاً بمولودةٍ أهلاً وسهلاً بعقيلةِ النساءِ ، وكريمةِ الآباءِ ، وأمِّ الأبناءِ ، وجالبةِ الأصهارِ ، والأولادِ الأطهارِ ، والمُبشِّرةِ بإخوةٍ يتناسقونَ ، ونجباءَ يتلاحقونَ

فَلَوْ كَانَ ٱلنِّسَاءُ كَمِثْلِ هَٰذِي لَفُضِّلَتِ ٱلنِّسَاءُ عَلَى ٱلرِّجَالِ
وَمَا ٱلتَّأْنِيثُ لِٱسْمِ ٱلشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا ٱلتَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ

فادّرِعِ اغتباطاً ، وتهنَّ نشاطاً ؛ فالدنيا مُؤنَّثةٌ ، ومنها خُلِقَتِ البريَّةُ ، وفيها كَثُرَتِ الذريةُ ، والسماءُ مُؤنَّثةٌ ، وقد زُيِّنَتْ بالكواكبِ ، وحُلِّيَتْ بالنجمِ الثاقبِ ، والنفسُ مُؤنَّثةٌ ، وبها قِوامُ الأبدانِ ، ومِلاكُ الحيوانِ ، والجنةُ مُؤنَّثةٌ ، وبها وُعِدَ المُتقونَ ، وفيها يُنَعَّمُ المُرسلونَ ، فهنيئاً مريئاً ، ما أُوليتَ ، وأوزعَكَ اللهُ شكرَ ما أُعطيتَ[٢]

ولبديعِ الزمانِ الهَمَذانيِّ انظرْ إلى الكلامِ وقائلِهِ ؛ فإن كانَ وليّاً فهوَ الوَلاءُ وإن خَشُنَ ، وإن كانَ عدوّاً فهوَ البلاءُ وإن حَسُنَ ، ألا ترىٰ إلى العربِ تقولُ قاتلَهُ اللهُ ، ولا يريدونَ الذمَّ ، ولا أبا لهُ ، في الأمرِ إذا تمَّ[٣]

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٤/٦ ـ ٢٥٥)
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٥/٦ ـ ٢٥٦) ، والبيتان السابقان من بحر الوافر
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٦/٦)

ولهُ فائدةُ الاعتقادِ أفضلُ في الانتقادِ ، والسَّماحُ يكسرُ الرِّماحَ ، والصَّفحُ يَفُلُّ الصِّفاحَ ، والجُودُ أنصرُ مِنَ الجنودِ ، وكشفُ الضُّرِّ عنِ الحرِّ أجملُ مِنْ كشفِ الصَّدَفِ عَنِ الدُّرِّ ، ومَنْ عُرِفَ بالمَنْحِ قُصِدَ بالمدحِ

وخيرُ الإخـوانِ مَنْ ليسَ بخوَّانٍ ، ودُّهُ ميمونٌ ، وغَيبُهُ مأمونٌ ، فهوَ يحالفُكَ ولا يخالفُكَ ، ويرافقُكَ ولا يفارقُكَ ، ويوافقُكَ ولا ينافقُكَ ، إذا حضرتَ حنا عليكَ ، وإذا غبتَ حنَّ إليكَ(١)

ولهُ ما أشبهَ وعدَ الشيخِ في الخِلافِ إلَّا بشجرِ الخِلافِ ؛ [خضرةٌ] في العينِ ، ولا ثمرةَ في البينِ ، فما ينفعُ الوعدُ ، ولا إنجازَ مِنْ بعدُ ، ومثلُ الوعدِ مثلُ الرعدِ ، ليسَ لهُ خطرٌ ، إن لم يتلُهُ مطرٌ

ولهُ كتابي مِنْ هَرَاةَ ولا هَرَاةَ ؛ فقد طحنَتْها المِحَنُ كما يُطحَنُ الدَّقيقُ ، وقَلَّبَتْها كما يُقلَّبُ الرَّقيقُ ، وبلعَتْها كما يُبلَعُ الرِّيقُ ، وقد خدمتُ الشيخَ سنينَ ، واللهُ لا يضيعُ أجرَ المحسنينَ ، ونادمتُهُ والمنادمةُ رضاعٌ ثانٍ ، ومالحتُهُ والممالحةُ نسبٌ دانٍ ، وسافرتُ معَهُ والسَّفرُ والأُخوَّةُ رضيعا لِبانٍ ، وقمتُ بينَ يدَيهِ والقيامُ والصلاةُ شريكا عِنانٍ ، وأثنيتُ عليهِ والثناءُ مِنَ اللهِ بمكانٍ ، وأخلصتُ لهُ والإخلاصُ محمودٌ بكلِّ لسانٍ(٢)

يشيرُ بقولِهِ (والثناءُ مِنَ اللهِ بمكانٍ) إلىٰ ما وردَ « لَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ ٱلْمَدْحُ مِنَ ٱللهِ »(٣)

ولهُ للشيخِ مِنَ الصُّدورِ ما ليسَ للفؤادِ ، ومِنَ القُلوبِ ما ليسَ للأولادِ ، كأنَّما اشتُقَّ مِنْ جميعِ الأكبادِ ، ووُلِدَ بجميعِ البلادِ ، سواءٌ الحاضرُ فيهِ والبادِ ،

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٦)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٦ ـ ٢٥٧)

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٣٤) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه

فكلُّ أفعالِهِ غُرَّةٌ في ناصيةِ الأيامِ ، وزهرةٌ في جُنحِ الظَّلامِ ، إلَّا أنَّ ما أحبَّهُ لفلان[1] روضٌ أنا وَسْميُّهُ ، وغصنٌ أنا قُمريُّهُ ، وعودٌ جمرُهُ لساني ، وجودٌ شكرُهُ ضماني[2]

ولهُ المرءُ جَزوعٌ لٰكنَّهُ حَمولٌ ، والإنسانُ في النوائبِ شَموسٌ ثمَّ ذلولٌ ، ولقد عشتُ بعدَ الشيخِ لٰكنْ عيشةَ الحوتِ في البَرِّ ، وبقيتُ لٰكنْ بقاءَ الثلجِ في الحَرِّ[3]

ولهُ كتابي إلى البحرِ وإن لم أرَهُ ، فقد سمعتُ خبرَهُ ، واللَّيثُ وإن لم ألقَهُ ، فقد تَصوَّرتُ خَلْقَهُ ، والمَلِكُ وإن لم أكنْ لقيتُهُ ، فقد لقيَني صيتُهُ ، ومَنْ رأىٰ مِنَ السَّيفِ أثرَهُ فقد رأىٰ أكثرَهُ ، وهٰذهِ الحضرةُ وإن احتاجَ إليها المأمونُ ، ولم يستغنِ عنها قارونُ ، فإنَّ الأحبَّ إليَّ أن أقصدَها قصدَ موالٍ ، لا قصدَ سؤالٍ ، والرجوعُ عنها بجمالٍ أحبُّ إليَّ مِنَ الرجوعِ عنها بمالٍ ، قدمتُ التعريفَ ، وأنا أنتظرُ الجوابَ الشريفَ[4]

ولهُ حضرتُهُ التي هيَ كعبةُ المحتاجِ ، إن لم تكنْ كعبةَ الحاجِّ ، ومشعرُ الكرامِ ، إن لم تكنِ المشعرَ الحرامَ ، ومُنى الضَّيفِ ، إن لم تكنْ مِنى الخيفِ ، وقِبلةُ الصِّلاتِ ، إن لم تكنْ قِبلةَ الصلاةِ

ولهُ حرسَ اللهُ هٰذهِ الدنانيرَ ، ورزقَنا منها الكثيرَ ؛ إنَّها لتفعلُ ما لا تفعلُ التوراةُ والإنجيلُ ، وتغني ما لا يغني التنزيلُ والتأويلُ ، وتُصلِحُ ما لا يُصلِحُ جبريلُ [وميكائيلُ][5]

---

(١) في « أنوار الربيع » (ما أوجبه لفلان)
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٧/٦)
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٧/٦)
(٤) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٧/٦)
(٥) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٧/٦)

ولهُ : هٰذا الذي تاهَ علينا بحسنِ قَدِّهِ ، وزها علينا بوردِ خَدِّهِ ، قد نسخَ الدهرُ آيةَ حسنِهِ ، وأقامَ مائلَ غصنِهِ ، وانتصرَ لنا منهُ بشعراتٍ كسفتْ هلالَهُ ، وأكسفَتْ بالَهُ ، ومسخَتْ جمالَهُ ، وغَيَّرَتْ حالَهُ

فَمَنْ لَكَ بِٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَيْكَ بِهَا فِي سَالِفِ ٱلدَّهْرِ أَنْظُرُ

أيامَ كنتَ تتلفَّتُ ، والأكبادُ تَتفتَّتُ ، فاقصرِ الآنَ عمَّا صارَ وكانَ ؛ فإنَّهُ سوقٌ كسدَ ، ومتاعٌ فسدَ ، ودولةٌ أعرضَتْ ، وأيامٌ انقضَتْ ، ويومٌ صارَ أمسِ ، وحسرةٌ بقيَتْ في النفسِ ، فحتَّامَ تدلُّ وإلامَهْ ؟ وكم تَحتمِلُ وعلامَهْ ؟ (١)



ولأبي بكرٍ محمدِ بنِ أحمدَ اليوسفيِّ الشوقُ الذي أقاسي ، والذي مرَّ براسي يَهُدُّ الجبالَ الرواسيَ ؛ مِنْ نواكبَ أوهَتِ المناكبَ ، وعوارض شيَّبَتِ العوارض ، ومحنٍ عظامٍ ، أثَّرَتْ في العِظامِ ، وللأيامِ دولٌ متعاقبةٌ ، ولِلصَّبرِ الجميلِ أحمدُ عاقبةٍ (٢)



وللقاضي أبي أحمدَ منصورِ بنِ محمدٍ الهرويِّ ، وكتبَ إلىٰ صديقٍ أهداهُ وردةً وصلَتِ الوردةُ الفردةُ ، لا زالَ ذكرُهُ كريَّاها عَرْفاً ، ودهرُهُ [كفضْلِها] ظَرْفاً ، وحالُ أوليائِهِ كأغصانِها خضرةً ، ووجوهُ أعدائِهِ كلونِها صفرةً ، فسَرَّتِ القلبَ ، وسَرَّتِ الكربَ ، وأدَّتِ الأربَ ، وأهدَتِ الطربَ ، ودعتْ إلى الرسمِ المألوفِ ، وأمرَتْ بالمُنكرِ المعروفِ

وافتْنا والليلُ قد حطَّ رِواقَهُ ، وحلَّ نِطاقَهُ ، والصُّبحُ قد بسطَ رداءَهُ ، ورفعَ

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٨) ، والبيت المارُّ من بحر الطويل

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٨)

لواءَهُ ، والندىٰ طلٌّ ، والنسيمُ مبتلٌّ ، والمُزنُ منسجمٌ ، وثغرُ الصُّبحِ مبتسمٌ ، ونحنُ نبوحُ بما في الصُّدورِ ، ونطيرُ بأجنحةِ السُّرورِ ، فوُضِعَتِ الوردةُ على الرؤوسِ ، وأُدِيرَتْ معَ الكؤوسِ ، ونطقَتِ الأوتارُ ، وصدحَتِ الأطيارُ ، ولكلِّ ذي فطنةٍ فتنةٌ ، ولكلِّ ذي توبةٍ أوبةٌ ، وعندَ كلِّ لفتةٍ حَيرةٌ ، ومعَ كلِّ دورةٍ سكرةٌ

ولهُ يُهنِّئُ مَنْ عادَتْ لهُ الوزارةُ [من مجزوء الكامل]

اَلـشَّـمْـسُ فِـي رَأْدِ ٱلـضُّـحَـىٰ وَٱلْـبَـدْرُ فِـي جُـنْـحِ ٱلـدُّجَـىٰ
وَٱلْـمَـاءُ فِـي حَـرِّ ٱلـصَّـدَىٰ وَٱلْـغَـيْـثُ جَـادَ عَـلَى ٱلـثَّـرَىٰ
وَٱلْـمُـزْنُ تَـضْـحَـكُ فِـي ٱلـرُّبَـىٰ وَٱلْـوَرْدُ جَـمَّـشَـهُ ٱلـنَّـدَىٰ
وَٱلـصُّـبْـحُ تَـقْـدَمُـهُ ٱلـصَّـبَـا وَٱلْـعَـيْـشُ فِـي زَمَـنِ ٱلـصِّـبَـا
وَٱلْـقُـرْبُ صَـبَّ عَـلَى ٱلـنَّـوَىٰ وَٱلْـقَـلْـبُ رَقَّ مَـعَ ٱلْـهَـوَىٰ
وَٱلـطَّـرْفُ غَـازَلَـهُ ٱلْـكَـرَىٰ وَٱلـصَّـفْـوُ بَـاعَـدَهُ ٱلْـقَـذَىٰ
وَٱلْـحَـلْـيُ فِـي ثَـغْـرِ ٱلـدُّمَـىٰ وَمَـنَـازِلٌ لَـكَ بِـٱلْـحِـمَـىٰ
وَعُـهُـودُ سُـعْـدَىٰ بِـٱلـلِّـوَىٰ وَٱلـدَّهْـرُ يُـسْـعِـفُ بِـٱلْـمُـنَـىٰ
وَٱلْـبُـرْءُ فِـي عَـقِـبِ ٱلـضَّـنَـىٰ وَٱلْـفَـقْـرُ يَـطْـوِيـهِ ٱلْـغِـنَـىٰ
وَٱلْـبِـشْـرُ يَـتْـبَـعُـهُ ٱلـنَّـدَىٰ وَٱلـنَّـشْـرُ مِـنْ بَـعْـدِ ٱلْـبِـلَا
وَٱلْـوُدُّ فِـي أَثَـرِ ٱلْـقِـلَا وَٱلْـمَـحْـلُ يَـطْـرُدُهُ ٱلْـحَـيَـا
وَٱلْـعَـتْـبُ يَـمْـحُـوهُ ٱلـرِّضَـا وَٱلْـكَـفُّ تَـسْـمَـحُ بِـٱلـلُّـهَـىٰ
وَمُـذَاكَـرَاتُ ذَوِي ٱلـنُّـهَـىٰ وَٱلـرَّأْيُ يَـعْـضُـدُهُ ٱلْـحِـجَـا
وَٱلْـجِـدُّ سَـاعَـدَ وَٱعْـتَـلَـىٰ وَٱلْـحَـظُّ أَدْرَكَ مَـا رَجَـا

بها وبما لها مِنَ الأمثالِ ، سارَتْ سوائرُ الأمثالِ ، فيما يوافقُ النفوسَ والطباعَ ، ويؤنسُ الأبصارَ والأسماعَ ، وأحسنُ مِنْ كلِّ هٰذا التمثيلِ ، أيامُ الشيخِ الجليلِ ، وقد أتاهُ اسمٌ لم يزلْ معناهُ

فَيَا حُسْنَ ٱلزَّمَانِ وَقَدْ تَحَلَّىٰ ... بِهَٰذَا ٱلْفَخْرِ وَٱلْإِقْبَالِ صَدْرُهْ
وَكَانَ ٱلدَّهْرُ يَغْدُرُ بَعْدَ هَٰذَا ... فَحُلَّ وَفَاؤُهُ وَٱنْحَلَّ غَدْرُهْ
تَصَدَّرَ لِلْوِزَارَةِ مُسْتَحِقٌّ ... تَسَاوَىٰ قَدْرُهَا أَبَداً وَقَدْرُهْ
فَقُلْ فِي ٱلنَّصْلِ وَافَقَهُ نِصَابٌ ... وَقُلْ فِي ٱلْأُفْقِ أَشْرَقَ فِيهِ بَدْرُهْ (١)

والحمدُ للهِ الذي زانَ الشجرَ بالثمرِ ، وحلَّى البرجَ بالقمرِ ، وآنسَ العرينَ بالأسدِ ، وأهدى الروحَ إلى الجسدِ ، ولم أنسَ ـ أدامَ اللهُ عُلُوَّ مولانا ـ رسمَ التصديرِ ، وما يجبُ مراعاتُهُ على الصغيرِ والكبيرِ ، ولٰكنَّ التهنئةَ المرسومةَ يتهاداها الأكفاءُ ، ويتعاطاها النظراءُ ، فأمَّا الخدمُ معَ الصُّدورِ ، والنجومُ التالياتُ معَ الأهلَّةِ والبدورِ فالعادةُ [فيها الوفادةُ] (٢) ، ثمَّ إن تَعذَّرَتِ الإرادةُ ، ولم تساعدِ السعادةُ فالدعاءُ موصولاً منشوراً ، والثناءُ منظوماً منثوراً ، وعلىٰ هٰذهِ الجملةِ عملتُ ، وإلىٰ هٰذا الجانبِ عدلتُ ، فأصدرتُ كلمةً نَتَجَها الودُّ الصَّريحُ ، ونسجَها الوَلاءُ الصحيحُ

فَجَاءَتْ تُؤَدِّي وُجُوهَ ٱلرِّيَا ... ضِ أَضْحَكَهَا ٱلْعَارِضُ ٱلْهَامِعُ
وَلَيْسَ لَهَا غَيْرُ عَيْنِ ٱلرِّضَا ... لَدَيْكَ ذِمَامٌ وَلَا شَافِعُ (٣)

وللفاضلِ عبدِ الرحيمِ في صفةِ القلمِ وقد أثمرَ هٰذا القلمُ أكرمَ الثمرِ

---

(١) الأبيات من الوافر

(٢) الزيادة من « يتيمة الدهر » (٥/٢٣٦)

(٣) البيتان من المتقارب ، وانظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٩)

وهوَ يابسٌ ، وأبرَّ جوداً علىٰ أخضرِ المغارسِ ، وآتىٰ أُكُلَهُ كلَّ حينٍ ووقتٍ ، وطالَ وإن كانَ القصيرَ فقَصَّرَ عنهُ كلُّ نعتٍ[1]

[رسالةُ القلمِ للجلالِ الدَّوَّانيِّ]

وعلىٰ ذكرِ القلمِ قد عنَّ لي أن أوردَ هنا « رسالةَ القلمِ » لخاتمةِ المُحقِّقينَ جلالِ الدينِ الدَّوَّانيِّ ؛ لِمَا اشتملَتْ عليهِ مِنَ المعاني الغريبةِ ، التي هيَ بمنزلةِ الرياضِ الخصيبةِ ، تريكَ نتائجَ الأفكارِ ، وتجلو عليكَ عرائسَ الأسجاعِ في أرقِّ شعارٍ ، رحمَ اللهُ مَنْ أنشأَها ، وهدىٰ بها مَنْ قرأَها ؛ وهيَ

(﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾[2] ، إنَّ هـٰذهِ تذكرةٌ لقومٍ يعقلونَ ، يا مَنْ فاقَ في البراعةِ ؛ سألتَني عَنْ وصفِ اليراعةِ ، فاستمعْ لِمَا يُتلىٰ عليكَ ، ذٰلكَ مِنْ أنباءِ الغيبِ نوحيهِ إليكَ ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ﴾[3] ، إنَّهُ فتىً مِنْ أصحابِ الكهفِ والرقيمِ ، نَشَرَ لهُ ربُّهُ مِنْ رحمتِهِ ، وهَيَّأَ لهُ مرفقاً ، ووقعَ[4] لهُ بخطٍّ مستقيمٍ ، نبيٌّ بُعِثَ مِنْ سُرَّةِ البطحاءِ ، وأُيِّدَ بفصاحةٍ أبكَتْ مصاقعَ البلغاءِ ، كليمٌ خُصَّ بالطُّورِ ، والكتابِ المسطورِ ، والرَّقِّ المنشورِ ، سفيرٌ بليغٌ نذيرٌ ، قد جاءَ بالبيناتِ والزُّبرِ والكتابِ المنيرِ

قد بلغَ مِنْ ذروةِ الشرفِ منتهاهُ ، ومِنْ سنامِ المعالي أعلاهُ ، يُنمىٰ في شجرةِ النسبِ إلىٰ أوَّلِ ما خلقَ اللهُ ، ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٦٣)

(٢) سورة القلم (١)

(٣) سورة الكهف (٩ ـ ١٠)

(٤) في « أنوار الربيع » (٦/٢٦٤) (ورفع) بدل (ووقع)

لَن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] ، يقولُ إذا برزَ مِنْ بطنِ النونِ ، وشرعَ في الزبورِ ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[2] ، ألفُ يقارنُ نوناً ، وإلفُ يؤلفُ درّاً مكنوناً ، إذا شددتَ بهِ أنَّ ، وإن لنتَ بهِ اطمأنَّ ، عالمٌ مِنْ أهلِ الكتابِ علا كعبُهُ في الأحبارِ ، مرَّ علىٰ سائرِ الكتبِ السماوية مِنَ الصُّحفِ والأسفارِ ، ذو القرنَينِ يسيرُ المغربَ والمشرقَ في أقصرِ ساعةٍ ، استولىٰ على الأقاليمِ كلِّها ومدَّ فيها باعَهُ ، فصيحٌ جزلُ الكلامِ ، لـٰكنْ لا ينفكُّ كلامُهُ عَنِ الإبهامِ ، وإشراقيٌّ في طريقِ التعلُّمِ والتعليمِ ، لـٰكنَّهُ مِنَ المَشَّائينَ بنميمٍ ، منتصبُ القامةِ بادي البشرةِ أسودُ الراسِ ، ناطقٌ [فصيحٌ] ماشٍ علىٰ قدميهِ لـٰكنْ ليسَ مِنَ الناسِ

أرىٰ قدمَهُ أراقَ دمَهُ ، ولسانَهُ مَهَّدَ عدمَهُ ، كفَّ نفسَهُ عَنِ الراحةِ ، وزاحمَ بالرُّكَبِ أهلَ الفصاحةِ ، حتىٰ صارَ يُضرَبُ بهِ المثلُ بينَ [الأماثلِ] ، ويُذعِنُ لنظمِهِ ونثرِهِ الأفاضلُ ، ذو اللسانَينِ وذو البيانَينِ ، قد هُدي النجدَينِ ، واقتحمَ العقبتَينِ ، وجمعَ بينَ العلمِ والعينِ ، مهندسٌ ينقشُ الخطوطَ على السُّطوحِ للتعاليمِ ، مُنجِّمٌ يُصلِحُ الزِّيجاتِ والتقاويمَ ، يَنقُصُ بالأصابعِ ظلَّ الأقدامِ ، ويَرقُمُ على الرُّخاماتِ دقائقَ الليالي والأيامِ ، لا يأبى السلاطينُ ما رسمَهُ ، ولا تتجاوزُ الأساطينُ عمَّا رقمَهُ

أعجمُ يَعرِفُ اللغاتِ كلَّها ، أدهمُ قد طوى المَقاماتِ جلَّها ، يقولُ حينَ يبرزُ في نادي البيانِ عندَ الامتحانِ يُكرَمُ المرءُ أو يُهانُ

صوفيٌّ قطعَ المنازلَ وبلغَ الغاياتِ ، ورجعَ القهقرىٰ لتصحيحِ البداياتِ ،

(١) سورة الأنبياء (٨٧)

(٢) سورة البقرة (٢٥٧)

إن لـم يُقطَعْ لسانُهُ   لـم يُفصِحْ بيانُهُ ، وإن لـم يُشَقَّ رأسُهُ   لـم يَنطِقْ لسانُهُ

عربيٌّ واسطيٌّ ، أصلُهُ هنديٌّ زنجيٌّ ، نسلُهُ طُوطيٌّ ، أسودُ المِنقارِ ، كأنَّ مِنقارَهُ مِنْ قارٍ ، ذو ذُؤابةٍ يُعلَمُ مِنْ مسيرِهِ طولُ حُلولِ الآجالِ ، ويُفهَمُ مِنْ ظهورِهِ انتقالُ الدَّولةِ وتداولُ الأقيالِ وتحوُّلُ الأحوالِ ، أحرزَ قصباتِ السَّبْقِ في مِضمارِ البيانِ ، حتىٰ صارَ بحيثُ تشيرُ إليهِ المَهَرةُ في ذٰلكَ الفنِّ بالبَنانِ ، كأنَّهُ عصا موسىٰ ، وقد أُلقِيَتْ فإذا هيَ حيةٌ تسعىٰ ، أبو قلمونٍ يَتقلَّبُ في الأطوارِ ، ويَتحوَّلُ مِنْ شعارٍ إلىٰ شعارٍ ، طَوراً تراهُ يَنظِمُ القوافيَ والأشعارَ ، وتارةً تلقاهُ يَنثرُ لآلئَ الحكمِ والأسرارِ ، ساعةً تبصرُهُ أنيسَ الأعلامِ ذوي البراعةِ ، وكَرَّةً تُصادِفُهُ سميرَ أهلِ المُجونِ والخَلاعةِ

سَحَّارٌ يأتي بالغرائبِ ، مَكَّارٌ يُري الناظرينَ العجائبَ ، كاتبٌ شهيدٌ ، وحاسبٌ عتيدٌ ، تَجرَّعَ مرارةَ مذاقِ الكدِّ حتىٰ تَضلَّعَ مِنْ فنونِ العلومِ ، وتَحمَّلَ الصَّبرَ على استنشاقِ دخانِ السِّراجِ حتىٰ برعَ بينَ الفُضلاءِ ذوي الفهومِ ، لا يزالُ رطبَ اللسانِ في شكرِ باريهِ ، عذبَ البيانِ بذكرِ أياديهِ

مُحدِّثٌ تُحدِّثُ عنهُ الآثارُ ، وتُنقَلُ عنهُ الأخبارُ في الأقطارِ ، بازيٌّ يمتطي أيديَ الصَّناديدِ ، لا يطيرُ مِنْ أيديهِم ويصيدُ ، لهُ إشارةٌ مُبهَمةٌ ، وعبارةٌ مُفهِمةٌ ، انقطعَ عن عترتِهِ ، لنيلِ طلبتِهِ ، حتىٰ بلغَ مبلغَ الرجالِ ، ونالَ مِنَ الشرفِ ما نالَ ، فحقَّ أنْ يُنشَدَ فيهِ قولُ مَنْ قالَ   [من الكامل]

وَرِثَ ٱلنَّجَابَةَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ   كَٱلرُّمْحِ أُنْبُوباً عَلَىٰ أُنْبُوبِ

حكيمٌ تنطوي إشاراتُهُ علىٰ تلويحاتٍ إلىٰ قانونِ الشفاءِ ، وتحتوي تعليقاتُهُ علىٰ تنبيهاتٍ لمناهجِ النجاةِ عن دَرَكِ الجهلِ والشَّقاءِ ، لهُ مواقفُ يُحقِّقُ فيها مقاصدَ الكلامِ ، وعوارفُ معارفَ يكشفُ بها عن وجوهِ الفرائدِ اللثامَ ، يُقرِضُ

ذاتَ الشمالِ وهوَ مِنْ أهلِ اليمينِ ، ويَصدُقُ في أكثرِ الأقوالِ ولـٰكنَّهُ قد يمينُ ، لا تتنظمُ مصالحُ الأنامِ إلَّا بحسنِ مساعيهِ ، ولا تنضبطُ حوادثُ الأيامِ إلَّا بيُمْنِ مراعيهِ

أجوفُ وهوَ مصدرُ المثالِ ، مهموزٌ سالمٌ مِنَ الاعتلالِ ، لفيفٌ مفروقٌ مِنْ إخوانِهِ ، خفيفٌ ناقصٌ مِنْ أوزانِهِ ، أصلٌ واحدٌ تَصدُرُ عنهُ الأمثلةُ لمعانٍ مقصودةٍ لا تحصلُ إلَّا بِهِ ، نصلٌ شاهدٌ لا [يُصابُ] غرضُ المطالبِ إلَّا بنابِهِ ، نَمومٌ يسعىٰ في هتكِ الأستارِ ، غَشومٌ تَعوَّدَ كشفَ الأسرارِ ، تقيٌّ لا يزالُ مُولَعاً بافتضاضِ أبكارِ بناتِ الأفكارِ ، خضرٌ خاض الظُّلماتِ حتى ارتوىٰ مِنْ ماءِ الحياةِ ، مستوفٍ قد أحاطَ بأبوابِ حواصلِ الأقاليمِ جمعاً وخرجاً ، وزيرٌ قد نظمَ غوامض أمورِ الممالكِ هرجاً ومرجاً ، مشيرُ ذوي النُّهىٰ في النوائبِ ومؤانسُهُم ، ما يكونُ مِنْ نجوىٰ ثلاثةٍ إلَّا هوَ رابعُهُم ، ولا خمسةٍ إلَّا هوَ سادسُهُم ، رشيقُ القَدِّ ، أسيلُ الخَدِّ ، أَليفُ الكَدِّ ، طويلُ المدِّ ، قد جاوزَتْ شمائلُهُ حدَّ العَدِّ ، أَلِفٌ ممدودٌ لا يُمنَعُ الصَّرفَ ، سالكٌ مرتاضٌ لـٰكنَّهُ يعبدُ الباريَ علىٰ حرفٍ ، تَعمَّمَ بشعارِ آلِ العباسِ ، وأقامَ أمرَ النجدةِ والباسِ ، فقالَ يا أيُّها الناسُ [من الوافر]

أَنَـا ٱبْـنُ جَـلَا وَطَـلَّاعُ ٱلـثَّـنَـايَـا   مَـتَـىٰ أَضَـعِ ٱلْـعِـمَـامَـةَ تَـعْـرِفُـونِـي (١)

أجوفُ لا يَحفظُ السِّرَّ في قلبِهِ ، لا فرقَ في لغةِ العجمِ بينَ اسمِهِ وقلبِهِ ، لهُ أسماءٌ في لغةِ العربِ ، تقاليبُها كلُّها مُستعمَلةٌ ، وذٰلكَ مِنْ خصالِهِ التي قلَّما يتفقُ فيها شريكٌ لهُ

آلةٌ تَعصِمُ مراعاتُها الذِّهنَ عنِ الخطأ والنسيانِ ، ينوبُ عنِ اللسانِ في البيانِ ، وعنِ السِّنانِ المُحدَّدِ بالسِّنانِ ، إذا رقى البَنانَ فهوَ مَلَكٌ لـٰكنَّهُ

---

(١) هو لسحيم بن وثيل ، انظر « خزانة الأدب » (١/٢٥٥)

يُستكتَبُ ، فإذا أدَّىٰ نجومَ الكتابةِ خُلِّيَ سبيلُهُ أينَ يذهبُ ، نَسْخٌ مُحقَّقٌ توقيعاتُهُ على الرِّقاعِ أدراجَ الياقوتِ ، قد أقرَّ بريحانِ قامتِهِ عيونَ ابنِ مُقلةَ وياقوتَ ، شكلُهُ أُسطوانيٌّ وهوَ مخروطٌ ، شابٌّ مُترعرعٌ لٰكنَّهُ مخطوطٌ ، يُحِبُّهُ الناسُ ويراودونَهُ ، لٰكنْ إذا ظهرَ الشعرُ علىٰ عذارِهِ طَوَوُا الكَشحَ دونَهُ

مسافرٌ يسفرُ عن أخبارِ المشارقِ والمغاربِ ، عارفٌ محيطٌ بجميعِ الأذواقِ والمشاربِ ، لسانُهُ نضناضٌ ، وبيانُهُ فضفاضٌ ، وحكمُهُ ماضٍ في السوادِ والبياضِ ، يقضي فيهما ما هوَ قاضٍ ، جاريةٌ تجري في البحرِ بإذنِ الباري ، فتأتي بدررِ معانٍ كأنَّها غُرَرُ الدَّراري ، ولقد أحسنَ مَنْ قالَ فيهِ مُلغِزاً ، ولبعضِ أوصافِهِ الغريبةِ مُبرِزاً (١) [من السريع]

وَمَـا غُـلَامٌ رَاكِـعٌ سَـاجِـدٌ أَخُـو نُـحُـولٍ دَمْـعُـهُ جَـارِ
مُـلَازِمُ ٱلْـخَـمْـسِ لِأَوْقَـاتِـهَـا مُـعْـتَـكِـفٌ فِـي خِـدْمَـةِ ٱلْـبَـارِي

كأنَّهُ وهوَ في يدِ السلطانِ ابنِ السلطانِ ، أبي المظفرِ يعقوبَ خانَ قصبُ السُّكَّرِ وقد نبتَ علىٰ ساحلِ عُمانَ ، عمَّ الورىٰ نائلُهُ ، وآوى السائلينَ ساحلُهُ ، كلَّا إنَّ نوالَ البحرِ إلىٰ فيضِ كفِّهِ نزرٌ ، ليسَ لهُ قدرٌ ، كيفَ لا ولهُ مَدٌّ لا يُعقِبُهُ جزرٌ ؟!

فَـلَـنْ أُشَـبِّـهَـهُ بِـٱلْـبَـحْـرِ إنَّ لَـهُ مَـدّاً يُـعَـاقِـبُـهُ جَـزْرٌ بِـأَزْجَـاءِ (٢)

أو هوَ - والحالةُ هٰذهِ - خطٌّ تُخُيِّلَ في نواظرِ الأوهامِ ، مِنْ قطرةٍ نازلةٍ مِنْ غَمامٍ وأيِّ غَمامٍ ، يَدُرُّ بدُرِّ نوالِهِ علىٰ عواطفِ الأنامِ ، مِنَ الخواصِّ والعوامِّ ، وتَغمُرُ مِنحُهُ الجِسامُ ، رياض آمالِ الأفاضلِ الأعلامِ ، بكلِّ مَقامٍ ، أينَ جودُ الغَمامِ مِنْ جودِهِ العميمِ ؟! أم أينَ مِدرارُهُ مِنْ مِدرارِ كرمِهِ الجسيمِ ؟!

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (١٦٧/٤)
(٢) البيت من بحر البسيط

مَـا نَـوَالُ ٱلْـغَـمَـامِ وَقْـتَ رَبِـيـعٍ   كَـنَـوَالِ ٱلْأَمِـيـرِ وَقْـتَ سَـخَـاءِ
فَـنَـوَالُ ٱلْأَمِـيـرِ بَـدْرَةُ مَـالٍ   وَنَـوَالُ ٱلْـغَـمَـامِ قَـطْـرَةُ مَـاءِ [1]

اللهمَّ ؛ خلِّدْ نفاذَ أرقامِ أقلامِهِ علىٰ صفحاتِ الأقاليمِ ما دامَ القلمُ الأعلىٰ ، ونفذْ مرادَ أعوانِ دولتِهِ بامتدادِ زمانِ صولتِهِ ما دامَتْ نقوشُ الأنقاسِ [2] في صحائفِ القراطيسِ تُتلىٰ ، ومآثرُ السلاطينِ الكبارِ علىٰ صفحاتِ الأوراقِ تُروىٰ ، بحقِّ مَنْ نسخَ الكتبَ السالفةَ ولم يركَبْ بنانَهُ قلمٌ ، وهدى الحائرينَ إلىٰ أقومِ لَقَمٍ بعدَما وقبَ غواسقُ الظُّلَمِ) انتهتْ [3]



(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٤٧٨/٢) ، والبيتان من بحر مجزوء الخفيف

(٢) الأنقاس : جمع نِقْس ؛ وهو المداد

(٣) الرسالة القلمية (ق/٢٣٧ ـ ٢٣٨) ضمن مجموع

السُّهولةُ

هٰذا النوعُ ربَّما تَخيَّلَ متخيِّلٌ الاستغناءَ عنهُ بالانسجامِ ، وبينَهُما بعدٌ ؛ فالانسجامُ عبارةٌ عن سلاسةِ اللفظِ بحيثُ لا يَتعثَّرُ اللسانُ عندَ النطقِ بهِ ، سواءٌ كانَ غريباً أو أهليّاً ، وكانَ معناهُ خفيّاً أو جليّاً

وأمَّا السُّهولةُ فهيَ عبارةٌ عن كونِ الألفاظِ أهليَّةً أو قريبةً منها ، جليَّةَ المعاني ، سهلةَ المُتناوَلِ على الخاصَّةِ والعامَّةِ ، تُطمِعُ المُفحَمَ في أن يحاكيَها ، وتَقعُدُ بالماهرِ وقد أخذَهُ الطَّربُ عن أن يعانيَ أن يضاهيَها ، وإذا كانَتْ في كلامٍ فهوَ المعنيُّ باسمِ السَّهلِ المُمتنِعِ

فمِنْ أمثلتِهِ قولُ عربيٍّ (١) [من الوافر]

أَلَـيْـسَ وَعَـدْتَـنِـي يَـا قَـلْـبُ أَنِّـي ... إِذَا مَـا تُبْـتُ [عَـنْ] لَـيْلَـىٰ تَـتُـوبُ

فَـهَـٰأَنَـا تَـائِـبٌ عَـنْ حُـبِّ لَـيْـلَـىٰ ... فَـمَـا لَـكَ كُـلَّـمَـا ذُكِـرَتْ تَـذُوبُ

وللحكمِ بنِ عمرٍو الشاري (٢) [من البسيط]

وَيْلِي عَلَىٰ مَنْ أَطَارَ ٱلنَّوْمَ وَٱمْتَنَعَا ... وَزَادَ قَـلْـبِـي عَـلَـىٰ أَوْجَاعِـهِ وَجَـعَـا

كَأَنَّمَا ٱلشَّمْسُ مِنْ أَعْطَافِهِ لَمَعَتْ ... حُسْـنـاً أَوِ ٱلْبَدْرُ مِنْ أَزْرَارِهِ طَـلَـعَـا

مُسْتَقْبِلٌ بِٱلَّذِي تَهْوَىٰ وَإِنْ كَثُرَتْ ... مِنْـهُ ٱلذُّنُوبُ وَمَـعْـذُورٌ بِـمَـا صَـنَـعَـا

فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ ... مِنَ ٱلْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثُمَا شَفَعَا

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٧١)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٧١)

ومن بدائه أبي الفتح ابن الأستاذ ابن العميد وقد جرىٰ في مجلس أبيه إنشادُ أبياتٍ استحسنوا وزنَها وطرزَها ، أَوَّلُها [1] [من المضارع]

لَئِنْ كَفَفْتَ وَإِلَّا شَقَقْتُ مِنْكَ ثِيَابِي

وأبو الفتحِ مصغٍ إليهم وهوَ في حداثةِ سِنِّهِ قولُهُ [من المضارع]

يَا مُولَعاً بِعَذَابِي أَمَا رَحِمْتَ شَبَابِي
تَرَكْتَ قَلْبِي جَرِيحاً نَهْبَ ٱلْأَسَىٰ وَٱلتَّصَابِي
إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مَا بِي مِنْ لَوْعَتِي وَٱكْتِئَابِي
فَٱرْفَعْ قَلِيلاً قَلِيلاً عَنِ ٱلْعِظَامِ ثِيَابِي

ولأبي الفرجِ المعروفِ بالوأواءِ الدمشقيّ [2] [من البسيط]

بِٱللهِ رَبِّكُمَا عُوجَا عَلَىٰ سَكَنِي وَعَاتِبَاهُ لَعَلَّ ٱلْعَتْبَ يَعْطِفُهُ
وَعَرِّضَا بِي وَقُولَا فِي حَدِيثِكُمَا مَا بَالُ عَبْدِكَ بِٱلْهِجْرَانِ تُتْلِفُهُ
فَإِنْ بَدَا لَكُمَا مِنْ سَيِّدِي غَضَبٌ فَغَالِطَاهُ وَقُولَا لَيْسَ نَعْرِفُهُ
وَإِنْ تَبَسَّمَ قُولَا فِي مُلَاطَفَةٍ مَا ضَرَّ لَوْ بِوِصَالٍ مِنْكَ تُسْعِفُهُ

ولمُؤيَّدِ الدَّولةِ أسامةَ بنِ مرشدٍ [3] [من الوافر]

شَكَا أَلَمَ ٱلْفِرَاقِ ٱلنَّاسُ قَبْلِي وَرُوِّعَ بِٱلنَّوَىٰ حَيٌّ وَمَيْتُ
وَأَمَّا مِثْلُ مَا ضَمَّتْ ضُلُوعِي فَإِنِّي مَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٢٥ ـ ١٢٦)

(٢) انظر « ديوان الوأواء الدمشقي » (ص ١٤٦)

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٧٦)

[من نسيمِ شعرِ البهاءِ زهيرٍ]

وهٰذا النوعُ يَتفِقُ للشعراءِ اتفاقاً ، ولا يكونُ شعرُ شاعرٍ كلُّهُ علىٰ هٰذا النمطِ ، خلا الصاحبَ بهاءَ الدِّينِ زهيراً المصريَّ ؛ فإنَّهُ قدِ انقادَ لهُ هٰذا النوعُ انقياداً في سائرِ شعرِهِ ، كأنَّكَ عندَ استماعِهِ في محادثةِ إنسانٍ ظريفٍ مِنْ لطفاءِ المصريّينَ ، وهوَ وإن كانَ ديوانُهُ مشهوراً في الأيدي لا أحبُّ أن أخليَ الكتابَ مِنْ تحليتِهِ ببعضِ فرائدِهِ ، فمِنْ نسيمِ شعرِهِ قولُهُ (١)

[من مجزوء الرمل]

وَمُــــدَامٍ مِـــــنْ رُضَـــــابِ ... بِـــحَـــبَـــابٍ مِـــنْ ثَـــنَـــايَـــا
كَـــانَ مَـــا كَـــانَ وَمِـــنْـــهُ ... بَـعْـدُ فِـي ٱلـنَّـفْـسِ بَـقَـايَـا

ومنهُ (٢)

[من مجزوء الرمل]

إِنَّ أَمْـــرِي لَـــعَـــجِـــيـــبٌ ... مَـــا يُـــرَىٰ أَعْـــجَـــبُ مِـــنْـــهُ
كُـــلُّ أَرْضٍ لِـــيَ فِـــيـــهَـــا ... غَـــائِـــبٌ أَسْـــأَلُ عَـــنْـــهُ

ومنهُ (٣)

[من المجتث]

شَـــوْقِـــي إِلَـــيْـــكَ شَـــدِيـــدُ ... كَـــمَـــا عَـــلِـــمْـــتَ وَأَزْيَـــدْ
وَكَـــيْـــفَ تُـــنْـــكِـــرُ شَـــيْـــئـــاً ... بِـــهِ ضَـــمِـــيـــرُكَ يَـــشْـــهَـــدْ

ومنهُ (٤)

[من السريع]

أَوْحَـشْـتَـنِـي وَٱللهِ يَـا مَـالِـكِـي ... قَـطَـعْـتُ يَـوْمِـي كُـلَّـهُ لَـمْ أَرَكْ

---

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٩٥)

(٢) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤)

(٣) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٨٨)

(٤) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ١١٧)

هَٰذَا جَفَاءٌ مِنْكَ مَا ٱعْتَدْتُهُ   فَلَيْتَنِي أَعْرِفُ مَنْ غَيَّرَكْ

ومنهُ (١)   [من مجزوء الرمل]

سَيِّدِي قَلْبِيَ عِنْدَكْ   سَيِّدِي أَوْحَشْتَ عَبْدَكْ

أَتُرَىٰ تَذْكُرُ عَهْدِي   مِثْلَمَا أَذْكُرُ عَهْدَكْ

أَتُرَىٰ تَحْفَظُ وُدِّي   مِثْلَمَا أَحْفَظُ وُدَّكْ

قُمْ بِنَا إِنْ شِئْتَ عِنْدِي   مُسْرِعاً أَوْ شِئْتَ عِنْدَكْ

أَنَا فِي دَارِيَ وَحْدِي   فَتَفَضَّلْ أَنْتَ وَحْدَكْ

ومنهُ (٢)   [من المجتث]

هَٰذَا كِتَابُ مُحِبٍّ   قَدْ زَادَ فِيكَ غَرَامُهْ

أَضْنَاهُ فَرْطُ ٱشْتِيَاقٍ   فَرَقَّ حَتَّىٰ كَلَامُهْ

أَمَا تَرَىٰ كَيْفَ أَضْحَىٰ   مِثْلَ ٱلنَّسِيمِ سَلَامُهْ

ومنهُ (٣)   [من المنسرح]

كَلَّمَنِي وَٱلْمُدَامُ فِي فَمِهِ   قَدْ نَفَحَتْ مِنْ حَبَابِ مَبْسَمِهِ

وَمَاسَ كَٱلْغُصْنِ فِي تَمَايُلِهِ   سَكْرَانُ يَشْتَطُّ فِي تَحَكُّمِهِ

بِٱللهِ يَا بَرْقُ هَلْ تُحَدِّثُهُ   عَنْ نَارِ وَجْدِي وَعَنْ تَضَرُّمِهِ

وَهَلْ نَسِيمٌ سَرَىٰ يُبَلِّغُهُ   رِسَالَةً مِنْ فَمِي إِلَىٰ فَمِهِ

---

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٨٦)

(٢) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٣٤)

(٣) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٣٨)

عَجِبْتُ مِنْ بُخْلِهِ عَلَيَّ وَمَا ... يَذْكُرُهُ ٱلنَّاسُ مِنْ تَكَرُّمِهِ
هُمْ عَلَّمُوهُ فَصَارَ يَهْجُرُنِي ... رَبِّ خُذِ ٱلْحَقَّ مِنْ مُعَلِّمِهِ

ومنهُ (١) [من الوافر]

كَتَبْتُ إِلَيْكَ أَشْكُو فِي كِتَابِي ... أُمُوراً مِنْ فِرَاقِكَ أَشْتَكِيهَا
وَفِي سُوقِ ٱلْهَوَانِ عَرَضْتُ نَفْسِي ... رَخِيصاً لَمْ أَجِدْ مَنْ يَشْتَرِيهَا
فَهَلْ وَعْدٌ إِلَىٰ سَنَةٍ فَإِنْ لَمْ ... يَكُنْ فِيهَا يَكُنْ فِيمَا يَلِيهَا
وَقَدْ أَنْهَيْتُ مِنْ شَوْقِي فُصُولاً ... لِمَوْلَانَا عُلُوُّ ٱلرَّأْيِ فِيهَا

ومنهُ (٢) [من المجتث]

مَلَكْتُمُونِي رَخِيصاً ... فَٱنْحَطَّ قَدْرِي لَدَيْكُمْ
فَأَغْلَقَ ٱللهُ بَاباً ... دَخَلْتُ مِنْهُ إِلَيْكُمْ
حَتَّىٰ وَلَا كَيْفَ أَنْتُمْ ... وَلَا ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ

ومنهُ (٣) [من مجزوء الخفيف]

أَنَا أَدْرِي بِأَنَّنِي ... قَلَّ قَسْمِي لَدَيْكُمُ
فَإِلَىٰ كَمْ تَطَلُّعِي ... وَٱلْتِفَاتِي إِلَيْكُمُ
كَانَ مَا كَانَ بَيْنَنَا ... وَسَلَامٌ عَلَيْكُمُ

ومنهُ (٤) [من المجتث]

---

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٨٩)
(٢) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٣٠٠ ـ ٣٠١)
(٣) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ١٩٧ ـ ١٩٨)
(٤) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٨١)

أَمَـــا تَـــقَـــرَّرَ أَنَّـــا فَــلِــمْ تَــأَخَّــرْتَ عَــنَّــا
وَمَـــا ٱلَّـــذِي كَـــانَ حَـــتَّـــىٰ حَــلَــلْــتَ مَــا قَــدْ عَــقَــدْنَــا
وَلَـــمْ يَـــكُـــنْ لَـــكَ عُـــذْرٌ وَلَـــوْ يَـــكُـــونُ عَـــلِـــمْـــنَـــا
فَـــلَا تَـــلُـــمْـــنَـــا فَـــإِنَّـــا قُـــلْـــنَـــا وَقُـــلْـــنَـــا وَقُـــلْـــنَـــا

ومنهُ (١) [من الرمل]

قَـالَ مَـا تَـرْجِـعُ عَـنِّـي قُـلْـتُ لَا قَـالَ مَـا تَـطْـلُـبُ مِـنِّـي قُـلْـتُ شَـيْ
فَـٱنْـثَـنَـىٰ يَـحْـمَـرُّ مِـنِّـي خَـجِـلاً وَثَـنَـاهُ ٱلـتِّـيـهُ عَـنِّـي لَا إِلَـيْ
كِـدْتُ بَـيْـنَ ٱلـنَّـاسِ أَنْ أَلْـثِـمَـهُ آهُ لَـوْ أَفْـعَـلُ مَـا كَـانَ عَـلَـيْ

ومنهُ (٢) [من مجزوء الكامل]

قَـالُـوا كَـبِـرْتَ عَـنِ ٱلـصِّـبَـا وَقَـطَـعْـتَ تِـلْـكَ ٱلـنَّـاحِـيَـهْ
فَـدَعِ ٱلـصِّـبَـا لِـرِجَـالِـهِ وَٱخْـلَـعْ ثِـيَـابَ ٱلْـعَـارِيَـهْ
وَنَـعَـمْ كَـبِـرْتُ وَإِنَّـمَـا تِـلْـكَ ٱلـشَّـمَـائِـلُ بَـاقِـيَـهْ
وَيُـمِـيـلُـنِـي نَـحْـوَ ٱلـصِّـبَـا قَـلْـبٌ رَقِـيـقُ ٱلْـحَـاشِـيَـهْ
فِـيـهِ مِـنَ ٱلـطَّـرَبِ ٱلْـقَـدِيـ ـمِ بَـقِـيَّـةٌ فِـي ٱلـزَّاوِيَـهْ

ومنهُ (٣) [من مجزوء الكامل]

مَـنْ لِـي بِـقَـلْـبٍ أَشْـتَـرِيـ ـهِ مِـنَ ٱلْـقُـلُـوبِ ٱلْـقَـاسِـيَـهْ
وَإِلَـيْـكَ يَـا مَـلِـكَ ٱلْـمِـلَا حِ وَقَـفْـتُ أَشْـكُـو حَـالِـيَـهْ

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٣٠٢)
(٢) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦)
(٣) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨)

إِنِّـــي لَأَطْـــلُـــبُ حَـــاجَـــةً لَـيْـسَـتْ عَـلَـيْـكَ بِـخَـافِـيَـهْ
أَنْـــعِـــمْ عَـــلَـــيَّ بِـــقُـــبْـــلَـــةٍ هِـــبَـــةً وَإِلَّا عَـــارِيَـــهْ
وَأُعِـــيـــدُهَـــا لَـــكَ لَا عَـــدِمْـــتُ بِـعَـيْـنِـهَـا وَكَـمَـا هِـيَـهْ
وَإِذَا أَرَدْتَ زِيَـــــــــــادَةً خُـــذْهَـــا وَنَـــفْـــسِـــي رَاضِـــيَـــهْ

ومنهُ(١) [من مجزوء الخفيف]

إِنْ شَـكَـا ٱلْـقَـلْـبُ هَـجْـرَكُـمْ مَـــهَّـــدَ ٱلْـــحُـــبُّ عُـــذْرَكُـــمْ
لَـــوْ أَمَـــرْتُـــمْ بِـــمَـــا عَـــسَـــىٰ مَـــا تَـــعَـــدَّيْـــتُ أَمْـــرَكُـــمْ
قَـــصِّـــرُوا عُـــمْـــرَ ذَا ٱلْـــجَـــفَـــا طَـــوَّلَ ٱللهُ عُـــمْـــرَكُـــمْ
شَـــرِّفُـــونِـــي بِـــزَوْرَةٍ شَـــرَّفَ ٱللهُ قَـــدْرَكُـــمْ
كُـــنْـــتُ أَرْجُـــو بِـــأَنَّـــكُـــمْ شَـــهْـــرُكُـــمْ لِـــي وَدَهْـــرُكُـــمْ
قَـــدْ نَـــسِـــيـــتُـــمْ وَإِنَّـــمَـــا أَنَـــا لَـــمْ أَنْـــسَ ذِكْـــرَكُـــمْ
لَـــوْ رَأَيْـــتُـــمْ مَـــحَـــلَّـــكُـــمْ مِـــنْ فُـــؤَادِي لَـــسَـــرَّكُـــمْ
لَـــوْ وَصَـــلْـــتُـــمْ مُـــحِـــبَّـــكُـــمْ مَـــا ٱلَّـــذِي كَـــانَ ضَـــرَّكُـــمْ

ومنهُ(٢) [من المجتث]

تَـــعِـــيـــشُ أَنْـــتَ وَتَـــبْـــقَـــىٰ أَنَـــا ٱلَّـــذِي مِـــتُّ عِـــشْـــقَـــا
حَـــاشَـــاكَ يَـــا نُـــورَ عَـــيْـــنِـــي تَـــلْـــقَـــى ٱلَّـــذِي أَنَـــا أَلْـــقَـــىٰ
وَلَـــمْ أَجِـــدْ بَـــيْـــنَ مَـــوْتِـــي وَبَـــيْـــنَ هَـــجْـــرِكَ فَـــرْقَـــا

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ١٢٠ ـ ١٢١)
(٢) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ١٨٧)

يَـــا أَنْــعَــمَ ٱلــنَّــاسِ بَـــالاً إِلَــىٰ مَــتَــىٰ فِــيــكَ أَشْــقَــىٰ
سَــمِــعْــتُ عَــنْــكَ حَــدِيــثــاً يَـــا رَبِّ لَا كَـــانَ صِـــدْقَـــا
وَمَـــا عَـــهِـــدْتُـــكَ إِلَّا مِـــنْ أَكْــرَمِ ٱلــنَّــاسِ خُــلْــقَــا
لَــكَ ٱلْــحَــيَــاةُ فَــإِنِّــي أَمُــوتُ لَا شَــكَّ حَــقَّــا
يَــا أَلْــفَ مَــوْلَايَ مَــهْــلاً يَــا أَلْــفَ مَــوْلَايَ رِفْــقَــا
قَــدْ كَــانَ مَــا كَــانَ مِــنِّــي وَٱللَّهُ خَــيْــرٌ وَأَبْــقَــىٰ



الإدماجُ

هوَ أن يكونَ آخذاً في معنىً ، فيَهتِفُ منهُ بمعنىً آخَرَ مِنْ غيرِ إشعارٍ بالقصدِ إليهِ ؛ كقولِ أبي الطيبِ في استطالةِ اللَّيلِ (١) [من الوافر]

أُقَلِّبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي … أَعُدُّ بِهَا عَلَى ٱلدَّهْرِ ٱلذُّنُوبَا

فقد أدمجَ فيهِ الشَّكوىٰ مِنَ الدَّهرِ

وكقولِ الصَّاحبِ ابنِ عبادٍ مِنْ إدماجِ الفخرِ في مدحِ ابنِ العميدِ بهٰذهِ القصيدةِ النفيسةِ (٢) [من الخفيف]

مَنْ لِقَلْبٍ يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادِي … وَقَتِيلٍ لِلْحُبِّ مِنْ غَيْرِ وَادِي

إِنَّمَا أَذْكُرُ ٱلْغَوَانِيَ وَٱلْمَقْـ … ـصِدُ سُعْدَىٰ مُكَثِّراً لِلسَّوَادِ

وَإِذَا مَا صَدَقْتُ فَهْيَ مَرَامِي … وَمُرَادِي وَرَوْضَتِي وَمَرَادِي

وَنَدَى ٱبْنِ ٱلْعَمِيدِ إِنِّي عَمِيدٌ … مِنْ هَوَاهَا أَلِيَّةَ ٱلْأَمْجَادِ

لَوْ دَرَى ٱلدَّهْرُ أَنَّهُ مِنْ بَنِيهِ … لَٱزْدَرَىٰ قَدْرَ سَائِرِ ٱلْأَوْلَادِ

وَرَأَى ٱلنَّاسُ كَيْفَ يَهْتَزُّ لِلْجُو … دِ لَمَا عَدَّدُوهُ فِي ٱلْأَطْوَادِ

أَيُّهَا ٱلْآمِلُونَ حُطُّوا سَرِيعاً … بِرَفِيعِ ٱلْعِمَادِ وَارِي ٱلزِّنَادِ

فَهْوُ إِنْ جَادَ ذُمَّ حَاتِمُ طَيٍّ … وَهْوَ إِنْ قَالَ [فُلَّ] قُسَّ إِيَادِ

وَإِذَا مَا ٱرْتَأَىٰ فَأَيْنَ زِيَادٌ … مِنْ دَهَاهُ وَأَيْنَ آلُ زِيَادِ

أَقْبَلَ ٱلْعِيدُ يَسْتَعِيرُ حُلَاهُ … مِنْ عُلَاهُ ٱلْعَزِيزَةِ ٱلْأَنْدَادِ

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١٥٢)

(٢) انظر « ديوان الصاحب ابن عباد » (ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨)

سَيُضَحِّي فِيهِ بِمَنْ لَا يُوَالِيـ ـهِ وَيَبْقَى بَقِيَّةُ ٱلْأَعْيَادِ

وَمَدِيحِي إِنْ لَمْ يَكُنْ طَالَ أَبْيَا تاً فَقَدْ طَالَ فِي مَجَالِ ٱلْجِيَادِ

إِنَّ خَيْرَ ٱلْمُدَّاحِ مَنْ مَدَحَتْهُ شُعَرَاءُ ٱلْبِلَادِ فِي كُلِّ نَادِ

ألمَّ في هٰذا البيتِ الأخيرِ ـ وفيهِ الشاهدُ ـ بقولِ يزيدَ بنِ محمدٍ المُهلَّبيّ (١) [من الخفيف]

إِنْ أَكُنْ مُهْدِياً لَكَ ٱلشِّعْرَ إِنِّي لَٱبْنُ بَيْتٍ تُهْدَىٰ لَهُ ٱلْأَشْعَارُ



(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٨٢)

حسنُ البيانِ

هوَ كونُ العبارةِ وافيةً بمقصودِها دونَ استعانةٍ بتأويلٍ وإرادةٍ مُجرَّدةٍ عن كلِّ ما ليسَ لهُ دَخْلٌ في خُلاصةِ المقصودِ ، ويكفيكَ شاهداً لذٰلكَ قولُ عَرابةَ الأوسيِّ وقد قالَ لهُ معاويةُ رضيَ اللهُ عنهُ بمَ استحققتَ قولَ الشَّمَّاخِ فيكَ (١) [من الوافر]

رَأَيْتُ عَرَابَةَ ٱلْأَوْسِيَّ يَسْمُو ... إِلَى ٱلْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ ٱلْقَرِينِ

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِٱلْيَمِينِ

وبمَ سُدتَ قومَكَ ؟ قالَ : واللهِ ؛ ما أنا بأكرمِهم حَسَباً ، ولا بأفضلِهم نَسَباً ، ولٰكنْ أُعرِضُ عن جاهلِهِم ، وأسمحُ لسائلِهِم ؛ فمَنْ عملَ مثلَ عملي فهوَ مثلي ، ومَنْ زادَ فهوَ أفضلُ منّي ، ومَنْ قَصَّرَ فإنّي أفضلُ منهُ

وقولِ بعضِ العربِ مِنَ الشعرِ (٢) [من الطويل]

وَإِنِّي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ هُمُ هُمُ ... إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ

نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا ٱنْقَضَّ كَوْكَبٌ ... بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهْ

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ ... دُجَى ٱللَّيْلِ حَتَّىٰ نَظَّمَ ٱلْجَذْعَ ثَاقِبُهْ

وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مُسَوَّدٌ ... تَسِيرُ ٱلْمَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ رَكَائِبُهْ



(١) انظر « ديوان الشماخ الذبياني » رضي الله عنه (ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦) ، وانظر الخبر في « أنوار الربيع » (٢٩٢/٦)

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٩١/٦)

العقدُ والحلُّ

الأوَّلُ نظمُ المنثورِ

والثاني نثرُ المنظومِ

فالأوَّلُ كقولِهِ[1] [من البسيط]

إِنَّ ٱلْـقُـلُـوبَ لَأَجْـنَـادٌ مُـجَـنَّـدَةٌ بِـٱلْإِذْنِ مِـنْ رَبِّـهَـا تَـهْـوَىٰ وَتَـأْتَـلِـفُ
فَـمَـا تَـعَـارَفَ مِـنْـهَـا فَـهْـوَ مُـؤْتَـلِـفٌ وَمَـا تَـنَـاكَـرَ مِـنْـهَـا فَـهْـوَ مُـخْـتَـلِـفُ

عقدَ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ «ٱلْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ؛ مَا تَعَارَفَ مِنْهَا ٱئْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا ٱخْتَلَفَ »[2] ، ومنهُ تَعرِفُ أنَّهُ لا يلزمُ الإتيانُ بجميعِ ألفاظِ المعقودِ

وكقولِ أبي الطيبِ[3] [من الكامل]

اَلظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ ٱلنُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِـفَّـةٍ فَـلِـعِـلَّـةٍ لَا يَـظْـلِـمُ

عقدَ فيهِ قولَ حكيمٍ الظُّلمُ مِنْ طباعِ النفوسِ ، وإنَّما يَصُدُّها عنهُ إحدىٰ عِلَّتينِ دينيةٌ ؛ وهيَ خوفُ المَعادِ ، أو سياسةٌ ؛ وهيَ خوفُ القتلِ

وكقولِ أبي تمامٍ في التعزيةِ[4] [من الطويل]

أَتَـصْـبِـرُ لِـلْـبَـلْـوَىٰ عَـزَاءً وَحِـسْـبَـةً فَـتُـؤْجَـرَ أَمْ تَـسْـلُـو سُـلُـوَّ ٱلْـبَـهَـائِـمِ

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٣٠٥)
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٦) عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها
(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٤٢٨)
(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/٢٥٩)

عقدَ قولَ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ للأشعثِ أن تصبرَ صبرَ الأحرارِ ، وإلَّا سلوتَ سُلُوَّ البهائمِ



والثاني كقولِ بعضِ المغاربةِ فلمَّا قَبُحَتْ فَعَلاتُهُ ، وحنظلَتْ نَخَلاتُهُ لم يَزَلْ سوءُ الظَّنِّ يَقتادُهُ ، ويُصدِّقُ تَوَهُّمَهُ الذي يَعتادُهُ ، حلَّ فيهِ قولَ أبي الطيبِ (١) [من الطويل]

إِذَا سَاءَ فِعْلُ ٱلْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ



(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٤٧)

التشطيرُ

هوَ أن يَسجَعَ كلّاً مِنْ شطرَيِ البيتِ بسجعتَينِ تخالفُ الأُوليانِ الثانيتَينِ ؛ كقولِ أبي تمامٍ[1] [من البسيط]

تَـدْبِـيـرُ مُـعْـتَـصِـمٍ بِـٱللهِ مُـنْـتَـقِـمٍ   لِلهِ مُـرْتَـغِـبٍ فِـي ٱللهِ مُـرْتَـقِـبِ



(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٥٨)

براعةُ المطلبِ

هوَ أحدُ المواضعِ الأربعةِ التي سلفَ أنَّهُ ينبغي للمُتكلِّمِ الاعتناءُ بها ، والاجتهادُ في تحسينِها[1] ؛ وذٰلكَ بأن يكونَ الطَّلبُ خالياً مِنَ الضَّراعةِ إلَّا في الطَّلبِ مِنَ اللهِ جلَّ وعلا ، ومِنَ الإلحاحِ ، وأحسنُ ما استُشهِدَ به لهٰذا النوعِ قولُ أبي الطيبِ[2] [من الطويل]

إِذَا سَأَلَ ٱلْإِنْسَانُ أَيَّامَهُ ٱلْغِنَىٰ وَكُنْتَ عَلَىٰ بُعْدٍ جَعَلْتُكَ مَوْعِدَا
وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي هَوَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ ٱلْإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا

وقولُهُ[3] [من الطويل]

وَكُلُّ ٱمْرِئٍ يُولِي ٱلْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ ٱلْعِزَّ طَيِّبُ

ولا أرىٰ مثلَ قولِهِ[4] [من الطويل]

وَفِي ٱلنَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِي كَلَامٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ

وما هوَ أصرحُ مِنْ ذٰلكَ أَولىٰ أَلَّا يكونَ مِنْ براعةِ الطَّلبِ وإن أوردوهُ مِنْ شواهدِهِ ؛ حيثُ كانَ ينبغي أن يكونَ الطَّلبُ تلميحاً وإشارةً ، لا تصريحاً وعبارةً ، فحَسْبُ الطالبِ أن يُجزِلَ الثناءَ علىٰ مَنْ يَقصِدُهُ ، ثمَّ يصفَ نفسَهُ بالصَّبرِ وأنفةِ الشَّكوىٰ واحتمالِ الأيامِ ، وأنَّهُ قد وصلَ إلىٰ موئلٍ منها وحمىً مِنْ حوادثِها ، وأمثالُ ذٰلكَ مِنَ المعاني ، مختاراً لهُ العباراتِ



---

(١) انظر (٢/١٢٣)

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٨٢)

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٥٤)

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٦٣)

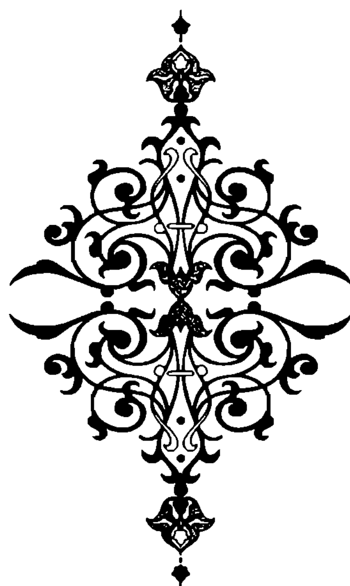
براعةُ الانتهاءِ ويُقالُ حسنُ الختامِ

وهوَ عبارةٌ عن كونِ آخِرِ الكلامِ نظماً كانَ أو نثراً مُتميّزَ الحسنِ ، رائعَ الجودةِ ، مُشعِراً بالانتهاءِ ، يَحسُنُ السكوتُ عليهِ ؛ فإنَّهُ آخِرُ ما يصلُ إلى السمعِ ، ويبلغُ النفسَ ، ويَتعلَّقُ بهِ الحفظُ ؛ كقولِ أبي الطيبِ [من الرجز]

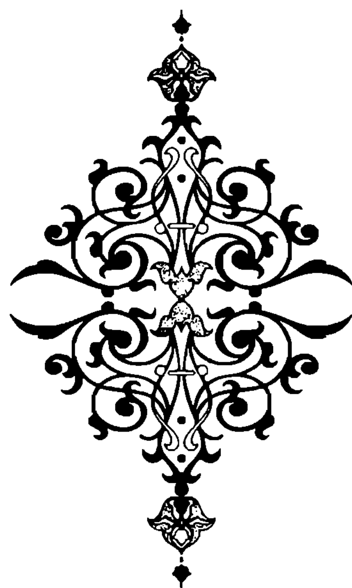
إِذَا بَقِيتَ سَالِماً أَبَا عَلِيّْ فَٱلْمُلْكُ لِلهِ ٱلْعَلِيِّ ثُمَّ لِي

وتأمَّلْ في ذٰلكَ خواتمَ السُّورِ الشريفةِ تجدْها منهُ في أرفعِ رتبةٍ وأكملِ صفةٍ





فنّا العَروض والقافية



العَروضُ

هوَ فنٌّ معرفةِ الموازينِ التي كانَتْ شعراءُ العربِ تَزِنُ بها أشعارَها ، فإنَّ الشعرَ كما عرفتَ كلامٌ موزونٌ مُقفّىً

[البحورُ الستةَ عشرَ]

وتلكَ الموازينُ بشهادةِ الاستقراءِ ستةَ عشرَ ، وسمَّاها ناقلوها **بحوراً** ، لكلِّ واحدٍ اسمٌ يَخُصُّهُ

الأولُ الطَّويلُ ؛ وأجزاؤُهُ ثمانيةٌ

فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ   فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ

الثاني المديدُ ؛ وأجزاؤُهُ ستةٌ

فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ   فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ

الثالثُ البسيطُ ؛ وأجزاؤُهُ ثمانيةٌ

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

الرابعُ الكاملُ ؛ وأجزاؤُهُ ستةٌ

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ   مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

الخامسُ : الوافرُ ؛ وأجزاؤُهُ ستةٌ

مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُنْ   مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُنْ

السادسُ الرَّجَزُ ؛ وأجزاؤُهُ ستةٌ

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

السابعُ الهَزَجُ ؛ وأجزاؤُهُ

مَــفَــاعِــيــلُــنْ مَــفَــاعِــيــلُــنْ   مَــفَــاعِــيــلُــنْ مَــفَــاعِــيــلُــنْ

الثامنُ الرَّمَلُ ؛ وأجزاؤُهُ

فَــاعِــلَاتُــنْ فَــاعِــلَاتُــنْ فَــاعِــلَاتُــنْ   فَــاعِــلَاتُــنْ فَــاعِــلَاتُــنْ فَــاعِــلَاتُــنْ

التاسعُ السريعُ ؛ وأجزاؤُهُ

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

العاشرُ المُنسرِحُ ؛ وأجزاؤُهُ

مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ (دونَ تنوينٍ) مُسْتَفْعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ

الحاديَ عشرَ الخفيفُ ؛ وأجزاؤُهُ

فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ   فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ

الثانيَ عشر المُضارعُ ؛ وأجزاؤُهُ

مَفَاعِيلُ (دونَ تنوينٍ) فَاعِ لَاتُنْ   مَــفَــاعِــيــلُ فَــاعِ لَاتُــنْ

الثالثَ عشرَ المُقتضَبُ ؛ وأجزاؤُهُ

فَاعِلَاتُ (دونَ تنوينٍ) مُفْتَعِلُنْ   فَــاعِــلَاتُ مُــفْــتَــعِــلُــنْ

الرابعَ عشرَ المُجتثُّ ؛ وأجزاؤُهُ

مُــسْــتَــفْــعِ لُــنْ فَــاعِــلَاتُــنْ   مُــسْــتَــفْــعِ لُــنْ فَــاعِــلَاتُــنْ

الخامسَ عشرَ المُتقارِبُ ؛ وأجزاؤُهُ

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ   فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

السادسَ عشرَ المُتدارِكُ ؛ وأجزاؤُهُ

فَـاعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ   فَـاعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ

[بعضُ مصطلحاتِ العروضِ]

هٰذا ؛ والجزءُ الأخيرُ مِنَ الشطرِ الأولِ يُسمَّىٰ **عَروضاً** ، ومِنَ الثاني يُسمَّىٰ **ضرباً** ، ويُسمَّى الشطرُ **مِصراعاً**

ولهٰذهِ الأجزاءِ تجزئةٌ إلىٰ مجموعاتٍ مِنْ أحرفٍ ، لكلِّ مجموعٍ اسمٌ ؛ فالمجموعُ مِنْ مُتحرِّكٍ وساكنٍ يُسمَّىٰ **سبباً خفيفاً** ، ومِنْ مُتحرِّكَينِ يُسمَّىٰ **سبباً ثقيلاً** ، ومِنْ مُتحرِّكَينِ بعدَهُما ساكنٌ يُسمَّىٰ **وَتِداً مجموعاً** ، ومِنْ مُتحرِّكَينِ بينَهُما ساكنٌ يُسمَّىٰ **وَتِداً مفروقاً**

[الزحافاتُ والعللُ]

وهٰذهِ الأجزاءُ يَدخُلُها تغييراتٌ تنقسمُ إلىٰ نوعَينِ نوعٌ يُسمَّىٰ **زِحافاً** ، ونوعٌ يُسمَّىٰ **عِلَّةً**



والزِّحافُ مفردٌ ومزدوجٌ

فالمفردُ منهُ ثمانيةٌ

الخَبْنُ وهوَ حذفُ ثاني الجزءِ ساكناً

والإضمارُ إسكانُهُ مُتحرِّكاً

والوَقْصُ حذفُهُ مُتحرِّكاً

والطَّيُّ حذفُ رابعِهِ ساكناً

والقبضُ حذفُ خامسِهِ ساكناً

والعَصْبُ إسكانُهُ

والعقلُ حذفُهُ مُتحرّكاً

والكَفُّ حذفُ سابعِهِ ساكناً



والمزدوجُ أربعةٌ الطَّيُّ معَ الخَبْنِ خَبْلٌ ، وهوَ معَ الإضمارِ خَزْلٌ ، والكَفُّ معَ الخَبْنِ شَكْلٌ ، وهوَ معَ العَصْبِ نقصٌ



والعللُ زيادةٌ فزيادةُ سببٍ خفيفٍ علىٰ ما آخِرُهُ وَتِدٌ مجموعٌ ترفيلٌ ، وحرفٍ ساكنٍ علىٰ ما آخِرُهُ وَتِدٌ مجموعٌ تذييلٌ ، وعلىٰ ما آخِرُهُ سببٌ خفيفٌ تسبيغٌ

ونقصٌ فذهابُ سببٍ خفيفٍ حذفٌ ، وهوَ معَ العَصْبِ قَطْفٌ ، وحذفُ ساكنِ الوَتِدِ المجموعِ وإسكانُ ما قبلَهُ قطعٌ ، وهوَ معَ الحذفِ بترٌ ، وحذفُ ساكنِ السببِ وإسكانُ مُتحرّكِهِ : قصرٌ ، وحذفُ وَتِدٍ مجموعٍ حَذَذٌ ، ومفروقٍ صَلْمٌ ، وإسكانُ السابعِ المُتحرّكِ وقفٌ ، وحذفُهُ كَسْفٌ

والعِلَّةُ إذا أُريدَتْ لزمَتْ في جميعِ الأبياتِ ، ومَحَلُّها العَروضُ والضَّرْبُ ، والزِّحافُ لا يلزمُ ، ومَحَلُّهُ ثواني الأسبابِ



تفصيلُ القولِ في الأوزانِ

الطَّويلُ

لم تَستعملِ العربُ عَروضَهُ إلَّا مقبوضةً ، فوجبَ اتباعُهُم ، إذا لم يكنْ تصريعٌ ، فقدِ استعملوها تامَّةً ؛ كقولِ امرئِ القيسِ[1]

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا ٱلطَّلَلُ ٱلْبَالِي   وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِي ٱلْعُصُرِ ٱلْخَالِي

وقولِهِ[2]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ   وَرَبْعٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

واستعملوا ضربَهُ علىٰ ثلاثةِ أوجهٍ صحيحاً ، ومقبوضاً فيصيرُ مَفاعِلُنْ ، ومحذوفاً فيصيرُ فَعولُنْ

فالأولُ كقولِهِ[3]

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ   فَلَيْسَ عَلَىٰ شَيْءٍ سِوَاهُ [بِخَزَّانِ]

وتقطيعُهُ

([إذل] مر) وتِدٌ وسببٌ ، (ألم يخ زن) وتدٌ وسببانِ ، (علي هِ) وتدٌ وسببٌ حُذِفَ ثانيهِ ، فالجزءُ مقبوضٌ ، ([لسا ن هو]) وتدٌ وسببانِ حُذِفَ ثاني أولِهما ؛ فالجزءُ مقبوضٌ ، وهوَ العَروضُ ، وسبقَ لزومُ قبضِها ، (فلي س علىٰ شي إن سوا ه بخز زا ني)



---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٢٧)

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٨٩)

(٣) هو لامرئ القيس في « ديوانه » (ص ٩٠)

والثاني كقولِهِ[1]

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فَإِنِّي إِلَىٰ قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

والثالثُ كقولِهِ[2]

لَعَمْرُكَ مَا حُسْنُ ٱلْوُجُوهِ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَتِ ٱلْأَعْرَاضُ غَيْرَ حِسَانِ
فَلَا تَجْعَلِ ٱلْحُسْنَ ٱلدَّلِيلَ عَلَى ٱلْفَتَىٰ فَمَا كُلُّ مَصْقُولِ ٱلْحَدِيدِ يَمَانِي



(١) هو الشنفرىٰ في « ديوانه » (ص ٦٦)
(٢) انظر « يتيمة الدهر » (٤٥٧/٢)

المديدُ

لهُ ثلاثُ أعاريض ، وستةُ أضربٍ

الأولىٰ صحيحةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[1]

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلَيْباً ... يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ ٱلْفِرَارُ



الثانيةُ محذوفةٌ

وأضربُها ثلاثةٌ

الأولُ مقصورٌ ، وبيتُهُ[2]

لَا يَغُرَّنَّ ٱمْرَأً عَيْشُهُ ... كُلُّ عَيْشٍ صَائِرٌ لِلزَّوَالْ

الثاني مثلُها ، وبيتُهُ[3]

اِعْلَمُوا أَنِّي لَكُمْ حَافِظٌ ... شَاهِداً مَا كُنْتُ أَوْ غَائِبَا

الثالثُ أبترُ ، وبيتُهُ[4]

إِنَّمَا ٱلذَّلْفَاءُ يَاقُوتَةٌ ... أُخْرِجَتْ مِنْ كِيسِ دِهْقَانِ

(١) هو للمهلهل ، كما في « خزانة الأدب » (٢/١٦٢)

(٢) انظر « القسطاس » للزمخشري (ص ١٠٥)

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٠٦)

(٤) انظر « القسطاس » (ص ١٠٦)

[الثالثةُ][1] محذوفةٌ مخبونةٌ ، ولها ضربانِ

الأولُ مثلُها ، وبيتُهُ[2]

لِـلْـفَـتَـىٰ عَـقْـلٌ يَـعِـيـشُ بِـهِ حَـيْـثُ تَـهْـدِي سَـاقَـهُ قَـدَمُـهْ

والثاني أبترُ ، وبيتُهُ[3]

رُبَّ نَـارٍ بِـتُّ أَرْمُـقُـهَـا تَـقْـضَـمُ ٱلْـهِـنْـدِيَّ وَٱلْـغَـارَا



---

(١) انظر « القسطاس » (ص ١٠٦)

(٢) هو لطرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٨٠)

(٣) هو لعدي بن زيد في « ديوانه » (ص ١٠٠)

البسيطُ

لهُ ثلاثُ أعاريضَ ، وستةُ أضربٍ

الأُولىٰ مخبونةٌ ، ولها ضربانِ

الأولُ مثلُها ، وبيتُهُ (١)

يَا حَارِ لَا أُرْمَيَنْ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ ... لَمْ يَلْقَهَا سُوقَةٌ قَبْلِي وَلَا مَلِكُ

الثاني مقطوعٌ ، وبيتُهُ (٢)

قَدْ أَشْهَدُ ٱلْغَارَةَ ٱلشَّعْوَاءَ تَحْمِلُنِي ... جَرْدَاءُ مَعْرُوقَةُ ٱللَّحْيَيْنِ سُرْحُوبُ



الثانيةُ مجزوءةٌ صحيحةٌ ؛ أي سالمةٌ مِنْ تغيُّرٍ لا يكونُ في الحشوِ ، وأضربُها ثلاثةٌ

الأولُ مجزوءٌ مذالٌ ، وقولُهُم مجزوءةٌ ومجزوءٌ ؛ مِنْ تسميةِ الجزءِ باسمِ الكلِّ ؛ فإنَّ المجزوءَ اسمٌ للبيتِ الذي حُذِفَ منهُ عَروضُهُ وضربُهُ ، وبيتُهُ (٣)

إِنَّا ذَمَمْنَا عَلَىٰ مَا خَيَّلَتْ ... سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ [وَعَمْراً] مِنْ تَمِيمْ

الثاني مثلُها ، وبيتُهُ (٤)

مَاذَا وُقُوفِي عَلَىٰ رَبْعٍ عَفَا ... مُخْلَوْلِقٍ دَارِسٍ مُسْتَعْجِمِ

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمىٰ في « ديوانه » (ص ١٣٦)

(٢) البيت لامرئ القيس في « ديوانه » (ص ٢٢٥)

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١١٨)

(٤) انظر « القسطاس » (ص ١١٩)

الثالثُ مجزوءٌ مقطوعٌ ، وبيتُهُ[1]

سِيرُوا مَعاً إِنَّمَا مِيعَادُكُمْ يَوْمَ ٱلثَّلَاثَاءِ بَطْنَ ٱلْوَادِي

الثالثةُ مجزوءةٌ مقطوعةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[2]

مَا هَيَّجَ ٱلشَّوْقَ مِنْ أَطْلَالِ أَضْحَتْ قِفَاراً كَوَحْيِ ٱلْوَاحِي

ويُسمَّىٰ حينَئذٍ مُخلَّعاً ومكبولاً ، وقد أكثرَ المُولَّدونَ مِنِ استعمالِهِ مُلتزِمينَ خَبْنَ عَروضِهِ وضربِهِ ؛ لخفَّتِهِ إذاً ؛ كقولِ بعضِهِم

يَا غُصُناً فِي ٱلرِّيَاضِ مَالَا عَلَيْهِ بَدْرُ ٱلسَّمَا تَلَالَا

يَا رَائِحاً بَعْدَ مَا سَبَانِي حَسْبُكَ رَبُّ ٱلسَّمَا تَعَالَىٰ



(١) انظر « القسطاس » (ص ١١٩)

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٢٠)

الوافرُ

لهُ عَروضانِ ، وثلاثةُ أضربٍ

الأولىٰ مقطوعةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ (١)

لَـنَـا غَـنَـمٌ نُـسَـوِّقُـهَـا غِـزَارٌ كَـأَنَّ قُـرُونَ جِـلَّـتِـهَـا ٱلْـعِـصِـيُّ



الثانيةُ مجزوءةٌ صحيحةٌ ، ولها ضربانِ

الأولُ مثلُها ، وبيتُهُ (٢)

لَـقَـدْ عَـلِـمَـتْ رَبِـيـعَـةُ أَنَّ حَـبْـلَـكَ وَاهِـنٌ خَـلَـقُ

الثاني مجزوءٌ معصوبٌ ، وبيتُهُ (٣)

أُعَـاتِـبُـهَـا وَآمُـرُهَـا فَـتُـغْـضِـبُـنِـي وَتَـعْـصِـيـنِـي



---

(١) انظر « القسطاس » (ص ١٢٨)

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٣٤)

(٣) انظر « مفتاح العلوم » (ص ٦٤٢)

الكاملُ

لهُ ثلاثُ أعاريضَ ، وتسعةُ أضربٍ

الأُولىٰ تامَّةٌ ، وأضربُها ثلاثةٌ

الأولُ مثلُها ، وبيتُهُ (١)

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدىً ... وَكَمَا عَلِمْتِ شَمَائِلِي وَتَكَرُّمِي

الثاني مقطوعٌ ، وبيتُهُ (٢)

وَإِذَا دَعَوْنَكَ عَمَّهُنَّ فَإِنَّهُ ... نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالَا

الثالثُ أحذُّ مضمرٌ ، وبيتُهُ (٣)

لِمَنِ ٱلدِّيَارُ بِرَامَتَيْنِ فَعَاقِلٍ ... دَرَسَتْ وَغَيَّرَ آيَهَا ٱلْقَطْرُ

الثانية حذَّاءُ ، ولها ضربانِ

الأولُ مثلُها ، وبيتُهُ (٤)

دِمَنٌ عَفَتْ وَمَحَا مَعَالِمَهَا ... هَطِلٌ أَجَشُّ وَبَارِحٌ تَرِبُ

---

(١) البيت لعنترة في « ديوانه » (ص ٢٠٧)

(٢) هو للأخطل في « ديوانه » (ص ١٩٧)

(٣) انظر « مفتاح العلوم » (ص ٦٤٥)

(٤) انظر « القسطاس » (ص ١٤٠)

الثاني   أحذُّ مضمرٌ ، وبيتُهُ (١)

وَلَأَنْــتَ أَشْـجَـعُ مِـنْ أُسَـامَـةَ إِذْ   دُعِـيَـتْ نَـزَالِ وَلُـجَّ فِـي ٱلـذُّعْـرِ



الثالثةُ   مجزوءةٌ صحيحةٌ ، وأضربُها أربعةٌ

الأولُ   مجزوءٌ مُرفَّلٌ ، وبيتُهُ (٢)

وَلَــقَــدْ سَـبَـقْـتَـهُـمُ إِلَـيَّ   فَـلِـمْ نَـزَعْـتَ وَأَنْـتَ آخِـرْ

الثانيُ   مجزوءٌ مذالٌ ، وبيتُهُ (٣)

جَــدَثٌ يَـكُـونُ مَـقَـامُـهُ   أَبَـداً بِـمُـخْـتَـلِـفِ ٱلـرِّيَـاحْ

الثالثُ   مثلُها ، وبيتُهُ (٤)

وَإِذَا ٱفْـتَـقَـرْتَ فَـلَا تَـكُـنْ   مُـتَـخَـشِّـعـاً وَتَـجَـمَّـلِ

الرابعُ   مقطوعٌ ، وبيتُهُ (٥)

وَإِذَا هُـمُ ذَكَـرُوا ٱلْإِسَـا   ءَةَ أَكْـثَـرُوا ٱلْـحَـسَـنَـاتِ



(١) هو لزهير بن أبي سلمىٰ في « ديوانه » (ص ٧٨) ، و« القسطاس » (ص ١٤١)
(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٤٦)
(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٤٧)
(٤) انظر « القسطاس » (ص ١٤٧)
(٥) انظر « القسطاس » (ص ١٤٨)

الهَزَجُ

لهُ عَروضٌ وضربانِ

الأولُ مثلُها ، وبيتُهُ(١)

عَـفَـا مِـنْ آلِ لَـيْـلَى ٱلـسَّـهْـ ـبُ فَـٱلْأَمْـلَاحُ فَـٱلْـغَـمْـرُ

الثاني محذوفٌ ، وبيتُهُ(٢)

وَمَـا ظَـهْـرِي لِـبَـاغِـي ٱلـضَّـيْـ ـمِ بِـٱلـظَّـهْـرِ ٱلـذَّلُـولِ



(١) انظر « القسطاس » (ص ١٥٧)

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٥٨)

الرَّجَزُ

لهُ أربعُ أعاريض ، وخمسةُ أضربٍ

الأُولىٰ تامَّةٌ ، ولها ضربانِ

الأولُ مثلُها ، وبيتُهُ [١]

دَارٌ لِسَلْمَىٰ إِذْ سُلَيْمَىٰ جَارَةٌ ... [قَفْرٌ] تَرَىٰ آيَاتِهَا مِثْلَ ٱلزُّبُرْ

الثاني مقطوعٌ ، وبيتُهُ [٢]

اَلْقَلْبُ مِنْهَا مُسْتَرِيحٌ سَالِمٌ ... وَٱلْقَلْبُ مِنِّي جَاهِدٌ مَجْهُودُ



الثانيةُ مجزوءةٌ صحيحةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ [٣]

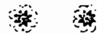
قَدْ هَاجَ قَلْبِي مَنْزِلٌ ... مِنْ أُمِّ عَمْرٍو مُقْفِرُ



الثالثةُ مشطورةٌ ، وهيَ الضَّربُ ، وبيتُهُ [٤]

مَا هَاجَ أَحْزَاناً وَشَجْواً قَدْ شَجَا

والشطرُ هوَ جعلُ البيتِ ثلاثةَ أجزاءٍ ، فيتحدُ العَروضُ والضَّربُ ، وعليهِ أكثرُ رجزِ العربِ



---

(١) انظر « القسطاس » (ص ١٦٣)

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٦٤)

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٦٦)

(٤) هو للعجاج في « ديوانه » (١٣/٢)

الرابعةُ منهوكةٌ ، وهيَ الضَّرْبُ ، وبيتُهُ [1]

يَـــا لَــيْــتَــنِــي فِــيــهَــا جَــذَعْ



(١) هو لدريد بن الصمة في « ديوانه » (ص ١٢٨)

الرملُ

لهُ عَروضانِ ، وستةُ أضربٍ

الأُولىٰ محذوفةٌ ، وأضربُها ثلاثةٌ

الأولُ تامٌّ ، وبيتُهُ (١)

مِثْلَ سَحْقِ ٱلْبُرْدِ عَفَّىٰ بَعْدَكَ ٱلْـ ـقَطْرُ مَغْنَاهُ وَتَأْوِيبُ ٱلشَّمَالِ

الثاني مقصورٌ ، وبيتُهُ (٢)

أَبْلِغِ ٱلنُّعْمَانَ عَنِّي مَأْلُكاً أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَٱنْتِظَارِي

الثالثُ مثلُها ، وبيتُهُ (٣)

قَالَتِ ٱلْخَنْسَاءُ لَمَّا جِئْتُهَا شَابَ بَعْدِي رَأْسُ هَٰذَا وَٱشْتَهَبْ



الثانيةُ مجزوءةٌ صحيحةٌ

وأضربُها ثلاثةٌ

الأولُ مجزوءٌ مُسبَّغٌ ، وبيتُهُ (٤)

يَا خَلِيلَيَّ ٱرْبَعَا وَٱسْـ ـتَخْبِرَا رَبْعاً بِعَسْفَانْ

---

(١) هو لعبيد بن الأبرص في « ديوانه » (ص ٥٨)

(٢) هو لعدي بن زيد في « ديوانه » (ص ٩٣)

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٧٧)

(٤) انظر « القسطاس » (ص ١٧٩)

الثاني مثلُها ، وبيتُهُ (1)

مُـــقْـــفِـــرَاتٌ دَارِسَـــاتٌ مِـــثْـــلُ آيَـــاتِ ٱلـــزَّبُـــورِ

الثالثُ مجزوءٌ محذوفٌ ، وبيتُهُ (2)

مَـا لِـمَـا قَـرَّتْ بِـهِ ٱلْـعَـيْـ ـنَـانِ مِـنْ هَـٰذَا ثَـمَـنْ



(1) انظر « القسطاس » (ص ١٧٩)

(2) انظر « القسطاس » (ص ١٨٠)

السريعُ

لهُ أربعُ أعاريض ، وستةُ أضربٍ

الأُولىٰ مطويةٌ مكسوفةٌ ، وأضربُها ثلاثةٌ

الأولُ مطويٌّ موقوفٌ ، وبيتُهُ (١)

أَزْمَانَ سَلْمَىٰ لَا يَرَىٰ مِثْلَهَا ٱلرَّ اؤُونَ فِي شَامٍ وَلَا فِي عِرَاقْ

الثاني مثلُها ، وبيتُهُ (٢)

هَاجَ ٱلْهَوَىٰ رَسْمٌ بِذَاتِ ٱلْغَضَا مُخْلَوْلِقٌ مُسْتَعْجِمٌ مُحْوِلُ

الثالثُ أصلمُ ، وبيتُهُ (٣)

قَالَتْ وَلَمْ تَقْصِدْ لِقِيلِ ٱلْخَنَا مَهْلاً لَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي



الثانيةُ مخبولةٌ مكسوفةٌ ، وضربُها مثلُها

وبيتُهُ (٤)

اَلنَّشْرُ مِسْكٌ وَٱلْوُجُوهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ ٱلْأَكُفِّ عَنَمْ



---

(١) انظر « القسطاس » (ص ١٨٥)

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٨٦) ، و« مفتاح العلوم » (ص ٦٦١)

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٨٦)

(٤) هو للمرقش الأكبر في « ديوانه » (ص ٦٨)

الثالثةُ   موقوفةٌ مشطورةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[1]

يُــوزِعْــنَ فِــي حَــافَــاتِــهِ بِــاْلأَبْــوَالْ

الرابعةُ   مكسوفةٌ مشطورةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[2]

يَــا صَــاحِــبَــيْ رَحْــلِــي أَقِــلَّا عَــذْلِــي



(١) انظر « القسطاس » (ص ١٩٠)

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٩١)

المنسرحُ

لهُ ثلاثُ أعاريض ، وثلاثةُ أضربٍ

الأُولىٰ صحيحةٌ ، وضربُها مطويٌّ ، وبيتُهُ[1]

إِنَّ ٱبْـنَ زَيْـدٍ لَا زَالَ مُـسْـتَـعْـمِـلاً   لِلْخَيْرِ يُفْشِي فِي مِصْرِهِ ٱلْعُرُفَا

بضمِّ الراءِ



الثانيةُ موقوفةٌ منهوكةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[2]

صَـــبْـــراً بَـــنِـــي عَـــبْـــدِ ٱلـــدَّارْ



الثالثةُ مكسوفةٌ منهوكةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[3]

وَيْـــلُ ٱمِّ سَـــعْـــدٍ سَـــعْـــدَا



---

(١) انظر « القسطاس » (ص ١٩٤)

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٩٦)

(٣) انظر « سيرة ابن هشام » (٢٥٢/٢)

الخفيفُ

و(مستفعِ لُنْ) فيهِ وفي المُجتثِّ مفروقُ الوتدِ

لهُ ثلاثُ أعاريض ، وخمسةُ أضربٍ

الأُولىٰ صحيحةٌ ، ولها ضربانِ

الأولُ مثلُها ، وبيتُهُ(١)

حَلَّ أَهْلِي مَا بَيْنَ دُرْنَا فَبَادَو   لَىٰ وَحَلَّتْ عُلْوِيَّةٌ بِٱلسِّخَالِ

الثاني محذوفٌ ، وبيتُهُ(٢)

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ ثَمَّ هَلْ آتِيَنْهُمْ   أَمْ يَحُولَنْ مِنْ دُونِ ذَاكَ ٱلرَّدَىٰ

الثانيةُ : محذوفةٌ وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ(٣)

إِنْ قَدَرْنَا يَوْماً عَلَىٰ عَامِرٍ   نَنْتَصِفْ مِنْهُ أَوْ نَدَعْهُ لَكُمْ

الثالثةُ مجزوءةٌ صحيحةٌ ، ولها ضربانِ

الأولُ مثلُها ، وبيتُهُ(٤)

لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا تَرَىٰ   أُمُّ عَمْرٍو فِي أَمْرِنَا

---

(١) هو للأعشى الكبير في « ديوانه » (١/٩٩)

(٢) انظر « القسطاس » (ص ٢٠٢)

(٣) انظر « القسطاس » (ص ٢٠٢)

(٤) انظر « القسطاس » (ص ٢٠٦)

الثاني مجزوءٌ مخبونٌ مقصورٌ ، وبيتُهُ [١]

كُـــلُّ خَـــطْـــبٍ إِنْ لَـــمْ تَـــكُـــو نُـــوا غَـــضِـــبْـــتُـــمْ يَـــسِـــيـــرُ



(١) انظر «القسطاس» (ص ٢٠٦)

المضارعُ

و(فاعِ لاتُنْ) فيهِ مفروقُ الوتدِ ، وبعضُ العَروضيّينَ يُوجِبُ كفَّ أوَّلِهِ وثالثِهِ ، كما في الشاهدِ

لهُ عَروضٌ وضربٌ ، وبيتُهُ [1]

دَعَــــانِــــي إِلَــــىٰ سُــــعَــــادِي   دَوَاعِــــي هَــــوىٰ سُــــعَــــادِي



---

(١) انظر « القسطاس » (ص ٢٠٩)

المُقتضَبُ

لهُ عَروضٌ وضربٌ مطويانِ ، وبيتُهُ[1]

أَقْبَلَتْ فَلاحَ لَهَا عَارِضَانِ كَٱلسَّبَجِ



(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٣٠)

المُجتثُّ

لهُ عَروضٌ وضربٌ ، وبيتُهُ (١)

اَلْـبَـطْـنُ مِـنْـهَـا خَـمِـيـصٌ وَٱلْـوَجْـهُ مِـثْـلُ ٱلْـهِـلَالِ



(١) انظر « القسطاس » (ص ٢١٧)

المُتقارِبُ

لهُ عَروضانِ ، وستةُ أضربٍ

الأولىٰ صحيحةٌ ، وأضربُها أربعةٌ

الأولُ مثلُها ، وبيتُهُ[1]

فَـأَمَّـا تَـمِـيـمٌ تَـمِـيـمُ بْـنُ مُـرٍّ   فَـأَلْـفَـاهُـمُ ٱلْـقَـوْمُ رَوبَـىٰ نِـيَـامَـا

الثاني مقصورٌ ، وبيتُهُ[2]

وَيَـأْوِي إِلَـىٰ نِـسْـوَةٍ بَـائِـسَـاتٍ   وَشُـعْـثٍ مَـرَاضِـيـعَ مِـثْـلِ ٱلـسَّـعَـالْ

الثالثُ محذوفٌ ، وبيتُهُ[3]

وَأَرْوِي مِـنَ ٱلـشِّـعْـرِ شِـعْـراً عَـوِيـصاً   يُـنَـسِّـي ٱلـرُّوَاةَ ٱلَّـذِي قَـدْ رَوَوْا

الرابعُ أبترُ ، وبيتُهُ[4]

خَـلِـيـلَـيَّ عُـوجَـا عَـلَـىٰ رَسْـمِ دَارٍ   خَـلَـتْ مِـنْ سُـلَـيْـمَـىٰ وَمِـنْ مَـيَّـهْ

[الثانيةُ] مجزوءةٌ محذوفةٌ ، ولها ضربانِ

الأولُ مثلُها ، وبيتُهُ[5]

أَمِـنْ دِمْـنَـةٍ أَقْـفَـرَتْ   لِـسَـلْـمَـىٰ بِـذَاتِ ٱلْـغَـضَـا

---

(١) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٢)

(٢) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٣)

(٣) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٣)

(٤) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٤)

(٥) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٧)

الثاني مجزوءٌ أبترُ ، وبيتُهُ[1]

تَـعَـفَّـفْ وَلَا تَـبْـتَـئِـسْ فَـمَـا يُـقْـضَ يَـأْتِـيـكَـا



(١) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٨)

المُتدارِكُ

لهُ عَروضانِ ، وأربعةُ أضربٍ

الأُولىٰ تامَّةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ

جَـاءَنَـا عَـامِـرٌ سَـالِـمـاً صَـالِـحـاً بَـعْـدَ مَـا كَـانَ مَـا كَـانَ مِـنْ عَـامِـرِ



الثانيةُ مجزوءةٌ صحيحةٌ

وأضربُها ثلاثةٌ

الأولُ مجزوءٌ مخبونٌ مُرفَّلٌ ، وبيتُهُ(١)

دَارَ سُـعْـدَىٰ بِـشَـحْـرِ عُـمَـانِ قَـدْ كَـسَـاهَـا ٱلْـبِـلَـى ٱلْـمَـلَـوَانِ

الثاني مجزوءٌ مذالٌ ، وبيتُهُ(٢)

هَـٰذِهِ دَارُهُـمْ أَقْـفَـرَتْ أَمْ زَبُـورٌ مَـحَـتْـهَـا ٱلـدُّهُـورْ

الثالثُ مثلُها ، وبيتُهُ(٣)

قِـفْ عَـلَـىٰ دَارِهِـمْ وَٱبْـكِـيَـنْ بَـيْـنَ أَطْـلَالِـهَـا وَٱلـدِّمَـنْ

والخبنُ فيهِ حسنٌ ، وبيتُهُ(٤)

كُـرَةٌ طُـرِحَـتْ بِـصَـوَالِـجَـةٍ فَـتَـلَـقَّـفَـهَـا رَجُـلٌ رَجُـلُ

---

(١) انظر « العيون الغامزة » (ص ٥٩)

(٢) انظر « العيون الغامزة » (ص ٥٩)

(٣) انظر « العيون الغامزة » (ص ٦٠)

(٤) انظر « العيون الغامزة » (ص ٥٩)

والقطعُ في حشوهِ جائزٌ ، وبيتُهُ (١)

مَـــا لِـــي مَـــالٌ إِلَّا دِرْهَـــمْ أَوْ بِـــرْذَوْنِـــي ذَاكَ ٱلْأَدْهَـــمْ

وقدِ اجتمعا ، وبيتُهُ

زُمَّـتْ إِبِـلٌ لِـلْـبَـيْـنِ ضُـحـىً فِـي غَـوْرِ تِـهَـامَـةَ قَـدْ سَـلَـكُـوا



(١) انظر « العيون الغامزة » (ص ٦٠)

القافيةُ

هيَ مِنْ آخِرِ البيتِ إلىٰ أوَّلِ مُتحرِّكٍ قبلَ ساكنٍ بينَهُما ، فهيَ في قولِهِ (١) [من الطويل]

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

كلمةُ (هيكلِ)

ولكلِّ حرفٍ تشتملُ عليهِ اسمٌ ؛ فالحرفُ الذي تُنسَبُ إليهِ القصيدةُ كاللَّامِ ؛ فيُقالُ لاميةُ العربِ ، ولاميةُ العجمِ ، والهمزةِ ؛ فيُقالُ همزيةُ فلانٍ يُسمَّىٰ : رويّاً ، والحرفُ الذي يَعقِبُهُ مِنْ مدٍّ أو هاءٍ كيفَ كانَتْ يُسمَّىٰ وصلاً ، والمَدُّ المُتصِلُ بهاءِ الوصلِ يُسمَّىٰ خروجاً ، والمَدُّ قبلَ الرَّويِّ يُسمَّىٰ ردفاً ، والألفُ التي قبلَ الرَّويِّ بحرفٍ إن كانَتْ مِنْ كلمتِهِ أو مِنْ غيرِها وكانَ ضميراً أو بعض ضميرٍ يُسمَّىٰ تأسيساً ، والحرفُ المُتحرِّكُ بعدَ التأسيسِ يُسمَّىٰ دخيلاً

وكذا حركاتُها ، فحركةُ الرَّويِّ تُسمَّىٰ مجرىً ، وحركةُ الوصلِ تُسمَّىٰ نفاذاً ، وحركةُ ما قبلَ الردفِ تُسمَّىٰ حذواً ، وحركةُ الدَّخيلِ تُسمَّىٰ إشباعاً ، وحركةُ ما قبلَ التأسيسِ رسّاً ، وحركةُ ما قبلَ الرَّويِّ المُقيدِ تُسمَّىٰ توجيهاً

[أنواعُ القافيةِ]

والقافيةُ إمَّا مُطلقةٌ وهيَ مُتحرِّكةُ الرَّويِّ ، وإمَّا مُقيدةٌ ؛ وهيَ ساكنتُهُ

---

(١) عجز بيت لامرئ القيس ، في « ديوانه » (ص ١٩) ، والبيت بتمامه

وَقَدْ أَغْتَدِي وَٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا   بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

والمُطلقةُ إمَّا مُجرَّدةٌ ، أو مردوفةٌ ، أو مُؤسسةٌ موصولةٌ باللينِ أوِ الهاءِ

والمُقيدةُ إمَّا مُجرَّدةٌ ، وإمَّا مردوفةٌ ، وإمَّا مؤسسةٌ

فهٰذه تسعةُ أقسامٍ يُقالُ لها أنواعُ القافيةِ

ولفظُ القافيةِ إن توالىٰ فيهِ أربعُ حركاتٍ بينَ ساكنيها يُسمَّىٰ متكاوساً ، وإن توالىٰ ثلاثٌ يُسمَّىٰ متراكباً ، وإن توالى اثنتانِ سُمِّيَ مُتدارِكاً ، وإن فصلَ بينَهُما حركةٌ سُمِّيَ متواتراً ، وإنِ اجتمعَ الساكنانِ سُمِّيَ مترادفاً

[عيوبُ القافيةِ]

وعيوبُ القافيةِ

الإيطاءُ ؛ وهوَ إعادةُ كلمةِ الرَّويِّ لفظاً ومعنىً

والتضمينُ ؛ وهوَ تعليقُ البيتِ بما بعدَهُ تعليقَ تتميمِ معنىً

والإقواءُ ؛ وهوَ اختلافُ المجرىٰ بكسرٍ وضمٍّ

والإصرافُ ؛ وهوَ اختلافُ المجرىٰ بفتحٍ وغيرِهِ

والإكفاءُ ؛ وهوَ اختلافُ الرَّويِّ بحروفٍ متقاربةِ المخارجِ

والإجازةُ ؛ وهوَ اختلافُهُ بحروفٍ متباعدةٍ

والسنادُ ؛ وهوَ اختلافُ ما يُراعىٰ قبلَ الرَّويِّ مِنَ الحروفِ والحركاتِ ؛ وهوَ خمسةٌ

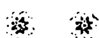
سنادُ الردفِ ؛ وهوَ ردفُ أحدِ البيتَينِ دونَ الآخَرِ

وسنادُ التأسيسِ ؛ وهوَ تأسيسُ أحدِهِما دونَ الآخَرِ

وسنادُ الإشباعِ ؛ وهوَ اختلافُ حركةِ الدَّخيلِ

وسنادُ الحذوِ ؛ وهوَ اختلافُ حركةِ ما قبلَ الردفِ

وسنادُ التوجيهِ ؛ وهوَ اختلافُ حركةِ ما قبلَ الرَّويِّ المُقيَّدِ



هٰذا ؛ وإذا كانَ يكفي مِنَ القِلادةِ ما أحاطَ بالعنقِ فمعرفتُكَ هٰذا القَدْرَ مِنْ هٰذَينِ الفنَّينِ لتلاحظَ وزنَ ما يَرِدُ عليكَ مِنَ الأشعارِ ، وتزنَ ما تريدُ أن تقولَ كافيةٌ ، وصرفُ الزمنِ للتوسُّعِ في غيرِ زوائدِ هٰذَينِ الفنَّينِ أحسنُ



[قصائدُ لتعويدِ الذهنِ سرعةَ ملاحظةِ الأوزانِ]

وهٰذهِ قصائدُ أثبتُّها في هٰذا الموضعِ تُعوّدُ فيها ذهنَكَ سرعةَ ملاحظةِ زنةِ الأشعارِ ؛ فإنَّ مِنَ اللازمِ للمُتأدِّبِ أنَّهُ إذا وردَ عليهِ الشعرُ لم يلبثْ أن يَعرِفَ وزنَهُ ، ويلاحظَهُ حالَ القراءةِ ؛ ليساعدَهُ على إجادةِ الإنشادِ ، ويَعصِمَهُ مِنْ فواتِ الخَلَلِ عليهِ

قالَ ابنُ النبيهِ ؛ مِنَ الطويلِ ، والقافيةُ مِنَ المتواترِ مُجرَّدةٌ موصولةٌ بالألفِ[1]

رَنَا وَٱنْثَنَىٰ كَٱلسَّيْفِ وَٱلصَّعْدَةِ ٱلسَّمْرَا ... فَمَا أَكْثَرَ ٱلْقَتْلَىٰ وَمَا أَرْخَص ٱلْأَسْرَىٰ
خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ خَارِجِيِّ عِذَارِهِ ... فَقَدْ جَاءَ زَحْفاً فِي كَتِيبَتِهِ ٱلْخَضْرَا
غُـلَامٌ أَرَادَ ٱللهُ إِطْـفَـاءَ فِـتْـنَـةٍ ... بِعَارِضِهِ فَٱسْتُؤْنِفَتْ فِتْنَةٌ أُخْرَىٰ
تُكَلِّفُنِي ٱلسُّلْوَانَ عَنْهُ عَوَاذِلِي ... أَمَا عَلِمُوا أَنِّي بِطَلْعَتِهِ مُغْرَىٰ
فَـزَرْفَـنَ بِـٱلْأَصْـدَاغِ جَـنَّـةَ خَـدِّهِ ... وَأَرْخَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَوَائِبِهِ سِتْرَا
أَغَنُّ يُنَاجِي شَعْرُهُ حَلْيَ خَصْرِهِ ... كَمَا يُعْتِبُ ٱلْمَعْشُوقُ عَاشِقَهُ سِرَّا
وَصَلْتُ بِدَاجِي شَعْرِهِ لَيْلَ وَصْلِهِ ... فَلَمْ أَخْشَ صُبْحاً غَيْرَ غُرَّتِهِ ٱلْغَرَّا
أَخُوضُ عُبَابَ ٱلْمَوْتِ مِنْ دُونِ ثَغْرِهِ ... كَذَاكَ يَخُوضُ ٱلْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ ٱلدُّرَّا
غَزَالٌ رَخِيمُ ٱلدَّلِّ فِي يَوْمِ سِلْمِهِ ... وَلَيْثٌ لَهُ فِي حَرْبِهِ ٱلْبَطْشَةُ ٱلْكُبْرَىٰ
دَرِيٌّ بِحَمْلِ ٱلْكَأْسِ فِي يَوْمِ لَذَّةٍ ... وَلَـٰكِنْ بِحَمْلِ ٱلسَّيْفِ يَوْمَ ٱلْوَغَىٰ أَدْرَىٰ

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٤١)

أَهِيمُ بِهِ فِي عَقْدِهِ وَنِجَادِهِ ... فَلَا بُدَّ فِي ٱلسَّرَّاءِ مِنْهُ وَفِي ٱلضَّرَّا
وَصَامِتَةِ ٱلْخَلْخَالِ أَنَّ وِشَاحُهَا ... فَهَٰذَا قَدِ ٱسْتَغْنَىٰ وَهَٰذَا شَكَى ٱلْفَقْرَا
تَلَأْلَأَ دُرُّ ٱلْعِقْدِ تِيهاً بِجِيدِهَا ... وَسَاكِنُ ذَاكَ ٱلنَّحْرِ لَا يَسْكُنُ ٱلْبَحْرَا
لَهَا مِعْصَمٌ لَوْلَا ٱلسِّوَارُ يَصُدُّهُ ... إِذَا حَسَرَتْ أَكْمَامَهَا لَجَرَىٰ نَهْرَا
دَعَتْنِي إِلَى ٱلسُّلْوَانِ عَنْهُ بِحُبِّهَا ... وَمَا كُنْتُ أَرْضَىٰ بَعْدَ إِيمَانِيَ ٱلْكُفْرَا
بِأَيِّ ٱعْتِذَارٍ أَلْتَقِي حُسْنَ وَجْهِهِ ... إِذَا خَدَعَتْنِي عَنْهُ غَانِيَةٌ عَذْرَا
تَقُولُ وَقَدْ أَزْرَىٰ بِهَا حُسْنُ وَصْفِهِ ... لَحَى ٱللهُ رَبَّ ٱلشِّعْرِ لَوْ نَظَمَ ٱلشِّعْرَا
أَلَمْ تَرَنِي بَيْنَ ٱلسِّمَاطَيْنِ مُنْشِداً ... كَأَنِّي عَلَىٰ شَاهَ ٱرْمَنٍ أَنْثُرُ ٱلدُّرَّا
مَلِيكٌ كَرِيمٌ بَاسِلٌ عَمَّ عَدْلُهُ ... فَمَنْ حَاتِمٌ وَٱبْنُ ٱلْوَلِيدِ وَمَنْ كِسْرَىٰ
أَبِيٌّ سَخِيٌّ تَحْتَ سَطْوَتِهِ ٱلْغِنَىٰ ... فَخَفْ وَتَيَقَّنْ أَنَّ فِي عُسْرِهِ يُسْرَا
هُوَ ٱلْبَحْرُ بَلْ أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ إِنَّ فِي ... بَنَانِ يَدَيْهِ لِلنَّدَا أَبْحُراً عَشْرَا
إِذَا قَامَ يَنْمِيهِ ٱلْخَطِيبُ بِمِنْبَرٍ ... تَأَوَّدَ تِيهاً وَٱكْتَسَىٰ وَرَقاً خُضْرَا
لَحَى ٱللهُ حَرْباً لَمْ يَكُنْ قَلْبَ جَيْشِهَا ... وَمَجْلِسَ عَدْلٍ لَا يَكُونُ بِهِ صَدْرَا
أَطَلَّ عَلَىٰ أَخْلَاطَ يَوْمَ قُدُومِهِ ... بِلُجَّةِ جَيْشٍ يَمْلَأُ ٱلسَّهْلَ وَٱلْوَعْرَا
وَقَدْ بَرَزَتْ فِي شِكَّةٍ مُوسَوِيَّةٍ ... فَلَوْ أُمِرَتْ بِٱلزَّحْفِ مَا خَالَفَتْ أَمْرَا
تَلَقَّاهُ مِنْ بُعْدِ ٱلْمَسَافَةِ أَهْلُهَا ... [فَذَا] رَافِعٌ كَفّاً وَذَا سَاجِدٌ شُكْرَا
فَشَكَّكْتُ أَنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ حُشِرُوا ضُحىً ... أَمِ ٱلنَّاسُ يَسْتَسْقُونَ رَبَّهُمُ ٱلْقَطْرَا
تَسِيرُ مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ تَحْتَ رِكَابِهِ ... وَأَعْنَاقُهُمْ مِنْ هَوْلِ هَيْبَتِهِ صُغْرَا
إِذَا ٱنْفَرَجَتْ عَنْهُ بُرُوقُ سُيُوفِهِمْ ... رَأَيْتَ ٱلنُّجُومَ ٱلزُّهْرَ قَدْ قَارَنَتْ بَدْرَا

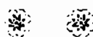
فَلِلهِ يَـوْمٌ عَـمَّ بَـلْـنِـيـسَ بِـشْـرُهُ وَسَارَتْ إِلَىٰ أَرْضِ ٱلْعِرَاقِ بِهِ ٱلْبُشْرَىٰ
تَـهَـنَّ أَمِـيـرَ ٱلْـمُـؤْمِـنِـيـنَ بِـمِـثْـلِـهِ نَصِيراً يَسُدُّ ٱلثَّغْرَ أَوْ يَفْتَحُ ٱلثَّغْرَا
حُـسَـامٌ إِذَا هَـزَّتْـهُ يُـمْـنَـاكَ هَـزَّةً تَـرَقْـرَقَ مَـاءٌ وَٱلْـتَـظَـىٰ حَـدُّهُ جَـمْـرَا
طِـرَازٌ عَـلَـىٰ كُـمِّ ٱلْـخِـلَافَـةِ مُـذْهَـبٌ وَجَوْهَرَةٌ فِي تَاجِهَا تَكْسِفُ ٱلْبَدْرَا
أَبَا ٱلْفَتْحِ شُكْراً لِٱخْتِصَاصِ صَنِيعَةٍ فَحَسْبُكَ فِي ٱلدُّنْيَا جَلَالاً وَفِي ٱلْأُخْرَىٰ

وقالَ مِنَ البسيطِ ، والقافيةُ مِنَ المتراكبِ (١)

اَللهُ أَكْبَرُ لَيْسَ ٱلْحُسْنُ فِي ٱلْعَرَبِ كَمْ تَحْتَ لِمَّةِ ذَا ٱلتُّرْكِيِّ مِنْ عَجَبِ
صُبْحُ ٱلْجَبِينِ بِلَيْلِ ٱلشَّعْرِ مُنْعَقِدٌ وَٱلْـخَـدُّ يَـجْـمَـعُ بَـيْـنَ ٱلْـمَـاءِ وَٱللَّـهَـبِ
تَـنَـفَّـسَـتْ عَـنْ عَـبِـيـرِ ٱلـرَّاحِ رِيـقَـتُـهُ وَٱفْتَرَّ مَبْسَمُهُ ٱلشَّهْدِيُّ عَنْ حَبَبِ
لَا فِي ٱلْعُذَيْبِ وَلَا فِي بَارِقٍ غَزَلِي بَلْ فِي لَمَىٰ فَمِهِ أَوْ ثَغْرِهِ ٱلشَّنِبِ
ثَغْرٌ إِذَا مَا ٱلدُّجَىٰ وَلَّىٰ تَنَفَّسَ عَنْ رِيحٍ مِنَ ٱلرَّاحِ أَوْ ضَرْبٍ مِنَ ٱلضَّرَبِ
كَـأَنَّـهُ حِـيـنَ يَـرْمِـي عَـنْ حَـنِـيَّـتِـهِ بَدْرٌ رَمَىٰ عَنْ هِلَالِ ٱلْأُفْقِ بِٱلشُّهُبِ
يَا جَاذِبَ ٱلْقَوْسِ تَقْرِيباً لِوَجْنَتِهِ وَٱلْهَائِمُ ٱلصَّبُّ مِنْهَا غَيْرُ مُقْتَرِبِ
أَلَـيْـسَ مِـنْ نَـكَـدِ ٱلْأَيَّـامِ يُـحْـرَمُـهَـا فَمِي وَيَلْثِمُهَا سَهْمٌ مِنَ ٱلْخَشَبِ
لَدْنُ ٱلْمَعَاطِفِ قَاسِي ٱلْقَلْبِ مُبْتَسِمٌ لَا عَنْ رِضاً مُعْرِضٌ عَنِّي بِلَا غَضَبِ
فَكَمْ لَهُ فِي ٱخْتِلَاقِ ٱلذَّنْبِ مِنْ سَبَبٍ وَلَيْسَ لِي فِي قِيَامِ ٱلْعُذْرِ مِنْ سَبَبِ

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٣١)

تَمِيلُ أَعْطَافُهُ تِيهاً بِمَا حَمَلَتْ كَمَا تَمِيلُ رِمَاحُ ٱلْخَطِّ بِٱلْعَذَبِ
أَشَارَ نَحْوِي وَجُنْحُ ٱللَّيْلِ مُعْتَكِرٌ بِمِعْصَمٍ مِنْ شُعَاعِ ٱلْكَأْسِ مُخْتَضَبِ
بِكْرٌ جَلَاهَا أَبُوهَا قَبْلَ مَا جُلِيَتْ فِي حُجْرَةِ ٱلدَّنِّ أَوْ فِي قِشْرَةِ ٱلْعِنَبِ
حَمْرَاءُ تَفْعَلُ بِٱلْأَلْبَابِ مَا فَعَلَتْ سُيُوفُ شَاهَ ٱرْمَنٍ فِي عَسْكَرٍ لَجِبِ
مَلْكٌ يُفَرِّقُ يَوْمَ ٱلسَّلْمِ مَا جَمَعَتْ يُمْنَاهُ فِي ٱلْحَرْبِ بِٱلْهِنْدِيَّةِ ٱلْقُضُبِ
ثَبْتٌ تَحُفُّ جَمَاهِيرُ ٱلْجُيُوشِ بِهِ كَأَنَّ أَفْلَاكَهَا دَارَتْ عَلَى ٱلْقُطُبِ
دَمُ ٱلْعِدَا وَصَلِيلُ ٱلْمُرْهَفَاتِ لَهُ أَحْلَىٰ وَأَطْيَبُ مِنْ كَأْسٍ عَلَىٰ طَرَبِ
فِي غَيْرِ مُوسَىٰ أَحَادِيثُ ٱلنَّدَى ٱخْتَلَفَتْ وَهْوَ ٱلْكَرِيمُ بِلَا شَكٍّ وَلَا رِيَبِ
ٱلْأَشْرَفُ ٱلْوَاهِبُ ٱلْآلَافَ مُبْتَسِماً وَذَاكَ تَعْجِزُ عَنْهُ عَبْسَةُ ٱلسُّحُبِ
صَحَّتْ لَهُ كِيمِيَاءُ ٱلْمَجْدِ إِذْ سَبَكَتْ يُمْنَاهُ لِلْبَذْلِ إِكْسِيراً مِنَ ٱلذَّهَبِ
لَا تَعْجَبَنَّ لِأَمْوَالٍ يُفَرِّقُهَا عَلَى ٱلْعُفَاةِ بَقَاهَا أَعْظَمُ ٱلْعَجَبِ
ٱلطَّاهِرُ ٱلنَّسَبِ ٱبْنُ ٱلطَّاهِرِ ٱلنَّسَبِ ٱبْـ ـنِ ٱلطَّاهِرِ ٱلنَّسَبِ ٱبْنِ ٱلطَّاهِرِ ٱلنَّسَبِ
نَفْسٌ لِآبَائِهَا مِنْ نَفْسِهَا شَرَفٌ كَذَا ٱلثِّمَارُ لَهَا فَضْلٌ عَلَى ٱلْخَشَبِ
عَلَيْهِ نُورٌ إِلَٰهِيٌّ أَشِعَّتُهُ تُغْنِيهِ عَنْ كَثْرَةِ ٱلْحُجَّابِ وَٱلْحُجُبِ
مُتْ يَا حَسُودُ ٱنْتِظَاراً إِنَّ مَوْلِدَهُ قَدْ كَانَ فِي بُرْجِ سَعْدٍ غَيْرِ مُنْقَلِبِ
وَقْفٌ عَلَىٰ جَوْزِ هِرِّ ٱلرَّأْسِ عَاشِرُهُ وَبَيْتُ أَعْدَائِهِ وَقْفٌ عَلَى ٱلذَّنَبِ
يَا كَوْكَباً أَسْعَدَ ٱلْأَيَّامَ طَالِعُهُ وَهْوَ ٱلْوَبَاءُ لِأَهْلِ ٱلشِّرْكِ وَٱلصُّلُبِ
لَا خَيَّبَ ٱللهُ فِي ذَا ٱلْعِيدِ عَوْدَةَ مَنْ رَجَاؤُهُ فِي نَدىٰ كَفَّيْكَ لَمْ يَخِبِ



وقالَ مِنَ الكاملِ ، والقافيةُ مِنَ المتداركِ[1]

أَفْدِيهِ إِنْ حَفِظَ ٱلْهَوَىٰ أَوْ ضَيَّعَا ... مَلَكَ ٱلْفُؤَادَ فَمَا عَسَىٰ أَنْ أَصْنَعَا
مَنْ لَمْ يَذُقْ ظُلْمَ ٱلْحَبِيبِ كَظَلْمِهِ ... حُلْواً فَقَدْ جَهِلَ ٱلْمَحَبَّةَ وَٱدَّعَىٰ
يَا أَيُّهَا ٱلْوَجْهُ ٱلْجَمِيلُ تَدَارَكِ ٱلصَّـ ... ـبْرَ ٱلْجَمِيلَ فَقَدْ عَفَا وَتَضَعْضَعَا
هَلْ فِي فُؤَادِكَ رَحْمَةٌ لِمُتَيَّمٍ ... ضَمَّتْ جَوَانِحُهُ فُؤَاداً مُوجَعَا
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ أَنْ أَبُثَّ صَبَابَتِي ... أَوْ أَشْتَكِي بَلْوَايَ أَوْ أَتَوَجَّعَا
إِنِّي لَأَسْتَحْيِي كَمَا عَوَّدْتَنِي ... بِسِوَىٰ رِضَاكَ إِلَيْكَ أَنْ أَتَشَفَّعَا
يَا عَيْنُ عُذْرُكِ فِي حَبِيبِكِ وَاضِحٌ ... سُحِّي لِفُرْقَتِهِ دَماً أَوْ أَدْمُعَا
ٱللهُ أَبْدَى ٱلْبَدْرَ مِنْ أَزْرَارِهِ ... وَٱلشَّمْسَ مِنْ قَسَمَاتِ مُوسَىٰ أَطْلَعَا
ٱلْأَشْرَفُ ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي سَادَ ٱلْوَرَىٰ ... كَهْلاً وَمُكْتَمِلَ ٱلشَّبَابِ وَمُرْضَعَا
رُدَّتْ بِهِ شَمْسُ ٱلسَّمَاحِ عَلَى ٱلْوَرَىٰ ... فَاسْتَبْشَرُوا وَرَأَوْا بِمُوسَىٰ يُوشَعَا
سَهْلٌ إِذَا لَمَسَ ٱلصَّفَا سَالَ ٱلنَّدَىٰ ... صَعْبٌ إِذَا لَحَظَ ٱلْأَصَمَّ تَصَدَّعَا
دَانٍ وَلَٰكِنْ مِنْ سُؤَالِ عُفَاتِهِ ... سَامٍ عَلَىٰ سَمْكِ ٱلسَّمَاءِ تَرَفَّعَا
يَا بَرْقُ هَٰذَا مِنْكَ أَصْدَقُ شِيمَةً ... يَا غَيْثُ هَٰذَا مِنْكَ أَحْسَنُ مَوْقِعَا
يَا رَوْضُ هَٰذَا مِنْكَ أَبْهَجُ مَنْظَراً ... يَا بَحْرُ هَٰذَا مِنْكَ أَعْذَبُ مَشْرَعَا
يَا سَهْمُ هَٰذَا مِنْكَ أَصْوَبُ مَقْصِداً ... يَا سَيْفُ هَٰذَا مِنْكَ أَسْرَعُ مَقْطَعَا
يَا صُبْحُ هَٰذَا مِنْكَ أَسْفَرُ غُرَّةً ... يَا نَجْمُ هَٰذَا مِنْكَ أَهْدَىٰ مَطْلَعَا
حَمَلَتْ أَنَامِلُهُ ٱلسُّيُوفَ فَلَمْ تَزَلْ ... شُكْراً لِذَٰلِكَ سُجَّداً أَوْ رُكَّعَا

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ١٦)

حَلَّتْ فَلَا بَرِحَتْ مَكَاناً لَمْ يَزَلْ مِنْ دُرِّ أَفْوَاهِ ٱلْمُلُوكِ مُرَصَّعَا
أَمُظَفَّرَ ٱلدِّينِ ٱسْتَمِعْ قَوْلِي وَقِلْ لِعِثَارِ عَبْدٍ أَنْتَ مَالِكُهُ لَعَا
أَيَضِيقُ بِي حَرَمُ ٱصْطِنَاعِكَ بَعْدَ مَا قَدْ كَانَ مُنْفَرِجاً عَلَيَّ مُوَسَّعَا
هَٰذَا وَقَدْ طَرَّزْتُ بِٱسْمِكَ مِدْحَةً لَا تَرْتَضِي شَنَفَ ٱلثُّرَيَّا مَسْمَعَا
عَذْرَاءُ مَا قَعَدَ ٱلزَّمَانُ بِرَبِّهَا إِلَّا وَقَامَ بِهَا خَطِيباً مِصْقَعَا
وَعَلَىٰ كِلَا ٱلْحَالَيْنِ إِنِّي شَاكِرٌ دَاعٍ لِأَنَّ ٱللهَ يَسْمَعُ مَنْ دَعَا

وقالَ مِنَ الرَّجَزِ ، والقافيةُ مِنَ المُتدارِكِ (١)

وَحَقِّ مَنْ بَدَّلَ نَوْمِي بِٱلسَّهَرْ وَعَذَّبَ ٱلْقَلْبَ بِأَنْوَاعِ ٱلْفِكَرْ
وَأَسْقَمَ ٱلْجِسْمَ بِسُقْمِ جَفْنِهِ وَأَسْهَرَ ٱلطَّرْفَ وَلِلْقَلْبِ أَسَرْ
مَا خِلْتُ ذَاكَ ٱلْوَجْهَ لَمَّا أَنْ بَدَا فِي جُنْحِ لَيْلِ شَعْرُهُ إِلَّا قَمَرْ
وَهْوَ فَمَا ظَنَّ دُمُوعَ مُقْلَتِي لِمَا جَرَىٰ مِنْ فَيْضِهَا إِلَّا مَطَرْ
أَحْوَرُ وَٱلْفُتُورُ حَشْوُ طَرْفِهِ يَا حَبَّذَا ذَاكَ ٱلْفُتُورُ وَٱلْحَوَرْ
مَرَّ بِنَا يَخْطُرُ فِي مِشْيَتِهِ وَٱلْقَلْبُ مِنْ خَطْرَتِهِ عَلَىٰ خَطَرْ
هَزَّ لَنَا مِنْ قَدِّهِ رُمْحاً وَمِنْ أَلْحَاظِهِ يَا عَاذِلِي سَيْفاً شَهَرْ
مُخَالِفٌ إِنْ قُلْتُ دَعْ زِيَارَتِي زَارَ وَإِنْ قُلْتُ لَهُ صِلْنِي هَجَرْ
وَٱللهِ مَا غَدَرْتُهُ إِلَّا وَفَىٰ وَلَا وَفَيْتُ عَهْدَهُ إِلَّا غَدَرْ

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٦١)

وقالَ مِنَ السَّريعِ ، والقافيةُ مِنَ المُتدارِكِ[1]

يَـا نَـارَ أَشْـوَاقِـيَ لَا تَـخْـمُـدِي ... لَـعَلَّ ضَـيْـفَ ٱلطَّـيْـفِ أَنْ يَـهْـتَـدِي

حَـسِـبْـتُـهُ مَـاءً فَـصَـادَفْـتُـهُ ... لَـمْـعَ سَـرَابٍ لَـيْـسَ يُـرْوِي ٱلصَّـدِي

تَـكَـلَّـفَـتْ عَـيْـنِـي لَـهُ هَـجْـعَـةً ... كَـنُـغْـبَـةِ ٱلـطَّـائِـرِ فِـي ٱلْـمَـوْرِدِ

صَـوَّرَ فِـي مِـرْآتِـهَـا صُـورَةً ... تَـجِـلُّ عَـنْ لَـمْـسِ فَـمٍ أَوْ يَـدِ

إِنْ نَـعِـمَـتْ فِـي ٱللَّـيْـلِ رُوحِـي بِـهِ ... فَـسَـوْفَ يَـشْـقَـىٰ جَـسَـدِي فِـي غَـدِ

اَلـصَّـدُّ وَٱلْـهِـجْـرَانُ قَـدْ جُـمِـعَـا ... بِـٱللهِ قُـلْ لِـي فِـيـمَـنْ أَقْـتَـدِي

أَشْـكُـو إِلَى ٱللهِ مَـلُـولاً إِذَا ... قُـلْـتُ ٱنْـتَـهَـىٰ فِـي هَـجْـرِهِ يَـبْـتَـدِي

اَلْـبَـدْرُ فِـي مَـكْـسِـرِ سِـرْبُـوشِـهِ[2] ... حُـفَّ بِـلَـيْـلِ ٱلـشَّـعْـرِ ٱلْأَسْـوَدِ

رَيَّـانُ فِـي قُـرْطُـقِـهِ جَـدْوَلٌ ... لٰكِنْ لَـهُ قَـلْـبٌ مِـنَ ٱلْـجَـلْـمَـدِ

كَـأَنَّـمَـا هِـمْـيَـانُـهُ بَـرْزَخٌ ... يَـمْـنَـعُ مَـوْجَ ٱلـرِّدْفِ أَنْ يَـعْـتَـدِي

غَـازَلَـنَـا مِـنْ نَـرْجِـسٍ ذَابِـلٍ ... وَٱفْـتَـرَّ عَـنْ نُـورِ أَقَـاحٍ نَـدِي

وَقَـامَ يَـلْـوِي عِـطْـفَـهُ قَـائِـلاً ... لَا تَـغْـتَـرِرْ بِـي فَـكَـذَا مَـوْعِـدِي

فَـقُـلْـتُ بِـٱللهِ مَـاتَ ٱلْـوَفَـا ... فَـقَـالَ مُـوسَـىٰ لَـمْ يَـمُـتْ خُـذْ يَـدِي

اَلْـمَـلِـكُ ٱلْأَشْـرَفُ شَـاهَ آرْمَـنٍ ... رَبُّ ٱلْـمَـعَـالِـي وَٱلـنَّـدَىٰ وَٱلـنَّـدِي

مَـلْـكٌ لَـهُ ٱلْـفَـضْـلُ عَـلَـىٰ تُـبَّـعٍ ... وَٱلْـفَـضْـلُ لَا يُـكْـسَـبُ بِـٱلْـمَـوْلِـدِ

لَـوْ لَـمْ تَـرَ ٱلْأَمْـلَاكُ فِـي وَجْـهِـهِ ... غُـرَّتَـهُ ٱلْـغَـرَّاءَ لَـمْ تَـسْـجُـدِ

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ١٣)

(٢) السربوش فارسي ، وهو ما تسميه العامة الطربوش

اَلطَّاعِنُ ٱلنَّجْلَاءَ مَكْحُولَةً   نَابَ لَهَا ٱلنَّقْعُ عَنِ ٱلْإِثْمِدِ
وَٱلضَّارِبُ ٱلْفَوْهَاءَ مُفْتَرَّةً   عَنْ صَارِمٍ كَٱلْمَبْسِمِ ٱلْأَدْرَدِ
يُصْدِي إِذَا أَرْوَاهُ مَاءُ ٱلطِّلَىٰ   وَأَعْجَبُ ٱلْأَشْيَاءِ رَيُّ ٱلصَّدِي
تَقُولُ لِلْخُرْصَانِ أَسْيَافُهُ   بِنَا كُفِيتِ ٱلطَّعْنَ لَا [تُرْعَدِي]
نَحْنُ بِسَدِّ ٱلثَّغْرِ أَوْ فَتْحِهِ   أَدْرَىٰ وَقَدْ قُمْنَا بِهِ [فَٱقْعُدِي]
سَلْهُ تَجِدْ أَفْتَىٰ جَمِيعِ ٱلْوَرَىٰ   فَلْيَهْتَدِ ٱلسَّائِلُ أَوْ يَجْتَدِي
يُزْرِي عَلَىٰ قُبْحِ عُبُوسِ ٱلْحَيَا   حَيَاؤُهُ ٱلطَّلْقُ ٱلْجَمِيلُ ٱلنَّدِي
يَا مَلِكَ ٱلْأَرْضِ وَإِنْ كَانَ فِي   حُصُونِهِ يَا مَلِكَ ٱلْفَرْقَدِ
مَلَأْتَهَا بِٱلْخَيْلِ وَٱلرَّجْلِ وَٱلْـ   ـبِيضِ ٱلْمَوَاضِي وَٱلْقَنَا ٱلْأَمْلَدِ
تَكَادُ أَنْ تَزْحَفَ يَوْمَ ٱلْوَغَىٰ   إِلَى ٱلْعِدَا مِنْ أُفْقِهَا ٱلْأَبْعَدِ
لَبِسْتَ مِنْهَا تَاجَ مُلْكٍ عَلَىٰ   كِسْرَىٰ أَنُوشِرْوَانَ لَمْ يُعْقَدِ



وقالَ مِنَ المنسرحِ ، والقافيةُ مِنَ المتراكبِ [١]

يَا بَارِقاً أَذْكَرَ ٱلْحَشَا شَجَنَهْ   مَنْزِلُنَا بِٱلْعَقِيقِ مَنْ سَكَنَهْ
أَمَرْتَعُ ٱللَّهْوِ يَانِعٌ خَضِرٌ   أَمْ غَيَّرَ ٱلدَّهْرُ بَعْدَنَا دِمَنَهْ
يَا بَرْقُ هَٰذَا جِسْمِي يَذُوبُ ضَنىً   وَمُهْجَتِي بِٱلْعَقِيقِ مُرْتَهَنَهْ
يَا بَرْقُ أَشْكُو عَسَاكَ تُخْبِرُهُمْ   وَكُلُّ مَنْ هَامَ يَشْتَكِي شَجَنَهْ
بَلِّغْ حَدِيثَ ٱلْحِمَىٰ وَسَاكِنِهِ   لِمُغْرَمٍ أَنْحَلَ ٱلْهَوَىٰ بَدَنَهْ

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٢٦)

أَسْمِعْهُ ذِكْرَ ٱلْحَبِيبِ مُقْتَرِباً ... فَقَدْ أَصَمَّتْ عُذَّالُهُ أُذُنَهْ
هُمْ آنَسُوهُ لٰكِنْ بِوَحْشَتِهِمْ ... وَنَفَّرُوا عَنْ جُفُونِهِ وَسَنَهْ
أَشْقَى ٱلْمُحِبِّينَ عَادِمٌ وَطَراً ... فَكَيْفَ إِنْ كَانَ عَادِماً وَطَنَهْ
سَقْياً لِأَيَّامِنَا ٱلَّتِي سَلَفَتْ ... كَانَتْ بِطِيبِ ٱلْوِصَالِ مُقْتَرِنَهْ
لَوْ بِيعَ يَوْمٌ مِنْهَا وَكَيْفَ بِهِ ... كُنْتُ بِعُمْرِي مُسْتَرْخِصاً ثَمَنَهْ
إِلَيْكَ يَا عَاذِلِي فَلَسْتُ أَنَا ... أَوَّلَ صَبٍّ جَمَالُهُمْ فَتَنَهْ
فَكَمْ لِنَفْسِي عَلَيَّ سَيِّئَةً ... وَكَمْ لِمُوسَىٰ عَلَيَّ مِنْ حَسَنَهْ
مُجَازِفٌ فِي عَطَاءِ آمِلِهِ ... مُحَرَّرُ ٱلرَّأْيِ عِنْدَ مَنْ وَزَنَهْ
لِلْأَجْرِ وَٱلشُّكْرِ خَازِنٌ أَبَداً ... وَلَمْ يَصُنْ مَالَهُ وَلَا خَزَنَهْ
مُؤَيَّدُ ٱلرَّأْيِ مَنْ يُنَافِسُهُ ... تَحْتَ حَضِيضِ ٱلْخُمُولِ قَدْ دَفَنَهْ
لَوْ لَمْ تُقَيَّضْ لِلْجُودِ رَاحَتُهُ ... لَمْ نَعْتَرِفْ فَرْضَهُ وَلَا سُنَنَهْ
لَهُ بَنَانٌ تُهْدِي [لَنَا] مِنَحاً ... وَمَنْ يُعَادِيهِ يَشْتَكِي مِحَنَهْ

وقالَ مِنَ الخفيفِ ، والقافيةُ مِنَ المتواترِ (١)

قُمْتُ لَيْلَ ٱلصُّدُودِ إِلَّا قَلِيلَا ... ثُمَّ رَتَّلْتُ ذِكْرَكُمْ تَرْتِيلَا
وَوَصَلْتُ ٱلسُّهَادَ أَقْبَحَ وَصْلٍ ... وَهَجَرْتُ ٱلرُّقَادَ هَجْراً جَمِيلَا
مَسْمَعِي كَلَّ عَنْ كَلَامِ عَذُولٍ ... حِينَ أَلْقَىٰ عَلَيْهِ قَوْلاً ثَقِيلَا

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٥٦)

وَفُـؤَادٌ قَـدْ كَـانَ بَـيْـنَ ضُـلُـوعِـي … أَخَـذَتْـهُ ٱلْأَحْـبَـابُ أَخْـذاً وَبِـيـلَا
قُـلْ لِـرَاقِـي ٱلْـجُـفُـونِ إِنَّ لِـعَـيْـنِـي … فِـي بِـحَـارِ ٱلـدُّمُـوعِ سَـبْـحـاً طَـوِيـلَا
مَـاسَ عُـجْـبـاً كَـأَنَّـهُ مَـا رَأَىٰ غُـصْـ … ـنـاً رَطِـيـبـاً وَلَا كَـثِـيـبـاً مَـهِـيـلَا
وَحَـمَـىٰ عَـنْ مُـحِـبِّـهِ كَـأْسَ ثَـغْـرٍ … حِـيـنَ أَضْـحَـىٰ مِـزَاجُـهَـا زَنْـجَـبِـيـلَا
بَـانَ عَـنِّـي فَـصِـحْـتُ فِـي أَثَـرِ ٱلْـعِـيـ … ـسِ ٱرْحَـمُـونِـي وَمَـهِّـلُـوهُـمْ قَـلِـيـلَا
أَنَـا عَـبْـدٌ لِـلْـفَـاضِـلِ ابْـنِ عَـلِـيٍّ … قَـدْ تَـبَـتَّـلْـتُ بِـٱلـثَّـنَـا تَـبْـتِـيـلَا
لَا تَـسُـمْـهُ وَعْـداً بِـغَـيْـرِ نَـوَالٍ … إِنَّـهُ كَـانَ وَعْـدُهُ مَـفْـعُـولَا
وَإِذَا كَـانَ خَـصْـمَـكَ ٱلـدَّهْـرُ وَٱلْـحُـ … ـكْـمُ إِلَى ٱللهِ فَـٱتَّـخِـذْهُ وَكِـيـلَا
رَاعَ أَعْـدَاءَهُ بِـصُـفْـرِ ٱلْـيَـرَاعَـا … تِ فَـأَنْـسَـىٰ صَـرِيـرُهُـنَّ ٱلـصَّـلِـيـلَا
إِنَّ مَـدْحِـي لَـهُ أَشَـدُّ وِطَـاءً … وَقَـرِيـضِـي أَقْـوَىٰ وَأَقْـوَمُ قِـيـلَا
فَـٱسْـتَـمِـعْ لَـفْـظَـهُ وَلُـذْ بِـحِـمَـاهُ … تَـلْـقَ قَـوْلاً جَـزْلاً وَنَـيْـلاً جَـزِيـلَا
جَـلَّ عَـنْ سَـائِـرِ ٱلْـخَـلَائِـقِ فَـضْـلاً … فَـٱخْـتَـرَعْـنَـا فِـي مَـدْحِـهِ ٱلـتَّـنْـزِيـلَا
لَا أَذُمُّ ٱلـزَّمَـانَ إِذْ أَنْـتَ فِـيـهِ … يَـا سَـحَـابَ ٱلـنَّـدَىٰ لِـرِزْقِـي كَـفِـيـلَا
لِـي دُيُـونٌ عَـلَـىٰ عُـلَاكَ وَهَـٰذَا … وَقْـتُ يُـسْـرٍ فَـوَفِّ وَٱصْـنَـعْ جَـمِـيـلَا
أَتَـمَـنَّـىٰ رِزْقَ ٱلْـمُـقِـيـمِ عَـلَى ٱللهِ … وَإِنْ رُمْـتُ رِحْـلَـةً وَنُـزُولَا

وقالَ الحسنُ بنُ هانئٍ الحكميُّ أبو نُواسٍ مِنَ المديدِ ، والقافيةُ مِنَ المتراكبِ (١)

---

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٧٣)

أَيُّهَا ٱلْمُنْتَابُ مِنْ عُفُرِهْ (١) لَسْتَ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهْ
لَا أَذُودُ ٱلطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ ٱلْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهْ
فَٱتَّصِلْ إِنْ كُنْتَ مُتَّصِلاً بِقُوَىٰ مَنْ أَنْتَ مِنْ وَطَرِهْ
خِفْتُ مَأْثُورَ ٱلْحَدِيثِ غَداً وَغَداً دَانٍ لِمُنْتَظِرِهْ
خَابَ مَنْ أَسْرَىٰ إِلَىٰ بَلَدٍ غَيْرِ مَعْلُومٍ مَدَا سَفَرِهْ
وَسَّدَتْنِي ثِنْيُ سَاعِدِهِ سِنَةٌ حَلَّتْ إِلَىٰ شُفُرِهْ
فَٱمْضِ لَا تَمْنُنْ عَلَيَّ يَداً مَنُّكَ ٱلْمَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهْ
رُبَّ فِتْيَانٍ رَبَأْتُهُمُ مَسْقِطَ ٱلْعَيُّوقِ فِي سَحَرِهْ
فَٱتَّقَوْا بِي مَا يَرِيبُهُمُ إِنَّ تَقْوَى ٱلشَّرِّ مِنْ حَذَرِهْ
وَٱبْنُ عَمٍّ لَا يُكَاشِفُنَا قَدْ لَبِسْنَاهُ عَلَىٰ غَمَرِهْ
كَمَنَ ٱلشَّنْآنُ فِيهِ لَنَا كَكُمُونِ ٱلنَّارِ فِي حَجَرِهْ
وَرُضَابٍ بِتُّ أَرْشُفُهُ يَنْقَعُ ٱلظَّمْآنَ مِنْ خَصَرِهْ
عَلَّنِيهِ خُوطُ إِسْحِلَةٍ (٢) لَانَ ثَنْيَاهُ لِمُهْتَصِرِهْ
ذَا وَمُغْبَرٍّ مَخَارِمُهُ [تَحْسُرُ] ٱلْأَبْصَارُ عَنْ قُطُرِهْ (٣)
لَا تَرَىٰ عَيْنُ ٱلْبَصِيرِ بِهِ مَا خَلَا ٱلْآجَالَ مِنْ [بَقَرِهْ] (٤)
خَاضَ بِي لُجَّيْهِ ذُو جَزَرٍ يُفْعِمُ ٱلْفَضْلَيْنِ مِنْ ضُفُرِهْ

---

(١) في « ديوان أبي نواس » (ص ٢٧٣) (عن) بدل (من) ، والعُفُر هنا البعد
(٢) الإسحلة شجرة الأراك
(٣) المخارم طرق الجبال ، والقطر الجوانب
(٤) الآجال أولاد البقر

يَـكْـتَـسِـي عُـشْـنُـونُـهُ زَبَـداً فَـنُـصَـيْـلَاهُ إِلَـىٰ [نُـخَـرِهْ] (١)
ثُـمَّ يَـغْـتَـمُّ ٱلْـحِـجَـاجُ بِـهِ كَـٱغْـتِـمَـامِ ٱلْـفُـوفِ فِـي عُـشَـرِهْ (٢)
ثُـمَّ تَـذْرُوهُ ٱلـرِّيَـاحُ كَـمَـا طَـارَ قُـطْـنُ ٱلـنَّـدْفِ عَـنْ وَتَـرِهْ
كُـلُّ حَـاجَـاتِـي تَـنَـاوَلَـهَـا وَهْـوَ لَـمْ يَـنْـقُـضْ قُـوَىٰ أَشَـرِهْ
ثُـمَّ أَدْنَـانِـي إِلَـىٰ مَـلِـكٍ يَـأْمَـنُ ٱلْـجَـانِـي لَـدَىٰ حُـجَـرِهْ
تَـأْخُـذُ ٱلْأَيْـدِي مَـظَـالِـمَـهَـا ثُـمَّ تَـسْـتَـذْرِي إِلَـىٰ عَـصَـرِهْ
كَـيْـفَ لَا يُـدْنِـيـكَ مِـنْ أَمَـلٍ مَـنْ رَسُـولُ ٱللهِ مِـنْ نَـفَـرِهْ
فَـٱسْـلُ عَـنْ نَـوْءٍ تُـؤَمِّـلُـهُ حَـسْـبُـكَ ٱلْـعَـبَّـاسُ مِـنْ مَـطَـرِهْ
مَـلِـكٌ قَـلَّ ٱلـشَّـبِـيـهُ لَـهُ لَـمْ تَـقَـعْ عَـيْـنٌ عَـلَـىٰ خَـطَـرِهْ
لَا تُـغَـطَّـىٰ عَـنْـهُ مَـكْـرُمَـةٌ بِـرُبَـىٰ وَادٍ وَلَا خَـمَـرِهْ
ذُلِّـلَـتْ تِـلْـكَ ٱلْـفِـجَـاجُ لَـهُ فَـهْـوَ مُـخْـتَـارٌ عَـلَـىٰ بَـصَـرِهْ
سَـبَـقَ ٱلـتَّـفْـرِيـطَ رَائِـدُهُ وَكَـفَـاهُ ٱلْـعَـيْـنُ مِـنْ أَثَـرِهْ
وَإِذَا مَـجَّ ٱلْـقَـنَـا عَـلَـقـاً وَتَـرَاءَىٰ ٱلْـمَـوْتُ فِـي صُـوَرِهْ
رَاحَ فِـي ثِـنْـيَـيْ مُـفَـاضَـتِـهِ أَسَـداً يَـدْمَـىٰ شَـبَـا ظُـفُـرِهْ
تَـتَـأَيَّـا ٱلـطَّـيْـرُ غُـدْوَتَـهُ ثِـقَـةً بِـٱلـشِّـبْـعِ مِـنْ جَـزَرِهْ
وَتَـرَىٰ ٱلـسَّـادَاتِ مَـاثِـلَـةً لِـسَـلِـيـلِ ٱلـشَّـمْـسِ مِـنْ قَـمَـرِهْ

---

(١) في الأصل (نحره)
(٢) الحجاجان العظمان اللذان ينبت عليهما شعر الحاجب ، والفوف القشرة الرقيقة على النواة ، والعُشَر شجر له ثمر أبيض

فَـهُـمُ شَـتَّـىٰ ظُـنُـونُـهُـمُ حَـذَرَ [ٱلْـمَـكْـنُـونِ] مِـنْ فِـكَـرِهْ
وَكَـرِيـمُ ٱلْـخَـالِ مِـنْ يَـمَـنٍ وَكَـرِيـمُ ٱلْـجَـدِّ مِـنْ مُـضَـرِهْ
قَـدْ لَـبِـسْـتَ ٱلـدَّهْـرَ لِـبْـسَ فَـتـىً أَخَـذَ [ٱلْآدَابَ] عَـنْ غِـيَـرِهْ

وقالَ كمالُ الدينِ ابنُ النبيهِ مِنَ الرَّمَلِ ، والقافيةُ مِنَ المتراكبِ(١)

إِنَّ عَـيْـنـاً مِـنْـكُـمُ قَـدْ ظَـمِـئَـتْ قَـدْ سَـقَـاهَـا ٱلـدَّمْـعُ حَـتَّـىٰ رَوِيَـتْ
آهُ مِـنْ وَجْـدٍ جَـدِيـدٍ لَـمْ يَـزَلْ وَعِـظَـامٍ نَـاحِـلَاتٍ بَـلِـيَـتْ
أَنَـا وَٱلْأَظْـعَـانُ مِـنْ شَـوْقٍ مَـعـاً نَـحْـوَكُـمْ أَعْـنَـاقُـنَـا قَـدْ لُـوِيَـتْ
أَنْـتُـمُ ٱلْأَنْـجُـمُ مُـذْ غُـيِّـبْـتُـمُ بِـسِـوَىٰ أَنْـوَارِكُـمْ مَـا هُـدِيَـتْ
سَـاكِـنِـي ٱلْـفُـسْـطَـاطِ لَـوْ أَبْـصَـرْتُـكُـمْ جُـلِّـيَـتْ مِـرْآةُ عَـيْـنٍ صَـدِيَـتْ
إِنْ أَعَـادَ ٱللهُ شَـمْـلِـي بِـكُـمُ سَـعِـدَتْ آمَـالُ نَـفْـسٍ شَـقِـيَـتْ
إِنَّ أَرْضـاً أَنْـتُـمُ سُـكَّـانُـهَـا غَـنِـيَـتْ عَـنْ أَنْ تَـقُـولُـوا سُـقِـيَـتْ
فَـوُجُـوهٌ كَـرِيَـاضٍ أَزْهَـرَتْ وَرِيَـاضٌ كَـوُجُـوهٍ جُـلِـيَـتْ
بِـأَبِـي مِـنْـكُـمْ غَـزَالٌ مُـهْـجَـتِـي بِـظُـبَـا أَلْـحَـاظِـهِ قَـدْ غُـزِيَـتْ
سَـاحِـرُ ٱلْأَلْـحَـاظِ أَلْـوَىٰ وَعْـدَهُ فَـهْـوَ كَـٱلْأَصْـدَاغِ لَـمَّـا لُـوِيَـتْ
بَـلِّـغِـيـهِ يَـا نَـسِـيـمَ ٱلـرِّيـحِ عَـنْ مُـهْـجَـةِ ٱلْـمُـشْـتَـاقِ مَـاذَا لَـقِـيَـتْ
إِنَّ أَسْـرَارَ ٱلْـهَـوَىٰ مَـا نُـشِـرَتْ وَأَحَـادِيـثَ ٱلـضَّـنَـىٰ مَـا طُـوِيَـتْ
وَلَـقَـدْ كَـانَ لِـنَـفْـسِـي جَـلَـدٌ وَأَرَاهَـا ٱلْـيَـوْمَ فِـيـهِ دُهِـيَـتْ

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ١٧)

لِيَ عُذْرٌ فِي ٱلنَّوىٰ عَنْ أَرْضِكُمْ فَسَقَتْهَا أَدْمُعِي إِنْ رَضِيَتْ
إِنَّمَا مَنْبِجُ مُوسَىٰ جَنَّةٌ عِنْدَها أَوْطَانُنَا قَدْ نُسِيَتْ
مَلِكٌ مُذْ جَرَّدَتْ هَيْبَتُهُ أَغْمَدَ ٱلْأَسْيَافَ حَتَّىٰ صَدِيَتْ
هُوَ فِي ٱلْهَيْجَاءِ نَارٌ تَلْتَظِي وَهْوَ فِي ٱلسِّلْمِ جِنَانٌ جُنِيَتْ
لَا يُبَالِي إِنْ خَلَتْ أَكْيَاسُهُ وَلَهُ ٱلْأَرْضُ بِشُكْرٍ مُلِيَتْ
خُذْ أَحَادِيثَ عُلَاهُ إِنَّهَا بِأَسَانِيدِ مَدِيحِي رُوِيَتْ
قَامَ بِٱلدُّنْيَا وَبِٱلْأُخْرَىٰ مَعاً فَهْيَ ضَرَّاتٌ بِهِ قَدْ رَضِيَتْ
حَسَنُ ٱلظَّاهِرِ لِلنَّاسِ وَلِلّٰهِ مِنْهُ حَسَنَاتٌ خَفِيَتْ
يَخْضَعُ ٱلْجَبَّارُ مِنْ هَيْبَتِهِ وَٱلرَّعَايَا فِي حِمَاهُ حُمِيَتْ
يَا مَلِيكَ ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا وَيَا صَفْوَةَ ٱلْمَجْدِ ٱلَّتِي قَدْ بَقِيَتْ
وَيْحَ أَعْدَائِكَ بَلْ وَيْلٌ لَهُمْ مَعْشَرٌ أَبْصَارُهُمْ قَدْ عَمِيَتْ
كُلُّ يَوْمٍ لَكَ فِي أَكْبَادِهِمْ بِمَعَالِيكَ جِرَاحٌ دَمِيَتْ

❊ ❊

وقالَ مِنَ الوافرِ[1]

أَمَاناً أَيُّهَا ٱلْقَمَرُ ٱلْمُطِلُّ فَمِنْ جَفْنَيْكَ أَسْيَافٌ تُسَلُّ
يَزِيدُ جَمَالُ وَجْهِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلِي جَسَدٌ يَذُوبُ وَيَضْمَحِلُّ
وَمَا عَرَفَ ٱلسَّقَامُ طَرِيقَ جِسْمِي وَلَٰكِنْ دَلَّ مَنْ أَهْوَىٰ يَدُلُّ
يَمِيلُ بِطَرْفِهِ ٱلتُّرْكِيِّ عَنِّي صَدَقْتُمْ إِنَّ ضِيقَ ٱلْعَيْنِ بُخْلُ

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٣٥)

إِذَا نُـشِـرَتْ ذَوَائِـبُـهُ عَـلَـيْـهِ ... تَـرَىٰ مَـاءً يَـرِفُّ عَـلَـيْـهِ ظِـلُّ
وَقَـدْ يَـهْـدِي صَـبَـاحُ ٱلْـخَـدِّ قَـوْماً ... بِـلَـيْـلِ ٱلشَّـعْـرِ قَـدْ تَـاهُـوا وَضَـلُّـوا
أَيَـا مَـلِـكَ ٱلْـقُـلُـوبِ فَـتَـكْـتَ فِـيـهَـا ... وَفَـتْـكُـكَ فِـي ٱلـرَّعِـيَّـةِ لَا يَـحِـلُّ
قَـلِـيـلُ ٱلْـوَصْـلِ يَـنْـفَـعُـهَـا فَـإِنْ لَـمْ ... يُـصِـبْـهَـا وَابِـلٌ مِـنْـهُ فَـطَـلُّ
أَدِرْ كَـأْسَ ٱلْـمُـدَامِ عَـلَـى ٱلـنَّـدَامَـىٰ ... فَـمِـنْ خَـدَّيْـكَ لِـي رَاحٌ وَنُـقْـلُ
فَـنِـيـرَانِـي بِـغَـيْـرِكَ لَـيْـسَ تُـطْـفَـا ... وَأَحْـزَانِـي بِـغَـيْـرِكَ لَا تُـبَـلُّ
بِـمَـنْـظَـرِكَ ٱلْـبَـدِيـعِ تُـدِلُّ تِـيـهـاً ... وَلِـي مَـلِـكٌ بِـدَوْلَـتِـهِ أَدَلُّ
أَبُـو ٱلْـفَـتْـحِ ٱلْـكَـرِيـمُ ٱلطَّـلْـقُ مُـوسَىٰ ... فَـتـىً يُـعْـطِـي ٱلْـجَـزِيـلَ وَيَـسْـتَـقِـلُّ
بِـهِ أَضْـحَـتْ فِـجَـاجُ ٱلْأَرْضِ خِـصْـباً ... فَـمَـا لِـلْـمَـحْـلِ فِـي بَـلَـدٍ مَـحَـلُّ
أَغَـرُّ عَـلَـىٰ سَـرِيـرِ ٱلْـمُـلْـكِ مِـنْـهُ ... سُـلَـيْـمَـانٌ وَأَهْـلُ ٱلْأَرْضِ نَـمْـلُ
وَيَـمْـلَأُ غَـيْـرُهُ كِـيـساً فَـكِـيـساً ... وَمِـلْءُ زَمَـانِـهِ كَـرَمٌ وَعَـدْلُ
وَقَـالُـوا حِـفْـظُ هَـٰذَا ٱلْـمَـالِ عَـقْـلٌ ... فَـقُـلْـتَ نَـعَـمْ وَبَـعْـضُ ٱلْـعَـقْـلِ جَـهْـلُ
فَـلَـيْـسَ يَـذُمُّـهُ إِلَّا مَـطَـايَـا ... إِلَـىٰ أَبْـوَابِـهِ تُـطْـوَىٰ وَسُـبْـلُ
تُـمَـلِّـكُـهُ ٱلْـبِـلَادَ قَـنـاً وَجُـرْدٌ ... وَبُـتْـرٌ مَـنْ يُـطَـاوِلُـهَـا يَـذِلُّ
إِذَا ٱنْـبَـثَّـتْ عَـسَـاكِـرُهُ ٱتِّـسَـاعـاً ... تَـضَـايَـقَ دُونَـهَـا حَـزَنٌ وَسَـهْـلُ
بَـوَارِقُـهَـا لِـعَـيْـنِ ٱلْأُفْـقِ دَاءٌ ... وَعِـثْـيَـرُهَـا لِـعَـيْـنِ ٱلشَّـمْـسِ كُـحْـلُ (١)
لِـمَـوْلَانَـا ٱلْـخَـلِـيـفَـةِ فِـيـهِ رَأْيٌ ... حَـدِيـدٌ لَا يُـفَـلُّ وَلَا يُـقَـلُّ
تَـأَمَّـلَ فِـي ٱلْـكِـنَـانَـةِ مِـنْـهُ سَـهْـماً ... سَـدِيـداً لَا يَـطِـيـشُ وَلَا يَـزِلُّ

---

(١) العثير التراب

فَـهَـيَّـأَهُ وَأَرْسَـلَـهُ ٱخْـتِـصَـاصـاً وَرَوَّاهُ ٱلْـحَـدِيـثَ وَذَاكَ فَـضْـلُ
فَـدَامَـتْ هَـٰذِهِ ٱلـنُّـعْـمَـىٰ عَـلَـيْـهِ وَدَامَ فَـإِنَّـهُ لِـلْـخَـيْـرِ أَهْـلُ

وقالَ مِنَ المتقاربِ(١)

دَعِ ٱلنَّوْحَ خَلْفَ حُدُوجِ ٱلرَّكَائِبْ وَسَلِّ فُؤَادَكَ عَنْ كُلِّ ذَاهِبْ
بِبِيضِ ٱلسَّوَالِفِ حُمْرِ ٱلْمَرَاشِـ ـفِ صُفْرِ ٱلتَّرَائِبِ سُودِ ٱلذَّوَائِبْ
فَمَا ٱلْعَيْشُ إِلَّا إِذَا مَا نَظَمْتَ بِثَغْرِ ٱلْحَبَابِ ثَنَايَا ٱلْحَبَائِبْ
أُحَاشِيكَ مِنْ وَقْفَةٍ بِٱلطُّلُولِ تَبُلُّ ٱلصَّدَىٰ بِصَدَاهَا ٱلْمُجَاوِبْ
تُكَلِّفُ صُمَّ ٱلْحِجَارِ ٱلْكَلَامَ وَكَمْ فِي جُنُونِ ٱلْهَوَىٰ مِنْ عَجَائِبْ
وَلَوْ كُنْتَ تَشْكُو ٱلْهَوَىٰ صَادِقاً لَمَا عَلَّلَتْكَ ٱلْأَمَانِي ٱلْكَوَاذِبْ
تَأَمَّلْ كُؤُوسَ عَتِيقِ ٱلرَّحِيقِ تَرَى ٱلْمَاءَ يَجْمُدُ [وَٱلْخَمْرَ] ذَائِبْ
لَهَا فِي ٱلزُّجَاجَةِ رَقْصُ ٱلشَّبَابِ وَمَفْرِقُهَا أَشْمَطُ ٱللَّوْنِ شَائِبْ
وَتَزْعُدُ غَيْظاً إِذَا أُبْرِزَتْ مِنَ ٱلدَّنِّ كَٱلْمُخْصَنَاتِ ٱلْكَوَاعِبْ
كَأَنَّ ٱلْحَبَابَ عَلَىٰ رَأْسِهَا جَوَاهِرُ قَدْ كُلِّلَتْ فِي عَصَائِبْ
لِحُمْرَتِهَا صَحَّ عِنْدَ ٱلْمَجُو سِ أَنَّ ٱلسُّجُودَ إِلَى ٱلنَّارِ وَاجِبْ
شَهِدْنَا وَمُطْرِبُنَا خَاطِبٌ زَوَاجَ ٱبْنَةِ ٱلْكَرْمِ بِٱبْنِ ٱلسَّحَائِبْ
فَمِنْ قَطَرَاتِ ٱلرَّذَاذِ ٱلنِّثَارُ وَمِنْ وَشْيِ زَهْرِ ٱلرَّبِيعِ ٱلْمَرَاتِبْ
رِيَاضٌ كَخُضْرَةِ جَوِّ ٱلسَّمَاءِ وَأَزْهَارُهَا مِثْلُ زَهْرِ ٱلْكَوَاكِبْ

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٢٣)

فَلِلْوَحْشِ سِرْبٌ بِقِيعَانِهَا وَلِلطَّيْرِ فِي جَوِّهَا سَطْرُ كَاتِبْ

بَرَزْنَا إِلَى ٱللَّهْوِ فِي حَلْبَةٍ حِسَانِ ٱلْوُجُوهِ خِفَافِ ٱلْمَرَاكِبْ

بَنَادِقُهُمْ فِي عُيُونِ ٱلْقِسِيِّ كَأَحْدَاقِهِمْ فِي قِسِيِّ ٱلْحَوَاجِبْ

فَتِلْكَ لَهَا طَائِرٌ فِي ٱلسَّمَاءِ وَهَـٰذِي لَهَا طَائِرُ ٱلْقَلْبِ وَاجِبْ

وَحَلَّتْ سَوَابِقُ شُهْبٌ خَوَاطِـ ـفُ حُجْنُ ٱلْمَنَاسِرِ حُوُّ ٱلْمَخَالِبْ

بُزَاةٌ لَهَا حَدَقُ ٱلْأُفْعُوَانِ وَأَظْفَارُهَا كَحُمَاةِ ٱلْعَقَارِبْ

فَلِلْأُفْقِ نَسْرَانِ ذَا وَاقِعٌ وَذَا طَائِرٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ هَارِبْ

وَأَطْلَقَ كَلَّابُنَا ضَارِياً يُبَارِي هُبُوبَ ٱلصَّبَا وَٱلْجَنَائِبْ

تَطِيرُ بِهِ أَرْبَعٌ كَٱلرِّيَاحِ وَيَفْتَرُّ عَنْ مُرْهَفَاتٍ قَوَاضِبْ

وَيَضْرِبُ فِي لَيْلِ جِلْبَابِهِ شُعَاعُ شِهَابٍ مِنَ ٱلْعَيْنِ ثَاقِبْ

وَعُدْنَا نَجُرُّ ذُيُولَ ٱلسُّرُو رِ وَٱلطَّيْرُ وَٱلْوَحْشُ مِلْءُ ٱلْحَقَائِبْ

كَمَا ٱبْتَهَجَتْ مِنْ سُرُورٍ خِلَاطٌ وَقَدْ جَاءَ مُوسَىٰ يَجُرُّ ٱلْمَوَاكِبْ

مَلِيكٌ إِذَا سَارَ بَيْنَ ٱلسُّيُوفِ تَرَى ٱلْبَدْرَ بَيْنَ ٱشْتِبَاكِ ٱلْكَوَاكِبْ

وَتَزْأَرُ مِنْ تَحْتِ ذَاكَ ٱلرِّكَابِ أُسُودٌ لَهَا مِنْ ظُبَاهَا مَخَالِبْ

فَتِلْكَ ٱللَّهَاذِمُ زُهْرُ ٱلنُّجُومِ وَمُعْتَكِرُ ٱلنَّقْعِ جُنْحُ ٱلْغَيَاهِبْ

بَدَا فَهَوَتْ فِي ٱلتُّرَابِ ٱلثُّغُورُ كَمَا ٱنْتَظَمَ ٱلدُّرُّ فَوْقَ ٱلتَّرَائِبْ

يُنَادُونَهُ بِٱخْتِلَافِ ٱللُّغَاتِ كَتَلْبِيَةِ ٱلْحَجِّ مِنْ كُلِّ جَانِبْ

يُخِيفُهُمُ بَأْسُ بَرْقِ ٱلْحَدِيدِ وَيُطْمِعُهُمْ سَحُّ سُحْبِ ٱلْمَوَاهِبْ

تَؤُمُّ ٱلْجَوَارِحُ أَعْلَامَهُ تَرُوحُ بِطَاناً وَتَغْدُو سَوَاغِبْ

كَـأَنَّ ٱلـصَّـنَـاجِـقَ أَوْكَـارُهَـا فَكَمْ عُصْبَةٍ تَحْتَ تِلْكَ ٱلْعَصَائِبْ
أَيَـا مَـلِـكَ ٱلْأَرْضِ حَـقّـاً إِلَـيْـكَ مَـآلُ مَـشَـارِقِـهَـا وَٱلْـمَـغَـارِبْ
سَـتُـفْـتَـحُ قَـسْـطِـيـنَـةٌ عُـنْـوَةً وَمَـا كَـانَ لِـلـرُّومِ مِـنْـهَـا يُـقَـارِبْ
كَـأَنِّـي بِـأَبْـرَاجِـهَـا قَـدْ هَـوَتْ وَصَـخْـرِ ٱلْمَجَانِيقِ فِيهَا ضَوَارِبْ
وَقَدْ زَحَفَ ٱلْبُرْجُ زَحْفَ ٱلْعَرُوسِ إِلَـيْـهَـا يَـجُـرُّ ذُيُـولَ ٱلْـكَـتَـائِـبْ
وَمَـا لُـبْـسُـهُ غَـيْـرَ نَـسْـجِ ٱلْـحَـدِيـدِ وَمَـا حَـلْـيُـهُ غَـيْـرَ بِـيضِ ٱلْقَوَاضِبْ
وَأُضْـرِمَـتِ ٱلـنَّـارُ حَـشْـوَ ٱلـثُّـقُـوبِ وَثَـارَ ٱلـدُّخَـانُ كَـجُـنْـحِ ٱلْـغَـيَـاهِـبْ
وَلَـيْـسَ ٱلْـكَـهَـانَـةُ مِـنْ شِـيـمَـتِـي وَلَٰكِنَّ حِـزْبَـكَ بِـٱللهِ غَـالِـبْ
لَـكَ ٱللهُ مِـنْ قَـائِـلٍ قَـاتِـلٍ يُقَاتِلُ بِٱلْكُتْبِ قَبْلَ ٱلْكَتَائِبْ
فَـمَـا مَـجْـلِـسُ ٱلْـعَـدْلِ يَـوْمَ ٱلْـقَـضَـاءِ بِـأَوْلَـىٰ بِـهِ مِـنْ سُـرُوجِ ٱلـسَّـلَاهِـبْ



وقالَ زهيرٌ مِنَ المُجتثِّ (١)

مَـوْلَايَ كُـنْ لِـي وَحْـدِي فَـإِنَّـنِـي لَـكَ وَحْـدَكْ
وَكُـنْ بِـقَـلْـبِـكَ عِـنْـدِي فَـإِنَّ كُـلِّـيَ عِـنْـدَكْ
لِـي فِـيـكَ قَـصْـدٌ جَـمِـيـلٌ لَا خَـيَّـبَ ٱللهُ قَـصْـدَكْ
حَـاشَـاكَ تُـؤْثِـرُ بُـعْـدِي وَلَـسْـتُ أُوثِـرُ بُـعْـدَكْ
إِنْ تَـنْـسَ عَـهْـدِي فَـإِنِّـي وَٱللهِ لَـمْ أَنْـسَ عَـهْـدَكْ
أَضَـعْـتَ وُدَّ مُـحِـبٍّ مَـا زَالَ يَـحْـفَـظُ وُدَّكْ

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٨٦)

مَــا لِــي عَــلَــيْــكَ ٱعْــتِــرَاضٌ أَدِبْ كَــمَــا شِــئْــتَ عَــبْــدَكْ
مَــوْلَايَ إِنْ غِــبْــتَ عَــنِّــي وَا سُــوءَ حَــالِــيَ بَــعْــدَكْ

وأوزانُ هٰذهِ القصائدِ علىٰ تفاوتِها في كثرةِ الاستعمالِ هيَ الأكثرُ استعمالاً ، وبقيَّتُها قليلٌ ، تَقرأُ الديوانَ الكبيرَ فلا تجدُ منها بيتاً

هٰذا ؛ ولم يزلِ الناسُ مقتصرينَ على الأوزانِ العربيةِ حتىٰ مضىٰ صدرٌ مِنَ الإسلامِ ، ثمَّ تَكلَّمَ الناسُ بعدُ بكلامٍ موزونٍ ، مُعرَبٍ وملحونٍ ، موافقٍ للأوزانِ العربيةِ وغيرِ موافقٍ ، ونَوَّعُوهُ إلىٰ ستةِ أنواعٍ أضافوها للشعرِ ، وسمَّوْها الفنونَ السبعةَ ، وعملوا فيها رسائلَ ، وعَرَّفوا الشعرَ بأنَّهُ الكلامُ الموزون بالأوزانِ العربيةِ الذي لا يجوزُ فيهِ اللحنُ المُقفَّىٰ



الفنُّ الثاني

الموالي

وأوَّلُ مَنْ تَكلَّمَ بهٰذا النوعِ بعضُ أتباعِ البرامكةِ بعدَ ما حصلَ لهُم ، فكانوا يَنوحونَ عليهِم بهِ ، ويكثرونَ مِنْ قَولِهِم يا موالي ، فصارَ يُعرَفُ بهٰذا الاسمِ ، وهوَ مشهورٌ ، فلا حاجةَ لتمثيلِهِ



الفنُّ الثالثُ

فنُّ التوشيحِ

وغالبُ ما كانَ منهُ مُعرَبٌ ، وهوَ مختلفُ الأوزانِ والأوضاعِ

والسببُ في ذلكَ أنَّ تأليفَ التوشيحِ كانَ لغرضِ تطبيقِ ألفاظٍ على مُؤلَّفاتٍ مِنَ الأصواتِ بمُقتضى صناعةِ المُوسيقا ، فكانَ أهلُ تلكَ الصِّناعةِ يُؤلِّفونَ مِنَ الأصواتِ التي تخرجُها الضَّرَباتُ على الأوتارِ المختلفةِ مثلاً مُؤلَّفاً يناسبُ أن تُقابَلَ الأصواتُ المُندرِجةُ فيهِ بحروفٍ مُتحرِّكةٍ أو ساكنةٍ ، فكانَ مُؤلِّفُ التوشيحِ تابعاً لِمَا تقتضيهِ تلكَ الأصواتُ ؛ فتارةً توافقُ الأوزانَ العربيةَ ، وتارةً تخالفُها

وقد ذُكِرَ كثيرٌ مِنَ التواشيحِ في كثيرٍ مِنَ الكتبِ الأدبيَّةِ ؛ مثلُ كتابِ « نفحِ الطِّيبِ » ، و« سفينةِ الشيخِ محمدِ شهابٍ » رحمَهُ اللهُ تعالى

ومِنْ أَلطفِها توشيحُ القاضي هبةِ اللهِ المشهورِ بابنِ سناءِ المُلكِ ، فلا بأسَ بإيرادِهِ مثالاً لهذا النوعِ ؛ وهوَ[1]

كَلِّلِي يَا سُحْبُ تِيجَانَ ٱلرُّبَىٰ بِٱلْحُلِي وَٱجْعَلِي سِوَارَكِ مُنْعَطَفَ ٱلْجَدْوَلِ

دورٌ

يَا سَمَا * فِيكِ وَفِي ٱلْأَرْضِ نُجُومٌ وَمَا

كُلَّمَا أَغْرَبْتِ نَجْماً أَشْرَقَتْ أَنْجُمَا

وَهْيَ مَا * تَهْطِلُ إِلَّا بِٱلطِّلَىٰ وَٱلدِّمَا

---

(١) انظر « المستطرف » (٣/١٥٢)

قفلُهُ

فَٱهْطِلِي عَلَىٰ قُطُوفِ ٱلْكَرْمِ كَيْ تَمْتَلِي وَٱنْقُلِي لِلدَّنِّ طَعْمَ ٱلشَّهْدِ وَٱلْفُوفَلِ

دورٌ

تَتَّقِدْ كَٱلْكَوْكَبِ ٱلدُّرِّيِّ لِلْمُرْتَصِدْ
يَعْتَقِدْ فِيهَا ٱلْمَجُوسِيُّ بِمَا يَعْتَقِدْ
فَٱتَّئِدْ يَا سَاقِيَ ٱلرَّاحِ بِهَا وَٱعْتَمِدْ

قفلُهُ

وَٱمْلَ لِي حَتَّىٰ تَرَانِي عَنْكَ فِي مَعْزِلِ قَلِّلِ فَٱلرَّاحُ كَٱلْعِشْقِ ٱنْ يَزِدْ يَقْتُلِ

دورٌ

مَنْ ظَلَمْ فِي دَوْلَةِ ٱلْحُسْنِ إِذَا مَا حَكَمْ
فَٱلسَّدَمْ (١) يَجُولُ فِي بَاطِنِهِ وَٱلنَّدَمْ
وَٱلْقَلَمْ يَكْتُبُ مَا سُطِّرَ فَوْقَ ٱلْقِمَمْ

قفلُهُ

مَنْ وَلِي فِي دَوْلَةِ ٱلْحُسْنِ وَلَمْ يَعْدِلِ يُعْزَلِ إِلَّا لِحَاظَ ٱلرَّشَأ ٱلْأَكْحَلِ

دورٌ

لَا أَرِيمْ (٢) عَنْ شُرْبِ صَهْبَاءَ وَعَنْ عِشْقِ رِيمْ

---

(١) السدم الهمُّ ، أو هو مع الندم ، أو غيظ مع حزن

(٢) الرَّيْم التباعد

فَٱلنَّعِيمْ   عَيْشٌ جَدِيدٌ وَمُدَامٌ قَدِيمْ

لَا أَهِيمْ * إِلَّا بِهَٰذَيْنِ فَقُمْ يَا نَدِيمْ

قفلُهُ

وَٱنْهَلِ   مِنْ أَكْؤُسٍ صُوِّرْنَ مِنْ صَنْدَلِ   أَفْضَلِ   مِنْ نَكْهَةِ ٱلْعَنْبَرِ وَٱلْمَنْدَلِ

دورٌ

هَلْ يَعُودْ * عَيْشٌ قَطَعْنَاهُ بِوَادِي زَرُودْ

وَٱلْجُنُودْ * فِي حَضْرَتِي تَضْرِبُ جَنْكاً وَعُودْ

وَٱلْحَسُودْ * فِي مَعْزِلٍ عَنَّا غَداً لَا يَسُودْ

قفلُهُ

عُذَّلِي * لَا تَعْذِلُونِي فَٱلْهَوَىٰ لَذَّ لِي   مَا ٱلْخَلِي * فِي ٱلْحُبِّ مِثْلُ ٱلْعَاشِقِ ٱلْمُبْتَلِي

دورٌ

أَسْفَرَتْ * لَيْلَتُنَا بِٱلْأُنْسِ مُذْ أَقْمَرَتْ

بَشَّرَتْ * بِمُلْتَقَى ٱلْمَحْبُوبِ وَٱسْتَبْشَرَتْ

شَمَّرَتْ * فَقُلْتُ لِلظَّلْمَاءِ مُذْ قَصَّرَتْ

قفلُهُ

طَوِّلِي * يَا لَيْلَةَ ٱلْوَصْلِ وَلَا تَنْجَلِي   وَٱسْبِلِي * سِتْرَكِ فَٱلْمَحْبُوبُ فِي مَنْزِلِي

دورُ المديح

يَا نَسِيمْ * بَلِّغْ سَلَامَ ٱلْمُسْتَهَامِ ٱلسَّقِيمْ

لِكَرِيمْ * طَٰهَ إِمَامِ ٱلْمُرْسَلِينَ ٱلْعَظِيمْ

عَنْ أَلِيمْ * وَجْدِي بِهِ حَدِّثْ وَشَوْقِي ٱلْقَدِيمْ

قفلُهُ

لَيْسَ لِي * مِنْ مَلْجَأٍ سِوَى ٱلْحِمَى ٱلْأَفْضَلِ ٱلْجَلِي وَآلِهِ أُولِي ٱلْجَنَابِ ٱلْعَلِي



الفنُّ الرابعُ

فنُّ الدُّوبيتِ

وهٰذا الاسمُ مِنْ كلمتَينِ فارسيةٍ ؛ وهيَ (دو) بمعنى اثنَينِ ، وعربيةٍ ؛ وهيَ (بيتٌ) أحدُ أبياتِ الشعرِ ، وبهِ سُمِّيَ هٰذا النوعُ ؛ لكونِهِ يُنظَمُ بيتَينِ بيتَينِ ، يَتصوَّرُ الناظمُ معنىً ويُسكِنُهُ فيهِما

وهوَ مشهورٌ عندَ العجمِ بالرباعيِّ ، ولبعضِ شعرائِهِم اختصاصٌ بشهرةِ إجادةِ الرباعياتِ

وأجزاؤُهُ (فَعْلُنْ) بسكونِ ثانيهِ ، (مُتَفَاعِلُنْ) وتارةً يُغيَّرُ إلىٰ (مُتَفَاعِيلُ) بتقديمِ ساكنِ الوتدِ علىٰ مُتحرِّكِهِ الثاني ، (فَعُولُنْ فَعِلُنْ) بتحريكِ ثانيهِ ، ومثالُهُ قولُ بعضِهِم

أَهْوَىٰ رَشَأً حَوَىٰ مِنَ ٱلْحُسْنِ فُنُونْ   عَيْنَاهُ تَقُولُ لِلْهَوَىٰ كُنْ فَيَكُونْ
غَنَّىٰ فَتَمَايَلَ ٱلنَّدَامَىٰ طَرَباً   لَا شَكَّ هُوَ ٱلنَّسِيمُ وَٱلْقَوْمُ غُصُونْ

وقولُ سيِّدي عمرَ بنِ الفارضِ[1]

أَهْوَىٰ رَشَأً رُشَيِّقُ ٱلْقَدِّ حُلَيْ   قَدْ سَلَّطَهُ ٱلْغَرَامُ وَٱلْوَجْدُ عَلَيْ
إِنْ قُلْتُ خُذِ ٱلرُّوحَ يَقُلْ وَا عَجَبا   اَلرُّوحُ لَنَا فَهَاتِ مِنْ عِنْدِكَ شَيْ



---

(١) انظر « ديوان ابن الفارض » (ص ١٩٣)

الفنُّ الخامسُ
الزَّجَلُ

ويُقالُ إنَّ أوَّلَ مَنْ تَكلَّمَ بهِ صبيٌّ مغربيٌّ يُقالُ لهُ ابنُ قزمانَ ؛ وذلكَ أنَّهُ وهوَ في المكتبِ عشقَ بعضَ صبيانِهِ ، فرُفِعَ أمرُهُ للمُؤدِّبِ ، فزجرَهُ ومنعَهُ مِنْ مجالسةِ حبيبِهِ ، فكتبَ في لوحِهِ قولَهُ هٰذا

الـمـلاح ولاد أمـاره	ولـوحـاش ولاد نـصـاره
وابـن قُـزمـان جـا يـغـفـر	مـا قـبـلـو لـشـيـخ غـفـاره

فاطَّلعَ عليهِ المُؤدِّبُ ، فقالَ قد هجوتَنا بكلامٍ مجزولٍ ، فيُقالُ إنَّهُ سُمِّيَ زَجَلاً مِنْ هٰذهِ الكلمةِ ، ثمَّ صارَ ابنُ قزمانَ هٰذا شيخَ صناعةِ هٰذا الفنِّ

وهوَ فنُّ العامَّةِ الذينَ لا يَعرِفونَ الإعرابَ ، فأذكياؤُهُم يَنظِمونَهُ بلغتِهِم ، وأوزانُهُ كثيرةٌ جدّاً ، حتىٰ إنَّ أهلَهُ يقولونَ صاحبُ ألفِ وزنٍ ليسَ بزَجَّالٍ ، ويُسمُّونَ ما يناظرُ القصيدةَ منهُ حملاً

ومِنْ ظريفِهِ حملُ ابنِ الفحَّامِ ؛ وهوَ

مطلعٌ ودائرةٌ

فـي بـحـر عـشـقـك ولـغـرام لـغـريـم	كـم مـن هـلـك يـا مـن حـلا مـنـهـلـك
ون كـان عـذولـي شـبَّـهـك بـالـهـلال	يـا بـدر مـن لا يـعـرفـك يـجـهـلـك

دورٌ في البحرِ

في بحر عشقك زد شجوني شجن	من مدمعي بحر لجوىٰ قد وفىٰ

أضحىٰ بغير مقيس تجنىٰ لجنون وزد علىٰ أعلىٰ لفسيح ما خفىٰ
وصبَّح منادي لشوق عليا سأل بالوجد ولبلبال وطل واكتفىٰ
ونبت أشجاني لعبو هواك وصرت غارق في لجاج لهلك
ون كن عذولي شبهك بالهلال يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ في القمرِ

من ين يكون يا بهجة لعاشقين للبدر حسنك ولقوام لرشيق
ومين يشبه طلعتك في لكمال بطلعة لبدر لمنير لشريق
ومين يقس فرقك بفرقو إذا فرقت عنو يا غزال لفريق
إن شافك لبدر ستحىٰ وختفىٰ منك وأطرق في ظلام لحلك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ في تشبيهِ الخالِ

خالك بخدك جل من قد صنع نقطه من لعنبر علىٰ لح نضار
أو صفر كاتب في صحيفة عقيق أو عبد زنجي يحرس لجلنار
أو هو مجوسي من كبار لمجوس رام السجود لما رأىٰ لخد نار
في ما صفا لن خدك لعندمي يظهر سود عن كل من أم لك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال يا بدر من لا يعرف يجهلك

دورٌ في اللحاظِ

لما علا عرش الخديد ستوىٰ خالك وهو رب لجمال لعظيم

أرسل نذير للخط يدع لقلوب	لسبل عشقك ولغرام لغريم
وسن هجرك ولجفا افرضه	نادت وقلبي بالمحبة كليم
آمنت بالله يا نذير للحاظ	هٰأنت ساحر ولهوىٰ أرسلك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال	يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ في الثغرِ

لنا روىٰ خدك صحيح لخبر	عن عارضك عن خالك لعنبري
عن نكهة لرق عن رحيق للما	عن مبسمك عن ريقك لسكري
بأن في رشفو حياة لنفوس	وصح أسند ثغرك لجوهري
فكيف تعجب من صحيح لخبر	يروه نذير للحظ عن سلسلك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال	يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ في العذارِ

وحن علينا جر عذار لدقيق	ولعارض للام حترمت لمنام
جاني عذل جاهل قليل لأدب	عارض ولم في حب عارض ولام
لما رأيته ما قبل معذره	ولا رثىٰ في الحب نادت سلام
يا لائمي في عارضن عارضين	كم صب من جور العوارض هلك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال	يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ في جمعِ أوصافِ الجمالِ

يا ظبي راتع في رياض لحشا	يا بدر مشرق في سماء لجمال

يا شمس في برج لحمل أشرقت	يا غصن في روض لبها مس ومال
يا جامع وصاف لجمال لجميل	يا مفرد لحسن لحسن ولدلال
يا عن حياتي كن طبيب لكئيب	بحق من بالحسن قد كملك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال	يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ

هل تدر بالله يا فريد لجمال	من علم الظبي لنفور لنفار
أو من أعار البدر حسن السنا	ولترا ذا لح في دجى الاعتكار
وسحرها روت لبديع لحلال	إيش هو لسبب فه أو لإيش ستعار
شاف لغزل حسنك وشاف لقمر	نورك وذل لسحر من عز لك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال	يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ في قصَّةِ سيدِنا يوسفَ

نسا زليخا لو رأوا يا عزيز	حسنك وشكلك ولجمال لجميل
وطابع لحسن لحسن ولدلال	وللحظ والطرف لغضيض لكحيل
لقطعوا منهم بدال لكفوف	أكبد ولا بالقطع يشفي لغليل
وتخرس لألسن إذا ما رأوك	وهم يقولوا دا ملك أو ملك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال	يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ في جهاتِ الحجازِ

بالله يا ريم لنقا ولعذيب	بحسن نر وجناتك الأبرقين

جد بالشفا واسمح بلثم لشفا   علي أفز يا بدر بالشفوتين
وكن مفرح من صبا منحني   تروي دموع لسفح من كل عين
يا كعبة لعشاق ومروي لصفا   ريقك شفا يا سعد من قبلك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال   يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورُ المديحِ

يا فاتح لخر يا ختام الرسل   يا منتهىٰ للعلم يا مبتدىٰ
يا مصطفىٰ أنت لصراط لقويم   يا سر عين لغيب لمن اهتدىٰ
هٰأنت باب لله حياة لنفوس   وخالقك قد أرسلك للهدىٰ
وليلة الإسرا كما أرخوا   أدنك وبالخلق لحسن كملك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال   يا بدر من لا يعرفك يجهلك



الفنُّ السادسُ والسابعُ
فنُّ كانَ وكانَ ، وفنُّ [القوما]

وهما كما قالَ أصحابُ هٰذهِ الفنونِ فرعانِ مِنَ الزَّجَلِ ، وإنَّما أفردُوهُما نوعَينِ بسببِ تغيراتٍ لا تكونُ في الزَّجَلِ ؛ مثالُ الأوَّلِ

يـــا رايـــحـــن لـــزبـــكـــيـــه بـــالله خـــدونـــي مـــعـــكـــم
ايـــك أرىٰ بـــاب لـــهـــوىٰ وشـــاهـــد الأقـــمـــار

ومثالُ الثاني

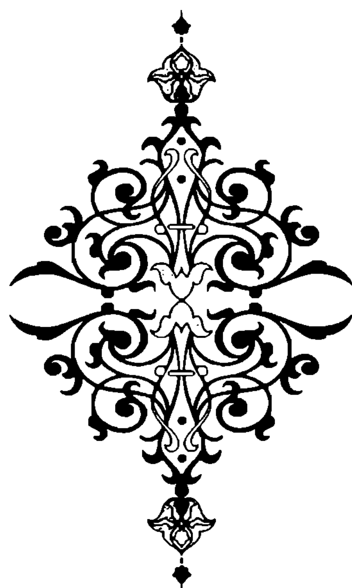
يـــا رب يـــا ســـتـــار لا تـــكـــشـــف الأســـتـــار
وغـــفـــر لـــعـــبـــدك ذنـــوبـــه إنـــك كـــريـــم غـــفـــار



تمّ المجلّد الثّاني

ويليه المجلّد الثّالث

وأوّله: (المقصد الرّابع في الكتابة، وقرض الشعر، والإنشاء)



محتوى المجلد الثاني





الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

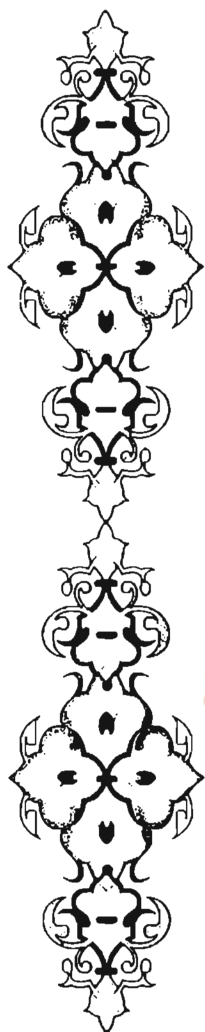
مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمه الله تعالى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

المجلد الثالث

دار المنهاج




الوسيلة الأدبية
إلى العلوم العربية
٣


بسم الله الرحمن الرحيم

الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمه الله تعالى

(ت ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م)

عني به

الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل





الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م

دار المنهاج للنشر والتوزيع

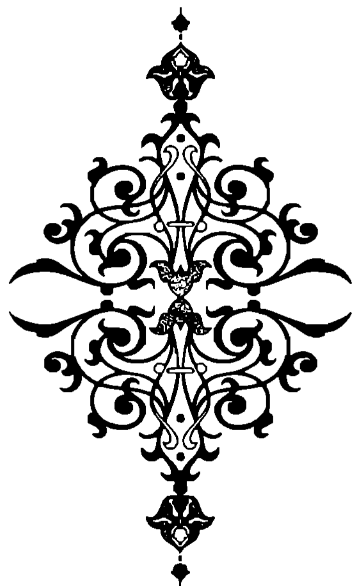
المملكة العربية السعودية ـ جدة
حي الكندرة ـ شارع الملك فهد ـ جانب البنك الفرنسي
هاتف رئيسي 00966 12 6326666
المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392
ص . ب 22943 ـ جدة 21416
www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6

إنّ أستاذي الوحيد الّذي أعُدُّ نفسي مدينًا له

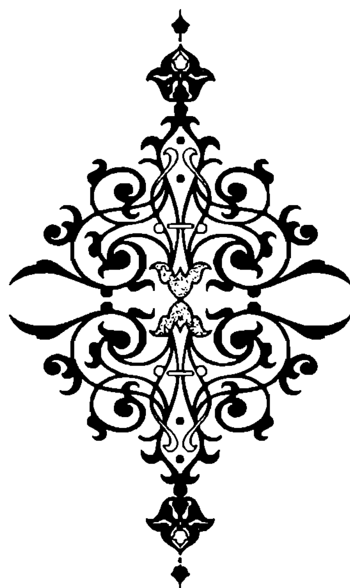
هو الشّيخ حسين المرصفيّ

أحمد شوقي

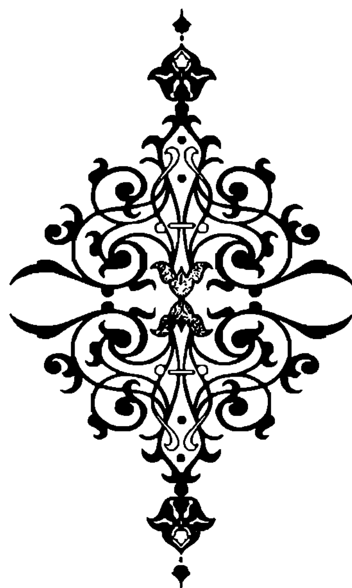


المقصد الرّابع

في الكتابة، وقرض الشعر، والإنشاء



الكتابة



[تعريفُ الكتابةِ]

ويُقالُ عِلْمُ الخطِّ القياسيِّ في مقابلةِ خطَّينِ لا يُقاسُ عليهِما ؛ وهُما خطُّ المصحفِ العثمانيِّ الذي تَحرُمُ مخالفتُهُ أو تُكرَهُ علىٰ خلافِ المذاهبِ في ذٰلكَ ، وخطُّ العَروضيِّينَ عندَ بيانِ أوزانِ الشعرِ

وهيَ فنُّ معرفةِ الكتابةِ على الصُّورةِ المُصطلَحِ عليها

وبيانُ ذٰلكَ يَحسُنُ أن يكونَ في أربعةِ أبوابٍ ؛ اتِّباعاً لِمَنِ اختَصَّ بفضيلةِ ضبطِ هٰذا الفنِّ عنِ انتشارٍ ، ومِنْ كتابِهِ المُسمَّىٰ بـ « المطالعِ النصريَّةِ » تلخيصُ ما سنُلخِّصُ ، رحمَهُ اللهُ تعالى ؛ الشيخُ أبو الوفاءِ نصرٌ الهورينيُّ ، إمامُ عصرِهِ وحافظُ وقتِهِ



البابُ الأوَّلُ

في الهمزةِ ، والألِفِ ، ونونِ التوكيدِ ، والتنوينِ ونونِ (إذاً) ، وهاءِ التأنيثِ

الكلامُ على الهمزةِ (١)

الهمزةُ وتسميتُها أَلِفاً يابسةً [نظراً] لتصويرِها في بعضِ الأحوالِ ؛ إذا كانَتْ أوَّلَ كلمةٍ رُسِمَتْ مطلقاً أَلِفاً ، ولا تكونُ حينَئذٍ ساكنةً ؛ لِمَا ثبتَ في اللغةِ مِنْ عدمِ الابتداءِ بالساكنِ ، بل إذا كانَتْ ساكنةً أوَّلَ أصولِ كلمةٍ وأُرِيدَ الابتداءُ بكلمتِها اجتُلِبَ لذٰلكَ الهمزةُ التي تُسمَّىٰ همزةَ الوصلِ ؛ مثلُ ٱؤمرْ ، ٱئتِ

[أحوالُ الهمزةِ من حيثُ الرسمُ]

ولهٰذهِ الهمزةِ في الرَّسمِ أحوالٌ

فترسَمُ أَلِفاً بعدَ الفاءِ والواوِ ؛ نحوُ فأمرْ ، وأْتِ ، وبعدَ غيرِهما فإن كانَتْ همزةُ الوصلِ مضمومةً ؛ مثلُ اؤمرْ رُسِمَتْ همزةُ الكلمةِ واواً ، وإن كانَتْ همزةُ الوصلِ مكسورةً ، نُطِقَ بها أو لم يُنطَقْ رُسِمَتْ ياءً ؛ مثلُ ثمَّ ٱئْتوا



(١) قال الشيخ عبد اللطيف الخطيب في « أصول الإملاء » (ص ١٩) (الهمزة حرف لا صورة له في الخط ، وهي تكتب غالباً بصورة الألف أو الواو أو الياء ؛ وذٰلك لأنها إن سُهِّلت انقلبت إلى الحرف الذي كُتِبت بصورته)

وقال العلامة نصر الهوريني في « المطالع النصرية » (ص ٨٨) (وأما وضع القطعة ـ أي التي هي كرأس العين « ء » ـ في محل الهمزة إذا حُذفت أو فوق الياء أو الواو المصوَّرتين بدل الهمزة فذٰلك حادث بعد حدوث الشكل ؛ مراعاةً لتحقيق الهمز)

وإذا وقعَتْ حشواً ؛ فإن كانَتْ ساكنةً رُسِمَتْ حرفاً مِنْ جنسِ الحركةِ السابقةِ عليها ؛ فتُرسَمُ أَلِفاً في نحوِ رأسٍ ، وياءً في نحوِ بئرٍ ، وواواً في نحوِ نُؤْيٍ وسُؤْلٍ

وإنْ كانَتْ مكسورةً رُسِمَتْ ياءً(١) ، وفي الواقعةِ بعدَ ضمَّةٍ خلافٌ بينَ سيبويهِ وتلميذِهِ الأخفشِ ؛ فالأخفشُ يقولُ برسمِها واواً حينَئذٍ ، واستحسنَ بعضُهُمُ الجريَ علىٰ مذهبِهِ إذا وقعَ بعدَها ياءٌ(٢)

وإن كانَتْ مضمومةً رُسِمَتْ واواً ؛ مثلُ رؤوفٍ

وإن كانَتْ مفتوحةً رُسِمَتْ بعدَ فتحةٍ أَلِفاً ؛ مثلُ رَأَسَ القومَ صارَ لهُم رئيساً ، وبعدَ كسرةٍ ياءً ؛ مثلُ فئةٍ ومئةٍ ، وبعدَ ضمَّةٍ واواً ؛ مثلُ سُؤَالٍ وفُؤَادٍ ، وبعدَ سكونٍ تُرسَمُ أَلِفاً إن كانَ الساكنُ صحيحاً(٣) ، وإلَّا حُذِفَتْ إن لم يَحصُلْ لَبْسٌ ، فتُرسَمُ أَلِفاً للتمييزِ(٤)

تنبيهٌ

[في رسمِ الهمزةِ الواقعةِ بعدَ همزةِ الاستفهامِ]

الهمزةُ الواقعةُ بعدَ همزةِ الاستفهامِ في نحوِ أَؤُنبِئُ ، أَؤُنزِلُ ، أَأَسْجُدُ ، أَئِفكاً ، أَئِذا ، والواقعةُ بعدَ اللَّامِ المُوطِّئةِ ؛ نحوُ لَئِن جئتَ ، وبعدَ (حينَ) وأمثالِهِ في حينَئِذٍ ويومَئِذٍ ، وهمزةُ (لِئَلَّا) دونَ (لِأَنْ جاءَ) مثلاً ، وهمزةُ (هٰؤلاءِ) علىٰ خلافٍ في بعضِ ذٰلكَ تُنَزَّلُ منزلةَ المُتوسِّطةِ ، فتَجري

---

(١) مثالها (سُئِل ، ودُئِل ، وسُئِّل)

(٢) فمثال الهمزة المكسورة الواقعة بعد ضمة علىٰ مذهب سيبويه (رُئِيَ) ، ومثالها علىٰ مذهب الأخفش (رُؤِيَ)

(٣) مثالها (يَسْأَل ، ويَسْأَم ، ومَرْأَة)

(٤) مثال الهمزة المفتوحة المسبوقة بساكن معتلٍّ : (تضاءَل وتفاءَل ، وتوءَم وسموءَل ، وجيئَل وهيئَة)

عليها أحكامُها ؛ فتُرسَمُ المضمومةُ واواً ، وتُرسَمُ المفتوحةُ أَلِفاً بعدَ فتحةٍ ، وياءً بعدَ كسرةٍ ، وتُرسَمُ المكسورةُ ياءً

[رسمُ الهمزةِ الواقعةِ آخرَ الكلمةِ]

وإذا وقعَتْ آخِرَ الكلمةِ ؛ فإن تلتْ فتحةً رُسِمَتْ أَلِفاً ؛ كقرأَ ويقرأُ ، وإن تلتْ كسرةً رُسِمَتْ ياءً ؛ كبَرِئَ ولم يَجِئْ ، وإن تلتْ ضَمَّةً رُسِمَتْ واواً ؛ كوَضُؤَ لُؤْلُؤٌ ، وإن تلتْ سكوناً لم تُصَوَّرْ[١] ، لٰكنْ قالَ صاحبُ « أدبِ الكاتبِ » (إنَّ همزةَ نحوِ « رأىٰ ونأىٰ » مِنَ المنقوصِ تُرسَمُ ياءً)[٢]

وهٰذا إذا لم يتصلْ بالكلمةِ علاماتُ الإعرابِ الحرفيَّةُ ، ولا إحدى الياءاتِ الثلاثِ ياءِ المُتكلِّمِ ، وياءِ المُخاطَبةِ ، وياءِ النَّسَبِ ، ولا الضَّمائرُ المُتصِلةُ ، فإنِ اتصلَ بها شيءٌ مِنْ ذٰلكَ عُدَّتْ حشواً ، وحينَئذٍ إذا اتصلَ بالتي تُرسَمُ أَلِفاً ضميرٌ فالمُتقدِّمونَ كانوا يرسمونَها حرفاً مِنْ جنسِ حركتِها نفسِها ، والمُتأخِّرونَ يرسمونَها أَلِفاً ، ولا يعتبرونَها مُتوسِّطةً ؛ كيقرؤُهُ ويملؤُهُ ، ومِنْ بنائِهِ ، ومِنْ خَطائِهِ[٣] ، قيلَ والراجحُ مذهبُ المُتقدِّمينَ[٤]

وإذا اتصلَ بنحوِ (قرأَ ويقرأُ) ألفُ الاثنينِ رُسِمَتِ الهمزةُ أَلِفاً ؛ لدفعِ

---

(١) مثال الهمزة إن تلَتْ سكوناً (وَطْءٌ وجُزْءٌ ، وجاءَ وشاءَ وكساءٌ ورداءٌ ، ويجيءُ ويضيءُ وهنيءٌ ومريءٌ ، ويبوءُ وينوءُ ووضوءٌ وهدوءٌ)

(٢) أدب الكاتب (ص ٢٦٨) ، وانظر « المطالع النصرية » (ص ١٠٩) ، والمراد : اسم الفاعل المنقوص ؛ نحو (الرائي والنائي)

(٣) ولغير المتقدِّمين ؛ نحو (مَنْ كان يقرأُه . فالله يكلأُه) ، ونحو (لا يظهر خطأُه عند ملأه) فيبقيها ألفاً كما لو لم يتصل بها شيء

(٤) انظر « المطالع النصرية » (ص ١١١) ففيه أنَّ الراجحَ المقدَّمَ المذهبُ الأول ؛ وهو مذهب المتقدمين

اللَّبسِ بفعلِ الواحدِ في نحوِ الزيدانِ قرأَا ؛ ليخالفَ الزيدانِ قرأَ أخوهُما ، وبفعلِ الإناثِ(١)

وإذا ثُنِّيَ نحوُ (نبأ) لم تُرسَمْ أَلِفُهُ(٢)

وإذا اتصلَ بها واوُ الضَّميرِ أو واوُ الجمعِ حُذِفَتْ ؛ كقرءُوا ، ويقرءُون ، وقارءُون

وإذا اتصلَتْ بياءِ المُخاطَبةِ كُتِبَتْ ياءً ؛ نحوُ لم تقرئِي

وإذا اتصلَتْ بياءِ المُتكلِّمِ أو بياءِ النَّسَبِ ؛ نحوُ ملجئِي ، وسبئِيٍّ نسبةً إلىٰ سبأ فحقُّها أن تُرسَمَ ياءً ، والجاري كتبُها ألفاً(٣)

وإذا اتصلَتْ بياءِ الجمعِ ؛ كقارئينَ وناشئينَ رُسِمَتْ ياءً

وإذا اتصلَ بالتي تُكتَبُ ياءً ضميرٌ تَتغيَّرُ معَهُ حركاتُها الإعرابيةُ لم يَتغيَّرْ رسمُها ؛ كقارئِنا ومُنشئِكُم ، وكذا إذا اتصلَ بها أَلِفُ الاثنَينِ أو أَلِفُ التثنيةِ ، وكذا إذا اتصلَ بها واوُ الضَّميرِ أو واوُ الجمعِ(٤)

وإذا اتصلَ بها ياءُ الجمعِ حُذفَتْ(٥)

وإذا اتصلَ بها ياءُ المُتكلِّمِ أو ياءُ المُخاطَبةِ عندَ رفعِ الفعلِ حُذِفَتْ أيضاً(٦)

وعندَ نصبِهِ وجزمِهِ قيلَ تُرسَمُ ، وقيلَ تُحذَفُ

---

(١) ومثال مخالفته لفعل الإناث (النسوة يقرأنَ الدرس)

(٢) مثال التثنية (نبآن)

(٣) علىٰ مذهب غير المتقدِّمين ، من أن الهمزة المتطرفة إذا اتصل بها شيء ؛ كياء النسب أو المتكلم تبقىٰ علىٰ أصلها حال الانفراد ، فتُرسَم هٰكذا (ملجأي وسبأي)

(٤) أمثلتها على الترتيب (يُقرِئُنا وقارِئُنا ، ويُقرِئَانِ وقارِئَانِ ، ولم يُقرِئُوا وهم المُقرِئُون)

(٥) مثالها (القارين والمبتدِين والمستهزين)

(٦) مثالهما (نفعني مَجِيَّ إليك ، أنتِ تتَّكِينَ وتُقرِينَ) من (مجيئي ، وتتكئين ، وتُقرئين)

وإذا اتصلَ بالتي تُكتَبُ واواً ضميرٌ ؛ نحوُ أخذتُ مِنْ لؤلؤِكَ ، ولتكافُؤِهِم رُسِمَتْ واواً على المُختارِ

وإذا اتصلَ بنحوِ ([رَدُؤَ]) و(بَطُؤَ) ألفُ الاثنَينِ ، أو ثُنِّيَ نحوُ (لؤلؤٍ) ، أو اتصلَ بنحوِ (وَضُؤَ) واوُ الجماعةِ رُسِمَتِ الهمزةُ واواً أيضاً ، وكذا إذا اتصلَ بنحوِ (لؤلؤٍ) ياءُ المُتكلِّمِ أو ياءُ النَّسبِ (١)

وإذا اتصلَ بالتي تُحذَفُ ضميرٌ صُوِّرَتْ بحرفٍ مِنْ جنسِ حركتِها ؛ فتُرسَمُ واواً في مثلِ : حَرُمَ وَطْؤُها ، وياءً في مثلِ خُذْهُ بمِلْئِهِ ، وأَلِفاً في مثلِ رأيتُ الجيشَ ورِدْأَهُ

وإذا ثَنَّيتَ نحوَ (جزْءٍ) صَوَّرتَ الهمزةَ أَلِفاً معَ الياءِ فقطْ (٢)

وإذا اتصلَ بنحوِ (جزءٍ) ياءُ المُتكلِّمِ ، أو ياءُ النَّسبِ رُسِمَتِ ٱلْهَمْزَةُ ياءً (٣)

وإذا اتصلَ بنحوِ (جاءَ) ضميرُ المفعولِ لا تُرسَمُ الهمزةُ أَلِفاً (٤)

وكذا تُحذَفُ الهمزةُ مِنْ نحوِ (جاءَ) و(شاءَ) حيثُ يُسنَدُ لواوِ الجماعةِ (٥)

وإذا أُضيفَ نحوُ (كساءٍ) و(رُواءٍ) إلىٰ ضميرٍ (٦) ، أوِ اتصلَ بهِ ياءُ النَّسبِ صُوِّرَتِ الهمزةُ بحرفٍ مِنْ جنسِ حركتِها ، إلَّا حالةَ النصبِ فتُحذَفُ ؛ فتُرسَمُ واواً في نحوِ هٰذا كساؤُكَ ، وياءً في نحوِ كسائِي وكسائِهِ ، والكسائِيِّ

وإذا اتصلَ بنحوِ (يجيءُ) و(يُفِيءُ) مِنْ أفاءَ : ضميرُ المفعولِ . لم تُرسَمِ

---

(١) الأمثلة على الترتيب (رَدُؤَا وبَطُؤَا ، ولُؤْلُؤَانِ ، ووَضُؤُوا ، ولُؤْلُؤِي ، ولُؤْلُؤِيٌّ)

(٢) مثاله (جُزأَينِ)

(٣) مثالهما (جُزئِي ، وجزئيٌّ)

(٤) مثاله (جاءَهُ)

(٥) مثاله (جاءُوا ، وشاءُوا)

(٦) الرُّواء حسن المنظر

الهمزةُ[1] ، وكذا إذا ثُنِّيَ نحوُ (مجيءٍ)[2] ، وكذا في أمرِ المُخاطَبةِ بنحوِ (جِيئِي وفِيئِي)

وإذا أُضيفَ مثلُ (وضوءٍ) و(قروءٍ) لضميرٍ ؛ كوضوئي وقروئِهِنَّ رُسِمَتِ الهمزةُ ياءً حالَ جرِّهِ ، ولم تُرسَمْ حالَ رفعِهِ ونصبِهِ[3]

وإذا أُضيفَ نحوُ (شيءٍ) و(فيءٍ) لم تُصَوَّرْ همزتُهُ أصلاً[4]

والهمزةُ الواقعةُ قبلَ هاءِ التأنيثِ ؛ قيلَ إنَّها مُتطرِّفةٌ تقديراً ؛ لأنَّهُم يقولونَ إنَّ هاءَ التأنيثِ في تقديرِ الانفصالِ ، وكأنَّها كلمةٌ مُستقِلَّةٌ ، وتُرسَمُ أَلِفاً إن كانَ قبلَها حرفٌ صحيحٌ ، وإلَّا حُذِفَتْ[5]

الكلامُ على الأَلِفِ

الألفُ إن كانَتْ حشواً ولو تقديراً ؛ بأن كانَ بعدَها هاءُ التأنيثِ ، أو كانَتْ طرَفاً في الحروفِ أو في الأسماءِ المبنيَّةِ رُسِمَتْ أَلِفاً ، إلَّا في (بلىٰ) ، و(علىٰ) ، و(إلىٰ) ، و(حتىٰ) ، مِنَ الحروفِ ، فتُرسَمُ ياءً ؛ لقولِكَ عليكَ ، وإليكَ ، وإمالةِ (بلىٰ) ، وحمل (حتىٰ) علىٰ (إلىٰ) ، وإلَّا في (لدىٰ) ، و(متىٰ) ، و(أنَّى) التي بمعنىٰ كيفَ ، أو مِنْ أينَ ، [و(الأُلى)] الموصولةِ ، و(أُولى) الإشاريةِ ، مِنَ الأسماءِ المبنيةِ ، فتُرسَمُ ياءً أيضاً ، و(مهما) على القولِ بأنَّها بسيطةٌ وضعاً ، والجاري رسمُها أَلِفاً

---

(١) مثاله : (يجيئُه ، ويُفيئُه) ، قال في « المطالع النصرية » (ص ١٢٥) : (لم ترسم الهمزة ، وإنما ترفع نبرة لتركز عليها قُطعة الشكل ، سواء كان الفعل مرفوعاً أو منصوباً ؛ نظراً لتحقيق الهمزة)

(٢) مثاله (مجيئان)

(٣) مثال عدم رسمها حال الرفع والنصب (أعجبني وُضوءُك ، ورأيت وضوءَكَ)

(٤) مثالهما (هـٰذا فيئي وشيئي ، وفيئُكَ وشيئُكَ ، وفيئُه وشيئُه)

(٥) مثال الهمزة التي قبلها حرف صحيح (مَرْأَة ، وكَمْأَة ، وفَجْأَة) ، ومثال التي قبلها معتل (فُجاءَة وعباءَة ، ومقرُوءَة وشنُوءَة ، وسَوْءَة ، وخطِيئَة وردِيئَة ، وهَيْئَة وفَيْئَة)

وإن كانَتْ طرفاً في الأسماءِ المعربةِ أوِ الأفعالِ رُسِمَتْ ياءً لأحدِ مُقتضِيَينِ

الأوّلُ أن تزيدَ على ثلاثةِ أحرفٍ ولو بالتضعيفِ ؛ نحوُ جلَّى مُضعَّفِ جلا

الثاني أن تكونَ مُنقلِبةً عن ياءٍ ، ويُعرَفُ ذٰلكَ بالنقلِ ، ويُسهّلُ معرفتَهُ النظرُ لتثنيةِ الكلمةِ وجمعِها جمعَ تأنيثٍ ، وإلى المضارعِ في الأفعالِ ، والمصدرِ (١)

ويَمنعُ مِنْ كتابتِها ياءً أمرانِ

الأوّلُ أن تَسبِقَها ياءٌ ؛ ك (يحيا) ، فتُرسَمُ أَلِفاً ، إلَّا إذا جُعِلَ عَلَماً ، فتُرسَمُ ياءً على القاعدةِ

والثاني أن يتصلَ بها ما يَجعلُها حشواً ؛ كالضَّميرِ في أعطاهُ إحداهُنَّ ، [وبمقتضامَ] فعلتَ ، وحتَّامَ ، وإلامَ ؛ استفهاماً ، وحتَّاكَ وحتَّاهُ هٰذا ؟

وإذا وقعَ ما يُرسَمُ ياءً في شعرٍ أو سجعٍ على الألفِ فالأحسنُ كَتْبُهُ أَلِفاً ؛ للمشاكلةِ (٢)

والكلماتُ التي وردَتْ مقصورةً وممدودةً يجوزُ كَتْبُ مقصورِها بالياءِ

---

(١) أمثلتها على الترتيب (فتىً فتيان ، حصىً حصيات ، عصىٰ يعصي ، سعى السعي)

(٢) وقد مثَّل له العلامة الهوريني في « المطالع النصرية » (ص ١٤٨) (من المجتث)

يَا سَيِّداً حَازَ رِقِّي ... بِمَا حَبَانِي وَأَوْلَا

أَحْسَنْتَ بِرّاً فَقُلْ لِي ... أَحْسَنْتُ فِي ٱلشُّكْرِ أَوْ لَا

ويقول الآخر (من الرمل)

حَارَ فِي سُقْمِيَ مِنْ بَعْدِهِمُ ... كُلُّ مَنْ فِي ٱلْحَيِّ دَاوَىٰ أَوْ رَقَا

بَعْدَهُمْ لَا ظَلَّ وَادِي ٱلْمُنْحَنَىٰ ... وَكَذَا بَانُ ٱلْحِمَىٰ لَا أَوْرَقَا

أوِ الأَلِفِ ، وفي المقصورِ إذا نُوِّنَ خلافٌ ، ومذهبُ سيبويهِ رسمُهُ بالأَلِفِ نصباً[1]

وبعضُ النحاةِ يَرىٰ رسمَ الأَلِفِ أَلِفاً مطلقاً ؛ تبعاً للَّفظِ ، وليتَهُ جرى العملُ علىٰ ذٰلكَ ، فقد أوقعَ هٰذا الرسمُ الاصطلاحيُّ في غَلَطٍ كثيرٍ ، فتَسمعُ الناسَ مثلاً يقولونَ مَنْ لدى الحضرةِ

ورُسِمَتْ أَلِفاً لأحدِ مُقتضِيَينِ أيضاً[2]

الأَوَّلُ أن تكونَ مُنقلِبةً عن واوٍ ؛ كـ (تلا) و(دعا) مِنَ الأفعالِ ، و(عصاً) و(مهاً) مِنَ الأسماء

والثاني أن تكونَ في كلمةٍ أعجميَّةٍ[3] ، أو في كلمةٍ عربيةٍ مجهولةِ الأصلِ ؛ كـ ([الدَّدا]) اللعبُ ، و(خسا) و(زكا) للفردِ والزوجِ ، ولٰكنْ جَوَّزُوا كَتْبَ مثلِ هٰذا ياءً أيضاً

وإذا سبقَ هٰذهِ الأَلِفَ همزةٌ ؛ نحوُ شأىٰ وبأىٰ ؛ بمعنى افتخرَ رُسِمَتْ ياءً

الكلامُ علىٰ نونِ التوكيدِ ، ونونِ (إذاً) ، والتنوينِ

تُرسَمُ نونُ التوكيدِ الخفيفةُ أَلِفاً إلَّا عندَ خوفِ اللَّبسِ ؛ نحو لا تضربَنْ زيداً ، واضربَنْ عمراً ؛ إذا أمرتَ واحداً مِنِ اثنَينِ

وتُرسَمُ نونُ (إذاً) بالأَلِفِ على اختيارِ بعضٍ ، وبالنونِ على اختيارِ بعضٍ آخَرَ ، وبالأَلِفِ عندَ عملِها ، وبالنونِ عندَ إلغائِها ، أو بالعكسِ ، على اختلافِ النقلِ في اختيارِ بعضٍ آخَرَ

---

(١) انظر « المطالع النصرية » (ص ١٥١)

(٢) أي الألف التي وقعت طرفاً

(٣) مثالها (بُغا ، يهودا ، زليخا)

و(إذاً) هٰذهِ هيَ الجوابيةُ الواقعةُ في قولِكَ إذاً تصيبَ ؛ جواباً لِمَنْ يقولُ أريدُ أن أفعلَ كذا

وأمَّا التنوينُ فلا يُصوَّرُ في الكتابةِ إلَّا حالةَ النصبِ ، فيُصوَّرُ أَلِفاً إن لم يكنْ بعدَ تاءِ تأنيثٍ ، أو همزةٍ تُرسَمُ أَلِفاً ، أو همزةٍ تُحذَفُ لوجودِ أَلِفٍ قبلَها ؛ كعطاءٍ وجزاءٍ

الكلامُ علىٰ هاءِ التأنيثِ

هيَ تاءُ التأنيثِ التي تَمنعُ الصَّرفَ في الأعلامِ ، ويُوقَفُ عليها بالهاءِ ؛ كتاءِ فاطمةَ وطلحةَ ، وراويةٍ وعلَّامةٍ وخليفةٍ وعِدَةٍ ، فتُرسَمُ بالهاءِ ، بخلافِ تاءِ التأنيثِ مِنْ أختٍ وبنتٍ



البابُ الثاني
في زيادةِ حروفٍ

[مواضعُ زيادةِ الألفِ]

تُزادُ الأَلِفُ

أوَّلاً ؛ وهيَ همزةُ الوصلِ التي سبقَ بيانُ مواضعِها[1] ، وحشواً في لفظِ (مائةٍ) علىٰ خلافٍ في ذٰلكَ ، وهـٰذا الرسمُ أوجبَ غلطَ الناسِ في النطقِ بالكلمةِ : (مايةٍ) كغايةٍ ، وطرفاً بعدَ واوِ الضَّميرِ المُتطرِّفةِ مِنْ نحوِ كتبوا ، واكتبوا ، ولم يكتبوا

[مواضعُ زيادةِ الواوِ]

وتُزادُ الواوُ

حشواً في (أُولى) الإشاريةِ ، و(أُولو) و(أُولاتُ) اللَّذَينِ بمعنىٰ أصحابٍ وصاحباتٍ ، وطرفاً في لفظِ (عَمْرٍو) عَلَماً غيرَ منصوبٍ ، ولا مضافٍ لضميرٍ ، ولا قافيةِ بيتٍ ، ولا مزيدٍ فيهِ (أل)[2]

[مواضعُ زيادةِ هاءِ السَّكتِ]

وتُزادُ هاءُ السَّكتِ في مواضعِها



---

(١) انظر (١/٢٠٩)

(٢) مثال عدم زيادتها في المنصوب : (رأيتُ عَمراً) ، وفي المضاف لضمير (أعجبني عَمْرُكُم) ، وفي الذي يقع قافية كما في « المطالع النصرية » (ص ١٩٧) (من الخفيف)

إنَّـمَـا أَنْـتَ مِـنْ سُـلَـيْـمَـىٰ كَـوَاوٍ ... أُلْحِقَتْ فِي ٱلْهِجَاءِ ظُلْماً بِعَمْرِ

وفي المزيد بـ (أل) كما في « المطالع النصرية » (ص ١٩٧) (من الرجز)

بَـاعَـدَ أُمَّ ٱلْـعَـمْـرِ مِـنْ أَسِـيـرِهَـا ... حُـرَّاسُ أَبْـوَابٍ عَـلَـىٰ قُـصُـورِهَـا

البابُ الثالثُ
في حذفِ بعضِ الحروفِ

[مواضعُ حذفِ الهمزةِ]

تُحذَفُ الهمزةُ[1] مِنْ نحوِ (تشاءَبَ) ماضياً ، و(جاءَهُ) ، و(كساءً) منصوباً

ومِنْ نحوِ (سَمَوْءَلٍ) و(تَوْءَمٍ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ الواوِ

ومِنْ نحوِ (ضوءُهُ) و(وضوءُهُ) في غيرِ حالةِ الكسرِ

ومِنْ نحوِ (جَيْئَلٍ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ الياءِ ، و(بَئِسَ) بكسرِ الهمزةِ

ومِنْ نحوِ (شيئُكَ) و(فيئُكَ)

ومِنْ نحوِ (قرءُوا) و(يقرءُون) و(رءُوسٍ) جمعِ رأْسٍ

ومِنْ نحوِ (دعاءٍ) و(فجاءةٍ)

ومِنْ نحوِ (وُضُوءٍ) و(ضَوْءٍ) و(سَوْءَةٍ) و(شَنُوءَةَ) بفتحِ الشينِ وسكونِ الواوِ وضمِّ النونِ

ومِنْ نحوِ (هنيءٍ) و(شيءٍ) و(خطيئةٍ) و(هيئةٍ)

ومِنْ نحوِ (تراءَاهُ) [و (تسُوءُونَ)] و(لا تسيئي يا هندُ)

ومِنْ نحوِ (إسرائيلَ)

[ومِنْ] نحوِ (باءُوا) و(جاءُوا)

ومِنْ نحوِ (السُّوءَىٰ)

---

(١) أي صورتها ؛ وهي إمَّا الألف ، وإمَّا الواو ، وإمَّا الياء

ومِنْ نحوِ (لم [يبوءا])

ومِنْ نحوِ (لم يجيئا) ، و(لم يفيئا)

ومِنْ نحوِ ([المَوْءُودةِ])

ومِنْ نحوِ (فيءٍ)

قالوا القياسُ حذفُها في (تراءَاهُ) وما بعدَهُ ، والعملُ الآنَ علىٰ عدمِ حذفِها في مثلِ (فيءٍ) مِنْ هٰذا فيئي

[مواضعُ حذفِ همزةِ الوصلِ]

وتُحذَفُ همزةُ الوصلِ مِنْ (أل) إذا دخلَ عليها همزةُ الاستفهامِ ولم يكنْ لَبسٌ ، وإذا دخلَ عليها اللَّامُ الحرفيَّةُ خافضةً أو غيرَها[1]

كما تُحذَفُ مِنْ (بَلْعنبرِ) و(بَلْحارثِ) اللَّذَينِ أصلُهُما بنو العنبرِ وبنو الحارثِ ، وفي لغةِ مَنْ يقولُ مِلْماءِ و(عَلْماءِ) في مِنَ الماءِ وعلى الماءِ

وتُحذَفُ همزةُ الوصلِ أيضاً مِنْ نحوِ (اصطفىٰ) و(استخرجَ) فعلَينِ ، و(اصطفاءِ) و(استخراجِ) مصدرَينِ ؛ إذا دخلَتْ عليهِ همزةُ الاستفهامِ[2]

وتُحذَفُ مِنْ لفظِ (اسمِ) إذا دخلَتْ عليهِ همزةُ الاستفهامِ[3]

---

(١) مثال دخول همزة الاستفهام علىٰ (أل) (آلرَّجلُ خير أم المرأة ؟) ، ومثال دخول اللام الحرفية (لِلحقّ دولة ، وللباطلِ جولة)

(٢) مثال دخول همزة الاستفهام على الفعل قوله تعالىٰ ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾ [الصافات ١٥٣] ، ونحو (أستخرجتَ ما أريد منك ؟) ، ومثال دخولها على المصدر : (أفْتراءً على الله قلتَ كيت وكيت أم اجتراءً ؟!)

(٣) مثاله (أَسمُك زيد أم عمرو ؟)

ومِنْ (بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ) إذا لم يُذكَرْ مُتعلَّقٌ مُقدَّماً أو مُؤخَّراً [1]

ومِنْ لفظِ (ابنٍ) إذا دخلَتْ عليهِ همزةُ الاستفهامِ ، أو (يا) الندائيةُ

ومنهُ ومِنِ (ابنةٍ) إذا وقعَ كلٌّ منهُما صفةً لعَلَمٍ شخصيٍّ أو جنسيٍّ ، وأُضيفَ لعَلَمٍ كذٰلكَ ولو تنزيلاً ، ولم يكنْ لفظُ ابنٍ أوِ ابنةٍ أوَّلَ سطرٍ ؛ كـ (أنسُ بنُ مالكٍ ، ومالكُ بنُ أنسٍ ، ومحمدُ بنُ مالكٍ ، وفلانُ أو فلانةُ بنُ أو بنةُ فلانٍ أو فلانةَ ، وضلُّ بنُ ضلٍّ ، وهيُّ بنُ بيٍّ ؛ لِمَنْ لا يُعرَفُ أبوهُ ، ومحمدُ بنُ الخطيبِ ، وأبو بكرٍ بنُ أُمِّ جعفرٍ)

[مواضعُ حذفِ الألفِ]

وتُحذَفُ الأَلِفُ مِنْ نحوِ (آدمَ ، وآثرَ ، ومآلٍ)

ومِنْ نحوِ (السمـٰواتِ)

ومِنْ لفظِ (اللهِ) و(الإلـٰهِ) و(إلاهِ العالَمِ)

ومِنْ لفظِ (الرحمـٰنِ) مُعرَّفاً كسابقِهِ دونَ النكرةِ منهُما

ومِنْ لفظِ ([الحـٰرثِ والسَّلـٰم]) مُعرَّفَينِ أيضاً

ومِنْ كلِّ عَلَمٍ علىٰ وزنِ (فاعل) ، كـ (مـٰلكٍ وصـٰلحٍ) ، بخلافِ الأوصافِ ؛ كرجلٍ صالحٍ مالكٍ

ومِنْ بعضِ الأعلامِ المُشتهِرةِ ؛ ([كإبرٰهيمَ ، وإسمـٰعيلَ ، وإسحـٰقَ] ، ومعـٰوية) ، ولا تُحذَفُ لخوفِ اللَّبسِ مِنْ نحوِ (عبَّاسٍ) ، ولا مِنْ نحوِ (إسرائيلَ) لوجودِ حذفٍ فيه ، فلا يُجمَعُ فيهِ حذفانِ

---

(١) مثال ذكر المتعلَّق مقدَّماً (أتبرَّك باسم الله الرحمـٰن الرحيم) ، ومثال ذكر المتعلَّق مؤخراً (باسم الله الرحمـٰن الرحيم أستفتح)

وتُحذَفُ مِنْ لفظِ (ثلاثٍ) في ثلثمائةٍ ، وثلثِ نسوةٍ ، [وثلثةِ] رجالٍ ، وثلثٍ وثلاثينَ ، ومِنْ لفظِ (الثلاثاءِ) اسمِ اليومِ

وتُحذَفُ جوازاً مِنْ نحوِ ثماني ليالٍ ؛ إن لم تُحذَفِ الياءُ ، وإلَّا وجبَ إثباتُها ؛ كقولِهِ[1] [من الرجز]

لَــهَــا ثَــنَــايَــا أَرْبَــعٌ حِــسَــانُ وَأَرْبَــعٌ فَــثَــغْــرُهَــا ثَــمَــانُ

وتُحذَفُ مِنْ لفظِ (لٰكنْ) مُخفَّفةً أو مُشدَّدةً

وتُحذَفُ مِنْ (مَا) الاستفهاميةِ التي لم تُركَّبْ معَ (ذا) ، مخفوضةً بحرفٍ أو مضافٍ ؛ مثلُ علىٰ مَهْ ؟ وبمقتضىٰ مَهْ ؟

ومِنْ (ما) الموصولةِ في نحوِ [بمَ] شئتَ فقط[2] ، ومِنْ لفظِ (أَمَا) إذا وقعَ بعدَها القسمُ ؛ مثلُ [أمَ] وأبيك[3]

وتُحذَفُ مِنْ (ذا) الإشاريةِ ، و(يا) الندائيةِ ، و(أنا) ضميرِ المُتكلِّمِ ، وها التنبيهيةِ معَ اسمِ إشارةٍ ليسَ أولَهُ تاءٌ ولا هاءٌ ، ولا بعدَهُ كافٌ ؛ مثلُ هٰذا وهٰذانِ وأيُّهٰذا ، بخلافِ هاتا وها هنا وها ذاكَ ، ومِنْ لفظِ هاللهِ وآللهِ في القسمِ ، ومِنْ [هٰأنا ، وهٰأنتَ] لا مِنْ ها هو وها هي

ولا تُحذَفُ أَلِفُ (ذا) إلَّا مُثنًى ، أو معَ لامِ التبعيدِ ، ولا تُحذَفُ أَلِفُ (أنا) الضَّميرِ إلَّا في هاءِ نداءٍ

وتُحذَفُ أَلِفُ (يا) الندائيةِ في يٰأيُّها ويٰأَهْلَ ، ونحوِ [يٰإبراهيمُ ويٰإسحاقُ] ، بخلافِ نحوِ يا آدمُ ويا آزرُ ، ممَّا حُذِفَ ثانيهِ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (٧/٣٦٥)

(٢) انظر « المطالع النصرية » (ص ٢٣١)

(٣) انظر « المطالع النصرية » (ص ٢٣٢)

[مواضعُ حذفِ ياءِ المنقوصِ]

وتُحذَفُ ياءُ المنقوصِ ؛ كقاضٍ ومفتٍ ، مُنكَّراً غيرَ منصوبٍ ولا مضافٍ

[مواضعُ حذفِ الواوِ]

وُتحذَفُ الواوُ مِنْ لفظِ داوُدَ وطاوُسٍ وناوُسٍ ، ونحوِ رءُوسٍ ، ولا تُحذَفُ مِنْ مثلِ قَؤولٍ وصَؤولٍ علىٰ فَعولٍ للمبالغةِ ؛ لدفعِ اللَّبسِ بقَوْلٍ وصَوْلٍ مصدرَينِ

[مواضعُ حذفِ اللَّامِ]

وتُحذَفُ لامٌ مِنَ الثلاثِ في نحوِ لم يُخلَقِ الإنسانُ للَّعبِ ولا للَّهوِ ، وقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « لَلَّهُ أَرْحَمُ بِٱلْمُؤْمِنِ »[1] بفتحِ اللَّامِ ؛ وهيَ لامُ الابتداءِ ، كما تُحذَفُ مِنَ الموصولاتِ ، تُكتَبُ بلامَينِ إذا دخلَ عليها لامُ الخفضِ أو لامُ الابتداءِ

[مواضعُ حذفِ التاءِ]

وتُحذَفُ التاءُ مِنْ آخِرِ الفعلِ إذا أُسنِدَ لتاءِ [الفاعلِ] ؛ نحوُ لَعَنِتُّم

[مواضعُ حذفِ النونِ]

وتُحذَفُ النونُ مِنْ آخِرِ الفعلِ إذا اتصلَ بكلمةِ (نا) الفاعلِ أو نونِ النسوةِ أو نونِ الوقايةِ في نحوِ آمنَّا ، والنسوةُ بِنَّ ، وأعنِّي ، ولم يمكنِّي

وتُحذَفُ النونُ أيضاً مِنْ كلمتَيْ (مِنْ) و(عَنِ) الجارَّتَينِ إذا اتصلَ بهما (ما) أو (مِنْ)[2]

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٣٠) عن زيد بن أسلم رحمه الله تعالىٰ مرسلاً بنحوه

(٢) مثاله (ممَّا ، عمَّا)

وتُحذَفُ نونُ (إنِ) الشرطيةِ إذا اتصلَ بها (ما) الزائدةُ أو (لا) النافيةُ(١)

وتُحذَفُ نونُ (أنِ) المصدريةِ حيثُ تكونُ ناصبةً إذا اتصلَ بها (ما) أو (لا)(٢) ، وتُحذَفُ مِنْ نِعِمَّا في نحوِ ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾(٣)



(١) مثال الأول قوله تعالىٰ ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ . ﴾ [الإسراء : ٢٣] ، ومثال الثاني قوله تعالىٰ ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة ٤٠]

(٢) مثال الأول (أمَّا أنت ذا مالٍ تفتخر !!) ، ومثال الثاني (أرجو ألَّا تهجرني)

(٣) سورة البقرة (٢٧١)

الباب الرابع

في وصلِ بعضِ الكَلِمِ ببعضٍ علىٰ خلافِ الأصلِ الذي هوَ الفصلُ ليناسبَ الخطُّ اللفظَ

إذا كانَتِ الكلمةُ مِنْ حرفٍ واحدٍ ؛ كباءِ الجرِّ ولامِهِ ولامِ الابتداءِ وُصِلَتْ بما بعدَها ؛ وذٰلكَ لأنَّهُ لا يَصِحُّ الوقفُ عليها ، وابتناءُ الكتابةِ على الوقفِ والابتداءِ ، ولذٰلكَ وجبَ وصلُ الكلماتِ التي لا يَصِحُّ الابتداءُ بها بما قبلَها ؛ كالضَّمائرِ البارزةِ المتصلةِ ، وعلاماتِ التأنيثِ والتثنيةِ ، **فكلُّ ما لا يُوقَفُ عليهِ وما لا يُبدَأُ بهِ يُوصَلُ بما بعدَهُ وبما قبلَهُ**

ولو صارَتِ الكلمةُ بالتصرُّفِ علىٰ حرفٍ واحدٍ ؛ كالأمرِ مِنْ (وقىٰ) ومِنْ (وعىٰ) فإنَّهُ يُوصَلُ بما بعدَهُ إن كانَ ضميراً ؛ لعدمِ صحةِ الوقفِ عليهِ ، وعدمِ صحةِ الابتداءِ بالضَّميرِ ، فيكونُ الوصلُ في مثلِهِ لمُقتضِيَينِ ، فلو وليَهُ اسمٌ ظاهرٌ . وجبَ أن تَلحَقَهُ هاءُ السكتِ ، ويُلفَظُ بها وقفاً لا وصلاً ، إلَّا إذا أجريتَ الوصلَ مُجرى الوقفِ ؛ فلك الوجهانِ في النطقِ بقولِ الشاعرِ[1] [من البسيط]

فِهْ بِٱلْعُقُودِ وَبِٱلْأَيْمَانِ لَا سِيَّمَا عَهْدٌ وَفَاءٌ بِهِ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْقُرَبِ

ويجبُ وصلُ المُركَّباتِ المزجيَّةِ ؛ كبعلبكَّ ومعديكربَ وقالي [قلا][2] ، وليسَ منها الأعدادُ المُركَّبةُ كخمسةَ عشرَ ، فلا تُوصَلُ

نعم ؛ وصلوا ثلاثَ مائةٍ إلىٰ تسع مائةٍ ، وأُلحِقَ بالمُركَّباتِ المزجيَّةِ بابُ (يومئذٍ) إذا لم تُضَفْ كلمةُ (إذْ) كما سبقَ التنبيهُ علىٰ رسمِهِ[3] ، وينبغي

---

(١) انظر « المطالع النصرية » (ص ٥٥)

(٢) قالي قلا من مدن أرمينية

(٣) انظر (١٣/٣)

أن يُتنبَّهَ للضَّميرِ الواقعِ بعدَ الكلمةِ هل هوَ مُنفصِلٌ أو متصلٌ ؟ لاختلافِ الحالِ في الكتابةِ ؛ فليسَ حالُ ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾[1] مثلَ حالِ ﴿ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾[2]

[وصلُ (ما) بما بعدَها وضابطُ الوصلِ]

وتُوصَلُ (ما) الاستفهاميةُ بحرفِ جرٍ وبمضافٍ ؛ نحوُ مِمَّ ، وعمَّ ، وفيمَ ، وبمقتضامَ فعلتَ كذا ؟

وتُوصَلُ (ما) الموصولةُ و(ما) النكرةُ بمِنْ وفي وعن فقطْ[3] ، وتُوصَلُ (ما) الزائدةُ كافَّةً وغيرَ كافَّةٍ مهيئةً وغيرَ مهيئةٍ بما قبلَها ، إلَّا في أيَّانَ ما ، ومتىٰ ما ؛ كقلَّما وطالَما وإنَّما وكأنَّما وربَّما وبما وأيَّما

وتُوصَلُ (ما) المصدريةُ في كلَّما جئتَني أكرمتُكَ ، وأينَما صنعتَ ، ومثلِهما ، لا في مثلِ إنَّ ما صنعتُ معجبٌ

وضابطُ الوصلِ أن يكونَ معنىٰ شرطٍ أوِ استفهامٍ

وتُوصَلُ (ما) المصدريةُ بكلمةِ (سيٍّ) بمعنىٰ مثلٍ في قولِهِم لا سيَّما ، وبكلمةِ (مثلٍ) مِنْ نحوِ أسلمْنا مثلَما أسلمتُم ، وبكلمةِ (ريثِ) كما في قولِ الشنفرىٰ[4] [من الطويل]

وَلَـٰكِنَّ نَفْساً حُرَّةً لَا تُقِيمُ بِي ... عَلَى ٱلضَّيْمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

مصدرُ راثَ ؛ أي بُطْئاً ما ، فهوَ مِنَ المصادرِ الواقعةِ ظروفاً بالنيابةِ عنِ المضافِ المحذوفِ ؛ أي وقتَ ريثِ التحوُّلِ .

---

(١) سورة الذاريات (١٣)

(٢) سورة الزخرف (٨٣)

(٣) أمثلتها على الترتيب قوله تعالىٰ ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة ٤] ، وقوله تعالىٰ ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ ٢٥] ، و(لا تخض فيما خاضَ فيه الناس)

(٤) انظر « ديوان الشنفرىٰ » (ص ٧٣)

وتُوصَلُ كلمةُ (مَنْ) شرطيةً أو غيرَها بحرفَيْ مِنْ وعن فقطْ ؛ مثلُ ممَّنْ أنتَ ؟ ورضيتُ عمَّن رضيتَ عنهُ ، فلا تُرسَمُ النونُ بينَ الميمَينِ

وتُوصَلُ كلمةُ (لا) بهمزتَيْ (إن) الشرطيَّةِ و(أن) الناصبةِ للفعلِ ، سواءٌ صُوِّرَتا أَلِفاً أو ياءً علىٰ ما سبقَ (١)

هٰذا ؛ ولمَّا كانَتِ الحروفُ الهجائيةُ إنَّما تَدُلُّ علىٰ مادَّةِ اللَّفظِ مَسَّتِ الحاجةُ لوضعِ علاماتٍ لبيانِ الحركاتِ تُسمَّىٰ شَكْلاً ، كما أنَّهُم لمَّا اصطلحوا علىٰ تصويرِ بعضِ الحروفِ بغيرِ صورِها الأصليةِ أو عدمِ تصويرِها . احتاجوا أيضاً لعلاماتٍ تَدُلُّ على المادَّةِ ؛ مثلاً العلامةُ التي تُسمَّىٰ قطعةً ؛ تُوضَعُ فوقَ الهمزةِ القطعيةِ ، والأحرفِ المصورةِ بها الهمزةُ ، وموضعِ الهمزةِ التي ليسَ لها صورةٌ ، كما أنَّ الأحرفَ لمَّا اشتركَ بعضُها في الصورةِ لزمَ النقطُ ؛ لتمييزِ بعضِها مِنْ بعضٍ ، ولم يكنْ ذٰلكَ إلَّا بتنبيهِ التحريفِ والتصحيفِ ، ومعَ الداعي إلىٰ هٰذهِ الاحتراساتِ فربَّما لم يحافظوا عليها ، بل هوَ الأكثرُ ، ولذٰلكَ فسدَتِ اللغةُ العربيةُ ، وكانَتْ هٰذهِ الاصطلاحاتُ غيرَ مفيدةٍ إفادةَ الضَّبطِ الذي كانَ يلزمُ لحفظِ صورةِ اللغةِ ، ومعرفةِ المنقوطِ مِنْ غيرِهِ مِنَ التعاليمِ الأوليَّةِ

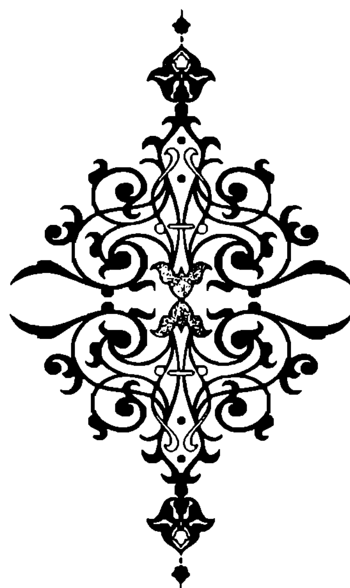
غيرَ أنَّ الاصطلاحَ الرسميَّ يُوجِبُ التنبيهَ علىٰ أنَّ هاءَ التأنيثِ لا يجوزُ نقطُها إذا وقعَتْ طرفاً في سجعٍ أو قافيةٍ ، وفي غيرِ ذٰلكَ يجبُ نقطُها بنقطتَيِ التاءِ عندَ خوفِ اللَّبسِ ، وإلَّا جازَ الأمرانِ ، وأنَّ الياءَ إذا وقعَتْ طرَفاً أو وسطاً بدلاً عن همزةٍ لا تُنقَطُ ؛ كالفاءِ والقافِ والنونِ إذا وقعَتْ طرفاً ، أو إذا كانَتِ الياءُ وسطاً مُحقَّقةً ؛ كمعايشَ وجبَ نقطُها ، وإذا كانَتْ بدلَ همزةٍ بعدَ كسرةٍ ساكنةٍ أو مفتوحةٍ ؛ كبئرٍ ومئةٍ جازَ فيها الأمرانِ



---

(١) انظر (١٣/٣)

كتابة الإنشاء



[إضاءةٌ علىٰ كتابةِ الإنشاءِ]

ويُقالُ صناعةُ الترسُّلِ ؛ وهيَ المُسمَّاةُ في زمانِنا كتابةَ التحريراتِ ؛ أيِ الإتيانُ بالحرِّ مِنَ الكلامِ ، في مقابلةِ كتابةِ الأموالِ المُسمَّاةِ الآنَ كتابةَ الحساباتِ ؛ وهيَ تأليفُ كلامٍ بأيِّ لسانٍ متميزٍ عنِ المعتادِ في غرضٍ مِنْ أغراضِ الشركةِ الإنسانيةِ ، وهيَ صناعةٌ تَقْوَى بقُوَّةِ الدولةِ ، وتَتَّسعُ باتساعِ أحوالِها وعمومِ نشوةِ الفرحِ بينَ الناسِ ؛ لأنَّ أهلَ الصِّناعةِ إذ ذاكَ يشتغلونَ بابتداءِ المكاتباتِ عن أُمرائِهِم ، والإجابةِ عنهُم ، وتدورُ بينَهُمُ المُخاطَباتُ في التهاني والتشكُّراتِ والتسلياتِ والشفاعاتِ والاستعطافِ والعتابِ والاعتذارِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ المعاني

وقد بلغَتِ الكتابةُ العربيةُ حيثُ كانَتِ الدولةُ عربيةً والأيامُ في إقبالِها مَبلغاً جازَتْهُ الكتابةُ التركيَّةُ حيثُ قامَتْ دولتُها ؛ كما نطقَ بذٰلكَ عقلاءُ العارفينَ باللسانَينِ ، ويُنبِّهُكَ علىٰ شرفِ كتابةِ الإنشاءِ ما نالَهُ أهلُها مِنَ الرفعةِ ونباهةِ الذِّكرِ ؛ فقد كانَ اسمُ الوزيرِ في الدولةِ العباسيَّةِ وما قارنَها مِنَ الدُّولِ الإسلاميةِ مُختصّاً برئيسِ ديوانِ الرسائلِ ، وهوَ الديوانُ المُعيَّنُ لكتابةِ الإنشاءِ ، المُسمَّىٰ في زمانِنا بالمعيَّةِ السنيَّةِ

فممَّنِ اشتَهرَ بهٰذه الصِّناعةِ ـ وكانَ وزيرَ دولتِهِ ومُدبِّرَ أمرِها ـ الربيعُ والفضلُ ابنُهُ ، وبنو برمكَ يحيىٰ وابناهُ الفضلُ وجعفرٌ ، وبنو الفراتِ ، وغيرُهُم في الدولةِ العباسيةِ ، والأستاذُ ابنُ العميدِ والصَّاحبُ ابنُ عبادٍ إسماعيلُ وغيرُهُما في سلطنةِ بني بويهَ ، وعبدُ الرحيمِ المشهورُ بالقاضي الفاضلِ والعمادُ الأصبهانيُّ في سلطنةِ بني أيوبَ ، وابنُ زيدونَ ولسانُ الدِّينِ ابنُ الخطيبِ بالمغربِ ، كلُّ أولـٰئكَ سادوا بصنعةِ الكتابةِ ، وعلَتْ أقدارُهُم

حتىٰ أُلِّفَتِ الكتبُ في ذكرِ مناقبِهِم ، وأخبارِ أيَّامِهِم ، ونقلُ اسمِ الكتابةِ إلى الفنِّ المُتعلِّقِ بها ، المعدودِ في فنونِ الأدبِ وعلومِ العربيةِ

[طريقتانِ لتعلُّمِ الإنشاءِ]

وهٰذا الفنُّ عبارةٌ عن تنبيهاتٍ تُرشِدُ مَنْ يريدُ أن يَتعلَّمَ تلكَ الصِّناعةَ ، وليسَ كغيرِهِ مِنَ الفنونِ ذا قواعدَ مضبوطةٍ ، بمعرفتِها تكونُ نهايةُ العلمِ بها ، فإنَّ لمَنْ يريدُ أن يَتعلَّمَ الإنشاءَ في كيفيةِ التعلُّمِ ـ كما قالَهُ ابنُ الأثيرِ ـ طريقتَينِ

إحداهُما أن يَحفظَ القرآنَ ، ويَفهمَ معناهُ ، وجملةً مِنَ الأحاديثِ والآثارِ والأشعارِ ، معَ تحصيلِ ما يلزمُ تحصيلُهُ مِنَ الفنونِ السابقةِ ، ثمَّ يجتهدُ في الإنشاءِ علىٰ نحوِ أساليبِ الكلامِ الذي حفظَهُ ؛ فتارةً يصيبُ ، وتارةً يخطئُ ، حتىٰ يحكمَ لنفسِهِ طريقةً ، قالَ (وهيَ أصعبُ الطريقتَينِ)[1]



الطريقةُ الثانيةُ أن يزيدَ علىٰ ما تَقدَّمَ الاطِّلاعَ علىٰ منشآتِ مَنْ تَقدَّمَهُ ، وحفظَ الكثيرِ منها ، واستعمالَ الفكرِ في انتقادِ تراتيبِها ، واختيارِ ما اختيرَ في ابتداءاتِها ، وانتهاءاتِها ، ثمَّ يأتيَ بما قَدَرَ عليهِ مِنِ اتباعٍ أوِ اختراعٍ

[حصرُ تعلُّمِ الإنشاءِ في جهاتٍ ثلاثٍ]

إذا وعيتَ ذٰلكَ فاختصارُ ما أطالَ بهِ المُؤلِّفونَ في هٰذا الفنِّ علىٰ تفاوتِهِم في ذٰلكَ يَحسُنُ أن يكونَ في ثلاثِ جهاتٍ

---

(١) انظر « المثل السائر » (١/٩١)

الجهةُ الأُولىٰ في ذكرِ ما يلزمُ تحصيلُهُ لِمَنْ يريدُ أن يكونَ منشئاً

الجهةُ الثانيةُ في أمورٍ كليَّةٍ

الجهةُ الثالثةُ في ذكرِ طرفٍ مِنْ طرائفِ منشآتِ أذكياءِ أهلِ الصِّناعةِ



الجهةُ الأُولىٰ
فيما يجبُ تحصيلُهُ علىٰ مَنْ يريدُ أن يكونَ كاتباً حَسَبَ ما كانَتْ تقتضيهِ أحوالُ الأزمنةِ السالفةِ

يجبُ عليهِ أن يَتوسَّعَ في حفظِ منتقياتِ اللغةِ ، فاصلاً بينَ مُشترَكِها ومُختصِّها ومتبايِنِها ، ومترادفِها ومتكافئِها ، ومطلقِها ومُقيَّدِها ، ملاحظاً مجازاتِها وكناياتِها ، حتَّىٰ إذا دُفِعَ لصفةِ خيلٍ وسلاحٍ وجيشٍ ، أو صورةِ حربٍ ، وكيفَ بدأَتْ وحَمِيَ فيها الوطيسُ وانتهتْ ، والنصرِ والهزيمةِ ، أو صفةِ غِلمانٍ وجَوارٍ ، أو حيواناتٍ وحشيَّةٍ أو غيرِ وحشيةٍ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ المعاني التي يَعرِضُ للكاتبِ أن يَصفَها ويَتَّسعَ في الكلامِ عليها لم يَعجِزْ أن يأتيَ بالعباراتِ الدالَّةِ علىٰ حقيقةِ الغَرَضِ الذي أخذَ في تفهيمِهِ

[إجادةُ النحوِ]

وأن يُجِيدَ معرفةَ النحوِ ، حتىٰ يأمنَ بملاحظتِهِ حينَ يقرأُ وحينَ يكتبُ مِنَ اللَّحنِ ، وقد كانوا يستقبحونَ اللَّحنَ جدّاً ، حتىٰ إنَّ بعض الملوكِ كالمأمونِ أبعدَ بلَحْنةٍ عنِ الخدمةِ ، وقيلَ(١) [من الكامل]

اَلنَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ ٱلْأَلْكَنِ ... وَٱلْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ ٱلْعُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا عِنْدِي مُقِيمُ ٱلْأَلْسُنِ

وإن يكنْ قد تَغيَّرَ الحالُ في ذٰلكَ ، حتىٰ إنَّهُ يُحكىٰ أنَّ كاتباً كتبَ في صدرِ كتابٍ يخبرُ فيهِ عن تمامِ برجٍ أمرَ السلطانُ ببنائِهِ قد نَجزَ ما أمرَ بهِ

---

(١) انظر « عيون الأخبار » (١٥٧/٢)

أبو فلانٍ ، فلمَّا سمعَهُ الأميرُ المأمورُ بذٰلكَ العملِ غضبَ على الكاتبِ ، وقالَ لهُ تقولُ عنِ السلطانِ (أبو) وهيَ كلمةٌ مُبتذَلَةٌ بألسنةِ العامَّةِ ؟! قُلْ (أبي) فإنَّها المناسبةُ للتعظيمِ ، فقالَ لهُ الكاتبُ : (أبو) فاعلٌ ، حقُّهُ الرفعُ ، فقالَ الأميرُ وهٰذهِ أعجبُ !! متىٰ رأيتَ السلطانَ يحملُ طيناً أو حجراً حتىٰ تقولَ إنَّهُ فاعلٌ ؟!

فإنَّ ذٰلكَ لا يمنعُ مِنْ تحصيلِ الفضيلةِ التي بها الشَّرفُ بينَ أهلِ الفضلِ

وأن يَعرِفَ التصريفَ ؛ حتىٰ يأمنَ مِنَ الخطأ في مثلِ أبنيةِ المصادرِ ، والمصدرِ الميميِّ ، واسمِ المكانِ ، واسمِ الزمانِ ، والتأنيثِ والتذكيرِ ، والتثنيةِ ، وصيغِ الجموعِ ، والتصغيرِ ، والنَّسبِ

[تحصيلُ علومِ البلاغةِ]

وأن يُحصِّلَ علومَ البلاغةِ ؛ ليَستعمِلَ كلَّ حالٍ مِنْ أحوالِ التراكيبِ في موضعِها ، ويَعرِفَ متىٰ تَحسُنُ الاستعارةُ والكنايةُ والمجازُ ، وكيفَ يَستعمِلُ المُحسِّناتِ البديعةَ ، قالَ الشيخُ شهابُ الدِّينِ محمودٌ الحلبيُّ في كتابِهِ « حسنُ التوسُّلِ إلىٰ صناعةِ الترسُّلِ » (وهٰذهِ العلومُ الثلاثةُ وإن لم يُضطرَّ إليها ذو الذِّهنِ الثاقبِ ، والطبعِ السليمِ ، والقريحةِ المطاوعةِ ، والفكرةِ المنقحةِ ، والبديهةِ المجيبةِ ، والرويَّةِ المُتصرِّفةِ ، لٰكنَّ العالِمَ بها يَتمكَّنُ مِنْ أزمَّةِ المعاني وصناعةِ الكلامِ ؛ يقولُ عن علمٍ ، ويَتصرَّفُ عن معرفةٍ ، وينتقدُ بحُجَّةٍ ، ويَتخيَّرُ بدليلٍ ، ويَستحسنُ ببرهانٍ ، ويصوغُ الكلامَ بترتيبٍ)[1]

فقد أبانَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ عمومَ الحاجةِ إلىٰ معرفةِ هٰذهِ العلومِ ، ولم يقفْ عندَ استغناءِ الأذكياءِ عنها ، كما فعلَ ابنُ السبكيِّ رحمَهُ اللهُ في خطبةِ كتابِهِ

---

(١) حسن التوسل (ص ١١)

« عروسُ الأفراحِ شرحُ تلخيصِ المفتاحِ » حيثُ قالَ (أمَّا أهلُ [بلادِنا] فهُم مستغنونَ عن ذٰلكَ ؛ بما طبعَهُمُ اللهُ عليهِ مِنَ الذَّوقِ السليمِ ، والفهمِ المستقيمِ ، والأذهانِ التي هيَ أرقُّ مِنَ النَّسيمِ ، وألطفُ مِنْ ماءِ الحياةِ في المُحيَّا الوسيمِ ، أكسبَهُمُ النيلُ تلكَ الحلاوةَ ، وأشارَ إليهِم بأصابعِهِ فظهرَتْ عليهِم هٰذهِ الطُّلاوةُ ، فهُم يدركونَ بطباعِهِم ما أفنتْ فيهِ العلماءُ فضلاً عنِ الأغمارِ الأعمارَ ، ويرونَ في مرآةِ قلوبِهِمُ الصَّقيلةِ ما احتجبَ مِنَ الأسرارِ خلفَ الأستارِ

وَٱلسَّيْفُ مَا لَمْ يُلْفَ فِيهِ صَيْقَلٌ مِنْ طَبْعِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِصِقَالِ[1]

فيا لها غنيمةً لم يُوجَفْ عليها مِنْ خيلٍ ولا رِكابٍ ، ولم يُزحَفْ إليها بعدوِ عيديَّةٍ[2] ، ولا بلحاقِ لاحقٍ ، وانسكابِ سكابٍ !!)[3]

وأرادَ ـ أكرمَ اللهُ مثواهُ ، وأبلغَهُ وافرَ حظِّهِ مِنْ رضاهُ ـ أذكياءَ أهلِ مصرَ ، وجاراهُ في ذٰلكَ أبو العباسِ أحمدُ القَلْقَشَنديُّ ، حيثُ نقلَ ذٰلكَ في كتابِهِ « صبحِ الأعشىٰ »[4] ، وأوردُ استشهاداً علىٰ ذٰلكَ بعض كلامٍ مِنْ كلامِ عوامِّهِم ؛ كقولِ بعضِهِم في الزَّجَلِ

قف نقولك يا فهيم ما صنع وجد لغزال
أرخ ليل شعر لبهيم وتلثم بالهلال
وكشف ذاك للثام ورفع ليل لشعر
اهتتك فيه بالغرام كل ما كان استتر

---

(١) البيت من الكامل ، وهو لأبي تمام في « ديوانه » (١٤٥/٣)

(٢) العيدية كرام نجائب النُّوق

(٣) عروس الأفراح (١٤٦/١) ، ولاحق وسكاب فرسان

(٤) صبح الأعشىٰ (١٨٢/١)

ويُراعىٰ في النطقِ بالزَّجلِ اللَّحنُ المعتادُ ؛ لحفظِ الوزنِ ، ووزنُ هٰذا الزَّجلِ فاعلاتن فاعلاتْ

[حفظُ القرآنِ الكريمِ]

وأن يحفظَ القرآنَ الشريفَ ، مُتأمِّلاً مقاصدَ فصولِهِ ، ومواقعَ آياتِهِ بعضِها مِنْ بعضٍ ، وحسنَ الارتباطِ بينَها ؛ حتىٰ يكونَ لهُ نوراً يهتدي بهِ في طريقِهِ التي يريدُ أن يسلكَها ، وبعدَ ذٰلكَ فإنَّهُ يستشهدُ بآياتِهِ بعدَ المقارنةِ بينَها وبينَ الأغراضِ التي يحاولُ إنشاءَ الكلامِ لأجلِها علىٰ ما شاءَ مِنَ المعاني ، ويُحلِّي كتبَهُ بالاقتباسِ منهُ في مواضعِ الاقتباسِ ، علىٰ ما سبقَ التنبيهُ لهُ في علمِ البديعِ

ويَعتبِرُ حسنَ الاقتباسِ بمثلِ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ علىٰ ما حكاهُ في « تاريخِهِ » القاضي أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ العزيزِ الجرجانيُّ ، في كتابٍ لأكثمَ بنِ صيفيٍّ وقد كتبَ لهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يَستعلِمُهُ عن أمرِهِ حينَ شاعَ ذكرُ مَبعثِهِ ، وهٰذا نصُّ الكتابِ « بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ إِلَىٰ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ أَحْمَدُ ٱللهَ إِلَيْكَ ، إِنَّ ٱللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، أَقُولَهَا وَآمُرَ ٱلنَّاسَ بِهَا ، وَٱلْخَلْقُ خَلْقُ ٱللهِ ، وَٱلْأَمْرُ أَمْرُ ٱللهِ ، خَلَقَهُمْ وَأَمَاتَهُمْ ، وَهُوَ [يَنْشُرُهُمْ] ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ »

وقولِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ في عهدِهِ بالخلافةِ لعمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ (بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرحيمِ ، هٰذا ما عهدَ أبو بكرٍ خليفةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ عندَ آخرِ عهدِهِ بالدنيا ، وأوَّلِ عهدِهِ بالآخرةِ ، في الحالِ التي يؤمنُ فيها الكافرُ ، ويَتَّقي فيها الفاجرُ ؛ أنِّي استعملتُ عليكُم عمرَ بنَ الخطابِ ، فإن برَّ وعدلَ فذاكَ علمي بهِ ، وإن جارَ وبَدَّلَ فلا

علمَ بالغيبِ ، والخيرَ أردتُ ، ولكلِّ امرئٍ ما اكتسبَ مِنَ الإثمِ ، وسيعلمُ الذينَ ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبونَ)[1]

[الإكثارُ من حفظِ صحاحِ الأحاديثِ]

وأن يحفظَ كثيراً مِنْ صحاحِ الأحاديثِ للأغراضِ التي لأجلِها يَحفظُ القرآنَ

[قراءةُ التاريخِ معَ الاعتبارِ]

وأن يَقرأَ التواريخَ التي يَغلِبُ عليها التحقيقُ ؛ كـ « تاريخِ الخطيبِ البغداديِّ » ، و« تاريخِ الحافظِ الذهبيِّ » ، و« تاريخِ ابنِ الأثيرِ » ؛ ليحكمَ في الوقائعِ بحكمِ نظائرِها ، ويَعرِفَ الأحوالَ الحاضرةَ بمعرفةِ أمثالِها الغابرةِ

[معرفةُ الأمثالِ العربيةِ]

وأن يَحفظَ كثيراً مِنَ الأمثالِ العربيةِ وغيرِها ، والأقوالِ الصادرةِ عنِ الحكماءِ ؛ فإنَّها خزائنُ الحِكَمِ ، ومُستودعاتُ المعاني ، ومنها تَعرِفُ حسنَ الإيجازِ ، وبراعةَ العباراتِ



---

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (١٨٣/٣)

[ذكرُ بعضِ الأمثالِ العربيةِ]

وحيثُ كنتَ آخذاً في التعلُّمِ وجبَ أن نوردَ لكَ هنا زيادةً علىٰ ما سبقَ في البديعِ شيئاً مِنَ الأمثالِ والحِكَمِ ؛ لتكونَ لكَ داعيةً لطلبِ مثلِها مِنْ مواضعِها

فمِنَ الأمثالِ العربيةِ

« إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً »

قالَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حينَ وفدَ عليهِ عمرُو بنُ الأهتمِ والزِّبْرِقانُ ابنُ بدرٍ وقيسُ بنُ عاصمٍ ، فسألَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عمرَو بنَ الأهتمِ عنِ الزِّبرقانِ ، فقالَ عمرٌو مُطاعٌ في أَدْنَيهِ ، شديدُ العارضةِ ـ أيِ البيانِ واللَّسَنِ ـ ، مانعٌ لِمَا وراءَ ظهرِهِ ، فقالَ الزِّبرقانُ يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّهُ لَيعلمُ منِّي أكثرَ مِنْ هٰذا ، ولٰكنَّهُ حسدَني

فقالَ عمرٌو أمَّا واللهِ إنَّهُ لزَمِرُ المروءةِ ـ أي قليلُ ـ ضيِّقُ العَطَنِ ، أحمقُ الوالدِ ، لئيمُ الخالِ ، فرأى الغضبَ في وجهِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لمكانِ التناقضِ في كلامِهِ ، فقالَ واللهِ يا رسولَ اللهِ ؛ ما كذبتُ في الأولىٰ ، ولقد صدقتُ في الأُخرىٰ ، ولٰكنِّي رجلٌ رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وسخطتُ فقلتُ أقبحَ ما وجدتُ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ « إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً »(1) ؛ يعني أنَّ بعضَ البيانِ يعملُ عملَ السِّحرِ

ومعنى السِّحرِ إظهارُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ ، والبيانُ اجتماعُ الفصاحةِ

---

(1) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (٩/٣٧) ، والمتن عند البخاري (٥٧٦٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما

والبلاغةِ وذكاءِ القلبِ معَ اللَّسَنِ ، وإنَّما شُبِّهَ بالسِّحرِ ؛ لحِدَّةِ عملِهِ في سامعِهِ ، وسرعةِ قَبولِ القلبِ لهُ ، يُضرَبُ في استحسانِ المَنطِقِ ، وإيرادِ الحُجَّةِ البالغةِ[١]

« إِنَّ ٱلْمُنْبَتَّ لَا أَرْضاً قَطَعَ ، وَلَا ظَهْراً أَبْقَىٰ »

المُنبتُّ المُنقطِعُ عن أصحابِهِ في السفرِ ، والظَّهرُ الدابةُ ، قالَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لرجلٍ اجتهدَ في العبادةِ حتىٰ هجمَتْ عيناهُ ؛ أي غارتا ، فلمَّا رآهُ قالَ لهُ : « إِنَّ هَـٰذَا ٱلدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ ؛ إِنَّ ٱلْمُنْبَتَّ » أي الذي يَجِدُّ في سيرِهِ حتىٰ يَنبتَّ أخيراً ، سمَّاهُ بما تؤولُ إليهِ عاقبتُهُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[٢] ، يُضرَبُ لِمَنْ يبالغُ في طلبِ الشيءِ ويفرطُ حتىٰ ربَّما يفوتُهُ علىٰ نفسِهِ[٣]

إنَّ المُوَصَّيْنَ بنو سَهْوانَ

يُضرَبُ عندَ التعجُّبِ مِنْ نسيانِ مَنْ وصَّىٰ بعملِ شيءٍ بكثرةِ وقوعِهِ ، والسَّهْوانُ : السَّهوُ أوِ الساهي ، و(بنو السَّهوِ) يكونُ كـ (أبي الفضلِ) و(أخي الكرمِ) ، وعلىٰ كونِهِ الساهيَ فالمرادُ بهِ أبو البشرِ[٤]

إنَّ المعافىٰ غيرُ مخدوعٍ

يُضرَبُ لِمَنْ يُخدَعُ فلا ينخدعُ ، والمعنىٰ أنَّ مَنْ عُوفِيَ ممَّا خُدِعَ بهِ لم يَضرُّهُ ما كانَ خُودِعَ بهِ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٧٢)

(٢) سورة الزمر (٣٠)

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٧٣)

(٤) انظر « مجمع الأمثال » (١/٧٥)

وأصلُ المثلِ أنَّ رجلاً مِنْ بني سليمٍ يُسمَّىٰ قادحاً كانَ في زمنِ أميرٍ يُكنىٰ أبا مظعونٍ ، وكانَ في ذٰلكَ الزمنِ رجلٌ آخَرُ مِنْ بني سليمٍ أيضاً يُقالُ لهُ سليطٌ ، وكانَ عَلِقَ امرأةَ قادحٍ ، فلم يزلْ بها حتىٰ أجابَتْهُ وواعدَتْهُ ، فأتىٰ سليطٌ قادحاً وقالَ إنِّي علقتُ جاريةً لأبي مظعونٍ ، وقد واعدَتْني ، فإذا دخلتَ عليهِ فاقعدْ معَهُ في المجلسِ ، فإذا أرادَ القيامَ فاسبقْهُ ، فإذا انتهيتَ إلىٰ موضعِ كذا فاصْفُرْ حتىٰ أعلمَ بمجيئِكُما فآخذَ حذري ، ولكَ كلَّ يومٍ دينارٌ ، فخدعَهُ بهٰذا ، وكانَ أبو مظعونٍ آخِرَ الناسِ قياماً مِنَ النادي ، ففعلَ قادحٌ ذٰلكَ ، وكانَ سليطٌ يختلفُ إلى امرأتِهِ

فجرىٰ ذكرُ النساءِ يوماً ، فذكرَ أبو مظعونٍ جواريَهُ وعفافَهُنَّ ، فقالَ قادحٌ وهوَ يُعرِّضُ بأبي مظعونٍ ربَّما غُرَّ الواثقُ ، وخُدِعَ الوامقُ ، وكذبَ الناطقُ ، ومَلَّتِ العاتقُ ؛ أي ربَّما سَئِمَتِ الأُنثىٰ مِنْ فحلِها فعَهِرَتْ ، ثمَّ قالَ [من البسيط]

لَا تَنْطِقَنَّ بِأَمْرٍ لَا تَيَقَّنُهُ   يَا عَمْرُو إِنَّ ٱلْمُعَافَىٰ غَيْرُ مَخْدُوعِ

وعمرٌو اسمُ أبي مظعونٍ ، فعلمَ عمرٌو أنَّهُ يُعرِّضُ بهِ ، فلمَّا تفرَّقَ القومُ وثبَ علىٰ قادحٍ ، فخنقَهُ وقالَ اصدقْني ، فحَدَّثَهُ قادحٌ بالحديثِ ، فعرفَ أبو مظعونٍ أنَّ سليطاً قد خدعَهُ ، فأخذَ عمرٌو بيدِ قادحٍ ثمَّ مرَّ بهِ علىٰ جواريهِ ، فإذا هنَّ مُقبِلاتٌ علىٰ ما وُكِلنَ بهِ ، لم يَفقِدْ منهُنَّ واحدةً ، ثمَّ انطلقَ آخذاً بيدِ قادحٍ إلىٰ منزلِهِ ، فوجدَ سليطاً قدِ افترسَ امرأتَهُ ، فقالَ لهُ أبو مظعونٍ (إنَّ المُعافىٰ غيرُ مخدوعٍ) تهكُّماً بقادحٍ ، فأخذَ قادحٌ السيفَ وشدَّ علىٰ سليطٍ ، فهربَ فلم يُدرِكْهُ ، ومالَ إلى امرأتِهِ فقتلَها [1]

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٧٩ ـ ٨٠)

إنَّ الحديدَ بالحديدِ يُفلِحُ

الفلحُ الشقُّ ، ومنهُ الفلَّاحُ للحَرَّاثِ ؛ لأنَّهُ يَشُقُّ الأرض ؛ أي يُستعانُ في الأمرِ الشديدِ بما يشاكلُهُ ويقاويهِ[١]

إنَّ الدَّواهيَ في الآفاتِ تَهترِسُ

ويُروىٰ (تَرتهِسُ) وهوَ قلبُ (تَهترِسُ) مِنَ الهَرْسِ ؛ وهوَ الدقُّ ؛ يعني أنَّ الآفاتِ يموجُ بعضُها في بعضٍ ، ويَدُقُّ بعضُها بعضاً كثرةً ، يُضرَبُ عندَ اشتدادِ الزمانِ واضطرابِ الفتنِ

وأصلُهُ أنَّ رجلاً مرَّ بآخَرَ وهوَ يقولُ يا ربِّ ؛ إمَّا مهرةً أو مهراً ، فأنكرَ عليهِ ذٰلكَ وقالَ لا يكونُ الجنينُ إلَّا مهرةً أو مهراً !! فلمَّا ظهرَ الجنينُ كانَ مُشَيَّأَ الخَلْقِ مختلفَهُ ؛ أي فيهِ شيءٌ غيرُ شيءٍ ، فقالَ الرجلُ عندَ ذٰلكَ[٢] [من البسيط]

قَدْ طَرَّقَتْ بِجَنِينٍ نِصْفُهُ فَرَسٌ إِنَّ ٱلدَّوَاهِيَ فِي ٱلْآفَاتِ تَهْتَرِسُ

إنَّ العصا مِنَ العُصَيَّةِ

قالَ أبو عبيدٍ (هٰكذا قالَ الأصمعيُّ ، وأنا أحسبُهُ العُصَيَّةُ مِنَ العصا ، إلَّا أن يُرادَ أنَّ الشيءَ الجليلَ يكونُ في بدءِ أمرِهِ صغيراً ، كما قالوا إنَّ القَرْمَ مِنَ الأَفِيلِ[٣] ، فيجوزُ حينَئذٍ علىٰ هٰذا المعنىٰ أن يُقالَ العصا مِنَ العُصيَّةِ)[٤]

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٨٠)
(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٨٢)
(٣) الأفيل الفتيُّ من الإبل ، والقرم الفحل
(٤) انظر « الأمثال » (ص ١٤٥)

قالَ المُفضَّلُ: أولُ مَنْ قالَ ذٰلكَ الأفعى الجُرْهميُّ ؛ وذٰلكَ أنَّ نزاراً لمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ.. جمعَ بنيهِ مُضَرَ وإياداً وربيعةَ وأنماراً ، فقالَ: يا بَنِيَّ ؛ هٰذهِ القُبَّةُ الحمراءُ ـ وكانَتْ مِنْ أدمٍ ـ لمُضَرَ ، وهٰذا الفرسُ الأدهمُ والخِباءُ الأسودُ لربيعةَ ، وهٰذهِ الخادمُ ـ وكانَتْ شمطاءَ ـ لإيادٍ ، وهٰذهِ البدرةُ والمجلسُ لأنمارٍ يجلسُ فيهِ ، فإن أشكلَ عليكُم كيفَ تقتسمونَ.. فأتوا الأفعى الجُرْهميَّ ومنزلَهُ بنجرانَ.

فتشاجروا في ميراثِهِ ، فتوجَّهوا إلى الأفعى الجُرْهميِّ ، فبينَما هم في مسيرِهِم إليهِ.. إذ رأىٰ مُضَرُ أثرَ كلأً قد رُعِيَ ، فقالَ: إنَّ البعيرَ الذي رعىٰ هٰذا لأعورُ ، قالَ ربيعةُ: إنَّهُ لأزورُ ، قالَ إيادٌ: إنَّهُ لأبترُ ، قالَ أنمارٌ: إنَّهُ لَشرودٌ.

فساروا قليلاً ؛ فإذا هُم برجلٍ يَنشُدُ جملَهُ ، فسألَهُم عنِ البعيرِ ، فقالَ مُضَرُ: أهوَ أعورُ ؟ قالَ: نعم ، قالَ ربيعةُ: أهوَ أزورُ ؟ قالَ: نعم ، قالَ إيادٌ: أهوَ أبترُ ؟ قالَ: نعم ، قالَ أنمارٌ: أهوَ شَرودٌ ؟ قالَ: نعم ، وهٰذهِ واللهِ صفةُ بعيري ، فدلُّوني عليهِ ، قالوا: واللهِ ؛ ما رأيناهُ ، قالَ: هٰذا واللهِ الكذبُ ، وتَعلَّقَ بهِم ، وقالَ: كيفَ أُصدِّقُكُم وأنتُم تصفونَ بعيري بصفتِهِ ؟!

فساروا حتىٰ قدموا نجرانَ ، فلمَّا نزلوا.. نادىٰ صاحبُ البعيرِ: هٰؤلاءِ أخذوا جملي ، ووصفوا لي صفتَهُ ، ثمَّ قالوا: لم نرهُ !! فاختصموا إلى الأفعىٰ وهوَ حَكَمُ العربِ ، فقالَ الأفعىٰ: كيف وصفتُموهُ ولمْ تروهُ ؟ قالَ مُضَرُ: رأيتُهُ رعىٰ جانباً وتركَ جانباً ، فعلمتُ أنَّهُ أعورُ ، وقالَ ربيعةُ: رأيتُ إحدىٰ يدَيهِ ثابتةَ الأثرِ والأخرىٰ فاسدتَهُ ، فعلمتُ أنَّهُ أزورُ ؛ لأنَّهُ أفسدَهُ لشدَّةِ وطئِهِ لازورارِهِ ، وقالَ إيادٌ: عرفتُ أنَّهُ أبترُ باجتماعِ بعرِهِ ، ولو كانَ ذيَّالاً.. لمَصَعَ بهِ ، وقالَ أنمارٌ: عرفتُ أنَّهُ شَرودٌ ؛ لأنَّهُ كانَ يرعىٰ في المكانِ المُلتفِّ نبتُهُ ،

ثمَّ يجوزُهُ إلىٰ مكانٍ أرقَّ منهُ وأخبثَ نبتاً ، فعلمتُ أنَّهُ شَرودٌ ، فقالَ للرجلِ ليسوا بأصحابِ بعيرِكَ ، فاطلبْهُ

ثـمَّ سألَهُم مَنْ أنتُم ؟ فأخبروهُ ، فرَحَّبَ بهِم ، ثـمَّ أخبروهُ بما جاءَ بهِم ، فقالَ أتحتاجونَ إليَّ وأنتُم كما أرىٰ ؟! ثمَّ أنزلَهُم ، فذبحَ لهُم شاةً ، وأتاهُم بخمرٍ ، وجلسَ لهُمُ الأفعىٰ حيثُ لا يُرىٰ وهوَ يسمعُ كلامَهُم ، فقالَ ربيعةُ لم أرَ كاليومِ لحماً أطيبَ منهُ لولا أنَّ شاتَهُ غُذِيَتْ بلبنِ كلبةٍ ، فقالَ مُضَرُ لم أرَ كاليومِ خمراً أطيبَ منهُ لولا أنَّ حُبْلَتَها نبتَتْ علىٰ قبرٍ ، فقالَ إيادٌ لم أرَ كاليومِ رجلاً أسرىٰ منهُ لولا أنَّهُ ليسَ لأبيهِ الذي يَدَّعي لهُ ، فقالَ أنمارٌ لم أرَ كاليومِ كلاماً أنفعَ في حاجتِنا مِنْ كلامِنا ، وكانَ كلامُهُم بأذنِهِ

فقالَ ما هٰؤلاءِ إلَّا شياطينُ ، ثمَّ دعا القهرمانَ ، فقالَ ما هٰذهِ الخمرُ ؟ وما أمرُها ؟ قالَ هيَ مِنْ حُبْلَةٍ غرستُها علىٰ قبرِ أبيكَ ، لم يكنْ عندَنا شرابٌ أطيبُ مِنْ شرابِها ، وقالَ للراعي ما أمرُ هٰذهِ الشاةِ ؟ قالَ هيَ عَناقٌ أرضعتُها بلبنِ كلبةٍ ؛ وذٰلكَ أنَّ أمَّها كانَتْ قد ماتَتْ ، ولم يكنْ في الغنمِ شاةٌ ولدَتْ غيرَها ، ثمَّ أتىٰ أُمَّهُ فسألَها عن أبيهِ ، فأخبرَتْهُ أنَّها كانَتْ تحتَ مَلِكٍ كثيرِ المالِ ، وكانَ لا يُولَدُ لهُ ، قالَتْ فخفتُ أن يموتَ ولا ولدَ لهُ فيذهبَ الملكُ ، فأمكنتُ مِنْ نفسي ابنَ عمٍّ لهُ كانَ نازلاً عليهِ

فخرجَ الأفعىٰ إليهِم ، فقصَّ القومُ عليهِ قصَّتَهُم ، وأخبروهُ بما أوصىٰ بهِ أبوهُم ، فقالَ ما أشبهَ القُبَّةَ الحمراءَ مِنْ مالٍ فهوَ لمُضَرَ ، فذهبَ بالدنانيرِ والإبلِ الحمرِ ، فسُمِّيَ مُضَرَ الحمراءِ لذٰلكَ ، وقالَ وأمَّا صاحبُ الفرسِ الأدهمِ والخِباءِ الأسودِ فلهُ كلُّ شيءٍ أسودَ ، فصارَتْ لربيعةَ الخيلُ الدُّهْمُ ، فقيلَ ربيعةُ الفَرَسِ ، وما أشبهَ الخادمَ الشمطاءَ فهوَ لإيادٍ ، فصارَ لهُ

الماشيةُ البُلْقُ مِنَ الحَبَلَّقِ والنَّقَدِ[١] ، فسُمِّيَ إيادَ الشمطاءِ ، وقضىٰ لأنمارٍ بالدراهِم وبما فضلَ ، فسُمِّيَ أنمارَ الفضلِ

فصدروا مِنْ عندِهِ علىٰ ذٰلكَ ، فقالَ الأفعىٰ إنَّ العصا مِنَ العُصَيَّةِ ، وإنَّ خُشَيْناً مِنْ أخشنَ ، ومساعدةُ الخاطلِ تُعَدُّ مِنَ الباطلِ ، فأرسلَهُنَّ مثلاً

وخُشَيْنٌ وأخشنُ : جبلانِ ؛ أحدُهُما أصغرُ مِنَ الآخَرِ ، والخاطلُ الجاهلُ ، والخَطَلُ في الكلامِ اضطرابُهُ ، والعُصَيَّةُ تصغيرُ تكبيرٍ ؛ مثلُ أنا عُذَيْقُها المُرجَّبُ وجُذَيْلُها المُحَكَّكُ ، والمرادُ أنَّهُم يُشبِهونَ أباهُم في جودةِ الرأيِ ، وقيلَ إنَّ العصا اسمُ فرسٍ ، والعُصَيَّةُ اسمُ أُمِّهِ ؛ يُرادُ أنَّهُ يحكي الأُمَّ في كرمِ العرقِ وشرفِ العتقِ[٢]

إنَّ البلاءَ مُوكَّلٌ بالمَنطِقِ

قالَ المُفضَّلُ يُقالُ إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذٰلكَ أبو بكرٍ الصديقُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ فيما ذكرَهُ ابنُ عبَّاسٍ ، قالَ حدَّثَني عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ لمَّا أُمِرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أن يَعرِض نفسَهُ علىٰ قبائلِ العربِ خرجَ وأنا معَهُ ، فدفَعْنا إلىٰ مجلسٍ مِنْ مجالسِ العربِ ، فتَقدَّمَ أبو بكرٍ وكانَ نسَّابةً ، فسَلَّمَ ، فردُّوا عليهِ السلامَ ، فقالَ ممَّنِ القومُ ؟ قالوا مِنْ ربيعةَ ، فقالَ أمِنْ هامتِها أم مِنْ لهازِمِها ؟ قالوا مِنْ هامتِها العظمىٰ ، قالَ : فأيُّ هامتِها العظمىٰ أنتُم ؟ قالوا : ذُهلٌ الأكبرُ ، قالَ أفمِنْكُم عوفٌ الذي يُقالُ لهُ لا حُرَّ بوادي عوفٍ ؟ قالوا لا ، قالَ أفمِنْكُم بِسطامٌ ذو اللواءِ ومنتهى الأحياءِ ؟ قالوا لا ، قالَ أفمِنْكُم جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ حامي الذِّمارِ ومانعُ الجارِ ؟ قالوا لا ، قالَ أفمِنْكُم الحَوْفزانُ قاتلُ الملوكِ وسالبُها

(١) الحبلق والنَّقد نوعان من الغنم ، والبَلَق السواد والبياض
(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٨٨ ـ ٩٠)

أنفسَها ؟ قالوا لا ، قالَ أفمِنْكُم المزدلفُ صاحبُ العِمامةِ الفردةِ ؟ قالوا لا ، قالَ فأنتُم أخوالُ الملوكِ مِنْ كندةَ ؟ قالوا لا ، قالَ فلستُم ذُهْلاً الأكبرَ ، أنتم ذهلٌ الأصغرُ ، فقامَ إليهِ غلامٌ قد بقلَ وجهُهُ يُقالُ لهُ دَغْفَلٌ ، فقالَ [من مشطور الرجز]

إِنَّ عَلَىٰ سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهْ

وَٱلْعِبْءُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلَهْ

يا هٰذا ؛ إنَّكَ قد سألتَنا ، فلم نكتمْكَ شيئاً ، فمَنِ الرجلُ أنتَ ؟ قالَ رجلٌ مِنْ قريشٍ ، قالَ بخٍ بخٍ ، أهلُ الشرفِ والرئاسةِ ، فمِنْ أيِّ قريشٍ أنتَ ؟ قالَ مِنْ تيمِ بنِ مُرَّةٍ ، قالَ أمكنتَ واللهِ الراميَ مِنْ صفا الثغرةِ ؛ أفمِنْكُم قصيُّ بنُ كلابٍ الذي جمعَ القبائلَ مِنْ فهرٍ وكانَ يُدعَىٰ مُجَمِّعاً ؟ قالَ لا ، قالَ أفمِنْكُم هاشمٌ الذي هشمَ الثريدَ لقومِهِ ورجالُ مكةَ مُسنِتونَ عِجافٌ ؟ قالَ لا ، قالَ أفمِنْكُم شيبةُ الحمدِ مطعمُ طيرِ السماءِ الذي كأنَّ في وجهِهِ قمراً يضيءُ ليلَ الظلامِ الداجي ؟ قالَ لا ، قالَ أفمِنَ المفيضينَ بالناسِ أنتَ ؟ قالَ لا ، قالَ أفمِنْ أهلِ الندوةِ أنتَ ؟ قال لا ، قالَ أفمِنْ أهلِ الرفادةِ أنتَ ؟ قالَ لا ، قالَ أفمِنْ أهلِ الحِجابةِ أنتَ ؟ قالَ لا ، قالَ أفمِنْ أهلِ السِّقايةِ أنتَ ؟ قالَ لا ، قالَ واجتذبَ أبو بكرٍ زمامَ ناقتِهِ ، فرجعَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فقالَ دَغْفَلٌ صادفَ دَرْءُ السيلِ درءاً يَصدَعُهُ ، أما واللهِ لو ثبتَ لأخبرتُكَ أنَّكَ مِنْ زمعاتِ قريشٍ ، أو ما أنا بدَغْفَلٍ ، قالَ فتبسَّمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهِ عليهِ وسَلَّمَ ، قالَ عليٌّ قلتُ لأبي بكرٍ لقد وقعتَ مِنَ الأعرابيِّ علىٰ باقعةٍ ، قالَ أجلْ ، إنَّ لكلِّ طامَّةٍ طامَّةً ، وإنَّ البلاءَ مُوكَّلٌ بالمَنطِقِ (١)

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/٢٩٦ ـ ٢٩٨) ، وانظر « مجمع الأمثال » (١/٩١ ـ ٩٣)

وفي قصةِ المثلِ أمثالٌ

قولُهُ (لا حرَّ بوادي عوفٍ) يُتمثَّلُ بهِ في هضمِ مَنْ يتعاظمُ بنواحي مَنْ يَقدِرُ علىٰ قهرِهِ

وقولُهُ (إنَّ علىٰ سائلِنا أن نسألَهُ) ؛ ومحلُّ التمثُّلِ بهِ ظاهرٌ

وقولُهُ (والعبءُ لا تَعرِفُهُ أو تحملُهُ) ؛ يُتمثَّلُ بهِ في طلبِ الاختبارِ ، وتركِ الاكتفاءِ بما يبدو ؛ فإنَّ الشيءَ الذي تريدُ حملَهُ فيكون عبئاً ربَّما يكونُ كبيراً في النظرِ خفيفاً في الوزنِ ، وربَّما كانَ ثقيلَ الوزنِ وهوَ صغيرُ الحجمِ

أُمٌّ فرشَتْ فأنامَتْ

يُضرَبُ في برِّ الرجلِ بصاحبِهِ ، قالَ قرادٌ[١] [من الطويل]

وَكُنْتُ لَهُ عَمّاً لَطِيفاً وَوَالِداً   رَؤُوفاً وَأُمّاً مَهَّدَتْ فَأَنَامَتِ

إذا تَرضَّيتَ أخاكَ فلا أخا لكَ

الترضِّي الإرضاءُ بجهدٍ ومشقَّةٍ ؛ يقولُ إذا ألجأَكَ أخوكَ إلىٰ أن تَترضَّاهُ وتداريَهُ فليسَ هوَ بأخٍ لكَ[٢]

أن تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكيسُ

يُتمثَّلُ بهِ عندَ الأمرِ بالاقتصادِ في المعيشةِ والمحافظةِ علىٰ قليلِهِ وإن كانَ واثقاً بحصولِ كثيرٍ لهُ في المستقبلِ ، وأصلُهُ في المسافرِ عرفَ قُربَهُ مِنَ المنهلِ ، فأسرفَ في استعمالِ ما حملَ مِنَ الماءِ[٣]

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٠٤)

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٠٧)

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٢٨)

إحدىٰ حُظَيَّاتِ لقمانَ

الحُظَيَّةُ تصغيرُ الحَظْوةِ بفتحِ حائِهِ ؛ وهيَ المرماةُ[١] ، قالَ أبو عبيدٍ (هيَ التي لا نصلَ لها)[٢]

ولقمانُ هـٰذا هوَ لقمانُ بنُ عادٍ ، وحديثُهُ أنَّهُ كانَ بينَهُ وبينَ رجلَينِ مِنْ عادٍ يُقالُ لهُما عمرٌو وكعبٌ ابنا تِقْنِ بنِ معاويةَ ، وكانا ربَّيْ إبلٍ ، وكانَ لقمانُ ربَّ غنمٍ ، فأعجبَتْ لقمانَ الإبلُ ، فراودَهُما عنها ، فأبيا أن يبيعاهُ ، فعَمَدَ إلىٰ ألبانِ غنمِهِ مِنْ ضأنٍ ومِعزىٰ ، وأنافحَ مِنْ أنافحِ السخلِ ، فلمَّا رأيا ذٰلكَ لم يلتفتا إليهِ ، ولم يرغبا في ألبانِ الغنمِ ، فلمَّا رأىٰ ذٰلكَ لقمانُ قالَ اشترياها ابنيْ تِقْنٍ ، أقبلَتْ مَيْساً ، وأدبرَتْ هَيْساً ، وملأَتِ البيتَ أقطاً وحيساً ، اشترياها ابنيْ تِقْنٍ ؛ إنَّها الضَّأْنُ تُجَزُّ جُفَالاً ، وتُنتَجُ رِخالاً ، وتُحلَبُ كُثْباً ثقالاً ، فقالا لا نشتريها يا لقمُ ؛ إنَّها الإبلُ ؛ حملنَ فاتَّسَقْنَ ، وجرينَ فأعنقنَ ، وبغيرِ ذٰلكَ أفلتْنَ ، يغزرنَ إذا قَطَنَّ ، فلم يبيعاهُ الإبلَ ، ولم يشريا الغنمَ

فجعلَ لقمانُ يداورُهُما ، وكانا يهابانِهِ ، وكانَ يلتمسُ أن يغفُلا فيشدَّ على الإبلِ ويطردَها

فلمَّا كانَ ذاتَ يومٍ أصابا أرنباً وهوَ يَرصدُهُما رجاءَ أن يصيبَهُما فيذهبَ بالإبلِ ، فأخذا صفيحةً مِنَ الصَّفا ، فجعلَها أحدُهُما في يدِهِ ، ثمَّ جعلَ عليها كومةً مِنْ ترابٍ قد أحمياهُ ، فملَّا الأرنبَ في ذٰلكَ الترابِ ، فلمَّا أنضجاها نفضا عنها الترابَ فأكلاها ، فقالَ لقمانُ يا ويلتا !! أنيئةً أكلاها ، أمِ الريحَ أقبلاها ، أم بالشيحِ اشتوياها ؟

---

(١) المرماة السهم الصغير الضعيف

(٢) الأمثال (ص ٨٠) للقاسم بن سلام

ولمَّا رآهُما لقمانُ لا يغفلانِ عن إبلِهِما ، ولم يجدْ فيهِما مطمعاً . لقيَهُما ومعَ كلِّ واحدٍ منهُما جفيرٌ مملوءٌ نَبْلاً ، وليسَ معَهُ غيرُ نبلَينِ ، فخدعَهُما فقالَ : ما تصنعانِ بهٰذهِ النَّبْلِ الكثيرةِ التي معَكُما ؟! إنَّما هيَ حطبٌ ، فواللهِ ؛ ما أحملُ معي غيرَ نبلَينِ ، فإن لم أصبْ بهِما فلستُ بمصيبٍ ، فعَمَدا إلىٰ نبلِهِما فنثراها غيرَ سهمَينِ ، فعَمَدَ إلى النَّبْلِ فحواها ، ولم يصبْ لقمانُ منهُما بعدَ ذٰلكَ غِرَّةَ

وكانَ فيما يذكرونَ لعمرِو بنِ تِقنٍ امرأةٌ ، فطلَّقَها ، فتزوجَها لقمانُ ، وكانَتْ المرأةُ وهيَ عندَ لقمانَ تكثرُ أن تقولَ لا فتىٰ إلَّا عمرٌو ، وكانَ ذٰلكَ يغيظُ لقمانَ ويَسوءُهُ كثرةُ ذكرِها ، فقالَ لقمانُ لقد أكثرتِ في عمرٍو ، فواللهِ ؛ لأقتلنَّ عمراً ، فقالَتْ لا تفعلْ

وكانَتْ لابنيْ تِقْنٍ سَمُرةٌ يَستظلَّانِ بها حتىٰ تردَ إبلُهُما فيسقيانِها ، فصَعِدَها لقمانُ واتخذَ فيها عُشّاً رجاءَ أن يصيبَ مِن ابنيْ تِقْنٍ غِرَّةً ، فلمَّا وردَتِ الإبلُ تَجرَّدَ عمرٌو ، وأكبَّ على البئرِ يستقي ، فرماهُ لقمانُ مِنْ فوقِهِ بسهمٍ في ظهرِهِ ، فقالَ حَسِّ[1] ، إحدىٰ حُظَيَّاتِ لقمانَ ، فذهبَ مثلاً ، ثمَّ أهوىٰ إلى السهمِ فانتزعَهُ ، فوقعَ بصرُهُ على الشجرةِ ، فإذا هوَ بلقمانَ ، فقالَ انزلْ ، فنزلَ ، فقالَ استقِ بهٰذهِ الدلوِ ، فزعموا أنَّ لقمانَ لمَّا أرادَ أن يرفعَ الدلوَ حينَ امتلأَتْ نهض نهضةً فضرطَ ، فقالَ لهُ عمرٌو أضرطاً آخِرَ اليومِ وقد زالَ الظهرُ ؟! فأرسلَها مثلاً

ثمَّ إنَّ عمراً أرادَ أن يقتلَ لقمانَ ، فتبسَّمَ لقمانُ ، فقالَ عمرٌو أضاحكٌ أنتَ ؟ قالَ لقمانُ ما أضحكُ إلَّا مِنْ نفسي ، أما إنِّي نُهيتُ عمَّا ترىٰ ، فقالَ ومَنْ نهاكَ ؟ قالَ فلانةُ ، قالَ عمرٌو أفلي عليكَ إن وهبتُكَ لها أن

---

(١) حسِّ اسم فعل بمعنىٰ أتألم

تعلمَها ذٰلكَ ؟ قالَ نعم ، فخلَّىٰ سبيلَهُ ، فأتاها لقمانُ فقالَ لا فتىٰ إلا عمرٌو ، فقالَتْ أقد لقيتَهُ ؟ قالَ نعم ، لقيتُهُ فكانَ كذا وكذا ، ثمَّ أسرَني ، فأرادَ قتلي ، ثمَّ وهبَني لكِ ، قالَتْ لا فتىٰ إلا عمرٌو

يُضرَبُ لِمَنْ عُرِفَ بالشرِّ ، فإذا جاءَتْ هَنةٌ مِنْ جنسِ أفعالِهِ قيلَ إحدىٰ حُظَيَّاتِ لقمانَ ؛ أي إنَّهُ فعلةٌ مِنْ فعلاتِهِ [١]

المَيْسُ والهَيْسُ كالحَيْسِ بفتحٍ فسكونٍ ، يصفُ مشيَ الغنمِ عندَ إقبالِها مِنَ المراعي للبيوتِ وهيَ بِطانٌ ممتلئةُ الضُّروعِ ، وعندَ إدبارِها عنِ البيوتِ للمراعي وهيَ خِماصٌ ، **والجُفالُ** كغُرابٍ ؛ الصُّوفُ الكثيرُ ، **والكُثْبةُ** بضمٍّ فسكونٍ مِلْءُ القدحِ ، **والرِّخالُ** بكسرِ الراءِ جمعُ رِخلةٍ أو رِخلٍ كذٰلكَ ؛ وهيَ الأُنثىٰ [مِنْ] ولدِ الضأنِ

إنَّكَ خيرٌ مِنْ تفاريقِ العصا

قالوا هٰذا مِنْ قولِ غُنيةَ الأعرابيةِ لابنِها ، وكانَ عارماً كثيرَ التلفُّتِ إلى الناسِ معَ ضَعفِ أسرٍ ودِقَّةِ عظمٍ ، فواثبَ يوماً فتىً فقطعَ الفتىٰ أنفَهُ ، فأخذَتْ غنيةُ ديةَ أنفِهِ ، فحسَّنَتْ حالَها بعدَ فقرٍ مُدقِعٍ ، ثمَّ واثبَ آخَرَ فقطعَ أذنَهُ ، فأخذَتْ ديتَها ، فزادَتْ حسنَ حالٍ ، ثمَّ واثبَ آخَرَ فقطعَ شفتَهُ ، فأخذَتِ الديةَ

فلمَّا رأَتْ ما صارَ عندَها مِنَ الإبلِ والغنمِ والمتاعِ ، وذٰلكَ مِنْ كسبِ جوارحِ ابنِها حَسُنَ رأيُها فيهِ ، وذكرَتْهُ في أُرجوزتِها فقالَتْ [من مشطور الرجز]

أَحْلِفُ بِٱلْمَرْوَةِ حَقّاً وَٱلصَّفَا

إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ ٱلْعَصَا

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٣٤)

قيلَ لأعرابيٍّ ما تفاريقُ العصا ؟ قالَ العصا تقطعُ ساجوراً ، والسواجيرُ تكونُ للكلابِ وللأسرىٰ مِنَ الناسِ ، ثمَّ تقطعُ عصا الساجورِ فتصيرُ أوتاداً ، ويُفرقُ الوتدُ فتصيرُ كلُّ قطعةٍ شِظاظاً ـ ككتابٍ ـ خشبةٌ تُعقَفُ لتُجعَلَ في عروتَيْ جوالقَينِ ، فإن جُعِلَ لرأسِ الشِّظاظِ كالفلكةِ صارَ للبختيِّ مِهاراً بكسرِ الميمِ ، وهوَ العودُ الذي يُدخَلُ في أنفِ البختيِّ ، وإذا فرقَ المِهارُ جاءَتْ منهُ توادٍ ؛ وهيَ الخشبةُ التي تُشَدُّ علىٰ خِلْفِ الناقةِ إذا صُرَّتْ

هٰذا إذا كانَتْ عصاً ، فإذا كانَتْ قناةً فكلُّ شقٍّ منها قوسُ بندقٍ ، فإن فُرِّقَتِ الشقةُ صارَتْ سهاماً ، فإن فُرِّقَتِ السهامُ صارَتْ حِظاءً ، فإن فُرِّقَتِ الحِظاءُ صارَتْ مغازلَ ، فإن فُرِّقَتِ المغازلُ شعبَ بهِ الشَّعَّابُ أقداحَهُ المصدوعةَ وقِصاعَهُ المشقوقةَ ، علىٰ أنَّهُ لا يجدُ لها أصلحَ منها وأليقَ بها

يُضرَبُ فيمَنْ نفعُهُ أعمُّ مِنْ نفعِ غيرِهِ[1]

إنَّما يُعاتَبُ الأديمُ ذو البشرةِ

المعاتبةُ المعاودةُ ، وبشرةُ الأديمِ ظاهرُهُ الذي عليهِ الشَّعرُ ؛ أي أنَّ ما يُعادُ إلى الدِّباغِ مِنَ الأديمِ ما سلمَتْ بشرتُهُ

يُضرَبُ لِمَنْ فيهِ مراجعةٌ ومُستعتَبٌ ، قالَ الأصمعيُّ كلَّ ما كانَ في الأديمِ مُحتمِلٌ ما سلمَتِ البشرةُ ، فإذا نَغِلَتِ البشرةُ بطلَ الأديمُ ، ومِنْ هنا أُخِذَ العتابُ بينَ الإخوانِ لذكرِ الهفواتِ ، ثمَّ الاعتذارُ أوِ الاعترافُ ، والمسامحةُ ، والعودُ إلى المصافاةِ ، فيكونُ ذٰلكَ بمنزلةِ دبغِ الجلدِ لإزالةِ فضلاتِهِ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٣٧ ـ ١٣٨)

إنَّ العصا قُرِعَتْ لذي الحِلْمِ

قيلَ إنَّ أولَ مَنْ قُرِعَتْ لهُ العصا عمرُو بنُ مالكِ بنِ ضبيعةَ ، أخو سعدِ بنِ مالكٍ الكنانيِّ ؛ وذٰلكَ أنَّ سعداً أتى النعمانَ بنَ المنذرِ ومعَهُ خيلٌ لهُ قادَها وأخرىٰ عَرَّاها ، فقيلَ لهُ لمَ عَرَّيتَ هٰذهِ وقُدتَ هٰذهِ ؟ قالَ لم أَقُدْ هٰذهِ لأمنعَها ، ولم أُعَرِّ هٰذهِ لأهبَها ، ثمَّ دخلَ على النعمانِ ، فسألَهُ عن أرضِهِ ، فقالَ أمَّا مطرُها فغزيرٌ ، وأمَّا نبتُها فكثيرٌ

فقالَ لهُ النعمانُ إنَّكَ لقَوَّالٌ ، وإن شئتَ أتيتُكَ بما تعيا عن جوابِهِ ، قالَ نعم ، فأمرَ وصيفاً لهُ أن يلطمَهُ ، فلطمَهُ لطمةً ، فقالَ ما جوابُ هٰذهِ ؟ قالَ سفيهٌ مأمورٌ ، قالَ الطمْهُ أخرىٰ ، فلطمَهُ ، قالَ : ما جوابُ هٰذهِ ؟ قالَ لو أُخِذَ بالأُولىٰ لم يَعُدْ للأخرىٰ ، وإنَّما أرادَ النعمانُ أن يَتعدَّىٰ سعدٌ في المَنطِقِ فيقتلَهُ ، قالَ الطمْهُ ثالثةً ، فلطمَهُ ، قالَ ما جوابُ هٰذهِ ؟ قالَ ربٌّ يُؤدِّبُ عبدَهُ ، قالَ الطمْهُ أخرىٰ ، فلطمَهُ ، قالَ ما جوابُ هٰذهِ ؟ قالَ ملكتَ [فأسجحْ] ، فأرسلَها مثلاً ، قالَ النعمانُ أصبتَ ، فامكثْ عندي ، وأعجبَهُ ما رأىٰ منهُ ، فمكثَ عندَهُ ما مكثَ

ثمَّ إنَّهُ بدا للنعمانِ أن يبعثَ رائداً ، فبعثَ عمراً أخا سعدٍ ، فأبطأَ عليهِ ، فأغضبَهُ ذٰلكَ ، فأقسمَ ؛ لَئن جاءَ ذامّاً للكلأِ أو حامداً لهُ ليقتلَنَّهُ ، فقدمَ عمرٌو وكانَ سعدٌ عندَ الملكِ ، فقالَ سعدٌ أتأذنُ أن أُكلِّمَهُ ؟ قالَ إذاً يُقطَعَ لسانُكَ ، قالَ فأُشيرَ إليهِ ؟ قالَ إذاً تُقطَعَ يدُكَ ، قالَ فأقرعَ لهُ العصا ؟ قالَ فاقرعْها ، فتناولَ سعدُ عصا جليسِهِ وقرعَ بعصاهُ قرعةً واحدةً ، فعرفَ أنَّهُ يقولُ لهُ مكانَكَ ، ثمَّ قرعَ بالعصا ثلاثَ قَرَعاتٍ ، ثمَّ رفعَها إلى السماءِ ، ومسحَ عصاهُ بالأرضِ ، فعرفَ أنَّهُ يقولُ لهُ لم أجدْ جدباً ، ثمَّ قرعَ العصا مراراً ، ثمَّ رفعَها شيئاً وأومأَ إلى الأرضِ ، فعرفَ أنَّهُ يقولُ ولا نباتاً ، ثمَّ قرعَ العصا قرعةً وأقبلَ نحوَ الملكِ ، فعرفَ أنَّهُ يقولُ كَلِّمْهُ ، فأقبلَ عمرٌو حتىٰ

قامَ بينَ يَديِ الملكِ ، فقالَ لهُ أخبرْني ، هل حمدتَ خصباً أو ذممتَ جدباً ؟ فقالَ عمرٌو : لم أذممْ هُزْلاً ، ولم أحمدْ بقلاً ، الأرضُ مشكلةٌ ، لا خصبُها يُعرَفُ ، ولا جدبُها يُوصَفُ ، رائدُها واقفٌ ، ومنكرُها عارفٌ ، وآمنُها خائفٌ ، قالَ الملكُ أولىٰ لكَ ، فقالَ سعدُ بنُ مالكٍ يذكرُ قرعَ العصا [من الطويل]

قَرَعْتُ ٱلْعَصَا حَتَّىٰ تَبَيَّنَ صَاحِبِي ... وَلَمْ تَكُ لَوْلَا ذَاكَ فِي ٱلْقَوْمِ تُقْرَعُ

فَقَالَ رَأَيْتُ ٱلْأَرْض لَيْسَتْ بِمُمْحِلٍ ... وَلَا سَارِحٍ فِيهَا عَلَى ٱلرَّعْيِ يَشْبَعُ

سَوَاءٌ فَلَا جَدْبٌ فَيُعْرَفُ جَدْبُهَا ... وَلَا صَابَهَا غَيْثٌ غَزِيرٌ فَتَمْرُعُ

فَتَحْيَا بِهَا حَوْبَاءُ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ ... وَقَدْ كَادَ لَوْلَا ذَاكَ فِيهِمْ تُقَطَّعُ

هٰذا قولُ بعضِهِم

وقالَ آخَرونَ في قولِهِم إنَّ العصا قُرِعَتْ لذي الحِلمِ إنَّ ذا الحِلمِ هٰذا هوَ عامرُ بنُ الظَّرِبِ العدوانيُّ ، وكانَ مِنْ حكماءِ العربِ ، لا تَعدِلُ بفهمِهِ فهماً ، ولا بحكمِهِ حكماً ، فلمَّا طعنَ في السنِّ أنكرَ مِنْ عقلِهِ شيئاً ، فقالَ لبنيهِ إنَّهُ قد كَبِرَتْ سنِّي ، وعرضَ لي سهوٌ ، فإذا رأيتموني خرجتُ مِنْ كلامي ، وأخذتُ في غيرِهِ فاقرعوا ليَ المِجَنَّ بالعصا

وقيلَ كانَتْ لهُ جاريةٌ يُقالُ لها خصيلةٌ ، فقالَ لها إذا أنا خُولِطتُ فاقرعي ليَ العصا

وأُتِيَ عامرٌ بخُنثىٰ ليحكمَ فيهِ ، فلم يدرِ ما الحكمُ ، فجعلَ يَنحَرُ لهُم ويُطعِمُهُم ويدافعُهُم بالقضاءِ ، فقالَتْ خصيلةُ ما شأنُكَ قد أتلفتَ مالَكَ ؟ فخبَّرَها أنَّهُ لا يدري ما حكمُ الخنثىٰ ، فقالَتْ أتبعْهُ مبالَهُ

قالَ الشعبيُّ فحدَّثني ابنُ عباسٍ بها ، قالَ فلمَّا جاءَ اللهُ بالإسلامِ صارَتْ سُنَّةً فيهِ

وعامرٌ هوَ الذي يقولُ [من المتقارب]

أَرَىٰ شَعَرَاتٍ عَلَىٰ حَاجِبِي ... بِيضاً نَبَتْنَ جَمِيعاً تُؤَامَا
ظَلِلْتُ أُهَاهِي بِهِنَّ ٱلْكِلَابَ ... أَحْسِبُهُنَّ صِوَاراً قِيَامَا
وَأَحْسِبُ أَنْفِي إِذَا مَا مَشَيْتُ ... شَخْصاً أَمَامِي رَآنِي فَقَامَا

يُقالُ إنَّهُ عاشَ ثلاثَ مئةِ سنةٍ ، وهوَ الذي يقولُ [من الطويل]

تَقُولُ ٱبْنَتِي لَمَّا رَأَتْنِي كَأَنَّنِي ... سَلِيمُ أَفَاعٍ لَيْلُهُ غَيْرُ مُودَعِ
وَمَا ٱلْمَوْتُ أَفْنَانِي وَلَٰكِنْ تَتَابَعَتْ ... عَلَيَّ سِنُونٌ مِنْ مَصِيفٍ وَمَرْبَعِ
ثَلَاثُ مِئِينَ قَدْ مَرَرْنَ كَوَامِلاً ... وَهَاأَنَا هَٰذَا أَرْتَجِي مَرَّ أَرْبَعِ
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ ٱلنَّسْرِ طَارَتْ فِرَاخُهُ ... إِذَا رَامَ تَطْيَاراً يُقَالُ لَهُ قَعِ
أُخَبِّرُ أَخْبَارَ ٱلْقُرُونِ ٱلَّتِي مَضَتْ ... وَلَا بُدَّ يَوْماً أَنْ يُطَارَ بِمَصْرَعِي

قالَ ابنُ الأعرابيِّ أوَّلُ مَنْ قُرِعَتْ لهُ العصا عامرُ بنُ الظَّرِبِ العدوانيُّ ، وربيعةُ تقولُ بل هوَ قيسُ بنُ خالدِ بنِ ذي الجدَّينِ ، وتميمٌ تقولُ بل هوَ ربيعةُ بنُ مخاشنٍ أحدُ بني أُسيدِ بنِ عمرِو بنِ تميمٍ ، واليمنُ تقولُ بل هوَ عمرُو بنُ حممةَ الدوسيُّ

قالَ وكانَتْ حُكَّامُ تميمٍ في الجاهليةِ أكثمَ بنَ صيفيٍّ ، وحاجبَ بنَ زرارةَ ، والأقرعَ بنَ حابسٍ ، وربيعةَ بنَ مخاشنٍ ، وضمرةَ بنَ ضمرةَ ، غيرَ أنَّ ضمرةَ حكمَ فأخذَ رشوةً فغدرَ

[وحُكَّامُ] قيسٍ عامرُ بنُ الظَّرِبِ ، وغيلانُ بنُ سلمةَ الثقفيُّ ، وكانَتْ لهُ ثلاثةُ أيامٍ ؛ يومٌ يحكمُ فيهِ بينَ الناسِ ، ويومٌ يُنشِدُ فيهِ شعرَهُ ، ويومٌ ينظرُ فيهِ إلىٰ جمالِهِ ، وجاءَ الإسلامُ وعندَهُ عشرُ نسوةٍ ، فخَيَّرَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فاختارَ أربعاً ، فصارَتْ سُنَّةً

وحُكَّامُ قريشٍ عبدُ المطلبِ ، وأبو طالبِ ، والعاصي بنُ وائلٍ

وحكيماتُ العربِ صخرُ بنتُ لقمانَ ، وهندٌ بنتُ الخُسِّ ، وجمعةُ بنتُ حابسٍ ، وابنةُ عامرِ بنِ الظَّرِبِ الذي يُقالُ لهُ ذو الحِلْمِ ، قالَ المُتلمِّسُ يريدُهُ(١) [من الطويل]

لِذِي ٱلْحِلْمِ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ ٱلْعَصَا ... وَمَا عُلِّمَ ٱلْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا

والمثلُ يُضرَبُ لِمَنْ إذا نُبِّهَ انتبهَ(٢)

أنا النذيرُ العُرْيانُ

قالَ ابنُ الكلبيِّ كانَ مِنْ حديثِ النذيرِ العُريانِ أنَّ أبا دؤادٍ الشاعرَ كانَ جاراً للمنذرِ بنِ ماءِ السماءِ ، وأنَّ أبا دؤادٍ نازعَ رجلاً بالحِيرةِ مِنْ بهراءَ يُقالُ لهُ رقبةُ بنُ عامرٍ ، فقالَ لهُ رقبةُ صالحْني وحالفْني ، قالَ أبو دُؤادٍ فمِنْ أينَ تعيشُ أبا دؤادٍ ؟ فواللهِ ؛ لولا ما تصيبُ مِنْ بهراءَ لهلكتَ ، ثمَّ افترقا على تلكَ الحالةِ

وإنَّ أبا دُؤادٍ أخرجَ بنينَ لهُ ثلاثةً في تجارةٍ إلى الشامِ ، فبلغَ ذٰلكَ رقبةَ ، فبعثَ إلى قومِهِ فأخبرَهُم بما قالَ لهُ أبو دؤادٍ عندَ المنذرِ ، وأخبرَهُم أنَّ القومَ ولدُ أبي دؤادٍ ، فخرجوا إلى الشامِ ، فقتلوهُم وبعثوا برؤوسِهِم إلى رقبةَ ، فلمَّا أتتْهُ الرؤوسُ صنعَ طعاماً كثيراً ، ثمَّ أتى المنذرَ فقالَ لهُ قدِ اصطنعتُ لكَ طعاماً ، فأنا أحبُّ أن تَتغدَّى عندي ، فأتاهُ المنذرُ وأبو دؤادٍ معَهُ ، فبينا الجِفانُ تُرفَعُ وتُوضَعُ إذ جاءَتْ جَفنةٌ عليها أحدُ رؤوسِ بني أبي دؤادٍ ، فقالَ أبو دُؤادٍ أبيتَ اللعنَ ؛ إنِّي جارُكَ ، وقد ترى ما صنعَ بي ، وكانَ رقبةُ

---

(١) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » (ص ٢٦)

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٣٨ ـ ١٤٣)

جاراً للمنذرِ ، قالَ فوقعَ المنذرُ منهُما في سوءةٍ ، وأمرَ برقبةَ فحُبِسَ ، وقالَ لأبي دؤادٍ ما يرضيكَ ؟ قالَ أن تبعثَ بكتيبتَيكَ الشهباءِ والدَّوسرِ إليهِم ، فقالَ لهُ المنذرُ قد فعلتُ ، فوَجَّهَ إليهِم الكتيبتَينِ

قالَ فلمَّا رأىٰ ذلك رقبةُ مِنْ صنعِ المنذرِ قالَ لامرأتِهِ الحقي بقومِكِ فأنذريهِم ، فعَمَدَتْ إلىٰ بعضِ إبلِ البهرانيِّ ، فركبَتْهُ ، ثمَّ خرجَتْ حتىٰ أتَتْ قومَها ، فعرَّفَتْ ، ثمَّ قالَتْ أنا النذيرُ العريانُ ، فأرسلَتْها مثلاً ، وعرفَ القومُ ما تريدُ ، فصَعِدوا إلىٰ علياءِ الشامِ ، وأقبلَتِ الكتيبتانِ ، فلم تصيبا منهُم أحداً ، فقالَ المنذرُ لأبي دؤادٍ ، قد رأيتَ ما كانَ منهُم ، أفيسكتُكَ عنِّي أن أعطيَكَ بكلِّ رأسٍ مئتَيْ بعيرٍ ، قالَ نعم ، فأعطاهُ ذلكَ ، وفيهِ يقولُ قيسُ بنُ زهيرٍ العبسيُّ [من الوافر]

سَأَفْعَلُ مَا بَدَا لِي ثُمَّ آوِي إِلَىٰ جَارٍ كَجَارِ أَبِي دُؤَادِ

وقالَ غيرُهُ إنَّما قالوا النذيرُ العريانُ ؛ لأنَّ الرجلَ إذا رأى الغارةَ قد فجأَتْهُم ، وأرادَ إنذارَ قومِهِ تَجرَّدَ مِنْ ثيابِهِ ، وأشارَ بها ليعلمَ أنَّهُ قد فجأَهُم أمرٌ ، ثمَّ صارَ مثلاً لكلِّ أمرٍ تُخافُ مفاجأتُهُ ، ولكلِّ أمرٍ لا شبهةَ فيهِ

إيَّاكِ أعني واسمعي يا جارَةُ

أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ : سهلُ بنُ مالكٍ الفزاريُّ ؛ وذلكَ أنَّهُ خرجَ يريدُ النعمانَ ، فمرَّ ببعضِ أحياءِ طيءٍ ، فسألَ عن سيدِ الحيِّ ، فقيلَ لهُ حارثةُ بنُ لأمٍ ، فأمَّ رحلَهُ ، فلم يُصِبْهُ شاهداً ، فقالَتْ لهُ أختُهُ انزلْ في الرَّحبِ والسَّعةِ ، فنزلَ ، فأكرمَتْهُ ولاطفَتْهُ ، ثمَّ خرجَتْ مِنْ خِبائِها ، فرأىٰ أجملَ أهلِ دهرِها وأكملَهُم ، وكانَتْ عقيلةَ قومِها وسيدةَ نسائِها ، فوقعَ في نفسِهِ منها شيءٌ ، فجعلَ لا يدري كيفَ يرسلُ إليها ، ولا ما يوافقُها مِنْ ذلكَ ، فجلسَ بفِناءِ

الخِباءِ يوماً وهيَ تسمعُ كلامَهُ ، فجعلَ ينشدُ ويقولُ [من مشطور الرجز]

يَـا أُخْـتَ خَـيْـرِ ٱلْـبَـدْوِ وَٱلْـحَـضَـارَهْ
كَـيْـفَ تَـرَيْـنَ فِـي فَـتَـىٰ فَـزَارَهْ
أَصْـبَـحَ يَـهْـوَىٰ حُـرَّةً مُـعْـطَـارَهْ
إِيَّـاكِ أَعْـنِـي وَٱسْـمَـعِـي يَـا جَـارَهْ

فلمَّا سمعَتْ قولَهُ عرفَتْ أنَّهُ إيَّاها يعني ، فقالَتْ ما ذا بقولِ ذي عقلٍ أريبٍ ، ولا رأيٍ مصيبٍ ، ولا أنفٍ نجيبٍ ، فأقمْ ما أقمتَ مُكرَّماً ، ثمَّ ارتحلْ متىٰ شئتَ مُسلَّماً ، ويُقالُ أجابَتْهُ نظماً فقالَتْ [من مشطور الرجز]

إِنِّـي أَقُـولُ يَـا فَـتَـىٰ فَـزَارَهْ
لَا أَبْـتَـغِـي ٱلـزَّوْجَ وَلَا ٱلـدَّعَـارَهْ
وَلَا فِـرَاقَ أَهْـلِ هَـٰذِي ٱلْـجَـارَهْ
فَـٱرْحَـلْ إِلَـىٰ أَهْـلِـكَ بِـٱسْـتِـخَـارَهْ

فاستحيا الفتىٰ وقالَ ما أردتُ مُنكَراً ، وا سوءتاهْ ، قالَتْ صدقتَ ، فكأنَّها استحيتْ مِنْ تَسرُّعِها إلىٰ تهمتِهِ ، فارتحلَ ، فأتى النعمانَ ، فحيَّاهُ وأكرمَهُ ، فلمَّا رجعَ نزلَ علىٰ أخيها ، فبينا هوَ مقيمٌ عندَهُم تَطلَّعَتْ إليهِ نفسُها ، وكانَ جميلاً ، فأرسلَتْ إليهِ أنِ اخطُبْني إن كانَ لكَ إليَّ حاجةٌ يوماً مِنَ الدَّهرِ ؛ فإنِّي سريعةٌ إلىٰ ما تريدُ ، فخطبَها وتَزوَّجَها ، وسارَ بها إلىٰ قومِهِ

يُضرَبُ لمَنْ يَتكلَّمُ بكلامٍ ويريدُ بهِ شيئاً غيرَهُ[1]

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٦٥ ـ ١٦٦)

إنَّ غداً لناظرِهِ قريبٌ

أي لمنتظرِهِ ، يُقالُ نظرتُهُ ؛ أيِ انتظرتُهُ

وأوّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ قُرادُ بنُ أجدعَ ؛ وذٰلكَ أنَّ النعمانَ بنَ المنذرِ خرجَ يَتصيَّدُ علىٰ فرسِهِ اليحمومِ ، فأجراهُ علىٰ أثرِ عَيْرٍ ، فذهبَ بهِ الفرسُ في الأرضِ ولم يقدرْ عليهِ ، وانفردَ عن أصحابِهِ ، وأخذَتْهُ السماءُ ، فطلبَ ملجأً يلجأُ إليهِ ، فدفعَ إلىٰ بناءٍ ، فإذا فيهِ رجلٌ مِنْ طيِّءٍ يُقالُ لهُ حنظلةُ ومعَهُ امرأةٌ لهُ ، فقالَ لهُما : هل مِنْ مأوىً ، فقالَ حنظلةُ نعم ، فخرجَ إليهِ فأنزلَهُ ، ولم يكنْ للطائيِّ غيرُ شاةٍ وهوَ لا يَعرِفُ النعمانَ ، فقالَ لامرأتِهِ أرىٰ رجلاً ذا هيئةٍ وما أخلقَهُ أن يكونَ شريفاً خطيراً ، فما الحيلةُ ؟ قالَتْ عندي شيءٌ مِنْ طحينٍ كنتُ ادَّخرتُهُ ، فاذبحِ الشاةَ لأتخذَ مِنَ الطَّحينِ مَلَّةً

قالَ فأخرجَتِ المرأةُ الدقيقَ ، فخبزَتْ منهُ مَلَّةً ، وقامَ الطائيُّ إلىٰ شاتِهِ فاحتلبَها ، ثمَّ ذبحَها ، فاتخذَ مِنْ لحمِها مَرَقَةً مَضِيرةً ، وأطعمَهُ مِنْ لحمِها ، وسقاهُ مِنْ لبنِها ، واحتالَ لهُ شراباً فسقاهُ ، وجعلَ يُحدِّثُهُ بقيةَ ليلتِهِ

فلمَّا أصبحَ النعمانُ لبسَ ثيابَهُ ، وركبَ فرسَهُ ، ثمَّ قالَ يا أخا طيِّءٍ ؛ اطلبْ ثوابَكَ ، أنا الملكُ النعمانُ ، قالَ أفعلُ إن شاءَ اللهُ ، ثمَّ لحقَ الخيلَ ، فمضىٰ نحوَ الحِيرةِ

ومكثَ الطائيُّ بعدَ ذٰلكَ زماناً حتىٰ أصابَتْهُ نكبةٌ وجهدَ ، وساءَتْ حالُهُ ، فقالَتْ لهُ امرأتُهُ لو أتيتَ الملكَ لأحسنَ إليكَ ، فأقبلَ حتى انتهىٰ إلى الحِيرةِ ، فوافقَ يومَ بؤسِ النعمانِ ؛ فإذا هوَ واقفٌ في خيلِهِ في السلاحِ ، فلمَّا نظرَ إليهِ النعمانُ عرفَهُ ، وساءَهُ مكانُهُ ، فوقفَ الطائيُّ المنزولُ به بينَ يَديِ النعمانِ ، فقالَ لهُ أنت الطائيُّ المنزولُ بهِ ، قالَ نعم ، قالَ أفلا جئتَ في غيرِ هٰذا اليومِ ؟! قالَ أبيتَ اللَّعنَ ، وما كانَ علمي بهٰذا اليومِ ،

قالَ واللهِ ؛ لو سنحَ لي في هٰذا اليوم قابوسُ ابني   لم أجدْ بدّاً مِنْ قتلِهِ ، فاطلُبْ حاجتَكَ مِنَ الدنيا ، وسلْ ما بدا لكَ ؛ فإنَّكَ مقتولٌ ، قالَ أبيتَ اللَّعنَ ، وما أصنعُ بالدنيا بعدَ نفسي ، قالَ النعمانُ إنَّهُ لا سبيلَ إليها ، قالَ فإن كانَ لا بدَّ ، فأجِّلْني حتىٰ ألمَّ بأهلي فأوصيَ إليهِم وأُهيِّئَ حالَهُم ، ثمَّ أنصرفَ إليكَ ، قالَ النعمانُ فأقمْ لي كفيلاً بموافاتِكَ ، فالتفتَ الطائيُّ إلىٰ شريكِ بنِ عمرِو بنِ قيسٍ مِن بني شيبانَ ، وكانَ يكنىٰ أبا الحوفزانِ ، وكانَ صاحبَ الرِّدافةِ ، وهوَ واقفٌ بجنبِ النعمانِ ، فقالَ لهُ [من مجزوء الكامل]

يَـا شَـرِيـكـاً يَـا بْـنَ عَـمْـرٍو هَـلْ مِـنَ ٱلْـمَـوْتِ مَـحَـالَـهْ
يَـا أَخَـا كُـلِّ مُـضَـافٍ يَـا أَخَـا مَـنْ لَا أَخَـا لَـهُ
يَـا أَخَـا ٱلـنُّـعْـمَـانِ فُـكَّ ٱلْـ ـيَـوْمَ ضَـيْـفـاً قَـدْ أَتَـىٰ لَـهْ
طَـالَ مَـا عَـالَـجَ كَـرْبَ ٱلْـ ـمَـوْتِ لَا يَـنْـعَـمُ بَـالَـهُ

فأبىٰ شريكٌ أن يَتكفَّلَ بهِ ، فوثبَ إليهِ رجلٌ مِنْ كلبٍ يُقالُ لهُ قرادُ بنُ أجدعَ ، فقالَ للنعمانِ أبيتَ اللَّعنَ ، هوَ عليَّ ، قالَ النعمانُ أفعلتَ ؟ قالَ نعم ، فضمَّنَهُ إيَّاهُ ، ثمَّ أمرَ للطائيِّ بخمسِ مئةِ ناقةٍ ، فمضى الطائيُّ إلىٰ أهلِهِ ، وجعلَ الأجلَ حولاً مِنْ يومِهِ ذٰلكَ إلىٰ مثلِ ذٰلكَ اليومِ مِنْ قابلٍ ، فلمَّا حالَ عليهِ الحولُ وبقيَ مِنَ الأجلِ يومٌ قالَ النعمانُ لقُرادٍ ما أُراكَ إلَّا هالكاً غداً ، فقالَ قُرادٌ [من الوافر]

فَـإِنْ يَـكُ صَـدْرُ هَـٰذَا ٱلْـيَـوْمِ وَلَّـىٰ فَـإِنَّ غَـداً لِـنَـاظِـرِهِ قَـرِيـبُ

فلمَّا أصبحَ النعمانُ ركبَ في خيلِهِ ورَجِلِهِ مُتسلِّحاً كما كانَ يفعلُ ، حتىٰ أتى الغَريَّينِ فوقفَ بينَهُما ، وأخرجَ معَهُ قُراداً ، وأمرَ بقتلِهِ ، فقالَ لهُ وزراؤُهُ ليسَ لكَ أن تقتلَهُ حتىٰ يستوفيَ يومَهُ ، فتركَهُ ، وكانَ النعمانُ

يشتهي أن يُقتَلَ قُرادٌ ليفلتَ الطائيُّ مِنَ القتلِ ، فلمَّا كادتِ الشمسُ تجبُ وقرادٌ قائمٌ مُجرَّدٌ في إزارٍ على النطعِ والسيَّافُ إلىٰ جنبِهِ أقبلَتِ امرأتُهُ وهيَ تقولُ [من الطويل]

أَيَا عَيْنُ بَكِّي لِي قُرَادَ بْنَ أَجْدَعَا رَهِيناً لِقَتْلٍ لَا رَهِيناً مُوَدَّعَا
أَتَتْهُ ٱلْمَنَايَا بَغْتَةً دُونَ قَوْمِهِ فَأَمْسَىٰ أَسِيراً حَاضِرَ ٱلْبَيْتِ أَضْرَعَا

فبينَما هُم كذٰلكَ إذ رفعَ لهُم شخصٌ مِنْ بعيدٍ وقد أمرَ النعمانُ بقتلِ قُرادٍ ، فقيلَ لهُ ليسَ لكَ أن تقتلَهُ حتىٰ يأتيَكَ الشخصُ فتعلمَ مَنْ هوَ ، فكفَّ حتى انتهىٰ إليهِمُ الرجلُ ؛ فإذا هوَ الطائيُّ ، فلمَّا نظرَ إليهِ النعمانُ شقَّ عليه مجيئُهُ ، فقالَ لهُ ما حملَكَ على الرجوعِ بعدَ إفلاتِكَ مِنَ القتلِ ؟! قالَ الوفاءُ ، قالَ وما دعاكَ إلى الوفاءِ ؟ قالَ ديني ، قالَ النعمانُ وما دينُكَ ؟ قالَ النصرانيةُ ، قالَ النعمانُ فاعرضْها عليَّ ، فعرضَها عليهِ ، فتنصَّرَ النعمانُ وأهلُ الحِيرةِ أجمعونَ ، وكانَ قبلَ ذٰلكَ علىٰ دينِ العربِ ، فتركَ القتلَ منذُ ذٰلكَ اليومِ ، وأبطلَ تلكَ السُّنَّةَ ، وأمرَ بهدمِ الغَرِيَّينِ ، وعفا عن قُرادٍ والطائيِّ ، وقالَ واللهِ ؛ ما أدري أيُّهُما أوفىٰ وأكرمُ ، أهٰذا الذي نجا مِنَ القتلِ فعادَ ، أمِ الذي ضمنَهُ ؟! واللهِ ؛ لا أكونُ ألأمَ الثلاثةِ ، فأنشأَ الطائيُّ يقولُ [من الكامل]

مَا كُنْتُ أُخْلِفُ ظَنَّهُ بَعْدَ ٱلَّذِي أَسْدَىٰ إِلَيَّ مِنَ ٱلْفَعَالِ ٱلْخَالِي
وَلَقَدْ دَعَتْنِي لِلْخِلَافِ ضَلَالَتِي فَأَبَيْتُ غَيْرَ تَمَجُّدِي وَفَعَالِي
إِنِّي ٱمْرُؤٌ مِنِّي ٱلْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ وَجَزَاءُ كُلِّ مُكَارِمٍ بَذَّالِ

وقالَ أيضاً يمدحُ قُراداً [من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا يَسْمُو إِلَى ٱلْمَجْدِ وَٱلْعُلَا مَخَارِيقُ أَمْثَالِ ٱلْقُرَادِ بْنِ أَجْدَعَا

مَـخَـارِيـقُ أَمْـثَـالِ ٱلْـقُـرَادِ وَأَهْـلِـهِ فَـإِنَّـهُـمُ ٱلأَخْـيَـارُ مِـنْ رَهْـطِ تُـبَّـعَـا (١)

إنَّ أخاكَ مَنْ آساكَ

يُقالُ آسيتُ فلاناً بمالي أو غيرِهِ ؛ إذا جعلتَهُ أُسوةً لكَ ، و(واسيتُ) لغةٌ فيهِ

ومعنى المثلِ إنَّ أخاكَ حقيقةً مَنْ قَدَّمَكَ [وآثرَكَ] علىٰ نفسِهِ ، يُضرَبُ في الحثِّ علىٰ مراعاةِ الإخوانِ

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ خزيمُ بنُ نوفلٍ الهَمْدانيُّ ؛ وذٰلكَ أنَّ النعمانَ بنَ ثوابٍ العبديَّ ثمَّ الشنيَّ كانَ لهُ بنونَ ثلاثةٌ سعدٌ ، وسعيدٌ ، وساعدةُ ، وكانَ أبوهم ذا شرفٍ وحكمةٍ ، وكانَ يوصي بنيهِ ويَحملُهُم علىٰ أدبِهِ ؛ أمَّا ابنُهُ سعدٌ فكانَ شجاعاً بطلاً مِنْ شياطينِ العربِ ، لا يُقامُ لسبيلِهِ ، ولم تفتْهُ طَلِبَتُهُ قطُّ ، ولم يَفِرَّ عن قِرْنٍ ، وأمَّا سعيدٌ فكانَ يشبهُ أباهُ في شرفِهِ وسُؤْددِهِ ، وأمَّا ساعدةُ فكانَ صاحبَ شرابٍ وندامىٰ وإخوانٍ

فلمَّا رأى الشيخُ حالَ بنيهِ دعا سعداً ـ وكانَ صاحبَ حربٍ ـ فقالَ يا بُنَيَّ ؛ إنَّ الصارمَ ينبو ، والجوادَ يكبو ، والأثرَ يعفو ، فإذا شهدتَ حرباً فرأيتَ نارَها تَستعِرُ ، وبطلَها يُخطِرُ ، وبحرَها يَزخَرُ ، وضعيفَها يَنصُرُ ، وجبانَها يَجسُرُ فأقللِ المكثَ والانتظارَ ، فإنَّ الفِرارَ غيرُ عارٍ ، إذا لم تكنْ طالبَ ثارٍ ، فإنَّما يُنصَرونَ هُم ، وإيَّاكَ أن تكونَ صيدَ رماحِها ، ونطيحَ نطاحِها

وقالَ لابنِهِ سعيدٍ وكانَ جواداً يا بُنَيَّ ؛ لا يبخلُ الجوادُ ، فابذلِ الطارفَ والتِّلادَ ، وأقلِلِ التلاحِ تذكرْ عندَ السماحِ ، وابلُ إخوانَكَ ؛ فإنَّ وافيَهُم قليلٌ ، واصنعِ المعروفَ عندَ محتملِهِ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٢١٣ ـ ٢١٦)

وقالَ لابنِهِ ساعدةَ وكانَ صاحبَ شرابٍ يا بُنَيَّ ؛ إنَّ كثرةَ الشرابِ تفسدُ القلبَ ، وتُقلِّلُ الكسبَ ، وتَجِدُّ اللعبَ ، فأبصرْ نديمَكَ ، واحمِ حريمَكَ ، وأعِنْ غريمَكَ ، واعلمْ أنَّ الظمأَ القامحَ خيرٌ مِنَ الرِّيِّ الفاضحِ ، وعليكَ بالقصدِ ؛ فإنَّ فيهِ بلاغاً

ثمَّ إنَّ أباهُمُ النعمانَ بنَ ثوابٍ تُوُفِّيَ ، فقالَ ابنُهُ سعيدٌ وكانَ جواداً سيداً لآخذنَّ بوصيةِ أبي ، ولأبلونَّ إخواني وثقاتي في نفسي ، فعَمَدَ إلىٰ كبشٍ فذبحَهُ ، ثمَّ وضعَهُ في ناحيةِ خِبائِهِ وغشَّاهُ ثوباً ، ثمَّ دعا بعض ثقاتِهِ فقالَ يا فلانُ ؛ إنَّ أخاكَ مَنْ وفىٰ لكَ بعهدِهِ ، وحاطَكَ برفدِهِ ، ونصرَكَ بودِّهِ ، قالَ صدقتَ ، فهل حدثَ أمرٌ ؟ قالَ نعم ؛ إنِّي قتلتُ فلاناً ، وهوَ الذي تراهُ في ناحيةِ الخباءِ ، ولا بدَّ مِنَ التعاونِ عليهِ حتىٰ يُوارىٰ ، فما عندَكَ ؟ قالَ يا لها سوءةً وقعتَ فيها ، قالَ فإنِّي أريدُ أن تعينَني عليهِ حتىٰ أُغيِّبَهُ ، قالَ لستُ لكَ في هـٰذا بصاحبٍ ، فتركَهُ وخرجَ

فبعثَ إلىٰ آخرَ مِنْ ثقاتِهِ ، فأخبرَهُ بذٰلكَ ، وسألَ معونتَهُ ، فردَّ عليهِ مثلَ ذٰلكَ ، حتىٰ بعثَ إلىٰ عددٍ منهُم ، كلُّهُم يَرُدُّ عليهِ مثلَ جوابِ الأوَّلِ

ثمَّ بعثَ إلىٰ رجلٍ مِنْ إخوانِهِ يُقالُ لهُ خزيمُ بنُ نوفلٍ ، قالَ لهُ يا خزيمُ ؛ ما لي عندَكَ ؟ قالَ ما يَسُرُّكَ ، وما ذاكَ ؟ قالَ إنِّي قتلتُ فلاناً ، وهوَ الذي تراهُ مُسجّىً ، قالَ أيسرُ خطبٍ ، فتريدُ ماذا ؟ قالَ أريدُ أن تعينَني حتىٰ أُغيِّبَهُ ، قالَ هانَ ما فزعتَ فيهِ إلىٰ أخيكَ ، وغلامُ سعيدٍ قائمٌ معَهُما ، فقالَ لهُ خزيمٌ : هلِ اطلعَ علىٰ هـٰذا الأمرِ أحدٌ غيرُ غلامِكَ هـٰذا ؟ قالَ لا ، قالَ انظرْ ما تقولُ ، قالَ ما قلتُ إلَّا حقّاً ، فأهوىٰ خزيمٌ إلىٰ غلامِهِ فضربَهُ بالسيفِ فقتلَهُ ، وقالَ ليسَ عبدٌ بأخٍ لكَ ، فأرسلَها مثلاً

وارتاعَ سعيدٌ وفزعَ لقتلِ غلامِهِ ، فقالَ ويحَكَ ما صنعتَ ؟! وجعلَ يلومُهُ فقالَ خزيمٌ إنَّ أخاكَ مَنْ آساكَ ، فأرسلَها مثلاً

قالَ سعيدٌ فإنّي أردتُ تجربتَكَ ، ثمَّ كشفَ عنِ الكبشِ وخَبَّرَهُ بما لقيَ مِنْ إخوانِهِ وثقاتِهِ ، وما ردُّوا عليهِ ، فقالَ خزيمٌ : سبقَ السيفُ العذلَ ، فذهبَتْ مثلاً (١)

ألا مَنْ يشتري سهراً بنومٍ

قالوا إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذٰلكَ ذو رُعَينٍ الحميريُّ ؛ وذٰلكَ أنَّ حِمْيَرَ تَفرَّقَتْ علىٰ ملكِها حَسَّانَ ، وخالفَتْ أمرَهُ ؛ لسوءِ سيرتِهِ فيهِم ، ومالوا إلىٰ أخيهِ عمرٍو ، وحملوهُ علىٰ قتلِ أخيهِ حَسَّانَ ، وأشاروا عليهِ بذٰلكَ ، ورغَّبوهُ في الملكِ ، ووعدوهُ حسنَ الطاعةِ والمؤازرةَ ، فنهاهُ ذو رُعَينٍ مِنْ بينِ حِمْيَرَ عن قتلِ أخيهِ ، وعلمَ أنَّهُ إن قتلَ أخاهُ ندمَ ونفرَ عنهُ النومُ ، وانتقض عليهِ أمورُهُ ، وأنَّهُ سيُعاقِبُ الذي أشارَ عليهِ بذٰلكَ ، ويَعرِفُ غِشَّهُم لهُ

فلمَّا رأىٰ ذو رُعَينٍ أنَّهُ لا يقبلُ ذٰلكَ منهُ ، وخشيَ العواقبَ قالَ هٰذَينِ البيتَينِ ، وكتبَهُما في صحيفةٍ ، وختمَ عليها بخاتمِ عمرٍو ، وقالَ : هٰذهِ وديعةٌ لي عندَكَ إلىٰ أن أطلبَها منكَ ، فأخذَها عمرٌو فدفعَها إلىٰ خازنِهِ ، وأمرَهُ برفعِها إلى الخزانةِ ، والاحتفاظِ بها إلىٰ أنْ يُسأَلَ عنها

فلمَّا قتلَ أخاهُ ، وجلسَ مكانَهُ في الملكِ مُنِعَ منهُ النومُ ، وسُلِّطَ عليهِ السهرُ ، فلمَّا اشتدَّ ذٰلكَ عليهِ . لم يدعْ باليمنِ طبيباً ولا كاهناً ولا منجماً ولا عرَّافاً ولا عائفاً إلَّا جمعَهُم ، ثمَّ أخبرَهُم بقصَّتِهِ ، وشكا إليهِم ما بِهِ ، فقالوا لهُ ما قتلَ رجلٌ أخاهُ أو ذا رحمٍ منهُ علىٰ نحوِ ما قتلتَ أخاكَ إلَّا أصابَهُ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٢١٦ ـ ٢١٨)

السهرُ ، ومُنِعَ منهُ النومُ ، فلمَّا قالوا لهُ ذٰلكَ أقبلَ علىٰ مَنْ كانَ أشارَ عليهِ بقتلِ أخيهِ وساعدَهُ عليهِ مِنْ أقيالِ حميرَ فقتلَهُم حتىٰ أفناهم ، فلمَّا وصلَ إلىٰ ذي رُعَيْنٍ قالَ لهُ أيُّها الملكُ ؛ إنَّ لي عندَكَ براءةً ممَّا تريدُ أن تصنعَ بي ، قالَ وما براءتُكَ وأمانُكَ ؟ قالَ مُرْ خازنَكَ أن يخرجَ الصَّحيفةَ التي استودعتُكَها يومَ كذا وكذا ، فأمرَ خازنَهُ ، فأخرجَها ، فنظرَ إلىٰ خاتمِهِ عليها ، ثمَّ فضَّها ، فإذا فيها [من الوافر]

أَلَا مَـنْ يَـشْـتَـرِي سَـهَـراً بِـنَـوْمٍ ... سَـعِـيـدٌ مَـنْ يَـبِـيـتُ قَـرِيـرَ عَـيْـنِ
فَـأَمَّـا حِـمْـيَـرٌ غَـدَرَتْ وَخَـانَـتْ ... فَـمَـعْـذِرَةُ ٱلْإِلَٰـهِ لِـذِي رُعَـيْـنِ

ثمَّ قالَ أيُّها الملكُ ؛ قد نهيتُكَ عن قتلِ أخيكَ ، وعلمتُ أنَّكَ إن فعلتَ ذٰلكَ أصابَكَ الذي قد أصابَكَ ، فكتبتُ هٰذَينِ البيتَينِ براءةً لي عندَكَ ممَّا علمتُ أنَّكَ تصنعُ بمَنْ أشارَ عليكَ بقتلِ أخيكَ ، فقبلَ ذٰلكَ منهُ ، وعفا عنهُ ، وأحسنَ جائزتَهُ

يُضرَبُ لِمَنْ غمطَ النعمةَ ، وكرهَ العافيةَ (١)

إن كنتَ كذوباً فكنْ ذَكُوراً

يضربُ للرجلِ يكذبُ ثمَّ ينسىٰ ، فيُحدِّثُ بخلافِ ذٰلكَ (٢)

إذا اشتريتَ فاذكرِ السوقَ

يعني إذا اشتريتَ فاذكرِ البيعَ ؛ لتجتنبَ العيوبَ (٣)

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٢١٨ ـ ٢١٩)
(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٢٢٠)
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٢٢٠)

بلغَ السيلُ الزُّبَىٰ

هيَ جمعُ زُبْيَةٍ ؛ وهيَ حفرةٌ تُحفَرُ للأسدِ إذا أرادوا صيدَهُ ، وأصلُها الرابيةُ لا يعلوها الماءُ ، فإذا بلغَها السيلُ كانَ جارفاً مُجحِفاً

يُضرَبُ لِمَنْ جاوزَ الحدَّ ، قالَ المُؤرِّجُ حدَّثَني سعيدُ بنُ سماكِ بنِ حربٍ عن أبيهِ ، عنِ ابنِ [المعتمرِ] قالَ أُتِيَ معاذُ بنُ جبلٍ بثلاثةِ نفرٍ قتلَهُم أسدٌ في زُبْيَةٍ ، فلمْ يدرِ كيفَ يفتيهِم ، فسألَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ وهوَ محتبٍ بفِناءِ الكعبةِ ، فقالَ قُصُّوا عليَّ خبرَكُم ، قالوا صِدْنا أسداً في زُبْيَةٍ ، فاجتمعنا عليهِ ، فتدافعَ الناسُ عليهِ ، فرمَوا برجلٍ [فيها] فتَعلَّقَ الرجلُ بآخَرَ ، وتَعلَّقَ الآخَرُ بآخَرَ ، فهَوَوا فيها ثلاثتُهُم ، فقضىٰ فيها عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ للأولِ ربعَ الديةِ ، وللثاني النصفَ ، وللثالثِ الديةَ كلَّها ، فأُخبِرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بقضائِهِ ، فقالَ « لَقَدْ أَرْشَدَكَ ٱللهُ لِلْحَقِّ »[١]

بخٍ بخٍ ساقٌ بخَلْخالٍ !!

بخٍ كلمةٌ يقولُها المُتعجِّبُ مِنْ حسنِ الشيءِ وكمالِهِ الواقعِ موقعَ الرضاءِ ، كأنَّهُ قالَ ما أحسنَ ما أراهُ !! وهو ساقٌ محلَّاةٌ بخلخالٍ ، ويجوزُ أن يريدَ بالباءِ معنىٰ (معَ) ، فيكونُ التعجُّبُ مِنْ حسنِهِما

يُضرَبُ في التهكُّمِ والهزءِ مِنْ شيءٍ لا موضعَ للتهكُّمِ فيهِ

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ الوِرْثةُ بنتُ ثعلبةَ امرأةُ ذُهْلِ بنِ شيبانَ بنِ ثعلبةَ ؛ وذٰلكَ أنَّ رقاشِ بنتَ عمرِو بنِ عثمانَ مِنْ بني ثعلبةَ طَلَّقَها زوجُها كعبُ بنُ مالكِ بنِ تيمِ اللهِ بنِ ثعلبةَ بنِ [عكابةَ] ، فتزوَّجَها ذُهلُ بنُ شيبانَ زوجُ الوِرْثةِ ، ودخلَ بها ، وكانَتِ الورثةُ لا تتركُ لهُ امرأةً إلَّا ضربَتْها وأجلَتْها ، فخرجَتْ

---

(١) انظر « البدر المنير » (٨/٤٦٧) ، و« مجمع الأمثال » (١/٢٥٥ ـ ٢٥٦)

رقاشِ يوماً وعليها خلخالانِ ، فقالَتِ الورثةُ بخٍ بخٍ ساقٌ بخلخالٍ !! فذهبَتْ مثلاً ، فقالَتْ رقاشِ أجلْ ساقٌ بخلخالٍ ، لا كخالِكِ المختالِ ، فوثبَتْ عليها الورثةُ لتضربَها ، فضبطَتْها رَقاشِ وضربَتْها وغلبَتْها ، حتىٰ حُجِزَتْ عنها ، فقالَتِ الورثةُ [من الطويل]

[أَيَا] وَيْحَ نَفْسِي ٱلْيَوْمَ أَدْرَكَنِي ٱلْكِبَرْ أَأَبْكِي عَلَىٰ نَفْسِي ٱلْعَشِيَّةَ أَمْ أَذَرْ
فَوَٱللهِ لَوْ أَدْرَكْتِ فِيَّ بَقِيَّةً لَلاقَيْتِ مَا لَاقَىٰ صَوَاحِبُكِ ٱلْأُخَرْ

فولدَتْ رَقاشِ لذهلِ بنِ شيبانَ مُرَّةَ وأبا ربيعةَ ومُحَلِّماً والحارثَ بنَ ذهلٍ

أبلغُ مِنْ قُسٍّ

هوَ قُسُّ بنُ ساعدةَ بنِ حذافةَ بنِ زهيرِ بنِ أيادِ بنِ نزارٍ الإياديُّ ، وكانَ مِنْ حكماءِ العربِ ، وأعقلِ مَنْ سُمِعَ بهِ منهُم ، وهوَ أوَّلُ مَنْ كتبَ مِنْ فلانٍ إلىٰ فلانٍ ، وأوَّلُ مَنْ أقرَّ بالبعثِ مِنْ غيرِ عِلْمٍ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ أمَّا بعدُ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ البينةُ علىٰ مَنِ ادَّعىٰ ، واليمينُ علىٰ مَنْ أنكرَ ، وقدْ عُمِّرَ مئةً وثمانينَ سنةً ، قالَ الأعشىٰ [1] [من الطويل]

وَأَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ وَأَجْرَىٰ مِنَ ٱلَّذِي بِذِي ٱلْغَيْلِ مِنْ خَفَّانَ أَصْبَحَ خَادِرَا

وأخبرَ عامرُ بنُ شراحيلَ الشعبيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّ وفدَ بكرِ بنِ وائلٍ قدموا علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فلمَّا فرغَ مِنْ حوائجِهِم قالَ « هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَعْرِفُ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ ٱلْإِيَادِيَّ ؟ » ، قالوا كلُّنا نَعرِفُهُ ، قالَ « فَمَا فَعَلَ ؟ » ، قالوا هلكَ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « كَأَنِّي بِهِ عَلَىٰ جَمَلٍ أَحْمَرَ بِعُكَاظَ قَائِماً يَقُولُ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛

(١) كذا في « مجمع الأمثال » (١/٣٠٢)

ٱجْتَمِعُوا وَٱسْتَمِعُوا وَعُوا ؛ كُلُّ مَنْ عاشَ ماتَ ، وَكُلُّ مَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، إِنَّ فِي ٱلسَّمَاءِ لَخَبَراً ، وَإِنَّ فِي ٱلْأَرْضِ لَعِبَراً ، مِهَادٌ مَوْضُوعٌ ، وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ ، وَبِحَارٌ تَمُوجُ ، وَتِجَارَةٌ تَرُوجُ ، وَلَيْلٌ دَاجٍ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، أَقْسَمَ قُسٌّ حَقّاً ؛ لَئِنْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ رِضاً لَيَكُونَنَّ بَعْدَهُ سُخْطٌ ، وَإِنَّ لِلَّهِ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ دِيناً هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمُ ٱلَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، مَا لِي أَرَى ٱلنَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا يَرْجِعُونَ ؟ أَرَضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تُرِكُوا فَنَامُوا ؟! »[1] ، ثمَّ أنشدَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ شعراً حفظَهُ لهُ ؛ وهوَ قولُهُ [من الكامل]

فِي ٱلذَّاهِبِينَ ٱلْأَوَّلِيـ ... ـنَ مِنَ ٱلْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِداً ... لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ

وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا ... يَسْعَى ٱلْأَصَاغِرُ وَٱلْأَكَابِرْ

لَا يَرْجِعُ ٱلْمَاضِي إِلَيَّ ... وَلَا مِنَ ٱلْبَاقِينَ غَابِرْ

أَيْقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَا ... لَةَ حَيْثُ صَارَ ٱلْقَوْمُ صَائِرْ

أبخلُ مِنْ مادرٍ

هوَ رجلٌ مِنْ بني هلالِ بنِ عامرِ بنِ صعصعةَ ، وبلغَ مِنْ بخلِهِ أنَّهُ سقىٰ إبلَهُ ، فبقيَ في أسفلِ الحوضِ ماءٌ قليلٌ ، فسلحَ فيهِ ، ومدرَ الحوض بهِ ، فسُمِّيَ مادراً لذٰلكَ ، واسمُهُ مُخارقٌ

قالَ أبو الندىٰ وذكروا أنَّ بني فزارةَ وبني هلالِ بنِ عامرٍ تنافروا إلىٰ أنسِ بنِ مدركٍ الخثعميِّ وتراضَوا بهِ ، فقالَتْ بنو عامرٍ يا بني فزارةَ ؛ أكلتُم أيرَ حمارٍ ، فقالَتْ بنو فزارةَ قد أكلْنا ولم نعرفْهُ

---

(١) أخرجه البزار في « مسنده » (٥٣٤٧)

وحديثُ ذلكَ أنَّ ثلاثةَ نفرٍ اصطحبوا ؛ فزاريٌّ وثعلبيٌّ وكلابيٌّ ، فصادوا حماراً ، ومضى الفزاريُّ في بعضِ حاجتِهِ ، فطبخا وأكلا ، وخَبَأا للفزاريِّ جُرْدانَ الحمارِ ، فلمَّا رجعَ الفزاريُّ قالا قد خَبَأنا لكَ فكُلْ ، فأقبلَ يأكلُهُ ولا يكادُ يسيغُهُ ، فقالَ أكلُّ شواءِ العَيْرِ جُوفانُ ؟ يعني بهِ الذَّكَرَ ، وجعلا يضحكانِ ، ففطنَ ، وأخذَ السيفَ وقالَ لَتأكُلانِّهِ أو لَأقتلَنَّكُما ، ثمَّ قالَ لأحدِهِما وكانَ اسمُهُ مَرْقَمَةَ كُلْ منهُ ، فأبىٰ ، فضربَهُ فأبانَ رأسَهُ ، فقالَ الآخرُ طاحَ مَرْقَمةُ ، فقالَ الفزاريُّ وأنتَ إن لم تَلْقَمَهْ

قالَ محمدُ بنُ حبيبٍ : أرادَ إن لم تلقمْهَا ، فلمَّا تركَ الألفَ ألقى الفتحةَ على الميمِ قبلَ الهاءِ ، كما قالوا وَيْلُمِّ الحِيرةِ وأيُّ رجالٍ بَهْ ؛ أي بها

قلتُ[1] إنَّما قَدَّرَ الهاء في تلقمَها إرادةَ المضغةِ أو البضعةِ ، وإلَّا فليسَ في الكلامِ الذي مضىٰ تأنيثٌ تَرجِعُ الهاءُ إليهِ

فقالَتْ بنو فزارةَ ولكنْ منكُم يا بني هلالٍ مَنْ قرىٰ في حوضِهِ ، فسقىٰ إبلَهُ ، فلمَّا رَوِيَتْ سلحَ فيهِ ومدرَهُ ؛ بخلاً بهِ أنْ يُشرَبَ فضلُهُ !!

فقضىٰ أنسُ بنُ مدركٍ على الهلاليينَ ، فأخذَ الفزاريونَ منهُم مئةَ بعيرٍ ، وكانوا تراهنوا عليها

وفي بني فزارةَ يقولُ الكميتُ بنُ ثعلبةَ ، والكميتُ مِنَ الشُّعراءِ ثلاثةٌ ، أقدمُهُم هٰذا ، ثمَّ كميتُ بنُ معروفٍ ، ثمَّ كميتُ بنُ زيدٍ ، وكلُّهُم مِنْ بني أسدٍ [من الوافر]

نَشَدْتُكَ يَا فَزَارُ وَأَنْتَ شَيْخٌ إِذَا خُيِّرْتَ تُخْطِئُ فِي ٱلْخِيَارِ
أَصَيْحَانِيَّةٌ أُدِمَتْ بِسَمْنٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ ٱلْحِمَارِ

(١) القائل هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال »

بَلَىٰ أَيْرُ ٱلْحِمَارِ وَخِصْيَتَاهُ ... أَحَبُّ إِلَىٰ فَزَارَةَ مِنْ فَزَارِ

فحذفَ الهاءَ مِنْ فزارةَ كما تُحذَفُ في الترخيمِ ، وإن كانَ هٰذا في غيرِ النداءِ ، ويجوزُ أن يكونَ أرادَ مِنْ فزارِي ، فخَفَّفَ ياءَ النسبةِ

وفي بني هلالٍ يقولُ الشاعرُ [من الطويل]

[لَقَدْ] جَلَّلَتْ خِزْياً هِلَالُ بْنُ عَامِرٍ ... بَنِي عَامِرٍ طُرّاً بِسَلْحَةِ مَادِرِ
فَأُفٍّ لَكُمْ لَا تَذْكُرُوا ٱلْفَخْرَ بَعْدَهَا ... بَنِي عَامِرٍ أَنْتُمْ شِرَارُ ٱلْمَعَاشِرِ

وفي بني فزارةَ يقولُ ابنُ دارةَ [من البسيط]

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيّاً خَلَوْتَ بِهِ ... عَلَىٰ قَلُوصِكَ وَٱكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ
لَا تَأْمَنَنْهُ وَلَا تَأْمَنْ بَوَائِقَهُ ... بَعْدَ ٱلَّذِي ٱمْتَلَّ أَيْرَ ٱلْعَيْرِ فِي ٱلنَّارِ
أَطْعَمْتُمُ ٱلضَّيْفَ جُوفَاناً مُخَاتَلَةً ... فَلَا سَقَاكُمْ إِلَٰهِي ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِي

قالَ حمزةُ وحدَّثني أبو بكرِ بنُ دريدٍ قالَ حدَّثني أبو حاتمٍ عن أبي عبيدةَ أنَّهُ قرأَ عليهِ حديثَ مادرٍ ، فضحكَ ، قالَ فقلتُ لهُ ما الذي أضحكَكَ ؟ فقالَ تعجُّبي مِنْ تسييرِ العربِ لأمثالٍ لها ، لو سيَّرُوا ما هو أهمُّ منها لكانَ أبلغَ لها ، قلتُ مثلُ ماذا ؟ قالَ مثلُ مادرٍ هٰذا جعلوهُ عَلَماً في البخلِ بفَعْلةٍ تَحتمِلُ التأويلَ ، وتركوا مثلَ ابنِ الزبيرِ معَ ما يؤثَرُ علىٰ لفظِهِ وفعلِهِ مِنْ دقائقِ البخلِ ، فتركوهُ كالغُفْلِ

مِنْ ذٰلكَ أنَّه نظرَ إلىٰ رجلٍ مِنْ أصحابِهِ وهوَ يومَئذٍ خليفةٌ يقاتلُ الحَجَّاجَ بنَ يوسفَ علىٰ دولتِهِ وقد دقَّ الرجلُ في صدورِ أهلِ الشامِ أرماحاً ، فقالَ لهُ يا هٰذا ؛ اعتزلْ عن حربِنا ، فإنَّ بيتَ المالِ لا يقوىٰ علىٰ هٰذا

وقالَ في تلكَ الحربِ لجماعةٍ مِنْ جندِهِ أكلتُم تمري ، وعصيتُم أمري

وسمعَ أنَّ مالكَ بنَ أشعرَ الرزاميَّ مِنْ بني مازنٍ أكلَ مِنْ بعيرٍ وحدَهُ ، وحملَ ما بقيَ علىٰ ظهرِهِ ، فقالَ دلُّوني علىٰ قبرِهِ أَنبشْهُ

وقالَ لرجلٍ أتاهُ مجتدياً وقد أبدعَ بهِ ، فشكا إليهِ حفا ناقتِهِ ، قالَ : اخصفْها بهُلْبٍ ، وارقعْها بسِبْتٍ ، وأنجدْ بها يبردْ خفُّها ، فقالَ الرجلُ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ جئتُكَ مستوصلاً ، ولم آتكَ مُتوصِّفاً ، فلا بقيَتْ ناقةٌ حملَتْني إليكَ ، فقالَ إنَّ وصاحبَها ، ولهٰذا الرجلِ فيهِ شعرٌ قد نُسِيَ

قلتُ[١] وفي بعضِ النسخِ مِنْ كتابِ « أفعلُ » كانَ هٰذا الرجلُ عبدَ اللهِ بنَ فضالةَ الأسديَّ ، ولمَّا انصرفَ مِنْ عندِهِ قالَ

أَرَى ٱلْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ نَكِدْنَ وَلَا أُمَيَّةَ بِٱلْبِلَادِ
وَمَا لِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقٍ إِلَى ٱبْنِ ٱلْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ

في أبياتٍ ، وابنُ الكاهليَّةِ هوَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ ؛ لأنَّ جدَّةً مِنْ جدَّاتِهِ كانَتْ مِنْ بني كاهلٍ ، فلمَّا بلغَ الشعرُ ابنَ الزبيرِ قالَ لو علمَ لي أمّاً ألأمَ مِنْ عمَّتِهِ لسبَّني بها

قالَ أبو عبيدةَ فلو تَكلَّفَ الحارثُ بنُ كلدةَ طبيبُ العربِ ، أو مالكُ بنُ زيدِ مناةٍ وحنيفُ الحناتمِ آبلا العربِ مِنْ وصفِ علاجِ ناقةِ الأعرابيِّ ما تَكلَّفَهُ هٰذا الخليفةُ لَمَا كانوا يَعْشُرُونَهُ ، وكانَ مَعَ هٰذا يأكلُ في كلِّ أسبوعٍ أكلةً ، ويقولُ في خُطبتِهِ : إنَّما بطني شبرٌ في شبرٍ ، وعندي ما عسىٰ يكفيني ، فقالَ فيهِ الشاعرُ [من البسيط]

لَوْ كَانَ بَطْنُكَ شِبراً قَدْ شَبِعْتَ وَقَدْ أَفْضَلْتَ فَضْلاً كَثِيراً لِلْمَسَاكِينِ
فَإِنْ تُصِبْكَ مِنَ ٱلْأَيَّامِ جَائِحَةٌ لَا نَبْكِ مِنْكَ عَلَىٰ دُنْيَا وَلَا دِينِ[٢]

---

(١) القائل هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال »
(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٠٣ ـ ٣٠٧)

تجوعُ الحُرَّةُ ولا تأكلُ بثدييها

أي لا تكونُ ظئراً وإن آذاها الجوعُ ، ويُروىٰ ولا تأكلُ ثدييها

وأوّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ الحارثُ بنُ سليلٍ الأسديُّ ، وكانَ حليفاً لعلقمةَ بنِ خصفةَ الطائيِّ ، فزارَهُ ، فنظرَ إلى ابنتِهِ الزبَّاءِ وكانَتْ مِنْ أجملِ أهلِ دهرِها ، فأُعجِبَ بها ، فقالَ لهُ أتيتُكَ خاطباً وقد ينكحُ الخاطبُ ، ويدركُ الطالبُ ، ويمنحُ الراغبُ ، فقالَ لهُ علقمةُ أنت كفؤٌ كريمٌ ، يُقبَلُ منكَ الصَّفوُ ، ويُؤخَذُ منك العفوُ ، فأقمْ ننظرْ في أمرِكَ

ثمَّ انكفأَ إلىٰ أُمِّها فقالَ إنَّ الحارثَ بنَ سليلٍ سيدُ قومِهِ حسباً ومنصباً وبيتاً ، وقد خطبَ إلينا الزبَّاءَ ، فلا يَنصرِفَنَّ إلَّا بحاجتِهِ

فقالَتِ امرأتُهُ لابنتِها أيُّ الرجالِ أحبُّ إليكِ الكهلُ الجحجاحُ ، الواصلُ المناحُ ، أمِ الفتى الوضَّاحُ ؟ قالَتْ لا ، بلِ الفتى الوضَّاحُ ، قالَتْ إنَّ الفتىٰ يُغيرُكِ ، وإنَّ الشيخَ يَميرُكِ ، وليسَ الكهلُ الفاضلُ ، الكثيرُ النائلُ كالحديثِ السِّنِّ ، الكثيرِ المَنِّ ، قالَتْ يا أُمَّتاهْ ؛ إنَّ الفتاةَ تُحِبُّ الفتىٰ ؛ كحبِّ الرعاءِ أنيقَ الكلا ، قالَتْ أي بنيَّةُ ؛ إنَّ الفتىٰ شديدُ الحجابِ ، كثيرُ العتابِ ، قالَتْ إنَّ الشيخَ يبلي شبابي ، ويُدنِّسُ ثيابي ، ويُشْمِتُ بي أترابي

فلم تزلْ أُمُّها بها حتىٰ غلبَتْها علىٰ رأيِها ، فتَزوَّجَها الحارثُ علىٰ مئةٍ وخمسينَ مِنَ الإبلِ ، وخادمٍ ، وألفِ درهمٍ ، فابتنىٰ بها ، ثمَّ رحلَ بها إلىٰ قومِهِ ، فبينا هوَ ذاتَ يومٍ جالسٌ بفِناءِ قومِهِ وهيَ إلىٰ جانبِهِ إذ أقبلَ إليهِ شبابٌ مِنْ بني أسدٍ يعتلجونَ ، فتَنفَّسَتْ صُعَدَاءَ ، ثمَ أرخَتْ عينَيها بالبكاءِ ، فقالَ لها ما يبكيكِ ؟ قالَتْ ما لي وللشيوخِ ، الناهضينَ كالفروخِ ؟! فقالَ لها ثكلتْكِ أُمُّكِ ، تجوعُ الحُرَّةُ ولا تأكلُ بثدييها

قالَ أبو عبيدٍ (فإن كانَ الأصلُ علىٰ هٰذا الحديثِ   فهوَ على المثلِ السائرِ لا تأكلُ ثدييها ، وكانَ بعضُ العلماءِ يقولُ هٰذا لا يجوزُ ، وإنَّما هوَ لا تأكلُ بثدييها)[1]

قلتُ[2] كلاهُما في المعنىٰ سواءٌ ؛ لأنَّ معنىٰ (لا تأكلُ ثدييها) لا تأكلُ أجرةَ ثدييها ، ومعنىٰ (بثدييها) أي لا تعيشُ بسببِ ثدييها وبما يغلَّانِ عليها

ثمَّ قالَ الحارثُ لها أما وأبيكِ ؛ لربَّ غارةٍ شهدتُها ، وسبيَّةٍ أردفتُها ، وخمرةٍ شربتُها ، فالحقي بأهلِكِ ، فلا حاجةَ لي فيكِ ، وقالَ   [من البسيط]

تَـهَـزَّأَتْ أَنْ رَأَتْـنِـي لَابِـسـاً كِـبَـراً   وَغَـايَـةُ ٱلنَّـاسِ بَيْـنَ ٱلْـمَوْتِ وَٱلْكِبَـرِ
فَإِنْ بَقِيـتِ لَقِيـتِ ٱلشَّيْـبَ رَاغِـمَـةً   وَفِي ٱلتَّعَرُّفِ مَا يَمْضِي مِنَ ٱلْعِبَرِ
وَإِنْ يَـكُـنْ قَـدْ عَـلَا رَأْسِـي وَغَـيَّـرَهُ   صَـرْفُ ٱلزَّمَانِ وَتَـغْـيِيرٌ مِنَ ٱلشَّـعَـرِ
فَـقَـدْ أَرُوحُ لِـلَـذَّاتِ ٱلْـفَـتَـىٰ جَـذِلاً   وَقَـدْ أُصِـيـبُ بِـهَـا عَـيْـناً مِـنَ ٱلْـبَـقَـرِ
عَـنِّـي إِلَـيْـكِ فَـإِنِّـي لَا تُـوَافِـقُـنِـي   عُورُ ٱلْكَلَامِ وَلَا شُرْبٌ عَلَى ٱلْكَدَرِ

يُضرَبُ في صيانةِ الرجلِ نفسَهُ عن خسيسِ مكاسبِ الأموالِ[3]

تطلبُ أثراً بعدَ عينٍ

العينُ المعاينةُ ، يُضربُ لِمَنْ تركَ شيئاً يراهُ ثمَّ تبعَ أثرَهُ بعدَ فوتِ عينِهِ

قالَ الباهليُّ أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ مالكُ بنُ عمرٍو العامليُّ ، وفي كتابِ

---

(١) الأمثال (ص ١٩٦ ـ ١٩٧) للقاسم بن سلام
(٢) القائل هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال »
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٢٧ ـ ٣٢٩)

أبي عبيدٍ مالكُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قالَ وذٰلكَ أنَّ بعض ملوكِ غَسَّانَ كانَ يطلبُ في عاملةَ ذَحْلاً ، فأخذَ منهُم رجلَينِ يُقالُ لهُما مالكٌ وسماكٌ ابنا عمرٍو ، فاحتبسَهُما عندَهُ زماناً ، ثمَّ دعاهُما فقالَ لهُما إنِّي قاتلٌ أحدَكُما ، فأيَّكُما أقتلُ ؟ فجعلَ كلُّ واحدٍ منهُما يقولُ اقتلْني مكانَ أخي ، فلمَّا رأىٰ ذٰلكَ قتلَ سماكاً ، وخلَّىٰ سبيلَ مالكٍ ، فقالَ سماكٌ حينَ ظنَّ أنَّهُ مقتولٌ [من المتقارب]

أَلَا مَنْ شَجَتْ لَيْلَةٌ عَامِدَهْ كَمَا [أَبَداً] لَيْلَةٌ وَاحِدَهْ

فَأَبْلِغْ قُضَاعَةَ إِنْ جِئْتَهُمْ وَخُصَّ سَرَاةَ بَنِي سَاعِدَهْ

وَأَبْلِغْ نِزَاراً عَلَىٰ نَأْيِهَا بِأَنَّ ٱلرِّمَاحَ هِيَ ٱلْعَائِدَهْ

وَأُقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكاً لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَهْ

بِرَأْسِ سَبِيلٍ عَلَىٰ مَرْقَبٍ وَيَوْماً عَلَىٰ طُرُقٍ وَارِدَهْ

فَأُمَّ سِمَاكٍ فَلَا تَجْزَعِي فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ [ٱلْوَالِدَهْ]

وانصرفَ مالكٌ إلىٰ قومِهِ ، فلبثَ فيهِم زماناً ، ثمَّ إنَّ رَكْباً مرُّوا وأحدُهُم يَتغنَّىٰ بهٰذا البيتِ

وَأُقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكاً لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَهْ

فسمعَتْ بذٰلكَ أمُّ سماكٍ ، فقالَتْ يا مالكُ ؛ قَبَّحَ اللهُ الحياةَ بعدَ سماكٍ ، اخرجْ في الطَّلبِ بأخيكَ ، فخرجَ في الطَّلبِ ، فلقيَ قاتلَ أخيهِ يسيرُ في ناسٍ مِنْ قومِهِ ، فقالَ مَنْ أحسَّ ليَ الجملَ الأحمرَ ؟ فقالوا لهُ وعرفوهُ يا مالكُ ؛ لكَ مئةٌ مِنَ الإبلِ ، فكُفَّ ، فقالَ لا أطلبُ أثراً بعدَ عينٍ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ حملَ علىٰ قاتلِ أخيهِ فقتلَهُ ، وقالَ في ذٰلكَ [من المنسرح]

يَا رَاكِباً بَلِّغَنْ وَلَا تَدَعَنْ بَنِي قُمَيْرٍ وَإِنْ هُمُ جَزِعُوا

فَلْيَجِدُوا مِثْلَ مَا وَجَدْتُ فَقَدْ ... كُنْتُ حَزِيناً قَدْ مَسَّنِي وَجَعُ
لَا أَسْمَعُ ٱللَّهْوَ فِي ٱلْحَدِيثِ وَلَا ... يَنْفَعُنِي فِي ٱلْفِرَاشِ مُضْطَجَعُ
لَا وَجْدُ ثَكْلَىٰ كَمَا وَجَدْتُ وَلَا ... وَجْدُ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبَعُ
وَلَا كَبِيرٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ ... يَوْمَ تَوَافَى ٱلْحَجِيجُ وَٱجْتَمَعُوا
يَنْظُرُ فِي أَوْجُهِ ٱلرِّكَابِ فَلَا ... يَعْرِفُ شَيْئاً وَٱلْوَجْهُ مُلْتَمِعُ
جَلَّلْتُهُ صَارِمَ ٱلْحَدِيدَةِ كَٱلْـ ... ـمِلْحِ وَفِيهِ سَفَاسِقٌ لُمَعُ
بَيْنَ ضُمَيْرٍ وَبَابِ جِلِّقَ فِي ... أَثْوَابِهِ مِنْ دِمَائِهِ دُفَعُ
أَضْرِبُهُ بَادِياً نَوَاجِذُهُ ... يَدْعُو صَدَاهُ وَٱلرَّأْسُ مُنْصَدِعُ
بَنِي قُمَيْرٍ قَتَلْتُ سَيِّدَكُمْ ... فَٱلْيَوْمَ لَا رَنَّةٌ وَلَا جَزَعُ
فَٱلْيَوْمَ قُمْنَا عَلَى ٱلسَّوَاءِ فَإِنْ ... [تُجْرُوا] فَدَهْرِي وَدَهْرُكُمْ جُرَعُ

السَّفاسقُ جمعُ سفسقةٍ بفتحتَينِ أو كسرتَينِ بينَهُما سكونٌ ، فِرِندُ السيفِ ؛ وهيَ نقطٌ تلمعُ في صفائِهِ

تَسمعُ بالمُعَيْديِّ خيرٌ مِنْ أن تراهُ

ويُروىٰ : لَأن تَسمعَ بالمُعيديِّ خيرٌ ، وأن تسمعَ ، ويُروىٰ : تَسمعُ بالمعيديِّ لا أن تراهُ ، والمختارُ : أن تسمعَ

يُضرَبُ لِمَنْ خبرُهُ خيرٌ مِنْ مرآهُ ، ودخلَ الباءُ علىٰ تقديرِ : تُحدَّثُ بهِ خيرٌ

قالَ المُفضَّلُ أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ : المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ ، وكانَ مِنْ حديثِهِ أنَّ كُبَيشَ بنَ جابرٍ أخا ضمرةَ بنِ جابرٍ مِنْ بني نهشلٍ كانَ عرض لأَمَةٍ لزرارةَ بنِ عدسٍ يُقالُ لها رُشيَّةُ ، كانَتْ سبيةً أصابَها زُرارةُ مِنَ الرفيداتِ ،

وهم حيٌّ مِنَ العربِ ، فولدَتْ لهُ عمراً وذؤيباً وبرغوثاً ، فماتَ كُبَيشٌ وترعرعَ الغِلمةُ

فقالَ لقيطُ بنُ زرارةَ يا رُشيَّةُ ؛ مَنْ أبو بنيكِ ؟ قالَتْ كُبَيشُ بنُ جابرٍ ، قالَ فاذهبي بهٰؤلاءِ الغِلمةِ فعبِّسي بهِم وجهَ ضمرةَ وخبِّريهِ مَنْ هم ، وكانَ لقيطٌ عدوّاً لضمرةَ ، فانطلقَتْ بهِم إلىٰ ضمرةَ ، فقالَ ما هٰؤلاءِ ؟ قالَتْ بنو أخيكَ ، فانتزعَ منها الغِلمةَ وقالَ الحقي بأهلِكِ

فرجعَتْ فأخبرَتْ أهلَها بالخبرِ ، فركبَ زرارةُ وكانَ رجلاً حليماً ، حتىٰ أتىٰ بني نهشلٍ ، فقالَ ردُّوا عليَّ غلمتي ، فسبَّهُ بنو نهشلٍ وأهجروا لهُ ، فلمَّا رأىٰ ذٰلكَ انصرفَ ، فقالَ لهُ قومُهُ ما صنعتَ ؟ قالَ خيراً ، ما أحسنَ ما لقيَني بهِ قومي !! فمكثَ حولاً ، ثمَّ أتاهم ، فأعادوا عليهِ أسوأَ ما كانوا قالوا لهُ ، فانصرفَ ، فقالَ لهُ قومُهُ ما صنعتَ ؟ قالَ خيراً ، قد أحسنَ بنو عمِّي وأجملُوا ، فمكثَ بذٰلكَ سبعَ سنينَ يأتيهِم في كلِّ سنةٍ فيردُّونَهُ بأسوأِ الردِّ

فبينمَا بنو نهشلٍ يسيرونَ ضحىً إذ لحقَ بهِم لاحقٌ ، فأخبرَهُم أنَّ زرارةَ قد ماتَ ، فقالَ ضمرةُ يا بني نهشلٍ ؛ إنَّهُ قد ماتَ حليمُ أخوتِكُمُ اليومَ ، فاتقوهُم بحقِّهِم ، ثمَّ قالَ ضمرةُ لنسائِهِ قِفَنَّ أقسمْ بينَكُنَّ الثكلَ ، وكانَتْ عندَهُ هندُ بنتُ كربِ بنِ صفوانَ ، وامرأةٌ يُقالُ لها خُليدةُ مِنْ بني عجلٍ ، وسبيةٌ مِنْ عبدِ القيسِ ، وسبيَّةٌ مِنَ الأزدِ مِنْ بني طمثانَ ، وكانَ لهُنَّ أولادٌ غيرُ خُليدةَ ، فقالَتْ لهندٍ وكانَتْ لها مصافيةً وَلِّي الثكلَ بنتَ غيرِكِ ، ويُروىٰ ولِّي الثكلَ بنتَ غيرِكِ علىٰ سبيلِ الدعاءِ ، فأرسلَتْها مثلاً ، فأخذَ ضمرةُ شقَّةَ بنَ ضمرةَ وأمُّهُ هندٌ ، وشهابَ بنَ ضمرةَ وأمُّهُ العبديةُ ، وعنوةَ بنَ ضمرةَ وأمُّهُ الطمثانيةُ ، فأرسلَ بهِم إلىٰ لقيطِ بنِ زرارةَ ، وقالَ

هٰؤلاءِ رهنٌ لكَ بغلمتِكَ حتىٰ أرضيَكَ منهُم ، فلمَّا وقعَ بنو ضمرةَ في يَديْ لقيطٍ أساءَ ولايتَهُم ، وجفاهُم وأهانَهُم ، فقالَ في ذٰلكَ ضمرةُ بنُ جابرٍ [من الوافر]

صَرَمْتُ إِخَاءَ شِقَّةَ يَوْمَ غَوْلٍ   وَإِخْوَتِهِ فَلَا حَلَّتْ حِلَالِي
كَأَنِّي إِذْ رَهَنْتُ بَنِيَّ قَوْمِي   دَفَعْتُهُمُ إِلَى ٱلصُّهْبِ ٱلسِّبَالِ
وَلَمْ أَرْهَنْهُمُ بِدَمٍ وَلٰكِنْ   رَهَنْتُهُمُ بِصُلْحٍ أَوْ بِمَالِ
صَرَمْتُ إِخَاءَ شِقَّةَ يَوْمَ غَوْلٍ   وَحُقَّ إِخَاءُ شِقَّةَ بِٱلْوِصَالِ

فأجابَهُ لقيطٌ [من الطويل]

أَبَا قَطَنٍ إِنِّي أَرَاكَ حَزِينَا   وَإِنَّ ٱلْعَجُولَ لَا يُبَالِ حَنِينَا
أَفِي أَنْ صَبَرْتُمْ نِصْفَ عَامٍ لِحَقِّنَا   وَنَحْنُ صَبَرْنَا قَبْلُ سَبْعَ سِنِينَا

فقالَ ضمرةُ [من الوافر]

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَطِلَابَ حِبِّي   وَتَرْكَ بَنِيَّ فِي ٱلشُّطُرِ ٱلْأَعَادِي
لَمِنْ نَوْكَى ٱلشُّيُوخِ وَكَانَ مِثْلِي   إِذَا مَا ضَلَّ لَمْ يُنْعَشْ بِهَادِ

ثمَّ إنَّ بني نهشلٍ طلبوا إلى المنذرِ بنِ ماءِ السماءِ أن يَطلبَهُم مِنْ لقيطٍ ، فقالَ لهُمُ المنذرُ نحُّوا عنِّي وجوهَكُم ، ثمَّ أمرَ بخمرٍ وطعامٍ ودعا لقيطاً ، فأكلا وشربا ، حتىٰ إذا أخذَتِ الخمرُ منهُما قالَ المنذرُ للقيطٍ يا خيرَ الفتيانِ ؛ ما تقولُ في رجلٍ اختارَكَ الليلةَ علىٰ ندامىٰ مُضَرَ ؟ قالَ وما أقولُ فيهِ ؟ أقولُ : إنَّهُ لا يَسألُني شيئاً إلَّا أعطيتُهُ إيَّاهُ غيرَ الغِلمةِ ، قالَ المنذرُ أمَّا إذا استثنيتَ فلستُ قابلاً منكَ شيئاً حتىٰ تعطيَني كلَّ شيءٍ سألتُكَ ، قالَ فذٰلكَ لكَ ، قالَ فإنِّي أسألُكَ الغِلمةَ أن تَهبَهُم لي ، قالَ سلْني غيرَهُم ، قالَ ما أسألُكَ غيرَهُم ، فأرسلَ لقيطٌ إليهِم ، فدفعَهُم إلى المنذرِ ،

فلمَّا أصبحَ لقيطٌ لامَهُ قومُهُ ، فندمَ ، فقالَ في المنذرِ [من الطويل]

وَإِنَّكَ[1] لَوْ غَطَّيْتَ أَرْجَاءَ هُوَّةٍ مُغَمَّسَةٍ لَا يُسْتَشَارُ تُرَابُهَا
بِثَوْبِكَ فِي ٱلظَّلْمَاءِ ثُمَّ دَعَوْتَنِي لَجِئْتُ إِلَيْهَا سَادِراً لَا أَهَابُهَا
فَأَصْبَحْتُ مَوْجُوداً عَلَيَّ مُلَوَّماً كَأَنْ نُضِيَتْ عَنْ حَائِضٍ لِي ثِيَابُهَا

قالَ فأرسلَ المنذرُ إلى الغِلمةِ ، وقد ماتَ ضمرةُ ، وكانَ صديقاً للمنذرِ ، فلمَّا دخلَ عليهِ الغِلمةُ وكانَ يسمعُ بشِقَّةَ ، ويُعجِبُهُ ما يَبلغُهُ عنهُ ، فلمَّا رآهُ قالَ تَسمعُ بالمُعيديِّ خيرٌ مِنْ أن تَراهُ ، فأرسلَها مثلاً ، قالَ شِقَّةُ أبيتَ اللعنَ وأسعدَكَ إلـٰهُكَ ، إنَّ القومَ ليسوا بجُزْرٍ ؛ يعني الشاءَ ، إنَّما يعيشُ الرجلُ بأصغرَيهِ ؛ لسانِهِ وقلبِهِ ، فأعجبَ المنذرَ كلامُهُ ، وسَرَّهُ كلُّ ما رأىٰ منهُ ، قالَ فسمَّاهُ ضمرةَ باسمِ أبيهِ ، فهوَ ضمرةُ بنُ ضمرةَ ، وذهبَ قولُهُ يعيشُ الرجلُ بأصغرَيهِ مثلاً ، وينشدُ علىٰ هـٰذا [من الطويل]

ظَنَنْتُ بِهِ خَيْراً فَقَصَّرَ دُونَهُ فَيَا رُبَّ مَظْنُونٍ بِهِ ٱلْخَيْرُ يُخْلِفُ

قلتُ[2] : وقريبٌ مِنْ هـٰذا ما يُحكىٰ : أنَّ الحَجَّاجَ أرسلَ إلىٰ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ بكتابٍ معَ رجلٍ ، فجعلَ عبدُ الملكِ يقرأُ الكتابَ ، ثمَّ يسألُ الرجلَ ، فيشفيهِ بجوابِ ما يسألُهُ ، فيرفعُ عبدُ الملكِ رأسَهُ إليهِ فيراهُ أسودَ ، فلمَّا أعجبَهُ ظَرْفُهُ وبيانُهُ قالَ مُتمثِّلاً [من الطويل]

فَإِنَّ عَرَاراً إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أُحِبُّ ٱلْجَوْنَ ذَا ٱلْمَنْكِبِ ٱلْعَمَمْ

فقالَ لهُ الرجلُ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ هل تدري مَنْ عرارٌ ؟ أنا واللهِ عرارُ بنُ عمرِو بنِ شاسٍ الأسديّ الشاعرِ[3]

---

(١) في الأصل و« مجمع الأمثال » (إنك) ولا يستقيم وزنه
(٢) القائل هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال »
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٣٤٢/١ ـ ٣٤٥)

ترى الفتيانَ كالنَّخْلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ

الدَّخْلُ العيبُ الباطنُ ، يُضرَبُ لذي المنظرِ لا خيرَ عندَهُ

قالَ المُفضَّلُ أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ عَثْمةُ بنتُ مطرودٍ البجيليَّةُ ، وكانَتْ ذاتَ عقلٍ ورأيٍ مُستمَعٍ في قومِها ، وكانَتْ لها أختٌ يُقالُ لها خَوْدٌ ، وكانَتْ ذاتَ جمالٍ وميسمٍ وعقلٍ ، وإنَّ سبعةَ إخوةٍ غِلمةٍ مِنْ بطنِ الأزدِ خطبوا خَوداً إلىٰ أبيها ، فأتوهُ وعليهِمُ الحُلَلُ اليمانيَّةُ ، وتحتَهُمُ النَّجائبُ الفُرْهُ ، فقالوا نحنُ بنو مالكِ بنِ غفيلةَ ذي النحيَينِ ، فقالَ لهُمُ انزلوا على الماءِ ، فنزلوا ليلتَهُم ، ثمَّ أصبحوا غادينَ في الحُلَلِ والهيئةِ ومعَهُم ربيبةٌ لهُم يُقالُ لها الشعثاءُ كاهنةٌ ، فمرُّوا بوصيدِها يَتعرَّضون لها وكلُّهُم وسيمٌ جميلٌ ، وخرجَ أبوها ، فجلسوا إليهِ ، فرحَّبَ بهِم ، فقالوا بلغَنا أنَّ لكَ بنتاً ، ونحنُ ـ كما ترىٰ ـ شبابٌ ، وكلُّنا يمنعُ الجانبَ ، ويمنحُ الراغبَ ، فقالَ أبوها كلُّكُم خيارٌ ، فأقيموا نرىٰ رأينا

ثمَّ دخلَ علىٰ بنتِهِ ، فقالَ ما ترينَ ؟ فقد أتاكِ هٰؤلاءِ القومُ ، فقالَتْ أنكحْني علىٰ قدري ، ولا تَشطُطْ في مهري ؛ فإن تُخطِئْني أحلامُهُم لا تُخطِئْني أجسامُهُم ، لعلِّي أصيبُ ولداً ، وأكثرُ عدداً

فخرجَ أبوها فقالَ : أخبروني عن أفضلِكُم ، قالَتْ ربيبتُهُمُ الشعثاءُ الكاهنةُ اسمعْ أخبرْكَ عنهُم ، هم إخوةٌ ، وكلُّهُم أسوةٌ ، أمَّا الكبيرُ فمالكٌ ، جريءٌ فاتكٌ ، يتعبُ السنابكَ ، ويستصغرُ المهالكَ ، وأمَّا الذي يليهِ . فالغمرُ ، بحرٌ غمرٌ ، يقصرُ دونَهُ الفخرُ ، نهدٌ صقرٌ ، وأمَّا الذي يليهِ فعلقمةُ ، صليبُ المعجمةِ ، منيعُ المشتمةِ ، قليلُ الجمجمةِ ، وأمَّا الذي يليهِ فعاصمٌ ، سيدٌ ناعمٌ ، جَلْدٌ صارمٌ ، أبيٌّ حازمٌ ، جيشُهُ غانمٌ ، وجارُهُ سالمٌ ، وأمَّا الذي يليهِ فثوابٌ ، سريعُ الجوابِ ، عتيدُ الصَّوابِ ، كريمُ النصابِ ؛ كليثِ الغابِ ، وأمَّا

الذي يليهِ فمُدْرِكٌ ، بذولٌ لما يملكُ ، عزوبٌ عمَّا يتركُ ، يفني ويهلكُ ، وأمَّا الذي يليهِ فجندلٌ ، لقرنِهِ مجدلٌ ، مُقِلٌّ لما يحملُ ، يعطي ويبذلُ ، وعن عدوِّهِ لا ينكلُ

فشاورَتْ أختَها فيهم ، فقالَتْ أختُها عثمةُ : ترى الفتيانَ كالنخلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ ، اسمعي منِّي كلمةً إنَّ شرَّ الغريبةِ يُعلَنُ ، وخيرَها يُدفَنُ ، انكحي في قومِكِ ولا تغرزْكِ الأجسامُ ، فلم تقبلْ منها ، وبعثَتْ إلىٰ أبيها أنكحْني مُدرِكاً ، فأنكحَها أبوها علىٰ مئةِ ناقةٍ ورعاتِها ، وحملَها مُدرِكٌ ، فلم تلبثْ عندَهُ إلَّا قليلاً حتىٰ صبَّحَهُم فوارسُ مِنْ بني مالكِ بنِ كنانةَ ، فاقتتلوا ساعةً ، ثمَّ إنَّ زوجَها وإخوتَهُ وبني عامرٍ انكشفوا ، فسبَوْها فيمَنْ سبَوْا ، فبينا هيَ تسيرُ بكَتْ ، فقالوا ما يبكيكِ ؟ أعلىٰ فِراقِ زوجِكِ ؟ قالَتْ قبَّحَهُ اللهُ ، قالوا لقد كانَ جميلاً ، قالَتْ قَبَّحَ اللهُ جمالاً لا نفعَ معَهُ ، إنَّما أبكي علىٰ عصياني أختي ، وقولِها ترى الفتيانَ كالنَّخْلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ ، وأخبرَتْهُم كيفَ خطبوها ، فقالَ لها رجلٌ منهُم يُكنىٰ أبا نواسٍ ، شابٌّ أسودُ أفوهُ مُضطرِبُ الخَلْقِ أترضينَ بي علىٰ أن أمنعَكِ مِنْ ذئابِ العربِ ؟ فقالَتْ لأصحابِهِ أكذٰلكَ هوَ ؟ قالوا نعم ؛ إنَّهُ معَ ما ترينَ لَيمنعُ الحليلةَ ، وتتقيهِ القبيلةُ ، قالَتْ هٰذا أجملُ جمالٍ ، وأكملُ كمالٍ ، قد رضيتُ بهِ ، فزوَّجُوها منهُ [1]

تعِسَتِ العجلةُ

أوَّلُ مَنْ قالَ هٰذا فِنْدٌ مولىٰ عائشةَ بنتِ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ ، وكانَ أحدَ [المُغنِّينَ] المُجيدينَ ، وكانَ يجمعُ بينَ الرجالِ والنساءِ ، ولهُ يقولُ ابنُ قيسِ الرُّقَيَّاتِ [من الخفيف]

قُـلْ لِـفِـنْـدٍ يُـشَـيِّـعِ ٱلْأَظْـعَـانَـا طَـالَـمَـا سَـرَّ عَـيْـشَـنَـا وَكَـفَـانَـا

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٥٦ ـ ٣٥٨)

وكانَتْ عائشةُ أرسلَتْهُ يأتيها بنارٍ ، فوجدَ قوماً يخرجونَ إلىٰ مصرَ ، فخرجَ معَهُم ، فأقامَ بها سنةً ، ثمَّ قدمَ فأخذَ ناراً وجاءَ يعدو ، فعثرَ وتَبدَّدَ الجمرُ ، فقالَ تعسَتِ العجلةُ ، وفيهِ يقولُ الشاعرُ [من الرمل]

مَا رَأَيْنَا لِغُرَابٍ مَثَلاً إِذْ بَعَثْنَاهُ يَجِي بِٱلْمِشْمَلَهْ
غَيْرَ فِنْدٍ أَرْسَلُوهُ قَابِساً فَثَوَىٰ حَوْلاً وَسَبَّ ٱلْعَجَلَهْ

المِشْملةُ كساءٌ تُجمَعُ فيهِ المِقدحةُ بآلاتِها ، وقالَ بعضُهُمُ الروايةُ المَشْملةُ بفتحِ الميمِ ، وهيَ مَهبُّ الشمالِ ؛ يعني الجانبَ الذي بعثَ نوحٌ عليهِ السلامُ الغرابَ إليهِ ليأتيَهُ بخبرِ الأرضِ أجفَّتْ أم لا

تجمعينَ خِلابةً وصدوداً

يُضرَبُ لِمَنْ يَجمعُ بينَ خصلتَيْ شرٍّ ، قالوا هوَ مِنْ قولِ جريرِ بنِ عطيةَ ؛ وذٰلكَ أنَّ الحَجَّاجَ بنَ يوسفَ أرادَ قتلَهُ ، فمشَتْ إليهِ مُضَرُ فقالوا أصلحَ اللهُ الأميرَ ، لسانُ مضرَ وشاعرُها ، هبْهُ لنا ، فوهبَهُ لهُم

وكانَتْ هندُ بنتُ أسماءَ بنِ خارجةَ ممَّنْ طلبَ فيهِ ، فقالَتْ للحَجَّاجِ ائذنْ لي فأسمعَ مِنْ قولِهِ ، قالَ نعم ، فأمرَ بمجلسٍ لهُ وجلسَ فيهِ هوَ وهندٌ ، ثمَّ بعثَ إلىٰ جريرٍ ، فدخلَ وهوَ لا يعلمُ بمكانِ الحَجَّاجِ ، فقالَتْ يا بنَ الخَطَفَىٰ ؛ أنشدْني قولَكَ في التشبيبِ ، قالَ : واللهِ ؛ ما شببتُ بامرأةٍ قطُّ ، وما خلقَ اللهُ شيئاً أبغض إليَّ مِنَ النساءِ ، ولٰكنِّي أقولُ في المديحِ ما بلغَكِ ، فإن شئتِ أسمعتُكِ ، قالَتْ يا عدوَّ نفسِهِ ؛ فأينَ قولُكَ [من الكامل]

يَجْرِي ٱلسِّوَاكُ عَلَىٰ أَغَرَّ كَأَنَّهُ بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمَامِ
طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ ٱلْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتَ ٱلزِّيَارَةِ فَٱرْجِعِي بِسَلَامِ

لَوْ كُنْتِ صَادِقَةَ ٱلَّذِي حَدَّثْتِنَا   لَوَصَلْتِ ذَاكَ فَكَانَ غَيْرَ رِمَامِ

قالَ جريرٌ لا واللهِ ؛ ما قلتُ هٰذا ، ولٰكنّي أقولُ (١)   [من الطويل]

لَقَدْ جَرَّدَ ٱلْحَجَّاجُ بِٱلْحَقِّ سَيْفَهُ   أَلَا فَٱسْتَقِيمُوا لَا يَمِيلَنَّ مَائِلُ

وَلَا يَسْتَوِي دَاعِي ٱلضَّلَالَةِ وَٱلْهُدَىٰ   وَلَا حُجَّةُ ٱلْخَصْمَيْنِ حَقٌّ وَبَاطِلُ

فقالَتْ هندٌ دعْ ذا عنكَ ، فأينَ قولُكَ   [من الطويل]

خَلِيلَيَّ لَا تَسْتَشْعِرَا ٱلنَّوْمَ إِنَّنِي   أُعِيذُكُمَا بِٱللهِ أَنْ تَجِدَا وَجْدِي

ظَمِئْتُ إِلَىٰ بَرْدِ ٱلشَّرَابِ وَغَرَّنِي   جَدَا مُزْنَةٍ يُرْجَىٰ جَدَاهَا وَمَا تُجْدِي

قَالَ جريرٌ بل أنا الذي أقولُ (٢)   [من الطويل]

[وَمَنْ] يَأْمَنُ ٱلْحَجَّاجَ أَمَّا عِقَابُهُ   فَمُرٌّ وَأَمَّا عَقْدُهُ فَوَثِيقُ

لَخِفْتُكَ (٣) حَتَّىٰ أَنْزَلَتْنِي مَخَافَتِي   وَقَدْ كَانَ مِنْ دُونِي عَمَايَةُ نِيقُ

يُسِرُّ لَكَ ٱلْبَغْضَاءَ كُلُّ مُنَافِقٍ   كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقُ

قالَتْ دعْ ذا عنكَ ، ولٰكنْ هاتِ قولَكَ (٤)   [من الكامل]

يَا عَاذِلَيَّ دَعَا ٱلْمَلَامَةَ وَٱقْصُرَا   طَالَ ٱلْهَوَىٰ وَأَطَلْتُمَا ٱلتَّفْنِيدَا

إِنِّي وَجَدْتُكِ لَوْ أَرَدْتِ زِيَادَةً   فِي ٱلْحُبِّ مِنِّي مَا وَجَدْتُ مَزِيدَا

أَخْلَيْتِنَا وَصَدَدْتِ أُمَّ مُحَمَّدٍ   أَفَتَجْمَعِينَ خِلَابَةً [وَصُدُودَا]

لَا يَسْتَطِيعُ أَخُو ٱلصَّبَابَةِ أَنْ يُرَىٰ   حَجَراً أَصَمَّ وَأَنْ يَكُونَ حَدِيدَا

---

(١) انظر « ديوان جرير » (١/٤٠٣)

(٢) انظر « ديوان جرير » (١/٣٧٣ ـ ٣٧٤)

(٣) كذا في الأصل ، وفي « ديوان جرير » (وخفتك)

(٤) انظر « ديوان جرير » (١/٣٣٧)

أَتْيَهُ مِنْ فقيدِ ثقيفٍ

قالوا كانَ بالطَّائفِ في أوَّلِ الإسلامِ أخوانِ ، فتَزوَّجَ أحدُهُما امرأةً مِنْ بني كُنَّةَ ، ثمَّ رامَ سفراً ، فأوصى الأخَ بها ، فكانَ يَتعهَّدُها كلَّ يومٍ بنفسِهِ ، وكانَتْ مِنْ أحسنِ الناسِ وجهاً ، فذهبَتْ بقلبِهِ ، فضَنِيَ ، وأخذَتْ قُوَّتُهُ حتىٰ عَجزَ عنِ المشيِ ، ثم عَجزَ عنِ القعودِ

وقدمَ أخوهُ ، فلمَّا رآهُ بتلكَ الحالةِ قالَ ما لكَ يا أخي ؟ ما تجدُ ؟ قالَ ما أجدُ شيئاً غيرَ الضَّعفِ ، فبعثَ أخوهُ إلى الحارثِ بنِ كلدةَ طبيبِ العربِ ، فلمَّا حضرَ لم يجدْ بهِ عِلَّةً مِنْ مرضٍ ، ووقعَ لهُ أنَّ ما بهِ مِنْ عشقٍ ، فدعا بخمرٍ وفتَّ فيها خبزاً فأطعمَهُ إيَّاهُ ، ثم أتبعَهُ بشربةٍ منها ، فتحرَّكَ ساعةً ، ثمَّ نَغَض رأسَهُ ورفعَ عقيرتَهُ بهٰذهِ الأبياتِ [من الهزج]

أَلِمَّا بِي عَلَى ٱلْأَبْيَا ... تِ بِٱلْخَيْفِ نَزُرْهُنَّهْ

غَزَالٌ ثَمَّ يَحْتَلُّ ... بِهَا دُورَ بَنِي كُنَّهْ

غَزَالٌ أَحْوَرُ ٱلْعَيْنَيْـ ... ـنِ فِي مَنْطِقِهِ غُنَّهْ

فعرفَ أنَّهُ عاشقٌ ، فأعادَ عليهِ الخمرَ ، فأنشأَ يقولُ [من مجزوء الخفيف]

أَيُّهَا ٱلْجِيرَةُ ٱسْلَمُوا ... وَقِفُوا كَيْ تَكَلَّمُوا

خَرَجَتْ مُزْنَةٌ مِنَ ٱلْـ ... ـبَحْرِ رَيَّا تَحَمْحَمُ

هِيَ مَا كَنَّتِي وَتَزْ ... عُمُ أَنِّي لَهَا حَمُ

فعرفَ أخوهُ ما بهِ ، فقالَ يا أخي ؛ هيَ طالقٌ ثلاثاً ، فتَزوَّجْها ، فقالَ هيَ طالقٌ يومَ أتزوَّجُها

ثمَّ ثابَ إليهِ ثائبٌ مِنَ العقلِ والقُوَّةِ ، ففارقَ الطائفَ حضراً ، وهامَ في البرِّ

فما رُئِيَ بعدَ ذٰلكَ ، فمكثَ أخوهُ أياماً ، ثمَّ ماتَ كمداً علىٰ أخيهِ ، فضُرِبَ بهِ المثلُ ، وسُمِّيَ فقيدَ ثقيفٍ[1] ، وأمَّا قولُهُم

أَتْيَهُ مِنْ أحمقِ ثقيفٍ

فهٰذا مِنَ التيهِ الذي هوَ الصَّلَفُ ، وأحمقُ ثقيفٍ هوَ يوسفُ بنُ عمرٍو ، وكانَ أميرَ العراقَينِ مِنْ قِبَلِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ ، وكانَ أتيهَ وأحمقَ عربيٍّ أمرَ ونهىٰ في دولةِ الإسلامِ

ومِنْ حمقِهِ أنَّ حَجَّاماً كانَ يَحجُمُهُ ، فلمَّا أرادَ أن يَشرِطَهُ ارتعدَتْ يدُهُ ، فأحسَّ بذٰلكَ يوسفُ ، وكانَ حاجبُهُ قائماً علىٰ رأسِهِ ، فقالَ لهُ قلْ لهٰذا البائسِ لا تخفْ

وكانَ يوسفُ قصيراً جدّاً قميئاً ، فكانَ الخياطُ عندَ قطعِ ثيابِهِ إذا قالَ لهُ يحتاجُ إلىٰ زيادةٍ أكرمَهُ وحباهُ ، وإذا قالَ يفضلُ شيءٌ أهانَهُ وأقصاهُ[2]

ثُكْلٌ أرْأَمَها ولداً

قالَهُ بيهسٌ المُلقَّبُ بنعامةَ لأُمِّهِ حينَ رجعَ إليها بعدَ إخوتِهِ الذين قتلوا

قالَ المُفضَّلُ كانَ مِنْ حديثِ بيهسٍ أنَّهُ كانَ رجلاً مِنْ بني فزارةَ بنِ ذبيانَ بنِ بغيضٍ ، وكانَ سابعَ سبعةِ إخوةٍ ، فأغارَ عليهِم ناسٌ مِنْ أشجعَ بينَهُم وبينَهُم حربٌ وهم في إبلِهِم ، فقتلوا منهم ستةً ، وبقيَ بيهسٌ وكانَ يُحمَّقُ ، وكانَ أصغرَهُم ، فأرادوا قتلَهُ ، ثمَّ قالوا وما تريدونَ مِنْ قتلِ هٰذا ؟! يُحسَبُ عليكُم برجلٍ ولا خيرَ فيهِ ، فتركوهُ ، فقالَ دعوني أتوصَّلْ معَكُم

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٨١ ـ ٣٨٢)
(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٨٢ ـ ٣٨٣)

إلى الحيّ ، فإنَّكُم إن تركتُموني وحدي أكلَتْني السِّباعُ ، وقتلَني العطشُ ، ففعلوا ، فأقبلَ معَهُم

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ نزلوا فنحروا جَزوراً في يوم شديدِ الحرّ ، فقالوا ظلِّلُوا لحمَكُم لا يفسدْ ، فقالَ بيهسٌ لكنَّ بالأثلاثِ لحمٌ لا يُظلَّلُ ، فذهبَتْ مثلاً ، فلمَّا قالَ ذٰلك قالوا إنَّهُ لمُنكِرٌ ، وهمُّوا أن يقتلوهُ ، ثمَّ تركوهُ ، وظلُّوا يشوونَ مِنْ لحمِ الجَزورِ ويأكلونَ ، فقالَ أحدُهُم ما أطيبَ يومَنا وأخصبَهُ ، فقالَ بيهسٌ لكنْ على بَلْدَحَ قومٌ عَجْفَىٰ ، فذهبَتْ مثلاً

ثمَّ انشعبَ طريقُهُم ، فأتىٰ أُمَّهُ فأخبرَها الخبرَ ، قالَتْ فما جاءَني بكَ مِنْ بينِ إخوتِكَ ؟! فقالَ بيهسٌ لو خُيِّرتُ لاخترتُ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ إنَّ أُمَّهُ عطفَتْ عليهِ ورَقَّتْ لهُ ، فقالَ الناسُ لقد أحبَّتْ أمُّ بيهسٍ بيهساً ، فقالَ بيهسٌ ثكلٌ أرأَمَها ولداً ؛ أي عَطَّفَها علىٰ ولدٍ ، فأرسلَها مثلاً

ثمَّ إنَّ أُمَّهُ جعلَتْ تعطيهِ بعدَ ذٰلكَ ثيابَ إخوتِهِ ، فيَلبَسُها ويقولُ يا حبَّذا التراثُ لولا الذِّلةُ ، فأرسلَها مثلاً

ثمَّ إنَّهُ أتىٰ علىٰ ذٰلكَ ما شاءَ اللهُ ، فمرَّ بنسوةٍ مِنْ قومِهِ يصلحنَ امرأةً منهُنَّ يُرِدنَ أن يُهدِينَها لبعضِ القومِ الذينَ قتلوا إخوتَهُ ، فكشفَ ثوبَهُ عنِ استِهِ وغطَّىٰ بهِ رأسَهُ ، فقلنَ لهُ ويحَكَ !! ما تصنعُ يا بيهسُ ؟!

فقالَ [من مشطور الرجز]

اِلْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا

إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

فأرسلَها مثلاً ، ثمَّ أمرَ النساءَ مِنْ كنانةَ وغيرِها فصنعنَ لهُ طعاماً ، فجعلَ يأكلُ ويقولُ حبَّذا كثرةُ الأيدي في غيرِ طعامٍ ، فأرسلَها مثلاً ، فقالَتْ لهُ

أُمُّهُ لا يَطلُبُ هٰذا بثأرٍ أبداً ، فقالَتِ الكنانيةُ لا تأمني الأحمقَ وفي يدِهِ سِكِّينٌ ، فأرسلَتْها مثلاً

ثمَّ إنَّهُ أُخبِرَ أنَّ ناساً مِنْ أشجعَ فِي غارٍ يشربونَ فيهِ ، فانطلقَ بخالٍ لهُ يُقالُ لهُ أبو حنشٍ ، فقالَ لهُ هل لكَ في غارٍ فيهِ ظباءٌ لعلَّنا نصيبُ منها ؟ ويُروىٰ هل لكَ في غنيمةٍ باردةٍ ؟ فأرسلَها مثلاً ، ثمَّ انطلقَ بيهسٌ بخالِهِ حتىٰ أقامَهُ علىٰ فمِ الغارِ ، ثمَّ دفعَ أبا حنشٍ في الغارِ ، فقالَ ضرباً أبا حنشٍ ، فقالَ بعضُهُم إنَّ أبا حنشٍ لبطلٌ ، فقالَ أبو حنشٍ مُكرهٌ أخوكَ لا بطلٌ ، فأرسلَها مثلاً

قالَ المُتلمِّسُ في ذٰلكَ [1] [من الطويل]

وَمَنْ طَلَبَ ٱلْأَوْتَارَ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاض ٱلْمَوْتَ بِٱلسَّيْفِ بَيْهَسُ

نَعَامَةُ لَمَّا صَرَّعَ ٱلْقَوْمُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ [2]

جَرْيُ المُذكِّياتِ غِلابٌ

المُذكِّيةُ مِنَ الخيلِ : التي قد أتىٰ عليها بعدَ قروحِها سنةٌ أو سنتانِ ، والغِلابُ المغالبةُ ؛ أي أنَّ المُذكِّيَ يغالبُ مُجاريَهُ فيَغلِبُهُ لقُوَّتِهِ ، ويجوزُ أن يُرادَ أنَّ ثانيَ جريِهِ أبداً أكثرُ مِنْ باديهِ ، وثالثَهُ أكثرُ مِنْ ثانيهِ ، فكأنَّهُ يغالبُ بالثاني الأوَّلَ ، وبالثالثِ الثانيَ ، فجريُهُ أبداً غِلابٌ ، وهٰذا معنىٰ قولِ أبي عبيدٍ حيثُ قالَ (فهيَ تَحتمِلُ أن تُغالِبَ الجريَ غلاباً) [3]

ويُروىٰ جريُ المُذكِّياتِ غِلاءٌ ، جمعُ غلوةٍ ؛ يعني أنَّ جريَها يكونُ غَلَواتٍ ، ويكونُ شأوُها بطيناً ، لا كالجذعِ

---

(١) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » (ص ١١٣)

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٣٨٩ ـ ٣٩٠)

(٣) الأمثال (ص ١٠٧) للقاسم بن سلام

يُضرَبُ لِمَنْ يُوصَفُ بالتبريزِ علىٰ أقرانِهِ في حلبةِ الفضلِ[١]

جاورينا وٱخبُرينا

قالَ يونسُ كانَ رجلانِ يَتعشَّقانِ امرأةً ، وكانَ أحدُهُما جميلاً وسيماً ، وكانَ الآخَرُ دميماً تَقتحِمُهُ العينُ ، فكانَ الجميلُ منهُما يقولُ عاشرينا وانظري إلينا ، وكانَ الدميمُ يقولُ جاورينا وٱخبُرينا ، فكانَتْ تدني الجميلَ

فقالَتْ لَأختبرَنَّهُما ، فقالَتْ لكلِّ واحدٍ منهُما أن ينحرَ جَزوراً ، فأتتْهُما مُتنكِّرةً ، فبدأَتْ بالجميلِ فوجدَتْهُ عندَ القِدْرِ يَلحَسُ الدَّسمَ ويأكلُ الشحمَ ، ويقولُ احتفظوا كلَّ بيضاءَ ليَةْ ؛ يعني الشحمَ ، فاستطعمَتْهُ ، فأمرَ لها بثِيلِ الجَزورِ ، فوُضِعَ في قصعتِها ، ثمَّ أتتِ الدَّميمَ ، فإذا هوَ يقسمُ لحمَ الجَزورِ ، ويعطي كلَّ مَنْ سألَهُ ، فسألَتْهُ ، فأمرَ لها بأطايبِ الجَزورِ ، فوُضِعَ في قصعتِها ، فرفعَتِ الذي أعطاها ، كلٌّ واحدٍ منهُما علىٰ حدةٍ

فلمَّا أصبحا . غدَوا إليها ، فوضعَتْ بينَ يدَيْ كلِّ واحدٍ منهُما ما أعطاها ، وأقصَتِ الجميلَ ، وقَرَّبَتِ الدَّميمَ ، ويُقالُ إنَّها تَزوَّجَتْهُ

يُضرَبُ في القبيحِ المنظرِ الجميلِ المَخبرِ[٢]

جدعَ الحلالُ أنفَ الغَيرةِ

قالَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ليلةَ زُفَّتْ فاطمةُ إلىٰ عليٍّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُما ، وهٰذا حديثٌ يُروىٰ عنِ الحَجَّاجِ بنِ منهالٍ يَرفعُهُ[٣]

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٠٥)
(٢) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤١٤)
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤١٧)

جَوِّعْ كلبَكَ يَتبعْكَ

ويُروىٰ أجعْ كلبَكَ ، وكلاهُما يُضرَبُ في معاشرةِ اللِّئامِ وما ينبغي أن يُعامَلوا بهِ

قالَ المُفضَّلُ أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ ملكٌ مِنْ ملوكِ حِمْيرَ ، كانَ عنيفاً علىٰ أهلِ مملكتِهِ ، يَغصِبُهُم أموالَهُم ، ويَسلُبُهُم ما في أيديهِم ، وكانَتِ الكَهَنَةُ تُخبِرُهُ [أنَّهُم] سيقتلونَهُ ، فلا يَحفِلُ بذٰلكَ ، وإنَّ امرأتَهُ سمعَتْ أصواتَ [السُّؤَّالِ] ، فقالَتْ إنِّي لَأرحمُ هٰؤلاءِ لِمَا يَلقَونَ مِنَ الجَهدِ ونحنُ في العيشِ الرَّغدِ ، وإنِّي لَأخافُ عليكَ أن يصيروا سِباعاً ، وقد كانوا لنا أتباعاً ، فردَّ عليها جَوِّعْ كلبَكَ يتبعْكَ ، وأرسلَها مثلاً

فلبثَ بذٰلكَ زماناً ، ثمَّ أغزاهُم ، فغنموا ، ولم يَقسِمْ فيهِم شيئاً ، فلمَّا خرجوا مِنْ عندِهِ قالوا لأخيهِ وهوَ أميرُهُم قد ترىٰ ما نحنُ فيهِ مِنَ الجَهدِ ، ونحنُ نكرهُ خروجَ المُلْكِ منكم أهلَ البيتِ إلىٰ غيرِكُم ، فساعدْنا علىٰ قتلِ أخيكَ واجلسْ مكانَهُ ، وكانَ قد عرفَ بغيَهُ واعتداءَهُ عليهِم ، فأجابَهُم إلىٰ ذٰلكَ ، فوثبوا عليهِ فقتلوهُ ، فمرَّ بهِ عامرُ بنُ جذيمةَ وهوَ مقتولٌ وقد سمعَ بقولِهِ جَوِّعْ كلبَكَ يتبعْكَ ، فقالَ ربَّما أكلَ الكلبُ مُؤدِّبَهُ إذا لم ينلْ شبعَهُ ، فأرسلَها مثلاً[1]

أجناؤُها أبناؤُها

قالَ أبو عبيدٍ (الأجناءُ همُ الجُناةُ ، والأبناءُ البُناةُ ، والواحدُ جانٍ وبانٍ ، وهٰذا جمعٌ عزيزٌ في الكلامِ أن يُجمَعَ « فاعلٌ » علىٰ « أفعالٍ » ، قالَ وأصلُ المثلِ أنَّ ملكاً مِنْ ملوكِ اليمن غزا وخَلَّفَ بنتاً ، وأنَّ ابنتَهُ أحدثَتْ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٢١ ـ ٤٢٢)

بعدَهُ بنياناً قد كانَ أبوها يكرهُهُ ، وإنَّما فعلَتْ ذٰلكَ برأيِ قومٍ مِنْ أهلِ مملكتِهِ أشاروا عليها وزينوهُ عندَها ، فلمَّا قدمَ الملكُ وأُخبِرَ بمشورةِ أولٰئكَ ورأيِهِم أمرَهُم بأعيانِهِم أن يَهدِموهُ ، وقالَ عندَ ذٰلكَ أجناؤُها أبناؤُها ، فذهبَتْ مثلاً)[١]

يُضرَبُ في سوءِ المشورةِ والرأيِ ، وللرجلِ يعملُ الشيءَ بغيرِ رويَّةٍ ثُمَّ يحتاجُ إلىٰ نقضِ ما عملَ وإفسادِهِ ، ومعنى المثلِ أنَّ الذين جنَوا علىٰ هٰذهِ الدارِ بالهدمِ همُ الذينَ عَمَرُوها بالبناءِ

الجَرْعُ أرْوىٰ ، والرشيفُ أنقعُ

الرَّشْفُ والرَّشيفُ المَصُّ للماءِ ، **والجَرْعُ** بَلعُهُ ، **والنَّقْعُ** تسكينُ الماءِ للعطشِ ؛ أي أنَّ الشرابَ الذي يُترشَّفُ قليلاً قليلاً أقطعُ للعطشِ وأنجعُ ، وإن كانَ فيهِ بطءٌ ، وقولُهُ (أروىٰ) أي أسرعُ رِيّاً ، وقولُهُ (أنقعُ) أي أثبتُ وأدومُ رِيّاً ؛ مِنْ قولِهِم سمٌّ ناقعٌ ؛ أي ثابتٌ

يُضرَبُ لِمَنْ يقعُ في غنيمةٍ ، فيُؤمَرُ بالمبادرةِ والاقتطاعِ لِمَا قَدَرَ عليهِ قبلَ أن يأتيَهُ مَنْ ينازعُهُ ، وقيلَ معناهُ أنَّ الاقتصادَ في المعيشةِ أبلغُ وأدومُ مِنَ الإسرافِ فيها

الجارُ ثمَّ الدارُ

هٰذا كقولِهِم الرفيقُ قبلَ الطريقِ ، وكلاهُما يُروىٰ عَنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ[٢]

---

(١) الأمثال (ص ٣٠٢) للقاسم بن سلام

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤/٢٦٨ ـ ٢٦٩) عن سيدنا رافع بن خَديج رضي الله عنه

قالَ أبو عبيدٍ   كانَ بعضُ فقهاءِ أهلِ الشامِ يُحدِّثُ بهـٰذا الحديثِ ويقولُ معناهُ   إذا أردتَ شراءَ دارٍ   فسلْ عن جوارِها قبلَ شرائِها

جفَّ حِجْرُكِ وطابَ نَشْرُكِ ، أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قَمْشاً

قالَ يونسُ بنُ حبيبٍ : كانَ مِنْ حديثِ هـٰذَينِ المثلَينِ   أنَّ امرأةً زارَتْها بنتُ أخيها وبنتُ أختِها ، فأحسنَتْ تزويرَهُما ، فلمَّا كانَ عندَ رجوعِهِما   قالَتْ لابنةِ أخيها   جفَّ حِجْرُكِ وطابَ نَشْرُكِ ، فسُرَّتِ الجاريةُ بما قالَتْ لها عمَّتُها ، وقالَتْ لابنةِ أختِها   أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قَمْشاً ، فوجدَتْ بذٰلكَ الصبيةُ وشقَّ عليها ما قالَتْ لها خالتُها

فانطلقَتْ بنتُ الأخِ إلىٰ أُمِّها مسرورةً ، فقالَتْ لها أمُّها   ما قالَتْ لكِ عمَّتُكِ ؟ فقالَتْ   قالَتْ لي خيراً ، ودعَتْ لي ، قالَتْ   وكيفَ قالَتْ لكِ ؟ قالَتْ   قالَتْ   جَفَّ حِجرُكِ وطابَ نشرُكِ ، قالَتْ   أيْ بنيةُ ؛ ما دعَتْ لكِ بخيرٍ ، ولـٰكنْ دعَتْ بألَّا تَشمِّي ولداً أبداً فيَبَلَّ حِجرَكِ ويُغيِّرَ نشرَكِ

وانطلقَتِ الأخرىٰ إلىٰ أُمِّها ، فقالَتْ لها أُمُّها   ما قالَتْ لكِ خالتُكِ ؟ قالَتْ   وما عسىٰ أن تقولَ لي !! دعَتِ اللهَ عليَّ ، قالَتْ   وكيفَ قالَتْ لكِ ؟ قالَتْ   قالَتْ   أكلتِ دَهْشاً وحطبتِ قَمْشاً ، قالَتْ   بل دعَتِ اللهَ لكِ يا بنيةُ أن يكثرَ ولدُكِ فينازعوكِ في المالِ ، ويُقمِّشوكِ حطباً[1]

حرِّكْ لها حُوَارَها   تحنَّ

الحُوَارُ   ولدُ الناقةِ ، والجمعُ القليلُ   أَحوِرةٌ ، والكثيرُ   حُورانٌ وحِيرانٌ ،

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٣٧ ـ ٤٣٨)

ولا يزالُ حُواراً حتىٰ يُفصَلَ ، فإذا فُصِلَ عن أُمّهِ فهوَ فصيلٌ

ومعنى المثلِ ذَكِّرْهُ بعض أشجانِهِ [يَهِجْ] لهُ ، وهـٰذا لمثلٍ قالَهُ عمرُو بنُ العاصِ لمعاويةَ حينَ أرادَ أن يستنصرَ أهلَ الشامِ (١)

حسبُك مِنْ شرٍّ سماعُهُ

أي اكتفِ مِنَ الشرِّ بسماعِهِ ، ولا تعاينْهُ ، ويجوزُ أن يريدَ يكفيكَ سماعُ الشرِّ وإن لم تُقدِمْ عليهِ ولم تُنسَبْ إليهِ

قالَ أبو عبيدٍ (أخبرَني هشامُ بنُ الكلبيِّ أنَّ المثلَ لأُمِّ الربيعِ بنِ زيادٍ العبسيِّ ؛ وذٰلكَ أنَّ ابنَها الربيعَ كانَ أخذَ مِنْ قيسِ بنِ زهيرِ بنِ جذيمةَ درعاً ، فعَرَض قيسٌ لأُمِّ الربيعِ وهيَ علىٰ راحلتِها في مسيرٍ لها ، فأرادَ أن يذهبَ بها ليرتهنَها بالدِّرعِ ، فقالَتْ لهُ أينَ عَزَبَ عنكَ عقلُكَ يا قيسُ ؟! أترىٰ بني زيادٍ مصالحيكَ وقد ذهبتَ بأُمِّهِم يميناً وشمالاً ، وقالَ الناسُ ما قالوا أو شاؤوا ، وإنَّ حسبَكَ مِنْ شرٍّ سماعُهُ ، فذهبَتْ كلمتُها مثلاً ، تقولُ كفىٰ بالمقالةِ عاراً وإن كانَ باطلاً) (٢)

يُضرَبُ عندَ العارِ والمَقالةِ السيئةِ ، وما يُخافُ منها

وقالَ بعضُ النساءِ الشواعرِ [من مجزوء الكامل]

سَائِلْ بِنَا فِي قَوْمِنَا وَلْيَكْفِ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهْ

وكانَ المُفضَّلُ فيما حُكِيَ عنهُ يذكرُ هـٰذا الحديثَ ، ويُسمِّي أُمَّ الربيعِ ويقولُ هيَ فاطمةُ بنتُ الخُرْشُبِ ، مِنْ بني أنمارِ بنِ بغيضٍ (٣)

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٧٩)

(٢) الأمثال (ص ٧٢) للقاسم بن سلام

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٨٦)

حِلْمي أصمُّ وأُذُني غيرُ صمَّاءَ

أي أُعرِضُ عنِ الخَنا بحِلمي ، وإن سمعتُهُ بأُذُني [١]

حسبُكَ مِنْ غنىً شبعٌ وريٌّ

أيِ اقنعْ مِنَ الغنىٰ بما يُشبِعُكَ ويُرْويكَ ، وجُدْ بما فضلَ ، وهـٰذا المثلُ لامرئِ القيسِ ، يذكرُ مِعْزىٰ كانَتْ لهُ ، فيقولُ [٢] [من الوافر]

إِذَا مَـا لَـمْ تَـكُـنْ إِبِـلٌ فَـمِـعْـزَىٰ   كَـأَنَّ قُـرُونَ جِـلَّـتِـهَـا ٱلْـعِـصِـيُّ
فَـتَـمْـلأُ بَـيْـتَـنَـا أَقِـطاً وَسَـمْـنـاً   وَحَـسْـبُـكَ مِـنْ غِـنـىً شِـبَـعٌ وَرِيُّ

قالَ أبو عبيدٍ (وهـٰذا يَحتمِلُ معنيَينِ أحدُهُما يقولُ أعطِ كلَّ ما كانَ لكَ وراءَ الشِّبَعِ والرِّيِّ ، والآخَرُ : القناعةُ باليسيرِ ، يقولُ : اكتفِ بهِ ، ولا تطلبْ ما سوىٰ ذٰلكَ) [٣]

والأوَّلُ الوجهُ ؛ لقولِهِ في شعرٍ لهُ آخَرَ ؛ وهوَ [٤] [من الطويل]

وَلَوْ أَنَّـمَـا أَسْـعَـىٰ لِأَدْنَـىٰ مَعِيشَـةٍ   كَفَانِي ـ وَلَمْ أَطْلُبْ ـ قَلِيلٌ مِنَ ٱلْمَالِ
وَلَـٰكِنَّمَا أَسْـعَـىٰ لِـمَـجْـدٍ مُـؤَثَّـلٍ   وَقَدْ يُدْرِكُ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي
وَمَا ٱلْمَرْءُ مَا دَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ   بِـمُـدْرِكِ أَطْرَافِ ٱلْـخُـطُـوبِ وَلَا آلِ

فقد أخبرَ ببُعْدِ هِمَّتِهِ وقَدْرِهِ في نفسِهِ [٥]

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٨٨)
(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٣٦ ـ ١٣٧)
(٣) الأمثال (ص ١٦٧) للقاسم بن سلام
(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣٩)
(٥) انظر « مجمع الأمثال » (١/٤٨٩ ـ ٤٩٠)

الحديثُ ذو شُجونٍ

أي ذو طُرُقٍ ، الواحدُ شَجْنٌ بسكونِ الجيمِ ، والشَّواجنُ أوديةٌ كثيرةُ الشجرِ ، الواحدةُ شاجنةٌ ، وأصلُ هٰذهِ الكلمةِ الاتصالُ والالتفافُ ، ومنهُ الشَّجْنةُ والشُّجْنة الشجرةُ المُلتفَّةُ الأغصانِ

يُضرَبُ هٰذا المثلُ في الحديثِ يُتذكَّرُ بهِ غيرُهُ ، وقد نظمَ الشيخُ أبو بكرٍ عليُّ بنُ الحسينِ القُهُسْتَانيُّ هٰذا المثلَ ومثلاً آخَرَ في بيتٍ واحدٍ ، وأحسنَ ما شاءَ ؛ وهوَ [من الطويل]

تَـذَكَّـرَ نَـجْـداً وَٱلْـحَـدِيـثُ شُـجُـونُ فَـجُـنَّ ٱشْـتِـيـاقـاً وَٱلْـجُـنُـونُ فُـنُـونُ

وأوَّلُ مَنْ قالَ هٰذا المثلَ ضبةُ بنُ أُدِّ بنِ طابخةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ ، وكانَ لهُ ابنانِ ؛ يُقالُ لأحدِهما سعدٌ ، وللآخَرِ سعيدٌ ، فنَفَرَتْ إبلٌ لضَبَّةَ تحتَ الليلِ ، فوَجَّهَ ابنَيهِ في طلبِها ، فتَفرَّقا ، فوجدَها سعدٌ فردَّها ، ومضىٰ سعيدٌ في طلبِها ، فلقيَهُ الحارثُ بنُ كعبٍ وكانَ على الغلامِ بردانِ ، فسألَهُ الحارثُ إيَّاهُما ، فأبىٰ عليهِ ، فقتلَهُ وأخذَ بردَيهِ ، فكانَ ضَبَّةُ إذا أمسىٰ فرأىٰ تحتَ الليلِ سواداً قالَ أسعدٌ أم سعيدٌ ؟ فذهبَ قولُهُ مثلاً يُضرَبُ في النجاحِ والخيبةِ ، فمكثَ ضَبَّةُ بذٰلكَ ما شاءَ اللهُ أن يمكثَ

ثُمَّ إنَّهُ حَجَّ ، فوافىٰ عكاظَ ، فلقيَ بها الحارثَ بنَ كعبٍ ، ورأىٰ عليهِ بردَي ابنِهِ سعيدٍ ، فعرفَهُما ، فقالَ لهُ هل أنتَ مخبري ما هٰذانِ البردانِ اللَّذانِ عليكَ ؟ قالَ بلىٰ ، لقيتُ غلاماً وهما عليهِ ، فسألتُهُ إيَّاهُما ، فأبىٰ عليَّ ، فقتلتُهُ وأخذتُ بردَيهِ هٰذَينِ ، فقالَ ضَبَّةُ بسيفِكَ هٰذا ؟ قالَ نعم ، فقالَ فأعطنيهِ أنظرْ إليهِ ؛ فإنِّي أظنُّهُ صارماً ، فأعطاهُ الحارثُ سيفَهُ ، فلمَّا أخذَهُ مِنْ يدِهِ هَزَّهُ وقالَ الحديثُ ذو شجونٍ ، ثُمَّ ضربَهُ بهِ حتىٰ قتلَهُ ، فقيلَ لهُ يا ضَبَّةُ ؛ أفي الشهرِ الحرامِ ؟! فقالَ سبقَ السيفُ العَذَلَ ،

فهوَ أوّلُ مَنْ سارَ عنهُ هـٰذهِ الأمثالُ الثلاثةُ ، قالَ الفرزدقُ[1] [من الطويل]

[وَلَا] تَأْمَنَنَّ ٱلْحَرْبَ إِنَّ ٱسْتِعَارَهَا كَضَبَّةَ إِذْ قَالَ ٱلْحَدِيثُ شُجُونُ[2]

الحزمُ حفظُ ما كُلِّفتَ ، وتركُ ما كُفِيتَ

هـٰذا مِنْ كلامِ أكثمَ بنِ صيفيّ ، وقريبٌ مِنْ هـٰذا قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ ٱلْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ »[3]

خذِ الأمرَ بقوابلِهِ

أي بمُقدّماتِهِ ؛ يعني دَبّرْهُ قبلَ أن يفوتَكَ تدبيرُهُ ، والباءُ بمعنىٰ (في) أي فيما يَستقبلُكَ منهُ ، يُقالُ قَبَلَ الشيءُ وأقبلَ

يُضرَبُ في الأمرِ باستقبالِ الأمورِ[4]

خطبٌ يسيرٌ في خطبٍ كبيرٍ

قالَهُ قصيرُ بنُ سعدٍ اللخميُّ لجَذِيمةَ بنِ مالكِ بنِ نصرٍ ، الذي يُقالُ لهُ جَذِيمةُ الأبرشُ ، وجَذِيمةُ الوضَّاحُ ، والعربُ تقولُ للذي بهِ البَرَصُ : بهِ وَضَحٌ ؛ تفادياً مِنْ ذكرِ البرصِ

وكانَ جَذِيمةُ مَلَكَ ما علىٰ شاطئِ الفراتِ ، وكانَتِ الزَّبّاءُ ملكةَ الجزيرةِ ، وكانَتْ مِنْ أهلِ باجَرْمىٰ ، وتَتكلَّمُ بالعربيةِ ، وكانَ جَذِيمةُ قد وَتَرَها بقتلِ أبيها

---

(١) انظر « ديوان الفرزدق » (٥٩٦/٢)

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٤٩٣/١ ـ ٤٩٤)

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٤) انظر « مجمع الأمثال » (٥٦٨/١)

فلمَّا استجمعَ أمرُها ، وانتظمَ شملُ مُلْكِها أحبَّتْ أن تغزوَ جَذِيمةَ ، ثمَّ رأتْ أن تكتبَ إليهِ أنَّها لم تجدْ مُلْكَ النساءِ إلَّا قبحاً في السماعِ ، وضَعفاً في السُّلطانِ ، وأنَّها لم تجدْ لمُلْكِها موضعاً ولا لنفسِها كُفُؤاً غيرَكَ ، فأَقبِلْ إليَّ لأجمعَ مُلْكي إلىٰ مُلْكِكَ ، وأصلَ بلادي ببلادِكَ ، وتُقلِّدَ أمري معَ أمرِكَ ، تريدُ بذٰلكَ الغدرَ

فلمَّا أتىٰ كتابُها جذيمةَ وقَدِمَ عليهِ رسلُها استخفَّهُ ما دعتْهُ إليهِ ، ورغبَ فيما أطمعَتْهُ فيهِ ، فجمعَ أهلَ الحِجا والرأيِ مِنْ ثقاتِهِ وهوَ يومَئذٍ ببَقَّةَ مِنْ شاطئِ الفراتِ ، فعَرَض عليهِم ما دعتْهُ إليهِ وعرضَتْ عليهِ ، فاجتمعَ رأيُهُم علىٰ أن يسيرَ إليها فيستوليَ علىٰ مُلْكِها ، وكانَ فيهِم قصيرٌ ، وكانَ أريباً حازماً أثيراً عندَ جَذِيمةَ ، فخالفَهُم فيما أشاروا بهِ ، وقالَ رأيٌ فاترٌ ، وغدرٌ حاضرٌ ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً

ثمَّ قالَ لجَذِيمةَ الرأيُ أن تكتبَ إليها ، فإن كانَتْ صادقةً في قولِها فلتُقبِلْ إليكَ ، وإلَّا لم تُمكِّنْها مِنْ نفسِكَ ، ولم تقعْ في حبالتِها وقد وتَرتَها وقتلتَ أباها ، فلم يوافقْ جَذِيمةَ ما أشارَ بهِ ، فقالَ قصيرٌ [من البسيط]

إنِّي ٱمْرُؤٌ لَا يُمِيلُ ٱلْعَجْزُ تَرْوِيَتِي ... إذَا أَتَتْ دُونَ شَيْءٍ مِرَّةُ ٱلْوَذَمِ

فقالَ جَذِيمةُ لا ، ولٰكنَّكَ امرؤٌ رأيُكَ في الكِنِّ لا في الضِّحِّ ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً ، ودعا جذيمةُ عمرَو بنَ عديٍّ ابنَ أختِهِ ، فاستشارَهُ ، فشَجَّعَهُ على المسيرِ وقالَ إنَّ قومي معَ الزَّبَّاءِ ، ولو قد رأَوْكَ صاروا معَكَ ، فأحبَّ جذيمةُ ما قالَهُ ، وعصىٰ قصيراً ، فقالَ قصيرٌ لا يُطاعُ لقصيرٍ أمرٌ ، فذهبَتْ مثلاً ، واستخلفَ جذيمةُ عمرَو بنَ عديٍّ علىٰ ملكِهِ وسلطانِهِ ، وجعلَ عمرَو بنَ عبدِ الجنِّ معَهُ علىٰ جنودِهِ وخيولِهِ

وسارَ جذيمةُ في وجوهِ أصحابِهِ ، فأخذَ علىٰ شاطئِ الفراتِ مِنَ الجانبِ

الغربيِّ ، فلمَّا نزلَ دعا قصيراً فقالَ ما الرأيُ يا قصيرُ ؟ قالَ قصيرٌ ببَقَّةَ خَلَّفتَ الرأيَ ، فذهبَتْ مثلاً ، قالَ وما ظنُّكَ بالزَّبَّاءِ ؟ قالَ القولُ رِدافٌ ، والحَزْمُ عَثَرَاتُهُ تُخافُ ، فذهبَتْ مثلاً ، واستقبلَهُ رسلُ الزَّبَّاءِ بالهدايا والألطافِ ، فقالَ يا قصيرُ ؛ كيفَ ترىٰ ؟ قالَ خَطْبٌ يسيرٌ في خَطْبٍ كبيرٍ ، فذهبَتْ مثلاً ، وستلقاكَ الخيولُ ، فإن سارَتْ أمامَكَ فالمرأةُ صادقةٌ ، وإن أخذَتْ جنبتَيكَ وأحاطَتْ بكَ مِنْ خلفِكَ . فالقومُ غادرونَ بكَ ، فاركبِ العصا ، فإنَّهُ لا يُشَقُّ غبارُها ، فذهبَتْ مثلاً ، وكانَتِ العصا فرساً لجَذِيمةَ لا تُجارىٰ ، وإنِّي راكبُها ومسايرُكَ عليها

فلقيَتْهُ الخيولُ والكتائبُ ، فحالَتْ بينَهُ وبينَ العصا ، فركبَها قصيرٌ ونظرَ إليهِ جذيمةُ علىٰ متنِ العصا مُولِّياً ، فقالَ [وَيْلُمِّهِ] حزماً علىٰ متنِ العصا ، فذهبَتْ مثلاً ، وجرتْ بهِ إلىٰ غروبِ الشمسِ ، ثُمَّ نفقَتْ وقد قطعَتْ أرضاً بعيدةً ، فبنىٰ عليها برجاً يُقالُ لهُ برجُ العصا ، وقالَتِ العربُ خيرٌ ما جاءَتْ بهِ العصا ، فذهبَتْ مثلاً

وسارَ جَذِيمةُ وقد أحاطَتْ بهِ الخيلُ حتىٰ دخلَ على الزَّبَّاءِ ، فلمَّا رأتْهُ تَكشَّفَتْ ، فإذا هيَ مضفورةُ الإسْبِ ، فقالَتْ يا جذيمةُ ؛ أدأبَ عروسٍ ترىٰ ؟! فذهبَتْ مثلاً ، فقالَ جذيمةُ بلغَ المدىٰ ، وجفَّ الثرىٰ ، وأمرَ غدرٍ أرىٰ ، فذهبَتْ مثلاً ، ودعَتْ بالسيفِ والنِّطعِ ، ثُمَّ قالَتْ إنَّ دماءَ الملوكِ شفاءٌ مِنَ الكَلَبِ ، فأمرَتْ بطَسْتٍ مِنْ ذهبٍ قد أعدَّتْهُ لهُ ، فسقتْهُ الخمرَ حتىٰ سكرَ وأخذَتِ الخمرُ منهُ مأخذَها ، فأمرَتْ براهِشَيْهِ فقُطِعا ، وقدَّمَتْ إليهِ الطَّسْتَ ، وقد قيلَ لها إن قطرَ مِنْ دمِهِ شيءٌ في غيرِ الطَّسْتِ طُلِبَ بدمِهِ ، وكانَتِ الملوكُ لا تُقتَلُ بضربِ الأعناقِ إلَّا في القتالِ ؛ تَكرِمةً للملكِ ، فلمَّا ضعفَتْ يداهُ سقطتا ، فقطرَ مِنْ دمِهِ في غيرِ الطَّسْتِ ، فقالَتْ لا تُضيِّعوا دمَ الملكِ ، فقالَ جذيمةُ دعوا دماً ضيَّعَهُ أهلُهُ ، فذهبَتْ مثلاً

فهلكَ جذيمةُ ، وجعلَتِ الزَّبَّاءُ دمَهُ في ربعةٍ لها ، وخرجَ قصيرٌ مِنَ الحيِّ الذي هلكَتِ العصا بينَ أظهرِهِم حتىٰ قدمَ علىٰ عمرِو بنِ عديٍّ وهوَ بالحِيرةِ ، فقالَ لهُ قصيرٌ أثائرٌ أنتَ ؟ قالَ بل ثائرٌ سائرٌ ، فذهبَتْ مثلاً ، ووافقَ قصيرٌ الناسَ وقدِ اختلفوا ، فصارَتْ طائفةٌ معَ عمرِو بنِ عديٍّ اللخميِّ ، وجماعةٌ منهُم معَ عمرِو بنِ عبدِ الجنِّ الجرميِّ ، فاختلفَ بينَهُما قصيرٌ حتى اصطلحا وانقادَ عمرُو بنُ عبدِ الجنِّ لعمرِو بنِ عديٍّ ، فقالَ قصيرٌ لعمرِو بنِ عديٍّ تَهيَّأْ واستعدَّ ، ولا تُطِلَّنَّ دمَ خالِكَ ، قالَ وكيفَ لي بها وهيَ أمنعُ مِنْ عُقَابِ الجَوِّ ؟! فذهبَتْ مثلاً

وكانَتِ الزَّبَّاءُ سألَتْ كاهنةً لها عن هلاكِها ، فقالَتْ أرىٰ هلاكَكِ بسببِ غلامٍ مَهينٍ غيرِ أمينٍ ، وهوَ عمرُو بنُ عديٍّ ، ولن تموتي بيدِهِ ، ولٰكنْ حتفُكِ بيدِكِ ، ومِنْ قبلِهِ ما يكونُ ذٰلكَ ، فحَذِرَتْ عمراً ، واتخذَتْ لها نفقاً مِنْ مجلسِها الذي كانَتْ تجلسُ فيهِ إلىٰ حصنٍ لها في داخلِ مدينتِها ، وقالَتْ إن فجأَني أمرٌ دخلتُ النفقَ إلىٰ حصني ، ودعتْ رجلاً مُصوِّراً مِنْ أجودِ أهلِ بلادِهِم تصويراً ، وأحسنِهِم عملاً ، فجهَّزَتْهُ وأحسنَتْ إليهِ ، وقالَتْ سِرْ حتىٰ تَقدَمَ علىٰ عمرِو بنِ عديٍّ مُتنكِّراً ، فتخلوَ بحشمِهِ وتَنضمَّ إليهِم وتُخالطَهُم ، وتُعلِمَهُم ما عندَكَ مِنَ العِلمِ بالصُّورِ ، ثمَّ أثبتْ لي عمرَو بنَ عديٍّ معرفةً ، فصوِّرْهُ جالساً وقائماً وراكباً ومُتفضِّلاً ومُتسلِّحاً بهيئتِهِ ولُبستِهِ ولونِهِ ، فإذا أحكمتَ ذٰلكَ فأقبلْ إليَّ

فانطلقَ المُصوِّرُ حتىٰ قدمَ علىٰ عمرِو بنِ عديٍّ ، وصنعَ ما أمرَتْهُ بهِ الزَّبَّاءُ ، وبلغَ مِنْ ذٰلكَ ما أوصتْهُ بهِ ، ثمَّ رجعَ إلى الزَّبَّاءِ بعملِ ما وَجَّهَتْهُ لهُ مِنَ الصورةِ علىٰ ما وصفَتْ وأرادَتْ أن تَعرِفَ عمرَو بنَ عديٍّ ، فلا تراهُ علىٰ حالٍ إلَّا عرفَتْهُ وحَذِرَتْهُ وعلمَتْ علمَهُ

فقالَ قصيرٌ لعمرِو بنِ عديٍ : اجدعْ أنفي ، واضربْ ظهري ، ودعْني وإيَّاها ،

فقالَ عمرٌو ما أنا بفاعلٍ ، وما أنتَ لذٰلكَ مُستحِقّاً عندي ، فقالَ قصيرٌ خلِّ عنِّي إذاً وخلاكَ ذمٌّ ، فذهبت مثلاً ، فقالَ لهُ عمرٌو فأنت أبصرُ ، فجدعَ قصيرٌ أنفَهُ وأثَّرَ آثاراً بظهرِهِ ، فقالَتِ العربُ لمكرٍ ما جدعَ قصيرٌ أنفَهُ ، وفي ذٰلكَ يقولُ المُتلمِّسُ (١) [من الطويل]

وَفِي طَلَبِ ٱلْأَوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَرَامَ ٱلْمَوْتَ بِٱلسَّيْفِ بَيْهَسُ

ثمَّ خرجَ قصيرٌ كأنَّهُ هاربٌ ، وأظهرَ أنَّ عمراً فعلَ ذٰلكَ بهِ ، وأنَّهُ زعمَ أنَّهُ مَكَرَ بخالِهِ جذيمةَ وغَرَّهُ مِنَ الزَّبَّاءِ ، فسارَ قصيرٌ حتىٰ قدمَ على الزَّبَّاءِ ، فقيلَ لها إنَّ قصيراً بالبابِ فأمرَتْ بهِ ، فأُدخِلَ عليها ، فإذا أنفُهُ قد جُدِعَ ، وظهرُهُ قد ضُرِبَ ، فقالَتْ ما الذي أرىٰ بكَ يا قصيرُ ؟! قالَ زعمَ عمرٌو أنِّي قد غررتُ خالَهُ ، وزيَّنتُ لهُ المصيرَ إليكِ وغششتُهُ ومالأتُكِ ، ففعلَ بي ما ترينَ ، فأقبلتُ إليكِ وعرفتُ أنِّي لا أكونُ معَ أحدٍ هوَ أثقلُ عليهِ منكِ ، فأكرمَتْهُ وأصابَتْ عندَهُ مِنَ الحزمِ والرأيِ ما أرادَتْ

فلمَّا عرفَ أنَّها استرسلَتْ إليهِ ، ووثقَتْ بهِ قالَ إنَّ لي بالعراقِ أموالاً كثيرةً وطرائفَ وثياباً وعطراً ، فابعثيني إلى العراقِ لأحملَ مالي وأحملَ إليكِ مِنْ بزوزِها وطرائفِها وثيابِها وطيبِها ، وتصيبينَ في ذٰلكَ أرباحاً عظاماً ، وبعض ما لا غنىٰ بالملوكِ عنهُ ، وكانَ أكثرُ ما يُطرِفُها مِنَ التمرِ الصَّرَفانَ ، وكانَ يعجبُها ، فلم يزلْ يُزيِّنُ ذٰلكَ حتىٰ أذنَتْ لهُ ، ودفعَتْ لهُ أموالاً ، وجهَّزَتْ معَهُ عبيداً

فسارَ قصيرٌ بما دفعَتْ إليهِ حتىٰ قدمَ العراقَ ، وأتى الحِيرةَ مُتنكِّراً ، فدخلَ علىٰ عمرٍو فأخبرَهُ الخبرَ ، وقالَ جهِّزْني بصنوفِ البَزِّ والأمتعةِ ، لعلَّ اللهَ يُمكِّنُ مِنَ الزَّبَّاءِ فتصيبَ ثأرَكَ ، وتقتلَ عدوَّكَ ، فأعطاهُ حاجتَهُ ، فرجعَ بذٰلكَ

---

(١) تقدم (٨٧/٣)

إلى الزَّبَّاءِ ، فأعجبَها ما رأَتْ وسرَّها ، وازدادَتْ بهِ ثقةً ، وجَهَّزَتْهُ ثانيةً ، فسارَ حتىٰ قدمَ علىٰ عمرٍو ، فجَهَّزَهُ وعادَ إليها

ثمَّ عادَ الثالثةَ وقالَ لعمرٍو : اجمعْ لي ثقاتِ أصحابِكَ ، وهَيِّئِ الغرائرَ والمُسوحَ ، واحملْ كلَّ رجلَينِ علىٰ بعيرٍ في غرارتَينِ ، فإذا دخلوا مدينةَ الزَّبَّاءِ أقمتُكَ علىٰ بابِ نفقِها ، وخرجَتِ الرجالُ مِنَ الغرائرِ ، فصاحوا بأهلِ المدينةِ ، فمَنْ قاتلَهُم قتلوهُ ، وإن أقبلَتِ الزَّبَّاءُ تريدُ النفقَ جَلَّلتَها بالسيفِ

ففعلَ عمرٌو ذٰلكَ ، وحملَ الرجالَ في الغرائرِ بالسلاحِ ، وسارَ يَكمُنُ النهارَ ويسيرُ الليلَ ، فلمَّا صارَ قريباً مِنْ مدينتِها تَقدَّمَ قصيرٌ ، فبَشَّرَها وأعلمَها بما جاءَ بهِ مِنَ المتاعِ والطَّرائفِ ، وقالَ لها آخِرُ البزِّ على القَلوصِ ، فأرسلَها مثلاً ، وسألَها أن تَخرجَ فتنظرَ إلىٰ ما جاءَ بهِ ، وقالَ لها جئتُ بما صاءَ وصمَتْ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ خرجَتِ الزبَّاءُ ، فأبصرَتِ الإبلَ تكادُ قوائمُها تَسوخُ في الأرضِ مِنْ ثقلِ أحمالِها ، فقالَتْ يا قصيرُ [من مشطور الرجز]

مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدَا

أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا

[أَمْ] صَرَفَاناً تَارِزاً شَدِيدَا

فقالَ قصيرٌ في نفسِهِ

بَلِ ٱلرِّجَالُ قُبَّضاً قُعُودَا

فدخلَتِ الإبلُ المدينةَ ، حتىٰ كانَ آخِرُها بعيراً مرَّ علىٰ بَوَّابِ المدينةِ ، وكانَ بيدِهِ مِنخسةٌ ، فنخسَ بها الغرارةَ ، فأصابَتْ خاصرةَ الرجلِ الذي فيها فضرطَ ، فقالَ البوَّابُ بالروميَّةِ (بشنب ساقاً) يقولُ شرٌّ في الجوالقِ ،

فأرسلَها مثلاً ، فلمَّا تَوسَّطَتِ الإبلُ المدينةَ أُنيخَتْ ، ودلَّ قصيرٌ عمراً على بابِ النفقِ الذي كانَتِ الزَّبَّاءُ تدخلُهُ وأرتْهُ إيَّاهُ قبلَ ذٰلكَ ، وخرجَتِ الرجالُ مِنَ الغرائرِ ، فصاحوا بأهلِ المدينةِ ، ووضعوا فيهِمُ السلاحَ ، وقامَ عمرٌو على بابِ النفقِ ، وأقبلَتِ الزَّبَّاءُ تريدُ النفقَ ، فأبصرَتْ عمراً ، فعرفَتْهُ بالصُّورةِ التي صُوِّرَتْ لها ، فمَصَّتْ خاتمَها وكانَ فيهِ السُّمُّ ، وقالَتْ بيدي لا بيدِ ابنِ عديٍّ ، فذهبَتْ كلمتُها مثلاً ، وتَلقَّاها عمرٌو ، فجلَّلَها بالسيفِ ، وقتلَها ، وأصابَ ما أصابَ مِنَ المدينةِ وأهلِها ، وانكفأَ راجعاً إلى العراقِ

وفي بعضِ الرواياتِ مكانَ قولِها أدأبَ عروسٍ ترىٰ أشَوارَ عروسٍ ترىٰ ؟ فقالَ جذيمةُ أرىٰ دأبَ فاجرةٍ غدورٍ بظراءَ تَفِلةٍ ، قالَتْ لا مِنْ عدمِ مَواسٍ ، ولا مِنْ قِلَّةِ أواسٍ ، ولٰكنْ شيمةٌ مِنْ أناسٍ ، فذهبَتْ مثلاً[١]

« الدينُ النصيحةُ »

الأصلُ في النصيحةِ التلفيقُ بينَ الناسِ ؛ مِنَ النصحِ ؛ وهوَ الخياطةُ ؛ وذٰلكَ أن تُلفِّقَ بينَ التفاريقِ وهٰذا مِنْ حديثٍ يُروىٰ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، وتمامُهُ قالوا : لِمَنْ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ « لِلهِ وَرَسُولِهِ ، وَلِأَئِمَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ »[٢]

قالَتِ العلماءُ النصيحةُ للهِ أن يُخلِص العبدُ العملَ للهِ ، والنصيحةُ لرسولِهِ أن يصفوَ قلبُهُ في قَبولِ دعوى النبوةِ ، ولا يُضمِرَ خلافَها ، والنصيحةُ للمسلمينَ ألَّا يَتميَّزوا عنهُ في حالٍ مِنَ الأحوالِ ، وقيلَ النصيحةُ لأئمَّةِ المسلمينَ ألَّا يَشُقَّ عصاهُم ، ولا يَعُقَّ فتواهُم[٣]

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٥٧٠ _ ٥٧٥)
(٢) أخرجه مسلم (٩٥) عن سيدنا تميم الداري رضي الله عنه
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/٦٤٧)

ربَّ أخٍ لكَ لم تَلِدْهُ أُمُّكَ

يُروىٰ هـٰذا المثلُ للقمانَ بنِ عادٍ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ أقبلَ ذاتَ يومٍ ، فبينا هوَ يسيرُ إذ أصابَهُ عطشٌ ، فهجمَ علىٰ مِظلَّةٍ في فِنائِها امرأةٌ تُداعِبُ رجلاً ، فاستسقىٰ لقمانُ ، فقالَتِ المرأةُ اللَّبَنَ تبغي أمِ الماءَ ؟ قالَ لقمانُ أيَّهُما كانَ ولا عداءَ ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً ، قالَتِ المرأةُ أمَّا اللَّبَنُ فخلفَكَ ، وأمَّا الماءُ فأمامَكَ ، قالَ لقمانُ المنعُ كانَ أوجزَ ، فذهبَتْ مثلاً

قالَ فبينا هوَ كذٰلكَ إذ نظرَ إلىٰ صبيٍّ في البيتِ يبكي فلا يُكترَثُ لهُ ، ويستسقي فلا يُسقىٰ ، فقالَ إن لم يكنْ لكُم في هـٰذا الصبيِّ حاجةٌ دفعتُموهُ إليَّ فكفلتُهُ ، فقالَتِ المرأةُ ، ذاكَ إلىٰ هانئٍ ، وهانئٌ زوجُها ، فقالَ لقمانُ وهانئٌ مِنَ العددِ ؟ فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ قالَ لها مَنْ هـٰذا الشابُّ إلىٰ جنبِكِ ، فقد علمتُهُ ليسَ ببعلِكِ ؟ قالَتْ : هـٰذا أخي ، قالَ لقمانُ رُبَّ أخٍ لكَ لم تلدْهُ أُمُّكَ ، فذهبَتْ مثلاً

ثمَّ نظرَ إلىٰ أثرِ زوجِها في فتلِ الشعرِ ، فعرفَ في فتلِهِ شعرَ البناءِ أنَّهُ أعسرُ ، فقالَ ثَكِلَتِ الأُعَيْسرَ أُمُّهُ ، لو يَعلمُ العلمَ لطالَ غَمُّهُ ، فذهبَتْ مثلاً ، فذُعِرَتِ المرأةُ مِنْ قولِهِ ذُعراً شديداً ، فعرضَتْ عليهِ الطعامَ والشرابَ ، فأبىٰ وقالَ : المبيتُ على الطَّوَىٰ حتىٰ تَنالَ بهِ كريمَ المثوىٰ خيرٌ مِنْ إتيانِ ما لا تَهوىٰ ، فذهبَتْ مثلاً

ثمَّ مضىٰ ، حتىٰ إذا كانَ معَ العِشاءِ إذا هوَ برجلٍ يَسوقُ إبلَهُ وهوَ يرتجزُ ويقولُ [من مشطور الرجز]

رُوحِي إلى ٱلْحَيِّ فَإِنَّ نَفْسِي

رَهِينَةٌ فِيهِمْ بِخَيْرِ عِرْسِ

حَـسَّــانَــةُ ٱلْــمُــقْــلَــةِ ذَاتُ أُنْــسٍ

لَا يُـشْـتَـرَى ٱلْـيَـوْمُ لَـهَـا بِـأَمْـسٍ

فعرفَ لقمانُ صورتَهُ ولم يرهُ ، فهتفَ بهِ يا هانئُ ، يا هانئُ ؛ فقالَ ما بالُكَ ؟ فقالَ [من مجزوء الرجز]

يَـا ذَا ٱلْـبِـجَـادِ ٱلْـحَـلِـكَـهْ وَٱلـزَّوْجَـةِ ٱلْـمُـشْـتَـرَكَـهْ

عَـشِّ رُوَيْـداً إِبْـلَـكَـهْ لَـسْـتَ لِـمَـنْ لَـيْـسَـتْ لَـكَـهْ

فذهبَتْ مثلاً قالَ هانئٌ نوِّرْ نوِّرْ ، للهِ أبوكَ ، قالَ لقمانُ عليَّ التنويرُ ، وعليكَ التغييرُ ، إنْ كانَ عندَكَ نكيرٌ ، كلُّ امرئٍ في بيتِهِ أميرٌ ، فذهبَتْ مثلاً

ثمَّ قالَ إنِّي مررتُ وبي أوامٌ ، فدفعتُ إلىٰ بيتٍ فإذا أنا بامرأتِكَ تغازلُ رجلاً ، فسألتُها عنهُ ، فزعمَتْهُ أخاها ، ولو كانَ أخاها لحكىٰ عن نفسِهِ وكفاها الكلامَ ، فقالَ هانئٌ : وكيفَ علمتَ أنَّ المنزلَ منزلي والمرأةَ امرأتي ؟ قالَ عرفتُ عقائقَ هٰذهِ النوقِ في البناءِ ، وبوهدةِ الخليةِ في الفِناءِ ، وسقبِ هٰذهِ النابِ ، وأثرِ يدِكَ في الأطنابِ ، قالَ : صدقتَني فداكَ أبي وأُمِّي ، وكذَّبَتْني نفسي ، فما الرأيُ ؟ قالَ هل لكَ علمٌ ؟ قالَ نعم ، بشأني ، قالَ لقمانُ كلُّ امرئٍ بشأنِهِ عليمٌ ، فذهبَتْ مثلاً

قالَ لهُ هانئٌ هل بقيَتْ بعدَ هٰذهِ ؟ قالَ لقمانُ نعم ، قالَ وما هوَ ؟ قالَ تحمي نفسَكَ ، وتَحفظُ عِرْسَكَ ، قالَ هانئٌ : أفعلُ ، قالَ لقمانُ مَنْ يفعلِ الخيرَ يجدِ الخيرَ ، فذهبَتْ مثلاً

ثمَّ قالَ الرأيُ أن تقلبَ الظَّهرَ بطناً ، والبطنَ ظهراً ، حتىٰ يَتبيَّنَ لكَ الأمرُ أمراً ، قالَ : أفلا أعالجُها بكيَّةٍ توردُها المنيَّةَ ؟ فقالَ لقمانُ آخرُ الدواءِ الكيُّ ، فأرسلَها مثلاً ، ثمَّ انطلقَ الرجلُ حتىٰ أتى امرأتَهُ ، فقصَّ عليها القصةَ ، وسلَّ سيفَهُ ، فلم يزلْ يضربُها بهِ حتىٰ بردَتْ

ربَّ عجلةٍ تَهَبُ رَيْثاً

ويُروىٰ تَهُبُ رَيْثاً ، [قَالَهُ] أبو زيدٍ ، ورَيْثاً نُصِبَ على الحالِ في هٰذهِ الروايةِ ؛ أي تَهُبُ رائثةً ، فأُقيمَ المصدرُ مُقامَ الحالِ ، وفي الروايةِ الأُولىٰ نُصِبَ على المفعولِ بهِ

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ فيما يحكي المُفضَّلُ مالكُ بنُ عوفِ بنِ أبي عمرِو بنِ عوفِ بنِ مُحلِّمٍ الشيبانيُّ ، وكانَ سنانُ بنُ مالكِ بنِ أبي عمرِو بنِ عوفِ بنِ مُحلِّمٍ شامَ غيماً ، فأرادَ أن يرحلَ بامرأتِهِ خُماعةَ بنتِ عوفِ بنِ أبي عمرٍو ، فقالَ لهُ مالكٌ أينَ تَظعَنُ يا أخي ؟ قالَ أطلبُ موقعَ هٰذهِ السحابةِ ، قالَ لا تفعلْ ؛ فإنَّهُ ربَّما خيلَتْ وليسَ فيها قطرٌ ، وأنا أخافُ عليكَ بعض مقانبِ العربِ ، قالَ لٰكنِّي لستُ أخافُ ذٰلكَ ، فمضىٰ

وعرض لهُ مروانُ القرظُ ابنُ زنباعِ بنِ حذيفةَ العبسيُّ ، فأعجلَهُ عنها ، وانطلقَ بها ، وجعلَها بينَ بناتِهِ وأخواتِهِ ، ولم يكشفْ لها ستراً ، فقالَ مالكُ بنُ عوفٍ لسنانٍ ما فعلَتْ أختي ؟ قالَ نَفَتْني عنها الرماحُ ، فقالَ مالكٌ ربَّ عجلةٍ تَهَبُ ريثاً ، وربَّ فَروقةٍ يُدعىٰ ليثاً ، وربَّ غيثٍ لم يكنْ غيثاً ، فأرسلَها مثلاً

يُضرَبُ للرجلِ يَشتدُّ حرصُهُ علىٰ حاجةٍ ويخرقُ فيها حتىٰ تذهبَ كلُّها[1]

ربَّ ساعٍ لقاعدٍ

ويُروىٰ معَهُ وآكلٍ غيرِ حامدٍ ، يُقالُ إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَهُ النابغةُ الذُّبيانيُّ ، وكانَ وفدَ إلى النعمانِ بنِ المنذرِ وفودٌ مِنَ العربِ ، فيهم رجلٌ مِنْ عبسٍ يُقالُ لهُ شقيقٌ ، فماتَ عندَهُ ، فلمَّا حبا النعمانُ الوفودَ بعثَ إلىٰ أهلِ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٤٨)

شقيقٍ بمثلِ حباءِ الوفدِ ، فقالَ النابغةُ حينَ بلغَهُ ذٰلكَ ربَّ ساعٍ لقاعدٍ ، وقالَ للنعمانِ[١] [من الطويل]

[وَأَبْقَيْتَ] لِلْعَبْسِيِّ فَضْلاً وَنِعْمَةً وَمَحْمَدَةً مِنْ بَاقِيَاتِ ٱلْمَحَامِدِ
حِبَاءَ شَقِيقٍ فَوْقَ أَعْظُمِ قَبْرِهِ وَمَا كَانَ يُحْبَىٰ قَبْلَهُ قَبْرُ وَافِدِ
أَتَىٰ أَهْلَهُ مِنْهُ حِبَاءٌ وَنِعْمَةٌ وَرُبَّ ٱمْرِئٍ يَسْعَىٰ لِآخَرَ قَاعِدِ

ويُروى اسلمي أُمَّ خالدٍ ، ربَّ ساعٍ لقاعدٍ ، قالوا إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذٰلكَ معاويةُ بنُ أبي سفيانَ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ لمَّا أخذَ مِنَ الناسِ البيعةَ ليزيدَ ابنِهِ قالَ لهُ يا بُنَيَّ ؛ قد صيرتُكَ وليَّ عهدي بعدي ، وأعطيتُكَ ما تَمنَّيتَ ، فهل بقيَتْ لكَ حاجةٌ أو في نفسِكَ أمرٌ تُحِبُّ أن أفعلَهُ ؟ قالَ يزيدُ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما بقيَتْ لي حاجةٌ ، ولا في نفسي غُصَّةٌ ، ولا أمرٌ أُحِبُّ أن أنالَهُ إلَّا أمرٌ واحدٌ ، قالَ وما ذاكَ يا بُنَيَّ ؟ قالَ كنتُ أحبُّ أن أتزوَّجَ أُمَّ خالدٍ امرأةَ عبدِ اللهِ بنِ عامرِ بنِ كريزٍ ، فهيَ غايتي ومُنيتي مِنَ الدنيا

فكتبَ معاويةُ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ عامرٍ ، فاستقدمَهُ ، فلمَّا قدمَ عليهِ أكرمَهُ وأنزلَهُ أياماً ، ثم خلا بهِ ، فأخبرَهُ بحالِ يزيدَ ومكانِهِ منهُ ، وإيثارِهِ هواهُ ، وسألَهُ طلاقَ أُمِّ خالدٍ علىٰ أن يطعمَهُ فارسَ خمسَ سنينَ ، فأجابَهُ إلىٰ ذٰلكَ ، وكتبَ عهدَهُ وخلَّىٰ عبدُ اللهِ سبيلَ أُمِّ خالدٍ ، فكتبَ معاويةُ إلى الوليدِ بنِ عتبةَ وهوَ عاملُ المدينةِ أن يُعلِمَ أُمَّ خالدٍ أنَّ عبدَ اللهِ قد طَلَّقَها لتعتدَّ ، فلمَّا انقضَتْ عِدَّتُها دعا معاويةُ أبا هريرةَ ، فدفعَ إليهِ ستينَ ألفاً ، وقالَ لهُ ارحلْ إلى المدينةِ حتىٰ تأتيَ أُمَّ خالدٍ فتَخطُبَها علىٰ يزيدَ ، وتُعلِمَها أنَّهُ وليُّ عهدِ المسلمينَ ، وأنَّهُ سخيٌّ كريمٌ ، وأنَّ مهرَها عشرونَ ألفَ دينارٍ ، وكرامتُها عشرونَ ألفَ دينارٍ ، وهديتُها عشرونَ ألفَ دينارٍ

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٨٩)

فقدمَ أبو هريرةَ المدينةَ ليلاً ، فلمَّا أصبحَ أتىٰ قبرَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فلقيَهُ الحسنُ بنُ عليٍّ ، فسَلَّمَ عليهِ ، وسألَهُ متىٰ قدمتَ ؟ قالَ قدمتُ البارحةَ ، قالَ وما أقدمَكَ ؟ فقصَّ عليهِ القصَّةَ ، فقالَ لهُ الحسنُ فاذكرْني لها ، قالَ نعم

ثمَّ مضىٰ ، فلقيَهُ الحسينُ بنُ عليٍّ وعبيدُ اللهِ بنُ العباسِ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُم ، فسألاهُ عن مَقْدَمِهِ ، فقصَّ عليهِما القصةَ ، فقالا لهُ اذكرْنا لها ، قالَ نعم

ثمَّ مضىٰ ، فلقيَهُ عبدُ اللهِ بنُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ ، وعبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ ، وعبدُ اللهِ بنُ مطيعِ بنِ الأسودِ ، فسألوهُ عن مَقْدَمِهِ ، فقَصَّ عليهِمُ القصةَ ، فقالوا اذكرْنا لها ، قالَ نعم

ثمَّ أقبلَ حتىٰ دخلَ عليها ، فكلَّمَها بما أمرَ بهِ معاويةُ ، ثمَّ قالَ لها إنَّ الحسنَ والحسينَ ابنَيْ عليٍّ وعبدَ اللهِ بنَ جعفرٍ وعبيدَ اللهِ بنَ العباسِ وابنَ الزبيرِ وابنَ مطيعٍ سألوني أن أذكرَهُم لكِ ، قالَتْ أمَّا همِّي فالخروجُ إلىٰ بيتِ اللهِ ، والمجاورةُ لهُ حتىٰ أموتَ ، أو تشيرَ عليَّ بغيرِ ذٰلكَ ، قالَ أبو هريرةَ أمَّا أنا فلا أختارُ لكِ هٰذا ، قالَتْ فاخترْ لي ، قالَ اختاري لنفسِكِ ، قالَتْ لا ، بل اخترْ أنتَ لي ، قالَ لها أمَّا أنا فقدِ اخترتُ لكِ سيِّدَيْ شبابِ أهلِ الجنةِ ، فقالَتْ قد رضيتُ بالحسنِ بنِ عليٍّ

فخرجَ إليهِ أبو هريرةَ ، فأخبرَ الحسنَ بذٰلكَ ، وزَوَّجَها منهُ ، وانصرفَ إلىٰ معاويةَ بالمالِ ، وقد كانَ بلغَ معاويةَ قِصَّتُهُ ، فلمَّا دخلَ عليهِ قالَ لهُ إنَّما بعثتُكَ خاطباً ، ولم أبعثْكَ مُحْتَسِباً ، قالَ أبو هريرةَ إنَّها استشارَتْني ، والمُستشارُ مُؤتَمَنٌ ، فقالَ معاويةُ عندَ ذٰلكَ اسلمي

أُمَّ خالدٍ ، رُبَّ ساعٍ لقاعدٍ ، وآكلٍ غيرِ حامدٍ ، فذهبَتْ مثلاً[1]

ربَّ زارعٍ لنفسِهِ حاصدٌ سواهُ

قالَ ابنُ الكلبيِّ أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ عامرُ بنُ الظَّرِبِ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ خطبَ إليهِ صعصعةُ بنُ معاويةَ ابنتَهُ ، فقالَ يا صعصعةُ ؛ إنَّكَ جئتَ تشتري منِّي كبدي ، وأرحمَ ولدي عندي ، منعتُكَ أو بعتُكَ ، النكاحُ خيرٌ مِنَ الأيمةِ ، والحسيبُ كفؤُ الحسيبِ ، والزوجُ الصالحُ يُعَدُّ أباً ، وقدْ أنكحتُكَ خشيةَ ألَّا أجدَ مثلَكَ

ثمَّ أقبلَ علىٰ قومِهِ فقالَ يا معشرَ عدوانَ ، أخرجتُ مِنْ بينِ أظهرِكُم كريمتَكُم علىٰ غيرِ رغبةٍ عنكم ، ولٰكنْ مَنْ خُطَّ لهُ شيءٌ جاءَهُ ، ربَّ زارعٍ لنفسِهِ حاصدٌ سواهُ ، ولولا قَسمُ الحظوظِ علىٰ غيرِ الحدودِ ما أدركَ الآخِرُ مِنَ الأولِ [شيئاً] يعيشُ بهِ ، ولٰكنَّ الذي أرسلَ الحيا أنبتَ المرعىٰ ، ثمَّ قسمَهُ أكلاً ، لكلِّ فمٍ بقلةٌ ، ومِنَ الماءِ جرعةٌ ؛ إنَّكُم ترون ولا تعلمونَ ، لن يرىٰ ما أصفُ لكُم إلَّا كلُّ ذي قلبٍ واعٍ ، ولكلِّ شيءٍ راعٍ ، ولكلِّ رزقٍ ساعٍ ؛ إمَّا أكيسُ ، وإمَّا أحمقُ ، وما رأيتُ شيئاً قطُّ إلَّا سمعتُ حِسَّهُ ، ووجدتُ مَسَّهُ ، وما رأيتُ موضوعاً إلَّا مصنوعاً ، وما رأيتُ جائياً إلَّا داعياً ، ولا غانماً إلَّا خائباً ، ولا نعمةً إلَّا ومعَها بؤسٌ ، ولو كانَ يميتُ الناسَ الداءُ لأحياهُم الدواءُ ، فهل لكُم في العلمِ العليمِ ؟ قيلَ ما هوَ ؟ قد قلتَ فأصبتَ ، وأخبرتَ فصدقتَ ، فقالَ أموراً شتَّىٰ ، وشيئاً شيّاً ، حتىٰ يرجعَ الميتُ حيّاً ويعودَ لا شيءٌ شيئاً ، ولذٰلكَ خُلِقَتِ الأرضُ والسماءُ ، فتولَّوا عنهُ راجعينَ ، فقالَ ويلَها نصيحةً لو كانَ مَنْ يَقبلُها[2]

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٥٩ ـ ٦٢)

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٨٨ ـ ٨٩)

زينبُ سترةٌ

قالوا هيَ زينبُ بنتُ عبدِ اللهِ بنِ عكرمةَ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ المخزوميّ ، وكانَتْ عجوزاً كبيرةً ، ولها جَوَارٍ مُغنّياتٌ ، وكانَ ابنُ زهيمةَ المدنيُّ الشاعرُ ـ واسمُهُ محمدٌ ـ مولىٰ خالدِ بنِ أسيدٍ يَتعشّقُ بعضَ جواريها ، ويُشبِّبُ بها ، ويغنيهِ يونسُ الكاتبُ ، ويلقيهِ علىٰ جواريها ، فيُسَرُّ بذلكَ ، ويصلُها ويكسوها ، فمِنْ قولِهِ فيها [من الرمل]

أَقْصَدَتْ زَيْنَبُ قَلْبِي بَعْدَمَا ذَهَبَ ٱلْبَاطِلُ مِنِّي وَٱلْغَزَلْ

ولهُ فيها أشعارٌ ، ثمَّ إنَّ زينبَ حجبَتْها لشيءٍ بلغَها ، فقالَ ابنُ زهيمةَ [من مجزوء الكامل]

وَجَدَ ٱلْفُؤَادُ بِزَيْنَبَا وَجْداً شَدِيداً مُتْعِبَا
أَمْسَيْتُ مِنْ كَلَفٍ بِهَا أُدْعَى ٱلشَّقِيَّ ٱلْمُشْهَبَا
وَلَقَدْ كَنَيْتُ عَنِ ٱسْمِهَا عَمْداً لِكَيْلَا تَغْضَبَا
وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُتْرَةً وَكَنَيْتُ أَمْراً مُعْجَبَا

يُضرَبُ عندَ الكنايةِ عنِ الشيءِ(١)

زُرْ غبّاً تَزدَدْ حبّاً

قالَ المُفضَّلُ أوّلُ مَنْ قالَ ذلكَ معاذُ بنُ صرمٍ الخزاعيُّ ، وكانَتْ أُمُّهُ مِنْ علكٍ ، وكانَ فارسَ خزاعةَ ، وكانَ يكثرُ زيارةَ أخوالِهِ ، قالَ فاستعارَ منهُم فرساً وأتىٰ قومَهُ ، فقالَ لهُ رجلٌ يُقالُ لهُ جُحيشُ بنُ سودةَ ، وكانَ لهُ عدوّاً تسابقُني علىٰ أنَّ مَنْ سبقَ صاحبَهُ أخذَ فرسَهُ ؟ فسابقَهُ ، فسبقَ معاذٌ ، وأخذَ

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١٠٢/٢ ـ ١٠٣)

فرسَ جُحيشٍ ، وأرادَ أن يغيظَهُ ، فطعنَ أيطلَ الفرسِ بالسيفِ فسقطَ ، فقالَ لا أُمَّ لكَ ، قتلتَ فرساً خيراً منكَ ومِنْ والدَيكَ ، فرفعَ معاذٌ السيفَ فضربَ مَفرِقَهُ فقتلَهُ ، ثمَّ لحقَ بأخوالِهِ

وبلغَ الحيَّ ما صنعَ ، فركبَ أخٌ لجُحيشٍ وابنُ عمٍ لهُ ، فلحقاهُ ، فشدَّ علىٰ أحدِهِما فطعنَهُ فقتلَهُ ، وشدَّ على الآخَرِ فضربَهُ بالسيفِ فقتلَهُ ، وقالَ في ذٰلكَ [من الطويل]

ضَرَبْتُ جُحَيْشاً ضَرْبَةً لَا لَئِيمَةً وَلَٰكِنْ بِصَافٍ ذِي طَرَائِقَ مُسْتَكِ
قَتَلْتُ جُحَيْشاً بَعْدَ قَتْلِ جَوَادِهِ وَكُنْتُ قَدِيماً فِي ٱلْحَوَادِثِ ذَا فَتْكِ
قَصَدْتُ لِعَمْرِو بَعْدَ بَدْرٍ بِضَرْبَةٍ فَخَرَّ صَرِيعاً مِثْلَ عَائِرَةِ ٱلنُّسْكِ
لِكَيْ يَعْلَمَ ٱلْأَقْوَامُ أَنِّيَ صَارِمٌ خُزَاعَةُ أَجْدَادِي وَأُنْمَىٰ إِلَىٰ عَكِّ
فَقَدْ ذُقْتَ يَا جَحْشَ بْنَ سَوْدَةَ ضَرْبَتِي وَجَرَّبْتَنِي إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِي شَكِّ
تَرَكْتُ جُحَيْشاً ثَاوِياً ذَا نَوَائِحٍ خَضِيبَ دَمٍ جَارَاتُهُ حَوْلَهُ تَبْكِي
تَرِنُّ عَلَيْهِ أُمُّهُ بِٱنْتِحَابِهَا وَتَقْشِرُ جِلْدَيْ مَحْجِرَيْهَا مِنَ ٱلْحَكِّ
لِيَرْفَعَ أَقْوَاماً حُلُولِيَ فِيهِمُ وَيُزْرِي بِقَوْمٍ إِنْ تَرَكْتُهُمُ تَرْكِي
وَحِصْنِي سَرَاةُ ٱلطَّرْفِ وَٱلسَّيْفُ مَعْقِلِي وَعِطْرِي غُبَارُ ٱلْحَرْبِ لَا عَبَقُ ٱلْمِسْكِ
تَتُوقُ غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ نَفْسِي إِلَى ٱلْوَغَىٰ كَتَوْقِ ٱلْقَطَا تَسْمُو إِلَى ٱلْوَشَلِ ٱلرَّكِّ
وَلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ إِذَا رَاعَ مُعْضِلٌ وَلَا فِي نَوَادِي ٱلْقَوْمِ بِٱلضَّيِّقِ ٱلْمَسْكِ
وَكَمْ مَلِكٍ جَدَّلْتُهُ بِمُهَنَّدٍ وَسَابِغَةٍ بَيْضَاءَ مُحْكَمَةِ ٱلسَّكِّ

قالَ فأقامَ في أخوالِهِ زماناً ، ثمَّ إنَّهُ خرجَ معَ بني أخوالِهِ في جماعةٍ مِنْ فتيانِهِم يَتصيَّدونَ ، فحملَ معاذٌ علىٰ عَيْرٍ ، فلحقَهُ ابنُ خالٍ لهُ يُقالُ

لهُ الغضبانُ ، فقالَ خلِّ عنِ العَيرِ ، فقالَ لا ، ولا نعمَتْ عينٌ ، فقالَ لهُ الغضبانُ أَمَا واللهِ ؛ لو كانَ فيكَ خيرٌ لَمَا تركتَ قومَكَ ، فقالَ معاذٌ زُرْ غبّاً تزددْ حبّاً ، فأرسلَها مثلاً ، ثم أتى قومَهُ ، فأرادَ أهلُ المقتولِ قتلَهُ ، فقالَ لهُم قومُهُ لا تقتلوا فارسَكُم وإن ظلمَ ، فقبلوا منهُ الديةَ

ومِنْ هٰذا المثلِ قالَ الشاعرُ [من الطويل]

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَىٰ فَزُرْ مُتَوَاتِراً وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبّاً فَزُرْ غِبَّا

وقالَ آخَرُ [من الطويل]

عَلَيْكَ بِإِغْبَابِ ٱلزِّيَارَةِ إِنَّهَا إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى ٱلْهَجْرِ مَسْلَكَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْقَطْرَ يُسْأَمُ دَائِماً وَيُسْأَلُ بِٱلْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَا (١)

زوجٌ مِنْ عودٍ خيرٌ مِنْ قعودٍ

هٰذا المثلُ لبعضِ نساءِ الأعرابِ ، قالَ المُبرِّدُ (حدَّثني عليُّ بنُ عبدِ اللهِ عن ابنِ عائشةَ قالَ كانَ ذو الإصبَعِ العَدْوانيُّ رجلاً غَيُوراً ، ولهُ بناتٌ أربعٌ ، وكانَ لا يُزوِّجُهُنَّ غيرةً ، فاستمعَ عليهِنَّ يوماً وقد خَلَوْنَ يَتحدَّثْنَ ، فقالَتْ قائلةٌ منهُنَّ لتقلْ كلُّ واحدةٍ منَّا ما في نفسِها ، ولنصدقْ جميعاً ، فقالَتْ كُبراهُنَّ [من الطويل]

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أُنَاسٍ ذَوِي غِنىً حَدِيثُ شَبَابٍ طَيِّبُ ٱلنَّشْرِ وَٱلذِّكْرِ
لَصُوقٌ بِأَكْبَادِ ٱلنِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ جَانٍ لَا يُقِيمُ عَلَىٰ هَجْرِ

وقالَتِ الثانيةُ [من الطويل]

أَلَا لَيْتَهُ يُعْطَى ٱلْجَمَالَ بَدِيهَةً لَهُ جَفْنَةٌ تَشْقَىٰ بِهَا ٱلنِّيبُ وَٱلْجُزْرُ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٠٨ ـ ١٠٩)

لَهُ حَكَمَاتُ ٱلدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كَبْرَةٍ تَـشِـيـنُ فَـلَا وَانٍ وَلَا ضَـرَعٌ غُـمْـرُ

فقُلْنَ لها أنتِ تريدينَ سيداً ، وقالَتِ الثالثةُ [من الطويل]

أَلَا هَـلْ تَـرَاهَـا مَـرَّةً وَحَـلِـيـلُـهَـا أَشَمُّ كَنَصْلِ ٱلسَّيْفِ عَيْنِ ٱلْمُهَنَّدِ

عَـلِـيـمٌ بِـأَدْوَاءِ ٱلـنِّـسَـاءِ وَرَهْـطُـهُ إِذَا مَا ٱنْتَمَىٰ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَمَحْتِدِي

فقلنَ لها أنتِ تريدينَ ابنَ عمٍّ لكِ ، قد عرفنَهُ

وقلنَ للصغرىٰ ما تقولينَ ؟ قالَتْ لا أقولُ شيئاً ، فقلنَ لا ندعُكِ وذاكَ ؛ إنَّكِ قدِ اطلعتِ علىٰ أسرارِنا وتكتمينَ سِرَّكِ ، فقالَتْ زوجٌ مِنْ عُودٍ خيرٌ مِنْ قُعودٍ

فخُطِبنَ ، فزُوِّجنَ أجمعُ ، ثمَّ أمهلَهُنَّ حولاً ، ثمَّ زارَ الكبرىٰ ، فقالَ لها كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ فقالَتْ خيرُ زوجٍ ، يُكرِمُ أهلَهُ ، وينسىٰ فضلَهُ ، قالَ فما مالُكُم ؟ قالَتِ الإبلُ ، قالَ وما هيَ ؟ قالَتْ نأكلُ لُحمانَها مَزْعاً ، ونشربُ ألبانَها جَرْعاً ، وتحملُنا وضعفتَنا معاً ، فقالَ زوجٌ كريمٌ ، ومالٌ عميمٌ

ثمَّ زارَ الثانيةَ ، فقالَ كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ قالَتْ يُكرِمُ الحليلةَ ، ويُقرِّبُ الوسيلةَ ، قالَ فما مالُكُم ؟ قالَتِ البقرُ ، قالَ وما هيَ ؟ قالَتْ تألفُ الفِناءَ ، وتملأُ الإناءَ ، وتودكُ السقاءَ ، ونساءٌ معَ نساءٍ ، فقالَ رضيتِ فحظيتِ

ثمَّ زارَ الثالثةَ ، فقالَ كيفَ رأيتِ زوجَكِ ، فقالَتْ لا سَمْحٌ بَذِرٌ ، ولا بخيلٌ حَكِرٌ ، قالَ فما مالُكُم ؟ قالَتِ المِعزىٰ ، قالَ وما هيَ ؟ قالَتْ لو كنَّا نُولِّدُها فُطُماً ، ونسلخُها أَدَماً لم نبغِ بها نَعَماً ، فقالَ جَذْوٌ مغنيةٌ

ثمَّ زارَ الرابعةَ ، فقالَ: كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ قالَتْ: شرُّ زوجٍ ، يُكرِمُ نفسَهُ ، ويهينُ عِرْسَهُ ، قالَ: فما مالُكُم ؟ قالَتْ: شرُّ مالٍ ؛ الضَّأنُ ، قالَ: وما هيَ ؟ قالَتْ: جُوفٌ لا يشبعنَ ، وهِيمٌ لا ينقعْنَ ، وصُمٌّ لا يسمعنَ ، وأمرَ مغويتِهِنَّ يتبعنَ ، فقالَ: أشبهَ امرؤٌ بعض بَزِّهِ.

قالَ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ: قلتُ لابنِ عائشةَ: ما قولُها: وأمرَ مغويتِهِنَّ يتبعنَ ؟ قالَ: أما تراهُنَّ يمررنَ فتسقطُ الواحدةُ منهُنَّ في ماءٍ أو وَحَلٍ أو غيرِ ذٰلكَ: فيتبعنَها عليهِ ؟!) [1]

وقولُهُ: (جَذْوٌ مغنيةٌ) جمعُ جَذْوةٍ ؛ وهيَ القطعةُ [2]

سقطَ العَشاءُ بهِ علىٰ سِرْحانٍ

قالَ أبو عبيدٍ: (أصلُهُ: أنَّ رجلاً خرجَ يلتمسُ العَشاءَ فوقعَ علىٰ ذئبٍ ، فأكلَهُ ، وقالَ الأصمعيُّ: أصلُهُ: أنَّ دابَّةً خرجَتْ تطلبُ العَشاءَ ، فلقيهَا ذئبٌ فأكلَها) [3]

وقالَ ابنُ الأعرابيِّ: أصلُ هٰذا: أنَّ رجلاً مِنْ غَنِيٍّ [4] يُقالُ لهُ: سِرحانُ بنُ هزلةَ ، كانَ بطلاً فاتكاً ، يَتقيهِ الناسُ ، فقالَ رجلٌ يوماً: واللهِ ؛ لَأرعينَّ إبلي هٰذا الواديَ ، ولا أخافُ سِرحانَ بنَ هزلةَ ، فوردَ بإبلِهِ ذٰلكَ الواديَ ، فوجدَ بهِ سِرحانَ ، وهجمَ عليهِ فقتلَهُ وأخذَ إبلَهُ ، وقالَ: [من الكامل]

أَبْلِغْ نَصِيحَةَ أَنَّ رَاعِيَ أَهْلِهَا ... سَقَطَ ٱلْعَشَاءُ بِهِ عَلَىٰ سِرْحَانِ
سَقَطَ ٱلْعَشَاءُ بِهِ عَلَىٰ مُتَغَشْمِرٍ ... طَلْقِ ٱلْيَدَيْنِ مُعَاوِدٍ لِطِعَانِ

---

(١) الكامل (٢/٦٧٨ ـ ٦٨٠)

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٠٥ ـ ١٠٧)

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٢١)

(٤) حيٌّ من غطفان

يُضرَبُ في طلبِ الحاجةِ يُؤدِّي صاحبَها إلى التَّلَفِ[1]

أساءَ سمعاً فأساءَ جَابَةً

ويُروىٰ ساءَ سمعاً فأساءَ إجابةً ، و(ساءَ) في هـٰذا الموضعِ تعملُ عملَ بئسَ ؛ نحوُ قولِهِ تعالىٰ ﴿ سَآءَ مَثَلًا ﴾[2] ، ونُصِبَ (سمعاً) على التمييزِ ، و(أساءَ سمعاً) نُصِبَ على المفعولِ بهِ ؛ تقولُ أسأتُ القولَ ، وأسأتُ العملَ ، وقولُهُ (فأساءَ جابةً) هيَ بمعنىٰ (إجابةٍ) يُقالُ أجابَ إجابةً وجَابةً وجواباً وجِيبةً ، ومثلُ (الجَابةِ) في موضعِ (الإجابةِ) الطَّاعةُ والطَّاقةُ ، والغارةُ والعارةُ ، قالَ المُفضَّلُ هـٰذه خمسةُ أحرفٍ جاءَتْ هـٰكذا

قلتُ[3] وكلُّها أسماءٌ وُضِعَتْ في موضعِ المصادرِ

قالَ المُفضَّلُ إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذٰلكَ سهيلُ بنُ [عمرٍو] أخو بني عامرِ بنِ لؤيٍّ ، وكانَ تزوَّجَ صفيةَ بنتَ أبي جهلِ بنِ هشامٍ ، فولدَتْ لهُ أنسَ بنَ سهيلٍ ، فخرجَ معَهُ ذاتَ يومٍ وقد خَرَجَ وجهُهُ ؛ يريدُ التَّحَىٰ ، فوقفا بحَزْوَرَةِ مكةَ ، فأقبلَ الأخنسُ بنُ شَرِيقٍ الثقفيُّ فقالَ مَنْ هـٰذا ؟ قالَ سهيلٌ ابني ، قالَ الأخنسُ حيَّاكَ اللهُ يا فتىٰ [أينَ أمُّكَ ؟] ؟ قالَ لا واللهِ ، ما أُمِّي في البيتِ ، انطلقَتْ إلىٰ أُمِّ حنظلةَ تَطحَنُ دقيقاً ، فقالَ أساءَ سمعاً فأساء جابةً ، فأرسلَها مثلاً

فلمَّا رجعا . قالَ أبوهُ : فضحَني ابنُكِ اليومَ عندَ الأخنسِ ، قالَ كذا وكذا !!

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٢١ ـ ١٢٢)

(٢) سورة الأعراف (١٧٧)

(٣) القائل هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال »

فقالَتِ الأُمُّ إنَّما ابني صبيٌّ ، قالَ سهيلٌ أشبهَ امرؤٌ بعض بَزِّهِ ، فأرسلَها مثلاً[1]

سمِّنْ كلبَكَ يأكلْكَ

ويُروىٰ (أسمِنْ) ، قالوا أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ حازمُ بنُ المنذرِ الحِمَّانيُّ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ مرَّ بمَحَلَّةِ هَمْدانَ ، فإذا هوَ بغلامٍ ملفوفٍ في المعاوزِ ، فرحمَهُ وحملَهُ علىٰ مُقدَّمِ سرجِهِ ، حتىٰ أتىٰ بهِ منزلَهُ ، وأمرَ أَمَةً لهُ أن تُرضِعَهُ ، فأرضعَتْهُ حتىٰ فُطِمَ ، وأدركَ وراهقَ الحلمَ ، فجعلَهُ راعياً لغنمِهِ ، وسمَّاه جُحَيشاً ، فكانَ يرعى الشاءَ والإبلَ ، وكانَ زاجراً عائفاً ، فخرجَ ذاتَ يومٍ ، فعَرَضَتْ لهُ عقابٌ ، فعافَها ، ثمَّ مَرَّ بهِ غُدافٌ ، فزجرَهُ ، وقالَ [من مشطور الرجز]

تُـخْـبِـرُنِـي شَـوَاحِـجُ ٱلْـغُـدْفَـانْ

وَٱلْـخُـطْـبُ يَـشْـهَـدْنَ مَـعَ ٱلْـعِـقْـبَـانْ

أَنِّـي جُـحَـيْـشٌ مَـعْـشَـرِي هَـمْـدَانْ

وَلَـسْـتُ عَـبْـداً لِـبَـنِـي حِـمَّـانْ

فلا يزالُ يَتغنَّىٰ بهٰذهِ الأبياتِ ، وإنَّ ابنةً لحازمٍ يقالُ لها رَعُومُ ، هَوِيَتِ الغلامَ وهَوِيَها ، وكانَ الغلامُ ذا منظرٍ وجمالٍ ، فاتبعَتْهُ رَعُومُ ذاتَ يومٍ حتى انتهىٰ إلىٰ موضعِ الكلأ ، فسرحَ الشاءَ فيهِ واستظلَّ بشجرةٍ واتَّكأَ علىٰ يمينِهِ ، وأنشأَ يقولُ [من المتقارب]

أَمَـا لَـكَ أُمٌّ فَـتُـدْعَـىٰ لَـهَـا وَلَا أَنْـتَ ذُو وَالِـدٍ يُـعْـرَفُ

أَرَى ٱلطَّـيْـرَ تُـخْـبِـرُنِـي أَنَّـنِـي جُـحَـيْـشٌ وَأَنَّ أَبِـي حَـرْشَـفُ

يَـقُـولُ غُـرَابٌ غَـدَا سَـانِـحـاً وَشَـاهِـدُهُ جَـاهِـداً يَـحْـلِـفُ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٢٦ ـ ١٢٧)

بِـأَنِّـي لِـهَـمْـدَانَ فِـي عُـرِّهَـا وَمَـا أَنَـا جَـافٍ وَلَا أَهْـيَـفُ
وَلَٰكِنَّنِي مِـنْ كِـرَامِ ٱلـرِّجَـالِ إِذَا ذُكِـرَ ٱلسَّـيِّـدُ ٱلْأَشْـرَفُ

وقد كَمَنَتْ لهُ رَعُومُ تنظرُ ما يصنعُ ، فرفعَ صوتَهُ أيضاً يَتغنَّىٰ ويقولُ [من مشطور الرجز]

يَـا حَـبَّـذَا رَبِـيـبَـتِـي رَعُـومُ
وَحَـبَّـذَا مَـنْـطِـقُـهَـا ٱلـرَّخِـيـمُ
وَرِيـحُ مَـا يَـأْتِـي بِـهِ ٱلـنَّـسِـيـمُ
إِنِّـي بِـهَـا مُـكَـلَّـفٌ أَهِـيـمُ
لَـوْ تَـعْـلَـمِـيـنَ ٱلْـعِـلْـمَ يَـا رَعُـومُ
أَنِّـيَ مِـنْ هَـمْـدَانِـهَـا صَـمِـيـمُ

فلمَّا سمعَتْ رَعُومُ شِعرَهُ ازدادَتْ فيهِ رغبةً وبهِ إعجاباً ، فدنَتْ منهُ وهيَ تقولُ [من مشطور الرجز]

طَـارَ إِلَـيْـكُـمْ عَـرَضـاً فُـؤَادِي
وَقَـلَّ مِـنْ ذِكْـرَاكُـمُ رُقَـادِي
وَقَـدْ جَـفَـا جَـنْـبِـي عَـنِ ٱلْـوِسَـادِ
أَبِـيـتُ قَـدْ حَـالَـفَـنِـي سُـهَـادِي

فقامَ إليها جُحَيْشٌ فعانقَها وعانقَتْهُ ، وقعدا تحتَ الشجرةِ يَتغازلانِ ، فكانا يفعلانِ ذٰلكَ أياماً .

ثمَّ إنَّ أباها افتقدَها يوماً ، وفَطِنَ لها ، فرصدَها ، حتىٰ إذا خرجَتْ تبعَها ، فانتهىٰ إليهما وهُما علىٰ سوءةٍ ، فلمَّا رآهُما قالَ سَمِّنْ كلبَكَ

يَأكلُكَ ، فأرسلَها مثلاً ، وشدَّ على جُحيشٍ بالسيفِ فأفلتَ ولحقَ بقومِهِ هَمْدانَ ، وانصرفَ حازمٌ إلى ابنتِهِ وهوَ يقولُ موتُ الحُرَّةِ خيرٌ مِنَ العُرَّةِ ، فأرسلَها مثلاً ، فلمَّا وصلَ إليها وجدَها قدِ اختنقَتْ فماتَتْ ، فقالَ حازمٌ هانَ عليَّ الثُّكْلُ لسوءِ الفعلِ ، فأرسلَها مثلاً وأنشأَ يقولُ [من الكامل]

قَدْ هَانَ هَـٰذَا ٱلثُّكْلُ لَوْلَا أَنَّنِي أَحْبَبْتُ قَتْلَكِ بِٱلْحُسَامِ ٱلصَّارِمِ
وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِذَاكَ لَوْلَا أَنَّنِي شَمَّرْتُ فِي قَتْلِ ٱللَّعِينِ ٱلظَّالِمِ
فَعَلَيْكِ مَقْتُ ٱللهِ مِنْ غَدَّارَةٍ وَعَلَيْكِ لَعْنَتُهُ وَلَعْنَةُ حَازِمِ

وقالَ قومٌ إنَّ رجلاً مِنْ طَسْمٍ ارتبطَ كلباً ، فكانَ يُسمِّنُهُ ويطعمُهُ رجاءَ أن يصيدَ بهِ ، فاحتبسَ عليهِ بطعمِهِ يوماً ، فدخلَ عليهِ صاحبُهُ ، فوثبَ عليهِ فافترسَهُ ، قالَ عوفُ بنُ الأحوصِ [من الطويل]

أُرَانِي [وَعَوْفاً] كَٱلْمُسَمِّنِ كَلْبَهُ فَخَدَّشَهُ أَنْيَابُهُ وَأَظَافِرُهْ

وقالَ طرفةُ (١) [من المنسرح]

كَكَلْبِ طَسْمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ يَعُلُّهُ بِٱلْحَلِيبِ فِي ٱلْغَلَسِ
ظَلَّ عَلَيْهِ يَوْماً [يُفَرْفِرُهُ] (٢) إِلَّا يَلَغْ فِي ٱلدِّمَاءِ يَنْتَهِسِ (٣)

السَّليمُ لا ينامُ ولا يُنيمُ

قالَ المُفضَّلُ أوَّلُ مَنْ قالَ ذلكَ إلياسُ بنُ مُضَرَ ، وكانَ مِنْ حديثِ ذلكَ فيما ذكرَ الكلبيُّ عنِ الشرقيِّ بنِ القطاميِّ أنَّ إبلَ إلياسَ نَدَّتْ ليلاً ، فنادىٰ ولدَهُ وقالَ إنِّي طالبٌ الإبلَ في هٰذا الوجهِ ، وأمرَ عمراً ابنَهُ أن

---

(١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ١٦٥)
(٢) في الأصل (بقرقره) ، ويفرفره يمزّقه
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٣٣ ـ ١٣٥)

يطلبَ في وجهٍ آخَرَ ، وتركَ عامراً ابنَهُ لعلاجِ الطعامِ ، قالَ فتَوَجَّهَ إلياسُ وعمرٌو ، وانقطعَ عُمَيرٌ ابنُهُ في البيتِ معَ النساءِ ، فقالَتْ ليلىٰ بنتُ حلوانَ امرأتُهُ لإحدىٰ خادميها اخرجي في طلبِ أهلِكِ ، وخرجَتْ ليلىٰ ، فلقيَها عامرٌ مُحتقِباً صيداً قد عالجَهُ ، فسألَها عن أبيهِ وأخيهِ ، فقالَتْ لا علمَ لي ، فأتىٰ عامرٌ المنزلَ وقالَ للجاريةِ قُصِّي أثرَ مولاكِ ، فلمَّا ولَّتْ قالَ لها تقرصعي ـ أيِ اتئدي وانقبضي ـ فلم يلبثوا أن أتاهُمُ الشيخُ وعمرٌو ابنُهُ قد أدركَ الإبلَ ، فوضعَ لهُمُ الطعامَ ، فقالَ إلياسُ السَّليمُ لا ينامُ ولا يُنيمُ ، فأرسلَها مثلاً ، وقالَتْ ليلى امرأتُهُ : واللهِ ؛ إن زلتُ أُخندِفُ في طلبِكُما والهةً ، قالَ الشيخُ فأنتِ خِنْدِفُ ، قالَ عامرٌ وأنا واللهِ كنتُ أدأَبُ في صيدٍ وطبخٍ ، قالَ فأنتَ طابخةُ ، قالَ عمرٌو فما فعلتُ أنا أفضلُ ، أدركتُ الإبلَ ، قالَ فأنتَ مُدرِكةُ ، وسمَّىٰ عُمَيراً قَمْعَةَ ؛ لانقماعِهِ في البيتِ ، فغلبَتْ هـٰذهِ الألقابُ علىٰ أسمائِهِم

يضربُ مثلاً لِمَنْ لا يستريحُ ولا يريحُ غيرَهُ(١)

اسعَ بجَدِّكَ لا بكَدِّكَ

قالوا إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذٰلكَ حاتمُ بنُ عميرةَ الهَمْدانيُّ ، وكانَ بعثَ ابنَيهِ الحِسْلَ وعاجنةَ إلىٰ تجارةٍ ، فلقيَ الحِسْلُ قوماً مِنْ بني أسدٍ ، فأخذوا مالَهُ وأسروهُ ، وسارَ عاجنةُ أياماً ، ثمَّ وقعَ علىٰ مالٍ في طريقِهِ مِنْ قبلِ أن يبلغَ موضعَ مَتجرِهِ ، فأخذَهُ ورجعَ ، وقالَ في ذٰلكَ [من الوافر]

كَفَانِي ٱللهُ بُعْدَ ٱلسَّيْرِ أَنِّي ... رَأَيْتُ ٱلْخَيْرَ فِي ٱلسَّفَرِ ٱلْقَرِيبِ

رَأَيْتُ ٱلْبُعْدَ فِيهِ شَقاً وَنَأْيٌ ... وَوَحْشَةُ كُلِّ مُنْفَرِدٍ غَرِيبِ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١٤٥/٢)

فَأَسْرَعْتُ ٱلْإِيَابَ بِخَيْرِ حَالٍ إِلَىٰ حَوْرَاءَ خَرْعَبَةٍ لَعُوبِ
وَإِنِّي لَيْسَ يَثْنِينِي إِذَا مَا رَحَلْتُ سُنُوحُ شَحَّاجٍ نَعُوبِ

فلمَّا رجعَ تباشرَ بهِ أهلُهُ ، وانتظروا الحِسْلَ ، فلمَّا جاءَ إبَّانُهُ الذي كانَ يجيءُ فيهِ ولم يرجعْ رابَهُم أمرُهُ ، وبعثَ أبوهُ أخاً لهُ لم يكنْ مِنْ أُمِّهِ ـ يُقالُ لهُ شاكرٌ ـ في طلبِهِ والبحثِ عنهُ ، فلمَّا دنا شاكرٌ مِنَ الأرضِ التي بها الحِسْلُ ، وكانَ الحِسْلُ عائفاً يزجرُ الطيرَ ، فقالَ [من المتقارب]

تُخَبِّرُنِي بِٱلنَّجَاةِ ٱلْقَطَاةُ وَقَوْلُ ٱلْغُرَابِ بِهَا شَاهِدُ
تَقُولُ أَلَا قَدْ دَنَا نَازِحٌ فِدَاءٌ لَهُ ٱلطَّرْفُ وَٱلتَّالِدُ
أَخٌ لَمْ تَكُنْ أُمُّنَا أُمَّهُ وَلَٰكِنْ أَبُونَا أَبٌ وَاحِدُ
تَدَارَكَنِي رَأْفَةً حَاتِمٌ فَنِعْمَ ٱلْمُرَبِّبُ وَٱلْوَالِدُ

ثمَّ إنَّ شاكراً سألَ عنهُ ، فأُخبرَ بمكانِهِ ، فاشتراهُ ممَّنْ أسرَهُ بأربعينَ بعيراً ، فلمَّا رجعَ بهِ قالَ لهُ أبوهُ اسعَ بجَدِّكَ لا بكَدِّكَ ، فذهبَتْ مثلاً(١)

سِرْ عنكَ

قالوا إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذٰلكَ خِداشُ بنُ حابسٍ التميميُّ ، وكانَ قد تَزوَّجَ جاريةً مِنْ بني سَدوسٍ يُقالُ لها الربابُ ، وغابَ عنها بعدَما ملكَها أعواماً ، فعَلِقَها آخَرُ مِنْ قومِها يُقالُ لهُ سَلْمٌ ، ففضحَها

وإنَّ سَلْماً شردَتْ لهُ إبلٌ ، فركبَ في طلبِها ، فوافاهُ خِداشٌ في الطريقِ ، فلمَّا علمَ بهِ خِداشٌ كتمَهُ أمرَ نفسِهِ ؛ ليعلمَ علمَ امرأتِهِ ، وسارا ، فسألَ سَلْمٌ خِداشاً ممَّنِ الرجلُ ؟ فخَبَّرَهُ بغيرِ نسبِهِ ، فقالَ سَلْمٌ [من الوافر]

أَغِبْتَ عَنِ ٱلرَّبَابِ وَهَامَ سَلْمٌ بِهَا وَلَهَا بِعِرْسِكَ يَا خِدَاشُ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١٤٦/٢)

فَيَا لَكَ بَغْلَ جَارِيَةٍ هَوَاهَا صَبُورٌ حِينَ تَضْطَرِبُ ٱلْكِبَاشُ

وَيَا لَكَ بَغْلَ جَارِيَةٍ كَعُوبٍ تَزِيدُ لَذَاذَةً دُونَ ٱلرِّيَاشِ

وَكُنْتُ بِهَا أَخَا عَطَشٍ شَدِيدٍ وَقَدْ يَرْوَىٰ عَلَى ٱلظَّمَأ ٱلْعِطَاشُ

فَإِنْ أَرْجِعْ وَيَأْتِيهَا خِدَاشٌ سَيُخْبِرُهُ بِمَا لَاقَى ٱلْفِرَاشُ

فعرفَ خِداشٌ الأمرَ عندَ ذٰلكَ ، ثمَّ دنا منهُ فقالَ حدِّثْنا يا أخا بني سدوسٍ ، فقالَ سَلْمٌ علقتُ امرأةً غابَ عنها زوجُها ، فأنا أنعمُ أهلِ الدنيا بها ، وهيَ لذَّةُ عيشي ، فقالَ خِداشٌ سِرْ عنكَ ، فسارَ ساعةً ، ثمَّ قالَ حدِّثْنا يا أخا بني سدوسٍ عن خليلتِكَ ، قالَ تَسدَّيتُ خِباءَها ليلاً ، فبتُّ بأقرِّ ليلةٍ ، أعلو وأُعلي ، وأعانقُ وأفعلُ ما أهوىٰ ، فقالَ خِداشٌ سِرْ عنكَ ، وعرفَ الفضيحةَ ، فتَأَخَّرَ واخترطَ سيفَهُ وغطَّاهُ بثوبِهِ ، ثمَّ لحقَهُ وقالَ ما آيةُ ما بينَكُما إذا جئتَها ؟ قالَ أذهبُ ليلاً إلىٰ مكانِ كذا مِنْ خبائِها وهيَ تخرجُ فتقولُ [من الطويل]

يَا لَيْلُ هَلْ مِنْ سَاهِرٍ فِيكَ طَالِبٌ هَوَىٰ خُلَّةٍ لَا يَنْزَحَنْ مُلْتَقَاهُمَا

فأُجاوِبُها [من الطويل]

نَعَمْ سَاهِرٌ قَدْ كَابَدَ ٱللَّيْلَ هَائِمٌ بِهَائِمَةٍ مَا هُوِّمَتْ مُقْلَتَاهُمَا

فتعرفُ أنِّي أنا هوَ ، ثمَّ قالَ خِداشٌ : سِرْ عنكَ ، ودنا حتىٰ قرنَ ناقتَهُ بناقتِهِ ، وضربَهُ بسيفِهِ فأطارَ قحفَهُ وبقيَ سائرُهُ فوقَ رحلِهِ يَضطرِبُ

ثمَّ انصرفَ فأتى المكانَ الذي وصفَهُ سَلْمٌ ، فقعدَ فيهِ ليلاً ، وخرجَتِ الربابُ وهيَ تَتكلَّمُ بذٰلكَ البيتِ ، فجاوبَها بالآخرِ ، فدنَتْ منهُ وهيَ ترىٰ أنَّهُ سَلْمٌ ، فقنَّعَها بالسيفِ ففلقَ ما بينَ المَفرِقِ إلى الزورِ ، ثمَّ ركبَ وانطلقَ

يُضرَبُ في التغابي والتغاضي عنِ الشيءِ

قلتُ[1] بقيَ معنىٰ قولِهِ (سِرْ عنكَ) قيلَ معناهُ دعْني واذهبْ عنِّي ، وقيلَ معناهُ لا تربعْ علىٰ نفسِكَ ، وإذا لم يربعْ علىٰ نفسِهِ فقدْ سارَ عنها ، وقيلَ العربُ تزيدُ في الكلامِ (عن) ، فتقولُ دعْ عنكَ الشكَّ ؛ أي دعِ الشكَّ ، وقيلَ أرادوا بـ (عنك) لا أبا لكَ ، وأنشدَ [من مشطور الرجز]

فَصَارَ وَٱلْيَوْمُ لَهُ بَلَابِلُ
مِنْ حُبِّ جُمْلٍ عَنْكَ مَا يُزَايِلُ

أي لا أبا لكَ ، فعلىٰ هٰذا معناهُ سِرْ لا أبا لكَ ، علىٰ عادتِهِم في الدعاءِ على الإنسانِ مِنْ غيرِ إرادةِ الوقوعِ[2]

صدقَني سِنَّ بَكْرِهِ

البَكْرُ الفتيُّ مِنَ الإبلِ ، ويُقالُ صدقتُهُ الحديثَ وفي الحديثِ ، يُضرَبُ مثلاً في الصدقِ ، وأصلُهُ أنَّ رجلاً ساومَ رجلاً في بَكْرٍ ، فقالَ ما سنُّهُ ؟ فقالَ صاحبُهُ بازلٌ ، ثمَّ نفرَ البكرُ ، فقالَ لهُ صاحبُهُ هِدَعْ هِدَعْ ، وهٰذهِ لفظةٌ يُسكَّنُ بها الصِّغارُ مِنَ الإبلِ ، فلمَّا سمعَ المشتري هٰذهِ الكلمةَ قالَ صدقَني سنَّ بَكْرِهِ ، ونصبَ (سنَّ) علىٰ معنىٰ عَرَّفَني سِنَّ ، ويجوزُ أن يُقالُ أرادَ صدقَني خبرَ سنّ ، ثمَّ حُذِفَ المُضافُ ، ويُروىٰ صدقَني سنُّ بالرفعِ ، جعلَ الصدقَ للسنّ توسُّعاً

قالَ أبو عبيدٍ (وهٰذا المثلُ يُروىٰ عن عليّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ أنَّهُ أُتِيَ فقيلَ لهُ إنَّ بني فلانٍ وبني فلانٍ اقتتلوا ، فغلبَ بنو فلانٍ ، فأنكرَ ذٰلكَ ، ثمَّ

(١) القائل هو العلامة الميداني في « مجمع الأمثال »
(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٢/١٤٧ ـ ١٤٨)

أتاهُ آتٍ فقالَ بل غلبَ بنو فلانٍ ؛ للقبيلةِ الأُخرىٰ ، فقالَ عليٌّ صدقَني سنَّ بَكْرِهِ)[١]

وقالَ أبو عمرٍو دخلَ الأحنفُ علىٰ معاويةَ بعدَما مضىٰ عليٌّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ ، فعاتبَهُ معاويةُ وقالَ لهُ أما إنّي لم أنسَ ولم أجهلِ اعتزالَكَ يومَ الجملِ ببني سعدٍ ، ونزولَكَ بهِم سفوانَ وقريشٌ تذبحُ بناحيةِ البصرةِ ذبحَ الحَيرانِ ، ولم أنسَ طلبَكَ إلى ابنِ أبي طالبٍ أن يدخلَكَ في الحكومةِ أن تزيلَ عنّي أمراً جعلَهُ اللهُ لي وقضاهُ ، ولم أنسَ تحضيضَكَ بني تميمٍ يومَ صفينَ علىٰ نصرةِ عليٍّ ، كلٌّ يبكتُهُ[٢]

قالَ فخرجَ الأحنفُ مِنْ عندِهِ ، فقيلَ لهُ ما صنعَ بكَ ؟ وما قالَ لكَ ؟ قالَ صدقَني سنَّ بكرِهِ ؛ أي خَبَّرَني بما في نفسِهِ وما انطوَتْ عليهِ ضُلوعُهُ

صارَتِ الفتيانُ حُمَماً

هٰذا مِنْ قولِ الحمراءِ بنتِ ضمرةَ بنِ جابرٍ ؛ وذٰلكَ أنَّ بني تميمٍ قتلوا سعدَ بنَ هندٍ أخا عمرِو بنِ هندٍ الملكِ ، فنذرَ عمرٌو ليقتلَنَّ بأخيهِ مئةً مِنْ بني تميمٍ ، فجمعَ أهلَ مملكتِهِ ، فسارَ إليهِم ، فبلغَهُمُ الخبرُ ، فتَفرَّقوا في نواحي بلادِهِم ، فأتىٰ دارَهُم ، فلم يجدْ إلَّا عجوزاً كبيرةً ؛ وهيَ الحمراءُ بنتُ ضمرةَ ، فلمَّا نظرَ إليها وإلىٰ حمرتِها . قالَ لها إنّي لَأحسبُكِ أعجميةً ، فقالَتْ لا ، والذي أسألُهُ أن يخفض جناحَكَ ، ويَهُدَّ عمادَكَ ، ويضعَ وسادَكَ ، ويَسلُبَكَ بلادَكَ ؛ ما أنا بأعجميةٍ

قالَ فمَنْ أنتِ ؟ قالَتْ أنا بنتُ ضمرةَ بنِ جابرٍ ، سادَ مَعدّاً كابراً عن

---

(١) الأمثال (ص ٤٩) للقاسم بن سلام

(٢) في « مجمع الأمثال » (٢/٢٥٤) (يبكيه)

كابرٍ ، وأنا أختُ ضمرةَ بنِ ضمرةَ ، قالَ فمَنْ زوجُكِ ؟ قالَتْ هوذةُ بنُ جرولٍ ، قالَ وأينَ هوَ الآنَ ؟ أَمَا تعرفينَ مكانَهُ ؟ قالَتْ هٰذهِ كلمةُ أحمقَ ، لو كنتُ أعلمُ مكانَهُ حالَ بينَكَ وبيني ، قالَ وأيُّ رجلٍ هوَ ؟ قالَتْ هٰذهِ أحمقُ مِنَ الأُولىٰ ، أعن هوذةَ يُسأَلُ ؟ هوَ واللهِ طيبُ العرقِ ، سمينُ العَرْقِ ، لا ينامُ ليلةَ يخافُ ، ولا يشبعُ ليلةَ يُضافُ ، يأكلُ ما وجدَ ، ولا يَسأَلُ عمَّا فقدَ

فقالَ عمرٌو : أَمَا واللهِ لولا أنِّي أخافُ أن تلدي مثلَ أبيكِ وأخيكِ وزوجِكِ لاستبقيتُكِ ، فقالَتْ وأنتَ واللهِ لا تقتلُ إلَّا نساءً أعاليها ثُدِيٌّ ، وأسافلُها دُمِيٌّ ، واللهِ ؛ ما أدركتَ ثاراً ، ولا محوتَ عاراً ، وما مَنْ فعلتَ هٰذهِ بهِ بغافلٍ عنكَ ، ومعَ اليومِ غدٌ ، فأمرَ بإحراقِها ، فلمَّا نظرَتْ إلى النارِ قالَتْ ألا فتىً مكانَ عجوزٍ ، فذهبَتْ مثلاً ، ثمَّ مكثَتْ ساعةً ، فلم يُفدِها أحدٌ ، فقالَتْ هيهاتَ ، صارَتِ الفتيانُ حُمَماً ، فذهبت مثلاً ، ثمَّ أُلقِيَتْ في النارِ

ولبثَ عمرٌو عامَّةَ يومِهِ لا يَقدِرُ علىٰ أحدٍ ، حتىٰ إذا كانَ في آخرِ النهارِ أقبلَ راكبٌ يُسمَّىٰ عمَّاراً تُوضَعُ بهِ راحلتُهُ ، حتىٰ أناخَ إليهِ ، فقالَ لهُ عمرٌو : مَنْ أنتَ ؟ قالَ أنا رجلٌ مِنَ البراجمِ ، قالَ فما جاءَ بكَ إلينا ؟ قالَ سطعُ الدخانِ ، وكنتُ قد طويتُ منذُ أيامٍ ، فظننتُهُ طعاماً ، فقالَ عمرٌو : إنَّ الشقيَّ وافدُ البراجمِ ، فذهبَت مثلاً ، وأمر بهِ فأُلقِيَ في النارِ ، فقالَ بعضُهُم : ما بلغَنا أنَّهُ أصابَ مِنْ بني تميمٍ غيرَهُ ، وإنَّما أحرقَ النساءَ والصبيانَ ، وفي ذٰلكَ يقولُ جريرٌ (1) [من الطويل]

وَأَخْزَاكُمُ عَمْرٌو كَمَا قَدْ خَزِيتُمُ وَأَدْرَكَ عَمَّاراً شَقِيَّ ٱلْبَرَاجِمِ

(1) انظر « ديوان جرير » (٢/١٠٠٧)

ولذلكَ عُيِّرَتْ بنو تميمٍ بحبِّ الطعامِ ؛ لِمَا لقيَ هٰذا الرجلُ ، قالَ الشاعرُ [من الوافر]

إِذَا مَـا مَـاتَ مَـيْـتٌ مِـنْ تَـمِـيـمٍ فَـسَـرَّكَ أَنْ يَـعِـيـشَ فَـجِـئْ بِـزَادِ
بِـخُـبْـزٍ أَوْ بِـلَـحْـمٍ أَوْ بِـتَـمْـرٍ أَوِ ٱلشَّـيْءِ ٱلْـمُـلَـفَّـفِ فِـي ٱلْـبِـجَـادِ
تَـرَاهُ يَـنْـقُـبُ ٱلآفَـاقَ حَـوْلاً لِـيَـأْكُـلَ رَأْسَ لُـقْـمَـانَ بْـنِ عَـادِ (١)

صُغراهُنَّ شُرَّاهُنَّ

ويُروىٰ صغراها شُرَّاها ، ويُروىٰ مُرَّاها ، وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ امرأةٌ كانَتْ في زمنِ لقمانَ بنِ عادٍ ، وكانَ لها زوجٌ يُقالُ لهُ الشَّجيُّ ، وخليلٌ يُقالُ لهُ الخَلِيُّ ، فنزلَ لقمانُ بهِم ، فرأىٰ هٰذهِ المرأةَ ذاتَ يوم انتبذَتْ مِنْ بيوتِ الحيِّ ، فارتابَ لقمانُ بأمرِها فتبعَها ، فرأىٰ رجلاً عرض لها ، ومضيا جميعاً ، وقضيا حاجتَهُما ، ثمَّ إنَّ المرأةَ قالَتْ للرجلِ إنِّي أتماوتُ ، فإذا أسندوني في رَجَمِي ، فأتني ليلاً فأخرجْني ، ثمَّ اذهبْ إلىٰ مكانٍ لا يَعرِفُنا أهلُهُ ، فلمَّا سمعَ لقمانُ ذٰلكَ قالَ ويلٌ للشجيِّ مِنَ الخليِّ ، فذهبَتْ مثلاً

ثمَّ رجعَتِ المرأةُ إلىٰ مكانِها ، وفعلَتْ ما قالَتْ ، فأخرجَها الرجلُ ، وانطلقَ بها أياماً إلىٰ مكانٍ آخرَ ، ثمَّ تَحوَّلَتْ إلى الحيِّ بعدَ برهةٍ ، فبينا هيَ ذاتَ يومٍ قاعدةٌ مَرَّتْ بها بناتُها ، فنظرَتْ إليها الكبرىٰ ، فقالَتْ أُمِّي واللهِ ، فقالَتِ الوسطىٰ صدقتِ واللهِ ، قالَتِ المرأةُ كذبتُما ، ما أنا لكُما بأُمٍّ ، ولا لأبيكُما بامرأةٍ ، فقالَتْ لهُما الصُّغرىٰ أما تعرفانِ محيَّاها ، وتَعلَّقَتْ بها ، وصرخَتْ ، فقالَتِ الأُمُّ حينَ رأَتْ ذٰلكَ صغراهُنَّ شُرَّاهن ، فذهبَتْ مثلاً

ثـمَّ إنَّ النـاسَ اجـتـمعوا ، فعرفـوها ، فرفعوا القـصَّةَ إلىٰ لقمانَ بنِ عادٍ ،

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٢٥٧ ـ ٢٥٩)

وقالوا له اقضِ بينَنا ، فلمَّا نظرَ لقمانُ إلى المرأةِ عرفَها ، فقالَ عندَ جهينةَ الخبرُ اليقينُ ـ يعني نفسَهُ ، وما عاينَ منها ـ فأخبرَ لقمانُ الزوجَ بما عرفَ ، وأقبلَ على المرأةِ فقَصَّ عليها قصتَها كيفَ صنعَتْ ، وكيفَ قالَتْ لصديقِها ، فلمَّا أتاها بما لا تُنكِرُ قالَتْ ما كانَ هٰذا في حسابي ، فأرسلَتْها مثلاً ، فقيلَ للقمانَ : احكمْ فيها ، فقالَ ارجموها كما رجمَتْ نفسَها في حياتِها ، فرُجِمَتْ ، فقالَ الشَّجيُّ احكمْ بيني وبينَ الخَليِّ ؛ فقد فَرَّقَ بيني وبينَ أهلي ، فقالَ يُفرَّقُ بينَ ذَكَرِهِ وأُنثيَيهِ كما فَرَّقَ بينَكَ وبينَ أُنثاكَ ، فأُخِذَ الخَليُّ فجُبَّ ذَكَرُهُ

صحيفةُ المُتلمِّسِ

قالَ المُفضَّلُ كانَ مِنْ حديثِها أنَّ عمرَو بنَ المنذرِ بنِ امرئِ القيسِ كانَ يُرشِّحُ أخاهُ قابوسَ ـ وهُما لهندِ بنتِ الحارثِ بنِ عمرٍو الكنديِّ آكلِ المِرارِ ـ ليملكَ بعدَهُ ، فقدمَ عليهِ المُتلمِّسُ وطرفةُ ، فجعلَهُما في صحابةِ قابوسَ ، وأمرَهُما بلزومِهِ ، وكانَ قابوسُ شابّاً يعجبُهُ اللَّهوُ ، وكانَ يركبُ يوماً في الصيدِ ، فيركضُ ويَتصيَّدُ وهُما معَهُ يركضانِ حتىٰ رجعا عشيةً وقد لغبا ، فيكونُ قابوسُ مِنَ الغدِ في الشرابِ ، فيقفانِ ببابِ سرادقِهِ إلى العشيِّ ، وكانَ قابوسُ يوماً على الشرابِ ، فوقفا ببابِهِ النهارَ كلَّهُ ، ولم يصلا إليهِ ، فضجرَ طرفةُ وقالَ[1]

[من الوافر]

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ ٱلْمَلْكِ عَمْرٍو   رَغُوثاً حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ
مِنَ ٱلزَّمِرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا   وَضَرَّتُهَا مُرَكَّنَةٌ دَرُورُ
يُشَارِكُنَا لَنَا رِخْلَانِ فِيهَا   وَتَعْلُوهَا ٱلْكِبَاشُ فَمَا تَنُورُ

(١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ١٠١ ـ ١٠٣)

لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ ٱبْنَ هِنْدٍ لَيَخْلِطُ مُلْكَهُ نُوكٌ كَثِيرُ
قَسَمْتَ ٱلدَّهْرَ فِي زَمَنٍ رَخِيٍّ كَذَاكَ ٱلْحُكْمُ يُقْصَدُ أَوْ يَجُورُ
لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرَوَانِ يَوْمٌ تَطِيرُ ٱلْبَائِسَاتُ وَلَا نَطِيرُ
فَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمُ سُوءٍ يُطَارِدُهُنَّ بِٱلْحَدَبِ ٱلصُّقُورُ
وَأَمَّا يَوْمُنَا فَنَظَلُّ رَكْباً وُقُوفاً مَا نَحُلُّ وَلَا نَسِيرُ

وكانَ طرفةُ عدوّاً لابنِ عمِّهِ عبدِ عمرٍو ، وكانَ كريماً على عمرِو ابن هندٍ ، وكانَ سميناً بادناً ، فدخلَ معَ عمرٍو الحمَّامَ ، فلمَّا تَجرَّدَ قالَ عمرُو ابنُ هندٍ لقد كانَ ابنُ عمِّكَ طرفةُ رآكَ حينَ قالَ ما قالَ ، وكانَ طرفةُ هجا عبدَ عمرٍو فقالَ (١)

[من الطويل]

وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ لَهُ غِنىً وَأَنَّ لَهُ كَشْحاً إِذَا قَامَ أَهْضَمَا
تَظَلُّ نِسَاءُ ٱلْحَيِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ يَقُلْنَ عَسِيبٌ مِنْ سَرَارَةِ مَلْهَمَا
لَهُ شَرْبَتَانِ بِٱلْعَشِيِّ وَشَرْبَةٌ مِنَ ٱللَّيْلِ حَتَّىٰ آض جَبْساً مُوَرَّمَا
وَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَغْمِرَ ٱلْمَحْضُ قَلْبَهُ فَإِنْ أُعْطِهُ أَتْرُكْ لِقَلْبِي مَجْثَمَا

فلمَّا قالَ لهُ ذٰلكَ قالَ عبدُ عمرٍو : إنَّهُ قالَ ما قالَ ، وأنشدَهُ (فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عمرٍو) ، فقالَ عمرٌو ما أُصَدِّقُكَ عليهِ ، وقد صَدَّقَهُ ، ولٰكنْ خافَ أن ينذرَهُ وتدركَهُ الرحمةُ ، فمكثَ غيرَ كثيرٍ ، ثمَّ دعا المُتلمِّسَ وطرفةَ ، فقالَ لعلَّكُما قدِ اشتقتُما إلىٰ أهلِكُما ، وسَرَّكُما أن تنصرفا ؟ قالا نعم ، فكتبَ لهُما إلىٰ أبي كربٍ عاملِهِ علىٰ هجرٍ أن يَقتلَهُما ، وأخبرَهُما أنَّهُ قد كتبَ لهُما بحباءٍ ومعروفٍ ، وأعطىٰ كلَّ واحدٍ منهُما شيئاً ، فخرجا

وكانَ المُتلمِّسُ قد أسنَّ ، فمرَّا بنهرِ الحِيرةِ علىٰ غلمانٍ يلعبونَ ، فقالَ

(١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٩٩ ـ ١٠٠)

المُتلمِّسُ هل لكَ في كتابينا ، فإن كانَ فيهما خيرٌ مضينا لهُ ، وإن كانَ شرٌّ اتقيناهُ ، فأبىٰ طرفةُ عليهِ ، فأعطى المُتلمِّسُ كتابَهُ بعض الغلمانِ ، فقرأَهُ عليهِ ، فإذا فيهِ السوءةُ ، فألقىٰ كتابَهُ في الماءِ ، وقالَ لطرفةَ أطعْني وألقِ كتابَكَ ، فأبىٰ طرفةُ ومضىٰ بكتابِهِ ، قالَ ومضى المُتلمِّسُ حتىٰ لحقَ بملوكِ بني جفنةَ بالشامِ ، وقالَ المُتلمِّسُ في ذٰلكَ [من الكامل]

مَنْ مُبْلِغُ ٱلشُّعَرَاءِ عَنْ أَخَوَيْهِمِ ... نَبَأً فَتَصْدُقَهُمْ بِذَاكَ ٱلْأَنْفُسُ
أَوْدَى ٱلَّذِي عَلِقَ ٱلصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا ... وَنَجَا حِذَارَ حِبَائِهِ ٱلْمُتَلَمِّسُ
أَلْقَىٰ صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورَهُ ... وَجْنَاءُ مُجْمَرَةُ ٱلْمَنَاسِمِ عِرْمِسُ
عَيْرَانَةٌ طَبَخَ ٱلْهَوَاجِرُ لَحْمَهَا ... فَكَأَنَّ نُقْبَتَهَا أَدِيمٌ أَمْلَسُ
أَلْقِ ٱلصَّحِيفَةَ لَا أَبَا لَكَ إِنَّهُ ... يُخْشَىٰ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْحِبَاءِ ٱلنِّقْرِسُ

ومضىٰ طرفةُ بكتابِهِ إلى العاملِ ، فقتلَهُ

وروىٰ عبيدٌ راويةُ الأعشىٰ قالَ حدَّثني الأعشىٰ قالَ حدَّثني المُتلمِّسُ ـ واسمُهُ عبدُ المسيحِ بنُ جريرٍ ـ قالَ قدمتُ أنا وطرفةُ بنُ العبدِ علىٰ عمرِو ابنِ هندٍ ، وكانَ طرفةُ غلاماً مُعجَباً تائهاً ، فجعلَ يتخلَّجُ في مشيِهِ بينَ يدَيهِ ، فنظرَ إليهِ نظرةً كادَتْ تَقتلعُهُ مِنْ مجلسِهِ ، وكانَ عمرٌو لا يَتبسَّمُ ولا يضحكُ ، وكانَتِ العربُ تُسمِّيهِ مُضَرِّطَ الحجارةِ ؛ لشدَّةِ ملكِهِ ، وملكَ ثلاثاً وخمسينَ سنةً

وكانَتِ العربُ تهابُهُ هيبةً شديدةً ، وهوَ الذي يقولُ لهُ الذهابُ العجليُّ ؛ واسمُهُ مالكُ بنُ جندلِ بنِ سلمةَ ، من بني عجلٍ ، ولُقِّبَ بالذهابِ لقولِهِ [من الطويل]

وَمَا سَيْرُهُنَّ إِذْ عَلَوْنَ قُرَاقِراً ... بِذِي أَمَمٍ وَلَا ٱلذَّهَابُ ذَهَابُ

[قالَ] [من الطويل]

أَبَى ٱلْقَلْبُ أَنْ يَأْتِي ٱلسَّدِيرَ وَأَهْلَهُ   وَإِنْ قِيلَ عَيْشٌ بِٱلسَّدِيرِ غَرِيرُ

بِهِ ٱلْبَقُّ وَٱلْحُمَّىٰ وَأُسْدٌ خَفِيَّةٌ   وَعَمْرُو ٱبْنُ هِنْدٍ يَعْتَدِي وَيَجُورُ

قالَ المُتلمِّسُ فقلتُ لطرفةَ حينَ قمنا يا طرفةُ ؛ إنِّي أخافُ عليكَ مِنْ نظرتِهِ إليكَ معَ ما قلتَ لأخيهِ ، قالَ كلَّا ، قالَ فكتبَ إلى المُكعبرِ ـ وكانَ عاملَهُ على البحرينِ وعُمانَ ـ لي كتاباً ولطرفةَ كتاباً ، فخرجنا ، حتىٰ إذا هبطنا بذي الركابِ مِنَ النجفِ إذا أنا بشيخٍ عن يساري يَتبرَّزُ ومعَهُ كِسرةٌ يأكلُها ويقصعُ القملَ ، فقلتُ تاللهِ إن رأيتُ شيخاً أحمقَ وأضعفَ وأقلَّ عقلاً منكَ !! قالَ ما تنكرُ ؟ قلتُ تَتبرَّزُ وتأكلُ وتقصعُ القملَ !! قالَ أُخرِجُ خبيثاً ، وأُدخِلُ طيِّباً ، وأقتلُ عدوّاً ، وأحمقُ منِّي وألأمُ حاملُ حتفِهِ بيمينِهِ لا يدري ما فيهِ ، فنبَّهَني ، وكأنَّما كنتُ نائماً ، فإذا أنا بغلامٍ مِنْ أهلِ الحِيرةِ يسقي غُنَيمةً لهُ مِنْ نهرِ الحِيرةِ ، فقلتُ يا غلامُ ؛ أتقرأُ ؟ قالَ نعم ، قلتُ اقرأْ ، فإذا فيهِ باسمِكَ اللهمَّ ، مِنْ عمرِو ابنِ هندٍ ، إلى المُكعبرِ ، إذا أتاكَ كتابي هـٰذا معَ المُتلمِّسِ فاقطعْ يدَيهِ ورجلَيهِ ، وادفنْهُ حَيّاً ، فألقيتُ الصَّحيفةَ في النهرِ ، وذٰلكَ حينَ أقولُ[1] [من الطويل]

أَلْقَيْتُهَا بِٱلثِّنْيِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ   كَذَٰلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلِّلِ

رَضِيتُ لَهَا لَمَّا رَأَيْتُ مِدَادَهَا   يَجُولُ بِهِ ٱلتَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدْوَلِ

وقلتُ يا طرفةُ ؛ معَكَ واللهِ مثلُها ، قالَ كلَّا ، ما كانَ ليكتبَ بمثلِ ذٰلكَ في عقرِ دارِ قومي ، فأتى المكعبرَ ، فقطعَ يدَيهِ ورجلَيهِ ، ودفنَهُ حيّاً

يُضرَبُ لمَنْ يسعىٰ بنفسِهِ في حَيْنِها ويُغرِّرُها[2]

---

(١) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » (ص ٦٥ ـ ٦٧)

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٢٦٧ ـ ٢٧٠)

طالَ الأبدُ علىٰ لُبَدٍ

يعنونَ آخرَ نسورِ لقمانِ بنِ عادٍ ، وكانَ قد عُمِّرَ عُمُرَ سبعةِ أنسرٍ ، وكانَ يأخذُ فرخَ النسرِ فيجعلُهُ في جوبةٍ في الجبلِ الذي هوَ في أصلِهِ ، فيعيشُ الفرخُ خمسَ مئةِ سنةٍ أو أقلَّ أو أكثرَ ، فإذا ماتَ أخذَ آخرَ مكانَهُ ، حتىٰ هلكَتْ كلُّها إلَّا السابعَ ، أخذَهُ فوضعَهُ في ذٰلكَ الموضعِ وسمَّاهُ [لُبداً] ، وكانَ أطولَها عُمُراً ، فضربَتِ العربُ بهِ المثلَ ، فقالوا طالَ الأبدُ علىٰ لُبدٍ ، قالَ الأعشىٰ [من الطويل]

وَأَنْتَ ٱلَّذِي أَلْهَيْتَ قَيْلاً بِكَاسِهِ ... وَلُقْمَانَ إِذْ خَيَّرْتَ لُقْمَانَ فِي ٱلْعُمْرِ

لِنَفْسِكَ أَنْ تَخْتَارَ سَبْعَةَ أَنْسُرٍ ... إِذَا مَا مَضَىٰ نَسْرٌ خَلَوْتَ إِلَىٰ نَسْرِ

فَعُمِّرَ حَتَّىٰ خَالَ أَنَّ نُسُورَهُ ... خُلُودٌ وَهَلْ تَبْقَى ٱلنُّفُوسُ عَلَى ٱلدَّهْرِ

فعاشَ لقمانُ ـ زعموا ـ ثلاثةَ آلافٍ وخمسَ مئةِ سنةٍ ، قالَ النابغةُ(١) [من البسيط]

أَخْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلَّذِي أَخْنَىٰ عَلَىٰ لُبَدِ

وقالَ لبيدٌ(٢) [من الكامل]

وَلَقَدْ جَرَىٰ لُبَدٌ فَأَدْرَكَ جَرْيَهُ ... رَيْبُ ٱلْمَنُونِ وَكَانَ غَيْرَ مُثَقَّلِ

لَمَّا رَأَىٰ لُبَدُ ٱلنُّسُورَ تَطَايَرَتْ ... رَفَعَ ٱلْقَوَادِمَ كَٱلْفَقِيرِ ٱلْأَعْزَلِ

مِنْ تَحْتِهِ لُقْمَانُ يَرْجُو نَهْضَهُ ... وَلَقَدْ يَرَىٰ لُقْمَانُ أَلَّا يَأْتَلِي

قالَ أبو عبيدةَ هوَ لقمانُ بنُ عاديا بنِ لجينِ بنِ عادِ بنِ عوصِ بنِ إرمَ بنِ

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٦) ، وهو عجز بيت ، والبيت بتمامه

أَضْحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَىٰ أَهْلُهَا ٱحْتَمَلُوا ... أَخْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلَّذِي أَخْنَىٰ عَلَىٰ لُبَدِ

(٢) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥)

سامِ بنِ نوحٍ ، كأنَّهُ جعلَ عادياً وعاداً اسمَيْ رجلٍ ، والعربُ تزعمُ أنَّ لقمانَ خُيِّرَ بينَ بقاءِ سبعِ بعراتٍ سُمْرٍ مِنْ أظبٍ عُفْرٍ في جبلٍ وعرٍ لا يمسُّها القطرُ ، وبينَ بقاءِ سبعةِ أنسرٍ ، كلَّما هلكَ نسرٌ . خلفَ بعدَهُ نسرٌ ، فاستحقرَ الأبعارَ ، واختارَ النسورَ ، فلمَّا لم يبقَ غيرُ السابعِ قالَ ابنُ أخٍ لهُ يا عمُّ ؛ ما بقيَ مِنْ عمرِكَ إلَّا عمرُ هٰذا ، فقالَ لقمانُ هٰذا لُبدٌ ولبدٌ بلسانِهِم الدَّهرُ ، فلمَّا انقضىٰ عمرُ لُبدٍ رآهُ لقمانُ واقعاً ، فناداهُ انهضْ لُبدُ ، فذهبَ لينهض فلم يستطعْ ، فسقطَ وماتَ ، وماتَ لقمانُ معَهُ ، فضُرِبَ بهِ المثلُ ، فقيلَ طالَ الأبدُ علىٰ لُبدٍ ، وأتىٰ أبدٌ علىٰ لبدٍ (١)

أظنُّ ماءَكُم هٰذا ماءَ عِناقٍ

قالوا كانَ مِنْ حديثِهِ أنَّ رجلاً بينا هوَ يستقي وبيتُهُ تِلقاءَ وجهِهِ ، فنظرَ فإذا هوَ برجلٍ معانقٍ امرأتَهُ يُقبِّلُها ، فأخذَ العصا وأقبلَ مسرعاً لا يَشُكُّ فيما رأىٰ ، فلمَّا رأتْهُ امرأتُهُ جعلَتِ الرجلَ في خالفةِ البيتِ بينَ الخالفةِ والمتاعِ ، فنظرَ يميناً وشمالاً فلم يرَ شيئاً ، وخرجَ فنظرَ في الأرضِ فلم يرَ شيئاً ، فكَذَّبَ بصرَهُ ، فقالَتِ المرأةُ كأنَّها تريهِ أنَّها قدِ استنكرَتْ مِنْ أمرِهِ شيئاً ما دهاكَ يا أبا فلانٍ ؟ أرعبَكَ شيءٌ ؟ فكتمَها الذي رأىٰ ، ومضىٰ لحاجتِهِ

فلمَّا كانَ في الوردِ الثاني قالَتْ يا أبا فلانٍ ؛ هل لكَ أن أكفيَكَ السَّقيَ وتُودِّعَ اليومَ ؟ فإنِّي قد أشفقتُ عليكَ ، قالَ نعم ، إن شئتِ ، فأقامَ في المنزلِ ، فانطلقَتْ تسقي وتَحَيَّنَتْ منهُ غفلةً ، فأخذَتِ العصا ثمَّ أقبلَتْ حتىٰ تفلقَ بها رأسَهُ فشَجَّتْهُ ، فقالَ ويلَكِ !! ما لكِ وما دهاكِ ؟! قالَتْ وما دهاني يا فاسقُ ، أينَ المرأةُ التي كانَتْ معَكَ تعانقُها ؟! فقالَ لا واللهِ ما كانَتْ عندي امرأةٌ وما عانقتُ اليومَ امرأةً ، قالَتْ بلىٰ ، أنا نظرتُ إليها

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٣٢٧ ـ ٣٢٨)

بعيني وأنا على الماءِ ، فتحالفَها ، فلمَّا أكثرَتْ قالَ إن تكوني صادقةً فإنَّ ماءَكُم هٰذا ماءُ عِناقٍ

يُضرَبُ مثلاً في الدواهي ، قالَهُ أبو عمرٍو ، وروىٰ غيرُهُ : عَناقٌ بفتحِ العينِ ، وقالَ العَناقُ والعَناقةُ الخَيبةُ ، وأنشدَ [من الوافر]

سَرَىٰ لَكَ بِٱلْعَنَاقَةِ مِنْ سُعَادِ خَيَالٌ فَٱجْتَنَىٰ ثَمَرَ ٱلْفُؤَادِ

وهُما مستعارانِ للخيبةِ والأمرِ المظلمِ ؛ مِنْ عَناقِ الأرضِ ، ومنهُ قولُهُم لقيتُ منهُ أُذنَيْ عَناقٍ ؛ لأنَّهُما مسودانِ ، ولا يفارقُهُما السوادُ[1]

عندَ الصباحِ يَحمَدُ القومُ السُّرَىٰ

قالَ المُفضَّلُ إنَّ أولَ مَنْ قالَ ذٰلكَ خالدُ بنُ الوليدِ ؛ لمَّا بعثَ إليهِ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُما وهوَ باليمامةِ أن سِرْ إلى العراقِ ، فأرادَ سلوكَ المفازةِ ، فقالَ لهُ رافعٌ الطائيُّ قد سلكتُها في الجاهليةِ ؛ هيَ خمسٌ للإبلِ الواردةِ ، ولا أظنُّكَ تَقدِرُ عليها إلَّا أن تَحمِلَ مِنَ الماءِ ، فاشترىٰ مئةَ شارفٍ ، فعَطَّشَها ، ثمَّ سقاها الماءَ حتىٰ رَوِيَتْ ، ثمَّ كتبَها وكعمَ أفواهَها ، ثمَّ سلكَ المفازةَ ، حتىٰ إذا مضىٰ يومانِ وخافَ العطشَ على الناسِ والخيلِ ، وخشيَ أن يذهبَ ما في بطونِ الإبلِ نحرَ الإبلَ ، واستخرجَ ما في بطونِها مِنَ الماءِ فسقى الناسَ والخيلَ ، ومضىٰ

فلمَّا كانَ في الليلةِ الرابعةِ قالَ رافعٌ انظروا هل ترون سدراً عظيماً ؛ فإن رأيتمُوها ، وإلَّا فهوَ الهلاكُ ، فنظرَ الناسُ ، فرأَوُا السدرَ ، فأخبروهُ ، فكَبَّرَ وكَبَّرَ الناسُ ، ثم هجموا على الماءِ ، فقالَ خالدٌ [من مشطور الرجز]

لِلّٰهِ دَرُّ رَافِعٍ أَنَّى ٱهْتَدَىٰ

(١) في هامش نسخة الأصل : (عناق الأرض دابة سوداء) ، وانظر « مجمع الأمثال » (٢/٣٥٧ ـ ٣٥٨)

فَــوَّزَ مِـــنْ قُـــرَاقِـــرٍ إِلَـــىٰ سُـــوَىٰ
خَـمْـسـاً إِذَا سَـارَ بِـهِ ٱلْـجَـيْـشُ بَـكَـىٰ
مَـا سَـارَهَـا مِـنْ قَـبْـلِـهِ إِنْـسٌ يُـرَىٰ
عِـنْـدَ ٱلـصَّـبَـاحِ يَـحْـمَـدُ ٱلْـقَـوْمُ ٱلـسُّـرَىٰ
وَتَـنْـجَـلِـي عَـنْـهُـمْ غَـيَـابَـاتُ ٱلْـكَـرَىٰ

يُضرَبُ للرجلِ يَحتمِلُ المَشقَّةَ رجاءَ الراحةِ[1]

عندَ جُهَينةَ الخبرُ اليقينُ

قالَ هشامُ بنُ الكلبيِّ كانَ مِنْ حديثِهِ أنَّ حصينَ بنَ عمرِو بنِ معاويةَ بنِ كلابٍ خرجَ ومعَهُ رجلٌ مِنْ جُهَينةَ يُقالُ لهُ : الأخنسُ بنُ كعبٍ ، وكانَ الأخنسُ قد أحدثَ في قومِهِ حدثاً ، فخرجَ هارباً ، فلقيَهُ الحصينُ ، فقالَ لهُ مَنْ أنتَ ثكلَتْكَ أُمُّكَ ؟ فقالَ لهُ الأخنسُ بل مَنْ أنتَ ثكلَتْكَ أُمُّكَ ؟ فردَّدَ هٰذا القولَ حتىٰ قالَ الأخنسُ أنا الأخنسُ بنُ كعبٍ ، فأخبرْني مَنْ أنتَ ، وإلَّا أنفذتُ قلبَكَ بهٰذا السِّنانِ ، فقالَ لهُ الحصينُ أنا الحصينُ بنُ عمرٍو الكلابيُّ ، ويُقالُ بل هوَ الحصينُ بنُ سبيعٍ الغطفانيُّ ، فقالَ لهُ الأخنسُ فما الذي تريدُ ؟ قالَ خرجتُ لما يخرجُ لهُ الفتيانُ ، قالَ الأخنسُ وأنا خرجتُ لمثلِ ذٰلكَ ، فقالَ لهُ الحصينُ هل لكَ أن نتعاقدَ ألَّا نلتقيَ أحداً مِنْ عشيرتِكَ أو عشيرتي إلَّا سلبناهُ ؟ قالَ نعم ، فتعاقدا علىٰ ذٰلكَ ، وكلاهُما فاتكٌ يَحذَرُ صاحبَهُ

فلقيا رجلاً ، فسلباهُ ، فقالَ لهُما : هل لكما أن تردَّا عليَّ بعضَ ما أخذتُما

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٣٦٩ ـ ٣٧٠)

منّي وأدلُّكُما علىٰ مغنمٍ ؟ قالا نعم ، فقالَ هـٰذا رجلٌ مِنْ لخمٍ قد قدمَ مِنْ عندِ بعضِ الملوكِ بمغنمٍ كثيرٍ ، وهوَ خلفي في موضعِ كذا وكذا ، فردَّا عليهِ بعض مالِهِ وطلبا اللخميَّ ، فوجداهُ نازلاً في ظلِّ شجرةٍ وقدامَهُ طعامٌ وشرابٌ ، فحيياهُ وحيَّاهُما ، وعَرَض عليهِما الطعامَ ، فكرهَ كلُّ واحدٍ أن ينزلَ قبلَ صاحبِهِ فيفتكَ بهِ ، فنزلا جميعاً ، فأكلا وشربا معَ اللخميِّ

ثمَّ إنَّ الأخنسَ ذهبَ لبعضِ شأنِهِ ، فرجعَ واللخميُّ يَتشحَّطُ في دمِهِ ، فقالَ الجهنيُّ ـ وهوَ الأخنسُ ـ وسلَّ سيفَهُ ؛ لأنَّ سيفَ صاحبِهِ كانَ مسلولاً ويحَكَ ويحَكَ !! فتكتَ برجلٍ قد تحرَّمْنا بطعامِهِ وشرابِهِ ، فقالَ : اقعدْ يا أخا جُهَينةَ ، فلهـٰذا وشبهِهِ خرجنا ، فشربا ساعةً وتحدَّثا

ثمَّ إنَّ الحصينَ قالَ يا أخا جُهَينةَ ؛ أتدري ما [صعلةٌ وما صَعْلٌ] ؟ قالَ الجُهَنيُّ هـٰذا يومُ شربٍ وأكلٍ ، فسكتَ الحصينُ ، حتىٰ إذا ظنَّ أنَّ الجهنيَّ قد نسيَ ما يُرادُ بهِ قالَ يا أخا جهينةَ هل أنتَ للطيرِ زاجرٌ ، قالَ وما ذاكَ ؟ قالَ ما تقولُ هـٰذهِ العُقابُ الكاسرُ ، قالَ الجهنيُّ وأينَ تراها ؟ قالَ هيَ ذِهِ ، وتطاولَ ورفعَ رأسَهُ إلى السماءِ ، فوضعَ الجهنيُّ بادرةَ السيفِ في نحرِهِ فقالَ أنا الزاجرُ والناحرُ ، واحتوىٰ علىٰ متاعِهِ ومتاعِ اللخميِّ ، وانصرفَ راجعاً إلىٰ قومِهِ

فمرَّ ببطنَينِ مِنْ قيسٍ يُقالُ لهُما مراحٌ وأنمارٌ ، فإذا هوَ بامرأةٍ تَنشُدُ الحصينَ بنَ سبيعٍ ، فقالَ لها مَنْ أنتِ ؟ قالَتْ أنا صخرةُ امرأةُ الحصينِ ، قالَ أنا قتلتُهُ ، فقالَتْ كذبتَ ، ما مثلُكَ يقتلُ مثلَهُ ، أَمَا لو لم يكنِ الحيُّ خلواً ما تكلَّمتَ بهـٰذا ، فانصرفَ إلىٰ قومِهِ ، فأصلحَ أمرَهُم ، ثمَّ جاءَهُم فوقفَ حيث يُسمِعُهُم وقالَ [من الوافر]

وَكَـمْ مِـنْ ضَـيْـغَـمٍ وَرْدٍ هَـمُـوسٍ أَبِـي شِـبْـلَـيْـنِ مَـسْـكَـنُـهُ ٱلْـعَـرِيـنُ

عَـلَـوْتُ بَـيَـاض مَـفْـرِقِـهِ بِـعَـضْـبٍ فَـأَضْـحَـىٰ فِـي ٱلْـفَـلَاةِ لَـهُ سُـكُـونُ
وَأَضْـحَـتْ عِـرْسُـهُ وَلَـهَـا عَـلَـيْـهِ بُـعَـيْـدَ [هُـدُوءِ لَـيْـلَـتِـهَـا رَنِـيـنُ]
وَكَـمْ مِـنْ فَـارِسٍ لَا تَـزْدَرِيـهِ إِذَا شَـخَـصَـتْ لِـمَـوْقِـعِـهِ ٱلْـعُـيُـونُ
كَـصَـخْـرَةَ إِذْ تُـسَـائِـلُ فِـي مَـرَاحٍ وَأَنْـمَـارٍ وَعِـلْـمُـهُـمَـا ظُـنُـونُ
تُـسَـائِـلُ عَـنْ حُـصَـيْـنٍ كُـلَّ رَكْـبٍ وَعِـنْـدَ جُـهَـيْـنَـةَ ٱلْـخَـبَـرُ ٱلْـيَـقِـيـنُ
فَـمَـنْ يَـكُ سَـائِـلاً عَـنْـهُ فَـعِـنْـدِي لِـصَـاحِـبِـهِ ٱلْـبَـيَـانُ ٱلْـمُـسْـتَـبِـيـنُ
جُـهَـيْـنَـةُ مَـعْـشَـرِي وَهُـمُ مُـلُـوكٌ إِذَا طَـلَـبُـوا ٱلْـمَـعَـالِـي لَـمْ يَـهُـونُـوا

قالَ الأصمعيُّ وابنُ الأعرابيِّ هوَ جُفينةُ بالفاءِ ، وكانَ عندَهُ خبرُ رجلٍ مقتولٍ ، وفيهِ يقولُ الشاعرُ [من الوافر]

تُـسَـائِـلُ عَـنْ أَبِـيـهَـا كُـلَّ رَكْـبٍ وَعِـنْـدَ جُـفَـيْـنَـةَ ٱلْـخَـبَـرُ ٱلْـيَـقِـيـنُ

قالَ فسألوا جفينةَ ، فأخبرَهُم خبرَ القتيلِ ، وقالَ بعضُهُم هوَ حُفينةُ بالحاءِ المهملةِ

يُضرَبُ في معرفةِ الشيءِ حقيقةً (١)

العاشيةُ تُهَيِّجُ الآبيةَ

يُقالُ عشوتُ في معنىٰ تَعشَّيتُ ، وغدوتُ في معنىٰ تَغدَّيتُ ، ورجلٌ عشيانُ ؛ أي مُتعشٍّ ، وقالَ ابنُ السكيتِ عَشِيَ الرجلُ ، وَعَشِيَتِ الإبلُ تَعشىٰ عشىً ؛ إذا تَعشَّتْ ، قالَ أبو النجمِ (٢) [من مشطور الرجز]

يَـعْـشَـىٰ إِذَا أَظْـلَـمَ عَـنْ عَـشَـائِـهِ

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٢٧٠ ـ ٢٧٢)
(٢) انظر « ديوان أبي النجم العجلي » (ص ٦٧)

يقولُ يَتعشَّىٰ وقتَ الظلمةِ ، قالَ المُفضَّلُ خرجَ السليكُ بنُ السلكةِ ، واسمُهُ الحارثُ بنُ عمرِو بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميمٍ ، وكانَ أنكرَ العربِ وأشعرَهُم ، وكانَتْ أُمُّهُ أَمَةً سوداءَ ، وكانَ يُدعىٰ سليكَ المقانبِ ، وكانَ أدلَّ الناسِ بالأرضِ ، وأعداهُم علىٰ رجلِهِ ، لا تعلقُ بهِ الخيلُ ، وكانَ يقولُ اللهمَّ ؛ إنَّكَ تُهيِّئُ ما شئتَ لِمَا شئتَ إذا شئتَ ، إنّي لو كنتُ ضعيفاً لكنتُ عبداً ، ولو كنتُ امرأةً لكنتُ أَمَةً ، اللهمَّ ؛ إني أعوذُ بكَ مِنَ الخيبةِ ، فأمَّا الهيبةُ فلا هيبةَ ؛ أي لا أهابُ أحداً

زعموا أنَّهُ خرجَ يريدُ أن يغيرَ في ناسٍ مِنْ أصحابِهِ ، فمرَّ علىٰ بني شيبانَ في ربيعٍ والناسُ مُخصِبونَ في عشيَّةٍ فيها ضبابٌ ومطرٌ ، فإذا هوَ ببيتٍ قدِ انفردَ مِنَ البيوتِ عظيمٍ وقد أمسىٰ ، فقالَ لأصحابِهِ كونوا بمكانِ كذا وكذا حتىٰ آتيَ هٰذا البيتَ ، فلعلِّي أصيبُ خيراً أو آتيكم بطعامٍ ، فقالوا لهُ افعلْ ، فانطلقَ إليهِ ، وجَنَّ عليهِ الليلُ ، فإذا البيتُ بيتُ يزيدَ بنِ رويمٍ الشيبانيِّ ، وإذا الشيخُ وامرأتُهُ بفِناءِ البيتِ ، فاحتالَ سليكٌ حتىٰ دخلَ البيتَ مِنْ مُؤخرِهِ ، فلم يلبثْ أن أراحَ ابنُ الشيخِ بإبلِهِ في الليلِ ، فلمَّا رآهُ الشيخُ غضبَ وقالَ هلا كنتَ عَشَّيتَها ساعةً مِنَ الليلِ !! فقالَ ابنُهُ إنَّها أبتِ العشاءَ ، فقالَ يزيدُ إنَّ العاشيةَ [تهيّجُ] الآبيةَ ، فأرسلَها مثلاً

ثمَّ نفض الشيخُ ثوبَهُ في وجهِها ، فرجعَتْ إلىٰ مراتعِها ، وتبعَها الشيخُ حتىٰ مالَتْ لأدنىٰ روضةٍ ، فرتعَتْ فيها ، وقعدَ الشيخُ عندَها يَتعشَّىٰ وقد خنسَ وجهَهُ في ثوبِهِ مِنَ البردِ ، وتبعَهُ السليكُ [حينَ] رآهُ انطلقَ ، فلمَّا رآهُ مُغتَرّاً ضربَهُ مِنْ ورائِهِ بالسيفِ ، فأطارَ رأسَهُ ، وأطردَ إبلَهُ ، وقد بقيَ أصحابُ السليكِ وقد ساءَ ظنُّهُم وخافوا عليه ، فإذا بِهِ يطردُ الإبلَ فأطردُوها معَهُ ، فقالَ سليكٌ في ذٰلكَ

[من الطويل]

وَعَاشِيَةٍ [رُخٍّ] بِطَانٍ ذَعَرْتُهَا   بِصَوْتِ قَتِيلٍ وَسْطَهَا يَتَسَيَّفُ

أي يُضرَبُ بالسيفِ

كَـأَنَّ عَـلَـيْـهِ لَـوْنَ بُـرْدٍ مُـحَـبَّـرِ إِذَا مَـا أَتَـاهُ صَـارِخٌ مُـتَـلَـهِّـفُ

يريدُ بقولِهِ (لونَ بردٍ مُحبَّرٍ) طرائقَ الدمِ على القتيلِ، وبالصارخِ الباكيَ المُتحزّنَ لهُ

فَبَـاتَ لَـهَـا أَهْـلٌ خَـلَاءٌ فِـنَـاؤُهُـمْ وَمَرَّتْ بِـهِـمْ طَـيْـرٌ فَـلَـمْ يَـتَـعَـيَّـفُـوا

أي لم يزجروا الطيرَ فيعلموا مِنْ جملتِها أيُقتَلُ هٰذا أو يَسلَمُ

وَبَاتُـوا يَظُنُّونَ ٱلظُّنُونَ وَصُحْبَتِي إِذَا مَا عَلَوْا نَشْزاً أَهَلُّوا وَأَوْجَفُوا

أي حملوها على الوجيفِ؛ وهوَ ضربٌ مِنَ السيرِ

وَمَا نِلْتُهَا حَتَّىٰ تَصَعْلَكْتُ حِقْبَةً وَكِـدْتُ لِأَسْبَابِ ٱلْـمَـنِيَّـةِ أَعْـرِفُ

أي أصبرُ

وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ ٱلْجُوعَ بِٱلصَّيْفِ ضَرَّنِي إِذَا قُمْتُ يَغْشَانِي ظِلَالٌ فَأَسْدِفُ

خصَّ الصيفَ دونَ الشتاءِ؛ لأنَّ بالصيفِ لا يكادُ يجوعُ أحدٌ؛ لكثرةِ اللبنِ، فإذا جاعَ هوَ دلَّ علىٰ أنَّهُ كانَ لا يملكُ شيئاً، وقولُهُ (أسدفُ) يريدُ أدورُ فأدخلُ في السدفةِ؛ وهيَ الظلمةُ؛ يعني يظلمُ بصري مِنْ شدةِ الجوعِ

يُقالُ إنَّهُ كانَ افتقرَ حتىٰ لم يبقَ عندَهُ شيءٌ، فخرجَ علىٰ رجلَيهِ رجاءَ أن يصيبَ غرةً مِنْ بعضِ مَنْ يمرُّ عليهِ فيذهبَ بإبلِهِ، حتىٰ إذا أمسىٰ في ليلةٍ مِنْ ليالي الشتاءِ باردةٍ مقمرةٍ اشتملَ الصَّمَّاءَ؛ وهوَ أن يَرُدَّ فضلَ ثوبِهِ علىٰ عضدِهِ اليمنىٰ ثمَّ ينامَ عليها، فبينا هوَ نائمٌ إذ جثمَ عليهِ رجلٌ، فقالَ لهُ استأسرْ، فرفعَ سليكٌ رأسَهُ وقالَ الليلُ طويلٌ وأنتَ مقمرٌ، فذهبَ قولُهُ مثلاً، ثمَّ جعلَ الرجلُ يلهزُهُ ويقولُ يا خبيثُ؛ استأسرْ، فلمَّا آذاهُ أخرجَ

سليكٌ يدَهُ فضمَّ الرجلَ ضمَّةً ضرطَ منها ، فقالَ أضرطاً وأنتَ الأعلىٰ ؟ فذهبَتْ مثلاً ، وقد ذكرتُهُ في بابِ الضادِ

ثمَّ قالَ لهُ سليكٌ مَنْ أنتَ ؟ فقالَ أنا رجلٌ افتقرتُ ، فقلتُ لَأخرجَنَّ فلا أرجعُ حتىٰ أستغنيَ ، قالَ فانطلقْ معي ، فانطلقا ، حتىٰ وجدا رجلاً قصتُهُ مثلُ قصتِهِما ، فاصطحبوا جميعاً ، حتىٰ أتوُا الجوفَ جوفَ مرادٍ الذي باليمنِ ، إذا نَعَمٌ قد ملأَ كلَّ شيءٍ مِنْ كثرتِهِ ، فهابوا أن يغيروا فيطردوا بعضَها فيلحقُهُم الحيُّ ، فقالَ لهُما سليكٌ كونا قريباً حتىٰ آتيَ الرعاءَ ، فأعلمَ لكما علمَ الحيِّ أقريبٌ هم أم بعيدٌ ، فإن كانوا قريباً رجعتُ إليكما ، وإن كانوا بعيداً قلتُ لكما قولاً أجيءُ بهِ لكما فأغيرا

فانطلقَ ، حتىٰ أتى الرعاءَ فلم يزلْ يَتسقَّطُهُم حتىٰ أخبروهُ بمكانِ الحيِّ ، فإذا هم بعيدٌ ، إن طلبوا لم يدركوا ، فقالَ السليكُ ألا أُغنِّيكُم ؟ قالوا بلىٰ ، فتغنَّىٰ بأعلىٰ صوتِهِ [من البسيط]

يَـا صَـاحِبَـيَّ أَلَا لَا حَـيَّ بِـٱلْـوَادِي إِلَّا عَـبِـيـدٌ وَآمٍ بَـيْـنَ أَذْوَادِ
أَتُـنْـظِـرَانِـي قَـلِـيـلاً رَيْـثَ غَـفْـلَـتِـهِـمْ أَمْ تَـغْـدُوَانِ فَـإِنَّ ٱلـرِّيـحَ لِـلْـغَـادِي

الوآمُ الوفاقُ والمباهاةُ(١) ، فلمَّا سمعا ذٰلكَ أتياهُ ، فأطردوا الإبلَ ، فذهبوا بها ، ولمْ يبلغِ الصريخُ الحيَّ حتىٰ مضَوْا بما معَهُم(٢)

في بيتِهِ يُؤتى الحكمُ

هٰذا ممَّا زعمَتِ العربُ عن ألسنِ البهائمِ ؛ قالوا إنَّ الأرنبَ التقطَتْ

---

(١) لعل شرح الكلمة سبق قلم ؛ لأن المراد (الآم) جمع (أَمَةٍ) وهي المملوكة خلاف الحرة ، كما في « لسان العرب » (١٤/٤٥) ، لا كما شرحه المؤلف رحمه الله تعالىٰ

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٣٨١ ـ ٣٨٤)

تمرةً ، فاختلسَها الثعلبُ فأكلَها ، وانطلقا يختصمانِ إلى الضَّبِّ ، فقالَتِ الأرنبُ يا [أبا] الحِسْلِ ؛ فقالَ سميعاً دعوتِ ، قالَتْ أتيناكَ لنختصمَ إليكَ ، قالَ عادلاً حَكَّمتُما ، قالَتْ فاخرجْ إلينا ، قالَ في بيتِهِ يُؤتى الحَكَمُ ، قالَتْ إنّي وجدتُ تمرةً ، قالَ حلوةً فكليها ، قالَتْ فاختلسَها الثعلبُ قالَ لنفسِهِ بغى الخيرَ ، قالَتْ فلطمتُهُ ، قالَ بحقِّكِ أخذتِ ، قالَتْ فلطمَني ، قالَ حرٌّ انتصرَ ، قالَتْ فاقضِ بينَنا ، قالَ قد قضيتُ ، فذهبَتْ أقوالُهُ كلُّها أمثالاً

قلتُ[1] وممَّا يشبهُ هٰذا ما حُكِيَ أنَّ خالدَ بنَ الوليدِ لمَّا تَوجَّهَ مِنَ الحجازِ إلىٰ أطرافِ العراقِ دخلَ عليهِ عبدُ المسيحِ بنُ عمرِو بنِ نفيلةَ ، فقالَ لهُ خالدٌ أينَ أقصىٰ أثرِكَ ؟ قالَ ظهرُ أبي ، قالَ مِنْ أينَ خرجتَ ؟ قالَ مِنْ بطنِ أُمِّي ، قالَ علامَ أنتَ ؟ قالَ على الأرضِ ، قالَ فيمَ أنتَ ؟ قالَ في ثيابي ، قالَ فمِنْ أينَ أقبلتَ ؟ قالَ مِنْ خلفِي ، قالَ أينَ تريدُ ؟ قالَ أمامي ، قالَ ابنُ كم أنتَ ؟ قالَ ابنُ رجلٍ واحدٍ ، قالَ أتعقلُ أنتَ ، قالَ نعم ، وأقيّدُ ، قالَ أحربٌ أنتَ أم سلمٍ ؟ قالَ سلمٌ ، قالَ فما بالُ هٰذهِ الحصونِ ؟ قالَ بنيناها لسفيهٍ حتىٰ يجيءَ حليمٌ فينهاهُ

ومثلُ هٰذا أنَّ عديَ بنَ أرطأةَ أتىٰ إياسَ بنَ معاويةَ قاضيَ البصرةِ في مجلسِ حكمِهِ وعديٌّ أميرُ البصرةِ ، وكانَ أعرابيَّ الطبعِ ، فقالَ [لإياسٍ] يا هناه ؛ أينَ أنتَ ؟ قالَ بينَكَ وبينَ الحائطِ ، قالَ فاسمعْ منّي ، قالَ للاستماعِ جلستُ ، قالَ إنّي تَزوَّجتُ امرأةً ، قالَ بالرفاءِ والبنينَ ، قالَ وشرطتُ لأهلِها ألّا أخرجَها مِنْ بينِهِم ، قالَ أوفِ لهُم بالشرطِ ، قالَ فأنا أريدُ الخروجَ ، قالَ : في حفظِ اللهِ ، قالَ فاقضِ بينَنا ، قالَ قد فعلتُ ، قالَ

(١) القائل هو العلامة الميداني في « مجمع الأمثال »

فعلىٰ مَنْ حكمتَ ؟ قالَ على ابنِ أخي عمِّكَ ، قالَ بشهادةِ مَنْ ؟ قالَ بشهادةِ ابنِ أختِ خالتِكَ (١)

في سبيلِ اللهِ سرجي وبغلي

أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ المِقدامُ بنُ عاطفٍ العجليُّ ، وكانَ قد وفدَ على كسرىٰ فأكرمَهُ ، فلمَّا أرادَ الانصرافَ حملَهُ علىٰ بغلٍ مُسرَجٍ مِنْ مراكبِهِ ، فلمَّا وصلَ إلىٰ قومِهِ قالوا ما هٰذا الذي أتيتَنا بهِ ؟ فأنشأَ يقولُ [من الوافر]

أَتَـيْـتُـكُـمُ بِـبَـغْـلٍ ذِي مَـرَاحِ أَقَـبَّ حَـمُـولَـةِ ٱلْـمَـلِـكِ ٱلْـهُـمَـامِ
يَجُولُ [إِذَا] حَمَلْتَ عَلَيْهِ سَرْجاً كَـمَـا جَـالَ ٱلْـمُـفَـدَّحُ ذُو ٱلـلِّـجَـامِ
وَمَـا يَـزْدَادُ إِلَّا فَـضْـلَ جَـرْيٍ إِذَا مَـا مَـسَّـهُ عَـرَقُ ٱلْـحِـزَامِ
وَلَـيْـسَـتْ أُمُّـهُ مِـنْـهُ وَمَـا إِنْ أَبُـوهُ مِـنَ ٱلْـمُـسَـوَّمَـةِ ٱلْـكِـرَامِ
لَـهُ أُمٌّ مُـفَـدَّحَـةٌ صَـفُـونٌ وَكَـانَ أَبُـوهُ ذَا دَبَـرٍ دَوَامِـي

وكانَ يَروضُهُ رياضةَ الخيلِ ، فرمحَهُ رمحةً كسرَ بها شراسيفَهُ ، فمرض مِنْ ذٰلكَ برهةً ، وأمرَ بالبغلِ ، فحُمِلَ عليهِ الكورُ وأمتعةُ الحيِّ ولم يُعلَفْ ، فنَفَقَ البغلُ ، وبرئَ المقدامُ مِنْ مرضِهِ ، فركبَ إلى الصيدِ ، وحملَ السرجَ علىٰ ناقةٍ لهُ عَلوقٌ ، فلمَّا ركبَها ومسَّها وقعُ الركابينِ هوتْ بهِ قيدَ رمحَينِ ، وطارَتْ بهِ في الأرضِ ، فلم يَقدِرْ عليها ، وتَقطَّعَ السرجُ ، فقالَ المقدامُ [من الرمل]

نَـفَـقَ ٱلْـبَـغْـلُ وَأَوْدَىٰ سَـرْجُـنَـا فِـي سَـبِـيـلِ ٱللهِ سَـرْجِـي وَبَـغْـلِـي (٢)

يُضرَبُ في التسلِّي عمَّا يَهلِكُ ويُودي بهِ الزمانُ (٣)

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٥١٠ ـ ٥١١)
(٢) في « تاج العروس » (٢٦/٤٣١) ، مادة (ن ف ق) ، وفيه (وبَغَلْ) بدل (وبَغْلي)
(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٥١٨ ـ ٥١٩)

قد حيلَ بينَ العَيْرِ والنَّزَوَانِ

أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ صخرُ بنُ عمرٍو أخو الخنساءِ ، قالَ ثعلبٌ غزا صخرُ بنُ عمرٍو بني أسدِ بنِ خزيمةَ ، فاكتسحَ إبلَهُم ، فجاءَهُم الصريخُ ، فركبوا ، فالتقَوْا بذاتِ الأثلِ ، فطعنَ أبو ثورِ الأسديُّ صخراً طعنةً في جنبِهِ ، وأفلتَ الخيلُ فلم يقعصْ مكانَهُ ، وجوىٰ منها ، فمرض حولاً حتىٰ مَلَّهُ أهلُهُ ، فسمعَ امرأةً تقولُ لامرأتِهِ سلمىٰ كيفَ بعلُكِ ؟ فقالَتْ لا حيٌّ فيُرجىٰ ، ولا ميتٌ فيُنعىٰ ، لقد لقينا منهُ الأمرَّينِ ، فقالَ صَخرٌ [من الطويل]

أَرَىٰ أُمَّ صَـخْـرٍ لَا تَـمَـلُّ عِـيَـادَتِـي

وفي روايةٍ أخرىٰ : فمرض زماناً حتىٰ مَلَّتْهُ امرأتُهُ ، وكانَ يكرمُها ، فمرَّ بها رجلٌ وهيَ قائمةٌ وكانَتْ ذاتَ خلقٍ وإدراكٍ ، فقالَ لها يُباعُ الكفلُ ؟ فقالَتْ نعم ، عمَّا قليلٍ ، وكانَ ذٰلكَ يسمعُهُ صخرٌ ، فقالَ أَمَا واللهِ ؛ لئن قَدَرْتُ لأقدمنَّكِ قبلي ، ثمَّ قالَ لها ناوليني السيفَ أنظرْ إليهِ هل تُقِلُّهُ يدي ، فناولَتْهُ ، فإذا هوَ لا يُقِلُّهُ ، فقالَ [من الطويل]

أَرَىٰ أُمَّ صَـخْـرٍ لَا تَـمَـلُّ عِـيَـادَتِـي   وَمَلَّتْ سُلَيْمَىٰ مَضْجَعِي وَمَكَانِي
فَـأَيُّ ٱمْـرِئٍ سَـاوَىٰ بِـأُمٍّ حَـلِـيـلَـةً   فَـلَا عَـاشَ إِلَّا فِـي شَـقـاً وَهَـوَانِ
أَهُـمُّ بِـأَمْـرِ ٱلْـحَزْمِ لَـوْ أَسْـتَـطِـيـعُـهُ   وَقَـدْ حِـيـلَ بَـيْـنَ ٱلْـعَـيْـرِ وَٱلـنَّـزَوَانِ
وَمَـا كُـنْـتُ أَخْـشَـىٰ أَنْ أَكُـونَ جِـنَـازَةً   عَـلَـيْـكِ وَمَـنْ يَـغْـتَـرُّ بِـٱلْـحَـدَثَـانِ
فَـلَـلْـمَـوْتُ خَـيْـرٌ مِـنْ حَـيَـاةٍ كَـأَنَّـهَـا   مُـعَـرَّسُ يَـعْـسُـوبٍ بِـرَأْسِ سِـنَـانِ
لَـعَـمْـرِي لَـقَـدْ نَـبَّـهْـتُ مَـنْ كَـانَ نَـائِـمـاً   وَأَسْـمَـعْـتُ مَـنْ كَـانَـتْ لَـهُ أُذُنَـانِ

قالَ أبو عبيدةَ فلمَّا طالَ بهِ البلاءُ وقد نتأَتْ قطعةٌ مِنْ جنبِهِ مثلُ اللبدِ في موضعِ الطعنةِ قيلَ لهُ لو قطعتَها لرجونا أن تبرأَ ، فقالَ شأنَكُم ،

وأشفقَ عليهِ قومٌ ، فنهَوهُ ، فأبىٰ ، فأخذوا شفرةً فقطعوا ذٰلكَ الموضعِ ، فيئسَ مِنْ نفسِهِ وقالَ [من الطويل]

أَجَارَتَنَا إِنَّ ٱلْحُتُوفَ تَنُوبُ عَلَى ٱلنَّاسِ كُلَّ ٱلْمُخْطِئِينَ تُصِيبُ

أَجَارَتَنَا إِنْ تَسْأَلِينِي فَإِنَّنِي مُقِيمٌ لَعَمْرِي مَا أَقَامَ عَسِيبُ

كَأَنِّي وَقَدْ أَدْنُو لِحَزِّ شِفَارِهِمْ مِنَ ٱلصَّبْرِ دَامِي ٱلصَّفْحَتَيْنِ نَكِيبُ

ثمَّ ماتَ ، فدُفِنَ إلىٰ جنبِ عسيبٍ ؛ وهوَ جبلٌ يقربُ مِنَ المدينةِ ، وقبرُهُ معلمٌ هناكَ (١)

قد أنصفَ القارةَ مَنْ راماها

القارةُ قبيلةٌ ؛ وهُم عَضَلٌ والدِّيشُ ابنا الهونِ بنِ خزيمةَ ، وإنَّما سُمُّوا قارةً لاجتماعِهِم والتفافِهِم لمَّا أرادَ الشداخُ أن يُفرِّقَهُم في بني كنانةَ ، فقالَ شاعرُهُم [من الوافر]

دَعَوْنَا قَارَةً لَا تَنْفِرُونَا فَنُجْفِلَ مِثْلَ إِجْفَالِ ٱلظَّلِيمِ

وهيَ رماةُ الحدقِ في الجاهليةِ ، وهُمُ اليومَ في اليمنِ ، ويزعمونَ أنَّ رجلَينِ التقيا ؛ أحدُهُما قاريٌّ ، فقالَ القاريُّ إن شئتَ صارعتُكَ ، وإن شئتَ سابقتُكَ ، وإن شئتَ راميتُكَ ، فقالَ الآخَرُ قدِ اخترتُ المراماةَ ، فقالَ القاريُّ قد أنصفتَني ، وأنشأَ يقولُ [من مشطور الرجز]

قَدْ أَنْصَفَ ٱلْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا

إِنَّا إِذَا مَا فِئَةٌ نَلْقَاهَا

تَرُدُّ أُولَاهَا عَلَىٰ أُخْرَاهَا

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٥٥٨ ـ ٥٥٩)

ثمَّ انتزعَ لهُ بسهمٍ فشكَّ بهِ فؤادَهُ

قالَ أبو عبيدٍ (أصلُ القارةِ الأكمةُ ، وجمعُها قُورٌ ، قالَ ابنُ [واقدٍ] وإنَّما قيلَ « أنصفَ القارةَ مَنْ راماها » في حربٍ كانَتْ بينَ قريشٍ وبينَ بكرِ بنِ عبدِ [مناةَ] بنِ كنانةَ ، قالَ وكانَتِ القارةُ معَ قريشٍ ، وهُم قومٌ رماةٌ ، فلمَّا التقى الفريقانِ راماهُمُ الآخَرونَ ، فقيلَ قد أنصفَهُم هٰؤلاءِ إذ ساوَوْهُم في العملِ الذي هوَ شأنُهُم وصناعتُهُم ، وفي بعضِ الآثارِ ألا أخبرُكُم بأعدلِ الناسِ ؟ قيلَ بلىٰ ، قالَ مَنْ أنصفَ مِنْ نفسِهِ ، وفي بعضِها أيضاً أشدُّ الأعمالِ ثلاثةٌ إنصافُ الناسِ مِنْ نفسِكَ ، والمواساةُ بالمالِ ، وذكرُ اللهِ تعالىٰ علىٰ كلِّ حالٍ)(١)

قد قيلَ ذٰلكَ إنْ حقّاً وإنْ كذباً

قالوا إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذٰلكَ النعمانُ بنُ المنذرِ اللخميُّ للربيعِ بنِ زيادٍ العبسيِّ ، وكانَ لهُ صديقاً ونديماً ، وإنَّ عامراً ملاعبَ الأَسِنَّةِ وعوفَ بنَ الأحوصِ وسهيلَ بنَ مالكٍ ولبيدَ بنَ ربيعةَ ، وشماساً الفزاريَّ ، وقلابةَ الأسديَّ قدموا على النعمانِ ، وخَلَّفوا لبيداً يراعي إبلَهُم ، وكانَ أحدثَهُم سنّاً ، وجعلوا يغدونَ إلى النعمانِ ويروحونَ ، فأكرمَهُم وأحسنَ نُزُلَهُم ، غيرَ أنَّ الربيعَ كانَ أعظمَ عندَهُ قدراً

فبينَما هُم ذاتَ يومٍ عندَ النعمانِ إذ رجزَ بِهِمُ الربيعُ وعابَهُم ، وذكرَهُم بأقبحِ ما قَدَرَ عليهِ ، فلمَّا سمعَ القومُ ذٰلكَ انصرفوا إلىٰ رحالِهِم وكلُّ إنسانٍ منهُم مُقبِلٌ علىٰ بَثِّهِ ، وروَّحَ لبيدٌ [الشَّولَ] ، فلمَّا رأىٰ أصحابَهُ وما بِهِم مِنَ الكآبةِ سألَهُم ما لكُم ؟ فكتموهُ ، فقالَ لهُم واللهِ ؛ لا أحفظُ

---

(١) الأمثال (ص ١٣٧) للقاسم بن سلام ، وانظر « مجمع الأمثال » (٢/٥٦٥ ـ ٥٦٦)

لكُم متاعاً ، ولا أُسرِحُ لكُم إبلاً أو تخبروني بالذي كنتُم فيهِ ، وإنَّما كتموا عنهُ ؛ لأنَّ أُمَّ لبيدٍ امرأةٌ مِنْ بني عبسٍ ، وكانَتْ يتيمةً في حجرِ الربيعِ ، فقالوا خالُكَ قد غلبَنا على الملكِ ، وصدَّ بوجهِهِ عنَّا ، فقالَ لبيدٌ هل فيكُم مَنْ يكفيني الإبلَ وتدخلونَني على النعمانِ معَكُم ، فواللَّاتِ والعُزَّىٰ ؛ لأدعَنَّهُ لا ينظرُ إليهِ أبداً

فخَلَّفُوا في إبلِهِم قلابةَ الأسديَّ ، وقالوا للبيدٍ أوَعندَكَ خيرٌ ؟ قالَ سترونَ ، قالوا إنَّا نبلوكَ في هٰذهِ البقلةِ ـ لبقلةٍ بينَ أيديهِم دقيقةِ الأغصانِ ، قليلةِ الأوراقِ ، لاصقةٍ بالأرضِ ، تُدعى التربةَ ـ صفْها لنا واشتُمْها ، فقالَ هٰذهِ التربةُ التي لا تذكي ناراً ، ولا تُؤهِلُ داراً ، ولا تَسُرُّ جاراً ، عودُها ضئيلٌ ، وفرعُها كليلٌ ، وخيرُها قليلٌ ، شرُّ البقولِ مرعىً ، وأقصرُها فرعاً ، فتعساً لها وجدعاً ، القَوْا بي أخا عبسٍ أردُّهُ عنكُم بتعسٍ ، وأدعْهُ مِنْ أمرِهِ في لبسٍ ، قالوا نصبحُ فنرىٰ رأيَنا

فقالَ لهُم عامرٌ انظروا هٰذا الغلامَ ؛ فإن رأيتُموهُ نائماً فليسَ أمرُهُ بشيءٍ ، إنَّما يَتكلَّمُ بما جاءَ علىٰ لسانِهِ ، ويَهذي بما يهجسُ في خاطرِهِ ، وإن رأيتُموهُ ساهراً فهوَ صاحبُكُم ، فرمقوهُ ، فرأَوْهُ قد ركبَ رحلاً حتىٰ أصبحَ

فخرجَ القومُ وهوَ معَهُم ، حتىٰ دخلوا على النعمانِ وهوَ يَتغدَّىٰ والربيعُ يأكلُ معَهُ ، فقالَ لبيدٌ أبيتَ اللعنَ ، أتأذنُ لي في الكلامِ ؟ فأذنَ لهُ ، فأنشأَ يقولُ [من مشطور الرجز]

يَـا رُبَّ هَـيْـجَـا هِـيَ خَـيْـرٌ مِـنْ دَعَـهْ
أَكُـلَّ يَـوْمٍ هَـامَـتِـي مُـقَـرَّعَـهْ
نَـحْـنُ بَـنُـو أُمِّ ٱلْـبَـنِـيـنَ ٱلْأَرْبَـعَـهْ

وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَهْ
اَلْمُطْعِمُونَ ٱلْجَفْنَةَ ٱلْمُدَعْدَعَهْ
وَٱلضَّارِبُونَ ٱلْهَامَ تَحْتَ ٱلْخَيْضَعَهْ
يَا وَاهِبَ ٱلْخَيْرِ ٱلْكَثِيرِ مِنْ سَعَهْ
إِلَيْكَ جَاوَزْنَا بِلَاداً مَسْبَعَهْ
نُخْبِرُ عَنْ هَٰذَا خَبِيراً فَٱسْمَعَهْ
مَهْلاً أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهْ
إِنَّ ٱسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ [مُلَمَّعَهْ]
وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِصْبَعَهْ
يُدْخِلُهَا حَتَّىٰ يُوَارِي أَشْجَعَهْ
كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئاً أَطْمَعَهْ

ويُروىٰ : (ضَيَّعَهْ) ، فلمَّا سمعَ النعمانُ الشعرَ . أَفَّفَ ورفعَ يدَهُ مِنَ الطعامِ ، وقالَ للربيعِ أكذاكَ أنتَ ؟! قالَ لا واللَّاتِ ، لقد كذبَ ابنُ الفاعلةِ ، قالَ النعمانُ لقد خَبُثَ عليَّ طعامي ، فغضبَ الربيعُ وقامَ وهوَ يقولُ [من البسيط]

لَئِنْ رَحَلْتُ رِكَابِي إِنَّ لِي سَعَةً ... مَا مِثْلَهَا سَعَةٌ عَرْضاً وَلَا طُولَا
وَلَوْ جَمَعْتُ بَنِي لَخْمٍ بِأَسْرِهِمِ ... مَا وَازَنُوا رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمْوِيلَا
فَٱبْرُقْ بِأَرْضِكَ يَا نُعْمَانُ مُتَّكِئاً ... مَعَ ٱلنِّطَاسِيِّ طَوْراً وَٱبْنِ تَوْفِيلَا

وقالَ لا أبرحُ أرضَكَ حتىٰ تبعثَ إليَّ مَنْ يُفتِّشُني فتعلمَ أنَّ الغلامَ كاذبٌ ، فأجابَهُ النعمانُ [من البسيط]

شَرِّدْ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلَا ... تُكْثِرْ عَلَيَّ وَدَعْ عَنْكَ ٱلْأَبَاطِيلَا

فَقَدْ رَمَيْتَ بِدَاءٍ لَسْتَ غَاسِلَهُ مَا جَاوَرَ ٱلنِّيلَ يَوْماً أَهْلُ إِبْلِيلَا

قَدْ قِيلَ ذَٰلِكَ إِنْ حَقّاً وَإِنْ كَذِباً فَمَا ٱعْتِذَارُكَ عَنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلَا

قولُهُ (بنو أُمِّ البنينَ الأربعهْ) هم خمسةٌ مالكُ بنُ جعفرٍ ملاعبُ الأسنَّةِ ، وطفيلُ بنُ مالكٍ أبو عامرِ بنِ الطفيلِ ، وربيعةُ بنُ مالكٍ ، وعبيدةُ بنُ مالكٍ ، ومعاويةُ بنُ مالكٍ ، وهُم أشرافُ بني عامرٍ ، فجعلَهُم أربعةً لأجلِ القافيةِ

وسَمْوِيلُ أحدُ أجدادِ الربيعِ ؛ وهوَ في الأصلِ اسمُ طائرٍ ، وأرادَ بالنِّطاسيِّ روميّاً يُقالُ لهُ سرحونُ ، وابنُ توفيلَ روميٌّ آخرُ ، كانا ينادمانِ النعمانَ (١)

كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجَبةٌ

يُضرَبُ في عجبِ الرجلِ برهطِهِ وعشيرتِهِ ، وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ العجفاءُ بنتُ علقمةَ السعديُّ ؛ وذٰلكَ أنَّها وثلاثَ نسوةٍ مِنْ قومِها خرجنَ ، فاتَّعَدنَ بروضةٍ يَتحدَّثْنَ فيها ، فوافينَ بها ليلاً في قمرٍ زاهرٍ ، وليلةٍ طلقةٍ ساكنةٍ ، [وروضةٍ](٢) معشبةٍ خصبةٍ ، فلمَّا جلسنَ قلنَ ما رأينا كالليلةِ ليلةً ، ولا كهٰذهِ الروضةِ روضةً ، أطيبَ ريحاً ولا أنضرَ ، ثمَّ أفضنَ في الحديثِ ، فقلنَ أيُّ النساءِ أفضلُ ؟

قالَتْ إحداهُنَّ الخَرودُ الوَدودُ الوَلودُ

قالَتِ الأخرىٰ خيرُهُنَّ ذاتُ الغَناءِ ، وطيبِ الثناءِ ، وشدَّةِ الحياءِ

قالَتِ الثالثةُ خيرُهُنَّ السَّموعُ الجَموعُ النَّفوعُ غيرُ المنوعِ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٥٧٠ ـ ٥٧٢)

(٢) في الأصل (ورضة)

قالَتِ الرابعةُ خيرُهُنَّ الجامعةُ لأهلِها الوادعةُ ، الرافعةُ لا الواضعةُ

قلنَ فأيُّ الرجالِ أفضلُ ؟

قالَتْ إحداهُنَّ خيرُهُمُ الحَظيُّ الرَّضيُّ ، غيرُ الحظالِ ولا التبالِ

قالَتِ الثانيةُ : خيرُهُمُ السيدُ الكريمُ ، ذو الحَسَبِ العميمِ ، والمجدِ القديمِ

قالَتِ الثالثةُ خيرُهُمُ السَّخيُّ الوفيُّ الرَّضيُّ ، الذي لا يُغيِّرُ الحُرَّةَ ، ولا يَتَّخِذُ الضَّرَّةَ

قالَتِ الرابعةُ وأبيكُنَّ ؛ إنَّ في أبي لنعتَكُنَّ ؛ كرمُ الأخلاقِ والصدقُ عندَ التلاقِ ، والفلجُ عندَ السباقِ ، ويَحمَدُهُ أهلُ الرفاقِ ، قالَتِ [العجفاءُ] عندَ ذٰلكَ كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجَبةٌ

وفي بعضِ الرواياتِ أنَّ إحداهُنَّ قالَتْ إنَّ أبي يُكرِمُ الجارَ ، ويعظمُ النارَ ، وينحرُ العِشارَ بعدَ الحِوارِ ، ويَحملُ الأمورَ الكبارَ

فقالَتِ الثانيةُ إنَّ أبي عظيمُ الخطرِ ، منيعُ الوزرِ ، عزيزُ النفرِ ، يُحمَدُ منهُ الوردُ والصَّدرُ

فقالَتِ الثالثةُ إنَّ أبي صدوقُ اللسانِ ، كثيرُ الأعوانِ ، يروي السِّنانَ عندَ الطعانِ

قالَتِ الرابعةُ إنَّ أبي كريمُ النزالِ ، منيفُ المقالِ ، كثيرُ النوالِ ، قليلُ السؤالِ ، كريمُ الفَعالِ

ثـمَّ تَنافَرْنَ إلىٰ كاهنةٍ معَهُنَّ في الحيِّ ، فقلنَ لها اسمعي ما قلنا ، واحكمي بينَنا ، واعدلي ، ثمَّ أعدنَ عليها قولَهُنَّ ، فقالَتْ لهُنَّ كلُّ واحدةٍ منكُنَّ ماردةٌ على الإحسانِ جاهدةٌ ، لصواحباتِها حاسدةٌ ، ولٰكنِ اسمعنَ قولي خيرُ النساءِ المبقيةُ علىٰ بعلِها ، الصابرةُ على الضَّرَّاءِ مخافةَ أن ترجعَ

إلىٰ أهلِها مطلقةً ، فهيَ تؤثرُ حظَّ زوجِها علىٰ حظِّ نفسِها ، فتلكَ الكريمةُ الكاملةُ ، وخيرُ الرجالِ الجوادُ البطلُ ، القليلُ الفشلِ ، إذا سألَهُ الرجلُ ألفاهُ قليلَ العللِ ، كثيرَ النفلِ ، ثمَّ قالَتْ كلُّ واحدةٍ منكُنَّ بأبيها معجبةٌ[(١)]

كلُّ شاةٍ برجلِها مُعلَّقةٌ

قالَ ابنُ الكلبيّ أوّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ وكيعُ بنُ سلمةَ بنِ زهيرِ بنِ إيادٍ ، وكانَ وليَ أمرَ البيتِ بعدَ جُرْهُمَ ، فبنىٰ صَرحاً بأسفلِ مكةَ عندَ سوقِ الخيَّاطينَ اليومَ ، وجعلَ فيهِ أَمَةً يُقالُ لها [حَزْوَرَةُ] ، وبها سُمِّيَتْ [حَزْوَرَةُ] مكةَ ، وجعلَ في الصَّرحِ سُلَّماً ، فكانَ يَرقاهُ ويزعمُ أنَّهُ يناجي اللهَ تعالىٰ ، وكانَ يَنطِقُ بكثيرٍ مِنَ الخيرِ ، وكانَ علماءُ العربِ يزعمونَ أنَّهُ صِدّيقٌ مِنَ الصِّدّيقينَ ، وكانَ مِنْ قولِهِ مرضعةٌ أو فاطمةٌ ، ووادعةٌ وقاصمةٌ ، والقطيعةُ والفجيعةُ ، وصلةُ الرحمِ وحسنُ الكلمِ

ومِنْ كلامِهِ زعمَ ربُّكُم ليَجزِيَنَّ بالخيرِ ثواباً ، وبالشرِّ عقاباً ؛ إنَّ مَنْ في الأرضِ عبيدٌ لِمَنْ في السماءِ ، هلكَتْ جُرْهُمُ وربلَتْ [إيادٌ] ، وكذٰلكَ الصلاحُ والفسادُ

فلمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ جمعَ إياداً ، فقالَ لهُمُ اسمعوا وصيَّتي ؛ الكلامُ كلمتانِ ، والأمرُ بعدَ البيانِ ، مَنْ رشدَ فاتبعوهُ ، ومَنْ غوىٰ فارفضوهُ ، وكلُّ شاةٍ برجلِها مُعلَّقةٌ ، فأرسلَها مثلاً ، قالَ وماتَ وكيعٌ ، فنُعِيَ على الجبالِ ، وفيهِ يقولُ بشيرُ بنُ الحجيرِ الإياديُّ [من المتقارب]

وَنَحْنُ إِيَادٌ عِبَادُ ٱلْإِلَٰهِ وَرَهْطُ مُنَاجِيهِ فِي سُلَّمِ
وَنَحْنُ وُلَاةُ حِجَابِ ٱلْعَتِيقِ زَمَانَ ٱلنُّخَاعِ عَلَىٰ جُرْهُمِ

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/١٣ ـ ١٥)

يُقالُ إنَّ اللهَ سَلَّطَ علىٰ جرهمَ داءً يقالُ لهُ النخاعُ ، فهلكَ منهُم ثمانونَ كهلاً في ليلةٍ واحدةٍ سوى الشبَّانِ ، وفيهِم قالَ بعضُ العربِ   [من الخفيف]

هَلَكَتْ جُرْهُمُ ٱلْكِرَامُ فِعَالاً   وَوُلَاةُ ٱلْبَنِيَّةِ ٱلْحُجَّابُ
نُخِعُوا لَيْلَةً ثَمَانُونَ كَهْلاً   وَشَبَاباً كَفَىٰ بِهِمْ مِنْ شَبَابِ (١)

كيفَ أُعاوِدُكَ وهٰذا أثرُ فأسِكَ

أصلُ هٰذا المثلِ علىٰ ما حكتْهُ العربُ علىٰ لسانِ الحيَّةِ أنَّ أخوَينِ كانا في إبلٍ لهُما ، فأجدبَتْ بلادُهُما ، وكانَ بالقربِ منهُما وادٍ خصيبٌ ، وفيه حيَّةٌ تحميهِ مِنْ كلِّ أحدٍ ، فقالَ أحدُهُما للآخَرِ يا فلانُ ؛ لو أنِّي أتيتُ هٰذا الواديَ المكلئَ فرعيتُ فيهِ إبلي وأصلحتُها ، فقالَ لهُ أخوهُ إنِّي أخافُ عليكَ الحيَّةَ ، ألا ترىٰ أنَّ أحداً لا يهبطُ ذٰلكَ الواديَ إلَّا أهلكَتْهُ ؟! قالَ فواللهِ ؛ لأفعلَنَّ ، فهبطَ الواديَ ، ورعىٰ بهِ إبلَهُ زماناً ، ثمَّ إنَّ الحيةَ نهشَتْهُ فقتلَتْهُ ، فقالَ أخوهُ واللهِ ؛ ما في الحياةِ بعدَ أخي خيرٌ ، فلَأطلبَنَّ الحيةَ ولَأقتلَنَّها ، أو لَأتَّبِعَنَّ أخي

فهبطَ ذٰلكَ الواديَ ، وطلبَ الحيَّةَ ليقتلَها ، فقالَتِ الحيَّةُ لهُ ألستَ ترىٰ أنِّي قتلتُ أخاكَ ، فهل لكَ في الصُّلحِ فأدعَكَ بهٰذا الوادي تكونُ فيهِ وأعطيَكَ كلَّ يومٍ ديناراً ما بقيتَ ؟ قالَ أوَفاعلةٌ أنتِ ؟ قالَتْ نعم ، قالَ إنِّي أفعلُ ، فحلفَ لها ، وأعطاها المواثيقَ لا يَضُرُّها ، وجعلَتْ تعطيهِ كلَّ يومٍ ديناراً ، فكَثُرَ مالُهُ ، حتىٰ صارَ مِنْ أحسنِ الناسِ حالاً

ثمَّ إنَّهُ ذكرَ أخاهُ ، فقالَ كيفَ ينفعُني العيشُ وأنا أنظرُ إلىٰ قاتلِ أخي ، فعَمَدَ إلىٰ فأسٍ فأخذَها ، ثمَّ قعدَ لها ، فمَرَّتْ بهِ ، فتبعَها ، فضربَها ،

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٣٠ ـ ٣١)

فأخطأَها ، ودخلَتِ الجحرَ ، ووقعَتِ الفأسُ بالجبلِ فوقَ جحرِها فأثَّرَتْ فيهِ ، فلمَّا رأتْ ما فعلَ قطعَتْ عنهُ الدينارَ ، فخافَ الرجلُ شرَّها وندمَ ، فقالَ لها هل لكِ في أن نتواثقَ ونعودَ إلىٰ ما كنَّا عليهِ ؟ فقالَتْ كيفَ أعاودُكَ وهٰذا أثرُ فأسِكَ ؟!

يُضرَبُ لِمَنْ لا يفي بالعهدِ ، وهٰذا مِنْ مشاهيرِ أمثالِ العربِ ، قالَ نابغةُ بني ذبيانَ (١) [من الطويل]

وَإِنِّي لَأَلْقَىٰ مِنْ ذَوِي ٱلْغَيِّ مِنْهُمُ ... وَمَا أَصْبَحَتْ تَشْكُو مِنَ ٱلشَّجْوِ سَاهِرَهْ
كَمَا لَقِيَتْ ذَاتُ ٱلصَّفَا مِنْ حَلِيفِهَا ... وَكَانَتْ تُرِيهِ ٱلْمَالَ غِبّاً وَظَاهِرَهْ
فَلَمَّا رَأَىٰ أَنْ ثَمَّرَ ٱللهُ مَالَهُ ... وَأَثَّلَ مَوْجُوداً وَسَدَّ مَفَاقِرَهْ
أَكَبَّ عَلَىٰ فَأْسٍ يَحُدُّ غُرَابَهَا ... مُذَكَّرَةٍ مِنَ ٱلْمَعَاوِلِ بَاتِرَهْ
فَقَامَ لَهَا مِنْ فَوْقِ جُحْرٍ مُشَيَّدٍ ... لِيَقْتُلَهَا أَوْ تُخْطِئُ ٱلْكَفُّ بَادِرَهْ
فَلَمَّا وَقَاهَا ٱللهُ ضَرْبَةَ فَأْسِهِ ... وَلِلشَّرِّ عَيْنٌ لَا تُغَمِّضُ نَاظِرَهْ
فَقَالَ تَعَالَيْ نَجْعَلِ ٱللهَ بَيْنَنَا ... عَلَىٰ مَا لَنَا أَوْ تُنْجِزِي لِيَ آخِرَهْ
فَقَالَتْ يَمِينَ ٱللهِ أَفْعَلُ إِنَّنِي ... رَأَيْتُكَ مَشْؤُوماً يَمِينُكَ فَاجِرَهْ
أَبَىٰ لِيَ [قَبْرٌ] لَا يَزَالُ مُقَابِلِي ... وَضَرْبَةُ فَأْسٍ فَوْقَ رَأْسِيَ فَاقِرَهْ (٢)

كلاهُما وتمراً

ويروىٰ (كليهما) ، أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ عمرُو بنُ حمرانَ الجعديُّ ، وكانَ حمرانُ رجلاً لَسِناً مارداً ، وإنَّهُ خطبَ صدوفَ ؛ وهيَ امرأةٌ كانَتْ تؤبدُ

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٥٤ ـ ١٥٦)

(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٣٥ ـ ٣٦)

الكلامَ ، وتسجعُ في المَنطِقِ[1] ، وكانَتْ ذاتَ مالٍ كثيرٍ ، وقد أتاها قومٌ كثيرٌ يَخطُبونَها ، فردَّتْهُم ، وكانَتْ تَتعنَّتُ خُطَّابَها في المسألةِ ، وتقولُ لا أتزوَّجُ إلَّا مَنْ يَعلمُ ما أسألُهُ عنهُ ، ويجيبُني بكلامٍ علىٰ حدِّهِ لا يعدوهُ

فلمَّا انتهىٰ إليها حمرانُ قامَ قائماً لا يجلسُ ، وكانَ لا يأتيها خاطبٌ إلَّا جلسَ قبلَ إذنِها ، فقالَتْ : ما يمنعُكَ مِنَ الجلوسِ ؟ قالَ حتىٰ يُؤذَنَ لي ، قالَتْ وهل عليكَ أميرٌ ؟ قالَ ربُّ المنزلِ أحقُّ بفِنائِهِ ، وربُّ الماءِ أحقُّ بسقائِهِ ، وكلٌّ لهُ ما في وعائِهِ ، فقالَتِ اجلسْ ، فجلسَ

قالَتْ لهُ ما أردتَ ؟ قالَ حاجةً ولم آتكِ لحاجةٍ ، قالَتْ تُسِرُّها أم تعلنُها ؟ قالَ تُسَرُّ وتُعلَنُ ، قالَتْ فما حاجتُكَ ؟ قالَ قضاؤُها هَيِّنٌ ، وأمرُها بَيِّنٌ ، وأنتِ بها أخبرُ ، وبنُجْحِها أبصرُ ، قالَتْ فأخبرْني بها

قالَ قد عَرَّضتُ ، وإن شئتِ بَيَّنتُ ، قالَتْ مَنْ أنتَ ؟ قالَ أنا بَشَرٌ ، ولدتُ صغيراً ، ونشأتُ كبيراً ، ورأيتُ كثيراً ، قالَتْ فما اسمُكَ ؟ قالَ مَنْ شاءَ أحدثَ اسماً ، وقالَ ظُلماً ، ولم يكنِ الاسمُ عليهِ حتماً ، قالَتْ فمَنْ أبوكَ ؟ قالَ والدي الذي ولدَني ، ووالدهُ جدِّي ، فلم يعشْ بعدي ، قالَتْ فما مالُكُ ؟ قالَ بعضُهُ ورثتُهُ ، وأكثرُهُ اكتسبتُهُ ، قالَتْ فممَّنْ أنتَ ؟ قالَ مِنْ بشرٍ كثيرٍ عددُهُ ، معروفٍ ولدُهُ ، قليلٍ صعدُهُ ، يفنيهِ أبدُهُ ، قالَتْ ما وَرَّثَكَ أبوكَ عن أوَّليهِ ؟ قالَ حُسْنَ الهممِ ، قالَتْ فأينَ تنزلُ ؟ قالَ علىٰ بساطٍ واسعٍ في بلدٍ شاسعٍ ، قريبُهُ بعيدٌ ، وبعيدُهُ قريبٌ ، قالَتْ فمَنْ قومُكَ ؟ قالَ الذين أنتمي إليهِم ، وأجني عليهِم ، ووُلِدتُ لديهِم

قالَتْ فهل لكَ امرأةٌ ؟ قالَ لو كانَتْ لي لم أطلبْ غيرَها ، ولم أُضيِّعْ

(١) في « مجمع الأمثال » (تؤيد الكلام وتشجع في المنطق)

خيرَها ، قالَتْ كأنَّكَ ليسَتْ لكَ حاجةٌ ؟ قالَ لو لم تكنْ لي حاجةٌ لم أُنِخْ ببابِكِ ، ولم أتعرَّضْ لجوابِكِ ، وأتعلَّقْ بأسبابِكِ ، قالَتْ إنَّكَ لحمرانُ بنُ الأقرعِ الجعديُّ ، قالَ إنَّ ذٰلكَ ليُقالُ ، فأنكحَتْهُ نفسَها ، وفَوَّضَتْ إليهِ أمرَها

ثمَّ إنَّها ولدَتْ لهُ غلاماً ، فسمَّاهُ عمراً ، فنشأَ مارداً مُفوَّهاً ، فلمَّا أدركَ جعلَهُ أبوهُ راعياً يرعىٰ لهُ الإبلَ ، فبينا هوَ يوماً إذ رُفِعَ إليهِ رجلٌ قد أضرَّ بهِ العطشُ والسّغوبُ وعمرو قاعدٌ وبينَ يدَيهِ زبدٌ وتمرٌ وتامكٌ ، فدنا منهُ الرجلُ فقالَ أطعمْني مِنْ هٰذا الزبدِ والتامكِ ، فقالَ عمرٌو نعم ، كلاهُما وتمراً ، فأطعمَ الرجلَ حتى انتهىٰ ، وسقاه لبناً حتىٰ رَوِيَ ، وأقامَ عندَهُ أياماً ، فذهبَتْ كلمتُهُ مثلاً

ورفعَ (كلاهُما) أي لكَ كلاهما ، ونصبَ (تمراً) علىٰ معنىٰ ، وأزيدُكَ تمراً ، ومَنْ روىٰ (كلَيهِما) فإنَّما نصبَهُ علىٰ معنىٰ أطعمُكَ كلَيهِما وتمراً ، وقالَ قومٌ مَنْ رفعَ حكىٰ أنَّ الرجلَ قالَ أنلْني ممَّا بينَ يدَيكَ ، فقالَ عمرٌو : أيُّما أحبُّ إليكَ زبدٌ أم سنامٌ ؟ فقالَ الرجلُ كلاهُما وتمراً ؛ أي مطلوبي كلاهما وأزيدُ معَهُما تمراً ، أو وزدْني تمراً (١)

لن يَهلِكَ امرُؤٌ عرفَ قَدْرَهُ

قالَ المُفضَّلُ إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذٰلكَ أكثمُ بنُ صيفيٍّ في وصيَّةٍ كتبَ بها إلىٰ طيءٍ ؛ كتبَ إليهِم أوصيكم بتقوى اللهِ ، وصلةِ الرحمِ ، وإيَّاكُم ونكاحَ الحمقاءِ ؛ فإنَّ نكاحَها غررٌ ، وولدَها ضياعٌ ، وعليكُم بالخيلِ فأكرموها ؛ فإنَّها حصونُ العربِ ، ولا تضعوا رقابَ الإبلِ في غيرِ حقِّها ؛ فإنَّ فيها ثمنَ الكريمةِ ، ورقوءَ الدمِ ، وبألبانِها يتحفُ الكبيرُ ، ويُغذَّى الصغيرُ ، ولو أنَّ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٤٧ ـ ٤٩)

الإبلَ كُلِّفَتِ الطَّحنَ لطحنَتْ ، ولن يهلكَ امرُؤٌ عرفَ قَدْرَهُ ، والعدمُ عدمُ العقلِ ، لا عدمُ المالِ ، ولَرجلٌ خيرٌ مِنْ ألفِ رجلٍ ، ومَنْ عتبَ على الدهرِ طالَتْ معتبتُهُ ، ومَنْ رضيَ بالقسمِ طابَتْ معيشتُهُ ، وآفةُ الرأيِ الهوىٰ ، والعادةُ أملكُ ، والحاجةُ مع المحبةِ خيرٌ مِنَ البغضِ معَ الغنىٰ ، والدنيا دولٌ ، فما كانَ لكَ أتاكَ علىٰ ضَعفِكَ ، وما كانَ عليكَ لم تَدفعْهُ بقُوَّتِكَ ، والحسدُ داءٌ ليسَ لهُ دواءٌ ، والشَّماتةُ تعقبُ ، ومَنْ يرَ يوماً يرهُ ، قبلَ الرماءِ تُملأُ الكنائنُ ، الندامةُ معَ السفاهةِ ، دعامةُ العقلِ الحلمُ ، خيرُ الأمورِ مَغبَّةُ الصَّبرِ ، بقاءُ المودَّةِ عدلُ التعاهدِ ، مَنْ يزرْ غبّاً يزددْ حبّاً ، التغريرُ مفتاحُ البؤسِ ، مِنَ التواني والعجزِ نُتِجَتِ الهلكةُ ، لكلِّ شيءٍ ضراوةٌ ، فضرِّ لسانَكَ بالخيرِ ، عيُّ الصمتِ أحسنُ مِنْ عيِّ المنطقِ ، الحزمُ حفظُ ما كُلِّفْتَ وتركُ ما كُفيتَ ، كثيرُ التنصُّحِ يهجمُ علىٰ كثيرِ الظِّنَّةِ ، مَنْ ألحفَ في المسألةِ ثقُلَ ، مَنْ سألَ فوقَ قدرِهِ استحقَّ الحرمانَ ، الرفقُ يُمْنٌ ، والخرقُ شؤمٌ ، خيرُ السخاءِ ما وافقَ الحاجةَ ، خيرُ العفوِ ما كانَ بعدَ القدرةِ

فهٰذهِ خمسةٌ وثلاثونَ مثلاً في نظامٍ واحدٍ(١)

لا ماءَكِ أبقيتِ ، ولا حركِ أنقيتِ

ويروىٰ (ولا درنكِ) أصلُهُ أنَّ رجلاً كانَ في سفرٍ ومعَهُ امرأتُهُ وكانَتْ عاركاً فطهرَتْ ، وكانَ معَهُما ماءٌ يسيرٌ ، فاغتسلَتْ ، فلم يكفِها لغسلِها ، وأنفدَتِ الماءَ ، فبقيا عطشانَينِ ، فعندَها قالَ لها هٰذا القولَ

وقالَ المُفضَّلُ أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ الضَّبُّ بنُ أروى الكلاعيُّ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ خرجَ تاجراً مِنَ اليمنِ إلى الشامِ ، فسارَ أياماً ، ثمَّ حادَ عن أصحابِهِ ، فبقيَ مُفرَداً في تيهٍ مِنَ الأرضِ ، حتىٰ سقطَ إلىٰ قومٍ لا يدري مَنْ هُم ، فسألَ عنهُم ،

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/١١٤ ـ ١١٥)

فأُخبِرَ أنَّهُم هَمْدانُ ، فنزلَ بِهِم ، وكانَ طريراً ظريفاً ، وإنَّ امرأةً منهُم يُقالُ لها عمرةُ بنتُ سبيعٍ هَوِيَتْهُ وهَوِيَها ، فخطبَها الضَّبُّ إلىٰ أهلِ بيتِها ، وكانوا لا يُزوِّجونَ إلَّا شاعراً ، أو عائفاً ، أو عالماً بعيونِ الماءِ ، فسألوهُ عن ذٰلكَ ، فلم يَعرِفْ منها شيئاً ، فأبَوا تزويجَهُ ، فلمْ يزلْ بهِم حتىٰ أجابوهُ ، فتزوَّجَها

ثمَّ إنَّ حيّاً مِنْ أحياءِ العربِ أرادوا الغارةَ عليهِم ، فتطيَّروا بالضَّبِّ ، فأخرجوهُ وامرأتَهُ وهيَ طامثٌ ، فانطلقا ومعَ الضَّبِّ سقاءٌ مِنْ ماءٍ ، فسارَ يوماً وليلةً وأمامَهُما عينٌ يظنَّانِ أنَّهُما يُصبِّحانِها ، فقالَتْ لهُ ادفعْ إليَّ هٰذا السِّقاءَ حتىٰ أغتسلَ ، فقد قاربْنا العينَ ، فدفعَ إليها السِّقاءَ ، فاغتسلَتْ بما فيهِ ولم يكفِها ، ثمَّ صبَّحا العينَ ، فوجداها ناضبةً ، وأدركَهُما العطشُ ، فقالَ لها الضَّبُّ لا ماءَكِ أبقيتِ ، ولا حِرَكِ أنقيتِ ، ثمَّ استظلَّا بشجرةٍ حيالَ العينِ ، فأنشأَ الضَّبُّ يقولُ [من المنسرح]

تَـاللهِ مَـا طَـلَّـةٌ أَصَـابَ بِـهَـا ... بَـعْـلاً سِـوَايَ قَـوَارِعُ ٱلْـعَـطَـبِ
وَأَيُّ مَـهْـرٍ يَـكُـونُ أَثْـقَـلَ مِـمَّـ ... ـا طَـلَـبُـوهُ إذاً مِـنَ ٱلـضَّـبِّ
أَنْ يَعْرِفَ ٱلْمَاءَ تَحْتَ صُمِّ ٱلصَّفَا ... وَيُخْبِرَ ٱلنَّاسَ مَنْطِقَ ٱلْخُطَبِ
أَخْـرَجَـنِـي قَـوْمُـهَـا بِـأَنَّ ٱلـرَّحَـا ... دَارَتْ بِـشُـؤْمٍ لَـهُـمْ عَـلَى ٱلْـقُـطْـبِ

فلمَّا سمعَتِ امرأتُهُ ذٰلكَ فرحَتْ وقالَتِ ارجعْ إلى القومِ ؛ فإنَّكَ شاعرٌ ، فانطلقا راجعَينِ ، فلمَّا وصلا خرجَ القومُ إليهِما وقصدوا ضربَهُما وردَّهُما ، فقالَ لهُمُ الضَّبُّ اسمعوا شعري ثمَّ اقتلوني ، فأنشدَهُم شعرَهُ ، فنجا ، وصارَ فيهِم آثرَ مِنْ بعضِهِم ، قالَ الفرزدقُ [من الطويل]

وَكُنْتُ كَذَاتِ ٱلْحَيْضِ لَمْ تُبْقِ مَاءَهَا ... وَلَا هِـيَ مِـنْ مَـاءِ ٱلْـعُـذَابَـةِ طَـاهِـرُ (١)

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/١٨٨ ـ ١٨٩)

لا يكنْ حبُّكَ كَلَفاً ، ولا بُغضُكَ تَلَفاً

ويُروىٰ عن بعضِ الحكماءِ أنَّهُ قالَ لا تكنْ في الإخاءِ مكثراً ثمَّ تكونَ فيهِ مدبراً ، فيُعرَفَ سرفُكَ في الإكثارِ بجفائِكَ في الإدبارِ

ومنهُ الحديثُ « أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا ، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يوماً مَا »[1] ، ومنهُ قولُ النمرِ بنِ تولبٍ [من المتقارب]

أَحْبِبْ حَبِيبَكَ حُبّاً رُوَيْداً فَلَيْسَ يَعُولُكَ أَنْ تَصْرِمَا
وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ بُغْضاً رُوَيْداً إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « إِنَّمَا ٱلْمَرْءُ بِخَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ مَنْ يُخَالِلُ »[2] ، وقريبٌ منهُ بيتُ عديِّ بنِ زيدٍ [من الطويل]

عَنِ ٱلْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ فَإِنَّ ٱلْقَرِينَ بِٱلْمُقَارِنِ يَقْتَدِي[3]

لا ناقتي في هٰذا ولا جملي

أصلُ المثلِ للحارثِ بنِ عُبادٍ حينَ قتلَ جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ كُليباً ، وهاجَتِ الحربُ بينَ الفريقَينِ ، وكانَ الحارثُ اعتزلَهُما ، قالَ الراعي [من البسيط]

وَمَا هَجَرْتُكِ حَتَّىٰ قُلْتِ مُعْلِنَةً لَا نَاقَةٌ لِيَ فِي هَٰذَا وَلَا [جَمَلُ]

يُضرَبُ عندَ التبرّي مِنَ الظلمِ والإساءةِ ، وذكروا أنَّ محمدَ بنَ عميرِ بنِ عطاردِ بنِ حاجبِ [شُورِرَ] لمَّا خرجَ الناسُ على الحَجَّاجِ ، فقالَ لا ناقتي في ذا ولا جملي ، فلمَّا دخلَ بعدَ ذٰلكَ على الحَجَّاجِ قالَ أنتَ القائلُ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٩٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) أخرجه أبو داوود (٤٨٠٠) ، والترمذي (٢٣٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١٨٩/٣ ـ ١٩٠)

لا ناقتي في ذا ولا جملي ؟! لا جعلَ اللهُ لكَ فيهِ ناقةً ولا جملاً ولا رحلاً ، فشمتَ بهِ حجارُ بنُ أبجرَ العجليُّ وهوَ عندَ الحَجَّاجِ ، فلمَّا دعا بغدائِهِ جاؤوا [بفرنيَّةٍ] ، فقالَ ضعوها بينَ يدَيْ أبي عبدِ اللهِ ؛ فإنَّهُ لبنيٌّ يُحِبُّ اللَّبَنَ ، أرادَ أن يدفعَ عنهُ شماتةَ حجارٍ

وقالَ بعضُهُم إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذٰلكَ الصَّدوفُ بنتُ حليسٍ العذريةُ ، وكانَ مِنْ شأنِها أنَّها كانَتْ عندَ زيدِ بنِ الأخنسِ العذريِّ ، وكانَ لزيدٍ بنتٌ مِنْ غيرِها يُقالُ لها : الفارعةُ ، وإنَّ زيداً عزلَ ابنتَهُ عنِ امرأتِهِ في خباءٍ لها وأخدمَها خادماً ، وخرجَ زيدٌ إلى الشامِ ، وإنَّ رجلاً مِنْ عذرةَ يُقالُ لهُ شبثٌ ، هَوِيَها وهَوِيَتْهُ ، ولم يزلْ بها حتىٰ طاوعَتْهُ ، فكانَتْ تأمرُ راعيَ أبيها أن يُعجِّلَ ترويحَ إبلِهِ ، وأن يحلبَ لها حلبةَ إبلِها قَيْلاً ، فتشربَ اللَّبنَ نهاراً ، حتىٰ إذا أمسَتْ وهدأَ الحيُّ رُحِلَ لها جملٌ كانَ لأبيها ذَلولٌ ، فقعدَتْ عليهِ وانطلقا ، حتىٰ كانا ينتهيانِ إلىٰ متيهةٍ مِنَ الأرضِ ، فيكونانِ بها ليلتَهُما ، ثمَّ يقبلانِ في وجهِ الصبحِ ، فكانَ ذٰلكَ دأبَهُما

فلمَّا فصلَ أبوها مِنَ الشامِ مرَّ بكاهنةٍ علىٰ طريقِهِ ، فسألَها عن أهلِهِ ، فنظرَتْ لهُ وقالَتْ أرىٰ جملَكَ يُرحَّلُ ليلاً ، وحلبةً تَحْلبُ إبلَكَ قيلاً ، وأرىٰ نَعَماً وخيلاً ، فلا لبثَ ، فقد كانَ حدثٌ ، بآلِ شبثٍ

فأقبلَ زيدٌ لا يلوي علىٰ شيءٍ حتىٰ أتىٰ أهلَهُ ليلاً ، فدخلَ على امرأتِهِ ، وخرجَ مِنْ عندِها مسرعاً ، حتىٰ دخلَ خباءَ ابنتِهِ ، فإذا هيَ ليسَتْ فيهِ ، فقالَ لخادمِها أينَ الفارعةُ ثكلَتْكِ أُمُّكِ ؟ قالَتْ خرجَتْ تمشي وهيَ حرودٌ ، زائرةٌ تعودُ ، لم ترَ بعدَكَ شمساً ، ولا شَهِدَتْ عرساً ، فانفتلَ عنها إلى امرأتِهِ ، فلمَّا رأتْهُ عرفَتِ الشرَّ في وجهِهِ ، فقالَتْ يا زيدُ ؛ لا تعجلْ واَقْفُ الأثرَ ، فلا ناقةٌ لي في هٰذا ولا جملٌ ، فهيَ أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ [1]

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/١٩٣ ـ ١٩٤)

لا تراهنْ على الصَّعبةِ ، ولا تُنشِدِ القريض حتىٰ يحيلَ

هٰذا المثلُ للحطيئةِ ، لمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ اكتنفَهُ أهلُهُ وبنو عمِّهِ ، فقيلَ لهُ يا حُطَيْءُ ؛ أوصِ ، قالَ وبمَ [أوصي] مالي بينَ بنيَّ ، قالوا قد علمنا أنَّ مالَكَ بينَ بنيكَ ، فأوصِ ، فقالَ ويلٌ للشعرِ مِنْ راويةِ السوءِ ، فأرسلَها مثلاً ، فقالوا أوصِ ، فقالَ أخبروا أهلَ ضابئِ بنِ الحارثِ أنَّهُ كانَ شاعراً حيثُ يقولُ [من الطويل]

لِـكُـلِّ جَـدِيـدٍ لَـذَّةٌ غَـيْـرَ أَنَّـنِـي وَجَـدْتُ جَـدِيـدَ ٱلْـمَـوْتِ غَـيْـرَ لَـذِيـذِ

ثمَّ قالَ لا تراهنْ على الصَّعبةِ ، ولا تُنشِدِ القريضَ حتىٰ يُحِيلَ ، فأرسلَها مثلاً ، يُضرَبُ في التحذيرِ

وفي بعضِ الرواياتِ أنَّهُ قيلَ لهُ يا أبا مليكةَ ؛ أوصِهْ ، قالَ مالي للذُّكورِ دونَ الإناثِ ، قالوا إنَّ اللهَ لم يأمرْ بذا ، قالَ فإنِّي آمرَ ، قالَ أوصِهْ ، قالَ أخبروا آلَ الشمَّاخِ أنَّ أخاهُم أشعرُ العربِ حيثُ يقولُ [1] [من الطويل]

وَظَـلَّـتْ بِـأَعْـرَافٍ صِـيَـامـاً كَـأَنَّـهَـا رِمَـاحٌ نَـحَـاهَـا وِجْـهَـةَ ٱلـرِّيـحِ رَاكِـزُ

قالوا أوصِهْ ؛ فإنَّ هٰذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ أبلغوا كندةَ أنَّ أخاهُم أشعرُ العربِ حيثُ يقولُ [من الطويل]

فَـيَـا لَـكَ مِـنْ لَـيْـلٍ كَـأَنَّ نُـجُـومَـهُ بِـأَمْـرَاسِ كَـتَّـانٍ إِلَـىٰ صُـمِّ جَـنْـدَلِ

يعني : امرَأَ القيسِ [2] ، قالوا أوصِهْ ؛ فإنَّ هٰذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ

---

(١) انظر « ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني » (ص ٢٠١)

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩) ، وقد تبع المؤلف الميداني في « مجمع الأمثال » في رواية هٰذا البيت ، وهما بيتان في « ديوان امرئ القيس » الصدر من بيت ، والعجز من البيت الثاني ، وهما

فَـيَـا لَـكَ مِـنْ لَـيْـلٍ كَـأَنَّ نُـجُـومَـهُ بِـكُـلِّ مُـغَـارِ ٱلْـفَـتْـلِ شُـدَّتْ بِـيَـذْبُـلِ

كَـأَنَّ ٱلـثُّـرَيَّـا عُـلِّـقَـتْ فِـي مَـصَـامِـهَـا بِـأَمْـرَاسِ كَـتَّـانٍ إِلَـىٰ صُـمِّ جَـنْـدَلِ

أخبروا الأنصارَ أنَّ أخاهُم أمدحُ العربِ حيثُ يقولُ[1] [من الكامل]

يُغْشَوْنَ حَتَّىٰ مَا تَهِرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ ٱلسَّوَادِ ٱلْمُقْبِلِ

قالوا أوصِهْ ؛ فإن هٰذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ أوصيكُم بالشعرِ خيراً ، ثمَّ أنشأَ يقولُ [من مشطور الرجز]

اَلشِّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلَّمُهْ

إِذَا ٱرْتَقَىٰ فِيهِ ٱلَّذِي لَا يَعْلَمُهْ

زَلَّتْ بِهِ إِلَى ٱلْحَضِيضِ قَدَمُهْ

وَٱلشِّعْرُ لَا يُطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهْ

يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهْ

وَلَمْ يَزَلْ مِنْ حَيْثُ يَأْتِي يَخْرِمُهْ[2]

مَنْ يَسِمِ ٱلْأَعْدَاءَ يَبْقَىٰ مِيسَمُهْ

قالوا أوصِهْ ؛ فإنَّ هٰذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ [من مشطور الرجز]

كُنْتُ أَحْيَاناً شَدِيدَ ٱلْمُعْتَمَدْ

وَكُنْتُ أَحْيَاناً عَلَىٰ خَصْمِي أَلَدّْ

قَدْ وَرَدَتْ نَفْسِي وَمَا كَادَتْ تَرِدْ

قالوا أوصِهْ ؛ فإنَّ هٰذا لا يغني عنكَ شيئاً ، قالَ وا جزعاهْ على المديحِ الجيدِ يمدحُ بهِ مَنْ ليسَ مِنْ أهلِهِ ، قالوا أوصِهْ ؛ فإنَّ هٰذا لا يغني عنكَ شيئاً ، فبكىٰ ، قالوا وما يبكيكَ ؟ قالَ أبكي الشعرَ الجيدَ مِنْ راويةِ السوءِ ،

---

(١) ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه (١/٧٤)

(٢) في « مجمع الأمثال » (يخرمه) بالمعجمة

قالوا: أوصِ للمساكينِ بشيءٍ، قالَ: أوصيهم بالمسألةِ، وأوصي الناسَ ألَّا يعطوهُم، قالوا: أعتقْ غلامَكَ؛ فإنَّهُ قد رعىٰ عليكَ ثلاثينَ سنةً، قالَ: هوَ عبدٌ ما بقيَ على الأرضِ عبسيٌّ، ثمَّ قالَ: احملوني علىٰ حماري، ودوروا بي حولَ هٰذا التلِّ؛ فإنَّهُ لم يمتْ على الحمارِ كريمٌ، فعسىٰ ربِّي أن يرحمَني، فحملَهُ ابناهُ، وأخذا بضبعَيهِ، ثمَّ جعلا يَسوقانِ الحمارَ حولَ التلِّ وهوَ يقولُ: [من البسيط]

قَدْ عَجَّلَ ٱلدَّهْرُ وَٱلْأَحْدَاثُ يُتْمَكُمَا ... فَٱسْتَغْنِيَا بِوَشِيكٍ إِنَّنِي فَانِ
وَدَلِّيَانِيَ فِي غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ ... كَمَا تُدَلَّىٰ [دِلَاءٌ] بينَ أَشْطَانِ

قالوا: يا أبا مليكةَ؛ مَنْ أشعرُ العربِ؟ قالَ: هٰذا الجحيرُ، إذا طمع بخيرٍ، وأشارَ بيدِهِ إلىٰ فيهِ، وكانَ آخِرَ كلامِهِ، فماتَ وكانَ لهُ عشرونَ ومئةُ سنةٍ؛ منها سبعونَ في الجاهليةِ، وخمسونَ في الإسلامِ.

ويُروىٰ: أنَّهُ أرادَ سفراً، فلمَّا قدمَ راحلتَهُ.. قالَتْ لهُ امرأتُهُ: متىٰ ترجعُ؟ فقالَ: [من الكامل]

عُدِّي ٱلسِّنِينَ لِغَيْبَتِي وَتَصَبَّرِي ... وَدَعِ ٱلشُّهُورَ فَإِنَّهُنَّ قِصَارُ

فقالَتْ:

اُذْكُرْ صَبَابَتَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا ... وَٱرْحَمْ بَنَاتِكَ إِنَّهُنَّ صِغَارُ

قالوا: وما مدحَ قوماً إلَّا رفعَهُم، وما هجا قوماً إلَّا وضعَهُم، وقالَ يهجو نفسَهُ وقد نظرَ في المرآةِ وكانَ دميماً: [من الطويل]

أَبَتْ شَفَتَايَ ٱلْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّماً ... بِسُوءٍ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهْ
أَرَىٰ لِيَ وَجْهاً شَوَّهَ ٱللهُ خَلْقَهُ ... فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وَقُبِّحَ حَامِلُهْ (١)

---

(١) انظر «مجمع الأمثال» (٣/١٩٨ ـ ٢٠١).

لا غزوَ إلَّا التعقيبُ

يُقالُ عَقَّبَ الرجلُ ؛ وهوَ أن يغزوَ مَرَّةً ، ثمَّ يثني مِنْ سنتِهِ ، قالَ طفيلٌ يصفُ الخيلَ[1] [من الطويل]

طِوَالُ ٱلْهَوَادِي وَٱلْمُتُونُ صَلِيبَةٌ   مَغَاوِيرُ فِيهَا لِلْأَرِيبِ مُعَقَّبُ

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ حجرُ بنُ الحارثِ بنِ عمرٍو آكلُ المرارِ ؛ وذٰلكَ أنَّ الحارثَ بنَ مندلةَ ملكَ الشامِ ، وكانَ مِنْ ملوكِ سليحٍ ، مِنْ ملوكِ الضجاعمِ ، وهوَ الذي ذكرَهُ مالكُ بنُ [جوينٍ] الطائيُّ في شعرِهِ فقالَ [من الطويل]

هُنَالِكَ لَا أُعْطِي رَئِيساً مَقَادَةً   وَلَا مَلِكاً حَتَّىٰ يَؤُوبَ ٱبْنُ مَنْدَلَهْ

وكانَ قد أغارَ علىٰ أرضِ نجدٍ ؛ وهيَ أرضُ حجرِ بنِ الحارثِ هٰذا ؛ وذٰلكَ علىٰ عهدِ بهرامَ جورَ ، وكانَ بها أهلُ حجرٍ ، فوجدَ القومَ خُلُوفاً ، ووجدَ حجراً قد غزا أهلَ نجرانَ ، فاستاقَ ابنُ مندلةَ مالَ حجرٍ ، وأخذَ امرأتَهُ هندَ الهنودِ ، ووقعَ بها ، فأعجبَها ، وكانَ آكلُ المرارِ شيخاً كبيراً ، وابنُ مندلةَ شابّاً جميلاً ، فقالَتْ لهُ النجاءَ النجاءَ ؛ فإنَّ وراءَكَ طالباً حثيثاً ، وجمعاً كثيراً ، ورأياً صليباً ، وحزماً وكيداً

فخرجَ ابنُ مندلةَ مُغِذّاً إلى الشامِ ، وجعلَ يقسمُ المرباعَ نهارَهُ أجمعَ ، فإذا كانَ الليلُ أُسرِجَتْ لهُ السرجُ يقسمُ عليها

فلمَّا رجعَ حجرٌ وجدَ مالَهُ قدِ استيقَ ، ووجدَ هنداً قد أُخِذَتْ ، فقالَ مَنْ أغارَ عليكُم ؟ قالوا ابنُ مندلةَ ، قالَ مذ كم ؟ فقالوا مذ ثمانِ ليالٍ ، فقالَ حجرٌ ثمانٌ في ثمانٍ ، **لا غزوَ إلَّا التعقيبُ** ، فأرسلَها مثلاً ؛ يعني غزوَهُ الأوَّلَ والثانيَ

---

(١) انظر « ديوان طفيل الغنوي » (ص ٥٨)

قلتُ[١] قولُهُ (ثمانٌ في ثمانٍ) يعني ثمانَ ليالٍ أُدخِلَتْ في ثمانٍ أخرىٰ ؛ إذ كانَتْ غزوةُ نجرانَ كذا ، فقرنَتْ بمثلِها مِنْ هـٰذا الغزوِ الآخرِ ، أو أرادَ ثمانَ ليالٍ في أثرِ ثمانِ ليالٍ ؛ يعني أنَّهُ سبقَهُ بثمانِ ليالٍ حين أغارَ علىٰ قومِهِ ، وسيلحقُهُ في ثمانِ ليالٍ ، ثمَّ أقبلَ مُجِدّاً في طلبِ ابنِ مندلةَ ، حتىٰ دفعَ إلىٰ وادٍ دونَ منزلِ ابنِ مندلةَ ، فكَمَنَ فيه ، وبعثَ سدوسَ بنَ شيبانَ بنِ ذُهلِ بنِ ثعلبةَ ، وكانَ مِنْ مناكيرِ العربِ ، فقالَ لهُ حجرٌ اذهبْ مُتنكِّراً إلى القومِ حتىٰ تعلمَ لنا علمَهُم ، فانطلقَ سدوسٌ حتى انتهىٰ إلى ابنِ مندلةَ ، وقد نزلَ في سفحِ الجبلِ ، وأوقد ناراً ، وأقبلَ يقسمُ المرباعَ ، ونثرَ تمراً ، وقالَ مَنْ جاءَ بحزمةِ حطبٍ ، فذهبَ سدوسٌ وأتىٰ بحزمةِ حطبٍ وألقاها على النارِ ، وأخذَ قبضةً مِنْ تمرٍ فألقاها في كنانتِهِ ، وجلسَ معَ القومِ يستمعُ إلىٰ ما يقولونَ وهندٌ خلفَ ابنِ مندلةَ تُحدِّثُهُ ، فقالَ ابنُ مندلةَ يا هندُ ؛ ما ظنُّكِ الآن بحجرٍ ؟ قالَتْ أراهُ ضارباً بجوشنِهِ علىٰ واسطةِ رحلِهِ وهوَ يقولُ سيروا سيروا ، لا غزوَ إلَّا التعقيبُ ، وذٰلكَ مثلَ ما قالَ زوجُها سواءً ، ثمَّ قالَتْ هندٌ لابنِ مندلةَ واللهِ ؛ ما نامَ حجرٌ قطُّ إلَّا وعضوٌ منهُ حيٌّ ، قالَ ابنُ مندلةَ وما علمُكِ بذٰلكَ ؟! وانتهرَها ، قالَتْ بلىٰ ، كنتُ لهُ فاركاً ، فبينَما هوَ ذاتَ يومٍ في منزلٍ لهُ قد أخرجَ إليهِ رابعاً ، فضُربَتْ لهُ قبةٌ مِنْ قبابِهِ ، ثمَّ أمرَ بجُزُرٍ فنُحِرَتْ ، وبشاءٍ فذُبِحَتْ ، فصنعَ ذٰلكَ ، ثم أرسلَ للناسِ فدعاهُم فأطعمَهُم ، فلمَّا طعموا وخرجوا نامَ كما هوَ مكانَهُ وأنا جالسةٌ عندَ بابِ القُبَّةِ ، فأقبلَتْ حيَّةٌ وهوَ نائمٌ باسطٌ رجلَهُ ، فذهبَتِ الحيَّةُ لتنهشَهُ ، فقبض رجلَهُ ، ثمَّ تَحوَّلَتْ مِنْ قبلِ يدِهِ لتنهشَهُ ، فقبض يدَهُ إليهِ ، ثمَّ تَحوَّلَتْ مِنْ قِبَلِ رأسِهِ ، فلمَّا دنَتْ منهُ وهوَ يَغِطُّ قعدَ جالساً ، فنظرَ إلى الحيَّةِ ، فقالَ ما هـٰذهِ يا هندُ ؟! فقلتُ ما فطنتُ لها حتىٰ جلستَ ، قالَ لا واللهِ ، وذٰلكَ

---

(١) القائل هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال »

كلُّهُ بمسمعِ سدوسٍ ، فلمَّا سمعَ الحديثَ رجعَ إلىٰ حجرٍ ، فنثرَ التمرَ مِنَ الكنانةِ بينَ يدَيهِ وقالَ [من الوافر]

أَتَـاكَ ٱلْـمُـرْجِـفُـونَ بِـأَمْـرِ غَـيْـبٍ عَـلَـىٰ دَهَـشٍ وَجِـئْـتُـكَ بِـٱلْـيَـقِـيـنِ

فلمَّا حدَّثَهُ بحديثِ امرأتِهِ معَ ابنِ مندلةَ عرفَ أنَّهُ قد صدقَهُ ، فضربَ بيدِهِ على المرارِ ـ وهيَ شجرةٌ مُرَّةٌ إذا أكلَتْ منها الإبلُ قلصَتْ مشافرُها ـ فأكلَ منها مِنَ الغضبِ ، فلم يَضُرُّهُ ، فسَمَّتْهُ العربُ آكلَ المِرارِ

ثمَّ خرجَ حتىٰ أغارَ على ابنِ مندلةَ ، فنذرَ بهِ ابنُ مندلةَ ، فوثبَ علىٰ فرسِهِ ووقفَ ، فقالَ لهُ آكلُ المرارِ : هل لكَ في المبارزةِ ، فأيُّنا قتلَ صاحبَهُ انقادَ لهُ جندُ المقتولِ ؟ قالَ لهُ ابن مندلةَ أنصفتَ ، وذٰلكَ بعينِ هندٍ ، فاختلفا بينَهُما بطعنتَينِ ، فطعنَهُ آكلُ المِرارِ طعنةً جندلَهُ بها عن فرسِهِ ، فوثبَتْ هندٌ إلى ابنِ مندلةَ تفديهِ ، وانتزَعَتِ الرمحَ مِنْ نحرِهِ وخرجَتْ نفسُهُ ، فظفرَ آكلُ المِرارِ بجندِهِ ، واستنقذَ جميعَ ما كانَ ذهبَ بهِ مِنْ مالِهِ ومالِ أهلِ بلادِهِ ، وأخذَ هنداً فقتلَها مكانَهُ ، وأنشأَ يقولُ [من الخفيف]

لِـمَـنِ ٱلـنَّـارُ أُوقِـدَتْ بِـحَـفِـيـرِ لَـمْ يَـنَـمْ غَـيْـرُ مُـصْـطَـلٍ مَـقْـرُورُ
إِنَّ مَـنْ يَـأْمَـنُ ٱلـنِّـسَـاءَ بِـشَـيْءٍ بَـعْـدَ هِـنْـدٍ لَـجَـاهِـلٌ مَـغْـرُورُ
كُـلُّ أُنْـثَـىٰ وَإِنْ تَـبَـيَّـنْـتَ مِـنْـهَـا آيَـةَ ٱلْـحُـبِّ حُـبُّـهَـا خَـيْـتَـعُـورُ (١)

لا تَجزعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَها

قالوا إنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ ذٰلكَ خالدُ ابنُ أختِ أبي ذؤيبٍ الهذليّ ؛ وذٰلكَ أنَّ أبا ذؤيبٍ كانَ قد نزلَ في بني عامرِ بنِ صعصعةَ علىٰ رجلٍ يُقالُ لهُ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٢٤٥ ـ ٢٤٧)

عبدُ عمرِو بنِ عامرٍ ، فعشقَتْهُ امرأةُ عبدِ عمرٍو وعشقَها ، [فخبَّبَها] علىٰ زوجِها ، وحملَها وهربَ بها إلىٰ قومِهِ ، فلمَّا قدمَ منزلَهُ تَخوَّفَ أهلَهُ ، فأسَرَّها منهُم في موضعٍ لا يُعلَمُ ، وكانَ يختلفُ إليها إذا أمكنَهُ ، وكانَ الرسولُ بينَها وبينَهُ ابنَ أختٍ لهُ يُقالُ لهُ خالدٌ ، وكانَ غلاماً حَدَثاً لهُ منظرٌ وصباحةٌ ، فمكثَ بذٰلكَ برهةً مِنْ دهرٍ ، وشبَّ خالدٌ وأدركَ ، فعشقَتْهُ المرأةُ ، ودعتْهُ إلىٰ نفسِها ، فأجابَها وهَوِيَها ، ثمَّ إنَّهُ حملَها مِنْ مكانِها ذٰلكَ ، فأتىٰ بها مكاناً غيرَهُ ، وجعلَ يختلفُ إليها فيهِ ، ومنعَ أبا ذؤيبٍ عنها ، فأنشأَ أبو ذؤيبٍ يقولُ (١) [من الطويل]

مَا حُمِّلَ ٱلْبُخْتِيُّ عَامَ [غِيَارِهِ] ... عَلَيْهِ ٱلْوُسُوقُ بُرُّهَا وَشَعِيرُهَا
بِأَعْظَمَ مِمَّا كُنْتُ حَمَّلْتُ خَالِداً ... وَبَعْضُ أَمَانَاتِ ٱلرِّجَالِ غُرُورُهَا
فَلَمَّا تَرَامَاهُ ٱلشَّبَابُ وَغَيُّهُ ... وَتُبِّعَ مِنْهُ فِتْنَةٌ وَفُجُورُهَا
لَوَىٰ رَأْسَهُ عَنَّا وَمَالَ بِوُدِّهِ ... أَغَانِيجُ خَوْدٍ كَانَ فِيهَا يَزُورُهَا

فلمَّا بلغَ ذٰلكَ ابنَ أختِهِ خالداً أنشأَ يقولُ [من الطويل]

فَهَلْ أَنْتَ إِمَّا أُمُّ عَمْرٍو تَبَدَّلَتْ ... سِوَاكَ خَلِيلاً دَائِماً تَسْتَجِيرُهَا
فَرَرْتَ بِهَا مِنْ عِنْدِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ ... وَهِيَ هَمُّهَا فِي نَفْسِهَا وَسَجِيرُهَا (٢)
فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا ... فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا
وَلَا تَكُ كَٱلثَّوْرِ ٱلَّذِي دُفِنَتْ لَهُ ... حَدِيدَةُ [حَتْفٍ] دَائِباً يَسْتَثِيرُهَا (٣)

---

(١) انظر « ديوان الهذليين » (١/١٥٤ ـ ١٥٥)

(٢) رواية البيت في « شرح أشعار الهذلين » (ص ٢١٣)

أَلَمْ تَتَنَقَّذْهَا مِنِ ٱبْنِ عُوَيْمِرٍ ... وَأَنْتَ صَفِيُّ نَفْسِهِ وَسَجِيرُهَا

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٢٤٨ ـ ٢٤٩)

ما وراءَكِ يا عصامُ

قالَ المُفضَّلُ أوّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ الحارثُ بنُ عمرٍو ملكُ كندةَ ؛ وذٰلكَ أنّهُ لمَّا بلغَهُ جمالُ ابنةِ عوفِ بنِ مُحلِّمٍ الشيبانيِّ وكمالُها وقُوَّةُ عقلِها دعا امرأةً مِنْ كندةَ يُقالُ لها عصامُ ، ذاتُ عقلٍ ولسانٍ ، وأدبٍ وبيانٍ ، وقالَ لها اذهبي حتىٰ تعلمي لي علمَ ابنةِ عوفٍ ، فمضَتْ حتى انتهَتْ إلىٰ أُمِّها ؛ وهيَ أُمامةُ ابنةُ الحارثِ ، فأعلمَتْها ما قدمَتْ لهُ ، فأرسلَتْ أُمامةُ إلى ابنتِها ، وقالَتْ أي بنيَّةُ ؛ هٰذهِ خالتُكِ أتتْكِ لتنظرَ إليكِ ، فلا تستري عنها شيئاً إن أرادَتِ النظرَ مِنْ وجهٍ أو خلفٍ ، وناطقيها إنِ استنطقَتْكِ ، فدخلَتْ إليها ، فنظرَتْ إلىٰ ما لم ترَ قطُّ مثلَهُ ، فخرجَتْ مِنْ عندِها وهيَ تقولُ تركَ الخداعَ مَنْ كشفَ القناعَ ، فأرسلَتْها مثلاً

ثمَّ انطلقَتْ إلى الحارثِ ، فلمَّا رآها مقبلةً . قالَ لها : ما وراءَكِ يا عصامُ ؟ قالَتْ صَرَّحَ المخضُ عنِ الزبدِ ؛ رأيتُ جبهةً كالمرآةِ المصقولةِ ، يزينُها شعرٌ حالكٌ كأذنابِ الخيلِ ، إن أرسلَتْهُ خلتَهُ السلاسلَ ، وإن مشطَتْهُ قلتَ عناقيدُ جلَّاها الوابلُ ، وحاجبَينِ كأنَّما خُطَّا بقلمٍ أو سُوِّدا بحممٍ ، تَقوَّسا علىٰ مثلِ عينَيْ ظبيةٍ عبهرةٍ ، بينَهُما أنفٌ كحدِّ السيفِ الصنيعِ ، حُفَّتْ بهِ وجنتانِ كالأُرجوانِ ، في بياضٍ كالجمانِ ، شُقَّ فيهِ فمٌ كالخاتمِ لذيذُ المبتسمِ ، فيهِ ثنايا غُرٌّ ذاتُ أشرٍ ، تَقلَّبَ فيهِ لسانٌ ذو فصاحةٍ وبيانٍ ، بعقلٍ وافرٍ ، وجوابٍ حاضرٍ ، تلتقي فيهِ شفتانِ حمراوانِ تحلبانِ ريقاً كالشَّهدِ إذا دلكَ ، في رقبةٍ بيضاءَ كالفضةِ ، رُكِّبَتْ في صدرٍ كصدرِ تمثالِ دميةٍ ، وعضدانِ مدمجانِ يتصلُ بهما ذراعانِ ليسَ فيهما عظمٌ يُمَسُّ ، ولا عرقٌ يُحَسُّ ، رُكِّبَتْ فيهما كفَّانِ دقيقٌ قصبُهُما ، لينٌ عصبُهُما ، تعقدُ إن شئتَ منهُما الأناملَ ، نتأَ في ذٰلكَ الصدرِ ثديانِ كالرُّمَّانتَينِ يَخرِقانِ عليها ثيابَها ، تحتَ ذٰلكَ بطنٌ طُويَ طيَّ القباطيِّ المدمجةِ ، كُسِرَ عُكَناً كالقراطيسِ المدرجةِ ، تحيطُ بتلكَ العُكَنِ

سرَّةُ كالمدهنِ المَجلوّ ، خلفَ ذٰلكَ ظهرٌ فيهِ كالجدولِ ، ينتهي إلىٰ خصرٍ لولا رحمةُ اللهِ لانبترَ ، لها كفلٌ يقعدُها إذا نهضَتْ ، وينهضُها إذا قعدَتْ ؛ كأنَّهُ دعصُ الرملِ ، لبَّدَهُ سقوطُ الطلِّ ، يحملُهُ فخذانِ لُفًّا كأنَّما قُلِبا علىٰ نضدِ جمانٍ ، تحتَهُما ساقانِ خدلتانِ كالبَرْديَّتَينِ ، وُشِّيتا بشعرٍ أسودَ كأنَّهُ حلقُ الزردِ ، يحملُ ذٰلكَ قدمانِ كحذوِ اللسانِ ، فتباركَ اللهُ معَ صغرِهِما كيفَ يطيقانِ حملَ ما فوقَهُما !!

فأرسلَ الملكُ إلىٰ أبيها ، فخطبَها ، فزوَّجَها إيَّاهُ ، وبعثَ بصَداقِها ، فجُهِّزَتْ ، فلمَّا أرادوا أن يحملوها إلىٰ زوجِها قالَتْ لها أُمُّها أي بنيةُ ؛ إنَّ الوصيةَ لو تُرِكَتْ لفضلِ أدبٍ تُرِكَتْ لذٰلكَ منكِ ، ولٰكنَّها تذكرةٌ للغافلِ ، ومعونةٌ للعاقلِ ، ولو أنَّ امرأةً استغنَتْ عنِ الزوجِ لغنىٰ أبوَيها وشدَّةِ حاجتِهِما إليها كنتِ أغنى الناسِ عنهُ ، ولٰكنَّ النساءَ للرجالِ خُلِقْنَ ، ولهُنَّ خُلِقَ الرجالُ

أي بنيةُ ؛ إنَّكِ فارقتِ الجوَّ الذي منهُ خرجتِ ، وخَلَّفتِ العُشَّ الذي فيهِ درجتِ ، إلىٰ وَكْرٍ لم تعرفيهِ ، وقرينٍ لم تألفيهِ ، فأصبحَ بملكِهِ عليكِ رقيباً ومليكاً ، فكوني لهُ أَمَةً يكنْ لكِ عبداً وشيكاً

يا بنيةُ ؛ احملي عنِّي عشرَ خصالٍ تكنْ لكِ ذخراً وذكراً ؛ الصحبةُ بالقناعةِ ، والمعاشرةُ بحسنِ السمعِ والطاعةِ ، والتعهُّدُ لموقعِ عينِهِ ، والتفقدُ لموضعِ أنفِهِ ، فلا تقعُ عينُهُ منكِ علىٰ قبيحٍ ، ولا يَشَمُّ منكِ إلَّا طيبَ ريحٍ ، الكحلُ أحسنُ الحسنِ ، والماءُ أطيبُ الطيبِ المفقودِ ، والتعهُّدُ لوقتِ طعامِهِ ، والهدْءُ عنهُ عندَ منامِهِ ، فإنَّ حرارةَ الجوعِ ملهبةٌ ، وتنغيصُ النومِ مبغضةٌ ، والاحتفاظُ ببيتِهِ ومالِهِ ، والإرعاءُ علىٰ نفسِهِ وحشمِهِ وعيالِهِ ؛ فإنَّ الاحتفاظَ بالمالِ حسنُ التقديرِ ، والإرعاءُ على العيالِ والحشمِ جميلُ حسنُ التدبيرِ ، ولا تفشي لهُ سرّاً ، ولا تعصي لهُ أمراً ؛ فإنَّكِ إن أفشيتِ سِرَّهُ لم

تأمني غدرَهُ ، وإن عصيتِ أمرَهُ أوغرتِ صدرَهُ ، ثمَّ اتقي معَ ذٰلكَ الفرحَ إن كانَ تَرِحاً ، والاكتئابَ عندَهُ إن كانَ فَرِحاً ؛ فإنَّ الخصلةَ الأُولىٰ مِنَ التقصيرِ ، والثانيةَ مِنَ التكديرِ ، وكوني أشدَّ ما تكونينَ لهُ إعظاماً يكنْ أشدَّ ما يكونُ لكِ إكراماً ، وأشدَّ ما تكونينَ لهُ موافقةً يكنْ أطولَ ما تكونينَ لهُ مرافقةً ، واعلمي أنَّكِ لا تصلينَ إلىٰ ما تحبينَ حتىٰ تؤثري رضاهُ علىٰ رضاكِ ، وهواهُ علىٰ هواكِ ، فيما أحببتِ وكرهتِ ، واللهُ يخيرُ لكِ ، فحُمِلَتْ ، فسُلِّمَتْ إليهِ ، فعظمَ موقعُها منهُ ، وولدَتْ لهُ الملوكَ السبعةَ الذينَ ملكوا بعدَهُ اليمنَ

ورویٰ أبو عبيدٍ (ما وراءَكَ ؟) على التذكيرِ ، وقالَ (يُقالُ إنَّ المُتكلِّمَ بهِ النابغةُ الذبيانيُّ ، قالَهُ لعصامِ بنِ شهيرٍ حاجبِ النعمانِ ، وكانَ مريضاً)(١) ، وقد أُرجِفَ بموتِهِ ، فسألَهُ النابغةُ عن حالِ النعمانِ ، فقالَ ما وراءَكَ يا عصامُ ؟ ومعناهُ ما خَلَّفتَ مِنْ أمرِ العليلِ ، أو ما أمامَكَ مِنْ حالِهِ ، و(وراءَ) مِنَ الأضدادِ

قلتُ(٢) يجوزُ أن يكونَ أصلُ المثلِ ما ذكرتُ ، ثمَّ اتفقَ الاسمانِ ، فخُوطِبَ كلٌّ بما استحقَّ مِنَ التذكيرِ والتأنيثِ(٣)

مقتلُ الرجلِ بينَ فكَّيهِ

المقتلُ القتلُ ، وموضعُ القتلِ أيضاً ، ويجوزُ أن يجعلَ اللسانُ قتلاً مبالغةً في وصفِهِ بالإفضاءِ إليهِ ، قالَ(٤) [من البسيط]

[فَـإِنَّـمَـا] هِـيَ إِقْـبَـالٌ وَإِدْبَـارُ

(١) الأمثال (ص ٢٠٥) للقاسم بن سلام

(٢) القائل هو العلامة الميداني صاحب « مجمع الأمثال »

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٢٨٠ ـ ٢٨٢)

(٤) عجز بيت للخنساء رضي الله عنها ، انظر « ديوانها » (ص ٣٨٣) ، والبيت بتمامه

ويجوزُ أن يُجعَلَ موضعَ القتلِ ؛ أي بسببِهِ يَحصُلُ القتلُ ، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى القاتلِ

فالمصدرُ ينوبُ عنِ الفاعلِ ؛ كأنَّهُ قالَ قاتلُ الرجلِ بينَ فكَّيهِ

قالَ المُفضَّلُ أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ أكثمُ بنُ صيفيٍّ في وصيةٍ لبنيهِ ، وكانَ جمعَهُم فقالَ

- تبارُّوا ؛ فإنَّ البِرَّ يبقىٰ عليهِ العددُ ، وكُفُّوا ألسنتَكُم ؛ فإنَّ مَقتلَ الرجلِ بينَ فكَّيهِ

- إنَّ قولَ الحقِّ لم يدعْ لي [صديقاً]

- الصدقُ منجاةٌ

- لا ينفعُ التوقِّي ممَّا هوَ واقعٌ

- في طلبِ المعالي يكونُ العَناءُ

- الاقتصادُ في السعْيِ أبقىٰ للجمامِ

- مَنْ لم يأسَ علىٰ ما فاتَهُ وَدَّعَ بدنَهُ ، ومَنْ قنعَ بما هوَ فيهِ قَرَّتْ عينُهُ

- التقدُّمُ قبلَ التندُّمِ

- أُصبِحُ عندَ رأسِ الأمرِ أحبُّ إليَّ مِنْ أن أُصبِحَ عندَ ذَنَبِهِ

- لم يَهلِكْ مِنْ مالِكَ ما وعظَكَ

- ويلٌ لعالمِ أمرٍ مِنْ جاهلِهِ

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّىٰ إِذَا ٱدَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

- يتشابهُ الأمرُ إذا أقبلَ ، وإذا أدبرَ عرفَهُ الكيسُ والأحمقُ

- البطرُ عندَ الرخاءِ حمقٌ ، والعجزُ عنِ البلاءِ أمنٌ

- لا تغضبوا مِنَ اليسيرِ ؛ فإنَّهُ يجني الكثيرَ

- لا تجيبوا فيما لا تُسأَلُوا عنهُ ، ولا تضحكوا ممَّا لا يُضحَكُ منهُ

- تناءَوا في الديارِ ، ولا تباغضوا ؛ فإنَّهُ مَنْ يجتمعْ يقعقعْ عندَهُ

- ألزموا النساءَ المهانةَ

- نِعْمَ لهْوُ الغِرَّةِ المِغزلُ

- حيلةُ مَنْ لا حيلةَ لهُ الصَّبرُ

- إن تعشْ ترَ ما لم ترَهُ

- المِكثارُ كحاطبِ ليلٍ

- مَنْ أكثرَ أسقطَ

- لا تجعلوا سرّاً إلىٰ أَمَةٍ

فهٰذهِ تسعةٌ وعشرونَ مثلاً ، منها قد مرَّ ذكرُهُ فيما سبقَ مِنَ الكتابِ ، ومنها ما يأتي إن شاءَ اللهُ تعالىٰ

وقد أحسنَ مَنْ قالَ رحمَ اللهُ امرأً أطلقَ ما بينَ كفَّيهِ ، وأمسكَ ما بينَ فكَّيهِ ، وللهِ درُّ أبي الفتحِ البستيِّ حيثُ يقولُ في هٰذا المثلِ (١) [من الطويل]

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَٱلسُّكُوتُ جَمَادُ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلاً سَدِيداً تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ ٱلسَّدَادِ سَدَادُ

---

(١) انظر « ديوان أبي الفتح البستي » (ص ١٢٦)

واحتذاهُ القاضي أبو أحمدَ منصورُ بنُ محمدٍ الهرويُّ ، فقالَ [من الطويل]

إِذَا كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَمَارَاكَ جَاهِلٌ فَأَعْرِضْ فَفِي تَرْكِ ٱلْجَوَابِ جَوَابُ
وَإِنْ لَمْ تُصِبْ فِي ٱلْقَوْلِ فَٱسْكُتْ فَإِنَّمَا سُكُوتُكَ عَنْ غَيْرِ ٱلصَّوَابِ صَوَابُ

وضمَّنَ الشيخُ أبو سهلٍ النيليُّ شرائطَ الكلامِ قولَهُ [من الكامل]

أُوصِيكَ فِي نَظْمِ ٱلْكَلَامِ بِخَمْسَةٍ إِنْ كُنْتَ لِلْمُوصِي ٱلشَّفِيقِ مُطِيعَا
لَا تُغْفِلَنْ سَبَبَ ٱلْكَلَامِ وَوَقْتَهُ وَٱلْكَيْفَ وَٱلْكَمَّ وَٱلْمَكَانَ جَمِيعَا

« مَنْ صدقَ اللهَ نجا »

روىٰ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ « إِنَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ ٱنْطَلَقُوا إِلَى ٱلصَّحْرَاءِ ، فَمَطَرَتْهُمُ ٱلسَّمَاءُ ، فَلَجَؤُوا إِلَىٰ كَهْفٍ فِي جَبَلٍ يَنْتَظِرُونَ إِقْلَاعَ ٱلْمَطَرِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَٰلِكَ إِذْ هَبَطَتْ صَخْرَةٌ مِنَ ٱلْجَبَلِ وَجَثَمَتْ عَلَىٰ بَابِ ٱلْغَارِ ، فَيَئِسُوا مِنَ ٱلْحَيَاةِ وَٱلنَّجَاةِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ إِلَىٰ أَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلَهُ فَلْيَذْكُرْهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، عَسَىٰ أَنْ يَرْحَمَنَا وَيُنَجِّيَنَا

فَقَالَ أَحَدُهُمُ ٱللَّهُمَّ ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ بَارّاً بِوَالِدَيَّ ، وَكُنْتُ آتِيهِمَا بِغَبُوقِهِمَا فَيَغْتَبِقَانِهِ ، فَأَتَيْتُ لَيْلَةً بِغَبُوقِهِمَا ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا ، وَكَرِهْتُ ٱلرُّجُوعَ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَاكَ دَأْبِي حَتَّىٰ طَلَعَ ٱلْفَجْرُ ، فَإِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ ذَٰلِكَ لِوَجْهِكَ فَٱفْرُجْ عَنَّا ، فَمَالَتِ ٱلصَّخْرَةُ عَنْ مَكَانِهَا حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَيْهِمُ ٱلضَّوْءُ

وَقَالَ ٱلْآخَرُ ٱللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي هَوِيتُ ٱمْرَأَةً ، وَلَقِيتُ فِي شَأْنِهَا أَهْوَالاً حَتَّىٰ ظَفِرْتُ بِهَا ، وَقَعَدْتُ مِنْهَا مَقْعَدَ ٱلرَّجُلِ مِنَ ٱلْمَرْأَةِ ، قَالَتْ إِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ خَاتَمِي إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ عَنْهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا حَمَلَنِي

عَلَىٰ ذَٰلِكَ إِلَّا مَخَافَتُكَ فَٱفْرُجْ عَنَّا ، فَٱنْفَرَجَتِ ٱلصَّخْرَةُ حَتَّىٰ لَوْ شَاءَ ٱلْقَوْمُ أَنْ يَخْرُجُوا لَقَدَرُوا

وَقَالَ ٱلثَّالِثُ اللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي ٱسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ ، فَعَمِلُوا لِي ، فَوَفَّيْتُهُمْ أُجُورَهُمْ إِلَّا رَجُلاً وَاحِداً تَرَكَ أَجْرَهُ عِنْدِي وَخَرَجَ مُغَاضِباً ، فَرَبَّيْتُ أَجْرَهُ حَتَّىٰ نَمَا وَبَلَغَ مَبْلَغاً ، ثُمَّ جَاءَ ٱلْأَجِيرُ فَطَلَبَ أُجْرَتَهُ ، فَقُلْتُ هَاكَ مَا تَرَىٰ مِنَ ٱلْمَالِ ، فَإِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ ذَٰلِكَ لَكَ فَٱفْرُجْ عَنَّا ، فَمَالَتِ ٱلصَّخْرَةُ ، وَٱنْطَلَقُوا سَالِمِينَ »

فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « مَنْ صَدَقَ ٱللهَ نَجَا »[1] ، ومعنىٰ (صدقَ اللهَ) لقيَ اللهَ بالصدقِ ؛ وهوَ أن يُحقِّقَ قولَهُ فعلُهُ

منكَ أنفُكَ وإن كانَ أجدعَ

يُضرَبُ لِمَنْ يلزمُكَ خيرُهُ وشرُّهُ وإن كانَ ليسَ بمستحكمِ القربِ

وأوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ قنفذُ بنُ جعونةَ المازنيُّ للربيعِ بنِ كعبٍ المازنيِّ ؛ وذٰلكَ أنَّ الربيعَ دفعَ فرساً كانَ قد أبرَّ على الخيلِ كرماً وجودةً إلىٰ أخيهِ كَميشٍ ليأتيَ بهِ أهلَهُ ، وكانَ كميشٌ أَنْوَكَ مشهوراً بالحمقِ ، وقد كانَ رجلٌ مِنْ بني مالكٍ يُقالُ لهُ قرادُ بنُ جرمٍ ، قدمَ علىٰ أصحابِ الفرسِ ليصيبَ منهُم غرَّةً فيأخذَها ، فكانَ داهيةً ، فمكثَ فيهِم مقيماً لا يَعرفونَ نسبَهُ ولا يظهرُهُ هوَ ، فلمَّا نظرَ إلىٰ كميشٍ راكباً الفرسَ ركبَ ناقتَهُ ، ثمَّ عارضَهُ فقالَ يا كميشُ ؛ هل لكَ في عانةٍ لم أرَ مثلَها سمناً ولا عظماً ، وعَيْرٌ معَها مِنْ ذهبٍ ؟ فأمَّا الأتنُ . فتروحُ بها إلىٰ أهلِكَ فتملأُ قدُورَهُم ، وتُفرِحُ صُدورَهُم ، وأمَّا العَيْرُ فلا افتقارَ بعدَهُ ؟ قالَ لهُ كميشٌ وكيفَ لنا بهِ ؟ قالَ أنا لكَ

(١) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (١٩٦) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما

بهِ ، وليسَ يُدرَكُ إلَّا علىٰ فرسِكَ هٰذا ، ولا يُرىٰ إلَّا بليلٍ ، ولا يراهُ غيري ، قالَ كميشٌ فدونَكَهُ ، قالَ نعم ، وأمسكْ أنتَ راحلتي ، فركبَ قرادٌ الفرسَ وقالَ انتظرْني في هٰذا المكانِ إلىٰ هٰذهِ الساعةِ مِنْ غدٍ ، قالَ نعم ، ومضىٰ قُرادٌ ، فلمَّا توارىٰ أنشأَ يقولُ [من مشطور الرجز]

ضَـيَّـعْـتَ فِـي ٱلْـعَـيْـرِ ضَـلَالاً مُـهْـرَكَـا
لِـتُـطْـعِـمَ ٱلْـحَـيَّ جَـمِـيـعـاً عَـيْـرَكَـا
فَـسَـوْفَ تَـأْتِـي بِـٱلْـهَـوَانِ أَهْـلَـكَـا
وَقَـبْـلَ هَـٰذَا مَـا خَـدَعْـتُ ٱلْأَنْـوَكَـا

فلم يزلْ كميشٌ ينتظرُه حتىٰ أمسىٰ مِنْ غدِهِ وجاعَ ، فلمَّا لم يرَ لهُ أثراً انصرفَ إلىٰ أهلِهِ وقالَ في نفسِهِ إن سألَني أخي عنِ الفرسِ قلتُ تَحوَّلَ ناقةً ، فلمَّا رآهُ أخوهُ الربيعُ عرفَ أنَّهُ خُدِعَ عنِ الفرسِ ، فقالَ لهُ أينَ الفرسُ ؟ قالَ تَحوَّلَ ناقةً ، قالَ فما فعلَ السرجُ ؟ قالَ لم أذكرِ السرجَ فأطلبَ لهُ عِلَّةً ، فصرعَهُ الربيعُ ليقتلَهُ ، فقالَ لهُ قنفذُ بنُ جعونةَ ٱلْهُ عمَّا فاتَكَ ؛ فإنَّ أنفَكَ منكَ وإن كانَ أجدعَ ، فذهبَتْ مثلاً ، وقدمَ قُرادُ بنُ [جرمٍ] علىٰ أهلِهِ بالفرسِ ، وقالَ في ذٰلكَ [من الطويل]

رَأَيْتُ كَمِيشاً نَوْكُهُ لِيَ نَافِعٌ … وَلَمْ أَرَ نَوْكاً قَبْلَ ذَٰلِكَ يَنْفَعُ
يُؤَمِّلُ عَيْراً مِنْ نُضَارٍ وَعَسْجَدٍ … فَهَلْ كَانَ لِي فِي غَيْرِ ذَٰلِكَ مَطْمَعُ
وَقُلْتُ لَهُ أَمْسِكْ قَلُوصِي وَلَا تَرِمْ … خِدَاعاً لَهُ إِذْ ذُو ٱلْمَكَايِدِ يَخْدَعُ
فَأَصْبَحَ يَرْمِي ٱلْخَافِقَيْنِ بِطَرْفِهِ … وَأَصْبَحَ تَحْتِي ذُو أَفَانِينَ جُرْشُعُ
أَبَرُّ عَلَى [ٱلْجُرْدِ] ٱلْعَنَاجِيجِ كُلِّهَا … فَلَيْسَ وَلَوْ أَقْحَمْتَهُ ٱلْوَعْرَ يَكْسَعُ (١)

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٣٦٠ ـ ٣٦٢)

مَنْ يَرَ يوماً يُرَ بِهِ

قالَ المُفضَّلُ أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ كلحبُ بنُ شُؤبوبِ الأسديُّ ، وكانَ يغيرُ علىٰ طيءٍ وحدَهُ ، فدعا حارثةُ بنُ لَأْمٍ الطائيُّ رجلاً مِنْ قومِهِ يُقالُ لهُ عترمٌ ، وكانَ بطلاً شجاعاً ، فقالَ لهُ أما تستطيعُ أن تكفيَني هٰذا الخبيثَ ؟ فقالَ بلىٰ ، ثمَّ أرسلَ معَهُ عشرةً مِنَ العيونِ حتىٰ علموا مكانَهُ

وانطلقَ إليهِ الرجلُ في جماعةٍ ، فوجدوهُ نائماً في ظلِّ أراكةٍ وفرسُهُ مشدودةٌ عندَهُ ، فنزلَ عندَهُ الرجلُ ومعَهُ آخَرُ إليهِ ، فأخذَ كلٌّ واحدٍ منهما بإحدىٰ يدَيهِ ، فانتبهَ ، فنزعَ يدَهُ اليمنىٰ مِنْ ممسكِها وقبض علىٰ حَلْقِ الآخَرِ فقتلَهُ ، وبادرَ الباقونَ إليهِ فأخذوهُ وشدُّوهُ وثاقاً ، فقالَ لهُمُ ابنُ المقتولِ وهوَ حوذةُ بنُ عترمٍ دعوني أقتلْهُ كما قتلَ أبي ، قالوا حتىٰ نأتيَ بهِ حارثةَ ، فأبىٰ ، فقالوا لهُ واللهِ ؛ لئن قتلتَهُ لنقتُلَنَّكَ

وأتَوا بهِ حارثةَ بنَ لَأْمٍ ، فقالَ لهُ حارثةُ يا كلحبُ ؛ إن كنتَ أسيراً فطالما أسرتَ ، فقالَ كلحبُ مَنْ يَرَ يوماً يُرَ بِهِ ، فأرسلَها مثلاً ، وقالَ حوذةُ لحارثةَ أعطنيهِ أقتلْهُ كما قتلَ أبي ، قالَ دونَكَهُ ، وجعلوا يُكلِّمونَهُ وهوَ يعالجُ كتافَهُ حتى انحلَّ ثمَّ وثبَ علىٰ رجلَيهِ يجاريهِم ، وتواثبوا على الخيلِ واتبعوهُ فأعجزَهُم ، فقالَ حوذةُ في ذٰلكَ [من الطويل]

إِلَى ٱللهِ أَشْكُو أَنْ أَؤُوبَ وَقَدْ ثَوَىٰ قَتِيلاً فَأَوْدَىٰ سَيِّدُ ٱلْقَوْمِ عَتْرَمُ
فَمَاتَ ضَيَاعاً هٰكَذَا بِيَدِ ٱمْرِئٍ لَئِيمٍ فَلَوْلَا قِيلَ ذُو ٱلْوِتْرِ مُعْلِمُ

فأجابَهُ كلحبٌ [من الطويل]

أَحَوْذَةُ إِنْ تَفْخَرْ وَتَزْعُمْ أَنَّنِي لَئِيمٌ فَمِنِّي عَتْرَمُ ٱللُّؤْمِ أَلْأَمُ
فَأُقْسِمُ بِٱلْبَيْتِ ٱلْمُحَرَّمِ مِنْ مِنىً أَلِيَّةِ بَرٍّ صَادِقٍ حِينَ يُقْسِمُ

لَـضَـبٌّ بِـقَـفْـرٍ مِـنْ قَـفَـارٍ وَضَـبَّـةٌ خَـمُـوعٌ وَيَـرْبُـوعُ ٱلْـفَـلَا مِـنْـكَ أَكْـرَمُ
فَـهَـلْ أَنْـتَ إِلَّا خُـنْـفُـسَـاءُ لَـئِـيـمَـةٌ وَخَـالُـكَ يَـرْبُـوعٌ وَجَـدُّكَ شَـيْـهَـمُ
أَتُـوعِـدُنِـي بِـٱلْـمُـنْـكَـرَاتِ وَإِنَّـنِـي صَبُورٌ عَلَىٰ مَا نَابَ جَلْدٌ صَلَخْدَمُ
فَـإِنْ أَفْـنَ أَوْ أُعْـمَـرْ إِلَـىٰ وَقْـتِ هَـٰذِهِ فَإِنِّي ٱبْنُ شُؤْبُوبٍ جَسُورٍ غَشَمْشَمُ

مَنْ يشتري سيفي وهـٰذا أثرُهُ

قالَ المُفضَّلُ أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ الحارثُ بنُ ظالمِ المريُّ ؛ وذٰلكَ أنَّ خالدَ بنَ جعفرِ بنِ كلابٍ لمَّا قتلَ زهيرَ بنَ جذيمةَ العبسيَّ ضاقَتْ بهِ الأرضُ ، وعلمَ أنَّ غطفانَ غيرُ تاركيهِ ، فخرجَ حتىٰ أتى النعمانَ ، فاستجارَ بهِ ، فأجارَهُ ومعَهُ أخوهُ عتبةُ بنُ جعفرٍ ، ونهض قيسُ بنُ زهيرٍ فاستعدَّ لمحاربةِ بني عامرٍ ، وهجمَ الشتاءُ ، فقالَ الحارثُ بنُ ظالمٍ يا قيسُ ؛ أنتُم أعلمُ وحربَكُم ، وأنا رائحٌ إلىٰ خالدٍ حتىٰ أقتلَهُ ، قالَ قيسٌ قد أجارَهُ النعمانُ ، قالَ الحارثُ لأَقتلَنَّهُ ولو كانَ في حجرِهِ

وكانَ النعمانُ قد ضربَ علىٰ خالدٍ وعلىٰ أخيهِ قُبَّةً ، وأمرَهُما بحضورِ طعامِهِ ومُدامِهِ ، فأقبلَ الحارثُ ومعَهُ تابعٌ لهُ مِنْ بني محاربٍ ، فأتىٰ بابَ النعمانِ ، فاستأذنَ ، فأذنَ لهُ النعمانُ وفرحَ بهِ ، فدخلَ الحارثُ وكانَ مِنْ أحسنِ الناسِ وجهاً وحديثاً ، وأعلمِ الناسِ بأيامِ العربِ ، فأقبلَ النعمانُ عليهِ بوجهِهِ وحديثِهِ وبينَ أيديهِم تمرٌ يأكلونَهُ ، فلمَّا رأىٰ خالدٌ إقبالَ النعمانِ على الحارثِ غاظَهُ ، فقالَ يا أبا ليلىٰ ؛ ألا تشكرُني ؟ قالَ فيماذا ؟ قالَ قتلتُ زهيراً فصرتَ بعدَهُ سيدَ غطفانَ ، وفي يدِ الحارثِ تمراتٌ ، فاضطربَتْ يدُهُ ، وجعلَ يُرعِدُ ويقولُ أنتَ قتلتَهُ ؟ والتمرُ يسقطُ مِنْ يدِهِ ، ونظرَ النعمانُ إلىٰ ما بهِ مِنَ الزمعِ ، فنخسَ خالداً بقضيبِهِ وقالَ هـٰذا يقتلُكَ

وافترقَ القومُ ، وبقيَ الحارثُ عندَ النعمانِ ، وأشرجَ خالدٌ قُبَّتَهُ عليهِ وعلىٰ أخيهِ ، وناما ، وانصرفَ الحارثُ إلىٰ رحلِهِ ، فلمَّا هدأَتِ العيونُ خرجَ الحارثُ بسيفِهِ شاهرَهُ حتىٰ أتىٰ قبَّةَ خالدٍ ، فهتكَ شرجَها بسيفِهِ ودخلَ ، فرأىٰ خالداً نائماً وأخوهُ إلىٰ جنبِهِ ، فأيقظَ خالداً واستوىٰ قائماً ، فقالَ لهُ الحارثُ يا خالدُ ؛ أظننتَ أنَّ دمَ زهيرٍ كانَ سائغاً لكَ وعلاهُ بسيفِهِ حتىٰ قتلَهُ ، وانتبهَ عتبةُ ، فقالَ لهُ الحارثُ لئن نبسْتَ لَأُلحقَنَّكَ بهِ ، وانصرفَ الحارثُ وركبَ فرسَهُ ومضىٰ علىٰ وجهِهِ

وخرجَ عتبةُ صارخاً ، حتىٰ أتىٰ بابَ النعمانِ ، فنادىٰ يا سوءَ جواراهْ !! فأُجيبَ لا روعَ عليكَ ، فقالَ دخلَ الحارثُ علىٰ خالدٍ فقتلَهُ وأخفرَ الملكَ ، فوَجَّهَ النعمانُ فوارسَ في طلبِهِ ، فلحقوهُ سَحَراً ، فعطفَ عليهِم فقتلَ منهُم جماعةً ، وكثروا عليهِ فجعلَ لا يقصدُ جماعةً إلَّا فرَّقَها ، ولا لفارسٍ إلَّا قتلَهُ ، وهوَ يرتجزُ ويقولُ [من الرجز]

أَنَا أَبُو لَيْلَىٰ وَسَيْفِي ٱلْمَعْلُوبْ مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَـٰذَا أَثَرُهْ

وارتدعَ القومُ عنهُ ، وانصرفوا إلى النعمانِ

يُضرَبُ في المحاذرةِ مِنْ شيءٍ قدِ ابتُلِيَ بمثلِهِ مَرَّةً ، قالَ الأغلبُ العجليُّ [من الرجز]

قَالَتْ لَهُ فِي بَعْضِ مَا تُسَطِّرُهْ مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَـٰذَا أَثَرُهْ (١)

« انصرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً »

يُروىٰ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قالَ هـٰذا ، فقيلَ يا رسولَ اللهِ ؛

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٣٧٧ ـ ٣٧٨)

هٰذا ننصرُهُ مظلوماً ، فكيفَ ننصرُهُ ظالماً ؟! فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « تَرُدُّهُ عَنِ ٱلظُّلْمِ »[1]

قالَ أبو عبيدٍ (أمَّا الحديثُ فهٰكذا ، وأمَّا العربُ فكانَ مذهبُها في المثلِ نصرتَهُ علىٰ كلِّ حالٍ)[2]

قالَ المُفضَّلُ أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ جندبُ [بنُ] العنبرِ بنِ تميمِ بنِ عمرٍو ، وكانَ رجلاً دميماً فاحشاً ، وكانَ شجاعاً ، وأنَّهُ جلسَ هوَ وسعدُ بنُ زيدِ مناةَ يشربانِ ، فلمَّا أخذَ الشرابُ فيهِما قالَ جندبٌ لسعدٍ وهوَ يمازحُهُ يا سعدُ ؛ لَشربُ لبنِ اللقاحِ ، وطولُ النكاحِ ، وحسنُ المزاحِ أحبُّ إليكَ مِنَ الكفاحِ ، ودعسِ الرماحِ ، وركضِ الوقاحِ ، قالَ سعدٌ كذبتَ واللهِ ؛ إنِّي لأُعْمِلُ العاملَ ، وأنحرُ البازلَ ، وأُسكِتُ القائلَ ، قالَ جندبٌ إنَّكَ لَتعلمُ أنَّكَ لو فزعتَ دعوتَني عَجِلاً ، وما ابتغيتَ لي بدلاً ، ولَرأيتَني بطلاً ، أركبُ العزيمةَ ، وأمنعُ الكريمةَ ، وأحمي الحريمةَ ، فغضبَ سعدٌ وأنشأَ يقولُ [من الخفيف]

هَلْ يَسُودُ ٱلْفَتَىٰ إِذَا قَبُحَ ٱلْوَجْـ ـهُ وَأَمْسَىٰ قِرَاهُ غَيْرَ عَتِيدِ
وَإِذَا ٱلنَّاسُ فِي ٱلنَّدِيِّ رَأَوْهُ نَاطِقاً قَالَ قَوْلَ غَيْرِ سَدِيدِ

فأجابَهُ جندبٌ

لَيْسَ زَيْنُ ٱلْفَتَى ٱلْجَمَالَ وَلَـٰكِنْ زَيْنُهُ ٱلضَّرْبُ بِٱلْحُسَامِ ٱلتَّلِيدِ
إِنْ يَنَلْكَ ٱلْغِنَىٰ فَزَيْنٌ وَإِلَّا رُبَّمَا ضَنَّ بِٱلْيَسِيرِ ٱلْعَتِيدِ

قالَ سعدٌ وكان عائفاً أمَا والذي أَحلِفُ بهِ ؛ لتأسرنَّكَ ظعينةٌ ، بينَ العرينةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٤) عن سيدنا أنسٍ رضي الله عنه

(٢) الأمثال (ص ١٨١) للقاسم بن سلام

والدهينةِ ، ولقد أخبرَني طيري ؛ أنَّهُ لا يَفكُّكَ غيري ، فقالَ جندبٌ كلَّا ، إنَّكَ لَجبانٌ ، تكرهُ الطِّعانَ ، وتُحِبُّ القيانَ

فتَفرَّقا علىٰ ذٰلكَ ، فغبرا حيناً ، ثمَّ إنَّ جندباً خرجَ علىٰ فرسٍ لهُ يَطلبُ القنص ، فأتىٰ علىٰ أمةٍ لبني تميمٍ يُقالُ إنَّ أصلَها مِنْ جُرْهُمَ ، فقالَ لها لتُمكِّنِنِّي مسرورةً ، أو تُقهَرينَ مجبورةً ، قالَتْ مهلاً ؛ فإنَّ المرءَ مِنْ نَوْكِهِ يشربُ مِنْ سِقاءٍ لم يوكِهِ ، فنزلَ إليها عن فرسِهِ مُدِلّاً ، فلمَّا دنا منها قبضَتْ علىٰ يديهِ بيدٍ واحدةٍ ، فما زالَتْ تعصرُهُما حتىٰ صارَ لا يستطيعُ أن يُحرِّكَهُما ، ثمَّ كتفَتْهُ بعنانِ فرسِهِ ، وراحَتْ بهِ معَ غنمِها وهيَ تحدو بهِ وتقولُ [من مشطور الرجز]

لَا تَـأْمَـنَـنَّ بَـعْـدَهَـا ٱلْـوَلَائِـدَا

فَـسَـوْفَ تَـلْـقَـىٰ بَـاسِـلاً مَـوَارِدَا

وَحَـيَّـةً تُـضْـحِـي لِـحَـيٍّ رَاصِـدَا

قالَ فمرَّ بسعدٍ في إبلِهِ ، فقالَ يا سعدُ ؛ أغثْني ، قالَ سعدٌ إنَّ الجبانَ لا يغيثُ ، فقالَ جندبٌ [من مشطور الرجز]

يَـا أَيُّـهَـا ٱلْـمَـرْءُ ٱلْـكَـرِيـمُ ٱلْـمَـشْـكُـومْ

ٱنْـصُـرْ أَخَـاكَ ظَـالِـمـاً أَوْ مَـظْـلُـومْ

فأقبلَ إليهِ سعدٌ فأطلقَهُ ، ثمَّ قالَ لولا أن يُقالَ قتلَ امرأةً لَقتلتُكِ ، [قالَتْ] (١) كلَّا ، لم يكنْ ليكذبَ طيرُكَ ، ويَصدُقَ غيرُكَ ، قالَ صدقتِ

قولُهُ (انصرْ أخاكَ ظالماً) يجوزُ أن يكونَ (ظالماً أو مظلوماً) حالَينِ

---

(١) في الأصل (قال)

مِنْ قولِهِ (أخاكَ) ، ويجوزُ أن يكونا حالَينِ مِنَ الضَّميرِ المُستكنِّ في الأمرِ ؛ يعني انصرْهُ ظالماً إن كنتَ خصمَهُ ، أو مظلوماً مِنْ جهةِ خصمِهِ ؛ أي لا تسلمْهُ في أيِّ حالٍ كنتَ[1]

ويلٌ للشجيِّ مِنَ الخليِّ

ذكرتُ قصتَهُ في حرفِ الصَّادِ ؛ عندَ قولِهِم صُغْراها شُرَّاها[2] ، وهٰذهِ روايةٌ أخرىٰ قالَ المدائنيُّ ومحمدُ بنُ سلَّامٍ الجمحيُّ أوَّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ أكثمُ بنُ صيفيٍّ التميميُّ ، وكانَ مِنْ حديثِهِ أنَّهُ لمَّا ظهرَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بمكةَ ، ودعا الناسَ إلى الإسلامِ بعثَ أكثمُ بنُ صيفيٍّ ابنَهُ حُبَيشاً ، فأتاهُ بخبرِهِ ، فجمعَ بني تميمٍ وقالَ يا بني تميمٍ ؛ لا تُحضروني سفيهاً ، فإنَّهُ مَنْ يسمعْ يَخَلْ ؛ إنَّ السفيهَ يوهنُ مَنْ فوقَهُ ، ويثبتُ مَنْ دونَهُ ، لا خيرَ فيمَنْ لا عقلَ لهُ ، كبرَتْ سنِّي ، ودخلَتْني ذلةٌ ، فإذا رأيتُم منِّي حسناً فاقبلوهُ ، وإن رأيتُم منِّي غيرَ ذٰلكَ فقوِّمُوني أستقمْ ، إنَّ ابني شافهَ هٰذا الرجلَ مشافهةً وأتاني بخبرِهِ وكتابِهِ ؛ يأمرُ فيهِ بالمعروفِ ، وينهىٰ عن المنكرِ ، ويأخذُ فيهِ بمحاسنِ الأخلاقِ ، ويدعو إلىٰ توحيدِ اللهِ تعالىٰ ، وخلعِ الأوثانِ ، وتركِ الحلفِ بالنيرانِ ، وقد عرفَ ذَوُو الرأيِ منكُم أنَّ الفضلَ فيما يدعو إليهِ ، وأنَّ الرأيَ تركُ ما ينهىٰ عنهُ

إنَّ أحقَّ الناسِ بمعونةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ومساعدتِهِ علىٰ أمرِهِ أنتُم ، فإن يكنِ الذي يدعو إليهِ حقّاً فهوَ لكُم دونَ الناسِ ، وإن يكنْ باطلاً كنتُم أحقَّ الناسِ بالكفِّ عنهُ ، وبالسترِ عليهِ ، وقد كانَ أُسقُفُ نجرانَ يُحدِّثُ بصفتِهِ ، وكانَ سفيانُ بنُ مجاشعٍ يُحدِّثُ بهِ قبلَهُ ، وسمَّى ابنَهُ

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٤٣٦ ـ ٤٣٨)

(٢) تقدم (٣/١٢٣) ، والسياق للعلامة الميداني في « مجمع الأمثال »

محمداً ، فكونوا في أمرِهِ أوّلاً ، ولا تكونوا آخراً ، ائتوا طائعينَ قبلَ أن تأتوا كارهينَ

إنَّ الذي يدعو إليهِ محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لو لم يكنْ ديناً كانَ في أخلاقِ الناسِ حسناً ، أطيعوني واتبعوا أمري أسألْ لكُم أشياءَ لا تُنزَعُ منكم أبداً ، وأصبحتُم أعزَّ حيٍّ في العربِ ، وأكثرَهُم عدداً ، وأوسعَهُم داراً ، فإنِّي أرىٰ أمراً لا يجتنبُهُ عزيزٌ إلَّا ذلَّ ، ولا يلزمُهُ ذليلٌ إلَّا عزَّ ، إنَّ الأوّلَ لم يدعْ للآخِرِ شيئاً ، وهٰذا أمرٌ لهُ ما بعدَهُ ، مَنْ سبقَ إليهِ عمرَ المعاليَ ، واقتدىٰ بهِ التالي ، والعزيمةُ حزمٌ ، والاختلافُ عجزٌ

فقالَ مالكُ بنُ نويرةَ قد خَرِفَ شيخُكُم ، فقالَ أكثمُ ويلٌ للشجيِّ مِنَ الخليِّ ، وا لهفي علىٰ أمرٍ لم أشهدْهُ ولم يسعْني !!

هلمَّ جرّاً

قالَ المُفضَّلُ أي تعالَوا علىٰ هينتِكُم كما يسهلُ عليكُم ، وأصلُ ذٰلكَ مِنَ الجرِّ في السوقِ ؛ وهو أن تُترَكَ الإبلُ والغنمُ ترعىٰ في سيرِها ، قالَ الراجزُ [من مشطور الرجز]

لَطَالَمَا جَرَرْتُكُنَّ جَرَّا
حَتَّىٰ نَوَى ٱلْأَعْجَفُ وَٱسْتَمَرَّا
فَٱلْيَوْمَ لَا آلُو ٱلرِّكَابَ شَرَّا

وأوّلُ مَنْ قالَ ذٰلكَ المستطعمُ عمرَو بنَ حمرانَ الجعديَّ زبداً وتامكاً ، حتىٰ قالَ لهُ عمرٌو كلاهما وتمراً ، وقد مرَّ ذكرُهُما في حرفِ الكافِ[1] ، واسمُ

---

(١) تقدم (١٤٨/٣) ، والسياق للعلامة الميداني في « مجمع الأمثال »

ذٰلكَ الرجلِ عائذٌ ، وكانَ لهُ أخٌ يُسمَّىٰ جندلةَ ، وهما ابنا يزيدَ اليشكريِّ ، ولمَّا رجعَ عائذٌ قالَ لهُ أخوهُ جندلةُ [من الوافر]

أَعَـائِـذُ لَـيْـتَ شِـعْـرِي أَيُّ أَرْضٍ رَمَـتْ بِـكَ بَـعْـدَمَـا قَـدْ غِـبْـتَ دَهْـرَا
فَـلَـمْ يَـكُ يُـرْتَـجَـىٰ لَـكُـمُ إِيَـابٌ وَلَـمْ نَـعْـرِفْ لِـدَارِكَ مُـسْـتَـقَـرَّا
فَـقَـدْ كَـانَ ٱلْـفِـرَاقُ أَذَابَ جِـسْـمِـي وَكَـانَ ٱلْـعَـيْـشُ بَـعْـدَ ٱلـصَّـفْـوِ كَـدْرَا
وَكَـمْ قَـاسَـيْـتُ عَـائِـذُ مِـنْ فَـظِـيـعٍ وَكَـمْ جَـاوَزْتُ أَمْـلَـسَ مُـقْـشَـعِـرَّا
إِذَا جَـاوَزْتُـهَـا ٱسْـتَـقْـبَـلْـتُ أُخْـرَىٰ وَأُقْـودُ مُـشْـمَـخِـرَّ ٱلـنِّـيـقِ وَعْـرَا

فأجابَهُ عائذٌ فقالَ [من الوافر]

أَجَـنْـدَلُ كَـمْ قَـطَـعْـتُ إِلَـيْـكَ أَرْضـاً يَـمُـوتُ بِـهَـا أَبُـو ٱلْأَشْـبَـالِ ذُعْـرَا
قَـطَـعْـتُ وَلَامِـعَـاتُ ٱلْآلِ تَـجْـرِي وَقَـدْ أَوْتَـرْتُ فِـي ٱلْـمُـومَـاتِ كَـدْرَا
وَطَـامِـسَـةُ ٱلْـمُـتُـونِ ذُعِـرْتُ فِـيـهَـا خَـوَاضِـبُ ذَاتُ أَرْآلٍ وَغُـبْـرَا
وَإِنْ جَـاوَزْتُ مُـقْـفِـرَةً رَمَـتْ بِـي إِلَـىٰ أُخْـرَىٰ كَـتِـلْـكَ هَـلُـمَّ جَـرَّا
فَـلَـمَّـا لَاحَ لِـي سَـغَـبٌ وَلُـوحٌ (١) وَقَـدْ مَـتَـعَ ٱلـنَّـهَـارُ لَـقِـيـتُ عَـمْـرَا
فَـقُـلْـتُ فَـهَـاتِ زُبْـداً أَوْ سَـنَـامـاً فَـقَـالَ كِـلَاهُـمَـا وَتُـزَادُ تَـمْـرَا
فَـقَـدَّمَ لِـلْـقِـرَىٰ شَـطْـبـاً وَزُبْـداً وَظِـلْـتُ لَـدَيْـهِ عَـشْـراً ثُـمَّ عَـشْـرَا (٢)

يسارُ الكواعبِ

كانَ مِنْ حديثِهِ أنَّهُ كانَ عبداً أسودَ يرعىٰ لأهلِهِ إبلاً ، وكانَ معَهُ

(١) أي جوع وعطش
(٢) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٥٧٧ ـ ٥٧٨)

عبدٌ يراعيهِ ، وكانَ لمولىٰ يسارٍ بنتٌ ، فمرَّتْ يوماً بإبلِهِ وهيَ ترتعُ في روضٍ معشبٍ ، فجاءَ يسارٌ بعلبةِ لبنٍ فسقاها ، وكانَ أفحجَ الرجلَينِ ، فنظرَتْ إلىٰ فحجِهِ فتبسَّمَتْ ، ثمَّ شربَتْ وجزتْهُ خيراً ، فانطلقَ فرحاً حتىٰ أتى العبدَ المراعيَ ، وقصَّ عليهِ القصَّةَ ، وذكرَ لهُ فرحَها وتبسُّمَها ، فقالَ لهُ صاحبُهُ يا يسارُ ؛ كُلْ مِنْ لحمِ الحوارِ ، واشربْ لبنَ العشارِ ، وإيَّاكَ وبناتِ الأحرارِ ، فقالَ دحكَتْ إليَّ دحكةً لا أُخيِّبُها ، يقولُ ضحكَتْ ضحكةً

ثمَّ قامَ إلىٰ علبةٍ فملأَها وأتىٰ بها ابنةَ مولاهُ ، فنبَّهَها فشربَتْ ، ثمَّ اضجعَتْ ، وجلسَ العبدُ حذاءَها ، فقالَتْ ما جاءَ بكَ ؟ فقالَ ما خفيَ عليكِ ما جاءَ بي ، فقالَتْ وأيُّ شيءٍ هوَ ؟ قالَ دحكُكِ الذي دحكتِ إليَّ ، فقالَتْ حيَّاكَ اللهُ ، وقامَتْ إلىٰ سفطٍ لها ، فأخرجَتْ منهُ بخوراً ودهناً ، وتعمَّدَتْ إلىٰ موسىٰ ، ودعَتْ بمِجمرةٍ وقالَتْ لهُ إنَّ ريحَكَ ريحُ الإبلِ ، وهٰذا دهنٌ طيِّبٌ ، فوضعَتِ البخورَ تحتَهُ ، وتطأطأَتْ كأنَّها تصلحُ البخورَ ، وأخذَتْ مذاكيرَهُ وقطعَتْها بالموسىٰ ، ثمَّ شممَتْهُ الدهنَ ، فسلتَتْ أنفَهُ وأذنيهِ ، وتركَتْهُ ، فصارَ مثلاً لكلِّ جانٍ علىٰ نفسِهِ ومُتعدٍّ طورَهُ ، قالَ الفرزدقُ لجريرٍ

وَإِنِّي لَأَخْشَىٰ إِنْ خَطَبْتَ إِلَيْهِمُ عَلَيْكَ ٱلَّذِي لَاقَىٰ يَسَارُ ٱلْكَوَاعِبِ

ويُقالُ أيضاً يسارُ النساءِ ، وكانَ مِنَ العبيدِ الشعراءِ ، ولهُ ابنٌ شاعرٌ يُقالُ لهُ إسماعيلُ بنُ يسارِ النساءِ ، وكانَ مُفْلِقاً (١)



(١) انظر « مجمع الأمثال » (٣/٥٩٨ ـ ٥٩٩)

[نُخَبٌ مِنْ كلامِ الفصحاءِ والبلغاءِ]

هٰذا ؛ وممَّا يفيدُ عقلَكَ نوراً ، ويزيدُ نفسَكَ سروراً ، ويكونَ لفكرِكَ هادياً ، ولمرآةِ ذهنِكَ جالياً ، ولهُ بالأمثالِ شبهٌ ما صدرَ عن أولي الألبابِ ؛ مِنْ صحابةِ الأنبياءِ ، وغيرِهِم مِنَ الحكماءِ ، وهٰأنا مثبتٌ أنموذجَ ذٰلك

مِنْ كلامِ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ

ـ قالَ وأكثرُ ما كانَ يقولُ ذٰلكَ إذا فرغَ مِنْ صلاةِ الليلِ (أشهدُ أنَّ السماواتِ والأرض وما بينَهُما آياتٌ تدلُّ عليكَ ، وشواهدُ تشهدُ بما إليهِ دعوتَ ، كلٌّ يُؤدِّي عنكَ الحُجَّةَ ، ويشهدُ لكَ بالربوبيةِ ، موسومٌ بآثارِ نعمتِكَ ، ومعالمِ تدبيرِكَ ، علوتَ بها عن خلقِكَ ، فأوصلتَ إلى القلوبِ مِنْ معرفتِكَ ما آنسَها مِنْ وحشةِ الفكرِ ، وكفاها رجمَ الاحتجاجِ ، فهيَ معَ معرفتِكَ بكَ ، وولهِها إليكَ شاهدةٌ بأنَّكَ لا تأخذُكَ الأوهامُ ، ولا تدركُكَ العقولُ ولا الأبصارُ ، أعوذُ بكَ أن أشيرَ بقلبٍ أو لسانٍ أو يدٍ إلىٰ غيرِكَ ، لا إلٰهَ إلَّا أنتَ ، واحداً أحداً ، فرداً صمداً ، ونحنُ لكَ مسلمونَ)(١)

ـ وقالَ (إلٰهي ؛ كفاني فخراً أن تكونَ لي ربّاً ، وكفاني عزّاً أن أكونَ لكَ عبداً ، أنتَ كما أريدُ ، فاجعلْني كما تريدُ)(٢)

ـ وقالَ (ما خابَ امرؤٌ عدلَ في حكمِهِ ، وأطعمَ مِنْ قُوتِهِ ، ودخرَ مِنْ دنياهُ لآخرتِهِ)(٣)

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٥) لابن أبي الحديد

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٥)

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٥)

ـ وقالَ (أفضِلْ على مَنْ شئتَ تكنْ أميرَهُ ، واستغنِ عمَّنْ شئتَ تكنْ نظيرَهُ ، واحتَجْ إلىٰ مَنْ شئتَ تكنْ أسيرَهُ)[1]

ـ وقالَ (لولا ضَعفُ اليقينِ ما كانَ لنا أن نشكوَ مِحنةً يسيرةً نرجو في العاجلِ سرعةَ زوالِها ، وفي الآجلِ عظيمَ ثوابِها ، بينَ أضعافِ نِعَمٍ لوِ اجتمعَ أهلُ السماواتِ والأرضِ علىٰ إحصائِها ما وَفَوا [بها] ، فضلاً عنِ القيامِ بشكرِها)[2]

ـ وقالَ (مِنْ علاماتِ المأمونِ علىٰ دينِ اللهِ بعدَ الإقرارِ والعملِ الحزمُ في أمرِهِ ، والصدقُ في قولِهِ ، والعدلُ في حكمِهِ ، والشفقةُ علىٰ رعيتِهِ ، لا تخرجُهُ القدرةُ إلىٰ خُرقٍ ـ أي حمقٍ ـ ولا اللينُ إلىٰ ضَعفٍ ، ولا تمنعُهُ العزةُ مِنْ كرمِ عفوٍ ، ولا يدعوهُ العفوُ إلىٰ إضاعةِ حقٍّ ، ولا يدخلُهُ الإعطاءُ في سَرَفٍ ، ولا يَتخطَّىٰ بهِ القصدُ إلىٰ بخلٍ ، ولا تأخذُهُ نعمةٌ للهِ ببطرٍ)[3]

ـ وقالَ (الفسقُ نجاسةٌ في الهمَّةِ ، وكلبٌ في الطبيعةِ)[4]

ـ وقالَ (قلوبُ الجُهَّالِ تستفزُّها الأطماعُ ، وترتهنُ بالأمانيّ ، وتتعلَّقُ بالخدائعِ ، وكثرةُ الصمتِ زمامُ اللسانِ ، وحسمُ الفطنةِ ، وإماطةُ الخاطرِ ، وعذابُ الحِسِّ)[5]

ـ وقالَ (عداوةُ الضُّعفاءِ للأقوياءِ ، والسُّفهاءِ للحكماءِ ، والأشرارِ للأخيارِ طبعٌ لا يُستطاعُ تغييرُهُ)[6]

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٥)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٥)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٥ ـ ٢٥٦)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦)

ـ وقالَ (العقلُ في القلبِ ، والرحمةُ في الكبدِ ، والنفسُ في الرئةِ)[١]

ـ وقالَ (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً حالَ بينَهُ وبينَ شهوتِهِ ، وحجزَ بينَهُ وبينَ قلبِهِ ، وإذا أرادَ اللهُ بهِ شرّاً وَكَلَهُ إلىٰ نفسِهِ)[٢]

ـ وقالَ (الصَّبرُ مطيةٌ لا تكبو ، والقناعةُ سيفٌ لا ينبو)[٣]

ـ وقالَ (رحمَ الله عبداً اتقىٰ ربَّهُ ، وناصحَ نفسَهُ ، وقَدَّمَ توبتَهُ ، وغلبَ شهوتَهُ ؛ فإنَّ أجلَهُ مستورٌ عنهُ ، وأملَهُ خادعٌ لهُ ، والشيطانَ مُوكَّلٌ بهِ)[٤]

ـ وقالَ (ثلاثٌ منجياتٌ خشيةُ اللهِ في السرِّ والعلانيةِ ، والقصدُ في الفقرِ والغنىٰ ، والعدلُ في الغضبِ والرضا)[٥]

ـ وقالَ (إيَّاكُم والفحشَ ؛ فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفحشَ ، وإيَّاكُم والشُّحَّ ؛ فإنَّهُ أهلكَ مَنْ كانَ قبلَكُم ، هوَ الذي سفكَ دماءَ الرجالِ ، وهوَ الذي قطعَ أرحامَها ، فاجتنبوهُ)[٦]

ـ وقالَ (إذا فعلتَ كلَّ شيءٍ فكنْ كمَنْ لم يفعلْ شيئاً)[٧]

ـ وقالَ وقد سألَهُ رجلٌ فقالَ بماذا أَسُوءُ عدوِّي ؟ فقالَ : (أن تكونَ علىٰ غايةِ الفضائلِ ؛ لأنَّهُ إن كانَ يَسوءُهُ أن يكونَ لكَ فرسٌ فارهٌ ، أو كلبٌ صَيودٌ فهوَ لِأن تُذكَرَ بالجميلِ ويُنسَبَ إليكَ أشدُّ مساءةً)[٨]

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٦)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٧)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨)
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٨)

ـ وقالَ (إذا قُذِفتَ بشيءٍ فلا تَتهاونْ بهِ وإن كانَ كذباً ، بل تَحرَّزْ مِنْ طرقِ القذفِ جهدَكَ ، فإنَّ القولَ وإن لم يثبتْ يُوجِبُ ريبةً وشَكّاً)(١)

ـ وقالَ : (عدمُ الأدبِ سببُ كلِّ شرّ ، والجهلُ بالفضائلِ عدلُ الموتِ)(٢)

ـ وقالَ (ما أصعبَ علىٰ مَنِ استعبدَتْهُ الشهواتُ أن يكونَ فاضلاً)(٣)

ـ وقالَ (مَنْ لم يقهرْ حسدَهُ كانَ جسدُهُ قبراً لنفسِهِ)(٤)

ـ وقالَ (احمدْ مَنْ يغلظُ عليكَ [ويعظُكَ] ، لا مَنْ يزكِّيكَ ويَتملَّقُكَ)(٥)

ـ وقالَ (اخترْ أن تكونَ مغلوباً وأنت منصفٌ ، ولا تخترْ أن تكونَ غالباً وأنتَ ظالمٌ)(٦)

ـ وقالَ (لا تهضمنَّ محاسنَكَ بالفخرِ والتكبُّرِ)(٧)

ـ وقالَ (لا تنفكُّ المدينةُ مِنْ شرّ حتىٰ تجتمعَ معَ قُوَّةِ السُّلطانِ قُوَّةُ دينِهِ وقُوَّةُ حكمتِهِ)(٨)

ـ وقالَ (إذا أردتَ أن تُحمَدَ . فلا يظهرْ منكَ حرصٌ على الحمدِ)(٩)

ـ وقالَ (مَنْ كثرَ همُّهُ سقمَ بدنُهُ ، ومَنْ ساءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نفسَهُ ،

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠)
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٨/٢٠)
(٩) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٥٩/٢٠)

ومَنْ لاحى الرجالَ سقطَتْ مروءتُهُ ، وذهبَتْ كرامتُهُ ، وأفضلُ إيمانِ العبدِ أن يرى اللهَ معَهُ حيثُ كانَ)[1]

ـ وقالَ (في التجارِبِ علمٌ مستأنفٌ ، والاعتبارُ يفيدُكَ الرشادَ ، وكفاكَ أدباً لنفسِكَ ما كرهتَهُ مِنْ غيرِكَ ، وعليكَ لأخيكَ مثلُ الذي عليهِ لكَ)[2]

ـ وقالَ (الغضبُ يثيرُ كامنَ الحقدِ ، ومَنْ عرفَ الأيامَ لم يُغفِلِ الاستعدادَ ، ومَنْ أمسكَ عنِ الفُضولِ عَدَّلَتْ رأيَهُ العقولُ)[3]

ـ وقالَ (اسكتْ واستترْ تسلمْ ، وما أحسنَ العلمَ يزينُهُ العملُ !! وما أحسنَ العملَ يزينُهُ الرفقُ !!)

ـ وقالَ (أكبرُ الفخرِ ألَّا تفخرَ)[4]

ـ وقالَ (ما أصعبَ اكتسابَ الفضائلِ وأيسرَ إتلافِها !!)[5]

ـ وقالَ (لا تنازعْ جاهلاً ، ولا تشايعْ وامقاً ، ولا [تعادِ] مسلطاً)[6]

ـ وقالَ (ما كنتَ كاتمَهُ عدوَّكَ مِنْ سرّ فلا يَطَّلِعَنَّ عليهِ صديقُكَ ، واعرفْ قَدْرَكَ يستعلِ أمرُكَ ، وكفى ما مضى مخبراً عمَّا بقي)[7]

إِحْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً وَٱحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّةْ
فَلَرُبَّمَا ٱنْقَلَبَ ٱلصَّدِيـ ـقُ فَكَانَ أَعْرَفَ بِٱلْمَضَرَّةْ[8]

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٩)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٩)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٩)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٩)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٩)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٥٩)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٠)
(٨) البيتان من مجزوء الكامل ، وانظر « شرح نهج البلاغة » (١٩/٣٩) دون نسبة لسيدنا علي رضي الله عنه

ـ وقالَ (لا تَعِدَنَّ عِدةً تحقرُها قِلَّةُ الثقةِ بنفسِكَ ، ولا يَغُرَّنَّكَ المرتقى السهلُ إذا كانَ المنحدرُ وَعْراً)[١]

ـ وقالَ (اتقِ العواقبَ عالماً بأنَّ للأعمالِ جزاءً وأجراً ، واحذرْ تبعاتِ الأمورِ بتقديمِ الحزمِ فيها)[٢]

ـ وقالَ (مَنِ استرشدَ غيرَ العقلِ أخطأَ منهاجَ الرأيِ ، ومَنْ أخطأَتْهُ وجوهُ المطالبِ خذلَتْهُ الحيلُ ، ومَنْ أخلَّ بالصَّبرِ أخلَّ بهِ حسنُ العاقبةِ ؛ فإنَّ الصَّبرَ قُوَّةٌ مِنْ قُوى العقلِ ، وبقدرِ موادِّ العقلِ وقُوَّتِها يَقوى الصَّبرُ)[٣]

ـ وقالَ (الخطأُ في إعطاءِ مَنْ لا ينبغي ، ومَنْعِ مَنْ ينبغي واحدٌ)[٤]

ـ وقالَ (العشقُ مرضٌ ليسَ فيهِ أجرٌ ولا عوضٌ)[٥]

ـ وقالَ (الخصومةُ تَمحقُ الدِّينَ)[٦]

ـ وقالَ (الجهادُ ثلاثةٌ جهادٌ باليدِ ، وجهادٌ باللسانِ ، وجهادٌ بالقلبِ ؛ فأوَّلُ ما يغلبُ عليهِ مِنَ الجهادِ يدُكَ ، ثمَّ لسانُكَ ، ثمَّ يصيرُ إلى القلبِ ، فإن كانَ لا يعرفُ معروفاً ولا ينكرُ منكراً نكسَ ، فجُعِلَ أعلاهُ أسفلَهُ)[٧]

ـ وقالَ (ما أنعمَ اللهُ علىٰ عبدٍ نعمةً فشكرَها بقلبِهِ إلَّا استوجبَ المزيدَ عليها قبلَ ظهورِها علىٰ لسانِهِ)[٨]

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٠)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٠)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٠)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٠)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٠)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٠)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٠)
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦١)

ـ وقالَ (الحاجةُ مسألةٌ ، والدعاءُ زيادةٌ ، والحمدُ شكرٌ ، والندمُ توبةٌ)[1]

ـ وقالَ (لِنْ واحلُمْ تنبلْ ، ولا تكنْ مُعجَباً فتُمقَتَ وتُمتهَنَ)[2]

ـ وقالَ (ما لي أرى الناسَ إذا قُرِّبَ إليهِمُ الطعامُ ليلاً تَكلَّفوا إنارةَ المصابيحِ ؛ ليبصروا ما يدخلونَ في بطونِهِم ، ولا يَهتمُّونَ بغذاءِ النفسِ بأن ينيروا مصابيحَ ألبابِهِم بالعلمِ ؛ ليسلموا مِنْ لواحقِ الجهالةِ والذُّنوبِ في اعتقاداتِهِم وأعمالِهِم ؟!)[3]

ـ وقالَ (الفقرُ هوَ أصلُ حسنِ سياسةِ الناسِ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ إذا كانَ مِنْ حسنِ السياسةِ أن يكونَ بعضُ الناسِ يَسوسُ ، وبعضُهُم يُساسُ ، وكانَ مَنْ يُساسُ لا يستقيمُ أنْ يُساسَ مِنْ غيرِ أن يكونَ فقيراً محتاجاً فقد تَبيَّنَ أنَّ الفقرَ هوَ السببُ الذي بهِ يقومُ حسنُ السياسةِ)[4]

ـ وقالَ (لا تَتكلَّمْ بينَ يدَيْ أحدٍ مِنَ الناسِ دونَ أن تَسمعَ كلامَهُ ، وتَقيسَ ما في نفسِكَ مِنَ العلمِ إلىٰ ما في نفسِهِ ؛ فإن وجدتَ ما في نفسِهِ أكثرَ فحينَئذٍ ينبغي لكَ أن تَرومَ زيادةَ الشيءِ الذي بهِ يَفضُلُ علىٰ ما عندَكَ)[5]

ـ وقالَ (إذا كانَ اللسانُ آلةً لترجمةِ ما يَخطُرُ في النفسِ فليسَ ينبغي أن تَستعمِلَهُ فيما لم يَخطُرْ فيها)[6]

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦١/٢٠)

ـ وقالَ (إذا كانَ الآباءُ هُمُ السببَ في الحياةِ فمُعلِّمو الحكمةِ [والدِّينِ] هُمُ السببُ في جودتِها)[1]

ـ وقالَ وشكا إليهِ رجلٌ تَعذُّرَ الرزقِ فقالَ (لا تجاهدِ الرزقَ جهادَ المغالبِ ، ولا تتكلْ على القَدَرِ اتكالَ المستسلمِ ؛ فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ مِنَ السُّنَّةِ ، والإجمالَ في الطَّلبِ مِنَ العِفَّةِ ، وليسَتِ العِفَّةُ دافعةً رزقاً ، ولا الحرصُ جالباً فضلاً ؛ لأنَّ الرزقَ مقسومٌ ، وفي شدةِ الحرصِ اكتسابُ المآثمِ)[2]

ـ وقالَ[3] [من الوافر]

إِذَا ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعْهُ وَخُذْ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ

ـ وقالَ : (العمرُ أقصرُ مِنْ أن تعلمَ كلَّ ما يَحسُنُ بكَ عملُهُ ، فتعلَّمِ الأهمَّ فالأهمَّ)[4]

ـ وقالَ (مَنْ رضيَ بما قسمَ اللهُ لهُ استراحَ قلبُهُ وبدنُهُ)[5]

ـ وقالَ (أبعدُ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربِّهِ إذا كانَ همُّهُ بطنَهُ وفرجَهُ)[6]

ـ وقالَ (ليسَ في الحواسِّ الظاهرةِ شيءٌ أشرفَ مِنَ العينِ ، فلا تعطوها سُؤْلَها فتشغلَكُم عن ذكرِ اللهِ)[7]

ـ وقالَ (ارحموا ضُعفاءَكُم ؛ فالرحمةُ لهُم سببُ رحمةِ اللهِ لكُم)[8]

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦١)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦١ ـ ٢٦٢)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢)
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢)

ـ وقالَ (إزالةُ الجبالِ أسهلُ مِنْ إزالةِ دولةٍ قد أقبلَتْ ، فاستعينوا باللهِ واصبروا ؛ فإنَّ الأرض للهِ يورثُها مَنْ يشاءُ)[1]

ـ وقالَ (ليسَ المُوسِرُ مَنْ كانَ يسارُهُ باقياً عندَهُ زماناً يسيراً ، ويمكنُ أن يَغتَصِبَهُ غيرُهُ منهُ ، ولا يبقىٰ بعدَ موتِهِ لهُ ، لٰكنِ اليسارُ على الحقيقةِ هوَ الباقي دائماً عندَ مالكِهِ ، ولا يمكنُ أن يُؤخَذَ منهُ ، ويبقىٰ لهُ بعدَ موتِهِ ؛ وذٰلكَ هوَ الحكمةُ)[2]

ـ وقالَ (الشَّرفُ اعتقادُ المننِ في أعناقِ الرجالِ)[3]

ـ وقالَ (يضرُّ الناسُ أنفسَهُم في ثلاثةِ أشياءَ الإفراطُ في الأكلِ اتكالاً على الصحَّةِ ، وتكلُّفُ حملِ ما لا يُطاقُ اتكالاً على القُوَّةِ ، والتفريطُ في العملِ اتكالاً على القدرِ)[4]

ـ وقالَ (أحزمُ الناسِ مَنْ ملكَ جِدُّهُ هزلَهُ ، وقهرَ رأيُهُ هواهُ ، وأعربَ عن ضميرِهِ فعلُهُ ، لم يختدعْهُ رضاهُ عن حظِّهِ ، ولا غضبُهُ عن كيدِهِ)[5]

ـ وقالَ (مَنْ لم يُصلِحْ خلائقَهُ لم ينفعِ الناسَ تأديبُهُ)[6]

ـ وقالَ (مَنِ اتبعَ هواهُ ضلَّ ، ومَنْ جادَ سادَ ، وخمودُ الذِّكرِ أجملُ مِنْ ذميمِ الذكرِ)[7]

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٢)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣)

ـ وقالَ (لهبُ الشَّوقِ أخفتُ محملاً مِنْ مقاساةِ الملالةِ)(١)

ـ وقالَ (بالرفقِ تُنالُ الحاجةُ ، وبحسنِ التأنّي تَسهُلُ المطالبُ)(٢)

ـ وقالَ (بعزيمةِ الصَّبرِ تُطفَأُ نارُ الهوىٰ ، وبنفيِ العجبِ يُؤمَنُ كيدُ الحُسَّادِ)(٣)

ـ وقالَ (بحَسَبِ مجاهدةِ النفوسِ ، وردِّها عن شهَواتِها ، ومنعِها عن مسافحةِ لذَّاتِها ، ومنعِ ما أدَّتْ إليهِ العيونُ الطامحةُ مِنْ لحظاتِها تكونُ المثوباتُ والعقوباتُ ، والحازمُ مَنْ ملكَ هواهُ فكانَ بملكِهِ لهُ قاهراً ، ولِمَا قدحَتِ الأفكارُ مِنْ سوءِ الظنونِ زاجراً ؛ فمتىٰ لم تُرَدَّ النفسُ عن ذٰلكَ . هجمَ عليها الفكرُ بمطالبةِ ما [شُغِفَتْ] بهِ ، فعندَ ذٰلكَ تأنسُ [بالآراءِ] الفاسدةِ ، والأطماعِ الكاذبةِ ، والأمانيّ المتلاشيةِ

وكما أنَّ البصرَ إذا اعتلَّ رأىٰ أشباحاً أو خيالاتٍ لا حقيقةَ لها كذٰلكَ النفسُ إذا اعتلَّتْ بحُبِّ الشهَواتِ وانطوَتْ علىٰ قبيحِ الإراداتِ رأتِ الآراءَ الكاذبةَ ، فإلى اللهِ سبحانَهُ نرغبُ في إصلاحِ ما فسدَ مِنْ قلوبِنا ، وبهِ نستعينُ علىٰ إرشادِ نفوسِنا ؛ فإنَّ القلوبَ بيدِهِ يُصرِّفُها كيفَ يشاءُ)(٤)

ـ وقالَ (ما شيءٌ أحقُّ بطولِ سجنٍ مِنْ لسانٍ)(٥)

ـ وقالَ (لا نذرَ في معصيةٍ ، ولا يمينَ في قطيعةٍ)(٦)

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٤)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٣)

ـ وقالَ (لكلِّ شيءٍ ثمرةٌ ، وثمرةُ المعروفِ تعجيلُ السراحِ)[1]

ـ وقالَ (إيَّاكُم والكسلَ ؛ فإنَّهُ مَنْ كَسِلَ لمْ يؤدِّ للهِ حقّاً)[2]

ـ وقالَ (احسُبوا كلامَكُم مِنْ أعمالِكُم ، وأقلُّوهُ إلَّا في الخيرِ)[3]

ـ وقالَ (أَحسِنوا صحبةَ النِّعمِ ؛ فإنَّها تزولُ ، وتشهدُ علىٰ صاحبِها بما عملَ فيها)[4]

ـ وقالَ (لا تُؤاخيَنَّ الفاجرَ ؛ فإنَّهُ يُزيِّنُ لكَ فعلَهُ ، ويَودُّ لو أنَّكَ مثلُهُ ، ويُحسِّنُ لكَ أقبحَ خصالِهِ ، ومدخلُهُ ومخرجُهُ مِنْ عندِكَ شينٌ وعارٌ ونقصٌ ، ولا الأحمقَ ؛ فإنَّهُ يجهدُ لكَ نفسَهُ ، ولا ينفعُكَ ، وربَّما أرادَ أن يَنفعَكَ فضَرَّكَ ، سكوتُهُ خيرٌ لكَ مِنْ نطقِهِ ، وبُعْدُهُ خيرٌ لكَ مِنْ قُربِهِ ، وموتُهُ خيرٌ لكَ مِنْ حياتِهِ ، ولا الكذَّابَ ؛ فإنَّهُ لا يَنفعُكَ معَهُ عيشٌ ، يَنقلُ حديثَكَ وينقلُ الحديثَ إليكَ ؛ حتىٰ إنَّهُ لَيُحدِّثُ بالصِّدقِ فلا يُصدَّقُ)[5]

ـ وقالَ (ما استقصىٰ كريمٌ قطُّ ؛ قالَ تعالىٰ في وصفِ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ﴾)[6]

ـ وقالَ (ربَّ كلمةٍ يجترعُها حليمٌ مخافةَ ما هوَ شرٌّ منها ، وكفىٰ بالحلمِ ناصراً)[7]

ـ وقالَ (مَنْ جمعَ ستَّ خصالٍ لم يدعْ للجنَّةِ مطلباً ، ولا عنِ النارِ

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠)

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠)

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠)

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٣/٢٠)

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٤/٢٠)

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٤/٢٠) ، والآية من سورة التحريم (٣)

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٤/٢٠)

مهرباً ؛ مَنْ عرفَ اللهَ فأطاعَهُ ، وعرفَ الشيطانَ فعصاهُ ، وعرفَ الحقَّ فاتبعَهُ ، وعرفَ الباطلَ فاتقاهُ ، وعرفَ الدنيا فرفضَها ، وعرفَ الآخرةَ فطلبَها)[1]

ـ وقالَ (مَنِ استحيا مِنَ الناسِ ولم يستحيِ مِنْ نفسِهِ فليسَ لنفسِهِ عندَهُ قَدْرٌ)[2]

ـ وقالَ (غايةُ الأدبِ أن يستحييَ الإنسانُ مِنْ نفسِهِ)[3]

ـ وقالَ (البلاغةُ البصرُ بالحُجَّةِ ، والمعرفةُ بمواضعِ الفُرْصةِ ، ومِنَ البصرِ بالحُجَّةِ أن يدعَ الإفصاحَ بها إلى الكنايةِ عنها إذا كانَ الإفصاحُ أوعرَ طريقةً ، وكانَتِ الكنايةُ أبلغَ في الدَّرَكِ ، وأحقَّ بالظَّفَرِ)[4]

ـ وقالَ (إيَّاكَ والشهَواتِ ، وليكنْ ممَّا تستعينُ بهِ على كفِّها علمُكَ بأنَّها ملهيةٌ لعقلِكَ ، مهجنةٌ لرأيِكَ ، شائنةٌ لعِرْضِكَ ، شاغلةٌ لكَ عن معاظمِ أمورِكَ ، مُشتدَّةٌ بها التبعةُ عليك في آخرتِكَ ، إنَّما الشهَواتُ لعبٌ ، فإذا حضرَ اللعبُ غابَ الجدُّ ، ولن يُقامَ الدِّينُ وتصلحَ الدنيا إلَّا بالجدِّ ، فإذا نازعَتْكَ نفسُكَ إلى اللهوِ واللذَّاتِ فاعلمْ أنَّها قد نزعَتْ بكَ إلى شرِّ منزعٍ ، وأرادَتْ بكَ أفضحَ الفضوحِ ، فغالبْها مغالبةَ ذٰلكَ ، وامتنعْ منها امتناعَ ذٰلكَ ، وليكنْ مرجعُكَ منها إلى الحقِّ ؛ فإنَّها مهما تتركْ مِنَ الحقِّ لا تتركْهُ إلَّا إلى الباطلِ ، ومهما تدعْ مِنَ الصَّوابِ لا تدعْهُ إلَّا إلى الخطأ ، فلا تداهنَنَّ هواكَ في اليسيرِ ، فيطمعَ منكَ فِي الكثيرِ

وليسَ شيءٌ ممَّا أوتيتَ فاضلاً عمَّا يصلحُكَ ، وليسَ لعمرِكَ وإن طالَ

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٤)

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٥)

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٥)

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٥)

فضلٌ عمَّا ينوبُكَ مِنَ الحقِّ اللازمِ لكَ ، ولا بمالِكَ وإن كَثُرَ فضلٌ عمَّا يجبُ عليكَ فيهِ ، ولا بقُوَّتِكَ وإن تَمَّتْ فضلٌ عن أداءِ حقِّ اللهِ عليكَ ، ولا برأيِكَ وإن حزمَ فضلٌ عمَّا لا تُعذَرُ بالخطأ فيهِ ، فليمنعَنَّكَ علمُكَ بذٰلكَ مِنْ أن تبطلَ لكَ عمراً في غيرِ نفعٍ ، أو تُضيِّعَ لكَ مالاً في غيرِ حقٍّ ، أو أن تُصرَفَ لكَ قُوَّةٌ في غيرِ عبادةٍ ، أو تَعدِلَ لكَ رأياً في غيرِ رشدٍ ، فالحفظَ [الحفظَ] لِمَا أُوتِيتَ ؛ فإنَّ بكَ إلىٰ صغيرِ ما أوتيتَ والكبيرِ منهُ أشدَّ الحاجةِ ، وعليكَ بما أضعتَهُ منهُ أشدَّ المرزأةِ ، ولا سيَّما العمرُ الذي كلُّ منفدٍ[1] سواهُ مستخلفٌ ، وكلُّ ذاهبٍ بعدَهُ مرتجعٌ

فإن كنتَ شاغلاً نفسَكَ بلذَّةٍ [فلتكنْ] لذتُكَ في محادثةِ العلماءِ ، ودرسِ كتبِهِم ؛ فإنَّهُ ليسَ سرورُكَ بالشهَواتِ بالغاً منكَ مبلغاً إلَّا وإكبابُكَ علىٰ ذٰلكَ ونظرُكَ فيهِ بالغُهُ منكَ ، غيرَ أنَّ ذٰلكَ يَجمعُ إلىٰ عاجلِ السُّرورِ تمامَ السعادةِ ، وخلافُ ذٰلكَ يَجمعُ إلىٰ عاجلِ الغيِّ وخامةَ العاقبةِ ، وقديماً قيلَ أسعدُ الناسِ أدركُهُم لهواهُ إذا كانَ هواهُ في رشدِهِ ، فإذا كانَ هواهُ في غيرِ رشدِهِ فقد شقيَ بما أدركَ منهُ ، وقديماً قيلَ عَوِّدْ نفسَكَ الجميلَ ، فباعتيادِكَ إيَّاهُ يعودُ لذيذاً)[2]

ـ وقالَ (وُكِّلَ ثلاثٌ بثلاثٍ الرزقُ بالحمقِ ، والحرمانُ بالعقلِ ، والبلاءُ بالمَنطِقِ)[3]

ـ وقالَ : (ثلاثةٌ إن لم تظلمْهُم .ظلموكَ : عبدُكَ ، وزوجتُكَ ، وابنُكَ)[4]

ـ وقالَ : (للمنافقينَ علاماتٌ يُعرَفونَ بها : تحيتُهُم لعنةٌ ، وطعامُهُم تُهَمَةٌ ،

(١) في « شرح نهج البلاغة » (منفذ)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٥)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٦)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٦)

وغنيمتُهُم غُلولٌ ، لا يَعرِفونَ المساجدَ إلا هُجراً ، ولا يأتونَ الصلاةَ إلَّا دبراً ، مستكبرينَ ، لا يَألفونَ ولا يُؤلَفونَ ، خُشُبٌ بالليلِ ، صُخُبٌ بالنهارِ)[1]

ـ وقالَ (الحسدُ حزنٌ لازمٌ ، وعقلٌ هائمٌ ، ونَفَسٌ دائمٌ ، والنعمةُ على المحسودِ نعمةٌ ، وهيَ على الحاسدِ نقمةٌ)[2]

ـ وقالَ (يا حملةَ العلمِ ؛ لمَ تحملونَهُ ؟! فإنَّما العلمُ لِمَنْ علمَ ، ثمَّ عملَ بما علمَ ، ووافقَ عملُهُ علمَهُ ، وسيكونُ أقوامٌ يحملونَ العلمَ لا يجاوزُ تراقيَهُم ، تخالفُ سريرتُهُم علانيتَهُم ، ويخالفُ علمُهُم عملَهُم ، يقعدونَ حِلَقاً ، فيباهي بعضُهُم بعضاً ، حتىٰ إنَّ الرجلَ لَيغضبُ علىٰ جليسِهِ أن يجلسَ إلىٰ غيرِهِ ، أولـٰئكَ لا تَصعَدُ أعمالُهُم في مجالسِهِم تلكَ إلى اللهِ سبحانَهُ)[3]

ـ وقالَ (تَعلَّموا العلمَ صغاراً تسودوا بهِ كباراً ، وتَعلَّموا العلمَ ولو لغيرِ اللهِ ؛ فإنَّهُ سيصيرُ للهِ ، العلمُ ذَكَرٌ لا يُحِبُّهُ إلَّا ذكرٌ مِنَ الرجالِ)[4]

ـ وقالَ (ليسَ شيءٌ أحسنَ مِنْ عقلٍ زانَهُ علمٌ ، ومِنْ علمٍ زانَهُ حِلْمٌ ، ومِنْ حِلْمٍ زانَهُ صدقٌ ، ومِنْ صدقٍ زانَهُ رفقٌ ، ومِنْ رفقٍ زانَهُ تقوىٰ ، إنَّ مِلاكَ العقلِ ومكارمِ الأخلاقِ صونُ العِرْضِ ، والجزاءُ بالقرضِ[5] ، والأخذُ بالفضلِ ، والوفاءُ بالعهدِ ، والإنجازُ للوعدِ ، ومَنْ حاولَ أمراً بالمعصيةِ كانَ أقربَ إلىٰ ما يَخافُ ، وأبعدَ ممَّا يرجو)[6]

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٦)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧)
(٥) في « شرح نهج البلاغة » (القرض)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧)

ـ وقالَ : (إذا جرَتِ المقاديرُ بالمكارهِ . سبقَتِ الآفةُ إلى العقلِ فحَيَّرَتْهُ ، وانطلقَتِ الألسنُ بما فيهِ تلفُ الأنفسِ)[١]

ـ وقالَ (لا تصحبوا الأشرارَ ؛ فإنَّهُم يَمنُّونَ عليكُم بالسلامةِ منهُم)[٢]

ـ وقالَ (لا تَقسِروا أولادَكُم علىٰ آدابِكُم ؛ فإنَّهُم مخلوقونَ لزمانٍ غيرِ زمانِكُم)[٣]

ـ وقالَ : (لا تطلبْ سرعةَ العملِ ، واطلبْ تجويدَهُ ؛ فإنَّ الناسَ لا يَسألونَ في كم فرغَ مِنَ العملِ ، إنَّما يَسألونَ عن جودةِ صنعتِهِ)[٤]

ـ وقالَ (ليسَ كلُّ ذي عينٍ يبصرُ ، ولا كلُّ ذي أُذنٍ يسمعُ ، فتَصدَّقوا علىٰ ذوي العقولِ الزمنةِ والألبابِ الحائرةِ بالعلومِ التي هيَ أفضلُ صدقاتِكُم ، ثمَّ تلىٰ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾)[٥]

ـ وقالَ (المؤمنُ لا تختلُهُ كثرةُ المصائبِ وتواترُ النوائبِ عنِ التسليمِ لربّهِ ، والرضاءِ بقضائِهِ ؛ كالحمامةِ التي تُؤخَذُ فراخُها مِنْ وَكرِها ثمَّ تعودُ إليهِ)[٦]

ـ وقالَ (ما ماتَ مَنْ أحيا علماً ، ولا افتقرَ مَنْ ملكَ فهماً)[٧]

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧)

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧)

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧)

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧)

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٧ ـ ٢٦٨) ، والآية من سورة البقرة (١٥٩)

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٨)

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٨)

ـ وقالَ (العلمُ صبغُ النفسِ ، وليسَ يفوقُ صبغُ الشيءِ حتىٰ يَنْظُفَ مِنْ كلِّ دنسٍ)[1]

ـ وقالَ (اعلمْ أنَّ الذي مدحَكَ بما ليسَ فيكَ إنَّما هوَ مُخاطِبٌ غيرَكَ ، وثوابُهُ وجوابُهُ قد سقطا عنكَ)[2]

ـ وقالَ (إحسانُكَ إلى الحرِّ يُحرِّكُهُ على المكافأةِ ، وإحسانُكَ إلى النذلِ يبعثُهُ علىٰ معاودةِ المسألةِ)[3]

ـ وقالَ (الأشرارُ يتبعونَ مساويَ الناسِ ، ويتركونَ محاسنَهُم ؛ كما يتبعُ الذبابُ المواضعَ الفاسدةَ مِنَ الجسدِ ، ويتركُ الصحيحَ منهُ)[4]

ـ وقالَ (موتُ الرُّؤَساءِ أسهلُ مِنْ رئاسةِ [السَّفِلَةِ])[5]

ـ وقالَ (ينبغي لِمَنْ وليَ أمرَ قومٍ أن يبدأَ بتقويمِ نفسِهِ قبلَ أن يشرعَ في تقويمِ رعيتِهِ ، وإلَّا كانَ بمنزلةِ مَنْ رامَ استقامةَ ظلِّ العُودِ قبلَ أن يستقيمَ ذٰلكَ العُودُ)[6]

ـ وقالَ (إذا قويَ الوالي في عملِهِ حَرَّكَتْهُ ولايتُهُ علىٰ حَسَبِ ما هوَ مركوزٌ في طبعِهِ مِنَ الخيرِ والشرِّ)[7]

ـ وقالَ (ينبغي للوالي أن يعملَ بخصالٍ ثلاثٍ تأخيرُ العقوبةِ في سلطانِ الغضبِ ، والأناةُ فيما يَرتئيهِ مِنْ رأيٍ ، وتعجيلُ مكافأةِ المحسنِ

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٨)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٨)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٨)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٩)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٩)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٩)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٦٩)

بالإحسانِ ؛ فإنَّ في تأخيرِ العقوبةِ إمكانَ العفوِ ، وفي تعجيلِ المكافأةِ بالإحسانِ طاعةَ الرعيةِ ، وفي الأناةِ انفساخَ الرأيِ ، وحمدَ العاقبةِ ، ووضوحَ الصَّوابِ)[1]

ـ وقالَ (مِنْ حقِّ العالمِ على المُتعلِّمِ ألَّا يكثرَ عليهِ السؤالَ ، ولا يُعنِّتَهُ في الجوابِ ، ولا يُلِحَّ عليهِ إذا كَسِلَ ، ولا يُفشِيَ لهُ سرّاً ، ولا يَغتابَ عندَهُ أحداً ، ولا يطلبَ عثرتَهُ ، فإذا زلَّ تأنَّيْتَ أوبتَهُ ، وقبلتَ مَعذرتَهُ ، وأن تُعظِّمَهُ وتُوقِّرَهُ ما حفظَ أمرَ اللهِ وعَظَّمَهُ ، وألَّا تجلسَ أمامَهُ ، وإن كانَتْ لهُ حاجةٌ سبقتَ غيرَكَ إلىٰ خدمتِهِ فيها ، ولا تَضجرَنَّ مِنْ صحبتِهِ ، فإنَّما هوَ بمنزلةِ النخلةِ تنتظرُ متىٰ يسقطُ عليكَ منها منفعةٌ ، وخُصَّهُ بالتحيةِ ، واحفظْ شاهدَهُ وغائبَهُ ، وليكنْ ذٰلكَ كلُّهُ للهِ عزَّ وجلَّ ، فإنَّ العالمَ أفضلُ مِنَ الصائمِ القائمِ المجاهدِ في سبيلِ اللهِ ، وإذا ماتَ العالمُ ثُلِمَ في الإسلامِ ثُلْمَةٌ لا يَسُدُّها إلَّا خَلَفٌ منهُ ، وطالبُ العلمِ تُشيِّعُهُ الملائكةُ حتىٰ يرجعَ)[2]

ـ وقالَ (وَصُولٌ مُعدِمٌ خيرٌ مِنْ جافٍ مكثرٍ ، ومَنْ أرادَ أن ينظرَ ما لهُ عندَ اللهِ فلينظرْ ما للهِ عندَهُ)[3]

ـ وقالَ (لقد سبقَ إلىٰ جنَّاتِ عدنٍ أقوامٌ ما كانوا أكثرَ الناسِ صلاةً ولا صياماً ولا حَجّاً ولا اعتماراً ، ولٰكنْ عقلوا عنِ اللهِ أمرَهُ ، فحَسُنَتْ طاعتُهُم ، وصحَّ وَرَعُهُم ، وكَمُلَ يقينُهُم ، ففاقوا غيرَهُم بالحُظْوةِ ورفيعِ المنزلةِ)[4]

ـ وقالَ (إنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ أدَّبَ نبيَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ فقالَ لهُ

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٦٩/٢٠)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٠/٢٠)

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (١) ، فلمَّا علمَ أنَّهُ قد تأدَّبَ قالَ لهُ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) ، فلمَّا استحكمَ لهُ مِنْ رسولِهِ ما أحبَّ قالَ ﴿ مَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾) (٣)

ـ وقالَ كنتُ أنا والعباسُ وعمرُ نتذاكرُ المعروفَ ؛ فقلتُ أنا خيرُ المعروفِ سترُهُ ، وقالَ العباسُ خيرُهُ تصغيرُهُ ، وقالَ عمرُ خيرُهُ تعجيلُهُ ، فخرجَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ « فِيمَ أَنْتُمْ ؟ » فذكرنا لهُ ، فقالَ « خَيْرُهُ أَنْ يَكُونَ هَـٰذَا كُلُّهُ فِيهِ » (٤)

ـ وقالَ (العفوُ يفسدُ مِنَ اللئيمِ بقَدْرِ ما يُصلِحُ مِنَ الكريمِ) (٥)

ـ وقالَ (إذا خبثَ الزمانُ كَسَدَتِ الفضائلُ وضَرَّتْ ، ونفقَتِ الرذائلُ ونفعَتْ ، وكانَ خوفُ الموسرِ أشدَّ مِنْ خوفِ المعسرِ) (٦)

ـ وقالَ (انظرْ إلى المُتنصِّحِ إليكَ ، فإن دخلَ مِنْ حيثُ يُضارُّ الناسُ فلا تقبلْ نصيحتَهُ ، وتَحرَّزْ منهُ ، وإن دخلَ مِنْ حيثُ العدلُ والصلاحُ فاقبلْها منهُ) (٧)

ـ وقالَ (أعداءُ الرجلِ قد يكونونَ أنفعَ مِنْ إخوانِهِ ؛ لأنَّهُم يبدونَ إليهِ عيوبَهُ فيتجنَّبُها ، ويَخافُ شماتتَهُم بهِ فيَضبطُ نعمتَهُ ، ويَتحرَّزُ مِنْ زوالِها بغايةِ طوقِهِ) (٨)

---

(١) سورة البقرة (٦٧)

(٢) سورة القلم (٤)

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٠) ، والآية من سورة الأعراف (١٩٩)

(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٠)

(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٠)

(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٠)

(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٠ ـ ٢٧١)

(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧١)

ـ وقالَ (المِرآةُ التي ينظرُ الإنسانُ فيها إلىٰ أخلاقِهِ هيَ الناسُ ؛ لأنَّهُ يرىٰ محاسنَهُ مِنْ أوليائِهِ منهُم ، ومساويَهُ مِنْ أعدائِهِ فيهِم)(١)

ـ وقالَ (انظرْ وجهَكَ كلَّ وقتٍ في المِرآةِ ؛ فإن كانَ حسناً فاستقبحْ أن تضيفَ إليهِ فعلاً قبيحاً وتشينَهُ بهِ ، وإن كانَ قبيحاً فاستقبحْ أن تَجمعَ بينَ قبيحَينِ)(٢)

ـ وقالَ (موقعُ الصَّوابِ مِنَ الجُهَّالِ مثلُ موقعِ الخطأ مِنَ العلماءِ)(٣)

ـ وقالَ (ذَكِّ قلبَكَ بالأدبِ كما تُذكَّى النارُ بالحطبِ)(٤)

ـ وقالَ (لا تَصرِمْ أخاكَ على ارتيابٍ ، ولا تَقطعْهُ دونَ استعتابٍ)(٥)

ـ وقالَ (خيرُ المَقالِ ما صَدَّقَهُ الفِعالُ)(٦)

ـ وقالَ (إذا لم تُرزَقْ غنىً فلا تُحْرَمَنْ مِنْ تقوىٰ)(٧)

ـ وقالَ (مَنْ عرفَ الدنيا لم يحزنْ للبلوىٰ)(٨)

ـ وقالَ (دعِ الكذبَ تَكرُّماً إن لم تدعْهُ تأثُّماً)(٩)

ـ وقالَ (المعتذرُ مِنْ غيرِ ذنبٍ يُوجِبُ علىٰ نفسِهِ الذنبَ)(١٠)

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧١)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧١)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧١)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧١)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧١)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧١)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧١)
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧١)
(٩) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧١)
(١٠) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧١)

ـ وقالَ (كثرةُ الجدالِ تُوجِبُ الشكَّ)[1]

ـ وقالَ (خيرُ القلوبِ أوعاها)[2]

ـ وقالَ (الحياءُ لباسٌ سابغٌ ، وحجابٌ مانعٌ ، وسترٌ مِنَ المَساوي واقٍ ، وحليفٌ للدينِ ، وموجبٌ للمحبةِ ، وعينٌ كالئةٌ تَذودُ عنِ الفسادِ ، وتنهىٰ عنِ الفحشاءِ ، والعجلةُ في الأمورِ مكسبةٌ للمَذلَّةِ ، وزمامٌ للندامةِ ، وسلبٌ للمروءةِ ، وشينٌ للحجا ، ودليلٌ علىٰ ضَعفِ العقدةِ)[3]

ـ وقالَ : (إذا بلغَ المرءُ مِنَ الدنيا فوقَ قدرِهِ . تَنكَّرَتْ للناسِ أخلاقُهُ)[4]

ـ وقالَ (لا تصحبِ الشريرَ ؛ فإنَّ طبعَكَ يَسرِقُ مِنْ طبعِهِ شرّاً وأنتَ لا تعلمُ)[5]

ـ وقالَ (ينبغي للعاقلِ أن يَتذكَّرَ عندَ حلاوةِ الغذاءِ مرارةَ الدواءِ)[6]

ـ وقالَ (إن حسدَكَ أخٌ مِنْ إخوانِكَ علىٰ فضيلةٍ ظهرَتْ منكَ ، فسعىٰ في مكروهِكَ فلا تقابلْهُ بمثلِ ما كافحَكَ بهِ ، فيعذرَ نفسَهُ في الإساءةِ ، وتشرحَ لهُ طريقاً إلىٰ ما يحبُّهُ فيكَ ، لٰكنِ اجتهدْ في التزيُّدِ مِنْ تلكَ الفضيلةِ التي حسدَكَ عليها ؛ فإنَّها تَسوءُهُ مِنْ غيرِ أن تُوجِدَهُ حُجَّةً عليكَ)[7]

ـ وقالَ (إذا أردتَ أن تَعرِفَ طبعَ الرجلِ فاستشرْهُ ؛ فإنَّكَ تقفُ مِنْ مشورتِهِ علىٰ عدلِهِ وجورِهِ ، وخيرِهِ وشرِّهِ)[8]

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠)
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٧٢/٢٠)

ـ وقـــالَ (يـجـبُ عـلـيـكَ أن تـشـفـقَ عـلـىٰ ولـــدِكَ مِـــنْ إشـفـاقِـكَ عليهِ)[1]

ـ وقالَ (إذا خدمتَ رئيساً فلا تلبسْ مثلَ ملبوسِهِ ، ولا تركبْ مثلَ مركوبِهِ ، ولا تستخدمْ مثلَ خدمِهِ ، فعساكَ تَسلَمُ منهُ)[2]

ـ وقالَ (لا تُحدِّثْ بالعلمِ السفهاءَ فيُكذِّبوكَ ، ولا الجُهَّالَ فيستثقلوكَ ، ولٰكنْ حَدِّثْ بهِ مَنْ يَتلقَّاهُ مِنْ أهلِهِ بقَبولٍ وفهمٍ يَفهمْ عنكَ ما تقولُ ، ويكتمْ عليكَ ما يسمعُ ، فإنَّ لعلمِكَ عليكَ حقّاً ، كما أنَّ عليكَ في مالِكَ حقّاً ؛ بذلُهُ لمُستحِقِّهِ ، ومنعُهُ عن غيرِ مُستحِقِّهِ)[3]

ـ وقالَ (إيَّاكَ وصاحبَ السوءِ ؛ فإنَّهُ كالسيفِ المسلولِ ، يروقُ منظرُهُ ، ويقبحُ أثرُهُ)[4]

ـ وقالَ (العاقلُ مَنِ اتهمَ رأيَهُ ، ولم يثقْ بما سَوَّلَتْهُ لهُ نفسُهُ)[5]

ـ وقـالَ (أمرٌ لا تـدري متىٰ يغشاكَ لا يمنعُكَ أن تَستعِدَّ لهُ قبلَ أن يَفجاكَ)[6]

ـ وقـــالَ (لـيـسَ فـي الـبـرقِ الـخـاطـفِ [مـسـتـمـتـعٌ] لِـمَـنْ يـخـوضُ فـي الظلمةِ)[7]

ـ وقـالَ (إذا أعجبَكَ ما يتواصفُهُ الناسُ مِنْ محاسنِكَ فانظرْ فيما

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٢)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٣)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٣)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٣)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٣)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٣)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٤)

بطنَ مِنْ مساويكَ ، ولتكنْ معرفتُكَ بنفسِكَ أوثقَ عندَكَ مِنْ مدحِ المادحينَ لكَ)[١]

ـ وقالَ (خيارُ الناسِ يَترفَّعونَ عن ذكرِ معايبِ الناسِ ، ويَتَّهمونَ المخبرَ بها ، ويؤثرونَ الفضائلَ ، ويَتعصَّبونَ لأهلِها ، ويَستعرِضونَ مآثرَ الرُّؤساءِ وأفضالَهُم عليهِم ، ويطالبونَ أنفسَهُم بالمكافأةِ عليها ، وحسنِ الرعايةِ لها)[٢]

ـ وقالَ (مِنْ كرمِ المرءِ بكاؤُهُ علىٰ ما مضىٰ مِنْ زمانِهِ ، وحنينُهُ إلىٰ أوطانِهِ ، وحفظُهُ قديمَ إخوانِهِ)[٣]

ـ وقالَ : (مكارمُ الأخلاقِ عشرُ خصالٍ : السخاءُ ، والحياءُ ، والصدقُ ، وأداءُ الأمانةِ ، والتواضعُ ، والغَيرةُ ، والشجاعةُ ، والحلمُ ، والصَّبرُ ، والشكرُ)[٤]

ـ وقالَ (مِنْ أداءِ الأمانةِ المكافأةُ على الصنيعةِ ؛ لأنَّها كالوديعةِ عندَكَ)[٥]

ـ وقالَ ([الخَيِّرُ] النفسِ تكونُ الحركةُ عليهِ في الخيرِ سهلةً مُتيسِّرةً ، والحركةُ في الإضرارِ عسرةً بطيئةً ، والشريرُ بالضِّدِّ مِنْ ذٰلكَ)[٦]

ـ وقالَ (لا تقبلَنْ في استعمالِ عُمَّالِكَ وأُمرائِكَ شفاعةً إلَّا شفاعةَ الكفايةِ والأمانةِ)[٧]

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٤)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٤)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٤)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٥)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٥)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٥)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٦)

ـ وقالَ (إذا استشارَكَ عدوُّكَ فجَرِّدْ لهُ النصيحةَ ؛ لأنَّهُ باستشارتِكَ قد خرجَ مِنْ عداوتِكَ ، ودخلَ في مَودَّتِكَ)[١]

ـ وقالَ : (العدلُ صورةٌ واحدةٌ ، والظلمُ صورُهُ كثيرةٌ ، ولهذا سَهُلَ ارتكابُ الجورِ ، وصَعُبَ تحرِّي العدلِ ، وهما يشبهانِ الإصابةَ في الرمايةِ والخطأَ فيها ، وإنَّ الإصابةَ تحتاجُ إلى ارتياضٍ وتعهُّدٍ ، والخطأَ لا يحتاجُ إلىٰ شيءٍ مِنْ ذٰلكَ)[٢]

ـ وقالَ (لا يُخطِئُ المُخلِص في الدعاءِ إحدىٰ ثلاثٍ ذنبٌ يُغفَرُ ، أو خيرٌ يُعجَّلُ ، أو شرٌّ يُؤجَّلُ)[٣]

ـ وقالَ (لا ينتصفُ ثلاثةٌ مِنْ ثلاثةٍ برٌّ مِنْ فاجرٍ ، وعاقلٌ مِنْ جاهلٍ ، وكريمٌ مِنْ لئيمٍ)[٤]

ـ وقالَ (أشرفُ الملوكِ مَنْ لم يخالطْهُ البطرُ ، ولم يَحُلْ عنِ الحقِّ ، وأغنى الأغنياءِ مَنْ لم يكنْ للحرصِ أسيراً ، وخيرُ الأصدقاءِ مَنْ لم يكنْ علىٰ إخوانِهِ مستصعباً ، وخيرُ الأخلاقِ [أعونُها] على التقىٰ والورعِ)[٥]

ـ وقالَ (إيَّاكَ ومواقفَ الاعتذارِ ؛ فربَّ عذرٍ أثبتَ الحُجَّةَ علىٰ صاحبِهِ وإن كانَ بريئاً)[٦]

ـ وقالَ (قُوتُ الأجسامِ الغذاءُ ، وقُوتُ العقولِ الحكمةُ ؛ فمتىٰ فَقَدَ واحدٌ منهُما قُوتَهُ بارَ واضمحلَّ)[٧]

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٦)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٦)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٦)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٦)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٦)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٧)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٨)

ـ وقالَ (لا تفرحْ بسقطةِ غيرِكَ ، فإنَّكَ لا تدري ما تَتصرَّفُ الأيامُ بكَ)(١)

ـ وقالَ (غضبُ العاقلِ في فعلِهِ ، وغضبُ الجاهلِ في قولِهِ)(٢)

ـ وقالَ (مُرُوا الأحداثَ بالمراءِ والجدالِ ، والكهولَ بالفكرِ ، والشيوخَ بالصمتِ)(٣)

ـ وقالَ (بلوغُ أعلى المنازلِ مِنْ غيرِ استحقاقٍ مِنْ أكبرِ أسبابِ الهلكةِ)(٤)

ـ وقالَ (ليتَ شعري !! ما أدركَ مَنْ فاتَهُ العلمُ ؟! بل أيُّ شيءٍ فاتَ مَنْ أدركَ العلمَ ؟!)(٥)

ـ وقالَ (ذو الهِمَّةِ وإن حَطَّ نفسَهُ يأبىٰ إلَّا علواً ؛ كالشعلةِ مِنَ النارِ يخفيها صاحبُها وتأبىٰ إلَّا ارتفاعاً)(٦)

ـ وقالَ (العاقلُ إذا تَكلَّمَ بكلمةٍ أتبعَها حكمةً ومثلاً ، والأحمقُ إذا تَكلَّمَ بكلمةٍ أتبعَها حَلِفاً)(٧)

ـ وقالَ (ابتداءُ الصَّنيعةِ نافلةٌ ، وربُّها فريضةٌ)(٨)

ـ وقالَ (رُبَّ صَلَفٍ أدَّىٰ إلىٰ تَلَفٍ)(٩)

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٧٩)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٨٥)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٨٥)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٨٧)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٨٩)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٨٩)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٨٩)
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٩٠)
(٩) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٩٠)

ـ وقالَ (المروءةُ التامَّةُ مباينةُ العامَّةِ)[1]

ـ وقالَ ([السَّفِلَةُ] إذا تَعلَّموا تَكبَّروا ، وإذا تَموَّلوا استطالوا ، والعِلْيةُ إذا تَعلَّموا تواضعوا ، وإذا افتقروا صالوا)[2]

ـ وقالَ (أعجزُ الناسِ مَنْ قَصَّرَ في طلبِ الصديقِ ، وأعجزُ منهُ مَنْ وجدَهُ فضَيَّعَهُ)[3]

ـ وقالَ (إذا قعدتَ وأنتَ صغيرٌ حيثُ تُحِبُّ قعدتَ وأنتَ كبيرٌ حيثُ تكرهُ)[4]

ـ وقالَ (عاملوا الأحرارَ بالكرامةِ المحضةِ ، والأوساطَ بالرغبةِ والرهبةِ ، والسَّفِلَةَ بالهوانِ)[5]

ـ وقالَ (لا تبلغْ في سلامِكَ على الإخوانِ حدَّ النفاقِ ، ولا تُقصِّرْ بهم عن درجةِ الاستحقاقِ)[6]

ـ وقالَ (ارحمِ الفقراءَ لقِلَّةِ صبرِهِم ، والأغنياءَ لقِلَّةِ شكرِهِم ، وارحمِ الجميعَ لطولِ غفلتِهِم)[7]

ـ وقالَ (مَنْ كَذَبَ ذهبَ بماءِ وجهِهِ ، ومَنْ ساءَ خُلُقُهُ كَثُرَ غَمُّهُ ، ونقلُ الصُّخورِ مِنْ مواضعِها أهونُ مِنْ تفهيمِ مَنْ لا يفهمُ)[8]

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٩٠)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٩٠)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٢٩٧)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٠٠)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣١١)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣١٥)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٢٥)
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٢٦)

ـ وقالَ (لمَّا عرفَ أهلُ النقصِ حالَهُم عندَ أهلِ الكمالِ استعانوا بالكِبْرِ ؛ ليُعظِّمَ صغيراً ، ويَرفعَ حقيراً ، وليسَ بفاعلٍ)[1]

ـ وقالَ (مَنْ كَثُرَ مزاحُهُ لم يَسلَمْ مِنِ استخفافٍ بهِ ، أو حقدٍ عليهِ)[2]

ـ وقالَ (لا تقطعْ أخاكَ إلَّا بعدَ عجزِ الحِيلةِ عنِ استصلاحِهِ ، ولا تُتْبِعْهُ بعدَ القطيعةِ وقيعةً فيهِ فتَسُدَّ طريقَهُ عنِ الرُّجوعِ إليكَ ، ولعلَّ التجارِبَ أنْ تَرُدَّهُ عليكَ ، وتُصلِحَهُ لكَ)[3]

ـ وقالَ (الجاهلُ صغيرٌ وإن كانَ شيخاً ، والعالمُ كبيرٌ وإن كانَ حَدَثاً)[4]

ـ وقالَ (الفُرصةُ سريعةُ الفَوتِ ، بطيئةُ العودِ)[5]

ـ وقالَ (عقلُ الكاتبِ في قلمِهِ)[6]

ـ وقالَ (الأدبُ عندَ الأحمقِ كالماءِ العذبِ في أصولِ الحنظلِ ؛ كلَّما زادَ ريّاً ازدادَ مرارةً)[7]

ـ وقالَ (ممَّا تكتسبُ بهِ المحبةَ أن تكونَ عالماً كجاهلٍ ، وواعظاً كموعوظٍ)[8]

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٢٧)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٢٧)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٢٧)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٢٧)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٢٨)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٢٨)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٠)
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٠)

ـ وقالَ (لَأعجبُ للسلطانِ كيفَ يُحسِنُ وهوَ إذا أساءَ وجدَ مَنْ يُزكِّيهِ ويَمدحُهُ ؟!)[1]

ـ وقالَ (إذا صادقتَ إنساناً وجبَ أن تكونَ صديقَ صديقِهِ ، وليسَ يجبُ عليكَ أن تكونَ عدوَّ عدوِّهِ ؛ لأنَّ هٰذا إنَّما يجبُ علىٰ خادمِهِ ، لا علىٰ مماثلٍ لهُ)[2]

ـ وقالَ (ليسَ يَكمُلُ فضيلةُ الرجلِ حتىٰ يكونَ صديقاً لمتعاديَينِ)[3]

ـ وقالَ (العقلُ الإصابةُ بالظَّنِّ ، ومعرفةُ ما لم يكنْ بما كانَ)[4]

ـ وقالَ (تَعرِفُ خساسةَ المرءِ بكثرةِ كلامِهِ فيما لا يعنيهِ ، وإخبارِهِ عمَّا لا يُسأَلُ عنهُ)[5]

ـ وقالَ (خيرُ ما عُوشِرَ بهِ الملكُ قِلَّةُ الخلافِ ، وتخفيفُ المؤنةِ)[6]

ـ وقالَ (أَولى الأشياءِ أن يَتعلَّمَها الأحداثُ الأشياءُ التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها)[7]

ـ وقالَ (لا تطلبِ الحياةَ لتأكلَ ، بلِ اطلبِ الأكلَ لتحيا)[8]

ـ وقالَ (مَنْ أمضىٰ يومَهُ في غيرِ حقٍّ قضاهُ ، أو فرضٍ أدَّاهُ ، أو

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٠)
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣١)
(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣١)
(٤) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣١)
(٥) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٢)
(٦) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٣)
(٧) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٣)
(٨) انظر « شرح نهج البلاغة » (٢٠/٣٣٣)

مجدٍ بناهُ ، أو حمدٍ حَصَّلَهُ ، أو خيرٍ أَسَّسَهُ ، أو علمٍ اقتبسَهُ فقد عَقَّ يومَهُ)[1]

ـ وقالَ (خيرُ الشِّعرِ ما كانَ مَثَلاً ، وخيرُ الأمثالِ ما لم يكنْ شعراً)[2]

ـ وقالَ (ولدُكَ ريحانتُكَ سبعاً ، وخادمُكَ سبعاً ، ثمَّ هوَ عدوُّكَ أو صديقُكَ)[3] ؛ يعني بحسن التربية وسوئها



(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٣٤/٢٠)

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٣٦/٢٠)

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (٣٤٣/٢٠)

[أرجوزةُ ابنِ حِجَّةَ الحَمَويِّ]

وممَّا يناسبُ ما أوردنا ، ويكونُ حفظُهُ كمالاً لطالبِ صناعةِ الإنشاءِ طرفُ الأراجيزِ التي ضَمَّنَها أصحابُها أمثالَ تلكَ المعاني ، فعليهِ أن يطلبَها مِنْ مظانِّها ، ونوردُ منها الأرجوزةَ التي استخلصَها تقيُّ الدينِ أبو بكرِ ابنُ حِجَّةَ الحمويُّ مِنْ كتابِ « الصادحِ والباغمِ »[1] ، ورتَّبَ أبياتَها كما استحسنَ غيرَ ترتيبِها في ذٰلكَ الكتابِ ؛ وهيَ [من الرجز]

اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي هَذَّبَنَا وَٱخْتَارَنَا لِلْعِلْمِ إِذْ أَدَّبَنَا

فَإِنَّ لِلْآدَابِ فَضْلاً يُذْكَرُ فَلَا تُخَاطِبْ كُلَّ مَنْ لَا يَشْعُرُ

يَا مُدَّعِي ٱلْحِكْمَةِ فِي كَلَامِهِ وَمَنْ يَرُومُ ٱلسِّحْرَ فِي نِظَامِهِ

خُذْ حِكَماً وَكُلُّهَا أَمْثَالُ لَيْسَ لَهَا فِي عَصْرِنَا مِثَالُ

أَلَّفَهَا ٱبْنُ حِجَّةٍ لِلنُّجَبَا لِأَنَّ فِيهَا رَأْسَ مَالِ ٱلْأُدَبَا

وَٱخْتَارَهَا مِنْ مُفْرَدَاتِ ٱلصَّادِحِ فَكَانَ ذَا مِنْ أَكْبَرِ ٱلْمَصَالِحِ

مِنْ كُلِّ بَيْتٍ إِنْ تَمَثَّلْتَ بِهِ سَكَنْتَ مِنْ سَامِعِهِ فِي قَلْبِهِ

وَقَدْ تَهَجَّمْتُ عَلَى ٱلشَّرِيفِ لَٰكِنَّنِي خَاطَبْتُ بِٱلْمَعْرُوفِ

وَجِئْتُ مِنْ كَلَامِهِ بِنُبْذَةِ تَجْلِبُ لِلسَّامِعِ كُلَّ لَذَّةِ

وَتَرْفَعُ ٱلْأَدِيبَ إِنْ تَمَثَّلَا بِهَا إِذَا خَاطَبَ أَرْبَابَ ٱلْعُلَا

مِنْ حِكَمٍ تَتْبَعُهَا وَصَايَا مَقْبُولَةٌ مِنْ أَحْسَنِ ٱلسَّجَايَا

مِنْ أَوَّلٍ وَأَوْسَطٍ وَآخِرِ جَمَعْتُهَا جَمْعَ أَدِيبٍ شَاعِرِ

---

(١) ذكرها في « خزانة الأدب » (٢/١٨٠)

حَتَّىٰ دَنَا ٱلْبَعِيدُ لِلْقَرِيبِ وَٱنْتَظَمَ ٱلْبَدِيعُ بِٱلْغَرِيبِ
وَٱنْسَجَمَتْ فِي جَمْعِهَا أُرْجُوزَهْ بَدِيعَةٌ غَرِيبَةٌ وَجِيزَهْ
وَكُلُّ مَنْ أَنْكَرَ مَا أَحْكَمْتُ فِي تَرْتِيبِهَا يَكُونُ غَيْرَ مُنْصِفِ
فَلْيَنْظُرِ ٱلْأَصْلَ لِيَعْرِفَ ٱلسَّبَبْ وَيَعْتَرِفْ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَدَبْ
أَوَّلُ مَا يُرْغَبُ فِي ٱسْتِهْلَالِهِ مِنْ نَظْمِهِ ٱلْمُحْكَمِ فِي مَقَالِهِ
اَلْعَيْشُ بِٱلرِّزْقِ وَبِٱلتَّقْدِيرِ وَلَيْسَ بِٱلرَّأْيِ وَلَا ٱلتَّدْبِيرِ
فِي ٱلنَّاسِ مَنْ تُسْعِدُهُ ٱلْأَقْدَارُ وَفِعْلُهُ جَمِيعُهُ إِدْبَارُ
مَنْ عَرَفَ ٱللهَ أَزَالَ ٱلتُّهْمَهْ وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحِكْمَهْ
مَنْ أَنْكَرَ ٱلْقَضَاءَ فَهْوَ مُشْرِكُ إِنَّ ٱلْقَضَاءَ بِٱلْعِبَادِ أَمْلَكُ
وَنَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِٱللهِ وَلَا نَقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِذْ نُبْتَلَىٰ
عَارٌ عَلَيْنَا وَقَبِيحُ ذِكْرِ أَنْ نَجْعَلَ ٱلْكُفْرَ مَكَانَ ٱلشُّكْرِ
وَلَيْسَ فِي ٱلْعَالَمِ ظُلْمٌ جَارِي إِذْ كَانَ مَا يَجْرِي بِأَمْرِ ٱلْبَارِي
وَأَسْعَدُ ٱلْعَالَمِ عِنْدَ ٱللهِ مَنْ سَاعَدَ ٱلنَّاسَ بِفَضْلِ ٱلْجَاهِ
وَمَنْ أَغَاثَ ٱلْبَائِسَ ٱلْمَلْهُوفَا أَغَاثَهُ ٱللهُ إِذَا أُخِيفَا
إِنَّ ٱلْعَظِيمَ يَدْفَعُ ٱلْعَظِيمَا كَمَا ٱلْجَسِيمُ يَحْمِلُ ٱلْجَسِيمَا
فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ ٱلْكِرَامِ رَحْمَةَ ذِي ٱلْبَلَاءِ وَٱلْأَسْقَامِ
وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ ٱلْعُلُوِّ اَلْعَطْفَ فِي ٱلْبُؤْسِ عَلَى ٱلْعَدُوِّ
قَدْ قَضَتِ ٱلْعُقُولُ أَنَّ ٱلشَّفَقَهْ عَلَى ٱلصَّدِيقِ وَٱلْعَدُوِّ صَدَقَهْ
وَقَدْ عَلِمْتَ وَٱللَّبِيبُ يَعْلَمُ بِٱلطَّبْعِ لَا يُرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُ

فَٱلْمَرْءُ لَا يَدْرِي مَتَىٰ يُمْتَحَنُ فَإِنَّهُ فِي دَهْرِهِ مُرْتَهَنُ
وَإِنْ نَجَا ٱلْيَوْمَ فَمَا يَنْجُو غَدَا لَا يَأْمَنُ ٱلْآفَاتِ إِلَّا ذُو ٱلرَّدَىٰ
لَا تَغْتَرِرْ بِٱلْخَفْضِ وَٱلسَّلَامَهْ فَإِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ كَٱلْمُدَامَهْ
وَٱلْعُمْرُ مِثْلُ ٱلْكَأْسِ وَٱلدَّهْرُ ٱلْقَذَرْ وَٱلصَّفْوُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلْكَدَرْ
وَكُلُّ إِنْسَانٍ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ صَاحِبٍ يَحْمِلُ مَا أَثْقَلَهُ
جَهْدُ ٱلْبَلَاءِ صُحْبَةُ ٱلْأَضْدَادِ فَإِنَّهَا كَيٌّ عَلَى ٱلْفُؤَادِ
أَعْظَمُ مَا يَلْقَى ٱلْفَتَىٰ مِنْ جَهْدِ أَنْ يُبْتَلَىٰ فِي جِنْسِهِ بِٱلضِّدِّ
فَإِنَّمَا ٱلرِّجَالُ بِٱلْإِخْوَانِ وَٱلْيَدُ بِٱلسَّاعِدِ وَٱلْبَنَانِ
لَا يَحْقِرُ ٱلصُّحْبَةَ إِلَّا جَاهِلُ أَوْ مَارِقٌ عَنِ ٱلرَّشَادِ غَافِلُ
صُحْبَةُ يَوْمٍ نَسَبٌ قَرِيبُ وَذِمَّةٌ يَحْفَظُهَا ٱللَّبِيبُ
وَمُوجِبُ ٱلصَّدَاقَةِ ٱلْمُسَاعَدَهْ وَمُقْتَضَى ٱلْمَوَدَّةِ ٱلْمُعَاضَدَهْ
لَا سِيَّمَا فِي ٱلنُّوَبِ ٱلشَّدَائِدِ وَٱلْمِحَنِ ٱلْعَظِيمَةِ ٱلْأَوَابِدِ
فَٱلْمَرْءُ يُحْيِي أَبَداً أَخَاهُ وَهْوَ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ أَعْدَاهُ
وَإِنَّ مَنْ عَاشَرَ قَوماً يَوْمَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَخَافُ لَوْمَا
وَإِنَّ مَنْ حَارَبَ مَنْ لَا يَقْوَىٰ لِحَرْبِهِ جَرَّ إِلَيْهِ ٱلْبَلْوَىٰ
فَحَارِبِ ٱلْأَكْفَاءَ وَٱلْأَقْرَانَا فَٱلْمَرْءُ لَا يُحَارِبُ ٱلسُّلْطَانَا
وَٱقْنَعْ إِذَا حَارَبْتَ بِٱلسَّلَامَهْ وَٱحْذَرْ فِعَالاً تُوجِبُ ٱلنَّدَامَهْ
فَٱلتَّاجِرُ ٱلْكَيِّسُ فِي ٱلتِّجَارَهْ مَنْ خَافَ فِي مَتْجَرِهِ ٱلْخَسَارَهْ
يَجْهَدُ فِي تَحْصِيلِ رَأْسِ مَالِهِ ثُمَّ يَرُومُ ٱلرِّبْحَ بِٱحْتِيَالِهِ

وَإِنْ رَأَيْتَ ٱلنَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَا ... فَلَا تُقَصِّرْ وَٱحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَا
وَٱسْبِقْ إِلَى ٱلْأَجْوَدِ سَبْقَ ٱلنَّاقِدِ ... فَسَبْقُكَ ٱلْخَصْمَ مِنَ ٱلْمَكَايِدِ
وَٱنْتَهِزِ ٱلْفُرْصَةَ إِنَّ ٱلْفُرْصَهْ ... تَصِيرُ إِنْ لَمْ تَنْتَهِزْهَا غُصَّهْ
كَمْ بَطِرَ ٱلْغَالِبُ يَوْماً فَتَرَكْ ... عَنْهُ ٱلتَّوَقِّي وَٱسْتَهَانَ فَهَلَكْ
وَمَنْ أَضَاعَ جُنْدَهُ فِي ٱلسِّلْمِ ... لَمْ يَحْفَظُوهُ فِي لِقَاءِ ٱلْخَصْمِ
وَإِنَّ مَنْ لَا يَحْفَظُ ٱلْقُلُوبَا ... يُخْذَلُ حِينَ يَشْهَدُ ٱلْحُرُوبَا
وَٱلْجُنْدُ لَا يَرْعَوْنَ مَنْ أَضَاعَهُمْ ... كَلَّا وَلَا يَحْمُونَ مَنْ أَجَاعَهُمْ
وَأَضْعَفُ ٱلْمُلُوكِ طُرّاً عَقْدَا ... مَنْ غَرَّهُ ٱلسِّلْمُ فَأَقْصَى ٱلْجُنْدَا
وَٱلْحَزْمُ وَٱلتَّدْبِيرُ رُوحُ ٱلْعَزْمِ ... لَا خَيْرَ فِي عَزْمٍ بِغَيْرِ حَزْمِ
وَٱلْحَزْمُ كُلُّ ٱلْحَزْمِ فِي ٱلْمُطَاوَلَهْ ... وَٱلصَّبْرِ لَا فِي سُرْعَةِ ٱلْمُزَاوَلَهْ
وَفِي ٱلْخُطُوبِ تَظْهَرُ ٱلْجَوَاهِرُ ... مَا غَلَبَ ٱلْأَيَّامَ إِلَّا ٱلصَّابِرُ
لَا تَيْئَسَنْ مِنْ فَرَجٍ وَلُطْفِ ... وَقُوَّةٍ تَظْهَرُ بَعْدَ ضَعْفِ
فَرُبَّمَا جَاءَكَ بَعْدَ ٱلْيَاسِ ... رُوحٌ بِلَا كَدٍّ وَلَا ٱلْتِمَاسِ
فِي لَمْحَةِ ٱلطَّرْفِ بُكَاءٌ وَضَحِكْ ... وَنَاجِزٌ بَادٍ وَدَمْعٌ يَنْسَفِكْ
تَنَالُ بِٱلرِّفْقِ وَبِٱلتَّأَنِّي ... مَا لَمْ تَنَلْ بِٱلْحِرْصِ وَٱلتَّعَنِّي
مَا أَحْسَنَ ٱلثَّبَاتَ وَٱلتَّجَلُّدَا ... وَأَقْبَحَ ٱلْحَيْرَةَ وَٱلتَّبَلُّدَا
لَيْسَ ٱلْفَتَىٰ إِلَّا ٱلَّذِي إِنْ طَرَقَهْ ... خَطْبٌ تَلَقَّاهُ بِصَبْرٍ وَثِقَهْ
إِذَا ٱلرَّزَايَا أَقْبَلَتْ وَلَمْ تَقِفْ ... فَثَمَّ أَحْوَالُ ٱلرِّجَالِ تَخْتَلِفْ
وَكَمْ لَقِيتُ لَذَّةً فِي زَمَنِي ... فَأَصْبِرُ ٱلْآنَ لِهٰذِي ٱلْمِحَنِ

فَـٱلْـمَـوْتُ لَا يَـكُـونُ إِلَّا مَـرَّهْ   وَٱلْـمَـوْتُ أَحْـلَـىٰ مِـنْ حَـيَـاةٍ مُـرَّهْ
إِنِّـي مِـنَ ٱلْـمَـوْتِ عَـلَـىٰ يَـقِـيـنِ   فَـأَجْـهَـدُ ٱلْآنَ لِـمَـا يَـقِـيـنِـي
صَـبْـراً عَـلَـىٰ أَهْـوَالِـهَـا وَلَا ضَـجَـرْ   وَرُبَّـمَـا فَـازَ ٱلْـفَـتَـىٰ إِذَا صَـبَـرْ
لَا يَـجْـزَعُ ٱلْـحُـرُّ مِـنَ ٱلْـمَـصَـائِـبِ   كَـلَّا وَلَا يَـخْـضَـعُ لِـلـنَّـوَائِـبِ
فَـٱلْـحُـرُّ لِـلْـعِـبْءِ ٱلثَّـقِـيـلِ يَـحْـمِـلُ   وَٱلـصَّـبْـرُ عِـنْـدَ ٱلـنَّـائِـبَـاتِ يَـجْـمُـلُ
لِـكُـلِّ شَـيْءٍ مُـدَّةٌ وَتَـنْـقَـضِـي   مَـا غَـلَـبَ ٱلْأَيَّـامَ إِلَّا مَـنْ رَضِـي
قَـدْ صَـدَقَ ٱلْـقَـائِـلُ فِـي ٱلْـكَـلَامِ   لَـيْـسَ ٱلـنُّـهَـىٰ بِـعِـظَـمِ ٱلْـعِـظَـامِ
لَا خَـيْـرَ فِـي جَـسَـامَـةِ ٱلْأَجْـسَـامِ   بَـلْ هُـوَ فِـي ٱلْـعُـقُـولِ وَٱلْأَفْـهَـامِ
فَـٱلْـخَـيْـلُ لِـلْـحَـرْبِ وَلِـلْـجَـمَـالِ   وَٱلْإِبْـلُ لِـلْـحَـمْـلِ وَلِـلـتَّـرْحَـالِ
لَا تَـحْـتَـقِـرْ شَـيْـئـاً صَـغِـيـراً مُـحْـتَـقَـرْ   فَـرُبَّـمَـا أَسَـالَـتِ ٱلـدَّمَ ٱلْإِبَـرْ
لَا تُـخْـرِجِ ٱلْـخَـصْـمَ فَـفِـي إِخْـرَاجِـهِ   جَـمِـيـعُ مَـا تَـكْـرَهُ مِـنْ لَـجَـاجِـهِ
لَا تَـطْـلُـبِ ٱلْـفَـائِـتَ بِـٱلـلَّـجَـاجِ   وَكُـنْ إِذَا كَـوَيْـتَ ذَا إِنْـضَـاجِ
فَـعَـاجِـزٌ مَـنْ تَـرَكَ ٱلْـمَـوْجُـودَا   طَـمَـاعَـةً وَطَـلَـبَ ٱلْـمَـفْـقُـودَا
وَفَـتِّـشِ ٱلْأُمُـورَ عَـنْ أَسْـرَارِهَـا   كَـمْ نُـكْـتَـةٍ جَـاءَتْـكَ مَـعْ إِظْـهَـارِهَـا (١)
لَـرُبَّـتَ لِـلْـجَـهْـلِ قَـبِـيـحَ ٱلـظَّـاهِـرِ   وَمَـا نَـظَـرْتَ حَـسَـنَ ٱلـسَّـرَائِـرِ
لَـيْـسَ يَـضُـرُّ ٱلْـبَـدْرَ فِـي ثَـنَـاهُ   أَنَّ ٱلـضَّـرِيـرَ قَـطُّ لَا يَـرَاهُ
كَـمْ حِـكْـمَـةٍ أَضْـحَـتْ بِـهَـا ٱلْـمَـحَـافِـلُ   نَـافِـقَـةً وَأَنْـتَ عَـنْـهَـا غَـافِـلُ
وَيَـغْـفُـلُـونَ عَـنْ خَـفِـيِّ ٱلْـحِـكْـمَـهْ   وَلَـوْ رَأَوْهَـا لَأَزَالُـوا ٱلـتُّـهْـمَـهْ

---

(١) في « خزانة الأدب » (نكبة) بدل (نكتة)

كَمْ حَسَنٍ ظَاهِرُهُ قَبِيحُ ... وَسَمِجٍ عُنْوَانُهُ مَلِيحُ

وَٱلْحَقُّ قَدْ تَعْلَمُهُ ثَقِيلُ ... يَأْبَاهُ إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلُ

فَٱلْعَاقِلُ ٱلْكَامِلُ فِي ٱلرِّجَالِ ... لَا يَنْثَنِي لِزُخْرُفِ ٱلْمَقَالِ

إِنَّ ٱلْعَدُوَّ قَوْلُهُ مَرْدُودُ ... وَقَلَّمَا يُصَدَّقُ ٱلْحَسُودُ

لَا تَقْبَلِ ٱلدَّعْوَىٰ بِغَيْرِ شَاهِدِ ... لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِنْ مُعَانِدِ

أَيُؤْخَذُ ٱلْبَرِيءُ بِٱلسَّقِيمِ ... وَٱلرَّجُلُ ٱلْمُحْسِنُ بِٱللَّئِيمِ

كَذَاكَ مَنْ يَسْتَنْصِحُ ٱلْأَعَادِي ... يُرْدُونَهُ بِٱلْغِشِّ وَٱلْفَسَادِ

إِنَّ أَكَلَّ مَنْ تَرَىٰ أَذْهَانَا ... مَنْ حَسِبَ ٱلْإِسَاءَةَ ٱلْإِحْسَانَا

فَٱدْفَعْ إِسَاءَةَ ٱلْعِدَا بِٱلْحُسْنَىٰ ... وَلَا تَخَلْ يُسْرَاكَ مِثْلَ ٱلْيُمْنَىٰ

وَلِلرِّجَالِ فَٱعْلَمَنْ مَكَايِدُ ... وَخِدَعٌ مُنْكَرَةٌ شَدَائِدُ

فَٱلنَّدْبُ لَا يَخْضَعُ لِلشَّدَائِدِ ... قَطُّ وَلَا يَغْتَاظُ بِٱلْمَكَايِدِ

فَرَقِّعِ ٱلْخَرْقَ بِلُطْفٍ وَٱجْتَهِدْ ... وَٱمْكُرْ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ ٱلصِّدْقُ وَكِدْ

فَهَٰكَذَا ٱلْحَازِمُ إِذْ يَكِيدُ ... يَبْلُغُ فِي ٱلْأَعْدَاءِ مَا يُرِيدُ

وَهْوَ بَرِيءٌ مِنْهُمُ فِي ٱلظَّاهِرِ ... وَغَيْرُهُ مُخْتَضِبُ ٱلْأَظَافِرِ

وَٱلشَّهْمُ مَنْ يُصْلِحُ أَمْرَ نَفْسِهِ ... وَلَوْ بِقَتْلِ وُلْدِهِ وَعِرْسِهِ

فَإِنَّ مَنْ يَقْصِدُ قَلْعَ ضِرْسِهِ ... لَمْ يَعْتَمِدْ إِلَّا صَلَاحَ نَفْسِهِ

وَإِنَّ مَنْ خَصَّ ٱللَّئِيمَ بِٱلنَّدَىٰ ... وَجَدْتَهُ كَمَنْ يُرَبِّي أَسَدَا

وَلَيْسَ فِي طَبْعِ ٱللَّئِيمِ شُكْرُ ... وَلَيْسَ فِي أَصْلِ ٱلدَّنِيءِ نَصْرُ

وَإِنَّ مَنْ أَلْزَمَهُ [وَكَلَّفَهْ] ... ضِدُّ ٱلَّذِي فِي طَبْعِهِ مَا أَنْصَفَهْ

كَـذَاكَ مَـنْ يَـصْـطَـنِـعُ ٱلْـجُـهَّـالَا وَيُـــؤْثِـــرُ ٱلْأَرْذَالَ وَٱلْأَنْـــذَالَا

لَـــوْ أَنَّـــكُـــمْ أَفَـــاضِـــلٌ أَحْـــرَارُ مَـا ظَـهَـرَتْ بَـيْـنَـكُـمُ ٱلْأَسْـرَارُ

إِنَّ ٱلْأُصُـولَ تَـجْـذِبُ ٱلْـفُـرُوعَـا وَٱلْـعِـرْقُ دَسَّـاسٌ إِذَا [أُطِـيـعَـا]

مَـا طَـابَ فَـرْعٌ أَصْـلُـهُ خَـبِـيـثُ وَلَا زَكَـا مَـنْ مَـجْـدُهُ حَـدِيـثُ

قَـدْ يُـدْرِكُـونَ رُتَـبـاً فِـي ٱلـدُّنْـيَـا وَيَـبْـلُـغُـونَ وَطَـراً مِـنْ بُـغْـيَـا

لَـٰكِنَّهُمْ لَا يَـبْـلُـغُـونَ فِـي ٱلْـكَـرَمْ مَـبْـلَـغَ مَـنْ كَـانَ لَـهُ فِـيـهَـا قَـدَمْ

وَكُـلُّ مَـنْ تَـمَـاثَـلَـتْ أَطْـرَافُـهُ فِـي طِـيـبِـهَـا وَكَـرُمَـتْ أَسْـلَافُـهُ

كَـانَ خَـلِـيـقـاً بِـٱلْـعُـلَا وَبِـٱلْـكَـرَمْ وَبَـرَعَـتْ فِـي أَصْـلِـهِ حُـسْـنُ ٱلشِّـيَـمْ

لَـوْلَا بَـنُـو آدَمَ بَـيْـنَ ٱلْـعَـالَـمِ مَـا بَـانَ لِـلْـعُـقُـولِ فَـضْـلُ ٱلْـعَـالِـمِ

فَـوَاحِـدٌ يُـعْـطِـيـكَ فَـضْـلاً وَكَـرَمْ فَـذَاكَ مَـنْ يَـكْـفُـرُهُ فَـقَـدْ ظَـلَـمْ

وَوَاحِـدٌ يُـعْـطِـيـكَ لِـلْـمُـصَـانَـعَـهْ أَوْ حَـاجَـةٍ لَـهُ إِلَـيْـكَ وَاقِـعَـهْ

لَا تَـشْـرَهَـنْ إِلَـىٰ حُـطَـامٍ عَـاجِـلِ كَـمْ أَكْـلَـةٍ أَوْدَتْ بِـنَـفْـسِ ٱلْآكِـلِ

وَٱحْـذَرْ أُخَـيَّ يَـا فَـتَـىٰ مِـنَ ٱلشَّـرَهْ وَقِـسْ بِـمَـا رَأَيْـتَـهُ مَـا لَـمْ تَـرَهْ

فَـلَـيْـسَ مِـنْ عَـقْـلِ ٱلْـفَـتَـىٰ أَوْ كَـرَمِـهْ إِفْـسَـادُ شَـخْـصٍ كَـامِـلٍ لِـقَـرَمِـهْ

فَــٱلْــبَــغْــيُ دَاءٌ مَــا لَــهُ دَوَاءُ لَـيْـسَ لِـمُـلْـكٍ مَـعَـهُ بَـقَـاءُ

وَٱلْـبَـغْـيُ فَـٱحْـذَرْهُ وَخِـيـمُ ٱلْـمَـرْتَـعِ وَٱلْـعُـجْـبُ فَـٱتْـرُكْـهُ شَـدِيـدُ ٱلْـمَـصْـرَعِ

وَٱلْـغَـدْرُ بِـٱلْـعَـهْـدِ قَـبِـيـحٌ جِـدًّا شَـرُّ ٱلْـوَرَىٰ مَـنْ لَـيْـسَ يَـرْعَـى ٱلْـعَـهْـدَا

عِـنْـدَ تَـمَـامِ ٱلْأَمْـرِ يَـبْـدُو نَـقْـصُـهُ وَرُبَّـمَـا ضَـرَّ ٱلْـحَـرِيـص حِـرْصُـهُ

وَرُبَّـمَـا ضَـرَّكَ بَـعْـضُ مَـالِـكَـا وَسَـاءَكَ ٱلْـمُـحْـسِـنُ مِـنْ رِجَـالِـكَـا

فَٱلْـمَـرْءُ يَـفْـدِي نَـفْـسَـهُ بِـوَفْـرِهْ عَـسَـاهُ أَنْ يَـنْـجُـو بِـهِ مِـنْ أَسْـرِهْ

لَا تُـعْـطِـيَـنْ شَـيْـئاً بِـغَـيْـرِ فَـائِـدَهْ فَـإِنَّـهَـا مِـنَ ٱلـسَّـجَـايَـا ٱلْـفَـاسِـدَهْ

هَـٰذَا ٱلَّـذِي أَلَّـفْـتُـهُ وَٱخْـتَـرْتُـهُ مِـنْ رَجَـزِ ٱلـشَّـرِيـفِ وَٱنْـتَـخَـبْـتُـهُ

وَحُـزْمَـةُ ٱلْآدَابِ يَـا أَهْـلَ ٱلْأَدَبْ إِنَّ ٱلـشَّـرِيـفَ قَـدْ أَتَـانَـا بِـٱلْـعَـجَـبْ

قُـلْـنَـا جَـمِـيـعـاً إِذْ سَـمِـعْـنَـا رَجْـزَهْ كَـمْ قَـدْ أَتَـىٰ مُـحَـمَّـدٌ بِـمُـعْـجِـزَهْ

مِـنْ كُـلِّ بَـيْـتٍ شَـطْـرُهُ قَـصِـيـدُ وَكُـلُّـنَـا لِـبَـيْـتِـهِ عَـبِـيـدُ

فَـرَحْـمَـةُ ٱللهِ لَـهُ فِـي ٱلْآخِـرَهْ خَـاتِـمَـةٌ مَـعَ ٱلْـهِـبَـاتِ ٱلْـوَافِـرَهْ

ثُـمَّ ٱلـصَّـلَاةُ وَٱلـسَّـلَامُ دَائِـمَـا عَـلَى ٱلَّـذِي لِـلـرُّسْـلِ جَـاءَ خَـاتِـمَـا

والشريفُ المذكورُ صاحبُ « الصادحِ والباغمِ » هوَ المشهورُ بالرضيّ ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ أكبرِ أُمراءِ زمانِهِ ، تَولَّىٰ نقابةَ الأشرافِ ببغدادَ وغيرَها مِنَ الوظائفِ الجليلةِ ، وقد أفاض اللهُ عليهِ مِنْ بركاتِ بيتِهِ النبويِّ العلويِّ ، فلم يكنْ أشعرُ منهُ على الإطلاقِ ، ولا يطمعُ أحدٌ أن يجاريَهُ في سباقٍ ، شعرُهُ مُدوَّنٌ في أربعةِ أجزاءٍ ، وقدِ اقتفىٰ أثرَهُ فأحسنَ تلميذُهُ وصنيعتُهُ مهيارٌ الديلميُّ ، وسنوردُ عليكَ إن شاءَ اللهُ ـ متىٰ أفضنا في أمرِ الشعرِ ـ مِنْ كلامِهِما مصداقَ ذٰلكَ



[وظائفُ مريدِ صناعةِ الإنشاءِ]

هٰذا ؛ وعلىٰ مَنْ يريدُ المهارةَ في صناعةِ الإنشاءِ أن يكثرَ مِنْ حفظِ جيادِ الأشعارِ ، مُتفهِّماً معانيَها ، مُتأمِّلاً حسنَ سياقاتِها ؛ لِمَا في ذٰلكَ لهُ مِنْ جميلِ الفوائدِ ، التي منها معرفةُ المعاني المودعةِ فيها ، بعدَ كدِّ أفكارِ ذوي العقولِ في تحصيلِها

ومنها الاستشهادُ بشطرِ بيتٍ أو أكثرَ ، علىٰ ما يكونُ أسلفَهُ في نثرِهِ مِنَ الدعاوىٰ ، ومِنَ التضمينِ ؛ بأن يُتمِّمَ المعنى الذي أبرزَهُ النثرُ بشطرِ بيتٍ أو أكثرَ ، أو يقرنَ معنىً بما يناسبُهُ

ومنها استعمالُهُ في الحَلِّ الذي سبقَ التنبيهُ عليهِ في البديعِ[1] ، نُقِلَ أنَّ عبدَ الرحيمِ البيسانيَّ المشهورَ بالقاضي الفاضلِ لمَّا وردَ الديارَ المصريَّةَ في آخرِ دولةِ العبيديينَ ، علىٰ نيَّةِ الإقامةِ بها ، والتعيُّشِ فيها بحرفةِ الكُتَّابِ لقيَ ابنَ الخلالِ رئيسَ الكتَّابِ إذ ذاكَ ، وعرض عليهِ نيَّتَهُ ، وأنَّهُ استعدَّ لذٰلكَ بحفظِ القرآنِ الشريفِ ، وبعضِ الأخبارِ النبويَّةِ ، و« ديوانِ الحماسةِ » ؛ وهو كتابٌ جمعَ فيهِ أبو تمامٍ أشعاراً انتخبَها مِنْ أشعارِ العربِ وأجادَ الانتخابَ ؛ حتىٰ إنَّهُ قيلَ إنَّهُ في اختيارِهِ أشعرُ منهُ في شعرِهِ ، ورَتَّبَهُ علىٰ عشرةِ أبوابٍ ، كلُّ بابٍ في نوعٍ مِنْ أنواعِ الشعرِ

فأمرَهُ أن يبتدئَ التعلُّمَ بحلِّ أبياتِ ذٰلكَ الديوانِ ، وإخراجِها مِنْ صورةِ النظمِ إلىٰ صورةٍ نثريةٍ لا تنقصُ ملاحتُها عمَّا كانَتْ عليهِ وهيَ نظمٌ ، فلمَّا أتمَّ ذٰلكَ عرضَهُ عليهِ ، فأظهرَ استحسانَهُ ، وأثنىٰ عليهِ ، وأمرَهُ أن يحلَّها

---

(١) تقدم في العقد والحل (٢/٤٠٥)

مَرَّةً ثانيةً ، فعندَ ذٰلكَ تَصرَّفَ قلمُهُ في الصناعةِ ، ولم يزلْ يَترقَّىٰ حتىٰ كانَ الواحدَ المشارَ إليهِ في الدولةِ الكرديَّةِ الماحيةِ للدولةِ العبيديةِ

[نبذةٌ مِنْ أشعارِ « ديوانِ الحماسةِ »]

وإذ كانَ ذٰلكَ كذٰلكَ فلا بدَّ أن نوردَ لكَ مِنْ كلِّ بابٍ مِنْ أبوابِ الحماسةِ جملةً صالحةً تحفظُها ، وتتأمَّلُ معانيَها ، وتفتكرُ في استعمالِها لتلكَ الأغراضِ ، حتىٰ تجدَ الزمنَ الذي تَتمكَّنُ فيهِ بتوفيقِ اللهِ تعالىٰ أن تطلعَ علىٰ جميعِ الكتابِ وغيرِهِ ممَّا يلزمُ لطالبِ الأدبِ أن يطلعَ عليهِ مِنَ الكتبِ

فمِنْ بابِ الحماسةِ ـ والحماسةُ الشدَّةُ ، وبها سُمِّيَتِ الأشعارُ التي يُذكَرُ فيها الشِّدةُ على النفسِ في احتمالِ المكارهِ ، والصَّبرُ عليها لحفظِ الشرفِ وحمايةِ ما يجبُ على الإنسانِ حمايتُهُ ـ

قالَ رجلٌ مِنْ قومٍ يقُال لهُم بنو العنبرِ ـ وسُنَّةُ العربِ في النطقِ بأمثالِ هٰذهِ العبارةِ أن يقولوا بَلْعنبرِ وبَلْحارثِ ، أغارَتْ علىٰ إبلِهِ جماعةٌ يقالُ لهُم بنو اللقيطةِ ، فلم يعنْهُ قومُهُ على استنقاذِها منهُم ، وركنَ إلىٰ بني مازنٍ ، فأعانوهُ ، واستخلصوا إبلَهُ ـ يشكرُهُم ويهجو قومَهُ[1] [من البسيط]

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي ... بَنُو ٱللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا

إِذاً لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ ... عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَانَا

قَوْمٌ إِذَا ٱلشَّرُّ أَبْدَىٰ نَاجِذَيْهِ لَهُمْ ... طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ ... فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَىٰ مَا قَالَ بُرْهَانَا

لَٰكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ ... لَيْسُوا مِنَ ٱلشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (١/٥) ، وهو قُريط بن أُنيف

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ ٱلظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ ٱلسُّوءِ إِحْسَانَا
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ سِوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ إِنْسَانَا
فَلَيْتَ لِي بِهِمُ قَوْماً إِذَا رَكِبُوا شَنُّوا ٱلْإِغَارَةَ فُرْسَاناً وَرُكْبَانَا

اللَّوثةُ ـ بفتحٍ فسكونٍ ـ : الشِّدةُ والقُوَّةُ ، ومنها اشتقاقُ اللَّيثِ ، وبضمٍّ فسكونٍ مرسلٍ الضِّعفُ والاسترخاءُ ، وكلتاهُما يَحتمِلُ البيتُ ، وهوَ على الأُولىٰ أبلغُ في وصفِ بني مازنٍ بالشجاعةِ ، وفي الثانيةِ تعريضٌ بقومِهِ

وقالَ ثابتُ بنُ جابرٍ المشهورُ بتأبَّطَ شرّاً ـ يُقالُ إنَّهُ يوماً مِنَ الأيامِ أخذَ سيفاً تحتَ إبْطِهِ وخرجَ ، فسُئِلَتْ عنهُ أُمُّهُ ، فقالَتْ لا أدري ، تأبَّطَ شرّاً ومضىٰ ، فغلبَ عليهِ ذٰلكَ اللقبُ ـ يذكرُ بعض ماجرياتِهِ ، وكانَ شجاعاً فاتكاً مِغواراً ، عُرِفَ بذٰلكَ مِنْ صغرِهِ ، وحاصلُ القصَّةِ التي فيها الأبياتُ أنَّهُ كانَ استكشفَ في أرضِ بعضِ أعدائِهِ غاراً في رأسِ جبلٍ قائمٍ ، ليسَ لهُ إلَّا طريقٌ واحدةٌ ضيقةٌ اتخذَتْهُ نحلٌ بيتاً ، فكانَ يجيءُ يشتارُهُ رأسَ كلِّ سنةٍ ، فاتفقَ أن فطنَ بهِ قومٌ مِنْ أعدائِهِ أهلِ الناحيةِ ، فأخذوا عليهِ الطريقَ ، ودعَوهُ إلى الخروجِ ، فعرفَهُم وقالَ علىٰ شريطةٍ ماذا أخرجُ ؟ فقالوا علىٰ غيرِ شريطةٍ ، فطاولَهُم الكلامَ ، وأخذَ يريقُ العسلَ على الجانبِ الثاني مِنَ الجبلِ ، ثمَّ وضعَ صدرَهُ على الصفَا وأرخىٰ نفسَهُ ، فذهبَ يهوي حتىٰ وصلَ أسفلَ الجبلِ سالماً ، وكانَ بينَ الموضعِ الذي استقرَّ فيهِ والموضعِ الذي فيهِ أعداؤُهُ مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ يدورونَ معَ الجبلِ ، وهٰذهِ الأبياتُ [1] [من الطويل]

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جَدُّهُ أَضَاعَ وَقَاسَىٰ أَمْرَهُ وَهْوَ مُدْبِرُ
وَلَٰكِنْ أَخُو ٱلْحَزْمِ ٱلَّذِي لَيْسَ نَازِلاً بِهِ ٱلْخَطْبُ إِلَّا وَهْوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ
فَذَاكَ قَرِيعُ ٱلدَّهْرِ مَا عَاشَ [حُوَّلٌ] إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنْخِرٌ جَاشَ مَنْخِرُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٣٨ ـ ٤١)

أَقُولُ لِلِحْيَانٍ وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ ... وَطَابِي وَيَوْمِي ضَيِّقُ ٱلْحُجْرِ مُعْوِرُ
هُمَا خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ ... وَإِمَّا دَمٌ وَٱلْقَتْلُ بِالْحُرِّ أَجْدَرُ
وَأُخْرَىٰ أُصَادِي ٱلنَّفْسَ عَنْهَا وَإِنَّهَا ... لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ
فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ ٱلصَّفَا ... بِهِ جُؤْجُؤٌ عَبْلٌ وَمَتْنٌ مُخَصَّرُ
فَخَالَطَ سَهْلَ ٱلْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ ٱلصَّفَا ... بِهِ كَدْحَةً وَٱلْمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ
فَأُبْتُ إِلَىٰ فَهْمٍ وَمَا كِدْتُ آيِباً ... وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ

قريعُ الدهرِ الذي قرعَتْهُ الأيامُ بنوائبِها حتىٰ عرفَ وجوهَ المنافعِ والمَضارِّ بالممارسةِ والتجارِبِ ؛ فإنَّ معرفةَ ذٰلكَ تكونُ أثبتَ وأمكنَ مِنْ معرفةِ مَنْ كانَتْ طريقُهُ إليهَا التعلُّمَ والأخذَ عنِ الأخبارِ ، يُقالُ فلانٌ صنيعةُ الدَّهرِ ، وحَنَّكَتْهُ التجارِبُ ، وأَدَّبَتْهُ الأيامُ والليالي إلىٰ غيرِ تلكَ مِنَ العباراتِ

وقولُهُ (هما خُطَّتا إمَّا إسارٌ) يُروىٰ برفعِ (إسارٌ) وما بعدَهُ بدلاً ، فحذفُ النونِ شاذٌّ ، ويُروىٰ بالخفضِ ، فالحذفُ للإضافةِ

وقولُهُ (صَفِرَتْ لهُم وطابي) هوَ مثلٌ يُضرَبُ لمفارقةِ الروحِ البدنَ ؛ أي كانَ ذٰلكَ في خيالِهِم ، وَحَسَبَ مَا سَوَّلَتْ لهُم تلكَ المكنةُ منهُ

وقولُهُ (إذا سُدَّ منهُ مَنْخِرٌ) أي كلَّما ضاقَ عليهِ أمرٌ مِنَ الحيلةِ اتَّسعَ لهُ آخَرُ

وقولُهُ (وكم مثلِها فارقتُها) أي كمْ مثلِ تلكَ المنزلةِ فارقتُها وأهلُها يَتحسَّرونَ علىٰ إفلاتي وفواتي مِنْ يدِهِم

وقالَ أبو كبيرٍ الهذليُّ يَذكُرُ ثابتاً هٰذا وهوَ غلامٌ ، وكانَ قد تَزوَّجَ أُمَّهُ ، فكانَ يرىٰ مِنْ عينَيهِ استنكافَهُ لذٰلكَ ، وأنَّهُ يُضمِرُ لهُ السُّوءَ ، فَعَرضَ ذٰلكَ علىٰ أُمِّهِ ، فسمحَتْ نفسُها بأن يعملَ فيهِ ما شاءَ ، فأصبحَ ذاتَ يومٍ وقالَ

يا ثابتُ ؛ هل لكَ في الغزوِ ؟ فقالَ ذٰلكَ مِنْ أمري ، فخرجا وأبو كبيرٍ يريدُ بهِ السُّوءَ ، ولم يكنْ يَتمكَّنُ لنباهةِ الغلامِ وشدَّةِ حرصِهِ ، ولم يكونا تزوَّدا لسفرِهما ، فاشتدَّ الجوعُ في الليلةِ الثانيةِ بأبي كبيرٍ ، ولاحَتْ لهُما مِنْ بعيدٍ نارٌ ، فقالَ يا ثابتُ ؛ اقصدِ النارَ وأنا أنتظرُكَ ، عسىٰ أن تجدَ ما نأكلُ ، فقالَ أهٰذا وقتُ أكلٍ ؟! فقالَ لا بدَّ مِنْ ذٰلكَ

فلمَّا قصدَ النارَ . وجدَها لرجلَينِ مِنْ مشاهيرِ لصوصِ العربِ ، فهمَّا بهِ ، وجرىٰ أمامَهُما ، حتىٰ أطمعَهُما في نفسِهِ ، ثمَّ انعطفَ فقتلَ أقربَهُما لهُ ، ثمَّ جرىٰ للآخَرِ فألحقَهُ بهِ ، وجاءَ النارَ فأخذَ ما كانَ مِنْ طعامٍ ، وأحضرَهُ إلىٰ أبي كبيرٍ وقالَ كُلْ لا أشبعَ اللهُ بطنَكَ ، فسألَهُ عمَّا جرىٰ ، فقالَ كُلْ ولا تسألْ ، فألحَّ عليهِ حتىٰ أخبرَهُ بما كانَ ، فعندَ ذٰلكَ عَظُمَ في صدرِهِ جدّاً ، واشتدَّتْ مهابتُهُ لهُ وخوفُهُ منهُ

ثمَّ سارا حتىٰ وجدا إبلاً ، فاستاقاها ورجعا قافلَينِ ، فكانَ يسيرُ بهِ اليومَ أجمعَ ، وصدراً مِنَ الليلِ ، ثمَّ يقولُ لهُ أنامُ وتحرسُ ، ثمَّ تنامُ وأحرسُ ، وكانَ ذٰلكَ دأبَهُما ، فبينا ثابتٌ نائمٌ في بعضِ نوباتِهِ إذ بدا لأبي كبيرٍ أن يقتلَهُ ، وأرادَ أن يختبرَهُ أوَّلاً إن كانَ قد غمرَهُ النومُ أو لا ، فأخذَ حصاةً ونبذَها ناحيةَ رأسِهِ ، فنهض ثابتٌ قائماً كأنَّهُ كعبُ قناةٍ وقالَ ما هٰذهِ الوجبةُ ؟ فقالَ أبو كبيرٍ لا أدري ، سمعتُ كما سمعتَ ، فطافَ ثابتٌ حولَ الإبلِ وعسَّ ، فلم يجدْ شيئاً ، ثمَّ رجعَ ونامَ ، فنبذَ أبو كبيرٍ حصاةً أصغرَ مِنَ الأُولىٰ ، فكانَ منهُما كما كانَ في المَرَّةِ الأولىٰ ، فلمَّا كانَتِ الثالثةُ قالَ ثابتٌ يا هٰذا ؛ قد رابَني أمرُكَ منذُ الليلةِ ، واللهِ ؛ لئن عُدتُ سمعتُ شيئاً قتلتُكَ

قالَ أبو كبيرٍ فملأَني الخوفُ منهُ حتىٰ سهرتُ بقيةَ الليلةِ أطوفُ حولَ الإبلِ ؛ مخافةَ أن يتحرَّكَ بعضُها فيسمعَ فيبرَّ قسمَهُ ، فلمَّا رجعا . قالَ أبو كبيرٍ

لأُمّ ثابتٍ ليسَتْ أمُّ مثلِ هـٰذا لي بزوجةٍ ، وهـٰذهِ الأبياتُ [1] [من الكامل]

وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى ٱلظَّلَامِ بِمِغْشَمٍ جَلْدٍ مِنَ ٱلْفِتْيَانِ غَيْرِ مُثَقَّلِ

مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ قَوَاعِدٌ حُبُكَ ٱلنِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ

وَمُبَرَّأً مِنْ كُلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغْيِلِ

حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْؤُودَةٍ كَرْهاً وَعَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ ٱلْفُؤَادِ مُبَطَّناً سُهُداً إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ ٱلْهَوْجَلِ

فَإِذَا نَبَذْتَ لَهُ ٱلْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ يَنْزُو لِوَقْعَتِهَا طُمُورَ ٱلْأَخْيَلِ

وَإِذَا يَهُبُّ مِنَ ٱلْمَنَامِ رَأَيْتَهُ كَرُتُوبِ كَعْبِ ٱلسَّاقِ لَيْسَ بِزُمَّلِ

مَا إِنْ يَمَسُّ ٱلْأَرْضَ إِلَّا مَنْكِبٌ مِنْهُ وَحَرْفُ ٱلسَّاقِ طَيَّ ٱلْمِحْمَلِ

وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ ٱلْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِي مَخَارِمَهَا هُوِيَّ ٱلْأَجْدَلِ

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ أَسِرَّةِ وَجْهِهِ بَرَقَتْ كَبَرْقِ ٱلْعَارِضِ ٱلْمُتَهَلِّلِ

صَعْبِ ٱلْكَرِيهَةِ لَا يُرَامُ جَنَابُهُ مَاضِي ٱلْعَزِيمَةِ كَٱلْحُسَامِ ٱلْمُصْقَلِ

يَحْمِي ٱلصِّحَابَ إِذَا تَكُونُ عَظِيمَةٌ وَإِذَا هُمُ نَزَلُوا فَمَأْوَى ٱلْعُيَّلِ

قولُهُ (مِغْشَمٍ) هوَ صيغةُ الآلةِ إذا كانَ الغرضُ صفةَ الشيءِ بكونِهِ عدةً للفعلِ ، فهوَ بمنزلةِ آلتِهِ ، عَبَّرَ عنهُ بصيغتِها ؛ كقولِ امرئ القيسِ في صفةِ الفرسِ [2] [من الطويل]

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٤٢ ـ ٤٥)

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩) ، والبيت بتمامه

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ

بكسرِ ميمَيْ (مِكرّ ومِفرّ) ، وإذا أُريدَ صفتُهُ بكونِهِ قوياً في الفعلِ ، ثابتاً فيهِ مستمراً عُبّرَ عنهُ بصيغةِ (فَعولِ) إحدىٰ صيغِ المبالغةِ المشهورةِ ؛ كصَبورٍ وصَدوقٍ ، وإذا أُريدَ صفتُهُ بكثرةِ الفعلِ معَ تخلُّلِ التركِ عُبّرَ بفعَّالٍ ؛ كقولِهِم طلَّاعِ أنجادٍ ، وخوَّاضِ غمراتٍ ، وإذا أُريدَ صفتُهُ بكونِهِ لهُ عادةً عُبّرَ بمِفْعالٍ ؛ كقولِهِم هوَ مِنحارٌ للإبلِ ، وهوَ فرقٌ ينبغي التنبُّهُ لهُ ؛ ليُستعمَلَ كلُّ شيءٍ في موضعِهِ

وقولُهُ (مُهبَّلِ) أي غيرِ مشتومٍ ؛ بأن يُقالَ لهُ هبلَتْكَ أُمُّكَ ؛ أي فقدَتْكَ ، كما يُقالُ لِمَنْ لا خيرَ فيهِ ، بل هوَ [مُفدّىً] يُقالُ لهُ جُعِلتُ فداءَكَ ، كما يُقالُ لِمَنْ يُؤمَّلُ منهُ النفعُ ، **والمُهبَّلُ** أيضاً اللحيمُ المورمُ الوجهِ

وقولُهُ (**حملَتْ بهِ في ليلةٍ**) يُقالُ إنَّ المرأةَ إذا أُكرِهَتْ على الجِماعِ ضعفَتْ شهوتُها ، وكانَتِ القُوَّةُ الفَعَّالةُ لشهوةِ الرجُلِ ، فإذا حملَتْ في تلكَ الحالةِ جاءَ الولدُ نجيباً شهماً خفيفاً ندباً

وقولُهُ (**وإذا نظرتَ إلىٰ أَسِرَّةِ وجهِهِ**) **الأَسِرَّةُ** الخطوطُ التي تظهرُ في الجبينِ ، وقد شَرَّفَتْ أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها هـٰذا البيتَ ؛ حيثُ تَمثَّلَتْ بهِ وقد نظرَتْ إلىٰ وجهِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يَتحدَّرُ منهُ العرقُ ، وهوَ مُقبِلٌ علىٰ مباشرةِ خصفِ نعلِهِ ، فقالَتْ كأنَّ أبا كبيرٍ رآكَ حيثُ يقولُ [من الكامل]

وَإِذَا نَـظَـرْتَ إِلَـىٰ أَسِـرَّةِ وَجْـهِـهِ البيتَ

فقامَ لها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وقبَّلَها بينَ عينَيها[1]

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/٤٥) عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها

وقالَ رجلٌ مِنْ بني قيسِ بنِ ثعلبةَ ، وقيلَ إنَّها لبشامةَ بنِ حزنٍ النهشليّ ، ومَنْ يقولُ إنَّها للقيسيّ يروي قولَهُ الآتي

إنَّـا بَـنِـي مَـالِـكٍ لَا نَـدَّعِـي لِأَبٍ

وأهلُ القولِ الثاني يروونَ (إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ)[1] [من البسيط]

إنَّـا مُـحَـيُّـوكِ يَـا سَـلْـمَىٰ فَـحَـيِّـينَـا وَإِنْ سَقَيْتِ كِرَامَ ٱلنَّاسِ فَٱسْقِينَا
وَإِنْ دَعَـوْتِ إِلَـىٰ جُـلَّـىٰ وَمَـكْـرُمَـةٍ يَـوْماً سَـرَاةَ كِـرَامِ ٱلـنَّـاسِ فَـٱدْعِـينَـا
إِنَّـا بَـنِـي نَـهْـشَـلٍ لَا نَـدَّعِـي لِأَبٍ عَـنْـهُ وَلَا هُـوَ بِـٱلْأَبْـنَـاءِ يَـشْـرِينَـا
إِنْ تُـبْـتَـدَرْ غَـايَـةٌ يَـوْماً لِـمَـكْـرُمَـةٍ تَـلْـقَ ٱلـسَّـوَابِـقَ مِـنَّـا وَٱلْـمُـصَـلِّـينَـا
وَلَـيْـسَ يَـهْـلِـكُ مِـنَّـا سَـيِّـدٌ أَبَـداً إِلَّا ٱفْـتَـلَـيْـنَـا غُـلَاماً سَـيِّـداً فِـينَـا
إِنَّـا لَـنُـرْخِـصُ يَـوْمَ ٱلـرَّوْعِ أَنْـفُـسَـنَـا وَلَـوْ نُـسَـامُ بِـهَـا فِـي ٱلْأَمْـنِ أَغْـلَـيْـنَـا
بِـيضٌ مَـفَـارِقُـنَـا تَـغْـلِـي مَـرَاجِـلُـنَـا نَـأْسُـو بِـأَمْـوَالِـنَـا آثَـارَ أَيْـدِينَـا
إِنِّـي لَـمِـنْ مَـعْـشَـرٍ أَفْـنَـىٰ أَوَائِـلَـهُـمْ قِـيلُ ٱلْـكُـمَـاةِ إِلَـىٰ أَيْـنَ ٱلْـمُـحَـامُـونَـا
لَـوْ كَـانَ فِـي ٱلْأَلْـفِ مِـنَّـا وَاحِـدٌ فَـدَعَـوْا مَـنْ فَـارِسٌ خَـالَـهُـمْ إِيَّـاهُ يَـعْـنُـونَـا
إِذَا ٱلْـكُـمَـاةُ تَـنَـحَّـوْا أَنْ يُـصِـيـبَـهُـمُ حَـدُّ ٱلـظُّـبَـاةِ وَصَـلْـنَـاهَـا بِـأَيْـدِينَـا
وَلَا تَـرَاهُـمْ وَإِنْ جَـلَّـتْ مُـصِـيـبَـتُـهُـمْ مَـعَ ٱلْـبُـكَـاةِ عَـلَـىٰ مَـنْ مَـاتَ يَـبْـكُـونَـا
وَنَـرْكَـبُ ٱلْـكُـرْهَ أَحْـيَـانـاً فَـيَـفْـرُجُـهُ عَـنَّـا ٱلْـحِـفَـاظُ وَأَسْـيَـافٌ تُـوَاتِـينَـا

قولُهُ (وإن سقيتِ كرامَ الناسِ) أي وإن أردتِ أن تَدْعي بالسُّقيا لكرامِ الناسِ فادعي لنا ؛ فإنَّا هم ، وليسَ الغرضُ الدعاءَ حقيقةً ، ولكنِ التعجُّبُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٥٠ ـ ٥٥)

واستعظامُ الأمرِ ، فإنَّ مَنِ استعظمَ شيئاً يقولُ سقاهُ اللهُ ، وعندَ استحسانِكَ عملَ إنسانٍ تقولُ حيَّاكَ اللهُ

وقولُهُ (تلقى السَّوابقَ منَّا والمُصلِّينا) هما مِنْ أسماءِ خيلِ الحلبةِ ؛ أي خيلِ السباقِ ، وكانَ مِنْ عادتِهِم أن يجروها عشرةً عشرةً ، فكانَتْ تجيءُ العشرةُ نحوَ الغايةِ ، وهيَ القصبُ المركوزُ في آخرِ مسافةِ السباقِ التي يُقالُ فيها أحرزَ قصبَ السبقِ ، فكانَ أوَّلُ حصانٍ يُسمَّى المُجلِّي والسابقَ ؛ لأنَّهُ جلَّىٰ عن نفسِهِ ، والثاني يُسمَّى المُصلِّي ؛ لأنَّ جحفلتَهُ تكونُ عندَ صلوي السابقِ ، والصَّلوانِ عرقانِ يكتنفانِ الصُّلبَ ، أو عظمانِ ، اختُلِفَ في تفسيرِهِما ، والثالثُ يُسمَّى المُسلِّي ، والرابعُ التالي ، والخامسُ المرتاحُ ، والسادسُ العاطفُ ، والسابعُ المُؤمِّلُ ، والسبعةُ لها أنصبةٌ مِنْ مبلغِ المراهنةِ ، والثامنُ الحظيُّ ، والتاسعُ اللطيمُ ، والعاشرُ السُّكَيتُ ؛ مثلُ كُمَيتٍ ، ويُشدَّدُ فيُقالُ سِكِّيتٌ ؛ كجِمِّيزٍ ، ويُسمَّىٰ أيضاً فسكلاً ؛ كقُنْفُذٍ وزِبْرِجٍ ، وذكرَ هـٰذهِ الأسماءَ في نظمٍ وصفَ بِهِ حلبةَ سباقٍ محمدُ بنُ يزيدَ بنِ مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فقالَ [1] [من المتقارب]

فَجَلَّى ٱلْأَغَرُّ وَصَلَّى ٱلْكُمَيْتُ ... وَسَلَّىٰ فَلَمْ يُذْمَمِ ٱلْأَدْهَمُ
وَأَتْبَعَهَا رَابِعٌ تَالِياً ... وَأَنَّىٰ مِنَ ٱلْمُنْجِدِ ٱلْمُتْهِمُ
وَمَا ذُمَّ مُرْتَاحُهَا خَامِساً ... وَقَدْ جَاءَ يَقْدُمُ مَا يَقْدُمُ
وَسَادِسُهَا ٱلْعَاطِفُ ٱلْمُسْتَحِيرُ ... يَكَادُ لِحَيْرَتِهِ يُخْرِمُ
وَخَابَ ٱلْمُؤَمِّلُ فِيمَا يَخِيبُ ... وَعَنَّ لَهُ ٱلطَّائِرُ ٱلْأَشْأَمُ
وَجَاءَ ٱلْحَظِيُّ لَهَا ثَامِناً ... فَأَسْهَمَ حِصَّتَهُ ٱلْمُسْهِمُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٥٢/١)

حَـدَا سَـبْـعَـةً وَأَتَـىٰ ثَـامِـنـاً وَثَـامِـنَـةُ ٱلْـخَـيْـلِ لَا تُـسْـهَـمُ
وَجَـاءَ ٱلـلَّـطِـيـمُ لَـهَـا تَـاسِـعـاً فَـمِـنْ كُـلِّ نَـاحِـيَـةٍ يُـلْـطَـمُ
يَـخُـبُّ ٱلـسُّـكَـيْـتُ عَـلَـىٰ إِثْـرِهَـا وَعُـلْـيَـاهُ مِـنْ قَـنْـبِـهِ أَعْـظَـمُ
عَـلَـىٰ سَـاقَـةِ ٱلْـخَـيْـلِ يَـعْـدُو بِـهَـا مُـلِـيـمـاً وَسَـائِـسُـهَـا أَلْـوَمُ
إِذَا قِـيـلَ مَـنْ رَبُّ ذَا لَـمْ يُـجِـبْ مِنَ ٱلْحَزْنِ بِٱلصَّمْتِ مُسْتَعْصِمُ

خيبةُ المُؤمِّلِ كونُهُ أقلَّ ذواتِ الأنصباءِ

وقولُهُ (أسهمَ حصَّتَهُ المسهمُ) أي كانَتْ حصتُهُ سهماً لذوي السِّهامِ ، وحِصَّتُهُ التي لهُ لو لم يجئْ ثامناً

وقولُهُ : (افتلَيْنا) أيِ : انتزعْنا ومَيَّزْنا ، كما يُنزَعُ الفُلُوُّ عن أُمِّهِ عندَ الفِطامِ ، والفُلُوُّ ـ كسُمُوٍّ وعَدُوٍّ ـ المهرُ الصغيرُ عندَ فطامِهِ

وقولُهُ (الكُماةُ) جمعُ كامٍ ؛ كقاضٍ ، وقولُهُم (جمعُ كَمِيٍّ) مسامحةٌ ، وسُمِّيَ الشجاعُ كميّاً ؛ لأنَّهُ يكتمُ صفاتِ نفسِهِ حتىٰ تُعبِّرَ عنها أعمالُهُ أو يسترَ نفسَهُ في السلاحِ

وقالَ زفرُ بنُ الحارثِ يُقِرُّ لأعدائِهِ بالغَلَبةِ [1] [من الطويل]

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً لَـيَـالِـيَ لَاقَـيْـنَـا جُـذَامَ وَحِـمْـيَـرَا
فَلَمَّا قَرَعْنَا ٱلنَّبْعَ بِٱلنَّبْعِ بَعْضَهُ بِـبَـعْـضٍ أَبَتْ عِيدَانُـهُ أَنْ تَـكَسَّـرَا
وَلَـمَّـا لَـقِـيـنَـا عُـصْـبَـةً تَـغْـلِـبِـيَّـةً يَـقُـودُونَ جُـرْداً لِـلْـمَـنِـيَّـةِ ضُـمَّـرَا
سَقَيْنَاهُمُ كَأْساً سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَـٰكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ٱلْمَوْتِ أَصْبَرَا

وتغلبُ التي ذكرَها في الشعرِ قومٌ مِنْ قضاعةَ ، وليسَتْ تغلبَ وائلٍ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٧٩ ـ ٨٠)

وقالَ يَذكُرُ هزيمتَهُ في تلكَ الواقعةِ ويعتذرُ[1] [من الطويل]

أَرِينِي سِلَاحِي لَا أَبَا لَكِ إِنَّنِي أَرَى ٱلْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا
وَلَمْ تُرَ مِنِّي نَبْوَةٌ قَبْلَ هَٰذِهِ فِرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبَيَّ وَرَائِيَا
عَشِيَّةَ أَجْرِي بِٱلصَّعِيدِ وَلَا أَرَىٰ مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا مَنْ عَلَيَّ وَلَا لِيَا
أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ أَنْ أَسَأْتُهُ بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بِلَائِيَا
وَقَدْ يَنْبُتُ ٱلْمَرْعَىٰ عَلَىٰ دِمَنِ ٱلثَّرَىٰ وَتَبْقَىٰ حَزَازَاتُ ٱلنُّفُوسِ كَمَا هِيَا

وقالَ عمرُو بنُ معديكربَ الزبيديُّ[2] [من الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْخَيْلَ زُوراً كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فَٱسْبَطَرَّتِ
فَجَاشَتْ إِلَيَّ ٱلنَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرُدَّتْ عَلَىٰ مَكْرُوهِهَا فَٱسْتَقَرَّتِ
عَلَامَ تَقُولُ ٱلرُّمْحَ يُثْقِلُ عَاتِقِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا ٱلْخَيْلُ كَرَّتِ
لَحَا ٱللهُ جَرْماً كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ وُجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَٱزْبَأَرَّتِ
فَلَمْ تُغْنِ جَرْمٌ نَهْدَهَا إِذْ تَلَاقَتَا وَلَٰكِنَّ جَرْماً فِي ٱللِّقَاءِ ٱبْذَعَرَّتِ
ظَلِلْتُ كَأَنِّي لِلرِّمَاحِ دَرِيَّةٌ أُقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَٰكِنَّ ٱلرِّمَاحَ أَجَرَّتِ

اسبطرَّتِ امتدَّتْ في استرسالِها ، وازبأرَّتْ تَهيَّأَتْ ، وابذعرَّتْ تَفرَّقَتْ وتناكصَتْ ، وأصلُ الإجرارِ أن يُشَقَّ لسانُ الفصيلِ ويُوضَعَ فيهِ عُودٌ يُمنَعُ بذٰلكَ مِنْ رضاعِ أُمِّهِ ، واستُعِيرَ ها هنا لقبيحِ الإسكاتِ والمنعِ مِنَ النطقِ بالثناءِ ، وجَرْمُ هٰؤلاءِ كانوا نزلوا في جوارِ عمرٍو وفيهِم ثأرٌ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٨٠ ـ ٨١)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٨٢ ـ ٨٤)

لنهدٍ ، فجاؤوا يَطلبونَهُ منهُم ، فأرادَ يدفعُهُم عمرٌو ويعينُ جيرانَهُ ، فثبتَ ولم يثبتوا

وقالَ أنيفُ بنُ زبَّانَ النبهانيُّ مِنْ طيءٍ (١) [من الطويل]

جَمَعْنَا لَكُمْ مِنْ حَيِّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ كَتَائِبَ يُرْدِي ٱلْمُقْرِفِينَ نَكَالُهَا
لَهُمْ عَجُزٌ بِٱلرَّمْلِ فَٱلْحُزْنِ فَٱللِّوَىٰ وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّيْ جَدِيسَ رِعَالُهَا
وَتَحْتَ نُحُورِ ٱلْخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ تُتَاحُ لِغِرَّاتِ ٱلْقُلُوبِ نِبَالُهَا
أَبَىٰ لَهُمُ أَنْ يَعْرِفُوا ٱلضَّيْمَ أَنَّهُمْ بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيراً عِيَالُهَا
فَلَمَّا أَتَيْنَا ٱلسَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ بِحَيْثُ تَلَاقَىٰ طَلْحُهَا وَسَيَالُهَا
دَعَوْا لِنِزَارٍ وَٱنْتَمَيْنَا لِطَيِّئٍ كَأُسْدِ ٱلشَّرَىٰ أَقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا
فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا بَيَّنَ ٱلسَّيْفُ بَيْنَنَا لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سُؤَالُهَا
وَلَمَّا تَدَانَوْا بِٱلرِّمَاحِ تَضَلَّعَتْ صُدُورُ ٱلْقَنَا مِنْهُمْ وَعَلَّتْ نِهَالُهَا
وَلَمَّا عَصَيْنَا بِٱلسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْماً حِبَالُهَا
فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ قَوَادِرُ مَرْبُوعَاتُهَا وَطِوَالُهَا

حَرْشَفُ رَجْلَةٍ ـ بفتحِ أولِهما وسكونِ ثانيهِما ـ : جماعةُ المشاةِ الكثيرةِ

وقالَ عمرُو بنُ معديكربَ (٢) [من مجزوء الكامل]

لَيْسَ ٱلْجَمَالُ بِمِئْزَرٍ فَٱعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
إِنَّ ٱلْجَمَالَ مَعَادِنٌ وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدَا
أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا بِغَةً وَعَدَّاءً عَلَنْدَىٰ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٨٨ ـ ٩٠)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٩٠ ـ ٩٣)

نَـــهْـــداً وَذَا شَـــطْـــبٍ يَـــقُـــدُّ ... ٱلْـــبَـــيْـــض وَٱلْأَبْـــدَانَ قَـــدَّا

وَعَـــلِـــمْـــتَ أَنِّـــي يَـــوْمَ ذَا ... كَ مُـــنَـــازِلٌ كَـــعْـــبـاً وَنَـــهْـــدَا

قَـــوْمٌ إِذَا لَـــبِـــسُـــوا ٱلْـــحَـــدِيـــ ... ـــدَ تَـــنَـــمَّـــرُوا حَـــلَـــقـاً وَقِـــدَّا

كُـــلُّ ٱمْـــرِئٍ يَـــجْـــرِي إِلَـــىٰ ... يَـــوْمِ ٱلْـــهِـــيَـــاجِ بِـــمَـــا ٱسْـــتَـــعَـــدَّا

لَـــمَّـــا رَأَيْـــتُ نِـــسَـــاءَنَـــا ... يَـــفْـــحَـــصْـــنَ بِـــٱلْـــمَـــعْـــزَاءِ شَـــدَّا

وَبَـــدَتْ لَـــمِـــيـــسُ كَـــأَنَّـــهَـــا ... بَـــدْرُ ٱلـــسَّـــمَـــاءِ إِذَا تَـــبَـــدَّىٰ

وَبَـــدَتْ مَـــحَـــاسِـــنُـــهَـــا ٱلَّـــتِـــي ... تَـــخْـــفَـــىٰ وَكَـــانَ ٱلْأَمْـــرُ جِـــدَّا

نَـــازَلْـــتُ كَـــبْـــشَـــهُـــمُ وَلَـــمْ ... أَرَ مِـــنْ نِـــزَالِ ٱلْـــكَـــبْـــشِ بُـــدَّا

هُـــمْ يَـــنْـــذِرُونَ دَمِـــي وَأَنْـــ ... ـــذِرُ إِنْ لَـــقِـــيـــتُ بِـــأَنْ أَشُـــدَّا

كَـــمْ مِـــنْ أَخٍ لِـــيَ صَـــالِـــحٍ ... بَـــوَّأْتُـــهُ بِـــيَـــدَيَّ لَـــحْـــدَا

مَـــا إِنْ جَـــزِعْـــتُ وَلَا هَـــلِـــعْـــ ... ـــتُ وَلَا يَـــرُدُّ بُـــكَـــايَ زَنْـــدَا

أُغْـــنِـــي غَـــنَـــاءَ ٱلـــذَّاهِـــبِـــيـــ ... ـــنَ أُعَـــدُّ لِـــلْأَعْـــدَاءِ عِـــدَّا

ذَهَـــبَ ٱلَّـــذِيـــنَ أُحِـــبُّـــهُـــمْ ... وَبَـــقِـــيـــتُ مِـــثْـــلَ ٱلـــسَّـــيْـــفِ فَـــرْدَا

قولُهُ (إنَّ الجمالَ معادنٌ) أي غرائزُ وطبائعُ ، وقد أقرَّ ذٰلكَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حيثُ قالَ « ٱلنَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي ٱلْإِسْلَامِ »(١)

والمناقبُ هيَ الأحوالُ والأفعالُ ، وبها وبالغرائزِ يكونُ تمامُ الشرفِ في الإنسانِ ، والعَلَنْدَى الشَّديدُ ، يُوصَفُ بهِ الخيلُ والإبلُ ، والبِيضُ جمعُ

---

(١) وتمامه « إذا فقُهوا » ، والحديث أخرجه البخاري (٣٣٨٣) ، ومسلم (١٦٠/٢٦٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

بيضةٍ ؛ وهيَ والمِغفرُ والخوذةُ وِقاءُ الرأسِ مِنْ ضمنِ السلاحِ ، والأبدانُ جمعُ بدنٍ ؛ لصنفٍ مِنْ أصنافِ الدُّروعِ ، والقِدُّ درعٌ مِنْ جلدٍ

وقولُهُ (ولا يَرُدُّ بُكايَ زَنْدا) أي لا يَرُدُّ شيئاً ؛ كما يُقالُ لا يَرُدُّ فتيلاً

وقالَ قيسُ بنُ الخَطِيمِ[1] [من الطويل]

طَعَنْتُ ٱبْنَ عَبْدِ ٱلْقَيْسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا ٱلشُّعَاعُ أَضَاءَهَا
مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَىٰ قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا
يَهُونُ عَلَيَّ أَنْ تَرُدَّ جِرَاحُهَا عُيُونَ ٱلْأَوَاسِي إِذْ حَمِدْتُ بَلَاءَهَا
وَسَاعَدَنِي فِيهَا ٱبْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ خِدَاشٌ فَأَدَّىٰ نِعْمَةً وَأَفَاءَهَا
وَكُنْتُ ٱمْرَأً لَا أَسْمَعُ ٱلدَّهْرَ سُبَّةً أُسَبُّ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِطَاءَهَا
فَإِنِّيَ فِي ٱلْحَرْبِ ٱلضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ بِأَقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا
إِذَا مَا ٱصْطَبَحْتُ أَرْبَعاً خَطَّ مِئْزَرِي وَأَتْبَعْتُ دَلْوِي فِي ٱلسَّمَاحِ رِشَاءَهَا
مَتَىٰ يَأْتِي هَـٰذَا ٱلْمَوْتُ لَا تُلْقَ حَاجَةٌ لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا
ثَأَرْتُ عَدِيّاً وَٱلْخَطِيمَ فَلَمْ أُضَعْ وِلَايَةَ أَشْيَاخٍ جُعِلْتُ إِزَاءَهَا

وقالَ الحارثُ بنُ هشامٍ أخو أبي جهلٍ يَعتذِرُ مِنْ فِرارِهِ يومَ بدرٍ وتركِهِ أخاهُ وبقيةَ أهلِهِ ، حتىٰ عَيَّرَهُ حسانُ بنُ ثابتٍ حيثُ يقولُ[2] [من الكامل]

إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ ٱلَّذِي حَدَّثْتِنِي فَنَجَوْتِ مَنْجَى ٱلْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ
تَرَكَ ٱلْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ وَلِجَامِ

دعا عليها بلُحوقِ العارِ والفضيحةِ كما لحقَ هٰذا الفارَّ ، وذكرَ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٩٥ ـ ٩٧)

(٢) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (١/٢٩)

ذٰلكَ في ضمنِ أبياتِ الحماسةِ للجَمْعِ بينَ الشيءِ وضدِّهِ ، وهٰذه أبياتُ الاعتذارِ (١) [من الكامل]

اَللهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّىٰ عَلَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ
وَشَمِمْتُ رِيحَ ٱلْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ فِي مَأْزِقٍ وَٱلْخَيْلُ لَمْ [تَتَبَدَّدِ]
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أُقَاتِلْ وَاحِداً أُقْتَلْ وَلَا يَضْرُرْ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَٱلْأَحِبَّةُ فِيهِمُ طَمَعاً لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُرْصَدِ

الأشقرُ المزبدُ هوَ الدمُ الخارجُ ؛ إمَّا مِنْ جرحِهِ ، أو جرحِ فرسِهِ

وقالَ حيَّانُ بنُ الحكمِ السلميُّ المشهورُ بالفرَّارِ يَتبجَّحُ بالفِرارِ ، وأنَّهُ مُقتضى العقلِ ، وأنَّ مِنْ أمرِهِ أنَّهُ يوافقُ السفهاءَ في آرائِهم حتىٰ يشتبكوا ، فإذا اشتبكوا رجعَ هوَ إلىٰ ما هوَ الخيرُ عندَهُ (٢) [من الكامل]

وَكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ حَتَّىٰ إِذَا ٱلْتَبَسَتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي
فَتَرَكْتُهُمْ تَقِصُ ٱلرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدِ
مَا كَانَ يَنْفَعُنِي فَعَالُ نِسَائِهِمْ وَقُتِلْتُ دُونَ نِسَائِهَا لَا تَبْعَدِ

يُقالُ إنَّ بعضَ العلماءِ سُئِلَ تفسيرَ قولِهِ : (وكتيبةٍ) فقالَ : هوَ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ . ﴾ الآيةَ (٣)

وقالَ الحصينُ بنُ الحمامِ المريُّ (٤) [من الطويل]

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي ٱلْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٩٧ ـ ٩٨)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٩٩)
(٣) سورة الحشر (١٦)
(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٠٣)

فَلَسْنَا عَلَى ٱلْأَعْقَابِ تَدْمَىٰ كُلُومُنَا وَلَـٰكِنْ عَلَـىٰ أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدَّمَا
نُـفَـلِّـقَ هَـامـاً مِـنْ رِجَـالٍ أَعِـزَّةٍ عَـلَـيْـنَـا وَهُـمْ كَـانُـوا أَعَـقَّ وَأَظْـلَـمَـا

فاعلُ (تقطرُ) ضميرُ (الكلومِ) ، والدمُ مفردٌ مفعولٌ

وقالَ رجلٌ مِنْ بني عقيلٍ وقد حاربَهُ بنو عمِّهِ ، فقتلَ منهُم [من الوافر]

بِـكُـرْهِ سَـرَاتِـنَـا يَـا آلَ عَـمْـرٍو نُـغَـادِيـكُـمْ بِـمُـرْهَـفَـةٍ صِـقَـالِ
نُـفَـدِّيـهِـنَّ[1] يَـوْمَ ٱلـرَّوْعِ عَـنْـكُـمْ وَإِنْ كَـانَـتْ مُـثَـلَّـمَـةَ ٱلـنِّـصَـالِ
لَـهَـا لَـوْنٌ مِـنَ ٱلْـهَـامَـاتِ كَـابٍ وَإِنْ كَـانَـتْ تُـحَـادِثُ بِـٱلـصِّـقَـالِ
وَنَـبْـكِي حِـيـنَ نَـقْـتُـلُـكُـمْ عَـلَـيْـكُـمْ وَنَـقْـتُـلُـكُـمْ كَـأَنَّـا لَا نُـبَـالِـي

مِنْ هـٰذا أخذَ البحتريُّ قولَهُ ، وحَلَّاهُ بحليةِ البديعِ المزاوجةِ[2] : [من الطويل]

إِذَا ٱحْتَرَبَتْ يَوْماً فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرَتِ ٱلْقُرْبَىٰ فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا

وهـٰذا الكلامُ في الانتقامِ والأخذِ بالثأرِ عن قريبٍ مِنْ قريبٍ آخَرَ ، وقدِ اختلفَتْ آراؤُهُم في ذٰلكَ ؛ فمنهُم مَنْ رَجَّحَ الانتقامَ لتبريدِ الغُلَّةِ ودفعِ الهوانِ ، وإن كانَ فيهِ نقصُ عددِ الحُماةِ والأنصارِ ، ومنهُم مَنْ رَجَّحَ العفوَ ؛ إبقاءً لوفورِ العددِ

فمِنَ الأوَّلِ ما مضىٰ ، وقولُ قيسِ بنِ زهيرٍ[3] [من الوافر]

شَفَيْتُ ٱلنَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرٍ وَسَيْفِي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
فَـإِنْ أَكُ قَـدْ بَـرَدْتُ بِـهِـمْ غَـلِـيـلِـي فَـلَـمْ أَقْـطَـعْ بِـهِـمْ إِلَّا بَـنَـانِـي

---

(١) في « شرح ديوان الحماسة » (نعدِّهِنَّ) بمعنىٰ نصرفهُنَّ
(٢) انظر « ديوان البحتري » (١٢٩٩/٢)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٦/١)

وكانَ حملٌ وحذيفةُ قريبَينِ قتلا قريباً لهُ ، فقتلَهُما

وقولُهُ (فإن أكُ قد بردتُ بهِم غليلي) جمعَ الضَّميرَ لأنَّهُ رَدَّهُ على القتيلَينِ وقومِهما ، فإنَّهُ قتلَهُما وأدخلَ الحزنَ على قومِهِما ، وفرحَ هوَ وقومُهُ ، وبذٰلكَ بردَ غليلُهُ

ومِنَ الثاني قولُ الحارثِ بنِ وعلةَ الذهليِّ (١) [من الكامل]

قَـوْمِـي هُـمُ قَـتَـلُـوا أُمَـيْـمَ أَخِـي ... فَـإِذَا رَمَـيْـتُ يُـصِـيـبُـنِـي سَـهْـمِـي

فَـلَـئِـنْ عَـفَـوْتُ لأَعْـفُـوَنْ جَـلَـلاً ... وَلَـئِـنْ سَـطَـوْتُ لأُوهِـنَـنْ عَـظْـمِـي

وقولُ أعرابيٍّ (٢) [من البسيط]

أَقُـولُ لِـلـنَّـفْـسِ تَـأْسَـاءً وَتَـعْـزِيَـةً ... إِحْـدَىٰ يَـدَيَّ أَصَـابَـتْـنِـي وَلَـمْ تُـرِدِ

كِـلاهُـمَـا خَـلَـفٌ مِـنْ بَـعْـدِ صَـاحِـبِـهِ ... هَـٰذَا أَخِـي حِـيـنَ أَدْعُـوهُ وَذَا وَلَـدِي

وفي هـٰذا قليلُ بعدٍ عمَّا قبلَهُ ؛ فإنَّهُ جعلَ سببَ العفوِ القرابةَ وعدمَ الإرادةِ ، والسابقُ جعلَ السببَ محض القرابةِ

وقالَ بعضُ بني فقعسٍ (٣) [من الطويل]

رَأَيْـتُ مَـوَالِـيَّ ٱلأُلَـىٰ يَـخْـذُلُـونَـنِـي ... عَـلَـىٰ حَـدَثَـانِ ٱلـدَّهْـرِ إِذْ يَـتَـقَـلَّـبُ

فَـهَـلَّا أَعَـدُّونِـي لِـمِـثْـلِـي تَـفَـاقَـدُوا ... إِذَا ٱلْخَصْمُ أَبْزَىٰ مَائِلُ ٱلرَّأْسِ أَنْكَبُ

وَهَـلَّا أَعَـدُّونِـي لِـمِـثْـلِـي تَـفَـاقَـدُوا ... وَفِي ٱلأَرْضِ مَبْثُوثٌ شُجَاعٌ وَعَقْرَبُ

فَـلَا تَـأْخُـذُوا عَـقْـلاً مِـنَ ٱلْـقَـوْمِ إِنَّـنِـي ... أَرَى ٱلْـعَـارَ يَـبْـقَـىٰ وَٱلْـمَـعَـاقِـلُ تَـذْهَـبُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٠٧)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١١٠ ـ ١١١)

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١١٥ ـ ١١٦)

كَأَنَّكَ لَمْ تُسْبَقْ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَيْلَةً إِذَا أَنْتَ أَدْرَكْتَ ٱلَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ

قولُهُ (رأيتُ مواليَّ الأُلىٰ) أي رأيتُ بني عمِّي همُ الأُلىٰ ، فالأُلىٰ مفعولٌ ثانٍ

وقولُهُ ([إذا] الخصمُ أبزىٰ) مُذكَّرُ بزواءَ ، ومِنْ معاني البزاءِ ـ ومنهُ الاستعارةُ ـ : خروجُ الصدرِ ، ودخولُ الظهرِ ، يفعلُ ذٰلكَ الخصمُ تكبُّراً

وقولُهُ (شجاعٌ وعقربٌ) كنايةٌ عن العدوِّ ، ولذٰلكَ صحَّ أن يكونَ مبتدأً ومعطوفاً عليهِ ، و(مبثوثٌ) خبرٌ دونَ تثنيةٍ ؛ إذِ المعنىٰ وعدوٌّ مبثوثٌ في الأرضِ ، ولهُم في هٰذا المعنىٰ ـ وهو تفظيعُ أخذِ الديةِ ، والتحريضُ على الثأرِ ـ كلام كثيرٌ

وقالَ عنترةُ طيِّئٍ [1] [من الوافر]

أَطِلْ حَمْلَ ٱلشَّنَاءَةِ لِي وَبُغْضِي وَعِشْ مَا شِئْتَ فَٱنْظُرْ مَنْ تَضِيرُ

فَمَا بِيَدَيْكَ نَفْعٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صُدُودِكَ ٱلْخَطْبُ ٱلْكَبِيرُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي سَارَ عَنِّي وَشِعْرُكَ حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ

إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

وقالَ الطرماحُ بنُ حكيمٍ مِنْ وادي هٰذا الكلامِ [2] [من الطويل]

لَقَدْ زَادَنِي حُبّاً لِنَفْسِيَ أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَىٰ كُلِّ ٱمْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ

وَإِنِّي شَقِيٌّ بِٱللِّئَامِ وَلَا تَرَىٰ شَقِيّاً بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ ٱلشَّمَائِلِ

إِذَا مَا رَآنِي قَطَّعَ ٱلطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِيَ فِعْلَ ٱلْعَارِفِ ٱلْمُتَجَاهِلِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١١٩)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٢٢ ـ ١٢٣)

مَلأْتُ عَلَيْهِ ٱلْأَرْض حَتَّىٰ كَأَنَّهَا ... مِنَ ٱلضِّيقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حَابِلِ
أَكُلُّ ٱمْرِئٍ أَلْفَىٰ أَبَاهُ مُقَصِّراً ... مُعَادٍ لِأَهْلِ ٱلْمَكْرُمَاتِ ٱلْأَوَائِلِ
إِذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاةُ وَالِدِهِ ٱضْطَنَىٰ ... وَلَا يَضْطَنِي مِنْ شَتْمِ أَهْلِ ٱلْفَضَائِلِ
وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا ... مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا بِٱلْقَنَا وَٱلْقَنَابِلِ

القنابلُ جمعُ قَنْبَلٍ أو قَنْبَلةٍ بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ ، للجماعةِ مِنَ الناسِ أو الخيلِ

وقالَ يزيدُ بنُ الحكمِ الكلابيُّ (١) [من الطويل]

دَفَعْنَاكُمْ بِٱلْقَوْلِ حَتَّىٰ بَطِرْتُمُ ... وَبِٱلرَّاحِ حَتَّىٰ كَانَ دَفْعَ ٱلْأَصَابِعِ
فَلَمَّا رَأَيْنَا جَهْلَكُمْ غَيْرَ مُنْتَهٍ ... وَمَا غَابَ مِنْ أَحْلَامِكُمْ غَيْرَ رَاجِعِ
مَسِسْنَا مِنَ ٱلْآبَاءِ شَيْئاً وَكُلُّنَا ... إِلَىٰ حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعِ
فَلَمَّا بَلَغْنَا ٱلْأُمَّهَاتِ وَجَدْتُمُ ... بَنِي عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ ٱلْمَضَاجِعِ
بَنِي عَمِّنَا لَا تَشْتُمُونَا وَدَافِعُوا ... عَلَىٰ حَسَبٍ مَا فَاتَ قِيدَ ٱلْأَكَارِعِ
وَكُنَّا بَنِي عَمٍّ نَزَا ٱلْجَهْلُ بَيْنَنَا ... فَكُلٌّ يُوَفِّي حَقَّهُ غَيْرَ وَادِعِ

قولُهُ (ما فاتَ قِيدَ) أي لم يزلْ عن موضعِهِ قدرَ كراعٍ ، وضعَ الجمعَ موضعَ المفردِ ؛ لإقامةِ الشعرِ ، ولأنَّ الجمعَ لا يقعُ بهِ اشتباهٌ ؛ إذِ الغرضُ التقليلُ ، وذٰلكَ يأتي مِنْ حقارةِ الكُراعِ بضمِّ أوَّلِهِ

وقالَ إبراهيمُ بنُ كنيفٍ النبهانيُّ (٢) [من الطويل]

تَعَزَّ فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ بِٱلْحُرِّ أَجْمَلُ ... وَلَيْسَ عَلَىٰ رَيْبِ ٱلزَّمَانِ مُعَوَّلُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٢٤ ـ ١٢٥) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٣٦ ـ ١٣٨) .

فَلَوْ كَانَ يُغْنِي أَنْ يُرَى ٱلْمَرْءُ جَازِعاً ... لِحَادِثَةٍ أَوْ كَانَ يُغْنِي ٱلتَّذَلُّلُ

لَكَانَ ٱلتَّعَزِّي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ ... وَنَائِبَةٍ بِٱلْحُرِّ أَوْلَىٰ وَأَجْمَلُ

فَكَيْفَ وَكُلٌّ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامَهُ ... وَمَا لِٱمْرِئٍ عَمَّا قَضَى ٱللهُ مُزْحَلُ

فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ ... بِبُؤْسَىٰ وَنُعْمَىٰ وَٱلْحَوَادِثُ تَفْعَلُ

فَمَا لَيَّنَتْ مِنَّا قَنَاةً صَلِيبَةً ... وَلَا ذَلَّلَتْنَا لِلَّتِي لَيْسَ تَجْمُلُ

وَلَٰكِنْ رَحَلْنَاهَا نُفُوساً كَرِيمَةً ... تُحَمَّلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ فَتَحْمِلُ

وَقَيْنَا بِحُسْنِ ٱلصَّبْرِ مِنَّا نُفُوسَنَا ... فَصَحَّتْ لَنَا ٱلْأَعْرَاضُ وَٱلنَّاسُ هُزَّلُ

قولُهُ (مزحلُ) مِنْ زحلَ ؛ أي لا يتجاوزُ ولا يفوتُ المرءَ ما قضاهُ اللهُ عليهِ

وقالَ عويفُ القوافيُّ الفزاريُّ (١) [من الكامل]

ذَهَبَ ٱلرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ ... مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ ٱلْعُوَّادُ

خَبَرٌ أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ مُوجِعٌ ... كَادَتْ عَلَيْهِ تَصَدَّعُ ٱلْأَكْبَادُ

بَلَغَ ٱلنُّفُوسَ بَلَاؤُهُ فَكَأَنَّنَا ... مَوْتَىٰ وَفِينَا ٱلرُّوحُ وَٱلْأَجْسَادُ

يَرْجُونَ عَثْرَةَ جَدِّنَا وَلَوَ ٱنَّهُمْ ... لَا يَدْفَعُونَ بِنَا ٱلْمَكَارِهَ بَادُوا

لَمَّا أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ ... أَمْسَىٰ عَلَيْهِ تَظَاهَرَ ٱلْأَقْيَادُ

نَخَلَتْ لَهُ نَفْسِي ٱلنَّصِيحَةَ أَنَّهُ ... عِنْدَ ٱلشَّدَائِدِ تَذْهَبُ ٱلْأَحْقَادُ

وَذَكَرْتُ أَيُّ فَتىً يَسُدُّ مَكَانَهُ ... بِٱلرِّفْدِ حِينَ تَقَاصَرَ ٱلْأَرْفَادُ

أَمْ مَنْ يُهِينُ لَنَا كَرَائِمَ مَالِهِ ... وَلَنَا إِذَا عُدْنَا إِلَيْهِ مَعَادُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٣٩ ـ ١٤٠)

الأجسادُ في الشعرِ جمعُ جسدٍ ، والمرادُ بهِ الدمُ ، كما هوَ المرادُ في قولِ النابغةِ(١) [من البسيط]

وَمَا هُرِيقَ عَلَى ٱلْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

وقالَ بشرُ بنُ المغيرةِ أخي المُهلَّبِ بنِ أبي صفرةَ ، وهوَ أبو يزيدَ المذكورُ في الشعرِ ، وكانَ المُهلَّبُ أميرَ العسكرِ إذ ذاكَ ، وهوَ مشهورٌ ، يَتوجَّعُ في هٰذهِ [الأبياتِ] مِنْ عمِّهِ وأبيهِ وابنِ عمِّهِ(٢) [من الطويل]

جَفَانِي ٱلْأَمِيرُ وَٱلْمُغِيرَةُ قَدْ جَفَا ... وَأَمْسَىٰ يَزِيدُ لِي قَدِ ٱزْوَرَّ جَانِبُهْ
وَكُلُّهُمُ قَدْ نَالَ شِبْعاً لِبَطْنِهِ ... وَشِبْعُ ٱلْفَتَىٰ لُؤْمٌ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهْ
فَيَا عَمِّ مَهْلاً وَٱتَّخِذْنِي لِنَوْبَةٍ ... تَنُوبُ فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ جَمٌّ عَجَائِبُهْ
أَنَا ٱلسَّيْفُ إِلَّا أَنَّ لِلسَّيْفِ نَبْوَةً ... وَمِثْلِيَ لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهْ

وقالَ رجلٌ في ابنِهِ واختُلِفَ في تسميتِهِ ؛ فقيلَ هوَ أبو الشغبِ العبسيُّ ، وقيلَ غيرُ ذٰلكَ(٣) [من الطويل]

رَأَيْتُ رِبَاطاً حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ ... وَوَلَّىٰ شَبَابِي لَيْسَ فِي بِرِّهِ عَتْبُ
إِذَا كَانَ أَوْلَادُ ٱلرِّجَالِ حَزَازَةً ... فَأَنْتَ ٱلْحَلَالُ ٱلْحُلْوُ وَٱلْبَارِدُ ٱلْعَذْبُ
لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ ... إِذَا رَامَهُ ٱلْأَعْدَاءُ مُمْتَنِعٌ صَعْبُ
وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ ٱلْمَكَارِمِ هِزَّةٌ ... كَمَا ٱهْتَزَّ تَحْتَ ٱلْبَارِحِ ٱلْغُصْنُ ٱلرَّطْبُ

الحزازةُ تألُّمُ النفسِ غيظاً ؛ أي إذا كانوا سببَها

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٢٥) والبيت بتمامه

فَلَا لَعَمْرُ ٱلَّذِي مَسَّحْتُ كَعْبَتَهُ ... وَمَا هُرِيقَ عَلَى ٱلْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٤١)

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٤٤ ـ ١٤٥)

وقالَ إسحاقُ بنُ خلفٍ[1] [من البسيط]

لَـوْلَا أُمَـيْـمَـةُ لَـمْ أَجْـزَعْ مِـنَ ٱلْـعَـدَمِ وَلَـمْ أُقَاسِ ٱلدُّجَىٰ فِي حِنْدِسِ ٱلظُّلَمِ
وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي ٱلْعَيْشِ مَعْرِفَتِي ذُلَّ ٱلْـيَـتِـيـمَـةِ يَـجْـفُـوهَـا ذَوُو ٱلـرَّحِـمِ
أُحَـاذِرُ ٱلْـفَـقْـرَ يَـوْمـاً أَنْ يُـلِـمَّ بِـهَـا فَيَهْتِكَ ٱلسَّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَىٰ وَضَمِ
تَهْوَىٰ حَيَاتِي وَأَهْوَىٰ مَوْتَهَا شَفَقاً وَٱلْـمَـوْتُ أَكْـرَمُ نَـزَّالٍ عَـلَى ٱلْـحُـرَمِ
أَخْـشَـىٰ فَـظَـاظَـةَ عَـمٍّ أَوْ جَـفَـاءَ أَخٍ وَكُنْتُ أُبْقِي عَلَيْهَا مِنْ أَذَى ٱلْكَلِمِ

وقالَ حطَّانُ بنُ المُعلَّىٰ[2] [من السريع]

أَنْـزَلَـنِـي ٱلـدَّهْـرُ عَـلَـىٰ حُـكْـمِـهِ مِـنْ شَـامِـخٍ عَـالٍ إِلَـىٰ خَـفْـضِ
وَغَـالَـنِـي ٱلـدَّهْـرُ بِـوَفْـرِ ٱلْـغِـنَـىٰ فَـلَـيْـسَ لِـي مَـالٌ سِـوَىٰ [عِـرْضـي]
أَبْـكَـانِـيَ ٱلـدَّهْـرُ وَيَـا رُبَّـمَـا أَضْـحَـكَـنِـي ٱلـدَّهْـرُ بِـمَـا يُـرْضِـي
لَـوْلَا بُـنَـيَّـاتٌ كَـزُغْـبِ ٱلْـقَـطَـا رُدِدْنَ مِـنْ بَـعْـضٍ إِلَـىٰ بَـعْـضِ
لَـكَـانَ لِـي مُـضْـطَـرَبٌ وَاسِـعٌ فِـي ٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلـطُّـولِ وَٱلْـعَـرْضِ
وَإِنَّـمَـا أَوْلَادُنَـا بَـيْـنَـنَـا أَكْـبَـادُنَـا تَـمْـشِـي عَـلَى ٱلْأَرْضِ
لَـوْ هَـبَّـتِ ٱلـرِّيـحُ عَـلَـىٰ بَـعْـضِـهِـمْ لَامْـتَـنَـعَـتْ عَـيْـنِـي مِـنَ ٱلْـغَـمْـضِ

قولُهُ (لولا بنياتٌ كزُغْبِ القطا) أي ضعافٌ كفراخِ القطا التي لم يقوَ ريشُها بعدُ ، بل هوَ زغبٌ ، فهيَ في الاحتياجِ إلىٰ ما يعولُها ويجلبُ رزقَها

وقولُهُ (رددنَ مِنْ بعضٍ إلىٰ بعضٍ) يريدُ أنَّ كبارَهُنَّ وإن قَوِيَتْ بنيتُهُنَّ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥١/١)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٢/١ ـ ١٥٣)

حتىٰ رُدَّتْ إليهِنَّ الصِّغارُ ليَحفظنَهُنَّ ويُدبِّرنَ أُمورَهُنَّ   فهُنَّ ضِعافُ العقولِ والعزائمِ بحيثُ يرددنَ إلى الصِّغارِ ، ويجعلْنَ مِنْ عددِهِنَّ ؛ إذِ الفريقانِ في الضَّعفِ سواءٌ ، فخُلاصةُ المعنىٰ   أنَّ البناتِ في عدمِ غنائِهِنَّ واحتياجِهِنَّ إلىٰ مَنْ يَكفلُهُنَّ ويعولُ أمرَهُنَّ   لا تَميُّزَ لبعضِهِنَّ عنِ البعضِ

وقالَ رجلٌ أسديٌّ (١) [من الطويل]

وَمَا أَنَا بِٱلنِّكْسِ ٱلدَّنِيءِ وَلَا ٱلَّذِي   إِذَا صَدَّ عَنِّي ذُو ٱلْمَوَدَّةِ أَحْرَبُ
وَلَـٰكِنَّنِي إِنْ دَامَ دُمْتُ وَإِنْ يَكُنْ   لَهُ مَذْهَبٌ عَنِّي فَلِي عَنْهُ مَذْهَبُ
أَلَا إِنَّ خَيْرَ ٱلْوُدِّ وُدٌّ تَطَوَّعَتْ   لَهُ ٱلنَّفْسُ لَا وُدٌّ أَتَىٰ وَهْوَ مُتْعَبُ

يُقالُ   إنَّ الأفصحَ إذا أُخبِرَ بموصولٍ عن ضميرِ مُتكلِّمٍ أو مُخاطَبٍ أن يُؤتىٰ بالضَّمائرِ طبقَ الموصولِ ضمائرَ غَيبةٍ ، وهـٰذا الشعرُ علىٰ خلافِ ذٰلكَ ، فكانَ يقولُ (إذا صُدَّ عنهُ ذو المودةِ   يحربُ) ، ويحربُ   يغتاظ ، ومِنْ كلامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ (٢) [من مشطور الرجز]

أَنَا ٱلَّذِي سَمَّتْنِ أُمِّي حَيْدَرَهْ

فهوَ كالشعرِ

وقالَ بشامةُ بنُ حزنٍ (٣) [من الكامل]

وَلَقَدْ غَضِبْتُ لِخِنْدِفٍ وَلِقَيْسِهَا   لَمَّا وَنَىٰ عَنْ نَصْرِهَا خُذَّالُهَا
دَافَعْتُ عَنْ أَعْرَاضِهَا فَمَنَعْتُهَا   وَلَدَيَّ فِي أَمْثَالِهَا أَمْثَالُهَا
إِنِّي ٱمْرُؤٌ أَسِمُ ٱلْقَصَائِدَ لِلْعِدَا   إِنَّ ٱلْقَصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/١٥٧)
(٢) انظر « الروض الأنف » (٧/١٠٧)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٢٠٦ ـ ٢٠٨)

قَوْمِي بَنُو ٱلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ بِجَمْعِهِمْ وَٱلْمَشْرِفِيَّةُ وَٱلْقَنَا إِشْعَالُهَا
مَا زَالَ مَعْرُوفاً لِمُرَّةَ فِي ٱلْوَغَىٰ عَلُّ ٱلْقَنَا وَعَلَيْهِمُ إِنْهَالُهَا
مِنْ عَهْدِ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفاً لَنَا أَسْرُ ٱلْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا

في « القاموس » (ولدَ إلياسُ بنُ مُضَرَ عمراً وهوَ مُدرِكةُ ، وعامراً وهوَ طابخةُ ، وعميراً وهوَ قمعةُ ، وأُمُّهُم خِنْدِفُ كزبْرِجٍ ؛ وهيَ ليلىٰ بنتُ حلوانَ بنِ عمرانَ ، وكانَ إلياسُ خرجَ في نُجعةٍ ، فنفرَتْ إبلُهُ مِنْ أرنبٍ ، فخرجَ إليها عمرٌو فأدركَها ، وخرجَ عامرٌ فتصيَّدَها وطبخَها ، وانقمعَ عميرٌ في الخباءِ ، وخرجَتْ أُمُّهُم تسرعُ ، فقالَ لها إلياسُ أينَ تخندفينَ ؟ فقالَتْ ما زلت أخندفُ في أثرِكُم ، فلُقِّبوا مدرِكةَ وطابخةَ وقمعةَ وخِنْدِفَ)[1] ، فسُمِّيَتِ القبيلةُ باسمِ أُمِّها

وقولُهُ (أَسِمُ القصائدَ) وسمُ القصيدةِ عبارةٌ عن ذكرِ مَنْ قيلَتْ برسمِهِ مِنْ ممدوحٍ أو مهجوٍ

وقالَ العباسُ بنُ مرداسٍ ، وهيَ مِنَ المُنصفاتِ ؛ إذ لم يكتمْ حالَ أعدائِهِ[2]

[من الطويل]

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلْحَيِّ حَيّاً مُصَبَّحاً وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ ٱلْتَقَيْنَا فَوَارِسَا
أَكَرَّ وَأَحْمَىٰ لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِٱلسُّيُوفِ ٱلْقَوَانِسَا
إِذَا مَا شَدَدْنَا شَدَّةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ ٱلْمَذَاكِي وَٱلرِّمَاحَ ٱلْمَدَاعِسَا
إِذَا ٱلْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيعٍ نَكُرُّهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسَا

ذكاءُ الخيلِ تمامُها وخروجُها مِنْ سنِّ الفتاءِ

(١) القاموس المحيط (٢٠٣/٣) مادة (خ ن د ف)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢٢٨/١ ـ ٢٢٩)

وقـالَ عـبـدُ الـشـارقِ بـنُ عـبـدِ الـعزى الـجـهـنـيُّ مِـنَ الـمـنـصـفـاتِ أيضاً [1]

[من الوافر]

أَلَا حُـيِّـيـتِ عَـنَّـا يَـا رُدَيْـنَـا ... نُـحَـيِّـيـهَـا وَإِنْ كَـرُمَـتْ عَـلَـيْـنَـا
رُدَيْـنَـةُ لَـوْ رَأَيْـتِ غَـدَاةَ جِـئْـنَـا ... عَلَـىٰ أَضْـمَـاتِـنَـا وَقَـدِ [ٱخْـتَـوَيْـنَـا]
فَـأَرْسَـلْـنَـا أَبَـا عَـمْـرٍو رَبِـيـئـاً ... فَـقَـالَ أَلَا ٱنْـعَـمُـوا بِـٱلْـقَـوْمِ عَـيْـنَـا
وَدَسُّـوا فَـارِسـاً مِـنْـهُـمْ عِـشَـاءً ... فَـلَـمْ نَـغْـدِرْ بِـفَـارِسِـهِـمْ لَـدَيْـنَـا
فَـجَـاؤُوا عَـارِضـاً بَـرِداً وَجِـئْـنَـا ... كَـمِـثْـلِ ٱلـسَّـيْـلِ نَـرْكَـبُ وَازِعِـيـنَـا
تَـنَـادَوْا يَـا لَـبَـهْـثَـةَ إِذْ رَأَوْنَـا ... فَـقُـلْـنَـا أَحْـسِـنِـي مَـلأً جُـهَـيْـنَـا
سَـمِـعْـنَـا دَعْـوَةً عَـنْ ظَـهْـرِ غَـيْـبٍ ... فَـجُـلْـنَـا جَـوْلَـةً ثُـمَّ ٱرْعَـوَيْـنَـا
فَـلَـمَّـا أَنْ تَـوَاقَـفْـنَـا قَـلِـيـلاً ... أَنَـخْـنَـا لِـلْـكَـلَاكِـلِ فَـٱرْتَـمَـيْـنَـا
فَـلَـمَّـا لَـمْ نَـدَعْ قَـوْسـاً وَسَـهْـمـاً ... مَـشَـيْـنَـا نَـحْـوَهُـمْ وَمَـشَـوْا إِلَـيْـنَـا
تَـلَأْلُـؤَ مُـزْنَـةٍ بَـرَقَـتْ لِأُخْـرَىٰ ... إِذَا حَـجَـلُـوا بِـأَسْـيَـافٍ رَدَيْـنَـا
شَـدَدْنَـا شَـدَّةً فَـقَـتَـلْـتُ مِـنْـهُـمْ ... ثَـلَاثَـةَ فِـتْـيَـةٍ وَقَـتَـلْـتُ قَـيْـنَـا
وَشَـدُّوا شَـدَّةً أُخْـرَىٰ فَـجَـرُّوا ... بِـأَرْجُـلِ مِـثْـلِـهِـمْ وَرَمَـوْا جُـوَيْـنَـا
وَكَـانَ أَخِـي جُـوَيْـنٌ ذَا حِـفَـاظٍ ... وَكَـانَ ٱلْـقَـتْـلُ لِـلْـفِـتْـيَـانِ زَيْـنَـا
فَـآبُـوا بِـٱلـرِّمَـاحِ مُـكَـسَّـرَاتٍ ... وَأُبْـنَـا بِـٱلـسُّـيُـوفِ قَـدِ ٱنْـحَـنَـيْـنَـا
فَـبَـاتُـوا بِـٱلـصَّـعِـيـدِ لَـهُـمْ أُحَـاحٌ ... وَلَـوْ خَـفَّـتْ لَـنَـا ٱلْـكَـلْـمَـىٰ سَـرَيْـنَـا

قولُهُ (نحيِّيها وإن كرمُتْ علينا) تحقُّقُ المنافرةِ ؛ بأن يُرادَ بتحيَّتِها

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١/٢٢٩ ـ ٢٣٣)

تحيةُ الوداعِ ، أو تحيةُ الغائبِ ؛ أداءً لواجبِ المَحبَّةِ علىٰ لسانِ رسولٍ مراغمةً للغيرةِ ، أو يُرادَ بكرمِها عليه تعذُّرُها وامتناعُها

وقولُهُ (علىٰ أضماتِنا وقدِ اختوينا) أي علىٰ أشدِّ أحقادِنا وقد أخلينا أجوافَنا ، وكانَتْ تلكَ لهُم عادةً إذا أرادوا الحربَ

وقولُهُ (نركبُ وازعينا) أي لا يطيعُ أحدُ الجيشَينِ وازعَهُ ورئيسَهُ إذا أرادَ أن يَكُفَّهُ عنِ الإقدامِ ، والملأُ في قولِهِ (أحسني ملأً) معناهُ الخُلُقُ ، وبهثةُ ولدُ الزنا ، وهوَ اسمٌ للقبيلةِ هنا

وقالَ المساورُ بنُ هندِ بنِ زهيرٍ [١] [من الكامل]

أَوْدَى ٱلشَّبَابُ فَمَا لَهُ مُتَقَفَّرُ   وَفَقَدْتُ أَتْرَابِي فَأَيْنَ ٱلْمَغْبَرُ
وَأَرَى ٱلْغَوانِي بَعْدَ مَا أَوْجَهْنَنِي   أَعْرَضْنَ ثُمَّتَ قُلْنَ شَيْخٌ أَعْوَرُ
وَرَأَيْنَ رَأْسِي صَارَ وَجْهاً كُلُّهُ   إِلَّا قَفَايَ وَلِحْيَةً مَا تُضْفَرُ
وَرَأَيْنَ شَيْخاً قَدْ تَحَنَّىٰ ظَهْرُهُ   يَمْشِي فَيُقْعِسُ أَوْ يُكِبُّ فَيَعْثُرُ
لَمَّا رَأَيْتُ ٱلنَّاسَ هَرُّوا فِتْنَةً   عَمْيَاءَ تُوقَدُ نَارُهَا وَتُسَعَّرُ
وَتَشَعَّبُوا شُعَباً فَكُلُّ جَزِيرَةٍ   فِيهَا أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرُ
وَلَتَعْلَمَنْ ذُبْيَانُ إِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ   أَنَّا لَنَا ٱلشَّيْخُ ٱلْأَعَزُّ ٱلْأَكْبَرُ
وَلَنَا قَنَاةٌ مِنْ رُدَيْنَةَ صَدْقَةٌ   زَوْرَاءُ حَامِلُهَا كَذَٰلِكَ أَزْوَرُ

اقتفرَ الشيءَ تَتبَّعَهُ ، وقولُهُ : (ولحيةً لا تضفرُ) تَأَسَّفَ علىٰ فقدِ الذوائبِ التي مِنْ شأنِها الضفرُ ، وقولُهُ (يقعسُ) أي يكونُ كالأقعسِ ؛ وهوَ مقابلُ الأحدبِ ، وفي قولِهِ (يُكِبُّ فيعثرُ) قلبٌ ؛ لأمنِ اللبسِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/٥ ـ ٦)

وقالَ عروةُ بنُ الوردِ العبسيُّ (١) [من الطويل]

قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي ٱلْكَنِيفِ تَرَوَّحُوا ... عَشِيَّةَ بِتْنَا عِنْدَ مَاوَانَ رُزَّحِ

تَنَالُوا ٱلْغِنَىٰ أَوْ تَبْلُغُوا بِنُفُوسِكُمْ ... إِلَىٰ مُسْتَرَاحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبَرِّحِ

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِراً ... مِنَ ٱلْمَالِ يَطْرَحْ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ

لِيَبْلُغَ عُذْراً أَوْ يُصِيبَ رُغَيْبَةً ... وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

كانَ عروةُ غائباً ، فلمَّا حضرَ وجدَ قومَهُ قد نهكَهُمُ ٱلْجَدْبُ وهُم رُزَّحٌ قاعدونَ في مُلتفٍّ مِنَ الشجرِ ـ وهوَ الكنيفُ ـ ينتظرونَ الهلاكَ ، فقالَ لهُم تَروَّحوا ، يُحرِّضُهُم على النهوضِ في طلبِ المعيشةِ ، فترتيبُ البيتِ الأوَّلُ قلتُ لقومٍ رُزَّحٍ في الكنيفِ عشيةَ بتنا عندَ ماوانَ تَروَّحوا تنالوا الغنىٰ ، أو تُقتَلوا فتريحوا أنفسَكُم مِنْ حالةٍ تشبهُ الحِمامَ ، لـٰكنَّهُ حِمامٌ مُبرِّحٌ

وقالَ ربيعةُ بنُ مقرومٍ (٢) [من الوافر]

أَخُوكَ أَخُوكَ مَنْ يَدْنُو وَتَرْجُو ... مَوَدَّتَهُ وَإِنْ دُعِيَ ٱسْتَجَابَا

إِذَا حَارَبْتَ حَارَبَ مَنْ تُعَادِي ... وَزَادَ سِلَاحُهُ مِنْكَ ٱقْتِرَابَا

وَكُنْتُ إِذَا قَرِينِي جَاذَبَتْهُ ... حِبَالِي مَاتَ أَوْ تَبِعَ ٱلْجِذَابَا

فَإِنْ أَهْلِكْ فَذِي حَنَقٍ لَظَاهُ ... عَلَيَّ تَكَادُ تَلْتَهِبُ ٱلْتِهَابَا

مَخَضْتُ بِدَلْوِهِ حَتَّىٰ تَحَسَّىٰ ... ذُنُوبَ ٱلشَّرِّ مَلْأَىٰ أَوْ قُرَابَا

بِمِثْلِي فَٱشْهَدِ ٱلنَّجْوَىٰ وَعَالِنْ ... بِيَ ٱلْأَعْدَاءَ وَٱلْقَوْمَ ٱلْغِضَابَا

فَإِنَّ ٱلْمُوعِدِيَّ يَرَوْنَ دُونِي ... أُسُودَ خَفِيَّةَ ٱلْغُلْبَ ٱلرِّقَابَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/٧ ـ ٨)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/٥٣ ـ ٥٥)

كَـأَنَّ عَـلَـىٰ سَـوَاعِـدِهِـنَّ وَرْسـاً ... عَـلَا لَـوْنَ ٱلْأَشَـاجِـعِ أَوْ خِـضَـابَـا

قولُهُ (فذي حَنَقٍ) أي فربَّ ، حذفَها بعدَ الفاءِ ، وهوَ أحدُ مواضعِ حذفِها ، وقولُهُ (الغلبَ الرقابَا) نصبَ معمولَ الصفةِ على التشبيهِ بالمفعولِ بهِ

وقالَ سنانُ بنُ الفحلِ أخو بني أمِّ الكهفِ مِنْ طيِّئٍ[1] [من الوافر]

وَقَـالُـوا قَـدْ جُـنِـنْـتَ فَـقُـلْـتُ كَـلَّا ... وَرَبِّـي مَـا جُـنِـنْـتُ وَمَـا ٱنْـتَـشَـيْـتُ

وَلَـٰكِنِّي ظُـلِـمْـتُ فَـكِـدْتُ أَبْـكِـي ... مِـنَ ٱلـظُّـلْـمِ ٱلْـمُـبَـيَّـنِ أَوْ بَـكَـيْـتُ

فَـإِنَّ ٱلْـمَـاءَ مَـاءُ أَبِـي وَجَـدِّي ... وَبِـئْـرِي ذُو حَـفَـرْتُ وَذُو طَـوَيْـتُ

وَقَـبْـلَـكَ رُبَّ خَـصْـمٍ قَـد تَـمَـالَـوْا ... عَـلَـيَّ فَـمَـا هَـلِـعْـتُ وَلَا دَعَـوْتُ

وَلَـٰكِنِّي نَـصَـبْـتُ لَـهُـمْ جَـبِـيـنِـي ... وَآلَـةَ فَـارِسٍ حَـتَّـىٰ قَـرَيْـتُ

تمالَوا أصلُهُ تمالَؤوا بالهمزِ ، فخُفِّفَ وصارَ مُعتلّاً ، وفي الأبياتِ (ذو) الطائيةُ ، وهيَ بمعنى (التي) ، والشاعرُ مِنْ أهلِ أشهرِ لغاتِ طيِّئٍ في استعمالِ كلمةِ (ذو) الذينَ ينطقونَ بها علىٰ صورةٍ واحدةٍ دائماً

وقالَ إياسُ بنُ مالكٍ الطائيُّ[2] [من الطويل]

سَمَوْنَا إِلَىٰ جَيْشِ ٱلْحَرُورِيِّ بَعْدَمَا ... تَـنَـاذَرَهُ أَعْـرَابُـهُـمْ وَٱلْـمُـهَـاجِـرُ

بِـجَـمْـعٍ تَـظَـلُّ ٱلْأُكْـمُ سَـاجِـدَةً لَـهُ ... وَأَعْلَامُ سَلْمَىٰ وَٱلْهِضَابُ ٱلنَّوَادِرُ

فَلَمَّا ٱدَّرَكْنَاهُمْ وَقَدْ قَلَّصَتْ بِهِمْ ... إِلَى ٱلْحَيِّ خُوصٌ كَٱلْحَنِيِّ ضَوَامِرُ

أَنَـخْـنَـا إِلَـيْـهِـمْ مِـثْـلَـهُـنَّ وَزَادُنَـا ... جِيَادُ ٱلسُّيُوفِ وَٱلرِّمَاحُ ٱلْخَوَاطِرُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/٧٢ ـ ٧٣)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/٧٥ ـ ٧٦)

كِلَا ثَقَلَيْنَا طَامِعٌ بِغَنِيمَةٍ وَقَدْ قَدَّرَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا هُوَ قَادِرُ
فَلَمْ أَرَ يَوْماً كَانَ أَكْثَرَ سَالِباً وَمُسْتَلِباً سِرْبَالَهُ لَا يُنَاكِرُ
وَأَكْثَرُ مِنَّا يَافِعاً يَبْتَغِي ٱلْعُلَا يُضَارِبُ قِرْناً دَارِعاً وَهْو حَاسِرُ
فَمَا كَلَّتِ ٱلأَيْدِي وَلَا ٱنْأَطَرَ ٱلْقَنَا وَلَا عَثَرَتْ مِنَّا ٱلْجُدُودُ ٱلْعَوَاثِرُ

حَرَوْرَىٰ ـ بفتح الراءِ الأُولىٰ ـ : بلدٌ يُنسَبُ لها بعضُ الخوارجِ ، والخوارجُ أهلُ مذهبٍ في الإسلامِ ، أولُهُم جماعةٌ خرجوا علىٰ عليٍّ ومعاويةَ ومَنْ كانَ معَهُم مِنَ المسلمينَ بعدَ ما كانَ مِنْ حربِ صفينَ ، وجرىٰ مِنْ أمرِ تحكيمِ الحكمَينِ ، فقالوا بكفرِ مَنْ حَكَّمَ الحكمَينِ ، وكانوا يَتشدَّدونَ في أحكامِهِم ، وعَظُمَ أمرُهُم ، وشغلوا ملوكَ الإسلامِ بالحربِ مُدَّةً مِنَ الزمانِ ، واشتَهرَ فيهِم كثيرٌ بالشجاعةِ والإقدامِ ، وكانوا يرونَ أنَّهُم هُم أُمَّةُ الإسلامِ ، وأميرُ المؤمنينَ منهُم ، والمذكورُ في الشعرِ جيشٌ مِنْ جيوشِهِم ، وصفَهُ الشاعرُ بالقُوَّةِ والشدةِ ، وأنَّهُ عمَّتْ مخافتُهُ الناسَ ، فكانَ يتناذرُهُ أهلُ الباديةِ وهُمُ الأعرابُ ، والفريقُ المهاجرُ وهُم مَنْ تركَ الباديةَ وسكنَ الأمصارَ

وقولُهُ (بجمعٍ تَظلُّ الأكمُ) أي : جمعٌ كثيفٌ ذو خيلٍ وإبلٍ كثيرةٍ ، بحيثُ إنَّهُ [بثقلِ] وطأتِهِ يُسوِّي مرتفعاتِ الأرضِ ، فمعنىٰ سجودِ الأكمِ هبوطُها وزوالُ ارتفاعِها

وقولُهُ : (كانَ أكثرَ سالباً) أي : مِنْ ذٰلكَ اليومِ ، (ومستلباً سربالَهُ) بنصبِ سربالٍ ، مفعولٌ ثانٍ ، تقولُ استلبتُهُ كذا

وقالَ سعدُ بنُ ناشبٍ[1] [من الطويل]

تُفَنِّدُنِي فِيمَا تَرَىٰ مِنْ شَرَاسَتِي وَشِدَّةِ نَفْسِي أُمُّ سَعْدٍ وَمَا تَدْرِي

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٥/٢)

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ ٱلْكَرِيمَ وَإِنْ حَلَا ... لَيُلْفَىٰ عَلَىٰ حَالٍ أَمَرَّ مِنَ ٱلصَّبْرِ
وَفِي ٱللِّينِ ضَعْفٌ وَٱلشَّرَاسَةُ هَيْبَةٌ ... وَمَنْ لَمْ يُهَبْ يُحْمَلْ عَلَىٰ مَرْكَبٍ وَعْرِ
وَمَا بِي عَلَىٰ مَنْ لَانَ لِي مِنْ فَظَاظَةٍ ... وَلَـٰكِنَّنِي فَظٌّ أَبِيٌّ عَلَى ٱلْقَسْرِ
أُقِيمُ صَغَا ذِي ٱلْمَيْلِ حَتَّىٰ أَرُدَّهُ ... وَأَخْطِمُهُ حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَى ٱلْقَدْرِ
فَإِنْ تَعْذُلِينِي تَعْذُلِي بِي مُرَزَّأً ... كَرِيمَ نَثَا ٱلْإِعْسَارِ مُشْتَرَكَ ٱلْيُسْرِ
إِذَا هَمَّ أَلْقَىٰ بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ... وَصَمَّمَ تَصْمِيمَ ٱلسُّرَيْجِيِّ ذِي ٱلْأُثْرِ

وقالَتْ عاتكةُ بنتُ عبدِ المطلبِ (١) [من مجزوء الكامل]

سَائِلْ بِنَا فِي قَوْمِنَا ... وَلْيَكْفِ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهْ
قَيْساً وَمَا جَمَعُوا لَنَا ... فِي مَجْمَعٍ بَاقٍ شَنَاعُهْ
فِيهِ ٱلسَّنَوَّرُ وَٱلْقَنَا ... وَٱلْكَبْشُ مُلْتَمِعٌ قِنَاعُهْ
بِعُكَاظَ يُعْشِي ٱلنَّاظِرِينَ ... إِذَا هُمُ لَمَحُوا شُعَاعُهْ
فِيهِ قَتَلْنَا مَالِكاً ... قَسْراً وَأَسْلَمَهُ رَعَاعُهْ
وَمُجَدَّلاً غَادَرْنَهُ ... بِٱلْقَاعِ تَنْهَسُهُ ضِبَاعُهْ

السَّنَوَّرُ يُرادُ بِهِ الدروعُ ، ويُرادُ بِهِ السلاحُ كلُّهُ

وقالَ أميةُ بنُ أبي الصَّلتِ يشتكي مِنْ ولدِهِ (٢) [من الطويل]

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً وَعُلْتُكَ يَافِعاً ... تُعَلُّ بِمَا أُدْنِي إِلَيْكَ وَتَنْهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِٱلشَّكْوِ لَمْ أَبِتْ ... لِشَكْوَاكَ إِلَّا سَاهِراً أَتَمَلْمَلُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٣٠ ـ ١٣١)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٣٣)

كَأَنِّي أَنَا ٱلْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِٱلَّذِي طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِيَ تَهْمُلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ ٱلسِّنَّ وَٱلْغَايَةَ ٱلَّتِي إِلَيْهَا مَدَىٰ مَا كُنْتُ فِيكَ أُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهاً وَغِلْظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ ٱلْمُنْعِمُ ٱلْمُتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي فَعَلْتَ كَمَا ٱلْجَارُ ٱلْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
وَسَمَّيْتَنِي بِٱسْمِ ٱلْمُفَنَّدِ رَأْيُهُ وَفِي رَأْيِكَ ٱلتَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ
تَرَاهُ مُعِدّاً لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ بِرَدٍّ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلصَّوَابِ مُوَكَّلُ

وقالَتِ امرأةٌ في مثلِ هٰذا المعنىٰ[1] [من البسيط]

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ ٱلْفَرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ ٱلطَّعَامِ تَرَىٰ فِي جِلْدِهِ زَغَبَا
حَتَّىٰ إِذَا آضَ كَٱلْفُحَّالِ شَذَّ بِهِ أَبَّارُهُ وَنَفَىٰ عَنْ مَتْنِهِ ٱلْكَرَبَا
أَنْشَا يُمَزِّقُ أَثْوَابِي يُؤَدِّبُنِي أَبَعْدَ شَيْبِيَ عِنْدِي يَبْتَغِي ٱلْأَدَبَا
إِنِّي لَأُبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لِمَّتِهِ وَخَطِّ لِحْيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبَا
قَالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْماً لِتُسْمِعَنِي مَهْلاً فَإِنَّ لَنَا فِي أُمِّنَا أَرَبَا
وَلَوْ رَأَتْنِيَ فِي نَارٍ مُسَعَّرَةٍ ثُمَّ ٱسْتَطَاعَتْ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطَبَا

أعظَمُهُ أمُّ الطعامِ ؛ أي أكثرُهُ حوصلتُهُ ، وأمُّ الطعامِ مِنَ الآدميِّ : المَعِدةُ ، وأبْرُ النخلِ تلقيحُ إناثِها مِنْ ذكورِها ، والأبَّارُ فاعلُ ذٰلكَ ، فإضافتُهُ إلى الفُحَّالِ ـ وهوَ ذكرُ النخلِ ـ لأدنىٰ ملابسةٍ ؛ كالإضافةِ في قولِهِ تعالىٰ ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ﴾[2] ، والكربُ أصولُ السعفِ

انتهىٰ ما أردتُ إيرادَهُ مِنْ بابِ الحماسةِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٣٤)
(٢) سورة العنكبوت (٥)

[نبذةٌ من أشعارِ الرثاءِ من « ديوانِ الحماسةِ »]

وهٰذه جملةٌ مِنْ بابِ الرثاءِ ؛ وهوَ ذكرُ محاسنِ الميتِ والبكاءُ عليهِ ، والتحسُّرُ علىٰ فقدِهِ ؛ يُقالُ رثيتُهُ ورثوتُهُ ، والمَرْثِيَةُ الكلامُ الذي يكونُ بِهِ الرثاءُ

قالَ أبو خِراشٍ الهذليُّ وقد سافرَ أخوهُ وابنُهُ ، فأُسِرا ، وقُتِلَ أخوهُ ، وألقىٰ رجلٌ رداءَ على ابنِهِ واجتهدَ في إطلاقِهِ وتخليصِهِ ممَّنْ أرادوا قتلَهُ[1] [من الطويل]

حَمِدْتُ إِلَـٰهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا ... خِرَاشٌ وَبَعْضُ ٱلشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

فَوَٱللهِ مَا أَنْسَىٰ قَتِيلاً رُزِئْتُهُ ... بِجَانِبِ قُوسَىٰ مَا مَشَيْتُ عَلَى ٱلْأَرْضِ

عَلَىٰ أَنَّهَا تَعْفُو ٱلْكُلُومُ وَإِنَّمَا ... نُوَكَّلُ بِٱلْأَدْنَىٰ وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَىٰ عَلَيْهِ رِدَاءَهُ ... عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ

وَلَمْ يَكُ مَثْلُوجَ ٱلْفُؤَادِ مُهَبَّجَا ... أَضَاعَ ٱلشَّبَابَ فِي ٱلرَّبِيلَةِ وَٱلْخَفْضِ

وَلَـٰكِنَّهُ قَدْ لَوَّحَتْهُ مَخَامِصٌ ... عَلَىٰ أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ ٱلنَّهْضِ

وقد قيلَ إنَّ الذي ألقىٰ عليهِ الرداءَ هوَ عروةُ ، وقد وجدَهُ ملقيهِ مكشوفَ العورةِ ، وهٰذا القولُ أوفقُ لسياقِ الكلامِ ، والرَّبيلةُ : تُطلَقُ على السِّمَنِ والنعمةِ ، فإذا أُريدَ السِّمنُ . فهوَ علىٰ حذفِ مضافٍ ؛ أي : في تحصيلِ الربيلةِ ، وكانوا يَتمدَّحونَ بقِلَّةِ الطعامِ والشرابِ ؛ إمَّا لكثرةِ الاشتغالِ بالمُهِمَّاتِ ، وإمَّا لإيثارِ الغيرِ ، وقالَ عبدةُ بنُ الطبيبِ[2] [من الطويل]

عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ ... وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٤٣ ـ ١٤٥)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٤٥ ـ ١٤٦)

تَحِيَّةَ مَنْ غَادَرْتَهُ غَرَضَ ٱلرَّدَىٰ ... إِذَا زَادَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَّمَا
فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ ... وَلَٰكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

وقالَ هشامُ بنُ عقبةَ العدويُّ أخو ذي الرّمةِ يرثي أوفى بنَ دلهمٍ (١) [من الطويل]

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَىٰ بِغَيْلَانَ بَعْدَهُ ... عَزَاءً وَجَفْنُ ٱلْعَيْنِ مَلْآنُ مُتْرَعُ
نَعَى ٱلرَّكْبُ أَوْفَىٰ حِينَ آبَتْ رِكَابُهُمْ ... لَعَمْرِي لَقَدْ جَاؤُوا بِشَرٍّ فَأَوْجَعُوا
نَعَوْا بَاسِقَ ٱلْأَفْعَالِ لَا يَخْلُفُونَهُ ... تَكَادُ ٱلْجِبَالُ ٱلصُّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ
خَوَى ٱلْمَسْجِدُ ٱلْمَعْمُورُ بَعْدَ ٱبْنِ دَلْهَمٍ ... وَأَمْسَىٰ بِأَوْفَىٰ قَوْمُهُ قَدْ تَضَعْضَعُوا
فَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى ٱلْمُصِيبَاتُ بَعْدَهُ ... وَلَٰكِنَّ نَكْءَ ٱلْقَرْحِ بِٱلْقَرْحِ أَوْجَعُ

وقالَ مُتمِّمُ بنُ نُويرةَ يرثي أخاه مالكاً ، وكانا أسلما ، وهاجرَ مُتمِّمٌ إلى المدينةِ ، وبقيَ مالكٌ في الباديةِ ، وكانَ عريفَ قومٍ ؛ أي نقيبَهُم والمُتكلِّمَ عنهُم ، فلمَّا قُبِض النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ارتدَّ كثيرٌ مِنَ العربِ ، ومنهُم مالكٌ هٰذا ، وكانَتْ إبلُ الصدقةِ مجموعةً في موضعٍ يُقالُ لهُ رحرحانُ ، لم تصلْ بعدُ إلى المدينةِ ، فأغارَ عليها مالكٌ ، ونهبَ منها ثلاثَ مئةٍ ، فلامَهُ على ذٰلكَ الأقرعُ بنُ حابسٍ وضرارُ بنُ القعقعِ ، ومشيا بهِ في بني تميمٍ يُحرِّضانِهم عليهِ ليردُّوهُ عن منكرٍ فعلَهُ ، فقالَ في ذٰلكَ (٢) [من الوافر]

أَرَانِي ٱللهُ بِٱلنَّعَمِ ٱلْمُنَدَّىٰ ... بِبُرْقَةِ رَحْرَحَانَ وَقَدْ أَرَانِي
أَإِنْ قَرَّتْ عُيُونٌ [وَٱسْتُفِيئَتْ] ... غَنَائِمُ قَدْ تَجُودُ بِهَا بَنَانِي

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٤٧)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٤٩) ، وستأتي الأبيات المراد إثباتها

حَوَيْتُ جَمِيعَهَا وَٱلسَّيْفُ صَلْتٌ ... وَلَمْ تَرْعُدْ يَدَايَ وَلَا جَنَانِي

تَمَشَّىٰ يَا بْنَ عَوْذَةَ فِي تَمِيمٍ ... وَصَاحِبُكَ ٱلْأُقَيْرِعُ تَلْحَيَانِي

أَلَمْ أَكُ نَارَ رَابِيَةٍ تَلَظَّىٰ ... فَتَتَّقِيَا أَذَايَ وَتَرْهَبَانِي

فَقُلْ لِٱبْنِ ٱلْمُذِبِّ يَغُضُّ طَرْفاً ... عَلَىٰ قَطْعِ ٱلْمَذَلَّةِ وَٱلْهَوَانِ

النَّعم المندىٰ هيَ الإبلُ تُسقىٰ قليلاً ثم تُراحُ ناحيةً ، ثم تُوردُ الماءَ لتحصيلِ تمامِ الريِّ ، يظهرُ غيظَهُ وشماتتَهُ باجتماعِ إبلِ [الصدقةِ] ، وكانوا يرونَ ذٰلكَ نهباً لأموالِهِم

وقولُهُ (تَمشَّىٰ) أي تَتمشَّىٰ وهوَ معلولٌ

قولُهُ (أإنْ قَرَّتْ عيونٌ) ، وقولُهُ : (يا بن عوذةَ) ناداهُ باسمِ أُمِّهِ تحقيراً ، وعوذةُ أمُّ ضرارٍ ، ومذبةُ أُمُّ الأقرعِ

فلمَّا قامَ أبو بكرٍ بالأمرِ بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ . بعثَ جيشاً رئيسُهُ خالدُ بنُ الوليدِ لقتالِ أهلِ الردَّةِ ، وأوصاهُ بقتلِ مالكٍ هٰذا ، فلمَّا قُتِلَ أكثرَ مِنْ رثائِهِ والبكاءِ عليهِ أخوهُ مُتمِّمٌ

يُروىٰ أنَّ أميرَ المؤمنينَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ لمُتمِّمٍ يوماً لو رُثِيَ أخي زيدٌ بمثلِ ما رَثيتَ بهِ أخاكَ ، فقالَ مُتمِّمٌ لهُ لو علمتُ أنَّ أخي صارَ لِمَا صارَ إليهِ أخوكَ ما رثيتُهُ ؛ يعني لو علمَ موتَهُ على الإسلامِ ، فقالَ عمرُ ما عزَّاني أحدٌ بمثلِ ما عزَّاني بهِ مُتمِّمٌ (١)

والأبياتُ المُرادُ إثباتُها مِنْ رثاءِ مُتمِّمٍ قولُهُ (٢) [من الطويل]

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ ٱلْقُبُورِ عَلَى ٱلْبُكَا ... رَفِيقِي لِتَذْرَافِ ٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَافِكِ

---

(١) تقدم (١/٣٧٨)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٤٨)

فَـقَـالَ أَتَـبْـكِـي كُـلَّ قَـبْـرٍ رَأَيْـتَـهُ لِقَبْرٍ ثَوَىٰ بَيْـنَ ٱللِّوَىٰ فَـٱلدَّكَـادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ ٱلشَّجَا يَبْعَثُ ٱلشَّجَا فَـدَعْـنِـي فَـهَـٰذَا كُـلُّـهُ قَـبْـرُ مَـالِـكِ

ولابنِ نباتةَ المصريِّ قصيدةٌ يرثي فيها ملكاً ويُهنِّئُ ابنَهُ بالجلوسِ مكانَهُ ، مطلعُها (١) [من الطويل]

هَـنَـاءٌ مَـحَـا ذَاكَ ٱلْـعَـزَاءَ ٱلْـمُـقَـدَّمَـا فَـمَا عَبَـسَ ٱلْمَحْزُونُ حَتَّىٰ تَبَسَّـمَا
ثُـغُـورُ ٱبْـتِـسَـامٍ فِـي ثُـغُـورِ مَـدَامِـعٍ شَبِيهَانِ لَا يَمْتَازُ ذُو ٱلسَّبْقِ مِنْهُمَا

يقولُ فيها تلميحاً بمالكٍ ومُتمِّمٍ ابنَيْ نويرةَ [من الطويل]

فَـقَـدْنَـا لِأَعْـنَـاقِ ٱلْـبَـرِيَّـةِ مَـالِـكـاً وَشِـمْـنَـا لِأَفْـعَـالِ ٱلْـجَـمِـيـلِ مُـتَـمِّـمَـا

وسنوردُها بعدُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ

وقالَ رجلٌ مِنْ خثعمٍ (٢) [من الكامل]

نَـهِـلَ ٱلـزَّمَـانُ وَعَـلَّ غَـيْـرَ مُـصَـرَّدِ مِـنْ آلِ عَـتَّـابٍ وَآلِ ٱلْأَسْـوَدِ
مِـنْ كُـلِّ فَـيَّـاضِ ٱلْـيَـدَيْـنِ إِذَا غَـدَتْ نَـكْـبَـاءُ تُـلْـوِي بِـٱلْـكَـنِـيـفِ ٱلْـمُـؤْصَـدِ
فَـٱلْـيَـوْمَ [أَضْـحَـوْا] لِـلْـمَـنُـونِ وَسِـيـقَـةً مِـنْ رَائِـحٍ عَـجِـلٍ وَآخَـرَ مُـغْـتَـدِي
خَـلَـتِ ٱلـدِّيَـارُ فَـسُـدْتُ غَـيْـرَ مُـسَـوَّدِ وَمِـنَ ٱلـشَّـقَـاءِ تَـفَـرُّدِي بِـٱلـسُّـؤْدَدِ

النكباءُ واحدةُ النُّكْبِ ؛ وهيَ الرياحُ الخارجةُ بينَ المَهابِّ الأصليةِ ؛ وهيَ مَهَبُّ الصَّبا للشرقِ ، ومَهَبُّ الشَّمالِ ، ومَهَبُّ الجَنوبِ ، ومَهَبُّ الدَّبورِ

وإذا توالَتِ النُّكْبُ كانَ الجدبُ ، والكنيفُ المُؤصَدُ الحظيرةُ مِنَ

---

(١) انظر « ديوان ابن نباتة المصري » (ص ٤٢٩)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٥٤)

الشجرِ التي جُعِلَ لها إصادٌ ؛ أي باب وعتبةٌ ؛ اعتناءً بها ، ومحافظةً عليها ، وألوَتْ بها أفسدَتْها ، وجودُ الجوادِ أظهرُ ما يكونُ في الجدبِ

وقالَ محمدُ بنُ بشيرٍ الخارجيُّ ؛ نسبةً إلىٰ خارجةَ[1] [من الكامل]

نِعْمَ ٱلْفَتَىٰ فَجَعَتْ بِهِ إِخْوَانَهُ ... يَوْمَ ٱلْبَقِيعِ حَوَادِثُ ٱلْأَيَّامِ

سَهْلُ ٱلْفِنَاءِ إِذَا حَلَلْتَ بِبَابِهِ ... طَلْقُ ٱلْيَدَيْنِ مُؤَدِّبُ ٱلْخُدَّامِ

وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ ... لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا ذَوُو ٱلْأَرْحَامِ

أرادَ بالصَّديقِ والشَّقيقِ الجنسَ ؛ أي أصدقاءَهُ وأشقاءَهُ ، ولذٰلكَ قالَ أيُّهُما ذوو الأرحامِ

وقالَ دريدُ بنُ الصِّمةِ يرثي أخاهُ ـ ودريدٌ هٰذا مِنْ فرسانِ العربِ المعدودينَ ، وقُتِلَ في غزوةِ حنينٍ معَ المشركينَ ، وكانوا أخرجوهُ معَهُم شيخاً فانياً ليستضيئوا برأيِهِ[2] ـ : [من الطويل]

نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ ... وَرَهْطِ بَنِي ٱلسَّوْدَاءِ وَٱلْقَوْمُ شُهَّدِي

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ ... سَرَاتُهُمُ فِي ٱلْفَارِسِيِّ ٱلْمُسَرَّدِ

فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَىٰ ... غَوَايَتَهُمْ وَأَنَّنِي غَيْرُ مُهْتَدِي

أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ ٱللِّوَىٰ ... فَلَمْ يَسْتَبِينُوا ٱلرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى ٱلْغَدِ

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ ... غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرْدَتِ ٱلْخَيْلُ فَارِساً ... فَقُلْتُ أَعَبْدُ ٱللهِ ذَٰلِكُمُ ٱلرَّدِي

فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَٱلرِّمَاحُ تَنُوشُهُ ... كَوَقْعِ ٱلصَّيَاصِي فِي ٱلنَّسِيجِ ٱلْمُمَدَّدِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٥٥)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٥٦ ـ ١٥٩) .

وَكُنْتُ كَذَاتِ ٱلْبَوِ رِيعَتْ فَأَقْبَلَتْ ... إِلَىٰ جَلَدٍ مِنْ مَسْكِ سَقْبٍ مُقَدَّدِ
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّىٰ تَنَفَّسَتْ ... وَحَتَّىٰ عَلَانِي حَالِكُ ٱللَّوْنِ أَسْوَدِي
قِتَالَ ٱمْرِئٍ آسَىٰ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ... وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللهِ خَلَّىٰ مَكَانَهُ ... فَمَا كَانَ وَقَّافاً وَلَا طَائِشَ ٱلْيَدِ
كَمِيشُ ٱلْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ ... بَعِيدٌ مِنَ ٱلْآفَاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ
قَلِيلُ ٱلتَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ ... مِنَ ٱلْيَوْمِ أَعْقَابَ ٱلْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
تَرَاهُ خَمِيصَ ٱلْبَطْنِ وَٱلزَّادُ حَاضِرٌ ... عَتِيدٌ وَيَغْدُو فِي ٱلْقَمِيصِ ٱلْمُقَدَّدِ
وَإِنْ مَسَّهُ ٱلْإِقْوَاءُ وَٱلْجَهْدُ زَادَهُ ... سَمَاحاً وَإِتْلَافاً لِمَا كَانَ فِي ٱلْيَدِ
صَبَا مَا صَبَا حَتَّىٰ عَلَا ٱلشَّيْبُ رَأْسَهُ ... فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ٱبْعَدِ
وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ ... كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

قولُهُ (مُدجَّجٍ) علىٰ صيغةِ اسمِ الفاعلِ أوِ اسمِ المفعولِ تامُّ السلاحِ ، وذاتُ البوِ هيَ الناقةُ يموتُ ولدُها ، فيُحشىٰ جلدُهُ علىٰ صورةِ ولدِها لترأَمَهُ ؛ أي تَشمَّهُ وتعطفَ عليهِ ؛ تخيُّلاً أنَّهُ ابنُها ، فتدرُ لتحلبَ ، ومَسْكُ الحيوانِ جِلْدُهُ ، بفتحٍ فسكونٍ ، والسَّقبُ : ولدُ الناقةِ الصغيرُ ، والصَّياصي جمعُ صِيصاةٍ بكسرٍ فسكونٍ ؛ شوكةٌ للحائكِ يسوي بهِ اللحمةَ والسُّدَىٰ مِنْ منسوجِهِ ، وقالَ تأبَّطَ شرّاً كما روىٰ أبو تمامٍ ، ولٰكنْ قيلَ إنَّ الشعرَ لخلفٍ الأحمرِ ، واستدلُّوا علىٰ ذٰلكَ بأنَّهُ قد ذُكِرَ فيهِ سَلْعٌ ؛ وهوَ بالمدينةِ ، وتأبَّطَ شرّاً كانَ في بلادٍ بعيدةٍ عنها ، وبها انتهتْ حياتُهُ ، وكيفَما كانَ فالشعرُ جيدٌ [1] [من المديد]

إِنَّ بِٱلشِّعْبِ ٱلَّذِي دُونَ سَلْعٍ ... لَقَتِيلاً دَمُهُ مَا يُطَلُّ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٦١ ـ ١٦٤)

خَلَّفَ ٱلْعِبْءَ عَلَيَّ وَوَلَّىٰ   أَنَا بِٱلْعِبْءِ لَهُ مُسْتَقِلُّ
وَوَرَاءَ ٱلثَّأْرِ مِنِّي ٱبْنُ أُخْتٍ   مَصِعٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ
مُطْرِقٌ يَرْشَحُ سَمّاً كَمَا أَطْـ   ـرَقَ أَفْعىً يَنْفِثُ ٱلسُّمَّ صِلُّ
خَبَرٌ مَا نَابَنَا مُصْمَئِلٌّ   جَلَّ حَتَّىٰ دَقَّ فِيهِ ٱلْأَجَلُّ
بَزَّنِي ٱلدَّهْرُ وَكَانَ غَشُوماً   بِأَبِيٍّ جَارُهُ مَا يُذَلُّ
شَامِسٌ فِي ٱلْقُرِّ حَتَّىٰ إِذَا مَا   ذَكَتِ ٱلشِّعْرَىٰ فَبَرْدٌ وَظِلُّ
يَابِسُ ٱلْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ   وَنَدِي ٱلْكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ
ظَاعِنٌ بِٱلْحَزْمِ حَتَّىٰ إِذَا مَا   حَلَّ حَلَّ ٱلْحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ
غَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدِي   وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْثٌ أَبَلُّ
مُسْبِلٌ فِي ٱلْحَيِّ أَحْوَىٰ رِفَلٌّ   وَإِذَا يَغْزُو فَسِمْعٌ أَزَلُّ
وَلَهُ طَعْمَانِ أَرْيٌ وَشَرْيٌ   وَكِلَا ٱلطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ
يَرْكَبُ ٱلْهَوْلَ وَحِيداً وَلَا يَصْـ   ـحَبُهُ إِلَّا ٱلْيَمَانِيُّ ٱلْأَفَلُّ
وَفُتُوٍّ هَجَّرُوا ثُمَّ أَسْرَوْا   لَيْلَهُمْ حَتَّىٰ إِذَا ٱنْجَابَ حَلُّوا
كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّىٰ بِمَاضٍ   كَسَنَا ٱلْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ
فَٱدَّرَكْنَا ٱلثَّأْرَ مِنْهُمْ وَلَمَّا   يَنْجُ مِلْحَيَّيْنِ إِلَّا ٱلْأَقَلُّ
فَٱحْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَّا   هَوَّمُوا رُعْتُهُمْ فَٱشْمَعَلُّوا
فَلَئِنْ فَلَّتْ هُذَيْلٌ شَبَاهُ   لَبِمَا كَانَ هُذَيْلاً يَفُلُّ
وَبِمَا أَبْرَكَهَا فِي مَنَاخٍ   جَعْجَعٍ يَنْقَبُ فِيهِ ٱلْأَظَلُّ

وَبِـمَـا صَـبَّـحَـهَـا فِـي ذَرَاهَـا … مِـنْـهُ بَـعْـدَ ٱلْـقَـتْـلِ نَـهْـبٌ وَشَـلُّ

صَـلِـيَـتْ مِـنِّـي هُـذَيْـلٌ بِـخِـرْقٍ … لَا يَـمَـلُّ ٱلـشَّـرَّ حَـتَّـىٰ يَـمَـلُّـوا

يُـنْـهِـلُ ٱلـصَّـعْـدَةَ حَـتَّـىٰ إِذَا مَـا … نَـهِـلَـتْ كَـانَ لَـهَـا مِـنْـهُ عَـلُّ

حَـلَّـتِ ٱلْـخَـمْـرُ وَكَـانَـتْ حَـرَاماً … وَبِـلَأْيٍ مَـا أَلَـمَّـتْ تَـحِـلُّ

فَـٱسْـقِـنِـيـهَـا يَـا سَـوَادَ بْـنَ عَـمْـرٍو … إِنَّ جِـسْـمِـي بَـعْـدَ خَـالِـي لَـخَـلُّ

تَـضْـحَـكُ ٱلـضَّـبْـعُ لِـقَـتْـلَـىٰ هُـذَيْـلٍ … وَتَـرَى ٱلـذِّئْـبَ لَـهَـا يَـسْـتَـهِـلُّ

وَعِـتَـاقُ ٱلـطَّـيْـرِ تَـغْـدُو بِـطَـانـاً … تَـتَـخَـطَّـاهُـمْ فَـمَـا تَـسْـتَـقِـلُّ

طُلَّ دمُ القتيلِ أُهدِرَ ولم يُؤخَذْ بثأرِهِ ، والمصْعُ الشديدُ القتالِ ، والمصمئلُّ الشديدُ ، وقولُهُ (بَزَّنِي الدهرُ بأبي) بزَّ معناهُ سلبَ ، يتعدَّىٰ بنفسِهِ ، يُقالُ بَزَّني كذا ، ولـٰكنْ في (بزَّ) هنا معنىٰ (فجعَ) ، فالباءُ لأجلِهِ ، وهوَ التضمينُ ، وليثٌ أبلُّ ؛ أي ماضٍ علىٰ وجهِهِ ، لا يبالي ما لقيَ ، ورِفَلٌّ ـ بكسرٍ ففتحٍ ـ أي طويلُ الشعرِ أوِ الذنبِ ، الأَرْيُ والشَّرْيُ العسلُ وشجرٌ مرٌّ ، مناخٌ جعجعٌ ؛ أي غليظٌ وعرٌ ، والأظلُّ باطنُ الخفِّ ، وينقب يصيبُهُ النقبُ ؛ أي يتخدَّشُ

وقالَ الحارثُ بنُ زيدِ الخيلِ (١) [من الطويل]

أَلَا بَـكَـرَ ٱلـنَّـاعِـي بِـأَوْسِ بْـنِ خَـالِـدٍ … أَخِي ٱلشَّتْوَةِ ٱلْغَبْرَاءِ وَٱلزَّمَنِ ٱلْمَحْلِ

فَإِنْ يَقْتُلُوا بِـٱلْـغَـدْرِ أَوْسـاً فَـإِنَّـنِـي … تَـرَكْـتُ أَبَـا سُـفْـيَـانَ مُـلْـتَـزِمَ ٱلرَّحْـلِ

فَـلَا تَـجْـزَعِـي يَـا أُمَّ أَوْسٍ فَـإِنَّـهُ … تُصِيبُ ٱلْمَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَعْلِ

قَـتَـلْـنَـا بِـقَـتْـلَانَـا مِـنَ ٱلْـقَـوْمِ عُـصْـبَـةً … كِرَاماً وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِمْ حَشَفَ ٱلنَّخْلِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/١٦٦ ـ ١٦٧)

وَلَوْلَا ٱلْأَسَىٰ مَا عِشْتُ فِي ٱلنَّاسِ سَاعَةً وَلَـٰكِنْ إِذَا مَا شِئْتُ جَاوَبَنِي مِثْلِي

قالَ أبو رياشٍ كانَ سببُ هـٰذهِ الأبياتِ أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ بعثَ رجلاً يكنىٰ أبا سفيانَ ـ ليسَ بالهاشميِّ ولا الأمويِّ ـ إلى الباديةِ يستقرئُهُم ، فمَنْ لم يقرأْ شيئاً ضربَهُ ، فانتهىٰ إلىٰ بني نبهانَ ، فاستقرأَ أوسَ بنَ خالدِ بنِ عمرٍو ابنَ عمٍّ لزيدِ الخيلِ ، فلم يقرأْ شيئاً ، فضربَهُ ، فماتَ مِنْ ضربِهِ ، فقامَتْ أُمُّ أوسٍ تندبُهُ ، فأقبلَ حريثُ بنُ زيدِ الخيلِ حتىٰ دخلَ علىٰ أبي سفيانَ فقتلَهُ وأصحابَهُ ، وقالَ هـٰذهِ الأبياتَ

وقالَتْ قُتيلةُ ـ سُمِّيَت بمُصغَّرِ قَتْلةٍ ـ بنتُ النضرِ بنِ الحارثِ بنِ كلدةَ بنِ علقمةَ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ ، وكانَ النضرُ مِنْ أشدِّ أهلِ مكَّةَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فكانَ يشتري كتبَ القصصِ بينَ فارسَ والرومِ ويقولُ إن كانَ محمدٌ يقصُّ على الناسِ أخبارَ عادٍ وثمودَ فأنا أقصُّ عليكُم أخبارَ فارسَ والرومِ ، يريدُ بهـٰذا معارضةَ القرآنِ ، وإبطالَ الرسالةِ ، وفيهِ نزلَ قولُهُ تعالىٰ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ . ﴾ الآيةَ (١)

فلمَّا أُسِرَ ببدرٍ أمرَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بقتلِهِ صبراً ، والقتلُ صبراً أن يُحبَسَ مكتوفاً ويُرمىٰ حتىٰ يموتَ ، ولمَّا أنشدَتْ قتيلةُ الأبياتَ ، وبلغَتِ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ رَقَّ لها وقالَ « لَوْ بَلَغَتْنِي قَبْلَ قَتْلِهِ لَعَفَوْتُ عَنْهُ » ، وقالَ « لَا تُقْتَلُ قُرَيْشٌ صَبْراً بَعْدَ هَـٰذَا ٱلْيَوْمِ » (٢) [من الكامل]

يَـا رَاكِـبـاً إِنَّ ٱلْأُثَـيْـلَ مَـظِـنَّـةٌ مِـنْ صُبْـحِ خَـامِسَـةٍ وَأَنْـتَ مُـوَفَّـقُ

بَـلِّـغْ بِـهِ مَـيْـتـاً فَـإِنَّ تَـحِـيَّـةً مَـا إِنْ تَـزَالُ بِـهَـا ٱلرَّكَـائِـبُ تَـخْـفِـقُ

مِـنِّـي إِلَـيْـهِ وَعَـبْـرَةً مَـسْـفُـوحَـةً جَـادَتْ لِـمَـائِـحِـهَـا وَأُخْـرَىٰ تَـخْـنُـقُ

(١) سورة لقمان (٦)

(٢) انظر « الروض الأنف » (٥/٢٦٨) ، و« شرح ديوان الحماسة » (٣/١٣ ـ ١٥)

فَلَيَسْمَعَنَّ ٱلنَّضْرُ إِنْ نَادَيْتَهُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ أَوْ يَنْطِقُ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ لِلّٰهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ
أَمُحَمَّدٌ وَلَأَنْتَ ضَنْءُ نَجِيبَةٍ مِنْ قَوْمِهَا وَٱلْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا مَنَّ ٱلْفَتَىٰ وَهُوَ ٱلْمَغِيظُ ٱلْمُحْنَقُ
وَٱلنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبْتَ وَسِيلَةً وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ

الضَّنْءُ بفتحِ أوَّلِهِ الفرعُ ، وبكسرِهِ الأصلُ ، وقولُها (وأحقُّهم إن كانَ عتقٌ يُعتَقُ) أي بأن يُعتَقَ ، حُذِفَ الخافضُ وأن ، فارتفعَ الفعلُ ، وكانَ تامَّةٌ

وقالَ ابنُ عنمةَ الضَّبيُّ في مقتلِ بسطامَ بنِ قيسٍ ، قتلَهُ عاصمُ بنُ خليفةَ ، وكانَ ابنُ عنمةَ مجاوراً في بني شيبانَ ، فخافَ على نفسِهِ لمَّا قُتِلَ بسطامُ ، فرثاهُ يستميلُ بذٰلكَ بني شيبانَ ، وهوَ مِنْ بني السيدِ بنِ مالكِ بنِ بكرِ بنِ سعدِ بنِ ضبةَ (١) [من الوافر]

لِأُمِّ ٱلْأَرْضِ وَيْلٌ مَا أَجَنَّتْ بِحَيْثُ أَضَرَّ بِٱلْحَسَنِ ٱلسَّبِيلُ
نُقَسِّمُ مَالَهُ فِينَا وَنَدْعُو أَبَا ٱلصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ ٱلْأَصِيلُ
أَجِدَّكَ لَا تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ تَخُبُّ بِهِ عُذَافِرَةٌ ذَمُولُ
حَقِيبَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَسَرْجٌ تُعَارِضُهَا مُرَبَّبَةٌ دَؤُولُ
إِلَىٰ مِيعَادِ أَرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ تُضَمَّرُ فِي جَوَانِبِهِ ٱلْخُيُولُ
لَكَ ٱلْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَٱلصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَٱلنَّشِيطَةُ وَٱلْفُضُولُ
أَفَاتَتْهُ بَنُو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَلَا يُوفِي بِبِسْطَامٍ قَتِيلُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٣٥ ـ ٣٧)

وَخَــرَّ عَــلَى ٱلْأَلَاءَةِ لَــمْ يُــوَسَّــدْ   كَــأَنَّ جَـبِـيـنَـهُ سَـيْـفٌ صَـقِـيـلُ

الحسنُ في الأبياتِ : اسمُ جبلٍ ، وأمامَهُ هضبةٌ يُقالُ لها : حسينٌ ، ويقولونَ الحسنانِ في التثنيةِ ، **وحقيبةُ الرحلِ** وعاءٌ خلفَ الراكبِ كالخرجِ ، **والبدنُ** الدرعُ القصيرةُ ، **والمربَبةُ** الدؤولُ ؛ أيِ المتقاربةُ العدْوِ ؛ عبارةٌ عنِ الفرسِ ؛ فإنَّهُم كانوا يركبونَ الإبلَ في سفرِهِم للغزوِ ، ويُجنِّبونَ الخيلَ ليركبوها في الحربِ ، **والمِرباعُ** الرُّبُعُ ؛ كالمِعشارِ العشرُ ، ولا يُستعمَلُ غيرُهُما ، كانَ رئيسُ الجيشِ يأخذُ رُبُعَ الغنيمةِ ، ثمَّ يقسمُ ، **والصَّفايا** جمعُ صفيةٍ ، كانَ للرئيسِ أن يصطفيَ ما شاءَ ؛ كسيفٍ أو فرسٍ ، وكانَ مِنْ عادتِهِم عندَ افتتاحِ الحربِ أن يبادرَ فارسٌ فارساً ، فإذا قتلَهُ . فالحكمُ في سَلَبِهِ للرئيسِ ؛ إمَّا أن يُنفِّلَهُ القاتلَ ، وإمَّا أنْ يَردَّهُ للمغنمِ ، **والنشيطةُ** ما يصيبونَهُ قبلَ الوصولِ إلى المَقصِدِ ، وهيَ للرئيسِ ، **والفضولُ** أشياءُ كانَتْ تبقىٰ بعدَ القسمةِ فيأخذُها ، وكانَ لهُمُ **النقيعةُ** ؛ وهيَ جملٌ يذبحُهُ الرئيسُ قبلَ القسمةِ يطعمُهُ الناسَ

بقيَ مِنْ ذٰلكَ في الإسلامِ الصَّفايا ؛ فقدِ استصفى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يومَ بدرٍ ذا الفقارِ سيفَ منبهِ بنِ الحجَّاجِ ، وجويريةَ بنتَ الحارثِ في المصطلقِ ، وجعلَ صداقَها عتقَها ، وصفيةَ بنتَ حييٍّ مِنْ خيبرَ كذٰلكَ ، وأُبدِلَ الرُّبُعُ بالخُمُسِ ؛ للمذكورينَ في قولِهِ تعالىٰ ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم . ﴾ الآيةَ [1] ، وبطلَ الباقي

وقالَ الغَطَمَّشُ [2]   [من الطويل]

أَلَا رُبَّ مَــنْ يَـغْـتَـابُـنِـي وَدَّ أَنَّـنِـي   أَبُـوهُ ٱلَّـذِي يُـدْعَـىٰ إِلَـيْـهِ وَيُـنْـسَـبُ

عَــلَــىٰ رِشْــدَةٍ مِــنْ أُمِّــهِ أَوْ لِـغَـيَّـةٍ   فَـيَـغْلِبَـهَا فَحْلٌ عَلَى ٱلنَّسْلِ مُنْجِبُ

---

(١) سورة الأنفال (٤١)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٤٠ ـ ٤١)

فَبِٱلْخَيْرِ لَا بِٱلشَّرِّ فَٱرْجُ مَوَدَّتِي ... وَأَيُّ ٱمْرِئٍ يُقْتَالُ مِنْهُ ٱلتَّرَهُّبُ
أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ لِعَيْنِيَ عَبْرَةٌ ... أَرَى ٱلْأَرْضَ تَبْقَىٰ وَٱلْأَخِلَّاءُ تَذْهَبُ
أَخِلَّايَ لَوْ غَيْرَ ٱلْحِمَامِ أَصَابَكُمْ ... عَتَبْتُ وَلَٰكِنْ مَا عَلَى ٱلدَّهْرِ مَعْتَبُ

قولُهُ (أيُّ امرئٍ يُقتالُ ؟!) هوَ افتعالٌ مِنَ القولِ ؛ أي وأيُّ امرئٍ يظهرُ منهُ الترهُّبُ ـ القولُ بالمودةِ ـ ذٰلكَ الضعيفُ المقهورُ دونَ القويِّ ؛ فإنَّهُ لا يظهرُ المودةَ إلَّا وهيَ حقٌّ ، فلا يتملَّقُ ، فالاستفهامُ إنكاريٌّ ؛ أي لا أحدَ يُقتالُ منهُ الترهُّبُ ، جعلَ مَنْ يُقتالُ منهُ لا شيءَ

وقالَتْ زينبُ بنتُ الطَّثَريةِ ترثي أخاها يزيدَ ، وهوَ شاعرٌ ، ومِنْ كلامِهِ في الغزلِ (١) [من الطويل]

بِنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِهِ ... عَلَىٰ كَبِدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنَامِلُهْ
وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهِبْتُهُ ... فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهْ

[قالَتْ] (٢) [من الطويل]

أَرَى ٱلْأَثْلَ مِنْ بَطْنِ ٱلْعَقِيقِ مُجَاوِرِي ... مُقِيماً وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهْ
فَتىً قُدَّ قَدَّ ٱلسَّيْفِ لَا مُتَضَائِلٌ ... وَلَا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وَبَآدِلُهْ
إِذَا نَزَلَ ٱلْأَضْيَافُ كَانَ عَذَوَّراً ... عَلَى ٱلْحَيِّ حَتَّىٰ تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهْ
مَضَىٰ وَوَرِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ ... وَأَبْيَضَ هِنْدِيّاً طَوِيلاً حَمَائِلُهْ
وَقَدْ كَانَ يُرْوِي ٱلْمَشْرَفِيَّ بِكَفِّهِ ... وَيَبْلُغُ أَقْصَىٰ حُجْرَةِ ٱلْحَيِّ نَائِلُهْ
كَرِيمٌ إِذَا لَاقَيْتَهُ مُتَبَسِّماً ... وَإِمَّا تَوَلَّىٰ أَشْعَثُ ٱلرَّأْسِ جَافِلُهْ

---
(١) انظر « وفيات الأعيان » (٦/٣٦٩)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٤٦ ـ ٤٨)

إِذَا ٱلْقَوْمُ أَمُّوا بَيْتَهُ فَهْوَ عَامِدٌ لِأَحْسَنِ مَا ظَنُّوا بِهِ فَهْوَ فَاعِلُهْ
تَرَىٰ جَازِرَيْهِ يُرْعِدَانِ وَنَارُهُ عَلَيْهَا عَدَامِيلُ ٱلْهَشِيمِ وَصَامِلُهْ
يَجُرَّانِ ثِنْياً خَيْرُهَا عَظْمُ جَارِهِ بَصِيراً بِهَا لَمْ تَعْدُ عَنْهَا مَشَاغِلُهْ

البآدلُ جمعُ بأدلةٍ بتثليثِ أوَّلِهِ ؛ وهوَ اللحمُ حوالَ الثدي ، وقولُها (وإمَّا تَولَّىٰ) أي أعرض غضباً ، في مقابلةِ حالِ الرضا المدلولِ عليها بالتبسُّمِ ، **وأشعثُ الرأسِ جافلُهُ** صفةُ الغضبانِ المتهيّئِ للحربِ ، **وجافلُهُ** تأكيدٌ لأشعثَ ، **والعذوَّرُ** : السّيئُ الخلقِ ، وأرادَتْ أنَّهُ سريعٌ في تهيئةِ القِرىٰ ، وارتعادُ الجازرَينِ إمَّا مِنْ خوفِهِ ، أو مِنَ البردِ في وقتِ الشِّدَّةِ والاحتياجِ ، **والعداميلُ** جمعُ عدمولٍ ؛ القديمُ ، **والصَّاملُ** اليابسُ ؛ أي هوَ مُعَدٌّ دائماً لنارِ القِرىٰ ، وقولُها (**خيرُها عَظْمُ جارِهِ**) أرادَتْ أنَّ خيرَ ما فيها هوَ العظمُ بلحمِهِ الذي يُهدىٰ للجارِ ؛ كالذِّراعِ مثلاً ، وقولُها (**بصيراً**) أي يذبحُها عامداً لا غلطاً فهوَ يَتخيَّرُ للقِرىٰ

انتهى المنقولُ مِنْ بابِ الرثاءِ

[نبذةٌ من أشعارِ الأدبِ والفضائلِ من « ديوانِ الحماسةِ »]

وهٰذهِ جملةٌ مِنْ بابِ الأدبِ ؛ وهيَ أشعارٌ تُنبّهُ على الفضائلِ الإنسانيَّةِ ؛ مثلِ كتمانِ السرِّ ، والمحافظةِ علىٰ حقوقِ الصَّداقةِ

قالَ مسكينٌ الدارميُّ (١) [من الطويل]

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جِمَاعُهَا
لِكُلِّ ٱمْرِئٍ شِعْبٌ مِنَ ٱلْقَلْبِ فَارِغٌ وَمَوْضِعُ نَجْوَىٰ لَا يُرَامُ ٱطِّلَاعُهَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٧٥)

يَظَلُّونَ شَتَّىٰ فِي ٱلْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ إِلَىٰ صَخْرَةٍ أَعْيَا ٱلرِّجَالَ ٱنْصِدَاعُهَا

وقالَ المرارُ بنُ سعيدٍ[1] [من الطويل]

إِذَا شِئْتَ يَوْماً أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً فَبِٱلْحِلْمِ سُدْ لَا بِٱلتَّسَرُّعِ وَٱلشَّتْمِ
وَلَلْحِلْمُ خَيْرٌ فَٱعْلَمَنَّ مَغَبَّةً مِنَ ٱلْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ

وقالَ شبيبُ بنُ البرصاءِ المريُّ ـ يُقالُ إنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ خطبَ البرصاءَ هٰذهِ مِنْ أبيها ، فقالَ لا أرضاها لكَ يا رسولَ اللهِ ؛ فإنَّ بها برصاً ، وليسَ بها برصٌ ، فعادَ فوجدَها قد برصَتْ[2] ـ [من الطويل]

وَإِنِّي لَتَرَّاكُ ٱلضَّغِينَةِ قَدْ بَدَا ثَرَاهَا مِنَ ٱلْمَوْلَىٰ فَلَا أَسْتَثِيرُهَا
مَخَافَةَ أَنْ تَجْنِي عَلَيَّ وَإِنَّمَا يَهِيجُ كَبِيرَاتِ ٱلْأُمُورِ صَغِيرُهَا
لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْزَةٍ عَلَىٰ رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا
تَبَيَّنُ أَعْقَابُ ٱلْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتُقْبِلُ أَشْبَاهاً عَلَيْكَ صُدُورُهَا
إِذَا ٱفْتَخَرَتْ سَعْدُ بْنُ ذُبْيَانَ لَمْ تَجِدْ سِوَىٰ مَا ٱبْتَنَيْنَا مَا يَعُدُّ فَخُورُهَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُورُ قَوْمٍ وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ فِي ٱلظَّلْمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا

مِنَ الأدبِ : الحزمُ ، ومِنَ الحزمِ : الإغضاءُ عنِ الصغيرِ إذا كانَ يهيجُ كبيراً

وقالَ معنُ بنُ أوسٍ[3] [من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَىٰ أَيِّنَا تَعْدُو ٱلْمَنِيَّةُ أَوَّلُ
وَإِنِّي أَخُوكَ ٱلدَّائِمُ ٱلْعَهْدِ لَمْ أَخُنْ إِنَ ٱبْزَاكَ خَصْمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنْزِلُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٧٦)
(٢) انظر « شرح الزرقاني على المواهب » (٤/٤٥٣) ، و« شرح ديوان الحماسة » (٣/٧٧ ـ ٧٨)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٧٨ ـ ٨٠)

أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتَ مِنْ ذِي عَدَاوَةٍ وَأَحْبِسُ مَالِي إِنْ عَزَمْتَ فَأَعْقِلُ
وَإِنْ سُؤْتَنِي يَوْماً صَفَحْتُ إِلَىٰ غَدٍ لِيُعْقِبَ يَوْماً مِنْكَ آخَرُ مُقْبِلُ
كَأَنَّكَ تَشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي وَسُخْطِي وَمَا فِي رِيبَتِي مَا تَعَجَّلُ
وَإِنِّي عَلَىٰ أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِيبُنِي قَدِيماً لَذُو صَفْحٍ عَلَىٰ ذَاكَ مُجْمِلُ
سَتَقْطَعُ فِي ٱلدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينَكَ فَٱنْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ
وَفِي ٱلنَّاسِ إِنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ وَاصِلٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ عَنْ دَارِ ٱلْقِلَىٰ مُتَحَوَّلُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَىٰ طَرَفِ ٱلْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ ٱلسَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ ٱلسَّيْفِ مَزْحَلُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبٌ رَامَ ظِنَّتِي وَبَدَّلَ سُوءاً بِٱلَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
قَلَبْتُ لَهُ ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ فَلَمْ [أَدُمْ] عَلَىٰ ذَاكَ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ
إِذَا ٱنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ ٱلشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ آخِرَ ٱلدَّهْرِ تُقْبِلُ

قولُهُ : (إنَ ٱبزاكَ) أي : قهرَكَ ، أُلقِيَتْ حركةُ الهمزةِ على النونِ ، ومزحلُ مِنْ زحلَ بمعنىٰ تأخَّرَ وبَعُدَ ، وقولُهُ (وما في ريبتي ما تعجلُ) أي ليسَ في إساءتي شفاءُ دائِكَ الذي تَتعجَّلُهُ ، أخرجَهُ بعدَ التظنُّنِ إلى التحقيقِ

وقالَ عمرُو بنُ قميئةَ (١) [من المنسرح]

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى ٱلشَّبَابِ وَلَمْ أَفْقِدْ بِهِ إِذْ فَقَدْتُهُ أَمَمَا
إِذْ أَسْحَبُ ٱلرَّيْطَ وَٱلْمُرُوطَ إِلَىٰ أَدْنَىٰ تِجَارِي وَأَنْفُضُ ٱللِّمَمَا
لَا تُغْبِطِ ٱلْمَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَمْسَىٰ فُلَانٌ لِسِنِّهِ حَكَمَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨١)

إِنْ سَرَّهُ طُولُ عُمْرِهِ فَلَقَدْ أَضْحَىٰ عَلَى ٱلْوَجْهِ طُولُ مَا سَلِمَا

المرادُ بالتجارِ باعةُ الخمرِ ، وقولُهُ (لا تُغْبِطِ المرءَ) معناهُ لا تعدَّ كونَ الإنسانِ يصيرُ لكبرِهِ واستحكامِ رأيِهِ رئيساً يُتحاكَمُ إليهِ مِنْ جليلِ النعمِ بعدَ نعمةِ الشبابِ ، والأدبُ في هٰذهِ الأبياتِ أنَّهُ أشارَ إلىٰ أنَّهُ ينبغي أن يكونَ الشبابُ ـ وإن لها فيهِ الإنسانُ ما لها ـ بالتعقُّلِ وضبطِ ما يمرُّ مِنَ الأحوالِ ؛ ذريعةً لأن يعتاض الإنسانُ مِنْ لذاتِهِ شرفَ الرئاسةِ إذا فارقَهُ ؛ كقولِ الآخرِ (١) [من البسيط]

إِنَّ ٱلشَّبَابَ ٱلَّذِي مَجْدٌ عَوَاقِبُهُ فِيهِ نَلَذُّ وَلَا لَذَّاتَ لِلشَّيْبِ

كأنَّهُ لم يعتبرْ مَنْ فَرَّطَ في شبابِهِ حتىٰ ساءَتْ آخرتُهُ شيئاً مذكوراً

وقالَ إياسُ بنُ القائفِ (٢) [من الطويل]

تُقِيمُ ٱلرِّجَالُ ٱلْأَغْنِيَاءُ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي ٱلنَّوَىٰ بِٱلْمُقْتِرِينَ ٱلْمَرَامِيَا
فَأَكْرِمْ أَخَاكَ ٱلدَّهْرَ مَا دُمْتُمَا مَعاً كَفَىٰ بِٱلْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا
إِذَا زُرْتُ أَرْضاً بَعْدَ طُولِ ٱجْتِنَابِهَا فَقَدْتُ صَدِيقِي وَٱلْبِلَادُ كَمَا هِيَا

وقالَ ربيعةُ بنُ مقرونٍ الضَّبيُّ (٣) [من الوافر]

وَكَمْ مِنْ حَامِلٍ لِي ضَبَّ ضِغْنٍ بَعِيدٍ قَلْبُهُ حُلْوِ ٱللِّسَانِ
وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ نَقَمْتُ مِنْهُ بِشَغْبٍ أَوْ لِسَانٍ تَيِّحَانِ
وَلٰكِنِّي وَصَلْتُ ٱلْحَبْلَ مِنْهُ مُوَاصَلَةً بِحَبْلِ أَبِي بَيَانِ
وَضَمْرَةَ إِنَّ ضَمْرَةَ خَيْرُ جَارٍ عَلِقْتُ لَهُ بِأَسْبَابٍ مِتَانِ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (٤/٢٧)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨١ ـ ٨٢)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٢ ـ ٨٣)

هِجَانُ ٱلْحَيِّ كَٱلذَّهَبِ ٱلْمُصَفَّىٰ   صَبِيحَةَ دِيمَةٍ يَجْنِيهِ جَانِ

هجانُ الحيِّ كريمُهُ وخالصُهُ ، والذهبُ المُصفَّىٰ ؛ أي بخلقتِهِ ، ويكونُ مستوراً بالأغبرةِ ، فإذا دامَ المطرُ علىٰ معدنِهِ أزالَ الأغبرةَ فانكشفَ ، فتجنيهِ جناتُهُ ، وذكرَ أنَّ أبا بيانٍ وضمرةَ صديقاهُ خالصا الصداقةِ والأدبِ

في الشعرِ التنبيهُ علىٰ أنَّهُ ينبغي أن يَعرِفَ الإنسانُ عدوَّهُ مِنْ صديقِهِ ، ثُمَّ يَعرِفَ للصديقِ حقَّهُ ، ويداريَ العدوَّ على احتراسِهِ منهُ ، ومِنْ كلامِ الناسِ اللبيبُ مَنْ [دارىٰ][1]

ويُروىٰ أنَّ عيينةَ بنَ حصنٍ الفزاريَّ دخلَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قبلَ أن يُؤمَرَ بحجابِ النساءِ ، فلمحَ عائشةَ ، فسألَهُ عنها ، فقالَ « هِيَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ » ، فقالَ عيينةُ أتنزلُ لي عنها وأنزلُ لكَ عن أجملِ نساءِ العالمِ ؟ فقالَ لهُ النبيُّ « ذَٰلِكَ لَا يَكُونُ فِي ٱلْإِسْلَامِ » ، فلم يزلْ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ مُكرِماً لهُ ، فلمَّا خرجَ مِنْ عندِهِ قالَ النبيُّ « بِئْسَ ٱلرَّجُلُ وَعَشِيرَتُهُ » ، فقالَتْ عائشةُ أليسَتْ هٰذهِ الغِيبةَ ؟ فقالَ « لَا ؛ إِنَّهُ ٱلْأَحْمَقُ ٱلْمُطَاعُ فِي قَوْمِهِ ، وَإِنَّا لَنَبَشُّ فِي وُجُوهِ قومٍ وَقُلُوبُنَا تَلْعَنُهُمْ »[2] ، فَنبَّهَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ على استعمالِ المداراةِ ، فهيَ سُنَّةٌ ، فينبغي للإنسانِ أَلَّا يَتخذَ عدوّاً

وقولُهُ في الشعرِ (بشغبٍ أو لسانٍ تيحانٍ) الشغبُ المصاخبةُ في الجدالِ ، والتيحانُ الذي يَعرِضُ لِمَا لا يعنيهِ ، وقولُهُ (وصلتُ الحبلَ منهُ) إلىٰ آخرِهِ ، معناهُ : قرنتُهُ علىٰ معرفةِ عداوتِهِ بالصديقِ الذي أنا مُتحقِّقٌ مِنْ صداقتِهِ ، فهُما في المعاملةِ سواءٌ

---

(١) في الأصل (دار)

(٢) انظر « شرح المواهب » للزرقاني (٣/٢٢)

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ همَّامٍ السَّلوليُّ [1] ، وقد سعىٰ بهِ ساعٍ عندَ زيادِ بنِ أبي سفيانَ ، فقالَ لهُ: هجاكَ ، فقالَ أجمعُ بينَكُما ، فقالَ: افعلْ ، فأحضرَ عبدَ اللهِ وقالَ لهُ: هجوتَني ، فأنكرَ ، فقالَ: هـٰذا أخبرَني ، فسكتَ قليلاً ، ثمَّ خاطبَ الرجلَ بقولِهِ: [من الطويل]

وَأَنْـتَ ٱمْـرُؤٌ إِمَّـا ٱئْـتَـمَـنْـتُـكَ خَـالِـيـاً ... فَـخُـنْـتَ وَإِمَّـا قُـلْـتَ قَـوْلاً بِـلَا عِـلْـمِ

فَـأَنْـتَ مِـنَ ٱلْأَمْـرِ ٱلَّـذِي كَـانَ بَـيْـنَـنَـا ... بِـمَـنْـزِلَـةٍ بَـيْـنَ ٱلْـخِـيَـانَـةِ وَٱلْإِثْـمِ

رأيتُ لبعضِ الناسِ اعتراضاً علىٰ هـٰذا التقسيمِ ، فقالَ: إنَّ الخيانةَ إثمٌ ، فلم تَصِحَّ المقابلةُ !! وليسَ كما رأىٰ ؛ فإنَّ الشاعرَ أرادَ إدارةَ الأمرِ بينَ صدقٍ قبيحٍ لِمَا فيهِ مِنَ الخيانةِ ، وبينَ كذبٍ ، والكذبُ ولو علىٰ سبيلِ الاحتمالِ قبيحٌ ، وعَبَّرَ عنِ الكذبِ بالإثمِ ؛ فإنَّهُ لا شبهةَ في كونِهِ إثماً ، بخلافِ حالةِ الخيانةِ ؛ فإنَّ فيها شبهةَ الصدقِ ، فهوَ كلامٌ متينٌ صادرٌ عن تعقُّلٍ صحيحٍ ، فقولُ المرءِ ما لم يعلمْ وإن وافقَ الواقعَ ، واتفقَ كونُهُ صواباً: ذميمٌ سيِّئٌ.

وقالَ سالمُ بنُ وابصةَ الأسديُّ [2] : [من الطويل]

أُحِبُّ ٱلْفَتَىٰ يَنْفِي ٱلْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ ... كَـأَنَّ بِـهِ عَـنْ كُـلِّ فَـاحِـشَـةٍ وَقْـرَا

سَلِيمُ دَوَاعِي ٱلصَّدْرِ لَا بَاسِطاً أَذىً ... وَلَا مَـانِـعـاً خَـيْـراً وَلَا قَـائِـلاً هُـجْـرَا

إِذَا شِئْتَ أَن تُدْعَىٰ كَرِيماً مُكَرَّماً ... أَدِيـبـاً ظَـرِيـفـاً عَـاقِـلاً مَـاجِـداً حُـرَّا

إِذَا مَـا أَتَـتْ مِـنْ صَـاحِـبٍ لَـكَ زَلَّـةٌ ... فَـكُـنْ أَنْـتَ مُـحْـتَـالاً لِـزَلَّـتِـهِ عُـذْرَا

غِنَى ٱلنَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ ... فَإِنْ زَادَ شَيْئاً عَـادَ ذَاكَ ٱلْغِنَىٰ فَقْرَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٤ ـ ٨٥)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٥ ـ ٨٦)

يشبهُ البيتُ الأخيرُ قولَ المتنبي (١) [من الطويل]

وَمَنْ يُنْفِقِ ٱلسَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَٱلَّذِي فَعَلَ ٱلْفَقْرُ

والمعنىٰ أنَّ مَنِ اشتغلَ بتربيةِ المالِ وتنميتِهِ لم يكنْ لهُ وقتٌ لاكتسابِ الفضائلِ واغتنامِ اللذاذاتِ ، فكانَ فقيراً مِنْ ذٰلكَ ، فالمُوفَّقُ يكونُ لهُ مِنَ العيشِ ما لا يحتاجُ معَهُ ، ثمَّ يَصرِفُ الأوقاتَ بعدُ في تتميمِ الإنسانيةِ

وقالَ عقيلُ بنُ علفةَ المريُّ (٢) [من الطويل]

وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ كَلِبْسَتِهِ يَوْماً أَجَدَّ وَأَخْلَقَا

وَكُنْ أَكْيَسَ [ٱلْكَيْسَىٰ] إِذَا كُنْتَ فِيهِمُ وَإِنْ كُنْتَ فِي ٱلْحَمْقَىٰ فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

يُروىٰ عنِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ مثلُ هٰذا ؛ وهوَ قولُهُ (٣) [من الطويل]

وَأَنْزَلَنِي طُولُ ٱلنَّوَىٰ دَارَ غُرْبَةٍ يُصَاحِبُنِي فِيهَا ٱلَّذِي لَا أُشَاكِلُهْ

أُحَامِقُهُ حَتَّىٰ يُقَالُ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهْ

وقالَ بعضُ الفزاريينَ (٤) [من البسيط]

أَكْنِيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لِأُكْرِمَهُ وَلَا أُلَقِّبُهُ وَٱلسَّوْءَةُ ٱللَّقَبُ

كَذَاكَ أُدِّبْتُ حَتَّىٰ صَارَ مِنْ خُلُقِي أَنِّي وَجَدْتُ مِلَاكُ ٱلشِّيمَةِ ٱلْأَدَبُ

قولُهُ (أني وجدتُ) هوَ علىٰ أنَّ المفعولَ الأولَ ضميرُ الشأنِ ، والجملةُ هيَ المفعولُ الثاني ، أو هوَ علىٰ حذفِ لامِ الابتداءِ المُعلِّقةِ للفعلِ عنِ العملِ ؛ لأنَّهُ متىٰ تَقدَّمَ الفعلُ لم يَجُزْ إلغاؤُهُ

(١) تقدم (٢/١٦٨) .
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٦)
(٣) انظر « مناقب الشافعي » (٢/٨١) .
(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٧)

وقالَ رجلٌ مِنْ بني قريعٍ (١) [من الطويل]

مَتَىٰ مَا يَرَى ٱلنَّاسُ ٱلْغَنِيَّ وَجَارُهُ ... فَقِيرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيدُ

وَلَيْسَ ٱلْغِنَىٰ وَٱلْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ ٱلْفَتَىٰ ... وَلَٰكِنْ أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وَجُدُودُ

إِذَا ٱلْمَرْءُ أَعْيَتْهُ ٱلْمُرُوءَةُ نَاشِئاً ... فَمَطْلَبُهَا كَهْلاً عَلَيْهِ شَدِيدُ

وَكَائِنْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ ... وَصُعْلُوكِ قَوْمٍ مَاتَ وَهْوَ حَمِيدُ

وقالَ آخَرُ (٢) [من الطويل]

أَضْحَتْ أُمُورُ ٱلنَّاسِ يَغْشَيْنَ عَالِماً ... بِمَا يُتَّقَىٰ مِنْهَا وَمَا يُتَعَمَّدُ

جَدِيرٌ بِأَلَّا أَسْتَكِينَ وَلَا أَرَىٰ ... إِذَا ٱلْأَمْرُ وَلَّىٰ مُدْبِراً أَتَبَلَّدُ

أرادَ بالعالمِ نفسَهُ ، فهوَ علىٰ تقديرِ يغشينَ منّي عالماً ، والتبلُّدُ مأخوذٌ مِنْ بلدةِ الصدرِ لنقرتِهِ وما حولَها ؛ فإنَّ المُتحيّرَ ربَّما يضربُ بلدةَ صدرِهِ ، كما يُقالُ يقرعُ سنَّهُ ندماً

وقالَ آخَرُ (٣) [من الطويل]

وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ ... أَأَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ

عَسَىٰ سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ ... مِنَ ٱلْيَوْمِ سُؤْلاً أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ

وَفِي كَثْرَةِ ٱلْأَيْدِي لِذِي ٱلْجَهْلِ زَاجِرٌ ... وَلَلْحِلْمُ أَبْقَىٰ لِلرِّجَالِ وَأَعْوَدُ

غدُ اسمُ يكونُ ؛ يعني عسىٰ أن يكونَ السائلُ الذي عليهِ الأوقاتُ الحاضرةُ تكونُ لهُ الأوقاتُ المستقبلةُ ؛ كقولِهِ [من المتقارب]

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا ... وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرّْ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٨)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٨)

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٨ ـ ٨٩)

وعنىٰ بكثرةِ الأيدي كثرةَ الإخوانِ ؛ مِنْ قولِهم : المرءُ قليلٌ بنفسِهِ ، كثيرٌ بإخوانِهِ ، ففي كثرةِ الإخوانِ العزُّ وامتناعُ الجانبِ ؛ بحيثُ يكونُ ذٰلكَ زاجراً للجاهلِ ، قاطعاً لطمعِهِ في البطشِ بكثيرِ الإخوانِ ، قَالَ آخَرُ في هٰذا المعنىٰ وهوَ أظهرُ (١) [من الطويل]

عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ فَإِنَّهُمْ ... عِمَادٌ إِذَا ٱسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظُهُورُ
وَإِنَّ قَلِيلاً أَلْفُ خِلٍّ وَصَاحِبٍ ... وَإِنَّ عَدُوّاً وَاحِداً لَكَثِيرُ

وقالَ آخَرُ (٢) [من الطويل]

وَإِيَّاكَ وَٱلأَمْرَ ٱلَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ ... مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ ٱلْمَصَادِرُ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ ٱلْمَرْءُ نَفْسَهُ ... وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ ٱلنَّاسِ عَاذِرُ

وقالَ العباسُ بنُ مرداسٍ (٣) [من الوافر]

تَرَى ٱلرَّجُلَ ٱلنَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ ... وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ
وَيُعْجِبُكَ ٱلطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ ... فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ ٱلرَّجُلُ ٱلطَّرِيرُ
فَمَا عِظَمُ ٱلرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ ... وَلَٰكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ
بَغَاثُ ٱلطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخاً ... وَأُمُّ ٱلصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ
ضِعَافُ ٱلطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُوماً ... وَلَمْ تَطُلِ ٱلْبُزَاةُ وَلَا ٱلصُّقُورُ
لَقَدْ عَظُمَ ٱلْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ ... فَلَمْ يَسْتَغْنِ بِٱلْعِظَمِ ٱلْبَعِيرُ
يُصَرِّفُهُ ٱلصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهٍ ... وَيَحْبِسُهُ عَلَى ٱلْخَسْفِ ٱلْجَرِيرُ

---

(١) انظر « مناقب الشافعي » (٢/٨٣)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٩)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٨٩ ـ ٩٠)

وَتَـضْـرِبُـهُ ٱلْـوَلِـيـدَةُ بِـٱلْـهَـرَاوَىٰ   فَـلَا غِـيَـرٌ لَـدَيْـهِ وَلَا نَـكِـيـرُ
فَـإِنْ أَكُ فِـي شِـرَارِكُـمُ قَـلِـيـلاً   فَـإِنِّـي فِـي خِـيَـارِكُـمُ كَـثِـيـرُ

مَزُرَ ـ مِنْ بابِ كَرُمَ ـ مَزارةً ، فهوَ مَزِيرٌ ؛ أي ظريفٌ أو شديدُ القلبِ نافذٌ ؛ وهوَ أنسبُ ، ويُروىٰ مريرُ ؛ أي مُمَرٌّ اسمُ مفعولٍ مِنْ أمرَّ الشيءَ ؛ أي أحكمَهُ ، فهوَ حكيمٌ بمعنىٰ مُحكَمٍ ، وأصلُهُ مِنْ أمرَّ الحبلَ ؛ أحكمَ فتلَهُ ، فهوَ ذو مِرَّةٍ بكسرِ أوَّلِهِ ؛ أي قُوَّةٍ

قالَ منظورُ بنُ سحيمٍ (١)   [من الطويل]

وَلَسْتُ بِهَاجٍ فِي ٱلْقِرَىٰ أَهْلَ مَنْزِلٍ   عَلَىٰ زَادِهِمْ أَبْكِي وَأُبْكِي ٱلْبَوَاكِيَا
فَـإِمَّـا كِـرَامٌ مُـوسِـرُونَ أَتَـيْـتُـهُـمْ   فَحَسْبِيَ مِنْ ذُو عِنْدَهُمْ مَا كَفَانِيَا
وَإِمَّـا كِرَامٌ مُـعْـسِـرُونَ عَـذَرْتُـهُـمْ   وَإِمَّـا لِـئَـامٌ فَـادَّرَكْـتُ حَـيَـائِـيَـا
وَعِرْضِيَ أَبْقَىٰ مَا ٱدَّخَرْتُ ذَخِيرَةً   وَبَـطْـنِـيَ أَطْـوِيـهِ كَـطَـيِّ رِدَائِـيَـا

قولُهُ (علىٰ زادِهِم أبكي) هوَ استهزاءٌ بمَنْ يطعنُ على الناسِ ، ويصفُهُم بالبخلِ ، ويشتكي منهُمُ الحرمانَ ؛ فإنَّ الناسَ بينَ كريمٍ ولئيمٍ ، فالكريمُ مشكورٌ أو معذورٌ ، واللئيمُ لا يقصدُ في حاجةٍ ، ومَنْ غلطَ فقصدَهُ أو تعمَّدَ قصدَهُ فعلىٰ نفسِهِ يلومُ ؛ حيثُ لم يتأمَّلْ ، أو وضعَ حاجتَهُ في غيرِ موضعٍ ، فهوَ احتجاجٌ قاطعٌ لعذرِ الهاجي

وقالَ آخَرُ (٢)   [من الوافر]

وَأُعْـرِضُ عَـنْ مَـطَـاعِـمَ قَـدْ أَرَاهَـا   فَـأَتْـرُكُـهَـا وَفِـي بَـطْـنِـي ٱنْـطِـوَاءُ
فَـلَا وَأَبِـيـكَ مَـا فِـي ٱلْـعَـيْـشِ خَـيْـرٌ   وَلَا ٱلـدُّنْـيَـا إِذَا ذَهَـبَ ٱلْـحَـيَـاءُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٩١ ـ ٩٢)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٩٣)

يَعِيشُ ٱلْمَرْءُ مَا ٱسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى ٱلْعُودُ مَا بَقِيَ ٱللِّحَاءُ

قولُهُ (وأُعِرِضُ عن مطاعمَ) هوَ كقولِ عنترةَ[1] [من الكامل]

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى ٱلطَّوَىٰ وَأَظَلُّهُ حَتَّىٰ أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ ٱلْمَأْكَلِ

يُروىٰ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لمَّا أُنشِدَ قصيدةَ هٰذا البيتِ أظهرَ استحسانَهُ ، وقالَ « مَا وُصِفَ لِي أَعْرَابِيٌّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ إِلَّا عَنْتَرَةَ »

وقالَ مالكُ بنُ حريمٍ الهَمْدانيُّ[2] [من الطويل]

أُنَبِّئْتُ وَٱلْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ وَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ

بِأَنَّ ثَرَاءَ ٱلْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ٱلْحَمْدَ وَهْوَ مُذَمَّمُ

وَإِنَّ قَلِيلَ ٱلْمَالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ يَحُزُّ كَمَا حَزَّ ٱلْقَطِيعُ ٱلْمُحَرَّمُ

يَرَىٰ دَرَجَاتِ ٱلْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا وَيَقْعُدُ وَسْطَ ٱلْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ

القطيعُ المُحرَّمُ السَّوطُ الخشنُ الجافي ؛ يعني أنَّ الفقرَ يُؤثِّرُ في صاحبِهِ تأثيرَ هٰذا السَّوطِ فيمَنْ يُضرَبُ بهِ ، وقولُهُ (يُثني عليهِ الحمدَ) أي يعطفُهُ

وقالَ محمدُ بنُ بشيرٍ[3] [من البسيط]

مَاذَا يُكَلِّفُكَ ٱلرَّوْحَاتِ وَٱلدُّلَجَا ٱلْبَرَّ طَوْراً وَطَوْراً تَرْكَبُ ٱللُّجَجَا

كَمْ مِنْ فَتىً قَصُرَتْ فِي ٱلرِّزْقِ خُطْوَتُهُ أَلْفَيْتَهُ بِسِهَامِ ٱلرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا

إِنَّ ٱلْأُمُورَ إِذَا ٱنْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَٱلصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ٱرْتَتَجَا

---

(١) انظر « ديوان عنترة العبسي » (ص ٢٤٩) ، و« شرح الشفا » (٢١١/١) للملا علي القاري

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٦/٣ ـ ٩٧)

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٧/٣ ـ ٩٨)

لَا تَيْئَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ   إِذَا ٱسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَىٰ فَرَجَا
أَخْلِقْ بِذِي ٱلصَّبْرِ أَنْ يَحْظَىٰ بِحَاجَتِهِ   وَمُدْمِنِ ٱلْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا
قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ ٱلْخَطْوِ مَوْضِعَهَا   فَمَنْ عَلَا زَلَقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا
وَلَا يَغُرَّنْكَ صَفْوٌ أَنْتَ شَارِبُهُ   فَرُبَّمَا كَانَ بِٱلتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجَا

ليسَ قولُهُ : (ماذا يُكلِّفُكَ) البيتَ تثبيطاً عنِ السعيِ وإدامةِ الحركةِ في الطَّلبِ ، وإنَّما هوَ نهيٌ عن كثرةِ الإطرابِ بغيرِ تأمُّلِ جادَّةِ الطريقِ التي يغلبُ على الظنِّ إيصالُها للمَقصِدِ كما هوَ مدلولُ جميعِ الشعرِ ، **فحقيقةُ معناهُ** أنَّهُ ينبغي للإنسانِ أن يسعىٰ سعياً حسناً مقروناً بالتبصُّرِ والصَّبرِ في تحصيلِ المرغوبِ

وقالَ محمدٌ الكنديُّ المُلقَّبُ بالمُقنَّعِ[1] [من الطويل]

يُعَاتِبُنِي فِي ٱلدَّيْنِ قَوْمِي وَإِنَّمَا   دُيُونِيَ فِي أَشْيَاءَ تُكْسِبُهُمْ حَمْدَا
أَسُدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخَلُّوا وَضَيَّعُوا   ثُغُورَ حُقُوقٍ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدَّا
وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُغْلَقُ ٱلْبَابُ دُونَهَا   مُكَلَّلَةٍ لَحْماً مُدَفَّقَةٍ ثُرْدَا
وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ   حِجَاباً لِبَيْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدَا
وَإِنَّ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي   وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدَّا
فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ   وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا
وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ   وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْدَا
وَإِنْ زَجَرُوا طَيْراً بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي   زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْراً تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدَا
وَلَا أَحْمِلُ ٱلْحِقْدَ ٱلْقَدِيمَ عَلَيْهِمُ   وَلَيْسَ رَئِيسُ ٱلْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ ٱلْحِقْدَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٠٠ ـ ١٠١)

لَهُمْ جُلُّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنىً وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا
وَإِنِّي لَعَبْدُ ٱلضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلاً وَما شِيمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشْبِهُ ٱلْعَبْدَا

وقالَ رجلٌ مِنَ الفزاريينَ يُذهِبُ حسرتَهُ على قِصَرِهِ ؛ فإنَّهُم يَتمدَّحون بتمامِ الأجسامِ ، كما قالَ الشاعرُ[1] [من الطويل]

تَبَيَّنَ لِي أَنَّ ٱلْقَمَاءَةَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَعِزَّاءَ ٱلرِّجَالِ طِيَالُهَا

وقالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾[2]

[قالَ][3] [من الطويل]

إِنْ لَا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلاً فَإِنَّنِي لَهُ بِٱلْخِصَالِ ٱلصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ ٱلْجُسُومِ وَنُبْلِهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ ٱلْجُسُومِ عُقُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي ٱلْقَوْمِ ٱلطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّىٰ يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَٱلْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

وقالَ مضرسُ بنُ ربعيّ[4] [من الكامل]

إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا وَنُقِيمُ سَالِفَةَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْأَصْيَدِ
وَمَتَىٰ نَخَفْ يَوْماً فَسَادَ عَشِيرَةٍ نُصْلِحْ وَإِنْ نَرَ صَالِحاً لَا نُفْسِدِ
وَإِذَا نَمَوْا صُعُداً فَلَيْسَ عَلَيْهِمُ مِنَّا ٱلْخَبَالُ وَلَا نُفُوسُ ٱلْحُسَّدِ

---

(١) انظر « الكامل » للمبرد (١/١٢٢)
(٢) سورة البقرة (٢٤٧)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٠١)
(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٠٢)

وَنُعِينُ فَاعِلَنَا عَلَىٰ مَا نَابَهُ حَتَّىٰ نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ ٱلسَّيِّدِ
وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ ٱلصَّبَاحِ بِثَائِبٍ عَجِلِ ٱلرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ ٱلْمُسْتَنْجِدِ
فَنَفُلُّ شَوْكَتَهَا وَنَفْثَأُ حَمْيَهَا حَتَّىٰ تَبُوخَ وَحَمْيُنَا لَمْ يَبْرُدِ
وَتَحُلُّ فِي دَارِ ٱلْحِفَاظِ بُيُوتُنَا رُتُعَ ٱلْجَمَائِلِ فِي ٱلدَّرِينِ ٱلْأَسْوَدِ

وقالَ قيسُ بنُ الخطيمِ (١) [من الوافر]

وَمَا بَعْضُ ٱلْإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ يُهَانُ بِهَا ٱلْفَتَىٰ إِلَّا بَلَاءُ
وَبَعْضُ خَلَائِقِ ٱلْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ ٱلْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ
يُرِيدُ ٱلْمَرْءُ أَنْ يُعْطَىٰ مُنَاهُ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِقَوْمٍ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ
وَلَا يُعْطَى ٱلْحَرِيصُ غِنىً لِحِرْصٍ وَقَدْ يَنْمِي عَلَى ٱلْجُودِ ٱلثَّرَاءُ
غَنِيُّ ٱلنَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنِيٌّ وَفَقْرُ ٱلنَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءُ
وَلَيْسَ بِنَافِعٍ ذَا ٱلْبُخْلِ مَالٌ وَلَا مُزْرٍ بِصَاحِبِهِ ٱلسَّخَاءُ
وَبَعْضُ ٱلدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ وَدَاءُ ٱلنَّوْكِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

وقالَ يزيدُ بنُ الحكمِ الثقفيُّ يعظُ ابنَهُ بدراً (٢) [من مجزوء الكامل]

يَا بَدْرُ وَٱلْأَمْثَالُ يَضْـ ـرِبُهَا لِذِي ٱللُّبِّ ٱلْحَكِيمُ
دُمْ لِلْخَلِيلِ بِوُدِّهِ مَا خَيْرُ وُدٍّ لَا يَدُومُ
وَٱعْرِفْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وَٱلْحَقُّ يَعْرِفُهُ ٱلْكَرِيمُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٤/٣)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٥/٣ ـ ١٠٧)

وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلضَّيْفَ يَوْ   ماً سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
وَٱلنَّاسُ مُبْتَنِيَانِ مَحْـ   ـمُودُ ٱلْبِنَايَةِ أَوْ ذَمِيمُ
وَٱعْلَمْ بُنَيَّ فَإِنَّهُ   بِٱلْعِلْمِ يَنْتَفِعُ ٱلْعَلِيمُ
إِنَّ ٱلْأُمُورَ دَقِيقُهَا   مِمَّا يَهِيجُ لَهُ ٱلْعَظِيمُ
وَٱلتَّبْلُ مِثْلُ ٱلدَّيْنِ تُقْـ   ـضَاهُ وَقَدْ يَلْوِي ٱلْغَرِيمُ
وَٱلْبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ   وَٱلظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ ٱلْبَعِيـ   ـدُ أَخاً وَيَقْطَعُكَ ٱلْحَمِيمُ
وَٱلْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغِنَىٰ   وَيُهَانُ لِلْعَدَمِ ٱلْعَدِيمُ
قَدْ يُقْتِرُ ٱلْحَوِلُ ٱلتَّقِيُّ   وَيُكْثِرُ ٱلْحَمِقُ ٱلْأَثِيمُ
يُمْلَىٰ لِذَاكَ وَيُبْتَلَىٰ   هَٰذَا فَأَيُّهُمَا ٱلْمَضِيمُ
وَٱلْمَرْءُ يَبْخَلُ فِي ٱلْحُقُو   قِ وَلِلْكَلَالَةِ مَا يُسِيمُ
مَا بُخْلُ مَنْ هُوَ لِلْمَنُو   نِ وَرَيْبِهَا غَرَضٌ رَجِيمُ
وَيَرَى ٱلْقُرُونَ أَمَامَهُ   هَمَدُوا كَمَا هَمَدَ ٱلْهَشِيمُ
وَتَخَرَّبُ ٱلدُّنْيَا فَلَا   بُؤْسٌ يَدُومُ وَلَا نَعِيمُ
كُلُّ ٱمْرِئٍ سَتَئِيمُ مِنْـ   ـهُ ٱلْعِرْسُ أَوْ مِنْهَا يَئِيمُ
مَا عِلْمُ ذِي وَلَدٍ أَيَثْـ   ـكَلُهُ أَمِ ٱلْوَلَدُ ٱلْيَتِيمُ
وَٱلْحَرْبُ صَاحِبُهَا ٱلصَّلِيـ   ـبُ عَلَىٰ تَلَاتِلِهَا ٱلْعَزُومُ
مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا   وَلَدَى ٱلْحَقِيقَةِ لَا يَخِيمُ
وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلْحَرْبَ لَا   يَسْطِيعُهَا ٱلْمَرِحُ ٱلسَّؤُومُ

وَٱلْـخَـيْـلُ أَجْـوَدُهَـا ٱلْـمَـنَـا ... هِــبُ عِــنْــدَ كَـبَّـتِـهَـا ٱلْأَزُومُ

وقالَ منقذٌ الهلاليُّ [1] [من الخفيف]

أَيُّ عَيْشٍ عَيْشِي إِذَا كُنْتُ مِنْهُ ... بَيْنَ حَلٍّ وَبَيْنَ وَشْكِ رَحِيلِ

كُلُّ فَجٍّ مِنَ ٱلْبِلَادِ كَأَنِّي ... طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولِ

مَا أَرَى ٱلْفَضْلَ وَٱلتَّكَرُّمَ إِلَّا ... كَفَّكَ ٱلنَّفْسَ عَنْ طِلَابِ ٱلْفُضُولِ

وَبَلَاءٌ حَمْلُ ٱلْأَيَادِي وَأَنْ تَسْـ ... ـمَعَ مَنّاً تُؤْتَى بِهِ مِنْ مُنِيلِ

وقالَ محمدُ بنُ أبي شحاذٍ الضَّبيُّ [2] [من الطويل]

إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ ٱلْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجُدْ ... بِفَضْلِ ٱلْغِنَى أُلْفِيتَ مَا لَكَ حَامِدُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِكْ بِجَنْبِكَ بَعْضَ مَا ... يَرِيبُ مِنَ ٱلْأَدْنَى رَمَاكَ ٱلْأَبَاعِدُ

إِذَا ٱلْحِلْمُ لَمْ يَغْلِبْ لَكَ ٱلْجَهْلَ لَمْ تَزَلْ ... عَلَيْكَ بُرُوقٌ جَمَّةٌ وَرَوَاعِدُ

إِذَا ٱلْعَزْمُ لَمْ يَفْرُجْ لَكَ ٱلشَّكَّ لَمْ تَزَلْ ... جَنِيباً كَمَا ٱسْتَتْلَى ٱلْجَنِيبَةَ قَائِدُ

وَقَلَّ غَنَاءً عَنْكَ مَالٌ جَمَعْتَهُ ... إِذَا صَارَ مِيرَاثاً وَوَارَاكَ لَاحِدُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ طَعَاماً تُحِبُّهُ ... وَلَا مَقْعَداً تُدْعَى إِلَيْهِ ٱلْوَلَائِدُ

تَجَلَّلْتَ عَاراً لَا يَزَالُ يَشُبُّهُ ... سِبَابُ ٱلرِّجَالِ نَثْرُهُمْ وَٱلْقَصَائِدُ

وقالَتْ حُرَقَةُ بنتُ النعمانِ [3] [من الطويل]

بَيْنَا نَسُوسُ ٱلنَّاسَ وَٱلْأَمْرُ أَمْرُنَا ... إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ

فَأُفٍّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا ... تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرَّفُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٨/٣)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٨/٣ ـ ١٠٩)

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٩/٣ ـ ١١٠)

وقالَ الصَّلَتانُ العبديُّ [1] [من المتقارب]

أَشَابَ ٱلصَّغِيرَ وَأَفْنَى ٱلْكَبِيـ ـرَ كَرُّ ٱلْغَدَاةِ وَمَرُّ ٱلْعَشِيّْ
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَّمَتْ يَوْمَهَا أَتَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ يَوْمٌ فَتِيّْ
نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِي
تَمُوتُ مَعَ ٱلْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَىٰ لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِي
إِذَا قُلْتَ يَوْماً لِمَنْ قَدْ تَرَىٰ أَرُونِي ٱلسَّرِيَّ أَرَوْكَ ٱلْغَنِيّْ
أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ أَوْصَى ٱبْنَهُ وَأَوْصَيْتُ عَمْراً فَنِعْمَ ٱلْوَصِيّْ
بُنَيَّ بَدَا خِبُّ نَجْوَى ٱلرِّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبَّ ٱلنَّجِيّْ
وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ ٱمْرِئٍ وَسِرُّ ٱلثَّلَاثَةِ غَيْرُ ٱلْخَفِيّْ

انتهى المختارُ مِنْ بابِ الأدبِ ، ويليهِ منتقىٰ بابِ النسيبِ

[نبذةٌ من أشعارِ النسيبِ من « ديوانِ الحماسَةِ »]

النَّسيبُ ذكرُ محاسنِ النساءِ ، والإخبارُ عن تَصرُّفِ هواهُنَّ بهِ ، وكأَنْ يَتغنَّىٰ بما يقولُهُ مِنْ ذٰلكَ ؛ ولأجلِ ذٰلكَ ترىٰ صيغةَ المصدرِ الصوتيِّ ، ويُسمَّى النسيبُ غزلاً ، والغزلُ في الأصلِ ظهورُ الإنسانِ في أحوالِ الغزالِ ؛ مِنَ الملاعبةِ وخفَّةِ الحركةِ

قالَ الصِّمَّةُ القشيريُّ ؛ وهوَ شاعرٌ غَزِلٌ هَوِيَ بنتَ عمٍّ لهُ يُقالُ لها ريَّا ، فخطبَها إلىٰ عمِّهِ ، فزَوَّجَهُ إيَّاها علىٰ خمسينَ مِنَ الإبلِ ، فجاءَ إلىٰ أبيهِ ، فسألَهُ ذٰلكَ ، فساقَ عنه تسعاً وأربعينَ وقالَ عمُّكَ لا يناظرُنا بنقصانِ ناقةٍ ، فساقَها إلىٰ عمِّهِ وذكرَ لهُ ما قالَ أبوهُ ، فأبىٰ أن يقبلَها إلا كُمَّلاً ، فلجَّ أبوهُ

(1) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١١١ ـ ١١٢)

ولجَّ عمُّهُ ، فقالَ والله ؛ ما رأيتُ ألأمَ منكُما جميعاً ، وإنّي لألأمُ إن أقمتُ معَكُما ، فرحلَ إلى الشامِ ، فتتبعَتْها نفسُهُ ، فقالَ[1] ـ ومثلُ هٰذا الشعرِ مِنْ بينِ النسيبِ يُسمَّىٰ بالغراميّ ـ :

[من الطويل]

حَنَنْتَ إِلَىٰ رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ ... مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ ٱلْأَمْرَ طَائِعاً ... وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِي ٱلصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
قِفَا وَدِّعَا نَجْداً وَمَنْ حَلَّ بِٱلْحِمَىٰ ... وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُوَدَّعَا
بِنَفْسِيَ تِلْكَ ٱلْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ ٱلرُّبَا ... وَمَا أَحْسَنَ ٱلْمُصْطَافَ وَٱلْمُتَرَبَّعَا
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ ٱلْحِمَىٰ بِرَوَاجِعٍ ... عَلَيْكَ وَلَٰكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا ... وَحَالَتْ بَنَاتُ ٱلشَّوْقِ يَحْنِنَّ نُزَّعَا
بَكَتْ عَيْنِيَ ٱلْيُسْرَىٰ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا ... عَنِ ٱلْجَهْلِ بَعْدَ ٱلْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا
تَلَفَّتُّ نَحْوَ ٱلْحَيِّ حَتَّىٰ وَجَدْتُنِي ... وَجِعْتُ مِنَ ٱلْإِصْغَاءِ لِيتاً وَأَخْدَعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ ٱلْحِمَىٰ ثُمَّ أَنْثَنِي ... عَلَىٰ كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

وقالَ الحسينُ بنُ مطيرٍ الأسديُّ[2] :

[من الطويل]

لَقَدْ كُنْتُ جَلْداً قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ ٱلنَّوَىٰ ... عَلَىٰ كَبِدِي جَمْراً بَطِيئاً خُمُودُهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي ... إِذَا قَدُمَتْ أَيَّامُهَا وَعُهُودُهَا
فَقَدْ جَعَلَتْ فِي حَبَّةِ ٱلْقَلْبِ وَٱلْحَشَا ... عِهَادَ ٱلْهَوَىٰ تُولَىٰ بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا
بِسُودٍ نَوَاصِيهَا وَحُمْرٍ أَكُفُّهَا ... وَصُفْرٍ تَرَاقِيهَا وَبِيضٍ خُدُودُهَا
مُخَصَّرَةُ ٱلْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا ... بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
يُمَنِّينَنَا حَتَّىٰ تَرِفَّ قُلُوبُنَا ... رَفِيفَ ٱلْخُزَامَىٰ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا

---

(1) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١١٣ ـ ١١٤)

(2) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١١٨)

وقالَ أبو صخرٍ الهذليُّ (١) [من الطويل]

أَمَا وَٱلَّذِي أَبْكَىٰ وَأَضْحَكَ وَٱلَّذِي ... أَمَاتَ وَأَحْيَا وَٱلَّذِي أَمْرُهُ ٱلأَمْرُ

لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ ٱلْوَحْشَ أَنْ أَرَىٰ ... [أَلِيفَيْنِ] مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا ٱلذُّعْرُ

فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوىً كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَيَا سَلْوَةَ ٱلْأَيَّامِ مَوْعِدُكِ ٱلْحَشْرُ

عَجِبْتُ لِسَعْيِ ٱلدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... فَلَمَّا ٱنْقَضَىٰ مَا بَيْنَنَا سَكَنَ ٱلدَّهْرُ

وقالَ ابنُ أذينةَ (٢) [من الكامل]

إِنَّ ٱلَّتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا ... خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوىً لَهَا

بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا ٱلنَّعِيمُ فَصَاغَهَا ... بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا

حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي ... مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا

وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ ... شَفَعَ ٱلضَّمِيرُ إِلَى ٱلْفُؤَادِ فَسَلَّهَا

وقالَ آخرُ (٣) [من الطويل]

وَكُنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً ... لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ ٱلْمَنَاظِرُ

رَأَيْتَ ٱلَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ ... عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

أي لا كلُّهُ والنفسُ لهُ طالبةٌ ، ولا عن بعضِهِ وهيَ بِهِ غيرُ قانعةٍ

وقالَ آخرُ (٤) [من الوافر]

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَٱلْعِيسُ تَهْوِي ... بِنَا بَيْنَ ٱلْمُنِيفَةِ فَٱلضِّمَارِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٩/٣)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢١/٣)

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢٢/٣) .

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢٢/٣ ـ ١٢٣)

تَـمَـتَّـعْ مِـنْ شَـمِـيـمِ عَـرَارِ نَـجْـدٍ فَـمَـا بَـعْـدَ ٱلْـعَـشِـيَّـةِ مِـنْ عَـرَارِ
أَلَا يَـا حَـبَّـذَا نَـفَـحَـاتُ نَـجْـدٍ وَرَيَّـا رَوْضِـهِ بَـعْـدَ ٱلْـقِـطَـارِ
وَأَهْـلُـكَ إِذْ يَـحُـلُّ ٱلْـحَـيُّ نَـجْـداً وَأَنْـتَ عَـلَـىٰ زَمَـانِـكَ غَـيْـرُ زَارِي
شُـهُـورٌ يَـنْـقَـضِـيـنَ وَمَـا شَـعَـرْنَـا بِـإِنْـصَـافٍ لَـهُـنَّ وَلَا سِـرَارِ

وقالَ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ [1] ـ وهوَ مِنْ فتيانِ قريشٍ ، وكلُّ شعرِهِ غزلٌ ، واشتَهرَ بذلكَ ، ولهُ أخبارٌ ، وُلِدَ ليلةَ ماتَ عمرُ بنُ الخطابِ ، فقيلَ أيُّ حقٍّ رُفِعَ ، وأيُّ باطلٍ وُضِعَ

وكانَ ابنُ عباسٍ يستريحُ لاستماعِ إنشادِهِ شعرَهُ ، فكانَ ربَّما يأتيهِ وهوَ في مجلسِ استفتاءِ الناسِ إيَّاهُ ، فينصرفُ عنهُم إليهِ ، وكانَ معَ غزلِهِ وشدَّةِ كلفِهِ بمحادثةِ النساءِ عفيفاً ـ [من الطويل]

وَلَـمَّـا تَـفَـاوَضْـنَـا ٱلْـحَـدِيـثَ وَأَسْـفَـرَتْ وُجُـوهٌ زَهَـاهَـا ٱلْـحُـسْـنُ أَنْ تَـتَـقَـنَّـعَـا
تَـبَـالَـهْـنَ بِـٱلْـعِـرْفَـانِ لَـمَّـا عَـرَفْـنَـنِـي وَقُـلْـنَ ٱمْـرُؤٌ بَـاغٍ أَكَـلَّ وَأَوْضَـعَـا
وَقَـرَّبْـنَ أَسْـبَـابَ ٱلْـهَـوَىٰ لِـمُـتَـيَّـمٍ يَـقِـيـسُ ذِرَاعـاً كُـلَّـمَـا قِـسْـنَ إِصْـبَـعَـا
وَقُـلْـتُ لِـمُـطْـرِيـهِـنَّ وَيْـحَـكَ إِنَّـمَـا ضَـرَرْتَ فَـهَـلْ تَـسْـطِـيـعُ نَـفْـعـاً فَـتَـنْـفَـعَـا

يُروىٰ أنَّ عائشةَ بنتَ طلحةَ ـ وكانَتْ مِنْ أجملِ نساءِ زمانِها ، يُقالُ إنَّ أبا هريرةَ رآها يوماً في المسجدِ وهيَ مارَّةٌ إلىٰ عائشةَ أمِّ المؤمنينَ ، فقالَ إنَّها مِنَ الحُورِ العينِ ـ كانَتْ لا تسترُ وجهَها ، وكانَ زوجُها مصعبُ بنُ الزبيرِ يأمرُها بسترِهِ ، فتقولُ إنَّ اللهَ وسمَني بمِيسمِ جمالٍ ، فلا أحبُّ أن أسترَ نعمةَ اللهِ عليَّ

---

(1) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٢٧)

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ الدُّمَيْنَةِ الخثعميُّ (١) [من الطويل]

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَىٰ هِجْتَ مِنْ نَجْدِ ... لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجْداً عَلَىٰ وَجْدِ
أَإِنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ فِي رَوْنَقِ ٱلضُّحَىٰ ... عَلَىٰ فَنَنٍ غَضِّ ٱلنَّبَاتِ مِنَ ٱلرَّنْدِ
بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي ٱلْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ ... جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ ٱلَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ ٱلْمُحِبَّ إِذَا دَنَا ... يَمَلُّ وَأَنَّ ٱلنَّأْيَ يَشْفِي مِنَ ٱلْوَجْدِ
بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفِ مَا بِنَا ... عَلَىٰ ذَاكَ قُرْبُ ٱلدَّارِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْبُعْدِ
عَلَىٰ أَنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي عَهْدِ

وقالَ آخَرُ (٢) [من الطويل]

أَلَا طَرَقَتْنَا آخِرَ ٱللَّيْلِ زَيْنَبُ ... عَلَيْكِ سَلَامٌ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ
وَقَالَتْ تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقْرَبَنَّنَا ... وَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حَاجَتِي أَتَجَنَّبُ
يَقُولُونَ هَلْ بَعْدَ ٱلثَّلَاثِينَ مَلْعَبٌ ... فَقُلْتُ وَهَلْ قَبْلَ ٱلثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ
لَقَدْ جَلَّ خَطْبُ ٱلشَّيْبِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا ... بَدَتْ شَيْبَةٌ يَعْرَىٰ مِنَ ٱللَّهْوِ مَرْكَبُ

وقالَ كثيرٌ (٣) [من الطويل]

وَأَدْنَيْتِنِي حَتَّىٰ إِذَا مَا مَلَكْتِنِي ... بِقَوْلٍ يُحِلُّ ٱلْعُصْمَ سَهْلَ ٱلْأَبَاطِحِ
تَنَاهَيْتِ عَنِّي حِينَ لَا لِيَ حِيلَةٌ ... وَغَادَرْتِ مَا غَادَرْتِ بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ

وقالَ آخَرُ (٤) [من الطويل]

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٥/٣)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٦/٣)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٦/٣)
(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٨/٣)

سَلِي ٱلْبَانَةَ ٱلْغَيْنَاءَ بِٱلْأَجْرَعِ ٱلَّذِي ... بِهِ ٱلْبَانُ هَلْ حَيَّيْتُ أَطْلَالَ دَارِكِ

وَهَلْ قُمْتُ فِي أَطْلَالِهِنَّ عَشِيَّةً ... مَقَامَ أَخِي ٱلْبَأْسَاءِ وَٱخْتَرْتُ ذَٰلِكِ

وَهَلْ هَمَلَتْ عَيْنَايَ فِي ٱلدَّارِ غُدْوَةً ... بِدَمْعٍ كَنَظْمِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمُتَهَالِكِ

أَرَى ٱلنَّاسَ يَرْجُونَ ٱلرَّبِيعَ وَإِنَّمَا ... رَبِيعِي ٱلَّذِي أَرْجُو نَوَالُ وِصَالِكِ

أَرَى ٱلنَّاسَ يَخْشَوْنَ ٱلسِّنِينَ وَإِنَّمَا ... سِنِيَّ ٱلَّتِي أَخْشَىٰ صُرُوفُ ٱحْتِمَالِكِ

لَئِنْ سَاءَنِي أَنْ نِلْتِنِي بِمَسَاءَةٍ ... لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكِ

لِيَهْنِكِ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى ٱلْحَشَا ... وَرَقْرَاقُ عَيْنِي رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكِ

الغيناءُ: الظليلةُ، فهيَ تسترُ ما تحتَها، ولِمَا في السَّحابِ مِنَ السترِ يُسمَّىٰ غيناً، ومنهُ: غانَ علىٰ قلبِهِ كذا، ويُروى: (الغَنَّاءَ) ويصفونَ الشجرَ بالغِناءِ لِمَا يُسمَعُ منهُ إذا مرَّت بهِ الرياحُ، قالَ بعضُهُم [1]: [من الخفيف]

لِلثَّرَىٰ تَحْتَهَا سُبَاتٌ وَلِلْمَا ... ءِ خَرِيرٌ وَلِلْغُصُونِ غِنَاءُ

وقالَ آخرُ [2]: [من الطويل]

تَمَتَّعْ بِهَا مَا سَاعَفَتْكَ وَلَا تَكُنْ ... عَلَيْكَ شَجاً فِي ٱلْحَلْقِ حِينَ تَبِينُ

وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ ٱللِّيَانَ فَإِنَّهَا ... لِغَيْرِكَ مِنْ خُلَّانِهَا سَتَلِينُ

وَإِنْ حَلَفَتْ لَا يَنْقُضُ ٱلنَّأْيُ عَهْدَهَا ... فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ ٱلْبَنَانِ يَمِينُ

وقالَ أبو بكرٍ عبدُ الرحمٰنِ الزهريُّ [3]: [من الطويل]

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلاً طَلُّهُ ٱلنَّدَىٰ ... أَنِيقاً وَبُسْتَاناً مِنَ ٱلنَّوْرِ حَالِيَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٨/٣)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٤٩/٣)

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٥/٣)

أَجَدَّ لَنَا طِيبُ ٱلْمَكَانِ وَحُسْنُهُ ... مُنىً فَتَمَنَّيْنَا فَكُنْتِ ٱلْأَمَانِيَا

وقالَ معدانُ بنُ المضربِ الكنديُّ[1] [من الطويل]

صَفَا وُدُّ لَيْلَىٰ مَا صَفَا ثُمَّ لَمْ نُطِعْ ... عَدُوّاً وَلَمْ نَسْمَعْ بِهِ قِيلَ صَاحِبِ

فَلَمَّا تَوَلَّىٰ وُدُّ لَيْلَىٰ لِجَانِبٍ ... وَقَوْمٍ تَوَلَّيْنَا لِقَوْمٍ وَجَانِبِ

وَكُلُّ خَلِيلٍ بَعْدَ لَيْلَىٰ يَخَافُنِي ... عَلَى ٱلْغَدْرِ أَوْ يَرْضَىٰ بِوُدٍّ مُقَارِبِ

وقالَ آخَرُ[2] [من الطويل]

هَلِ ٱلْحُبُّ إِلَّا زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ ... وَحَرٌّ عَلَى ٱلْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ

وَفَيْضُ دُمُوعِ ٱلْعَيْنِ يَا مَيُّ كُلَّمَا ... بَدَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

وقالَ يزيدُ بنُ المُنتشِرِ القشيريُّ المشهورُ بابنِ الطَّثَرِيَّةِ وهيَ أمُّهُ ؛ نُسِبَتْ لحيٍّ مِنْ قُضاعةَ يُقالُ لهُم طَثَرٌ[3] [من الطويل]

عُقَيْلِيَّةٌ أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا ... فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَبَتِيلُ

تَقَيَّظُ أَكْنَافَ ٱلْحِمَىٰ وَيُظِلُّهَا ... بِنَعْمَانَ مِنْ وَادِي ٱلْأَرَاكِ مَقِيلُ

أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا ... إِلَيْكِ وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكِ قَلِيلُ

فَيَا خُلَّةَ ٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي لَيْسَ دُونَهَا ... لَنَا مِنْ أَخِلَّاءِ ٱلصَّفَاءِ خَلِيلُ

وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ لَمْ يُطَعْ بِهِ ... عَدُوٌّ وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ

أَمَا مِنْ مَقَامٍ أَشْتَكِي غُرْبَةَ ٱلنَّوَىٰ ... وَخَوْفَ ٱلْعِدَا فِيهِ إِلَيْكِ سَبِيلُ

فَدَيْتُكِ أَعْدَائِي كَثِيرٌ وَشُقَّتِي ... بَعِيدٌ وَأَشْيَاعِي لَدَيْكِ قَلِيلُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٥٥)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٥٨ ـ ١٥٩)

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٦١ ـ ١٦٣)

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بِعِلَّةٍ فَأَفْنَيْتُ عِلَّاتِي فَكَيْفَ أَقُولُ
فَمَا كُلَّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكِ حَاجَةٌ وَلَا كُلَّ يَوْمٍ لِي إِلَيْكِ رَسُولُ
صَحَائِفُ عِنْدِي لِلْعِتَابِ طَوَيْتُهَا سَتُنْشَرُ يَوْماً وَٱلْعِتَابُ طَوِيلُ
فَلَا تَحْمِلِي ذَنْبِي وَأَنْتِ ضَعِيفَةٌ فَحَمْلُ دَمِي يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ثَقِيلُ

وقالَ آخَرُ (١) [من الكامل]

بَيْضَاءُ آنِسَةُ ٱلْحَدِيثِ كَأَنَّهَا قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ مُبْرِدِ
مَوْسُومَةٌ بِٱلْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ إِنَّ ٱلْحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ
خَوْدٌ إِذَا كَثُرَ ٱلْحَدِيثُ تَعَوَّذَتْ بِحِمَى ٱلْحَيَاءِ وَإِنْ تَكَلَّمْ تَقْصِدِ
وَتَرَىٰ مَدَامِعَهَا تُرَقْرِقُ مُقْلَةً سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ ٱلْإِثْمِدِ

إنَّما يكونُ الليلُ ذا بردٍ إذا صفا الجوُّ

وقالَ آخَرُ (٢) [من الطويل]

أَهَابُكِ إِجْلَالاً وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ عَلَيَّ وَلَٰكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا
وَمَا هَجَرَتْكِ ٱلنَّفْسُ أَنَّكِ عِنْدَهَا قَلِيلٌ وَلَٰكِنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا

وقالَ ابنُ الدُّمَيْنَةِ (٣) [من الطويل]

أَلَا لَا أَرَىٰ وَادِي ٱلْمِيَاهِ يُثِيبُ وَلَا ٱلنَّفْسَ عَنْ وَادِي ٱلْمِيَاهِ تَطِيبُ
أُحِبُّ هُبُوطَ ٱلْوَادِيَيْنِ وَإِنَّنِي لَمُشْتَهِرٌ بِٱلْوَادِيَيْنِ غَرِيبُ
أَحَقّاً عِبَادَ ٱللهِ أَنْ لَسْتُ وَارِداً وَلَا صَادِراً إِلَّا عَلَيَّ رَقِيبُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٦٨)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٧٠)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٧٠ ـ ١٧١) .

وَلَا زَائِـراً فَـرْداً وَلَا فِـي جَـمَـاعَـةٍ مِـنَ ٱلـنَّـاسِ إِلَّا قِـيـلَ أَنْـتَ مُـرِيـبُ
وَهَـلْ رِيـبَـةٌ فِـي أَنْ تَـحِـنَّ نَـجِـيـبَـةٌ إِلَـىٰ إِلْـفِـهَـا أَوْ أَنْ يَـحِـنَّ نَـجِـيـبُ
وَإِنَّ ٱلْكَثِيبَ ٱلْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ ٱلْحِمَىٰ إِلَـيَّ وَإِنْ لَـمْ آتِـهِ لَـحَـبِـيـبُ
لَـكِ ٱللهُ إِنِّـي وَاصِـلٌ مَـا وَصَـلْـتِـنِـي وَمُـثْـنٍ بِـمَـا أَوْلَـيْـتِـنِـي وَمُـثِـيـبُ
وَآخِـذُ مَـا أَعْـطَـيْـتِ عَـفْـواً وَإِنَّـنِـي لَأَزْوَرُ عَـمَّـا تَـكْـرَهِـيـنَ هَـيُـوبُ
فَلَا تَتْرُكِي نَفْسِي شَعَاعاً فَإِنَّهَا مِنَ ٱلْوَجْدِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكِ تَذُوبُ
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكِ حَتَّىٰ كَأَنَّمَا عَلَيَّ بِظَهْرِ ٱلْغَيْبِ مِنْكِ رَقِيبُ

وقالَ آخَرُ (١) [من الطويل]

تَحَمَّلَ أَصْحَابِي وَلَمْ يَجِدُوا وَجْدِي وَلِلنَّاسِ أَشْجَانٌ وَلِي شَجَنٌ وَحْدِي
أُحِبُّكُمُ مَا دُمْتُ حَيّاً فَإِنْ أَمُتْ فَوَا كَبِدَا مِمَّنْ يُحِبُّكُمُ بَعْدِي

وقالَ أبو حيَّةَ النميريُّ (٢) [من الطويل]

رَمَـتْـهُ أَنَـاةٌ مِـنْ رَبِـيـعَـةِ عَـامِـرٍ نَـؤُومُ ٱلضُّحَىٰ فِي مَأْتَمٍ أَيِّ مَأْتَمِ
فَـجَـاءَ كَـخُـوطِ ٱلْبَـانِ لَا مُـتَـتَـايِـعٌ وَلَـٰكِنْ بِـسِـيـمَـا ذِي وَقَـارٍ وَمِـيـسَـمِ
فَـقُـلْـنَ لَـهَـا سِرّاً فَـدَيْـنَـاكِ لَا يَـرُحْ صَحِيحاً وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَأَلْمِمِي
فَأَلْقَتْ قِنَاعاً دُونَهُ ٱلشَّمْسُ وَٱتَّقَتْ بِأَحْسَنِ [مَوْصُولَيْنِ] كَفٍّ وَمِعْصَمِ
وَقَـالَـتْ فَـلَـمَّـا أَفْـرَغَـتْ فِـي فُـؤَادِهِ وَعَيْنَيْهِ مِنْهَا ٱلسِّحْرَ قُلْنَ لَهُ قُمِ
فَـوَدَّ بِـجَـدْعِ ٱلْأَنْـفِ لَـوْ أَنَّ صَـحْـبَـهُ تَـنَـادَوْا وَقَـالُـوا فِـي ٱلْـمَـنَـاخِ لَـهُ نَـمِ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٧١)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٧٢ ـ ١٧٣)

الأناةُ إمَّا مِنْ (وَنَىٰ) ، وإبدالُ الهمزةِ مِنَ الواوِ المفتوحةِ قليلٌ ؛ كأحدٍ ، وأجمِ في وجمَ ؛ أي سكتَ حزناً ، أو مِنْ (أنىٰ) أي تأنَّىٰ ، وقولُهُ (فجاءَ كخُوطِ البانِ) أيِ المرميُّ حينَ أقبلَ أقبلَ في وقارٍ وتُؤدةٍ شابّاً ناعماً معتدلَ القامةِ كالخُوط ـ بضمِّ الخاءِ ـ أي : الغصنِ ، والمتتايعُ : المتسرعُ في حماقةٍ ، والمأتمُ المجمعُ مِنَ النساءِ في خيرٍ أو شرٍّ

وقالَ أبو الشِّيصِ الخزاعيُّ (١) [من الكامل]

وَقَفَ ٱلْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي ... مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدَّمُ

أَجِدُ ٱلْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً ... حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي ٱللُّوَّمُ

أَشْبَهْتِ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ ... إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكِ حَظِّي مِنْهُمُ

وَأَهَنْتِنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِيَ صَاغِراً ... مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكِ مِمَّنْ أُكْرِمُ

المُحِبُّ [يستطيبُ] اللَّومَ والعذلَ ؛ لِمَا فيهِ مِنْ ذكرِ الحبيبِ كما قالَ ، وقالَ آخَرُ (٢) [من الكامل]

أُصْغِي إِلَىٰ قَوْلِ ٱلْعَذُولِ بِجُمْلَتِي ... مُسْتَفْهِماً عَنْكُمْ بِغَيْرِ مَلَالِ

لِتَلَقُّطِي زَهَرَاتِ وَرْدِ حَدِيثِكُمْ ... مِنْ بَيْنِ شَوْكِ مَلَامَةِ ٱلْعُذَّالِ

وخالفَ ذٰلكَ المتنبي حيثُ يقولُ (٣) [من الكامل]

أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً ... إِنَّ ٱلْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وقالَ آخرُ (٤) [من الطويل]

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٧٤)

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٥٩)

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٦٦)

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٧٥)

وَلَا غَـرْوَ إِلَّا مَـا يُـخَـبِّـرُ سَـالِـمٌ ... بِـأَنَّ بَـنِـي أَسْـتَـاهِـهَـا نَـذَرُوا دَمِـي

وَمَـا لِـيَ مِـنْ ذَنْـبٍ إِلَـيْـهِـمْ عَـلِـمْـتُـهُ ... سِوَىٰ أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ يَا سَرْحَةُ ٱسْلَمِي

نَعَمْ فَٱسْلَمِي ثُمَّ ٱسْلَمِي ثُمَّتَ ٱسْلَمِي ... ثَـلَاثَ تَـحِيَّاتٍ وَإِنْ لَـمْ [تَـكَـلَّـمِـي]

لا غـروَ إلَّا ما يـخبر ؛ أي لا عـجـبَ إلَّا إخـبـارٌ ، والسَّـرْحـةُ واحـدةُ السَّرْحِ ؛ وهوَ مِنَ الشجرِ ما لا شوكَ لهُ ، ويقابلُهُ العضهُ ، كنَّىٰ بالسَّرْحة عنِ المرأةِ

وقالَ زيادُ بنُ حملٍ ، أوِ ابنُ منقذٍ التميميُّ ، وكانَ قد أتى اليمنَ واشتاقَ بلادَهُ(١) [من البسيط]

لَا حَبَّذَا أَنْتِ يَـا صَـنْـعَـاءُ مِـنْ بَـلَـدٍ ... وَلَا شُـعُـوبُ هَـوىً مِـنِّـي وَلَا نُـقُـمُ

وَلَـنْ أُحِـبَّ بِـلَاداً قَـدْ رَأَيْـتُ بِـهَـا ... عَـنْـسـاً وَلَا بَـلَـداً حَـلَّـتْ بِـهِ قَـدَمُ

إِذَا سَـقَـى ٱللَّهُ أَرْضـاً صَـوْبَ غَـادِيَـةٍ ... فَـلَا سَـقَـاهُـنَّ إِلَّا ٱلـنَّـارَ تَـضْـطَـرِمُ

وَحَـبَّـذَا حِـيـنَ تُـمْـسِـي ٱلـرِّيـحُ بَـارِدَةً ... وَادِي أُشَـيَّ وَفِـتْـيَـانٌ بِـهِ هُـضُـمُ

ٱلْـوَاسِـعُـونَ إِذَا مَـا جَـرَّ غَـيْـرُهُـمُ ... عَلَى ٱلْعَشِيرَةِ وَٱلْكَافُونَ مَا جَرَمُوا

وَٱلْـمُـطْـعِـمُـونَ إِذَا هَـبَّـتْ شَـآمِـيَـةٌ ... وَبَـاكَـرَ ٱلْـحَـيَّ مِـنْ صُـرَّادِهَـا صِـرَمُ

وَشَـتْـوَةٍ فَـلَّـلُـوا أَنْـيَـابَ لَـزْبَـتِـهَـا ... عَـنْـهُـمْ إِذَا كَـلَـحَـتْ أَنْـيَـابُـهَـا ٱلْأُزُمُ

حَتَّى ٱنْجَلَىٰ حَدُّهَا عَنْهُمْ وَجَارُهُمُ ... بِـنَـجْـوَةٍ مِـنْ حِـذَارِ ٱلـشَّـرِّ مُـعْـتَـصِـمُ

هُـمُ ٱلْـبُـحُـورُ عَـطَـاءً حِـيـنَ تَـسْـأَلُـهُـمْ ... وَفِـي ٱلـلِّـقَـاءِ إِذَا تَـلْـقَـىٰ بِـهِـمْ بُـهَـمُ

وَهُـمْ إِذَا ٱلْـخَـيْـلُ حَـالُـوا فِـي كَـوَاثِـبِـهَـا ... فَـوَارِسُ ٱلْـخَـيْـلِ لَا مِـيـلٌ وَلَا قَـزَمُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٨٠ ـ ١٨٧)

لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمُ حَيّاً فَأَخْبُرُهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمُ حُبّاً إِلَيَّ هُمُ
كَمْ فِيهِمُ مِنْ فَتىً حُلْوٍ شَمَائِلُهُ جَمِّ ٱلرَّمَادِ إِذَا مَا أَخْمَدَ ٱلْبَرَمُ
تُحِبُّ زَوْجَاتُ أَقْوَامٍ حَلَائِلَهُ إِذَا ٱلْأُنُوفُ ٱمْتَرَىٰ مَكْنُونَهَا ٱلشَّبَمُ
تَرَى ٱلْأَرَامِلَ وَٱلْهُلَّاكَ تَتْبَعُهُ يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ رَذِمُ
كَأَنَّ أَصْحَابَهُ بِٱلْقَفْرِ يَمْطُرُهُمْ مِنْ مُسْتَحِيرٍ غَزِيرٍ صَوْبُهُ دِيَمُ
غَمْرُ ٱلنَّدَىٰ لَا يَبِيتُ ٱلْحَقُّ يَثْمُدُهُ إِلَّا غَدَا وَهْوَ سَامِي ٱلطَّرْفِ يَبْتَسِمُ
إِلَى ٱلْمَكَارِمِ يَبْنِيهَا وَيَعْمُرُهَا حَتَّىٰ يَنَالَ أُمُوراً دُونَهَا قُحَمُ
[تَشْقَىٰ] بِهِ كُلُّ مِرْبَاعٍ مُوَدَّعَةٍ عَرْفَاءَ يَشْتُو عَلَيْهَا تَامِكٌ سَنِمُ
تَرَى ٱلْجِفَانَ مِنَ ٱلشِّيزَىٰ مُكَلَّلَةً قُدَّامَهُ زَانَهَا ٱلتَّشْرِيفُ وَٱلْكَرَمُ
يَنُوبُهَا ٱلنَّاسُ أَفْوَاجاً إِذَا نَهِلُوا عَلُّوا كَمَا عَلَّ بَعْدَ ٱلنَّهْلَةِ ٱلنَّعَمُ
زَارَتْ رُوَيْقَةُ شُعْثاً بَعْدَمَا هَجَعُوا لَدَىٰ نَوَاحِلَ فِي أَرْسَاغِهَا ٱلْخَدَمُ
وَقُمْتُ لِلزَّوْرِ مُرْتَاعاً فَأَرَّقَنِي فَقُلْتُ أَهْيَ سَرَتْ أَمْ عَادَنِي حُلُمُ
وَكَانَ عَهْدِي بِهَا وَٱلْمَشْيُ يَبْهَظُهَا مِنَ ٱلْقَرِيبِ وَمِنْهَا ٱلنَّوْمُ وَٱلسَّأَمُ
وَبِٱلتَّكَالِيفِ تَأْتِي بَيْتَ جَارَتِهَا تَمْشِي ٱلْهُوَيْنَىٰ وَمَا تَبْدُو لَهَا قَدَمُ
سُودٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ تَرَائِبُهَا دُرْمٌ مَرَافِقُهَا فِي خَلْقِهَا عَمَمُ
رُوَيْقَ إِنِّي وَمَا حَجَّ ٱلْحَجِيجُ لَهُ وَمَا أَهَلَّ بِجَنْبَيْ نَخْلَةَ ٱلْحُرُمُ
لَمْ يُنْسِنِي ذِكْرَكُمْ مُذْ لَمْ أُلَاقِكُمُ عَيْشٌ سَلَوْتُ بِهِ عَنْكُمْ وَلَا قِدَمُ
وَلَمْ تُشَارِكْكِ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةٌ لَا وَٱلَّذِي أَصْبَحَتْ عِنْدِي لَهُ نِعَمُ
مَتَىٰ أَمُرُّ عَلَى ٱلشَّقْرَاءِ مُعْتَسِفاً خَلَّ ٱلنَّقَا بِمَرُوحٍ لَحْمُهَا زِيَمُ

وَٱلْوَشْمِ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهُ وَقَابَلَهَا مِنَ ٱلثَّنَايَا ٱلَّتِي لَمْ أَقْلِهَا ثَرَمُ
يَا لَيْتَ شِعْرِيَ عَنْ جَنْبَيْ مُكَسَّحَةٍ وَحَيْثُ تُبْنَىٰ مِنَ ٱلْحِنَّاءَةِ ٱلْأُطُمُ
عَنِ ٱلْإِشَاءَةِ هَلْ زَالَتْ مَخَارِمُهَا وَهَلْ تَغَيَّرَ مِنْ آرَامِهَا أَرَمُ
وَجَنَّةٍ مَا يَذُمُّ ٱلدَّهْرَ حَاضِرُهَا جَبَّارُهَا بِٱلنَّدَىٰ وَٱلْحَمْلِ مُحْتَزِمُ
فِيهَا عَقَائِلُ أَمْثَالُ ٱلدُّمَىٰ خُرُدٌ لَمْ يَغْذُهُنَّ شَقَا عَيْشٍ وَلَا يَتَمُ
يَنْتَابُهُنَّ كِرَامٌ مَا يَذُمُّهُمُ جَارٌ غَرِيبٌ [وَلَا] يُؤْذَىٰ لَهُمْ حَشَمُ
مُخَدَّمُونَ ثِقَالٌ فِي مَجَالِسِهِمْ وَفِي ٱلرِّحَالِ إِذَا صَاحَبْتَهُمْ خَدَمُ
بَلْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَىٰ أَغْدُو تُعَارِضُنِي جَرْدَاءُ سَابِحَةٌ أَوْ سَابِحٌ قُدُمُ
نَحْوَ [ٱلْأُمَيْلِحِ] أَوْ سَمْنَانَ مُبْتَكِراً بِفِتْيَةٍ فِيهِمُ ٱلْمَرَّارُ وَٱلْحَكَمُ
لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ [إِذَا] يَغْدُونَ أَرْدِيَةٌ إِلَّا جِيَادُ قِسِيِّ ٱلنَّبْعِ وَٱللُّجُمُ
مِنْ غَيْرِ عُدْمٍ وَلَـٰكِنْ مِنْ تَبَذُّلِهِمْ لِلصَّيْدِ حِينَ يَصِيحُ ٱلْقَانِصُ ٱللَّحِمُ
فَيَفْزَعُونَ إِلَىٰ جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ أَفْنَىٰ دَوَابِرَهُنَّ ٱلرَّكْضُ وَٱلْأَكَمُ
يَرْضَخْنَ صُمَّ ٱلْحَصَا فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ كَمَا تَطَايَحَ عَنْ مِرْضَاخِهِ ٱلْعَجَمُ
يَغْدُو أَمَامَهُمُ فِي كُلِّ مَرْبَأَةٍ طَلَّاعُ أَنْجِدَةٍ فِي كَشْحِهِ هَضَمُ

شُعُوبٌ ونُقُم بضمَّتَينِ موضعانِ ، تقولُ للشيءِ **هوَ منِّي هوىً** ؛ أي محبوبٌ ، **وعَنْسٌ وقَدَمُ** بفتحتَينِ حيانِ مِنْ أحياءِ اليمنِ ، مِنَ الأوَّلِ الأسودُ العَنْسيُّ الكذَّابُ الذي تَنبَّأَ علىٰ عهدِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، وكانَ ساحرَ المَنطِقِ ، وقتلَهُ فيروزٌ الديلميُّ ، **وهُضُمٌ** جمعُ هَضُومٍ ؛ أي يهضمونَ المالَ في وجوهِ الخيرِ ، **والصَّرَّادُ كرمَّانٍ** السحابُ لا ماءَ فيهِ ، **والصِّرَمُ** جمعُ صِرْمة بكسرٍ فسكونٍ ؛ الجملةُ مِنَ الإبلِ ، واستعيرَ ها هنا ، **اللزبةُ** السنةُ المجدبةُ ،

وفَلَّلُوا أنيابَها أزالوا شدائدَها ، مِنْ تفليلِ حدِّ السيفِ ؛ أي إحداثِ الفلولِ بهِ ، والأُزُمُ جمعُ أَزُومٍ ، والأَزومُ الإمساكُ على الشيءِ بالأسنانِ ، وكواثبُ الخيلِ جمعُ كاثبةٍ ؛ أعالي ظهورِها ، وإذا الخيلُ حالوا في كواثبِها مِنْ تراكيبِ الاشتغالِ ؛ أي إذا قصدوا الخيلَ

والقَذَمُ بفتحتَينِ أراذلُ الناسِ ، وقولُهُ (إلَّا يزيدَهُم حُبّاً إليَّ هم) أي أَلَّا يزيدونَ أنفسَهُم حُبّاً إليَّ ؛ لإبرارِهِم على غيرِهِم ، وضعَ الضَّميرَ المُنفصِلَ موضعَ المتصلِ ، والبَرَمُ اللئيمُ البخيلُ ، على وزنِ الشَّبَمِ بفتحِ أوَّلِهِ ؛ وهوَ البردُ ، والعرفاءُ : التي طالَ وبرُها حتىٰ صارَ لها مثلُ العرفِ ، والجبَّارُ : النخلُ الطويلُ ، والأَرَمُ العَلَمُ وزناً ومعنىً ، والحناءةُ نوعُ رملٍ يُستعمَلُ في بناءِ الأُطُمِ ـ بضمَّتَينِ ـ وهيَ الحصونُ والقصورُ

وقالَ عمرُو ضبيعةَ الرَّقَاشيُّ (١) [من الطويل]

تَضِيقُ جُفُونُ ٱلْعَيْنِ عَنْ عَبَرَاتِهَا فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ ٱلتَّجَلُّدِ وَٱلصَّبْرِ
وَغُصَّةِ صَدْرٍ أَظْهَرَتْهَا فَرَفَّهَتْ حَزَازَةَ حَرٍّ فِي ٱلْجَوَانِحِ وَٱلصَّدْرِ
أَلَا لِيَقُلْ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا يُلَامُ ٱلْفَتَىٰ فِيمَا ٱسْتَطَاعَ مِنَ ٱلْأَمْرِ
قَضَى ٱللهُ حُبَّ ٱلْمَالِكِيَّةِ فَٱصْطَبِرْ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجْرِي ٱلْأُمُورُ عَلَىٰ قَدْرِ

وقالَ جميلٌ (٢) [من الطويل]

بُثَيْنَةُ مَا فِيهَا إِذَا مَا تُبُصِّرَتْ مَعَابٌ وَلَا فِيهَا إِذَا نُسِبَتْ أَشْبُ
لَهَا ٱلنَّظْرَةُ ٱلْأُولَىٰ عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةٌ وَإِنْ كُرَّتِ ٱلْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا ٱلْعَقْبُ
إِذَا ٱبْتَذَلَتْ لَمْ يُزْرِهَا تَرْكُ زِينَةٍ وَفِيهَا إِذَا ٱزْدَانَتْ لِذِي نِيقَةٍ حَسْبُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٨٧)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/١٩٥)

[نبذةٌ من أشعارِ الهجاءِ من « ديوانِ الحماسةِ »]

ذٰلكَ المختارُ مِنْ بابِ النسيبِ

وهاكَ أشياءَ مِنْ بابِ الهجاءِ ؛ وهوَ مِنْ هجاهُ يهجوهُ ؛ إذا رماهُ بالمعايبِ في أعمالِهِ أو أعمالِ أسلافِهِ

قالَ موسى بنُ جابرٍ الحنفيُّ (١) [من الكامل]

كَانَتْ حَنِيفَةُ لَا أَبَا لَكَ مَرَّةً ... عِنْدَ ٱللِّقَاءِ أَسِنَّةً لَا تَنْكُلُ

فَرَأَتْ حَنِيفَةُ مَا رَأَتْ أَشْيَاعُهَا ... وَٱلرِّيحُ أَحْيَاناً كَذَاكَ تَحَوَّلُ

وقالَ قرادُ بنُ حنشٍ الصارديُّ (٢) [من الطويل]

لَقَوْمِيَ أَدْعَىٰ لِلْعُلَا مِنْ عِصَابَةٍ ... مِنَ ٱلنَّاسِ يَا حَارِ بْنَ عَمْرٍو تَسُودُهَا

وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يُعْجِبُ ٱلنَّاسَ رِزُّهَا ... بِآبِدَةٍ تُنْحِي شَدِيدٍ وَئِيدُهَا

تُقَطِّعُ أَطْنَابَ ٱلْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ ... وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرْقُهَا وَرُعُودُهَا

فَوَيْلُمِّهَا خَيْلاً بَهَاءً وَشَارَةً ... إِذَا لَاقَتِ ٱلْأَعْدَاءَ لَوْلَا صُدُودُهَا

الرِّزُّ ـ بالكسرِ ـ : الصوتُ تَسمعُهُ مِنْ بعيدٍ ، والباءُ في (بآبدةٍ) بمعنىٰ معَ ، والآبدةُ المنكرةُ ، وتنحي مِنْ أنحىٰ ؛ أيِ اعتمدَ ، والحاصبُ الريحُ تأتي بالحصباءِ ؛ أيِ الحصىٰ ؛ لشدَّتِها ، مثَّلَ تهويلَهُم وما يظهرُ منهُ بسحابٍ لهُ برقٌ ورعدٌ مصحوبٌ بريحٍ شديدةٍ ثمَّ لا يمطرُ ، فهوَ وهُم لا خيرَ فيهِم

وقالَ طرفةُ بنُ العبدِ (٣) [من الطويل]

فَرَّقَ عَنْ بَيْتَيْكَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ ... وَعَمْراً وَعَوْفاً مَا تَشِي وَتَقُولُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٢/٤ ـ ٣)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣/٤)

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٨/٤)

وَأَنْـتَ عَـلَى ٱلْأَدْنَـىٰ شَـمَـالٌ عَـرِيَّـةٌ   شَـآمِـيَّـةٌ تَـزْوِي ٱلْـوُجُـوهَ بَـلِـيـلُ
وَأَنْتَ عَلَى ٱلْأَقْصَىٰ صَباً غَيْرُ قُرَّةٍ   تَـذَاءَبَ مِـنْـهَـا مُـرْزِغٌ وَمُـسِـيـلُ
وَأَعْـلَـمُ عِـلْـماً لَـيْـسَ بِـٱلـظَّـنِّ أَنَّـهُ   إِذَا ذَلَّ مَـوْلَى ٱلْـمَـرْءِ فَـهْـوَ ذَلِـيـلُ
وَإِنَّ لِسَـانَ ٱلْـمَـرْءِ مَا لَـمْ تَـكُـنْ لَـهُ   حَـصَـاةٌ عَـلَـىٰ عَـوْرَاتِـهِ لَـدَلِـيـلُ

أرادَ بالبيتَينِ العصبةَ وذوي الأرحامِ ، وقصدَ تخليصَهُ بالهجاءِ وإخراجَهُ مِنْ شرفِ أهلِهِ بسوءِ عملِهِ ، ومرزغٌ ومسيلٌ ؛ أي ذاتُ رزغةٍ ـ وهيَ الوحلُ ـ وسيلٍ

وقالَ قعنبُ بنُ ضمرةَ (١)   [من البسيط]

إِنْ يَسْمَعُوا رِيبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً   مِنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
صُـمٌّ إِذَا سَـمِـعُـوا خَـيْـراً ذُكِـرْتُ بِـهِ   وَإِنْ ذُكِـرْتُ بِـشَـرٍّ عِـنْـدَهُـمْ أَذِنُـوا
جَـهْـلاً عَـلَـيْـنَـا وَجُـبْـناً عَـنْ عَـدُوِّهِـمِ   لَـبِـئْـسَـتِ ٱلْـخَـلَّـتَـانِ ٱلْـجَـهْـلُ وَٱلْـجُـبُـنُ

ولبعضِهِم زيادةٌ في هـٰذا المعنىٰ (٢)   [من البسيط]

إِنْ يَعْلَمُوا ٱلْخَيْرَ أَخْفَوْهُ وَإِنْ سَمِعُوا   شَرّاً أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

وقـالَ مـحـرزُ بـنُ الـمـكـعـبرِ الـضـبـيُّ لـبـني عـديِّ بـنِ جـنـدبِ بـنِ العنبرِ (٣)   [من الطويل]

أَبْلِغْ عَدِيّاً حَيْثُ صَارَتْ بِهَا ٱلنَّوَىٰ   وَلَـيْـسَ لِـدَهْـرِ ٱلـطَّـالِـبِـيـنَ فَـنَـاءُ
كُـسَـالَـىٰ إِذَا لَاقَـيْـتَـهُـمْ غَـيْـرَ مَـنْـطِـقٍ   يُـلَـهَّـىٰ بِـهِ ٱلْـمَـتْـبُـولُ وَهْـوَ عَـنَـاءُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢/٤)
(٢) انظر « التذكرة الحمدونية » (١٥٩/٣)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥/٤ ـ ١٦)

أُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ وَلَوْ شِئْتُ قَالَ ٱلْمُنْبِئُونَ أَسَاؤُوا

لَهُمْ [رَيْثَةٌ] تَعْلُو صَرِيمَةَ أَمْرِهِمْ وَلِلْأَمْرِ يَوْماً رَاحَةٌ فَقَضَاءُ

وَإِنِّي لَرَاجِيكُمْ عَلَىٰ بُطْءِ سَعْيِكُمْ كَمَا فِي بُطُونِ ٱلْحَامِلَاتِ رَجَاءُ

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كُفَلَائِي فِي ٱلْوَفَاءِ سَوَاءُ

لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا وَبَعْضُ ٱلرِّجَالِ فِي ٱلْحُرُوبِ غُثَاءُ

كَأَنَّ دَنَانِيراً عَلَىٰ قَسِمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ ٱلْوُجُوهَ لِقَاءُ

وقالَ سويدُ بنُ مشنوءٍ (١) [من الطويل]

دَعِي عَنْكِ مَسْعُوداً فَلَا تَذْكُرِنَّهُ إِلَيَّ بِسُوءٍ وَٱعْرِضِي لِسَبِيلِ

نَهَيْتُكِ عَنْهُ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلَّذِي مَضَىٰ وَلَا يَنْتَهِي ٱلْغَاوِي لِأَوَّلِ قِيلِ

وقالَ رجلٌ مِنْ طَيِّئٍ (٢) [من الطويل]

إِنَّ ٱمْرَأً يُعْطِي ٱلْأَسِنَّةَ نَحْرَهُ وَرَاءَ قُرَيْشٍ لَا أَعُدُّ لَهُ عَقْلَا

يَذُمُّونَ لِيَ ٱلدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا بِهَا فَمَا تَرَكُوا فِيهَا لِمُلْتَمِسٍ ثُعْلَا

يعني الأمراءَ في خطبِهِم ، والثعلُ ـ بفتحِ أوَّلِهِ أو ضمِّهِ ـ خلفٌ صغيرٌ زائدٌ في أخلافِ الحلوبةِ

وقالَ أبو الأسدِ عصريُّ [أبي] تمامٍ في الحسنِ بنِ رجاءِ بنِ أبي الضَّحَّاكِ ـ ولأبي تمامٍ فيهِ مديحٌ ـ (٣) [من الكامل]

فَلَأَنْظُرَنَّ إِلَى ٱلْجِبَالِ وَأَهْلِهَا وَإِلَىٰ مَنَابِرِهَا بِطَرْفٍ أَخْزَرِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٨)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٢٢ ـ ٢٣)

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٣٥)

مَـا زِلْـتَ تَـرْكَـبُ كُـلَّ شَـيْءٍ قَـائِـمٍ   حَتَّى ٱجْتَرَأْتَ عَلَىٰ رُكُوبِ ٱلْمِنْبَرِ

الجبالُ ناحيةٌ كانَ الحسنُ المذكورُ يلي إمارتَها

والنظرُ بطرفِ أخزرَ ـ أي ينظرُ مِنْ مؤخرِهِ ـ : هوَ نظرُ الاحتقارِ

ونـزلَ بالراعي النميريِّ رجلٌ مِنْ بني كلابٍ في ركبٍ معَهُ ليلاً في سنةٍ مجدبةٍ ، وقد عزبَتْ عنِ الراعي إبلُهُ ، فنحرَ لهُم ناقةً مِنْ رواحلِهِم ، وصَبَّحَتِ الراعيَ إبلُهُ ، فأعطىٰ ربَّ النابِ ناباً مثلَها وزادَهُ ناقةً ثنيَّةً ، فقالَ[1] [من الطويل]

عَـجِبْتُ مِنَ ٱلسَّارِينَ وَٱلرِّيحُ قَرَّةٌ   إِلَـىٰ ضَـوْءِ نَـارٍ بَـيْـنَ فَـرْدَةَ فَـٱلـرَّحَـا

إِلَىٰ ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي ٱلْقِدَّ أَهْلُهَا   وَقَدْ يُكْرَمُ ٱلْأَضْيَافُ وَٱلْقِدُّ يُشْتَوَىٰ

فَـلَـمَّـا أَتَـوْنَـا فَـٱشْـتَـكَـيْـنَـا إِلَـيْـهِـمُ   بَـكَـوْا وَكِـلَا ٱلْـحَـيَّـيْـنِ مِـمَّـا بِـهِ بَـكَـىٰ

بَـكَـىٰ مُـعْـوِزٌ مِـنْ أَنْ يُـلَامَ وَطَـارِقٌ   يَشُدُّ مِنَ ٱلْجُوعِ ٱلْإِزَارَ عَلَى ٱلْحَشَا

فَأَلْطَفْتُ عَيْنِي هَلْ أَرَىٰ مِنْ سَمِينَةٍ   وَوَطَّـأْتُ نَـفْـسِـي لِـلْـغَـرَامَـةِ وَٱلْـقِـرَىٰ

فَـأَبْـصَـرْتُـهَـا كَـوْمَـاءَ ذَاتَ عَـرِيـكَـةٍ   هِجَاناً مِنَ ٱللَّاتِي تَمَتَّعْنَ بِٱلصُّوَىٰ

فَـأَوْمَـأْتُ إِيـمَـاءً خَـفِـيّـاً لِـحَـبْـتَـرٍ   وَلِلهِ عَـيْـنَـا حَـبْـتَـرٍ أَيَّـمَـا فَـتَـىٰ

وَقُـلْـتُ لَـهُ أَلْـصِـقْ بِـأَيْـبَسِ سَـاقِـهَـا   فَإِنْ يَجْبُرِ ٱلْعُرْقُوبُ لَا يَرْقَأُ ٱلنَّسَا

فَـأَعْـجَـبَـنِـي مِـنْ حَـبْـتَـرٍ أَنَّ حَـبْـتَـراً   مَضَىٰ غَيْرَ مَنْكُوبٍ وَمُنْصُلُهُ ٱنْتَضَىٰ

كَـأَنِّـي وَقَـدْ أَشْـبَـعْـتُـهُـمْ مِـنْ سَـنَـامِـهَـا   جَلَوْتُ غِطَاءً عَنْ فُؤَادِيَ فَـٱنْـجَـلَـىٰ

فَـبِـتْـنَـا وَبَـاتَـتْ قِـدْرُنَـا ذَاتَ هِـزَّةٍ   لَـنَـا قَـبْـلَ مَـا فِـيـهَـا شِـوَاءٌ وَمُـصْـطَـلَـىٰ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٣٥ ـ ٣٧)

وَأَصْبَحَ رَاعِينَا بُرَيْمَةُ عِنْدَنَا بِسِتِّينَ أَبْقَتْهَا ٱلْأَخِلَّةُ وَٱلْخَلَا
فَقُلْتُ لِرَبِّ ٱلنَّابِ خُذْهَا ثَنِيَّةً وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي ٱلْحَيَا

القَرَّةُ ـ بفتح القافِ ـ : الباردةُ ، وفَردةُ ـ بفتحِ أولِهِ ـ والرحا موضعانِ ، قصدَ تعيينَ منزلِهِ ، والقِدُّ الجلدُ ، والإنسانُ إذا جاعَ يأكلُ كلَّ ما لانَ ، والعريكةُ السَّنامُ ، والصُّوىٰ جمعُ صُوَّةٍ بضمِّ الصَّادِ ؛ الأرضُ الغليظةُ ، ويُروى الصَّوىٰ ؛ مصدرُ صَوِيَ كفَرِحَ ؛ أي خلا الضَّرعُ مِنَ اللبنِ ، وتمتعُ الناقةُ بِهِ أنَّها لا تحلبُ ، فهيَ حائلٌ تربي لحماً وشحماً ، وقولُهُ (ألصقْ بأيبسِ ساقِها) معناهُ بالغْ في القطعِ ليسيلَ دمُها مِنْ مسيلٍ لا ينقطعُ سيلانُهُ حتىٰ يفنى الدمُ وهوَ النَّسَا ، ورقأَ الدمُ والدمعُ : انقطعَ ، والأخلةُ جمعُ خلالٍ ؛ جمعُ خلةٍ ؛ لنوعٍ مِنَ النباتِ ، والخلا : الرطبُ ، ويُروى : الأجلة بالجيمِ ؛ جمعُ جلالٍ ؛ وهوَ الغطاءُ ، وأرادَ حينَئذٍ أنَّ حفظَها مِنَ البردِ بالوقاءِ ورعيَها أبقياها أو أنقياها ؛ أي أكثرا فيها النقيَ ؛ وهوَ مُخُّ العظامِ ، وهُما روايتانِ ، والحيا المطرُ ، يُسمَّىٰ بِهِ النباتُ مجازاً للسببيةِ ، ويُتجوَّزُ عنِ النباتِ للشَّحمِ ، فهوَ مجازٌ عن مجازٍ

فقالَ الحلالُ بنُ أرقمَ المُلقَّبُ بالخنزرِ النميريِّ (١) [من الطويل]

بَنِي قَطَنٍ مَا بَالُ نَاقَةِ ضَيْفِكُمْ تَعَشَّوْنَ مِنْهَا وَهْيَ مُلْقىً قَتُودُهَا
غَدَا ضَيْفُكُمْ يَمْشِي وَنَاقَةُ رَحْلِهِ عَلَىٰ طُنُبِ ٱلْفَقْمَاءِ مُلْقىً قَدِيدُهَا
وَبَاتَ ٱلْكِلَابِيُّ ٱلَّذِي يَبْتَغِي ٱلْقِرَىٰ بِلَيْلَةِ نَحْسٍ غَابَ عَنْهَا سُعُودُهَا
أَمَنْ يَنْقُصُ ٱلْأَضْيَافَ أَكْرَمُ عَادَةً إِذَا نَزَلَ ٱلْأَضْيَافُ أَمْ مَنْ يَزِيدُهَا
كَأَنَّكُمْ إِنْ قُمْتُمُ تَنْحَرُونَهَا بَرَاذِينُ مَشْدُودٌ عَلَيْهَا لُبُودُهَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٣٧/٤ ـ ٣٨)

فَمَا فَتَحَ ٱلْأَقْوَامُ مِنْ بَابِ سَوْءَةٍ ... بَنِي قَطَنٍ إِلَّا وَأَنْتُمْ شُهُودُهَا

تعشَّونَ ؛ أي : تَتعشَّونَ ، حُذِفَتْ منهُ تاءٌ ، والقَتودُ : عدةُ الجملِ ، والفقماءُ زوجةُ الراعي ، وأصلُ الفقمِ خروجُ الثنايا السُّفلىٰ حتىٰ لا تقعَ عليها العليا ، والقديدُ اللحمُ يُشرَحُ ليُجفَّفَ ، وكانَ يُنشَرُ علىٰ أطنابِ البيوتِ ؛ وهيَ الحبالُ التي تُشَدُّ بها

ولا حقَّ لهٰذا الهاجي في هجائِهِ بعدَما صنعَ الراعي ، ولذٰلكَ أجابَهُ عن فريتِهِ بقولِهِ [1] [من الطويل]

مَاذَا نَكِرْتُمْ مِنْ قَلُوصٍ نَحَرْتُهَا ... بِسَيْفِي وَضِيفَانُ ٱلشِّتَاءِ شُهُودُهَا

فَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي وَفَيْتُ لِرَبِّهَا ... فَرَاحَ عَلَىٰ عَنْسٍ بِأُخْرَىٰ يَقُودُهَا

قَرَيْتُ ٱلْكِلَابِيَّ ٱلَّذِي يَبْتَغِي ٱلْقِرَىٰ ... وَأُمَّكَ إِذْ يُحْدَىٰ إِلَيْنَا قَعُودُهَا

رَفَعْنَا لَهَا نَاراً تُثَقَّبُ لِلْقِرَىٰ ... وَلِقْحَةَ أَضْيَافٍ طَوِيلاً رُكُودُهَا

إِذَا أُخْلِيَتْ عُودَ ٱلْهَشِيمَةِ أَرْزَمَتْ ... جَوَانِبُهَا حَتَّىٰ نَبِيتَ نَذُودُهَا

إِذَا نُصِبَتْ لِلطَّارِقِينَ حَسِبْتَهَا ... نَعَامَةَ حِزْبَاءٍ تَقَاصَرَ جِيدُهَا

تَبِيتُ ٱلْمَحَالُ ٱلْغُرُّ فِي حَجَرَاتِهَا ... شَكَارَىٰ مَرَاهَا مَاؤُهَا وَحَدِيدُهَا

بَعَثْنَا إِلَيْهَا ٱلْمُنْزِلَيْنِ فَحَاوَلَا ... لِكَيْ يُنْزِلَاهَا وَهْيَ حَامٍ حُيُودُهَا

فَبَاتَتْ تَعُدُّ ٱلنَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ ... سَرِيعٍ بِأَيْدِي ٱلْآكِلِينَ جُمُودُهَا

فَلَمَّا سَقَيْنَاهَا ٱلْعَكِيسَ تَمَلَّأَتْ ... مَذَاخِرُهَا وَٱرْفَضَّ رَشْحاً وَرِيدُهَا

وَلَمَّا قَضَتْ مِنْ ذِي ٱلْإِنَاءِ لُبَانَةً ... أَرَادَتْ إِلَيْنَا حَاجَةً لَا نُرِيدُهَا

نَكِرَ الشيءَ وأنكرَهُ نفرَ منهُ واستقبحَهُ ، والعَنسُ ـ بفتحِ أوَّلِهِ ـ

---

(1) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٣٨ ـ ٣٩)

الناقةُ الصلبةُ ، وإثقابُ النارِ وتثقيبُها إذكاؤُها ، وما بهِ إلَّا ثَقابٌ ثَقوبٌ ـ كوَقودٍ ـ بفتحِ أوَّلِهما ، وأرادَ بلقحةِ الأضيافِ القِدْرَ ، استعارةٌ رَشَّحَها بقولِهِ (إذا أُخلِيَتْ) أي أُعطِيَتِ الخلاءَ ، وإرزامُ الناقةِ حنينُها ، والمحالُ فقارُ الظهرِ ، الواحدةُ محالةٌ ، وجعلَها غُرّاً لسمنِها ، وشكارىٰ جمعُ شكرىٰ ؛ وهيَ في الأصلِ الضَّرعُ الممتلئةُ ، ولذٰلكَ قالَ مَرَاها ؛ أيِ اعتصرَها ، والخُلاصةُ أنَّ الماءَ بحرارتِهِ استخرجَ ما فيها

وقولُهُ (فباتَتْ تَعُدُّ النجمَ) أي أُمُّكَ باتَتْ تنظرُ في مَرَقِ القِدْرِ ، وهوَ المرادُ بالمُستحيرةِ ؛ مِنْ قولِهِمُ استحارَ الماءُ ؛ أي دارَ حتىٰ ملأَ قرارتَهُ ، وتَعُدُّ النجمَ إمَّا مِنَ العَدِّ الحسبانيِّ أو الحسابيِّ ، فالأوَّلُ يصفُ المرقةَ بالدُّسومةِ حتىٰ تَمثَّلَ فيها صورةُ النجومِ ، والثاني يقولُ إنَّ الثريا تَمثَّلَتْ في الإناءِ لكونِها محاذيةً للرؤوسِ ؛ إذ كانَ الوقتُ في وسطِ الشتاءِ ، والعكيسُ لبنٌ يُصَبُّ عليهِ مَرَقٌ ، وتَملَّأَتْ مذاخرُها أيِ المواضعُ التي تَذخَرُ فيها الأغذيةُ ، ووصفَها بغايةِ الشَّرَهِ حيثُ تَملَّأَتْ جدّاً حتىٰ تَصبَّبَ عَرَقُها ، وذٰلكَ في قولِهِ (وارفضَّ رشحاً وريدُها)

وقولُهُ (ولمَّا قضتْ مِنْ ذي الإناءِ لُبانةً) أي ولمَّا شبعَتْ فوقَ كفايتِها ـ فإنَّ اللبانةَ بعدَ الحاجةِ الأصليَّةِ ـ اغتلمَتْ ، وطوىٰ ذٰلكَ في قولِهِ (أرادَتْ إلينا حاجةً لا نريدُها) يُقالُ أرادَ إليهِ ، وطلبَ إليهِ كذا ، والحُيُودُ جمعُ حَيدٍ بفتحِ أوَّلِهِ ، المرادُ منها هنا الجوانبُ

وقالَ رجلٌ مِنْ أسدٍ [1] [من البسيط]

دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ وَٱلسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا ... جَهْدَ ٱلنُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَهُ ٱلْأُزُرَا
فَكَابَرُوا ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ مَلَّ أَكْثَرُهُمْ ... وَعَانَقَ ٱلْمَجْدَ مَنْ أَوْفَىٰ وَمَنْ صَبَرَا

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٤٠)

لَا تَحْسَبِ ٱلْمَجْدَ تَمْراً أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ تَلْعَقَ ٱلصَّبِرَا

وقالَ آخَرُ (١) [من الطويل]

وَمُسْتَعْجِلٍ بِٱلْحَرْبِ وَٱلسِّلْمُ حَظُّهُ ... فَلَمَّا ٱسْتُثِيرَتْ كَلَّ عَنْهَا مَحَافِرُهْ

وَحَارَبَ فِيهَا بِٱمْرِئٍ حِينَ شَمَّرَتْ ... مِنَ ٱلْقَوْمِ مِعْجَازٍ لَئِيمٍ مَكَاسِرُهْ

فَأَعْطَى ٱلَّذِي يُعْطِي ٱلذَّلِيلُ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ سَعْيُ صِدْقٍ قَدَّمَتْهُ أَكَابِرُهْ

وقالَ آخَرُ (٢) [من الطويل]

كَاثِرْ بِسَعْدٍ إِنَّ سَعْداً كَثِيرَةٌ ... وَلَا تَبْغِ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلَا نَصْرَا

وَلَا تَدْعُ سَعْداً لِلْقِرَاعِ وَخَلِّهَا ... إِذَا أَمِنَتْ وَنَعْتَهَا ٱلْبَلَدَ ٱلْقَفْرَا

يَرُوعُكَ مِنْ سَعْدِ بْنِ عَمْرٍو جُسُومُهَا ... وَتَزْهَدُ فِيهَا حِينَ تَقْتُلُهَا خُبْرَا

وقالَ آخَرُ (٣) [من الوافر]

أَعَارِيبٌ ذَوُو فَخْرٍ بِإِفْكٍ ... وَأَلْسِنَةٍ لِطَافٍ فِي ٱلْمَقَالِ

رَضُوا بِصِفَاتِ مَا عَدِمُوهُ جَهْلاً ... وَحُسْنُ ٱلْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ ٱلْفَعَالِ

أي ورضوا بحسنِ القولِ بدلَ حسنِ الفَعالِ

وقالَ آخَرُ (٤) [من الوافر]

هَجَوْتُ ٱلْأَدْعِيَاءَ فَنَاصَبَتْنِي ... مَعَاشِرُ خِلْتُهَا عَرَباً صِحَاحَا

فَقُلْتُ لَهُمْ وَقَدْ نَبَحُوا طَوِيلاً ... عَلَيَّ فَلَمْ أُجِبْ لَهُمُ نُبَاحَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٤٠)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٤٤)

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٤٤ ـ ٤٥)

(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٤٥ ـ ٤٦)

أَمِنْهُمْ أَنْتُمُ فَأَكُفَّ عَنْكُمْ وَأَدْفَعَ عَنْكُمُ ٱلشَّتْمَ ٱلصُّرَاحَا
وَإِلَّا فَٱحْمَدُوا رَأْيِي فَإِنِّي سَأَنْفِي عَنْكُمُ ٱلتُّهَمَ ٱلْقِبَاحَا
وَحَسْبُكَ تُهْمَةً بِبَرِيءِ قَوْمٍ يَضُمُّ عَلَىٰ أَخِي سَقَمٍ جَنَاحَا

وقالَ فرعانُ بنُ الأعرفِ في ابنِهِ مُنازِلٍ(١) [من الطويل]

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مُنَازِلٍ جَزَاءً كَمَا يَسْتَنْزِلُ ٱلدَّيْنَ طَالِبُهْ
لَرَبَّيْتُهُ حَتَّىٰ إِذَا آضَ شَيْظَماً يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ ٱلْفَحْلِ غَارِبُهْ
فَلَمَّا رَآنِي أُبْصِرُ ٱلشَّخْص أَشْخُصاً قَرِيباً وَذَا ٱلشَّخْصِ ٱلْبَعِيدِ أُقَارِبُهْ
تَغَمَّدَ حَقِّي ظَالِماً وَلَوَىٰ يَدِي لَوَىٰ يَدَهُ ٱللهُ ٱلَّذِي هُوَ غَالِبُهْ
وَكَانَ لَهُ عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَىٰ مِنَ ٱلزَّادِ أَحْلَىٰ زَادِنَا وَأَطَايِبُهْ
وَرَبَّيْتُهُ حَتَّىٰ إِذَا مَا تَرَكْتُهُ أَخَا ٱلْقَوْمِ وَٱسْتَغْنَىٰ عَنِ ٱلْمَسْحِ شَارِبُهْ
وَجَمَّعْتُهَا دُهْماً جِلَاداً كَأَنَّهَا أَشَاءُ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهْ
فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيباً كَأَنَّنِي حُسَامٌ يَمَانٍ فَارَقَتْهُ مَضَارِبُهْ
أَإِنْ أُرْعِشَتْ كَفَّا أَبِيكَ وَأَصْبَحَتْ يَدَاكَ يَدَيْ لَيْثٍ فَإِنَّكَ ضَارِبُهْ

انتهى المنقولُ مِنْ بابِ الهِجاءِ

ودونَكَ ما يُستحسَنُ مِنْ بابِ الأضيافِ والمديحِ

قالَ مرَّةُ بنُ محكانَ التميميُّ(٢) [من البسيط]

يَا رَبَّةَ ٱلْبَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُمِّي إِلَيْكِ رِحَالَ ٱلْقَوْمِ وَٱلْقُرُبَا

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٩ ـ ١٠)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٦٠ ـ ٦٣)

فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَىٰ ذَاتِ أَنْدِيَةٍ لَا يُبْصِرُ ٱلْكَلْبُ مِنْ ظَلْمَائِهَا ٱلطُّنُبَا
لَا يَنْبَحُ ٱلْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّىٰ يَلُفَّ عَلَىٰ خَيْشُومِهِ ٱلذَّنَبَا
مَاذَا تَرَيْنَ أَنُدْنِيهِمْ لِأَرْحُلِنَا فِي جَانِبِ ٱلْبَيْتِ أَمْ نَبْنِي لَهُمْ قُبَبَا
لِمُرْمِلِ ٱلزَّادِ مَعْنِيٍّ بِحَاجَتِهِ مَنْ كَانَ يَكْرَهُ ذَمّاً أَوْ يَقِي حَسَبَا
وَقُمْتُ مُسْتَبْطِناً سَيْفِي فَأَعْرَض لِي مِثْلَ ٱلْمُجَادِلِ كُومٌ بَرَّكَتْ عُصَبَا
فَصَادَفَ ٱلسَّيْفُ مِنْهَا سَاقَ مُتْلِيَةٍ جَلْسٍ فَصَادَفَ مِنْهُ سَاقُهَا عَطَبَا
زَيَّافَةٍ بِنْتِ زَيَّافٍ مُذَكَّرَةٍ لَمَّا نَعَوْهَا لِرَاعِي سَرْحِنَا ٱنْتَحَبَا
أَمْطَيْتُ جَازِرَنَا أَعْلَىٰ سَنَاسِنِهَا فَصَارَ جَازِرُنَا مِنْ فَوْقِهَا قَتَبَا
يُنَشْنِشُ ٱللَّحْمَ عَنْهَا وَهْيَ بَارِكَةٌ كَمَا تُنَشْنِشُ كَفًّا فَاتِلٍ سَلَبَا
وَقُلْتُ لَمَّا غَدَوْا أُوصِي قَعِيدَتَنَا غَدِّي بَنِيكِ فَلَنْ تَلْقَيْهِمِ حِقَبَا
أُدْعَىٰ أَبَاهُمْ وَلَمْ أُقْرَفْ بِأُمِّهِمِ وَقَدْ عَمِرْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبَا
أَنَا ٱبْنُ مَحْكَانَ أَخْوَالِي بَنُو مَطَرٍ أَنْمِي إِلَيْهِمْ وَكَانُوا مَعْشَراً نُجُبَا



وقالَ أبو زيادٍ الأعرابيُّ الكلابيُّ (١) [من الوافر]

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَىٰ يَفَاعٍ إِذَا ٱلنِّيرَانُ أُلْبِسَتِ ٱلْقِنَاعَا
وَلَمْ يَكُ أَكْثَرَ ٱلْفِتْيَانِ مَالاً وَلَٰكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

اليفاعُ المُرتفِعُ مِنَ الأرضِ ، وكانَ مِنْ عادتِهِم إيقادُ النارِ علىٰ رؤوسِ المرتفعاتِ ؛ ليبصرَها الساري فيقصدَها

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٧١)

وقالَ آخَرُ (١) [من الطويل]

سَأَشْكُرُ عَمْراً إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتىً غَيْرُ مَحْجُوبِ ٱلْغِنَىٰ عَنْ صَدِيقِهِ ... وَلَا مُظْهِرِ ٱلشَّكْوَىٰ إِذَا ٱلنَّعْلُ زَلَّتِ
رَأَىٰ خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَىٰ مَكَانُهَا ... فَكَانَتْ قَذَىٰ عَيْنَيْهِ حَتَّىٰ تَجَلَّتِ

وقالَ آخَرُ (٢) [من البسيط]

تَرَكْتُ ضَأْنِي تَوَدُّ ٱلذِّئْبَ رَاعِيَهَا ... وَأَنَّهَا لَا تَرَانِي آخِرَ ٱلْأَبَدِ
اَلذِّئْبُ يَطْرُقُهَا فِي ٱلدَّهْرِ وَاحِدَةً ... وَكُلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدْيَةً بِيَدِي

وقالَ العرندسُ (٣) [من البسيط]

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
إِنْ يُسْأَلُوا ٱلْحَقَّ يُعْطَوْهُ وَإِنْ خُبِرُوا ... فِي ٱلْجَهْدِ أُدْرِكَ مِنْهُمْ طِيبُ أَخْبَارِ
وَإِنْ تَوَدَّدْتَهُمْ لَانُوا وَإِنْ شُهِمُوا ... كَشَفْتَ أَذْمَارَ شَرٍّ غَيْرَ أَشْرَارِ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ ٱلْمَجْدُ مُتَّلِداً ... وَلَا يُعَدُّ نَثَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ
لَا يَنْطِقُونَ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا ... وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ
مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ ٱلنُّجُومِ ٱلَّتِي يَسْرِي بِهَا ٱلسَّارِي

شُهِمُوا بالبناءِ للمجهولِ مِنْ شَهَمَ كمَنَعَ ؛ أي حُرِّكَ للشرِّ وأفزعَ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٦٩ ـ ٧٠)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٦٣)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٧٢)

وقالَ آخرُ (١) [من الطويل]

رَهَنْتُ يَدِي بِٱلْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بِرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشَّكُورِ مَزِيدُ
وَلَوْ كَانَ شَيْئاً يُسْتَطَاعُ ٱسْتَطَعْتُهُ وَلَٰكِنَّ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ

وقالَ الحسينُ بنُ مطيرِ الأسديُّ (٢)

لَهُ يَوْمُ بُؤْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبْؤُسٌ وَيَوْمُ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعُمُ
فَيَمْطُرُ يَوْمَ ٱلْجُودِ مِنْ كَفِّهِ ٱلنَّدَىٰ وَيَمْطُرُ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ مِنْ كَفِّهِ ٱلدَّمُ
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ خَلَّىٰ عِقَابَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُجْرِمُ
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ ٱلْجُودِ خَلَّىٰ يَمِينَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُعْدِمُ

وقالَتْ ليلى الأخيليةُ (٣) [من الكامل]

يَا أَيُّهَا ٱلسَّدِمُ ٱلْمُلَوِّي رَأْسَهُ لِيَقُودَ مِنْ أَهْلِ ٱلْحِجَازِ بَرِيمَا
أَتُرِيدُ عَمْرَو بْنَ ٱلْخَلِيعِ وَدُونَهُ كَعْبٌ إِذاً لَوَجَدْتَهُ مَرْؤُومَا
إِنَّ ٱلْخَلِيعَ وَرَهْطَهُ فِي عَامِرٍ كَٱلْقَلْبِ أُلْبِسَ جُؤْجُؤاً وَحَزِيمَا
لَا تَغْزُوَنَّ ٱلدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ لَا ظَالِماً أَبَداً وَلَا مَظْلُومَا
وَمُخَرَّقٌ عَنْهُ ٱلْقَمِيصُ تَخَالُهُ وَسْطَ ٱلْبُيُوتِ مِنَ ٱلْحَيَاءِ سَقِيمَا
حَتَّىٰ إِذَا رُفِعَ ٱللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ ٱللِّوَاءِ عَلَى ٱلْخَمِيسِ زَعِيمَا

السَّدِمُ : النادمُ ، أوِ اللَّجوجُ ، أو هوَ مُستعارٌ مِنْ فحلِ الإبلِ الممنوعِ ناحيةً عنِ الدُّخولِ في الإبلِ ، فهوَ يهدرُ وحدَهُ ، والمُلَوِّي رأسَهُ المُتكبِّرُ جهلاً ، والبَريمُ أصلُهُ حبلٌ يُفتَلُ مِنْ قُوىً مختلفةِ الألوانِ ، مُستعارٌ للجيشِ مِنَ الأخلاطِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٢/٤)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٢/٤)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٧٦/٤ ـ ٧٧)

وقالَتْ ـ وقيلَ هيَ لأبيها ـ [1] [من الكامل]

نَـحْـنُ ٱلْأَخَـايِـلُ لَا يَـزَالُ غُـلَامُـنَـا حَتَّـىٰ يَـدِبَّ عَـلَى ٱلْـعَـصَـا مَـذْكُـورَا

تَبْكِـي ٱلـسُّـيُـوفُ إِذَا فَـقَـدْنَ أَكُـفَّـنَـا جَـزَعـاً وَتَـعْـلَـمُـنَـا ٱلـرِّفَـاقُ بُـحُـورَا

وَلَـنَـحْـنُ أَوْثَـقُ فِـي صُـدُورِ نِـسَـائِـكُـمْ مِـنْـكُـمْ إِذَا بَـكَـرَ ٱلـصُّـرَاخُ بُـكُـورَا

وقالَ آخَرُ [2] [من البسيط]

إِذَا ٱنْتَدَىٰ وَٱحْتَبَىٰ بِٱلسَّيْفِ دَانَ لَهُ شُوسُ ٱلرِّجَالِ خُضُوعَ ٱلْجُرْبِ لِلطَّالِي

كَـأَنَّـمَـا ٱلـطَّـيْـرُ مِـنْـهُـمْ فَـوْقَ هَـامِـهِـمِ لَا خَوْفَ ظُلْـمٍ وَلَـٰكِنْ خَوْفَ إِجْلَالِ

وقالَ العجيرُ السَّلوليُّ [3] [من الطويل]

أَقُـولُ لِـعَـبْـدِ ٱللهِ وَهْـنـاً وَدُونَـنَـا مُنَاخُ ٱلْمَطَايَا مِنْ مِنىً فَٱلْمُحَصَّبُ

لَكَ ٱلْـخَـيْـرُ عَـلِّـلْـنَـا بِـهَـا عَـلَّ سَـاعَـةً تَـمُـرُّ وَسِـهْـوَاءً مِـنَ ٱلـلَّـيْـلِ يَـذْهَـبُ

فَـقَـامَ فَـأَدْنَـىٰ مِـنْ وِسَـادِي وِسَـادَهُ طَوِي ٱلْبَطْنِ مَمْشُوقُ ٱلذِّرَاعَيْنِ شَرْجَبُ

بَعِيدٌ مِنَ ٱلشَّيْءِ ٱلْقَلِيلِ ٱحْتِفَاظُهُ عَلَيْكَ وَمَنْزُورُ ٱلرِّضَا حِينَ يَغْضَبُ

هُوَ ٱلظَّفِرُ ٱلْمَيْمُونُ إِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا بِـهِ ٱلـرَّكْـبُ وَٱلـتِّـلْـعَـابَـةُ ٱلْـمُـتَـحَـبِّـبُ

أولُ الشعرِ غزلٌ ؛ فإنَّهُ أرادَ بضميرِ (ودونَنا) نفسَهُ وحبيبتَهُ ، والكنايةُ في قولِهِ (لكَ الخيرُ علِّلْنا بها) عن حبيبتِهِ ، وسهواءٌ مِنَ الليلِ ، ويُروىٰ وتِهْواء بكسرِ التاءِ ؛ أي جانبٌ منهُ ، والشَّرْجَبُ الطَّويلُ ، والاحتفاظُ الغضبُ ؛ أي لا يغضبُ عليكَ غضبَ السُّفهاءِ مِنَ الشيءِ الذي لا خطرَ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٧٧)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٨٣)

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٨٠ ـ ٨١)

لهُ ، فإن جاءَ موضعُ الغضبِ فهوَ قليلُ الرضا ، فبقيةُ الشعرِ مدحٌ لصاحبِهِ عبدِ اللهِ

وقالَ حجرُ بنُ خالدٍ يمدحُ النعمانَ بنَ المنذرِ (١) [من الطويل]

سَمِعْتُ بِفِعْلِ ٱلْفَاعِلِينَ فَلَمْ أَجِدْ كَمِثْلِ أَبِي قَابُوسَ حَزْماً وَنَائِلَا
فَسَاقَ إِلَٰهِي ٱلْغَيْثَ مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ إِلَيْكَ فَأَضْحَىٰ حَوْلَ بَيْتِكَ نَازِلَا
فَأَصْبَحَ مِنْهُ كُلُّ وَادٍ حَلَلْتَهُ مِنَ ٱلْأَرْضِ مَسْفُوحَ ٱلْمَذَانِبِ سَائِلَا
مَتَىٰ تُنْعَ يُنْعَ ٱلْجُودُ وَٱلْبَأْسُ وَٱلتُّقَىٰ وَتُصْبِحْ قَلُوصُ ٱلْحَرْبِ جَرْبَاءَ حَائِلَا
فَلَا مَلِكٌ مَا يُدْرِكَنَّكَ سَعْيُهُ وَلَا سُوقَةٌ مَا يَمْدَحَنَّكَ بَاطِلَا

وقالَ آخرُ (٢) [من الطويل]

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ ٱلْهُدُوءِ دَعَوْتُهُ بِشَقْرَاءَ مِثْلِ ٱلْفَجْرِ ذَاكٍ وَقُودُهَا
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً بِمُوقِدِ نَارٍ مُخْمِدٍ مَنْ يَرُودُهَا
نَصَبْنَا لَهُ جَوْفَاءَ ذَاتَ ضَبَابَةٍ مِنَ ٱلدُّهْمِ مِبْطَاناً طَوِيلاً رُكُودُهَا
فَإِنْ شِئْتَ أَثْوَيْنَاكَ فِي ٱلْحَيِّ مُكْرَماً وَإِنْ شِئْتَ بَلَّغْنَاكَ أَرْضاً تُرِيدُهَا

وقالَ آخرُ (٣) [من الطويل]

وَمُسْتَنْبِحٍ تَهْوِي مَسَاقِطُ رَأْسِهِ إِلَىٰ كُلِّ شَخْصٍ فَهْوَ لِلسَّمْعِ أَصْوَرُ
يُصَفِّقُهُ أَنْفٌ مِنَ ٱلرِّيحِ بَارِدٌ وَنَكْبَاءُ لَيْلٍ مِنْ جُمَادَىٰ وَصَرْصَرُ
حَبِيبٌ إِلَىٰ كَلْبِ ٱلْكَرِيمِ مُنَاخُهُ بَغِيضٌ إِلَى ٱلْكَوْمَاءِ وَٱلْكَلْبُ أَبْصَرُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٨٩ ـ ٩٠)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٩٠ ـ ٩١)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٩١ ـ ٩٣)

حَضَأْتُ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا وَمَا كَادَ لَوْلَا حَضْأَةُ ٱلنَّارِ يُبْصِرُ
دَعَتْهُ بِغَيْرِ ٱسْمٍ هَلُمَّ إِلَى ٱلْقِرَىٰ فَأَسْرَىٰ يَبُوعُ ٱلْأَرْضَ وَٱلنَّارُ تَزْهَرُ
فَلَمَّا أَضَاءَتْ شَخْصَهُ قُلْتُ مَرْحَباً هَلُمَّ وَلِلصَّالِينَ بِٱلنَّارِ أَبْشِرُوا
فَجَاءَ وَمَحْمُودُ ٱلْقِرَىٰ يَسْتَفِزُّهُ إِلَيْهَا وَدَاعِي ٱللَّيْلِ بِٱلصُّبْحِ يَصْفِرُ
تَأَخَّرْتَ حَتَّىٰ لَمْ تَكَدْ تَصْطَفِي ٱلْقِرَىٰ عَلَىٰ أَهْلِهِ وَٱلْحَقُّ لَا يَتَأَخَّرُ
وَقُمْتُ بِنَصْلِ ٱلسَّيْفِ وَٱلْبَرْكُ هَاجِدٌ [بَهَازِرُهُ] وَٱلْمَوْتُ فِي ٱلسَّيْفِ يَنْظُرُ
فَأَعْضَضْتُهُ ٱلطُّولَىٰ سَنَاماً وَخَيْرَهَا بَلَاءً وَخَيْرُ ٱلْخَيْرِ مَا يُتَخَيَّرُ
فَأَوْفَضْنَ عَنْهَا وَهْيَ تَرْغُو حُشَاشَةً بِذِي نَفْسِهَا وَٱلسَّيْفُ عُرْيَانُ أَحْمَرُ
فَبَاتَتْ رُحَابٌ جَوْنَةٌ مِنْ لِحَامِهَا وَفُوهَا بِمَا فِي جَوْفِهَا يَتَغَرْغَرُ

مساقطُ الرأسِ ميلاتُهُ ، فهوَ مصدرٌ ، إلىٰ كلِّ شخصٍ ؛ أي شيءٍ قائمٍ يرجوهُ إنساناً ، والسمعُ التسمعُ ، وهوَ لهُ أصورُ ؛ أي مائلُ الرأسِ لأجلِهِ ، وصفَّقَهُ أنفُ الريحِ ؛ أي ضربَهُ أوَّلُهُ ، وحضأَ النارَ أذكاها فرفعَها ، [والبهازرُ] السِّمانُ ، الواحدُ [بهزرةٌ] أو [بهزورةٌ] أو [بهزارٌ] ، وأوفضنَ عنها : تفرَّقنَ ، والحُشاشةُ : بقيةُ النفسِ ، نُصِبَ تمييزاً ، وعُريانُ غيرُ مصروفٍ ضرورةً

وقالَ عمرُو بنُ الأهتمِ (١) [من الطويل]

ذَرِينِي فَإِنَّ ٱلشُّحَّ يَا أُمَّ هَيْثَمٍ لِصَالِحِ أَخْلَاقِ ٱلرِّجَالِ سَرُوقُ
ذَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنَّنِي عَلَى ٱلْحَسَبِ ٱلزَّاكِي ٱلرَّفِيعِ شَفِيقُ
ذَرِينِي فَإِنِّي ذُو فَعَالٍ تُهِمُّنِي نَوَائِبُ يَغْشَىٰ رُزْؤُهَا وَحُقُوقُ

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/٩٤)

وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي ٱلذَّمَّ بِٱلْقِرَىٰ   وَلِلْحَقِّ بَيْنَ ٱلصَّالِحِينَ طَرِيقُ
لَعَمْرُكِ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا   وَلَٰكِنَّ أَخْلَاقَ ٱلرِّجَالِ تَضِيقُ

الصَّاحبُ يَحُطُّ رحلَهُ حيثُ يَحُطُّ صاحبُهُ ، فهوَ موافقٌ غيرُ مفارقٍ ، استُعِيرَ للموافقةِ

وقالَ عروةُ بنُ الوردِ(١)   [من الطويل]

إِنِّي ٱمْرُؤٌ عَافِي إِنَائِيَ شِرْكَةٌ   وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ عَافِي إِنَائِكَ وَاحِدُ
أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وَأَنْ تَرَىٰ   بِوَجْهِي شُحُوبَ ٱلْحَقِّ وَٱلْحَقُّ جَاهِدُ
أُقَسِّمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ   وَأَحْسُو قَرَاحَ ٱلْمَاءِ وَٱلْمَاءُ بَارِدُ

العُفاةُ طُلَّابُ المعروفِ

وقالَ آخَرُ(٢)   [من الطويل]

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى ٱلْغِنَىٰ   وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي ٱلْقُلُوبِ جَلِيلُ
وَلَيْسَ ٱلْغِنَىٰ إِلَّا غِنىً زَيَّنَ ٱلْفَتَىٰ   عَشِيَّةَ يَقْرِي أَوْ غَدَاةَ يُنِيلُ

وقالَ آخَرُ(٣)   [من الطويل]

أَيَا بْنَةَ عَبْدِ ٱللهِ وَٱبْنَةَ مَالِكٍ   وَيَا بْنَةَ ذِي ٱلْبُرْدَيْنِ وَٱلْفَرَسِ ٱلْوَرْدِ
إِذَا مَا صَنَعْتِ ٱلزَّادَ فَٱلْتَمِسِي لَهُ   أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي
أَخاً طَارِقاً أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنَّنِي   أَخَافُ مَذَمَّاتِ ٱلْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَإِنِّي لَعَبْدُ ٱلضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِياً   وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ ٱلْعَبْدِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٤/٤ ـ ٩٥)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٩٥/٤)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٠/٤ ـ ١٠١)

وقالَ آخَرُ (١) [من الطويل]

وَلَيْسَ فَتَى ٱلْفِتْيَانِ مَنْ جُلُّ هَمِّهِ صَبُوحٌ وَإِنْ أَمْسَىٰ فَفَضْلُ غَبُوقِ
وَلَٰكِنْ فَتَى ٱلْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدَا لِضَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقِ

وقالَ حسانُ بنُ حنظلةَ الطائيُّ (٢) [من الكامل]

تِلْكَ ٱبْنَةُ ٱلْعَدَوِيِّ قَالَتْ بَاطِلاً أَزْرَىٰ بِقَوْمِكَ قِلَّةُ ٱلأَمْوَالِ
إِنَّا لَعَمْرُ أَبِيكِ يَحْمَدُ ضَيْفُنَا وَيَسُودُ مُقْتِرُنَا عَلَى ٱلإِقْلَالِ
وَأَنَا ٱمْرُؤٌ مِنْ آلِ حَيَّةَ مَنْصِبِي وَبَنُو جُوَيْنٍ فَٱسْأَلِي أَخْوَالِي
وَإِذَا دَعَوْتُ بَنِي جَدِيلَةَ جَاءَنِي مُرْدٌ عَلَىٰ جُرْدٍ ٱلْمُتُونِ طِوَالِ
أَحْلَامُنَا تَزِنُ ٱلْجِبَالَ رَزَانَةً وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى ٱلْجُهَّالِ

وقالَ النمريُّ ويُقالُ إنَّها لرجلٍ مِنْ باهلةَ (٣) [من الطويل]

وَدَاعٍ دَعَا بَعْدَ ٱلْهُدُوءِ كَأَنَّمَا يُقَاتِلُ أَهْوَالَ ٱلسُّرَىٰ وَتُقَاتِلُهْ
فَلَمَّا سَمِعْتُ ٱلصَّوْتَ نَادَيْتُ نَحْوَهُ بِصَوْتِ كَرِيمِ ٱلْجَدِّ حُلْوٍ شَمَائِلُهْ
فَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَثْقَبْتُ ضَوْءَهَا وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي وَهْوَ فِي ٱلْبَيْتِ دَاخِلُهْ
فَلَمَّا رَآنِي كَبَّرَ ٱللهَ وَحْدَهُ وَبَشَّرَ قَلْباً كَانَ جَمّاً بَلَابِلُهْ
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً رَشِدْتَ وَلَمْ أَقْعُدْ إِلَيْهِ أُسَائِلُهْ
وَقُمْتُ إِلَىٰ بَرْكٍ هِجَانٍ أُعِدُّهُ لِوَجْبَةِ حَقٍّ نَازِلٍ أَنَا فَاعِلُهْ
بِأَبْيَضَ خَطَّتْ نَعْلُهُ حَيْثُ أَدْرَكَتْ مِنَ ٱلأَرْضِ لَمْ تَخْطَلْ عَلَيَّ حَمَائِلُهْ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠١/٤)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٠٥/٤ ـ ١٠٦)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١١/٤ ـ ١١٣)

فَجَالَ قَلِيلاً وَٱتَّقَانِي بِخَيْرِهِ سَنَاماً وَأَمْلَاهُ مِنَ ٱلنَّيِّ كَاهِلُهْ
بِقَرْمٍ هِجَانٍ مُصْعَبٍ كَانَ فَحْلُهَا طَوِيلِ ٱلْقِرَىٰ لَمْ يَعْدُ أَنْ شَقَّ بَازِلُهْ
فَخَرَّ وَظِيفُ ٱلْقَرْمِ فِي نِصْفِ سَاقِهِ وَذَاكَ عِقَالٌ لَا يُنَشَّطُ عَاقِلُهْ
بِذَٰلِكَ أَوْصَانِي أَبِي وَبِمِثْلِهِ كَذَٰلِكَ أَوْصَاهُ قَدِيماً أَوَائِلُهْ

مثلُ هٰذا لكونِهِ مَدْحَ المرءِ نفسَهُ أفردَهُ الناسُ بعدُ باسمِ الفخرِ ، فيقولونَ في تمييزِ الشعرِ قالَ يمدحُ ، وقالَ يفتخرُ

وقالَ حاتِمٌ (١) [من الطويل]

وَعَاذِلَةٍ قَامَتْ عَلَيَّ تَلُومُنِي كَأَنِّي إِذَا أَعْطَيْتُ مَالِي أَضِيمُهَا
أَعَاذِلُ إِنَّ ٱلْجُودَ لَيْسَ بِمُهْلِكِي وَلَا مُخْلِدِ ٱلنَّفْسِ ٱلشَّحِيحَةِ لُؤْمُهَا
وَتُذْكَرُ أَخْلَاقُ ٱلْفَتَىٰ وَعِظَامُهُ مُغَيَّبَةٌ فِي ٱللَّحْدِ بَالٍ رَمِيمُهَا
وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِهِ يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ عَلَى ٱلنَّفْسِ خِيمُهَا

وقالَ (١) [من الطويل]

أَكُفُّ يَدِي عَنْ أَنْ يَنَالَ ٱلْتِمَاسُهَا أَكُفَّ صِحَابِي حِينَ حَاجَاتُنَا مَعَا
أَبِيتُ هَضِيمَ ٱلْكَشْحِ مُضْطَمِرَ ٱلْحَشَا مِنَ ٱلْجُوعِ أَخْشَى ٱلذَّمَّ أَنْ أَتَضَلَّعَا
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي رَفِيقِيَ أَنْ يَرَىٰ مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ ٱلزَّادِ أَقْرَعَا
وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَفَرْجَكَ نَالَا مُنْتَهَى ٱلذَّمِّ أَجْمَعَا

وقالَ جؤيةُ بنُ النضرِ (٢) [من البسيط]

قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَبْقَىٰ دَرَاهِمُنَا وَمَا بِنَا سَرَفٌ فِيهَا وَلَا خُرُقُ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١١٧/٤ ـ ١١٨)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٢٦/٤)

إِنَّـا إِذَا ٱجْـتَـمَـعَـتْ يَـوْمـاً دَرَاهِـمُـنَـا ... ظَلَّـتْ إِلَىٰ طُرُقِ ٱلْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
مَـا يَأْلَفُ ٱلدِّرْهَـمُ ٱلـصَّـيَّاحُ صَـرَّتَـنَـا ... لَـٰكِنْ يَـمُـرُّ عَـلَـيْـهَـا وَهْـوَ مُـنْـطَـلِـقُ
حَـتَّـىٰ يَـصِـيـرَ إِلَـىٰ نَـذْلٍ يُـخَـلِّـدُهُ ... يَـكَـادُ مِـنْ صَـرِّهِ إِيَّـاهُ يَـنْـمَـزِقُ

بابُ المدحِ أوسعُ أبوابِ الشعرِ
وكفىٰ هـٰذا القَدْرُ مِنْ مدائحِ « الحماسةِ »

[نبذةٌ من أشعارِ الصفاتِ من « ديوانِ الحماسةِ »]

ودونَكَ مثالَ ما يُسمَّىٰ مِنَ الشعرِ بالصِّفاتِ ؛ وذٰلكَ لأنَّهُ يذكرُ شيئاً فيأخذُ في متابعةِ أوصافِهِ

قالَ البعيثُ الحنفيُّ يصفُ ناقةً(١) [من الطويل]

وَهَـاجِـرَةٍ يَـشْـوِي مَـهَـاهَـا سَـمُـومُـهَـا ... طَـبَـخْـتُ بِـهَـا عَـيْـرَانَـةً وَٱشْـتَـوَيْـتُـهَـا
مُـفَـرَّجَـةً مَـنْـفُـوجَـةً حَـضْـرَمِـيَّـةً ... مُـسَـانَـدَةً سِـرَّ ٱلْـمَـهَـارَى ٱنْـتَـقَـيْـتُـهَـا
فَـطِـرْتُ بِـهَـا شَـجْـعَـاءَ قَـرْوَاءَ جُـرْشُـعـاً ... إِذَا عُـدَّ مَـجْـدُ ٱلْـعِـيـسِ قُـدِّمَ بَـيْـتُـهَـا
وَجَـدْتُ أَبَـاهَـا رَائِـضَـيْـهَـا وَأُمَّـهَـا ... فَأَعْطَيْتُ فِيهَا ٱلْحُكْمَ حَتَّىٰ حَوَيْتُهَا

وقالَ عنترةُ بنُ الأخرسِ يصفُ ثعباناً(٢) [من الطويل]

لَـعَـلَّـكَ تُـمْـنَـىٰ مِـنْ أَرَاقِـمِ أَرْضِـنَـا ... بِـأَرْقَـمَ يَـسْـقِـي ٱلسُّمَّ مِنْ كُلِّ مَنْطِفِ
تَـرَاهُ بِـأَجْـوَازِ ٱلْـهَـشِـيـمِ كَـأَنَّـمَـا ... عَـلَـىٰ مَـتْـنِـهِ أَخْـلَاقُ بُـرْدٍ مُـفَـوَّفِ
كَـأَنَّ بِـضَـاحِـي جِـلْـدِهِ وَسَـرَاتِـهِ ... وَمَـجْـمَـعِ لِـيـتَـيْـهِ تَـهَـاوِيـلُ زُخْـرُفِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٠/٤)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٠/٤ ـ ١٥١)

كَأَنَّ مُثَنَّىٰ نِسْعَةٍ تَحْتَ حَلْقِهِ بِمَا قَدْ طَوَىٰ مِنْ جِلْدِهِ ٱلْمُتَغَضِّفِ
إِذَا أَنْسَلَ ٱلْحَيَّاتُ بِٱلصَّيْفِ لَمْ يَزَلْ يُشَاعِرُ بَاقِي جُلْبَةٍ لَمْ تُقَرَّفِ

مِنِ استعمالِ جملةِ الرجاءِ في الدعاءِ ما في صدْرِ هٰذا الشعرِ ، دعا عليهِ بأن يُقدَّرَ لهُ ويُصابَ بأرقمَ أو برحلٍ يشبهُ ثعباناً هٰذهِ صفتُهُ ، وتغضفُ الجلدِ تَثنِّيهِ ، واستعارَ الأنسالَ الذي هوَ سقوطُ ريشِ الطائرِ لسلخِ الحيَّةِ ؛ فإنَّهُ يُقالُ سلخَتِ الحيَّةُ ؛ إذا خلعَتْ ثوبَها ، وأنسلَ الطائرُ ؛ إذا سقطَ ريشُهُ ، ويشاعرُ مِنْ لبسِ الشعارِ ؛ وهوَ الثوبُ الذي يلي البدنَ ، وأرادَ بالجلبةِ ثوبَهُ ، ولم يقرفْ ولم ينقشرْ ، يصفُهُ بصلابةِ جلدِهِ

وقالَ ملحةُ الجرميُّ يصفُ سحاباً(١) [من الطويل]

أَرِقْتُ وَطَالَ ٱللَّيْلُ لِلْبَارِقِ ٱلْوَمْضِ حَبِيّاً سَرَىٰ مُجْتَابَ أَرْضٍ إِلَىٰ أَرْضِ
نَشَاوَىٰ مِنَ ٱلْإِدْلَاجِ كُدْرِيُّ مُزْنِهِ يُقَضِّي بِجَذْبِ ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ يَكَدْ يَقْضِي
تَحِنُّ بِأَجْوَازِ ٱلْفَلَا قُطُرَاتُهُ كَمَا حَنَّ نِيبٌ بَعْضُهُنَّ إِلَىٰ بَعْضِ
كَأَنَّ ٱلشَّمَارِيخَ ٱلْعُلَا مِنْ صَبِيرِهِ شَمَارِيخُ مِنْ لُبْنَانَ بِٱلطُّولِ وَٱلْعَرْضِ
يُبَارِي ٱلرِّيَاحَ ٱلْحَضْرَمِيَّاتِ مُزْنُهُ بِمُنْهَمِرِ ٱلْأَرْوَاقِ ذِي قَزَعٍ رَفْضِ
يُغَادِرُ مَحْض ٱلْمَاءِ ذُو هُوَ مَحْضُهُ عَلَىٰ إِثْرِهِ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ مِنْ مَحْضِ
يُرَوِّي ٱلْعُرُوقَ ٱلْهَامِدَاتِ مِنَ ٱلْبِلَىٰ مِنَ ٱلْعَرْفَجِ ٱلنَّجْدِيِّ ذُو بَادَ وَٱلْحَمْضِ
وَبَاتَ ٱلْحَبِيُّ ٱلْجَوْنُ يَنْهَضُ مُقْدِماً كَنَهْضِ ٱلْمُدَانَىٰ قَيْدُهُ ٱلْمُوعِثِ ٱلنِّقْضِ

البارقُ ذو البرقِ ؛ وهوَ عاملُ الحالِ مِنْ قولِهِ (حبيّاً) ، واجتابَ الأرضَ وجابَها قطعَها بالسيرِ ، ونشاوىٰ مِنَ الإدلاجِ مُستعارٌ لقطعِ السحابِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٥٢/٤ ـ ١٥٣)

المتمايلةِ لثقلِها بكثرةِ مائِها ، والكدرى أصلُهُ مِنْ صفةِ القطا ، استعارَهُ لِمَا في لونِهِ كُدرةٌ مِنَ المزنِ ، **الصبيرُ** السحابُ الأبيضُ ، **والحَبِيُّ الجونُ** السَّحابُ الأسودُ أوِ الأبيضُ الذي يشبهُ سيرُهُ لثقلِهِ حبوَ الصَّبيِّ ، ولذٰلكَ ينهضُ كما ينهضُ البعيرُ المُقارَبُ قيدُهُ ، الذي يسيرُ في الوعثاءِ ؛ وهوَ الرملُ الذي تَسوخُ فيهِ الأقدامُ ، **النقضُ** الهزيلُ الضَّعيفُ

هٰذا ما أوردَ أبو تمامٍ في بابِ الصِّفاتِ مِنَ « الحماسةِ » ، وهٰذا النوعُ كثيرٌ ، يقولونَ في تمييزِهِ مِنْ دواوينِ الشعرِ (قالَ يصفُ كذا) إن كانَ الكلامُ مسوقاً للصفةِ ، (وقالَ ووصفَ في هٰكذا كالأسدِ والذئبِ) إن كانَتِ القصيدةُ في نوعٍ مِنْ أنواعِ المعاني ، واستطردَ فيها بصفةِ ما وصفَ

[نبذةٌ مما قيلَ في السيرِ والنعاسِ من « ديوانِ الحماسة »]

ثمَّ عَقَّبَهُ بذكرِ بعضِ ما قيلَ في السيرِ والنعاسِ ، قالَ بعضُهُم (١) [من الوافر]

وَفِتْيَانٍ بَنَيْتُ لَهُمْ رِدَائِي ... عَلَىٰ أَسْيَافِنَا وَعَلَى ٱلْقِسِيِّ
فَظَلُّوا لَائِذِينَ بِهِ وَظَلَّتْ ... مَطَايَاهُمْ ضَوَارِبَ بِٱللِّحِيِّ
فَلَمَّا صَارَ نِصْفُ ٱللَّيْلِ هَنَّا ... وَهَنَّا نِصْفُهُ قَسْمَ ٱلسَّوِيِّ
دَعَوْتُ فَتىً أَجَابَ فَتىً دَعَاهُ ... بِلَبَّيْهِ أَشَمَّ شَمَرْدَلِيِّ
فَقَامَ يُصَارِعُ ٱلْبُرْدَيْنِ لَدْناً ... يَقُوتُ ٱلْعَيْنَ مِنْ نَوْمٍ شَهِيِّ
فَقَامُوا يَرْحَلُونَ مُنَفَّهَاتٍ ... كَأَنَّ عُيُونَهَا نُزُحُ ٱلرَّكِيِّ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٥٤ ـ ١٥٥)

وقالَ حُنْدُجُ بنُ حُنْدُجٍ المُرّيُّ (١) [من البسيط]

فِي لَيْلٍ صُولٍ تَنَاهَى ٱلْعَرْضُ وَٱلطُّولُ ... كَأَنَّمَا لَيْلُهُ بِٱللَّيْلِ مَوْصُولُ
لَا فَارَقَ ٱلصُّبْحَ كَفِّي إِنْ ظَفِرْتُ بِهِ ... وَإِنْ بَدَتْ غُرَّةٌ مِنْهُ وَتَحْجِيلُ
لِسَاهِرٍ طَالَ فِي صُولٍ تَمَلْمُلُهُ ... كَأَنَّهُ حَيَّةٌ بِٱلسَّوْطِ مَقْتُولُ
مَتَىٰ أَرَى ٱلصُّبْحَ قَدْ لَاحَتْ مَخَايِلُهُ ... وَٱللَّيْلُ قَدْ مُزِّقَتْ عَنْهُ ٱلسَّرَابِيلُ
لَيْلٌ تَحَيَّرَ مَا يَنْحَطُّ فِي جِهَةٍ ... كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ ٱلْأَرْضِ مَشْكُولُ
نُجُومُهُ رُكَّدٌ لَيْسَتْ بِزَائِلَةٍ ... كَأَنَّمَا هُنَّ فِي ٱلْجَوِّ ٱلْقَنَادِيلُ
مَا أَقْدَرَ ٱللهَ أَنْ يُدْنِي عَلَىٰ شَحَطٍ ... مَنْ دارُهُ ٱلْحَزْنُ مِمَّنْ دَارُهُ صُولُ
اَللهُ يَطْوِي بِسَاطَ ٱلْأَرْضِ بَيْنَهُمَا ... حَتَّىٰ يُرَى ٱلرَّبْعُ مِنْهُ وَهْوَ مَأْهُولُ

وقالَ حميدٌ الأرقطُ ووصفَ فيها الصَّقرَ عندما جاءَ بِهِ التشبيهُ وتلكَ عادتُهم واقتدىٰ بهِمُ الشُّعراءُ (٢) [من مشطور الرجز]

قَدْ أَغْتَدِي وَٱلصُّبْحُ مُحْمَرُّ ٱلطُّرَرْ
وَٱللَّيْلُ يَحْدُوهُ تَبَاشِيرُ ٱلسَّحَرْ
وَفِي تَوَالِيهِ نُجُومٌ كَٱلشَّرَرْ
بِسُحُقِ ٱلْمَيْعَةِ مَيَّالِ ٱلْعُذَرْ
كَأَنَّهُ يَوْمَ ٱلرِّهَانِ ٱلْمُحْتَضَرْ
وَقَدْ بَدَا أَوَّلَ شَخْصٍ يُنْتَظَرْ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٠ ـ ١٦١)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦١ ـ ١٦٢)

دُونَ أَثَابِيَّ مِنَ ٱلْخَيْلِ زُمَرْ

ضَارٍ غَدَا يَنْفُضُ صِئْبَانَ ٱلْمَطَرْ

عَنْ زِفِّ مِلْحَاحٍ بَعِيدِ ٱلْمُنْكَدَرْ

أَقْنَى تَظَلُّ طَيْرُهُ عَلَى حَذَرْ

يَلُذْنَ مِنْهُ تَحْتَ أَفْنَانِ ٱلشَّجَرْ

مِنْ صَادِقِ ٱلْوَدْقِ طَرُوحٍ بِٱلْبَصَرْ

بَعِيدِ تَوْهِيمِ ٱلْوِقَاعِ وَٱلنَّظَرْ

كَأَنَّمَا عَيْنَاهُ فِي حَرْفَيْ حَجَرْ

بَيْنَ مَآقٍ لَمْ تُخَرَّقْ بِٱلْإِبَرْ

طُرَرُ الشيءِ حافاتُهُ ، وسحقُ الميعةِ ؛ أي بعيدُ النشاطِ ، فهوَ لا يَفنىٰ عن قربٍ ، ويُروىٰ مشعلُ الميعةِ ؛ أي ملتهبُها ، والعذرُ خِصَلُ الشَّعرِ في نواحي الرأسِ ، والأثابيُّ الجماعاتُ ، لا واحدَ لهُ ، وقيلَ هوَ جمعُ أُثْبِيَّةٍ ؛ كأُمْنِيَّةٍ ، والضَّاري الجريءُ ، وصَيْبانُ المطرِ ـ بفتحِ الصَّادِ ـ : صائبُهُ ، أو هوَ صِئْبانُ ـ بكسرِ الصَّادِ والهمزِ بعدَها ـ جمعُ صُؤابٍ ، على التشبيهِ ، والمنكدرُ المهويُّ ، ومِنْ صادقِ الودقِ ؛ أي صادقِ الهُبوطِ ، بدلٌ مِنْ قولِهِ (منهُ) ، وبعيدُ توهيمِ الوقاعِ والنظرِ ؛ أي هوَ لا يَلحقُهُ وهمٌ في نظرِهِ ولا وقوعِهِ ، وقولُهُ (لم تُخَرَّقْ بالإبرِ) أي هوَ علىٰ وحشيتِهِ لم يأخذْهُ الناسُ ، والصَّقرُ إذا أُخِذَ حِيصَتْ عيناهُ ؛ أي خيطتا ليأنسَ

انتهىٰ ما اخترتُ إثباتَهُ مِنْ هٰذا البابِ

[ذكر طرفٍ من بابِ المُلَحِ من « ديوانِ الحماسةِ »]

وهاكَ طرفاً مِنْ بابِ المِلَحِ ، وأرادَ أبو تمامٍ بالمِلَحِ الأشعارَ الهزليَّةَ المستطرفةَ

قالَ بعضُهُم[1] [من الوافر]

يَقُولُ لِيَ ٱلْأَمِيرُ بِغَيْرِ جُرْمٍ ... تَقَدَّمْ حِينَ جَدَّ بِنَا ٱلْمِرَاسُ

فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ ... وَمَا لِي غَيْرَ هَٰذَا ٱلرَّأْسِ رَاسُ

وقالَتِ امرأةٌ[2] [من المتقارب]

فَقَدْتُ ٱلشُّيُوخَ وَأَشْيَاعَهُمْ ... وَذَٰلِكَ مِنْ بَعْضِ أَقْوَالِيَهْ

تَرَىٰ زَوْجَةَ ٱلشَّيْخِ مَغْمُومَةً ... وَتُمْسِي لِصُحْبَتِهِ قَالِيَهْ

فَلَا بَارَكَ ٱللَّهُ فِي عَزْدِهِ ... وَلَا فِي غُضُونِ ٱسْتِهِ ٱلْبَالِيَهْ

وَإِنَّ دِمَشْقَ وَفِتْيَانَهَا ... أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ ٱلْجَالِيَهْ

نَكَحْتُ ٱلْمَدِينِيَّ إِذْ جَاءَنِي ... فَيَا لَكِ مِنْ نَكْحَةٍ غَالِيَهْ

لَهُ ذَفَرٌ كَصُنَانِ ٱلتُّيُو ... سِ أَعْيَا عَلَى ٱلْمِسْكِ وَٱلْغَالِيَهْ

وقالَ أبو الخندقِ الأسديُّ ، وقيلَ إنَّه لدِعْبِلٍ[3] [من البسيط]

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنْ لَيْلٍ يُقَرِّبُنِي ... إِلَىٰ مُضَاجَعَةٍ كَٱلدَّلْكِ بِٱلْمَسَدِ

لَقَدْ لَمَسْتُ مُعَرَّاهَا فَمَا وَقَعَتْ ... مِمَّا لَمَسْتُ يَدِي إِلَّا عَلَىٰ وَتِدِ

فِي كُلِّ عُضْوٍ لَهَا قَرْنٌ تَصُكُّ بِهِ ... جَنْبَ ٱلضَّجِيعِ فَيَضْحَىٰ وَاهِيَ ٱلْجَسَدِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٢)

(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٣)

(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٤)

وقالَ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ (١) [من الخفيف]

خَبَّرُوهَا بِأَنَّنِي قَدْ تَزَوَّجْـ ـتُ فَظَلَّتْ تُكَاتِمُ ٱلْغَيْظَ سِرَّا
ثُمَّ قَالَتْ لِأُخْتِهَا وَلِأُخْرَىٰ جَزَعاً لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرَا
وَأَشَارَتْ إِلَىٰ نِسَاءٍ لَدَيْهَا لَا تَرَىٰ دُونَهُنَّ لِلسِّرِّ سِتْرَا
مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَعِظَامِي كَأَنَّ فِيهِنَّ فَتْرَا
مِنْ حَدِيثٍ نَمَا إِلَيَّ فَظِيعٍ خِلْتُ فِي ٱلْقَلْبِ مِنْ تَلَظِّيهِ جَمْرَا

وقالَ آخَرُ (٢) [من الطويل]

جَزَى ٱللهُ عَنَّا ذَاتَ بَعْلٍ تَصَدَّقَتْ عَلَىٰ عَزَبٍ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ أَهْلُ
فَإِنَّا سَنَجْزِيهَا بِمَا فَعَلَتْ بِنَا إِذَا مَا تَزَوَّجْنَا وَلَيْسَ لَهَا بَعْلُ
أَفِيضُوا عَلَىٰ عُزَّابِكُمْ بِنِسَائِكُمْ فَمَا فِي كِتَابِ ٱللهِ أَنْ يَحْرُمَ ٱلْفَضْلُ

وقالَ آخَرُ (٣) [من مشطور الرجز]

وَفَيْشَةٍ زَيْنٍ وَلَيْسَتْ فَاضِحَهْ
نَابِلَةٍ طَوْراً وَطَوْراً رَامِحَهْ
عَلَى ٱلْعَدُوِّ وَٱلصَّدِيقِ جَامِحَهْ
مَنْ لَقِيَتْ فَهْيَ لَهُ مُصَافِحَهْ
تَسُدُّ فَرْجَ ٱلْقَحْبَةِ ٱلْمُسَافِحَهْ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٤ ـ ١٦٥)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٥) ، وفيه أنه أنشد هٰذه الأبيات علىٰ مئذنة وسط الحي ، فعدا الناس إليه ، فطرحوه من المنارة ، فهلك
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٧)

مُـفْـسِـدَةٍ لِآبْـنِ ٱلْـعَـجُـوزِ ٱلـصَّـالِـحَـهْ
كَـأَنَّـهَـا صَـنْـجَـةُ أَلْـفِ رَاجِـحَـهْ

وقالَ آخَرُ (١) [من السريع]

وَفَيْشَةٍ لَيْسَتْ كَهٰذِي ٱلْفَيْشِ — قَدْ مُلِئَتْ مِنْ خُرُقٍ وَطَيْشِ
إِذَا بَدَتْ قُلْتَ أَمِيرُ ٱلْجَيْشِ — مَنْ ذَاقَهَا يَعْرِفُ طَعْمَ ٱلْعَيْشِ

وقالَ آخَرُ (٢) [من الطويل]

لَا أَكْتُمُ ٱلْأَسْرَارَ لَـٰكِنْ أَنُمُّهَا — وَلَا أَتْرُكُ ٱلْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَىٰ قَلْبِي
وَإِنَّ قَلِيلَ ٱلْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَةً — تُقَلِّبُهُ ٱلْأَسْرَارُ جَنْباً إِلَىٰ جَنْبِ

وأفردَ أبو تمامٍ مَذمَّةَ النساءِ ببابٍ جعلَهُ عاشرَ الأبوابِ ، فمنهُ

قالَ بعضُهُم (٣) [من الطويل]

دِمَشْقُ خُذِيهَا وَٱعْلَمِي أَنَّ لَيْلَةً — تَمُرُّ بِعُودَيْ نَعْشِهَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ
أَكَلْتُ دَماً إِنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ — بَعِيدَةِ مَهْوَى ٱلْقُرْطِ طَيِّبَةِ ٱلنَّشْرِ

وقالَ آخَرُ (٣) [من الطويل]

سَقَى ٱللهُ دَاراً فَرَّقَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَنَا — وَبَيْنَكِ فِيهَا وَابِلاً سَائِلَ ٱلْقَطْرِ
وَلَا ذَكَرَ ٱلرَّحْمَـٰنُ يَوْماً وَلَيْلَةً — مَلَكْنَاكِ فِيهَا لَمْ تَكُنْ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ

وقالَ آخَرُ في امرأةٍ طَلَّقَها (٤) [من مجزوء الكامل]

رَحَلَتْ أُنَيْسَةُ بِٱلطَّلَاقِ — وَعَتَقْتُ مِنْ رِقِّ ٱلْوَثَاقِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٧)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٦٧)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٧٦ ـ ١٧٧)
(٤) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٧٧ ـ ١٧٨)

بَـانَـتْ فَـلَـمْ يَـأْلَـمْ لَـهَـا ... قَـلْـبِـي وَلَـمْ تَـبْـكِ ٱلْـمَـآقِـي
وَدَوَاءُ مَـا لَا تَـشْـتَـهِـيـ ... ـهِ ٱلـنَّـفْـسُ تَـعْـجِـيـلُ ٱلْـفِـرَاقِ
لَـوْ لَـمْ أُرِحْ بِـفِـرَاقِـهَـا ... لَأَرَحْـتُ نَـفْـسِـي بِـٱلْإِبَـاقِ
وَخَـصَـيْـتُ نَـفْـسِـي لَا أُرِيـ ... ـدُ حَـلِـيـلَـةً حَـتَّى ٱلـتَّـلَاقِـي

وقالَ آخَرُ (١) [من البسيط]

تَـمَّتْ عُـبَيْدَةُ إِلَّا مِـنْ مَـحَاسِنِهَا ... وَٱلْمِلْحُ مِنْهَا مَكَانَ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ
قُلْ لِلَّذِي عَابَهَا مِنْ عَائِبٍ حَنِقٍ ... أَقْصِرْ فَرَأْسُ ٱلَّذِي قَدْ عِبْتَ لِلْحَجَرِ

وقالَ آخَرُ (٢) [من البسيط]

لَا تَنْكِحَنَّ عَجُوزاً إِنْ أُتِيتَ بِهَا ... وَٱخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُمْعِناً هَرَبَا
وَإِنْ أَتَوْكَ فَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفٌ ... فَإِنَّ أَمْثَلَ نِصْفَيْهَا ٱلَّذِي ذَهَبَا

وقالَ آخَرُ (٣) [من البسيط]

رَقْطَاءُ حَدْبَاءُ يُبْدِي ٱلْكَيْدَ (٤) مَضْحَكُهَا ... قَنْوَاءُ بِٱلْعَرْضِ وَٱلْعَيْنَانِ بِٱلطُّولِ
لَهَا فَمٌ مُلْتَقَىٰ شِدْقَيْهِ نَقْرَتُهَا ... كَأَنَّ مِشْفَرَهَا قَدْ طُرَّ مِنْ فِيلِ
[أَسْنَانُهَا] أَضْعَفَتْ فِي خَلْقِهَا عَدَداً ... مُظَهَّرَاتٌ جَمِيعاً بِٱلرَّوَاوِيلِ

الرَّاوُولُ كطاووسٍ: السِّنَّةُ الزائدةُ تنبتُ خلفَ الأصليَّةِ



---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٧٨/٤)
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٨٠/٤)
(٣) انظر « شرح ديوان الحماسة » (١٨٠/٤)
(٤) في « شرح ديوان الحماسة » (الكِبْدَ)

وقالَ آخَرُ (١) [من الطويل]

أَلَامُ عَلَىٰ بُغْضِي لِمَا بَيْنَ حَيَّةٍ ... وَضَبْعٍ وَتِمْسَاحٍ تَغَشَّاكَ مِنْ بَحْرِ
تُحَاكِي نَعِيماً زَالَ فِي [قُبْحِ] وَجْهِهَا ... وَصَفْحَتُهَا لَمَّا بَدَتْ سَطْوَةُ ٱلدَّهْرِ
هِيَ ٱلضَّرَبَانُ فِي ٱلْمَفَاصِلِ خَالِياً ... وَشُعْبَةُ بِرْسَامٍ ضَمَمْتَ إِلَى ٱلنَّحْرِ
إِذَا سَفَرَتْ كَانَتْ لِعَيْنِكَ سُخْنَةً ... وَإِنْ بُرْقِعَتْ فَٱلْفَقْرُ فِي غَايَةِ ٱلْفَقْرِ
وَإِنْ حَدَّثَتْ كَانَتْ جَمِيعَ مَصَائِبٍ ... مُوَفَّرَةٍ تَأْتِي بِقَاصِمَةِ ٱلظَّهْرِ
حَدِيثٌ كَقَلْعِ ٱلضِّرْسِ أَوْ نَتْفِ شَارِبٍ ... وَغَنْجٌ كَحَطْمِ ٱلْأَنْفِ عِيلَ بِهِ صَبْرِي
وَتَفْتَرُّ عَنْ قُلْحٍ عَدِمْتُ حَدِيثَهَا ... وَعَنْ جَبَلَيْ طَيٍّ وَعَنْ هَرَمَيْ مِصْرِ

وأنشدَ أبو عبيدةَ لأبي الغطمشِ الحنفيِّ (٢) [من المتقارب]

مُنِيتُ بِزَنْمَرْدَةٍ كَٱلْعَصَا ... أَلَصُّ وَأَخْبَثُ مِنْ كُنْدُشِ
تُحِبُّ ٱلنِّسَاءَ وَتَأْبَى ٱلرِّجَالَ ... وَتَمْشِي مَعَ ٱلْأَخْبَثِ ٱلْأَطْيَشِ
لَهَا وَجْهُ قِرْدٍ إِذَا ٱزَّيَّنَتْ ... وَلَوْنٌ كَبَيْضِ ٱلْقَطَا ٱلْأَبْرَشِ
وَثَدْيٌ يَجُولُ عَلَىٰ نَحْرِهَا ... كَقِرْبَةِ ذِي ٱلثَّلَّةِ ٱلْمُعْطِشِ
لَهَا رَكَبٌ مِثْلُ ظِلْفِ ٱلْغَزَالِ ... أَشَدُّ ٱصْفِرَاراً مِنَ ٱلْمِشْمِشِ
وَفِخْذَانِ بَيْنَهُمَا نَفْنَفٌ ... يُجِيزُ ٱلْمَحَامِلَ لَمْ تَخْدِشِ
وَسَاقٌ مُخَلْخَلُهَا حَمْشَةٌ ... كَسَاقِ ٱلْجَرَادَةِ أَوْ أَحْمَشِ
كَأَنَّ [ٱلثَّآلِيلَ] فِي وَجْهِهَا ... إِذَا سَفَرَتْ بَدَدُ ٱلْكِشْمِشِ

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٨١ ـ ١٨٢)

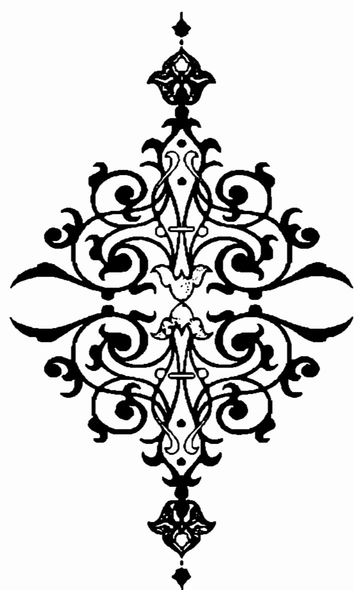
(٢) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤/١٨٤)

لَـهَـا جُـمَّـةٌ فَـوْقَـهَـا جَـثْـلَـةٌ كَـمِـثْلِ ٱلْـخَـوَافِـي مِـنَ ٱلْـمُـرْعَـشِ

الزنمردةُ المرأةُ المُتشبّهةُ بالرجالِ ، أصلُها فارسيةٌ مِنْ كلمتَين زن ؛ وهيَ المرأةُ ، ومرد ؛ وهوَ الرجلُ ، وكندشُ قيلَ هوَ لصٌّ مشهورٌ ، وقيلَ هوَ العقعقُ أوِ الفأرةُ ؛ لكونِهما يُوصَفانِ بالسَّرقةِ ، والرَّكبُ منبتُ العانةِ



فنّ القريض



[قرضُ الشِّعرِ]

ذٰلكَ ؛ وحيثُ كانَتِ العزيمةُ علىٰ أن أوردَ هنالكَ طرفاً مِنْ جيِّدِ الشعرِ في بعضِ طوالِ قصائدَ لفحولِ مِنَ الشُّعراءِ تَعيَّنَ كما اقتضاهُ الحالُ أن أُقدِّمَ تعريفَكَ بما يُسمِّيهِ أهلُ الأدبِ فنَّ القريضِ ، وسمَّاهُ قدامةُ قبلُ نقدَ الشعرِ ؛ لتَعرِفَ ما المرادُ بجيدِ الشعرِ ورديئِهِ ، فتكونَ علىٰ بصيرةٍ مِنْ ذٰلكَ

قرأتُ لأبي هلالٍ العسكريِّ كتابَهُ المشهورَ بـ « الصِّناعتَينِ » ، فوجدتُهُ رَتَّبَهُ عشرةَ أبوابٍ

البابُ الأوَّلُ في تعريفِ البلاغةِ

البابُ الثاني في تمييزِ جيدِ الكلامِ مِنْ رديئِهِ

البابُ الثالثُ في معرفةِ صنعةِ الكلامِ

البابُ الرابعُ في البيانِ عن حسنِ السبكِ وجودةِ الرصفِ

البابُ الخامسُ في ذكرِ الإيجازِ والإطنابِ

البابُ السادسُ في حسنِ الأخذِ وقبحِهِ وجودتِهِ ورداءتِهِ

البابُ السابعُ في القولِ في التشبيهِ

البابُ الثامنُ في ذكرِ السجعِ والازدواجِ

البابُ التاسعُ في شرحِ البديعِ

البابُ العاشرُ في ذكرِ مقاطعِ الكلامِ ومباديهِ ، والقولِ في الإساءةِ في ذٰلكَ والإحسانِ

وهـٰأنذا مُلخِّصٌ لكَ منهُ ما تقعُ الكفايةُ بهِ في ذٰلكَ الغرضِ



[البلاغةُ]

أمَّا البلاغةُ ، والإيجازُ وما يقابلُهُ ، والبديعُ ، وفي ضمنِهِ القولُ في المبادئِ والمقاطعِ فقد تَقدَّمَتْ ، ولٰكنْ أزيدُكَ نورَ بصيرةٍ بما أُثبِتُ لكَ مِنْ أشياءَ نقلَها أبو هلالٍ في هٰذهِ الأبوابِ ، قالَ في بابِ البلاغةِ بعدَ أن تَكلَّمَ عليها وعلى الفصاحةِ بكلامٍ ما سلفَ لكَ صدرَ المعاني أحسنُ منهُ وأضبطُ[1]

[حدُّ البلاغةِ عندَ ابنِ المقفَّعِ]

قد جاءَ عنِ الحُكماءِ والعُلماءِ في البلاغةِ أقوالٌ أنا ذاكرُها ومُفسِّرُها ، قالَ إسحاقُ بنُ حسانَ لم يُفسِّرْ أحدٌ البلاغةَ تفسيرَ ابنِ المُقفَّعِ إذ قالَ البلاغةُ اسمٌ لمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرةٍ ، منها ما يكونُ في السُّكوتِ ، ومنها ما يكونُ في الاستماعِ ، ومنها ما يكونُ شعراً ، ومنها ما يكونُ سجعاً ، ومنها ما يكونُ خُطَباً ، وربَّما كانَتْ رسائلَ ، بعامَّةِ ما يكونُ مِنْ هٰذهِ الأبوابِ فالوحيُ فيها والإشارةُ إلى المعنىٰ أبلغُ ، والإيجازُ هوَ البلاغةُ

فقولُهُ (منها ما يكونُ في السُّكوتِ) فالسُّكوتُ يُسمَّىٰ بلاغةً مجازاً ؛ وهوَ في حالةٍ لا ينجعُ فيها القولُ ، ولا تنفعُ إقامةُ الحججِ ؛ إمَّا عندَ جاهلٍ لا يفهمُ الخطابَ ، أو عندَ وضيعٍ لا يرهبُ الجوابَ ، أو ظالمٍ سليطٍ يحكمُ بالهوىٰ ، ولا يرتدعُ بكلمةِ التقوىٰ ، وإذا كانَ الكلامُ يعرىٰ مِنَ الخيرِ ، أو يجلبُ الشرَّ فالسُّكوتُ أَولىٰ ، كما قالَ أبو العتاهيةِ[2] [من مخلع البسيط]

مَا كُلُّ نُطْقٍ لَهُ جَوَابٌ جَوَابُ مَا يُكْرَهُ ٱلسُّكُوتُ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠)

(٢) انظر « لباب الآداب » (ص ٢٧٦)

وقالَ معاويةُ لابنِ أوسٍ : ابغني مُحدِّثاً ، قالَ أوَيُحتاجُ معي إلىٰ مُحدِّثٍ ؟! قالَ أستريحُ منكَ إليهِ ، ومنهُ إليكَ ، وربَّما كانَ صمتُكَ في حالٍ أوفقَ مِنْ كلامِكَ

ولهُ وجهٌ آخَرُ ؛ وهوَ في كلامِهِم[1] كلُّ صامتٍ ناطقٌ مِنْ جهةِ الدلالةِ ؛ وذٰلكَ أنَّ دلائلَ الصَّنعةِ في جميعِ الأشياءِ واضحةٌ ، والموعظةُ فيها قائمةٌ

وقد قالَ الرَّقَاشيُّ سَلِ الأرض : مَنْ شقَّ أنهارَكِ ، وغرسَ أشجارَكِ ، وجنىٰ ثمارَكِ ، فإن لم تجبْكَ حواراً أجابَتْكَ اعتباراً

ولمَّا ماتَ الإسكندرُ وقفَ عليهِ بعضُ اليونانيةِ فقالَ قد طالما وعظَنَا هٰذا الشخصُ بكلامِهِ ، وهوَ اليومَ الساكتُ الواعظُ بسكوتِهِ ، وحقّاً إنَّهُ في يومِهِ هٰذا أوعظُ ، فنظمَ هٰذا الكلامَ أبو العتاهيةِ في قولِهِ[2] [من الوافر]

وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ ٱلْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

وأحسنُ مِن هٰذا كلِّهِ وأبلغُ قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[3] ، وقولُهُ تعالىٰ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ ﴾[4] ؛ معناهُ يدلُّ على اللهِ بصنعتِهِ وكأنَّهُ يسجدُ وإن لم يسجدْ ولم يقرَّ بذٰلكَ ، وقولُهُ تباركَ وتعالىٰ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾[5]

وقولُهُ (وربَّما كانَتْ رسائلَ بعامَّةِ ما يكونُ مِنْ هٰذهِ الأبوابِ) معناهُ وربَّما كانَتْ كلاماً مُشتمِلاً على الشِّعرِ والسَّجعِ والخُطبةِ ، فالباءُ فيهِ

---

(١) في « الصناعتين » (وهو قولهم) بدل (وهو في كلامهم)

(٢) انظر « ديوان أبي العتاهية » (ص ٤٤٢)

(٣) سورة الإسراء (٤٤)

(٤) سورة النحل (٤٩)

(٥) سورة الرعد (١٥)

للملابسةِ ، ثمَّ أفردَ الوحيَ والإشارةَ والإيجازَ بالثناءِ ؛ لظهورِ بداعتِها وحسنِ موقعِها مِنَ النفوسِ

وحاصلُ كلامِ ابنِ المُقفَّعِ إنَّ لكلِّ شيءٍ موضعاً يكونُ وضعُ غيرِهِ فيهِ إساءةً

[حدُّ البلاغةِ عندَ حكيمِ الهندِ]

وقالَ حكيمُ الهندِ[1] أوَّلُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغةِ ؛ وذلكَ أن يكونَ الخطيبُ رابطَ الجأشِ ، ساكنَ الجوارحِ ، مُتخيِّرَ اللَّفظِ ، لا يُكلِّمُ سيدَ الأمَةِ [بكلامِ الأمَةِ] ، ولا الملوكَ بكلامِ السُّوقةِ ، ويكونُ في قُواهُ التصرُّفُ في كلِّ طبقةٍ ، ولا يُدقِّقُ المعانيَ كلَّ التدقيقِ ، ولا يُنقِّحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ ، ويُصفِّيها كلَّ التصفيةِ ، ويُهذِّبُها كلَّ التهذيبِ ، ولا يفعلُ ذلكَ حتىٰ يصادفَ حكيماً ، وفيلسوفاً عليماً ، ومَنْ تَعوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ ، وإسقاطَ مشتركِ الألفاظِ ، [ونظرَ] في صناعةِ المَنطِقِ علىٰ جهةِ الصِّياغةِ والمبالغةِ فيها ، لا علىٰ جهةِ الاستطرافِ والتطرُّفِ لها

قالَ واعلمْ أنَّ حقَّ المعنىٰ أن يكونَ الاسمُ لهُ طبقاً ، وتلكَ الحالُ لهُ وَفْقاً ، ولا يكونُ الاسمُ فاضلاً ، ولا مُقصِّراً ، [ولا] مشتركاً ، ولا مُضمَّناً ، ويكونُ تَصفُّحُهُ لمصادرِ كلامِهِ بقَدْرِ تَصفُّحِهِ لموارِدِهِ ، ويكونُ لفظُهُ مونقاً ، ومعناهُ نيِّراً واضحاً ، ومدارُ الأمرِ علىٰ إفهامِ كلِّ قومٍ بمقدارِ طاقتِهِم ، والحملِ عليهِم علىٰ قَدْرِ منازلِهِم ، وأن تواتيَهُ آلتُهُ ، وتَتصرَّفَ معَهُ أداتُهُ ، ويكونَ في التُّهَمَةِ لنفسِهِ معتدلاً ، وفي حسنِ الظنِّ بها مقتصداً ، فإنَّهُ إن تَجاوزَ الحقَّ في مقدارِ حسنِ الظَّنِّ أودعَها تهاونَ الأميينَ ، وإن تجاوزَ بها مقدارَ الحقِّ في التُّهمةِ ظلمَها وأودعَها ذلَّ المظلومينَ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٥)

فقولُهُ (أولُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغةِ) أي أَوَّلُ آلاتِ البلاغةِ جودةُ القريحةِ ، وطلاقةُ اللسانِ ، وذلكَ مِنْ فعلِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، لا يَقدِرُ العبدُ على اكتسابِهِ لنفسِهِ واجتلابِهِ لها ، ومِنَ الناسِ مَنْ إذا خلا بنفسِهِ وأعملَ فكرَهُ أتىٰ بالبيانِ العجيبِ ، والتبيانِ البديعِ المصيبِ ، واستخرجَ المعنى الرائقَ ، وجاءَ باللفظِ الرائعِ ، وإذا حاورَ أو ناظرَ قَصَّرَ وتأخَّرَ ؛ فحقُّ هـٰذا [ألَّا] يَتعرَّض لارتجالِ الخُطَبِ ، ولا يجاريَ أصحابَ البداهةِ في ميدانِ القريضِ ، ويكتفي بنتائجِ فكرِهِ

والناس في صناعةِ الكلامِ علىٰ طبقاتٍ

منهُم مَنْ إذا حاورَ وناظرَ أبلغَ وأجادَ ، وإذا كتبَ وأملىٰ أخلَّ وتَخلَّفَ

ومنهُم مَنْ إذا أملىٰ بَرَّزَ ، وإذا حاورَ أو كتبَ قَصَّرَ

ومنهُم مَنْ إذا كتبَ أحسنَ ، وإذا حاورَ وأملىٰ أساءَ

ومنهُم مَنْ يُحسِنُ في جميعِ هـٰذه الحالاتِ ، ومنهُم مَنْ يسيءُ فيها كلِّها

فأحسنُ حالاتِ المسيءِ الإمساكُ ، وأحسنُ حالاتِ المحسنِ التوسُّطُ ؛ فإنَّ الإكثارَ يورثُ الإملالَ ، وقلَّما ينجو صاحبُهُ مِنَ الزللِ ، والعيبِ والخطلِ

وليسَ ينبغي للمُحسِنِ في أحدِ هـٰذهِ الفنونِ ، المسيءِ في غيرِها أن يَتجاوزَ ما هوَ مُحسِنٌ فيهِ إلىٰ ما هوَ مسيءٌ فيهِ ، فإنِ اضطُرَّ في بعضِ الأحوالِ إلىٰ تجاوزِهِ فخيرُ سبيلِهِ قصدُ الاختصارِ ، وتَجنُّبُ الإكثارِ والإهذارِ ؛ ليقلَّ السقطُ في كلامِهِ ، ولا يَكثُرَ العيبُ في مَنطِقِهِ

وقيلَ لابنِ المُقفَّعِ[1] لمَ لا تطيلُ القصائدَ ؟ قالَ لو أطلتُها عُرِفَ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٧)

صاحبُها ؛ يريدُ أنَّ المُحدَثَ يَتشبَّهُ بالقديمِ في القليلِ مِنَ الكلامِ ، فإذا طالَ أخلَّ ، فعُرِفَ أنَّهُ كلامٌ مُولَّدٌ ، علىٰ أنَّ السابقَ في ميادينِ البلاغةِ إذا أكثرَ أسقطَ ، فكيفَ المُقصِّرُ عن غايتِها ، والمُتخلِّفُ عن أمدِها ؟!

ومِنْ تمامِ آلةِ البلاغةِ : التوسُّعُ في معرفةِ العربيةِ ، ووجوهِ الاستعمالِ لها ، والعلمُ بفاخرِ الألفاظِ وساقطِها ، وجيدِها ورديئِها ، ومعرفةُ المَقاماتِ وما يَصلُحُ في كلِّ واحدٍ منها مِنَ الكلامِ

وقولُهُ (وذٰلكَ أن يكونَ الخطيبُ رابطَ الجأشِ ، ساكنَ الجوارحِ) هٰذا لأنَّ الحَيرةَ والدَّهَشَ يُورثانِ الحُبْسةَ والحَصَرَ ، وهما سببا الإرتاجِ والإخبالِ ، وقد بلغَكَ ما أصابَ عثمانَ بنَ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ لمَّا صَعِدَ المِنبرَ فأُرتِجَ عليهِ ، فقالَ إنَّ اللَّذَينِ كانا قبلي كانا يُعِدَّانِ لهٰذا المَقامِ مَقالاً ، وأنتُم إلىٰ إمامٍ عادلٍ أحوجُ منكم إلىٰ إمامٍ قائلٍ ، وستأتيكُمُ الخُطبةُ علىٰ وجهِها ، ثمَّ نزلَ

وصَعِدَ بعضُ العربِ مِنبراً بخراسانَ ، فأُرتِجَ عليهِ ، فقالَ [من الطويل]

لَئِنْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيباً فَإِنَّنِي بِسَيْفِي إِذَا جَدَّ ٱلْوَغَىٰ لَخَطِيبُ

ونزلَ [١]

ومِنْ حسنِ الاعتذارِ عندَ الإرتاجِ ما رُوِيَ أنَّ داوودَ بنَ عليٍّ خطبَ ، فحَمِدَ اللهَ عزَّ وجلَّ وأثنىٰ عليهِ ، وصلَّىٰ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فلمَّا قالَ أمَّا بعدُ . امتنعَ عليهِ الكلامُ ، ثمَّ قالَ أمَّا بعدُ : فقد يجدُ المعسرُ ، ويعسرُ الواجدُ ، ويُفَلُّ الحديدُ ، ويقطعُ الكليلُ ، وإنَّما الكلامُ بعدَ الإفحامِ كالإشراقِ بعدَ الإظلامِ ، وقد يعزبُ البيانُ ، ويعتقمُ الصَّوابُ ، وإنَّما [اللسانُ]

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٨)

بضعةٌ مِنَ الإنسانِ ، يفترُ بفتورِهِ إذا نكلَ ، ويثوبُ بانبساطِهِ إذا ارتجلَ ، ألا وإنَّا لا ننطقُ بطراً ، ولا نسكتُ حَصَراً ، بل نسكتُ معتبرينَ ، وننطقُ مرشدينَ ، ونحنُ بعدُ أُمراءُ الكلامِ ، فينا وشجَتْ أعراقُهُ ، وعلينا عطفَتْ أغصانُهُ ، ولنا تَهدَّلَتْ ثمرتُهُ ، فنتخيَّرُ منهُ ما احلولىٰ وعَذُبَ ، ونطرحُ منهُ ما املولحَ وخَبُثَ ، ومِنْ بعدِ مَقامِنا مَقامٌ ، وبعدَ يومِنا أيامٌ ، يُعرَفُ فيها فضلُ البيانِ ، وفصلُ الخطابِ ، واللهُ أفضلُ مُستعانٍ ، ثمَّ نزلَ[١]

وعلامةُ سكونِ نفسِ الخطيبِ ورباطةِ جأشِهِ هدوءُهُ في كلامِهِ ، وتَمهُّلُهُ في مَنطِقِهِ

وقالَ ثمامةُ كانَ جعفرُ بنُ يحيىٰ أنطقَ الناسِ ؛ قد جمعَ الهدوءَ والجَزالةَ ، والتمهُّلَ والحلاوةَ ، ولو كانَ في الأرضِ ناطقٌ يستغني عنِ الإشارةِ لَكانَهُ[٢]

وقولُهُ (مُتخيَّرَ الألفاظِ) فمدارُ البلاغةِ علىٰ تخيُّرِ اللفظِ ، وتخيُّرُ اللفظِ أصعبُ مِنْ جمعِهِ وتأليفِهِ

وقولُهُ (ويكونُ في قُواهُ فضلٌ للتصرُّفِ في كلِّ طبقةٍ) وهوَ أن يكونَ صانعُ الكلامِ قادراً علىٰ جميعِ ضروبِهِ مُتمكِّناً مِنْ جميعِ فنونِهِ ، لا يَعتاصُ عليهِ قسمٌ مِنْ أقسامِهِ ، فإن كانَ شاعراً تَصرَّفَ في وجوهِ الشعرِ ؛ مديحِهِ وهجائِهِ ومراثيهِ وصفاتِهِ ومفاخرِهِ وغيرِ ذٰلكَ مِنْ أصنافِهِ

ولاختلافِ قُوى الناسِ في الشعرِ وفنونِهِ قيلَ كانَ امرُؤُ القيسِ أشعرَ الناسِ إذا ركبَ ، والنابغةُ إذا رهبَ ، وزهيرٌ إذا رغبَ ، والأعشىٰ إذا طربَ[٣]

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٨)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٩)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٩)

وكذٰلكَ الكاتبُ ربَّما تَقدَّمَ في ضربٍ مِنَ الكتابةِ وتأخَّرَ في غيرِهِ، وسَهُلَ عليهِ نوعٌ منها، وعَسُرَ [عليه] نوعٌ آخَرُ

وقالَ إبراهيمُ بنُ العباسِ سمعتُ أحمدَ بنَ يوسفَ يقولُ أمرَني المأمونُ أن أكتبَ إلى النواحي في الاستكثارِ مِنَ القناديلِ في المساجدِ، فبتُّ لا أدري كيفَ أحتذي، فأتاني آتٍ في منامي فقالَ لي قُلْ فإنَّ في ذٰلكَ عمارةً للمساجدِ، وإرشاداً للسابلةِ، وإضاءةً للمُتهجِّدينَ، ونفياً لكامنِ الريبِ، وتنزيهاً لبيوتِ اللهِ مِنْ وَحْشةِ الظُّلَمِ، فانتبهتُ وقدِ انفتحَ لي ما أُريدُ، فابتدأتُ بهٰذا وأتممتُ عليهِ[1]

والمُقدَّمُ في صنعةِ الكلامِ هوَ المستولي عليهِ مِنْ جميعِ جهاتِهِ، المُتمكِّنُ مِنْ جميعِ أنواعِهِ، وبهٰذا فَضَّلوا جريراً على الفرزدقِ، وقالوا إنَّ في الشعرِ ضروباً ما كانَ يَعرِفُها الفرزدقُ، وشاهدُ ذٰلكَ أنَّهُ لمَّا ماتَتْ زوجتُهُ النوارُ ناحَ عليها بشعرِ جريرٍ[2] [من الكامل]

لَوْلَا ٱلْحَيَاءُ لَهَاجَنِي ٱسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ وَٱلْحَبِيبُ يُزَارُ

وكانَ البحتريُّ يُفضِّلُ الفرزدقَ علىٰ جريرٍ، ويَزعُمُ أنَّهُ يَتصرَّفُ مِنَ المعاني فيما لا يَتصرَّفُ فيهِ جريرٌ، ويوردُ منهُ في كلِّ قصيدةٍ خلافَ ما يوردُهُ في الأخرىٰ، قالَ وجريرٌ يُكرِّرُ في هجاءِ الفرزدقِ ذكرَ الزبيرِ وجِعْثنَ والنوارِ، وأنَّهُ قينُ مجاشعٍ، لا يَذكُرُ شيئاً غيرَ هٰذا[3]

وسُئِلَ بعضُهُم عن أبي نُواسٍ ومسلمٍ، فذكرَ أنَّ أبا نُواسٍ أشعرُ؛ لتصرُّفِهِ في وجوهِ الشعرِ، وكثرةِ مذاهبِهِ فيهِ، ومسلمٌ جارٍ علىٰ وتيرةٍ، ولا يَتغيَّرُ عنها

---

(١) انظر «الصناعتين» (ص ٢٩)

(٢) انظر «ديوان جرير» (٨٦٢/٢)، و«الصناعتين» (ص ٣٠)

(٣) انظر «الصناعتين» (ص ٣٠)

وأبلغُ مِنْ هٰذهِ المنزلةِ أن يكونَ في قُوَّةِ صانعِ الكلامِ أن يأتيَ مَرَّةً بالجزلِ ، وأخرىٰ بالسهلِ ؛ فيلينَ إذا شاءَ ، ويَشتدَّ إذا أرادَ ، ومِنْ هٰذا الوجهِ فَضَّلُوا جريراً على الفرزدقِ ، وأبا نُواسٍ علىٰ مسلمٍ ، قالَ جريرٌ[1] [من الكامل]

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ ٱلْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا ... وَقْتَ ٱلزِّيَارَةِ فَٱرْجِعِي بِسَلَامِ
تُجْرِي ٱلسِّوَاكَ عَلَىٰ أَغَرَّ كَأَنَّهُ ... بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمَامِ

فانظرْ إلىٰ رِقَّةِ هٰذا الكلامِ ، والفرزدقُ يجري علىٰ طريقةٍ واحدةٍ ، والتصرُّفُ في الوجوهِ أبلغُ

وقالَ أبو نُواسٍ[2] [من مجزوء الرمل]

قُلْ لِذِي ٱلْوَجْهِ ٱلنَّضِيرِ ... وَلِذِي ٱلرِّدْفِ ٱلْوَثِيرِ
وَلِمِغْلَاقِ هُمُومِي ... وَلِمِفْتَاحِ سُرُورِي
يَا قَلِيلاً فِي ٱلتَّلَاقِي ... وَكَثِيراً فِي ٱلضَّمِيرِ

فانظرْ إلىٰ سلاسةِ هٰذا الكلامِ وسهولتِهِ ، وقالَ[3] [من المديد]

مَا هَوىً إِلَّا لَهُ سَبَبُ ... يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَعِبُ
فَتَنَتْ قَلْبِي مُحَجَّبَةٌ ... بِرِدَاءِ ٱلْحُسْنِ تَنْتَقِبُ
خُلِّيَتْ وَٱلْحُسْنَ تَأْخُذُهُ ... تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
فَٱنْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ ... وَٱسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ
صَارَ جِدّاً مَا مَزَحْتُ بِهِ ... رُبَّ جِدٍّ سَاقَهُ ٱللَّعِبُ

---

(١) انظر « ديوان جرير » طبعة الصاوي (ص ٥٥١)
(٢) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٥١٧)
(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٥٩٠)

فهـٰذا أجزلُ مِنَ الأولِ قليلاً ، وقالَ في صفةِ الكلبِ[1] [من مشطور الرجز]

أَنْـعَـتُ كَـلْـبـاً جَـالَ فِـي رِبَـاطِهِ
جَـوْلَ مُـصَـابٍ فَـرَّ مِـنْ إِسْـعَـاطِهِ
عِـنْـدَ طَـبِـيـبٍ خَـافَ مِـنْ سِـيَـاطِهِ
هِـجْـنَـا بِـهِ وَهَـاجَ مِـنْ نَـشَـاطِهِ
كَـٱلْـكَـوْكَـبِ ٱلـدُّرِّيِّ فِـي ٱنْـخِـرَاطِهِ
عِـنْـدَ تَـهَـاوِي ٱلـشَّـدِّ وَٱنْـبِـسَـاطِهِ
يُـقَـحِّـمُ ٱلْـقَـائِـدَ فِـي حِـطَـاطِهِ
وَقَـدِّهِ ٱلْـبَـيْـدَاءَ فِـي ٱغْـتِـبَـاطِهِ
لَـمَّـا رَأَى ٱلْـعَـلْـهَـبَ فِـي أَقْـوَاطِهِ
سَـانِـحَـةً وَمَـرَّ فِـي ٱلْـتِـبَـاطِهِ[2]
كَـٱلْـبَـرْقِ يُـذْرِي ٱلْـمَـرْوَ بِـٱلْـتِـقَـاطِهِ
مِـثْـلَ قَـلِـيٍّ طَـارَ فِـي أَنْـفَـاطِهِ
وَٱنْـصَـاعَ يَـتْـلُـوهُ عَـلَـىٰ قِـطَـاطِهِ
أَغْـضَـفُ لَا يَـيْـئَـسُ مِـنْ خِـلَاطِهِ
يَـصِـيـدُ بَـعْـدَ ٱلْـبُـعْـدِ وَٱنْـبِـسَـاطِهِ
إِنْ لَـمْ يَـبُـتَّ ٱلْـقَـلْـبَ مِـنْ نِـيَـاطِهِ

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥)

(٢) في « ديوان أبي نواس » (سابَحَةُ) بدل (سانحة)

فَـلَـمْ يَـزَلْ يَـأْخُـذُ فِـي لِـطَـاطِهِ

كَٱلصَّقْرِ يَنْقَضُّ عَلَىٰ غِطَاطِهِ

يَقْشِرُ وَجْهَ ٱلْأَرْضِ مِنْ بِلَاطِهِ

بِأَرْبَعٍ تَقُولُ مِنْ إِفْرَاطِهِ

لِشِدَّةِ ٱلْجَرْيِ وَلِٱسْتِخْطَاطِهِ

مَا إِنْ تَمَسُّ ٱلْأَرْض فِي أَشْوَاطِهِ

قَدْ خَدَشَتْ رِجْلَاهُ فِي آبَاطِهِ

وَخَرَّمَ ٱلْأُذْنَيْنِ بِٱنْتِشَاطِهِ

خَلْجُ ذِرَاعَيْهِ إِلَىٰ مِلَاطِهِ

يَنْقَدُّ عَنْهُ ٱلضِّيقُ بِٱنْعِطَاطِهِ

فِي هَبَوَاتِ ٱلضِّيقِ أَوْ رِيَاطِهِ

فَأَدْرَكَ ٱلظَّبْيَ وَلَمْ يُبَاطِهِ

وَلَفَّ عِشْرِينَ إِلَىٰ أَشْرَاطِهِ

فَلَمْ يَزَلْ يَقْرِنُ فِي رِبَاطِهِ

وَيَخْمِطُ ٱلشَّاوُونَ مِنْ خِمَاطِهِ

وَيَطْبُخُ ٱلطَّابِخُ مِنْ إِسْقَاطِهِ

حَتَّىٰ عَلَا فِي ٱلْجَوِّ مِنْ شِيَاطِهِ

كَدَاخِنِ ٱلنَّفْطِ إِلَىٰ نَفَّاطِهِ

المُصابُ ها هنا : المجنونُ ، وإسعاطُهُ إنشاقُهُ السَّعوطَ لمداواتِهِ ، وقولُهُ

(يُقحِّمُ القائدَ فِي حطاطِهِ) أي لقُوَّتِهِ يجذبُهُ حتىٰ يوقعَهُ في حالِ حطِّهِ ؛ أي اندفاعِهِ في العدْوِ ، والاعتباطُ الجريُ علىٰ غيرِ رويَّةٍ ، والعَلْهبُ ـ بفتحِ أوَّلِهِ ـ المُسِنُّ مِنْ تُيوسِ الجبلِ ، والأقواطُ جمعُ قَوْطٍ بفتحِ أوَّلِهِ ؛ القطيعُ أوِ الجماعةُ ، و(في) بمعنىٰ (مع) ، والالتباطُ خبطُ الأرضِ في العدْوِ ، ويُذري المروَ ؛ أي يُفرِّقُها ، والقِطاطُ ـ ككتابٍ ـ : المِثالُ ، ومعناهُ أنَّهُ يتبعُهُ في طريقِهِ لا يميلُ ، والأغضفُ مسترخي الأُذنَينِ ذاهبتَينِ إلىٰ خلفٍ ، والغَطاطُ ـ كسَحابٍ ـ القطا ، والصِّيقُ ـ بكسرِ أوَّلِهِ ـ : الغبارُ في الهواءِ ، والانعطاطُ الانشقاقُ ، والملاطُ العَضُدُ إلى الكتفِ ، والأشراطُ الأشباهُ ، والخمطُ الشَّيُّ

فانظرْ إليهِ كيفَ يَتصرَّفُ بينَ الشدَّةِ واللِّينِ ، ويضعُ كلَّ واحدٍ منهُما في موضعِهِ ، ويَستعمِلُهُ في حينِهِ

وعلىٰ ذكرِ المفاضلةِ بينَ الشُّعراءِ فلا بأسَ أن أستطردَ لكَ ها هنا بذكرِ كلامٍ رأيتُهُ في « شرحِ ديوانِ أبي نُواسٍ » يَتضمَّنُ صفةَ شعراءَ تطلعُ بهِ علىٰ ما لكلٍّ منهُم في أنفسِ علماءِ عصرِهِم ، وما كانَ لأولـٰئكَ العلماءِ مِنَ الفطنةِ والنقدِ [وتمييزِ] الأشياءِ ، والوقوفِ بكلٍّ عندَ حدِّهِ ، وهـٰذا نصُّهُ

قالَ ابنُ دريدٍ سألتُ أبا حاتمٍ عن أبي نُواسٍ ، فقالَ إن جدَّ أحسنَ ، وإن هزلَ ظرُفَ ، وإن وصفَ بالغَ ، يلقي الكلامَ علىٰ عواهنِهِ ، لا يبالي مِنْ حيثُ أخذَهُ(١)

وهـٰذهِ الحكايةُ وجدتُها في « أماليهِ » في أثناءِ أوصافِ خمسةٍ وعشرينَ رجلاً مِنَ الشُّعراءِ المُحدَثينَ(٢) ، أنا أحكيها علىٰ وجهِها ؛ لِمَا فيها مِنَ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/٨٥)

(٢) نقل جلَّها الهاشمي في « جواهر الأدب » (١/٣٧١ ـ ٣٧٢)

الفائدةِ ، قالَ وسألتُهُ عن بشارٍ ، فقالَ نَظَّارٌ غَوَّاصٌ ، مطيلٌ مجيدٌ ، يصفُ ما لم يرَ كأنَّهُ قد رآهُ ، علىٰ أنَّ في شعرِهِ خللاً كثيراً

قلتُ فمروانُ ، قالَ شاعرٌ راضٍ عن نفسِهِ ، يستحسنُ كلَّ ما جاءَ منهُ ، مُعجَبٌ لا يرىٰ أنَّ أحداً يَتقدَّمُهُ ، كثيرُ الصَّوابِ ، كثيرُ الخطأ ، ليسَ لشعرِهِ صنعةٌ

قلتُ فمسلمٌ ، قالَ خليجٌ صافٍ ، ينزعُ مِنْ بحرٍ كدرٍ ، كالزندِ يوري تارةً ، ويصلدُ أخرىٰ

قلتُ فأبو العتاهيةِ ، قالَ غثاءٌ جمٌّ ، واقتدارٌ سهلٌ ، وشعرٌ كخرزِ الزجاجِ ، وربَّما أشبهَ الياقوتَ والزبرجدَ

قلتُ : فابنُ الأحنفِ ، قالَ يلقي دلوَهُ في الدلاءِ ، فيغترفُ الصفوَ أحياناً ، والحمأةَ أحياناً ، علىٰ أنَّ كدرَهُ أكثرُ مِنْ صفوِهِ

قلتُ فسَلْمٌ الخاسرُ ، قالَ : مُقِلٌّ مَدَّاحٌ ، شعرُهُ ديباجٌ وعهنٌ ، يُموِّهُ الرديءَ حتىٰ يُشبِّهَهُ بالجيدِ

قلتُ فالعتابيُّ ، قالَ عالمٌ بأشعارِ العربِ ، محتذٍ علىٰ مثالِهِم أحياناً ، وربَّما مالَ إلىٰ تعقيدِ الكلامِ ، علىٰ أنَّهُ ينالُ مرامَهُ مِنْ كلتا الجهتَينِ

قلتُ فالخزيميُّ ، قالَ صنعةٌ سهلةٌ ، لا يكابرُ طبعَهُ ، ولا يكدُّ فكرَهُ ، يسوقُ ما انقادَ لهُ عفواً

قلتُ فأشجعُ ، قالَ يُحسِنُ ويسيءُ ، فصولُهُ مختلفةٌ ، إن شئتَ قلتَ مطبوعٌ ، وإن شئتَ قلتَ مُتكلِّفٌ

قلتُ فأبو الشِّيصِ ، قالَ جِدٌّ كلُّهُ ، فيهِ حلاوةٌ وبشاعةٌ ؛ كالسِّدرةِ التي نفضَتْ ، ففيها المُستعذَبُ والمُستبشَعُ

قلتُ فعليُّ بنُ جبلةَ ، قالَ بحَّاثٌ عنِ الكلامِ الفَخْمِ والمعنى الرائعِ ، لا ينالُ مرتبةَ القُدماءِ ، ويَجِلُّ عن منزلةِ النظراءِ

قلتُ فدِعْبِلٌ ، قالَ شديدُ الأسْرِ ، مُحكَمُ الصَّنعةِ ، قليلُ الطُّلاوةِ ، مفحشُ الهجاءِ ، غيرُ مقنعِ المديحِ

قلتُ : فأبو تمامٍ ، قالَ : سيلٌ كثيرُ الغثاءِ ، غزيرُ الغمارِ ، جمُّ النطافِ ، فإذا صفا فهوَ السُّلافُ بالماءِ الزُّلالِ

قلتُ فالحاركيُّ ، قالَ ظريفٌ مُقِلٌّ ، مُنحَلُّ الألفاظِ ، مُتعقِّدُ المعاني

قلتُ فأبو سعدٍ قوصرةُ ، قالَ ورقٌ ناضرٌ ، وعودٌ خُوارٌ ، إن حُفِظَ لم ينفعْ ، وإن ضُيِّعَ لم يَضُرَّ

قلتُ : فابنُ بشيرٍ ، قالَ عذبُ الكلامِ سهلُهُ ، إذا أرادَ الشيءَ قَدَرَ عليهِ ، وإنِ اشتدَّتْ كلفتُهُ في مرامِهِ

قلتُ فابنُ أبي عيينةَ ، قالَ أعجبَهُ اقتدارُهُ ، فتجاوزَ مِقدارَهُ ، على أنَّهُ إذا فخرَ أفلقَ ، وإذا كوىٰ أنضجَ

قلتُ فعبدُ الصَّمدِ بنُ المُعذِّلِ ، قالَ خَرَّاجٌ وَلَّاجٌ ، يَعتسِفُ تارةً ، ويهتدي أخرىٰ ، إن سلكَ سبلَ العربِ الأولِ أربَ ، وإن مالَ إلىٰ طريقِ المُولَّدينَ شاكَهُ

قلتُ فعليُّ بنُ الجهمِ ، قالَ كلامٌ رصينٌ ، ومسلكٌ وَعْرٌ ، عقلُهُ أغلبُ علىٰ شعرِهِ مِنْ طبعِهِ

قلتُ فبكرُ بنُ النَّطاحِ ، قالَ تَشبَّهَ بالأعرابِ فأفرطَ ، وتَجاوزَ حدَّ المُولَّدينَ فأسهبَ ، فهوَ الساقطُ بينَ القريتَينِ

قلتُ فخالدٌ النجارُ ، قالَ سيِّئُ الكلامِ ، رخوُ النظامِ ، إن طالَ بلدَ ، وإن قصرَ أجهدَ

قلتُ فأبو دلامةَ ، قالَ جِدٌّ وهزلٌ ، ومُجتنىً ومرغوبٌ عنهُ ، إذا قصدَ مراماً تناولَهُ غثّاً وسميناً

قلتُ فأبو الشمقمقِ ، قالَ هجاؤُهُ لدَّاغٌ ، ومديحُهُ بلا ماءٍ ، أكثرُهُ لا نفعَ فيهِ

قلتُ ففلانٌ ، قالَ كلامٌ مُؤلَّفٌ ، تلمظُهُ أسماعُ الجُهَّالِ ، وتلفظُهُ آذانُ العلماءِ

قالَ ابنُ دريدٍ وذهبَ عنّي أن أسألَ عنِ الأغرَّينِ المطبوعَينِ ؛ السيدِ والنميريِّ ؛ فقد أغفلَ ابنُ دريدٍ استيصافَ هٰذَينِ الشاعرَينِ ، ووقعَ لي وصفُهُما في حكايتَينِ أُخريَينِ ، فأمَّا النُّميريُّ فذكرَ إسحاقُ الموصليُّ قالَ حضرتُ الفضلَ بنَ يحيى بنِ خالدِ بنِ برمكَ وعندَهُ منصورٌ النُّميريُّ ومسلمُ بنُ الوليدِ يُنشِدانِهِ ، فالتفتَ إليَّ وقالَ يا إسحاقُ ؛ احكمْ أيُّهُما أشعرُ ، فقلتُ إنَّهُ قلَّ مَنْ حكمَ بينَ الشُّعراءِ فسلمَ منهُم ، ولٰكنْ إن أحبَّ الأميرُ تَكلَّفتُ وصفَ شعرِهِما ، فقالَ صِفْ ، فقلتُ أمَّا النُّميريُّ فإنَّ شعرَهُ حسنُ البناءِ ، قريبُ المعنىٰ ، سهلٌ كلامُهُ ، صعبٌ مرامُهُ ، سليمُ المتونِ ، كثيرُ العيونِ ، وأمَّا مسلمٌ فإنَّهُ مزجَ كلامَ البدويينَ بكلامِ الحضريينَ ، فضمَّنَهُ المعانيَ اللطيفةَ ، وكساهُ الألفاظَ الظريفةَ ، فلَهُ جزالةُ البدويينَ ، ورقَّةُ الحضريينَ

فقالَ الفضلُ : وصفتَ واللهِ فأحسنتَ ، وأُوتيتَ الحُكْمَ فحكمتَ ، النُّميريُّ أشعرُهُما

وأمَّا الحكايةُ الأُخرىٰ فللجاحظِ فصلٌ مِنْ فصولِ كتبِهِ ذكرَ فيهِ السيدَ

الحميريَّ ، وأبانَ بنَ عبدِ الحميدِ ، وأبا العتاهيةِ ، وبشاراً ، وأبا نواسٍ ، فقالَ أمَّا السيدُ الحميريُّ فأطبعُ الناسِ على قولِ الشعرِ ، وأقلُّهم صنعةً ، وأبعدُهُم مِنَ التكلُّفِ ، وأجدرُ أن ينقلَ جميعَ أحاديثِ الناسِ شعراً سهلاً بلا تعقُّدٍ ولا استكراهٍ

وأمَّا أبانُ بنُ عبدِ الحميدِ فلم يكنْ في زمانِهِ أطبعُ منهُ ، ولا أسلسُ كلاماً ، ولا أسهلُ مخارجَ ، وكانَ يقولُ على الثاءِ والذالِ والغينِ والظاءِ مئةَ قصيدةٍ

وأمَّا أبو العتاهيةِ فأحدُ المطبوعينَ ، وكادَ كلامُهُ يكونُ شعراً ، على أنَّ غزلَهُ ضعيفٌ مشاكلٌ لطبعِ النساءِ

وأمَّا بشارٌ وأبو نُواسٍ فمعناهُما واحدٌ ، والعدةُ اثنانِ ، بشارٌ حَلَّ مِنَ الطَّبعِ بحيثُ لم يَتكلَّفْ قطُّ قولاً ، ولا تَعِبَ مِنْ عملِ شعرٍ ، وأبو نُواسٍ حَلَّ مِنَ الطَّبعِ بحيثُ يصلُ شعرُهُ إلى القلبِ بلا إذنٍ

رجعنا إلى نقلِ كلامِ أبي هلالٍ في شرحِ قولِ حكيمِ الهندِ قالَ[١]

وقولُهُ (ولا يُكلِّمُ سيدَ الأَمَةِ بكلامِ الأَمَةِ ، ولا الملوكَ بكلامِ السُّوقةِ) ، لأنَّ ذلكَ جهلٌ بالمقاماتِ ، وما يصلحُ في كلِّ واحدٍ منها[٢] مِنَ الكلامِ ، وأحسنَ الذي قالَ لكلِّ مقامٍ مقالٌ ، فإذا كانَ موضعُ الكلامِ على طبقاتِ الناسِ فليخاطبِ السوقيَّ بكلامِ السوقيِّ ، والبدويَّ بكلامِ البدويِّ ، ولا يتجاوزْ به ما يعرفُهُ إلى ما لا يعرفُهُ ، فتذهبَ فائدةُ الكلامِ ، وتنعدمَ منفعةُ الخطابِ

وقولُهُ (ولا يُدقِّقُ المعانيَ كلَّ التدقيقِ) لأنَّ الغايةَ في تدقيقِ المعاني

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٣)

(٢) في « الصناعتين » (منهما)

سبيلٌ إلىٰ تعميةِ المعنىٰ ، وهيَ لُكنةٌ إلَّا إذا أُرِيدَ بهِ الإلغازُ ، وكانَتْ في تعميتِهِ فائدةٌ ؛ مثلُ أبياتِ المعاني

وأمَّا مَنْ أرادَ الإبانةَ في مديحٍ أو غزلٍ أو صفةِ شيءٍ فأتىٰ بإغلاقٍ دلَّ ذٰلكَ علىٰ عجزِهِ عن الإبانةِ ، وقصورِهِ عنِ الإفصاحِ

وقولُهُ (ولا يُنقِّحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ) ، تنقيحُ اللَّفظِ أن يَبنيَهُ بناءً لا يكثرُ في الاستعمالِ ، فربَّما وقعَ مَنْ يَقصِدُ ذٰلكَ في إساءةٍ يغفلُهُ عنها الاغترارُ بالاقتدارِ على ابتداعِ ما ليسَ جارياً في كلامِ الناسِ ، مثلُ ما وقعَ لبعضِهِم في خطابِ وزيرٍ حيثُ قالَ في الدعاءِ لهُ أحسنَ اللهُ إثابتَكَ ، فردَّ عليهِ الوزيرُ في الجوابِ وأحسنَ فقالَ وأنت عَجَّلَ اللهُ أمانتَكَ [1]

وقولُهُ (ويُصفِّيها كلَّ التصفيةِ ، ويُهذِّبُها كلَّ التهذيبِ) ، فتصفيتُهُ تعريتُهُ مِنَ الوحشيِّ ، ونفيُ الشواغلِ عنهُ ، وتهذيبُهُ تبرئتُهُ مِنَ الرديءِ المرذولِ ، والسُّوقيِّ المردودِ

فمِنَ الكلامِ المُهذَّبِ الصافي قولُ بعضِ الكُتَّابِ مثلُكَ أوجبَ حقّاً لا يجبُ عليهِ ، وسمحَ بحقٍّ يجبُ لهُ ، وقبلَ واضحَ العذرِ ، واستكثرَ قليلَ الشكرِ ، لا زالَتْ أياديكَ فوقَ شكرِ أوليائِكَ ، ونعمةُ اللهِ عليكَ فوقَ آمالِهِم فيكَ

وقولُ أحمدَ بنِ يوسفَ : يومُنا يومٌ لذيذُ الحواشي ، وطيءُ النواحي ، وهٰذهِ سماءٌ قد تَهلَّلَتْ بودقِها ، وضحكَتْ بلوامعِ برقِها ، وأنتَ قُطبُ السُّرورِ ، ونظامُ الأمورِ ، فلا تغبْ عنَّا فنَقِلَّ ، ولا تُفرِدْنا فنستوحشَ ؛ فإنَّ الحبيبَ بحبيبِهِ كثيرٌ ، وبمساعدتِهِ جديرٌ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٦)

وقولُهُ (ولا يفعلُ ذٰلكَ حتىٰ يلاقيَ حكيماً ، وفيلسوفاً عليماً ، ومَنْ تَعوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ ومشتركاتِ الألفاظِ نظرَ في المَنطِقِ علىٰ جهةِ الصناعةِ فيها ، لا علىٰ جهةِ الاستطرافِ والتطرُّفِ لها) ، يقولُ ينبغي أن يَتكلَّمَ بفاخرِ الكلامِ ونـادرِهِ ، ورصينِهِ ومُحكَمِهِ عندَ مَنْ يَفهمُهُ عنهُ ، ويَقبلُهُ منهُ

وأمَّا قولُهُ (مَنْ تَعوَّدَ حذفَ فضولِ الكلامِ) هوَ أن يسقطَ مِنَ الكلامِ ما يكونُ الكلامُ معَ إسقاطِهِ تامّاً غيرَ منقوصٍ ، ولا يكونُ في زيادتِهِ فائدةٌ ؛ سأَلَ معاويةُ رجلاً عنِ البلاغةِ ، فقالَ : هيَ أن تقولَ فلا تُخطِئَ ، وتُسرِعَ فلا تُبطِئَ ، فقالَ معاويةُ لو قلتَ هيَ ألَّا تُخطِئَ ولا تُبطِئَ ، فحذفَ منهُ الفضلَ

وقولُهُ (ومُشترَكاتِ الألفاظِ) ، هوَ أن يريدَ الإبانةَ عن معنىً فيأتيَ بألفاظٍ لا تَدُلُّ عليهِ خاصَّةً ، بل تشتركُ فيها معَهُ معانٍ أُخَرُ ، فلا يَعرِفُ السامعُ أيَّها أرادَ ، وربَّما استبهمَ الكلامُ في نوعٍ مِنْ هٰذا الجنسِ حتىٰ لا يُوقَفَ علىٰ معناهُ إلَّا بالتوهُّمِ

فمِنَ الجنسِ الأوَّلِ قولُ جريرٍ (١) [من الكامل]

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمُ ٱلرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ

فليسَ يدري إلىٰ أيِّ أفعالِهِ أشارَ بقولِهِ (فعلتُ ما لم أفعلِ) ، أن يبكيَ إذا رحلوا ، أو يَهيمَ علىٰ وجهِهِ مِنَ الغمِّ الذي لحقَهُ ، أو يَتبعَهُم إذا ساروا ، أو يَمنعَهُم مِنَ المُضيِّ علىٰ عزيمةِ الرحيلِ ، أو يأخذَ منهُم شيئاً يَتذكَّرُهُم بهِ ، أو يدفعَ إليهِم شيئاً يَتذكَّرونَهُ بهِ ، أو غيرَ ذٰلكَ ممَّا يجوزُ أن يفعلَهُ العاشقُ عندَ فراقِ أحبَّتِهِ ؟! فلم يُبيِّنْ عن غرضِهِ ، وأحرجَ السائلَ أن يَسألَهُ عمَّا أرادَ فعلَهُ عندَ رحيلِهِم

---

(١) انظر « ديوان جرير » (٢/٩٤٠)

وليسَ هٰذا كقولِهِم (لو رأيتَ عليّاً عليهِ السلامُ بينَ الصَّفَّينِ) فإنَّ إرادةَ البسالةِ والنكايةِ بينةٌ ، وأمارةَ النقصانِ في بيتِ جريرٍ واضحةٌ ، فمَنْ سمعَهُ وإن لم يكنْ مِنْ أهلِ البلاغةِ يَستبرِدُهُ ويَستغِثُّهُ ، ويَسترجِحُ الآخَرَ ويَستجيدُهُ

ومثلُهُ قولُ سعدِ بنِ مالكٍ الأسديِّ (١) [من الطويل]

فَإِنَّكَ لَوْ لَاقَيْتَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ لَلَاقَيْتَ مِنْهُ بَعْض مَا كَانَ يَفْعَلُ

فلم يبنْ بقولِهِ عمَّا أرادَ يلقىٰ منهُ ؛ أخيراً أم شرّاً ، إلَّا أن يسمعَ ما قبلَهُ وما بعدَهُ ، فيَتبيَّنَ معناهُ ، وأمَّا في نفسِ البيتِ فلا يَتبيَّنُ

وأقولُ (٢) إنَّ النقدَ علىٰ جريرٍ في غيرِ مَحَلّهِ ؛ حيثُ كانَ كلامُهُ معَ نفسِهِ ، وليسَ لأحدٍ أن يَسألَهُ عمَّا أرادَ ، وقصدُهُ أن يخفيَ مرادَهُ ، فذٰلكَ مقتضى الحالِ

ومثلُهُ قولُ أبي تمامٍ (٣) [من الطويل]

وَقُمْنَا فَقُلْنَا بَعْدَ أَنْ أُفْرِدَ ٱلثَّرَىٰ بِهِ مَا يُقَالُ فِي ٱلسَّحَابَةِ تُقْلِعُ

وقولُ الناسِ في السَّحابِ إذا أقلعَ علىٰ وجوهٍ كثيرةٍ ، فمنهُم مَنْ يَمدحُهُ ، ومنهُم مَنْ يكرهُ إقشاعَهُ ، علىٰ حَسَبِ ما كانَتْ حالُها عندَهُم ومواقعُها منهُم ، فلم يُبيِّنْ بقولِهِ (ما يُقالُ في السَّحابةِ تُقلِعُ) معنىً يَعتمِدُهُ السامعُ ، وأينَ هوَ مِنْ قولِ مسلمٍ (٤) [من الكامل]

فَأَذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوادِي مُزْنَةٍ أَثْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلسَّهْلُ وَٱلْأَوْعَارُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٩)
(٢) القائل هو المؤلف ضمن نقله لسياق صاحب « الصناعتين »
(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٩٦/٤)
(٤) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣١٤) ، فمسلم بن الوليد مشهور بصريع الغواني

علىٰ أنَّ المُحتجَّ لهُ لو قالَ العادةُ في السَّحابِ أن يُحمَدَ أثرُهُ ويُثنَىٰ عليهِ بعدَهُ لَمَا كانَ مُبعِداً ، ولم أُرِدْ عيبَ أبي تمامٍ ، إنَّما أُريدُ الإخبارَ عن وجهِ الاشتراكِ ، وذكرَ ما يَتشعَّبُ منهُ ويَقرُبُ مِنْ بابِهِ ، وينظرُ إليهِ مِنْ قريبٍ أو مِنْ بعيدٍ

وأمَّا ما يُستبهَمُ فلا يُعرَفُ المعنىٰ إلا بالتوهُّمِ فمثلُ قولِ أبي تمامٍ[1] [من الكامل]

جَهْمِيَّةُ ٱلْأَوْصَافِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرَ ٱلْأَشْيَاءِ

فوجهُ الاشتراكِ في هٰذا أنَّ للجهمِ مذاهبَ كثيرةً ، وآراءً مختلفةً مُتشعِّبةً ، لم يَدُلَّ فحوىٰ كلامِ أبي تمامٍ علىٰ شيءٍ منها يَصلُحُ أن يُشبَّهَ بهِ الخمرُ وتُنسَبَ إليهِ ، إلَّا أن يَتوهَّمَ المُتوهِّمُ فيقولَ إنَّما أرادَ كذا وكذا مِنْ مذاهبِ جهمٍ مِنْ غيرِ أن يَدُلَّ الكلامُ منهُ علىٰ شيءٍ بعينِهِ ، ولا يُعرَفُ معنىٰ قولِهِ (قد لقَّبوها جوهرَ الأشياءِ) إلَّا بالتوهُّمِ أيضاً

ومِنَ الكلامِ الخالي مِنَ الاشتراكِ كلامُ بعضِهِم لأخٍ لهُ أرادَ فراقَهُ[2] لمَّا تَصفَّحتُ أخلاقَكَ ، فوجدتُها مباينةً لشاكلتي ، زائغةً عن قصدِ طريقي صبرتُ عليها ؛ رياضةً لنفسي على الصَّبرِ لمَساوي أخلاقِ المعاشرينَ ، ولعلمي بكامنِ العدوانِ في العالمينَ ، والذي رجوتُ مِنْ مروءةِ[3] خصالِكَ بما أقابلُها مِنَ التجاوزِ ، فأسحبُ في سوءِ آثارِها أذيالَ التغاضي رأيتُ ذٰلكَ لا يُقوِّمُ اعوجاجَ مذاهبِكَ[4] ، ولا يعطفُ بكَ الرأيَ علىٰ رشدِكَ ، فلمَّا

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٣٠)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٠ ـ ٤١)

(٣) كذا في الأصل ، وفي « الصناعتين » (من مذمة) بدل (من مروءة)

(٤) كذا في الأصل ، والعبارة في « الصناعتين » (وأنت مع ذٰلك دائب لا تقوّم اعوجاج مذاهبك) بدل (رأيت ذٰلك)

فنيَتْ حيلتي فيكَ ، وانقطعَتْ أسبابُ أملي منكَ ، ورأيتُ الداءَ لا يزيدُ على التعهُّدِ إلَّا فساداً ، والخرقَ على الترقيعِ إلَّا اتساعاً . قَدَّمتُ اليأسَ منكَ على الرجاءِ فيكَ ، واحتسبتُ أيامي السالفةَ في استصلاحي لكَ

أقولُ (١) والاحترازُ عنِ المُشترَكِ أمرٌ مُهمٌّ ، مُحتاجٌ لدِقَّةِ نظرٍ وإطالةِ فكرٍ ، حتىٰ يأخذَ بجميعِ مواردِ الانتقادِ ، ويَضرِبَ دونَها بالإسدادِ ، فيَسلَمَ ممَّا وقعَ فيهِ كثيرٌ مِنْ فُحولِ الشعراءِ ، وتستبينُ ذٰلكَ ممَّا أحكيهِ لكَ

يُحكىٰ أنَّ جريراً قدمَ المدينةَ مَرَّةً وشاعرُها يَومَئذٍ الأحوصُ ، فاجتمعَ الناسُ لتعظيمِ جريرٍ ؛ إذ كانَ مِنْ أكابرِ الشُّعراءِ ذٰلكَ العصرَ ، ولم يرَ مِنَ الأحوصِ ما يرضيهِ ، فأرادَ أن يُطأطأَ منهُ ، ويَحُطَّ مِنْ كِبْرِهِ ، فقالَ لهُ يا أحوصُ ؛ أنتَ القائلُ (٢) [من الطويل]

يَقَرُّ بِعَيْنِي مَا يَقَرُّ بِعَيْنِهَا … وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ ٱلْعَيْنُ قَرَّتِ

فقالَ نعم ، يَرىٰ أنَّهُ استحسنَهُ ، وأنَّهُ سيُثني عليهِ ، فكانَ الأمرُ علىٰ خلافِ ذٰلكَ ، وقابلَهُ مِنَ البيتِ بدامغةٍ ؛ فقالَ لهُ إنَّهُ يَقَرُّ بعينِها أن يدخلَ فيها مثلُ ذراعِ البَكْرِ أفيَقَرُّ بعينِكَ ذٰلكَ ؟! فخَجِلَ الأحوصُ ولم يقابلْهُ بعدُ (٣)

وأنَّ الفرزدقَ لمَّا قالَ يفتخرُ (٤) [من الطويل]

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا سَارَتِ ٱلنَّاسُ خَلْفَنَا … وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى ٱلنَّاسِ وَقَّفُوا

قالَ بعضُ أهلِ عصرِهِ ذٰلكَ وقومُهُ أدلاءُ ركبانٍ !!

---

(١) القول للمؤلف ضمن نقله لكلام صاحب « الصناعتين »
(٢) انظر « ديوان الأحوص الأنصاري » (ص ١٠٧)
(٣) انظر « وفيات الأعيان » (١/٤٣٠)
(٤) انظر « ديوان الفرزدق » (٢/١٢٧)

وأنَّ ابنَ هرمةَ لمَّا قالَ في التمدُّحِ بالكرمِ [١] [من الكامل]

نَـــارِي وَنَـــارُ ٱلْـــجَـــارِ وَاحِـــدَةٌ وَإِلَـيْـهِ قَـبْـلِـي تَـنْـزِلُ ٱلْـقِـدْرُ

قالَتِ امرأتُهُ لأنَّها نارُ الجارِ وقدرُهُ !!

ولـمَّـا قـالَ الـمـتـنبي فـي صـفـةِ جـسـمِـهِ بـالـنـحـولِ علىٰ عـادةِ العُشَّاقِ [٢] [من البسيط]

أَبْلَى ٱلْهَوَىٰ أَسَفاً يَوْمَ ٱلنَّوَىٰ بَدَنِي وَفَرَّقَ ٱلْهَجْرُ بَيْنَ ٱلْجَفْنِ وَٱلْوَسَنِ

رُوحٌ تَـرَدَّدُ فِـي مِـثْـلِ ٱلْـخِـلَالِ إِذَا أَطَارَتِ ٱلرِّيحُ عَنْهُ ٱلثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ

كَفَىٰ بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

قالَ عَصريُّهُ الرماديُّ شاعرُ الأندلسِ لم يزدْ أن جعلَ نفسَهُ ضرطةً يُسمَعُ صوتُها ولا يُرىٰ لها شخصٌ ، فاتفقَ أن قالَ الرماديُّ في غزلِ قصيدةٍ [٣] [من الكامل]

فِـي أَيِّ جَـارِحَـةٍ أَصُـونُ مُـعَـذِّبِـي سَلِمَتْ مِنَ ٱلتَّجْرِيحِ وَٱلتَّنْكِيلِ

فقالَ المتنبي يَصونُهُ في استِهِ ، ولٰكنْ لم يبلغْ مِنَ الرَّماديِّ بهٰذا الانتقادِ ما بلغَهُ منهُ ، وهٰذا النوعُ مِنَ الانتقادِ هوَ الذي يُسمِّيهُ ظُرفاءُ أهلِ مصرَ بالتنكيتِ ، ولهُم فيهِ غرائبُ ، وعلىٰ مَنْ يُحِبُّ تربيةَ ذوقِهِ وإيقاظَ فكرِهِ أن يعاشرَهُم ، ويستفيدَ ذٰلكَ منهُم ، فالعاقلُ يخرجُ مِنَ الهزلِ إلى الجِدِّ ، ويُحصِّلُ مِنْ صغارِ الأمورِ علىٰ كبارِها

رجعنا إلىٰ كلامِ أبي هلالٍ ، قالَ [٤]

(١) انظر « خزانة الأدب » (٣/٧٢)

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣)

(٣) انظر « نفح الطيب » (٣/٧١)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤١)

وقولُهُ (وحقُّ المعنىٰ أن يكونَ الاسمُ لهُ طبقاً) أيِ اللفظُ بقَدْرِ المعنىٰ ، غيرَ زائدٍ عليهِ ، ولا ناقصٍ عنهُ ، وكأنَّ ذٰلكَ مِنْ قولِ امرئِ القيسِ [(١)] [من الرمل]

طَبَقُ ٱلْأَرْضِ تَحَرَّىٰ وَتَدُرّْ

أي هوَ على الأرضِ كالطَّبقِ على الإناءِ ، لا يَنقُصُ منهُ شيءٌ ، قولُ امرئِ القيسِ هٰذا في صفةِ المطرِ ، والبيتُ

دِيمَةٌ هَطْلَاءُ فِيهَا وَطَفٌ طَبَقُ ٱلْأَرْضِ تَحَرَّىٰ وَتَدُرّْ

وقولُهُ (ولا يكونُ الاسمُ فاضلاً ولا مُقصِّراً) مثالُ الفاضلِ مِنَ اللفظِ عنِ المعنىٰ قولُ عروةَ بنِ أذينةَ [(٢)] [من الكامل]

وَٱسْقِ ٱلْعَدُوَّ بِكَأْسِهِ وَٱعْلَمْ لَهُ بِٱلْغَيْبِ أَنْ قَدْ كَانَ قَبْلُ سَقَاكَهَا
وَٱجْزِ ٱلْكَرَامَةَ مَنْ تَرَىٰ أَنْ لَوْ لَهُ يَوْماً بَذَلْتَ كَرَامَةً لَجَزَاكَهَا

ومعنىٰ هٰذا الكلامِ محصورٌ تحتَ ثلاثِ كلماتٍ اجزِ كُلّاً بفعلِهِ ، وكانَ السكوتُ لعروةَ خيراً منهُ

ومِنَ الكلامِ الفاضلِ لفظُهُ عن معناهُ قولُ أبي العيالِ الهذليِّ [(٣)] [من مجزوء الكامل]

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ ٱلرَّأْسِ وَٱلْوَصَبُ

فذكرُ الرأسِ معَ الصُّداعِ فضلٌ ، وقولُ أوسِ بنِ حجرٍ [(٤)] [من الطويل]

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٤٤)
(٢) انظر « ديوان عروة بن أذينة » (ص ٣٤٤)
(٣) انظر « معاهد التنصيص » (١/٣٢٦)
(٤) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ٩١)

وَهُـمْ لِـمُـقِـلِّ ٱلْـمَـالِ أَوْلَادُ عَـلَّـةٍ وَإِنْ كَانَ مَحْضاً فِي ٱلْعُمُومَةِ مُخْوِلَا

فقولُهُ (المالُ) معَ (المُقِلِّ) فضلةٌ ؛ يعني أنَّ المُقِلَّ والمُكثِرَ معناهُما في الاستعمالِ الفقيرُ والغنيُّ ، وأولادُ علَّةٍ هُمُ الأولادُ لأُمَّهاتٍ شتَّىٰ ، وهُم غالباً أعداءٌ لبعضِهِم ، فمعنى الكلامِ أنَّ الناسَ أعداءُ الفقيرِ

والمُقصِّرُ مِنَ الكلامِ ما لا يُنبئُكَ عن معناهُ عندَ سماعِكَ إيَّاهُ ، ويُحوِجُكَ إلىٰ شرحٍ ، كبيتِ الحارثِ بنِ حلزةَ(١) [من مجزوء الكامل]

وَٱلْـعَـيْـشُ خَـيْـرٌ فِـي ظِـلَا لِ ٱلـنُّـوكِ مِـمَّـنْ عَـاشَ كَـدَّا

معناهُ والعيشُ في ظلالِ الحماقةِ ـ وهوَ العيشُ الرخيُّ ـ خيرٌ مِنْ عيشِ العُقلاءِ ؛ وهوَ العيشُ الشديدُ ، ذٰلكَ حَسَبَ ما هوَ دائرٌ بينَ الناسِ مِنْ أنَّ الدنيا لا تزالُ معَ الحمقىٰ ، والعاقلَ محرومٌ منها ، وللناسِ في ذٰلكَ كلامٌ كثيرٌ

وقولُهُ (ولا مُضمَّناً) ، التضمينُ أن يكونَ الفصلُ الأوَّلُ مُفتقِراً إلى الفصلِ الثاني ، والبيتُ الأولُ مُحتاجاً إلى الأخيرِ ؛ كقولِ الشاعرِ(٢) [من الوافر]

كَـأَنَّ ٱلْقَـلْـبَ لَـيْـلَـةَ قِـيـلَ يُـغْـدَىٰ بِـلَـيْـلَـى ٱلْـعَـامِـرِيَّـةِ أَوْ يُـرَاحُ

قَـطَـاةٌ عَـزَّهَـا شَـرَكٌ فَـبَـاتَـتْ تُـجَـاذِبُـهُ وَقَـدْ عَـلِـقَ ٱلْـجَـنَـاحُ

فلم يُتِمَّ المعنىٰ إلَّا في البيتِ الثاني ، وهوَ قبيحٌ

ومثالُهُ مِنْ نثرِ الكتابِ قولُ بعضِهِم وجعلَ سيِّدَنا آخذاً مِنْ كلِّ ما دُعِيَ بهِ أو يُدعىٰ في الأعيادِ ، بأجزلِ الأقسامِ وأوفرِ الأعدادِ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/٣٠٨)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٢)

وقالَ بعضُ الحكماءِ[1] البلاغةُ قولٌ يسيرٌ يَشتمِلُ على معنىً خطيرٍ

وهٰذا مثلُ قولِ الآخَرِ[2] البلاغةُ علمٌ كثيرٌ في قولٍ يسيرٍ

ومثالُهُ قولُ الأعرابيِّ وقد سُئِلَ عن مالٍ يَسوقُهُ لِمَنْ هوَ ؟ فقالَ للهِ في يدي

فأيُّ شيءٍ لم يدخلْ تحتَ هٰذا الكلامِ القليلِ مِنَ الفوائدِ الخطيرةِ والحِكَمِ البارعةِ الجسيمةِ ؟!

وقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[3] فدخلَ تحتَ قولِهِ ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ مِنَ المعاني ما يَطولُ شرحُهُ ؛ مِنْ إيتاءِ ما يُرجىٰ ، وكفايةِ ما يُخشىٰ ، وهٰذا مثلُ قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾[4]

وسُئِلَ بعضُ الأوائلِ عن سببِ موتِ أخيهِ ، فقالَ كونُهُ ؛ أي سببُ موتِهِ كونُهُ ؛ أي وجودُهُ بحَسَبِ استعدادِهِ وطبيعةِ خلقتِهِ

وقد تنازعَ الناسُ في هٰذا المعنىٰ[5] أخبرنا أبو أحمدَ ، قالَ أنبأنا أبو بكرِ بنُ دريدٍ ، عن الرِّياشيِّ قالَ قيلَ لأعرابيٍّ كيفَ حالُكَ ؟ فقالَ ما حالُ مَنْ يَفنىٰ ببقائِهِ ، ويَسقَمُ بسلامتِهِ ، ويُؤتىٰ مِنْ مأمنِهِ ؟!

وأخبرَنا أبو أحمدَ ، قالَ أنبأَنا محمدُ بنُ يحيىٰ ، قالَ حدَّثَنا القلابيُّ ، قالَ حدَّثَنا ابنُ عائشةَ ، قالَ قلتُ لأبي حدَّثني حمادُ بنُ سلمةَ عن

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٣)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٣)

(٣) سورة الطلاق (٣)

(٤) سورة الزخرف (٧١)

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤)

حميدِ بنِ ثابتٍ ، عن أنسٍ والحسنِ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ « كَفَىٰ بِٱلسَّلَامَةِ دَاءً »[1] ، قالَ يا بنيَّ ؛ لا أُراهُ إلَّا مُسنَداً ، وقد قالَ حميدُ بنُ ثورٍ[2] [من الطويل]

أَرَىٰ بَصَرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْقَمَا

وقالَ الآخَرُ[3] [من الكامل]

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِغَامِزٍ فَأَلَانَهَا ٱلْإِصْبَاحُ وَٱلْإِمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي بِٱلسَّلَامَةِ دَائِماً لِيُصِحَّنِي فَإِذَا ٱلسَّلَامَةُ دَاءُ

وأوَّلُ مَنْ نطقَ بهٰذا المعنى النمرُ بنُ تولبٍ في الجاهليةِ[4] [من الطويل]

يَوَدُّ ٱلْفَتَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ وَٱلْغِنَىٰ فَكَيْفَ تَرَىٰ طُولَ ٱلسَّلَامَةِ يَفْعَلُ
يَرُدُّ ٱلْفَتَىٰ بَعْدَ ٱعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ يَنُوءُ إِذَا رَامَ ٱلْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

وقالَ آخَرُ[5] [من الرجز]

مَا حَالُ مَنْ آفَتُهُ بَقَاؤُهُ نَغَّصَ عَيْشِي كُلُّهُ فَنَاؤُهُ

وقالَ ابنُ الروميِّ[6] [من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا ٱلدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ إِذَا زَالَ عَنْ عَيْنِ ٱلْبَصِيرِ غِطَاؤُهَا
وَكَيْفَ بَقَاءُ ٱلنَّفْسِ فِيهَا وَإِنَّمَا يُنَالُ بِأَسْبَابِ ٱلْفَنَاءِ بَقَاؤُهَا

---

(١) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (١٤٠٩)
(٢) انظر « ديوان حميد بن ثور الهلالي » (ص ٢١٨)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤)
(٤) انظر « ديوان النمر بن تولب » (ص ١٠٠ ـ ١٠١)
(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤)
(٦) انظر « ديوان ابن الرومي » (١٣٠/١)

ولبعضِ المُتأخِّرينَ في هٰذا المعنىٰ شعرٌ حسنٌ لا بأسَ بإثباتِهِ معَ ما أثبتَ أبو هلالٍ ؛ وهوَ[1] [من الخفيف]

صِحَّةُ ٱلْمَرْءِ لِلسَّقَامِ طَرِيقٌ وَطَرِيقُ [ٱلْفَنَاءِ] هَٰذَا ٱلْبَقَاءُ
بِٱلَّذِي [نَغْتَذِي] نَمُوتُ وَنَحْيَا أَقْتَلُ ٱلدَّاءِ لِلنُّفُوسِ ٱلدَّوَاءُ
مَا لَقِينَا مِنْ غَدْرِ دُنْيَا فَلَا كَا نَتْ وَلَا كَانَ أَخْذُهَا وَٱلْعَطَاءُ
جُودُهَا رَاجِعٌ إِلَيْهَا فَمَهْمَا يَهَبِ ٱلصُّبْحُ يَسْتَرِدَّ ٱلْمَسَاءُ
صَلَفٌ تَحْتَ رَاعِدٍ وَشَرَابٌ كَرَعَتْ فِيهِ مُومِسٌ خَرْقَاءُ
لَيْتَ شِعْرِي حُلْمٌ تَمُرُّ بِهِ ٱلْأَيَّـ ـامُ أَمْ لَيْسَ تُعْقَلُ ٱلْأَشْيَاءُ
قَبَّحَ ٱللهُ لَذَّةً لِشَقَانَا نَالَهَا ٱلْأُمَّهَاتُ وَٱلْآبَاءُ
نَحْنُ لَوْلَا ٱلْوُجُودُ لَمْ نَأْلَمِ ٱلْفَقْـ ـدَ فَإِيجَادُنَا عَلَيْنَا بَلَاءُ

ولبعضِهِمْ[2] البلاغةُ حسنُ الاقتضابِ عندَ البديهةِ ، والغزارةُ عندَ الإطالةِ

الاقتضابُ أخذُ القليلِ مِنَ الكثيرِ ، وأصلُهُ مِنْ قولِهِمْ اقتضبتُ الغصنَ ؛ إذا قطعتُهُ مِنْ شجرتِهِ

فمِنَ البديهةِ الحسنةِ[3] ما أخبرَنا بهِ أبو أحمدَ ، قالَ أخبرنا إبراهيمُ بنُ أحمدَ الشطبيُّ ، قالَ حدَّثني أحمدُ بنُ يحيىٰ ، قالَ دخلَ المأمونُ ديوانَ الخراجِ ، فمرَّ بغلامٍ جميلٍ علىٰ أُذنِهِ قلمٌ ، فأعجبَهُ ما رأىٰ مِنْ حسنِهِ ، فقالَ مَنْ أنتَ يا غلامُ ؟ فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ الناشئُ في

(١) انظر « معجم الأدباء » (٤/٢٣ ـ ٢٤)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦)

دولتِكَ ، وخِرّيجُ أدبِكَ ، والمُتقلِّبُ في نعمتِكَ ، الحسنُ بنُ رجاءٍ ، فقالَ المأمونُ بالإحسانِ في البديهةِ تفاضلَتِ العقولُ ، ثمَّ أَمرَ برفعِ رتبتِهِ ، وإعطائِهِ مئتَيْ ألفِ درهمٍ

ومِنَ الاقتضابِ الجيدِ (١) ما وردَ في خبرٍ عن أبي عبيدةَ قالَ استفتحتُ غلامَيْنِ في الصِّبا ، فزَكَنْتُ منهما بلوغَ الغايةِ ، فجاءَ كما زكنتُ

بلغَني أنَّ النَّظَّامَ يَتعاطىٰ علمَ الكلامِ ، فمرَّ بي وهوَ غلامٌ علىٰ حمارٍ يطيرُ بهِ ، فقلتُ يا غلامُ ؛ ما عيبُ الزُّجاجِ ؟ فقالَ سريعُ الكسرِ ، بطيءُ الجبرِ

وبلغَني أنَّ أبا نُواسٍ يَتعاطىٰ قرضَ الشعرِ ، فلقيَني وهوَ سكرانُ يوماً وما طَرَّ شاربُهُ بعدُ ، فقلتُ كيفَ فلانٌ عندَكَ ؟ فقالَ ثقيلُ الظِّلِّ ، جامدُ النَّسيمِ ، فقلتُ زِدْ ، فقالَ مظلمُ الهواءِ ، مُنتِنُ الفِناءِ ، فقلتُ زِدْ ، فقالَ غليظُ الطَّبعِ ، بغيضُ الشَّكلِ ، قلتُ زِدْ ، قالَ وخمُ الطَّلعةِ ، عسرُ القلعةِ ، قلتُ زِدْ ، قالَ نابي الجنَباتِ ، باردُ الحركاتِ ، ثمَّ قلتُ حسبُكَ ، فقالَ زدْني سُؤالاً أزدْكَ جواباً ، فقلتُ كفىٰ مِنَ القِلادةِ ما أحاطَ بالعُنُقِ

ومِنْ جيدِ البديهةِ (٢) ما كانَ مِنْ يحيى بنِ أكثمَ وقد قالَ لهُ المأمونُ صفْ لي حالي عندَ الناسِ ، فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قدِ انقادَتْ لكَ الأمورُ بأزمَّتِها ، وملَّكَتْكَ الأُمَّةُ فضولَ أعنَّتِها بالرغبةِ إليكَ ، والمحبةِ لكَ ، والرفقِ منكَ بهِم ، ومنكَ عليهِم ، فالحمدُ للهِ الذي [جمعنا] بكَ بعدَ التقاطعِ ، ورفعَنا في دولتِكَ بعدَ التواضعِ ، فقالَ يا يحيىٰ ؛ تحبيراً أمِ ارتجالاً ؟ قالَ وهل يمتنعُ فيكَ وصفٌ ، أو يَتعذَّرُ علىٰ مادحِكَ قولٌ ، أو يُفحَمُ فيك شاعرٌ ، أو يَتلجلجُ فيكَ خطيبٌ ؟!

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧)

ومِنْ حسنِ البديهةِ[1] ما يُحكىٰ أنَّهُ قدمَ للمهديِّ رجلٌ مِنْ خُراسانَ ، فقالَ أطالَ اللهُ بقاءَ أميرِ المؤمنينَ ؛ إنَّا قومٌ نأينا عنِ العربِ ، وشغلَتْنا الحُروبُ عنِ الخُطَبِ ، وأميرُ المؤمنينَ يعلمُ طاعتَنا ، وما فيهِ مصلحتُنا ، فيكتفي منَّا باليسيرِ عنِ الكثيرِ ، ويقتصرُ علىٰ ما في الضَّميرِ

ومِنْ حسنِ البديهةِ[2] ما تَسمعُهُ فيما يُحكىٰ أنَّ أعرابيّاً دخلَ على المنصورِ ، فتَكلَّمَ ، فأُعجِبَ بكلامِهِ ، فقالَ لهُ سلْ حاجتَكَ ، فقالَ يبقيكَ اللهُ ، ويزيدُ في سلطانِكَ ، فقالَ سلْ حاجتَكَ ، فليسَ في كلِّ وقتٍ يُؤمَرُ بذٰلكَ ، فقالَ ولمَ يا أميرَ المؤمنينَ ؟! فواللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما أستقصرُ عمرَكَ ، ولا أخافُ بخلَكَ ، ولا أغتنمُ مالَكَ ، وإنَّ سؤالَكَ لشرفٌ ، وإنَّ عطاءَكَ لزينٌ ، وما بامرئٍ بذلَ وجهَهُ لكَ نقصٌ ولا شَيْنٌ

أخذَ المعنى الأخيرَ مِنْ قولِ أميةَ بنِ أبي الصَّلتِ في عبدِ اللهِ بنِ جدعانَ[3] [من الطويل]

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِٱمْرِئٍ إِنْ حَبَوْتَهُ بِسَيْبٍ وَمَا كُلُّ ٱلْعَطَاءِ يَزِينُ
وَلَيْسَ بِشَيْنٍ لِٱمْرِئٍ بَذْلُ وَجْهِهِ إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ ٱلسُّؤَالِ يَشِينُ

[حدُّ البلاغةِ عندَ جعفرِ بنِ يحيىٰ]

وقالَ جعفرُ بنُ يحيىٰ[4] البلاغةُ أن يكونَ الاسمُ يحيطُ بمعناكَ ، ويُجلِّي عن مغزاكَ ، ويُخرِجُهُ مِنَ الشركةِ ، ولا يستعينُ عليهِ بطولِ الفكرِ ،

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧ ـ ٤٨)
(٣) انظر « ديوان أمية بن أبي الصلت » (ص ٤٩٩)
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٨)

ويكونُ سليماً مِنَ التكلُّفِ ، بعيداً مِنْ سوءِ الصَّنعةِ ، بريئاً مِنَ التعقيدِ ، غنيّاً عنِ التأمُّلِ

قولُهُ (أن يكونَ الاسمُ يحيطُ بمعناكَ) ، فالاسمُ ها هنا اللفظُ ؛ أي يَحصُرُ اللفظُ جميعَ المعنىٰ ، ويَشتمِلُ عليهِ ؛ فلا يَشِذُّ منهُ شيءٌ يحتاجُ إلىٰ أن يُعرَفَ بشرحٍ أو بتفسيرٍ ، فإذا سمعتَ اللفظَ عرفتَ أقصى المعنىٰ ، وهـٰذا مثلُ قولِ الآخَرِ البليغُ مَنْ طَبَّقَ المَفْصِلَ ، وأغناكَ عنِ المُفسِّرِ

ولا يكونُ الكلامُ بليغاً معَ ذٰلكَ حتىٰ يَعرىٰ مِنَ العيبِ ، ويَتضمَّنَ الجَزالةَ والسُّهولةَ وجودةَ الصَّنعةِ فيما ذكرنا ، ومثالُ ذٰلكَ[1] ما كتبَ بعضُهُم إلىٰ أخٍ لهُ أمَّا بعدُ فإنَّ المرءَ يَسُرُّهُ دَرَكُ ما لم يكنْ ليُحرَمَهُ ، ويَسوءُهُ فوتُ ما لم يكنْ ليدركَهُ ، فليكنْ سرورُكَ فيما قدمتَ مِنْ خيرٍ ، وأسفُكَ علىٰ ما فاتَكَ مِنْ برّ

وقولُ أعرابيٍّ لابنِهِ يا بنيَّ ؛ إنَّ الدنيا تسعىٰ علىٰ مَنْ يسعىٰ لها ، فالهربَ قبلَ العطبِ ؛ فقد آذنتْكَ بدينٍ[2] ، وانطوَتْ لكَ علىٰ حَيْنٍ

وقالَ الشاعرُ[3] [من الطويل]

حَـلَالٌ لِـلَـيْـلَـىٰ أَنْ يَـرُوحَ فُـؤَادُهُ[4] بِـهَـجْـرٍ وَمَـغْـفُـورٌ لِـلَـيْـلَـىٰ ذُنُـوبُـهَـا
تَـطَـلَّـعُ مِـنْ نَـفْـسِـي إِلَـيْـكِ نَـوَازِعٌ عَـوَارِفُ أَنَّ ٱلْـيَـأْسَ مِـنْـكِ نَـصِـيـبُـهَـا
وَزَالَتْ زَوَالَ ٱلشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا فَمَنْ مُخْبِرِي فِي أَيِّ أَرْضٍ غُرُوبُهَا

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٨)
(٢) في « الصناعتين » (بين)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٨)
(٤) في « الصناعتين » (تروع) بدل (يروح)

وقالَ آخَرُ [١] [من الطويل]

وَمَاذَا عَسَى ٱلْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَىٰ أَنْ يَقُولُوا إِنَّنِي لَكِ عَاشِقُ
أَجَلْ صَدَقَ ٱلْوَاشُونَ أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ تَصْفُ مِنْكِ ٱلْخَلَائِقُ

وقولُهُ : (ويُجلِّي عن مغزاكَ) أي يُوضِّحُ مقصدَكَ ، ويُبيِّنُ للسامعِ مرادَكَ ، ينهىٰ عنِ التعميةِ والإغلاقِ

وقولُهُ (ويخرجُهُ مِنَ الشركةِ) فقد مضىٰ تفسيرُهُ [٢]

وقولُهُ (ولا يستعينُ عليهِ بطولِ الفكرةِ) هٰذا لأنَّ الكلامَ إذا تَقطَّعَتْ أجزاؤُهُ ، ولم تتصلْ فصولُهُ . ذهبَ رونقُهُ ، وغاض ماؤُهُ ، وإنَّما رونقُ الكلامِ إذا جرىٰ جريانَ السيلِ ، وانصبَّ انصبابَ القطرِ

وقالَ ثمامةُ [٣] ما رأيتُ أحداً إذا تَكلَّمَ لا يَتحبَّسُ ، ولا يَتوقَّفُ ، ولا يَتلقَّفُ ، ولا يَتلجلجُ ، ولا يَتنحنحُ ، ولا يَترقَّبُ لفظاً استدعاهُ مِنْ بَعدُ ، ولا يلتمسُ التخلُّص إلىٰ معنىً قدِ اعتاصَ عليهِ بعدَ طلبِهِ إلَّا جعفرَ بنَ يحيىٰ

فمِنَ الكلامِ الجاري مَجرى السيلِ [٤] : قولُ بعضِ العربِ لبعضِ ملوكِ بني أميةَ : أقطعتَ فلاناً أرضاً وَسْطَ [مَحَلَّتِنا ، وسواءَ] [٥] خِطَّتِنا ، ومركزَ رماحِنا ، ومنزلَ لقاحِنا ، ومخرجَ نسائِنا ، ومُتقلَّبَ آبائِنا ، ومَسرحَ شبابِنا ، ومَصبحَنا في صيفِنا ، فقالَ تُكْفَونَ ، وعَوَّضَهُ عنها ، وردَّها عليهم

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٩)
(٢) انظر (٣٣٦/٣)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٩)
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٩)
(٥) في الأصل (حلتنا وسوء)

ويُروىٰ أنَّ الإمامَ أبا محمدٍ الحسنَ بنَ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضوانُ اللهِ وسلامُهُ عليهِما خطبَ ، فقالَ[1] اعلموا أنَّ الحِلْمَ زينٌ ، والوَقارَ مروءةٌ ، والصَّلفَ نقمةٌ ، والإكثارَ صَلفٌ ، والعجلةَ سفهٌ ، والسَّفهَ ضَعفٌ ، والقلقَ ورطةٌ ، ومجالسةَ أهلِ الدناءةِ شَينٌ ، ومخالطةَ أهلِ الفُسوقِ ريبةٌ

فهٰذهِ هيَ البلاغةُ التامَّةُ ، والبيانُ الكاملُ

وكما قالَ بعضُهُمُ[2] البلاغةُ صوابٌ في سرعةِ جوابٍ ، والعِيُّ إكثارٌ في إهذارٍ ، وإبطاءٌ في دقةِ أخطاءٍ

وقالَ بعضُهُم[3] لستُ ممَّنْ يَتوهَّمُ بجهلِهِ ، ويَظنُّ بقِلَّةِ عقلِهِ أَنَّ الدِّيانةَ والأمانةَ ، والنزاهةَ والصِّيانةَ إنَّما هيَ في تشميرِ ثوبِهِ ، وإحفاءِ شاربِهِ ، وكشفِهِ عن ساقِهِ ، وزهوِهِ بأَطمارِهِ ، وإنعالِ خُفِّهِ ، وترقيعِ ثوبِهِ ، وإظهارِ سَجَّادتِهِ ، وتعليقِ سُبحتِهِ ، وخفضِ صوتِهِ ، وخضوعِ جسمِهِ دونَ قلبِهِ ، واختلاسِ مشيِهِ ، وخفةِ وطئِهِ بينَ قومِهِ ، ولا يرتشي في حكمِهِ ، ويأخذُ علىٰ علمِهِ ، ويطلبُ الدنيا بدينِهِ ، ولا يرفعُ طرفَهُ مِنْ عظمتِهِ وكبريائِهِ ، ولا يُكلِّمُ الناسَ مِنْ تصنُّعِهِ وريائِهِ

فهٰذا الكلامُ وأمثالُهُ في طولِ النفسِ يدلُّ على اقتدارِ المُتكلِّمِ وفضلِ قُوَّتِهِ في التصرُّفِ

وقولُهُ (ويكونُ سليماً مِنَ التكلُّفِ) ، فالتكلُّفُ طلبُ الشيءِ بصُعوبةٍ ، للجهلِ في طلبِهِ بالسُّهولةِ ، فالكلامُ إذا جُمِعَ بتعبٍ وجهدٍ ، [وتُنُوِّلَتْ]

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٩)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٠)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٠)

ألفاظُهُ مِنْ بُعْدٍ فهوَ مُتكلَّفٌ ، مثالُهُ[1] قولُ بعضِهِم في دعائِهِ اللهمَّ ربَّنا وإلـٰهَنا ؛ صلِّ علىٰ محمدٍ نبيِّنا ، ومَنْ أرادَ بنا سوءاً فاحططْ ذٰلكَ السُّوءَ بهِ ، وأرسخْهُ بهِ كرسوخِ السِّجِّيلِ ، علىٰ أصحابِ الفيلِ ، وانصُرْنا علىٰ كلِّ باغٍ وحَسودٍ ، كما انتصرتَ لناقةِ ثَمودٍ

وقولُهُ (بريئاً مِنْ سوءِ الصَّنعةِ) ، فسوءُ الصَّنعةِ يتصرَّفُ علىٰ وجوهٍ ؛ منها سوءُ التقسيمِ وفسادُهُ ، [وقبحُ] الاستعارةِ والتطبيقِ ، وفسادُ النسجِ والسبكِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا سيُنبِّهُكَ عليهِ لاحقُ الكلامِ

ورُوِيَ أنَّه قالَ : (بريئاً مِنَ الصَّنعةِ) ، فالصَّنعةُ : النقصانُ مِنْ غايةِ الجودةِ ، والقصورِ عن جدِّ الإحسانِ

ويُحكىٰ[2] أنَّ النابغةَ لمَّا دخلَ المدينةَ شربَ ، وغنَّاهُ المُغنِّي قصيدتَهُ[3] [من الكامل]

أَمِنَ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ

وحركةُ رويِّها الكسرةُ ، فلمَّا سمعَ قولَهُ

وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا ٱلْغُرَابُ ٱلْأَسْوَدُ

وقولَه

عَنَمٌ يَكَادُ مِنَ ٱللَّطَافَةِ يُعْقَدُ

استنكرَ ذٰلكَ ، وخرجَ مِنَ المدينةِ وهوَ يقولُ دخلتُ المدينةَ فوجدتُ في شعري صنعةً ، فخرجتُ منها وأنا أشعرُ الناسِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٠)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥١)

(٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٨٩)

وقولُهُ (فيهِ صنعةٌ) ، هوَ كقولِ الصَّانعِ إذا لم يُتَمِّمْ عملَهُ في شيءٍ : هٰذا الشيءُ لم يزلْ فيهِ شغلٌ ؛ أي هوَ محتاجٌ لأن يصنعَ حتىٰ يَتِمَّ ويبلغَ أحسنَ أحوالِهِ ، مثلاً أحسنُ أحوالِ القصيدةِ أن تكونَ أبياتُها جميعُها متفقةَ الرَّويِّ ، فقصيدةُ النابغةِ المذكورةُ محتاجةٌ لتغييرِ تركيبِ البيتَينِ حتىٰ يوافقَ رَوِيُّهُما بقيةَ القصيدةِ ، يُقالُ إنَّهُ غَيَّرَ قولَهُ

وَبِــذَاكَ خَــبَّــرَنَــا ٱلْـغُـرَابُ ٱلْأَسْــوَدُ

إلىٰ

وَبِــذَاكَ تَـنْـعَـابُ ٱلْـغُـرَابِ ٱلْأَسْـوَدِ

وهوَ فِرارٌ مِنْ عيبٍ لأشدَّ منهُ ؛ فإنَّكَ تقارنُ بينَ (خَبَّرَنا) و(تَنعابُ) فتجدُ الأُولىٰ صادرةً عن مصدرِ شعرٍ ، والثانيةَ لم تجئْ إلَّا بالبحثِ والتكلُّفِ لها ، وقهرِها في وضعِها بغيرِ مَقرِّها

وحُكِيَ [١] أنَّهُ كانَ ابنُ الأعرابيِّ يأمرُ بكتبِ جميعِ ما يجري في مجلسِهِ ، فأنشدَهُ رجلٌ يوماً أرجوزةَ أبي تمامٍ في وصفِ السحابِ علىٰ أنَّها لبعضِ العربِ [من مشطور الرجز]

سَــارِيَــةٌ لَــمْ تَــكْــتَــحِــلْ بِــغَــمْــضِ
كَــــدْرَاءُ ذَاتُ هَــــطَــــلَانٍ مَــــحْــــضِ
[مُــــوقَــــرَةٌ] مِــــنْ خُــــلَّــــةٍ وَحَــــمْــــضِ
تَـمْـضِـي وَيُـبْـقِـي نِـعَـمـاً لَا تَـمْـضِـي
قَــضَــتْ بِــهَــا ٱلـسَّـمَـاءُ حَـقَّ ٱلْأَرْضِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥١)

فقالَ ابنُ الأعرابيِّ : اكتبوها ، فلمَّا كتبوها قيلَ إنَّها لحبيبِ بنِ أوسٍ ، فقالَ خَرِّقْ خَرِّقْ ، لا جرمَ أنَّ أثرَ الصَّنعةِ فيها بيِّنٌ !!

وقالَ الفرزدقُ إنَّ للقصائدِ مصنعاً ؛ أي معاباً ومنقصةً

وقولُهُ : (بعيدٌ مِنَ التعقيدِ) ، فالتعقيدُ : الإغلاقُ ؛ وهوَ استعمالُ الوحشيِّ ، وتعليقُ الكلامِ بعضِهِ ببعضٍ حتىٰ يستبهمَ المعنىٰ

فمِنْ أمثلةِ ذٰلكَ [1] : ما يُحكىٰ : أنَّ رجلاً مرضَتْ أُمُّهُ ، فكتبَ رقاعاً وطرحَها في المسجدِ الجامعِ بمدينةِ السلامِ يطلبُ فيها أن يدعوَ الناسُ لأُمِّهِ ، وهٰذا ما كتبَ فيها صِينَ ٱمرؤٌ دعا لامرأةٍ [مُقْسَئِنَّةٍ] [2] ، قد مُنِيَتْ بأكلِ الطُّرموقِ ، فأصابَها مِنْ أجلِهِ الاستمصالُ ؛ أنْ يَمُنَّ اللهُ عليها باطرغشاشٍ وابرغشاشٍ

الطُّرموقُ الخفاشُ ، والاستمصالُ الإسهالُ ، واطرغشَّ وابرغشَّ ؛ إذا أبلَّ وبَرَأَ ، فكانَ كلُّ مَنْ قرأَ رقعةً بالغَ في لعنِهِ ولعنِ أُمِّهِ

والتعليقُ كقولِ أبي تمامٍ [3] [من الكامل]

جَارَىٰ إِلَيْـهِ ٱلْبَيْـنُ وَصْـلَ خَرِيـدَةٍ ... مَاشَتْ إِلَيْهِ ٱلْمَطْلَ مَشْيَ ٱلْأَكْبُدِ
يَـا يَـوْمَ شَـرَّدَ يَـوْمَ لَـهْـوِي لَـهْـوُهُ ... بِـصَـبَـابَـتِـي وَأَذَلَّ عِـزَّ تَـجَـلُّـدِي
يَـوْمٌ أَفَـاضَ جَـوىً أَغَـاضَ تَـعَـزِّيـاً ... خَاضَ ٱلْهَوَىٰ بَحْرَيْ حِجَاهُ ٱلْمُزْبِدِ

وقولِهِ [4] [من الكامل]

فَٱلْمَجْدُ لَا يَرْضَىٰ بِأَنْ تَرْضَىٰ بِأَنْ ... يَـرْضَى ٱمْـرُؤٌ يَـرْجُـوكَ إِلَّا بِـٱلـرِّضَـا

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٢)
(٢) والمقسئنة كبيرة السن
(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٢/٤٤)
(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٢/٣٠٧)

وقولِ المتنبي[1] [من الكامل]

مَنْ يَهْتَدِي فِي ٱلْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِـي ٱلْـقَـوْلِ حَـتَّـىٰ يَـفْـعَـلَ ٱلـشُّـعَـرَاءُ

وبلغَنا أنَّ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ كانَ يُنشِدُ مثلَ هٰذا عندَ الحسنِ بنِ وهبٍ ، فكانَ يقولُ لهُ يا هٰذا ؛ إنَّكَ تُشدِّدُ علىٰ نفسِكَ ، فكلُّ ما كانَ مِنَ الكلامِ بهٰذهِ المثابةِ كانَ مذموماً مردوداً ، وكانَ السُّكوتُ خيراً منهُ

وقولُهُ (غنيّاً عنِ التأمُّلِ) أي هوَ مستغنٍ لوضوحِهِ عن تأمُّلِ معانيهِ ، وترديدِ النظرِ فيهِ ؛ كقولِ بعضِهِم لصديقٍ لهُ[2] وجدتُ المودَّةَ منقطعةً ما دامَتِ الحشمةُ عليها مُسلَّطةً ، ولا يزولُ سلطانُ الحشمةِ إلَّا بملكةِ المؤانسةِ

وممَّا يُؤيِّدُ ما قلناهُ[3] قولُ الجاحظِ مَنْ أعارَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْ معونتِهِ نصيباً ، وأفرغَ عليهِ مِنْ محبَّتِهِ ذَنوباً حَبَّبَ إليهِ المعانيَ ، وسَلَّسَ لهُ نظامَ اللفظِ ، وكانَ قد أعفى المستمعَ مِنْ كدِّ التلطُّفِ ، وأراحَ قارئَ الكتابِ مِنَ الفهمِ

معناهُ أنَّهُ يعفيهِ ويريحُهُ مِنْ تعبِ أن يَتطلَّبَ المرادَ بشدَّةِ النظرِ وكثرةِ التأمُّلِ حتىٰ يعثرَ عليهِ

[حدُّ البلاغةِ عندَ بعضِهِم]

ولبعضِهِمْ[4] البلاغةُ التقريبُ مِنَ المعنى البعيدِ ، والتباعدُ مِنْ

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٥)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣)

حشوِ الكلامِ ؛ وذلكَ بالقصدِ إلى الإيجازِ في صوابٍ ، والحُجَّةِ وحسنِ الاستعارةِ[1]

ومثلُهُ قولُ آخرَ[2] البلاغةُ تقريبُ ما بَعُدَ مِنَ الحكمةِ بأيسرِ الخطابِ

وتقريبُ المعنى البعيدِ بأن يَعمِدَ إلى المعنى اللطيفِ فيكشفَهُ ، وينفيَ الشواغلَ عنهُ ، فيفهمَهُ السامعُ مِنْ غيرِ فكرٍ فيهِ وتدبُّرٍ لهُ ؛ مثلُ قولِ الأوَّلِ في امرأةٍ[3] [من السريع]

لَمْ نَدْرِ مَا ٱلدُّنْيَا وَمَا طِيبُهَا وَحُسْنُهَا حَتَّىٰ رَأَيْنَاهَا
إِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهَا سَاعَةً أَجْلَلْتَهَا أَنْ تَتَمَنَّاهَا

وقولُ بعضِهم لملكٍ مِنَ الملوكِ[4] أمَّا التعجُّبُ مِنْ مناقبِكَ فقد نسخَهُ تواترُها ، فصارَتْ كالشيءِ القديمِ الذي قد أُنِسَ بهِ ، لا كالشيءِ البديعِ الذي يُتعجَّبُ منهُ

ومِنْ هٰذا أخذَ أبو تمامٍ قولَهُ[5] [من الطويل]

عَلَىٰ أَنَّهَا ٱلْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ حَتَّىٰ لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

وقولُ آخرَ لبعضِ الملوكِ أيضاً[6] أخلاقُكَ تجعلُ العدوَّ صديقاً ، وأحكامُكَ تجعلُ الصَّديقَ عدوّاً

---

(١) في « الصناعتين » (والتباعد من حشو الكلام ، وقُربُ المأخذ ، وإيجازٌ في صواب ، وقصدٌ إلى الحجة ، وحسن الاستعارة)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣)
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣)
(٥) انظر « ديوان أبي تمام » (٤/٤٢)
(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٥٣)

وقالَ بعضُ القدماءِ[1] لكلِّ جليلةٍ دقيقةٌ ، ودقيقةُ الموتِ الهجرُ

قالَ أبو هلالٍ[2] وقلتُ [من المجتث]

اِسْـــمُ ٱلـــتَّـــفَـــرُّقِ بَـــيْـــنٌ لَـٰكِنَّ مَـــعْـــنَـــاهُ مَـــوْتُ

وُجْـــدَانُـــنَـــا كُـــلَّ شَـــيْءٍ إِذَا تَـــبَـــاعَـــدْتَ فَـــوْتُ

وقولُهُ (والتباعدُ مِنْ حشوِ الكلامِ) ، فالحشوُ يكونُ علىٰ ثلاثةِ أضربٍ اثنانِ منها مذمومانِ ، وواحدٌ محمودٌ ، فأحدُ المذمومَينِ هوَ إدخالُكَ في الكلامِ لفظاً لو أسقطتَهُ . لكانَ الكلامُ تامّاً ؛ مثلَ قولِ الشاعرِ[3] [من البسيط]

أَبْغِي فَتىً لَمْ تَذَرَّ ٱلشَّمْسُ طَالِعَةً يَـوْماً مِـنَ ٱلـدَّهْـرِ إِلَّا ضَـرَّ أَوْ نَـفَـعَـا

فقولُهُ (يوماً مِنَ الدَّهرِ) [حَشْوٌ] لا يُحتاجُ إليهِ

وقولِ بعضِ بني عبسٍ[4] [من الطويل]

أَبَـعْـدَ بَـنِـي بَـكْـرٍ أُؤَمِّـلُ مُـقْـبِـلاً مِنَ ٱلْعَيْشِ أَوْ آسَىٰ عَلَىٰ إِثْرِ مُدْبِرِ

وَلَـيْـسَ وَرَاءَ ٱلـصَّـبْـرِ شَـيْءٌ يَـرُدُّهُ عَلَيْكَ إِذَا وَلَّىٰ سِوَى ٱلصَّبْرِ فَٱصْبِرِ

أُولَاكَ بَـنُـو خَـيْـرٍ وَشَـرٍّ كِـلَـيْـهِـمَـا وَمَـعْـرِفَـةٍ أَنَّـىٰ أُرِيـدُ[5] وَمُـنْـكَـرِ

قولُهُ (أُريدُ) زيادةٌ وحشوٌ ، وقولُهُ (كليهِما) يكادُ يكونُ حشواً ، وكذٰلكَ قولُهُ (إذا ولَّىٰ)

والضَّرْبُ الآخَرُ العبارةُ عنِ المعنىٰ بكلامٍ طويلٍ لا فائدةَ في طولِهِ ،

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤) ، وفيها (أنعي فتىً) بدل (أبغي فتىً)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٤)

(٥) في « الصناعتين » (كليهما جميعاً ومعروفٍ أريد)

ويمكنُ أن يُعبَّرَ عنهُ بأقصرَ منهُ ؛ مثلُ قولِ النابغةِ[1] [من الطويل]

تَبَيَّنْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا ٱلْعَامُ سَابِعُ

كانَ ينبغي (لسبعةِ أعوامٍ) ، ثمَّ يُتمِّمُ البيتَ بما فيهِ فائدةٌ

قلتُ[2] والذي أحوجَ النابغةَ لذلكَ أنَّ العامَ السابعَ لمْ يَتِمَّ

وأمَّا الضَّرْبُ المحمودُ فكقولِ كثيرٍ[3] [من الوافر]

لَوَ انَّ ٱلْبَاخِلِينَ وَأَنْتِ مِنْهُمْ رَأَوْكِ تَعَلَّمُوا مِنْكِ ٱلْمِطَالَا

قولُهُ (وأنتِ منهُم) حشوٌ ، إلَّا أنَّهُ مليحٌ ، وهٰذا ما يُسمَّىٰ في البديعِ اعتراضاً

ومِنَ الكلامِ الذي لا حشوَ فيهِ[4] قولُ صبرةَ بنِ [شيمانَ] حينَ دخلَ علىٰ معاويةَ معَ الوفودِ ، فتكلَّموا فأكثروا ، فقالَ صبرةُ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّا حيُّ فِعالٍ ، ولسنا حيَّ مَقالٍ ، ونحنُ بأدنىٰ فعالِنا عندَ أحسنِ مقالِهِم ، قالَ معاويةُ (صدقتَ)

ومِنْ هٰذا قولُ الشاعرِ[5] [من الطويل]

وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتُمُ بِٱلْأَفْعَالِ لَا بِٱلتَّكَلُّمِ

وكتبَ رجلٌ لأخٍ لهُ[6] ثقتي بكرمِكَ تمنعُ مِنِ اقتضائِكَ ، وعلمي بشغلِكَ يحدو علىٰ إذكارِكَ[7]

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٣٠) ، و« الصناعتين » (ص ٥٥)

(٢) القائل هو المؤلف ضمن نقله عن صاحب « الصناعتين »

(٣) انظر « ديوانه » (ص ٥٠٧) ، و« الصناعتين » (ص ٥٥)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥)

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥)

(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥)

(٧) في « الصناعتين » (اذِّكارك)

ولآخَرَ[1] في الناسِ طبائعُ سيئةٌ ، فارتبطْ بمَنْ رَجَحَتْ محاسنُهُ

وقالَ الحسنُ رضوانُ اللهِ عليهِ[2] نعمُ اللهِ على العبدِ أكثرُ مِنْ أن تُشكرَ إلَّا أن يُعانَ عليها ، وذنوبُهُ أكثرُ مِنْ أن يَسلَمَ [منها] إلَّا أن يُعفىٰ لهُ عنها

قيلَ ومِنَ البلاغةِ قربُ المأخذِ ؛ وهوَ تناولُ المعنىٰ مِنْ قريبٍ دونَ كَدٍّ لهُ ، وتَعمُّلٍ في تحصيلِهِ ، وفي ذٰلكَ غرائبُ كالاتفاقياتِ

يُحكىٰ[3] أنَّ الرشيدَ قالَ ليلةً وهوَ في ندمائِهِ قد طلعَتِ الثُّريا ، فقالَ واحدٌ منُهم كأنَّها عِقدُ ريَّا ، وقالَ رجلٌ بردَ الماءُ وطابا ، فقالَ آخَرُ حبذا الماءُ شرابا

وطالَ وقوفُ بشارٍ ببابِ يعقوبَ ، فأنشدَ [من الكامل]

طَالَ ٱلثَّوَاءُ عَلَىٰ رُسُومِ ٱلْمَنْزِلِ

فرُفِعَ ليعقوبَ ، فقالَ

فَإِذَا تَشَاءُ أَبَا مُعَاذٍ فَٱدْخُلِ

ومِنْ قُربِ المأخذِ[4] أنَّ الجاحظَ أو غيرَهُ قالَ [للجمَّازِ] أنا أريدُ أن أنظرَ إلى الشيطانِ ، فقالَ انظرْ في المرآةِ

وقالَ بعضُ الولاةِ لأعرابيٍّ قلِ الحقَّ ، وإلَّا أوجعتُكَ ضرباً ، فقالَ وأنتَ فاعملْ بهِ ، فواللهِ ؛ لَمَا أوعدَكَ اللهُ بهِ منهُ أعظمُ ممَّا أوعدتَني بهِ منكَ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٥)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦)
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦)

ومنهُ[1] أنَّ المأمونَ قالَ لأُمِّ الفضلِ بنِ سهلٍ بعدَ قتلِهِ إيَّاهُ أتجزعينَ ولكِ ولدٌ مثلي ؟! فقالَتْ وكيفَ لا أجزعُ علىٰ ولدٍ أفادنيكَ ؟! وكانَتْ أُمَّهُ مِنَ الرَّضاعةِ

ولأبي حنيفةَ إذا أتتْكَ مُعضِلةٌ فاجعلْ جوابَها منها

ومِنْ ذٰلكَ[2] ما يُحكىٰ أنَّ عبدَ الملكِ دعا يوماً بالغداءِ وبحضرتِهِ رجلٌ ، فدعاهُ إلىٰ غدائِهِ ، فقالَ : ليسَ بي غداءٌ ، قد تَغَدَّيتُ يا أميرَ المؤمنينَ ، فقالَ عبدُ الملكِ ما أقبحَ بالرجلِ أن يأكلَ حتىٰ لا يكونَ فيهِ فضلٌ للطعامِ ، فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ فيَّ فضلٌ ، ولٰكنْ أكرهُ أن آكلَ فأصيرَ إلىٰ ما استقبحَهُ أميرُ المؤمنينَ

وقالَ محمدُ بنُ عليٍّ عليهِما السلامُ البلاغةُ قولٌ يُفقَهُ في لطفٍ ، وفقهُ القولِ فهمُ حقيقتِهِ ، واللطيفُ مِنَ الكلامِ ما تعطفُ بهِ القلوبُ النافرةُ ، وتُؤنَسُ بهِ الأفئدةُ المستوحشةُ ، وتلينُ بهِ العريكةُ الأبيَّةُ المُستصعَبةُ ، وتُبلَغُ بهِ الحاجةُ ، [وتُقامُ] بهِ الحُجَّةُ ، فتُخلِّصُ نفسَكَ مِنَ العيبِ ، وتلزمُ صاحبَكَ الذنبَ ، مِنْ غيرِ أن تهيجَهُ وتقلقَهُ ، وتستدعيَ غضبَهُ وتستبينَ حفيظتَهُ ؛ كقولِ بعضِ الكُتَّابِ لأخٍ لهُ أنفذَ إليَّ أبو فلانٍ كتاباً منكَ فيهِ درةٌ[3] مِنْ عتابٍ كانَ أحلىٰ عندي مِنْ تعريسةِ الفجرِ ، وألذَّ مِنَ الزلالِ العذبِ ، ولكَ العُتبىٰ داعياً مستجاباً لهُ ، وعاتباً معتذراً إليهِ ، ولو شئتُ معَ هٰذا أن أقولَ إنَّ العتبَ عليكَ أوجبُ ، والاعتذارَ إليكَ ألزمُ لفعلتُ ، ولٰكنِّي أسامحُكَ ولا أشاحُّكَ ، وأُسلِّمُ إليكَ ولا أُرادُّكَ ؛ لأنَّ أفعالَكَ عندي مرضيةٌ ، وشيمَكَ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٦ ـ ٥٧)

(٣) في « الصناعتين » (ذروٌ)

لديَّ مقبولةٌ ، ولولا أنَّ للحُجَّةِ موقعَها لأعرضتُ عمَّا أومأتُ إليهِ ، وما عرضتُ ممَّا بدأتُ ، وقلتُ [من البسيط]

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمُ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ فَنَعْتَذِرُ

فانظرْ كيفَ خَلَّص نفسَهُ مِنَ الجُرمِ وأوجبَهُ لصاحبِهِ في ألطفِ وجهٍ وألينِ مسٍّ

ومِنَ الكلامِ الذي يعطفُ القلوبَ النافرةَ[1] قولُ آخَرَ لأخيهِ زَيَّنَ اللهُ أُلفتَنا بمعاودةِ صِلَتِكَ ، واجتماعَنا بترادفِ زيارتِكَ ، وأيَّامَنا المُوحِشةَ بغَيبتِكَ برؤيتِكَ ، تَوعَّدتَني بالانتقامِ علىٰ إخلالي بمطالعتِكَ ، وصُنتَني مِنْ عقوبتِكَ علىٰ ما ابتدأتُ بهِ مِنْ عدمِ مشاهدتِكَ[2]

وقالَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ[3] البلاغةُ إيضاحُ الملبساتِ ، وكشفُ عَوارِ الجهالاتِ

وتستبينُ ذٰلكَ فيما يُحكىٰ عنِ المأمونِ وقد أحضرَ رجلاً ارتدَّ إلى النصرانيةِ بعدَ الإسلامِ ، فقالَ لهُ ما أوحشَكَ مِنَ الإسلامِ ؟ فقالَ كثرةُ الاختلافِ فيكُم ، فقالَ المأمونُ أمَّا اختلافُنا . فمنهُ ما يكونُ كاختلافِنا في الأذانِ وتكبيرِ الجنائزِ ، والتشهدِ ، وصلاةِ الأعيادِ ، وتكبيرِ التشريقِ ، ووجوهِ القرآنِ ، واختلافِ وجوهِ الفُتيا ، وما أشبهَ ذٰلكَ ، وليسَ هٰذا باختلافٍ ، وإنَّما ذٰلكَ توسعةٌ ، وتخفيفٌ مِنَ المِحنةِ

ومنهُ ما يكونُ كاختلافِنا في تأويلِ الآيةِ مِنْ كتابِنا ، وتأويلِ الخبرِ عن نبيِّنا ، معَ اجتماعِنا علىٰ أصلِ التنزيلِ ، واتفاقِنا علىٰ عينِ الخبرِ ؛ فإن

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٧ ـ ٥٨)

(٢) الذي في « الصناعتين » (وحسبي من عقوبتك ما ابتليت به من عدم مشاهدتك)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٥٨)

كانَ الذي أوحشَكَ هوَ هـٰذا حتىٰ أنكرتَ هـٰذا الكتابَ فينبغي أن يكونَ اللفظُ بجميعِ التوراةِ والإنجيلِ مُتَّفَقاً علىٰ تأويلِهِ ، كما يكونُ مُتَّفَقاً علىٰ تنزيلِهِ ، ولا يكونَ بينَ النصارى اختلافٌ في شيءٍ مِنَ التأويلاتِ ، ولو شاءَ اللهُ أن ينزلَ كتبَهُ ويجعلَ كلامَ أنبيائِهِ وورثةِ رسلِهِ كلاماً لا يحتاجُ إلى التفسيرِ لفعلَ ، ولـٰكنَّا لم نرَ شيئاً مِنَ [الدِّينِ] والدنيا دُفِعَ إلينا على الكفايةِ ، ولو كانَ الأمرُ كذٰلكَ [لسقطَتِ] المِحنةُ والبلوىٰ ، وذهبَتِ [المسابقةُ] والمنافسةُ ، ولم يكنْ تفاضلٌ ، وليسَ علىٰ هـٰذا بنى اللهُ الدنيا

فقالَ المُرتدُّ إنَّكَ أميرُ المؤمنينَ حقّاً(١)

وقالَ ابنُ المُقفَّعِ(٢) البلاغةُ كشفُ ما غَمُض مِنَ الحقِّ ، وتصويرُ الحقِّ في صورةِ الباطلِ

والذي قالَهُ أمرٌ صحيحٌ ، ولا يَخفىٰ موضعُ الصَّوابِ فيهِ علىٰ أحدٍ مِنْ أهلِ التمييزِ والتحصيلِ ؛ وذٰلكَ أنَّ الأمرَ الصحيحَ الثابتَ المكشوفَ ينادي علىٰ نفسِهِ بالصحَّةِ ، ولا يُحوجُ إلى التكلُّفِ لصحتِهِ حتىٰ يُوجدَ المعنىٰ فيهِ خطيبٌ ، وإنَّما الشأنُ في تحسينِ ما ليسَ بحسنٍ ، وتصحيحِ ما ليسَ بصحيحٍ ؛ بضربٍ مِنَ الاحتيالِ والتخييلِ ، ونوعٍ مِنَ العللِ والمعاريضِ والمعاذيرِ ؛ ليخفىٰ موضعُ الإساءةِ ، ويَغمُض موضعُ التقصيرِ ، وما أكثرَ ما يَحتاجُ الكاتبُ إلىٰ هـٰذا الجنسِ عندَ اعتذارِهِ مِنْ هزيمةٍ ، أو حاجتِهِ إلىٰ تغييرِ رسمٍ ، أو رفعِ منزلةِ دنيءٍ لهُ فيهِ هوىً ، أو حطِّ منزلةِ شريفٍ استحقَّ ذٰلكَ منهُ إلىٰ غيرِ هـٰذا مِنْ عوارضِ أمورِهِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٥٨ ـ ٥٩)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٥٩)

فأعلىٰ رتبِ البلاغةِ أن يحتجَّ للمذمومِ حتىٰ يخرجَهُ في معرضِ المحمودِ ، والمحمودِ حتىٰ يُصيِّرَهُ في منزلةِ المذمومِ

وقد ذَمَّ عبدُ الملكِ بنُ صالحٍ المشورةَ وهيَ ممدوحةٌ بكلِّ لسانٍ ، فقالَ ما استشرتُ أحداً إلَّا تَكبَّرَ عليَّ ، وتصاغرتُ لهُ ، ودخلَتْهُ العزَّةُ ، ودخلَتْني الذِلَّةُ ، فعليكَ بالاستبدادِ ؛ فإنَّ صاحبَهُ جليلٌ مهيبٌ في الصُّدورِ ، فإذا افتقرتَ إلى العقولِ حقرَتْكَ العيونُ ، فتضعضعَ شأنُكَ ، ورجفَتْ بكَ أركانُكَ ، واستحقرَكَ الصغيرُ ، واستخفَّكَ الكبيرُ ، وما عزَّ سلطانٌ لم يغنِهِ عقلُهُ عن عقولِ وزرائِهِ ونصحائِهِ

قلتُ عبدُ الملكِ هٰذا أحدُ عُقلاءِ بني العباسِ وبلغائِهِم ، وكانَ خليفةُ وقتِهِ هارونُ منحرفاً عنهُ جداً ؛ لكثرةِ سعيِ بغضائِهِ بهِ ، وتفهيمِ الخليفةِ أنَّهُ في عزيمةٍ أن يَتغلَّبَ على الملكِ ، وأنَّهُ بقُوَّةِ بلاغتِهِ وحسنِ تَصرُّفِهِ في العقولِ قد وجدَ الأسبابَ الموصلةَ إلىٰ هٰذا الغرضِ ، وكأنَّهُ قد لحقَهُ عندَهُ شؤمُ هٰذا الاسمِ الأُمويِّ ، فكانَ يحبسُهُ ، ثمَّ يحتجُّ عن نفسِهِ ويثبتُ براءتَهُ ممَّا رُمِيَ بهِ ، فيطلقُهُ

ويُروىٰ أنَّهُ قالَ لهُ مَرَّةً ـ وفيهِ شاهدٌ علىٰ ما نحنُ فيهِ ـ بلغَني أنَّ فيكَ حقداً ، فقالَ لهُ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إن كانَ الحقدُ بقاءَ الخيرِ والشرِّ في قلبي لفاعليهِما فأنا حَقودٌ ، فقالَ هارونُ ما سمعتُ مثلَ احتجاجِكَ للحقدِ ؛ يعني مِنَ المُسلَّمِ الذي لا ينبغي أن يُنازعَ فيهِ حُسْنُ تذكُّرِ الإنسانِ ما صُنِعَ بهِ مِنْ خيرٍ ليكافِئَ عليهِ بما أمكنَهُ ، أو شرٍّ ليحترسَ مِنْ مثلِهِ ويُجازيَ بهِ إنِ اقتضتْ ضرورةٌ ذٰلكَ

ومدحَ بعضُهُمُ الموتَ فقالَ [١] [من الكامل]

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٠)

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَدَحُوا ٱلْحَيَاةَ فَأَكْثَرُوا ... فِي ٱلْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرَفُ
مِنْهَا أَمَانُ لِقَائِهِ بِلِقَائِهِ ... وَفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يُنْصِفُ

وذٰلكَ بابٌ واسعٌ ، يَرِدُ عليكَ منهُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ ، وللناسِ فيهِ موضوعاتٌ ضمَّنوها شعراً ونثراً في مدحِ الشيءِ وذمِّهِ ؛ كـ « التحفِ والظرفِ » لأبي منصورٍ عبدِ الملكِ الثعالبيِّ صاحبِ « يتيمةِ الدهرِ »

انتهىٰ ما أردتُ نقلَهُ مِنْ بابِ البلاغةِ .



[إيجازُ القَصْرِ]

وهـأنا مثبتٌ لكَ مِنْ بابِ الإيجازِ وما يقابلُهُ ما تَتبيَّنُ بهِ حقَّ التبيُّنِ موضعَ كلٍّ منها ، والحُجَّةَ لحسنِ كلٍّ واحدٍ في موضعِهِ

فمِنَ الكلامِ الدالِّ على حسنِ الإيجازِ ، واختيارِ أهلِ البلاغةِ لهُ ما نقلَهُ أبو هلالٍ رحمَهُ اللهُ حيثُ قالَ[1] قالَ أصحابُ الإيجازِ الإيجازُ هوَ البلاغةُ ، وما تجاوزَ مِقدارَ الحاجةِ فهوَ فضلٌ داخلٌ في بابِ الهذرِ والحصرِ ، وهُما مِنْ أعظمِ أدواءِ الكلامِ ، وفيهِما دلالةٌ على بَلادةِ صاحبِ الصِّناعةِ

وفي تفضيلِ الإيجازِ يقولُ جعفرُ بنُ يحيىٰ لكُتَّابِهِ إن قدَرتُم أن تجعلوا كتبَكُم توقيعاتٍ فافعلوا

وقالَ بعضُهُمُ الزيادةُ في [الحدِّ] نقصانٌ

وقالَ محمدٌ الأمينُ عليكُم بالإيجازِ ؛ فإنَّ لهُ إفهاماً ، وللإطالةِ استبهاماً

وقالَ شبيبُ بنُ شبةَ قليلٌ كافٍ خيرٌ مِنْ كثيرٍ شافٍ

وقالَ آخَرُ إذا طالَ الكلامُ عرضَتْ لهُ أسبابُ التكلُّفِ ، ولا خيرَ في شيءٍ يأتي بهِ التكلُّفُ

وقيلَ لبعضِهِم ما البلاغةُ ؟ قالَ الإيجازُ ، قيلَ وما الإيجازُ ، قالَ حذفُ الفضولِ ، وتقريبُ [البعيد]

وسمعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ رجلاً يقولُ لرجلٍ كفاكَ اللهُ ما

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٩) ، والسياق له

أهمَّكَ ، فقالَ : « هَٰذِهِ ٱلْبَلَاغَةُ » ، وسمعَ آخَرَ يقولُ : عصمَكَ اللهُ مِنَ المكارهِ ، فقالَ « هَٰذِهِ ٱلْبَلَاغَةُ »[1]

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « أُوتِيتُ جَوَامِعَ ٱلْكَلِمِ »[2]

وقيلَ لبعضِهِم لِمَ لا تطيلُ الشِّعرَ ؟ قالَ حسبُكَ مِنَ القِلادةِ ما أحاطَ بالعنقِ ، وقيلَ لآخَرَ لِمَ لا تطيلُ شِعرَكَ ؟ فقالَ لستُ أبيعُهُ مذارعةً

وقيلَ للفرزدقِ ما صَيَّرَكَ إلى القصائدِ القِصارِ بعدَ الطِّوالِ ؟ قالَ لأني رأيتُها في القلوبِ أوقعَ ، وفي المحافلِ أجولَ

وقالَتْ بنتُ الحطيئةِ لأبيها ما بالُ قِصارِكَ أكثرُ مِنْ طِوالِكَ ؟ قالَ لأنَّها في الآذانِ أجولُ ، وبالإقبالِ أخلقُ

وقالَ أبو سفيانَ لابنِ الزِّبَعْرَىٰ قَصَّرتَ في شعرِكَ ، قالَ حسبُكَ مِنَ الشِّعرِ غُرَّةٌ لائحةٌ ، وسمةٌ واضحةٌ

وقيلَ للنابغةِ الذُّبيانيِّ : لِمَ لا تطيلُ القصائدَ كما أطالَ صاحبُكَ ابنُ حِجْرٍ ؟ فقالَ مَنِ انتخلَ أسفرَ[3]

وقيلَ لبعضِ المُحدثينَ ما لكَ لا تزيدُ علىٰ أربعةٍ واثنَينِ ؟ فقالَ هيَ بالقلوبِ أوقعُ ، وإلى الحفظِ أسرعُ ، وبالألسنِ أعلقُ ، وللمعاني أجمعُ ، وصاحبُها أبلغُ وأوجزُ

وقيلَ لابنِ حازمٍ ألا تطيلُ القصائدَ ؟ فقالَ[4] [من الوافر]

أَبَىٰ لِي أَنْ أُطِيلَ ٱلشِّعْرَ قَصْدِي إِلَى ٱلْمَعْنَىٰ وَعِلْمِي بِٱلصَّوَابِ

---

(١) كذا أورد العسكري هذين الخبرين في « الصناعتين » (ص ١٧٩)

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٧٧) ، ومسلم (٥٢٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) في « الصناعتين » (من انتحل انتقر)

(٤) انظر « أنوار الربيع » (١٠/٢)

وَإِنْـجَـازِي لِـمُـخْـتَـصِـرٍ قَـرِيـبٍ حَـذَفْـتُ بِـهِ ٱلْفُضُولَ مِنَ ٱلْجَـوَابِ
فَـأَبْـعَـثُـهُـنَّ أَرْبَـعَـةً وَخَـمْـسـاً مُـثَـقَّـفَـةً بِـأَلْـفَـاظٍ عِـذَابِ
خَـوَالِـدُ مَـا حَـدَا لَـيْـلٌ نَـهَـاراً وَمَـا حَسُنَ ٱلصِّبَا بِأَخِ ٱلشَّبَابِ
وَكُـنَّ إِذَا رَسَـمْـنَ مُـسَـافِـرَاتٍ تَـهَـادَاهَـا ٱلـرُّوَاةُ مَـعَ ٱلـرِّكَـابِ

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليٌّ رضوانُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ (ما رأيتُ بليغاً قطُّ إلَّا ولهُ في اللفظِ إيجازٌ ، وفي المعاني إطالةٌ)

وقيلَ لإياسِ بنِ معاويةَ ما فيكَ عيبٌ ، غيرَ أنَّكَ كثيرُ الكلامِ ، قالَ أفتسمعونَ صواباً أم خطأً ؟ قالوا بل صواباً ، قالَ فالزيادةُ مِنَ الخيرِ خيرٌ

وليسَ كما قالَ ؛ لأن للكلامِ غايةً ، ولنشاطِ السامعينَ نهايةً ، وما فَضَلَ عن مِقدارِ الاحتمالِ ، ودعا إلى الاستثقالِ ، وصارَ سبباً للمَلالِ فذٰلكَ الهذرُ والإسهابُ والخطلُ ، وهوَ معيبٌ عندَ كلِّ لبيبٍ

وقالَ بعضُهُمْ البلاغةُ بالإيجازِ أنجعُ مِنَ البيانِ بالإطنابِ

وقالوا المِكثارُ كحاطبِ الليلِ

وقيلَ لبعضِهِمْ مَنْ أبلغُ الناسِ ؟ قالَ مَنْ جلا المعنى المتينَ باللفظِ الوجيزِ ، وطَبَّقَ المَفصِلَ قبلَ التحزيزِ

مأخوذٌ مِنْ كلامِ معاويةَ ؛ وهوَ قولُهُ لعمرِو بنِ العاصِ لمَّا أقبلَ أبو موسىٰ يا عمرُو ؛ إنَّهُ قد ضُمَّ إليكَ رجلٌ قصيرُ اللسانِ ، طويلُ الرأيِ والعرفانِ ، فأقللِ الحزَّ ، وطَبِّقِ المفصلَ ، ولا تلقَهُ بكلِّ رأيِكَ ، فقالَ عمرٌو أكثرُ مِنَ الطعامِ ، ما بطنَ قومٌ إلَّا فقدوا بعض عقولِهِم

[من أمثلةِ الإيجازِ]

ثمَّ أوردَ أبو هلالٍ بعدَ هٰذا الكلامِ أمثلةً للإيجازِ[1] ، منها قولُهُ تعالىٰ ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾[2] ، وقد أسلفنا تعريفَكَ بهِ ، وفضلَ العبارةِ علىٰ قرينتِها مِنْ كلامِ العربِ ؛ وهيَ القتلُ أنفىٰ للقتلِ[3]

وقولُهُ ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[4]

وعَقَّبَهُ بقولِهِ لا يوازي هٰذا الكلامَ في الاختصارِ شيءٌ

وقولُهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾[5]

وقولُهُ ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾[6]

وقولُهُ ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾[7]

وقولُهُ ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾[8] ، تَحيَّرَ في فصاحتِهِ جميعُ البلغاءِ ، ولا يجوزُ أن يوجدَ مثلُهُ في كلامِ البشرِ

وقولُهُ ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾[9]

وقولُهُ ﴿ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى . ﴾ الآيةَ[10] ، تَتضمَّنُ معَ الفصاحةِ والإيجازِ دلائلَ القدرةِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٨١)

(٢) سورة البقرة (١٧٩)

(٣) تقدم (٢/١١٥)

(٤) سورة المؤمنون (٩١)

(٥) سورة يونس (١٠)

(٦) سورة الزخرف (٥)

(٧) سورة البقرة (٢٢٤)

(٨) سورة يوسف (٨٠)

(٩) سورة يوسف (٣٢)

(١٠) سورة هود (٤٤)

وقولُهُ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[(١)] ، كلمتانِ استوعبتا جميعَ المُكوَّناتِ والمقدوراتِ والموجوداتِ والمعدوماتِ ، ورُوِيَ أنَّ ابنَ عمرَ قرأَها ، فقالَ مَنْ بقيَ لهُ شيءٌ فليطلبْهُ

وقولُهُ في صفةِ خمرِ أهلِ الجنةِ ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾[(٢)] ، فقولُهُ (لا يُنزِفون) انتظمَ عدمَ العقلِ ، وذهابِ المالِ ، ونفادِ الشرابِ ، وانحلالِ القوىٰ ، وفسادِ الصحةِ ، وانقطاعِ الأُخوَّةِ والمَودَّةِ بالآخرةِ

وقولُهُ تعالىٰ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾[(٣)] ، دخلَ تحتَ الأمنِ جميعُ المحبوباتِ ؛ لأنَّهُ نفىٰ بهِ أن يخافوا شيئاً أصلاً ؛ مِنَ الفقرِ ، والموتِ ، وزوالِ النعمةِ ، والجورِ ، وغيرِ ذٰلكَ مِنْ أصنافِ المكروهِ ، فلا ترىٰ كلمةً أجمعَ مِنْ هٰذهِ

وقولُهُ تعالىٰ ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾[(٤)] ، انتظمَ جميعَ أنواعِ التجاراتِ ، وصنوفِ المرافقِ التي يَبلُغُها الحدُّ والإحصاءُ ، ومثلُهُ قولُهُ ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾[(٥)] ، تَضمَّنَ جميعَ منافعِ الدنيا والآخرةِ

وقولُهُ تعالىٰ ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾[(٦)] ، ثلاثُ كلماتٍ تَشتمِلُ علىٰ أمرِ الرسالةِ وشرائعِها وأحكامِها على الاستقصاءِ

وقولُهُ تعالىٰ ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾[(٧)] ، ثلاثُ كلماتٍ اشتملَتْ عواقبَ الدنيا والآخرةِ

---

(١) سورة الأعراف (٥٤)

(٢) سورة الواقعة (١٩)

(٣) سورة الأنعام (٨٢)

(٤) سورة البقرة (١٦٤)

(٥) سورة الحج (٢٨)

(٦) سورة الحجر (٩٤)

(٧) سورة الأنعام (٦٧) ، وفي الأصل (كل أمر مستقر)

وقولُهُ ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ ﴾ (١)

وقولُهُ جلَّ وعزَّ ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (٢) ، فجمعَ جميعَ مكارمِ الأخلاقِ بأصلِها ؛ لأنَّ في العفوِ صلةَ القاطعينَ ، والصَّفحَ عنِ الظالمينَ ، وإعطاءَ المانعينَ ، وفي الأمرِ بالمعروفِ تقوى اللهِ ، وصلةَ الرحمِ ، وصونَ اللسانِ ، وغضَّ الطرفِ عن المُحرَّماتِ ، والتبرُّؤَ مِنْ كلِّ قبيحٍ ؛ إذ لا يجوزُ أن يأمرَ بالمعروفِ وهوَ ملابسُ شَيءٍ مِنَ المُنكَرِ ، وفي الإعراضِ عنِ الجاهلينَ الصَّبرَ ، والحلمَ ، وتنزيهَ النفسِ عن مقابلةِ السفيهِ بما يُوقِعُ في الذمِّ ، ويُسقِطُ القَدْرَ .

وقولُهُ تعالىٰ ﴿ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴾ (٣) ، فدلَّ بشيئَينِ علىٰ جميعِ ما أخرجَهُ مِنَ الأرضِ قُوتاً ومتاعاً للناسِ مِنَ العشبِ والشجرِ والحطبِ واللباسِ والنارِ والملحِ وغيرِ ذٰلكَ ، والشاهدُ علىٰ أنَّهُ أرادَ ذٰلكَ كلَّهُ قولُهُ تعالىٰ ﴿ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾ (٤)

وقولُهُ تعالىٰ ﴿ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ ﴾ (٥) ، فانظرْ هل يمكنُ أحداً مِنْ أصنافِ المُتكلِّمينَ إيرادُ هٰذهِ المعاني في مثلِ هٰذا القَدْرِ مِنَ الألفاظِ ؟!

وقولُهُ تعالىٰ ﴿ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ (٦) ، جمعَ الأشياءَ كلَّها حتىٰ لا يَشِذَّ منها شيءٌ علىٰ وجهٍ

(١) سورة الأنعام (١٣)
(٢) سورة الأعراف (١٩٩)
(٣) سورة النازعات (٣١)
(٤) سورة النازعات (٣٣)
(٥) سورة الرعد (٤)
(٦) سورة الأنعام (٥٩)

وقولُهُ تعالىٰ ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾[1] ، جمعَ فيه مِنْ نعمِ الجنةِ ما لا تحصرُهُ الأفهامُ ، ولا تَبلغُهُ الأوهامُ

وقولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « ٱلصِّحَّةُ وَٱلْفَرَاغُ [نِعْمَتَانِ] »[2]

وقولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ « نِيَّةُ ٱلْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ »[3]

قلتُ[4] : وهٰذا مِنْ أمثلةِ المبالغةِ ؛ فإنَّهُ نَبَّهَ علىٰ عظمِ أمرِ النيةِ بتفضيلِها على العملِ ، وظاهرٌ أنَّهُ أفضلُ ؛ إذ هوَ المستتبعُ للمنافعِ المرادةِ ، فمآلُ الكنايةِ تعظيمُ شأنِ النيةِ ، وحينَئذٍ فلا حيرةَ في تفسيرِ الخبرِ ، ولا يَصِحُّ أن يُقالَ إنَّ معناهُ النيةُ فردٌ مِنْ أفرادِ العملِ ، وخيرٌ مِنَ الخيراتِ ، وإنَّ لفظَ (خيرٌ) ليسَ اسمَ تفضيلٍ

وقولُهُ « تَرْكُ ٱلشَّرِّ صَدَقَةٌ »[5]

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « إِذَا أَعْطَاكَ ٱللهُ خَيْراً فَلْيَبِنْ ، وَٱبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَٱرْتَضِخْ مِنَ ٱلْفَضْلِ ، وَلَا تَعْجِزْ عَنْ نَفْسِكَ » ، ويُروىٰ : « وَٱبْدَأْ بِنَفْسِكَ ، ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ »[6] ، وهوَ مثلُ قولِهِ « إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ » ، وقولُهُ (لا تَعجِزْ عن نفسِكَ) أي لا تغلبْكَ نفسُكَ بما رُكِّبَ فيها مِنَ الشُّحِّ ، فتكونَ لها مقهوراً ، قليلَ الثقةِ

وقولُ أعرابيٍّ اللهمَّ ؛ هبْ لي حَقَّكَ ، وأرضِ عنِّي خلقَكَ

وقولُ آخَرَ يمدحُ قوماً أولـٰئكَ قومٌ جعلوا أموالَهُم مناديلَ لأعراضِهِم ؛

---

(١) سورة الزخرف (٧١)

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٦/١٨٥) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما

(٤) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام أبي هلال العسكري في « الصناعتين »

(٥) انظر « كشف الخفاء » (٩٦٦)

(٦) كذا بالروايتين في « الصناعتين » (ص ١٨٤)

فالخيرُ بهِم زائدٌ ، والمعروفُ لهُم شاهدٌ ؛ أي يَقُونَ أعراضَهُم بأموالِهِم

ولآخَرَ يمدحُ إنساناً إنَّهُ يعطي عطاءَ مَنْ يَعلَمُ أنَّ اللهَ مادَّتُهُ

وقولُ آخَرَ أمَّا بعدُ فعظِ الناسَ بفعلِكَ ، ولا تَعظْهُم بقولِكَ ، واستحيِ مِنَ اللهِ بقدرِ قربِهِ منكَ ، وخَفْهُ بقَدْرِ قدرتِهِ عليكَ

وقولُ آخَرَ إن شككتَ في شيءٍ فسلْ قلبَكَ عن قلبي



[المُساواةُ]

ثمَّ أتبعَ ذٰلكَ بإيرادِ أمثلةٍ للمُساواةِ [١] فمنها قولُهُ تعالىٰ ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾ [٢]

وقولُهُ تعالىٰ ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [٣]

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ ٱلْأَمَانَةَ مَغْنَماً ، وَٱلزَّكَاةَ مَغْرَماً » [٤]

وقولُهُ عليهِ السلامُ « إِيَّاكَ وَٱلْمُشَارَّةَ ؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ ٱلْغُرَّةَ ، وَتُظْهِرُ ٱلْعِرَّةَ » [٥]

ومِنْ نثرِ الكُتَّابِ قولُ بعضِهِم سألتَ عن خبري ، فأنا في صحَّةٍ وعافيةٍ لا عيبَ فيها إلَّا فقدُكَ ، ونعمةٍ لا مزيدَ فيها إلَّا بكَ

وأستصوبُ اطِّراحَ لفظِ (الفقدِ) وما شاكلَهُ مِنَ الكلامِ ، فتقولُ مثلاً لا عيبَ فيها إلَّا بُعْدُكَ أو غيبتُكَ

وقولُ آخَرَ قد عَلَّمَتْني نبوتُكَ سلوتَكَ ، وأسلمَني يأسي منكَ إلى الصَّبرِ عنكَ

وقولُ آخَرَ فحفظَ اللهُ النعمةَ عليكَ وفيكَ ، وتَولَّىٰ إصلاحَكَ والصَّلاحَ لكَ ، وأجزلَ مِنَ الخيرِ حَظَّكَ والحظَّ منكَ ، ومَنَّ عليكَ وعلينا بكَ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٥)

(٢) سورة الرحمٰن (٧٢)

(٣) سورة القلم (٩)

(٤) أخرجه الترمذي (٢٢١٠) عن سيدنا علي رضي الله عنه بنحوه

(٥) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٧٨٧٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

وقولُ آخَرَ يئستُ مِنْ صلاحِكَ ، وأخافُ مِنْ فسادي بكَ

وقولُ آخَرَ قد أطنبَ في ذمِّ الحمارِ مَنْ شَبَّهَهُ بهِ

ومِنَ المنظومِ قولُ طرفةَ (١) [من الطويل]

سَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

وقولُ آخَرَ (٢) [من البسيط]

تُهْدَى ٱلْأُمُورُ بِأَهْلِ ٱلرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ وَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِٱلْأَشْرَارِ تَنْقَادُ

وقولُ آخَرَ (٣) [من الطويل]

أَهَابُكِ إِجْلَالاً وَمَا بِكِ قُدْرَةٌ عَلَيَّ وَلَٰكِنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا

وَمَا هَجَرَتْكِ ٱلنَّفْسُ أَنَّكِ عِنْدَهَا قَلِيلٌ وَلَٰكِنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا

وقولُ آخَرَ (٤) [من الطويل]

فَأَمَّا ٱلَّذِي يُحْصِيهِمُ فَمُكَثِّرٌ وَأَمَّا ٱلَّذِي يُطْرِيهِمُ فَمُقَلِّلُ

أي كثروا عدداً ، وقلُّوا مدداً ، فهوَ كقولِ الآخَرِ (٥) [من الطويل]

كَاثِرْ بِسَعْدٍ إِنَّ سَعْداً كَثِيرَةٌ وَلَا تَرْجُ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلَا نَصْرَا

وقولُ آخَرَ (٦) [من الطويل]

أَصُدُّ بِأَيْدِي ٱلْعِيسِ عَنْ قَصْدِ أَرْضِهَا وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِٱلْمَوَدَّةِ قَاصِدُ

---

(١) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٤٨)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦)

(٥) انظر « شرح ديوان الحماسة » (٤٤/٤)

(٦) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦)

وقولُ الآخَرِ [1] [من الطويل]

يَقُولُ أُنَاسٌ لَا يَضِيرُكَ فَقْدُهَا بَلَىٰ كُلُّ مَا شَفَّ ٱلنُّفُوسَ يَضِيرُهَا

وقولُ آخَرَ [2] [من الوافر]

يَطُولُ ٱلْيَوْمُ لَا أَلْقَاكَ فِيهِ وَحَوْلٌ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ

وَقَالُوا لَا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ فَقُلْتُ لِصَاحِبِي فَلِمَنْ يَضِيرُ

قالَ أبو هلالٍ [3] قولُهُ (لصاحبي) يكادُ يكونُ فضلاً

قلتُ ولو قالَ الشاعرُ (ونأيُ شهرٍ لا يضيرُ) علىٰ معنى الاستفهامِ الإنكاريِّ والتعجُّبِ مِنْ قولِهم لَكانَ موافقاً لاحتقارِ نأيِ الشهرِ ، فإنَّ زعمَهُم أنَّ نأيَ شهرٍ لا يَضيرُ أحداً ، لا أنَّهُ لا يَضيرُهُ دونَ غيرِهِ



(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٦)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٧)

[إيجازُ الحذفِ]

ثـمَّ عَقَّبَ ذٰلكَ بـأن أوردَ مِنْ أمثلةِ إيجازِ الحذفِ قولَهُ تعالىٰ ﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[1] ؛ أي أهلَها ، وقولَهُ ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾[2] ؛ أي حبَّهُ ، وقولَهُ ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾[3] ؛ أي وقتُ الحجِّ

وقولَ الشاعرِ[4] [من الطويل]

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ ٱلسِّبَالِ أَذِلَّةٌ سَوَاسِيَةٌ أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا

أي أهلُ مجلسٍ ، وسواسيةٌ جمعُ [سواءٍ]

وقولَ آخَرَ [من الطويل]

تَرَاهُ كَأَنَّ ٱللهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنَيْهِ إِنْ مَوْلَاهُ بَاتَ لَهُ وَفْرُ

أي ويفقأُ عينَيهِ

وقولَ آخَرَ[5] [من الوافر]

إِذَا مَا ٱلْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْماً وَزَجَّجْنَ ٱلْحَوَاجِبَ وَٱلْعُيُونَا

أي وكَحَّلنَ العُيونا

وقولَهُ تعالىٰ ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾[6] ؛ أي لَكانَ هٰذا القرآنَ

---

(١) سورة يوسف (٨٢)

(٢) سورة البقرة (٩٣)

(٣) سورة البقرة (١٩٧)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٧)

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٨)

(٦) سورة الرعد (٣١)

وقولَهُ أيضاً ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] ؛ أي لَعذَّبَكُم

وقولَ الشاعرِ[2] [من الطويل]

وَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَٰكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا

أي لَرددناهُ

وقولَ رجلٍ وقد سُئِلَ عن أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ[3] لم يقلْ فيهِ مستزيدٌ لو أنَّهُ ، جمعَ الحِلْمَ والعلمَ والسلمَ ، والقرابةَ القريبةَ والهجرةَ القديمةَ ، وهوَ البصيرُ بالأحكامِ ، والبلاءِ العظيمِ في الإسلامِ ؛ أي لو أنَّهُ كانَ كذا وكذا لأمورٍ يرىٰ أنَّها فاتَتْهُ

وقولَ آخَرَ ما زلتُ أمتطي النهارَ إليكَ ، وأستدلُّ بفضلِكَ عليكَ ، حتىٰ إذا جنَّنِي الليلُ ، فقبض البصرَ ، ومحا الأثرَ أقامَ بدني ، وسافرَ أملي ، والاجتهادُ عاذرٌ ، وإذا بلغتُكَ فقطْ

ومِنَ الحكاياتِ المُشتمِلةِ علىٰ كلامٍ يَتضمَّنُ أمثلةً لإيجازِ الحذفِ[4] ما يُحكىٰ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ أتىٰ أخاهُ خالداً فقالَ يا أخي ؛ لقد هممتُ أن أقتلَ الوليدَ بنَ عبدِ الملكِ ، فقالَ خالدٌ : بئسَ واللهِ ما هممتَ بهِ في ابنِ أميرِ المؤمنينَ ، ووليِّ عهدِ المسلمينَ ، فقالَ إنَّ خيلي مَرَّتْ بهِ ، فعبثَ بها ، وأصغرَني فيها ، فقالَ أنا أكفيكَ

فدخلَ علىٰ عبدِ الملكِ فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّ الوليدَ ابنَ أميرِ

---

(١) سورة النور (٢٠)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٨٨)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٢)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٢ ـ ١٩٣)

المؤمنينَ ووليَّ عهدِ المسلمينَ مَرَّتْ بهِ خيلٌ لابنِ عمِّهِ عبدِ اللهِ بنِ يزيدَ ، فعبثَ بها وأصغرَهُ فيها ، وعبدُ الملكِ مُطرِقٌ ، فرفعَ رأسَهُ فقالَ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ (١) ، فقالَ خالدٌ ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ (٢)

فقالَ عبدُ الملكِ أفي عبدِ اللهِ تُكلِّمُني ؟! واللهِ ؛ لقد دخلَ عليَّ فما أقامَ لسانَهُ لحناً ، فقالَ خالدٌ : [أفعلى] الوليدِ تُعوِّلُ ؟! فقالَ عبدُ الملكِ إن كانَ الوليدُ يلحنُ فإنَّ أخاهُ سليمانُ ، فقالَ خالدٌ إن كانَ عبدُ اللهِ يلحنُ فإنَّ أخاهُ خالدٌ ، فقالَ لهُ عبدُ الملكِ اسكتْ يا خالدُ ، فواللهِ ؛ ما تُعَدُّ في العيرِ ولا في النفيرِ ، فقالَ خالدٌ اسمعْ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ثمَّ أقبلَ عليهِ فقالَ مَنْ للعيرِ والنفيرِ ؟! جدِّي أبو سفيانَ صاحبُ العيرِ ، وجدِّي عتبةُ بنُ ربيعةَ صاحبُ النفيرِ ، ولٰكنْ لو قلتَ غُنَيماتٌ وجُبَيلاتٌ والطائفُ ، ورحمَ اللهُ عثمانَ قلنا صدقتَ

فقولُهُ (أفعلى الوليدِ تُعوِّلُ) أي فإنَّهُ أسوأُ حالاً في ذٰلكَ مِنْ عبدِ اللهِ

وقولُهُ (فإنَّ أخاهُ سليمانُ) أي وهوَ لا يلحنُ

وقولُهُ (فإنَّ أخاهُ خالدٌ) أي وهوَ كما تَعرِفُ

وقولُهُ (لا تُعَدُّ في العيرِ ولا في النفيرِ) مثلٌ في الاحتقارِ ، معناهُ أنَّهُ ليسَ بشيءٍ يُذكَرُ ، وأصلُهُ كما صرفَ الكلامَ إليهِ خالدٌ عنِ التمثُّلِ أنَّهُ لمَّا سمعَ أهلُ مكةَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عزمَ أن يَتلَقَّىٰ ركبَ تجارتِهِم عندَ قدومِهِ مِنَ الشامِ وهوَ العيرُ ، وكانَ رئيسُهُ أبا سفيانَ صخرَ بنَ حربٍ أبا معاويةَ خرجوا بأجمعِهِم ورئيسُهُم

(١) سورة النمل (٣٤)

(٢) سورة الإسراء (١٦)

عتبةُ بنُ ربيعةَ ليمنعوا تجارتَهُم ؛ وهوَ المُسمَّىٰ بالنفيرِ ، فكانَتْ غزوةُ بدرٍ الشهيرةُ

وقولُهُ : (لو قلتَ : غُنَيماتٌ وجُبَيلاتٌ) إلىٰ آخِرِهِ إشارةٌ لقصَّةٍ ؛ وهيَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ نقمَ على الحكمِ أبي مروانَ وجدِّ عبدِ الملكِ أموراً ، فنفاهُ إلى الطَّائفِ ، وأقامَ هنالكَ يعيشُ في قطعةٍ مِنَ الغنمِ بقيةَ مُدَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ومُدَّتَيْ أبي بكرٍ وعمرَ ، وردَّهُ إلى المدينةِ عثمانُ بنُ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ في خلافتِهِ ، وكانَ ذٰلكَ مِنَ الحُجَجِ التي تَمسَّكَ بها المسلمونَ إذ ذاكَ علىٰ إساءةِ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ (١)

وإذا أحسنتَ النظرَ ، وتَفهُّمَ المعاني ، وما تستدعيهِ مِنَ الألفاظِ لم يصعبْ عليكَ أن تَتبيَّنَ عملَ القرائنِ الحاليَّةِ واللفظيَّةِ ، ونيابتَها عن ذكرِ بعضِ ما تقتضيهِ المعاني ، كلمةً كانَ أو أكثرَ

وبهٰذا القَدْرِ معَ ما سلفَ مِنْ فنِّ المعاني تجدُ في نفسِكَ مادَّةً لإتقانِ معرفةِ الإيجازِ بنوعَيهِ والمُساواةِ ، وموضعِ كلٍّ



(١) وفي « الإصابة » (١/٣٤٥) : (ويقال إنَّ عثمان رضي الله عنه اعتذر لما أن أعاده إلى المدينة ؛ بأنه كان استأذن النبيَّ صلى الله عليه وسلم فيه ، وقال قد كنت شفعت فيه فوعدني بردِّه)

[الإطنابُ]

ثُمَّ هاكَ بعض ما قيلَ في الإطنابِ ، قالَ أبو هلالٍ(١) قال أصحابُ الإطنابِ : المَنطِقُ إنَّما هوَ بيانٌ ، والبيانُ لا يكونُ إلَّا بالإشباعِ ، والشفاءُ لا يقعُ إلَّا بالإقناعِ ، وأفضلُ الكلامِ أبينُهُ ، وأبينُهُ أشدُّهُ إحاطةً بالمعاني ، ولا يُحاطُ بالمعاني إحاطةً تامَّةً إلَّا بالاستقصاءِ والإيجازِ للخواصِّ ، والإطنابُ مُشترَكٌ فيهِ الخاصُّ والعامُّ ، والغبيُّ والفَطِنُ ، ولمعنىً ما أُطِيلَتِ الكتبُ السُّلطانيةُ في إفهامِ الرَّعايا

والقولُ القصدُ أنَّ الإطنابَ والإيجازَ ـ كما اعترفَ بهِ مادحو الإطنابِ ـ محتاجٌ إليهِما في جميعِ الكلامِ ، وكلِّ نوعٍ منهُ ، ولكلِّ واحدٍ منهُما موضعٌ ، والحاجةُ إلى الإيجازِ في موضعِهِ كالحاجةِ إلى الإطنابِ في مكانِهِ ؛ فمَنْ أزالَ التدبيرَ في ذٰلكَ عن جهتِهِ ، واستعملَ الإطنابَ في موضعِ الإيجازِ أخطأَ ، كما رُوِيَ عن جعفرِ بنِ يحيىٰ أنَّهُ قالَ(٢) ـ معَ عجبِهِ بالإيجازِ ؛ حيثُ يقولُ كما سلفَ لكَتَبَتِهِ إنِ استطعتُم أن تجعلوا كتبَكُم توقيعاتٍ فافعلوا ؛ أي وجيزةً مثلَ التوقيعاتِ ؛ وهيَ العباراتُ التي تُكتَبُ عنِ السُّلطانِ أو نُوَّابِهِ على القصصِ لإجراءِ ما فيها ، فإنَّهُ كما جرَتِ العادةُ يُختارُ لها أوجزُ العباراتِ ، فربَّما كانَ التوقيعُ كلمةً أو كلمتَينِ ـ متىٰ كانَ الإيجازُ أبلغَ كانَ الإكثارُ عيّاً ، ومتىٰ كانَتِ الكتابةُ في موضعِ الإكثارِ كانَ الإيجازُ تقصيراً

وأمرَ يحيى بنُ خالدٍ اثنَينِ أن يكتبا كتاباً في معنىً واحدٍ ، فأطالَ أحدُهُما ،

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٦)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٦)

واختصرَ الآخَرُ ، فقالَ للمُختصِرِ وقد نظرَ في كتابِهِ ما أرىٰ موضعَ مزيدٍ ، وقالَ للمطيلِ ما أرىٰ موضعَ نقصانٍ[1]

قلتُ لا معنىٰ لإيرادِ أبي هلالٍ هـٰذهِ الحكايةَ في هـٰذا الموضعِ ؛ إذ غرضُهُ تمييزُ موضعِ كلٍّ مِنَ الإيجازِ والإطنابِ ، ويُؤخَذُ مِنْ هـٰذا الكلامِ أنَّهُ ربَّما كانَ المعنىٰ موضعاً لاختلافِ الرأيِ والذوقِ ؛ فبعضٌ يرىٰ حسنَ الإطنابِ ، وآخَرُ حسنَ الإيجازِ ، وربَّما يستدعي المعنىٰ أحدَهُما فقطْ ، فيكونُ الكاتبُ أوِ المُتكلِّمُ أسيراً لذٰلكَ الاستدعاءِ

وقالَ غيرُهُ[2] البلاغةُ الإيجازُ في غيرِ عجزٍ ، والإطنابُ في غيرِ خطلٍ

ولا شكَّ أنَّ الكتبَ الصادرةَ عنِ السَّلاطينِ في الأمورِ الجسيمةِ والفتوحِ الجليلةِ ، وتفخيمِ النعمِ الحادثةِ ، أوِ الترغيبِ في الطاعةِ ، والنهيِ عنِ المعصيةِ سبيلُها أن تكونَ مُشبَعةً مُستقصاةً ، تَملأُ الصُّدورَ ، وتأخذُ بمجامعِ القلوبِ ؛ فمِنْ هنا ترىٰ أنَّ ما كتبَهُ المُهلَّبُ بنُ أبي صفرةَ إلى الحَجَّاجِ في فتحِ الأزارقةِ (الحمدُ للهِ الذي كفىٰ بالإسلامِ فقدَ ما سواهُ ، وجعلَ الحمدَ متصلاً بنعمتِهِ ، وقضىٰ ألَّا ينقطعَ المزيدُ مِنْ فضلِهِ ، حتىٰ ينقطعَ الشُّكرُ مِنْ خلقِهِ ، ثمَّ إنَّا كنَّا وعدوَّنا علىٰ حالَينِ مختلفَينِ ، نرىٰ فيهم ما يَسُرُّنا أكثرَ ممَّا يَسوءُنا ، ويَرَونَ فينا ما يَسوءُهُم أكثرَ ممَّا يَسُرُّهُم ، [فلم يزلْ ذٰلكَ] دأبَنا ودأبَهم ، يَنصرُنا اللهُ ويَخذلُهم ، ويُمحِّصُنا اللهُ ويَمحَقُهُم ، حتىٰ بلغَ الكتابُ بنا وبِهم أجلَهُ ، فقُطِعَ دابرُ القومِ الذينَ ظلموا ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ) إنَّما حَسُنَ في موضعِهِ ، ومعَ الغَرَضِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٦)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٦)

الذي كانَ لكاتبِهِ ، وهوَ تعجيلُ البشرىٰ للسُّلطانِ بما تَـمَّ لعسكرِهِ وفي عدوِّهِ ، وذٰلكَ القَدْرُ كافٍ

وأمَّا إذا كُتِبَ مثلُهُ في فتحٍ يوازي ذٰلكَ الفتحَ في جلالةِ القدْرِ ونباهةِ الخطرِ ، وقد تَطلَّعَتْ أنفسُ الخاصَّةِ والعامَّةِ إليهِ ، وتَصرَّفَتْ ظنونُهُم فيهِ وردَ عليهِم مثلُ هٰذا القَدْرِ مِنَ الكلامِ في أقبحِ صورةٍ وأسمجِها وأشوهِها وأهجنِها ، وكانَ حقيقاً أن يُتعجَّبَ منهُ

ومِنَ الوجيزِ في موضعِهِ[1] ما كتبَ بهِ بعضُ ملوكِ بني أُميَّةَ لرجلٍ تَأَخَّرَ عنِ البيعةِ أمَّا بعدُ فإنِّي أراكَ تُقدِّمُ في الطَّاعةِ رِجلاً وتُؤخِّرُ أخرىٰ ، فإذا أتاكَ كتابي هٰذا فاعتمدْ علىٰ أيِّهِما شئتَ

وما كتبَ بهِ جعفرُ بنُ يحيىٰ لعاملٍ كَثُرَتْ منهُ الشَّكوىٰ قد كَثُرَ شاكوكَ ، فإمَّا عدلتَ ، وإمَّا عُزِلتَ

وما كتبَ بهِ آخرُ لوالي خَراجٍ ظهرَ منهُ تحاملٌ على الرعيةِ[2] أمَّا بعدُ فإنَّ الخَراجَ عمودُ الملكِ ، وما استُغزِرَ بمثلِ العدلِ ، ولا استُنزِرَ بمثلِ الجورِ .

وقالَ الخليلُ بنُ أحمدَ[3] يُختصَرُ الكلامُ ليُحفَظَ ، ويُبسَطُ ليُفهَمَ

ومِنْ هنا وضعَ الناسُ في العلومِ متوناً وشروحاً

وقيلَ لأبي عمرِو بنِ العلاءِ هل كانَتِ العربُ تطيلُ ؟ قالَ نعم ؛ كانَتْ تطيلُ ليُسمَعَ منها ، وتُوجِزُ ليُحفَظَ عنها

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٧)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٧)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨)

والإطنابُ إذا لم يكنْ منهُ بُدٌّ وجبَ ، وهوَ في المواعظِ خاصَّةً محمودٌ ممدوحٌ زيادةً

والموعظةُ كقولِ اللهِ تعالىٰ ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[1] ، فتكريرُ ما كُرِّرَ مِنَ الألفاظِ ها هنا في غايةِ حسنِ الموقعِ

وقيلَ لبعضِهِم متىٰ يُحتاجُ إلى الإكثارِ ؟ فقالَ إذا عَظُمَ الخَطْبُ ، وأنشدَ[2] [من الطويل]

صَمُوتٌ إِذَا مَا ٱلصَّمْتُ زَيَّنَ أَهْلَهُ ... [وَفَتَّاقُ] أَبْكَارِ ٱلْكَلَامِ ٱلْمُحَبَّرِ

وقالَ آخرُ[3] [من الكامل]

يَرْمُونَ بِٱلْخُطَبِ ٱلطِّوَالِ وَتَارَةً ... وَحْيَ ٱلْمَلَاحِظِ خَشْيَةَ ٱلرُّقَبَاءِ

وقالَ بعضُهُم[4] [من المتقارب]

إِذَا مَا ٱبْتَدَا خَاطِباً لَمْ يَقُلْ ... لَهُ أَطِلِ ٱلْقَوْلَ أَوْ أَقْصِرِ
طَبِيبٌ بِدَاءِ فُنُونِ ٱلْكَلَا ... مِ لَمْ يَعْيَ يَوْماً وَلَمْ يَهْذِرِ
فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ ... قَضَىٰ لِلْمُطِيلِ عَلَى ٱلْمُقْصِرِ
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ ... قَضَىٰ لِلْمُقِلِّ عَلَى ٱلْمُكْثِرِ

ووجدنا الناسَ إذا خطبوا في الصُّلْحِ بينَ العشائرِ أطالوا ، وإذا أنشدوا

---

(١) سورة الأعراف (٩٧ ـ ٩٩)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨)
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٨)

الشعرَ بينَ السماطَينِ في مديحِ الملوكِ أطنبوا ، والإطالةُ والإطنابُ في هٰذهِ المواضعِ إيجازٌ

وقيلَ لقيسِ بنِ خارجةَ ما عندكَ في [حَمالاتِ داحسَ] ؟[١] ، قالَ عندي قِرىٰ كُلِّ نازلٍ ، ورضا كلِّ ساخطٍ ، وخُطْبةٌ مِنْ لدنْ مطلعِ الشمسِ إلىٰ أن تغربَ ، آمرُ فيها بالتواصلِ ، وأنهىٰ عنِ التقاطعِ

وقدْ رأينا اللهَ تباركَ وتعالىٰ إذا خاطبَ العربَ والأعرابَ أخرجَ الكلامَ مُخرَجَ الإشارةِ والوحيِ ، فإذا خاطبَ بني إسرائيلَ ، أو حكىٰ عنهُم جعلَ الكلامَ مبسوطاً ؛ فممَّا خاطبَ بهِ أهلَ مَكَّةَ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[٢] ، وقولِهِ تعالىٰ ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[٣] ، وأشباهُ هٰذا كثيرةٌ ، وقلَّما تجدُ قصَّةً لبني إسرائيلَ إلَّا مُطوَّلةً مشروحةً ومُكرَّرةً في مواضعَ معادةً ؛ لبعدِ فهمِهِم ، وتأخُّرِ معرفتِهِم

وكلامُ الفُصحاءِ إنَّما هوَ شوبُ الإيجازِ بالإطنابِ ، والفصيحِ العالي بما دونَ ذٰلكَ ؛ ليُستدَلَّ بهِ عليهِ ، وليَخرجَ السامعُ مِنْ شيءٍ إلىٰ شيءٍ ، ويزدادَ نشاطُهُ ، وتَتوفَّرَ رغبتُهُ ، فتَصرَّفوا في وجوهِ الكلامِ ؛ إيجازِهِ وإطنابِهِ ، حتى استعملوا التكرارَ ليَتوكَّدَ القولُ للسامعِ

وقد جاءَ في القرآنِ وفي فصيحِ الشعرِ منهُ شيءٌ كثيرٌ ؛ فمِنْ ذٰلكَ قولُهُ تعالىٰ ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[٤] ، وقولُهُ تعالىٰ ﴿ فَإِنَّ مَعَ

---

(١) الحمالات الدِّيَات يحملها قوم عن قوم

(٢) سورة الحج (٧٣)

(٣) سورة المؤمنون (٩١)

(٤) سورة التكاثر (٣ ـ ٤)

ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [1] ، فتَكرَّرَ للتوكيدِ ، كما يقولُ القائلُ ارمِ ارمِ ، اعجلِ اعجلْ ، وقد قالَ الشاعرُ [2] [من مجزوء الرجز]

كَـمْ نِـعْـمَـةٍ كَـانَـتْ لَـكُـمْ كَـمْ كَـمْ وَكَـمْ [كَـانَـتْ وَكَـمْ]

وقالَ آخرُ [3] [من مجزوء الكامل]

هَـلَّا سَـأَلْـتَ جُـمُـوعَ كِـنْـ ـدَةَ يَـوْمَ وَلَّـتْ أَيْـنَ أَيْـنَـا

وربَّما جاؤوا بالصِّفةِ وأرادوا توكيدَها ، فكرهوا إعادتَها ثانيةً ، فغيَّروا منها حرفاً ، ثمَّ أتبعوها الأُولىٰ ؛ كقولِهِم عطشانُ نطشانُ ، كرهوا أن يقولوا عطشانُ عطشانُ ، فأبدلوا مِنَ العينِ نوناً

وكذٰلكَ قالوا حسنٌ بسنٌ ، وشيطانُ ليطانُ ، وأشباهُ هٰذا كثيرةٌ ، فقد كرَّرَ اللهُ جلَّتْ قدرتُهُ في سورةِ (الرحمٰنِ) قولَهُ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [4] ؛ وذٰلكَ أنَّ اللهَ تعالىٰ عدَّدَ فيها نَعماءَهُ ، وأذكرَ عبادَهُ آلاءَهُ ، ونبَّهَهُم علىٰ قدرِها ، وقدرتِهِ عليها ، ولطفِهِ فيها ، وجعلَها فاصلةً بينَ كلِّ نعمةٍ ، ليُعرَفَ موضعُ ما أسداهُ إليهِم منها ، وقد جاءَ مثلُ ذٰلكَ عن أهلِ الجاهليةِ ، قالَ مهلهلٌ في شعرِهِ [5] [من الوافر]

عَـلَىٰ أَنْ لَـيْـسَ عَـدْلاً فِـي كُـلَـيْـبٍ

(1) سورة الشرح (٥ ـ ٦)

(2) انظر « الصناعتين » (ص ١٩٩)

(3) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٠)

(4) سورة الرحمٰن (١٣)

(5) انظر « ديوان مهلهل بن ربيعة » (ص ٤٠)

وكَـرَّرَهـا فـي أكـثـرَ مِـنْ عـشـريـنَ بـيـتـاً ، وهٰكذا قـولُ الـحـارثِ بـنِ [عُبَادٍ][1] [من الخفيف]

قَـرِّبَـا مَـرْبِـطَ ٱلـنَّـعَـامَـةِ مِـنِّـي

كَرَّرَها في أكثرَ مِنْ ذٰلكَ لمَّا كانَتِ الحاجةُ إلى التكريرِ ماسَّةً ، والضَّرورةُ إليهِ داعيةً ؛ لعِظَمِ الخَطْبِ ، وشِدَّةِ موقعِ الفجيعةِ

فهٰذا يَدُلُّ علىٰ أنَّ الإطنابَ عندَهُم مُستحسَنٌ ، كما أنَّ الإيجازَ في مكانِهِ مُستحَبٌّ

ولا بدَّ للكاتبِ في أكثرِ أنواعِ مكاتباتِهِ مِنْ شعبٍ مِنَ الإطنابِ ، يستعملُها إذا أرادَ المزاوجةَ بينَ الفصلَينِ ، ولا يُعابُ ذٰلكَ منهُ ، وذٰلكَ مثلُ أن يكتبَ (عظمَتْ نعمُنا عليهِ ، وتظاهرَ إحسانُنا لديهِ) ، فيكونُ الفصلُ الأخيرُ داخلاً معناهُ في الفصلِ الأولِ

وقالَ مروانُ ـ آخِرُ ملوكِ بني أميةَ وقد أحاطَ بهِ أعداؤُهُ ـ لخادمِهِ باسلٍ مَنْ أغفلَ القليلَ حتىٰ يكثرَ ، والصغيرَ حتىٰ يكبرَ ، والخفيَّ حتىٰ يظهرَ أصابَهُ مثلُ هٰذا ، وهٰذا كلامٌ في غايةِ الحسنِ ، وإن كانَ معنى الفصلَينِ الأخيرَينِ داخلاً في الفصلِ الأولِ ، وقالَ أبو تمامٍ[2] [من الخفيف]

رُبَّ خَـفْـضٍ تَـحْـتَ ٱلـسُّـرَىٰ وَغَـنَـاءٍ مِـنْ عَـنَـاءٍ وَنَـضْـرَةٍ مِـنْ شُـحُـوبِ

الغَناءُ داخلٌ في الخفضِ ، والعَناءُ داخلٌ في السُّرىٰ

وممَّا هوَ أجدىٰ مِنْ ذٰلكَ كلِّهِ قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾[3] ، والإحسانُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٠)

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (١/١١٩)

(٣) سورة النحل (٩٠)

داخلٌ في العدلِ ، وإيتاءُ ذي القربىٰ داخلٌ في الإحسانِ ، والفحشاءُ داخلةٌ في المُنكَرِ ، والبغيُ والمُنكَرُ داخلانِ في الفحشاءِ

وهٰذا يدلُّ علىٰ أنَّ عظمَ مدارِ البلاغةِ علىٰ تحسينِ اللفظِ ؛ لأنَّ المعانيَ إذا دخلَ بعضُها في بعضٍ هٰذا الدخولَ ، وكانَتِ الألفاظُ مختارةً حَسُنَ الكلامُ ، وإذا كانَتِ المعاني مُرتَّبةً حسنةً ، والمعارضُ سيئةً كانَ الكلامُ مردوداً ، فاعتمدْ علىٰ ما مَثَّلتُهُ لكَ ، وقسْ عليهِ ، ومِنَ اللهِ الهدايةُ



[مبادئُ الكلامِ ومقاطعُهُ]

وقالَ أبو هلالٍ في بابِ القولِ عن مبادئِ الكلامِ ومقاطعِهِ ، والخروجِ مِن فصلٍ إلىٰ فصلٍ[1] قالَ بعضُ الكُتَّابِ أحسنوا معاشرَ الكُتَّابِ الابتداءاتِ ؛ فإنَّهُنَّ دلائلُ البيانِ

وقالوا ينبغي للشاعرِ أن يَحترزَ في أشعارِهِ ومُفتتَحِ أقوالِهِ ممَّا يُتطيَّرُ منهُ ويُستجفىٰ مِنَ الكلامِ والمُخاطَبةِ ؛ كالبكاءِ ، ووصفِ اقتفارِ الدارِ ، وتَشتُّتِ الأُلَّافِ ، ونعيِ الشبابِ ، لا سيما في القصائدِ التي تَتضمَّنُ المدائحَ والتهانيَ ، [ويُستعمَلُ] ذٰلكَ في المراثي ، ووصفِ الخُطوبِ الحادثةِ ؛ فإنَّ الكلامَ إذا كانَ مُؤسَّساً علىٰ هٰذا المثالِ تَطيَّرَ منهُ سامعُهُ وإن كانَ يعلمُ أنَّ الشاعرَ إنَّما يُخاطِبُ نفسَهُ دونَ الممدوحِ ، مثلُ ابتداءِ ذي الرُّمَّةِ[2] [من البسيط]

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا ٱلْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلَىٰ مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ

وكانَ بعينَيْ عبدِ الملكِ عِلَّةٌ يدمعانِ منها ، فقالَ لهُ ما لكَ وهٰذا يا بغيضُ ؟!

وقد أنكرَ الفضلُ البرمكيُّ علىٰ أبي نُواسٍ[3] [من الطويل]

أَرَبْعَ ٱلْبِلَىٰ إِنَّ ٱلْخُشُوعَ لَبَادِ

فلمَّا انتهىٰ إلىٰ قولِهِ

سَلَامٌ عَلَى ٱلدُّنْيَا إِذَا مَا فُقِدْتُمُ بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ وَغَادِي

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥١)

(٢) تقدم (٢/١٢٣)

(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٦٣ ـ ٢٦٦)

استحكمَ تطيُّرُهُ ، وقيلَ إنَّهُ لم يمضِ أُسبوعٌ حتىٰ نُكِبوا

قلتُ[1] وإذا كانَ هٰذا الشعرُ مِنْ أبي نُواسٍ مقصوداً أن يكونَ علىٰ هٰذا النحوِ ، وأنَّهُ بهِ مأمورٌ ؛ تعجيلاً لإساءتِهِم ، ومبادرةً بتنغيصِ حياتِهِم ، وإشعارِهِم بعزيمةِ الانتقامِ منهُم ، كما قيلَ ذٰلكَ لم يكنْ مثالاً لِمَا نحنُ فيهِ

وحُكِيَ[2] أنَّهُ لمَّا فرغَ المعتصمُ مِنْ بناءِ قصرِهِ بالميدانِ الذي كانَ للعبَّاسةِ جلسَ فيهِ ، وجمعَ أهلَهُ وأصحابَهُ ، وأمرَ أن يُلبَسَ الناسُ كلُّهُم الديباجَ ، وجعلَ سريرَهُ في الإيوانِ المنفوشِ بالفسافسِ ، الذي كانَ في صدرِهِ صورةُ العنقاءِ ، فجلسَ علىٰ سريرٍ مُرصَّعٍ بأنواعِ الجوهرِ ، وجعلَ علىٰ رأسِهِ التاجَ الذي كانَتْ فيهِ الدُّرَّةُ اليتيمةُ ، وفي الإيوانِ أَسِرَّةُ آبنوسَ عن يمينِهِ وعن يسارِهِ ، مِنْ عندِ السَّريرِ الذي عليهِ المعتصمُ إلىٰ بابِ الإيوانِ ، فكلَّما دخلَ رجلٌ رَتَّبَهُ هوَ بنفسِهِ في الموضعِ الذي يليقُ بهِ ، فما رأى الناسُ أحسنَ مِنْ ذٰلكَ اليومِ ، فاستأذنَهُ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصليُّ في النشيدِ ، فأذنَ لهُ ، فأنشدَهُ شعراً ما سمعَ الناسُ أحسنَ منهُ في صفتِهِ وصفةِ المجلسِ ، إلَّا أنَّ أوَّلَهُ تشبيبٌ بالدِّيارِ القديمةِ وبقيةِ آثارِها ، فكانَ أوَّلُ بيتٍ منها [من الكامل]

يَا دَارُ غَيَّرَكِ ٱلْبِلَىٰ وَمَحَاكِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلَّذِي أَبْلَاكِ

فتَطيَّرَ المُعتصِمُ مِنْ ذٰلكَ ، وتغامزَ الناسُ ، وعجبوا كيفَ ذهبَ علىٰ إسحاقَ معَ فهمِهِ وعلمِهِ وطولِ خدمتِهِ للملوكِ

قالَ راوي الحكايةِ فأقمنا يوماً وانصرفنا ، فما عادَ منَّا اثنانِ إلىٰ

(١) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام العسكري من « الصناعتين »
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥١ ـ ٤٥٢)

ذٰلكَ المجلسِ ، وخرجَ المعتصمُ إلىٰ سُرَّ مَنْ رأىٰ ، وخَرِبَ القصرُ

وأنشدَ البحتريُّ أبا سعيدٍ قصيدةً أوَّلُها[1] [من الطويل]

لَكَ ٱلْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَطَاوَلَ آخِرُهْ   وَوَشْكِ نَوىً حَتَّىٰ تُزَمَّ أَبَاعِرُهْ

فقالَ أبو سعيدٍ بلِ الويلُ والحربُ لكَ ، فغيَّرَهُ وجعلَهُ لَهُ الويلُ ، وهوَ رديءٌ أيضاً

وأنشدَ [ابنُ مقاتلٍ] الداعيَ[2] [من الرمل]

لَا تَقُلْ بُشْرَىٰ وَلَٰكِنْ بُشْرَيَانْ   غُرَّةُ ٱلدَّاعِي وَيَوْمُ ٱلْمَهْرَجَانْ

فأوجعَهُ الداعي ضرباً ، ثمَّ قالَ هلَّا قلتَ [من الرمل]

إِنْ تَقُلْ بُشْرَىٰ فَهَٰذِي بُشْرَيَانْ

ولم يجزِهِ ، وقالَ جائزتُهُ تحسينُ أدبِهِ

فإن أرادَ أن يذكرَ داراً فليذكرْها كما ذكرَ [الخريميُّ][3] [من الوافر]

أَلَا يَا دَارُ دَامَ لَكِ ٱلْحُبُورُ   وَسَاعَدَكِ ٱلْغَضَارَةُ وَٱلسُّرُورُ

وكما قالَ أشجعُ[4] [من الكامل]

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ   نَشَرَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا ٱلْأَيَّامُ

وقالوا أحسنُ ابتداءاتِ الجاهليةِ قولُ النابغةِ[5] [من الطويل]

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ   وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ ٱلْكَوَاكِبِ

---

(١) انظر « ديوان البحتري » (٢/٨٧٦)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٢)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٣)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٣)

(٥) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٤٠)

وأحسنُ مرثيةٍ جاهليةٍ ابتداءً قولُ أوسِ بنِ حجرٍ[1] [من المنسرح]

أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعَا ... إِنَّ ٱلَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

وأحسنُ مرثيةٍ إسلاميةٍ ابتداءً قولِ أبي تمامٍ[2] [من الطويل]

أَصَمَّ بِكَ ٱلنَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا ... وَأَصْبَحَ مَغْنَى ٱلْجُودِ بَعْدَكَ بَلْقَعَا

وقد بكى امرُؤُ القيسِ واستبكىٰ ، ووقفَ واستوقفَ ، وذكرَ الحبيبَ والمنزلَ في نصفِ بيتٍ[3] [من الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

فهوَ مِنْ أجودِ الابتداءاتِ ، وكرَّرَهُ في مطلعِ قصيدةٍ أخرىٰ ؛ وهوَ قولُهُ[4] [من الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ ... وَرَبْعٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

وهوَ أحسنُ وأتمُّ مِنَ الأوَّلِ

ومِنْ أحكمِ ابتداءاتِ العربِ قولُ السَّمَوْءَلِ[5] [من الطويل]

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ ٱللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ضَيْمَهَا ... فَلَيْسَ إِلَىٰ حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ سَبِيلُ

---

(١) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ٥٣)

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٤/٩٩)

(٣) تقدم (٢/٤١٧)

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٨٩) .

(٥) انظر « ديوان السموءل » (ص ١٠)

وقالَ بعضُهُم أحكمُ ابتداءاتِهِم قولُ لبيدٍ[1] [من الطويل]

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا ٱللهَ بَاطِلُ   وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ

وبعضُهُم يجعلُ ابتداءَ هٰذهِ القصيدةِ[2]

أَلَا تَسْأَلَانِ ٱلْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ   أَنَحْبٌ فَيُقْضَىٰ أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلُ

ومِنْ جِيادِ ابتداءاتِ الجاهليةِ قولُ النابغةِ[3] [من الطويل]

دَعَاكَ ٱلْهَوَىٰ وَٱسْتَجْهَلَتْكَ ٱلْمَنَازِلُ   وَكَيْفَ تَصَابِي ٱلْمَرْءِ وَٱلشَّيْبُ شَامِلُ

قالوا وكانَ عبدُ الحميدِ لا يبتدئُ بـ (لولا) ولا (إن رأيتَ)

وقد جعلَ الناسُ قولَ أبي تمامٍ[4] [من البسيط]

يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ ٱلْعَيْنِ إِنْ بَعُدُوا

مِنْ جيادِ الابتداءِ ، وقولَهُ [من الخفيف]

سَعِدَتْ غُرْبَةُ ٱلنَّوَىٰ بِسُعَادِ

وسُئِلَ بعضُهُم عن أحذقِ الشعراءِ ، فقالَ مَنْ يَتفقَّدُ الابتداءَ والمقطعَ[5]

ولمَّا نظرَ أبو العميثلِ في قصيدةِ أبي تمامٍ [من الطويل]

هُنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهْ

---

(١) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ٢٥٦)

(٢) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ٢٥٤)

(٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١١٥)

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (١٠/٢) ، والبيت بتمامه

يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ ٱلْعَيْنِ إِنْ بَعُدُوا   هِيَ ٱلصَّبَابَةُ طُولَ ٱلدَّهْرِ وَٱلسَّهَدِ

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٤) ، والسياق له

فاسترذلَ ابتداءَها ، وأسقطَ القصيدةَ كلَّها ، حتىٰ راجعَهُ أبو تمامٍ ، وأوقفَهُ علىٰ موضعِ الإحسانِ منها ، فراجعَ عبدَ اللهِ بنَ طاهرٍ وأجازَهُ

قلتُ(١) أبو العميثلِ هٰذا كانَ مِنْ علماءِ الشعراءِ المقيمينَ في خدمةِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ ، وهوَ أميرُ خراسانَ إذ ذاكَ ، وكانَ الشُّعراءُ يقصدونَهُ مِنَ الجهاتِ البعيدةِ بمدائحَ يبتغونَ جوائزَهُ ، ولٰكنْ لم يكنْ ليسمعَ شعراً حتىٰ يسمعَهُ أبو العميثلِ وأصحابُهُ ؛ فإنِ استجادُوهُ أبلغوهُ الأميرَ وأثنَوا علىٰ صاحبِهِ ، فيجيزُهُ ، وإن لم يستجيدوهُ ردُّوهُ صِفرَ اليدَينِ

ومِنْ عيونِ أبياتِ هٰذهِ القصيدةِ قولُهُ في صفةِ مَشقَّةِ السفرِ وعُلُوِّ هِمَّةِ الرَّكْبِ [من الطويل]

وَرَكْـبٍ كَـأَمْـثَـالِ ٱلْأَسِـنَّـةِ عَـرَّسُـوا عَلَىٰ مِثْلِهَا وَٱللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ
لِأَمْـرٍ عَـلَـيْـهِـمْ أَنْ يُـتِـمُّـوا صُـدُورَهُ وَلَـيْـسَ عَـلَـيْـهِـمْ أَنْ تَـتِـمَّ عَـوَاقِـبُـهْ

وقولُهُ في صفةِ الجملِ بالنُّحولِ والهُزالِ مِنْ شدائدِ السفرِ في الفيافي

رَعَتْهُ ٱلْفَيَافِي بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ ٱلرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ

ولأبي تمامٍ ابتداءاتٌ كثيرةٌ تجري هٰذا المَجرىٰ ، منها قولُهُ(٢) [من الكامل]

قَـدْكَ ٱتَّـئِـبْ أَرْبَـيْـتَ فِـي ٱلْـغُـلَـوَاءِ كَـمْ تَـعْـذِلُـونَ وَأَنْـتُـمُ سُـجَـرَائِـي

تفسيرُ هٰذا البيتِ أنَّهُ عَدَّدَ الألفاظَ الصَّادرةَ مِنَ العُذَّالِ علىٰ سبيلِ التعجُّبِ والاستهزاءِ ، وهيَ قولُهُم (قَـدْكَ) أي حسبُكَ (اتَّئِبْ) وأصلُهُ اوْتَئِب ؛ أيِ استحيِ (أربيتَ في الغُلَواءِ) أي زدتَ في الغُلُوِّ والتغريرِ بنفسِكَ في أمرِ العشقِ ، ثمَّ التفتَ إلى العُذَّالِ فقالَ يخاطبُهُم

---

(١) القائل المؤلف ضمن نقله عن العسكري صاحب « الصناعتين »
(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (١/ ٢٠)

(كم تعذلونَ وأنتُم شُجرائي) أي خُلطائي ؛ جمعُ شجيرٍ بمعنىٰ مشاجرٍ

ومِنَ الابتداءاتِ البديعةِ قولُ مسلمٍ[1] [من البسيط]

أُجْرِرْتُ ذَيْلَ خَلِيعٍ فِي ٱلصِّبَا غَزِلِ وَشَمَّرَتْ هِمَمُ ٱلْعُذَّالِ فِي عَذَلِي

والابتداءُ أوَّلُ ما يقعُ في السَّمعِ مِنْ كلامِكَ ، والمقطعُ آخِرُ ما يبقىٰ في النفسِ مِنْ قولِكَ ، فينبغي أن يكونا جميعاً مُرتقَبَينِ[2]

وقدِ استحسنَ[3] لبعضِ المُتأخِرينَ ـ يعني : المتنبي ـ ابتداءَهُ[4] : [من الطويل]

أَرِيقُكَ أَمْ مَاءُ ٱلْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ

ولهُ بعدَ ذٰلكَ ابتداءاتُ المصائبِ وفِراقُ الحبائبِ ، منها قولُهُ [من الكامل]

هَٰذِي بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسَا ثُمَّ ٱنْصَرَفْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيسَا

وقولُهُ[5] [من الكامل]

جَلَلاً كَمَا بِي فَلْيَكُ ٱلتَّبْرِيحُ

وقولُهُ[6] [من الوافر]

أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ فِي أُحَادِ

---

(١) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ١)

(٢) في « الصناعتين » (مونقين)

(٣) يعني أبا هلال العسكري صاحب « الصناعتين »

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٤٣) ، والبيت بتمامه

أَرِيقُكَ أَمْ مَاءُ ٱلْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ بِفِيَّ بَرُودٍ وَهْوَ فِي كَبِدِي جَمْرُ

(٥) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٤٦) ، والبيت بتمامه

جَلَلاً كَمَا بِي فَلْيَكُ ٱلتَّبْرِيحُ أَغِذَاءُ ذَا ٱلرَّشَأِ ٱلأَغَنِّ ٱلشِّيحُ

(٦) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٥٩) ، والبيت بتمامه

أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ فِي أُحَادِ لُيَيْلَتُنَا ٱلْمَنُوطَةُ بِٱلتَّنَادِي

وقولُهُ (١) [من الطويل]

لِـجِنِّـيَّـةٍ أَمْ غَـادَةٍ رُفِـعَ ٱلـسَّـجْـفُ لِـوَحْـشِـيَّـةٍ لَا مَـا لِـوَحْـشِـيَّـةٍ شَـنْـفُ

قلتُ (٢) وهٰذهِ القصيدةُ يقولُها في مدحِ قاضٍ فقيهٍ ، ومنها ـ وفيهِ قبحُ الاستعارةِ وسوءُ العبارةِ ـ قولُهُ [من الطويل]

فَقِيهٌ رَسَتْ لِلْعِلْمِ فِي أَرْضِ صَدْرِهِ جِبَالٌ جِبَالُ ٱلْأَرْضِ فِي جَنْبِهَا قُفُّ

وقولُهُ (٣) [من الكامل]

فِي ٱلْـخَدِّ أَنْ عَزَمَ ٱلْخَلِيطُ رَحِيلَا دَمْـعٌ تَـزِيـدُ بِـهِ ٱلْـخُـدُودُ مُـحُـولَا

قالَ إسماعيلُ بنُ عبادٍ إنَّ المُحولَ في الخُدودِ مِنَ البديعِ المزورِ (٤)

فهٰذهِ وما شاكلَها ابتداءاتٌ لا خلاقَ لها

وإذا كانَ الابتداءُ حسناً بديعاً ، ومليحاً رشيقاً كانَ داعيةً لاستماعِ ما يجيءُ بعدَهُ مِنَ الكلامِ ، ولهٰذا المعنىٰ يقولُ اللهُ تعالىٰ ﴿ الٓمٓ ﴾ ، و﴿ حمٓ ﴾ ، و﴿ طسٓ ﴾ ، و﴿ طسٓمٓ ﴾ ، و﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ ، فيقرعُ أسماعَهُم بشيءٍ بديعٍ ليسَ لهُم بمثلِهِ عهدٌ ؛ ليكونَ ذٰلكَ داعيةً لهُم إلى الاستماعِ

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وسَلَّمَ « كُلُّ كَلَامٍ لَمْ يُبْدَأْ فِيهِ بِحَمْدِ ٱللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ » (٥)



(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٧٧)
(٢) هو المؤلف ضمن نقله لسياق صاحب « الصناعتين »
(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١١١)
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٦) ، وفيه (المردود) بدل (المزور)
(٥) رواه أبو داوود (٤٨٠٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

[القولُ في الفصلِ والوصلِ]

هٰذا ؛ وقالَ أبو هلالٍ في بيانِ وجوبِ الاعتناءِ بمواضعِ فصلِ كلامٍ مِنْ كلامٍ ، ووصلِ الكلامِ بعضِهِ ببعضٍ[1] قيلَ للفارسيِّ ما البلاغةُ ؟ قالَ معرفةُ الفصلِ مِنَ الوصلِ

وقالَ المأمونُ لبعضِهِم مَنْ أبلغُ الناسِ ؟ قالَ مَنْ قَرَّبَ الأمرَ البعيدَ المُتناوَلِ والصَّعبَ الدَّركِ بالألفاظِ اليسيرةِ ، قالَ : ما عَدَلَ سهمُكَ عنِ الغَرَضِ ، ولٰكنِ البليغُ مَنْ كانَ كلامُهُ في مقدارِ حاجتِهِ ، ولا يجيلُ الفكرةَ في اختلاسِ ما صَعُبَ عليهِ مِنَ الألفاظِ ، ولا يُكرِهُ المعانيَ بإنزالِها في غيرِ منازلِها ، ولا يَتعمَّدُ الغريبَ الوَحْشيَّ ، ولا الساقطَ السُّوقيَّ ، والبلاغةُ إذا اعتزلَتْها المعرفةُ بمواضعِ الفصلِ والوصلِ كانَتْ كاللآلئِ بلا نظامٍ

فقدِ استحسنَ المأمونُ الجوابَ ، ولٰكنَّهُ عَرَّفَهُ أنَّهُ غيرُ مقنعٍ ، فساقَ لهُ ما عندَهُ ، وينبغي أن يكونَ الجوابُ وصفةَ أبلغِ الناسِ

وقالَ أبو العباسِ السَّفَّاحُ لكاتبِهِ[2] قِفْ عندَ الكلامِ وحدودِهِ ، وإيَّاكَ أن تخلطَ المرعيَّ بالهملِ ، ومِنْ حليةِ البلاغةِ المعرفةُ بمواضعِ الفصلِ مِنَ الوصلِ

وقالَ الأحنفُ بنُ قيسٍ[3] ما رأيتُ رجلاً تَكلَّمَ فأحسنَ الوقفَ عندَ مقاطعِ الكلامِ ولا عرفَ حدودَهُ إلَّا أبا عمرِو بنَ العلاءِ[4] ، كانَ إذا تَكلَّمَ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨)

(٤) في « الصناعتين » (إلا عمرو بن العاص)

تَفقَّدَ مقاطعَ الكلامِ ، وأعظمَ حقَّ المَقامِ ، وغاصَ في استخراجِ المعنىٰ بألطفِ مَخرجٍ ، حتىٰ كانَ يقفُ عندَ المقطعِ وقفاً يحولُ بينَهُ وبينَ بغيتِهِ مِنَ الألفاظِ ، وكانَ كثيراً ما يُنشِدُ [من الطويل]

إِذَا مَا بَدَا فَوْقَ ٱلْمَنَابِرِ قَائِلاً أَصَابَ بِمَا يُومِي إِلَيْهِ ٱلْمَفَاصِلَا

وحُكِيَ[1] أنَّ شبيبَ بنَ شبةَ كانَ يوماً قاعداً ببابِ المَهديِّ ، فأقبلَ عبدُ الصَّمدِ بنُ الفضلِ الرَّقَاشيُّ ، فلمَّا رآهُ شبيبٌ قالَ أتاكُم واللهِ كليمُ الناسِ ، فلمَّا جلسَ قالَ شبيبٌ تَكلَّمْ يا أبا العباسِ ، فقالَ أمعَكَ يا أبا معمرٍ وأنتَ خطيبُنا وسيِّدُنا ؟! قالَ نعم ، واللهِ ؛ ما رأيتُ قلباً أقربَ مِنْ لسانٍ مِنْ قلبِكَ مِنْ لسانِكَ ، قالَ في أيِّ شيءٍ تحبُّ أن أتكلَّمَ ؟ قالَ وإذا شيخٌ يَتوكَّأُ علىٰ عصاً ، قالَ صفْ لنا هٰذهِ العصا

فحمدَ اللهَ عزَّ وجلَّ وأثنىٰ عليهِ ، ثمَّ ذكرَ السماءَ فقالَ رفعَها اللهُ بغيرِ عمدٍ ، وجعلَ فيها نجومَ رجمٍ ونجومَ اهتداءٍ ، وأدارَ فيها سراجاً وقمراً منيراً ؛ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ ، وأنزلَ منها ماءً مباركاً أحيا بهِ الزَّرعَ والضَّرعَ ، وأدرَّ بهِ الأقواتَ ، وحفظَ بهِ الأرواحَ ، وأنبتَ منها أنواعاً مختلفةً يُصرِّفُها مِنْ حالٍ إلىٰ حالٍ ، تكونُ حَبَّةً ، ثمَّ يجعلُها عِزقاً ، ثمَّ يقيمُها علىٰ ساقٍ ، فبينا تراها خضراءَ تَرِفُّ إذ تراها يابسةً تنقصفُ ؛ ليَنتفِعَ بها العبادُ ، وتَعمُرَ بها البلادُ ، ثمَّ جعلَ مِنْ يُبْسِها هٰذهِ العصا

ثمَّ أقبلَ على الشيخِ وقالَ وكانَ هٰذا نطفةً في صلبِ أبيهِ ، ثمَّ صارَ عَلَقةً حينَ خرجَ منهُ ، ثمَّ مُضغةً ، ثمَّ عظماً ولحماً ، فصارَ جنيناً أوجدَهُ اللهُ بعدَ عدمٍ ، وأنشأَهُ مِنْ بدءٍ ، ووقفَهُ مكتهلاً ، ونقضَهُ شيخاً ، إلىٰ أن صارَ إلىٰ هٰذهِ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩)

الحالِ مِنَ الكبَرِ ، فاحتاجَ إلىٰ هـٰذهِ العصا في آخرِ حالاتِهِ ، فتباركَ المُدبّرُ للعبادِ

قالَ شبيبٌ فما سمعتُ كلاماً علىٰ بديهةٍ أحسنَ منهُ

وقالَ معاويةُ[1] يا أشدقُ ؛ قمْ عندَ قُرومِ العربِ [وجحاجحِها][2] ، فسُلَّ لسانَكَ ، وجُلْ في ميادينِ البلاغةِ ، وليكنِ التفقدُ لمقاطعِ الكلامِ منكَ علىٰ بالٍ ، فإنّي شهدتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أملىٰ [علىٰ] عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليهِ السلامُ كتاباً ، فكانَ يَتفقَّدُ مقاطعَ الكلامِ كتفقُّدِ المصرمِ صرمتَهُ

ولمَّا أقامَ أبو جعفرٍ المنصورُ صالحاً خطيباً بحضرةِ شبيبِ بنِ شبَّةَ وأشرافِ قريشٍ فتَكلَّمَ أقبلَ شبيبٌ فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما رأيتُ كاليومِ أبينَ بياناً ، ولا أربطَ جَناناً ، ولا أفصحَ لساناً ، ولا أبلَّ ريقاً ، ولا أغمض عُروقاً ، ولا أحسنَ طريقاً ، إلَّا أنَّ الجوادَ عسيرٌ لم يُرَضْ ، فحملَتْهُ القُوَّةُ علىٰ تعسُّفِ الآكامِ وخبطِها ، وتركِ الطريقِ اللَّاحبِ ، وايْمُ اللهِ ؛ لو عرفَ في خُطبتِهِ مقاطعَ الكلامِ لكانَ أفصحَ مَنْ نطقَ بلسانٍ[3]

وقالَ المأمونُ[4] ما أعجبُ بكتابِ أحدٍ كإعجابي بكتابِ القاسمِ بنِ عيسىٰ ؛ فإنَّهُ يوجزُ في غيرِ عجزٍ ، ويصيبُ مقاطعَ الكلامِ ، ولا تدعوهُ المقدرةُ إلى الإطنابِ ، ولا تميلُ بهِ الغزارةُ إلى الإسهابِ ، يجلّي عن مرادِهِ في كتبِهِ ، ويصيبُ المغزىٰ في ألفاظِهِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٩)
(٢) الجحجاح السيد السمح
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠)
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠)

وكانَ يزيدُ بنُ معاويةَ يقولُ(١) إيَّاكُم أن تجعلوا الفصلَ وصلاً ؛ فإنَّهُ أشدُّ وأعيبُ مِنَ اللحنِ

وقالَ أكثمُ بنُ صيفيٍّ(٢) كانَتْ ملوكُ الجاهليةِ تقولُ لكُتَّابِها افصلوا بينَ كلِّ [معنىً منقضٍ] ، وصلوا إذا كانَ الكلامُ معجوناً بعضُهُ ببعضٍ

وكانَ الحارثُ بنُ أبي شمرٍ الغسانيُّ يقولُ لكاتبِهِ المرقِّش(٣) إذا نزعَ بكَ الكلامُ إلى الابتداءِ بمعنىً غيرِ ما أنتَ فيهِ فافصلْ بينَهُ وبينَ تبيعتِهِ مِنَ الألفاظِ ؛ فإنَّكَ إن مذقتَ ألفاظَكَ بغيرِ ما يحسنُ أن تمذقَ بهِ نفرَتِ القلوبُ عن وعيِهِ ، ومَلَّتْهُ الأسماعُ ، واستثقلَتْهُ الرواةُ

وكانَ بزرجمهرُ يقولُ(٤) إذا مدحتَ رجلاً وهجوتَ آخرَ فاجعلْ بينَ القولَينِ فصلاً ؛ حتىٰ يُعرَفَ المدحُ مِنَ الهجاءِ ؛ كما تفعلُ بكتبِكَ إذا استأنفتَ القولَ ، فأكملتَ ما سلفَ مِنَ اللفظِ

وقالَ الحسنُ بنُ وهبٍ لكاتبِهِ الحرَّانيِّ(٥) ما منزلةُ الكاتبِ في قولِهِ وفعلِهِ ؟ قالَ أن يكونَ مطبوعاً ، مُحتنكاً بالتجربةِ ، عالماً بحلالِ الكتابةِ وحرامِها وسنتِها ، وبالدُّهورِ في تداولِها وتصرُّفِها ، وبالملوكِ في سِيَرِها وأيامِها ، معَ براعةِ اللفظِ ، وحسنِ التنسيقِ ، وتأليفِ الأوصالِ بمشاكلةِ الاستعارةِ ، وشرحِ المعاني حتىٰ تُنصَبَ صورُها ، وبمقاطعِ الكلامِ ، ومعرفةِ الوصلِ مِنَ الفصلِ ، فإذا كانَ كذٰلكَ فهوَ كاتبٌ مجيدٌ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠)

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٠ ـ ٤٦١)

والقولُ إذا استكملَ آلتَهُ واستتمَّ معناهُ فالفصلُ عندَهُ

وقالَ المأمونُ[1] ما أتفحَّصُ مِنْ رجلٍ شيئاً كتفحُّصي عنِ الفصلِ والوصلِ في كتابِهِ ، والتخلُّصِ مِنَ المعقودِ إلى المحلولِ ، فإنَّ لكلِّ شيءٍ جمالاً ، وحليةُ الكتابِ وجمالُهُ إيقاعُ الفصلِ في موقعِهِ ، وشحذُ الفكرةِ ، وإجالتُها في لطفِ التخلُّصِ مِنَ المعقودِ إلى المحلولِ

ومعنى المعقودِ والمحلولِ ها هنا هوَ أنَّكَ إذا ابتدأتَ بمخاطبةٍ ثمَّ لم تنتهِ إلىٰ موضعِ التخلُّصِ ممَّا عقدتَ عليهِ كلامَكَ سُمِّيَ الكلامُ معقوداً ، فإذا شرحتَ المستورَ ، وأبنتَ عنِ الغرضِ المنزوعِ إليهِ سُمِّيَ الكلامُ محلولاً

مثالُ ذٰلكَ ما كتبَ بعضُهُم[2] وجرىٰ لكَ مِنْ ذكرِ ما خَصَّكَ اللهُ بهِ ، وأفردَكَ بفضيلتِهِ ؛ مِنْ شرفِ النفسِ والقدرةِ ، وبُعْدِ الهِمَّةِ والذِّكرِ ، وكمالِ الأداةِ والآلةِ ، والتمهُّدِ في السياسةِ والإيالةِ ، وحياطةِ أهلِ الدِّينِ والأدبِ ، وإنجادِ عظيمِ الحقِّ وتضعيفِ السببِ ما لا يزالُ يجري مثلُهُ عندَ كلِّ ذكرٍ يَتجَدَّدُ لكَ ، ويُؤثَرُ عنكَ

فالكلامُ مِنْ أوَّلِ الفصلِ إلىٰ قولِهِ (تضعيفِ السببِ) معقودٌ ، فلمَّا اتصلَ بما بعدَهُ صارَ محلولاً

وما كتبَ بعضُهُم[3] ربَّما كانَتْ مَودَّةُ السَّببِ أوكدَ مِنْ مَودَّةِ النَّسَبِ ؛ لأنَّ المَودَّةَ التي تدعو إليها رغبةٌ أو رهبةٌ ، أو شكرُ نعمةٍ ، أو مشاركةٌ في صنعةٍ ، أو مناسبةٌ لمشاكلةٍ مَودَّةٌ معروفةٌ وجوهُها ، موثوقٌ بخلوصِها ، فتوكُّدُها

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٢)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٢)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٢)

بحَسَبِ السببِ الداعي إليها ، ودوامُها بدوامِهِ ، واتصالُها باتصالِهِ ، ومَودَّةُ القربىٰ مواتٌ ، وإن أوجبَتْها اللحمةُ فهيَ مشوبةٌ بحسدٍ ونفاسةٍ ، وبحَسَبِ ذٰلكَ يقعُ التقصيرُ فيما توجبُهُ الحالُ ، والإضاعةُ لِمَا يلزمُ مِنَ الشكرِ ، واللهُ يعلمُ أنِّي أودُّكَ مَودَّةً خالصةً لم تَدْعُ إليها رغبةٌ فيزيلَها استغناءٌ ، ولا اضطرَّ إليها رهبةٌ فيقطعَها أمنٌ منها ، وإن كنتَ مَرجوّاً للموهباتِ بحمدِ اللهِ تعالىٰ ، ومَقصِداً مِنْ مقاصدِ الرغباتِ ، وكهفاً وحرزاً مِنَ المُوبِقاتِ

فهٰذا الكلامُ معقودٌ إلىٰ قولِهِ (لمشاكلةٍ) فلمَّا اتصلَ بما بعدَهُ صارَ محلولاً

وقالَ بعضُهُم (١) انظرْ سَدَّدَكَ اللهُ ألَّا تدعوَكَ مَقدِرتُكَ على الكلامِ إلىٰ إطالةِ المعقودِ ؛ فإنَّ ذٰلكَ فسادُ ما أكننتَهُ في صدرِكَ ، وأردتَ تضمينَهُ كتابَكَ ، واعلمْ أنَّ إطالةَ المعقودِ تورثُ نسيانَ ما عقدتَ عليهِ كلامَكَ ، وأرهنتَ بهِ فكرَكَ

وكانَ شبيبُ بنُ شبةَ يقولُ (٢) لمْ أرَ مُتكلِّماً قطُّ أذكرَ لِمَا عقدَ عليهِ كلامَهُ ولا أحفظَ لِمَا سلفَ مِنْ نطقِهِ مِنْ خالدِ بنِ صفوانَ ؛ يشبعُ المعقودَ بالمعاني التي يَصعُبُ الخروجُ منها إلىٰ غيرِها ، ثمَّ يأتي بالمحلولِ واضحاً بيِّناً ، مشروحاً منثوراً ، فكانَ السامعُ لا يَعرِفُ مغزاهُ ومقصدَهُ في أوَّلِ كلامِهِ حتىٰ يصيرَ إلىٰ آخِرِهِ

وقالَ بعضُهُم (٣) ليسَ يُحمَدُ مِنَ القائلِ أن يعميَ معرفةَ مغزاهُ على السامعِ لكلامِهِ في أوَّلِ ابتدائِهِ حتىٰ ينتهيَ إلىٰ آخِرِهِ ، بلِ الأحسنُ أن يكونَ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣)

في صدرِ كلامِهِ دالّاً على حاجتِهِ ، ومُبيّناً لمغزاهُ ومَقصِدِهِ ، كما أنَّ خيرَ [أبياتِ] الشعرِ ما إذا سمعتَ صدرَهُ عرفتَ قافيتَهُ

وكانَ شبيبُ بنُ شَبَّةَ يقولُ[١] الناسُ مُوكَّلونَ بتعظيمِ جودةِ الابتداءِ ، وبمدحِ صاحبِهِ ، وأنا مُوكَّلٌ بتعظيمِ جودةِ المقطعِ ، وبمدحِ صاحبِهِ ، وخيرُ الكلامِ ما وُقِفَ عندَ مقاطعِهِ وبُيِّنَ موقعُ فصولِهِ

ومثالُ ما لم يُبَنْ موضعُ الفصلِ فيهِ فأشكلَ الكلامُ قولُ شاعرٍ يهجو ويمدحُ[٢] [من الكامل]

وَأَبُوكَ بَدْرٌ كَانَ يَنْتَهِسُ ٱلْخِصَىٰ وَأَبِي ٱلْجَوادُ رَبِيعَةُ بْنُ قِتَالِ[٣]

فقالَ المهجوُّ لا بأسَ ، شيخانِ اشتركا في صفةٍ

وقلَّما رأينا بليغاً إلَّا وهوَ يقطعُ كلامَهُ على معنىً بديعٍ أو لفظٍ حسنٍ رشيقٍ ، قالَ لقيطٌ في آخرِ قصيدتِهِ[٤] [من البسيط]

لَقَدْ مَحَضْتُ لَكُمْ وُدِّي بِلَا دَخَلٍ فَٱسْتَيْقِظُوا إِنَّ خَيْرَ ٱلْعِلْمِ مَا نَفَعَا

فقطعَها على كلمةٍ حكمةٍ عظيمةِ الموقعِ

ومثلُهُ قولُ امرئِ القيسِ[٥] [من الطويل]

أَلَا إِنَّ بَعْدَ ٱلْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةً وَبَعْدَ ٱلشَّبَابِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسَا

فقطعَ القصيدةَ أيضاً على حكمةٍ بالغةٍ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٣)

(٣) في « الصناعتين » (كان ينتهس الحصى وأبي الجواد ربيعة بن قِبال)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٤)

(٥) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٠٨)

وقالَ أبو زبيدٍ الطائيُّ في آخِرِ قصيدةٍ[1] [من الخفيف]

كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَالُ فِيهِ ٱلرِّجَالُ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ لِلْمَنَايَا ٱحْتِيَالُ

وقالَ أبو كبيرٍ الهذليُّ[2] [من الكامل]

هَـٰذَا وَذَٰلِكَ لَيْسَ إِلَّا ذِكْرُهُ وَإِذَا مَضَىٰ شَيْءٌ كَأَنْ لَمْ يُفْعَلِ

فينبغي أنْ يكونَ آخرُ بيتِ قصيدتِكَ أجودَ بيتٍ فيها ، وأدخلَ في المعنى الذي قصدتَ لهُ في نظمِها ، كما فعلَ ابنُ الزِّبَعْرَىٰ في آخِرِ قصيدةٍ يعتذرُ فيها إلى النبيِّ صلَّى اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلَّمَ وشرَّفَ وكرَّمَ ويستعطفُهُ[3] [من الكامل]

فَخُذِ ٱلْفَضِيلَةَ عَنْ ذُنُوبٍ قَدْ خَلَتْ وَٱقْبَلْ تَضَرُّعَ مُسْتَضِيفٍ ثَابِتِ[4]

فجعلَ نفسَهُ مستضيفاً ، ومِنْ حقِّ المستضيفِ أن يُضافَ ، فإذا أُضيفَ فمِنْ حقِّهِ أن يُصانَ ، واعداً بالثباتِ الذي مدارُ الأمرِ عليهِ ، مُخبراً بصدقِ عزيمتِهِ ، جعلَ العفوَ عنهُ فضيلةً ، فجمعَ ما يُحتاجُ إليهِ في طلبِ [العفوِ]

وقولُ تأبَّطَ شرّاً في آخِرِ قصيدةٍ[5] [من البسيط]

لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ ٱلسِّنَّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْماً بَعْضَ أَخْلَاقِي

هـٰذا البيتُ أجودُ بيتٍ فيها ؛ لصفاءِ لطفِهِ ، وحسنِ معناهُ ، وأحقُّ ما يُختَمُ كلامٌ في عتابٍ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٤)

(٢) انظر « ديوان الهذليين » (١/١٠٠)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٤) .

(٤) في « الصناعتين » (تائب) بدل (ثابت)

(٥) انظر « ديوان تأبط شراً » (ص ١٤٤)

ومثلُهُ قولُ الشنفرىٰ في آخِرِ قصيدةٍ[1] [من الطويل]

وَإِنِّي لَحُلْوٌ إِنْ أُرِيدَتْ حَلَاوَتِي وَمُرٌّ إِذَا نَفْسُ ٱلْعَزُوفِ أَمَرَّتِ
أَبِيٌّ لِمَا آبَىٰ قَرِيبٌ مَقَادَتِي إِلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحِي فِي مَسَرَّتِي

وهٰذانِ البيتانِ أجودُ ما فُخِرَ بهِ في هٰذهِ القصيدةِ

وقالَ بشرُ بنُ أبي حازمٍ في آخِرِ قصيدةٍ[2] [من الوافر]

وَلَا يُنْجِي مِنَ ٱلْغَمَرَاتِ إِلَّا بَرَاكَاءُ ٱلْقِتَالِ أَوِ ٱلْفِرَارُ

فقطعَها علىٰ مثلٍ سائرٍ ، والأمثالُ أحبُّ إلى النفوسِ ؛ لحاجتِها إليها عندَ المحاضرةِ والمجالسةِ

وقالَ الهذليُّ[3] [من المتقارب]

عَصَاكَ ٱلْأَقَارِبُ فِي أَمْرِهِمْ فَزَايِلْ بِأَمْرِكَ أَوْ خَالِطِ
وَلَا تَسْقُطَنَّ سُقُوطَ ٱلنَّوَا ةِ مِنْ كَفِّ مُرْتَضِخٍ لَاقِطِ

فقطعَها علىٰ تشبيهٍ مليحٍ ومثلٍ حسنٍ ، وهٰكذا يفعلُ الكاتبُ الحاذقُ والمُترسِّلُ المُبرِّزُ ، ألا ترىٰ ما كتبَ الصَّاحبُ في آخرِ رسالةٍ لهُ فإن حنثتُ فيما حلفتُ فلا خطوتُ لتحصيلِ مجدٍ ، ولا نهضتُ لاقتناءِ حمدٍ ، ولا سعيتُ إلىٰ مقامِ فخرٍ ، ولا [حرصتُ] علىٰ عُلُوِّ ذكرٍ ، وهٰذهِ اليمينُ لو سمعَها عامرُ بنُ الظَّربِ ـ أحدُ مشاهيرِ قضاةِ العربِ ـ لقالَ هيَ الغَموسُ ، لا القسمُ باللَّاتِ والعُزَّىٰ ، ومناةِ الثالثةِ الأخرىٰ

فأتىٰ بأيمانٍ غريبةٍ ، ومعانٍ ظريفةٍ

---

(١) انظر « ديوان الشنفرىٰ » (ص ٩٩)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٥) ، والبراكاء الثبات في الحرب
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٥)

وكتبَ أيضاً في آخرِ رسالةٍ[1] وأنا مُتوقِّعٌ لكتابِكَ توقُّعَ الظمآنِ للماءِ الزلالِ ، والصُّوَّامِ لهلالِ شوالٍ

وكتبَ آخَرُ أخرىٰ[2] وسألَ أن أخلفَهُ في تجشيمِ مولايَ إلىٰ هٰذا المجتمعِ ؛ ليَقرُبَ علينا تناولُ البدرِ بمشاهدتِهِ ، ولمسُ الشمسِ بغُرَّتِهِ

فانظرْ كيفَ تقعُ كلماتُهُ علىٰ كلِّ معنىً بديعٍ ، ولفظٍ شريفٍ



(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٥)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٦)

[حسنُ المقطعِ وجودةُ الفاصلةِ]

هٰذا ؛ وحسنُ المقطعِ وجودةُ الفاصلةِ وحسنُ تمكُّنِها في موضعِها علىٰ ثلاثةِ أضربٍ فضربٌ منها أن يضيقَ على الشاعرِ موضعُ القافيةِ ، فيأتيَ بلفظٍ قصيرٍ قليلِ الحروفِ ، فيُتِمَّ بهِ البيتَ ؛ كقولِ زهيرٍ[1] [من الطويل]

وَأَعْلَمُ مَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱلْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَٰكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

وقولِ النابغةِ[2] [من الكامل]

جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ [نَدِي]

وقولِ الأعشىٰ[3] [من المتقارب]

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَىٰ لَذَّةٍ وَأُخْرَىٰ تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

وبعدَهُ

لِكَيْ يَعْلَمَ ٱلنَّاسُ أَنِّي ٱمْرُؤٌ أَتَيْتُ ٱللَّذَاذَةَ مِنْ بَابِهَا

وقولِ امرئِ القيسِ[4] [من الطويل]

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ

وقولِ طرفةَ[5] [من الطويل]

إِذَا ٱبْتَدَرَ ٱلْقَوْمُ ٱلسِّلَاحَ وَجَدْتَنِي مَنِيعاً إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي

---

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٣٥)

(٢) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٩٥) ، والبيت بتمامه

كَالْأُقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

(٣) انظر « ديوان الأعشىٰ » (١٢/٢)

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩)

(٥) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٤٣)

وقولِ النابغةِ مِنَ القصيدةِ التي أوَّلُها[1] [من الكامل]

أَمِـنَ آلِ مَـيَّـةَ رَائِـحٌ أَوْ مُـغْـتَـدِ

[قالَ]

لَا مَـرْحَـبـاً بِـغَـدٍ وَلَا أَهْـلاً بِـهِ ... إِنْ كَـانَ تَـفْـرِيـقُ ٱلْأَحِـبَّـةِ فِـي غَـدِ
أَفِـدَ ٱلـتَّـرَحُّـلُ غَـيْـرَ أَنَّ رِكَـابَـنَـا ... لَـمَّـا تَـزَلْ بِـرِحَـالِـهَـا وَكَـأَنْ قَـدِ

وقولِهِ

كَـٱلْأُقْـحُـوَانِ غَـدَاةَ غِـبِّ سَـمَـائِـهِ ... جَـفَّـتْ أَعَـالِـيـهِ وَأَسْـفَـلُـهُ نَـدِي

وقولِهِ

[يُشْفَىٰ] بِبَرْدِ لِثَاتِهَا ٱلْعَطِشُ ٱلصَّدِي

وقولِ آخَرَ[2] [من الطويل]

أَلَا يَـا غُـرَابَـيْ بَـيْـنِـهَـا لَا تَـصَـدَّعَـا ... وَطِـيرَا جَـمِـيعاً بِـٱلنَّوَىٰ وَقَـعَـا مَـعَـا

وقولِ ابنِ أحمرَ[3] [من الطويل]

وَإِنْ كَـانَـتِ ٱلـنَّـعْـمَـاءُ عِـنْـدَكَ لِأَمْـرِئٍ ... فَـمِـثْـلاً بِـهَـا فَـٱجْـزِ ٱلْـمَـطَـالِـبَ أَوْ زِدِ

وقولِ أبي حيَّةَ[4] [من الطويل]

[فَقُلْنَ][5] لَـهَـا سِـرّاً فَـدَيْـنَـاكِ لَا يَـرُحْ

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٨٩) ، والبيت بتمامه

أَمِـنَ آلِ مَـيَّـةَ رَائِـحٌ أَوْ مُـغْـتَـدِ ... عَـجْـلَانَ ذَا زَادٍ وَغَـيْـرَ مُـزَوَّدِ

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٧)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٧)

(٤) انظر « ديوان أبي حية النميري » (ص ٧٦) ، و« الصناعتين » (ص ٤٦٧) ، والبيت بتمامه

فَـقُـلْـنَ لَـهَـا سِـرّاً فَـدَيْـنَـاكِ لَا يَـرُحْ ... صَـحِـيـحـاً وَإِنْ لَـمْ تَـقْـتُـلِـيـهِ فَـأَلْـمِـمِي

(٥) في الأصل (فقلنا)

الأبياتَ السالفةَ (١)

ومِنْ شعرِ المُحدَثينَ قولُ ابنِ عبدةَ (٢) [من الكامل]

دُنْيَا دَعَوْتُكِ مُسْمِعاً فَأَجِيبِي ... وَبِمَا ٱصْطَفَيْتُكِ فِي ٱلْهَوَىٰ فَأَثِيبِي

دُومِي أَدُمْ لَكِ بِٱلْوَفَاءِ عَلَى ٱلْقَضَا ... إِنِّي بِعَهْدِكِ وَاثِقٌ فَثِقِي بِي

وقولِ آخَرَ (٣) [من المتقارب]

أَتَتْنِي تُؤَنِّبُنِي فِي ٱلْبُكَا ... فَأَهْلاً بِهَا وَبِتَأْنِيبِهَا

وَقَالَتْ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ ... أَتَبْكِي بِعَيْنٍ تَرَانَا بِهَا

فَقُلْتُ إِذَا ٱسْتَحْسَنَتْ غَيْرَكُمْ ... أَمَرْتُ ٱلدُّمُوعَ بِتَأْدِيبِهَا



والضَّرْبُ الآخَرُ أن يَضيقَ بهِ المكانُ أيضاً ، ويَعجِزَ عن إيرادِ كلمةٍ سالمةٍ تَحتاجُ إلىٰ إعرابٍ ، فيأتيَ بكلمةٍ ليسَتْ كذٰلكَ يُتِمُّ بها البيتَ ؛ مثلُ قولِ امرئِ القيسِ (٤) [من الطويل]

كَذِئْبِ ٱلْغَضَا يَمْشِي ٱلضَّرَاءَ وَيَتَّقِي

وقولِ زهيرٍ (٥) [من الطويل]

صَحَا ٱلْقَلْبُ عَنْ سَلْمَىٰ وَقَدْ كَانَ لَا يَسْلُو

---

(١) انظر (٣/٢٨٢)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٧) ، وفيه (ابن أبي عيينة) بدل (ابن عبدة)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٦٨)

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٧٢) ، والبيت بتمامه

بَعَثْنَا رَبِيئاً قَبْلَ ذَٰلِكَ مُخْمِلاً ... كَذِئْبِ ٱلْغَضَا يَمْشِي ٱلضَّرَاءَ وَيَتَّقِي

(٥) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٨٣) ، والبيت بتمامه

صَحَا ٱلْقَلْبُ عَنْ سَلْمَىٰ وَكَانَ لَا يَسْلُو ... وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى ٱلتَّعَانِيقُ فَٱلثِّقْلُ

ثمَّ قالَ

وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلْمَىٰ سِنِينَ ثَمَانِياً　　عَلَىٰ [صِيرِ] أَمْرٍ مَا يَمُرُّ وَلَا يَحْلُو

وقولِهِ (١)　　[من الطويل]

لِذِي ٱلْحِلْمِ مِنْ ذُبْيَانَ عِنْدِي مَوَدَّةٌ　　وَحِفْظٌ وَمَنْ يُلْحِمْ [إِلَى] ٱلشَّرِّ أَنْسُجِ

مَخُوفاً كَأَنَّ ٱلطَّيْرَ فِي مَنْزِلَاتِهِ (٢)　　عَلَىٰ جِيَفِ ٱلْحَسْرَىٰ مَجَالِسُ تَنْتَجِي

وقولِ ذي الرُّمةِ (٣)　　[من الوافر]

أَرَاحَ رِفَاقُ جِيرَتِكَ ٱلْجِمَالَا　　كَأَنَّهُمُ يُرِيدُونَ ٱحْتِمَالَا

وَكِدْتُ أَمُوتُ مِنْ حَزَنٍ عَلَيْهِمْ　　وَلَمْ أَرَ حَادِيَ ٱلْأَظْعَانِ بَالَا

وقولِ الحطيئةِ (٤)　　[من البسيط]

دَعِ ٱلْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا　　وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي



والضَّرْبُ الثالثُ　أن تكونَ لفظةٌ لائقةٌ بما تَقدَّمَها مِنَ الألفاظِ ، وتكونَ مُستقِرَّةً في قرارِها ومُتمكِّنةً في موضعِها ، حتىٰ لا يَسُدَّ مَسدَّها غيرُها ، وإن لم تكنْ قليلةَ الحروفِ ؛ كقولِ الحطيئةِ (٥)　　[من الوافر]

هُمُ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ إِذَا أَلَمَّتْ　　مِنَ ٱلْأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاؤُوا

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٢٣٨)

(٢) في « الديوان » و« الصناعتين » (مخوف) بدل (مخوفاً)

(٣) انظر « ديوان ذي الرمة » (١٥٠٦/٣)

(٤) تقدم (١٩٥/٢)

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٠)

وقولِ آخرَ [١] [من الكامل]

صَلَّى ٱلْإِلَـٰهُ عَلَى ٱمْرِئٍ وَدَّعْتُهُ ... وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

وقولِ البحتريِّ [٢] [من المتقارب]

ظَلَلْنَا نُرَجِّمُ فِيكَ ٱلظُّنُونَ ... أَحَاجِبُهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِمُهْ

وقولِ أبي نُواسٍ [٣] [من الطويل]

إِذَا ٱمْتَحَنَ ٱلدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ ... لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

[ذكرُ شيءٍ ممَّا عِيبَ مِنَ القوافي]

وممَّا عِيبَ مِنَ القوافي قولُ ابنِ الرُّقيَّاتِ وقدْ أنشدَ عبدَ الملكِ [٤] [من الكامل]

إِنَّ ٱلْحَوَادِثَ بِٱلْمَدِينَةِ قَدْ ... أَوْجَعْنَنِي وَقَرَعْنَ مَرْوَتِيَهْ

[وَجَبَبْنَنِي] جَبَّ ٱلسَّنَامِ فَلَمْ ... يَتْرُكْنَ رِيشاً فِي مَنَاكِبِيَهْ

فقالَ لهُ عبدُ الملكِ أحسنتَ ، إلَّا أنَّكَ تخنَّثتَ في قوافيهِ ، فقالَ ما عدوتُ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [٥] ، وليسَ كما قالَ ؛ لأنَّ فاصلةَ الآيةِ حسنةُ الموقعِ ، وفي قوافي شعرِهِ لينٌ ، يُدرَكُ ذٰلكَ بالوجدانِ ، وسببُهُ اللفظيُّ أنَّ فواصلَ الآيةِ كائنةٌ مِنْ مدَّةٍ وحركتَينِ وحرفِ السكتِ ، وقوافيهِ مِنْ ساكنٍ يابسٍ أو لينٍ ، وثلاثِ حركاتٍ ، وحرفِ السكتِ ،

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٠)

(٢) انظر « ديوان البحتري » (١/٢٧٢) ، و« الصناعتين » (ص ٤٧٠)

(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (٧١٤)

(٤) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (٩٨)

(٥) سورة الحاقة (٢٨ ـ ٢٩)

فتجدُ في الآيةِ مِنَ الشدَّةِ بقدرِ ما تجدُ في أبياتِهِ مِنَ اللينِ ، ولذٰلكَ وصفَهُ عبدُ الملكِ بالتخنُّثِ ، وهوَ التشبُّهُ بالمُخنَّثينَ في التلفُّظِ ، والمُخنَّثُ الرجلُ في خلائقِ النساءِ طبعاً أو تطبُّعاً

ومِنْ عيوبِ القوافي أن تكونَ القافيةُ مستدعاةً لا تفيدُ معنىً ، وإنَّما أُورِدَتْ ليستويَ الرويُّ فقطْ

قلتُ[1] وهٰذا مِنْ أقبحِ عيوبِ الشعرِ ؛ فإنَّ الشعرَ إنَّما هوَ بالقوافي ، وإذا احتاجَ مَنْ يريدُ أن يقولَ الشعرَ لمثلِ ذٰلكَ فراحةُ الناسِ في سكوتِهِ ، مثلُ قولِ أبي تمامٍ[2] [من الكامل]

كَٱلظَّبْيَةِ ٱلْأَدْمَاءِ صَافَتْ وَٱرْتَعَتْ زَهْرَ ٱلْعَرَارِ ٱلْغَضِّ وَٱلْجَثْجَاثَا

ليسَ في وصفِ الظبيةِ بأنَّها ترتعي الجثجاثَ فائدةٌ ، وسواءٌ رعَتِ الجثجاثَ أو القلامَ أو غيرَ ذٰلكَ مِنَ النباتِ ، وإذا قصدَ لنعتِ الظبيةِ بزيادةِ حسنٍ قيلَ إنَّها تعطو الشجرَ ؛ لأنَّها حينَئذٍ ترفعُ رأسَها فيطولُ جيدُها ، وتظهرُ محاسنُها ، كما قالَ [من الكامل]

وَٱلْجِيدُ مِنْهَا جِيدُ جَازِيَةٍ تَعْطُو إِذَا مَا طَالَهَا ٱلْمَرْدُ

وقريبٌ منهُ قولُ الآخرِ[3] [من الطويل]

وَسَابِغَةِ ٱلْأَذْيَالِ زَغْفٍ مُفَاضَةٍ يُكَفْكِفُهَا عَنِّي [بِجَادٌ] مُخَطَّطُ

وليسَ لتخطيطِ [البجادِ] معنىً يرجعُ إلى السيفِ ، ولا إلى الدرعِ

---

(١) هو المؤلف ضمن نقله لكلام صاحب « الصناعتين »

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٣١٢/١) ، و« الصناعتين » (ص ٤٧١)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٢)

قلتُ وإذا انتهىٰ إلىٰ أن يقولَ كما يقولُ بعضُ المُصنِّفينَ القيدُ لبيانِ الواقعِ يُقالُ وما حيلةُ المُضطَرِّ إلَّا باردُ العذرِ ، ومثلُهُ قولُ آخَرَ (١) [من البسيط]

أَأَنْشُرُ ٱلْبَزَّ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَأَنْثُرُ ٱلدُّرَّ بَيْنَ ٱلْعُمْيِ فِي ٱلْغَلَسِ

وليسَ لذكرِ الغَلَسِ معَ العمىٰ معنىً ؛ لأنَّ الأعمىٰ يستوي عندَهُ الغَلَسُ والهاجرةُ ، ولو قالَ (العُمُشِ) لكانَ أقربَ مِنَ العمىٰ ، علىٰ أنَّ الجميعَ لا خيرَ فيهِ

وقولُ ابنِ الروميِّ (٢) [من الطويل]

أَلَا رُبَّمَا سُؤْتُ ٱلْغَيُورَ وَسَاءَنِي وَبَاتَ كِلَانَا مِنْ أَخِيهِ عَلَىٰ وَحْرِ

وَقَبَّلْتُ أَفْوَاهاً عِذَاباً كَأَنَّهَا يَنَابِيعُ خَمْرٍ حُصِّبَتْ لُؤْلُؤَ ٱلْبَحْرِ

فقولُهُ (لؤلؤَ البحرِ) أفسدَ البيتَ وأطفأَ نورَهُ ؛ لأنَّ اللُّؤلؤَ لا يكونُ في النهرِ ولا غيرِهِ مِنَ المواضعِ ، فنسبتُهُ إلى البحرِ لا فائدةَ فيهِ إلَّا إقامةُ الرويِّ



(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٧٢)

(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (٣/٩١٢)

[تمييزُ الكلامِ جيّدِهِ من رديئِهِ]

هٰذا ؛ وروحُ المقصودِ بالنقلِ مِنْ كتابِ أبي هلالٍ قولُهُ في تمييزِ الكلامِ جيدِهِ مِنْ رديئِهِ ، ونادرِهِ من باردِهِ ، قالَ[1] الكلامُ ـ أيّدَكَ اللهُ ـ بحسنِ سلاستِهِ ، وسهولتِهِ ، وصناعتِهِ[2] ، وتخيُّرِ لفظِهِ ، وإصابةِ معناهُ ، وجودةِ مَطالعِهِ ، ولينِ معاطفِهِ ، واستواءِ تقاسيمِهِ ، وتعادلِ أطرافِهِ ، وتشبيهِ أعجازِهِ بهواديهِ ، وموافقةِ مآخيرِهِ لمباديهِ ، معَ قِلَّةِ ضروراتِها بل عدمِها أصلاً ؛ حتىٰ لا يكونَ لها في الألفاظِ أثرٌ ، فتجدُ المنظومَ مثلَ المنثورِ في سهولةِ مطلعِهِ ، وجودةِ مقطعِهِ ، وحسنِ رصفِهِ وتأليفِهِ ، وكمالِ صوغِهِ وتركيبِهِ ، فإذا كانَ الكلامُ كذٰلكَ صارَ بالقَبولِ حقيقاً ، وبالتحفُّظِ خليقاً ؛ كقولِ القائلِ[3] [من البسيط]

هُمُ ٱلأُلَىٰ وَهَبُوا لِلْمَجْدِ أَنْفُسَهُمْ ... فَمَا يُبَالُونَ مَا نَالُوا إِذَا حُمِدُوا

وقولِ معنِ بنِ أوسٍ[4] [من الطويل]

لَعَمْرِي مَا [أَهْوَيْتُ] كَفِّي لِرِيبَةٍ ... وَلَا حَمَلَتْنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رِجْلِي

وَلَا قَادَنِي سَمْعِي وَلَا بَصَرِي لَهَا ... وَلَا دَلَّنِي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِي

وَأَعْلَمُ أَنِّي لَمْ تُصِبْنِي مُصِيبَةٌ ... مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلَّا قَدْ أَصَابَتْ فَتىً قَبْلِي

وَلَسْتُ بِمَاشٍ مَا حَيِيتُ لِمُنْكَرٍ ... مِنَ ٱلْأَمْرِ لَا يَمْشِي إِلَىٰ مِثْلِهِ مِثْلِي

وَلَا مُؤْثِرٍ نَفْسِي عَلَىٰ ذِي قَرَابَةٍ ... وَأُوثِرُ ضَيْفِي مَا أَقَامَ عَلَىٰ أَهْلِي

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦١)

(٢) في « الصناعتين » (ونصاعته)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٦١)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٦١)

وقالَ الآخَرُ (١) [من الطويل]

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَىٰ جَانِبِ ٱلْغِنَىٰ ... إِذَا كَانَتِ ٱلْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ ٱلْفَقْرِ

وَقالَ آخَرُ (٢) [من الطويل]

ذَرِينِي أَسِيرُ فِي ٱلْبِلَادِ لَعَلَّنِي ... أُصِيبُ فَتىً فِيهِ لَدَى ٱلْحَقِّ مَحْمِلُ

فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَسْطِعْ دِفَاعاً لِحَادِثٍ ... تَجِيءُ بِهِ ٱلْأَيَّامُ فَٱلصَّبْرُ أَجْمَلُ

أَلَيْسَ كَثِيراً أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ ... وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْحُقُوقِ مُعَوَّلُ

ومِمَّا هوَ صحيحٌ في وصفِهِ ، جيدٌ في رصفِهِ قولُ الشنفرىٰ (٣) [من الطويل]

أُطِيلُ مِطَالَ ٱلْجُوعِ حَتَّىٰ أُمِيتَهُ ... وَأَضْرِبُ عَنْهُ ٱلْقَلْبَ صَفْحاً فَيَذْهَلُ

وَلَوْلَا ٱجْتِنَابُ ٱلذَّمِّ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ ... يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَأْكَلُ

وَلَكِنَّ نَفْساً حُرَّةً مَا تُقِيمُ بِي ... عَلَى ٱلضَّيْمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

وقولُ بشارٍ (٤) [من الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى ٱلْقَذَىٰ ... ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

وقولُ دِعْبِلٍ (٥) [من الطويل]

وَمَا إِنْ قَتَلْنَاهُمْ بِأَكْثَرَ مِنْهُمُ ... وَلَكِنْ بِأَوْفَىٰ لِلطِّعَانِ وَأَكْرَمَا

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٢)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٢)

(٣) انظر « ديوان الشنفرىٰ » (ص ٤٦)

(٤) تقدم ضمن أبيات (٢/٣٥ ـ ٣٦)

(٥) انظر « ديوان دعبل الخزاعي » (ص ٢٣٧) ، و« الصناعتين » (ص ٦٢) ، وإنما البيت الأول لشاعر آخر كما يظهر في « الصناعتين »

وَإِنَّ ٱمْـرَأً أَمْـسَـتْ مَـسَـاقِـطُ رَأْسِـهِ ... بِأَسْوَانَ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ ٱلْحَزْمُ مَعْلَمَا

حَلَلْتُ مَحَلّاً يَقْصُرُ ٱلطَّرْفُ دُونَهُ ... وَيَعْجِزُ عَنْهُ ٱلطَّيْفُ أَنْ يَتَجَشَّمَا

وقولُ النابغةِ[1] [من الطويل]

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لَا تَلُمُّهُ ... عَلَىٰ شَعَثٍ أَيُّ ٱلرِّجَالِ ٱلْمُهَذَّبُ

وليسَ لهٰذا البيتِ نظيرٌ في كلامِ العربِ ، قالَ بعضُهُم نظيرُهُ قولُ أوسِ بنِ حجرٍ[2] [من الوافر]

وَلَسْتُ بِخَابِىءٍ أَبَداً طَعَاماً ... حِذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامُ

هٰذا ؛ وإن كانَ نظيرَهُ في التأليفِ ، فإنَّهُ دونَهُ ؛ لِمَا تَكرَّرَ فيه مِنْ لفظِ (غدٍ) ، فإذا كانَ الكلامُ قد جمعَ العُذوبةَ والجَزالةَ والسُّهولةَ والرَّصانةَ معَ السلاسةِ والصناعةِ ، واشتملَ على الرونقِ والطُّلاوةِ ، وسَلِمَ مِنْ حيفِ التأليفِ ، وبَعُدَ مِنْ سماجةِ التركيبِ ، ووردَ على الفهمِ الثاقبِ قَبِلَهُ ولم يَرُدَّهُ ، وعلى السَّمعِ المصيبِ استوعبَهُ ولم يمجُّهُ ، والنفسُ تقبلُ اللطيفَ ، وتنبو عنِ الغليظِ ، وجميعُ جوارحِ البدنِ وحواسِّهِ تسكنُ إلىٰ ما توافقُهُ ، وتنفرُ عمَّا تُضادُّهُ وتخالفُهُ ؛ فالعينُ تألفُ الحسنَ ، وتَقْذَىٰ بالقبيحِ ، والأنفُ يرتاحُ للطِّيبِ ، ويَعافُ المنتنَ ، والفمُ يلتذُّ بالحلوِ ، ويَمجُّ المُرَّ ، والسمعُ يَتشوَّفُ للصوتِ الرائعِ ، وينزوي عنِ الجهيرِ الهائلِ ، واليدُ تنعمُ باللِّينِ ، وتَتأذَّىٰ بالخشنِ ، والفهمُ يأنسُ بالكلامِ المعروفِ ، ويسكنُ إلى المألوفِ ، ويصغي إلى الصَّوابِ ، ويهربُ مِنَ المحالِ ، وينقبضُ عنِ الوخمِ ، ويَتأخَّرُ عنِ الجافي الغليظِ ، ولا يقبلُ الكلامَ المُضطرِبَ إلَّا الفهمُ المُضطرِبُ ، والرويةُ الفاسدةُ

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٤)

(٢) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ١١٥) ، و« الصناعتين » (ص ٦٣)

وليسَ الشأنُ في إيرادِ المعاني ؛ لأنَّ المعانيَ يعرفُها العربيُّ والأعجميُّ ، والقرويُّ والبدويُّ ، وإنَّما هوَ في جودةِ اللفظِ وصفائِهِ ، وحسنِهِ وبهائِهِ ، ونزاهتِهِ ونقائِهِ ، وكثرةِ طُلاوتِهِ ومائِهِ ، معَ صحةِ السبكِ والتركيبِ ، والخلوِ مِنَ النظمِ والتأليفِ ، وليسَ يطلبُ مِنَ المعنىٰ إلَّا أن يكونَ صواباً ، ولا يقنعُ مِنَ اللفظِ بذٰلكَ حتىٰ يكونَ علىٰ ما وصفناهُ مِنْ نعوتِهِ التي تَقَدَّمَتْ ، ألا ترىٰ إلىٰ قولِ حبيبِ بنِ أوسٍ[1] [من الكامل]

مُسْتَسْلِمٌ لِلهِ سَائِسُ أُمَّةٍ لِذَوِي تَجَهْضُمِهَا لَهُ ٱسْتِسْلَامُ

فإنَّهُ أتىٰ بصوابِ اللفظِ ، وليسَ هوَ بحسنٍ ولا مقبولٍ

وقالَ أبو داوودَ[2] رأسُ الخطابةِ الطبعُ ، وعمودُها الدُّربةُ ، وجناحُها روايةُ الكلامِ ، وحليُها الإعرابُ ، وبهاؤُها تَخيُّرُ الألفاظِ ، والمحبةُ مقرونةٌ بقِلَّةِ الاستكراهِ ، وأنشدَ [من الكامل]

يَرْمُونَ بِٱلْخُطَبِ ٱلطِّوَالِ وَتَارَةً وَحْيَ ٱلْمَلَاحِظِ خَشْيَةَ ٱلرُّقَبَاءِ

[مدارُ البلاغةِ علىٰ تحسينِ اللفظِ]

ومِنَ الدليلِ علىٰ أنَّ مدارَ البلاغةِ تحسينُ اللفظِ أنَّ الخطبَ الفائقةَ والأشعارَ الرائقةَ ما عُمِلَتْ لإفهامِ المعاني فقطْ ؛ لأنَّ الرديءَ مِنَ الألفاظِ يقومُ مقامَ الجيدِ منها في الإفهامِ ، وإنَّما يَدُلُّ حسنُ الكلامِ ، وإحكامُ الصنعةِ ، ورونقُ ألفاظِهِ ، وجودةُ مقاطعِهِ ، وبديعُ مباديهِ ، وغريبُ مبانيهِ علىٰ فضلِ قائلِهِ ، وفهمِ منشيهِ ، وأكثرُ هٰذهِ الأوصافِ ترجعُ إلى الألفاظِ دونَ المعاني ، ولهٰذا يتأنَّقُ الكاتبُ في الرسالةِ ، والخطيبُ في الخُطبةِ ، والشاعرُ

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/١٥٣)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٤)

في القصيدةِ ، ويبالغونَ في تجويدِها ، ويغلونَ في ترتيبِها ؛ ليدلُّوا علىٰ براعتِهِم ، وحذقِهِم بصناعتِهِم ، ولو كانَ الأمرُ في المعاني لَطرحوا أكثرَ ذٰلكَ ، فربحوا كدّاً كثيراً ، وأسقطوا عن أنفسِهِم تعباً طويلاً

ودليلٌ آخرُ أنَّ الكلامَ إذا كانَ لفظُهُ حلواً عذباً ، وسلساً سهلاً ، ومعناهُ وسطاً دخلَ في جملةِ الجيِّدِ ، وجرىٰ معَ الرائعِ النادرِ ؛ كقولِ الشاعرِ (١) [من الطويل]

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنىً كُلَّ حَاجَةٍ ... وَمسَّحَ بِٱلْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

وَشُدَّتْ عَلَىٰ حُدْبِ ٱلْمَهَارِي رِحَالُنَا ... وَلَمْ يَنْظُرِ ٱلْغَادِي ٱلَّذِي هُوَ رَائِحُ

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ ٱلْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ... وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ ٱلْمَطِيِّ ٱلْأَبَاطِحُ

فليسَ تحتَ هٰذهِ الألفاظِ كبيرُ معنىً ، وهيَ رائقةٌ معجبةٌ ، وإنَّما المعنىٰ ولمَّا قضينا الحجَّ ومسَّحْنا ، وشُدَّتْ رحالُنا علىٰ مهاري الإبلِ . سرْنا نتحدَّثُ في بطونِ الأوديةِ

وباردُ الشعرِ مثلُ قولِ عمرِو بنِ معديكربَ (٢) [من السريع]

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمَىٰ وَجَارَاتُهَا ... مَا قَطَّرَ ٱلْفَارِسَ إِلَّا أَنَا

شَكَكْتُ بِٱلرُّمْحِ سَرَابِيلَهُ ... وَٱلْخَيْلُ تَعْدُو زِيَماً حَوْلَنَا

زيماً ؛ أي مُتفرِّقةً

وقولِ أبي العتاهيةِ (٣) [من المديد]

مَاتَ وَٱللهِ سَعِيدُ بْنُ وَهْبِ ... رَحِمَ ٱللهُ سَعِيدَ بْنَ وَهْبِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٥)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٥)

(٣) انظر « ديوان أبي العتاهية » (ص ٤٩٥)

يَـا أَبَـا عُـثْـمَـانَ أَبْـكَـيْـتَ عَـيْـنِـي يَـا أَبَـا عُـثْـمَـانَ أَبْـكَـيْـتَ قَـلْـبِـي

والباردُ في شعرِ أبي العتاهيةِ كثيرٌ

والشعرُ كلامٌ منسوجٌ ، ولفظٌ منظومٌ ، وأحسنُهُ ما تلاءمَ نسجُهُ ولم يسخفْ ، وحَسُنَ نظمُهُ ولم يهجنْ ، ولم يُستعمَلْ فيهِ الغليظُ مِنَ الكلامِ فيكونَ جلفاً بغيضاً ، ولا السُّوقيُّ مِنَ الألفاظِ فيكونَ مهلهلاً دُوَيناً ؛ فالبغيضُ كقولِ أبي تمامٍ[١] [من الكامل]

قَدْ كَانَ حُزْنُ ٱلْخَطْبِ فِي أَحْزَانِهِ حَـتَّـىٰ دَعَـاهُ ٱلْـحَـيْـنُ لِـلْإِسْـهَـالِ

جَعَلُوا ٱلْقَنَا ٱلدَّرَجَاتِ [لِلْكَذَجَاتِ] ذَا تِ ٱلْـغِـيـلِ وَٱلْـحَـرَجَـاتِ وَٱلْأَدْحَـالِ

قلتُ هٰذانِ البيتانِ المُستكرَهانِ مِنْ أبياتِ قصيدةٍ فتحيَّةٍ معتصميةٍ ، مِنْ غررِ قصائدِ أبي تمامٍ ، البيتُ الأوَّلُ في صفةِ حالِ العدوِّ أوّلاً وآخراً ؛ وذٰلكَ أنَّهُ كانَ ممتنعاً بإقامتِهِ في أماكنَ مرتفعةٍ وعرةٍ ذاتِ أشجارٍ ومهاوي ، فكانَ لا يقدرُ عليهِ ، وهوَ معنىٰ قولِهِ

قَدْ كَانَ حَزْنُ ٱلْخَطْبِ فِي أَحْزَانِهِ

أي أشدُّ الخطبِ في سكناهُ حزنَ الأرضِ ، وهوَ ضدُّ السهلِ ، والبيتُ الثاني في صفةِ عسكرِ المعتصمِ ؛ أي : جعلوا القنا سُلَّماً لهٰذهِ المواضعِ المرتفعةِ الوعرةِ المشتملةِ على الشجرِ المُلتفِّ ؛ وهوَ الغيلُ والحرجاتُ ، ومهاوٍ ؛ وهيَ الأدحالُ ، وقولِهِ[٢] [من المنسرح]

يَـا دَهْـرُ قَـوِّمْ مِـنْ أَخْـدَعَـيْـكَ فَـقَـدْ أَضْـجَـجْـتَ هَـٰذَا ٱلْأَنَـامَ مِنْ خُرُقِكْ

ولا خيرَ في المعاني إذا استُكرِهَتْ قهراً ، والألفاظِ إذا أُجبِرَتْ قَسْراً ، ولا

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/١٣٧ ـ ١٣٨)

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٢/٤٠٥)

خيرَ فيما أُجيدَ لفظُهُ إذا سَخُفَ معناهُ ، ولٰكنْ في غرابةِ المعنىٰ إذا شَرُفَ لفظُهُ ، معَ وضوحِ المغزىٰ ، وظهورِ المقصدِ

وقدْ غلبَ الجهلُ علىٰ قومٍ فصاروا يستجيدونَ الكلامَ إذا لم يقفوا علىٰ معناهُ إلا بكَدٍّ ، ويستعظمونَهُ إذا وجدوا ألفاظَهُ كَزَّةً غليظةً ، ويَستحقِرونَ الكلامَ إذا رأَوهُ سلساً عذباً ، وسهلاً حلواً ، ولم يعلموا أنَّ السهلَ أمنعُ جانباً ، وأعزُّ مطلباً ، وهوَ أحسنُ موقعاً ، وأعذبُ مستمعاً ، ولهٰذا قيلَ أجودُ الكلامِ السهلُ الممتنعُ

ويُحكىٰ[1] أنَّ الفضلَ بنَ سهلٍ وصفَ عمرَو بنَ مسعدةَ فقالَ هوَ أبلغُ الناسِ ، ومِنْ بلاغتِهِ يَظُنُّ الظانُّ أنَّهُ يكتبُ مثلَ كتبِهِ ، فإذا رامَها تَعذَّرَتْ عليهِ

وأنَّ إبراهيمَ بنَ العباسِ بنِ الأحنفِ أنشدَ يوماً بعض أصحابِهِ[2] [من السريع]

إنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ وَإنْ سِيلَ لَمْ ... يَبْذُلْ وَإنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتِبِ
صَبٌّ بِعِصْيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي ... لَا تَشْرَبِ ٱلْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ

ثمَّ قالَ هٰذا واللهِ الشعرُ ، الحسنُ المعنى ، السهلُ اللفظِ ، العذبُ المُستمَعِ ، القليلُ النظيرِ ، العزيزُ الشبيهِ ، المُطمِعُ المُمتنِعُ ، البعيدُ معَ قربِهِ ، الصَّعبُ معَ سهولةٍ ، فجعلَ أصحابُهُ يقولونَ هٰذا الكلامُ واللهِ أحسنُ مِنْ شعرِهِ

وأنَّهُ قيلَ للسيدِ الحميريِّ ألا تستعملُ الغريبَ في شعرِكَ ؟ فقالَ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٧)

(٢) انظر « ديوان إبراهيم بن العباس بن الأحنف » (ص ٢٣) ، و« الصناعتين » (ص ٦٧)

ذٰلك عِيٌّ في زماني ، وتَكلُّفٌ منِّي لو قلتُهُ ، وقد رُزِقتُ طبعاً واتساعاً في الكلامِ ، وأنا أقولُ ما يَعرِفُهُ الصغيرُ والكبيرُ ، ولا يحتاجُ إلىٰ تفسيرٍ ، ثمَّ أنشدَ (١) [من الطويل]

أَيَا رَبِّ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِٱلَّذِي بِهِ مَدَحْتُ عَلِيّاً غَيْرَ وَجْهِكَ فَٱرْحَمِ

فهٰذا كلامُ عاقلٍ يضعُ الشيءَ موضعَهُ ، ويستعملُهُ في إبَّانِهِ



ومِنَ الكلامِ المطبوعِ السهلِ (٢) ما وَقَّعَ بهِ عليُّ بنُ عيسىٰ قد بَلَّغتُكَ أقصىٰ طَلِبَتِكَ ، وأنلتُكَ غايةَ بغيتِكَ ، وأنتَ معَ ذٰلكَ تَستقِلُّ كثيري ، وتستقبحُ حسني فيكَ ، فأنتَ كما قيلَ [من مشطور الرجز]

كَالْحُوتِ لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهْ
يُصْبِحُ ظَمْآنَ وَفِي ٱلْبَحْرِ فَمُهْ

ومِنَ المنظومِ المُطمِعِ المُمتنِعِ قولُ البحتريِّ عفا اللهُ عنهُ (٣) [من الخفيف]

أَيُّهَا ٱلْعَاتِبُ ٱلَّذِي لَيْسَ يَرْضَىٰ نَمْ هَنِيئاً فَلَسْتُ أَطْعَمُ غُمْضَا
إِنَّ بِي مِنْ هَوَاكَ وَجْداً قَدِ ٱسْتَهْـ ـلَكَ نَوْمِي وَمَضْجَعاً قَدْ أَقَضَّا
فَجُفُونِي فِي عَبْرَةٍ لَيْسَ تَرْقَىٰ وَفُؤَادِي فِي لَوْعَةٍ مَا تَقَضَّىٰ
أَحْيِنِي بِٱلْوِصَالِ إِنْ كَانَ جُوداً وَأَثِبْنِي بِٱلْحُبِّ إِنْ كَانَ قَرْضَا
بِأَبِي شَادِنٌ تَعَلَّقَ قَلْبِي بِجُفُونٍ فَوَاتِرِ ٱللَّحْظِ مَرْضَىٰ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٦٧)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٨)
(٣) انظر « ديوان البحتري » (٢/١٢١٤ ـ ١٢١٦) ، و« الصناعتين » (ص ٦٨ ـ ٦٩)

لَسْتُ أَنْسَاهُ إِذْ بَدَا مِنْ قَرِيبٍ ... يَتَثَنَّىٰ تَثَنِّيَ ٱلْغُصْنِ غَضَّا
وَٱعْتِذَارِي إِلَيْهِ حِينَ تَجَافَىٰ ... لِيَ عَنْ بَعْضِ مَا أَتَيْتُ وَأَغْضَىٰ
وَٱعْتِلَاقِي تُفَّاحَ خَدَّيْهِ تَقْبِيـ ... ـلاً وَلَثْماً طَوْراً وَشَمّاً وَعَضَّا
أَيُّهَا ٱلرَّاكِبُ ٱلَّذِي طَلَبَ ٱلْجُو ... دَ فَأَبْكَىٰ كُومَ ٱلْمَطَايَا وَأَنْضَىٰ
زُرْ حِيَاضَ ٱلْإِمَامِ تَلْقَ نَوَالاً ... وَسِعَ ٱلرَّاغِبِينَ طُولاً وَعَرْضَا
هُوَ أَنْدَىٰ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَأَوْحَىٰ ... وَقَعَاتٍ مِنَ ٱلْحُسَامِ وَأَمْضَىٰ
يَتَوَخَّى ٱلْإِحْسَانَ قَوْلاً وَفِعْلاً ... وَيُطِيعُ ٱلْإِلَٰهَ بَسْطاً وَقَبْضَا
فَضَّلَ ٱللهُ جَعْفَراً بِخِلَالٍ ... جَعَلَتْ حُبَّهُ عَلَى ٱلنَّاسِ فَرْضَا

ويقولُ فيها

وَأَرَى ٱلْمَجْدَ بَيْنَ عَارِفَةٍ مِنْـ ... ـكَ تُرَجَّىٰ وَعَزْمَةٍ مِنْكَ تُمْضَىٰ

قلتُ قولُ البحتريِّ (أيُّها العاتبُ الذي ليسَ يرضىٰ) لم يقلْ أيُّها الساخطُ الذي ليسَ يرضىٰ ؛ ليحصلَ الطِّباقُ في كلامِهِ ، معَ ولوعِهِم بالبديعِ إذ ذاكَ ؛ لأنَّ لفظَ العاتبِ آدَبُ وأحشمُ ، معَ أنَّهُ لم يفتْهُ الطِّباقُ ؛ فإنَّ العتبَ يستلزمُ السُّخطَ ، فاجتمعَ لهُ معَ الطِّباقِ المعنويِّ الكنايةُ الظريفةُ ، فهوَ مِنْ تخيُّرِ الألفاظِ ، ونبَّهتُكَ بهٰذا لأن تَصرِفَ التفاتَكَ إلىٰ ملاحظةِ مثلِهِ ، فتلتزمَ التأنِّيَ في تَعرُّفِ لطائفِ الكلامِ ، فلا تدرسْهُ درساً وتمرَّ عليه مرّاً بحيثُ تفوتُكَ بغيتُكَ وأنتَ مكدودٌ في طلبِها

وقولُهُ (أبكىٰ كومَ المطايا) ليسَ مِنَ البكاءِ ، وإنَّما هوَ مِنَ البكْءِ ؛ وهوَ ذهابُ اللبنِ ، بكأَتِ الناقةُ كمَنَعَ ، فهوَ وما بعدَهُ عبارةٌ عن إهزالِ المطايا تدريجاً

ومِنْ هٰذا الموضعِ تَعرِفُ أنَّهُ ينبغي أن تكونَ الأمورُ علىٰ حَسَبِ الأزمنةِ ، فربَّما كانَ الأمرُ مستحسناً في زمنٍ حَسَبَ أحوالِ أهلِهِ ، ويصيرُ في زمنٍ آخَرَ غيرَ مستحسنٍ حَسَبَ تغيُّرِ الأحوالِ ، ألا ترىٰ أنَّ الشِّعرَ في الصَّدرِ الأوَّلِ كانَ علىٰ صورةٍ لم يكنْ عليها بعدُ ، حتىٰ دخلَ في صورٍ شتَّىٰ ، وكانَ المُتأخِّرُ معيباً باستعمالِهِ في صورةِ الأوَّلِ

ثمَّ هٰذا لا يَخُصُّ الشعرَ والإنشاءَ ، فلقد سمعتَ قولَ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ لا تَقسِروا أولادَكُم علىٰ آدابِكُم ، فإنَّهُم مخلوقونَ لزمانٍ غيرِ زمانِكُم (١)

وكانَ أخذُ الأجرةِ علىٰ تعليمِ القرآنِ محكوماً بحرمتِهِ ، ثمَّ أفتى العلماءُ بعدُ بجوازِهِ للضَّرورةِ ، ولذٰلكَ شواهدُ كثيرةٌ ، وهٰذهِ الإشارةُ كافيةٌ ، ونرجعُ لِمَا نحنُ فيهِ ، قالَ أبو هلالٍ (٢) ومِنْ أمثلةِ السهلِ قولُ محمدِ بنِ وهبٍ (٣) [من الكامل]

مَا زَالَ يُلْثِمُنِي مَرَاشِفَهُ ... وَيُعِلُّنِي ٱلإِبْرِيقُ وَٱلْقَدَحُ
حَتَّى ٱسْتَرَدَّ ٱللَّيْلُ خِلْعَتَهُ ... وَنَشَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ
وَبَدَا ٱلصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ... وَجْهُ ٱلْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ
أَنْتَ ٱلَّذِي بِكَ يَنْقَضِي [فَرَجاً] ... ضِيقُ ٱلْبِلَادِ لَنَا وَيَنْفَسِحُ
نَشَرَتْ بِكَ ٱلدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا ... وَتَزَيَّنَتْ بِصِفَاتِكَ ٱلْمِدَحُ

❊ ❊

(١) تقدم (٣/١٩٣)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٦٩)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٦٩ ـ ٧٠)

ومِنَ السهلِ المطبوعِ المختارِ الجيدِ قولُ الآخَرِ (١) [من مجزوء الوافر]

صَـرَفْـتَ ٱلـدَّهْـرَ فَـٱنْـصَـرَفَـا وَلَـمْ تَـرُعَ ٱلَّـذِي سَـلَـفَـا
وَبِـنْـتَ فَـلَـمْ أَذُبْ كَـمَـداً عَـلَـيْـكَ وَلَـمْ أَمُـتْ أَسَـفَـا
كِـلَانَـا وَاجِـدٌ فِـي ٱلـنَّـا سِ مِـمَّـنْ مَـلَّـهُ خَـلَـفَـا

وليسَ الغرضُ مِنْ سهولةِ الكلامِ وبيانِ معناهُ أن يبلغَ إلىٰ حدِّ مثلِ قولِ بعضِهِم (٢) [من المجتث]

يَـا رَبِّ قَـدْ قَـلَّ صَـبْـرِي وَضَـاقَ بِـٱلْـحُـبِّ صَـدْرِي
وَٱشْـتَـدَّ شَـوْقِـي وَوَجْـدِي وَسَـيِّـدِي لَـيْـسَ يَـدْرِي
مُـغْـفَّـلٌ عَـنْ عَـذَابِـي وَلَـيْـسَ يَـرْحَـمُ ضَـرِّي
إِنْ كَـانَ أُعْـطِـي ٱصْـطِـبَـاراً فَـلَـسْـتُ أَمْـلِـكُ صَـبْـرِي
أَنَـا ٱلْـفِـدَا لِـغَـزَالٍ دَنَـا فَـقَـبَّـلَ نَـحْـرِي
وَقَـالَ لِـي مِـنْ قَـرِيـبٍ يَـا لَـيْـتَ بَـيْـتَـكَ قَـبْـرِي

فإنَّهُ إذا لانَ الكلامُ حتىٰ يصيرَ إلىٰ هـٰذا الحدِّ فليسَ فيهِ خيرٌ ، لا سيَّما إذا ارتُكِبَتْ فيهِ مثلُ هـٰذهِ الضَّروراتِ ؛ فإنَّ تسكينَ الياءِ مِنْ (أُعطي) غيرُ جائزٍ ، والفداءُ ممدودٌ قصرَهُ



وأمَّا الجزلُ المُختارُ مِنَ الكلامِ (٣) فهوَ الذي تَعرِفُهُ فُطناءُ العامَّةِ إذا

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٠)

سمعوهُ ، ولا يستعملونَهُ في محاوراتِهِم ؛ كقولِ القائلِ[1] [من البسيط]

لَا تَسْأَلِ ٱلْقَوْمَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ ... قَدْ يُقْتِرُ ٱلْمَرْءُ يَوْماً وَهُوَ مَحْمُودُ
أَمْضِي عَلَىٰ سُنَّةٍ مِنْ وَالِدِي سَلَفَتْ ... وَفِي أَرُومَتِهِ مَا يُنْبِتُ ٱلْعُودُ

ومِنَ النثرِ[2] قولُ يحيى بنِ خالدٍ أعطانا الدهرُ فأسعفَ ، ثمَّ عطفَ علينا فعسفَ

قلتُ يحيىٰ هٰذا هوَ ابنُ خالدِ بنِ برمكَ ، أبو الفضلِ وجعفرٌ ، وهُمُ الوزراءُ المشهورونَ بالبرامكةِ ، وكانوا بلغوا مِنَ المنزلةِ وعُلُوِّ الشأنِ مبلغاً لم يَصِلْهُ غيرُهُم ، وكانَ الرشيدُ يقولُ ليحيىٰ يا أبي ؛ لكونِهِ كانَ تولَّىٰ تربيتَهُ ، وكانَ يُسمِّي الفضلَ وجعفراً أخويهِ ، ثمَّ لم تزلْ بهِمُ الأيامُ حتى اقتضَتْ أسبابٌ تغيُّرَ قلبِ الخليفةِ عليهِم تغيراً أوجبَ حبسَهُم وإهانتَهُم ، وإخلاءَ الدنيا منهُم ، ومِنْ شعرِ يحيىٰ وهوَ في السِّجنِ [من الخفيف]

سَأَلُونَا عَنْ حَالِنَا كَيْفَ أَنْتُمْ ... مَنْ هَوَىٰ عَرْشُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ
نَحْنُ قَوْمٌ أَصَابَنَا عَنَتُ ٱلدَّهْـ ... ـرِ فَظَلْنَا لِحُكْمِهِ نَسْتَكِينُ

وجميعُ كلامِهِم نثراً ونظماً كانَ علىٰ هٰذهِ الصُّورةِ ، فرحمَهُمُ اللهُ تعالىٰ

قالَ أبو هلالٍ[3] ومِنْ شواهدِ ذٰلكَ ما كتبَ [سعيدُ] بنُ حميدٍ في الاستعطافِ واسترجاعِ المَودَّةِ وأنا مَنْ لا يُحاجُّكَ عن نفسِهِ ، ولا يُغالطُكَ عن جرمِهِ ، ولا يلتمسُ رضاكَ إلَّا مِنْ جهتِهِ ، ولا يستدعي هواكَ إلَّا مِنْ طريقتِهِ ، ولا يستعطفُكَ إلَّا بالإقرارِ بالذنبِ ، ولا يستميلُكَ إلَّا بالاعترافِ بالجُرْمِ ، نبَتْ بي عنكَ غِرَّةُ الحداثةِ ، وردَّتْني إليكَ الحنكةُ ، وباعدَتْني

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٧٢)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٢)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٢)

منكَ الثقةُ بالأيامِ ، وقادَتْني إليكَ الضَّرورةُ ، فإن رأيتَ أن تستقبلَ الصَّنيعةَ بقَبولِ العذرِ ، وتُجدِّدَ النعمةَ باطراحِ الحقدِ ؛ فإنَّ قديمَ الحرمةِ وحديثَ التوبةِ يمحقانِ ما بينَهُما مِنَ الإساءةِ ، وإنَّ أيامَ القدرةِ إن طالَتْ قصيرةٌ ، [والمتعةَ] بها وإن كثرَتْ قليلةٌ فعلتَ

وفي هٰذا الكلامِ وما قبلَهُ قُوَّةٌ في سهولةٍ

وممَّا هوَ أجزلُ مِنْ هٰذا[1] قولُ الشعبيِّ للحَجَّاجِ وأرادَ قتلَهُ ؛ لخروجِهِ عليهِ معَ ابنِ الأشعثِ أجدبَ بنا الجنابُ ، وأحزنَ بنا المنزلُ ، فاستحلسنا الحذرَ ، واكتحلْنا السهرَ ، وأصابَتْنا فتنةٌ لم نكنْ فيها بررةً أتقياءَ ، ولا فجرةً أقوياءَ ؛ فعفا عنهُ



فأجودُ الكلامِ[2] ما يكونُ جزلاً سهلاً ، لا يَنغلِقُ معناهُ ، ولا يَستبهِمُ مغزاهُ ، ولا يكونُ مكدوداً مُستكرَهاً ، [ومُتوعِّراً] مُتقعِّراً ، ويكونُ بريئاً مِنَ الغثاثةِ ، عارياً مِنَ الرَّثاثةِ

والكلامُ إذا كانَ لفظُهُ غثّاً ، ومعرضُهُ رثّاً كانَ مردوداً ولوِ احتوىٰ علىٰ أجلِّ معنىً وأنبلِهِ وأرفعِهِ وأفضلِهِ ؛ كقولِ بعضِهِم[3] [من البسيط]

أَرَىٰ رِجَالاً بِأَدْنَى ٱلدِّينِ قَدْ قَنِعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي ٱلْعَيْشِ بِٱلدُّونِ

فَٱسْتَغْنِ بِٱلدِّينِ عَنْ دُنْيَا ٱلْمُلُوكِ كَمَا ٱسْـ تَغْنَى ٱلْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ ٱلدِّينِ

قالَ أبو هلالٍ فمثلُ هٰذا لا يَدخُلُ في جملةِ المختارِ ، ومعناهُ كما تَراهُ نبيلٌ فاضلٌ جليلٌ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٧٢ ـ ٧٣)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٣)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٣)

ولا أرىٰ لمثلِ هـٰذا معنىً [1] ، فهوَ كلامٌ مُنحرِفٌ وضيعٌ ، لم يجعلْ نفسَهُ في الرُّتبةِ التي أعدَّها لهُ الدِّينُ ؛ فإنَّهُ لا ينبغي مِنَ العلماءِ أن يَنعزِلوا ناحيةً عن ساسةِ الناسِ ، بل يجبُ عليهِم أن يخالطوهُم مُخالطةً يَتحيَّنُونَهُم فيها بالموعظةِ ، ويُعطِّفونَهُم على الهدىٰ ، ويرشدونَهُم لصنعِ الجميلِ ؛ فإنَّ الدِّينَ والدنيا لا يَصِحُّ فصلُهُما ، كما قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « لَا [تَسُبُّوا] ٱلدُّنْيَا ، فَنِعْمَتْ مَطِيَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ ، عَلَيْهَا يَبْلُغُ ٱلْخَيْرَ ، وَبِهَا يَنْجُو مِنَ ٱلشَّرِّ » [2]



(١) القائل هنا هو المؤلف ضمن نقله عن صاحب « الصناعتين »

(٢) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (٢٠٥٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه

[خطأُ المعاني وصوابُها]

ثمَّ قالَ أبو هلالٍ[1] وللمعاني خطأٌ وصوابٌ ، وأنا مُنبِّهٌ عليهِما ؛ ليتبعَ مَنْ يريدُ العملَ برسمِنا مواقعَ الصَّوابِ فيلزمَها ، ويقفَ على مواقعِ الخطأ فيجتنبَها ، فنقولُ

إنَّ الكلامَ ألفاظٌ تَشتمِلُ على معانٍ تَدُلُّ عليها ، وتُعبِّرُ عنها ، فيَحتاجُ صاحبُ البلاغةِ إلى إصابةِ المعنى كحاجتِهِ إلى تحسينِ اللفظِ ؛ لأنَّ المَدارَ بعدُ على إصابةِ المعاني ؛ فإنَّها تَحُلُّ مِنَ الكلامِ مَحَلَّ الأبدانِ ، والألفاظُ تجري معَها مَجْرى الكسوةِ ، ومزيةُ إحداهُما على الأخرى معروفةٌ

ومَنْ عرفَ ترتيبَ المعاني واستعمالَ الألفاظِ على وجوهِها بلغةٍ مِنَ اللغاتِ ، ثمَّ انتقلَ إلى لغةٍ أخرى تَهيَّأَ لهُ فيها مِنْ صنعةِ الكلامِ ما تَهيَّأَ لهُ في الأولى ، ألا ترى أنَّ عبدَ الحميدِ الكاتبَ استخرجَ أمثلةَ الكتابةِ التي رسمَها لِمَنْ بعدَهُ مِنَ اللسانِ الفارسيِّ ، فحَوَّلَها إلى اللسانِ العربيِّ ؟! فلا يستكملُ صناعةَ الكلامِ إلَّا بإصابةِ المعنى ، وتصحيحِ اللفظِ ، والمعرفةِ بوجوهِ الاستعمالِ

❊ ❊

والمعاني على ضربَينِ

أحدُهُما يبتدعُهُ صاحبُ الصِّناعةِ مِنْ غيرِ أن يكونَ لهُ فيهِ إمامٌ يقتدي بهِ ، ولا رسومٌ قائمةٌ في أمثلةٍ ماثلةٍ يعملُ عليها ، وهٰذا الضَّرْبُ ربَّما يقعُ عليهِ عندَ الخُطوبِ الحادثةِ ، ويَتبيَّنُهُ عندَ الأمورِ النازلةِ الطارئةِ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٧٥)

والآخَرُ ما يحتذيهِ علىٰ مثالٍ تَقدَّمَ ورسمٍ فرطَ

وينبغي أن يطلبَ الإصابةَ في جميعِ ذٰلكَ ، ويَتوخَّىٰ فيهِ الصورةَ المقبولةَ ، والعبارةَ المستحسنةَ ، ولا يتكلَ فيما ابتكرَهُ علىٰ فضيلةِ ابتكارِهِ إيَّاهُ ، ولا يعتدَّ بابتداعِهِ لهُ ذٰلكَ الاعتدادَ ، فيساهلَ نفسَهُ في تهجينِ صورتِهِ ، فيُذهبَ حسنَهُ ويَطمِسَ نورَهُ ، ويكونَ فيهِ إلى الذمِّ أقربَ منهُ إلى المدحِ



والمعاني بعدَ ذٰلكَ علىٰ وجوهٍ

منها ما هوَ قبيحٌ مستقيمٌ ؛ نحوُ قولِكَ (قد زيداً رأيتُ) ، وإنَّما قَبُحَ ؛ لأنَّكَ أفسدتَ النظامَ بالتقديمِ والتأخيرِ

ومنها ما هوَ مستقيمُ النظمِ وهوَ كذبٌ ؛ مثلُ قولِكَ حملتُ الجبلَ ، وشربتُ ماءَ البحرِ

[ومنها] ما هوَ مُحالٌ ؛ كقولِكَ آتيكَ أمسِ ، وأتيتُكَ غداً ، وكلُّ مُحالٍ فاسدٌ ، وليسَ كلُّ فاسدٍ مُحالاً ، ألا ترىٰ أنَّ قولَكَ (قامَ زيدٌ) فاسدٌ ، وليسَ بمُحالٍ ، فالمُحالُ ما لا يجوزُ كونُهُ ألبتةَ ؛ كقولِكَ الدنيا [في] بيضةٍ ، وأمَّا قولُكَ (حملتُ الجبلَ) وأمثالَهُ فكذبٌ وليسَ بمُحالٍ ؛ لإمكانِ أن يزيدَ اللهُ في قُوَّتِكَ فتحملَهُ

ويجوزُ أن يكونَ الكلامُ الواحدُ كذباً ومحالاً ؛ كقولِكَ رأيتُهُ قائماً قاعداً ، ومررتُ بيقظانَ نائمٍ ، فتصلُ كذباً بمحالٍ ، فصارَ الذي هوَ الكذبُ هوَ المحالَ ؛ بالجمعِ بينَهُما ، وإن كانَ لكلِّ واحدٍ منهُما معنىً علىٰ حيالِهِ

ومنها الغَلَطُ ؛ وهوَ أن يقولَ ضربَني زيدٌ ، وأنتَ تريدُ ضربتُ زيداً ، فغلطتَ ، فإن تعمدتَ كانَ كذباً



وللخطأ صورٌ مختلفةٌ أُنبّهُكَ علىٰ أشياءَ منها ، وأُبيّنُ وجوهَها ، وأشرحُ أبوابَها ؛ لتقفَ عليها فتجتنبَها ، ويكونَ فيما أوردتُ دلالةً علىٰ أمثالِهِ ممَّا تركتُ ، ومَنْ لا يَعرِفُ الخطأَ كانَ جديراً بالوقوعِ فيهِ

فمِنْ ذٰلكَ قولُ امرئِ القيسِ (١) [من الطويل]

أَلَمْ تَسْأَلِ ٱلرَّبْعَ ٱلْقَدِيمَ بِعَسْعَسَا ... كَأَنِّي أُنَادِي أَوْ أُكَلِّمُ أَخْرَسَا

فهٰذا فاسدٌ ؛ لأنَّهُ لا يُقالُ كلمتُ حجراً فلم يجبْني ، فكأنَّهُ كانَ رجلاً

وتبعَهُ أبو نُواسٍ فقالَ يصفُ داراً (٢) [من السريع]

كَأَنَّهَا [إِذْ] خَرِسَتْ حَازِمٌ ... بَيْنَ ذَوِي تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ

والجيدُ قولُ كُثيرٍ في امرأةٍ (٣) [من الطويل]

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ ... إِذَا وُطِّنَتْ يَوْماً لَهَا ٱلنَّفْسُ ذَلَّتِ

كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ ... مِنَ ٱلصُّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا ٱلْعُصْمُ زَلَّتِ

فشَبَّهَ المرأةَ عندَ السكوتِ والتغافلِ بالصَّخرةِ ؛ يعني أنَّ وضعَ التشبيهِ علىٰ أن يُشبَّهَ الضَّعيفُ بالقويِّ إذا لم يكنِ الغرضُ مُجرَّدَ التعريفِ كما سلفَ لكَ في البيانِ

ولا يَحسُنُ التشبيهُ المقلوبُ إلَّا إذا اشتملَ علىٰ نكتةٍ كما سلفَ أيضاً ، وهٰذانِ التشبيهانِ منهُ ، ولم تظهرْ نكتةٌ مُحسِّنةٌ لهُ فيهما ظهورَها في قولِ ابنِ [وُهَيبٍ] (وبدا الصباحُ) (٤)

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٠٥) ، و« الصناعتين » (ص ٧٧)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٧٧)

(٣) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٩٧)

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٥٧)

ومِنْ خطأ المعنىٰ قولُ الراعي (١)   [من البسيط]

يَكْسُو ٱلْمَفَارِقَ وَٱللَّبَّاتِ ذَا أَرَجٍ   مِنْ قُصْبِ مُعْتَلِفِ ٱلْكَافُورِ دَرَّاجِ

أرادَ المسكَ ، فجعلَهُ مِنْ قصبِ الظباةِ ، والقُصْب ـ بضمّ فسكونٍ ـ : المعيُ ، جعلَ الظباءَ تعتلفُ الكافورَ ، فيَتولَّدُ منها لذٰلكَ المسكُ ، وهٰذا مِنْ طرائفِ الغَلَطِ

وقريبٌ منهُ قولُ زهيرٍ (٢)   [من البسيط]

يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَاتٍ مَاؤُهَا طَحِلٌ   عَلَى ٱلْجُذُوعِ تَخَافُ ٱلْغَمَّ وَٱلْغَرَقَا

ظَنَّ أنَّ الضَّفادعَ يخرجنَ مِنَ الماءِ مخافةَ الغرقِ

ومثلُهُ قولُ ابنِ أحمرَ (٣)   [من الكامل]

لَمْ يَدْرِ مَا نَسْجُ ٱلْيَرَنْدَجِ قَبْلَهَا

فظنَّ اليرندجَ منسوجاً ، وهوَ جلدٌ أسودُ يُعمَلُ منهُ الخفافُ ، وأصلُ الكلمةِ فارسيةٌ

ومِنَ الغَلَطِ مثلُ قولِ امرئِ القيسِ (٤)   [من الطويل]

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي   وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي ٱلْقَلْبَ يَفْعَلِ

وإذا لم تغرزْها هٰذهِ الحالُ منهُ فما الذي يَغُرُّها ؟! وليسَ للمُحتجِّ عنهُ أن يقولَ إنَّهُ إنَّما عنىٰ بالقتلِ التبريحَ ؛ فإنَّ الذي يلزمُهُ معَ ذكرِ القتلِ يلزمُهُ أيضاً معَ ذكرِ التبريحِ

---

(١) انظر « ديوان الراعي النميري » (ص ٥٣)

(٢) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٤٥)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٧٨) ، والبيت بتمامه :

لَمْ يَدْرِ مَا نَسْجُ ٱلْيَرَنْدَجِ قَبْلَهَا   وَدِرَاسُ أَعْوَصَ دَارِسٍ مُتَخَدِّدِ

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٣) .

وممَّا أُخِذَ أيضاً على امرئ القيسِ قولُهُ في الفرسِ[1] [من الطويل]

فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجَ مِنْعَبِ

فلو وصفَ أخسَّ حمارٍ وأضعفَهُ ما زادَ علىٰ ذلكَ ، فالجيدُ قولُهُ[2] [من الطويل]

عَلَىٰ سَابِحٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَانِينَ جَرْيٍ غَيْرَ كَزٍّ وَلَا وَانِ

فما سمعنا أبلغَ ولا أجودَ مِنْ قولِهِ (أفانينَ جريٍ)

وقولُ علقمةَ[3] [من الطويل]

فَأَدْرَكَهُنَّ ثَانِياً مِنْ عِنَانِهِ يَمُرُّ كَمَرِّ ٱلرَّائِحِ ٱلْمُتَحَلِّبِ

فقالَ أدركَ طريدتَهُ وهوَ ثانٍ مِنْ عنانِهِ ولم يَضرِبْ بسوطٍ ، ولم يُمْرِهِ بساقٍ ، ولم يَزجُرْهُ بصوتٍ

قلتُ وكذلكَ الجَوادُ إنَّما يرفعُ رأسَهُ بشدِّ العنانِ ، فيَعرِفُ أن قد أُرِيدَ منهُ الجريُ ، فيخرجُ ما عندَهُ

ويُحكىٰ أنَّ امرأَ القيسِ لمَّا قالَ قصيدةَ هٰذا البيتِ ، وقالَ علقمةُ الفحلُ قصيدتَهُ التي في رويِّها ووزنِها تحاكما إلىٰ أُمِّ جندبٍ زوجِ امرئ القيسِ ، فحكمَتْ لعلقمةَ على امرئ القيسِ بهٰذينِ البيتَينِ ، فطَلَّقَها ، وتَزوَّجَها علقمةُ[4] ، وسنوردُ لكَ القصيدتَينِ بعدُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ[5]

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٥١)

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٩١)

(٣) انظر « ديوان علقمة بن عبدة » (ص ١٧) ، و« الصناعتين » (ص ٨٠)

(٤) انظر « خزانة الأدب » (٢٨٣/٣)

(٥) انظر ما سيأتي من قصيدة امرئ القيس (١٤١/٤) ، وقصيدة علقمة الفحل (١٥٤/٤)

ومِمَّا عِيبَ ويُعابُ قولُ الأعشىٰ [١] [من الطويل]

وَيَـأْمُـرُ لِـلْـيَـحْـمُـومِ كُـلَّ عَـشِـيَّـةٍ بِقَـتٍّ وَتَـعْـلِـيـفٍ وَقَـدْ كَـادَ يَـسْـنَـقُ

أي تصيبُهُ التخمةُ ، واليحمومُ اسمُ فرسِ الملكِ ، يقولُ إنَّهُ يأمرُ لفرسِهِ كلَّ عشيةٍ بِقَتٍّ وتعليفٍ ، وهٰذا ممَّا لا يُمدَحُ بِهِ الملوكُ ، بل ولا رجلٌ مِنْ خساسِ الناسِ

وقريبٌ منهُ قولُ الأخطلِ [٢] [من الطويل]

وَقَـدْ جَـعَـلَ ٱللهُ ٱلْـخِـلَافَـةَ مِـنْـهُـمُ لِأَبْـلَـجَ لَا عَـارِي ٱلْـخُـوَانِ وَلَا جَـدْبِ

يقولُهُ في عبدِ الملكِ ، ومثلُ هٰذا لا يُمدَحُ بِهِ الملوكُ

وأطرفُ منهُ قولُ كثيرِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ الخزاعيِّ [٣] [من الطويل]

وَإِنَّ أَمِـيـرَ ٱلْـمُـؤْمِـنِـيـنَ بِـلُـطْـفِـهِ غَـزَا كَـامِـنَـاتِ ٱلـصَّـدْرِ مِنِّي فَـنَـالَـهَـا

فجعلَ أميرَ المؤمنينَ يَتودَّدُ إليهِ

وقولُهُ لعبدِ العزيزِ بنِ مروانَ [من الوافر]

وَمَـا زَالَـتْ رُقَـاكَ تَـسُـلُّ ضِـغْـنِـي وَتُـخْـرِجُ مِـنْ مَـكَـامِـنِـهَـا ضِـبَـابِـي

وَتَـرْقِـيـنِـي لَـكَ ٱلـرَّاقُـونَ حَـتَّـىٰ أَجَـابَـتْ حَـيَّـةٌ تَـحْـتَ ٱلْـحِـجَـابِ

وإنَّما يُمدَحُ الملوكُ بمثلِ قولِ الشاعرِ [٤] [من الطويل]

لَـهُ هِـمَـمٌ لَا مُـنْـتَـهَـىٰ لِـكِـبَـارِهَـا وَهِـمَّـتُـهُ ٱلـصُّـغْـرَىٰ أَجَـلُّ مِـنَ ٱلـدَّهْـرِ

لَـهُ رَاحَـةٌ لَـوْ أَنَّ مِـعْـشَـارَ جُـودِهَـا عَلَى ٱلْبَرِّ كَانَ ٱلْبَرُّ أَنْدَىٰ مِنَ ٱلْبَحْرِ

---

(١) انظر « ديوان الأعشىٰ » (٦٦/٢)

(٢) انظر « ديوان الأخطل » (ص ٣٣)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٨١)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٨١)

ومثلُ قولِ النابغةِ (١) [من الطويل]

فَإِنَّكَ كَٱللَّيْلِ ٱلَّذِي هُوَ مُدْرِكِي   وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ ٱلْمُنْتَأَىٰ عَنْكَ وَاسِعُ

ومِنْ غفلةِ كثيرٍ قولُهُ في المنىٰ (٢) [من الطويل]

أَلَا لَيْتَنَا يَا عَزُّ كُنَّا لِذِي غِنىً   بَعِيرَيْنِ نَرْعَىٰ فِي ٱلْخَلَاءِ وَنَعْزُبُ

كِلَانَا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ   عَلَىٰ حُسْنِهَا جَرْبَاءُ [تُعْدِي] وَأَجْرَبُ

نَكُونُ لِذِي مَالٍ كَثِيرٍ مُغَفَّلٍ   فَلَا هُوَ يَرْعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ

إِذَا مَا وَرَدْنَا مَنْهَلاً هَاجَ أَهْلُهُ   إِلَيْنَا فَمَا نَنْفَكُّ نُرْمَىٰ وَنُضْرَبُ

فقالَتْ لهُ عزَّةُ : لقد أردتَ بي الشقاءَ الطويلَ

ومِنْ قبيحِ التمنِّي قولُ جنادةَ (٣) [من البسيط]

مِنْ حُبِّهَا أَتَمَنَّىٰ أَنْ يُلَاقِيَنِي   مِنْ نَحْوِ بَلْدَتِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا

لِكَيْ يَكُونَ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ   وَتُضْمِرَ ٱلنَّفْسُ يَأْساً ثُمَّ تَسْلَاهَا

ومثلُ قبحِ هٰذا التمنِّي قبحُ دعاءِ عبدِ بني الحسحاسِ إذ يقولُ (٤) [من الطويل]

وَرَاهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَيْنَنِي   وَأَحْمَىٰ عَلَىٰ أَكْبَادِهِنَّ ٱلْمَكَاوِيَا

وللناسِ في المنىٰ كلامٌ كثيرٌ ، بينَ مدحٍ لها واستحسانٍ ، وذمٍّ واستهجانٍ ، قالَ الشاعرُ (٥) [من الطويل]

أَمَانِيَّ مِنْ لَيْلَىٰ حِسَانٌ كَأَنَّمَا   سَقَتْنِي بِهَا لَيْلَىٰ عَلَىٰ ظَمَأٍ بَرْدَا

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٣٨)

(٢) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ١٦١)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٨٢)

(٤) انظر « ديوان سحيم عبد بني الحسحاس » (ص ٢٤)

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٨٣)

مُنىً إِنْ تَكُنْ حَقّاً تَكُنْ أَحْسَنَ ٱلْمُنَىٰ   وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَناً رَغْدَا

وللطغرائيِّ (١)   [من البسيط]

أُعَلِّلُ ٱلنَّفْسَ بِٱلْآمَالِ أَرْقُبُهَا   مَا أَضْيَقَ ٱلْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ ٱلْأَمَلِ

ومِنْ ذمِّ التمنِّي قولُ عنترةَ (٢)   [من الطويل]

أَلَا قَاتَلَ ٱللهُ ٱلطُّلُولَ ٱلْبَوَالِيَا   وَقَاتَلَ ذِكْرَاكَ ٱلسِّنِينَ ٱلْخَوَالِيَا

وَقَوْلَكَ لِلشَّيْءِ ٱلَّذِي لَا تَنَالُهُ   إِذَا هَوِيَتْهُ ٱلنَّفْسُ يَا لَيْتَ ذَا لِيَا

ومِنْ خطأ الوصفِ : قولُ أبي ذؤيبٍ في صفةِ فرسٍ (٣)   [من الكامل]

قَصَرَ ٱلصَّبُوحَ لَهَا [فَشَرَّجَ] لَحْمَهَا   بِٱلنَّيِّ فَهْوَ يَسُوخُ فِيهِ ٱلْإِصْبَعُ

تَأْتِي بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا ٱسْتُكْرِهَتْ   إِلَّا ٱلْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَنَصَّعُ

قالَ الأصمعيُّ (٤) هٰذهِ الفرسُ لا تساوي درهمَينِ ؛ لأنَّهُ جعلَها كثيرةَ اللحمِ ، رخوةً يدخلُ فيها الإصبعُ

وإنَّما تُوصَفُ بهٰذا الشاءُ يُضحَّىٰ بها ، وجعلَها لا تجري إلَّا بالاستقرارِ

ومِنْ خطأ المعاني قولُ الأعشىٰ (٥)   [من الطويل]

وَمَا رَابَهَا مِنْ رِيبَةٍ غَيْرَ أَنَّهَا   رَأَتْ لِمَّتِي شَابَتْ وَشَابَتْ لِدَاتِيَا

وأيُّ ريبةٍ عندَ امرأةٍ أعظمُ مِنْ شيبٍ ؟!

---

(١) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٦)

(٢) انظر « ديوان عنترة العبسي » (ص ٢٢٤)

(٣) انظر « ديوان الهذليين » (١/١٦ ـ ١٧)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٨٤)

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٨٩)

ومثلُهُ قولُ الآخَرِ (١) [من البسيط]

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ ٱلَّذِي نَكِرَتْ ... مِنَ ٱلْحَوادِثِ إِلَّا ٱلشَّيْبَ وَٱلصَّلَعَا

وأعجبُ منهُ قولُهُ (٢) [من البسيط]

صَدَّتْ هُرَيْرَةُ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا ... جَهْلاً بِأُمِّ خُلَيْدٍ حَبْلَ مَنْ تَصِلُ

أَإِنْ رَأَتْ رَجُلاً أَعْشَىٰ أَضَرَّ بِهِ ... رَيْبُ ٱلْمَنُونِ وَدَهْرٌ خَائِنٌ خَتِلُ

وأيُّ شيءٍ أبغضُ عندَ النساءِ مِنَ العَشا ؟!

وأعجبُ ما في هٰذا الكلامِ أنَّهُ قالَ : مَنْ تصلُ بعدي هٰذهِ المرأةُ وأنا بهٰذهِ الصفةِ مِنَ العشا والفقرِ والشيبِ ؟! فلا ترىٰ كلاماً أحمقَ مِنْ هٰذا !!

ومِنَ الخطأ قولُ مَنْ أرادَ أن يَفتخِرَ ، فأوقعَ نفسَهُ في أخسِّ تشبيهٍ حيثُ يقولُ (٣) [من البسيط]

تَعَرَّضَتْ تَيْمُ لِي عَمْداً لِأَهْجُوَهَا ... كَمَا تَعَرَّض لِأَسْتِ ٱلْخَارِئِ ٱلْحَجَرُ

ومِنَ الخطأ في التشبيبِ قولُ كُثيرٍ (٤) [من الطويل]

وَمَا رَوْضَةٌ بِٱلْحَزْنِ [طَيِّبَةُ] ٱلثَّرَىٰ ... يَمُجُّ ٱلنَّدَىٰ جَثْجَاثُهَا وَعَرَارُهَا

بِأَطْيَبَ مِنْ [أَرْدَانِ] عَزَّةَ مَوْهِناً ... وَقَدْ أُوقِدَتْ بِٱلْمَنْدَلِ ٱلرَّطْبِ نَارُهَا

يُقالُ إنَّ عجوزاً لقيَتْهُ وبيدِها روثةٌ عليها نارٌ وضعَتْ فيها مندلاً ، فقالَتْ لهُ لم تزدْها في الصِّفةِ علىٰ هٰذا !!

---

(١) هو للأعشىٰ انظر « ديوانه » (١/٢٨٠)

(٢) انظر « ديوان الأعشىٰ » (١/٢٠٦)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٩٤)

(٤) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠)

والصَّوابُ في مثلِ ذٰلكَ قولُ امرئِ القيسِ[1] [من الطويل]

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

فجعلَها طيبةَ الذاتِ



ومِنْ عيوبِ المديحِ عدولُ المادحِ عنِ الفضائلِ التي تَخُصُّ النفسَ ؛ مِنَ العقلِ ، والعِفَّةِ ، والعدلِ ، والشجاعةِ إلىٰ ما هوَ مِنْ أوصافِ الجسمِ ؛ كقولِ ابنِ الرقيَّاتِ في ابنِ مروانَ[2] [من المنسرح]

يَأْتَلِقُ ٱلتَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَىٰ جَبِينٍ كَأَنَّهُ ٱلذَّهَبُ

فغضبَ عبدُ الملكِ وقالَ قد قلتَ في مصعبٍ[3] [من الخفيف]

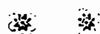
إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ ٱللهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ ٱلظَّلْمَاءُ

فأعطيتَهُ المدحَ بكشفِ الغممِ وجلاءِ الظلمِ ، وأعطيتَني ما لا فخرَ فيهِ ؛ وهوَ اعتدالُ التاجِ فوقَ جبيني الذي هوَ كالذهبِ في النضارةِ ، ذٰلكَ إلىٰ ما رميتَني بهِ مِنْ صفةِ الأعاجمِ ؟!

وجيدُ المدحِ قولُهُ[4] [من المنسرح]

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

وَأَنَّهُمْ سَادَةُ ٱلْأَنَامِ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ ٱلْعَرَبُ



(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٤١)
(٢) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (ص ٥)
(٣) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (ص ٩١)
(٤) انظر « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (ص ٤)

ومِنَ التقصيرِ في المديحِ [(١)] ما تراهُ فيما يُحكىٰ أنَّهُ اجتمعَ جريرٌ والفرزدقُ عندَ الحَجَّاجِ ، فقالَ مَنْ مدحَني منكُما بشعرٍ يُوجِزُ فيهِ ويُحسِنُ القولَ في صفتي فهٰذهِ الخِلْعةُ لهُ ، فقالَ الفرزدقُ [من الطويل]

وَمَنْ يَأْمَنِ ٱلْحَجَّاجَ وَٱلطَّيْرُ يَتَّقِي　　　عُقُوبَتَهُ إِلَّا ضَعِيفُ ٱلْعَزَائِمِ

فقالَ جريرٌ [من الطويل]

وَمَنْ يَأْمَنِ ٱلْحَجَّاجَ أَمَّا عِقَابُهُ　　　فَمُرٌّ وَأَمَّا عَقْدُهُ فَوَثِيقُ
يُسِرُّ لَكَ ٱلْبَغْضَاءَ كُلُّ مُنَافِقٍ　　　كَمَا كُلُّ ذِي دِينٍ عَلَيْكَ شَفِيقُ

فقالَ الحَجَّاجُ للفرزدقِ ما عملتَ شيئاً ؛ فإنَّ الطيرَ يتَّقي مِنَ الصَّبيِّ والخشبةِ ، ودفعَ الخلعةَ إلىٰ جريرٍ

ومِنْ خطأ المدحِ قولُ مروانَ بنِ أبي حفصةَ في المأمونِ [(٢)] [من البسيط]

أَضْحَىٰ إِمَامُ ٱلْهُدَى ٱلْمَأْمُونُ مُشْتَغِلاً　　　بِٱلدِّينِ وَٱلنَّاسُ بِٱلدُّنْيَا مَشَاغِيلُ

وحينَ أُنشِدَ هٰذا البيتُ لعمارةَ بنِ عقيلٍ قالَ لهُ ما زدتَهُ علىٰ أن وصفتَهُ بصفةِ عجوزٍ في يدِها سُبحةٌ ، هلَّا قلتَ كما قالَ جدِّي - يعني جريراً - في عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ [(٣)] [من الطويل]

فَلَا هُوَ فِي ٱلدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيبَهُ　　　وَلَا عَرَضُ ٱلدُّنْيَا عَنِ ٱلدِّينِ شَاغِلُهْ

ومِنَ الغَلَطِ قولُ أبي تمامٍ [(٤)] [من الطويل]

رَقِيقُ حَوَاشِي ٱلْحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ　　　بِكَفَّيْكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُرْدُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٠٧)
(٢) انظر « ديوان ابن أبي حفصة » (ص ١١٧)
(٣) انظر « ديوان جرير » (٧٠٣/٢)
(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٨٨/٢)

وما وصفَ أحدٌ مِنْ أهلِ الجاهليةِ ولا أهلِ الإسلامِ الحِلْمَ بالرِّقَّةِ ، وإنَّما يصفونَهُ بالرُّجحانِ والرزانةِ ، كما قالَ الشاعرُ[1] [من الكامل]

أَحْـلَامُـنَـا تَـزِنُ ٱلْـجِـبَـالَ رَزَانَـةً وَيَـزِيـدُ جَـاهِـلُـنَـا عَـلَى ٱلْـجُـهَّـالِ

[مرجعُ أسبابِ الخطأ في المعاني]

هٰذا ؛ ومرجعُ أسبابِ الخطأ في المعاني إلى الجهلِ بالأحوالِ ، والغفلةِ عمَّا ينبغي أن يُقالَ ، ومَنْ لم يَتكلَّمْ إلَّا بعدَ علمٍ ، ولم يُخاطِبْ إلَّا بعدَ صحَّةِ فهمٍ نجا مِنَ الوقوعِ في مثلِ ما وقعَ فيهِ أولٰئكَ

وحَسْبُكَ هٰذا دليلاً مرشداً إلى اعتبارِ غيرِهِ بهِ ، فيقوى التفاتُكَ ، ويزيدُ انتباهُكَ ؛ حتىٰ تعتبرَ كلَّ مَقامٍ ، وتَنطِقَ فيهِ بما يليقُ بهِ ، وتهتدي إلىٰ ذٰلكَ تمامَ الاهتداءِ ؛ بمطالعةِ أقوالِ مَنِ اتفقَ الناسُ على استحسانِ أقوالِهِم ، والمبالغةِ في تأمُّلِها ، ذاكراً تلكَ الانتقاداتِ وما أشبهَها ، ممَّا لا يَصعُبُ عليكَ ملاحظتُهُ ، معَ ما ضُرِبَ لكَ مِنَ الأمثلةِ

فإذا رعيتَ ذٰلكَ ، وقد وجدتَ مِنْ طبعِكَ استعداداً لإنشاءِ الكلامِ وتحريرِ النظامِ ؛ بأن تكونَ قويَّ الحافظةِ والذاكرةِ ، بحيثُ يكونُ استحضارُكَ لِمَا تَمَسُّ إليهِ الحاجةُ مِنَ الألفاظِ ومصنوعِ العباراتِ كالأمثالِ أسرعَ مِنَ البرقِ فأقبلْ علىٰ ذٰلكَ ، وإلَّا فدعِ التكلُّفَ ؛ فإنَّهُ ليسَ يأتي منكَ بخيرٍ ، تكدُّ فكرَكَ ، وتُضيِّعُ وقتَكَ ، وتؤذي سامعَكَ ، وقلْ إنَّ الفضلَ بيدِ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ

وتَذكَّرْ ما رُوِيَ عنِ المُبرِّدِ حيثُ يقولُ[2] لا أحتاجُ إلىٰ وصفِ نفسي ؛

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٢٦)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٠)

لأنَّ الناسَ يعلمونَ أنَّهُ ليسَ أحدٌ مِنَ الخافقَينِ يَختلِجُ في نفسِهِ مسألةٌ مشكلةٌ إلَّا لقيَني بها ، وأعدَّني لها ، فأنا عالمٌ ومُتعلِّمٌ ، وحافظٌ ودارسٌ ، لا يَخفىٰ عليَّ مُشتبهٌ مِنَ الشعرِ والنحوِ والكلامِ المنثورِ والخُطَبِ والرسائلِ ، ولَربَّما احتجتُ إلى اعتذارٍ مِنْ فلتةٍ ، والتماسِ حاجةٍ ؛ فأجعلُ المعنى الذي أقصدُهُ نصبَ عيني ، ثمَّ لا أجدُ سبيلاً إلى التعبيرِ عنهُ بيدٍ ولا لسانٍ ، ولقد بلغَني أنَّ عبدَ اللهِ بنَ سليمانَ ذكرَني بجميلٍ ، فحاولتُ أن أكتبَ إليهِ رقعةً أشكرُهُ فيها ، وأُعرِّض ببعضِ أموري ، فأتعبتُ نفسي يوماً في ذٰلكَ ، فلم أقدرْ علىٰ ما أرتضيهِ منها ، وكنتُ أحاولُ الإفصاحَ عمَّا في ضميري ، فيَنحرِفُ لساني إلىٰ غيرِهِ

وما حُكِيَ عن بعضِ أكابرِ العلماءِ وقد قيلَ لهُ لِمَ لا تقولُ الشعرَ ؟ فقالَ ما أرضاهُ لا يَجيئُني ، ويَجيئُني ما لا أرضاهُ[1]

وعنِ اليونانيِّ الذي كانَ يُعلِّمُ الشعرَ ، فتَبرعُ فيهِ تلامذتُهُ وهوَ لا يقولُهُ ، فسُئِلَ في ذٰلكَ ، فقالَ أنا كالمِسَنِّ ؛ أرهفُ ولا أقطعُ[2]

فهٰذا اعترافُ العُقلاءِ الراضينَ بما قُسِمَ لهُم ، الواقفينَ عندَ حدودِهِم ، المُتحقِّقينَ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « مَنْ طَلَبَ مَا لَمْ يُخْلَقْ تَعِبَ وَلَمْ يُرْزَقْ »[3]



ثمَّ ليكنْ أمرُ الكاتبِ في الكتابةِ علىٰ ما وصفَ أبو هلالٍ ؛ حيثُ يقولُ[4] واعلمْ أنَّ المعانيَ التي تُنْشَأُ الكتبُ فيها مِنَ الأمرِ والنهيِ سبيلُها أن

(١) هو ابن المقفع انظر « البيان والتبين » (١/٢٠٨)

(٢) انظر « الحيوان » للجاحظ (١/٢٩٠)

(٣) أورده العلامة نظام الدين النيسابوري في « تفسير غرائب القرآن » (٣/٧٠)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٢)

تُوكِّدَ غايةَ التوكيدِ بجهةِ كيفيةِ نظمِ الكلامِ ، لا بجهةِ كثرةِ اللفظِ ؛ لأنَّ حكمَ ما يَنفُذُ مِنَ السُّلطانِ في كتبِهِ شبيهٌ بحكمِ توقيعاتِهِ ؛ مِنِ اختصارِ اللفظِ ، وتأكيدِ المعنىٰ ، هٰذا إذا كانَ الأمرُ والنهيُ واقعَينِ في جملةٍ واحدةٍ لا تقعُ فيها وجوهُ التمثيلِ للأعمالِ ، فأمَّا إذا وقعا في ذٰلكَ الجنسِ فإنَّ الحكمَ فيها يخالفُ ما ذكرناهُ ، وسبيلُ الكلامِ فيها أن يُحمَلَ على الإطالةِ والتكريرِ دونَ الحذفِ والإيجازِ ؛ وذٰلكَ مثلُ ما يُكتَبُ عنِ السُّلطانِ في أمرِ الأموالِ وجبايتِها واستخراجِها ، فسبيلُ الكلامِ أن تُقدِّمَ فيهِ ذكرَ ما رآهُ السُّلطانُ في ذٰلكَ ودَبَّرَهُ ، ثمَّ تُعقِّبَ في ذكرِ الأمرِ بامتثالِهِ ، ولا تَقتصِرْ علىٰ ذٰلكَ حتىٰ تُكرِّرَ وتُؤكِّدَ ؛ لتتأكَّدَ الحُجَّةُ على المأمورِ بهِ ، ويَحذَرَ معَ ذٰلكَ مِنَ الإخلالِ والتقصيرِ

ومنها الإحمادُ والإذمامُ ، والثناءُ والتقريظُ ، والذَّمُّ والاستصغارُ ، والعذلُ والتوبيخُ ، وسبيلُ ذٰلكَ أن يُشبِعَ الكلامَ فيهِ ، ويَمُدَّ القولَ حَسَبَ ما تقتضيهِ آثارُ المكتوبِ إليهِ في الإحسانِ والإساءةِ ، والاجتهادِ والتقصيرِ ؛ ليَرتاحَ بذٰلكَ قلبُ المطيعِ ويُبسَطَ أملُهُ ، ويَرتاعَ قلبُ المُسيءِ ويأخذَ نفسَهُ بالارتداعِ

فأمَّا ما يَكتبُهُ العُمَّالُ إلى الأُمراءِ ومَنْ فوقَهُم فإنَّ سبيلَ ما كانَ واقعاً منها في إنهاءِ الأخبارِ ، وتقريرِ صورةِ ما يَلونَهُ مِنَ الأعمالِ ، ويجري علىٰ أيديهِم مِنْ صُنوفِ الأموالِ أن يَمُدَّ القولَ حتىٰ يبلغَ غايةَ الشفاءِ والإقناعِ وتمامَ الشرحِ والاستقصاءِ ؛ إذ ليسَ للإيجازِ والاقتصارِ فيهِ موضعٌ ، ويكونُ ذٰلكَ بالألفاظِ السهلةِ ، القريبةِ المأخذِ ، السريعةِ إلى الفهمِ ، دونَ ما يقعُ فيهِ استكراهٌ وتعقيدٌ

وربَّما تَعرِضُ الحاجةُ في إنهاءِ الخبرِ إلى استعمالِ الكنايةِ والتوريةِ عنِ الشيءِ دونَ الإفصاحِ بهِ ؛ لِمَا في التصريحِ مِنْ هَتْكِ [السترِ] ، وفي حكايتِهِ عن عدوٍّ ما أطلقَ لسانَهُ بهِ ؛ مِنِ اطِّراحِ مَهابةِ الرئيسِ ، فيجبُ إجلالُهُ عنهُ ،

وفي الصِدقِ ما يَسوءُهُ سماعُهُ ، ويقعُ بخلافِ مَحبَّتِهِ ، فيَحتاجُ منشئُ الكتابِ إلى استعمالِ لفظٍ في العبارةِ لا [تنخرقُ] معَهُ هيبةُ الرئيسِ ، ولا يَعرِضُ فيهِ بما يشتدُّ عليهِ ، ولا يكونُ أيضاً معَها خيانةٌ في طيِّ ما يجبُ نشرُهُ ، ولا يكملُ لهٰذا إلَّا المُبرِّزُ الكاملُ المُقدَّمُ

وسبيلُ ما يُكتَبُ بهِ في بابِ الشكرِ ألَّا يقعَ فيهِ إسهابٌ ؛ فإنَّ إسهابَ المبالغِ في الشكرِ يرجعُ إلىٰ نوعٍ مِنَ الإبرامِ والتثقيلِ ، ولا يَحسُنُ منهُ أن يَستعمِلَ الإكثارَ مِنَ الثناءِ والدعاءِ أيضاً ؛ فإنَّ ذٰلكَ فعلُ الأباعدِ الذينَ لم يَتقدَّمْ لهُم وسائلُ مِنَ الخدمةِ ، ومُقدِّماتٌ مِنَ الحرمةِ ، وتكونُ صناعتُهُم التكسبَ بتقريظِ الملوكِ ، وإطراءِ السلاطينِ ، فلا يقبحُ إكثارُ الثناءِ مِنْ هٰؤلاءِ

وليسَ يَحسُنُ تكريرُ الدعاءِ في صُدورِ الكتبِ والرِّقاعِ ، وعندَ ما يجريهِ مِنْ ذكرِ الرئيسِ ؛ فإنَّ ذٰلكَ مَشغلةٌ وكُلفةٌ ، وحكمُ ما يُستعمَلُ مِنْ ذٰلكَ في الكتبِ حكمُ ما يُستعمَلُ شفاهاً منهُ

ويَقبُحُ مِنْ خادمِ السُّلطانِ أن يشغلَ سمعَهُ في مخاطبتِهِ إيَّاهُ بكثرةِ الدعاءِ لهُ ، وتكريرِهِ عندَ استئنافِ كلِّ لفظةٍ

وسبيلُ ما يَكتبُ بهِ التابعُ إلى المتبوعِ في معنى الاستعطافِ ومسألةِ النظرِ ألَّا يكثرَ مِنْ شكايةِ الحالِ ورقَّتِها ، واستيلاءِ الخصاصةِ عليهِ فيها ؛ فإنَّ ذٰلكَ يجمعُ إلى الإضجارِ والإبرامِ شكايةَ الرئيسِ بسوءِ حالِهِ وقِلَّةِ ظهورِ نعمتِهِ عليهِ ، وهٰذا عندَ الرُّؤساءِ مكروهٌ جدّاً ، بل يجبُ أن يجعلَ الشِّكايةَ ممزوجةً بالشكرِ والاعترافِ بشمولِ النعمةِ وتوفيرِ الفائدةِ

وسبيلُ ما يُكتَبُ بهِ في الاعتذارِ مِنْ شيءٍ أن يَتجنَّبَ الإطنابَ والإسهابَ إلىٰ إيرادِ النكتِ التي يَتوهَّمُ أنَّها مُقنِعةٌ في إزالةِ الموجدةِ ، ولا يمعنَ في تبرئةِ ساحتِهِ مِنَ الإساءةِ والتقصيرِ ، فإنَّ ذٰلكَ ممَّا يَكرهُهُ الرُّؤساءُ ، والذي

جرتْ بهِ عادتُهُمُ استحسانُ الاعترافِ مِنْ خَدَمِهِم وخَوَلِهِم بالتقصيرِ والتفريطِ في قضاءِ حقوقِهِم ، وتأديةِ فروضِهِم ؛ ليكونَ لهُم فيما يعقبونَ بهِ ذٰلكَ مِنَ العفوِ والتجاوزِ موضعُ مِنَّةٍ مستأنفةٍ تستدعي شكراً ، وعارفةٍ مُستجدةٍ تقتضي نشراً ، وأمَّا إذا بالغَ المُتنصِّلُ في براءةِ ساحتِهِ مِنْ كلِّ ما قُذِفَ بهِ . فلا موضعَ للإحسانِ إليهِ في إعفائِهِ مِنْ تركِ التسخُّطِ ، بل ذٰلكَ أمرٌ واجبٌ لهُ ، وفي منعِ الرئيسِ حِصَّتَهُ منهُ ظلمٌ وإساءةٌ

وينبغي ألَّا يكثرَ الألفاظَ عندَهُ ، وإنِ احتاجَ إلىٰ إعادةِ المعاني أعادَ ما يعيدُهُ منها بغيرِ اللفظِ الذي ابتدأَهُ بهِ ؛ مثلُ ما قالَ معاويةُ : مَنْ لم يكنْ في بني عبدِ المطلبِ جواداً فهوَ دخيلٌ ، ومَنْ لم يكنْ مِنْ بني الزبيرِ شجاعاً فهوَ لزيقٌ ، ومَنْ لم يكنْ مِنْ ولدِ المغيرةِ تيَّاهاً فهوَ [سنيدٌ] (١)

والمعنىٰ واحدٌ ، والكلامُ علىٰ ما تراهُ حسنٌ ، ولو قالَ (لزيقٌ) ثمَّ أعادَهُ لسَمُجَ هٰذا

قلتُ فهٰذا مثالٌ رسمَهُ أبو هلالٍ ؛ ليكونَ عملُ الكاتبِ علىٰ موجبِهِ ، ويهتديَ بهِ إلىٰ رعايةِ مَقاماتِ الخطابِ في سائرِ أصنافِ المعاني ، وليسَ على المُؤلِّفِ أن يُبيِّنَ لكَ عن كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ ، وإنَّما عليهِ أن يُعيِّنَ لكَ الطريقَ التي ينبغي أن تَسلكَها ، ثمَّ تستعملَ ذوقَكَ وقُوَّةَ فكرِكَ في تمييزِ الأشياءِ ، وإعطاءِ كلِّ شيءٍ حقَّهُ ، حَسَبَ ما تقفُ عليهِ مِنَ الآدابِ التي أودعَتْها أسلافُكَ في منشآتِهِم نثراً ونظماً ، وما يَخصُّكَ بهِ الفتاحُ العليمُ ممَّا يشاكلُ ذٰلكَ وينتظمُ في سلكِهِ



(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٤)

[حسنُ النظمِ وجودةُ الرَّصفِ والسَّبكِ]

ثمَّ قالَ أبو هلالٍ في الإبانةِ عن حسنِ النظمِ وجودةِ الرَّصفِ والسَّبكِ[1] أجناسُ الكلامِ المنظومةِ ثلاثةٌ الرسائلُ ، والخُطَبُ ، والشعرُ ، وجميعُها يحتاجُ إلىٰ علمِ حسنِ التأليفِ وجودةِ التركيبِ

وحسنُ التأليفِ يزيدُ المعنىٰ وضوحاً ، ومعَ سوءِ التأليفِ ورداءةِ الرَّصفِ والتركيبِ شعبةٌ مِنَ التعميةِ ، فإذا كانَ المعنىٰ سيئاً ، ورصفُ اللفظِ جيداً كانَ أحسنَ موقعاً ، وأطيبَ مسمعاً ، فهوَ بمنزلةِ العقدِ ؛ إذا جعلَ كلُّ خرزةٍ إلىٰ ما يليقُ بها كانَ رائقاً في المرأىٰ وإن لم يكنْ مرتفعاً نبيلاً ، وإنِ اختلَّ نظمُهُ ؛ فضُمَّتِ الحبَّةُ إلىٰ ما لا يليقُ بها اقتحمتْهُ العينُ وإن كانَ فائقاً ثميناً

وحسنُ الرصفِ أن تُوضَعَ الألفاظُ في مواضعِها ، وتُمكَّنَ مِن أماكنِها ، ولا يُستعمَلَ فيها التقديمُ والتأخيرُ ، والحذفُ والزيادةُ ، إلَّا حذفَ ما تقتضيهِ الأحوالُ المبينةُ بعلمِ المعاني ، ويُضَمَّ كلُّ لفظةٍ منها إلىٰ شكلِها ، وتُضافَ إلىٰ وَفقِها

وقالَ العتابيُّ[2] الألفاظُ أجسادٌ ، والمعاني أرواحٌ ، وإنَّما نراها بعيونِ القلوبِ ، فإذا قَدَّمتَ منها مُؤخَّراً ، أو أَخَّرتَ منها مُقدَّماً أفسدتَ الصُّورةَ ، وغَيَّرتَ المعنىٰ ، كما أنَّهُ لو حُوِّلَ رأسٌ إلىٰ موضعِ يدٍ ، أو يدٌ إلىٰ موضعِ رأسٍ أو رجلٍ لتَحوَّلَتِ الحليةُ ، وتَغيَّرَتِ الخِلْقةُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٧)

(٢) انظر الصناعتين » (ص ١٦٧)

وقد أحسنَ في هٰذا التمثيلِ ، ونَبَّهَ بهِ علىٰ أنَّ الذي ينبغي في صنعتِهِ وضعُ كلِّ شيءٍ موضعَهُ ؛ ليخرجَ بذٰلكَ مِنْ سوءِ النظمِ

فمِنْ سوءِ النظمِ المعاظلةُ ؛ وقد مدحَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ زهيراً بمجانبتِها ؛ إذ قالَ حينَ فَضَّلَهُ على الشُّعراءِ[1] كانَ لا يعاظلُ في شعرِهِ ، ولا يمدحُ الرجالَ إلَّا بما في الرجالِ

وأصلُ هٰذهِ الكلمةِ مِنْ قولِهِم تعاظلَتِ الجرادتانِ ؛ إذا رَكِبَتْ إحداهُما على الأخرىٰ ، وعاظلَ الرجلُ على المرأةِ ؛ إذا ركبَها

فمِنَ المعاظلةِ قولُ الفرزدقِ[2] [من الطويل]

تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ

وقولُهُ[3] [من الطويل]

تُخَامِصُ عَنْ بَرْدِ ٱلْوِشَاحِ إِذَا مَشَتْ تَخَامُصَ حَافِي ٱلْخَيْلِ فِي ٱلْأَمْعَزِ ٱلْوَجِي

أي تخامصَ حافي الخيلِ الوجي في الأمعزِ

وقولُ لبيدٍ[4] [من الرمل]

وَشَمُولٍ قَهْوَةٍ بَاكَرْتُهَا فِي ٱلتَّبَاشِيرِ مِنَ ٱلصُّبْحِ ٱلْأُوَلْ

وقولُ أبي حيَّةَ النُّميريِّ[5] [من الوافر]

كَمَا خُطَّ ٱلْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْماً يَهُودِيٍّ يُقَارِبُ أَوْ يَزِيلُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٨)

(٢) انظر « ديوان الفرزدق » (٢/٥٩٠)

(٣) هو للشماخ انظر « ديوانه » (ص ٧٥)

(٤) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ١٨٢) ، وصدره فيه

قَلَّمَا عَرَّسَ حَتَّىٰ هَجَّنَهُ

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ١٧١)

وقولُ امرأةٍ مِنْ قيسٍ[1] [من الطويل]

هُمَا أَخَوَا فِي ٱلْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَا لَهُ إِذَا خَـافَ يَـوْمـاً نَـبْـوَةً فَـدَعَـاهُـمَـا

تريدُ أخوا مَنْ لا أخا لهُ في الحربِ

وليسَ للمُحدَثِ أن يقولَ هٰذهِ الأبياتُ حُجَّةٌ ، ويَبني عليها ؛ فإنَّهُ لا يُعذَرُ في شيءٍ منها ؛ لإجماعِ الناسِ اليومَ علىٰ مجانبةِ أمثالِها ، واستجادةِ ما يَصِحُّ مِنَ الكلامِ ، واسترذالِ ما يُشكِلُ ويَستبهِمُ

قلتُ وذٰلكَ لأنَّ الشعرَ وإن كانَ للعربِ صناعةً كما هوَ لغيرِهِم فإنَّهُم هُمُ المُخترِعونَ لهُ ، والسنةُ الإلٰهيَّةُ علىٰ أنَّ الفكرَ الإنسانيَّ لا يحيطُ بجميعِ ما يَحسُنُ في أمرٍ ويَقبُحُ ، ولٰكنْ يُلقىٰ في فكرٍ ما فاتَ غيرَهُ ، ولذٰلكَ كانَ شعراءُ العربِ ينتقدُ بعضُهُم علىٰ بعضٍ ، ومنهُ حصلَ التفاوتُ في البلاغةِ ، واختلفَ الناسُ في تفضيلِ شاعرٍ علىٰ شاعرٍ ، حتىٰ تَبيَّنَتْ محاسنُ الصِّناعةِ ومساويها ، فمَنْ أرادَ أن يكونَ مِنْ أهلِها فعليهِ أن ينتهيَ مِنَ التعلُّمِ إلىٰ غايتِهِ ؛ حتىٰ يَتمكَّنَ مِنْ إعطاءِ الصِّناعةِ حقَّها ، فقد نُصبَتْ لهُ الأمثلةُ ، وعُيِّنَتْ لهُ الحدودُ

قال أبو هلالٍ[2] فمِنَ الكلامِ المستوي النظمِ ، الملتئمِ الرَّصفِ قولُ أختِ طريفٍ ترثيهِ [من الطويل]

أَيَا شَجَرَ ٱلْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ٱبْنِ طَرِيفِ

فَتىً لا يُحِبُّ ٱلزَّادَ إِلَّا مِنَ ٱلتُّقَىٰ وَلَا ٱلْمَالَ إِلَّا مِنْ قَناً وَسُيُوفِ

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ طِعَاناً وَلَمْ تَقُمْ مَقَاماً عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ غَيْرَ خَفِيفِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٧١)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٧١)

فَلَا تَجْزَعَا يَا بْنَيْ طَرِيفٍ فَإِنَّنِي أَرَى ٱلْمَوْتَ حَلَّالاً بِكُلِّ شَرِيفِ

والمنظومُ الجيدُ ما خرجَ مَخرجَ المنثورِ في سهولتِهِ وسلاستِهِ وسيولتِهِ وقِلَّةِ ضروراتِهِ ، ومِنْ ذٰلكَ قولُ بعضِ المُحدَثينَ (١) [من المتقارب]

وُقُوفُكَ تَحْتَ ظِلَالِ ٱلسُّيُوفِ أَقَرَّ ٱلْخِلَافَةَ فِي دَارِهَا

كَأَنَّكَ مُطَّلِعٌ فِي ٱلْقُلُوبِ إِذَا مَا تَنَاجَتْ بِأَسْرَارِهَا

وَكَرَّاتُ طَرْفِكَ مَرْدُودَةٌ إِلَيْكَ بِغَامِضِ أَخْبَارِهَا

وَفِي رَاحَتَيْكَ ٱلرَّدَىٰ وَٱلنَّدَىٰ وَكِلْتَاهُمَا طَوْعُ مُمْتَارِهَا

وَأَقْضِيَةُ ٱللهِ مَحْتُومَةٌ وَأَنْتَ مُنَفِّذُ أَقْدَارِهَا

ولا تكادُ القصيدةُ تستوي أبياتُها في حسنِ التأليفِ ، ولا بدَّ أن تتخالفَ في ذٰلكَ ؛ كقولِ عبيدِ بنِ الأبرصِ (٢) [من البسيط]

وَقَدْ عَلَا لِمَّتِي شَيْبٌ فَوَدَّعَنِي لَهُ ٱلْغَوانِي وَدَاعَ ٱلصَّارِمِ ٱلْقَالِي

وَقَدْ أُسَلِّي هُمُومِي حِينَ تَحْضُرُنِي بِجَسْرَةٍ كَعَلَاةِ ٱلْقَيْنِ شِمْلَالِ

زَيَّافَةٍ بِقُتُودِ ٱلرَّحْلِ نَاجِيَةٍ تَنْفِي ٱلْهَجِيرَ بِتَبْغِيلٍ وَإِرْقَالِ

فهٰذا نظمٌ حسنٌ ، وتأليفٌ مختارٌ ، وفيها ما هوَ رديءٌ لا خيرَ فيهِ ؛ كقولِهِ

بَانَ ٱلشَّبَابُ فَآلَىٰ لَا يُلِمُّ بِنَا وَٱحْتَلَّ بِي مِنْ مَشِيبٍ كُلَّ مِحْلَالِ

وقولِهِ

فَبِتُّ أَلْعَنُهَا طَوْراً وَتَلْعَنُنِي ثُمَّ ٱنْصَرَفْتُ وَهِي مِنِّي عَلَىٰ بَالِ

فقولُهُ (واحتلَّ بي مِنْ مشيبٍ كلَّ مِحلالِ) بغيضٌ خارجٌ عن طريقِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٢)

(٢) انظر « ديوان عبيد بن الأبرص » (ص ٢٣ ـ ٢٤)

الاستعمالِ ، وأبغضُ منه قولُهُ (وهيْ منِّي علىٰ بالِ) بتسكينِ (هي) ضرورةً

وقولِهِ

وَكَبْشٍ مَلْمُومَةٍ بَادٍ نَوَاجِذُهَا   شَهْبَاءَ ذَاتِ سَرَابِيلٍ وَأَبْطَالِ

السَّرابيلُ الدُّروعُ ، فلو وضعَ السُّيوفَ معَ الدرعِ لَكانَ أجودَ ، ومثلُ هٰذا النقدِ ممَّا سبقَتْ بِهِ العربُ

وقولِهِ

وَقَهْوَةٍ كَرُضَابِ ٱلْمِسْكِ طَابَ بِهَا   فِي دَنِّهَا كَرُّ حَوْلٍ بَعْدَ أَحْوَالِ

هٰذا البيتُ متوسِّطٌ

وقولِهِ

بَاكَرْتُهَا قَبْلَ أَنْ يَبْدُو ٱلصَّبَاحُ لَنَا   فِي بَيْتِ مُنْهَمِرِ ٱلْكَفَّيْنِ مِفْضَالِ

النصفُ الثاني خيرٌ مِنَ الأولِ ؛ فإنَّ قولَهُ (باكرتُها) كافٍ ، وما بعدَهُ فضلٌ

وكقولِ النَّمِرِ بنِ تولبٍ (١)   [من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْكَرْتُ نَفْسِي وَرَابَنِي   مَعَ ٱلشَّيْبِ إِبْدَالُ ٱلَّتِي أَتَبَدَّلُ

فُضُولٌ أَرَاهَا فِي أَدِيمِيَ بَعْدَمَا   يَكُونُ [كِفَافَ] ٱللَّحْمِ أَوْ هُوَ أَجْمَلُ

وَبُطْءٍ عَنِ ٱلدَّاعِي فَلَسْتُ بِآخِذٍ   سِلَاحِي إِلَيْهِ مِثْلَ مَا كُنْتُ أَفْعَلُ

كَأَنَّ مِحَطّاً فِي يَدَيْ حَارِثِيَّةٍ   صَنَاعٍ عَلَتْ مِنِّي بِهِ ٱلْجِلْدَ مِنْ عَلُ

---

(١) انظر « ديوان النمر بن تولب » (ص ٩٨)

تَـدَارَكَ مَـا قَـبْـلَ ٱلْـشَّـبَـابِ وَبَـعْـدَهُ حَـوَادِثُ أَيَّـامٍ تَـمُـرُّ وَأَغْـفُـلُ
يَـوَدُّ ٱلْفَـتَىٰ طُـولَ ٱلـسَّـلَامَـةِ جَاهِـداً فَكَـيْـفَ تَـرَىٰ طُـولَ ٱلـسَّـلَامَـةِ يَـفْـعَـلُ

فهٰذهِ الأبياتُ جيدةُ السَّبكِ ، حسنةُ الرَّصفِ ، وقولُهُ

فَـلا ٱلْـجَارَةُ ٱلـدُّنْـيَا لَـهَـا تُـلْـحِـيَـنَّـهَـا وَلَا ٱلـضَّـيْـفُ عَـنْـهَـا إِنْ أَنَـاخَ مُـحَـوَّلُ

فالنصفُ الأوَّلُ مُختلٌّ ؛ لأنَّهُ خالفَ فيهِ وجهَ الاستعمالِ ، ووجهُ الكلامِ ولا تلحي جارتَها الدنيا ؛ أيِ القريبةَ ، وأعطى المرأةَ في النصفِ الثاني ما ليسَ مِنْ صفتِها ، وقولُهُ

إِذَا هَـتَّـكَـتْ أَطْـنَـابَ بَـيْـتٍ وَأَهْـلَـهُ بِـمَـعْـطِـنِـهَـا لَـمْ يُـورِدُوا ٱلْـمَـاءَ قَـيَّـلُـوا

هٰذا مُضطرِبٌ ؛ لتناولِهِ المعنىٰ مِنْ بُعدٍ ، ووجهُ الكلامِ أن يقولَ إذا دنَتْ إبلُنا مِنْ حيٍّ ولم تَرِدْ إبلُهُمُ الماءَ قَيَّلُوا ، والقَيْلُ شربُ نصفِ النهارِ ؛ يعني أنَّهُم لعِزِّهِم وشِدَّةِ بأسِهِم متىٰ وردوا ماءً وعندَهُم مَنْ سبقَهُم إليهِ قَدَّموهُم ولم يجسروا أن يَتقدَّمُوهُم ، بل يُضطَرُّونَ إلىٰ تأخيرِ السَّقيِ لغيرِ وقتِهِ ؛ وهوَ نصفُ النهارِ ، ووقتُهُ الغداةُ

ومثالُ حسنِ الرَّصفِ مِنَ المنثورِ قولُ القائلِ ولولا أنَّ أجودَ الكلامِ ما يَدُلُّ قليلُهُ علىٰ كثيرِهِ ، وتغني جملتُهُ عن تفصيلِهِ لَوَسَّعتُ نطاقَ القولِ فيما انطوىٰ عليهِ ؛ مِنْ خُلوصِ المَودَّةِ ، وصفاءِ المَحبَّةِ ، فجالَ مَجالَ الطَّرفِ في ميدانِهِ ، وتَصرَّفَ تَصرُّفَ الرَّوضِ في افتنانِهِ ، لٰكنِ البلاغةُ بالإيجازِ أبلغُ مِنَ البلاغةِ بالإطنابِ

ومِنْ تمامِ حسنِ الرَّصفِ أن يَخرجَ الكلامُ مَخرجاً يكونُ لهُ فيهِ طُلاوةٌ وماءٌ ، فربَّما كانَ الكلامُ مستقيمَ الألفاظِ ، صحيحَ المعاني ، ولا يكونُ لهُ رونقٌ ولا رُواءٌ ؛ وذٰلكَ بأن يَخرُجَ في غيرِ تَكلُّفٍ وكَدٍّ وشَدٍّ وتَفكُّرٍ وتَعمُّلٍ ،

ويكونَ سلسلاً سهلاً ، ولهُ ماءٌ ورُواءٌ ورقراقٌ ، وعليهِ فريدٌ لا يكونُ علىٰ غيرِهِ ممَّا عَسُرَ بروزُهُ ، واستُكرِهَ خروجُهُ ، تدركُ ذٰلكَ بالوجدانِ بعدَ كثرةِ قراءةِ مختلفاتِ الأشعارِ ، فإنَّكَ تجدُ لنفسِكَ مِنَ الفرحِ عندَ قراءةِ بعضِها ما لا تجدُهُ عندَ قراءةِ غيرِهِ ، واعتبرْ ذٰلكَ بمثلِ قولِ الحطيئةِ (١) [من الوافر]

هُمُ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ إِذَا أَلَمَّتْ ... مِنَ ٱلأَيَّامِ مُظْلِمَةٌ أَضَاؤُوا

وقولِهِ (٢) [من الطويل]

لَهُ فِي بَنِي ٱلْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّهَا ... تَسَاقُطُ ماءِ ٱلْمُزْنِ فِي ٱلْبَلَدِ ٱلْقَفْرِ

وقولِ أشجعَ (٣) [من الكامل]

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ ... نَشَرَتْ عَلَيْهِ جِمَالَهَا ٱلأَيَّامُ

وَإِذَا سُيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ ٱلْعِدَا ... طَارَتْ لَهُنَّ عَنِ ٱلْفِرَاخِ ٱلْهَامُ

بَرَقَتْ سَمَاؤُكَ لِلْعَدُوِّ فَأَمْطَرَتْ ... هَاماً لَهَا ظِلُّ ٱلسُّيُوفِ غَمَامُ

وَعَلَىٰ عَدُوِّكَ يَا بْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... رَصَدَانِ ضَوْءُ ٱلصُّبْحِ وَٱلإِظْلَامُ

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا غَفَا ... سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفَكَ ٱلأَحْلَامُ

ففي هٰذهِ الأبياتِ معَ جودتِها رونقٌ ليسَ في غيرِها ممَّا يجري مَجراها ؛ مِنْ صحةِ المعنىٰ ، وصوابِ اللفظِ



---

(١) تقدم (٣/٤٠٨)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٧)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ١٧٧)

[حسنُ الأخذِ]

هٰذا ؛ وممَّا ينبغي أن نطلعَكَ عليهِ معَ ما سبقَ تتميماً لمعرفتِكَ ، ودلالةً لكَ علىٰ ما يَعترِضُكَ في الطريقِ التي تَسلكُها لمعرفةِ إنشاءِ الكلامِ نثراً ونظماً أنَّ المعانيَ دائرةٌ بينَ الناسِ ، يتفاوتونَ في التعبيرِ عنها ، ومنهُ نشأَ القولُ بأنَّ الناسَ يأخذُ بعضُهُم مِنْ بعضٍ ، وتنويعُ ذٰلكَ الأخذِ إلىٰ حسنٍ وغيرِ حسنٍ ، فوجبَ أن نسوقَ لكَ أمثلةً مِنْ ذٰلكَ ؛ لتطلبَ الحسنَ ، وتجتنبَ غيرَهُ

[أمثلةٌ في حسنِ الأخذِ]

قالَ أبو هلالٍ[١] ليسَ لأحدٍ مِنْ أصنافِ القائلينَ غنىً عن تناولِ المعاني ممَّنْ تَقدَّمَهُم ، والصَّبِّ علىٰ قوالبِ مَنْ سبقَهُم ، ولٰكنْ عليهِم إذا أخذوها أن يكتبوها عندَهُم ، ويبرزُوها في معارض مِنْ تأليفِهِم ، ويُؤدُّوها في غيرِ حليتِها الأولىٰ ، ويزيدوا في حسنِ تأليفِها ، وجودةِ تركيبِها ، وكمالِ حليتِها ومَعرِضِها ، فإذا فعلوا ذٰلكَ فهُم أَولىٰ بها ممَّنْ سبقَ إليها ، ولولا أنَّ القائلَ يُؤدِّي ما سمعَ ما كانَ في طاقتِهِ أن يقولَ ، وإنَّما يَنطِقُ الطفلُ بعدَ استماعِهِ مِنَ البالغينَ

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ[٢] (لولا أنَّ الكلامَ يُعادُ لَنَفَدَ)

علىٰ أنَّ المعانيَ مُشترَكةٌ بينَ العقلاءِ ، وربَّما وقعَ المعنى الجيدُ للسُّوقيِّ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٢)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٢)

والنبطيِّ والزَّنجيِّ ، وإنَّما يتفاضلُ الناسُ في الألفاظِ ورصفِها ، وتأليفِها ونظمِها ، وقد يقعُ للمُتأخِّرِ معنىً سبقَهُ إليهِ المُتقدِّمُ مِنْ غيرِ أن يُلِمَّ بهِ ، ولٰكنْ كما وقعَ للأولِ وقعَ للآخِرِ

وهٰذا أمرٌ عرفتُهُ مِنْ نفسي[1] ، فلستُ أمتري فيهِ ؛ وذٰلكَ أنِّي كنتُ عملتُ في صفةِ النساءِ [من الطويل]

سَـفَـرْنَ بُـدُوراً وَٱنْـتَـقَـبْـنَ أَهِـلَّـةً

وظننتُ أنِّي سبقتُ إلىٰ جمعِ هٰذَينِ التشبيهَينِ في نصفِ بيتٍ ، إلىٰ أن وجدتُهُ لبعضِ البغداديينَ ، فكَثُرَ تعجُّبي ، وعزمتُ علىٰ ألَّا أحكمَ على المُتأخِّرِ بالسَّرَقِ مِنَ المُتقدِّمِ حكماً حتماً

وقد قيلَ إنَّ مَنْ أخذَ المعنىٰ ، فكساهُ لفظاً مِنْ عندِهِ كانَ هوَ أَولىٰ بِهِ ممَّنْ تَقدَّمَهُ

وقالوا إنَّ أبا عُذْرَةِ الكلامِ مَنْ سبكَ لفظَهُ علىٰ معناهُ ، ومَنْ أخذَ معنىً بلفظِهِ كلِّهِ أو بعضِهِ فذٰلكَ هوَ السارقُ ؛ كقولِ النابغةِ[2] [من الطويل]

بِـأَنَّـكَ شَـمْـسٌ وَٱلْـمُـلُـوكُ كَـوَاكِـبٌ إِذَا طَـلَـعَـتْ لَـمْ يَبْـدُ مِنْـهُـنَّ كَـوْكَـبُ

وقد سبقَهُ إليهِ رجلٌ مِنْ كندةَ في عمرِو بنِ هندٍ حيثُ يقولُ[3] [من الطويل]

هُوَ ٱلشَّمْسُ وَافَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَفْضَلَتْ عَـلَىٰ كُـلِّ ضَـوْءٍ وَٱلْـمُـلُـوكُ كَـوَاكِـبُ

والحاذقُ يخفي دبيبَهُ إلى المعنىٰ حتىٰ يأخذَهُ في سترٍ ، فيَحكُمُ لهُ بالسَّبقِ إليهِ مَنْ يَمرُّ بهِ ، وأحدُ أسبابِ إخفاءِ السَّرَقِ أن يأخذَ المعنى المستعملَ في

---

(١) سياق الكلام لصاحب « الصناعتين »

(٢) تقدم (٢/٣٠)

(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٣)

صفةِ خمرٍ فيجعلَهُ في مديحٍ ، أو مِنْ مديحٍ فينقلَهُ إلىٰ وصفٍ مثلاً ، إلَّا أنَّهُ لا يَكمُلُ لهـٰذا إلَّا المُبرِّزُ الكاملُ المُقدَّمُ ، فممَّنْ أخفىٰ دبيبَهُ إلى المعنىٰ وسترَهُ غايةَ السَّترِ أبو نُواسٍ في قولِهِ (١) [من مخلع البسيط]

أَعْـطَـتْـكَ رَيْـحَـانَـهَـا ٱلْـعُـقَـارُ

إذ كانَ قد أخذَهُ مِنْ قولِ الأعشىٰ علىٰ ما قالوا [من الكامل]

وَسَـبِـيـئَـةٍ مِـمَّـا تُـعَـتِّـقُ بَـابِـلٌ ... كَـدَمِ ٱلـذَّبِـيـحِ سَـلَـبْـتُـهَـا جِـرْيَـالَـهَـا

سُئِلَ الأعشىٰ عن (سلبتُها جِريالَها) والجِريالُ حُمرةُ المُدامِ ، أو هيَ المُدامُ الحمراءُ ، فقالَ شربتُها حمراءَ ، وبُلتُها بيضاءَ ، فبقيَ حسنُ لونِها في بدني

ومعنىٰ (أعطتْكَ ريحانَها العُقارُ) أي شربتَها فانتقلَ إليكَ ، وكذٰلكَ قولُهُ [من مخلع البسيط]

لَا يَـنْـزِلُ ٱلـلَّـيْـلُ حَـيْـثُ حَـلَّـتْ ... فَـدَهْـرُ شُـرَّابِـهَـا نَـهَـارُ

مِنْ قولِ قيسِ بنِ الخطيمِ (٢) [من المنسرح]

قَـضَـىٰ لَـهَـا ٱللهُ حِـيـنَ صَـوَّرَهَـا ٱلْـ ... ـخَـالِـقُ أَلَّا تُـجِـنَّـهَـا ٱلـسُّـدَفُ

فنقلَ ذٰلك أبو نُواسٍ مِنْ صفةِ المرأةِ إلى الخمرِ

وكقولِ أبي تمامٍ (٣) [من الطويل]

جَمَعْتَ عُرَىٰ أَعْمَالِهَا بَعْدَ فُرْقَةٍ ... إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ ٱلْأَنَابِيبَ عَامِلُ

---

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٩٨) ، والبيت بتمامه

أَعْـطَـتْـكَ رَيْـحَـانَـهَـا ٱلْـعُـقَـارُ ... وَحَـانَ مِـنْ لَـيْـلِـكَ ٱنْـسِـفَـارُ

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٤)

(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (١٢٢/٣)

قيلَ نقلَهُ إلى المدحِ مِنْ قولِ أبي حالٍ الربعيِّ في الرثاءِ (١) [من الطويل]

أُولَـٰئِكَ إِخْـوَانُ ٱلـصَّـفَـاءِ رُزِئْـتُـهُـمْ   وَمَـا ٱلْـكَـفُّ إِلَّا إِصْـبَـعٌ ثُـمَّ إِصْـبَـعُ

وكقولِ البحتريِّ (٢) [من الكامل]

وَلَـوَ انَّ مُـشْـتَـاقـاً تَـكَـلَّـفَ غَـيْـرَ مَـا   فِـي وُسْـعِـهِ لَـسَـعَـىٰ إِلَـيْـكَ ٱلْـمِـنْـبَـرُ

نقلَهُ إلى المدحِ مِنْ قولِ العرجيِّ فِي الغزلِ (٣) [من الكامل]

لَـوْ كَـانَ حَـيًّـا قَـبْـلَـهُـنَّ ظَـعَـائِـنـاً   حَـيَّـا ٱلْـحَـطِـيـمُ وُجُـوهَـهُـنَّ وَزَمْـزَمُ

إلَّا أنَّهُ غيرُ خافٍ ، ثمَّ المَدارُ في حسنِ الأخذِ علىٰ أن يَشتمِلَ كلامُ الآخذِ علىٰ ما لم يَشتمِلْ عليه كلامُ المأخوذِ منهُ ؛ مِنْ حسنِ تركيبٍ ، أوِ اختصارِ عبارةٍ ، أو زيادةِ معنىً ، وتستبينُ ذٰلكَ فيما تراهُ مِنَ الأمثلةِ ، قالَ مسلمُ بنُ الوليدِ (٤) [من الوافر]

أُحِـبُّ ٱلـرِّيـحَ مَـا هَـبَّـتْ شِـمَـالاً   وَأَحْـسِـدُهَـا إِذَا هَـبَّـتْ جَـنُـوبَـا

أخذَهُ مِنْ قولِ جِرانِ العَوْدِ (٥) [من الطويل]

إِذَا هَبَّتِ ٱلْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ   وَجَـدْتُ لِـرَيَّـاهَـا عَـلَـىٰ كَـبِـدِي بَـرْدَا

وقالَ أيضاً (٦) [من البسيط]

وَيُغْمِدُ ٱلسَّيْفَ بَيْنَ ٱلنَّحْرِ وَٱلْجِيدِ

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٥)
(٢) انظر « ديوان البحتري » (١٠٧٣/٢)
(٣) انظر « ديوان العرجي » (ص ١٩١) ، و« الصناعتين » (ص ٢٠٧)
(٤) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٢٧٤)
(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٨)
(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٨)

أخذَهُ مِنْ قولِ بعضِ الفرسانِ (١) [من الوافر]

جَعَلْتُ ٱلسَّيْفَ بَيْنَ ٱللِّيتِ مِنْهُ ... وَبَيْنَ سَوَادِ لِحْيَتِهِ عِذَارَا

فإغمادُ السَّيفِ أقوىٰ مِنْ جعلِهِ عذاراً ، وقالَ أبو نُواسٍ (٢) [من الكامل]

سَبْطُ ٱلْبَنَانِ إِذَا ٱحْتَبَىٰ بِنِجَادِهِ ... غَمَرَ ٱلْجَمَاجِمَ وَٱلسِّمَاطُ قِيَامُ

يصفُ ممدوحَهُ ببسطةِ القامةِ ، فيقولُ إنَّهُ وهوَ قاعدٌ محتبٍ بنِجادِهِ يَطولُ مَنْ حولَهُ مِنَ العسكرِ وهُم قيامٌ ، وكانَ الخليفةُ إذا جلسَ مجلسَ المَهابةِ قامَ بجانبَيهِ صفَّانِ مُمتدَّانِ إلىٰ مسافةٍ مِنَ العسكرِ يمشي بينَهُما المارُّ إليهِ ، وهُما السِّماطانِ ، وكانَ يُقالُ قالَ فلانٌ القصيدةَ الفلانيةَ ، وأنشدَها بينَ السِّماطَينِ ، أخذَ أبو نُواسٍ قولَهُ مِنْ قولِ جريرٍ (٣) [من البسيط]

وَقَدْ أَطُولُ نِجَادَ ٱلسَّيْفِ مُحْتَبِياً ... مِثْلَ ٱلرُّدَيْنِيِّ هَزَّتْهُ ٱلْأَنَابِيبُ

وقالَ أيضاً في هٰذا المعنىٰ (٤) [من الطويل]

أَشَمُّ طَوِيلُ ٱلسَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا ... يُلَاثُ نِجَاداً سَيْفُهُ بِلِوَاءِ

أخذَهُ مِنْ قولِ عنترةَ (٥) [من الكامل]

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ ... يُحْذَىٰ نِعَالَ ٱلسِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْءَمِ

وقالَ محمدُ بنُ عطيةَ العدويُّ (٦) [من السريع]

مَا ٱلْعَيْشُ إِلَّا فِي جُنُونِ ٱلصِّبَا ... فَإِنْ تَقَضَّىٰ فَجُنُونُ ٱلْمُدَامْ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٨) ، والليت أدنىٰ صفحتي العنق ، وعنده (لحييه) بدل (لحيته)
(٢) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٤٢)
(٣) انظر « ديوان جرير » (٣٤٨/١)
(٤) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٤٨)
(٥) انظر « ديوان عنترة العبسي » (ص ٢١٢)
(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢٠٩ ـ ٢١٠)

رَاحٌ إِذَا مَـا ٱلـشَّـيْـخُ وَالَـىٰ بِـهَـا خَـمْـسـاً تَـرَدَّىٰ بِـرِدَاءِ ٱلْـغُـلَامْ

قيلَ أخذَهُ مِنْ قولِ حسانَ[1] [من الخفيف]

إِنَّ شَـرْخَ ٱلـشَّـبَـابِ وَٱلـشَّـعَـرَ ٱلأَسْـ ـوَدَ مَـا لَـمْ يُـعَـاصَ كَـانَ جُـنُـونَـا

وقالَ أبو تمامٍ[2] [من الكامل]

نَقِّلْ فُؤَادَكَ مَا ٱسْتَطَعْتَ مِنَ ٱلْهَوَىٰ مَـا ٱلْـحُـبُّ إِلَّا لِـلْـحَـبِـيـبِ ٱلْأَوَّلِ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْلَفُهُ ٱلْفَتَىٰ وَحَـنِـيـنُـهُ أَبَـداً لِأَوَّلِ مَـنْـزِلِ

أخذهُ مِنْ قولِ كثيرٍ[3] [من الطويل]

إِذَا مَـا أَرَادَتْ خُـلَّـةٌ أَنْ تُـزِيـلَـنَـا أَبَـيْـنَـا وَقُـلْـنَـا ٱلْـحَـاجِـبِـيَّـةُ أَوَّلُ

وقالَ أبو تمامٍ أيضاً[4] [من الطويل]

وَرَكْـبٍ كَـأَطْـرَافِ ٱلأَسِـنَّـةِ عَـرَّسُـوا عَلَىٰ مِثْلِهَا وَٱللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ

لِأَمْـرٍ عَـلَـيْـهِـمْ أَنْ تَـتِـمَّ صُـدُورُهُ وَلَـيْـسَ عَـلَـيْـهِـمْ أَنْ تَـتِـمَّ عَـوَاقِـبُـهْ

أخذَ البيتَ الأولَ مِنْ قولِ البعيثِ[5] [من الطويل]

أَطَـافَـتْ بِـرَكْـبٍ كَـٱلْأَسِـنَّـةِ هُـجَّـدِ بِـخَـاشِـعَـةِ ٱلْأَرْجَـاءِ غُـبْـرٍ صُـحُـونُـهَـا

والبيتُ الثاني مِنْ قولِ أعرابيٍّ[6] [من الوافر]

غُـلَامُ وَغـىً تَـقَـحَّـمَـهَـا فَـأَبْـلَـىٰ فَـخَـانَ بَـلَاءَهُ ٱلـزَّمَـنُ ٱلْـخَـؤُونُ

---

(١) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (١/٢٣٦)
(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٤/٢٥٣)
(٣) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٢٥٥)
(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٢٢١)
(٥) انظر « ديوان البعيث المجاشعي » (ص ٩٨)
(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢١٢)

وَكَانَ عَلَى ٱلْفَتَى ٱلْإِقْدَامُ فِيهَا   وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَتِ ٱلْمَنُونُ

وقالَ في رثاءِ ولدَينِ لعبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ (١)   [من الكامل]

نَجْمَانِ شَاءَ ٱللهُ أَلَّا يَطْلُعَا   إِلَّا ٱرْتِدَادَ ٱلطَّرْفِ حَتَّىٰ يَأْفِلَا

إِنَّ ٱلْفَجِيعَةَ بِٱلرِّيَاضِ نَوَاضِراً   لَأَجَلُّ مِنْهَا بِٱلرِّيَاضِ ذَوَابِلَا

لَهْفِي عَلَىٰ تِلْكَ ٱلْمَخَايِلِ فِيهِمَا   لَوْ أُمْهِلَتْ حَتَّىٰ تَكُونَ شَمَائِلَا

لَوْ يُنْسَأَانِ لَكَانَ هَـٰذَا غَارِباً   لِلْمَكْرُمَاتِ وَكَانَ هَـٰذَا كَاهِلَا

إِنَّ ٱلْهِلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ   أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْراً كَامِلَا

أَلمَّ في هـٰذهِ المعاني بقولِ الفرزدقِ وأجادَ ما شاءَ (٢)   [من الطويل]

وَجَفْنُ سِلَاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فَلَمْ أَنُحْ   عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ ٱلْبَوَاكِيَا

وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ   لَوَ ٱنَّ ٱلْمَنَايَا أَنْسَأَتْهُ لَيَالِيَا



ويُحكىٰ عن أبي نُواسٍ أنَّهُ كانَ يقولُ ما زلتُ أستهجنُ قولَ الشمَّاخِ (٣)   [من الوافر]

إِذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي   عَرَابَةَ فَٱشْرَقِي بِدَمِ ٱلْوَتِينِ

وموافقةُ ذي الرُّمَّةِ إيَّاهُ في قولِهِ (٤)   [من الطويل]

إِذَا ٱبْنَ أَبِي مُوسَىٰ بِلَالاً بَلَغْتِهِ   فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ عَيْنَيْكِ جَازِرُ

---

(١) هو أبو تمام انظر « ديوانه » (١١٤/٤ ـ ١١٥)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢١٢)

(٣) انظر « ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني » (ص ٣٢٣)

(٤) انظر « ديوان ذي الرمة » (١٠٤٢/٢)

حتىٰ سمعتُ قولَ الفرزدقِ (١) [من الوافر]

عَـلَامَ تَـلَـفَّـتِـيـنَ وَأَنْـتِ تَـحْـتِـي ... وَخَـيْـرُ ٱلـنَّـاسِ كُـلِّـهِـمُ أَمَـامِـي

مَـتَـىٰ تَـرِدِي ٱلرُّصَـافَـةَ تَـسْـتَـرِيـحِـي ... مِـنَ ٱلـتَّـهْـجِـيـرِ وَٱلـدَّبَـرِ ٱلـدَّوَامِـي

فتبعتُهُ في قولي (٢) [من الكامل]

وَإِذَا ٱلْـمَـطِـيُّ بِـنَـا بَـلَـغْـنَ مُـحَـمَّـداً ... فَـظُـهُـورُهُـنَّ عَـلَـى ٱلـرِّحَـالِ حَـرَامُ

قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ ٱلْحَصَىٰ ... فَـلَـهَـا عَـلَـيْـنَـا حُـرْمَـةٌ وَذِمَـامُ

وقلتُ (٣) [من الوافر]

أَقُـولُ لِـنَـاقَـتِـي إِذْ بَـلَّـغَـتْـنِـي ... لَـقَـدْ أَصْـبَـحْـتِ عِـنْـدِي بِـٱلـثَّـمِـيـنِ

فَـلَـمْ أَجْـعَـلْـكِ لِـلْـغِـرْبَـانِ نُـحْـلاً ... وَلَا قُـلْـتُ ٱشْـرَقِـي بِـدَمِ ٱلْـوَتِـيـنِ

حَـرُمْـتِ عَـلَـى ٱلْأَزِمَّـةِ وَٱلْـوَلَايَـا ... وَأَعْـلَاقِ ٱلـرِّحَـالَـةِ وَٱلْـوَضِـيـنِ

فأنتَ تراهُ قدِ اعترفَ بالمتابعةِ ، ولم يخشَ فيها معابةً ؛ لِمَا عرفتَ مِنِ استحسانِ سلوكِهِم تلكَ السبيلَ إذا أحسنوا وأجادوا

وقد شَرَّفَ هٰذا المعنىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حيثُ قالَ لامرأةٍ قالَتْ نجوتُ علىٰ هٰذهِ النجيبةِ ، ونذرتُ إن بلَّغَتْني أن أنحرَها « بِئْسَ مَا جَزَيْتِهَا » (٤)

ويُحكىٰ (٥) أنَّ دِعْبِلاً كانَ جالساً يوماً في جماعةٍ ، فجرىٰ ذكرُ

---

(١) انظر « ديوان الفرزدق » (٥٣٣/٢)

(٢) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٤١)

(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ١٥١)

(٤) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨٧٠٩) من حديث سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما

(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٢١٩)

أبي تمام ، فوقعَ فيهِ كما هوَ شأنُ أكثرِ المتعاصرينَ المشتركينَ في صناعةٍ ، وقالَ إنَّه يتتبعُ معانيَ فيأخذُها ، فقالَ رجلٌ ما مِنْ ذاكَ أعزَّكَ اللهُ ؟ فقالَ قلتُ (١) [من الطويل]

وَإِنَّ ٱمْـرَأً أَسْـدَىٰ إِلَـيَّ بِـشَـافِـعٍ إِلَيْهِ وَيَرْجُو ٱلشُّكْرَ مِنِّي لَأَحْمَقُ

شَفِيعَكَ فَٱشْكُرْ فِي ٱلْحَوَائِجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهْوَ يَخْلُقُ

فقالَ (٢) [من الكامل]

فَمَتَىٰ أَقُومُ بِحَقِّ شُكْرِكَ إِذْ جَنَتْ بِٱلْغَيْبِ كَفُّكَ لِي ثِمَارَ نَوَالِهِ

فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطَائِهِ وَلَقِيتَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُرَّ سُؤَالِهِ

وَإِذَا ٱمْرُؤٌ أَسْدَىٰ إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ

فقالَ الرجلُ أحسنَ واللهِ ، فقالَ دِعْبِلٌ كذبتَ قَبَّحَكَ اللهُ ، فقالَ الرجلُ إن كانَ سُبِقَ إلىٰ هٰذا المعنىٰ فتبعتَهُ . لما أحسنتَ ، وإن أخذَهُ منكَ لقد أجادَهُ ، فصارَ أَولىٰ بهِ منكَ ، فغضبَ دِعْبِلٌ وقامَ

فانظرْ ـ هداكَ اللهُ ـ في مثل هٰذا يُفِدْكَ أدباً ، فأيَّ إساءةٍ أساءَ دِعْبِلٌ ؛ فإنَّ مَنْ أسدىٰ يستوجبُ الشُّكرَ علىٰ أيِّ حالٍ ، ولِمَنْ أسدىٰ بشفيعٍ مِنَّتانِ ، وما على المحسنينَ مِنْ سبيلٍ ، وقد أظهرَ دِعْبِلٌ حماقتَهُ في قولِهِ (أحمقُ) و(يخلقُ) ، وكانَ طبعُ دِعْبِلٍ لا يصبرُ عنِ الهجاءِ ، وبقيَ مُدَّةً مستخفياً يدورُ في البلادِ ؛ لهجائِهِ الملوكَ ، وكانَ يقولُ أنا منذُ كذا وكذا أحملُ خشبتي علىٰ كتفي ؛ يعني خشبةَ الصَّلْبِ ؛ لكونِهِ كانَ يَتوقَّعُ ذٰلكَ ؛ لإفراطِهِ في التشيُّعِ ، وذمِّهِ خلفاءَ وقتِهِ ،

---

(١) انظر « ديوان دعبل الخزاعي » (ص ١٩٣)

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/٥٩ ـ ٦٠)

وأيَّ إحسانٍ أحسنَ أبو تمامٍ في سلاسةِ عبارتِهِ ، وتمامِ أدبِهِ

وسمعَ بشارٌ قولَ المجنونِ [1] [من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَىٰ عَصَا خَيْزُرَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكُفِّ تَلِينُ

فقالَ واللهِ ؛ لو جعلَها عصاً مِنْ زبدٍ أو مخٍ لَمَا أحسنَ ، ألا قالَ مثلَ ما قلتُ [2] [من الوافر]

وَحَوْرَاءُ الْمَدَامِعِ مِنْ مَعَدٍّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمَرُ الْجِنَانِ

إِذَا قَامَتْ بِسُبْحَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْزُرَانِ

واستهجنَ الناسُ قولَهُ (عظامَها)

ولمَّا قالَ بشارٌ [3] [من البسيط]

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهِجُ

تبعَهُ سَلْمٌ الخاسرُ فقالَ [من مخلع البسيط]

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمّاً وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

فلمَّا سمعَ بشارٌ هٰذا البيتَ قالَ ذهبَ ابنُ الفاعلةِ ببيتي ، وكانَ تلميذَهُ

ومِنْ حسنِ الاتباعِ [4] : قولُ إبراهيمَ بنِ العباسِ الصُّوليِّ إذا كانَ للمحسنِ مِنَ الثوابِ ما يُقنِعُهُ ، وللمُسيءِ مِنَ العقابِ ما يَقمَعُهُ ازدادَ المُحسِنُ في الإحسانِ رغبةً ، وانقادَ المُسيءُ للحقِّ رهبةً

---

(١) انظر « ديوان قيس بن الملوح » (ص ٢٦٤)

(٢) انظر « ديوان بشار بن برد » (٤/٢٢٠)

(٣) انظر « ديوان بشار بن برد » (٢/٥٦)

(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٠)

اتَّبَعَ فيهِ عليّاً كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ حيثُ يقولُ يجبُ على الوالي أن يَتعهَّدَ أمورَهُ ، ويَتفقَّدَ أعوانَهُ ، حتىٰ لا يخفىٰ عليهِ إحسانُ مُحسِنٍ ، ولا إساءةُ مُسيءٍ ، ثمَّ لا يتركُ واحداً منهُما بغيرِ جزاءٍ ، فإن تركَ ذٰلكَ تَهاونَ المُحسِنُ ، واجترأَ المُسيءُ ، [وفسدَ] الأمرُ ، وضاعَ العملُ

وقالَ بعضُهُم (١) [من الكامل]

أَأُقَاتِلُ ٱلْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ بِيَدٍ تُقِرُّ بِأَنَّهَا مَوْلَاتُهُ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ فِي ٱلصَّفِّ وَٱحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ

وقالَ نصيبٌ (٢)

فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِٱلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ ٱلْحَقَائِبُ

أي ولو سكتوا أثنَتْ عليكَ العطايا الظاهرةُ ، وقيلَ شهادةُ الأحوالِ أعدلُ مِنْ شهادةِ الأقوالِ

فكتبَ مَنْ كتبَ اتباعاً لذٰلكَ لو أمسكَ لساني عن شُكرِكَ لنطقَ أثرُكَ عليَّ

وفي موضعٍ آخَرَ ولو جحدتُ إحسانَكَ لأكذبَتْني آثارُكَ ، ونَمَّتْ عليَّ شواهدُهُ

وقالَ أبو نُواسٍ (٣) [من السريع]

قُولَا لِهَارُونَ إِمَامِ ٱلْهُدَىٰ عِنْدَ ٱحْتِفَالِ ٱلْمَجْلِسِ ٱلْحَاشِدِ
أَنْتَ عَلَىٰ مَا بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ فَلَسْتَ مِثْلَ ٱلْفَضْلِ بِٱلْوَاجِدِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢١)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٠)
(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٦٢)

لَـيْـسَ عَـلَـى ٱللهِ بِـمُـسْـتَـنْـكَـرٍ أَنْ يَـجْـمَـعَ ٱلْـعَـالَـمَ فِـي وَاحِـدِ

أخذاً مِنْ قولِ جريرٍ (١) [من الوافر]

إِذَا غَـضِـبَـتْ عَـلَـيَّ بَـنُـو تَـمِـيـمٍ وَجَـدْتُ ٱلـنَّـاسَ كُـلَّـهُـمُ غِـضَـابَـا

وقالَ ابنُ [أبي] عيينةَ (٢) [من مخلع البسيط]

مَـا كُـنْـتَ إِلَّا كَـلَـحْـمِ مَـيْـتٍ دَعَـا إِلَـى أَكْـلِـهِ ٱضْـطِـرَارُ

أخذَهُ مِنْ قولِ الأولِ (٣) [من الطويل]

وَإِنَّ بِـقَـوْمٍ سَـوَّدُوكَ لَـفَـاقَـةً إِلَـىٰ سَـيِّـدٍ لَـوْ يَـظْـفَـرُونَ بِـسَـيِّـدِ

وقالَ إبراهيمُ بنُ العباسِ (٤) [من مجزوء المتقارب]

لِـفَـضْـلِ بْـنِ سَـعْـدٍ يَـدٌ تَـقَـاصَـرَ عَـنْـهَـا ٱلْـمَـثَـلْ
فَـبَـسْـطَـتُـهَـا لِـلْـغِـنَـىٰ وَسَـطْـوَتُـهَـا لِـلأَجَـلْ
وَبَـاطِـنُـهَـا لِـلـنَّـدَىٰ وَظَـاهِـرُهَـا لِـلْـقُـبَـلْ

فقالَ ابنُ الروميِّ (٥) [من الكامل]

أَصْبَحْتُ بَيْنَ خَصَاصَةٍ وَتَجَمُّلٍ وَٱلْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلَا
فَٱمْدُدْ إِلَيَّ يَداً تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بَذْلَ ٱلنَّوَالِ وَظَهْرُهَا ٱلتَّقْبِيلَا

ولٰكنْ قولُ إبراهيمَ (باطنُها) و(ظاهرُها) أحسنُ مِنْ (تَعوَّدَ بطنُها)

---

(١) انظر « ديوان جرير » (٨٢٣/٢) ، و« الصناعتين » (ص ٢٢٢)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٨)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٢٨)
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٠) ، وفيه (سهل) بدل (سعد)
(٥) انظر « ديوان ابن الرومي » (١٩٠١/٥)

وقالَ بشارٌ[1] [من السريع]

اَلــدَّهْــرُ طَـــلَّاعٌ بِـــأَحْـــدَاثِـــهِ وَرُسْـــلُـــهُ فِــيــهَــا ٱلْــمَــقَــادِيــرُ
مَـحْـجُـوبَـةٌ تَـنْـفُـذُ أَحْـكَـامُـهَـا لَـيْـسَ لَـهَـا عَـنْ ذَاكَ تَـأْخِـيـرُ

فتبعَهُ ابنُ الروميّ حيثُ يقولُ في المدحِ[2] [من الطويل]

يَظَلُّ عَنِ ٱلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ بِمَعْزِلِ وَآثَـارُهُ فِـيـهَـا وَإِنْ غَـابَ شُـهَّـدُ
كَمَا ٱحْتَجَبَ ٱلْمِقْدَارُ وَٱلْحُكْمُ حُكْمُهُ عَلَى ٱلنَّاسِ طُرّاً لَيْسَ عَنْهُ مُعَرَّدُ

قال أبو هلالٍ[3] إلَّا أنَّ قولَ بشارٍ أكثرُ ماءً وطلاوةً

وقالَ أبو تمامٍ[4] [من الطويل]

وَجَدْتُ رَجَائِي فِيكَ وَحْدَكَ هِمَّةً وَلَـٰكِنَّهُ فِي سَائِرِ ٱلنَّاسِ مَطْمَعُ

قالَ أبو هلالٍ[5] أخذهُ البحتريُّ واختصرهُ[6] [من الطويل]

ثَـنَـىٰ أَمَلِي وَٱحْتَازَهُ عَنْ مَعَاشِرٍ يَبِيتُونَ وَٱلْآمَالُ فِيهِمْ مَطَامِعُ

وعجبتُ مِنْ قولِ أبي هلالٍ ؛ فقد نزلَ البحتريُّ عن أبي تمامٍ درجاتٍ

فأينَ هوَ مِنْ قولِهِ (وحدَكَ هِمَّةً) ، ومِنْ قولِهِ (في سائرِ الناسِ) ؟! وكيفَ يقولُ (اختصرَ) وهوَ يقولُ (ثنىٰ أملي واحتازَهُ عن معاشرٍ يبيتونَ) ؟!

---

(١) انظر « ديوان بشار بن برد » (٦٣/٤)
(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (٦٠٠/٢)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣١)
(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٣٣٣/٢)
(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٣)
(٦) انظر « ديوان البحتري » (١٣٠٣/٢)

وتبعَهُمُ ابنُ الروميِّ في هٰذا المعنىٰ حيثُ يقولُ[1] [من الطويل]

بِـهِ صَـدَّقَ ٱللهُ ٱلْأَمَـانِـي حَـدِيـثَـهَـا وَقَـدْ مَـرَّ دَهْـرٌ وَٱلْأَمَـانِـي وَسَـاوِسُ

وقالَ أبو تمامٍ[2] [من الخفيف]

هِـمَّـةٌ تَـنْـطَـحُ ٱلـنُّـجُـومَ وَجِـدٌّ آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ

وتبعَهُ البحتريُّ فلمْ يُسِئْ[3] [من الكامل]

مُـتَـحَـيِّـرٌ يَـغْـدُو بِـعَـزْمٍ قَـائِـمٍ فِـي كُـلِّ نَـائِـبَـةٍ وَجِـدٍّ قَـاعِـدِ

وقالَ أبو العتاهيةِ[4] [من الكامل]

كَـمْ نِـعْـمَـةٍ لَا تَـسْـتَـقِلُّ بِشُـكْـرِهَـا لِلهِ فِـي طَـيِّ ٱلْـمَـكَـارِهِ كَـامِـنَـهْ

فتبعَهُ أبو تمامٍ بقولِهِ[5] [من البسيط]

قَدْ يُنْعِمُ ٱللهُ بِٱلْبَلْوَىٰ وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي ٱللهُ بَعْض ٱلْقَوْمِ بِٱلنِّعَمِ

لٰكنَّهُ وإن زادَ فقولُ أبي العتاهيةِ أجملُ

وقالَ أبو تمامٍ[6] [من الخفيف]

رَافِـعـاً كَـفَّـهُ لِـبِـرِّي فَـمَـا أَحْـ ـسِـبُـهُ جَـاءَنِـي لِـغَـيْـرِ ٱلـلِّـطَـامِ

أخذَهُ البحتريُّ فأوضحَهُ وأحسنَ العبارةَ عنهُ[7] [من الوافر]

وَوَعْـدٌ لَـيْـسَ يُـعْـرَفُ مِـنْ عُـبُـوسٍ بِـأَوْجُـهِـهِـمْ أَوَعْـدٌ أَمْ وَعِـيـدُ

---

(١) انظر « ديوان ابن الرومي » (١٢٢٤/٣)

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٢٨٩/٢)

(٣) انظر « ديوان البحتري » (٥٠٧/١)

(٤) انظر « ديوان أبي العتاهية » (ص ٦٥٠)

(٥) انظر « ديوان أبي تمام » (٢٨٠/٣)

(٦) انظر « ديوان أبي تمام » (٢١٠/٣)

(٧) انظر « ديوان البحتري » (٥٨١/١)

وقالَ عربيٌّ [1] [من الطويل]

وَفَـرَّقْـتُ بَيْـنَ ٱبْـنَـيْ هُـتَـيْـمٍ بِـطَـعْـنَـةٍ لَـهَـا عَـانِـدٌ يَـكْـسُـو ٱلسَّـلِـيـبَ إِزَارَهُ

العانِدُ الدمُ الشديدُ الخروجِ ، فأخذَهُ البحتريُّ وقالَ [2] [من الكامل]

سُـلِـبُـوا وَأَشْـرَقَـتِ ٱلـدِّمَـاءُ عَـلَـيْـهِـمُ مُـحْـمَـرَّةً فَـكَـأَنَّـهُـمْ لَـمْ يُـسْـلَـبُـوا

علىٰ أنَّ (محمرةً) حشوٌ ، وكفاكَ هٰذا القدرُ مُنبِّهاً على اعتبارِ أمثالِهِ [عن] قراءةِ الأشعارِ ، متىٰ كنتَ مُستحضِراً

[أمثلةٌ في قُبحِ الأخذِ]

وهاكَ أمثلةً لقبيحِ الأخذِ فمِنْ ذٰلكَ ـ لو لم يكنْ مِنْ تواردِ الخواطرِ ـ قولُ طرفةَ [3] [من الطويل]

وُقُـوفـاً بِـهَـا صَـحْـبِـي عَـلَـيَّ مَـطِـيَّـهُـمْ يَـقُـولُـونَ لَا تَـهْـلِـكْ أَسـىً وَتَـجَـلَّـدِ

أخذاً مِنْ قولِ امرئِ القيسِ بتغييرِ القافيةِ [4] [من الطويل]

وُقُـوفـاً بِـهَـا صَـحْـبِـي عَـلَـيَّ مَـطِـيَّـهُـمْ يَـقُـولُـونَ لَا تَـهْـلِـكْ أَسـىً وَتَـجَـمَّـلِ

وقولُ الفرزدقِ [5] [من الطويل]

أَتَـرْجُـو رَبِـيـعٌ أَنْ تَـجِـيءَ صِـغَـارُهَـا بِـخَـيْـرٍ وَقَـدْ أَعْـيَـا رَبِـيـعـاً كِـبَـارُهَـا

مِنْ قولِ البعيثِ [6] [من الطويل]

أَتَـرْجُـو كُـلَـيْـبـاً أَنْ يَـجِـيءَ حَـدِيـثُـهَـا بِـخَـيْـرٍ وَقَـدْ أَعْـيَـا كُـلَـيْـبـاً قَـدِيـمُـهَـا

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٣) ، وفيه : (إزارها) بدل (إزاره)

(٢) انظر « ديوان البحتري » (٧٦/١)

(٣) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٦)

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٩)

(٥) انظر « ديوان الفرزدق » (٤٤٧/١)

(٦) انظر « ديوان البعيث المجاشعي » (ص ٩٢)

وفي تواردِ الخواطرِ يقولُ أبو عمرِو بنُ العلاءِ وقد سُئِلَ عنِ الشاعرَينِ يَتَّفقانِ[1] عقولُ رجالٍ توافَتْ على ألسنتِها

وفي تحقيقِ تواردِ الخواطرِ[2] يُروى أنَّهُ لمَّا أنشدَ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ عبدَ اللهِ بنَ العباسِ رضيَ اللهُ عنهُما قولَهُ

تَشِطُّ غَداً دَارُ جِيرَانِنَا

سبقَهُ لتتميمِ البيتِ فقالَ

وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

فقالَ عمرُ هٰكذا قلتُ ، فقالَ هٰكذا ينبغي أن يُقالَ

وإنَّ جريراً والفرزدقَ حضرا مَرَّةً مجلسَ هشامٍ أو غيرِهِ وعديُّ بنُ الرقَّاعِ يُنشِدُ قصيدتَهُ التي أوَّلُها[3] [من الكامل]

عَرَفَ ٱلدِّيَارَ تَوَهُّماً فَٱعْتَادَهَا

فلمَّا وصلَ إلى قولِهِ في صفةِ الغزالةِ وابنِها

تُزْجِي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

عرض للملكِ شغلٌ عنِ الاستماعِ ، فقالَ الفرزدقُ لجريرٍ ماذا تُراهُ يقولُ ؟ فقالَ جريرٌ أراهُ يستلبُ مثلاً ، قالَ الفرزدقُ إنَّهُ يقولُ

قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ ٱلدَّوَاةِ مِدَادَهَا

فلمَّا عادَ عديٌّ للإنشادِ وأتمَّ البيتَ هٰكذا قالَ جريرٌ لقد

---

(1) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٥)

(2) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٦)

(3) انظر « ديوان عدي بن الرقَّاع » (ص ٨٢) ، والبيت بتمامه

عَرَفَ ٱلدِّيَارَ تَوَهُّماً فَٱعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَمِلَ ٱلْبِلَىٰ أَبْلَادَهَا

حسدتُ الفرزدقَ علىٰ إدراكِهِ فوقَ ما حسدتُ عدياً علىٰ شعرِهِ

ومثلُ ذٰلك وقع كثيراً ، سيَّما في الأشعارِ المحكمةِ التي تُنبِئُ صُدورُها عن أعجازِها

وخطبَ النابغةُ بينَ يدَيِ النعمانِ ، فقالَ يُفضِّلُهُ علىٰ ملكِ غسانَ[1] أيفاخرُكَ ابنُ جفنةَ ؟! واللّاتِ ؛ لَأَمْسُكَ خيرٌ مِنْ يومِهِ ، ولَقَذالُكَ أحسنُ مِنْ وجهِهِ ، ولَيسارُكَ أسمحُ مِنْ يمينِهِ ، [ولعبيدُكَ أكثرُ] مِنْ قومِهِ ، ولَنفسُكَ أكبرُ مِنْ [جندِهِ] ، ولَيومُكَ أشرفُ مِنْ دهرِهِ ، ولَوعدُكَ أنجزُ مِنْ رِفدِهِ ، ولَهزلُكَ أضربُ مِنْ جِدِّهِ ، ولَكرسيُّكَ أرفعُ مِنْ سريرِهِ ، ولَفِترُكَ أبسطُ مِنْ شبرِهِ ، ولَأُمُّكَ خيرٌ مِنْ أبيهِ

فأخذَ الشعراءُ قولَ النابغةِ (ولَقذالُكَ أحسنُ مِنْ وجهِهِ) ، قالَ أبو نُواسٍ[2] [من الخفيف]

بَذَّ حُسْنَ ٱلْوُجُوهِ حُسْنُ قَفَاكَا

وقالَ عبدُ الصَّمدِ بنُ المعذلِ[3] [من الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ ٱلْبَدْرَ فِي ... أُفُقِ ٱلسَّمَاءِ وَقَدْ تَعَلَّىٰ
وَرَأَيْتُ قَرْنَ ٱلشَّمْسِ فِي ... أُفُقِ ٱلسَّمَاءِ وَقَدْ تَدَلَّىٰ
شَبَّهْتُ ذَاكَ وَهَـٰذِهِ ... وَأَرَىٰ شَبِيهَهُمَا أَجَلَّا
وَجْهُ ٱلْحَبِيبِ إِذَا بَدَا ... وَقَفَا ٱلْحَبِيبِ إِذَا تَوَلَّىٰ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٧)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٧) ، والبيت بتمامه
بِأَبِي أَنْتَ مِنْ مَلِيحٍ بَدِيعٍ ... بَذَّ حُسْنَ ٱلْوُجُوهِ حُسْنُ قَفَاكَا
(٣) انظر « ديوان عبد الصمد بن المعذّل » (ص ١٥٣)

قالَ أبو هلالٍ[1] لا يَحسُنُ أن يُقالَ للرجلِ قَفاكَ حالُهُ كذا وكذا

فعبارةُ النابغةِ أحسنُ

وسمعَ الحسنُ بنُ وهبٍ قولَ أعرابيٍّ جمعَتْني وإيَّاها ظلمةُ الليلِ ، وكانَ البدرُ يُزيِّنُها ، فلمَّا غابَ أرتْنيهِ ، فقالَ[2] [من الوافر]

أَرَانِي ٱلْبَدْرُ سُنَّتَهَا عِشَاءً فَلَمَّا أَزْمَعَ ٱلْبَدْرُ ٱلْأُفُولَا
أَرَتْنِيهِ بِسُنَّتِهَا فَكَانَتْ مِنَ ٱلْبَدْرِ ٱلْمُنَوَّرِ لِي بَدِيلَا

فأساءَ بالإطالةِ والتكريرِ وسوءِ العبارةِ ، فقد فاتَهُ قولُ الأعرابيِّ وكانَ البدرُ يزينُها

وقالَ البحتريُّ[3] [من الطويل]

أَضَرَّتْ بِضَوْءِ ٱلْبَدْرِ وَٱلْبَدْرُ طَالِعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ ٱلْبَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا

قالَ أبو هلالٍ[4] زادَ البحتريُّ على الأعرابيِّ في قولِهِ (أضرَّتْ)

قلتُ ولم يصبْ ، فليسَ قولُهُ (أضرَّتْ) واقعاً مِنَ الحسنِ موقعَ قولِ الأعرابيِّ

وسمعَ بعضُهُم قولَ محمودٍ الوراقِ[5] [من الطويل]

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ ٱللهِ نِعْمَةً عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ ٱلشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ ٱلشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ ٱلْأَيَّامُ وَٱتَّصَلَ ٱلْعُمْرُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨)
(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨)
(٣) انظر « ديوان البحتري » (١/١٩٧)
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨)
(٥) انظر « ديوان محمود الوراق » (ص ١٢١)

إِذَا مَسَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهُ وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَّاءِ أَعْقَبَهُ أَجْرُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ

فقالَ وأساءَ(١) [من البسيط]

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ ذُو نِعَمٍ لَمْ يُحْصِهَا عَدَداً بِالشُّكْرِ مَنْ حَمِدَا
شُكْرِي لَهُ عَمَلٌ فِيهِ عَلَيَّ لَهُ شُكْرٌ يَكُونُ فَمَا لِلشُّكْرِ فِيهِ مَدَىٰ

وقالَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحسِنُهُ ، فقالَ ابنُ طباطبا العلويُّ(٢) [من الطويل]

فَيَا لَائِمِي دَعْنِي أُغَالِي بِقِيمَتِي فَقِيمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ

وقالَ آخَرُ [من المتقارب]

فَقِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ عِلْمُهُ

فأساءَ كلٌّ ، وإساءةُ الأوَّلِ أشدُّ ؛ فإنَّ قولَهُ (كلُّ الناسِ) ليسَ كقولِهما (كلُّ امرئٍ)

وقالَ عربيٌّ(٣) [من الوافر]

دَنَوْتُ لَهُ بِأَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ كَمَا يَدْنُو الْمُصَافِحُ لِلْعِنَاقِ

فأساءَ في أخذِهِ أبو تمامٍ حيثُ يقولُ(٤) [من البسيط]

حَنَّ إِلَى الْمَوْتِ حَتَّىٰ ظَنَّ جَاهِلُهُ بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقاً إِلَىٰ وَطَنِ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٨)
(٢) انظر « ديوان ابن طباطبا » (ص ١٢٦)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٣٩)
(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٤/١٤٠)

وأحسنَ البحتريُّ أخذَهُ في قولِهِ (١) [من الطويل]

تَسَرَّعَ حَتَّىٰ قَالَ مَنْ شَهِدَ ٱلْوَغَىٰ   لِقَاءُ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءُ حَبَائِبِ

وقالَ ذو الرُّمةِ (٢) [من الطويل]

وَلَيْلٍ كَجِلْبَابِ ٱلْعَرُوسِ ٱدَّرَعْتُهُ   بِأَرْبَعَةٍ وَٱلشَّخْصُ فِي ٱلْعَيْنِ وَاحِدُ
أَحَمُّ عِلَافِيٌّ وَأَبْيَضُ صَارِمٌ   وَأَسْمَرُ خَطِّيٌّ وَأَبْيَضُ مَاجِدُ

فأساءَ في أخذِهِ أبو تمامٍ في قولِهِ (٣) [من البسيط]

اَلْبِيدُ وَٱلْعِيسُ وَٱللَّيْلُ ٱلتَّمَامُ مَعاً   ثَلَاثَةٌ أَبَداً يُقْرَنَّ فِي قَرَنِ

فقولُهُ (والليلُ التمامُ معاً) ، وقولُهُ (ثلاثةٌ أبداً) ، وقولُهُ (يقرنَّ في قرنِ) كلُّها عباراتٌ قبيحةٌ

وأجادَ البحتريُّ الاتباعَ بعضَ الإجادةِ في قولِهِ (٤) [من الخفيف]

أُطْلُبَا ثَالِثاً سِوَايَ فَإِنِّي   رَابِعُ ٱلْعِيسِ وَٱلدُّجَىٰ وَٱلْبِيدِ

وقالَ البحتريُّ (٥) [من الكامل]

قَوْمٌ تَرَىٰ أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ ٱلْوَغَىٰ   مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ ٱلْكِتْمَانِ

فقصرَ عن أصلِهِ ؛ وهوَ قولُ عمرِو بنِ معديكربَ (٦) [من الكامل]

وَٱلضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مُرْهَفٍ   وَٱلطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ ٱلْأَضْغَانِ

---

(١) انظر « ديوان البحتري » (١/١٧٨)
(٢) انظر « ديوان ذي الرمة » (٢/١١٠٨ ـ ١١٠٩)
(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/٣٣٨)
(٤) انظر « ديوان البحتري » (١/٦٣٣)
(٥) انظر « ديوان البحتري » (٤/٢٣٦٥)
(٦) تقدم (٢/٦٢)

فقولُهُ : (مجامعَ الأضغانِ) أجودُ مِنْ قولِهِ : (مواطنَ الكتمانِ) لأنَّهُم إنَّما يطاعنونَ الأعداءَ مِنْ أجلِ أضغانِهِم ، فإذا وقع الطَّعنُ في موضعِ الضِّغْنِ فذاكَ المرادُ ، وقالَ البحتريُّ أيضاً[1] [من الكامل]

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا فَلَوَ ٱنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ

مُنِعَتْ بصيغةِ فعلِ المجهولِ ؛ أي منعَها أهلُها ، وكذلكَ (بُذِلَتْ) أي لو بذلُوها ، فقصَّرَ فيهِ عن قولِ عبدِ الصَّمدِ بنِ المُعذِّلِ لاختصارِهِ وظهورِ المعنىٰ فيهِ[2] [من مجزوء الكامل]

ظَبْيٌ كَأَنَّ بِخَصْرِهِ مِنْ دِقَّةٍ ظَمَأً وَجُوعَا
وَمِنَ ٱلْبَلِيَّةِ أَنَّنِي عُلِّقْتُ مَمْنُوعاً مَنُوعَا

وغيرُ حسنٍ قولُهُ (ظمأً وجوعاً)

وقد يتفقُ الشاعرانِ الآخذُ والمأخوذُ منهُ في سوءِ العبارةِ ؛ كقولِ ابنِ أذينةَ[3] [من السريع]

كَأَنَّمَا عَائِبُهَا دَائِباً زَيَّنَهَا [عِنْدِي] بِتَزْيِينِ

وقولِ أبي نُواسٍ[4] [من السريع]

كَأَنَّهُمْ أَثْنَوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِٱلَّذِي عَابُوا

وربَّما اتفقا في الإجادةِ ؛ كقولِ أعرابيٍّ[5] [من الطويل]

فَنَمَّ عَلَيْهَا ٱلْمِسْكُ وَٱللَّيْلُ عَاكِفُ

---

(١) انظر « ديوان البحتري » (١٧٤٢/٣)
(٢) انظر « ديوان عبد الصمد بن المعذِّل » (ص ١٣٥)
(٣) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤١)
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤١)
(٥) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤١)

وقولِ البحتريِّ (١) [من الطويل]

وَحَاوَلْنَ كِتْمَانَ ٱلتَّرَحُّلِ فِي ٱلدُّجَىٰ فَنَمَّ بِهِنَّ ٱلْمِسْكُ حِينَ تَضَوَّعَا

وقالَ أيضاً (٢) [من المتقارب]

فَكَانَ ٱلْعَبِيرُ بِهَا وَاشِياً وَجَرْسُ ٱلْحُلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيبَا

وزاحمَهُما المتنبي بقولِهِ (٣) [من الكامل]

قَلَقُ ٱلْمَلِيحَةِ وَهْيَ مِسْكٌ هَتْكُهَا وَمَسِيرُهَا فِي ٱللَّيْلِ وَهْيَ ذُكَاءُ

فجمعَ شيئَينِ كما فعلَ البحتريُّ في بيتِهِ الثاني ، ولـٰكنَّهُ سقطَ في أسفلِ الرابيةِ

وقالَ عربيٌّ (٤) [من الطويل]

حَرَامٌ عَلَىٰ أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُدْبِرٍ وَتَنْدَقُّ قِدْماً فِي ٱلصُّدُورِ صُدُورُهَا

مُسَلَّمَةٌ أَعْجَازُ خَيْلِيَ فِي ٱلْوَغَىٰ مُكَلَّمَةٌ لَبَّاتُهَا وَنُحُورُهَا

وقالَ أبو تمامٍ (٥) [من الطويل]

أُنَاسٌ إِذَا مَا ٱسْتَحْكَمَ ٱلرَّوْعُ كَسَّرُوا صُدُورَ ٱلْعَوَالِي فِي صُدُورِ ٱلْكَتَائِبِ

فأحسنا جميعاً

ومِنْ وادي هـٰذا الكلامِ قولُ بعضِهِم (٦) [من الكامل]

يَلْقَى ٱلسُّيُوفَ بِوَجْهِهِ وَبِنَحْرِهِ وَيُقِيمُهَا مِنْهُ مُقَامَ ٱلْمِغْفَرِ

---

(١) انظر « ديوان البحتري » (١٢٦٣/٢)
(٢) انظر « ديوان البحتري » (١٥٠/١)
(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٣)
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣)
(٥) انظر « ديوان أبي تمام » (٢٠٧/١) ، و« الصناعتين » (ص ٢٤٣)
(٦) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣)

وَيَقُولُ لِلطِّرْفِ ٱصْطَبِرْ لِشَبَا ٱلْقَنَا   فَهَدَمْتُ رُكْنَ ٱلْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُعْقَرِ

وفي قولِهِ (ويقيمُها) استخدامٌ ؛ فإنَّ الكنايةَ لسيوفِ الممدوحِ

وقولُ أبي بكرِ بنِ النطّاحِ (١)   [من الخفيف]

يَتَلَقَّى ٱلنَّدَىٰ بِوَجْهٍ حَيِيٍّ   وَصُدُورَ ٱلْقَنَا بِوَجْهٍ وَقَاحِ

وهٰذا كلُّهُ مأخوذٌ مِنْ قولِ كعبِ بنِ زهيرٍ (٢)   [من البسيط]

لَا يَقَعُ ٱلطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمُ   وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ ٱلْمَوْتِ تَهْلِيلُ

أو مِنْ قولِ حسّانَ (٣)   [من الطويل]

وَلَسْنَا عَلَى ٱلْأَعْقَابِ تَدْمَىٰ كُلُومُنَا   وَلَٰكِنْ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدَّمَا

هٰذا ما أردتُ نقلَهُ مِنْ كتابِ أبي هلالٍ ، فاستوعِهِ



تمّ المجلّد الثالث

ويليه المجلّد الرّابع ، وأوّله .. (نقد الشّعر)

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣)

(٢) انظر « الصناعتين » (ص ٢٤٣)

(٣) انظر « خزانة الأدب » (٤٩٠/٧) ، وهو للحصين بن الحمام ، وقد تقدم (٢٢٩/٣ ـ ٢٣٠) ضمن أبيات

محتوى المجلد الثالث



الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

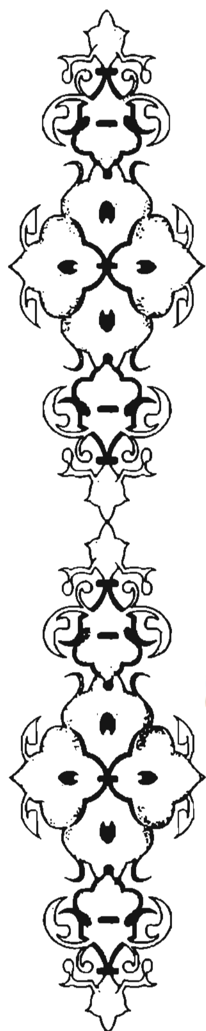
مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمه الله تعالى

(ت ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م)

المجلد الرابع

دار المنهاج




الوسيلة الأدبية
إلى العلوم العربية
٤


بسم الله الرحمن الرحيم

الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمه الله تعالى

(ت ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م)

عني به

الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل



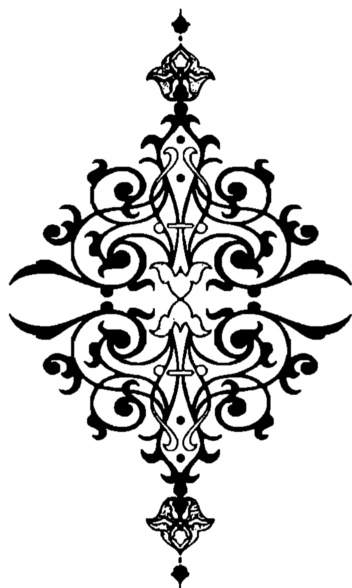


الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م

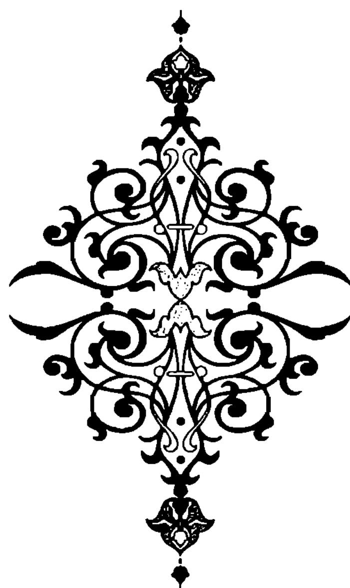
دار المنهاج للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية ـ جدة
حي الكندرة ـ شارع الملك فهد ـ جانب البنك الفرنسي
هاتف رئيسي 00966 12 6326666
المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392
ص. ب 22943 ـ جدة 21416
www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com
ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6

الكتاب الأوّل الّذي راض خيال شوقي، وصقل طبعه
وصحّح نشأته الأدبيّة هو بعينه الّذي كانت منه بصيرة حافظ
أي: كتاب «الوسيلة الأدبيّة» للمَرْصَفيّ

مصطفى صادق الرّافعيّ



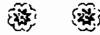
فنّ نقد الشّعر



[الناسُ في نقدِ الشعرِ وسائرِ الكلامِ صنفانِ]

ثمَّ اعلمْ أنَّ الناسَ في نقدِ الشعرِ وسائرِ الكلامِ صنفانِ

الصِّنفُ الأوَّلُ الشُّعراءُ والكُتَّابُ ورُواةُ المنظومِ والمنثورِ مِنَ العلماءِ لغرضِ التعليمِ والتأديبِ ، وهٰؤلاءِ إنَّما انتقدوا بما ظهرَ قبحُهُ ، وتَبيَّنَ فيهِ المخالفةُ للحكمةِ في تشريفِ النوعِ الإنسانيِّ بالكلامِ ؛ كنوعَيِ التعقيدِ والحشوِ والتطويلِ ، والخطأ في المعاني ، واستعمالِ ألفاظٍ لائقةٍ بمَقامٍ في غيرِهِ إلىٰ ما يشاكلُ ذٰلكَ ، وكفاكَ ما سلفَ مُنبِّهاً عليهِ ، وربَّما تسامحوا في أشياءَ ليسَتْ بتلكَ المنزلةِ ؛ لِمَا عرفوا مِنَ القصورِ الطبيعيِّ الذي لا يمكنُ معَهُ الاستكمالُ على الإطلاقِ



الصِّنفُ الثاني أولٰئكَ العلماءُ الذين تَكلَّموا في إثباتِ إعجازِ القرآنِ الشريفِ مِنْ جهةِ البلاغةِ ، ووضعوا لذٰلكَ مُصنَّفاتٍ ، وهٰؤلاءِ حيثُ إنَّهُم قرنوا بينَ الكلامِ البريءِ مِنْ كلِّ عيبٍ جلَّ أو دقَّ ، ظهرَ أو خفيَ ، وهوَ كلامُ مَنْ لا تَخفىٰ عليهِ خافيةٌ ، وبينَ كلامِ الناسِ الذينَ هُم موضعُ السَّهوِ والنِّسيانِ ، لا يكادُ يَسلَمُ لهُم كلامٌ مِنْ مُتعلَّقٍ لزمَهُم أن يبالغوا في البحثِ والتفتيشِ ، وألَّا يَتغاضَوا عن شيءٍ يمكنُ أن يُؤثِّرَ في سلامةِ الكلامِ وبراءتِهِ مِنَ المطاعنِ



[نقدُ الإمامِ الباقلانيِّ لمُعلَّقةِ امرئِ القيسِ]

وهاأنا موردٌ لكَ مِنْ ذٰلكَ أُنموذجاً قالَ أحدُ المُصنِّفينَ في ذٰلكَ الغَرَضِ حيثُ انتهىٰ مِنَ القولِ إلىٰ إبانةِ سقوطِ درجةِ الشعرِ كيفَما كانَ عن درجةِ الكتابِ العزيزِ مِنَ البلاغةِ[1] فنرجعُ الآنَ إلىٰ ما ضَمَّنَّاهُ مِنَ الكلامِ على الأشعارِ المُتَّفقِ علىٰ جودتِها وتقدُّمِ أصحابِها في صناعتِهِم ؛ ليبينَ لكَ تفاوتُ أنواعِ الخطابِ ، وتباعدُ مواقعِ البلاغةِ ، وتَستدِلَّ علىٰ مواضعِ البراعةِ

وأنتَ لا تَشُكُّ في جودةِ شعرِ امرئِ القيسِ ، ولا ترتابُ في براعتِهِ ، ولا تَتوقَّفُ في فصاحتِهِ ، وتعلمُ أنَّهُ قد أبدعَ في طرقِ الشعرِ أموراً اتُّبِعَ فيها ؛ مِنْ ذكرِ الدِّيارِ ، والوقوفِ عليها ، إلىٰ ما يتصلُ بذٰلكَ مِنَ البديعِ الذي أبدعَهُ ، والتشبيهِ الذي أحدثَهُ ، والمليحِ الذي تجدُ في شعرِهِ ، والتصرُّفِ الكثيرِ الذي تصادفُهُ في قولِهِ ، والوجوهِ التي ينقسمُ إليها كلامُهُ ؛ مِنْ صناعةٍ وطبعٍ ، وسلاسةٍ وعفوٍ ، ومتانةٍ ورقةٍ ، وأسبابٍ تُحمَدُ ، وأمورٍ تُؤثَرُ وتُمدَحُ

وقد ترى الأدباءَ أوّلاً يوازنونَ بهِ فلاناً وفلاناً ، ويَضمُّونَ أشعارَهُم إلىٰ شعرِهِ ، حتىٰ ربَّما وازنوا بينَ شعرِ مَنْ لقيناهُ وبينَهُ في أشياءَ لطيفةٍ وأمورٍ بديعةٍ ، وربَّما فَضَّلُوهم عليهِ ، أو سَوَّوْا بينَهُم وبينَهُ ، أو قَرَّبوا موضعَ تقدُّمِهِ عليهِم ، [وبَرَّزوهُ] بينَ أيديهِم

ولمَّا اختاروا قصيدتَهُ في السبعيَّاتِ أضافوا إليها أمثالَها ، وقرنوا بها نظائرَها ، ثمَّ تراهُم يقولونَ لفلانٍ لاميةٌ مثلُها ، ثمَّ ترىٰ أنفُسَ الشعراءِ تَتشوَّقُ إلىٰ معارضتِهِ ، وتساويهِ في طريقتِهِ ، وربَّما غَبَّرَتْ في وجهِهِ في أشياءَ كثيرةٍ ، وتَقدَّمَتْ عليهِ في أسبابٍ عجيبةٍ

---

(١) انظر « إعجاز القرآن » للباقلاني (ص ١٥٨ ـ ١٨٣)

وإذا جاؤُوا إلىٰ تَعدادِ محاسنِ شعرِهِ   كانَ أمراً محصوراً ، وشيئاً معروفاً ، أنتَ تجدُ مِنْ ذٰلكَ البديعَ أو أحسنَ منهُ في شعرِ غيرِهِ ، وتشاهدُ مثلَ ذٰلكَ البارعِ في كلامٍ سواهُ ، وتنظرُ إلى المُحدَثِينَ كيفَ تَوغَّلُوا إلىٰ حيازةِ المحاسنِ ؛ منهُم مَنْ جمعَ رصانةَ الكلامِ إلىٰ سلاستِهِ ، ومتانتَهُ إلىٰ عذوبتِهِ ، والإصابةَ في معناهُ إلىٰ تحسينِ بهجتِهِ ، حتَّىٰ إنَّ منهُم مَنْ إن قَصَّرَ عنهُ في بعضٍ تَقدَّمَ عليهِ في بعضٍ ؛ لأنَّ الجنسَ الذي يرمونَ إليهِ والغَرَض الذي يَتواردونَ عليهِ ممَّا للآدميِّ فيهِ مجالٌ ، فكلٌّ يَضرِبُ فيهِ بسهمٍ ، ويفوزُ فيهِ بقِدْحٍ ، ثمَّ قد تَتفاوتُ السِّهامُ تفاوتاً ، وتتباينُ تبايناً ، وقد تتقاربُ تقارباً ، علىٰ حَسَبِ مشاكلتِهِم في الصَّنائعِ ، ومساهمتِهِم في الحِرَفِ

ونظمُ القرآنِ جنسٌ مُتميِّزٌ ، وأسلوبٌ مُتخصِّصٌ ، فإذا شئتَ أن تَعرِفَ عظمَ شأنِهِ   فتأمَّلْ ما نقولُهُ في هٰذا الفصلِ لامرئِ القيسِ في أجودِ أشعارِهِ ، وما [نُبيِّنُ] لكَ مِنْ عَوارِهِ على التفصيلِ ، وذٰلكَ قولُهُ[1]   [من الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ   بِسِقْطِ ٱللِّوَىٰ بَيْنَ ٱلدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوضِحَ فَٱلْمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا   لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

الذينَ يَتعصَّبونَ لهُ ويَدَّعونَ المعرفةَ بمحاسنِ الشعرِ   يقولونَ هٰذا مِنَ البديعِ ؛ لأنَّهُ وقفَ واستوقفَ ، وبكىٰ واستبكىٰ ، وذكرَ العهدَ والحبيبَ والمنزلَ في نصفِ بيتٍ ، ونحوَ ذٰلكَ

وإنَّما بيَّنا هٰذا لئلَّا يقعَ لكَ ذهابُنا عن مواضعِ المحاسنِ إن كانَتْ

تأمَّلْ ـ أرشدكَ اللهُ ـ أنتَ   تعلمْ أنَّهُ ليسَ في البيتَينِ شيءٌ قد سبقَ في ميدانِهِ شاعراً ، ولا تَقدَّمَ بهِ صانعاً ، وفي لفظِهِ ومعناهُ خللٌ

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٨) وما بعدها ، وسيسرد الإمام الباقلاني رحمه الله تعالىٰ جلَّ هٰذه القصيدة

فأوَّلُ ذٰلكَ أنَّهُ استوقفَ ثمَّ استبكىٰ لذكرى الحبيبِ ، وذكراهُ لا تقتضي بكاءَ الخليِّ ، وإنَّما يصحُّ طلبُ [الإسعادِ] في مثلِ هٰذا علىٰ أن يبكيَ لبكائِهِ ، ويَرِقَّ لصديقِهِ في شدَّةِ بُرَحائِهِ ، فأمَّا أن يبكيَ علىٰ حبيبِ صديقِهِ وعشيقِ رفيقِهِ فأمرٌ محالٌ !!

فإن كانَ المطلوبُ وقوفَهُ وبكاءَهُ أيضاً عاشقاً صحَّ الكلامُ [مِنْ وجهٍ] ، وفسدَ المعنىٰ مِنْ وجهٍ آخَرَ ؛ لأنَّهُ مِنَ السخفِ أن يدعوَ غيرَهُ إلى التواجدِ معَهُ في حبيبِهِ

ثمَّ في البيتَينِ ما لا يفيدُ ، مِنْ ذكرِ هٰذهِ المواضعِ ، وتسميةِ هٰذهِ الأماكنِ ؛ مِنَ الدَّخولِ وحَوْمَلَ وتُوضِحَ والمِقراةِ وسقطِ اللِّوىٰ ، وقد كانَ يكفيهِ أن يذكرَ في التعريفِ بعض هٰذا ، وهٰذا التطويلُ إذا لم يفدْ كانَ ضرباً مِنَ العِيِّ

ثمَّ إنَّ قولَهُ (لم يعفُ رسمُها) ذكرَ الأصمعيُّ مِنْ محاسنِهِ أنَّهُ باقٍ ، فنحنُ نحزنُ علىٰ مشاهدتِهِ ، فلو عفا لاسترحْنا

وهٰذا بأن يكونَ من مَساويهِ أَولىٰ ؛ لأنَّهُ إن كانَ صادقَ الودِّ فلا يزيدُهُ عفاءُ الرُّسومِ إلَّا جِدَّةَ عهدٍ ، وشِدَّةَ وجدٍ

وإنَّما فَزِعَ الأصمعيُّ لذكرِ أنَّهُ أفادَ هٰذهِ الفائدةَ ؛ خشيةَ أن يُعابَ عليهِ فيُقالَ أيُّ فائدةٍ لأن يُعرِّفَنا أنَّهُ لم يعفُ رسمُ منازلِ حبيبِهِ ؟! وأيُّ معنىً لهٰذا الحشوِ ؟! فذكرَ ما يمكنُ أنَّهُ يُذكَرُ ، ولٰكنْ لم يُخلِّصْهُ بانتصارِهِ مِنَ الخَلَلِ

ثمَّ في هٰذهِ الكلمةِ خَلَلٌ آخَرُ ؛ لأنَّهُ عَقَّبَ البيتَ بأن قالَ (١)

فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

---

(١) سيذكر البيت تاماً بعد نهاية هٰذا المقطع مع بيت قبله ، فلينتبه

ذكرَ أبو عبيدةَ أنَّهُ رجعَ فأكذبَ نفسَهُ كما قالَ زهيرٌ[1] [من البسيط]

قِفْ بِٱلدِّيَارِ ٱلَّتِي لَمْ يَعْفُهَا ٱلْقِدَمُ بَلَىٰ وَغَيَّرَهَا ٱلْأَرْوَاحُ وَٱلدِّيَمُ

وقالَ غيرُهُ أرادَ بالبيتِ الأولِ أنَّهُ لم ينطمسْ أثرُهُ كلُّهُ ، وبالثاني أنَّهُ ذهبَ بعضُهُ ، حتىٰ لا يتناقض الكلامانِ ، وليسَ في هٰذا انتصارٌ ؛ لأنَّ معنىٰ (عفا) و(درسَ) واحدٌ ، فإذا قالَ لم يعفُ رسمُها ، ثمَّ قالَ قد عفا فهوَ تناقضٌ لا محالةَ ، واعتذارُ أبي عبيدةَ أقربُ لو صحَّ ، ولٰكنْ لم يَرِدْ هٰذا القولُ موردَ الاستدراكِ علىٰ ما قالَهُ زهيرٌ ، فهوَ إلى الخَلَلِ أقربُ

وقولُهُ (لِمَا نسجَتْها) كانَ ينبغي أن يقولَ لِمَا نسجَها ، ولٰكنَّهُ تَعسَّفَ فجعلَ (ما) في تأويلِ تأنيثٍ ؛ لأنَّها في معنى الريحِ ، والأَولى التذكيرُ دونَ التأنيثِ ، وضرورةُ الشعرِ قد دَلَّتْهُ علىٰ هٰذا التعسُّفِ

وقولُهُ (لم يَعفُ رسمُها) كانَ الأَولىٰ أن يقولَ لم يعفُ رسمُهُ ؛ لأنَّهُ ذكرَ المنزلَ ، فإن كانَ ردَّ ذٰلكَ إلىٰ هٰذهِ البقاعِ والأماكنِ التي المنزلُ واقعٌ بينَها فذٰلكَ خَلَلٌ ؛ لأنَّهُ إنَّما يريدُ صفةَ المنزلِ الذي نزلَهُ حبيبُهُ بعفائِهِ ، أو أنَّهُ لم يعفُ دونَ ما جاورَهُ ، وإن أرادَ بالمنزلِ الدارَ حتىٰ أنَّثَ فذٰلكَ أيضاً خَلَلٌ

ولو سَلِمَ مِنْ هٰذا كلِّهِ وممَّا نكرهُ ذكرَهُ كراهيةَ التطويلِ لم نَشُكَّ في أنَّ شعرَ أهلِ زمانِنا لا يَقصُرُ عن البيتَينِ ، بل يزيدُ عليهِما ويَفضُلُهُما



ثمَّ قالَ

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسىً وَتَجَمَّلِ

وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

---

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ١١٦) بشرح ثعلب ، وفيه النقل عن أبي عبيدة لهٰذا المعنىٰ

ليسَ في البيتَينِ أيضاً معنىً بديعٌ ، ولا لفظٌ حسنٌ ؛ كالأولَينِ

والبيتُ الأوَّلُ منهُما مُتعلِّقٌ بقولِهِ (قفا نبكِ) ، فكأنَّهُ قالَ قفا وقوفَ صحبي بها عليَّ مطيَّهُم ، أو قفا حالَ وقوفِ صحبي

وقولُهُ (بها) مُتأخِّرٌ في المعنىٰ وإن تَقدَّمَ في اللفظِ ، ففي ذٰلكَ تَكلُّفٌ وخروجٌ عنِ اعتدالِ الكلامِ

والبيتُ الثاني مُختلٌّ مِنْ جهةِ أنَّهُ قد جعلَ الدَّمعَ في اعتقادِهِ شافياً كافياً ، فما حاجتُهُ بعدَ ذٰلكَ إلىٰ طلبِ حيلةٍ أخرىٰ ، ومُعوَّلٍ عندَ الرُّسومِ ، ولو أرادَ أن يُحسِّنَ الكلامَ لوجبَ أن يَدُلَّ علىٰ أنَّ الدَّمعَ لا يَشفيهِ ؛ لشِدَّةِ ما بهِ مِنَ الحزنِ ، ثُمَّ يسائلَ هل عندَ الربعِ مِنْ حيلةٍ أخرىٰ ؟

وقولُهُ

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ ٱلْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا ... وَجَارَتِهَا أُمِّ ٱلرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ ٱلْمِسْكُ مِنْهُمَا ... نَسِيمَ ٱلصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا ٱلْقَرَنْفُلِ

أنتَ لا تَشُكُّ في أنَّ البيتَ الأوَّلَ قليلُ الفائدةِ ، ليسَ لهُ معَ ذٰلكَ بهجةٌ ، فقد يكونُ الكلامُ مصنوعَ اللفظِ وإن كانَ منزوعَ المعنىٰ

وأمَّا البيتُ الثاني فوجهُ التكلُّفِ فيهِ قولُهُ (إذا قامتا تَضوَّعَ المِسكُ منهُما) ، ولو أرادَ أنْ يُجوِّدَ أفادَ أنَّ بهِما طِيباً علىٰ كلِّ حالٍ ، فأمَّا في حالِ القيامِ فقطْ فذٰلكَ تقصيرٌ

ثمَّ فيهِ خَلَلٌ آخَرُ ؛ لأنَّهُ بعدَ أن شَبَّهَ عَرْفَها بالمِسكِ شَبَّهَ ذٰلكَ بريَّا القرنفلِ ، وذكرُ ذٰلكَ بعدَ ذكرِ المِسكِ نقصٌ

وقولُهُ

فَفَاضَتْ دُمُوعُ ٱلْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً ... عَلَى ٱلنَّحْرِ حَتَّىٰ بَلَّ دَمْعِيَ مِحْمَلِي

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ ... وَلَا سِيَّمَا يَوْماً بِدَارَةِ جُلْجُلِ

قولُهُ (ففاضَتْ دموعُ العينِ)، ثمَّ استعانتُهُ بقولِهِ (منِّي) استعانةٌ ضعيفةٌ عندَ المُتأخِّرينَ في الصَّنعةِ، وهوَ حشوٌ غيرُ مليحٍ ولا بديعٍ

وقولُهُ (على النَّحرِ) حشوٌ آخَرُ؛ لأنَّ قولَهُ (بلَّ دمعيَ مِحْمَلي) يغني عنهُ ويَدُلُّ عليهِ، وليسَ بحشوٍ حسنٍ

ثمَّ قولُهُ (حتىٰ بلَّ دمعيَ مِحْمَلي) إعادةُ ذكرِ الدَّمعِ حشوٌ آخَرُ، وكانَ يكفيهِ أن يقولَ: حتىٰ بَلَّتْ مِحْمَلي، فاحتاجَ في إقامةِ الوزنِ إلىٰ هـٰذا كلِّهِ، ثمَّ تقديرُهُ أنَّهُ قد أفرطَ في إفاضةِ الدَّمعِ حتىٰ بلَّ مِحملَهُ تفريطٌ منهُ وتقصيرٌ، ولو كانَ أبدعَ لكانَ يقولُ حتىٰ بلَّ دمعي مغانيَهُم وعراصَهُم، ويشبهُ أن يكونَ غرضُهُ إقامةَ الوزنِ والقافيةِ؛ فإنَّ الدَّمعَ يَبعُدُ أن يَبُلَّ المِحملَ، وإنَّما يقطرُ مِنَ الواقفِ والقاعدِ على الأرضِ، أو على الذَّيلِ، وإن بَلَّهُ فلقِلَّتِهِ، وأنَّهُ لا يقطرُ

وأنت تجدُ في شعرِ الخُبْزَرُزِّيِّ ما هوَ أحسنُ مِنْ هـٰذا البيتِ وأمتنُ وأعجبُ منهُ

والبيتُ الثاني خالٍ مِنَ المحاسنِ والبديعِ خُلُوَّهُ مِنَ المعنىٰ، وليسَ لهُ لفظٌ يَروقُ، ولا معنىً يَروعُ، ولا يرغْكَ تهويلُهُ باسمِ موضعٍ غريبٍ



وقالَ

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَىٰ مَطِيَّتِي ... فَيَا عَجَبا مِنْ رَحْلِهَا ٱلْمُتَحَمَّلِ

فَظَلَّ ٱلْعَذَارَىٰ يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا ... وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ ٱلدِّمَقْسِ ٱلْمُفَتَّلِ

تقديرُهُ اذكرْ يومَ عقرتُ مطيتي ، أو يَرُدُّهُ علىٰ قولِهِ ([يوماً] بدارةِ جُلْجُلِ)

قالَ بعضُ الأدباءِ قولُهُ (يا عجبا) يُعجِّبُ مِنْ سفهِهِ في شبابِهِ مِنْ نحرِهِ ناقتَهُ لهُنَّ ، وإنَّما أرادَ بألَّا يكونَ الكلامُ مِنْ هـٰذا المِصراعِ منقطعاً عنِ الأوَّلِ ، وأرادَ أن يكونَ الكلامُ ملائماً لهُ

وهـٰذا الذي ذكرَهُ بعيدٌ ، وهوَ منقطعٌ مِنَ الأوَّلِ ، وظاهِرُهُ أنَّهُ يَتعجَّبُ مِنْ تَحمُّلِ العذارىٰ رحلَهُ ، وليسَ في هـٰذا عجبٌ كبيرٌ ، ولا في نحرِ الناقةِ لهُنَّ تَعجُّبٌ

وإن كانَ يعني بهِ أنَّهُنَّ حملنَ رحلَهُ ، وأنَّ بعضَهُنَّ حملَتْهُ ، فعَبَّرَ عن نفسِهِ برحلِهِ   فهـٰذا قليلاً يشبهُ أن يكونَ عجباً ، لـٰكنَّ الكلامَ لا يَدُلُّ عليهِ ، ويَتجافىٰ عنهُ

ولو سلمَ البيتُ مِنَ العيبِ   لم يكنْ فيهِ شيءٌ غريبٌ ، ولا معنىً بديعٌ ، أكثرُ مِنْ سلامتِهِ معَ قِلَّةِ معناهُ ، وتقاربِ أمرِهِ ، ومشاكلتِهِ طبعَ المُتأخِّرينَ مِنْ أهلِ زمانِنا

وإلىٰ هـٰذا الموضعِ لم يَمُرَّ لهُ بيتٌ رائعٌ وكلامٌ رائقٌ

وأمَّا البيتُ الثاني   فيَعدُّونَهُ حسناً ، ويَعُدُّونَ التشبيهَ مليحاً واقعاً ، وفيهِ شيءٌ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ عَرَّفَ اللحمَ ونَكَّرَ الشحمَ ، فلا يُعلَمُ أنَّهُ وصفَ شحمَها ، وذكرَ تشبيهَ أحدِهِما بشيءٍ واقعٍ ، وعَجَزَ عن تشبيهِ الآخَرِ ، وهـٰذا نقصٌ في الصَّنعةِ ، وعَجْزٌ عن إعطاءِ الكلامِ حَقَّهُ

وفيهِ شيءٌ آخَرُ مِنْ جهةِ المعنىٰ ؛ وهوَ أنَّهُ وصفَ طعامَهُ الذي أطعمَ مَنْ أضافَ بالجودةِ ، وهـٰذا قد يُعابُ ، وقد يُقالُ إنَّ العربَ تفتخرُ بذٰلكَ ، ولا يرونَهُ عيباً ، وإنَّما الفُرْسُ هُمُ الذينَ يرونَ هـٰذا عيباً شنيعاً

وأمَّا تشبيهُ الشحمِ بالدمقسِ . فشيءٌ يقعُ للعامَّةِ ويجري علىٰ ألسنتِهِم ، فليسَ بشيءٍ قد سبقَ إليهِ ، وإنَّما زادَ (المُفَتَّلِ) للقافيةِ

وفيهِ شيءٌ آخَرُ ؛ وهوَ أنَّ تَبجُّحَهُ بما أطعمَ الأحبابَ مذمومٌ ، وإن ساغَ التبجُّحُ بما أطعمَ الأضيافَ ، إلَّا أن يكونَ أوردَ الكلامَ موردَ المجونِ والمزاحِ



وقولُهُ

وَيَوْمَ دَخَلْتُ ٱلْخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ ٱلْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ ٱلْغَبِيطُ بِنَا مَعاً عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا ٱمْرَأَ ٱلْقَيْسِ فَٱنْزِلِ

قولُهُ (دخلتُ الخِدرَ خِدرَ عنيزةٍ) ، تكريرُهُ لإقامةِ الوزنِ ، لا فائدةَ فيهِ غيرُها ، ولا ملاسةَ لهُ ولا رونقَ

وقولُهُ في المصراعِ الأخيرِ مِنْ هٰذا البيتِ (فقالَتْ لكَ الويلاتُ إنَّكَ مرجلي) كلامٌ مُؤنَّثٌ مِنْ كلامِ النساءِ ، نقلَهُ علىٰ جهتِهِ إلىٰ شعرِهِ ، وليسَ فيهِ غيرُ هٰذا

وتكريرُهُ بعدَ ذٰلكَ (تقولُ وقد مالَ الغبيطُ) يعني قتبَ الهودجِ بعدَ قولِهِ (فقالَتْ لكَ الويلاتُ إنَّكَ مرجلي) لا فائدةَ فيهِ غيرُ تقديرِ الوزنِ ، وإلَّا فحكايةُ قولِها الأوَّلِ كافٍ ، وهوَ في النظمِ قبيحٌ ؛ لأنَّهُ ذكرَ مَرَّةً (فقالَتْ) ، ومَرَّةً (تقولُ) في معنىً واحدٍ وفصلٍ خفيفٍ ، وفي مصراعِ الثاني أيضاً تأنيثٌ مِنْ كلامِهِنَّ

وذكرَ أبو عبيدةَ أنَّهُ قالَ (عقرتَ بعيري) ، ولم يقلْ (ناقتي) لأنَّهُم يحملونَ النساءَ علىٰ ذكورِ الإبلِ ؛ لأنَّها أقوىٰ ، وفيهِ نظرٌ ؛ لأنَّ البعيرَ اسمٌ للذَّكرِ والأُنثىٰ ، واحتاجَ إلىٰ ذكرِ البعيرِ لإقامةِ الوزنِ



وقولُهُ

فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ وَلَا تُبْعِدِينِي عَنْ جَنَاكِ ٱلْمُعَلَّلِ
فَمِثْلِكِ حُبْلَىٰ قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُغْيِلِ

البيتُ الأوّلُ قريبُ النَّسجِ ، ليسَ لهُ معنىً بديعٌ ، ولا لفظٌ شريفٌ ، كأنَّهُ مِنْ عباراتِ المُنحطِّينَ في الصَّنعةِ

وقولُهُ (فمثلِكِ حبلىٰ قد طرقتُ) عابَهُ عليهِ أهلُ العربيةِ ، ومعناهُ عندَهُم حتىٰ يستقيمَ الكلامُ فربَّ مثلِكِ حبلىٰ قد طرقتُ ، وتقديرُهُ أنَّهُ زيرُ نساءٍ ، وأنَّهُ يُفسِدُهُنَّ ويُلهيهِنَّ عن حَبَلِهِنَّ ورَضاعِهِنَّ ؛ لأنَّ الحبلىٰ والمرضعةَ أبعدُ مِنَ الغزلِ وطلبِ الرجالِ

والبيتُ الثاني غيرُ منتظمٍ معَ المعنى الذي قَدَّمَهُ في البيتِ الأولِ ؛ لأنَّ تقديرَهُ لا تبعديني عن نفسِكِ ؛ فإنِّي أغلبُ النساءَ وأَخدَعُهُنَّ عن رأيِهِنَّ ، وأُفسِدُهُنَّ بالتغازلِ ، وكونُهُ مفسدةً لهُنَّ لا يُوجِبُ لهُ وصلَهُنَّ وتركَ إبعادِهِنَّ إيَّاهُ ، بل يوجبُ هجرَهُ والاستخفافَ بهِ ؛ لسخفِهِ ودخولِهِ كلَّ مدخلٍ فاحشٍ ، وركوبِهِ كلَّ مركبٍ فاسدٍ ، وفيهِ مِنَ الفحشِ ما يستنكفُ الكريمُ مِنْ مثلِهِ ، ويأنفُ مِنْ ذكرِهِ

وقولُهُ

إِذَا مَا بَكَىٰ مِنْ خَلْفِهَا ٱنْصَرَفَتْ لَهُ بِشِقٍّ وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ
وَيَوْماً عَلَىٰ ظَهْرِ ٱلْكَثِيبِ تَعَذَّرَتْ عَلَيَّ وَآلَتْ حَلْفَةً لَمْ تُحَلَّلِ

فالبيتُ الأولُ غايةٌ في الفحشِ ، ونهايةٌ في السُّخفِ ، وأيُّ فائدةٍ لذكرِهِ لعشيقتِهِ كيفَ كانَ يركبُ هٰذهِ القبائحَ ، ويذهبُ هٰذهِ المذاهبَ ، ويَرِدُ هٰذهِ المواردَ ؟!

إنَّ هـٰذا ليبغِّضُهُ إلىٰ كلِّ مَنْ سمعَ كلامَهُ ، ويُوجِبُ لهُ المقتَ ، وهوَ لو صدقَ لَكانَ قبيحاً ، فكيفَ لو كانَ كاذباً ؟! ثمَّ ليسَ في البيتِ لفظٌ بديعٌ ولا معنىً حسنٌ ، وهـٰذا البيتُ متصلٌ بالبيتِ الذي قبلَهُ مِنْ ذكرِ المرضعِ التي لها ولدٌ مُحْوِلٌ

فأمَّا البيتُ الثاني وهوَ قولُهُ (ويوماً) يَتعجَّبُ منهُ ، وإنَّما تَشدَّدَتْ وتَعسَّرَتْ عليهِ وحلفَتْ عليهِ فهوَ كلامٌ رديءُ النَّسجِ ، لا فائدةَ لذكرِهِ لنا أنَّ حبيبتَهُ تَمنَّعَتْ عليهِ يوماً بموضعٍ يُسمِّيهِ ويصفُهُ ، وأنتَ تجدُ في شعرِ المُحدَثينَ مِنْ هـٰذا الجنسِ في التغزُّلِ ما يذوبُ معَهُ اللُّبُّ ، وتَطرَبُ عليهِ النفسُ ، وهـٰذا ممَّا تستنكرُهُ النفسُ ، ويَشمئزُّ منهُ القلبُ ، وليسَ فيهِ شيءٌ مِنَ الإحسانِ والحسنِ



وقولُهُ

أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْض هَـٰذَا ٱلتَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي
أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي ٱلْقَلْبَ يَفْعَلِ

فالبيت الأوَّلُ فيهِ ركاكةٌ جدّاً وتأنيثٌ ورقّةٌ ، ولعلَّ قائلاً أن يقولَ كلامُ النساءِ بما يلائمُهُنَّ مِنَ الطَّبعِ أوقعُ وأغزلُ ، وليسَ كذٰلكَ ؛ لأنَّكَ تجدُ الشُّعراءَ في المُؤنَّثِ لم يعدلوا عن رَصانةِ قولِهِم

والمِصراعُ الثاني منقطعٌ عنِ الأوَّلِ ، لا يلائمُهُ ولا يوافقُهُ ، وهـٰذا يبينُ لكَ إذا عرضتَ معَهُ البيتَ الذي تَقدَّمَهُ ، وكيفَ ينكرُ تدلُّلَها والمُتغزِّلُ يَطرَبُ علىٰ دلالِ الحبيبِ وتدلُّلِهِ ؟!

والبيتُ الثاني قد عِيبَ عليهِ ؛ لأنَّهُ قد أخبرَ أنَّ مِنْ سبيلِها ألَّا تَغترَّ بما

يَدُلُّها مِنْ أنَّ حبَّها يقتلُهُ ، وإنَّما تملكُ قلبَهُ ، فما أمَرتْهُ فعلَهُ ، وكيفَ يكونُ ذٰلكَ معَ ذٰلكَ ؟!

وإن كانَ المعنىٰ غيرَ هٰذا الذي عِيبَ عليهِ ، وإنَّما ذهبَ مذهباً آخَرَ ؛ وهوَ أنَّهُ أرادَ أن يُظهِرَ التجلُّدَ فهٰذا خلافُ ما أظهرَ مِنْ نفسِهِ فيما تَقدَّمَ مِنَ الأبياتِ ؛ مِنَ الحبِّ والبكاءِ على الأحبَّةِ ، فقد دخلَ في وجهٍ آخَرَ مِنَ المناقضةِ والإحالةِ في الكلامِ

ثمَّ قولُهُ (تأمري القلبَ يفعلِ) كانَ سبيلُهُ أن يقولَ تأمريني ؛ [إذِ] القلبُ لا يُؤمَرُ ، فالاستعارةُ في ذٰلكَ غيرُ واقعةٍ ولا حسنةٍ

وقولُهُ

فَإِنْ كُنْتِ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ [تَنْسُلِ]
وَمَا [ذَرَفَتْ] عَيْنَاكِ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

البيتُ الأوَّلُ قد قيلَ في تأويلِهِ إنَّهُ ذكرَ الثوبَ وأرادَ البدنَ ؛ مثلَ قولِ اللهِ تعالىٰ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [1] ، وقالَ أبو عبيدةَ هٰذا مثلٌ للهجرِ ، وتنسلُ تبينُ وتنفصلُ ، وهوَ بيتٌ ركيكُ المعنىٰ وضيعُهُ ، وكلُّ ما أضافَ إلىٰ نفسِهِ ووصفَها بهِ سقوطٌ وسفهٌ وسخفٌ ، ويُوجِبُ قطعَهُ ، فلِمَ لم يحكمْ علىٰ نفسِهِ بذٰلكَ ، ولٰكنْ يُورِدُهُ موردَ أن ليسَتْ لهُ خليقةٌ تُوجِبُ هجرانَهُ [والتفصِّيَ] مِنْ وصلِهِ ، وأنَّهُ مُهذَّبُ الأخلاقِ ، شريفُ الشمائلِ ، فذٰلكَ يُوجِبُ ألَّا ينفكَّ مِنْ وصالِهِ

والاستعارةُ في المصراعِ الثاني فيها تواضعٌ وتقاربٌ وإن كانَتْ غريبةً

---

(1) سورة المدثر (٤)

وأمَّا البيتُ الثاني فمعدودٌ مِنْ محاسنِ القصيدةِ وبدائعِها ، ومعناهُ ما بكيتِ إلَّا لتَجْرحي قلباً مُعشَّراً ـ أي مُكسَّراً ـ مِنْ قولِهِم برمةٌ أعشارٌ ؛ إذا كانَتْ قطعاً ، هٰذا تأويلٌ ذكرَهُ الأصمعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وهوَ أشبهُ عندَ أكثرِهِم

وقالَ غيرُهُ وهٰذا مثلٌ للأعشارِ التي تقسمُ الجَزورُ عليها ، ويعني (بسهمَيكِ) المُعلَّىٰ ؛ ولهُ سبعةُ أنصباءَ ، والرقيبَ ؛ ولهُ ثلاثةٌ ، فأرادَ أنَّكِ ذهبتِ بقلبي أجمعَ

ويعني بقولِهِ (مُقتَّلِ) مُذلَّلٍ ، وأنتَ تَعلمُ أنَّهُ علىٰ ما يعني بهِ فهوَ غيرُ موافقٍ للأبياتِ المُتقدِّمةِ ؛ لِمَا فيها مِنَ التناقضِ الذي بيَّنَّا

ويشبهُ أن يكونَ مَنْ قالَ بالتأويلِ الثاني فزِعَ إليهِ لأنَّهُ رأى اللفظَ مُستكرَهاً على المعنى الأول ؛ لأنَّ القائلَ إذا قالَ ضربَ فلانٌ بسهمِهِ في الهدفِ ؛ بمعنىٰ أصابَهُ كانَ كلاماً ساقطاً مرذولاً ، وهوَ يرىٰ أنَّ معنى الكلمةِ أنَّ عينَيها كالسَّهمَينِ النافذَينِ في إصابةِ قلبِهِ المجروحِ ، فلمَّا بكتا وذرفتا بالدُّموعِ كانَتا ضاربتَينِ في قلبِهِ

ولٰكنْ مَنْ حملَ على التأويلِ الثاني سَلِمَ مِنَ الخَلَلِ الواقعِ في اللفظِ ، ولٰكنَّهُ إذا حملَ على الثاني فسدَ المعنىٰ واختلَّ ؛ لأنَّهُ إن كانَ مُحِبّاً علىٰ ما وصفَ بهِ نفسَهُ مِنَ الصَّبابةِ فقلبُهُ كلُّهُ لها ، فكيفَ يكونُ بكاؤُها هوَ الذي يُخلِّصُ قلبَهُ لها ؟!

واعلمْ بعدَ هٰذا أنَّ البيتَ غيرُ ملائمٍ للبيتِ الأوَّلِ ولا مُتصِلٌ بهِ في المعنىٰ ، وهوَ منقطعٌ عنهُ ؛ لأنَّهُ لم يَسبِقْ كلامٌ يقتضي بكاءَها ، ولا سببٌ يُوجِبُ ذٰلكَ ، فتركيبهُ هٰذا الكلامَ علىٰ ما قبلَهُ فيهِ اختلالٌ

ثمَّ لو سُلِّمَ لهُ بيتٌ مِنْ عشرينَ بيتاً ، وكانَ بديعاً ولا عيبَ فيهِ فليسَ

بعجيبٍ ؛ لأنَّهُ لا يُدَّعىٰ علىٰ مثلِهِ أنَّ كلامَهُ كلَّهُ متناقضٌ ، ونظمَهُ كُلَّهُ متباينٌ ، وإنَّما يكفي أن نُبيِّنَ أنَّ ما سبقَ مِنْ كلامِهِ إلىٰ هـٰذا البيتِ ممَّا لا يمكنُ أن يُقالَ إنَّهُ يَتقدَّمُ فيهِ أحداً مِنَ المُتأخِّرينَ ، فضلاً عنِ المُتقدِّمينَ ، وإنَّما قُدِّمَ في شعرِهِ لأبياتٍ قد برعَ فيها ، وبانَ حذقُهُ بها

وإنَّما أنكرنا أن يكونَ شعرُهُ متناسباً في الجودةِ ، ومتشابهاً في صحَّةِ المعنىٰ واللفظِ ، وقلنا إنَّهُ يَتصرَّفُ بينَ وحشيٍّ غريبٍ مُستنكَرٍ ، وبينَ كلامٍ سليمٍ مُتوسِّطٍ ، وبينَ عامِّيٍّ سُوقيٍّ في اللفظِ والمعنىٰ ، وبينَ حكمةٍ حسنةٍ ، وبينَ سخْفٍ مستشنعٍ ، ولهـٰذا قالَ اللهُ عزَّ اسمُهُ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (١)

وقولُهُ

وَبَـيْـضَـةِ خِـدْرٍ لَا يُـرَامُ خِـبَـاؤُهَـا ... تَـمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرِ مُعْجَلِ
تَـجَاوَزْتُ أَحْرَاساً وَأَهْوَالَ مَعْشَرٍ ... عَلَيَّ حِرَاصٍ لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي

فقد قالوا عنىٰ بذٰلكَ أنَّها كبيضةِ خدرٍ في صفائِها ورقَّتِها ، وهـٰذهِ كلمةٌ حسنةٌ ، ولـٰكنْ لم يسبقْ إليها ، بل هيَ دائرةٌ في أفواهِ العربِ ، وتشبيهٌ سائرٌ

ويعني بقولِهِ (غيرِ مُعْجَلِ) أنَّهُ ليسَ ذٰلكَ ممَّا يَتَّفقُ قليلاً وأحياناً ، بل يَتكرَّرُ لهُ الاستمتاعُ بها ، وقد يحملُهُ غيرُهُ علىٰ أنَّهُ رابطُ الجأشِ ، فلا يستعجلُ إذا دخلَ إليها خوفَ حصانتِها [ومَنَعتِها] ، وليسَ في البيتِ كبيرُ فائدةٍ ؛ لأنَّ الذي حكىٰ في سائرِ أبياتِهِ قد تَضمَّنَ مطاولتَهُ في المغازلةِ ،

---

(١) سورة النساء (٨٢)

واشتغالَهُ بها ، فتكريرُهُ في هٰذا البيتِ مثلَ ذٰلكَ قليلُ المعنىٰ ، ليسَ فيهِ إلَّا الزيادةُ التي ذكرَ مِنْ [منعتِها]

والبيتُ الثاني ضعيفٌ ، وقولُهُ (لو يُسِرُّونَ مقتلي) أرادَ أن يقولَ لو أسرُّوا ، فإذا نقلَهُ إلىٰ هٰذا ضَعُفَ ، ووقعَ في مِضمارِ الضَّرورةِ ، والاختلالُ علىٰ نظمِهِ بيِّنٌ ، حتىٰ إنَّ المحترزَ يحترزُ مِنْ مثلِهِ



وقولُهُ

إِذَا مَا ٱلثُّرَيَّا فِي ٱلسَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ ٱلْوِشَاحِ ٱلْمُفَصَّلِ

قد أنكرَ عليهِ قومٌ قولَهُ (إذا ما الثريَّا في السماءِ تَعرَّضَتْ) وقالوا الثريَّا لا تَتعرَّضُ ، حتىٰ قالَ بعضُهُم سمَّى الثريَّا وإنَّما أرادَ الجوزاءَ ؛ لأنَّها تَتعرَّضُ ، والعربُ تفعلُ ذٰلكَ ، كما قالَ زهيرٌ (كأحمرِ عادٍ)[1] ، وإنَّما هوَ أحمرُ ثمودَ ، وقالَ بعضُهُم في تصحيحِ قولِهِ تَتعرَّضُ أوَّلَ ما تطلعُ ، كما أنَّ الوشاحَ إذا طرحَ يلقاكَ بعرضِهِ ؛ وهوَ ناحيتُهُ

وقالَ أبو عمرٍو يعني إذا أخذَتِ الثريَّا في وسطِ السماءِ كما يأخذُ الوِشاحُ وسطَ المرأةِ ، والأشبهُ عندَنا أنَّ البيتَ غيرُ معيبٍ مِنْ حيثُ عابوهُ بهِ ، وأنَّهُ مِنْ محاسنِ هٰذهِ القصيدةِ ، وإن كانَ فيهِ ضربٌ مِنَ التكلُّفِ ؛ لأنَّهُ قالَ (إذا ما الثريَّا في السماءِ تَعرَّضَتْ تعرُّضَ أثناءِ الوِشاحِ) فقولُهُ (تَعرَّضَتْ) مِنَ الكلامِ الذي يُستغنىٰ عنهُ ؛ لأنَّها تشبهُ أثناءَ الوِشاحِ سواءٌ كانَتْ في وسطِ السماءِ وعندَ الطُّلوعِ والمغيبِ ، والتهويلُ بالتعرُّضِ والتطويلُ بهٰذهِ الألفاظِ لا معنىٰ لهُ

---

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمى » (ص ٢٨) ، والبيت بتمامه
فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

وفيهِ أنَّ الثريَّا كقطعةٍ مِنَ الوشاحِ المُفصَّلِ ، فلا معنىٰ لقولِهِ (تَعرُّض أثناءِ الوِشاحِ) ، وإنَّما أرادَ أن يقولَ تعرُّض قطعةٍ مِنْ أثناءِ الوِشاحِ ، فلم يستقمْ لهُ اللفظُ

٭ ٭

وقولُهُ

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى ٱلسِّتْرِ إِلَّا لِبْسَةَ ٱلْمُتَفَضِّلِ

انظرْ إلىٰ هٰذا البيتِ والأبياتِ التي قبلَهُ كيفَ خَلَّطَ في النظمِ ، وفَرَّطَ في التأليفِ ، فذكرَ التمتُّعَ بها ، وذكرَ الوقتَ والحالَ والحُرَّاسَ ، ثمَّ يذكرُ كيفَ كانَ صفتُها لمَّا دخلَ عليها ووصلَ إليها ؛ مِنْ نزعِها ثيابَها إلَّا ثوباً واحداً ، والمُتفضِّلُ الذي في ثوبٍ واحدٍ ؛ وهوَ الفضلُ ، فما كانَ مِنْ سبيلِهِ أن يُقدِّمَهُ ذكرَهُ مُؤخَّراً

وقولُهُ (لدى السِّترِ) حشوٌ ، وليسَ بحسنٍ ولا بديعٍ

وقولُهُ

فَقُمْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَىٰ إِثْرِنَا أَذْيَالَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ ٱلْحَيِّ وَٱنْتَحَىٰ بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ

البيتُ الأوَّلُ ذكرَ فيهِ مساعدتَها إيَّاهُ حتىٰ قامَتْ معَهُ [ليخلوَا] ، وكانَتْ تَجُرُّ على الإثرِ أذيالَ مِرطٍ مُرحَّلٍ ، والمُرَحَّلُ ضربٌ مِنَ البُرودِ يُقالُ لوشيِهِ الترحيلُ ، وفيهِ تَكلُّفٌ ؛ لأنَّهُ قالَ : (وراءَنا علىٰ إثرِنا) ولو قالَ علىٰ إثرِنا كانَ كافياً ، والذَّيلُ إنَّما يُجَرُّ وراءَ الماشي ، فلا فائدةَ لذكرِهِ (وراءَنا) ، وتقديرُ القولِ فقمتُ أمشي بها ، وهٰذا أيضاً ضربٌ مِنَ التكلُّفِ

وقولُهُ (أذيالَ مِرْطٍ) كانَ مِنْ سبيلِهِ أن يقولَ ذيلَ مِرطٍ ، علىٰ أنَّهُ لو سَلِمَ مِنْ ذٰلكَ كانَ قريباً ، ليسَ ممَّا يفوتُ بمثلِهِ غيرُهُ ، ولا يَتقدَّمُ بِهِ سواهُ ، وقولُ ابنِ المعتزِّ أحسنُ منهُ[1] [من البسيط]

فَبِتُّ أَفْرِشُ خَدِّي فِي ٱلطَّرِيقِ لَهُ ذُلّاً وَأَسْحَبُ أَكْمَامِي عَلَى ٱلْأَثَرِ

وأمَّا البيتُ الثاني فقولُهُ (أجزنا) بمعنىٰ : قطعنا ، والخَبْتُ بطنٌ مِنَ الأرضِ ، والقُفُّ رملٌ مُتعرِّجٌ ، والعقنقلُ المُنعقِدُ مِنَ الرملِ الداخلُ بعضُهُ في بعضٍ

وهٰذا البيتُ نافرٌ عنِ الأبياتِ المُتقدِّمةِ ؛ لأنَّ فيها ما هوَ سلسٌ قريبٌ يُشبِهُ كلامَ المُولَّدينَ ، وهٰذا قد أغربَ فيهِ ، وأتىٰ بهٰذهِ اللفظةِ الوحشيةِ المُتعقِّدةِ ، وليسَ في ذكرِها وإلحاقِها بسوابقِها مِنَ الكلماتِ فائدةٌ ، والكلامُ الغريبُ واللفظةُ الشديدةُ المباينةُ لنسجِ الكلامِ قد تُحمَدُ إذا وقعَتْ موقعَ الحاجةِ في وصفِ ما يلائمُها ؛ كقولِهِ عزَّ وجلَّ في وصفِ يومِ القيامةِ ﴿ يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾[2] ، فأمَّا إذا وقعَتْ في غيرِ هٰذا الموقعِ فهيَ مكروهةٌ مذمومةٌ بحَسَبِ ما تُحمَدُ في موضعِها

ورُوِيَ أنَّ جريراً أنشدَ بعضَ خلفاءِ بني أميةَ قصيدتَهُ[3] [من الكامل]

بَانَ ٱلْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوَكُلَّمَا جَدُّوا لِبَيْنٍ تَجْزَعُ

كَيْفَ ٱلْعَزَاءُ وَلَمْ أَجِدْ مُذْ بِنْتُمُ قَلْباً يَقَرُّ وَلَا شَرَاباً يَنْقَعُ

فكانَ يزحفُ مِنْ حسنِ هٰذا الشعرِ حتىٰ بلغَ قولَهُ

وَتَقُولُ بَوْزَعُ قَدْ دَبَبْتَ عَلَى ٱلْعَصَا هَلَّا هَزِئْتِ بِغَيْرِنَا يَا بَوْزَعُ

---

(١) انظر « ديوان ابن المعتز » (٢/١٩٦) ، وفيه : (ذيلي) بدل (خدي)

(٢) سورة الإنسان (١٠)

(٣) انظر « ديوان جرير » (٢/٩٠٩)

فقالَ   أفسدتَ شعرَكَ بهٰذا الاسمِ

وقولُهُ

هَصَرْتُ بِغُصْنَيْ دَوْحَةٍ فَتَمَايَلَتْ ... عَلَيَّ هَضِيمَ ٱلْكَشْحِ رَيَّا ٱلْمُخَلْخَلِ

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ ... تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَٱلسَّجَنْجَلِ

فمعنىٰ قولِهِ (هصرتُ) جذبتُ وثنيتُ ، وقولِهِ (بغصنَيْ دوحةٍ) تعسُّفٌ ، ولم يكنْ مِنْ سبيلِهِ أن يجعلَها اثنَينِ ، والمِصراعُ الثاني أصحُّ ، وليسَ فيهِ شيءٌ إلَّا ما يَتكرَّرُ علىٰ ألسنةِ الناسِ مِنْ هاتَينِ الصِّفتَينِ وأنتَ تجدُ ذٰلكَ في وصفِ كلِّ شاعرٍ ، ولٰكنَّهُ معَ تَكرُّرِهِ على الألسنِ صالحٌ

وأمَّا معنىٰ قولِهِ (مُهفهفةٌ) أنَّها مُخفَّفةٌ ليسَتْ مُثقَلةً ، والمُفاضةُ : التي اضطربَ طولُها ، والبيتُ معَ مخالفتِهِ في الطَّبعِ الأبياتَ المُتقدِّمةَ ، ونزوعِهِ فيهِ إلى الألفاظِ المُستكرَهةِ ، وما فيهِ مِنَ الخَلَلِ مِنْ تخصيصِ الترائبِ بالضَّوءِ ، بعدَ ذكرِ جميعِها بالبياضِ   ليسَ بطائلٍ ، ولٰكنَّهُ قريبٌ مُتوسِّطٌ

وقولُهُ

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي ... بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

وَجِيدٍ كَجِيدِ ٱلرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ ... إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعَطَّلِ

معنىٰ قولِهِ : (عن أسيلٍ) أي : بأسيلٍ ، وإنَّما يريدُ خدّاً ليسَ بكزٍّ ، وقولُهُ (تتقي) يُقَالُ اتقاهُ بحقِّهِ ؛ أي جعلَهُ بينَهُ وبينَهُ ، وقولُهُ (تَصُدُّ وتبدي عن أسيلٍ) متفاوتٌ ؛ لأنَّ الكشفَ عنِ الوجهِ معَ الوصلِ دونَ الصَّدِّ ، وقولُهُ (تتقي بناظرةٍ) لفظةٌ مليحةٌ ، ولٰكنْ أضافَها إلىٰ ما نظمَ بهِ كلامَهُ ، وهوَ

مُختلٌّ ؛ وهوَ قولُهُ (مِنْ وحشٍ وجرةَ) ، ويجبُ أن تكونَ العبارةُ بخلافِ هٰذا ، كانَ مِنْ سبيلِهِ أنْ [يضيفَ] إلىٰ عيونِ الظِّباءِ أوِ المها دونَ إطلاقِ الوحشِ ، ففيهِنَّ ما تَستنكِرُ عيونَها ، وقولُهُ (مُطفِلٍ) فسَّروهُ علىٰ أنَّها ليسَتْ بصبيةٍ ، وأنَّها قدِ استحكمَتْ ، وهٰذا اعتذارٌ مُتعسِّفٍ

وقولُهُ (مُطفِلٍ) زيادةٌ لا فائدةَ فيها علىٰ هٰذا التفسير الذي ذكرَهُ الأصمعيُّ ، ولٰكنْ قد يَحتمِلُ عندي أن يفيدَ غيرَ هٰذهِ الفائدةِ ، فيُقالَ إنَّها إذا كانَتْ مُطفِلاً لَحَظَتْ أطفالَها بعينِ رقَّةٍ ، ففي نظرِ هٰذهِ رقَّةُ نظرِ المَودَّةِ ، ويقعُ الكلامُ مُعلَّقاً تعليقاً مُتوسِّطاً

وأمَّا البيتُ الثاني فمعنىٰ قولِهِ (ليسَ بفاحشٍ) أي ليسَ بفاحشِ الطُّولِ ، ومعنىٰ قولِهِ (نَصَّتْهُ) رفعَتْهُ ، وقولُهُ (ليسَ بفاحشٍ) في مدحِ الأعناقِ كلامٌ وحشٌ [1] موضوعٌ منهُ ، وإذا نظرتَ في أشعارِ العربِ رأيتَ في وصفِ الأعناقِ ما يشبهُ السحرَ ، فكيفَ وقعَ علىٰ هٰذهِ الكلمةِ ، ودُفِعَ إلىٰ هٰذهِ اللفظةِ ؟! وهلَّا قالَ كقولِ أبي نُواسٍ [2] [من مجزوء الكامل]

مِثْلُ ٱلظِّبَاءِ سَمَتْ إِلَىٰ رَوْضٍ صَوَادِرَ عَنْ غَدِيرِ

لستُ أُطوِّلُ عليكَ فتستثقلَ ، ولا أكثرُ القولَ في ذمِّهِ فتستوحشَ ، وأكِلُكَ إلىٰ جملةٍ مِنَ القولِ ؛ فإن كنتَ مِنْ أهلِ الصَّنعةِ فطنتَ واكتفيتَ ، وعرفتَ ما رمينا إليهِ واستغنيتَ ، وإن كنتَ عنِ الطَّبقةِ خارجاً ، وعنِ الإتقانِ بهٰذا الشأنِ خالياً فلا يكفيكَ البيانُ وإنِ استقرينا جميعَ شعرِهِ ، وتتبَّعْنا عامَّةَ ألفاظِهِ ، ودللْنا علىٰ ما في كلِّ حرفٍ منهُ



(١) في « إعجاز القرآن » (ص ١٧٩) (فاحش) بدل (وحش)
(٢) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٩١)

اعلمْ أنَّ هٰذهِ القصيدةَ قد تَردَّدَتْ بينَ أبياتٍ سُوقيَّةٍ مبتذَلةٍ ، وأبياتٍ مُتوسِّطةٍ ، وأبياتٍ ضعيفةٍ مرذولةٍ ، وأبياتٍ وحشيَّةٍ غامضةٍ مُستكرَهةٍ ، وأبياتٍ معدودةٍ بديعةٍ ، وقد دللْنا على المُبتذَلِ منها ، ولا يشتبهُ عليكَ الوحشيُّ المُستنكَرُ الذي يروعُ السمعَ ، ويهولُ القلبَ ، ويكدُّ اللسانَ ، ويَعْبِسُ معناهُ في وجهِ كلِّ خاطرٍ ، ويَكفهِرُّ مطلعُهُ علىٰ كلِّ مُتأمِّلٍ أو ناظرٍ ، ولا يقعُ بمثلِهِ التمدُّحُ والتفاصحُ ، وهوَ مجانبٌ لِمَا وُضِعَ لهُ أصلُ الإفهامِ ، ومخالفٌ لِمَا بُنِيَ عليهِ التفاهمُ بالكلامِ ، فيجبُ أن يسقطَ عنِ الغرضِ المقصودِ ، ويلحقَ باللغزِ والإشاراتِ المُستبهَمةِ



فأمَّا الذي زعموا أنَّهُ مِنْ بديعِ هٰذا الشعرِ فهوَ قولُهُ

وتُضْحِي فَتِيتُ ٱلْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا ... نَؤُومُ ٱلضُّحَىٰ لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

والمِصراعُ الأخيرُ عندَهُم بديعٌ ، ومعنىٰ ذٰلكَ أنَّها مُترَفةٌ مُتنعِّمةٌ ، لها مَنْ يكفيها ، ومعنىٰ قولِهِ (لم تَنتطِقْ عن تفضُّلٍ) يقولُ لم تنتطِقْ وهيَ فضلٌ ، و(عن) هيَ بمعنىٰ (بعدَ) ، قالَ أبو عبيدةَ لم تَنتطِقْ فتعملَ ، ولٰكنَّها تَفضَّلُ

وممَّا يَعُدُّونَهُ مِنْ محاسنِها

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ أَرْخَىٰ سُدُولَهُ ... عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ ٱلْهُمُومِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّىٰ بِصُلْبِهِ ... [وَأَرْدَفَ] أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

أَلَا أَيُّهَا ٱللَّيْلُ ٱلطَّوِيلُ أَلَا ٱنْجَلِي ... بِصُبْحٍ وَمَا ٱلْإِصْبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ

وكانَ بعضُهُم يعارضُ هٰذا بقولِ النابغةِ[1] [من الطويل]

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ ٱلْكَوَاكِبِ
وَصَدْرٍ أَرَاحَ ٱللَّيْلُ عَازِبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ ٱلْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
تَقَاعَسَ حَتَّىٰ قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ ٱلَّذِي يَتْلُو ٱلنُّجُومَ بِآيِبِ

وقد جرىٰ ذٰلكَ بينَ يدَيْ بعضِ الخلفاءِ ، فقَدَّمَ أبياتَ امرئِ القيسِ ، واستحسنَ استعارتَها ، وقد جعلَ للَّيلِ صدراً يَثْقُلُ تنحِّيهِ ، ويُبطِئُ تَقضِّيهِ ، وجعلَ لهُ أردافاً كثيرةً ، وجعلَ لهُ صُلْباً يَمتدُّ ويَتطاولُ ، ورأَوا هٰذا بخلافِ ما يَستعيرُهُ أبو تمامٍ مِنَ الاستعاراتِ الوحشيةِ البعيدةِ المُستنكرَةِ ، ورأَوا أنَّ الألفاظَ جميلةٌ

واعلمْ أنَّ هٰذا صالحٌ جميلٌ ، وليسَ مِنَ البابِ الذي يُقالُ إنَّهُ متناهٍ عجيبٌ ، وفيهِ إلمامٌ بالتكلُّفِ ، ودخلٌ في التعمُّلِ



وقد خرَّجوا لهُ في البديعِ مِنَ القصيدةِ قولَهُ

وَقَدْ أَغْتَدِي وَٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ

وقولَهُ أيضاً

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

فأمَّا قولُهُ (قيدِ الأوابدِ) فهوَ مليحٌ ، ومثلُهُ في كلامِ الشُّعراءِ وأهلِ الفصاحةِ كثيرٌ ، والتعمُّلُ بمثلِهِ ممكنٌ ، وأهلُ زمانِنا الآنَ يُصنِّفونَ نحوَ هٰذا

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٤٠)

تصنيفاً ، ويُؤَلِّفونَ المحاسنَ تأليفاً ، ثمَّ يُوشِّحونَ بهِ كلامَهُم ، والذينَ كانوا مِنْ قبلُ لغزارتِهم وتَمكُّنِهم لم يكونوا يَتصنَّعونَ لذٰلكَ ، إنَّما كانَ يَتَّفِقُ لهُمُ اتفاقاً ، ويَطَّرِدُ في كلامِهِمُ اطراداً

وأمَّا قولُهُ في وصفِهِ (مِكرّ مِفرّ) فقد جمعَ فيهِ طباقاً وتشبيهاً ، وفي سرعةِ جَرْيِ الفرسِ للشُّعراءِ ما هوَ أحسنُ مِنْ هٰذا وألطفُ ، وكذٰلكَ في جمعِهِ بينَ أربعةِ وجوهٍ مِنَ التشبيهِ في بيتٍ واحدٍ صنعةٌ ، ولٰكنْ قد عُورِض فيهِ وزُوحِمَ ، والتوصُّلُ إليهِ يسيرٌ ، وتَطلُّبُهُ سهلٌ قريبٌ

وقدْ بيَّنَّا لكَ أنَّ هٰذهِ القصيدةَ ونظائرَها تتفاوتُ في أبياتِها تفاوتاً بيِّناً ؛ في الجودةِ والرداءةِ ، والسَّلاسةِ والانعقادِ ، والسلامةِ والانحلالِ ، والتمكُّنِ [والاستصعابِ] ، والتسهُّلِ والاسترسالِ ، والتوحُّشِ والاستكراهِ ، ولهُ شركاءُ في نظائرِها ، ومنازعونَ في محاسنِها ، ومعارضونَ في بدائعِها ، ولا سواءٌ بينَ كلامٍ يُنحَتُ مِنَ الصَّخرِ تارةً ، ويذوبُ تارةً ، ويَتلوَّنُ تلوُّنَ الحِرباءِ ، ويَختلفُ اختلافَ الأهواءِ ، ويكثرُ في تَصرُّفِهِ اضطرابُهُ ، وتتقاذفُ بهِ أسبابُهُ ، وبينَ قولٍ يجري في سبكِهِ علىٰ نظامٍ ، وفي رصفِهِ علىٰ منهاجٍ ، وفي وضعِهِ علىٰ حدٍّ ، وفي صفائِهِ علىٰ بابٍ ، وفي بهجتِهِ ورونقِهِ علىٰ طريقٍ ، مختلفُهُ مؤتلفٌ ، ومؤتلفُهُ مُتَّحِدٌ ، ومتباعدُهُ مُتقارِبٌ ، وشاردُهُ مطيعٌ ، ومطيعُهُ شاردٌ ، وهوَ علىٰ مُتصرَّفاتِهِ واحدٌ ، لا يُستصعَبُ في حالٍ ، ولا يَتعقَّدُ في شأنٍ (١)



(١) إلىٰ هنا ينتهي النقل عن « إعجاز القرآن » (ص ١٨٣) للعلامة القاضي الباقلاني

[إنصافُ المُعلَّقةِ ممَّا وردَ عليها مِنَ الانتقادِ]

فأنتَ ترىٰ هٰذا الشيخَ كيفَ عمدَ إلىٰ قصيدةٍ قدِ اتفقَ العلماءُ وأهلُ الأدبِ علىٰ تَقدُّمِها في الجودةِ ، وعُلُوِّها في البلاغةِ ، حتىٰ جعلوها رأسَ القصائدِ السبعيَّاتِ ، فأفسدَ بالنقدِ صورتَها ، وغَبَّرَ في وجهِ بهجتِها

ولٰكنْ أقولُ إنَّهُ معَ نورانيةِ كلامِهِ ، وسلاسةِ عباراتِهِ ، وحسنِ سلوكِهِ في تقريرِ أغراضِهِ قد تحاملَ على امرئِ القيسِ بعضَ التحاملِ ، وما كانَ ينبغي ؛ فإنَّ التحاملَ في مَقامِ البرهنةِ يُوجِبُ نفرةً عنِ الاستماعِ ، واستصعاباً عنِ الانقيادِ ، ويكونُ ذٰلكَ سبباً لضياعِ الحقِّ

ولستُ أقولُ إنَّ كلامَ المخلوقِ أينَما بلغَ مِنْ رتبِ البلاغةِ يكادُ يداني كلامَ الخالقِ الذي لا تخفىٰ عليهِ خافيةٌ ، ولٰكنْ أقولُ إنَّهُ لا ينبغي أن يُبخَسَ كلامٌ حَقَّهُ ، ولا يُوفَّىٰ قسطَهُ ، ويُعترَفَ لهُ بحظِّهِ منها

وهٰأنا مقتفٍ أثرَهُ في الكلامِ علىٰ بعضِ ما تَكلَّمَ عليهِ بما يَتلاشىٰ معَهُ كثيرٌ مِنِ انتقاداتِهِ ، ومُفصِّلٌ ما فيهِ الكلامُ منها تفصيلَهُ الذي أرادَهُ الشاعرُ

قولُهُ (قفا نبكِ) البيتَينِ ، فصلٌ أرادَ فيهِ بالحبيبِ والمنزلِ الجنسَ ، فالتنكيرُ فيهِ للتنويعِ ، لا للإفرادِ ، فكأنَّهُ قالَ ليقفْ كلٌّ منَّا يبكي صفاءَ عيشِهِ الماضي ، وسرورَ أوقاتِهِ السالفةِ ، وتمتعَهُ بحبيبِهِ في تلكَ المنازلِ الشاغلةِ لتلكَ النواحي التي سمَّاها ، وطوىٰ في ذٰلكَ الحديثَ عن كثرةِ العمرانِ وعظمِ المجتمعِ ؛ وذٰلكَ سببٌ لقُوَّةِ الأمنِ ، واتساعِ دائرةِ السُّرورِ ، والتمكُّنِ مِنَ الاستتارِ باللَّذَّاتِ ، وفيهِ إقامةُ العذرِ في اشتدادِ الوجدِ وكثرةِ

الحزنِ ؛ إذ بقَدْرِ الأُنْسِ بالشيءِ تقعُ الوَحْشةُ عندَ ذهابِهِ ، ولإظهارِ الجزعِ ، والمبالغةِ في الإبانةِ عنِ العذرِ



قالَ (لم يعفُ رسمُها) ، وذٰلك مِنْ إيجازِ الإشارةِ ، الذي هوَ معدودٌ مِنْ أكبرِ دعائمِ البلاغةِ ، فليسَ ذكرُهُ لتلكَ المواضعِ فضلاً

وتأمَّلْ عطفَهُ فيها بالفاءِ دونَ الواوِ كما يقتضيهِ ظاهرُ الكلامِ ، فالكنايةُ إذاً مِنْ قولِهِ (رسمُها) تعودُ للمنازلِ

ثمَّ إنَّ مناقشتَهُ في الألفاظِ ، معَ كونِهِ مِنْ رؤوسِ أهلِ اللغةِ الذين تُنقَلُ عنهُم ، وبكلامِهِم يُحتَجُّ فيهِ خروجٌ

وقولُهُ : (وقوفاً) إلىٰ قولِهِ : (إذا قامتا) فصلٌ يبينُ فيهِ ما كانَ مِنْ وعظِ صحابتِهِ إيَّاهُ ونصحِهِم لهُ ، فكانَ مِنْ كلامِهِم (لا تهلكْ أسىً وتَجمَّلِ) ، (فهل عندَ رسمٍ دارسٍ مِنْ مُعوَّلِ) ، ذٰلكَ منكَ الآنَ كدأبِكَ وحالِكَ فيما مضىٰ مِنْ فلانةَ وفلانةَ ، واعترض بينَ أجزاءِ ما حكاهُ عنهُم بقولِهِ (وإنَّ شفائي عَبرةٌ) ودعوىٰ كونِ البكاءِ شافياً وإطلاقِ الدموعِ مريحاً أمرٌ مشهورٌ بينَ الشُّعراءِ ، قالَ بعضُهُم (١) [من الطويل]

لَعَلَّ ٱنْحِدَارَ ٱلدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً ... مِنَ ٱلْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ ٱلْبَلَابِلِ

وقالَتِ الخنساءُ (٢) [من مجزوء الكامل]

إِنَّ ٱلْبُكَاءَ هُوَ ٱلشِّفَا ... ءُ مِنَ ٱلْجَوَىٰ بَيْنَ ٱلْجَوَانِحْ

---

(١) هو ذو الرمة انظر « ديوانه » (١٣٣٣/٢)

(٢) تقدم (١٣٢/٢)

وذٰلكَ أمرٌ يُعرَفُ بالوجدانِ ، فقولُهُ (عندَ رسمِ دارسٍ) ليسَ مِنْ كلامِهِ ، وعَبَّرَ بلفظِ (دارسٍ) علىٰ معنى المشارفةِ على الدروسِ والقربِ منهُ ، وهوَ مجازٌ مشهورُ الاستعمالِ ، حملوا عليهِ قولَهُ تعالىٰ ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1] ، قالوا أي المشارفينَ للتقوى الصائرينَ لها ، فلا تناقض

فلمَّا سمعَ مِنْ صحبِهِ هٰذا الكلامَ وقد هتفوا بذكرِ حبيبتَينِ كانتا لهُ تَذكَّرَ حالَهُما ، فأشارَ إلىٰ صفةِ ما كانتا عليهِ ؛ مِنْ حسنِ الحالِ ، وطيبِ النعيمِ ، وريعانِ الشبابِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنْ دواعي الغزلِ والصَّبابةِ ؛ بقولِهِ (إذا قامتا تَضوَّعَ المِسكُ) ، والبيتُ وحدَهُ فصلٌ ، وإنَّما خصَّ حالةَ القيامِ لمكانِ الحركةِ الموجبةِ لتموُّجِ الهواءِ الذي تنتشرُ بهِ الرائحةُ وتبلغُ للبعيدِ ، ولذٰلكَ وقعَ التشبيهُ بُعْدَ موقعِهِ ، فليسَ غرضُهُ أن يصفَهُما بالطِّيبِ حتىٰ يُقالَ إنَّ ذٰلكَ لا يَخُصُّ حالةً دونَ حالةٍ ، ولذٰلكَ قالَ (تَضوَّعَ) ، ولم يقلْ إنَّهُما إذا قامتا فهُما [طيبتا] الرائحةِ ، فالتشبيهُ بينَ انتشارِ الرائحةِ والمرورِ معَ النَّسيمِ ، وليسَ تشبيهَ رائحةٍ برائحةٍ حتىٰ يُقالَ إنَّهُ نقصٌ ، وشَبَّهَ القويَّ بالضَّعيفِ

ثمَّ أبانَ كيفيةَ بكائِهِ ومقدارَ دموعِهِ ، وهوَ حكايةٌ عمَّا وقعَ لهُ كما هوَ العادةُ في أشعارِ العربِ ؛ مِنْ كونِها في الغالبِ حكايةً عن واقعٍ ، وليسَ مُجرَّدَ تخيُّلٍ كما هوَ حالُ المُتأخِّرينَ مِنَ الشُّعراءِ ؛ فإنَّهُم لمَّا أرادوا أن يتبعوا العربَ في عملِ الشعرِ تأمَّلوا مذاهبَهُم فيهِ ، وجمعوا تَصرُّفاتِهِم في أنواعِهِ ، ثمَّ أخذوا في الجمعِ والتأليفِ علىٰ سبيلِ الخيالِ ، لا علىٰ سبيلِ حكايةِ الواقعِ ، فليسَ لأحدٍ أن يُكذِّبَهُ في صفةِ حالِهِ ، ولا أن يُكلِّفَهُ الكذبَ

---

(١) سورة البقرة (٢)

بأن يقولَ إنَّ الدمعَ بلَّ [المغانيَ] ، وجرىٰ مثلَ البحرِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ المبالغةِ

وقد فاتَ هـٰذا الشيخَ أن يذكرَ السببَ في انحطاطِ قولِهِ (دموعُ العينِ منّي) ، والسببَ في ارتفاعِ قولِهِ عزَّ ذكرُهُ : ﴿ وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ [1] ، والعبارتانِ مِنْ وادٍ واحدٍ ، وأن يُبيِّنَ الفرقَ بينَهُما كما تَستحضِرُهُ إذا ذكرتَ ما سلفَ مِنَ الكلامِ على الآيةِ في علمِ المعاني

وقولُهُ (ألا ربَّ يومٍ) إلىٰ قولِهِ (ويوماً علىٰ ظهرِ الكثيبِ) فصلٌ حكىٰ فيهِ بعض الوقائعِ التي كانَتْ لهُ أيامَ شبابِهِ ، وهوَ كلامٌ متلائمٌ آخذٌ بعضُهُ ببعضٍ ، يجمعُهُ غرضٌ واحدٌ كما تَعرِفُهُ مِنْ سياقِ قصَّتِهِ ، فذكرَ يومَ دارةِ جلجلٍ ؛ وهوَ يومُ عقرِ الناقةِ ، ويومَ دخولِهِ الخدرَ ، فعطفَ للاختلافِ بالإضافةِ ، وليسَتْ أياماً مُتعدِّدةً ، كأنَّهُ قالَ يوماً بدارةِ جلجلٍ ؛ يومَ عقرتُ ، يومَ دخلتُ

وقصةُ هـٰذا اليومِ علىٰ ما حكَوهُ عنِ الفرزدقِ قالوا [2] : خرجَ الفرزدقُ يوماً إلىٰ ظاهرِ البصرةِ صبيحةَ ليلةٍ باتَتِ السماءُ تَكِفُ بها ، فرأىٰ آثارَ دوابَّ ذاهبةٍ إلىٰ ناحيةٍ ، فقالَ إنَّ هـٰذه الآثارَ تخبرُ عن خروجِ قومٍ إلىٰ ذٰلكَ الوادي ، وما أُراهُم إلَّا قدِ اجتمعوا لنزهةٍ وطعامٍ وشرابٍ ، فعزمَ علىٰ أن يلحقَ بهِم ؛ لعلَّهُ يصيبُ معَهُم بعض مآربِهِ ، فانتهىٰ بهِ السَّيرُ علىٰ تلكَ الآثارِ إلىٰ غديرٍ ، وإذا بهِ نسوةٌ قد نزعنَ ثيابَهُنَّ ودخلنَ فيهِ ، فنزلَ عن بغلتِهِ وجلسَ على الثيابِ وقالَ يومٌ كيومِ دارةِ جلجلِ

(١) سورة مريم (٤)

(٢) انظر « خزانة الأدب » (٣/٤٥٧ ـ ٤٥٩)

فتضاحكَ منهُ النساءُ وقالوا حدِّثْنا بحديثِ ذٰلكَ اليومِ ، فأخبرَ أنَّ جماعةَ امرئِ القيسِ عزموا يوماً على الانتقالِ مِنْ موضعٍ إلىٰ موضعٍ ، فسبقَ الرجالُ ليصلحوا المنزلَ ويُمهِّدوا موضعَ الإقامةِ ، وتَخلَّفَ النساءُ وما يكفيهنَّ مِنَ الخدمِ ، فاستخفى امرُؤُ القيسِ حتىٰ خرجَ علىٰ آثارِ النِّسوةِ ، حتىٰ إذا كانَ نصفُ النهارِ وصلنَ إلىٰ غديرٍ ، فقالَ بعضُهُن لبعضٍ لو نزلنا في هٰذا الموضعِ فاسترحنا واستجممنا نشاطَنا بالاستنقاعِ في هٰذا الغديرِ ، فنزلنَ ونزعنَ ثيابَهُنَّ ، ودخلنَ الماءَ ، وأدركَهُنَّ امرُؤُ القيسِ ، فجلسَ علىٰ ثيابِهِنَّ ، وحلفَ أنَّه لا يعطي واحدةً ثيابَها حتىٰ تخرجَ وتأخذَها بنفسِها ، فبعدَ أنِ امتنعنَ برهةً وخِفنَ ذهابَ الوقتِ تتابعنَ في الخروجِ واحدةً بعدَ واحدةٍ ، حتىٰ بقيَتْ عشيقتُهُ تُقسِمُ عليهِ وتستعطفُهُ وتَتذلَّلُ لهُ وهوَ يأبىٰ ، حتىٰ خرجَتْ ، فرآها مقبلةً ومدبرةً

ثمَّ قلنَ لهُ حبستَنا وأجعتَنا ، فاغتنمَ ذٰلكَ منهُنَّ ، ورأىٰ مكانَ الحيلةِ في وصولِهِ إلىٰ حبيبتِهِ ، فقالَ أتأكلنَ إذا نحرتُ ناقتي ؟ فقلن نعم ، فقامَ إليها وعقرَها ، وجمعَ الخدمُ الحطبَ ، وأجَّجوا ناراً عظيمةً ، فجلسَ وجلسنَ يشتوونَ ويأكلونَ ، ويترامَونَ ويتلاعبونَ ، حتىٰ قضَوا غرضَهُم مِنَ الطعامِ ، وقاموا لتتميمِ السفرِ ، فتوزَّعوا متاعَ ناقتِهِ ، وبقيَ هوَ ، فركبَ معَ حبيبتِهِ ، وكانَ هٰذا قصْدَهُ ، فهوَ يَتعجَّبُ مِنْ تمامِ حيلتِهِ ، وبلوغِهِ غرضَهُ ، وتُراهُ يقتصرُ في الكلامِ علىٰ مواضعِ النكتِ

ثمَّ حكىٰ ما جرىٰ بينَهُ وبينَ حبيبتِهِ بعدَ ركوبِهِ معَها ، وأنَّهُ أخذَ في مغازلتِها وملاعبتِها ، واقتطافِ ثمراتِها ، ونقلَ أنَّها قالَتْ لهُ (لكَ الويلاتُ إنَّكَ مرجلي)

وليسَ في نقلِ كلامِ الغيرِ علىٰ وجهِهِ عيبٌ ، ألا ترىٰ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ

شأنُهُ ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ إلىٰ آخرِهِ[١] ، معَ ما اشتملَ عليهِ مِنْ وقاحتِهِم وسفهِهِم وجهلِهِم باللهِ



وقولُهُ (قالَت) و(تقولُ) تأديةٌ للمعاني بعباراتِها ، فالقولُ الأوَّلُ حصلَ منها مَرَّةً ، والثاني تَكرَّرَ ، ولولا ذٰلكَ ما كانَ يُعجِزُهُ أن يقولَ وقالَتْ وقد مالَ الغبيطُ بنا معاً ، وتَعرِفُ تعيُّنَ ذٰلكَ إذا تلوتَ قولَهُ تعالىٰ ﴿ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾[٢] ، معَ ذكرِ ما سلفَ في علمِ المعاني

وأمَّا قولُهُ (فمثلِكِ حبلىٰ) فذٰلكَ ما مِنْ شأنِهِ أن يقولَهُ في هٰذا المقامِ ؛ فإنَّهُ لا يقولُ عن نفسِهِ أنَّهُ راهبٌ في صومعةٍ ، بل يخبرُ بأنَّهُ زِيرُ نساءٍ مُستعمِلٌ حيلَهُ في خدعِهِنَّ ، كما يقتضيهِ استحسانُ الشبابِ أهلِ الترفِ والنعيمِ ؛ فإنَّهُ لـمَّا أرادَ أن يزيلَ حياءَها ، ويكسرَ حِدَّتَها ، ويثيرَ مِنْ شهوتِها ؛ ليتمكَّنَ مِنَ التمتُّعِ بها لم يجدْ إلَّا أن يُكلِّمَها بما يقتضي ذٰلكَ

وقولُهُ (ويوماً علىٰ ظهرِ الكثيبِ) إلىٰ قولِهِ (وقد أغتدي والطيرُ في وكناتِها) فصلٌ أخبرَ فيهِ أنَّها غضبَتْ منهُ يوماً ، واشتدَّ امتناعُها عليهِ ، وحلفَتْ دونَ استثناءٍ ، فأخذَ في عتابِها وترضِّيها ، وتَصرَّفَ في ذٰلكَ تَصرُّفَ مثلِهِ في خضوعٍ وتذلُّلٍ ، وإذا افتخرَ أوِ اشتدَّ جعلَ ذٰلكَ في ضمنِ تواضعٍ لها ، واستسلامٍ واعترافٍ لها بملكِهِ ، واستيلائِها عليهِ ، وانقيادِهِ لها ، والمضيِّ معَ مرضاتِها ، وتفهيمِهِ إيَّاها أنَّها قدِ انفردَتْ بهِ ، معَ تمكُّنِهِ

(١) سورة الإسراء (٩٠)

(٢) سورة فاطر (٩)

مِنَ التمتُّعِ بغيرِها مِنْ ذواتِ الشرفِ والترفِ والنعيمِ ، معَ إقدامِهِ في ذٰلكَ وجراءتِهِ ومساعدتِهِنَّ إيَّاهُ

فأنت إذا تأمَّلتَ في فصولِ القصيدةِ علىٰ ما أشرنا بهِ إليكَ عرفتَ أنَّهُ لا يَتوجَّهُ عليهِ مِنَ الانتقاداتِ إلَّا القليلُ ، وإنَّما وقفتُ معَكَ هٰذا الموقفَ ؛ ليُولِّدَ فيكَ الاطلاعُ علىٰ مثلِ هٰذا الكلامِ جراءةً وإقداماً على استعمالِ ذوقِكَ ، وإطلاقِ فكرِكَ ؛ في تمييزِ جيدِ الكلامِ ورديئِهِ ، وصحيحِهِ وفاسدِهِ ، ورفيعِهِ ووضيعِهِ ، ولا تتمكَّنَ منكَ مهابةُ أنَّ هٰذا شعرُ فلانٍ المشهورِ ، فيستوليَ عليكَ حالُ التقليدِ

[نقدٌ لبعضِ قصائدِ البحتريِّ]

ثمَّ قالَ هٰذا الشيخُ في موضعٍ آخرَ مِنْ كتابِهِ[1] ونحنُ نَعمِدُ إلىٰ بعضِ قصائدِ البحتريِّ ، فنتكلَّمُ عليها كما تكلَّمنا علىٰ قصيدةِ امرئِ القيسِ ، وتلكَ القصيدةُ التي نتكلَّمُ عليها أجودُ شعرِهِ ، سمعتُ أبا مسلمٍ الرستميَّ يقولُ سمعتُ البحتريَّ يذكرُ أنَّ أجودَ شعرٍ قالَهُ[2] [من الكامل]

أَهْـلاً بِـذَٰلِكُمُ ٱلْـخَـيَـالِ ٱلْـمُـقْـبِـلِ

قــالَ وسـمـعـتُ أبـا الـفـضـلِ بـنَ الـعـمـيـدِ يـقـولُ أجـودُ شـعـرِهِ هـوَ قولُهُ[3] [من البسيط]

فِي ٱلشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ

قالَ وسُئِلتُ عن ذٰلكَ ، فقلتُ البحتريُّ أعرفُ بشعرِ نفسِهِ مِنْ غيرِهِ

قلتُ[4] لعلَّ البحتريَّ قالَ ذٰلكَ قبلَ أن يقولَ قصيدتَهُ الثانيةَ

فنحنُ الآنَ نقولُ في هٰذهِ القصيدةِ ما يَصلُحُ في مثلِها

قولُهُ [من الكامل]

أَهْـلاً بِـذَٰلِكُمُ ٱلْـخَـيَـالِ ٱلْـمُـقْـبِـلِ فَـعَـلَ ٱلَّـذِي نَـهْـوَاهُ أَوْ لَـمْ يَـفْـعَـلِ
بَرْقٌ سَرَىٰ فِي بَطْنِ وَجْرَةَ فَٱهْتَدَتْ بِـسَـنَـاهُ أَعْـنَـاقُ ٱلـرِّكَـابِ ٱلـضُّـلَّـلِ

---

(١) انظر « إعجاز القرآن » للباقلاني (ص ٢١٩ ـ ٢٤٣)

(٢) انظر « ديوان البحتري » (١٧٤١/٣) ، والبيت بتمامه

أَهْـلاً بِـذَٰلِكُمُ ٱلْـخَـيَـالِ ٱلْـمُـقْـبِـلِ فَـعَـلَ ٱلَّـذِي نَـهْـوَاهُ أَوْ لَـمْ يَـفْـعَـلِ

(٣) انظر « ديوان البحتري » (٩٥٣/٢) ، والبيت بتمامه

فِي ٱلشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ وَوَاعِـظٌ مِـنْـهُ لَـوْلَا أَنَّـهُ حَـجَـرُ

(٤) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام الإمام الباقلاني

البيتُ الأولُ في قولِهِ (ذٰلكُمُ الخيالِ) ثقلُ روحٍ ، وتطويلٌ وحشوٌ ، وغيرُهُ أصلحُ لهُ ، وأخفُّ منهُ قولُ الصَّنوبريِّ [من السريع]

أَهْـــلاً بِـــذَاكَ ٱلـــزَّوْرِ مِـــنْ زَوْرِ   شَـمْـسٌ بَـدَتْ فِـي فَـلَـكِ ٱلـدَّوْرِ

وعذوبةُ الشعرِ تذهبُ بزيادةِ حرفٍ أو نقصانِ حرفٍ ، فيصيرُ إلى الكزازةِ ، وتعودُ ملاحتُهُ بذٰلكَ ملوحةً ، وفصاحتُهُ عِيّاً ، وبراعتُهُ تكلُّفاً ، وسلاستُهُ تعسُّفاً ، وملاستُهُ تلوّياً وتعقُّداً ، فهٰذا فصلٌ

وفيهِ شيءٌ آخَرُ ؛ وهوَ أنَّ هٰذا الخطابَ إنَّما يستقيمُ مهما خُوطِبَ بهِ الخيالُ حالَ إقبالِهِ ، فأمَّا أن يَحكيَ الحالَ التي كانَتْ وسلفَتْ علىٰ هٰذهِ العبارةِ ففيهِ عُهْدةٌ ، وفي تركُّبِ الكلامِ عن هٰذا المعنىٰ عُقدةٌ ، وهوَ لبراعتِهِ وحذقِهِ في هٰذهِ الصَّنعةِ يَتعمَّدُ نحوَ هٰذا الكلامِ

ثمَّ قولُهُ : (فعلَ الذي نهواهُ أو لم يفعلِ) ليسَتْ بكلمةٍ رشيقةٍ ، ولا لفظةٍ ظريفةٍ ، وإن كانَتْ كسائرِ الكلامِ

فأمَّا بيتُهُ الثاني   فهو عظيمُ الموقعِ في البهجةِ ، وبديعُ المأخذِ ، حسنُ الرواءِ ، أنيقُ المنظرِ والمسمعِ ، يملأُ القلبَ والفهمَ ، ويفرحُ الخاطرَ ، وتسري بشاشتُهُ في العروقِ

وكانَ البحتريُّ يُسمِّي هٰذهِ الأبياتَ عروقَ الذهبِ

وفيهِ مِنَ الخَلَلِ معَ الديباجةِ الحسنةِ والرونقِ المليحِ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ جعلَ الخيالَ كالبرقِ لإشراقِهِ في [مسراهُ] ؛ كما يُقالُ إنَّهُ يسري كنسيمِ الصَّبا ، فيُطيِّبُ ما مرَّ بهِ ، كذٰلكَ أضاءَ ما حولَهُ ، ونَوَّرَ ما مرَّ بهِ ، وهٰذا غُلُوٌّ في الصَّنعةِ إلَّا أنَّ ذكرَهُ بطنَ وجرةَ   حشوٌ ، وفي ذكرِهِ خَلَلٌ ؛ لأنَّ النورَ القليلَ يؤثرُ في بطونِ الأرضِ وما اطمأنَّ منها ، بخلافِ ما يؤثرُ في غيرِها ، فلم يكنْ مِنْ سبيلِهِ أن يربطَ ذٰلكَ ببطنِ وجرةَ ، وتحديدُهُ المكانَ على الحشوِ

أحمدُ مِنْ تحديدِ امرئ القيسِ بذكرِ سقطِ اللوىٰ بينَ الدَّخولِ فحَوملَ فتُوضِحَ فالمِقراةِ ، لم يقنعْ بذكرِ حدٍّ حتىٰ حدَّهُ بأربعةِ حدودٍ ؛ كأنَّهُ يريدُ بيعَ المنزلِ ، فيخشىٰ إن أخلَّ بحدٍّ أنْ يكونَ بيعُهُ فاسداً ، وشرطُهُ باطلاً ، فهٰذا بابٌ

ثمَّ إنَّما يُذكَرُ الخيالُ بخفاءِ الأثرِ ، ودقَّةِ المطلبِ ، ولطفِ المسلكِ ، وهٰذا الذي ذكرَ يُضادُّ هٰذا الوجهَ ، ويخالفُ ما يُوضَعُ عليهِ أصلُ البابِ ، ولا يجوزُ أن يُقدِّرَ مُقدِّرٌ أنَّ البحتريَّ قطعَ الكلامَ الأوَّلَ ، وابتدأَ بذكرِ برقٍ لمعَ مِنْ ناحيةِ حبيبِهِ مِنْ جهةِ بطنِ وجرةَ ؛ لأنَّ هٰذا القطعَ إن كانَ فعلَهُ كانَ خارجاً بهِ عنِ النظمِ المحمودِ ، ولم يكنْ مُبدِعاً ، ثمَّ كانَ لا تكونُ فيهِ فائدةٌ ؛ لأنَّ كلَّ برقٍ شملَ وتَكرَّرَ وقعَ الاهتداءُ بهِ في الظَّلامِ ، وكانَ لا يكونُ بما نظمَهُ [مفيداً] ولا مُتقدِّماً ، وهوَ علىٰ ما كانَ مِنْ مَقصدِهِ ذو لفظٍ محمودٍ ، ومعنىً مستجلبٍ غيرِ مقصودٍ ، ويُعلَمُ بمثلِهِ أنَّهُ طلبَ العباراتِ ، وتعليقَ القولِ بالإشاراتِ

وهٰذا مِنَ الشعرِ [الحسنِ] الذي يحلو لفظُهُ وتقلُّ فوائدُهُ ؛ كقولِ القائلِ (١) [من الطويل]

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنىً كُلَّ حَاجَةٍ ... وَمَسَّحَ بِٱلْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وَشُدَّتْ عَلَىٰ حُدْبِ ٱلْمَهَارَىٰ رِحَالُنَا ... وَلَمْ يَنْظُرِ ٱلْغَادِي ٱلَّذِي هُوَ رَائِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ ٱلْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ... وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ ٱلْمَطِيِّ ٱلْأَبَاطِحُ

هٰذهِ ألفاظٌ بديعةُ المطالعِ والمقاطعِ ، حلوةُ المجاني والمواقعِ ، قليلةُ المعاني والفوائدِ

(١) تقدم (٣/٤١٦)

فأمَّا قولُ البحتريِّ بعدَ ذٰلكَ

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا فَلَوَ ٱنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ
كَٱلْبَدْرِ غَيْرَ مُخَيَّلٍ وَٱلْغُصْنِ غَيْـ ـرَ مُمَيَّلٍ وَٱلدِّعْصِ غَيْرَ مُهَيَّلِ

فالبيتُ الأوَّلُ علىٰ ما تَكلَّفَ فيهِ مِنَ المطابقةِ ألفاظُهُ أوفرُ مِنْ معانيهِ ، وكلماتُهُ أكثرُ مِنْ فوائدِهِ ، ونعلمُ أنَّ القصدَ وضعُ العباراتِ في مثلِهِ ، ولو قالَ هيَ ممنوعةٌ مانعةٌ كانَ ينوبُ عن تطويلِهِ وتكثيرِهِ الكلامَ وتهويلِهِ ، ثمَّ هوَ معنىً متداولٌ مُكرَّرٌ علىٰ كلِّ لسانٍ

وأمَّا البيت الثاني فأنتَ تَعلمُ أنَّ التشبيهَ بالبدرِ والغصنِ والدِّعصِ أمرٌ منقولٌ متداولٌ ، ولا فضيلةَ في التشبيهِ بنحوِ ذٰلكَ ، وإنَّما يبقىٰ تشبيهُهُ ثلاثةَ أشياءَ بثلاثةِ أشياءَ في البيتِ ، وهٰذا أيضاً قريبٌ ؛ لأنَّ المعنىٰ مُكرَّرٌ ، ويبقىٰ لهُ بعدَ ذٰلكَ شيءٌ آخَرُ ؛ وهوَ تعمُّلُهُ بالترصيعِ في البيتِ كلِّهِ ، إلَّا أنَّ هٰذهِ الاستثناءاتِ فيها ضربٌ مِنَ التكلُّفِ ؛ لأنَّ التشبيهَ بالغصنِ كافٍ ، فإذا زادَ فقالَ كالغصنِ غيرَ مُعْوَجٍّ كانَ ذٰلكَ مِنْ بابِ التكلُّفِ ، وكانَ ذٰلكَ زيادةً يُستغنىٰ عنها ، وكذٰلكَ (والدِّعصِ غيرَ مُهيَّلٍ) لأنَّهُ إذا انهالَ خرجَ عن أن يكونَ مطلقُ التشبيهِ مصروفاً إليهِ ، فلا يكونُ لتقييدِهِ معنىً



وأمَّا قولُهُ

مَا ٱلْحُسْنُ عِنْدَكِ يَا سُعَادُ بِمُحْسِنٍ فِيمَا أَتَاهُ وَلَا ٱلْجَمَالُ بِمُجْمِلِ
عُذِلَ ٱلْمَشُوقُ وَإِنَّ مِنْ سِيمَا ٱلْهَوَىٰ فِي حَيْثُ تَجْهَلُهُ لَجَاجَ ٱلْعُذَّلِ

قولُهُ في البيتِ الأوَّلِ (عندكِ) حشوٌ ، وليسَ بواقعٍ ولا بديعٍ ، وفيهِ كلفةٌ ، والمعنى الذي قصدَهُ أنتَ تعلمُ أنَّهُ مُتكرِّرٌ علىٰ لسانِ الشعراءِ

وفيهِ شيءٌ آخَرُ أنَّهُ يذكرُ أنَّ حسنَها لم يحسنْ في تهييجِ وجدِهِ وتهييمِ قلبِهِ، وضدُّ هٰذا المعنىٰ هوَ الذي يميلُ إليهِ أهلُ الهوىٰ والحبِّ، وبيتُ كُشاجمَ أسلمُ مِنْ هٰذا وأبعدُ مِنَ الخَلَلِ؛ وهوَ قولُهُ(١) [من الكامل]

بِحَيَاةِ حُسْنِكِ أَحْسِنِي وَبِحَقِّ مَنْ ... جَعَلَ ٱلْجَمَالَ عَلَيْكِ وَقْفاً أَجْمِلِي

قلتُ إنَّهُ لم يُوَفِّ الكلامَ علىٰ ثقلِ قولِهِ (عندكِ) حقَّهُ، فإنَّها لم تثقلْ لكونِها حشواً فقطْ، بل هيَ غيرُ صحيحةِ الاستعمالِ؛ فإنَّهُ إنَّما يُقالُ الكتابُ الذي عندكَ مثلاً، وأمَّا أن يُقالَ: الحسنُ الذي عندَكَ واللُّطفُ فلا، وإنَّما يُقالُ حسنُكَ ولطفُكَ، أوِ الحسنُ الذي لكَ

وأمَّا البيتُ الثاني فإنَّ قولَهُ: (في حيثُ) حشا بقولِهِ في كلامِهِ، ووقعَ ذٰلكَ مستنكراً وحشيّاً، نافراً عن طبعِهِ، جافياً في وضعِهِ، فهوَ كرقعةٍ مِنْ جلدٍ في ديباجٍ حسنٍ، فهوَ يمحو حسنَهُ، ويأتي علىٰ جمالِهِ

ثمَّ في المعنىٰ شيءٌ؛ لأنَّ لجاجَ العُذَّلِ لا يَدُلُّ علىٰ هوىٰ مجهولٍ، ولو كانَ مجهولاً لم يهتدِ العُذَّلُ إليهِ، فعُلِمَ أنَّ المَقصِدَ استجلابُ العباراتِ دونَ المعاني، ثمَّ لو سَلِمَ مِنْ هٰذا الخَلَلِ .لم يكنْ في البيتِ معنىً بديعٌ ولا شيءٌ يفوتُ قولَ الشُّعراءِ في العُذَّلِ؛ فإنَّ ذٰلكَ جملُهُمُ الذَّلولُ، وقولُهُمُ المُكرَّرُ

قلتُ إنَّ البحتريَّ أخرجَ هٰذا البيتَ مُخرَجَ التأسُّفِ والتحسُّرِ وشكوى الحالِ في الهوىٰ، وتقديرُ كلامِهِ وإنَّ مِنْ سيما الهوىٰ ولوازمِهِ لجاجَ العُذَّلِ في حيثُ تجهلُهُ، دونَ تأمُّلٍ في قُوَّةِ أسبابِ الهوىٰ وعذرِ صاحبِهِ؛ فقد أدمجَ في كلامِهِ ما فَصَّلَهُ الآخَرُ حيثُ يقولُ(٢) [من مخلع البسيط]

أَبْصَرَهُ عَاذِلِي عَلَيْهِ ... وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَا رَآهُ

---

(١) انظر «ديوان كُشاجم» (ص ٣٢٧)

(٢) الأبيات لابن وكيع التنيسي، كما في «وفيات الأعيان» (٢/١٠٦)

فَـقَـالَ لِـي لَـوْ هَـوِيـتَ هَـٰذَا مَـا لَامَـكَ ٱلـنَّـاسُ فِـي هَـوَاهُ
[فَـظَـلَّ] مِـنْ حَـيْـثُ لَـيْـسَ يَـدْرِي [يَـأْمُـرُ] بِـٱلْـحُـبِ مَـنْ نَـهَـاهُ



وقولُهُ

مَـاذَا عَـلَـيْـكَ مِـنِ ٱنْـتِـظَـارِ مُـتَـيَّـمٍ بَـلْ مَـا يَـضُـرُّكَ وَقْـفَـةٌ فِـي مَـنْـزِلِ
إِنْ سِيلَ عَيَّ عَنِ ٱلْجَوَابِ فَلَمْ يُطِقْ رَجْعاً فَكَيْفَ يَكُونُ إِنْ لَمْ يُسْأَلِ

لستُ أنكرُ حسنَ البيتَينِ وظَرْفَهُما ، ورشاقتَهُما ولطفَهُما ، وماءَهُما وبهجتَهُما ، إلَّا أنَّ البيتَ الأولَ منقطعٌ عنِ الكلامِ المُتقدِّمِ ضرباً مِنَ الانقطاعِ ؛ لأنَّهُ لم يَجرِ لمشافهةِ العاذلِ ذكرٌ ، وإنَّما جرىٰ ذكرُ العُذَّالِ علىٰ وجهٍ لا يتصلُ هـٰذا البيتُ بهِ ولا يلائمُهُ

ثمَّ الذي ذكرَهُ مِنَ الانتظارِ وإن كانَ مليحاً في اللفظِ فهوَ في المعنىٰ مُتكلَّفٌ ؛ لأنَّ الواقفَ في الدارِ لا ينتظرُ أمراً ، وإنَّما يقفُ تحسُّراً وتلذُّذاً وتحيُّراً ، والشطرُ الأخيرُ مِنَ البيتِ واقعٌ ، والأوَّلُ مستجلبٌ وفيهِ تعليقٌ علىٰ أمرٍ لم يَجرِ لهُ ذكرٌ ؛ لأنَّ وضعَ البيتِ يقتضي تقدُّمَ عذلٍ على الوقوفِ ، ولم يحصلْ ذٰلكَ مذكوراً في شعرِهِ مِنْ قبلُ

وأمَّا البيتُ الثاني فإنَّهُ مُعلَّقٌ بالأوَّلِ ، لم يَستقِلَّ إلَّا بهِ ، وهُم يَعيبونَ وقوفَ البيتِ علىٰ غيرِهِ ، ويرونَ أنَّ البيتَ التامَّ هوَ المحمودُ ، والمِصراعَ التامَّ بنفسِهِ بحيثُ لا يقفُ على المِصراعِ الآخرِ أفضلُ وأتمُّ وأحسنُ

وفيهِ شيءٌ آخَرُ ؛ لأنَّهُ لا يصلحُ أن يكونَ السؤالُ سبباً لأن يعيا عنِ الجوابِ ، وظاهرُ القولِ يقتضيهِ



فأمّا قولُهُ

لَا تَـكْـلَـفَـنَّ لِـيَ ٱلـدُّمُـوعَ فَـإِنَّ لِـي   دَمْـعـاً يَـنُـمُّ عَـلَـيْـهِ إِنْ لَـمْ يَـفْـضُـلِ
وَلَقَدْ سَكَنْتُ مِنَ ٱلصُّدُودِ إِلَى ٱلنَّوَىٰ   وَٱلـشَّـرْيُ أَرْيٌ عِـنْـدَ أَكْـلِ ٱلْـحَـنْـظَـلِ
وَكَـذَاكَ طَرْفَـةُ حِيـنَ أَوْجَـسَ ضَـرْبَـةً   فِي ٱلرَّأْسِ هَانَ عَلَيْهِ فَصْدُ ٱلْأَكْحَلِ

فالبيتُ الأوَّلُ مخالفٌ لِمَا عليهِ مذهبُهُم في طلبِ الإسعادِ بالدموعِ ، والإسعافِ بالبكاءِ ، ومخالفٌ لأوَّلِ كلامِهِ ؛ لأنَّهُ يفيدُ مخاطبةَ العُذَّلِ ، وهٰذا يفيدُ مخاطبةَ الرفيقِ ، وقد بينتُ لكَ أنَّ القومَ يَسلكونَ حفظَ الألفاظِ وتصنيعَها ، دونَ ضبطِ المعاني وترتيبِها ، ولِذٰلكَ قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [1] ، فأخبرَ أنَّهُم يَتَّبعونَ القولَ حيثُ تَوجَّهَ بهِم ، واللفظَ كيفَ أطاعَهُم ، والمعانيَ حيثُ تتبعُ ألفاظَهُم ، وذٰلكَ [خلافُ] ما وُضِعَ عليهِ الإبانةُ عنِ المقاصدِ بالخطابِ

ثمَّ لو أنَّ هٰذا البيتَ وما يتلوهُ مِنَ البيتَينِ سَلِمَ مِنْ نحوِ هٰذا لم يكنْ في ذٰلكَ شيءٌ يفوتُ شعرَ شاعرٍ أو كلامَ مُتكلِّمٍ

وأمّا قولُهُ (والشريُ أريٌ) . فإنَّهُ وإن كانَ قد تصَنَّعَ لهُ مِنْ جهةِ الطِّباقِ ، ومِنْ جهةِ التجنيسِ المقاربِ فهيَ كلمةٌ ثقيلةٌ على اللسانِ ، وهُم يَذمُّونَ نحوَ هٰذا ، كما عابوا علىٰ [أبي] تمامٍ قولَهُ [2]   [من الطويل]

كَـرِيـمٌ مَتَىٰ أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَٱلْوَرَىٰ   مَـعِـي وَإِذَا مَـا لُـمْـتُـهُ لُـمْـتُـهُ وَحْـدِي

ذكرَ لي الصاحبُ ابنُ عبادٍ أنَّهُ جارى الفضلَ بنَ العميدِ في محاسنِ

---

(١) سورة الشعراء (٢٢٤ ـ ٢٢٦)

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (١١٦/٢)

القصيدةِ حتى انتهىٰ إلىٰ هـٰذا البيتِ ، فذكرَ لهُ أنَّ قولَهُ (أمدحُهُ) معيبٌ ؛ لثقلِهِ مِنْ جهةِ تداركِ حروفِ الحلقِ

ثمَّ رأيتُ بعدَ ذٰلكَ المُتقدِّمينَ تَكلَّموا في هـٰذهِ النكتةِ ، فعلمتُ أنَّ ذٰلكَ شيءٌ عندَ أهلِ الصَّنعةِ معروفٌ

ثمَّ إنَّ قولَهُ (عندَ أكلِ الحنظلِ) ليسَ بحسنٍ ولا واقعٍ

وأمَّا البيتُ الثالثُ فهوَ أجنبيٌّ مِنْ كلامِهِ ، غريبٌ في طباعِهِ ، نافرٌ مِنْ جملةِ شعرِهِ ، وفيهِ كزازةٌ وفجاجةٌ ، وإن كانَ المعنىٰ صالحاً

قلتُ إنَّ العاذلَ هوَ الرفيقُ ، وما يَصدرُ منهُ يكونُ في رأيِهِ نصيحةً توجبُها الشفقةُ ، وهوَ عندَ المُحِبِّ عذلٌ ، إلَّا أنَّ استحسانَ الشيخِ قولَهُ (ماذا عليكَ مِنِ انتظارِ) لم تظهرْ إصابتُهُ ؛ فإنَّ في معناهُ ـ جرياً علىٰ شدَّةِ مناقشتِهِ ـ نوعاً مِنَ الخَلَلِ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ يدَّعي أن ليسَ على الرفيقِ ضررٌ في وقوفِهِ بالمنزلِ ، وكيفَ ولهُ أن يقولَ عليَّ في ذٰلكَ إضاعةُ الوقتِ في غيرِ طائلٍ ، وثقلُ الشغلِ بغيرِ شاغلٍ ، ثمَّ إنَّ قولَهُ (إن سِيلَ عيَّ عنِ الجوابِ) كونُهُ حُجَّةً للعاذلِ أولىٰ مِنْ أن يكونَ عليهِ ، وأمَّا قولُهُ (وكذاكَ طرفةُ) فهوَ منتظمٌ معَ سابقِهِ ؛ فإنَّهُ مِنْ نوعِ اختيارِ أخفِّ الضَّررَينِ ، وضربُ المثلِ بهِ صحيحٌ ، وبديعُ التلميحِ بالقصَّةِ المشهورةِ داعٍ لإيرادِهِ



وأمَّا قولُهُ

وَأَغَرَّ فِي ٱلزَّمَنِ ٱلْبَهِيمِ مُحَجَّلٍ   قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَىٰ أَغَرَّ مُحَجَّلِ
كَـٱلْـهَـيْـكَـلِ ٱلْـمَـبْـنِـيِّ إِلَّا أَنَّـهُ   فِي ٱلْحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلِ

فالبيتُ الأوَّلُ لم يتفقْ لهُ فيهِ خروجٌ حسنٌ ، بل هوَ مقطوعٌ عمَّا سلفَ

مِنَ الكلامِ ، وعامَّةُ خروجِهِ نحوُ هٰذا ، وهوَ غيرُ بارعٍ في هٰذا البابِ ، وهٰذا مذمومٌ معيبٌ منهُ ؛ لأنَّ مَنْ كانَ صناعتُهُ الشعرَ وهوَ يأكلُ بهِ ، وتغافلَ عمَّا يدفعُ إليهِ في كلِّ قصيدةٍ ، واستهانَ بأحكامِهِ وتجويدِهِ ، معَ تتبُّعِهِ للصَّنعةِ الكثيرةِ ، وتركيبِ العباراتِ ، وتنقيحِ الألفاظِ وتزويرِها كانَ ذٰلكَ أدخلَ في عيبِهِ ، وأدلَّ علىٰ تقصيرِهِ أو قصورِهِ

وأمَّا قولُهُ (وأغرَّ فِي الزمنِ البهيمِ مُحجَّلٍ) فإنَّ ذكرَ التحجيلِ في الممدوحِ ليسَ بالجيدِ ، وقد يمكنُ أن يُقالَ إنَّهُ إذا قُرِنَ بالأغرِّ حَسُنَ ، وجرىٰ مَجراهُ ، وانخرطَ في سلكِهِ ، وأهوىٰ إلىٰ مِضمارِهِ ، ولم ينكرْ ؛ لمكانِ مَنْ [جاورَهُ] فهٰذا عذرٌ ، والعُدولُ عنهُ أحسنُ

وإنَّما أرادَ أن يَرُدَّ العجزَ [على] الصَّدرِ ، ويأتيَ بوجهٍ في التجنيسِ

قلتُ : وكيفَما كانَ . فالتحجيلُ في كلامِهِ لم يقعْ موقعَهُ في قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « أَنْتُمُ ٱلْغُرُّ ٱلْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنْ آثَارِ ٱلْوُضُوءِ »[١] ؛ فالغرَّةُ والتحجيلُ فيهِ حقيقيانِ ، ويستتبعانِ شرفَ الشهرةِ ، والغرَّةُ في كلامِهِم لمجرَّدِ الشهرةِ ، وظهورِ التميزِ ، وجلالةِ القدرِ ، فهوَ كقولِهِم[٢] [من الطويل]

وَأَبْيَض يُسْتَسْقَى ٱلْغَمَامُ بِوَجْهِهِ

وفيهِ شيءٌ ؛ لأنَّ ظاهرَ كلامِهِ يوهمُ أنَّهُ قد صارَ ممتطياً الأغرَّ الأوَّلَ ورائحاً عليهِ ؛ يعني أنَّ (مِنِ) التجريديةَ لكثرةِ استعمالِها في الشعرِ تكونُ أسرعَ تمثُّلاً للوهمِ مِنْ [مِنِ] الابتدائيةِ التي هيَ المرادةُ ، والدقةُ تقتضي التحرُّزَ

(١) أخرجه البخاري (١٣٦) ، ومسلم (٢٤٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) هو لأبي طالب عمّ النبي صلى الله عليه وسلم . انظر « صحيح البخاري » (١٠٠٨ ـ ١٠٠٩) ، والبيت بتمامه

وَأَبْيَـض يُسْتَسْقَى ٱلْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَـالُ ٱلْيَتَـامَىٰ عِصْمَـةٌ لِـلأَرَامِـلِ

عن مثلِهِ ، ولو سلمَ مِنْ ذٰلكَ   لم يكنْ فيهِ ما يفوتُ حدودَ الشعراءِ وأقاويلَ الناسِ

فأمَّا ذكرُ الهيكلِ في البيتِ الثاني ، وردُّهُ عجزَ البيتِ عليهِ ، وظنُّهُ أنَّهُ قد ظفرَ بهٰذهِ اللفظةِ وعملَ شيئاً حتىٰ كَرَّرَها   فهيَ كلمةٌ فيها ثقلٌ ، ونحنُ نجدُهُم إذا أرادوا أن يصفوا بنحوِ هٰذا   قالوا ما هوَ إلّا صورةٌ ، وما هوَ إلَّا تِمثالٌ ، وما هوَ إلّا دميةٌ ، وما هوَ إلّا ظبيةٌ ، ونحوَ ذٰلكَ مِنَ الكلماتِ الخفيفةِ على القلبِ واللسانِ

وقدِ استدركَ هوَ أيضاً علىٰ نفسِهِ ، فذكرَ أنَّهُ كصورةٍ في هيكلٍ ، ولوِ اقتصرَ علىٰ ذكرِ الصُّورةِ وحذفَ الهيكلَ   كانَ أَولىٰ وأجملَ

ولو أنَّ هٰذهِ الكلمةَ كَرَّرَها أصحابُ العزائمِ على الشياطينِ   لراعُوهُم بها ، وأفزعوهُم بذكرِها ، وذٰلكَ مِنْ كلامِهِم ، وشبيهٌ بصناعتِهِم



وأمَّا قولُهُ

وَافِي ٱلضُّلُوعِ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ   يَوْمَ ٱللِّقَاءِ عَلَىٰ مُعِمٍّ مُخْوِلِ
أَخْوَالُهُ لِلرُّسْتَمَيْنِ بِفَارِسٍ   وَجُدُودُهُ لِلتُّبَّعَيْنِ بِمَوْكِلِ

نبلُ المحزمِ ممَّا يمدحُ بِهِ الخيلُ ، فهوَ لم يأتِ فيهِ ببديعٍ

وقولُهُ (يشدُّ عقدَ حزامِهِ) داخلٌ في التكلُّفِ والتعسُّفِ ، لا يُقبَلُ مِنْ مثلِهِ وإن قبلناهُ مِنْ غيرِهِ ؛ لأنَّهُ يتبعُ الألفاظَ وينقدُها نقداً شديداً ، فهلَّا قالَ يشدُّ حزامَهُ ، أو يأتي بحشوٍ آخرَ سوى العقدِ ؟! فقد عَقَّدَ هٰذا البيتَ بذكرِ العقدِ

ثمَّ قولُهُ (يومَ اللقاءِ) حشوٌ آخرُ لا يُحتاجُ إليهِ

وأمَّا البيتُ الثاني . فمعناهُ أصلحُ مِنْ ألفاظِهِ ؛ لأنَّها غيرُ مجانسةٍ لطباعِهِ ، وفيها غلظٌ ونفارٌ



وأمَّا قولُهُ

يَهْوِي كَمَا تَهْوِي ٱلْعُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ ... صَيْداً وَيَنْتَصِبُ ٱنْتِصَابَ ٱلْأَجْدَلِ
مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا ... تُرَيَانِ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلِ
مَا إِنْ يَعَافُ قَذىً وَلَوْ أَوْرَدْتَهُ ... يَوْماً خَلَائِقَ حَمْدَوَيْهِ ٱلْأَحْوَلِ

البيتُ الأوَّلُ صالحٌ وقد قالَهُ الناسُ ولم يَسبِقْ إليهِ ، ولم يقلْ ما لم يقولوهُ ، بل هوَ منقولٌ

وفي سرعةِ عدْوِ الفرسِ تشبيهاتٌ ليسَ هٰذا بأبدعِها ، وقد يقولونَ يفوتُ الطرفَ ، ويسبقُ الريحَ ، ويجاري الوهمَ ، ولولا أنَّ الإتيانَ علىٰ محاسنِ ما قالوهُ في ذٰلكَ يُخرِجُ الكلامَ عن غرضِ الكتابِ لنقلتُ لكَ جملةً ممَّا ذهبوا إليهِ في هٰذا المعنىٰ ، فتَعَلَّمَ أنَّهُ لم يأتِ منها بما يَجِلُّ عنِ الوصفِ ، أو يفوتُ منتهى الحدِّ ، علىٰ أنَّ الهُوِيَّ يذكرُ عندَ الانقضاضِ خاصَّةً ، وليسَ للفرسِ هٰذهِ الصفةُ في الحقيقةِ إلَّا أن يُشبِّهَ جدَّهُ في العدوِ بحالةِ انقضاضِ البازي والعُقابِ ، وليسَتْ تلكَ الحالةُ بأسرعِ أحوالِ طيرانِها

وأمَّا البيتُ الثاني فقولُهُ إنَّ الأذنينِ كأنَّهُما من ورقٍ مُوصَّلٍ ، وإنَّما أرادَ بذٰلك حِدَّتَهُما ، وسرعةَ حركتِهِما ، وإحساسَهُما بالصَّوتِ كما يحسُّ الورقُ بحفيفِ الريحِ ، وظاهرُ التشبيهِ غيرُ واقعٍ ، وإذا ضمنَ ما ذكرنا مِنَ المعنىٰ كانَ المعنىٰ حسناً ، ولٰكنْ لا يَدُلُّ عليهِ اللفظُ

وليسَ هٰذا البيتُ برائقِ اللفظِ ، ولا مشاكلٍ فيهِ لطبعِهِ ، غيرَ قولِهِ (متوجسٌ برقيقتَينِ) فإنَّ هٰذا القدرَ حسنٌ

وأمَّا البيتُ الثالثُ فقد ذكرنا فيما مضىٰ مِنَ الكتابِ أنَّهُ مِنْ بابِ الاستطرادِ ، ونقلنا نظائرَ ذٰلكَ مِنْ قولِ أبي تمامٍ وغيرِهِ ، وقطعةُ أبي تمامٍ في نهايةِ الحسنِ في هٰذا المعنىٰ

والذي وقعَ للبحتريِّ في هٰذا البيتِ عندي ليسَ بجيدٍ في لفظٍ ولا معنىً ، وهوَ بيتٌ وَحِشٌ جداً ، قد صارَ قذىً في عينِ هٰذهِ القصيدةِ ، بل وَخْزاً فيها ووبالاً عليها ، قد كَدَّرَ صفاءَها ، وأذهبَ بهاءَها وماءَها ، وطمسَ بظلمتِهِ سناها ، وما وجهُ مدحِ الفرسِ بأنَّهُ لا يَعافُ قذىً مِنَ المياهِ إذا وردَها ؟! كأنَّهُ أرادَ أن يسلكَ مسلكَ بشارٍ في قولِهِ(١) [من المتقارب]

وَلَا يَــشْــرَبُ ٱلْــمَــاءَ إِلَّا بِــدَمْ

وإذا كانَ لهٰذا البابِ مجانباً ، وعن هٰذا السَّمتِ بعيداً فهلا وصفَهُ بعزَّةِ الشربِ كما وصفَهُ المتنبي في قولِهِ(٢) [من الطويل]

وَصُولٌ إِلَى ٱلْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ فَلَوْ كَانَ قَرْنُ ٱلشَّمْسِ مَاءً لَأَوْرَدَا

وهلَّا سلكَ فيهِ مسلكَ القائلِ [من الطويل]

وَإِنِّي لِلْمَاءِ ٱلَّذِي شَابَهُ ٱلْقَذَىٰ إِذَا كَثُرَتْ وُرَّادُهُ لَعَيُوفُ

ثمَّ [قولُهُ] (ولو أوردتُهُ يوماً) حشوٌ باردٌ

ثمَّ قولُهُ : (حمدويهِ الأحولِ) وَحِشٌ جداً ، فما أمقتَ هٰذا البيتَ وأبغضَهُ !! وما أثقلَهُ وأسخفَهُ !! وإنَّما غطَّىٰ علىٰ عينِهِ عيبَهُ ، وزَيَّنَ لهُ إيرادَهُ طمعُهُ في الاستطرادِ ، وهلَّا طمعَ فيهِ علىٰ وجهٍ لا يَغُضُّ مِنْ بهجةِ كلامِهِ ، ولا معنىٰ ألفاظِهِ ؟! فقد كانَ يمكنُ ذٰلكَ ، ولا يَتعذَّرُ

---

(١) انظر « ديوان بشار بن برد » (١٨٢/٤) ، والبيت بتمامه

فَتَىً لَا يَنَامُ عَلَىٰ ثَأْرِهِ وَلَا يَشْرَبُ ٱلْمَاءَ إِلَّا بِدَمْ

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٨٠)

قولُ الشيخِ[1] (فهلا وصفَهُ بعِزَّةِ الشربِ) وإيرادُ بيتِ المتنبي عجيبٌ !! فإنَّ ذٰلكَ ليسَ مِنْ صفةِ الفرسِ بعِزَّةِ الشربِ ، وإنَّما هوَ مِنْ صفةِ الممدوحِ بأنَّهُ يطلبُ معاليَ الأمورِ ، وأبعدَ درجاتِ المجدِ ، وأنَّهُ يصلُ إلىٰ ما قصدَ منها ، وبالغَ في ذٰلكَ حتىٰ جعلَهُ قادراً علىٰ أن يوردَ خيلَهُ الشمسَ لو صلحَتْ لذٰلكَ ، وليسَ معناهُ أنَّهُ يتخيَّرُ لخيلِهِ المُستقىٰ ، وقطعةُ أبي تمامٍ التي يقولُ الشيخُ أنَّهُ أوردَها في ضمنِ ما سبقَ مِنْ كلامِهِ في نوعِ الاستطرادِ ؛ فهيَ فيما حكاهُ بقولِهِ[2] كتبَ لي الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ قالَ أخبرَني محمدُ بنُ يحيىٰ ، حدَّثَني محمدُ بنُ عليٍّ الأنباريُّ قالَ سمعتُ البحتريَّ يقولُ أنشدَني أبو تمامٍ لنفسِهِ[3] [من البسيط]

وَسَابِحٍ هَطِلِ ٱلتَّعْدَاءِ هَتَّانِ ... عَلَى ٱلْجِرَاءِ أَمِينٍ غَيْرِ خَوَّانِ
أَظْمَى ٱلْفُصُوصِ وَلَمْ تَظْمَأْ قَوَائِمُهُ ... فَخَلِّ عَيْنَيْكَ فِي رَيَّانَ ظَمْآنِ
وَلَوْ تَرَاهُ مُشِيحاً وَٱلْحَصَىٰ فِلَقٌ ... بَيْنَ ٱلسَّنَابِكِ مِنْ مَثْنىً وَوُحْدَانِ
أَيْقَنْتَ أَنْ لَمْ تَثَبَّتْ أَنَّ حَافِرَهُ ... مِنْ صَخْرِ تَدْمُرَ أَوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانِ

وقالَ لي ما هٰذا مِنَ الشعرِ ؟ قلتُ لا أدري ، قالَ هٰذا المستطردُ ، أو قالَ الاستطرادُ ، قلتُ وما معنىٰ ذٰلكَ ؟ قالَ يُري أنَّهُ يصفُ الفرسَ ويريدُ هجاءَ عثمانَ ، فقالَ وقالَ البحتريُّ

مَا إِنْ يَعَافُ قَذىً وَلَوْ أَوْرَدْتَهُ ... يَوْماً خَلَائِقَ حَمْدَوَيْهِ ٱلْأَحْوَلِ

قالَ فقيلَ للبحتريِّ إنَّكَ أخذتَ هٰذا مِنْ أبي تمامٍ ، فقالَ ما يُعابُ عليَّ أن آخذَ منهُ وأتبعَهُ فيما يقولُ ؟!

---

(١) أراد المؤلفُ الإمامَ الباقلانيَّ
(٢) انظر « إعجاز القرآن » (ص ١٠٤ ـ ١٠٥)
(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٤/٤٣٤)

قلتُ وإذا كانوا يجعلونَ مِنْ أدبِ الفرسِ أنَّهُ يَرِدُ ما أُورِدَ ، لا يَتخيَّرُ مورداً دونَ موردٍ ، وبذٰلكَ يقوى الانتفاعُ بهِ ، وتشتدُّ الثقةُ بصحبتِهِ في الأسفارِ ومضايقِ الأمورِ ، كما هوَ أدبٌ في الإنسانِ أيضاً لم يكنْ لانتقادِ الشيخِ موضعٌ ، وقولُهُ (ولو أوردتَهُ) هيَ العبارةُ التي يَحسُنُ أن يَتوصَّلَ بها إلى الهجاءِ ، ولفظُ (حمدويهِ الأحولِ) اسمُ المَهجوِّ وصفتُهُ ، لا يمكنُ تبديلُهُما ، فإذاً لا عيبَ في البيتِ



فأمَّا قولُهُ

ذَنَبٌ كَمَا سُحِبَ ٱلرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ ... عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَٱلْقِنَاعِ ٱلْمُسْبَلِ

تُتَوَهَّمُ ٱلْجَوْزَاءُ فِي أَرْسَاغِهِ ... وَٱلْبَدْرُ فَوْقَ جَبِينِهِ ٱلْمُتَهَلِّلِ

فالبيتُ الأوَّلُ وَحِشُ الابتداءِ ، مُنقطِعٌ عمَّا سبقَ مِنَ الكلامِ ، وقد ذكرنا أنَّهُ لا يهتدي لوصلِ الكلامِ ، ونظامِ بعضِهِ إلىٰ بعضٍ ، وإنَّما يَتصنَّعُ لغيرِ هٰذا الوجهِ ، وكانَ مِنْ سبيلِهِ ألَّا يخفىٰ عليهِ ، ولا يذهبَ عن مثلِهِ

ثمَّ قولُهُ (كما سُحِبَ الرداءُ) قبيحٌ في تحقيقِ التشبيهِ ، وليسَ بواقعٍ ولا مستقيمٍ في العبارةِ ، إلَّا علىٰ إضمارِ أنَّهُ ذنبٌ يسحبُهُ كما يُسحَبُ [الرداءُ]

وقولُهُ (يذبُّ عن عُرفٍ) ليسَ بحسنٍ ولا صادقٍ ، والمحمودُ ما ذكرَهُ امرُؤُ القيسِ ، وهوَ قولُهُ في صفةِ الذنبِ[1] [من الطويل]

ضَافٍ فُوَيْقَ ٱلْأَرْضِ

وأمَّا قولُهُ (تُتوهَّمُ الجوزاءُ في أرساغِهِ) فهوَ تشبيهٌ مليحٌ ، ولٰكنَّهُ لم

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٢٣) ، والبيت بتمامه

وَأَنْتَ إِذَا ٱسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ ... بِضَافٍ فُوَيْقَ ٱلْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ

يَسْبِقْ إليهِ ، ولا انفردَ بهِ ، ولو نسختُ لكَ ما قالَهُ الشُّعراءُ في تشبيهِ الغرةِ بالهلالِ والبدرِ والنجمِ وغيرِ ذٰلكَ مِنَ الأمورِ ، وتشبيهِ الحجولِ لتعجَّبتَ مِنْ بدائعَ قد وقعوا عليها ، وأمورٍ مليحةٍ قد ذهبوا إليها ، وليسَ ذٰلكَ موضوعَ كلامِنا ، فتتبعْ ذٰلكَ في أشعارِهِم ؛ لتعلمَ ما وصفتُ لكَ

واعلمْ أنَّا تركنا بقيةَ كلامِهِ في وصفِ الفرسِ ؛ لأَنَّهُ ذكرَ عشرينَ بيتاً في ذٰلكَ ، والذي ذكرناهُ في المعنىٰ يدلُّ علىٰ ما بعدَهُ ، ولا يعدو ما تركناهُ أن يكونَ مُتوسِّطاً إلىٰ حدٍّ [لا] يفوتُ طريقةَ الشُّعراءِ

ولو تتبعتَ أقاويلَ الشُّعراءِ في وصفِ الخيلِ علمتَ أنَّهُ وإن جمعَ فأوعىٰ ، وحشرَ فنادىٰ ففيهم مَنْ سبقَهُ في ميدانِهِ ، ومنهُم مَنْ ساواهُ في شأوِهِ ، ومنهُم مَنْ داناهُ ، فالقبيلُ واحدٌ ، والنسيجُ متشاكلٌ ، ولولا كراهةُ التطويلِ لنقلتُ جملةً مِنْ أشعارِهِم في ذٰلكَ ؛ لتقفَ علىٰ ما قلتُ

فتجاوزنا إلى الكلامِ علىٰ ما قالَهُ في المدحِ في هـٰذه القصيدةِ ، قالَ

لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ٱلشَّرَفُ ٱلَّذِي ... لَا يَلْحَظُ ٱلْجَوْزَاءَ إِلَّا مِنْ عَلِ
وَسَمَاحَةٌ لَوْلَا تَتَابُعُ مُزْنِهَا ... فِينَا لَرَاحَ ٱلْمُزْنُ غَيْرَ مُبَخَّلِ
وَٱلْجُودُ يَعْذِلُهُ عَلَيْهِ حَاتِمٌ ... سَرَفاً وَلَا جُودٌ لِمَنْ لَمْ يُعْذَلِ

البيتُ الأَوَّلُ منقطعٌ عمَّا قبلَهُ علىٰ ما وصفنا بهِ شعرَهُ مِنْ قطعِهِ المعانيَ ، وفصلِهِ بينَها ، وقِلَّةِ تأتيهِ لتجويدِ الخروجِ والوصلِ ، وذٰلكَ نقصانٌ في الصِّناعةِ ، وتخلُّفٌ في البراعةِ ، وهـٰذا إذا وقعَ في مواضعَ قليلةٍ عُذِرَ فيها ، وأمَّا إذا كانَ بناءُ الغالبِ مِنْ كلامِهِ علىٰ هـٰذا فلا عذرَ لهُ

وأمَّا المعنى الذي ذكرَهُ فليسَ بشيءٍ ممَّا سَبَقَ إليهِ ، وهوَ شيءٌ مُشترَكٌ

فيهِ ، وقد قالوا في نحوِهِ الكثيرَ الذي يَصعُبُ نقلُ جميعِهِ ، وفي المعنىٰ قالَ المتنبي [1] [من البسيط]

وَعَـزْمَـةٌ بَـعَـثَـتْـهَـا هِـمَّـةٌ زُحَـلٌ مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ ٱلتُّرْبِ مِنْ زُحَلِ

قلتُ لا معنىٰ لإيرادِ قولِ المتنبي معَ تأخُّرِهِ عنِ البحتريِّ ، وكانَ عليهِ حيثُ أرادَ أن يذكرَ شيئاً مِنْ كلامِ المُتقدِّمينَ كأن يقولَ قالَ زهيرٌ مثلاً ، وينقلَ مثلَ قولِهِ [2] [من البسيط]

لَوْ كَانَ يُقْعَدُ فَوْقَ ٱلشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَـوْمٌ بِـأَوَّلِـهِـمْ أَوْ مَـجْـدِهِـمْ قَـعَـدُوا

وأيـنَ زحـلٌ في كـلامِ المتنبي مِـنَ الـجوزاءِ في كـلامِ الـبحتريِّ ؟! قـالَ الشيخُ [3] وحدَّثَنِي إسماعيلُ بنُ عبادٍ أنَّهُ رأىٰ أبا الفضلِ بنَ العميدِ قامَ لرجلٍ ، ثمَّ قالَ لِمَنْ حضرَهُ أتدرونَ مَنْ هٰذا ؟ ثمَّ قالَ هٰذا الذي قالَ في أبيهِ البحتريُّ

لِمُـحَـمَّـدِ بْـنِ عَـلِـيٍّ ٱلـشَّـرَفُ ٱلَّـذِي

فذٰلكَ منهُ استعظامٌ للبيتِ بما مُدِحَ بهِ مِنَ البيتِ

والبيتُ الثاني في تشبيهِ جودِهِ بالسحابِ قريبٌ ، وهوَ حديثٌ مُكرَّرٌ ، ليسَ يَنفكُّ مديحُ شاعرٍ منهُ ، وكانَ مِنْ سبيلِهِ أن يبدعَ فيهِ زيادةَ إبداعٍ ، كما قد يقعُ لهُم في نحوِ هٰذا ، ولٰكنْ لم يَتصنَّعْ لهُ ، وأرسلَهُ إرسالاً

والبيتُ الثالثُ وإن كانَ معناهُ مُكرَّراً . فلفظُهُ مُضطرِبٌ بالتأخيرِ والتقديمِ ، يشبهُ ألفاظَ المبتدئينَ ؛ يعني أنَّ ترتيبَ الكلامِ هٰكذا والجودُ سرفاً يعذلُهُ حاتمٌ عليهِ ؛ وذٰلكَ أنَّ (سرفاً) يجبُ أن يكونَ مفعولاً مطلقاً للجودِ ؛ أي

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢١٢)

(٢) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٢٠٤)

(٣) انظر « إعجاز القرآن » (ص ٢٣٣) وما بعدها

والجودُ جودُ سرفٍ ، ولا يَصِحُّ أن يكونَ مفعولاً لهُ لـ (يعذلُ) لعدمِ اتحادِ الفاعلِ

وأمّا قولُهُ

فَـضْـلٌ وَإِفْـضَـالٌ وَمَـا أَخَـذَ ٱلْـمَـدَىٰ   بَعْدَ ٱلْمَدَىٰ كَٱلْفَاضِـلِ ٱلْمُـتَـفَـضِّلِ
سَـارٍ إِذَا ٱدَّلَـجَ ٱلْـعُـفَـاةُ إِلَى ٱلـنَّـدَىٰ   لَا يَصْـنَـعُ ٱلْـمَـعْـرُوفَ غَـيْـرَ مُـعَـجَّـلِ

فالبيتُ الأوَّلُ مُنقطِعٌ عمَّا قبلَهُ ، وليسَ فيهِ شيءٌ غيرَ التجنيسِ الذي ليسَ ببديعٍ ؛ لتكرُّرِهِ علىٰ كلِّ لسانٍ ، وقولُهُ (ما أخذَ المدىٰ) فإنَّهُ لفظٌ مليحٌ ، وهوَ كقولِ امرئِ القيسِ[١] [من الطويل]

سُمُوَّ حَبَابِ ٱلْمَاءِ حَالاً عَلَىٰ حَالِ

ولـٰكنَّها طريقةٌ مذللةٌ ، فهوَ فيها تابعٌ

وأمَّا البيتُ الثاني فقريبٌ في اللفظِ والمعنىٰ ، وقولُهُ (لا يصنعُ المعروفَ) ليسَ بلفظٍ محمودٍ

قلتُ لم يصبِ الشيخُ في دعواهُ انقطاعَ البيتِ عن سابقِهِ ؛ فإنَّهُ إجمالٌ لهُ ، وجمعٌ لمُفصَّلِهِ ؛ فإنَّهُ لمَّا ذكرَ الشَّرفَ وكرمَ الأعمالِ عَقَّبَ ذٰلكَ بقولِهِ إنَّهُ جامعٌ بينَ الفضلِ والإفضالِ ، لا كمَنْ يَنفرِدُ بأحدِهِما

وأمَّا قولُهُ

عَـالٍ عَـلَـىٰ نَـظَـرِ ٱلْـحَـسُـودِ كَـأَنَّـمَـا   جَـذَبَـتْـهُ أَفْـرَادُ ٱلـنُّـجُـومِ بِـأَحْـبُـلِ

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣١) ، والبيت بتمامه
سَـمَـوْتُ إِلَـيْـهَـا بَـعْـدَمَـا نَـامَ أَهْـلُـهَـا   سُـمُـوَّ حَـبَـابِ ٱلْـمَـاءِ حَـالاً عَـلَـىٰ حَـالِ

أَوَمَا رَأَيْتَ ٱلْمَجْدَ أَلْقَىٰ رَحْلَهُ   فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

فالبيتُ الأوَّلُ مُنكَرٌ جدّاً في جرِّ النجومِ بالأحبلِ [مِنْ] موضعِهِ إلى العُلُوِّ ، والتكلُّفُ فيهِ واقعٌ

والبيتُ الثاني أجنبيٌّ عنهُ ، بعيدٌ منهُ ، وافتتاحُهُ رديءٌ ، وما وجهُ الاستفهامِ والتقريرِ والاستبانةِ [والتوقيفِ] [والبيتانِ] أجنبيانِ مِنْ كلامِهِ ، غريبانِ في قصيدتِهِ ، ولم يقعْ لهُ في المدحِ في هٰذهِ القصيدةِ شيءٌ جيدٌ ، ألا ترىٰ أنَّهُ قالَ بعدَ ذٰلكَ

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ فَتىً   يُوفِي عَلَىٰ ظُلَمِ ٱلْخُطُوبِ فَتَنْجَلِي

إِنِّي أُرِيدُ أَبَا سَعِيدٍ وَٱلْعِدَا   بَيْنِي وَبَيْنَ سَحَابِهِ ٱلْمُتَهَلِّلِ

كأنَّ هٰذا ليسَ مِنْ طبعِهِ ، ولا مِنْ سبكِهِ



وقولُهُ

مُضَرُ ٱلْجَزِيرَةِ كُلُّهَا وَرَبِيعَةُ ٱلْـ   ـخَابُورِ تُوعِدُنِي وَأَزْدُ ٱلْمَوْصِلِ

قَدْ جُدْتَ بِٱلطِّرْفِ ٱلْجَوَادِ فَثَنِّهِ   لِأَخِيكَ مِنْ أُدَدٍ أَبِيكَ بِمُنْصُلِ

البيتُ الأوَّلُ حسنُ المعنىٰ وإن كانَتْ ألفاظُهُ بذكرِ الأماكنِ لا يَتأتَّىٰ فيهِ التحسينُ ، وهٰذا المعنىٰ قد يمكنُ إيرادُهُ بأحسنَ مِنْ هٰذا اللفظِ وأبدعَ منهُ وأرقَّ منهُ ؛ كقولِهِ (١)   [من الوافر]

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ   حَسِبْتَ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

والبيتُ الثاني قد تعذَّرَ عليهِ وصلُهُ بما سبقَ مِنَ الكلامِ علىٰ وجهِ

(١) تقدم (٣/٤٦٠)

يلطفُ وهوَ قبيحُ اللفظِ حيثُ يقولُ فيهِ (فثنِّهِ لأخيكَ مِنْ أدِدٍ أبيكَ) ، مِنْ أخذِهِ بهٰذا التعرُّضِ لهٰذا السَّجعِ ، وذكرِ هٰذا النَّسبِ ، حتىٰ أفسدَ بهِ شعرَهُ

في قولِ الشيخِ (وهٰذا المعنىٰ يمكنُ) إلىٰ آخِرِهِ نظرٌ

وأمَّا قولُهُ بعدَ ذٰلكَ في وصفِ السيفِ ، يقولُ

يَتَنَاوَلُ ٱلرُّوحَ ٱلْبَعِيدَ مَنَالُهُ عَفْواً وَيَفْتَحُ فِي ٱلْقَضَاءِ ٱلْمُقْفَلِ
بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ حَتْفٍ مُظْلِمٍ وَهِدَايَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ مَجْهَلِ
مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمْضِهِ يَدُ فَارِسٍ بَطَلٍ وَمَصْقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ

ليسَ لفظُ البيتِ الأوَّلِ بُمضاهٍ لديباجةِ شعرِهِ ، ولا لهُ بهجةُ نظمِهِ ؛ لظهورِ أثرِ التكلُّفِ عليهِ ، وتبيُّنِ الثقلِ فيهِ

وأمَّا القضاءُ المقفلُ وفتحُهُ فكلامٌ غيرُ محمودٍ ولا مرضيٍّ ، واستعارةٌ لو لم يستعرْها كانَ أَولىٰ بهِ ، وهلَّا عِيبَ عليهِ كما عِيبَ علىٰ أبي تمامٍ قولُهُ [1] [من الخفيف]

فَضَرَبْتَ ٱلشِّتَاءَ فِي أَخْدَعَيْهِ ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْداً رَكُوبَا

وقالوا يَستحِقُّ بهٰذهِ الاستعارةِ أن يُصفَعَ في أخدعَيهِ ، وقدِ اتَّبَعَهُ البحتريُّ في استعارةِ الأخدعِ وُلوعاً باتِّباعِهِ ، فقالَ في الفتحِ [2] [من الطويل]

وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذُلِّ ٱلْمَطَامِعِ أَخْدَعِي

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١٦٦/١)

(٢) انظر « ديوان البحتري » (١٢٤١/٢) ، والبيت في الفتح بن خاقان ، وهو بتمامه

وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ ٱلْعُلَا وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذُلِّ ٱلْمَطَامِعِ أَخْدَعِي

أي فإنَّ العادةَ أن يُقالَ أعتقتَني أو أعتقتَ عنقي ، قالَ الشيخُ إنَّ شيطانَهُ ـ حيثُ زَيَّنَ لهُ هٰذه الكلمةَ ، وتابعَهُ حينَ حَسَّنَ عندَهُ هٰذهِ اللفظةَ ـ لخبيثٌ ماردٌ ، ورديءٌ معاندٌ ، أرادَ أن يطلقَ أعنَّةَ الذمِّ فيهِ ، ويُسَرِّحَ جيوشَ العتبِ إليهِ ، ولم يقنعْ بقفلِ القضاءِ حتىٰ جعلَ للحتفِ ظُلمةً تُجلىٰ بالسيفِ ، وجعلَ السيفَ هادياً في النفسِ المَجْهَلِ الذي لا يُهتدىٰ إليهِ ، وليسَ في هٰذا معَ تحسينِ اللفظِ وتنميقِهِ شيءٌ ؛ لأنَّ السلاحَ وإن كانَ معيباً فإنَّهُ يهتدي إلى النفسِ ، وكانَ يجبُ أن يبدعَ في هٰذا إبداعَ المتنبي في قولِهِ(١) [من الوافر]

كَـأَنَّ ٱلْـهَـامَ فِـي ٱلْـهَـيْـجَـا عُـيُـونٌ وَقَـدْ طُـبِـعَـتْ سُـيُـوفُـكَ مِـنْ رُقَـادِ
وَقَـدْ صُـغْـتَ ٱلْأَسِـنَّـةَ مِـنْ هُـمُـومٍ فَـمَـا يَـخْـطُـرْنَ إِلَّا فِـي فُـؤَادِ

فالاهتداءُ علىٰ هٰذا الوجهِ في التشبيهِ بديعٌ حسنٌ

وفي البيتِ الأولِ شيءٌ آخَرُ ؛ وذٰلكَ أنَّ قولَهُ (ويَفتحُ في القضاءِ) في هٰذا الموضعِ حشوٌ رديءٌ يلحقُ بصاحبِهِ اللكنةَ ، ويلزمُهُ الهجنةَ

وأمَّا البيتُ الثالثُ فإنَّهُ أصلحُ هٰذهِ الأبياتِ ، وإن كانَ ذكرُ الفارسِ حشواً وتَكلُّفاً ولغواً ؛ لأنَّ هٰذا لا يَتغيَّرُ بالفارسِ والراجلِ ، علىٰ أنَّهُ ليسَ فيهِ بديعٌ

يعني كانَ يكفي أن يقولَ (ماضٍ وإن لم تمضِهِ يدُ بطلٍ) كما قالَ الطُّغرائيُّ(٢) [من البسيط]

فَـعَـادَةُ ٱلـنَّـصْـلِ أَنْ يُـزْهَـىٰ بِـجَـوْهَـرِهِ وَلَـيْـسَ يَـعْـمَـلُ إِلَّا فِـي يَـدَيْ بَـطَـلِ



(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٦١)
(٢) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٧)

وأمّا قولُهُ

يَغْشَى ٱلْوَغَا فَٱلتُّرْسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ ... مِنْ حَدِّهِ وَٱلدِّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلِ
مُصْغٍ إِلَىٰ حُكْمِ ٱلرَّدَىٰ فَإِذَا مَضَىٰ ... لَمْ يَلْتَفِتْ وَإِذَا قَضَىٰ لَمْ يَعْدِلِ
مُتَوَقِّدٌ يَفْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ ... مَا أَدْرَكَتْ وَلَوَ ٱنَّهَا فِي يَذْبُلِ

البيتانِ الأولانِ مِنَ الجنسِ الذي يكثرُ كلامُهُ عليهِ ؛ وهيَ طريقتُهُ التي لا يَتجنَّبُها ، وذٰلكَ مِنَ السبكِ الكتابيِّ والكلامِ المعتدلِ ، إلَّا أنَّهُ لم يبدعْ فيهِما بشيءٍ ، وقد زِيدَ عليهِ فيهِما

ومَنْ قصدَ إلىٰ أن يكملَ عشرةَ أبياتٍ في وصفِ السيفِ فليسَ مِنْ حكمِهِ أن يأتيَ بأشياءَ منقولةٍ وأمورٍ مذكورةٍ ، وسبيلُهُ أن يُغرِبَ ويبدعَ كما أبدعَ المتنبي في قولِهِ[1] [من الخفيف]

سَلَّهُ ٱلرَّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ ... فَتَصَدَّىٰ لِلْغَيْثِ أَهْلُ ٱلْحِجَازِ

هٰذا في بابِ صقالِهِ وأضوائِهِ وكثرةِ مائِهِ ، وكقولِهِ[2] [من الكامل]

رَيَّانُ لَوْ قَذَفَ ٱلَّذِي أَسْقَيْتَهُ ... لَجَرَىٰ مِنَ ٱلْمُهَجَاتِ بَحْرٌ مُزْبِدُ

وقولُهُ (مصغٍ إلىٰ حكمِ الردىٰ) ـ إن تأمَّلتَهُ ـ مقلوبٌ ، كانَ ينبغي أن يقولَ يصغي الردىٰ إلىٰ حكمِهِ ، كما قالَ الآخَرُ[3] [من البسيط]

فَٱلسَّيْفُ يَأْمُرُ وَٱلْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١٥٩)

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٤)

(٣) البيت لصريع الغواني في « ديوانه » (ص ٣١٤) ، والبيت بتمامه

تَلَمَّظَ ٱلسَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَىٰ أَنَسٍ ... فَٱلسَّيْفُ يَلْحَظُ وَٱلْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

هٰكذا في « الديوان » (يلحظ) بدل (يأمر)

وقولُهُ (وإذا قضىٰ لم يعدلِ) مُتكرِّرٌ علىٰ ألسنتِهِم في الشعرِ خاصَّةً في نفسِ هـٰذا المعنىٰ

والبيتُ الثالثُ سليمٌ ، وهوَ كالأولَينِ في خُلُوِّهِ عنِ البديعِ

قولُ المتنبي (سَلَّهُ الرَّكضُ) البيتُ في صفةِ السيفِ بالإضاءةِ واللمعانِ ، ومعناهُ اتفقَ أنَّهُ انسلَّ بسببِ ركضِ مُتقلِّدِهِ وهوَ بنجدٍ ، فبرقَ حتىٰ بلغَ أرض الحجازِ بريقُهُ ولمعانُهُ ، فحسبوهُ برقاً ، فتصدَّوا لِمَا يعقبُهُ مِنَ المطرِ

وقولُهُ (ريانُ لو قذفَ) صفةٌ لهُ بكثرةِ القتلِ بهِ ، فيعني أنَّهُ شربَ نفوسَ قتلاهُ ، فلو قذفَ ما شربَهُ مِنَ الأرواحِ لجرىٰ منها بحرٌ ، فهوَ في معناهُ كقولِهِ(١) [من الطويل]

نَهَبْتَ مِنَ ٱلْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهُنِّئَتِ ٱلدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ



قالَ الشيخُ(٢) وأمَّا قولُهُ

فَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلِ
وَكَأَنَّمَا سُودُ ٱلنِّمَالِ وَحُمْرُهَا دَبَّتْ بِأَيْدٍ فِي قَرَاهُ وَأَرْجُلِ

البيتُ الأوَّلُ يقصدُ بهِ صنعةَ اللفظِ ، وهوَ في المعنىٰ متفاوتٌ ؛ لأنَّ المَضربَ قد لا يكونُ مَقتلاً ، وقد يُطلِقُ الشعراءُ ذلكَ ، ويرونَ أنَّ هـٰذا أبدعُ مِنْ قولِ المتنبي ، وأنَّهُ بضدِّهِ(٣) [من البسيط]

يُقَتِّلُ ٱلسَّيْفَ فِي جِسْمِ ٱلْقَتِيلِ بِهِ وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٤٥)

(٢) عودٌ إلىٰ « إعجاز القرآن » (ص ٢٣٨) وما بعدها

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٦٧) ، وفيه (القاتل) بدل (يقتل)

وهـٰذهِ طريقةٌ لهُم يَتمدَّحُونَ بها في [قصفِ] الرمحِ طعناً ، وتقطيعِ السيفِ ضرباً

وفي قولِهِ (وإذا أُصيبَ فما لهُ مِنْ مقتلٍ) تَعسُّفٌ ؛ لأنَّهُ يريدُ بذٰلكَ أنَّهُ لا ينكسرُ ، فالتعبيرُ بما عَبَّرَ بهِ عنِ المعنى الذي ذكرنا يَتضمَّنُ التكلُّفَ وضرباً مِنَ المُحالِ ، وليسَ بالنادرِ ، والذي عليهِ الجملةُ ما حكينا عن غيرِهِ ، ونحوَهُ قالَ بعضُ أهلِ الزمانِ [من المتقارب]

يُقَصِّفُ فِي ٱلْفَارِسِ ٱلسَّمْهَرِيَّ ... وَصَدْرَ ٱلْحُسَامِ فَرِيقاً فَرِيقَا

والبيتُ الثاني أيضاً هوَ معنىً مُكرَّرٌ علىٰ ألسنةِ الشعراءِ ، [وأمَّا] تصنيعُهُ بسودِ النمالِ وحمرِها فليسَ بشيءٍ ، ولعلَّهُ أرادَ بالحمرِ الذرَّ ، والتفصيلُ باردٌ ، والإغرابُ بهِ منكرٌ ، وهوَ كما حُكِيَ عن بعضِهِم أنَّهُ قالَ كانَ كذا حينَ كانَتِ الثريَّا بحذاءِ رأسي علىٰ سواءٍ ، أو مُنحرِفةً قدرَ شبرٍ ، أو نصفِ شبرٍ ، أو إصبعٍ ، أو ما يقاربُ ذٰلكَ ، فقيلَ لهُ هـٰذا مِنَ الورعِ الذي يبغضُهُ اللهُ ويمقتُهُ الناسُ ، ورُبَّ زيادةٍ كانَتْ نقصاناً

وصفةُ النملِ بالسوادِ والحمرةِ في هـٰذا مِنْ ذٰلكَ الجنسِ ، وعليهِ خرجَ بقيةُ البيتِ في قولِهِ (دَبَّتْ بأيدٍ في قَرَاهُ وأرجلِ) ، وكانَ يكفي ذكرُ الأرجلِ عن ذكرِ الأيدي ، ووصفُ الفِرِنْدِ بدبِّ النملِ شيءٌ لا يَشِذُّ عن أحدٍ منهُم

قلتُ بل كانَ يكفي ذكرُ دبيبِ النملِ دونَ الأيدي والأرجلِ ، كما قالَ أبو العلاءِ (١) [من الوافر]

وَدَبَّتْ فَوْقَهُ حُمْرُ ٱلْمَنَايَا ... وَلَٰكِنْ بَعْدَمَا مُسِخَتْ نِمَالَا

(١) انظر « شروح سقط الزند » (١/١٠٤)

وأمَّا قولُهُ

وَكَأَنَّ شَاهِرَهُ إِذَا ٱسْتَضْوَىٰ بِهِ ٱلزَّ ... حْفَانِ يَعْصِي بِٱلسِّمَاكِ ٱلْأَعْزَلِ
حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ ٱلْقَدِيمَةُ بَقْلَةً ... مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لَمْ تَذْبُلِ

البيتُ الأوَّلُ منهُما فيهِ ضربٌ مِنَ التكلُّفِ ، وهوَ منقولٌ مِنْ أشعارِهِم وألفاظِهِم ، كما قيلَ [1] [من الكامل]

[قَمَراً] يَشُدُّ عَلَى ٱلرِّجَالِ بِكَوْكَبِ

فجعلَ ذٰلكَ الكوكبَ السِّماكَ ، واحتاجَ إلىٰ أن يجعلَهُ أعزلَ للقافيةِ ، ولو لم يَحتجْ إلىٰ ذٰلكَ كانَ خيراً لهُ ؛ لأنَّ الصفةَ في هٰذا الموضعِ تغضُّ منهُ ، وموضعُ التكلُّفِ الذي ادعيناهُ الحشوُ الذي ذكرَهُ مِنْ قولِهِ (إذا استضوىٰ بهِ الزحفانِ) ، وكانَ يكفي أن يقولَ كانَ صاحبُهُ يعصي بالسِّماكِ ، وهٰذا وإن كانَ قد يعملُ فيهِ اللفظُ فهوَ لغوٌ علىٰ ما بيَّنَّا

وأمَّا البيتُ الثاني ففيهِ لغوٌ مِنْ جهةِ قولِهِ (حمائلُهُ القديمةُ) ولا فضيلةَ لهُ في ذٰلكَ ، ثمَّ تشبيهُ السيفِ بالبقلةِ مِنْ تشبيهاتِ العامَّةِ ، والكلامِ الرَّذْلِ النَّذْلِ ؛ لأنَّ العامَّةَ قد يتفقُ منها تشبيهٌ واقعٌ حسنٌ

ثمَّ انظرْ إلىٰ هٰذا المقطعِ الذي هوَ بالعِيِّ أشبهُ منهُ بالفصاحةِ ، وإلى اللكنةِ أقربُ منهُ إلى البراعةِ

وقد بيَّنَّا أنَّ مراعاةَ الفواتحِ والخواتمِ والمطالعِ والمقاطعِ والفصلِ والوصلِ بعدَ صحَّةِ الكلامِ ووجودِ الفصاحةِ فيهِ ممَّا لا بدَّ منهُ ، وأنَّ الإخلالَ بذٰلكَ يُخِلُّ بالنظمِ ، ويُذهِبُ رونقَهُ ، ويُحيلُ بهجتَهُ ، ويأخذُ ماءَهُ وبهاءَهُ

---

(١) والبيت بتمامه
وَتَرَاهُ فِي ظُلَمِ ٱلْوَغَىٰ فَتَخَالُهُ ... قَمَراً يَشُدُّ عَلَى ٱلرِّجَالِ بِكَوْكَبِ

وقد أطلتُ عليكَ فيما نقلتُ ، وتَكلَّفتُ ما سطرتُ ؛ لأنَّ هٰذا القبيلَ قبيلٌ موضوعٌ ، مُتعمَّلٌ مصنوعٌ

وأصلُ البابِ في الشعرِ علىٰ أن ينظرَ إلىٰ جملةِ القصَّةِ ، ثمَّ يتعمَّلَ الألفاظَ ، ولا ينظرَ بعدَ ذٰلكَ إلىٰ مواقعِها ، ولا يتأمَّلَ مطارحَها ، وقد يقصدُ تارةً إلىٰ تحقيقِ الأغراضِ وتصويرِ المعاني التي في النفوسِ ، ولٰكنَّهُ يلحقُ بأصلِ بابِهِ ، [ويميلُ] بكَ إلىٰ موضعِهِ ، وبحَسَبِ الاهتمامِ بالصنعةِ يقعُ فيها التفاضلُ

وإن أردتَ أن تعرفَ أوصافَ الفرسِ فقد ذكرتُ لكَ أنَّ الشعراءَ قد تصرَّفوا في ذٰلكَ بما يقعُ إليكَ ـ إن كنتَ مِنْ أهلِ الصَّنعةِ ـ ممَّا يطولُ عَلَيَّ نقلُهُ وكذٰلكَ في السيفِ

وذكرَ بعضُ أهلِ الأدبِ أنَّ أحسنَ قطعةٍ في السيفِ قولُ أبي الهولِ الحميريِّ (١) [من الخفيف]

حَازَ صَمْصَامَةَ ٱلزُّبَيْدِيِّ مِنْ بَيْـ ... ـنِ جَمِيعِ ٱلْأَنَامِ مُوسَى ٱلْأَمِينُ

سَيْفَ عَمْرٍو وَكَانَ فِيمَا سَمِعْنَا ... خَيْرَ مَا أُطْبِقَتْ عَلَيْهِ ٱلْجُفُونُ

أَخْضَرَ ٱللَّوْنِ بَيْنَ بُرْدَيْهِ حَدٌّ ... مِنْ ذُعَافٍ تَمِيسُ فِيهِ ٱلْمَنُونُ

أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ ٱلصَّوَاعِقُ نَاراً ... ثُمَّ شَابَتْ لَهُ ٱلذُّعَافَ ٱلْقُيُونُ

فَإِذَا مَا شَهَرْتَهُ بَهَرَ ٱلشَّمْـ ... ـسَ ضِيَاءً فَلَمْ تَكَدْ تَسْتَبِينُ

يَسْتَطِيرُ ٱلْأَبْصَارَ [كَٱلْقَبَسِ] ٱلْمُشْـ ... ـعَلِ لَا تَسْتَقِيمُ فِيهِ ٱلْعُيُونُ

وَكَأَنَّ ٱلْفِرِنْدَ وَٱلرَّوْنَقَ ٱلْجَا ... رِيَ فِي صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينُ

---

(١) انظر « الحيوان » للجاحظ (٥/٨٧ ـ ٨٨)

نِعْمَ مِخْرَاقُ ذِي ٱلْحَفِيظَةِ فِي ٱلْهَيْـ ـجَاءِ يَعْصِي بِهِ وَنِعْمَ ٱلْقَرِينُ
مَا يُبَالِي إِذَا ٱنْتَضَاهُ لِضَرْبٍ أَشِمَالٌ سَطَتْ بِهِ أَمْ يَمِينُ

وإنَّما يُوازَنُ شعرُ البحتريِّ بشعرِ شاعرٍ مِنْ طبقتِهِ ، ومِنْ أهلِ عصرِهِ ، ومَنْ هوَ في مضمارِهِ وفي منزلتِهِ

ومعرفةُ أجناسِ الكلامِ ، والوقوعُ علىٰ أسرارِهِ ، والوقوفُ علىٰ مِقدارِهِ شيءٌ وإن كانَ عزيزاً وأمرٌ وإن كانَ بعيداً ، فهوَ سهلٌ علىٰ أهلِهِ ، مستجيبٌ لأصحابِهِ ، مطيعٌ لأربابِهِ ، ينقدونَ الحروفَ ، ويعرفونَ الصروفَ

وإنَّما تبقى الشُّبهةُ في ترتيبِ الحالِ مِنَ البحتريِّ وأبي تمامٍ وابنِ الروميِّ وغيرِهِ ، ونحنُ وإن كنَّا نُفضِّلُ البحتريَّ بديباجةِ شعرِهِ على ابنِ الروميِّ وغيرِهِ مِنْ أهلِ زمانِهِ ، ونُقدِّمُهُ بحسنِ عبارتِهِ ، وسلاسةِ كلامِهِ ، وعذوبةِ ألفاظِهِ ، وقِلَّةِ تعقُّدِ قولِهِ فالشعرُ قبيلٌ ملتمسٌ مستدركٌ ، وأمرٌ ممكنٌ مطيعٌ (١)



(١) إلىٰ هنا النقل عن « إعجاز القرآن » (ص ٢٤٣) للإمام الباقلاني

[ذكرُ قصيدتَينِ مُستَجادتَينِ للبحتريِّ]

وهٰذه القصيدةُ التي تَكلَّمَ بانتقادِ بعضِها هٰذا الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ ، ونقلَ عنِ البحتريِّ أنَّها أجودُ شعرِهِ قدِ امتدحَ بها أحدَ أعيانِ زمانِهِ مِنَ الكَتَبةِ محمدَ بنَ عليٍّ [بنِ] عيسى القميَّ ، ورأيتُ إثباتَها هنا ، وتعقيبَها بالقصيدةِ التي استجادَها الأستاذُ أبو الفضلِ بنُ العميدِ أحدُ مشايخِ الكُتَّابِ ، وشيخُ الصَّاحبِ إسماعيلَ بنِ عبَّادٍ في دولةِ بني بويهٍ تعجيلاً للفائدةِ

[القصيدةُ الأُولىٰ (أهلاً بذٰلكمُ الخيالِ المقبلِ)]

هٰذهِ القصيدةُ الأولىٰ

أَهْـلاً بِـذَٰلِكُمُ ٱلْـخَـيَـالِ ٱلْـمُـقْـبِـلِ   فَـعَـلَ ٱلَّـذِي نَـهْـوَاهُ أَوْ لَـمْ يَـفْـعَـلِ
بَرْقٌ سَرَىٰ فِي بَطْنِ وَجْرَةَ فَٱهْتَدَتْ   بِـسَـنَـاهُ أَعْـنَـاقُ ٱلرِّكَـابِ ٱلـضُّـلَّـلِ

الأعناقُ هنا : جمعُ عنقٍ ؛ وهوَ الجماعةُ مِنَ الناسِ ، أوِ العضوُ المخصوصُ ، فيكونُ مَجازاً بعلاقةِ الجزئيةِ ؛ إذِ العنقُ موضعُ استبانةِ الهدايةِ ، فإنَّهُ أوَّلُ ما يميلُ ويعتدلُ عندَ سلوكِ السبلِ ، فكأنَّهُ قالَ فاهتدَتْ بسناهُ إبلُ الركابِ ، أو جملُ الركابِ

مِـنْ غَـادَةٍ مُـنِـعَـتْ وَتَـمْـنَـعُ نَـيْـلَـهَـا   فَـلَـوَ ٱنَّـهَـا بُـذِلَـتْ لَـنَـا لَـمْ تَـبْـذُلِ
كَـٱلْبَدْرِ غَـيْـرَ مُـخَيَّـلٍ وَٱلْـغُصْـنِ غَـيْـ   ـرَ مُـمَـيَّـلٍ وَٱلـدِّعْـصِ غَـيْـرَ مُـهَـيَّـلِ
مَا ٱلْحُسْنُ عِنْدَكِ يَا سُعَادُ بِمُحْسِنٍ   فِـيـمَـا أَتَـاهُ وَلَا ٱلْـجَـمَـالُ بِـمُـجْـمَـلِ
عُذِلَ ٱلْمَشُوقُ وَإِنَّ مِنْ سِيمَا ٱلْهَوَىٰ   فِـي حَـيْـثُ تَـجْـهَـلُـهُ لَـجَـاجَ ٱلْـعُـذَّلِ
مَـاذَا عَـلَـيْـكَ مِـنِ ٱنْـتِـظَـارِ مُـتَـيَّـمٍ   بَـلْ مَـا يَـضُـرُّكَ وَقْـفَـةٌ فِـي مَـنْـزِلِ

إنْ سِيلَ عَيَّ عَنِ ٱلْجَوَابِ وَلَمْ يُطِقْ   رَجْعاً فَكَيْفَ يَكُونُ إنْ لَمْ يُسْأَلِ
لَا تَكْلَفَنَّ لِيَ ٱلدُّمُوعَ فَإِنَّ لِي   دَمْعاً يَتِمُّ عَلَيْهِ إنْ لَمْ يَفْضُلِ
وَلَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى ٱلصُّدُودِ مِنَ ٱلنَّوَىٰ   وَٱلشَّرْيُ أَرْيٌ عِنْدَ أَكْلِ ٱلْحَنْظَلِ
وَكَذَاكَ طَرْفَةُ حِينَ أَوْجَسَ ضَرْبَةً   فِي ٱلرَّأْسِ هَانَ عَلَيْهِ قَطْعُ ٱلْأَكْحَلِ
وَأَغَرَّ فِي ٱلزَّمَنِ ٱلْبَهِيمِ مُحَجَّلٍ   قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَىٰ أَغَرَّ مُحَجَّلِ
كَٱلْهَيْكَلِ ٱلْمَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ   فِي ٱلْحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلِ
وَافِي ٱلضُّلُوعِ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ   يَوْمَ ٱللِّقَاءِ عَلَىٰ مُعِمٍّ مُخْوِلِ
أَخْوَالُهُ لِلرُّسْتُمِينَ بِفَارِسٍ   وَجُدُودُهُ لِلتُّبَّعِينَ بِمَوْكَلِ
يَهْوِي كَمَا تَهْوِي ٱلْعُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ   صَيْداً وَيَنْتَصِبُ ٱنْتِصَابَ ٱلْأَجْدَلِ
تَتَوَهَّمُ ٱلْجَوْزَاءُ فِي أَرْسَاغِهِ   وَٱلْبَدْرُ فَوْقَ جَبِينِهِ ٱلْمُتَهَلِّلِ
مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا   تُرَيَانِ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلِ
ذَنَبٌ كَمَا سُحِبَ ٱلرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ   عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَٱلْقِنَاعِ ٱلْمُسْبَلِ
جَذْلَانَ يَنْفُضُ عُذْرَةً فِي غُرَّةٍ   يَقَقٍ يَسِيلُ حُجُولُهَا فِي جَنْدَلِ

العُذْرةُ الشَّعَرُ النازلُ مِنْ ناحيةِ الرأسِ ، ويَقَقٌ شديدُ البياضِ ، والإضافةُ في (حجولها) ـ أيِ الغرَّةِ ـ لأدنىٰ ملابسةٍ ؛ لجريانِ العادةِ بجمعِ الغرَّةِ والتحجيلِ في الذكرِ

كَٱلرَّائِحِ ٱلنَّشْوَانِ أَكْثَرُ مَشْيِهِ   عَرَضاً عَلَى ٱلسَّنَنِ البَعِيدِ ٱلْأَطْوَلِ
ذَهَبُ ٱلْأَعَالِي حَيْثُ تَذْهَبُ مُقْلَةٌ   فِيهِ بِنَاظِرِهَا حَدِيدُ ٱلْأَسْفَلِ

أي أعاليهِ ذهبيةُ اللونِ ، وأسفلُهُ حديديُّ القُوَّةِ

صَافِي ٱلْأَدِيمِ كَأَنَّمَا عُنِيَتْ بِهِ لِصَفَاءِ نُقْبَتِهِ مَدَاوِسُ صَيْقَلِ

النُّقبةُ ـ بضمٍ فسكونٍ ـ : اللَّونُ ، والمدوسُ آلةُ الصقالِ

وَكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَلَيْهِ صِبْغَهَا صَهْبَاءُ لِلْبَرَدَانِ أَوْ قُطْرُبُّلِ

البَرَدَانِ ـ بفتحتَينِ ـ : قريةٌ بناحيةِ بغدادَ

لَبِسَ [ٱلْقُنُوَّ] مُزَعْفَراً وَمُعَصْفَراً يَدْمَىٰ فَرَاحَ كَأَنَّهُ فِي خَيْعَلِ

وَكَأَنَّمَا كُسِيَ ٱلْخُدُودَ نَوَاعِماً مَهْمَا تُوَاصِلْهَا بِلَحْظٍ تَخْجَلِ

الخَيْعَلُ قميصٌ ليسَ لهُ كمَّانِ

وَتَرَاهُ يَسْطَعُ فِي ٱلْغُبَارِ لَهِيبُهُ لَوْناً وَشَدّاً كَٱلْحَرِيقِ ٱلْمُشْعَلِ

وَتَظُنُّ رَيْعَانَ ٱلشَّبَابِ يَرُوعُهُ مِنْ جِنَّةٍ أَوْ نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلِ

هَزِجُ ٱلصَّهِيلِ كَأَنَّ فِي نَغَمَاتِهِ نَبَرَاتُ مَعْبَدَ فِي ٱلثَّقِيلِ ٱلْأَوَّلِ

مَلَكَ ٱلْعُيُونَ فَإِنْ بَدَا أَعْطَيْنَهُ نَظَرَ ٱلْمُحِبِّ إِلَى ٱلْحَبِيبِ ٱلْمُقْبِلِ

مَا إِنْ يَعَافُ قَذىً وَلَوْ أَوْرَدْتَهُ يَوْماً خَلَائِقَ حَمْدَوَيْهِ ٱلْأَحْوَلِ

لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ٱلشَّرَفُ ٱلَّذِي لَا يَلْحَظُ ٱلْجَوْزَاءَ إِلَّا مِنْ عَلِ

وَسَمَاحَةٌ لَوْلَا تَتَابُعُ مُزْنِهَا فِينَا لَرَاحَ ٱلْمُزْنُ غَيْرَ مُبَخَّلِ

وَٱلْجُودُ يَعْذِلُهُ عَلَيْهِ حَاتِمٌ سَرَفاً وَلَا جُودٌ لِمَنْ لَمْ يُعْذَلِ

فَضْلٌ وَإِفْضَالٌ وَمَا أَخَذَ ٱلْمَدَىٰ بَعْدَ ٱلْمَدَىٰ كَٱلْفَاضِلِ ٱلْمُتَفَضِّلِ

سَارٍ إِذَا ٱدَّلَجَ ٱلْعُفَاةُ إِلَى ٱلنَّدَىٰ لَا يَصْنَعُ ٱلْمَعْرُوفَ غَيْرَ مُعَجَّلِ

عَالٍ عَلَىٰ نَظَرِ ٱلْعُيُونِ كَأَنَّمَا جَذَبَتْهُ أَفْرَادُ ٱلنُّجُومِ بِأَحْبُلِ

أَوَمَا رَأَيْتَ ٱلْمَجْدَ أَلْقَىٰ رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

ضَيْفٌ لَهُمْ يَقْرِي ٱلضُّيُوفَ وَنَازِلٌ مُتَكَفِّلٌ فِيهِمْ بِنُزْلِ ٱلنُّزَّلِ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ فَتىً يُوفِي عَلَىٰ ظُلَمِ ٱلْخُطُوبِ فَتَنْجَلِي
إِنِّي أُرِيدُ أَبَا سَعِيدٍ وَٱلْعِدَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَحَابِهِ ٱلْمُتَهَلِّلِ
مُضَرُ ٱلْجَزِيرَةِ كُلُّهَا وَرَبِيعَةُ ٱلْـ خَابُورِ تُوعِدُنِي وَأَزْدُ ٱلْمَوْصِلِ
قَدْ جُدْتَ بِٱلطِّرْفِ ٱلْجَوَادِ فَثَنِّهِ لِأَخِيكَ مِنْ أُدَدٍ أَبِيكَ بِمُنْصُلِ
يَتَنَاوَلُ ٱلرُّوحَ ٱلْبَعِيدَ مَنَالُهُ عَفْواً وَيَفْتَحُ فِي ٱلْقَضَاءِ ٱلْمُقْفَلِ
بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ [حَتْفٍ] مُظْلِمٍ وَهِدَايَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ مَجْهَلِ
مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمْضِهِ يَدُ فَارِسٍ بَطَلٍ وَمَصْقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ
يَغْشَى ٱلْوَغَىٰ فَٱلتُّرْسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ مِنْ حَدِّهِ وَٱلدِّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلِ
مُصْغٍ إِلَىٰ حُكْمِ ٱلرَّدَىٰ فَإِذَا مَضَىٰ لَمْ يَلْتَفِتْ وَإِذَا قَضَىٰ لَمْ يَعْدِلِ
مُتَأَلِّقٌ يَفْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَا أَدْرَكَتْ وَلَوَ ٱنَّهَا فِي يَذْبُلِ
وَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلِ
وَكَأَنَّمَا سُودُ ٱلنِّمَالِ وَحُمْرُهَا دَبَّتْ بِأَيْدٍ فِي قَرَاهُ وَأَرْجُلِ
وَكَأَنَّ شَاهِرَهُ إِذَا ٱسْتَضْوَىٰ بِهِ ٱلزَّ حْفَانِ يَعْصَىٰ بِٱلسِّمَاكِ ٱلْأَعْزَلِ
حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ ٱلْقَدِيمَةُ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لَمْ تَذْبُلِ

السِّماكُ الأعزلُ أحدُ السِّماكَينِ والآخَرُ السِّماكُ الرامحُ

فالأعزلُ ما لا رمحَ معَهُ ، والرامحُ ما معَهُ رمحٌ ، ولأبي العلاءِ المعريِّ

وفيهِ ذكرُ السِّماكَينِ [1] [من الكامل]

لَا تَـطْـلُـبَـنَّ بِـغَـيْـرِ حَـظٍّ آلَـةً قَـلَـمُ ٱلْـبَلِيـغِ بِغَيْرِ حَـظٍّ مِـغْـزَلُ
سَـكَـنَ ٱلـسِّـمَـاكَانِ ٱلـسَّـمَـاءَ كِلَاهُـمَـا هَـٰذَا لَـــهُ رُمْـــحٌ وَهَـٰذَا أَعْـــزَلُ

[القصيدةُ الثانيةُ (في الشيبِ زجرٌ لهُ لو كانَ ينزجرُ)]

وهـٰذهِ القصيدةُ الثانيةُ مدحَ بها أحدَ أمراءِ زمانِهِ عليِّ الأرمنيِّ [2] :[من البسيط]

فِي ٱلشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ وَبَـالِـغٌ مِـنْـهُ لَـوْلَا أَنَّـهُ حَـجَـرُ
اِبْيَضَّ مَا ٱسْوَدَّ مِنْ فَوْدَيْهِ وَٱرْتَجَعَتْ جَلِيَّةُ ٱلصُّبْحِ مَا قَدْ أَغْفَلَ ٱلسَّحَرُ
وَلِلْفَتَىٰ مُهْلَةٌ فِي ٱلْحُبِّ وَاسِعَةٌ مَا لَمْ يَمُتْ فِي نَوَاحِي رَأْسِهِ ٱلشَّعَرُ
قَالَتْ مَشِيبٌ وَعِشْقٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا وَذَاكَ فِي ذَاكَ ذَنْبٌ لَيْسَ يُغْتَفَرُ
وَعَيَّرَتْنِي سِجَالَ ٱلْعُدْمِ جَاهِلَةً وَٱلنَّبْعُ عُرْيَانُ مَا فِي فَرْعِهِ ثَمَرُ

النبعُ شجرٌ تُعمَلُ منهُ القِسيُّ ، فإن نبتَ في أعلى الجبلِ كانَ صُلْباً ؛ لاستيفاءِ حَظِّهِ مِنَ الشمسِ وجفافِ الهواءِ ، وخُصَّ باسمِ النَّبعِ ، وإن نبتَ في وسطِ الجبلِ كانَ مُتوسِّطاً وسُمِّيَ بالشَّوْحطِ بفتحِ أوَّلِهِ ، وإن نبتَ في أسفلِ الجبلِ كانَ رِخواً ، وسُمِّيَ غَرَباً بفتحتَينِ

وفي الردِّ على البحتريِّ علىٰ سبيلِ المغالطةِ الأدبيةِ حيثُ قالَ إنَّه لا ثمرَ للنبعِ ، وقد صدقَ يقولُ أبو العلاءِ المعريُّ [3] [من الطويل]

وَقَالَ ٱلْوَلِيدُ ٱلنَّبْعُ لَيْسَ بِمُثْمِرٍ وَأَخْطَأَ سِرْبُ ٱلْوَحْشِ مِنْ ثَمَرِ ٱلنَّبْعِ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٥٢/١) ، وعزاهما فيه لأبي العلاء المعري

(٢) انظر « ديوان البحتري » (٩٥٣/٢ ـ ٩٥٨) ، وفيه أن الممدوح ـ كما سيأتي التصريح به ـ هو علي بن مُرّ الطائي

(٣) انظر « شروح سقط الزند » (١٣٤٨/٣)

يعني أنَّهُ تُتَّخَذُ منهُ القِسيُّ ، فيُصادُ بها الوَحشُ ، فذٰلكَ مِنْ فوائدِهِ وثمراتِهِ ، والسِّجالُ النوبُ ، كما يُقالُ الحربُ سِجالٌ ؛ أي مَرَّةً لهٰؤلاءِ ، ومَرَّةً لأولٰئكَ

عَزَّىٰ عَنِ ٱلْحَظِّ أَنَّ ٱلْعَجْزَ يُدْرِكُهُ وَهَوَّنَ ٱلْعُسْرَ عِلْمِي فِيمَنِ ٱلْيُسُرُ
وَمَا ٱلْفَقِيرُ ٱلَّذِي عَيَّرْتِ آونَةً بَلِ ٱلزَّمَانُ إِلَى ٱلْأَحْرَارِ مُفْتَقِرُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ جُلِّ هَٰذَا ٱلنَّاسِ بَاقِيَةٌ يَنَالُهَا ٱلْفَهْمُ إِلَّا هَٰذِهِ ٱلصُّوَرُ
جَهْلٌ وَبُخْلٌ وَحَسْبُ ٱلْمَرْءِ وَاحِدَةٌ مِنْ تَيْنِ حَتَّىٰ يُعَفَّىٰ خَلْفَهُ ٱلْأَثَرُ
إِذَا مَحَاسِنِي ٱللَّاتِي أُدِلُّ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ
أَهُزُّ بِٱلشِّعْرِ أَقْوَاماً ذَوِي وَسَنٍ فِي ٱلْجَهْلِ لَوْ ضُرِبُوا بِٱلسَّيْفِ مَا شَعَرُوا
عَلَيَّ نَحْتُ ٱلْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ ٱلْبَقَرُ
لَأَرْحَلَنَّ وَآمَالِي مُطَرَّحَةٌ بِسُرَّ مَنْ رَاءَ مُسْتَبْطاً لَهَا ٱلْقَدَرُ

سُرَّ مَنْ راءَ بلدٌ بناها المعتصمُ ، فلمَّا نزلَها قالوا استحساناً لها سُرَّ مَنْ رأىٰ ؛ أي حصلَ السُّرورُ لِمَنْ رأىٰ تلكَ البلدَ ، فصارَ لها اسماً ، ويُقالُ سُرَّ مَنْ راءَ ، بالقلبِ المكانيِّ كما هوَ في الشعرِ ، وسُرَّ مَرَّا ، بحذفِ الهمزةِ

أَبَعْدَ عِشْرِينَ شَهْراً لَا جَدىً فَيُرَىٰ بِهِ ٱنْصِرَافٌ وَلَا وَعْدٌ فَيُنْتَظَرُ
لَوْلَا عَلِيُّ بْنُ مُرٍّ لَٱسْتَمَرَّ بِنَا خِلْفٌ مِنَ ٱلْعَيْشِ فِيهِ ٱلصَّابُ وَٱلصَّبِرُ
عُذْنَا بِأَرْوَعَ أَقْصَىٰ نَيْلِهِ كَثَبٌ عَلَى ٱلْعُفَاةِ وَأَدْنَىٰ سَعْيِهِ سَفَرُ
أَلَحَّ جُوداً وَلَمْ تَضْرُرْ سَحَائِبُهُ وَرُبَّمَا ضَرَّ فِي إِلْحَاحِهِ ٱلْمَطَرُ
لَا يُتْعِبُ ٱلنَّائِلُ ٱلْمَبْذُولُ هِمَّتَهُ وَكَيْفَ يُتْعِبُ عَيْنَ ٱلنَّاظِرِ ٱلنَّظَرُ

بَدَتْ عَلَى ٱلْبَدْوِ نُعْمَىٰ مِنْهُ سَابِغَةٌ وَفْرَاءُ يَحْضُرُ أُخْرَىٰ مِثْلَهَا ٱلْحَضَرُ
مَوَاهِبٌ مَا تَجَشَّمْنَا ٱلسُّؤَالَ لَهَا إِنَّ ٱلْغَمَامَ قَلِيبٌ لَيْسَ يُحْتَفَرُ
يُهَابُ فِينَا وَمَا فِي لَحْظِهِ شَزَرٌ وَسْطَ ٱلنَّدِيِّ وَلَا فِي خَدِّهِ صَعَرُ
بَرْدُ ٱلْحَشَا وَهَجِيرُ ٱلرَّوْعِ مُحْتَفِلٌ وَمِسْعَرٌ وَشِهَابُ ٱلْحَرْبِ مُسْتَعِرُ
إِذَا ٱرْتَقَىٰ فِي أَعَالِي ٱلرَّأْيِ لَاحَ لَهُ مَا فِي ٱلْغُيُوبِ ٱلَّتِي تَخْفَىٰ فَتَسْتَتِرُ
تَوَسَّطَ ٱلدَّهْرَ أَحْوَالاً فَلَا صِغَرٌ عَنِ ٱلْخُطُوبِ ٱلَّتِي تَعْرُو وَلَا كِبَرُ
كَٱلرُّمْحِ أَذْرُعُهُ عَشْرٌ وَوَاحِدَةٌ فَلَيْسَ يُزْرِي بِهِ طُولٌ وَلَا قِصَرُ
مُجَرِّبٌ طَالَمَا أَشْجَتْ عَزَائِمُهُ ذَوِي ٱلْحِجَا وَهْوَ [غِرٌّ بَيْنَهُمْ] غُمُرُ
آرَاؤُهُ ٱلْيَوْمَ أَسْيَافٌ مُهَنَّدَةٌ وَكَانَ كَٱلسَّيْفِ إِذْ آرَاؤُهُ زُبَرُ
وَمُصْعِدٌ فِي هِضَابِ ٱلْمَجْدِ يَطْلَعُهَا كَأَنَّهُ لِسُكُونِ ٱلْجَأْشِ مُنْحَدِرُ
مَا زَالَ يَسْبِقُ حَتَّىٰ قَالَ حَاسِدُهُ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى ٱلْعَلْيَاءِ مُخْتَصَرُ
حُلْوٌ حَمِيتٌ مَتَىٰ تَجْنِي ٱلرِّضَا خُلُقاً مِنْهُ وَمُرٌّ إِذَا أَحْفَظْتَهُ مَقِرُ

حميتٌ شديدُ الحلاوةِ ، ومَقِرٌ شديدُ المرارةِ

نَهَيْتُ حُسَّادَهُ عَنْهُ وَقُلْتُ لَهُمْ اَلسَّيْلُ بِٱللَّيْلِ لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ
كُفُّوا وَإِلَّا كَفَفْتُمْ مُضْمِرِي أَسَفٍ إِذَا تَنَمَّرَ فِي إِقْدَامِهِ ٱلنَّمِرُ
أَلْوَىٰ إِذَا شَابَكَ ٱلْأَعْدَاءَ كَدَّهُمُ حَتَّىٰ يَرُوحَ وَفِي أَظْفَارِهِ ٱلظَّفَرُ
وَٱللُّؤْمُ أَنْ تَدْخُلُوا فِي حَدِّ سَخْطَتِهِ عِلْماً بِأَنْ سَوْفَ يَعْفُو حِينَ يَقْتَدِرُ
جَافِي ٱلْمَضَاجِعِ مَا يَنْفَكُّ فِي لَجَبٍ يَكَادُ يُقْمِرُ مِنْ لأْلَائِهِ ٱلْقَمَرُ
إِذَا خُطَامَةُ سَارَتْ فِيهِ آخِذَةً خِطَامَ نَبْهَانَ وَهْيَ ٱلشَّوْكُ وَٱلشَّجَرُ

رَأَيْتَ مَجْداً عِيَاناً فِي بَنِي أُدَدٍ   إِذْ مَجْدُ كُلِّ قَبِيلٍ دُونَهُمْ خَبَرُ

خُطامةُ ـ بضمّ أولِهِ ـ : اسمُ قبيلةِ الممدوحِ مِنْ بني أسدٍ ، وسارَتْ فيهِ ؛ أي في ذٰلكَ اللجبِ الذي يكادُ يقمرُ القمرُ مِنْ ضوءِ سلاحِهِ ، وأخذُ خطامِ نبهانَ وهوَ مِقودُ الجملِ ، استعارةٌ ؛ أي إذا تَقدَّمتْهُم وكانَتْ في أوائلِهِم ؛ لرئاستِها عليهِم

أَحْسِنْ أَبَا حَسَنٍ بِٱلشِّعْرِ إِذْ جَعَلَتْ   عَلَيْكَ أَنْجُمُهُ بِٱلْمَدْحِ تَنْتَثِرُ

فَقَدْ أَتَتْكَ ٱلْقَوَافِي غِبَّ فَائِدَةٍ   كَمَا تَفَتَّحُ غِبَّ ٱلْوَابِلِ ٱلزَّهَرُ

فِيهَا ٱلْعَقَائِقُ وَٱلْعِقْيَانُ إِنْ لُبِسَتْ   يَوْمَ ٱلتَّبَاهِي وَفِيهَا ٱلْوَشْيُ وَٱلْحِبَرُ

وَمَنْ يَكُنْ فَاخِراً بِٱلشِّعْرِ يُمْدَحُ فِي   أَضْعَافِهِ فَبِكَ ٱلْأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ



[أقسامُ الشِّعرِ أربعةٌ]

وقدِ استبانَ لكَ ممَّا سلفَ ـ وخصوصاً مِنْ كلامِ هٰذا الشيخِ المُنتقِدِ ـ أنَّ الشعرَ وسائرَ الكلامِ بحَسَبِ براعةِ العباراتِ ، واشتمالِها على الفوائدِ ينقسمُ أربعةَ أقسامٍ

قسمٌ حَسُنَ لفظُهُ ، وكَثُرَتْ فوائدُهُ

وقسمٌ حَسُنَ لفظُهُ ، وقلَّتْ فوائدُهُ

وقسمٌ كَثُرَتْ فوائدُهُ ، ولم يَحسُنْ لفظُهُ

وقسمٌ فقدَ الأمرَينِ ، وهوَ الذي قيلَ فيهِ [من الطويل]

وَشِعْرٌ كَبَعْرِ ٱلتَّيْسِ فَرَّقَ بَيْنَهُ لِسَانُ دَعِيٍّ فِي ٱلْقَرِيضِ دَخِيلُ

وعلىٰ هٰذا التقسيمِ قولُ بعضِهِم [من مشطور الرجز]

اَلشُّعَرَاءُ فَٱعْلَمَنَّ أَرْبَعَهْ

فَشَاعِرٌ يَجْرِي وَلَا يُجْرَىٰ مَعَهْ

وَشَاعِرٌ مُسْتَوْجِبٌ أَنْ نَرْفَعَهْ

وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ نَسْمَعَهْ

وَشَاعِرٌ مُسْتَأْهِلٌ أَنْ نَصْفَعَهْ

ولا نزاعَ في شرفِ القسمِ الأولِ ، وانحطاطِ الأخيرِ ، وإنَّما هيَ في المفاضلةِ بينَ شعرٍ حَسُنَ لفظُهُ وقلَّتْ فوائدُهُ ، وما يقابلُهُ

وعندي أنَّ الأولَ لسلامتِهِ مِنْ إيذاءِ المستمعِ أفضلُ وأجملُ ، وصاحبُهُ

أحقُّ بالتقديمِ والإجلالِ ، والمثلُ في ذٰلكَ أنَّ الصوتَ الجميلَ المضطربَ بموافقةِ النفوسِ يَملؤُها التذاذاً وإن كانَ خالياً مِنْ صناعةِ الغناءِ ، بقَدْرِ ما يُنفِّرُها ويُوحشُها الصَّوتُ القبيحُ معَ استيفاءِ الصَّنعةِ فيهِ ، ومَنْ غلبَ عليهِ رعايةُ الصِّناعةِ ، والالتذاذُ بملاحظتِها ، وإدراكُ دقائقِها يُفضِّلُ القسمَ الثاني ، فالرأيُ مختلفٌ

واستبانَ لكَ أيضاً أنَّ جودةَ الكلامِ تعتمدُ صحَّةَ المعنىٰ وشرفَهُ ، [وتخيُّرَ] الألفاظِ في أنفسِها ، ومِنْ جهةِ تجاورِها وموافقتِها للمَقامِ ، وإجادةَ التركيبِ علىٰ ما شُرِحَ في علمِ المعاني وغيرِهِ ؛ بحيثُ تكونُ الألفاظُ سلسةً في المَنطِقِ ، خاليةً مِنَ التنافرِ وشِدَّةِ الغرابةِ ، يألَفُ بعضُها بعضاً ، حتىٰ تكونَ الكلماتُ المتواليةُ بمنزلةِ كلمةٍ واحدةٍ ، وتكونَ الألفاظُ التي توردُها في مَقامِ الحماسةِ ليسَتْ كالألفاظِ التي توردُها في مقامِ الغزلِ والتشبُّبِ ، فلكلِّ فنٍّ مِنْ تلكَ الفنونِ ألفاظٌ توافقُهُ مِنْ جهةِ شدَّتِها ولينِها ، ولذٰلكَ تَسمعُهُم يقولونَ الجَزْلُ والرقيقُ

وإجادةُ التركيبِ بسلامتِهِ ممَّا يبعدُ فهمُ المعنىٰ منهُ ، وليسَ كلُّ تركيبٍ صدرَ عن شعراءِ العربِ وغيرِهِم مِنَ المشاهيرِ جيداً ؛ فربَّما تَعسَّفَ الواحدُ منهُمُ اغتراراً بفهمِ نفسِهِ ، وغفلةً عن رعايةِ غيرِهِ ، ومسارعةً بإيرادِ ما ظهرَ لهُ مِنَ المعنىٰ

فعليكَ إذاً أن تجيدَ الفكرةَ ؛ باستصحابِ ما سلفَ مِنَ القوانينِ والوصايا في تمييزِ جيدِ التراكيبِ مِنْ رديئِها ، ويزيدُكَ استحضاراً لها وتمكُّناً مِنِ اعتبارِها ما سأنقلُهُ لكَ عن ابنِ خلدونَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ

قالَ في « مُقدِّمةِ تاريخِهِ » حيثُ انتهىٰ مِنَ القولِ في العلومِ إلى التكلُّمِ علىٰ صناعةِ الشعرِ وكيفيةِ تعلُّمِها

فصلٌ في صناعةِ الشعرِ ووجهِ تعلُّمِهِ

(هٰذا الفنُّ مِنْ فنونِ كلامِ العربِ ، وهوَ المُسمَّىٰ بالشعرِ عندَهُم ، ويُوجَدُ في سائرِ اللُّغاتِ ، إلا أنَّا الآنَ إنَّما نتكلَّمُ في الشعرِ الذي للعربِ ، فإن أمكنَ أن تجدَ فيهِ أهلُ الألسنِ الأخرىٰ مقصودَهُم مِنْ كلامِهِم ، وإلَّا فلكلِّ لسانٍ أحكامٌ في البلاغةِ تَخُصُّهُ

وهوَ في لسانِ العربِ غريبُ النزعةِ ، عزيزُ المنحىٰ ؛ إذ هوَ كلامٌ مُفصَّلٌ قِطَعاً قِطَعاً ، متساويةً في الوزنِ ، مُتحِدةً في الحرفِ الأخيرِ مِنْ كلِّ قطعةٍ ، وتُسمَّىٰ كلُّ قطعةٍ مِنْ هٰذهِ القِطْعاتِ عندَهُم بيتاً ، ويُسمَّى الحرفُ الأخيرُ الذي تتفقُ فيهِ روياً وقافيةً ، ويُسمَّىٰ جملةُ الكلامِ إلىٰ آخرِهِ قصيدةً وكلمةً

وينفردُ كلُّ بيتٍ منهُ بإفادتِهِ في تركيبِهِ ، حتىٰ كأنَّهُ كلامٌ وحدَهُ ، مُستقِلٌّ عمَّا قبلَهُ وما بعدَهُ ، وإذا أُفرِدَ كانَ تامّاً في بابِهِ ؛ في مدحٍ ، أو تشبيبٍ ، أو رثاءٍ ، فيَحرِصُ الشاعرُ علىٰ إعطاءِ ذٰلكَ البيتِ ما يَستقِلُّ في إفادتِهِ ، ثمَّ يستأنفُ في البيتِ [الآخرِ] كلاماً آخرَ كذٰلكَ ، ويستطردُ للخروجِ مِنْ فنٍّ إلىٰ فنٍّ ، ومِنْ مقصودٍ إلىٰ مقصودٍ ، بأن يُوطِّئَ المقصودَ الأوَّلَ ومعانيَهُ إلىٰ أن يُناسِبَ المقصودَ الثانيَ ، ويُبعِدَ الكلامَ عنِ التنافرِ ؛ كما يستطردُ مِنَ التشبيبِ إلى المدحِ ، ومِنْ وصفِ البيداءِ والطُّلولِ إلىٰ وصفِ الركابِ أوِ الخيلِ أوِ الطَّيفِ ، ومِنْ وصفِ الممدوحِ إلىٰ وصفِ قومِهِ وعساكرِهِ ، ومِنَ التفجُّعِ والعزاءِ في الرثاءِ إلى التأثُّرِ ، وأمثالِ ذٰلكَ ويُراعي فيهِ اتفاقَ القصيدةِ كلِّها في الوزنِ الواحدِ ؛ حذراً مِنْ أن يتساهلَ الطبعُ في الخروجِ مِنْ وزنٍ إلىٰ وزنٍ يقاربُهُ ، فقد يَخفىٰ ذٰلكَ مِنْ أجلِ المقاربةِ علىٰ كثيرٍ مِنَ الناسِ

ولهٰذهِ الموازينِ شروطٌ وأحكامٌ تَضمَّنَها علمُ العَروضِ ، وليسَ كلُّ وزنٍ

اتَّفقَ في الطَّبعِ استعملَتْهُ العربُ في هٰذا الفنِّ ، وإنَّما هيَ أوزانٌ مخصوصةٌ تُسمِّيها أهلُ تلكَ الصِّناعةِ البحورَ ، وقد حصروها في خمسةَ عشرَ بحراً أو ستةَ عشرَ ، بمعنىٰ أنَّهُم لم يجدوا للعربِ في غيرِها مِنَ الموازينِ الطبيعيةِ نظماً)[١]

قلتُ وما ذُكِرَ مِنِ انفرادِ كلِّ بيتٍ بمعناهُ عن سابقِهِ ولاحقِهِ إنَّما هو في صفةِ جيدِ الشعرِ ، كأنَّهُ لم يَعُدَّ غيرَهُ شعراً ، علىٰ أنَّهُ ربَّما أوجبَتْ جودةُ الشعرِ اغتفارَ افتقارِ كلٍّ مِنَ البيتَينِ لصاحبِهِ ، ألا ترىٰ أنَّ ذٰلكَ لم ينقصْ مِنْ حسنِ قولِ عمرَ بنِ أبي ربيعةَ[٢] [من الرمل]

لَيْتَ هِنْداً أَنْجَزَتْنَا مَا تَعِدْ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدْ

وَٱسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا ٱلْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدّْ

زَعَمُوهَا سَأَلَتْ جَارَاتِهَا وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَرِدْ

أَكَمَا يَنْعَتُنِي تُبْصِرْنَنِي عَمْرَكُنَّ ٱللهَ أَمْ لَا يَقْتَصِدْ

فَتَضَاحَكْنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدّْ

حَسَداً حُمِّلْنَهُ مِنْ أَجْلِهَا وَقَدِيماً كَانَ فِي ٱلنَّاسِ ٱلْحَسَدْ

لا أراكَ تَشُكُّ في أنَّ هٰذا الشعرَ بالغٌ مِنَ الحسنِ غايةَ ما يمكنُ ، ولم يُؤثِّرْ فيهِ افتقارُ البيتِ لصاحبِهِ ؛ إذ كانَ المعنىٰ مُستدعياً ذٰلكَ

[الشعرُ ديوانُ علومِ العربِ]

ثمَّ قالَ ابنُ خلدونَ (واعلمْ أنَّ فَنَّ الشعرِ مِنْ بينِ الكلامِ كانَ شريفاً

---

(١) انظر « مقدمة ابن خلدون » (ص ٥٦٩ ـ ٥٧٠)

(٢) انظر « ديوان عمر بن أبي ربيعة » (ص ١٠٦)

عندَ العربِ ، ولذٰلكَ جعلوهُ ديوانَ علومِهِم وأخبارِهِم ، وشواهدَ صوابِهِم وخطئِهِم ، وأصلاً يرجعونَ إليهِ في الكثيرِ مِنْ علومِهِم وحِكَمِهِم ، وكانَتْ ملكتُهُ مستحكمةً فيهِم ، شأنَ المَلَكَاتِ كلِّها ، والمَلَكَاتُ اللسانيَّةُ كلُّها إنَّما تُكتسَبُ بالصِّناعةِ والارتياضِ في كلامِهِم ، حتَّىٰ يحصلَ شبهٌ في تلكَ المَلَكةِ

والشعرُ مِنْ بينِ فنونِ الكلامِ صعبُ المأخذِ علىٰ مَنْ يريدُ اكتسابَ ملكتِهِ بالصِّناعةِ مِنَ المُتأخرِّينَ ؛ لاستقلالِ كلِّ بيتٍ منهُ بأنَّهُ كلامٌ تامٌّ في مقصودِهِ ، ويصلحُ أن ينفردَ دونَ ما سواهُ ، فيَحتاجُ مِنْ أجلِ ذٰلكَ إلىٰ نوعِ تَلطُّفٍ في تلكَ المَلَكةِ ، حتىٰ يُفرِغَ الكلامَ الشعريَّ في قوالبِهِ التي عُرِفَتْ لهُ في ذٰلكَ المنحىٰ مِنْ شعرِ العربِ ، ويبرزَهُ مُستقِلّاً بنفسِهِ ، ثمَّ يأتيَ ببيتٍ آخَرَ كذٰلكَ ، ثمَّ ببيتٍ ، ويستكملَ الفنونَ الوافيةَ بمقصودِهِ ، ثمَّ يناسبَ بينَ البيوتِ في موالاةِ بعضِها معَ بعضٍ ؛ بحَسَبِ اختلافِ الفنونِ التي في القصيدةِ

ولصعوبةِ منحاهُ ، وغرابةِ فنِّهِ كانَ مِحَكّاً للقرائحِ في استجادةِ أساليبِهِ ، وشحذِ الأفكارِ في تنزيلِ الكلامِ في قوالبِهِ ، ولا يكفي فيهِ مَلَكةُ الكلامِ العربيِّ على الإطلاقِ ، بل يحتاجُ بخصوصِهِ إلىٰ تَلطُّفٍ ، ومحاولةٍ في رعايةِ الأساليبِ التي اختصَّتْهُ العربُ بها واستعمالِها

[مرادُ أهلِ صناعةِ الكلامِ بالأساليبِ]

ولنذكرْ هنا ما يريدُهُ أهلُ الصِّناعةِ بالأساليبِ

فاعلمْ أنَّها عبارةٌ عندَهُم عنِ المِنوالِ الذي يُنسَجُ فيهِ التراكيبُ ، والقالَبُ الذي يُفرَغُ فيهِ ولا يرجعُ إلى الكلامِ باعتبارِ إفادتِهِ أصلَ المعنى الذي هوَ

وظيفةُ الإعرابِ ، ولا باعتبارِ إفادتِهِ كمالَ المعنىٰ مِنْ خواصِّ التراكيبِ الذي هوَ وظيفةُ البلاغةِ والبيانِ ، ولا باعتبارِ الوزنِ كما استعملَهُ العربُ فيهِ الذي هوَ وظيفةُ العَروضِ ، فهٰذهِ العلومُ خارجةٌ عن هٰذهِ الصِّناعةِ الشعريَّةِ ، وإنَّما يرجعُ إلىٰ صورةٍ ذهنيَّةٍ للتراكيبِ المنتظمةِ كلِّيَّةٍ باعتبارِ انطباقِها علىٰ تركيبٍ خاصٍّ ، وتلكَ الصورةُ يَنتزعُها الذِّهنُ مِنْ أعيانِ التراكيبِ وأشخاصِها ، ويُصيِّرُها في الخيالِ كالقالَبِ أوِ المِنوالِ ، ثمَّ ينتقي التراكيبَ الصَّحيحةَ عندَ العربِ باعتبارِ الإعرابِ والبيانِ ، فيَرصُّها فيهِ رصّاً كما يَفعلُهُ البنَّاءُ في القالبِ ، والنَّسَّاجُ في المِنوالِ ، حتىٰ يَتسِعَ القالَبُ بحصولِ التراكيبِ الوافيةِ بمقصودِ الكلامِ ، ويقعُ على الصورةِ الصَّحيحةِ باعتبارِ مَلَكةِ اللسانِ العربيِّ فيهِ ، فإنَّ لكلِّ فنٍّ مِنَ الكلامِ أساليبَ تَختصُّ بهِ ، وتُوجَدُ فيهِ علىٰ أنحاءٍ مختلفةٍ ؛ **فسؤالُ الطُّلولِ في الشعرِ يكونُ بخطابِ الطُّلولِ** ؛ كقولِهِ [١] [من البسيط]

يَـا دَارَ مَـيَّـةَ بِـٱلْـعَـلْـيَـاءِ فَـٱلـسَّـنَـدِ

ويكونُ باستدعاءِ الصَّحبِ للوقوفِ والسؤالِ ؛ كقولِهِ [٢] [من الطويل]

قِفَا نَسْأَلِ ٱلدَّارَ ٱلَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا

أو باستبكاءِ الصَّحبِ على الطَّلَلِ ؛ كقولِهِ [٣] [من الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

---

(١) صدر معلقة النابغة الذبياني انظر « ديوانه » (ص ١٤) ، والبيت بتمامه

يَـــا دَارَ مَـيَّـةَ بِـٱلْـعَـلْـيَـاءِ فَـٱلـسَّـنَـدِ أَقْــوَتْ وَطَــالَ عَـلَـيْـهَا سَـالِفُ ٱلأَمَـدِ

(٢) هو لدعبل الخزاعي كما في « ديوانه » (ص ٣٠٠) ، والبيت بتمامه

قِـفَـا نَـسْـأَلِ ٱلـدَّارَ ٱلَّـتِـي خَـفَّ أَهْلُهَا مَتَىٰ عَهْدُهَا بِـٱلـصَّـوْمِ وَٱلـصَّـلَـوَاتِ

(٣) البيت لامرئ القيس ، كما في « ديوانه » (ص ٨) ، والبيت بتمامه

قِـفَـا نَـبْـكِ مِـنْ ذِكْـرَىٰ حَـبِـيـبٍ وَمَـنْـزِلِ بِـسِـقْـطِ ٱللِّـوَىٰ بَـيْـنَ ٱلـدَّخُـولِ فَـحَـوْمَـلِ

أو بالاستفهامِ عنِ الجوابِ لمُخاطَبٍ غيرِ مُعيَّنٍ ؛ كقولِهِ[١] [من الوافر]

أَلَـمْ تَـسْـأَلْ فَـتُـخْـبِـرَكَ ٱلـرُّسُـومُ

ومثلَ تحيةِ الطُّلولِ بالأمرِ لمُخاطَبٍ غيرِ مُعيَّنٍ بتحيَّتِها ؛ كقولِهِ [من السريع]

حَـيِّ ٱلـدِّيَـارَ بِـجَـانِـبِ ٱلْـحِـجْـرِ

أو بالدعاءِ لها بالسُّقيا ؛ كقولِهِ[٢] [من الكامل]

أَسَـقَـىٰ طُـلُـولَـهُـمُ أَجَـشُّ هَـزِيـمُ وَغَـدَتْ عَـلَـيْـهِـمْ نَـضْـرَةٌ وَنَـعِـيـمُ

أو سؤالِهِ السُّقيا لهُ مِنَ البرقِ ؛ كقولِهِ [من الكامل]

يَـا بَـرْقُ طَـالِـعْ مَـنْـزِلاً بِـٱلْأَبْـرَقِ وَٱحْـدُ ٱلسَّـحَـابَ لَـهَـا حُـدَاءَ ٱلْأَيْـنُـقِ

أو مثلَ التفجُّعِ بالجزعِ باستدعاءِ البكاءِ ؛ كقولِهِ[٣] [من الطويل]

كَذَا فَلْيَجِلَّ ٱلْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ ٱلْأَمْرُ فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ

أو باستعظامِ الحادثِ ؛ كقولِهِ[٤] [من الكامل]

أَرَأَيْـتَ مَـنْ حُـمِـلُـوا عَـلَى ٱلْأَعْـوَادِ

أو بالتسجيلِ على الأكوانِ بالمصيبةِ لفقدِهِ ؛ كقولِهِ[٥] [من البسيط]

مَـنَـابِـتَ ٱلْـعُـشْـبِ لَا حَـامٍ وَلَا رَاعِ مَضَى ٱلرَّدَىٰ بِطَوِيلِ ٱلرُّمْحِ وَٱلْبَاعِ

---

(١) البيت من شواهد النحاة ، يجوز في قوله (فتخبرك) الجزم والنصب ، والبيت بتمامه

أَلَـمْ تَـسْـأَلْ فَـتُـخْـبِـرَكَ ٱلـرُّسُـومُ عَـلَـىٰ فِـرْتَـاجَ وَٱلـطَّـلَـلُ ٱلْـقَـدِيـمُ

(٢) البيت لأبي تمام ، كما في « معاهد التنصيص » (١/٢٧٠)

(٣) البيت لأبي تمام ، كما في « معاهد التنصيص » (١/٤٠)

(٤) هو للشريف الرضي ، كما في « ديوانه » (١/٣٨١) ، والبيت بتمامه

أَعَلِمْتَ مَنْ حُمِلُوا عَلَى ٱلْأَعْـوَادِ أَرَأَيْـتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ ٱلنَّادِي

(٥) البيت للشريف الرضي ، كما في « ديوانه » (١/٦٢٧)

أو بالإنكارِ على مَنْ لم يَتفجَّعْ لهُ مِنَ الجماداتِ ؛ كقولِ الخارجيةِ (١) [من الطويل]

أَيَا شَجَرَ ٱلْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً ... كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ٱبْنِ طَرِيفِ

أو بتهنئةِ فريقِهِ بالراحةِ مِنْ ثقلِ وطأتِهِ ؛ كقولِهِ (٢) [من الكامل]

أَلْقَى ٱلرِّمَاحَ رَبِيعَةُ بْنُ نِزَارِ ... أَوْدَى ٱلرَّدَىٰ بِفَرِيقِكَ ٱلْمِغْوَارِ

وأمثالُ ذٰلكَ كثيرٌ في سائرِ فنونِ الكلامِ ومذاهبِهِ ، وينتظمُ التراكيبُ فيهِ بالجملِ وغيرِ الجملِ ، إنشائيةً وخبريةً ، اسميةً وفعليةً ، متفقةً وغيرَ متفقةٍ ، مفصولةً وموصولةً ، علىٰ ما هوَ شأنُ التراكيبِ في الكلامِ العربيِّ في مكانِ كلِّ كلمةٍ مِنَ الأخرىٰ ، يُعرِّفُكَ فيهِ ما تستفيدُهُ بالارتياضِ في أشعارِ العربِ مِنَ القالَبِ الكليِّ المُجرَّدِ في الذِّهنِ مِنَ التراكيبِ المعينةِ التي ينطبقُ ذٰلكَ القالَبُ علىٰ جميعِها ؛ فإنَّ مُؤلِّفَ الكلامِ هوَ كالبَنَّاءِ والنَّسَّاجِ ، والصورةَ الذهنيةَ المُنطبِعةَ كالقالَبِ الذي يُبنىٰ فيهِ أوِ المِنوالِ الذي يُنسَجُ عليهِ ؛ فإن خرجَ عنِ القالَبِ في بنائِهِ أو عنِ المِنوالِ في نسجِهِ كانَ فاسداً

ولا تَقولَنَّ إنَّ معرفةَ قوانينِ البلاغةِ كافيةٌ في ذٰلكَ ؛ لأنَّا نقولُ : القوانينُ إنَّما هيَ قواعدُ علميَّةٌ قياسيَّةٌ تفيدُ جوازَ استعمالِ التراكيبِ علىٰ هيئاتِها الخاصَّةِ بالقياسِ ، وهوَ قياسٌ علميٌّ صحيحٌ مُطَّرِدٌ كما هوَ قياسُ القوانينِ الإعرابيةِ ، وهٰذهِ الأساليبُ التي نحنُ نُقرِّرُها ليسَتْ مِنَ القياسِ في شيءٍ ، إنَّما هيَ هيئةٌ تَرسَخُ في النفسِ مِنْ تَتبُّعِ التراكيبِ في شعرِ العربِ بجريانِها على اللسانِ حتىٰ تستحكمَ صورتُها ، فيستفيدَ بها العملَ علىٰ مثالِها والاحتذاءَ بها في كلِّ تركيبٍ مِنَ الشعرِ كما قدَّمنا ذٰلكَ في الكلامِ بإطلاقٍ ، وإنَّ القوانينَ العلميَّةَ مِنَ العربيةِ والبيانِ لا تفيدُ تعليمَهُ بوجهِ

---

(١) البيت لأخت الوليد بن طريف ترثيه ، كما في « العقد الفريد » (٣/٢٦٩)

(٢) ذكره ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » (٤/٤٠٢) وعزاه للشريف الرضي

وليسَ كلُّ ما يَصِحُّ في قياسِ كلامِ العربِ وقوانينِهِ العلميَّةِ استعملوهُ ، وإنَّما المُستعمَلُ عندَهُم مِنْ ذٰلكَ أنحاءٌ معروفةٌ يَطَّلِعُ عليها الحافظونَ لكلامِهِم ، تندرجُ صورتُها تحتَ تلكَ القوانينِ القياسيَّةِ

فإذا نظرَ في شعرِ العربِ علىٰ هٰذا النحوِ ، وبهٰذهِ الأساليبِ الذهنيةِ التي تصيرُ كالقوالبِ كانَ ناظراً في المُستعمَلِ مِنْ تراكيبِهِم ، لا فيما يقتضيهِ القياسُ ، ولهٰذا قلنا إنَّ المُحصِّلَ لهٰذهِ القوالبِ في الذِّهنِ إنَّما هوَ حفظُ أشعارِ العربِ وكلامِهِم ، وهٰذهِ القوالبُ كما تكونُ في المنظومِ تكونُ في المنثورِ ؛ فإنَّ العربَ استعملوا كلامَهُم في كلا الفنَّينِ ، وجاؤوا بهِ مُفصَّلاً في النوعَينِ ؛ ففي الشعرِ بالقِطَعِ الموزونةِ ، والقوافي المقيدةِ ، واستقلالِ الكلامِ في كلِّ قطعةٍ ، وفي المنثورِ يعتبرونَ الموازنةَ والتشابهَ بينَ القطعِ غالباً ، وقد يقيدونَهُ بالأسجاعِ ، وقد يرسلونَهُ ، وكلُّ واحدةٍ مِنْ هٰذهِ معروفةٌ في لسانِ العربِ

والمُستعمَلُ منها عندَهُم هوَ الذي يبني مُؤلِّفُ الكلامِ عليهِ تأليفَهُ ، ولا يَعرِفُهُ إلَّا مَنْ حفظَ كلامَهُم حتىٰ يَتجرَّدَ في ذهنِهِ مِنَ القوالبِ المعينةِ الشخصيةِ قالبٌ كليٌّ مُطلَقٌ ، يحذو حذوَهُ في التأليفِ ، كما يحذو البَنَّاءُ على القالبِ والنَّسَّاجُ على المِنوالِ ؛ فلهٰذا كانَ مَنْ يُؤلِّفُ الكلامَ مُنفرِداً عن نظرِ النحويِّ والبيانيِّ والعَروضيِّ

نعم ؛ إنَّ مراعاةَ قوانينِ هٰذهِ العلومِ شرطٌ فيهِ لا يَتِمُّ بدونِها ، فإذا تَحصَّلَتْ هٰذه الصِّفاتُ كلُّها في الكلامِ اختصَّ بنوعٍ مِنَ النظرِ لطيفٍ في هٰذهِ القوالبِ التي يُسمُّونَها أساليبَ ، ولا يفيدُهُ إلَّا حفظُ كلامِ العربِ نظماً ونثراً

[حدُّ المُؤلِّف للشعرِ]

وإذا تَقرَّرَ معنى الأسلوبِ ما هوَ فلنذكرْ بعدَهُ حدّاً أو رسماً للشعرِ بهِ تَفهمُ حقيقتَهُ علىٰ صعوبةِ هٰذا الغرضِ ؛ فإنَّا لم نقفْ عليهِ لأحدٍ مِنَ المُتقدِّمينَ فيما رأيناهُ ، وقولُ العروضيينَ في حدِّهِ إنَّهُ الكلامُ الموزونُ

المُقفَّىٰ ليسَ بحدٍّ لهٰذا الشعرِ الذي نحنُ بصددِهِ ولا رسمٍ لهُ ، وصناعتُهُم إنَّما تنظرُ في الشعرِ باعتبارِ ما فيه مِنَ الإعرابِ والبلاغةِ والوزنِ والقوالبِ الخاصَّةِ ، فلا جرمَ أنَّ حدَّهُم ذٰلكَ لا يَصلُحُ لهُ عندَنا ، فلا بدَّ مِنْ تعريفٍ يعطينا حقيقتَهُ مِنْ هٰذهِ الحيثيَّةِ

فنقولُ الشعرُ هوَ الكلامُ البليغُ المبنيُّ على الاستعارةِ والأوصافِ ، المُفصَّلُ بأجزاءٍ متفقةٍ في الوزنِ والرويِّ ، مُستقِلٌّ كلُّ جزءٍ منها في غرضِهِ ومَقصِدِهِ عمَّا قبلَهُ وبعدَهُ ، الجاري علىٰ أساليبِ العربِ المخصوصةِ بهِ

فقولُنا « الكلامُ البليغُ » جنسٌ

وقولُنا « المبنيُّ على الاستعارةِ والأوصافِ » فصلٌ عمَّا يخلو مِنْ هٰذهِ ، فإنَّهُ في الغالبِ ليسَ بشعرٍ

وقولُنا « المُفصَّلُ بأجزاءٍ متفقةِ الوزنِ والرويِّ » فصلٌ لهُ عنِ الكلامِ المنثورِ الذي ليسَ بشعرٍ عندَ الكلِّ

وقولُنا « مُستقِلٌّ كلُّ جزءٍ منها في غرضِهِ ومَقصِدِهِ عمَّا قبلَهُ وبعدَهُ » بيانٌ للحقيقةِ ؛ لأنَّ الشعرَ لا تكونُ أبياتُهُ إلَّا كذٰلكَ ، ولم يُفصَّلْ بهِ شيءٌ

وقولُهُ « الجاري على الأساليبِ المخصوصةِ بهِ » فصلٌ لهُ عمَّا لم يجرِ منهُ علىٰ أساليبِ العربِ المعروفةِ ؛ فإنَّهُ حينَئذٍ لا يكونُ شعراً ، إنَّما هوَ كلامٌ منظومٌ ؛ لأنَّ الشعرَ لهُ أساليبُ تَخصُّهُ لا تكونُ للمنثورِ ، وكذا أساليبُ المنثورِ لا تكونُ للشعرِ ، فما كانَ مِنَ الكلامِ منظوماً وليسَ علىٰ تلكَ الأساليبِ فلا يكونُ شعراً

وبهٰذا الاعتبارِ كانَ الكثيرُ ممَّنْ لقيناهُ مِنْ شيوخِنا في هٰذهِ الصِّناعةِ الأدبيةِ يرونَ أنَّ نظمَ المتنبي والمَعرِّي ليسَ هوَ مِنَ الشعرِ في شيءٍ ؛ لأنَّهُما

لم يجريا علىٰ أساليبِ العربِ مِنَ الأممِ عندَ مَنْ يرىٰ أنَّ الشعرَ يُوجَدُ للعربِ وغيرِهِم ، ومَنْ يرىٰ أنَّهُ لا يُوجَدُ لغيرِهِم فلا يحتاجُ إلىٰ ذٰلكَ ، ويقولُ مكانُهُ الجاري على الأساليبِ المخصوصةِ

[كيفيةُ عملِ الشعرِ]

وإذ قد فرغنا مِنَ الكلامِ علىٰ حقيقةِ الشعرِ فلنرجعْ إلى الكلامِ في كيفيةِ عملِهِ ، فنقولُ

اعلمْ أنَّ لعملِ الشعرِ وأحكامِ صناعتِهِ شروطاً ؛ أَوَّلُها الحفظُ مِنْ جنسِهِ ؛ أي مِنْ جنسِ شعرِ العربِ ؛ حتىٰ تَنشأَ في النفسِ مَلَكةٌ ينسجُ علىٰ منوالِها ، ويتخيَّرُ المحفوظَ مِنَ الحُرِّ النقيِّ الكثيرِ الأساليبِ ، وهٰذا المحفوظُ المختارُ أقلُّ ما يكفي فيهِ شعرُ شاعرٍ مِنَ الفحولِ الإسلاميينَ ؛ مثلُ ابنِ أبي ربيعةَ ، وكُثَيِّرٍ ، وذي الرُّمةِ ، وجريرٍ ، وأبي نُواسٍ ، وحبيبٍ ، والبحتريِّ ، والرضيِّ ، وأبي فراسٍ ، وأكثرُهُ شعرُ كتابِ « الأغاني » لأنَّهُ جمعَ شعرَ أهلِ الطَّبقةِ الإسلاميةِ كلَّهُ ، والمختارَ مِنْ شعرِ الجاهليَّةِ ، ومَنْ كانَ خالياً مِنَ المحفوظِ فنظمُهُ قاصرٌ رديءٌ ، ولا يعطيهِ الرونقَ والحلاوةَ إلَّا كثرةُ المحفوظِ ، فمَنْ قلَّ حفظُهُ أو عُدِمَ لم يكنْ لهُ شعرٌ ، وإنَّما هوَ نظمٌ ساقطٌ ، واجتنابُ الشعرِ أَولىٰ بمَنْ لم يكنْ لهُ محفوظٌ

ثمَّ بعدَ الامتلاءِ مِنَ الحفظِ ، وشحذِ القريحةِ للنسجِ على المِنوالِ يُقبِلُ على النظمِ ، وبالإكثارِ منهُ تستحكمُ ملكتُهُ وتَرسُخُ ، وربَّما يُقالُ إنَّ مِنْ شرطِهِ نسيانَ ذٰلكَ المحفوظِ ؛ لتُمحَىٰ رسومُهُ الحرفيةُ الظاهرةُ ؛ إذ هيَ صادَّةٌ عنِ استعمالِها بعينِها ، فإذا نسيَها وقد تَكيَّفَتِ النفسُ بها . انتقشَ الأسلوبُ فيها ، كأنَّهُ مِنوالٌ يأخذُ بالنسجِ عليهِ بأمثالِها مِنْ كلماتٍ أخرىٰ ضرورةَ

ثمَّ لا بدَّ لهُ مِنَ الخلوةِ ، واستجادةِ المكانِ المنظورِ فيهِ مِنَ المياهِ والأزهارِ ، وكذا المسموعُ ؛ لاستنارةِ القريحةِ باستجماعِها وتنشيطِها بملاذِّ السُّرورِ .

ثمَّ معَ هٰذا كلِّهِ فشرطُهُ أن يكونَ علىٰ جَمامٍ ونشاطٍ ، فذٰلكَ أجمعُ لهُ وأنشطُ للقريحةِ أن تأتيَ بمثلِ ذٰلكَ المِنوالِ الذي في حفظِهِ ، قالوا وخيرُ الأوقاتِ لذٰلكَ أوقاتُ الذِّكرِ عندَ الهُبوبِ مِنَ النومِ ، وفراغِ المعدةِ ، ونشاطِ الفكرِ ، وفي هٰؤلاءِ الجَمامُ

وربَّما قالوا إنَّ مِنْ بواعثِهِ العشقَ والانتشاءَ ، ذكرَ ذٰلكَ ابنُ رشيقٍ في كتابِ « العمدةِ » ، وهوَ الكتابُ الذي انفردَ بهٰذهِ الصِّناعةِ وإعطاءِ حقِّها ، ولم يَكتُبْ فيها أحدٌ قبلَهُ ولا بعدَهُ مثلَهُ

قالوا فإنِ استصعبَ عليهِ بعدَ هٰذا كلِّهِ فليتركْهُ إلىٰ وقتٍ آخَرَ ، ولا يُكرِهْ نفسَهُ عليهِ

وليكنْ بناءُ البيتِ على القافيةِ مِنْ أوَّلِ صوغِهِ ونسجِهِ ، يضعُها ويبني الكلامَ عليها إلىٰ آخِرِهِ ؛ لأنَّهُ إن غفلَ عن بناءِ البيتِ على القافيةِ صَعُبَ عليهِ وضعُها في مَحَلِّها ، فربَّما تجيءُ نافرةً قلقةً

وإذا سمحَ الخاطرُ بالبيتِ ولم يناسبِ الذي عندَهُ فليتركْهُ إلىٰ موضعِهِ الأليقِ بهِ ، فإنَّ كلَّ بيتٍ مُستقِلٌّ بنفسِهِ ، ولم تبقَ إلَّا المناسبةُ ، فليتخيَّرْ فيها كما يشاءُ

وليراجعْ شعرَهُ بعدَ الخلاصِ منهُ بالتنقيحِ والنقدِ ، ولا يَضَنَّ بهِ على التركِ إذا لم يبلغِ الإجادةَ ؛ فإنَّ الإنسانَ مفتونٌ بشعرِهِ إذ هو بناتُ فكرِهِ ، واختراعُ قريحتِهِ

ولا يَستعمِلْ فيهِ مِنَ الكلامِ إلَّا الأفصحَ مِنَ التراكيبِ ، والخالص مِنَ

الضَّروراتِ اللسانيةِ ، فليهجرْها ؛ فإنَّها تنزلُ بالكلامِ عن طبقةِ البلاغةِ ، وقدْ حظرَ أئمةُ اللسانِ على المُولَّدِ ارتكابَ الضَّرورةِ ؛ إذ هوَ في سعةٍ منها بالعدولِ عنها إلى الطريقةِ المثلىٰ مِنَ المَلَكةِ

ويجتنبُ أيضاً المُعقَّدَ مِنَ التراكيبِ جهدَهُ ، وإنَّما يَقصِدُ منها ما كانَتْ معانيه تسابقُ ألفاظَهُ إلى الفهمِ ، وكذٰلكَ كثرةُ المعاني في البيتِ الواحدِ ، فإنَّ فيهِ نوعَ تعقيدٍ على الفهمِ ، وإنَّما المختارُ منهُ ما كانَتْ ألفاظُهُ طبقاً علىٰ معانيهِ أو أوفىٰ ، فإنْ كانَتِ المعاني كثيرةً [كانَ حشواً ، واستُعمِلَ الذِّهنُ بالغوصِ عليها ، فمنعَ] ذٰلكَ الذوقَ عنِ استيفاءِ مدركِهِ مِنَ البلاغةِ ، ولا يكونُ الشعرُ سهلاً إلا إذا كانَتْ معانيهِ تسابقُ ألفاظَهُ إلى الذِّهنِ

ولهٰذا كانَ شيوخُنا رحمَهُم اللهُ يعيبونَ شعرَ أبي بكرِ بنِ خفاجةَ شاعرِ شرقِ الأندلسِ ؛ لكثرةِ معانيهِ وازدحامِها في البيتِ الواحدِ ، كما كانوا يعيبونَ شعرَ المتنبي والمَعرّي بعدمِ النسجِ على الأساليبِ العربيةِ كما مرَّ ، فكانَ شعرُهُما كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقةِ الشعرِ ، والحاكمُ بذٰلكَ هوَ الذوقُ

وليجتنبِ الشاعرُ أيضاً الحُوشيَّ مِنَ الألفاظِ والمُقصّرَ ، وكذٰلكَ السُّوقيَّ المُبتذَلَ بالتداولِ بالاستعمالِ ؛ فإنَّهُ ينزلُ بالكلامِ عن طبقةِ البلاغةِ أيضاً ، فيصيرُ مُبتذَلاً ، ويَقرُبُ مِنْ عدمِ الإفادةِ ؛ كقولِهِمُ النارُ حارةٌ ، والسماءُ فوقَنا

وبمِقدارِ ما يَقرُبُ مِنْ طبقةِ عدمِ الإفادةِ يَبعُدُ عن رتبةِ البلاغةِ ؛ إذ هما طرفانِ ؛ ولهٰذا كانَ الشعرُ في الربانيَّاتِ والنبويَّاتِ قليلَ الإجادةِ في الغالبِ ، ولا يحذُقُ فيهِ إلَّا الفحولُ ؛ لأنَّ معانيَها متداولةٌ بينَ الجمهورِ ، فتصيرُ مبتذلةً لذٰلكَ

وإذا تَعذَّرَ الشعرُ بعدَ هٰذا كلِّهِ فليراوضْهُ ويعاودْهُ ؛ فإنَّ القريحةَ مثلُ الضَّرعِ ، يَدُرُّ بالامتراءِ ، ويَجِفُّ بالتركِ والإهمالِ)[١]

[معنىٰ كلمةِ (الذَّوقِ) عندَ ابنِ خلدونَ]

وقالَ ابنُ خلدون أيضاً في تفسيرِ كلمةِ (الذَّوقِ) الدائرةِ علىٰ ألسنةِ المُتكلِّمينَ في هٰذا الشأنِ

(اعلمْ أنَّ لفظةَ « الذَّوقِ » يتداولُها المعتنونَ بفنونِ البيانِ ، ومعناها حصولُ ملكةِ البلاغةِ للسانِ ، وقد مرَّ تفسيرُ البلاغةِ ، وأنَّها مطابقةُ الكلامِ للمعنىٰ مِنْ جميعِ وجوهِهِ بخواصَّ تقعُ للتراكيبِ في إفادةِ ذٰلكَ ؛ فالمُتكلِّمُ بلسانِ العربِ والبليغُ فيهِ يَتحرَّى الهيئةَ المفيدةَ لذٰلكَ علىٰ أساليبِ العربِ وأنحاءِ مخاطباتِهِم ، وينظمُ الكلامَ علىٰ ذٰلكَ الوجهِ جهدَهُ ، فإذا اتَّصلَتْ مَقاماتُهُ بمخالطةِ كلامِ العربِ حصلَتْ لهُ الملكةُ في نظمِ الكلامِ علىٰ ذٰلكَ الوجهِ ، وسَهُلَ عليهِ أمرُ التركيبِ ، حتىٰ لا يكادُ ينحو فيهِ غيرَ مَنحى البلاغةِ التي للعربِ ، وإن سمعَ تركيباً غيرَ جارٍ علىٰ ذٰلكَ المَنحىٰ مَجَّهُ ونبا عنهُ سمعُهُ بأدنىٰ فكرٍ ، بل وبغيرِ فكرٍ ، إلَّا بما استفادَهُ مِنْ حصولِ هٰذهِ المَلَكةِ ؛ فإنَّ المَلَكاتِ إذا استقرَّتْ ورَسَخَتْ في محالِّها ظهرَتْ كأنَّها طبيعةٌ وجِبِلَّةٌ لذٰلكَ المَحلِّ ، ولذٰلكَ يظنُّ كثيرٌ مِنَ المُغفَّلينَ ممَّنْ لم يَعرِفْ شأنَ المَلَكاتِ أنَّ الصَّوابَ للعربِ في لغتِهِم إعراباً وبلاغةً أمرٌ طبيعيٌّ ، ويقولُ كانَتِ العربُ تنطقُ بالطَّبعِ ، وليسَ كذٰلكَ ، وإنَّما هيَ مَلَكةٌ لسانيةٌ في نظمِ الكلامِ تَمكَّنَتْ ورَسَخَتْ ، فظهرَتْ في بادئِ الرأيِ أنَّها جِبِلَّةٌ وطبعٌ

وهٰذهِ المَلَكةُ كما تَقدَّم إنَّما تَحصُلُ بممارسةِ كلامِ العربِ ، وتَكرُّرِهِ

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٧٠ ـ ٥٧٥)

على السَّمعِ ، والتفطُّنِ لخواصِّ تراكيبِهِ ، وليسَتْ تحصلُ بمعرفتِهِ القوانينَ العلميةَ في ذٰلكَ التي استنبطَها أهلُ صناعةِ اللسانِ ؛ فإنَّ هٰذهِ القوانينَ إنَّما تفيدُ عِلْماً بذٰلكَ اللسانِ ، ولا تفيدُ حصولَ الملكةِ بالفعلِ في مَحَلِّها ، وقد مرَّ ذٰلكَ

وإذا تَقرَّرَ ذٰلكَ . فمَلَكةُ البلاغةِ في اللسانِ تهدي البليغَ إلىٰ وجوهِ النظمِ ، وحسنِ التركيبِ الموافقِ لتراكيبِ العربِ في لغتِهِم ونظمِ كلامِهِم ، ولو رامَ صاحبُ هٰذهِ المَلَكةِ حيداً عن هٰذهِ السبيلِ المعينةِ والتراكيبِ المخصوصةِ لَمَا قَدَرَ عليهِ ، ولا وافقَهُ عليهِ لسانُهُ ؛ لأنَّهُ لا يعتادُهُ ، ولا تهديهِ إليهِ ملكتُهُ الراسخةُ عندَهُ ، وإذا عُرِض عليهِ الكلامُ حائداً عن أسلوبِ العربِ وبلاغتِهِم في نظمِ كلامِهِم أعرض عنهُ ومَجَّهُ ، وعلمَ أنَّهُ ليسَ مِنْ كلامِ العربِ الذينَ مارسَ كلامَهُم ، وربَّما يَعجِزُ عنِ الاحتجاجِ لذٰلكَ كما تصنعُ أهلُ القوانينِ النحويةِ والبيانيةِ ، فإنَّ ذٰلكَ استدلالٌ بما حصلَ مِنَ القوانينِ المفادةِ بالاستقراءِ ، وهٰذا أمرٌ وجدانيٌّ حاصلٌ بممارسةِ كلامِ العربِ ، حتىٰ يصيرَ كواحدٍ منهُم

ومثالُهُ لو فرضنا صبيّاً مِنْ صبيانِهِم نشأَ ورَبِيَ في جيلِهِم فإنَّهُ يَتعلَّمُ لغتَهُم ، ويُحكِمُ شأنَ الإعرابِ والبلاغةِ فيها حتىٰ يستوليَ علىٰ غايتِها ، وليسَ مِنَ العلمِ القانونيِّ في شيءٍ ، وإنَّما هوَ بحصولِ هٰذهِ المَلَكةِ في لسانِهِ ونطقِهِ ، وكذٰلكَ تَحصُلُ هٰذهِ الملكةُ لمَنْ بعدَ ذٰلكَ الجيلِ ؛ بحفظِ كلامِهِم وأشعارِهِم وخُطَبِهِم ، والمداومةِ علىٰ ذٰلكَ ؛ بحيثُ يُحصِّلُ المَلَكةَ ، ويصيرُ كواحدٍ ممَّنْ نشأَ في جيلِهِم ، ورَبِيَ بينَ أجيالِهِم ، والقوانينُ بمَعزِلٍ عن هٰذا

واستُعِيرَ لهٰذهِ المَلَكةِ عندَما ترسخُ وتَستقِرُّ اسمُ « الذَّوقِ » الذي اصطلحَ

عليهِ أهلُ صناعةِ البيانِ ، وإنَّما هوَ موضوعٌ لإدراكِ الطُّعومِ ، لـٰكنْ لمَّا كانَ مَحَلُّ هـٰذهِ المَلَكةِ في اللسانِ مِنْ حيثُ النطقُ بالكلامِ كما هوَ مَحَلٌّ لإدراكِ الطُّعومِ استُعِيرَ لها اسمُهُ ، وأيضاً فهوَ وجدانيُّ اللسانِ كما أنَّ الطُّعومَ محسوسةٌ لهُ ، فقيلَ لهُ ذوقٌ ، وإذا تَبيَّنَ لكَ ذٰلكَ علمتَ منهُ أنَّ الأعاجمَ الداخلينَ في اللسانِ العربيِّ ، الطارئينَ عليهِ ، المُضطَرِّينَ إلى النطقِ بهِ لمخالطةِ أهلِهِ ؛ كالفرسِ والرومِ والتركِ بالمشرقِ ، وكالبربرِ بالمغربِ فإنَّهُ لا يَحصُلُ لهُم هـٰذا الذَّوقُ ؛ لقصورِ حظِّهِم في هـٰذهِ المَلَكةِ التي قَرَّرنا أمرَها ؛ لأنَّ قصاراهُم بعدَ طائفةٍ مِنَ العمرِ وسبقِ مَلَكةٍ أخرىٰ إلى اللسانِ وهيَ لغاتُهُم أن يَعتنوا بما يتداولُهُ أهلُ مصرٍ بينَهُم في المحاورةِ مِنْ مفردٍ ومُركَّبٍ ، ويُضطَرُّونَ إليهِ مِنْ ذٰلكَ ، وهـٰذهِ المَلَكةُ قد ذهبَتْ لأهلِ الأمصارِ ، وبعدوا عنها كما تَقدَّمَ ، وإنَّما لهُم في ذٰلكَ مَلَكةٌ أخرىٰ ، وليسَتْ هيَ ملكةَ اللسانِ المطلوبةَ

ومَنْ عرفَ تلكَ المَلَكةَ مِنَ القوانينِ المُسطَّرةِ في الكتبِ فليسَ مِنْ تحصيلِ المَلَكةِ في شيءٍ ، إنَّما حَصَّلَ أحكامَها كما عرفتَ ، وإنَّما تَحصُلُ هـٰذهِ المَلَكةُ بالممارسةِ والاعتيادِ والتكرُّرِ لكلامِ العربِ

فإن عرض لكَ ما تسمعُهُ مِنْ أنَّ سيبويهِ والفارسيَّ والزمخشريَّ وأمثالَهُم مِنْ فرسانِ الكلامِ كانوا أعجاماً معَ حصولِ هـٰذهِ المَلَكةِ لهُم فاعلمْ أنَّ أولـٰئكَ القومَ الذين تسمعُ عنهُم إنَّما كانوا عجماً في نسبِهِم فقطْ ، وأمَّا المَرْبَىٰ والنشأةُ فكانَتْ بينَ أهلِ هـٰذهِ المَلَكةِ مِنَ العربِ ومَنْ تَعلَّمَها منهُم ، فاستولَوا بذٰلكَ مِنَ الكلامِ علىٰ غايةٍ لا [شيءَ] وراءَها ، وكأنَّهُم في أوَّلِ نشأتِهِم مِنَ العربِ الذين نشؤُوا في أجيالِهِم ، حتىٰ أدركوا كنْهَ اللغةِ ، وصاروا مِنْ أهلِها ، فهُم وإن كانوا عجماً في النَّسبِ فليسوا بأعجامٍ في اللغةِ والكلامِ ؛ لأنَّهُم أدركوا المِلَّةَ في عنفوانِها ، واللغةَ في شبابِها ، ولم

تذهبْ آثارُ المَلَكةِ ولا مِنْ أهلِ الأمصارِ ، ثمَّ عكفوا على الممارسةِ والمدارسةِ لكلامِ العربِ حتى استولَوا علىٰ غايتِهِ)[1]

قلتُ وحاصلُ هٰذا الكلامِ واختصارُ الطريقِ إلىٰ معرفةِ الغرضِ منهُ هوَ أنَّ مَنْ يريدُ أن يَتصدَّىٰ لإنشاءِ الكلامِ نثراً كانَ أو نظماً يجبُ أن يكونَ فيهِ استعدادٌ طبيعيٌّ لأمورٍ اختياريَّةٍ ؛ وذٰلكَ بأن يكونَ ذا حافظةٍ قويَّةٍ ، وفهمٍ ثاقبٍ ، وذاكرةٍ مطيعةٍ ، فإنَّ الناسَ في ذٰلكَ ليسوا سواءً

قالَ الحكماءُ عن خبرةٍ تامَّةٍ وتَجرِبةٍ كافيةٍ ومعرفةٍ صحيحةٍ إنَّ الإنسانَ ذو طبائعَ أربعٍ الدمُ ، والصَّفراءُ ، والسوداءُ ، والبلغمُ ، وإذا غلبَ علىٰ مِزاجِهِ إحدىٰ تلكَ الطَّبائعِ نُسِبَ إليها ، فقيلَ دمويٌّ ، وصفراويٌّ ، وسوداويٌّ ، وبلغميٌّ ، ولكلٍّ أماراتٌ ظاهرةٌ

والدَّمويُّ يكونُ ممتلئَ الأعضاءِ ، مكتنزَ اللحمِ ، صافيَ اللونِ نيّرَهُ ، صحيحَ الجمالِ

والصَّفراويُّ يكونُ نحيفاً يابساً ، في لونِهِ صفرةٌ

والسَّوداويُّ يكونُ يابساً ، في لونِهِ كمدةٌ ، شديدُ الشبقِ

والبلغميُّ يكونُ رخواً مائياً ، في لونِهِ نوعُ زرقةٍ

ومِنْ خواصِ الدَّمويِّ سرعةُ الحفظِ ، وبطءُ النسيانِ

ومِنْ خواصِ الصَّفراويِّ سرعةُ الحفظِ ، وسرعةُ النسيانِ

ومِنْ خواصِ السَّوداويِّ بطءُ الحفظِ ، وبطءُ النسيانِ

والبلغميُّ بطيءُ الحفظِ ، سريعُ النسيانِ

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٦٢ ـ ٥٦٤)

فإذا كانَ الإنسانُ ذا حافظةٍ قويةٍ ، واستعملَها في حفظِ ما اتفقَ أسلافُهُ ومعلموهُ على استجادتِهِ ، مهتدياً بفهمِهِ إلىٰ معاني محفوظاتِهِ ومقاصدِها ، وتمييزِ كلِّ فريقٍ منها بما لهُ مِنَ المحاسنِ وما لغيرِهِ مِنَ المساوي ، حَسَبَ ما سلفَ إرشادُكَ لهُ ، ثمَّ استخدمَ ذاكرتَهُ في إحضارِ ما أرادَ مِنْ ذٰلكَ متىٰ شاءَ فهوَ حينئذٍ مُتهيِّئٌ لتحصيلِ تلكَ الصِّناعةِ ، وبالغٌ منها بتوفيقِ اللهِ غايةَ منيتِهِ ، ومنتهىٰ مقصودِهِ

فمَنْ لم يجدْ مِنْ نفسِهِ ذٰلكَ الاستعدادَ . فعليهِ ألَّا يُورِّطَ نفسَهُ ويستعملَها في ما يكدُّها مِنْ غيرِ عاقبةٍ حميدةٍ ، بل عليهِ أن ينظرَ فيما يسهلُ عليهِ ويمكنُهُ الانتفاعُ بهِ ، كما قيلَ (١) [من الوافر]

إِذَا لَـمْ تَـسْـتَـطِـعْ شَـيْـئـاً فَـدَعْـهُ وَجَـاوِزْهُ إِلَـىٰ مَـا تَـسْـتَـطِـيـعُ

وإذ كانَ الإنسانُ في أوَّلِ أمرِهِ هوَ والبهائمُ سواءً ، لا يهتدي لمعرفةِ ما هوَ الأصلحُ مِنَ الأحوالِ حتىٰ يَتعوَّدَها ، ويُربِّيَ فيها مَلَكتَهُ فعلىٰ مَنْ يَتولَّىٰ تربيتَهُ أن يختبرَهُ ، ويَترصَّدَ رغباتِهِ ، ويَتأمَّلَ ميلَهُ وما يمكنُ أن يَقْوَىٰ فيهِ ، حَسَبَ طبيعتِهِ ، ووَفقَ جِبِلَّتِهِ ، ويأخذَهُ بمزاولةِ ذٰلكَ حتىٰ يَتِمَّ

فإذا جرى العملُ علىٰ ذٰلكَ حَسُنَ أمرُ الأمَّةِ ، وانتظمَتْ مسالكُهُم ، وقَوِيَتْ منافعُهُم ، وبلغوا الدرجةَ التي هيَ للأمَّةِ كمالٌ ، ولجميعِ طوائفِها وأشخاصِها أتمُّ جمالٍ

وأمَّا قولُهُ في تفسيرِ (الذَّوقِ) فأبينُ منهُ ما سألقيهِ عليكَ ؛ وذٰلكَ أنَّ بينَ الأشياءِ تناسباً ، بحيثُ متى استوفَتْ عندَ اجتماعِها حظَّها منهُ قامَتْ منها صورةٌ يتفاوتُ الناسُ في إدراكِ حسنِها طبعاً وتعلُّماً ؛ فمنهُم مَنْ لا يدركُ ذٰلكَ ولا يلتفتُ إليهِ ، وليسَ مدركوهُ سواءً فيهِ ؛ فمنهُم مَنْ

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٣٦) ، وعزاه لعمرو بن معديكرب

يقنعُ بإدراكِ ظواهرِ الأشياءِ ، ومنهُم مَنْ ينتهي إدراكُهُ إلى اعتبارِ دقائقِها وخوافيها

وتعتبرُ ذٰلكَ بما تشاهدُهُ مِنْ شدَّةِ سرورِ بعضِ الناسِ عندَ رؤيتِهِ للأشياءِ المناسبةِ التي يلائمُ بعضُها بعضاً ، وشدَّةِ نفرتِهِ وانقباضِهِ عندَ رؤيةِ خلافِها ، لا يَختصُّ ذٰلكَ بشيءٍ دونَ شيءٍ ، فتراهُ يتأمَّلُ الأبنيةَ وأوضاعَها ، وما اشتملَتْ عليهِ مِنْ مُكمِّلاتِ الانتفاعِ بها ، فإذا أدركَ فيها التناسبَ اللائقَ بها رأيتَهُ قدِ انشرحَ صدرُهُ ، وتَجدَّدَ سرورُهُ ، وأخذَ في نعتِها والثناءِ علىٰ صناعِها

وذٰلكَ مثلٌ تعتبرُ بهِ غيرَهُ ، وتَتأمَّلُ تفاوتَ الناسِ في ذٰلكَ الإدراكِ ، **فالإدراكُ الذي يَتعلَّقُ بتناسبِ الأشياءِ ، ويوجبُ الاستحسانَ والاستقباحَ** هوَ المُسمَّىٰ بالذوقِ ، وهوَ طبيعيٌّ ، ينمو ويَتربَّىٰ بالنظرِ في الأشياءِ والأعمالِ مِنْ جهةِ موافقتِها للغايةِ المقصودةِ منها

وأمَّا قولُهُ في الأساليبِ العربيةِ واختصاصِها ، حتىٰ إنَّه أخرجَ نظمَ المتنبي وأبي العلاءِ المَعريِّ عن أن يكونَ شعراً فذٰلكَ حَجْرُ واسعٍ وحظرُ مباحٍ ؛ فإنَّ أنفسَ الشعراءِ مِنَ العربِ لم يَتَّفقوا علىٰ سلوكِ طريقٍ بعينِها ، وإنَّما هيَ مذاهبُ مختلفةٌ ، وطرقٌ متشاغبةٌ ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ في صفتِهِم ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾[1] ، فليسَ هناكَ طريقٌ معينةٌ يلتزمُها السالكُ ، وإنَّما المَدارُ علىٰ أن توافقَ التراكيبُ التي يستعملُها المُستعمِلُ تراكيبَ العربِ حَسَبَ ما بَينَتْهُ القوانينُ العلميةُ علىٰ أنَّهُ لا يَصِحُّ تقليدُ العربِ في جميعِ ما نطقوا بهِ ، فقد عرفتَ مما سلفَ أنَّ بعض كلامِهِم يجبُ اجتنابُ مثلِهِ ، وأنَّهُم لا يُتابَعونَ إلَّا فيما كانَ أوفقَ للغرضِ مِنَ الكلامِ ؛ وهوَ التفاهمُ ،

---

(١) سورة الشعراء (٢٢٥)

وفي خصوصِ الشعرِ والإنشاءِ مِنَ التأثيرِ في الطِّباعِ وتحويلِها إلى الميلِ الذي يريدُهُ الشاعرُ والكاتبُ

ففي الحماسِ مثلاً يكونُ الكلامُ مُهيِّجاً للقُوىٰ ، مثيراً للغضبِ ، باعثاً على الحميَّةِ ، وفي الغَزَل يكونُ سارّاً للنفوسِ ، مريحاً للخواطرِ ، وفي العتابِ هادياً للموافقةِ ، ومُولِّداً للرضا إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، ممَّا تَضطرُّكَ إلىٰ معرفتِهِ مطالعةُ الأحوالِ مِنْ جهةِ الإيصالِ إلى المرغوبِ ، والحمايةِ مِنَ المرهوبِ



فتقرَّرَ بجميعِ ما سلفَ أنَّه لا طريقَ لتعلُّمِ صناعةِ الإنشاءِ إلَّا حفظُ كلامِ الغيرِ وفهمُهُ ، وتمييزُ مقاصدِهِ

وهٰأنا مُستشهِدٌ علىٰ ذٰلكَ بما هوَ حاضرٌ معنا في هٰذا العصرِ المخالفِ بالكليةِ للعصورِ التي كانَ أمرُ الشعرِ والكتابةِ الصِّناعيةِ قائماً ، ورغباتُ الملوكِ وأعيانِ الأمراءِ فيهِما متوفرةً ؛ إذ كانَتِ الدولةُ عربيةً ، وأُمراؤُها مِنَ العربِ أو مِنْ غيرِهِم ، وهُم مُضطرُّونَ لإتقانِ معرفةِ لسانِهِم ، حَسَبَ ما كانَتْ تبعثُ الحاجةُ إليهِ ، ويتوقفُ تحصيلُ الأغراضِ عليهِ ، وبتغيُّرِ الدولةِ تَتغيَّرُ الأحوالُ ؛ فإنَّ الكتابةَ الصِّناعيةَ بلسانِ الدولةِ القائمةِ بالغةٌ درجتُها باللسانِ العربيِّ أو أعلىٰ ، كما تسمعُهُ مِنَ العارفينَ بطرائفِ اللسانَينِ ومحاسنِ اللغتَينِ ، وليسَ يقوىٰ أمرٌ ـ كما هوَ بديهيٌّ ـ إلَّا بحَسَبِ قُوَّةِ الحاجةِ إليهِ



[نبذةٌ مِنْ أشعارِ الباروديِّ في مُحاكاةِ بعضِ قصائدِ السابقينَ]

هٰذا الأميرُ الجليلُ ، ذو الشرفِ الأصيلِ ، والطَّبعِ البالغِ نقاؤُهُ ، والذِّهنِ المتناهي ذكاؤُهُ ؛ محمود سامي باشا الباروديُّ ، لم يقرأْ كتاباً في فنٍّ مِنْ فنونِ العربيةِ ، غيرَ أنَّهُ لمَّا بلغَ سنَّ التعقُّلِ وجدَ مِنْ طبعِهِ ميلاً إلىٰ قراءةِ الشعرِ وعملِهِ ، فكانَ يستمعُ بعض مَنْ لهُ درايةٌ وهوَ يقرأُ بعض الدواوينِ ، أو يُقرَأُ بحضرتِهِ ، حتىٰ تَصوَّرَ في برهةٍ يسيرةٍ هيئاتِ التراكيبِ العربيةِ ، ومواقعَ المرفوعاتِ منها والمنصوباتِ والمخفوضاتِ ، حَسَبَ ما تقتضيهِ المعاني والتعلُّقاتُ المختلفةُ ، فصارَ يقرأُ ولا يكادُ يلحنُ

وسمعتُهُ مرَّةً يُسكِّنُ ياءَ المنقوصِ والفعلِ المعتلِّ بها المنصوبَينِ ، فقلتُ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ هوَ كذا في قولِ فلانٍ ، وأنشدَ شعراً لبعضِ العربِ ، فقلتُ تلكَ ضرورةٌ ، وقالَ علماءُ العربيةِ إنَّها غيرُ شاذةٍ

ثمَّ استقلَّ بقراءةِ دواوينِ مشاهيرِ الشعراءِ مِنَ العربِ وغيرِهم ، حتىٰ حفظَ الكثيرَ منها دونَ كلفةٍ ، واستثبتَ جميعَ معانيها ، ناقداً شريفَها مِنْ خسيسِها ، واقفاً علىٰ صوابِها وخطئِها ، مدركاً ما كانَ ينبغي وَفقَ مَقامِ الكلامِ وما لا ينبغي ، ثمَّ جاءَ مِنْ صنعةِ الشعرِ اللائقِ بالأمراءِ ولشعرِ الأمراءِ ؛ كأبي فراسٍ ، والشريفِ الرضيِّ ، والطُّغرائيِّ تميُّزٌ عن شعرِ الشعراءِ كما ستراهُ

ومِصداقُ ذٰلكَ ما سألقيهِ عليكَ مِنْ قصائدَ أنشأَها في وزنِ قصائدَ لبعضِ مشاهيرِ المُتقدِّمينَ ورويِّها

[قصيدةٌ لأبي نواسٍ يمدحُ فيها أميرَ مصرَ]

قالَ أبو نُواسٍ يَمدَحُ الخصيبَ بنَ عبدِ الحميدِ العجميَّ أميرَ مصرَ

مِنْ طرفِ الرشيدِ وقَصَدَهُ مِنْ بغدادَ [١] [من الطويل]

أَجَـارَةَ بَـيْـتَـيْـنَـا أَبُـوكِ غَـيُـورُ ... وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَىٰ لَدَيْكِ عَسِيرُ
فَإِنْ كُنْتِ لَا خِلْماً وَلَا أَنْتِ زَوْجَةٌ ... فَلَا بَرِحَتْ دُونِي عَلَيْكِ سُتُورُ
وَجَاوَرْتِ قَوْماً لَا تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ ... وَلَا وَصْلَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نُشُورُ
فَمَا أَنَا بِٱلْمَشْغُوفِ ضَرْبَةَ لَازِبِ ... وَلَا كُلُّ سُلْطَانٍ عَلَيَّ قَدِيرُ
وَإِنِّي لِطَرْفِ ٱلْعَيْنِ بِٱلْعَيْنِ زَاجِرٌ ... فَقَدْ كِدْتُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ ضَمِيرُ
كَمَا نَظَرَتْ وَٱلرِّيحُ سَاكِنَةٌ لَهَا ... عَقَنْبَاةُ أَرْسَاغِ ٱلْيَدَيْنِ نَزُورُ
طَوَتْ لَيْلَتَيْنِ ٱلْقُوتَ عَنْ ذِي ضَرُورَةٍ ... أُزَيْغِبَ لَمْ يَنْبُتْ عَلَيْهِ شَكِيرُ
فَأَوْفَتْ عَلَىٰ عَلْيَاءَ حَتَّىٰ بَدَا لَهَا ... مِنَ ٱلشَّمْسِ قَرْنٌ وَٱلضَّرِيبُ يَمُورُ
تُقَلِّبُ طَرْفاً فِي حِجَاجَيْ مَغَارَةٍ ... مِنَ ٱلرَّأْسِ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ ذُرُورُ

هٰذانِ فصلانِ

أولُهما في شكوى الزمانِ وقساوةِ الحرمانِ ، فهوَ يقولُ خطاباً لامرأةٍ وجدَ هواها ، ولم يَقدِرْ على الوصولِ إلىٰ مرادِهِ منها ؛ لفقرِهِ وعدمِ تمكُّنِهِ مِنَ الطريقِ إلىٰ ذٰلك أيَّتُها الجارةُ ؛ إنِّي غيرُ قادرٍ على الوصولِ إليكِ ، وأنا مقيمٌ بأرضِكِ علىٰ ما أنا فيهِ مِنَ الأحوالِ ، لا علىٰ وجهِ الخلَّةِ ، ولا علىٰ وجهِ التزوُّجِ ، فقد عزمتُ على التغرُّبِ لتحصيلِ أسبابِ الوصولِ إليكِ ؛ فإمَّا أبلغُ ما تمنيتُ ، وإمَّا أموتُ معذوراً ، وهٰذا المعنىٰ نطقَ بهِ الشعراءُ ؛ كقولِ بعضِهِم [من الطويل]

دَعِينِي أُطَوِّفُ فِي ٱلْبِلَادِ لَعَلَّنِي ... أُصَادِفُ حُرّاً أَوْ أَمُوتَ فَأُعْذَرَا

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦)

وقولِ آخَرَ [1] [من الطويل]

سَأَطْلُبُ بُعْدَ ٱلدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ ٱلدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، أخرجَهُ هوَ مُخرَجَ القسمِ بالدُّعاءِ علىٰ تصميمِهِ وعزمِهِ علىٰ فراقِ أرضِهِ ، وتغرُّبِهِ في طلبِ حسنِ الحالِ ، ثم قولُهُ : (خِلْماً) و(زوجةٌ) ما كانَ ينبغي أن يصدرَ منهُ ، وقولُهُ (فما أنا بالمشغوفِ) مخالفٌ لمذهبِ العُشَّاقِ

والفصلُ الثاني في الافتخارِ بحِدَّةِ الذِّهنِ ، وشدةِ الفطنةِ ، وكثرةِ التجربةِ مشبهٌ نفسَهُ بالعُقابِ التي وصفَها ، وبينَ الفصلَينِ انقطاعٌ يسمَّىٰ مثلُهُ طغرةَ الشعرِ [2] ، وقولُهُ (عَقَنْباةٌ) هوَ مِنْ صفةِ العُقابِ ، قالَ في « القاموس » (عُقابٌ عقنباةٌ ذاتُ مخالبَ حِدادٍ) [3] ، فإضافتُها في كلامِهِ إلى (الأرساغِ) غيرُ ظاهرةٍ

ثمَّ شرعَ في صفةِ حالِهِ ، وما دارَ بينَهُ وبينَ أهلِ بيتِهِ عندَ عزمِهِ على السفرِ فقالَ

تَقُولُ ٱلَّتِي مِنْ بَيْتِهَا خَفَّ مَرْكَبِي عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَاكَ تَسِيرُ
أَمَا دُونَ مِصْرَ لِلْغِنَىٰ مُتَطَلَّبٌ بَلَىٰ إِنَّ أَسْبَابَ ٱلْغِنَىٰ لَكَثِيرُ
فَقُلْتُ لَهَا وَٱسْتَعْجَلَتْهَا بَوَادِرٌ جَرَتْ فَجَرَىٰ فِي جَرْيِهِنَّ عَبِيرُ
ذَرِينِي أُكَثِّرْ حَاسِدِيكِ بِرِحْلَةٍ إِلَىٰ بَلَدٍ فِيهِ ٱلْخَصِيبُ أَمِيرُ
إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْض ٱلْخَصِيبِ رِكَابُنَا فَأَيَّ فَتىً بَعْدَ ٱلْخَصِيبِ تَزُورُ
فَتىً يَشْتَرِي حُسْنَ ٱلثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلدَّائِرَاتِ تَدُورُ

بعثَهُ علىٰ هٰذا الكلامِ المزعجِ إدلالُهُ بمكانِهِ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/٥١) ، وعزاه للعباس بن الأحنف

(٢) كذا في الأصل ، ولعله أراد (الطرة) وهي اسم للشيء المقطوع ، والله أعلم

(٣) انظر « القاموس المحيط » (١/٢٥٩) ، مادة (ع ق ب)

فَـمَـا جَـازَهُ جُـودٌ وَلَا حَـلَّ دُونَـهُ وَلَـٰكِنْ يَصِيرُ ٱلْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

هٰذا البيتُ مِنَ الشعرِ الذي كَثُرَ لفظُهُ وقلَّ معناهُ ؛ إذ معناهُ أنَّهُ لا يفارقُهُ الجودُ ، وعليهِ فيهِ مؤاخذةٌ ؛ فإنَّهُ أخذَهُ مِنْ قولِ الشنفرىٰ[1] [من المديد]

ظَـاعِـنٌ بِـٱلْـحَـزْمِ حَـتَّـىٰ إِذَا مَـا [حَـلَّ] حَـلَّ ٱلْـحَـزْمُ حَيْـثُ يَـحُـلُّ

ونقلَ العبارةَ مِنَ الحزمِ نقلاً غيرَ صحيحٍ إلى الجودِ ؛ وذٰلكَ أنَّ الحزمَ يَتعلَّقُ بالسيرِ والحلولِ ، بحيثُ يُقالُ مِنْ حزمِهِ وحسنِ رأيِهِ يظعنُ في الأوقاتِ التي تقتضي الأحوالُ أن يظعنَ فيها ، فلا يُؤَخِّرُ واجباً ، ولا يفعلُ ما ليسَ لازماً ، ويحلُّ بالأمكنةِ التي تصلحُ للحلولِ ؛ لأمنِها واشتمالِها علىٰ ما يلزمُ للإقامةِ ، وأمَّا الجودُ فإنَّهُ لا يَصِحُّ ربطُهُ بالسيرِ والإقامةِ ، وإنَّما يربطُ بالأحوالِ ، فيُقالُ إنَّهُ جوادٌ علىٰ كلِّ حالٍ مِنْ عسرٍ ويسرٍ

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي سُؤْدَداً مِثْلَ سُؤْدَدٍ يَـحُـلُّ أَبُـو نَـصْـرٍ بِـهِ وَيَـسِـيـرُ

[وَأَطْرُقُ] حَيَّاتِ ٱلْبِلَادِ لِحَيَّةٍ خَصِيبِيَّةِ ٱلتَّصْمِيمِ حِينَ تَسُورُ

سَمَوْتَ لِأَهْلِ ٱلْحَوْفِ فِي دَارِ أَمْنِهِمْ فَـأَضْـحَـوْا وَكُـلٌّ فِـي ٱلْـوِثَـاقِ أَسِـيـرُ

إِذَا قَامَ غَنَّتْهُ[2] عَلَى ٱلسَّاقِ حِلْيَةٌ لَـهَـا خُـطْـوَةٌ عِـنْـدَ ٱلْقِيَامِ قَصِيرُ

فَمَنْ يَكُ أَمْسَىٰ جَاهِلاً بِمَقَالَتِي فَـإِنَّ أَمِـيـرَ ٱلْـمُـؤْمِـنِـيـنَ خَـبِـيـرُ

وَمَا زِلْتَ تُولِيهِ ٱلنَّصِيحَةَ يَافِعاً إِلَىٰ أَنْ بَدَا فِي ٱلْعَارِضَيْنِ قَتِيرُ

إِذَا غَـالَـهُ أَمْـرٌ فَـإِمَّـا كَـفَـيْـتَـهُ وَإِمَّـا عَـلَـيْـهِ بِـٱلْـكَـفِـيِّ تُـشِـيـرُ

الحوفُ ناحيةٌ بمصرَ ظهرَ مِنْ أهلِها عصيانٌ ، فوردَ لهُ الأمرُ بحربِهِم وتأديبِهِم ، فظفرَ بهِم

---

(١) انظر « ديوان الشنفرىٰ » (ص ١١٨)

(٢) في « ديوان أبي نواس » (ص ٢٨٧) (عَنَّتْهُ)

إِلَيْكَ رَمَتْ بِٱلْقَوْمِ هُوجٌ كَأَنَّمَا جَمَاجِمُهَا تَحْتَ ٱلرِّحَالِ قُبُورُ
رَحَلْنَ بِنَا مِنْ عَقْرَقُوفَ وَقَدْ بَدَا مِنَ ٱلصُّبْحِ مَفْتُوقُ ٱلْأَدِيمِ شَهِيرُ

أخذَ يذكرُ الأماكنَ التي مرَّ بها في سفرِهِ مِنْ بغدادَ إلىٰ مصرَ

فَمَا أَنْجَدَتْ بِٱلْمَاءِ حَتَّىٰ رَأَيْتُهَا مَعَ ٱلشَّمْسِ فِي عَيْنِي أُبَاغَ تَغُورُ
وَغُمِّرْنَ مِنْ مَاءِ ٱلنُّقَيبِ بِشَرْبَةٍ وَقَدْ حَانَ مِنْ دِيكِ ٱلصَّبَاحِ زَمِيرُ

التغميرُ الشربُ دونَ الريِّ

وَوَافَيْنَ إِشْرَاقاً كَنَائِسَ تَدْمُرٍ وَهُنَّ إِلَىٰ رَعْنِ ٱلْمُدَخَّنِ صُورُ
يُؤَمِّمْنَ أَهْلَ ٱلْغُوطَتَيْنِ كَأَنَّمَا لَهَا عِنْدَ أَهْلِ ٱلْغُوطَتَيْنِ ثُؤُورُ
وَأَصْبَحْنَ بِٱلْجَوْلَانِ يَرْضَخْنَ صَخْرَهَا وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَجْرَامِهِنَّ شُطُورُ
وَقَاسَيْنَ لَيْلاً دُونَ بَيْسَانَ لَمْ يَكَدْ سَنَا صُبْحِهِ لِلنَّاظِرِينَ يُنِيرُ
وَأَصْبَحْنَ قَدْ فَوَّزْنَ مِنْ أَهْلِ [فُطْرُسٍ] وَهُنَّ عَنِ ٱلْبَيْتِ ٱلْمُقَدَّسِ زُورُ
طَوَالِبُ بِٱلرُّكْبَانِ غَزَّةَ هَاشِمٍ وَفِي ٱلْفَرَمَا مِنْ حَاجِهِنَّ شُقُورُ

الشقورُ المهماتُ مِنَ الحاجاتِ ، والفرما مِنْ بلادِ مصرَ التي كانَتْ مشهورةً بالصَّنائعِ [كتِنِّيسَ] ، وقد زالَتْ ولم يبقَ لها أثرٌ

وَلَمَّا أَتَتْ فُسْطَاطَ مِصْرَ أَجَارَهَا عَلَىٰ رَكْبِهَا أَلَّا تُذَالَ مُجِيرُ

هٰذا المعنى الذي قالَ فيهِ وكَرَّرَهُ في عباراتٍ [من الكامل]

وَإِذَا ٱلْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّداً فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّحَالِ حَرَامُ

وقد سلفَ هوَ وأصلُهُ ، وأذالَ المصونَ أهانَهُ

مِنَ ٱلْقَوْمِ بَسَّامٌ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَنَا ٱلْفَجْرِ يَسْرِي ضَوْءُهُ وَيُنِيرُ

زَهَا بِٱلْخَصِيبِ ٱلسَّيْفُ وَٱلرُّمْحُ فِي ٱلْوَغَىٰ ... وَفِي ٱلسِّلْمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسَرِيرُ
جَوَادٌ [إِذَا] ٱلأَيْدِي كَفَفْنَ عَنِ ٱلنَّدَىٰ ... وَمِنْ دُونِ عَوْرَاتِ ٱلنِّسَاءِ غَيُورُ

عبارةٌ باردةٌ

لَهُ سَلَفٌ فِي ٱلأَعْجَمِينَ كَأَنَّهُمْ ... إِذَا ٱسْتُؤْذِنُوا يَوْمَ ٱلسَّلَامِ بُدُورُ
فَإِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِٱلْغِنَىٰ ... وَأَنْتَ بِمَا أَمَّلْتُ مِنْكَ جَدِيرُ
فَإِنْ تُولِنِي مِنْكَ ٱلْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ ... وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ وَشَكُورُ

يُحكىٰ أنَّ الرشيدَ عزلَ الخصيبَ عن عملِ مصرَ ، فخرجَ منها مُجرَّداً ، واتَّفقَ أن لقيَ أبا نُواسٍ ليلاً في بعضِ الطريقِ إلىٰ بغدادَ وهوَ علىٰ فرسٍ عجفاءَ وأبو نُواسٍ في ركبٍ حافلٍ ، فسمعَهُ يَتغَنَّىٰ ، فدنا منهُ وسَلَّمَ عليهِ ، فلم يَعرِفْهُ أبو نواسٍ لرثاثةِ حالِهِ ، فعَرَّفَهُ بنفسِهِ

فقالَ لهُ : ما الذي أصارَكَ يا سيدي لهٰذا الحالِ ؟! فقالَ : قولُكَ : (الدائراتُ تدورُ) ؛ فأرادَ أبو نُواس أن يواسيَهُ ، فقالَ ما كنتُ لآخذَ ممَّنْ أعطيتُ ، وافترقا

ولمَّا وصلَ الخصيبُ بغدادَ أقامَ بها فقيراً في هيئةِ سائلٍ ، يجلسُ إلىٰ جوانبِ الجدرانِ ، فعلمَ بهِ شاعرٌ ، وأنَّهُ الخصيبُ ، فلقيَهُ بأبياتٍ يمتدحُهُ بها ، فأخرجَ لهُ مِنْ تحتِ رقعةٍ مِنْ رقاعِ ثيابِهِ لؤلؤةً فريدةً ، وأجازَهُ بها ، وسألَهُ العذرَ لضيقِ الحالِ ، فأخذَها ونزلَ بها السُّوقَ ، فعجبَ منها التجَّارُ ، وأوصلوها إلى الخليفةِ ، فسألَ عنها مِنْ أينَ جاءَتْ ؟

فوقفَ على الخبرِ وعلىٰ طربِهِ بهمَّةِ الخصيبِ ، أعادَهُ لحسنِ الحالِ ، ورضيَ عنهُ



[الأميرُ الباروديُّ يحاكي أبا نواسٍ في قصيدتِهِ]

وهـٰذهِ قصيدةُ الأميرِ التي في وزنِ قصيدةِ أبي نُواسٍ ورويِّها(١) [من الطويل]

تَـلَاهَـيْـتُ إِلَّا مَـا يُـجِـنُّ ضَـمِـيـرُ ... وَدَارَيْـتُ إِلَّا مَـا يَـنُـمُّ زَفِـيـرُ

وَهَلْ يَسْتَطِيعُ ٱلْمَرْءُ كِتْمَانَ أَمْرِهِ ... وَفِي ٱلصَّدْرِ مِنْهُ بَارِحٌ وَسَعِيرُ

فَيَا قَاتَلَ ٱللهُ ٱلْهَوَىٰ مَا أَشَدَّهُ ... عَلَى ٱلْمَرْءِ إِذْ يَخْلُو بِهِ فَيُغِيرُ

تَلِينُ إِلَيْهِ ٱلنَّفْسُ وَهْيَ أَبِيَّةٌ ... وَيَجْزَعُ مِنْهُ ٱلْقَلْبُ وَهْوَ صَبُورُ

نَبَذْتُ لَهُ رُمْحِي وَأَغْمَدْتُ صَارِمِي ... وَنَهْنَهْتُ مُهْرِي وَٱلْمُرَادُ غَزِيرُ

وَأَصْبَحْتُ مَغْلُولَ ٱلْمَخَالِبِ بَعْدَمَا ... سَطَوْتُ وَلِي فِي ٱلْخَافِقَيْنِ زَئِيرُ

فَيَا لَسَرَاةِ ٱلْقَوْمِ دَعْوَةُ عَائِذٍ ... أَمَا مِنْ سَمِيعٍ فِيكُمُ فَيُجِيرُ

لَطَالَ عَلَيَّ ٱللَّيْلُ حَتَّىٰ مَلِلْتُهُ ... وَعَهْدِي بِهِ فِيمَا عَلِمْتُ قَصِيرُ

أَلَا فَرَعَى ٱللهُ ٱلصِّبَا مَا أَبَرَّهُ ... وَحَيَّا شَبَاباً مَرَّ وَهْوَ نَضِيرُ

إِذِ ٱلْعَيْشُ أَفْوَافٌ تَرِفُّ ظِلَالُهُ ... عَلَيْنَا وَسَلْسَالُ ٱلْوَفَاءِ نَمِيرُ

وَإِذْ نَحْنُ فِيمَا بَيْنَ [إِخْوَانِ] لَذَّةٍ ... عَلَىٰ شِيَمٍ مَا إِنْ بِهِنَّ نَكِيرُ

تَدُورُ عَلَيْنَا ٱلْكَأْسُ بَيْنَ مَلَاعِبٍ ... بِهَا ٱللَّهْوُ خِدْنٌ وَٱلشَّبَابُ سَمِيرُ

فَأَلْحَاظُنَا بَيْنَ ٱلنُّفُوسِ رَسَائِلٌ ... وَرَيْحَانُنَا بَيْنَ ٱلْكُؤُوسِ سَفِيرُ

عَقَدْنَا جَنَاحَيْ لَيْلِنَا بِنَهَارِنَا ... وَطِرْنَا مَعَ ٱللَّذَّاتِ حَيْثُ تَطِيرُ

وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدِرْهَا فَإِنَّمَا ... بَقَاءُ ٱلْفَتَىٰ بَعْدَ ٱلشَّبَابِ يَسِيرُ

فَطَافَ بِهَا شَمْسِيَّةً لَهَبِيَّةً ... لَهَا عِنْدَ أَلْبَابِ ٱلرِّجَالِ ثُؤُورُ

---

(١) انظر « ديوان البارودي » (٢/٢٦ ـ ٣٣)

إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا أَقَمْنَا مَكَانَنَا وَظَلَّتْ بِنَا ٱلْأَرْضُ ٱلْفَضَاءُ تَدُورُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ أَفْنَيْتُ عُمْرَ ظَلَامِهَا إِلَىٰ أَنْ بَدَا لِلصُّبْحِ فِيهِ قَتِيرُ
شَغَلْتُ بِهَا قَلْبِي وَمَتَّعْتُ نَاظِرِي وَنَعَّمْتُ سَمْعِي وَٱلْبَنَانُ طَهُورُ
صَنَعْتُ بِهَا صُنْعَ ٱلْكَرِيمِ بِأَهْلِهِ وَجِيرَتِهِ وَٱلْغَادِرُونَ كَثِيرُ
فَمَا رَاعَنَا إِلَّا حَفِيفُ حَمَائِمٍ لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ ٱلْغُصُونِ هَدِيرُ
تُجَاوِبُ أَتْرَاباً لَهَا فِي خَمَائِلٍ لَهُنَّ بِهَا بَعْدَ ٱلْحَنِينِ صَفِيرُ
نَوَاعِمُ لَا يَعْرِفْنَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ وَلَا دَائِرَاتِ ٱلدَّهْرِ كَيْفَ تَدُورُ
تَوَسَّدُ هَامَاتٌ لَهُنَّ وَسَائِداً مِنَ ٱلرِّيشِ فِيهِ طَائِلٌ وَشَكِيرُ
كَأَنَّ عَلَىٰ أَعْطَافِهَا مِنْ حَبِيكِهَا تَمَائِمَ لَمْ تُعْقَدْ لَهُنَّ سُيُورُ
خَوَارِجُ مِنْ أَيْكٍ دَوَاخِلُ غَيْرِهِ زَهَاهُنَّ ظِلٌّ سَابِغٌ وَغَدِيرُ
إِذَا غَازَلَتْهَا ٱلشَّمْسُ رَفَّتْ كَأَنَّمَا عَلَىٰ صَفْحَتَيْهَا سُنْدُسٌ وَحَرِيرُ
فَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلصُّبْحَ قَدْ رَفَّ جِيدُهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَسْجِ ٱلظَّلَامِ سُتُورُ
خَرَجْتُ أَجُرُّ ٱلذَّيْلَ تِيهاً وَإِنَّمَا يَتِيهُ ٱلْفَتَىٰ إِنْ عَفَّ وَهْوَ قَدِيرُ
وَلِي شِيمَةٌ تَأْبَى ٱلدَّنَايَا وَعَزْمَةٌ تَرُدُّ لُهَامَ ٱلْجَيْشِ وَهْوَ يَمُورُ
إِذَا سِرْتُ فَٱلْأَرْضُ ٱلَّتِي نَحْنُ فَوْقَهَا مَرَادٌ لِمُهْرِي وَٱلْمَعَاقِلُ دُورُ
فَلَا عَجَبٌ إِنْ لَمْ يَصُرْنِي مَنْزِلٌ فَلَيْسَ لِعِقْبَانِ ٱلْهَوَاءِ وُكُورُ
هَمَامَةُ نَفْسٍ لَيْسَ يَنْفِي رِكَابَهَا رَوَاحٌ عَلَىٰ طُولِ ٱلْمَدَىٰ وَبُكُورُ
مُعَوَّدَةٌ أَلَّا تَكُفَّ عِنَانَهَا عَنِ ٱلْجِدِّ إِلَّا أَنْ تَتِمَّ أُمُورُ
لَهَا مِنْ وَرَاءِ ٱلْغَيْبِ أُذْنٌ سَمِيعَةٌ وَعَيْنٌ تَرَىٰ مَا لَا يَرَاهُ بَصِيرُ

وَفَيْتُ بِمَا ظَنَّ ٱلْكِرَامُ فِرَاسَةً　　　بِأَمْرِي وَمِثْلِي بِٱلْوَفَاءِ جَدِيرُ
وَأَصْبَحْتُ مَحْسُودَ ٱلْجَلَالِ كَأَنَّنِي　　　عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ فِي ٱلزَّمَانِ أَمِيرُ
إِذَا صُلْتُ كَفَّ ٱلدَّهْرُ مِنْ غُلَوَائِهِ　　　وَإِنْ قُلْتُ غَصَّتْ بِٱلْقُلُوبِ صُدُورُ
مَلَكْتُ مَقَالِيدَ ٱلْكَلَامِ وَحِكْمَةً　　　لَهَا كَوْكَبٌ فَخْمُ ٱلضِّيَاءِ مُنِيرُ
فَلَوْ كُنْتُ فِي عَصْرِ ٱلْكَلَامِ ٱلَّذِي ٱنْقَضَىٰ　　　لَبَاءَ بِفَضْلِي جَرْوَلٌ وَجَرِيرُ
وَلَوْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ ٱلنُّوَاسِيَّ لَمْ يَقُلْ　　　أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكِ غَيُورُ
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي تَأَخَّرْتُ عَنْهُمُ　　　وَفَضْلِيَ بَيْنَ ٱلْعَالَمِينَ شَهِيرُ
فَيَا رُبَّمَا أَخْلَىٰ مِنَ ٱلسَّبْقِ أَوَّلٌ　　　وَبَذَّ ٱلْجِيَادَ ٱلسَّابِقَاتِ أَخِيرُ

لَم أكنْ لأَدَعَ أن أقولَ　انظرْ هداكَ اللهُ لأبياتِ هٰذهِ القصيدةِ ، فأفرذْها بيتاً بيتاً　تجدْ ظروفَ جواهرَ ، أُفرِدَتْ كلُّ جوهرةٍ لنفاستِها بظرفٍ ، ثمَّ اجمعْها وانظرْ جمالَ السياقِ وحسنَ النسقِ ؛ فإنَّكَ لا تجدُ بيتاً يصحُّ أن يُقدَّمَ أو يُؤخَّرَ ، ولا بيتَينِ يمكنُ أن يكونَ بينَهُما ثالثٌ ، وأَكِلُكَ إلىٰ سلامةِ ذوقِكَ وعُلُوِّ همَّتِكَ إن كنتَ مِنْ أهلِ الرغبةِ في الاستكمالِ لتتبُّعِ هٰذهِ الطريقةِ المثلىٰ

ثمَّ قولُ ابنِ هانئٍ (فتىً يشتري　　)[1] سبقَهُ إلى النطقِ بهِ الراعي النميريُّ حيثُ قالَ[2]　　[من الطويل]

فَتىً يَشْتَرِي حُسْنَ ٱلثَّنَاءِ بِمَالِهِ　　　إِذَا مَا ٱشْتَرَى ٱلْمَخْزَاةَ بِٱلْمَجْدِ بَيْهَسُ

ونطقَ بهِ قبلَهُ الأبيردُ أيضاً　　[من الطويل]

فَتىً يَشْتَرِي حُسْنَ ٱلثَّنَاءِ بِمَالِهِ　　　إِذَا ٱلسَّنَةُ ٱلشَّهْبَاءُ أَعْوَزَهَا ٱلْقَطْرُ

---

(١) أي　قول أبي نواس فيما تقدم قريباً (٤/٩٤)
(٢) انظر « ديوان الراعي النُّميري » (ص ١٨٠)

ومثلُ هٰذا لا يَعيبُهُ أهلُ الأدبِ كما نقلَهُ عنهُم بعضُ شُرَّاحِ « لاميةِ العجمِ » ، عندَ ذكرِهِ توافقَ الطُّغرائيِّ وصاحبِ « المَقاماتِ » الحريريِّ في قولِهِما [١] [من البسيط]

وَذِي شِطَاطٍ كَصَدْرِ ٱلرُّمْحِ مُعْتَقَلٍ ... بِمِثْلِهِ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَكِلِ

[وقالَ الحريريُّ] [٢] [من البسيط]

وَذِي شِطَاطٍ كَصَدْرِ ٱلرُّمْحِ قَامَتُهُ ... صَادَفْتُهُ بِمِنىً يَشْكُو مِنَ ٱلْحَرَبِ

قالوا إذا لم يكنِ الكلامُ ذا معنىً غريبٍ ، ولم يَشتمِلْ على نكتةٍ بديعةٍ تسامحَ الشعراءُ في تناولِهِ والتوافقِ فيهِ ، فالمعيبُ إذاً مثلُ قولِهِ في هٰذهِ القصيدةِ (فأجازَهُ جودٌ) فإنَّهُ كما سبقَ التنبيهُ عليهِ منقولٌ مِنَ الحزمِ إلى الجودِ ، وقد سبقَهُ أيضاً بعضُ بني يربوعٍ بالعبارةِ في الجودِ حيثُ قالَ [من البسيط]

مَا قَصَّرَ ٱلْجُودُ عَنْكُمْ يَا بَنِي مَطَرٍ ... وَلَا تَجَاوَزَكُمْ يَا آلَ مَسْعُودِ

يَحِلُّ حَيْثُ حَلَلْتُمْ لَا يُفَارِقُكُمْ ... مَا عَاقَبَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَ ٱلْبِيضِ وَٱلسُّودِ

وقولُهُ (زها بالخصيبِ السيفُ والرمحُ) بعدَ قولِ ابنِ ميادةَ : [من الطويل]

وَيُزْهَىٰ بِهِ فِي ٱلرَّدْعِ عَضْبٌ مُهَنَّدٌ ... وَفِي ٱلسِّلْمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسَرِيرُ

وقولُهُ (فإنْ تولني منكَ الجميلَ) وقد قالَ بعضُ بني منقرٍ [من الطويل]

فَإِنْ جُدْتَ كَانَ ٱلْجُودُ مِنْكَ سَجِيَّةً ... وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ لَكَ شَاكِرُ



(١) انظر « الأغاني » (١٣/٤٦٤٨) ، ذكر أن الأبيرد رثىٰ أخاه بريداً بقصيدة ذكر أولها ، ومنها هٰذا البيت
(٢) مقامات الحريري (ص ٣٥١) ، وفيها (يشكو من الحدَب) وهو تقوس الظهر

[قصيدةٌ لأبي نواسٍ يمدح الأميرَ محمدَ بنَ الرشيدِ]

وقالَ أبو نُواسٍ أيضاً يمدحُ الأميرَ محمدَ بنَ الرشيدِ [١] [من الكامل]

يَـا دَارُ مَـا فَـعَـلَـتْ بِـكِ ٱلْأَيَّـامُ   لَـمْ تُـبْـقِ مِـنْـكِ بَـشَـاشَـةً تُـسْـتَـامُ

تُستامُ تُطلَبُ ، وقيلَ تُكلَّفُ ، يُقالُ سامَهُ يسومُهُ سوماً وسيمةً ، وكذٰلكَ في البيعِ ، وقيلَ سمتُهُ وأسمتُهُ ؛ إذا سألتُهُ وكلفتُهُ ، وقيلَ تشتامُ ، مِنَ الشيمِ ؛ وهوَ النظرُ

ورویٰ بعضُهُم [من الكامل]

يَـا دَارُ مَـا فَـعَـلَـتْ بِـكِ ٱلْأَيَّـامُ   ضَـامَـتْـكِ وَٱلْأَيَّـامُ لَـيْـسَ تُـضَـامُ

[عودٌ للقصيدةِ]

عَرَمَ ٱلزَّمَانُ عَلَى ٱلَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ   بِـكِ قَـاطِـنِـيـنَ وَلِـلـزَّمَـانِ عُـرَامُ

يُقالُ عرمَ يعرمُ عرامةً وعُراماً ؛ بضمِّ أوَّلِهِ ، وقد نُطِقَ بالفعلِ مِنْ بابِ نصرَ وضربَ وكَرُمَ وعَلِمَ ؛ وهوَ التخابثُ والإفسادُ

أَيَّـامَ لَا أَغْـشَـىٰ لِأَهْـلِـكِ مَـنْـزِلاً   إِلَّا مُـرَاقَـبَـةً عَـلَـيَّ ظَـلَامُ

عليَّ ظلامُ ؛ أي مستخفياً بالليلِ ؛ ليختلسَ بغيتَهُ اختلاساً ، وهٰذا التركيبُ وردَ في حديثٍ ؛ هوَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ كانَ مسافراً مَرَّةً صائماً ، فلمَّا غَربَتِ الشمسُ قالَ لصاحبِ طعامِهِ « ٱنْزِلْ فَٱجْدَحْ لَنَا » أي هَيِّءِ السَّويقَ ، فقالَ يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّ عليكَ نهاراً ، فقالَ « ٱنْزِلْ فَٱجْدَحْ لَنَا » [٢]

---

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٤١ ـ ٣٤٢)

(٢) أخرجه البخاري (١٩٤١) ، ومسلم (١١٠١) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما

وقالَ بشارٌ [من الطويل]

إذَا أَنْكَرَتْنِي بَلْدَةٌ أَوْ نَكِرْتُهَا خَرَجْتُ مَعَ ٱلْبَازِي عَلَيَّ سَوَادُ

فهيَ مِنَ الكلماتِ المُستملَحةِ التي يغيرُ عليها الشعراءُ

وَلَقَدْ نَهَزْتُ مَعَ ٱلْغُوَاةِ بِدَلْوِهِمْ وَأَسَمْتُ سَرْحَ ٱللَّهْوِ حَيْثُ أَسَامُوا

وَبَلَغْتُ مَا بَلَغَ ٱمْرُؤٌ بِشَبَابِهِ فَإِذَا عُصَارَةُ كُلِّ ذَاكَ أَثَامُ

وَتَجَشَّمَتْ بِي هَوْلَ كُلِّ تَنُوفَةٍ هَوْجَاءُ فِيهَا جُرْأَةٌ إِقْدَامُ

تَذَرُ ٱلْمَطِيَّ وَرَاءَهَا فَكَأَنَّهَا صَفٌّ تَقَدَّمَهُنَّ وَهْيَ إِمَامُ

وَإِذَا ٱلْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّداً فَظُهُورُهُنَّ عَلَى ٱلرِّحَالِ حَرَامُ

قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ ٱلْحَصَىٰ فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ

رَفَعَ ٱلْحِجَابَ لَنَا فَلَاحَ لِنَاظِرٍ قَمَرٌ تَقَطَّعُ دُونَهُ ٱلْأَوْهَامُ

مَلِكٌ إِذَا عَلِقَتْ يَدَاكَ بِحَبْلِهِ لَا يَعْتَفِيكَ ٱلْبُؤْسُ وَٱلْإِعْدَامُ

مَلِكٌ تَوَحَّدَ بِٱلْمَكَارِمِ وَٱلْعُلَا فَرْدٌ فَقِيدُ ٱلنِّدِّ فِيهِ هُمَامُ

مَلِكٌ أَغَرُّ إِذَا شَرِبْتَ بِوَجْهِهِ لَمْ يَعْدُكَ ٱلتَّبْجِيلُ وَٱلْإِعْظَامُ

فَٱلْبَهْوُ مُشْتَمِلٌ بِبَدْرِ خِلَافَةٍ لَبِسَ ٱلشَّبَابَ بِنُورِهِ ٱلْإِسْلَامُ

سَبْطُ ٱلْبَنَانِ إِذَا ٱحْتَبَىٰ بِنِجَادِهِ فَرَعَ ٱلْجَمَاجِمَ وَٱلسِّمَاطُ قِيَامُ

فرعَ الجماجمَ أجودُ مِنْ (غمرَ [الجماجمَ]) وهيَ روايةٌ ؛ لأنَّ (غمرَ) إنَّما يُستعمَلُ في معنى الكثرةِ ، يُقالُ : قد غمرَ جودُ هٰذا ، وغمرَ الماءُ الحصىٰ

إِنَّ ٱلَّذِي يَرْضَى ٱلْإِلَٰهُ بِهَدْيِهِ مَلِكٌ تَرَدَّى ٱلْمُلْكَ وَهْوَ غُلَامُ

ويُروىٰ (يرضى السماءُ) أي مَنْ في السماءِ ؛ يعني الله عزَّ وجلَّ

مَلِكٌ إِذَا ٱعْتَبَرَ ٱلْأُمُورَ مَضَىٰ بِهِ رَأْيٌ يَفُلُّ ٱلسَّيْفَ وَهْوَ حُسَامُ

دَاوَىٰ بِهِ ٱللهُ ٱلْقُلُوبَ مِنَ ٱلْعَمَىٰ حَتَّىٰ أَفَقْنَ وَمَا بِهِنَّ سَقَامُ
أَصْبَحْتَ يَا بْنَ زُبَيْدَةَ بْنَةِ جَعْفَرٍ أَمَلاً لِعَقْدِ حِبَالِهِ ٱسْتِحْكَامُ
فَسَلِمْتَ لِلْأَمْرِ ٱلَّذِي تُرْجَىٰ لَهُ وَتَقَاعَسَتْ عَنْ يَوْمِكَ ٱلْأَيَّامُ

[محاكاةُ الأميرِ الباروديِّ لأبي نواسٍ في قصيدتِهِ]

فقالَ المُسمَّىٰ في الوزنِ والرويِّ (١) [من الكامل]

ذَهَبَ ٱلصِّبَا وَتَوَلَّتِ ٱلْأَيَّامُ فَعَلَى ٱلصِّبَا وَعَلَى ٱلزَّمَانِ سَلَامُ
تَٱللهِ أَنْسَىٰ مَا حَيِيتُ عُهُودَهُ وَلِكُلِّ عَهْدٍ فِي ٱلْكِرَامِ ذِمَامُ
إِذْ نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَرِفُّ ظِلَالُهُ وَلَنَا بِمُعْتَرَكِ ٱلْهَوَىٰ آثَامُ
تَجْرِي عَلَيْنَا ٱلْكَأْسُ بَيْنَ مَجَالِسٍ فِيهَا ٱلسَّلَامُ تَعَانُقٌ وَلِزَامُ
فِي فِتْيَةٍ فَاضَ ٱلنَّعِيمُ عَلَيْهِمُ وَنَمَاهُمُ ٱلتَّبْجِيلُ وَٱلْإِعْظَامُ
ذَهَبَتْ بِهِمْ شِيَمُ ٱلْمُلُوكِ فَلَيْسَ فِي تَلْعَابِهِمْ هَذَرٌ وَلَا إِبْرَامُ
لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ آدَابِ ٱلْهَوَىٰ سُمْحُ ٱلنُّفُوسِ عَلَى ٱلْبَلَاءِ كِرَامُ
مِنْ كُلِّ أَبْلَجَ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ كَٱلْبَدْرِ حَلَّىٰ صَفْحَتَيْهِ غَمَامُ
سَهْلُ ٱلْخَلِيقَةِ لَا يَسُوءُ جَلِيسَهُ بَيْنَ ٱلْمَقَامَةِ وَاضِحٌ بَسَّامُ
مُتَوَاضِعٌ لِلْقَوْمِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلىً لَهُمْ فِي ٱلدَّارِ وَهْوَ هُمَامُ
تَرْنُو ٱلْعُيُونُ إِلَيْهِ فِي أَفْعَالِهِ وَتَسِيرُ تَحْتَ لِوَائِهِ ٱلْأَقْوَامُ
فَإِذَا تَكَلَّمَ فَٱلرُّؤُوسُ خَوَاضِعٌ وَإِذَا تَنَاهَضَ فَٱلصُّفُوفُ قِيَامُ
نَلْهُو وَنَلْعَبُ بَيْنَ خُضْرِ حَدَائِقٍ لَيْسَتْ بِغَيْرِ خُيُولِنَا تُشْتَامُ

---

(١) أي الأمير البارودي في « ديوانه » (٣/٣٣٣ ـ ٣٤٠)

حَتَّى ٱنْتَبَهْنَا بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ ٱلصِّبَا إِنَّ ٱللَّذَاذَةَ وَٱلصِّبَا أَحْلَامُ
لَا تَحْسَبَنَّ ٱلْعَيْشَ دَامَ لِمُتْرَفٍ هَيْهَاتَ لَيْسَ عَلَى ٱلزَّمَانِ دَوَامُ
تَأْتِي ٱلشُّهُورُ وَتَنْتَهِي سَاعَاتُهَا لَمْعَ ٱلسَّرَابِ وَتَنْقَضِي ٱلْأَعْوَامُ
وَٱلنَّاسُ فِيمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَارِدٌ أَوْ صَادِرٌ تَجْرِي بِهِ ٱلْأَيَّامُ
لَا طَائِرٌ يَنْجُو وَلَا ذُو مِخْلَبٍ يَبْقَىٰ وَعَاقِبَةُ ٱلْحَيَاةِ حِمَامُ
فَٱدْرَأْ هُمُومَ ٱلنَّفْسِ عَنْكَ إِذَا ٱعْتَرَتْ بِٱلْكَأْسِ فَهْيَ عَلَى ٱلْهُمُومِ حُسَامُ
فَٱلْعَيْشُ لَيْسَ يَدُومُ فِي أَلْوَانِهِ إِلَّا إِذَا دَارَتْ عَلَيْهِ ٱلْجَامُ
مِنْ خَمْرَةٍ تَذَرُ ٱلْكَبِيرَ إِذَا ٱنْتَشَىٰ بَعْدَ ٱشْتِعَالِ ٱلشَّيْبِ وَهْوَ غُلَامُ
لَعِبَ ٱلزَّمَانُ بِهَا فَغَادَرَ جِسْمَهَا شَبَحاً تَهَافَتَ دُونَهُ ٱلْأَوْهَامُ
حَمْرَاءُ دَارَ بِهَا ٱلْحَبَابُ فَصَوَّرَتْ فَلَكاً تَحُفُّ سَمَاءَهُ ٱلْأَجْرَامُ
لَا تَسْتَقِيمُ ٱلْعَيْنُ فِي لَمَعَانِهَا وَتَزِلُّ عِنْدَ لِقَائِهَا ٱلْأَقْدَامُ
تَعْشُو ٱلرِّكَابُ فَإِنْ تَبَلَّجَ كَأْسُهَا سَارُوا وَإِنْ زَالَ ٱلضِّيَاءُ أَقَامُوا
حُبِسَتْ بِأَكْلَفَ لَمْ يَصِلْ لِفِنَائِهِ نُورٌ وَلَمْ يَسْرَحْ عَلَيْهِ ظَلَامُ

يعني ليسَتْ مكشوفةً فيتعاقبَ عليها الليلُ والنهارُ ، وإنَّما هيَ في مخبأةٍ ، فهيَ دائماً في حالٍ واحدةٍ

حَتَّىٰ إِذَا ٱصْطَفَقَتْ وَطَارَ فِدَامُهَا وَثَبَتْ فَلَمْ تَثْبُتْ لَهَا ٱلْأَجْسَامُ
وَقَدَتْ حَمِيَّتُهَا فَلَوْلَا مَزْجُهَا بِٱلْمَاءِ بَعْدَ ٱلْمَاءِ شَبَّ ضِرَامُ
تَسِمُ ٱلْعُيُونَ بِنُورِهَا لَٰكِنَّهَا بَرْدٌ عَلَىٰ شُرَّابِهَا وَسَلَامُ
فَٱصْقُلْ بِهَا صَدَأَ ٱلْهُمُومِ وَلَا تَكُنْ غِرّاً تَطِيشُ بِلُبِّهِ ٱلْآلَامُ

وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ وَٱلدَّهْرُ فِيهِ صِحَّةٌ وَسَقَامُ
يَهْوَى ٱلْفَتَىٰ طُولَ ٱلْحَيَاةِ وَإِنَّهَا دَاءٌ لَهُ لَوْ يَسْتَبِينُ عُقَامُ
فَٱطْمَحْ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ أُمَّةٍ خَلَدَتْ وَهَلْ لِٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ مُقَامُ
هَٰذِي ٱلْمَدَائِنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا بَعْدَ ٱلنِّظَامِ وَهَٰذِهِ ٱلْأَهْرَامُ
لَا شَيْءَ يَخْلُدُ غَيْرَ أَنَّ خَدِيعَةً فِي ٱلدَّهْرِ تَنْكُلُ دُونَهَا ٱلْأَحْلَامُ
وَلَقَدْ تَبَيَّنَتُ ٱلْأُمُورَ بِغَيْرِهَا وَأَتَىٰ عَلَيَّ ٱلنَّقْضُ وَٱلْإِبْرَامُ
فَإِذَا ٱلسُّكُونُ تَحَرُّكٌ وَإِذَا ٱلْخُمُو دُ تَلَهُّبٌ وَإِذَا ٱلسُّكُوتُ كَلَامُ
وَإِذَا ٱلْحَيَاةُ وَلَا حَيَاةَ مَنِيَّةٌ تَحْيَا بِهَا ٱلْأَجْسَادُ وَهْيَ رِمَامُ
هَٰذَا يَحُلُّ وَذَاكَ يَرْحَلُ كَارِهاً عَنْهُ فَصُلْحٌ تَارَةً وَخِصَامُ
فَٱلنُّورُ لَوْ بَيَّنْتَ أَمْرَكَ ظُلْمَةٌ وَٱلْبَدْءُ لَوْ فَكَّرْتَ فِيهِ خِتَامُ

فهٰذهِ ضِعفُ تلكَ ، ٱكْرُرْ أمرَكَ بدقَّةِ النظرِ فيها ، وتأمُّلِ تواليها تَجِدْ الإجادةَ فيها واضحةً ، والسلامةَ مِنْ أدنىٰ مُتعلَّقٍ ظاهرةً ؛ بحيثُ لا تجدُ فيها موضعاً للواوِ وليتَ ، ولتكنْ عنايتُكَ برعايةِ تخيُّرِ الألفاظِ ؛ بأن تُبدِّلَها بما تَتخيَّلُ أنَّهُ يقومُ مَقامَها ، ويفيدُ إفادتَها ، ثمَّ تعرفُ سببَ العدولِ عنهُ يكنْ ذٰلكَ أبلغَ نافعٍ لكَ



[قصيدةٌ للشريفِ الرضيِّ في مدحِ آلِ البيتِ]

وقالَ الشَّريفُ محمدٌ الرضيُّ يَفتخِرُ ويَمدَحُ أسلافَهُ مِنْ أهلِ البيتِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ علىٰ مَنْ شَرَّفَهُ (١) [من الطويل]

لِغَيْرِ ٱلْعُلَا مِنِّي ٱلْقِلَىٰ وَٱلتَّجَنُّبُ ... وَلَوْلَا ٱلْعُلَا مَا كُنْتُ فِي ٱلْحُبِّ أَرْغَبُ
إِذَا ٱللهُ لَمْ يَعْذُرْكَ فِيمَا تَرُومُهُ ... فَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا عَاذِلٌ أَوْ مُؤَنِّبُ
مَلَكْتُ بِحِلْمِي فُرْصَةً مَا ٱسْتَرَقَّهَا ... مِنَ ٱلدَّهْرِ مَفْتُولُ ٱلذِّرَاعَيْنِ أَغْلَبُ
فَإِنْ تَكُ سِنِّي مَا تَطَاوَلَ بَاعُهَا ... فَلِي مِنْ وَرَاءِ ٱلْمَجْدِ قَلْبٌ مُدَرَّبُ
بِحَسْبِيَ أَنِّي فِي ٱلْأَعَادِي مُبَغَّضٌ ... وَأَنِّي إِلَىٰ غُرِّ ٱلْمَعَالِي مُحَبَّبُ
وَلِلْحِلْمِ أَوْقَاتٌ وَلِلْجَهْلِ مِثْلُهَا ... وَلَٰكِنَّ أَيَّامِي إِلَى ٱلْحِلْمِ أَقْرَبُ
يَصُولُ عَلَيَّ ٱلْجَاهِلُونَ وَأَعْتَلِي ... وَيُعْجِمُ فِيَّ ٱلْقَائِلُونَ وَأُعْرِبُ
يَرَوْنَ ٱحْتِمَالِي غُصَّةً وَيَزِيدُهُمْ ... لَوَاعِجُ ضِغْنٍ أَنَّنِي لَسْتُ أَغْضَبُ
وَأُعْرِضُ عَنْ كَأْسِ ٱلنَّدِيمِ كَأَنَّهَا ... وَمِيضُ غَمَامٍ غَائِرُ ٱلْمُزْنِ [خُلَّبُ]
وَقُورٌ فَلَا ٱلْأَلْحَانُ تَأْسِرُ عَزْمَتِي ... وَلَا تَمْكُرُ ٱلصَّهْبَاءُ [بِي] حِينَ أَشْرَبُ
وَلَا أَعْرِفُ ٱلْفَحْشَاءَ إِلَّا بِوَصْفِهَا ... وَلَا أَنْطِقُ ٱلْعَوْرَاءَ وَٱلْقَلْبُ مُغْضَبُ
تَحَلَّمُ عَنْ كَرِّ ٱلْقَوَارِصِ شِيمَتِي ... كَأَنَّ مُعِيدَ ٱلذَّمِّ بِٱلْمَدْحِ مُطْنِبُ
لِسَانِي حَصَاةٌ يَقْرَعُ ٱلْجَهْلَ بِٱلْحِجَا ... إِذَا نَالَ مِنِّي ٱلْعَاضِهُ ٱلْمُتَأَوِّبُ
وَلَسْتُ بِرَاضٍ أَنْ تَمَسَّ عَزَائِمِي ... فُضَالَاتِ مَا يُعْطِي ٱلزَّمَانُ وَيَسْلُبُ

---

(١) انظر « ديوان الشريف الرضي » (١/١٠٧ ـ ١١٢)

غَـرَائِـبُ آدَابٍ حَـبَانِـي بِـحِـفْـظِـهَـا زَمَانِي وَصَرْفُ ٱلدَّهْرِ نِعْمَ ٱلْمُؤَدِّبُ
تُـرَيِّـشُـنَـا ٱلْأَيَّـامُ ثُـمَّ تَـهِـيـضُـنَـا أَلَا نِعْمَ [ذَا] ٱلْبَادِي وَبِئْسَ ٱلْمُعَقِّبُ
نَـهَـيْـتُـكَ عَـنْ طَـبْـعِ ٱللِّـئَـامِ فَـإِنَّـنِـي أَرَى ٱلْبُخْلَ يُؤْبَىٰ وَٱلْمَكَارِمُ تُطْلَبُ
تَـعَلَّـمْ فَـإِنَّ ٱلْـجُـودَ فِـي ٱلنَّـاسِ فِـطْـنَـةٌ تَـنَـاقَـلَـهَـا ٱلْأَحْـرَارُ وَٱلـطَّـبْـعُ أَغْـلَـبُ
تُـضَـافِـرُنِـي فِـيـكَ ٱلـصَّـوَارِمُ وَٱلْـقَـنَـا وَيَصْحَبُنِي مِنْكَ ٱلْعُذَيْقُ ٱلْمُرَجَّبُ
نَصَحْتُ وَبَعْضُ ٱلنُّصْحِ لِلْقَوْمِ هُجْنَةٌ وَبَـعْـضُ ٱلتَّـنَـاجِـي بِـٱلْـعِـتَـابِ تَـعَـتُّـبُ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُعْطِ ٱلنَّصِيحَةَ حَقَّهَا فَـرُبَّ جَـمُـوحٍ كَـلَّ عَـنْـهُ ٱلْـمُـؤَدِّبُ
سَقَى ٱللهُ أَرْضاً جَاوَزَ ٱلْقَطْرُ رَوْضَهَا إِذِ ٱلْـمُـزْنُ تَـسْـقِـي وَٱلْأَبَـاطِـحُ تَـشْـرَبُ
ذَكَـرْتُ بِـهَـا عَـهْـدَ ٱلـشَّـبَـابِ فَـحَـسْـرَةً أَفَدْتُ وَقَدْ فَاتَ ٱلَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ
وَيُعْجِبُنِي مِنْهَا ٱلنَّسِيمُ إِذَا هَفَا أَلَا كُلُّ مَا سَرَّىٰ عَنِ ٱلْقَلْبِ مُعْجِبُ
سَـكَـنْـتُـكِ وَٱلْأَيَّـامُ بِـيـضٌ كَـأَنَّـهَـا مِـنَ ٱلـطِّـيـبِ فِـي أَثْـوَابِـهَـا تَـتَـقَـلَّـبُ
وَبَـرْقٍ رَقِـيـقِ ٱلـطُّـرَّتَـيْـنِ لَـحِـظْـتُـهُ إِذِ ٱلْـجَـوُّ خَـوَّارُ ٱلْـمَـصَـابِـيـحِ أَكْـهَـبُ
نَـظَـرْتُ وَأَلْـحَـاظُ ٱلـنُّـجُـومِ كَـلِـيـلَـةٌ وَهَـيْـهَـاتَ دُونَ ٱلْـبَـرْقِ شَـأْوٌ مُـغَـرِّبُ
فَـمَـا ٱللَّـيْـلُ إِلَّا فَـحْـمَـةٌ [مُـسْـتَـشَـفَّـةٌ] وَمَـا ٱلْـبَـرْقُ إِلَّا جَـمْـرَةٌ تَـتَـلَـهَّـبُ
أَمِـنْ بَـعْـدِ أَنْ جَـلَّـلْـتَـهَـا وَرَقَ ٱلـدُّجَـا سِـرَاعـاً وَأَغْـصَـانُ ٱلْأَزِمَّـةِ تُـجْـذَبُ
وَعَـدْنَـا بِـهَـا [مَـمْـعُـوطَـةً] بِـنُـسُـوعِـهَـا كَمَا صَافَحَ ٱلْأَرْضَ ٱلْغِرَاءُ ٱلْمُعَقِّبُ(١)
كَـأَنَّ تَـرَاجِـيـعَ ٱلْـحُـدَاةِ وَرَاءَهَـا صَـفِـيـرٌ تَـعَـاطَـاهُ ٱلْـيَـرَاعُ ٱلْـمُـثَـقَّـبُ
تَـهُـزُّ ظُـنُـونِـي فِـي ٱلْـمَـآرِبِ إِرْبَـةٌ وَيَجْنُبُ عَزْمِي فِي ٱلْمَطَالِبِ مَطْلَبُ

---

(١) في « ديوان الشريف الرضي » (١٠٩/١) (السراء المعبب) ، أراد شجراً طويلاً

وَرَدْنَا بِهَا مَاءَ ٱلظَّلامِ سَوَاغِباً   وَلِلَّيْلِ جَوٌّ بِٱلدَّرَارِيِّ مُعْشِبُ
تُنَفِّرُ ذَوْدَ ٱلطَّيْرِ عَنْ وَكَرَاتِهَا   وَكُلٌّ إِذَا لَاقَيْتَهُ مُتَغَرِّبُ
وَنَلْتَذُّ رَشْفَ ٱلْمَاءِ رَنْقاً كَأَنَّهُ   مَعَ ٱلْعِزِّ ثَغْرٌ بَارِدُ ٱلظَّلْمِ أَشْنَبُ
أَذَعْنَا لَهَا سِرَّ ٱلْكَرَىٰ مِنْ عُيُونِنَا   وَسِرُّ ٱلْعُلَا بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ يَحْجُبُ
حَرَامٌ عَلَى ٱلْمَجْدِ ٱبْتِسَامِي لِقُرْبِهِ   وَمَا هَزَّنِي فِيهِ ٱلْعَنَاءُ ٱلْمُقَطِّبُ
وَدَهْمَاءَ مِنْ لَيْلِ ٱلتِّمَامِ قَطَعْتُهَا   أُغَنِّي حُدَاءً وَٱلْمَرَاسِيلُ تَطْرَبُ
وَلَوْ شِئْتُ غَنَّتْنِي [ٱلْحَمَامُ] عَشِيَّةً   وَلَٰكِنَّنِي مِنْ مَاءِ عَيْنَيَّ أَشْرَبُ
أَقُولُ إِذَا خَاضَ ٱلسَّمِيرَانِ فِي ٱلدُّجَا   أَحَادِيثَ تَبْدُو طَالِعَاتٍ وَتَغْرُبُ
أَلَا غَنِّيَانِي بِٱلْحَدِيثِ فَإِنَّنِي   رَأَيْتُ أَلَذَّ ٱلْقَوْلِ مَا كَانَ يُطْرِبُ
غِنَاءً إِذَا خَاضَ ٱلْمَسَامِعَ لَمْ يَكُنْ   أَمِيناً عَلَىٰ جِلْبَابِهِ ٱلْمُتَجَلْبِبُ
وَنَشْوَانَ مِنْ [خَمْرِ] ٱلنُّعَاسِ ذَعَرْتُهُ   وَطَيْفُ ٱلْكَرَىٰ فِي ٱلْعَيْنِ يَطْفُو وَيَرْسُبُ
لَهُ مُقْلَةٌ يَسْتَنْزِلُ ٱلنَّوْمَ جَفْنُهَا   إِلَيْهِ كَمَا ٱسْتَرْخَىٰ عَلَى ٱلنَّجْمِ هَيْدَبُ
سَرَيْتَ فِجَاجَ ٱلْأَرْضِ غُفْلاً وَمَعْلَماً   تَجِدُّ بِهَا أَيْدِي ٱلْمَطَايَا وَتَلْعَبُ
وَمَا شَهْوَتِي لَوْمُ ٱلرَّفِيقِ وَإِنَّمَا   كَمَا يَلْتَقِي فِي ٱلسَّيْرِ ظِلْفٌ وَمِخْلَبُ
عَجِبْتُ لِغَيْرِي كَيْفَ سَايَرَ نَجْمَهَا   وَسَيْرِيَ فِيهَا يَا بْنَةَ ٱلْقَوْمِ أَعْجَبُ
أَسِيرُ وَسَرْجِي بِٱلنِّجَادِ مُقَلَّدٌ   وَأَثْوِي وَبَيْتِي بِٱلْعَوَالِي مُطَنَّبُ
وَمَصْقُولَةِ ٱلْأَعْطَافِ فِي جَنَبَاتِهَا   مَرَاحٌ لِأَطْرَافِ ٱلرِّمَاحِ وَمَلْعَبُ
تَجُرُّ عَلَىٰ مَتْنِ ٱلطَّرِيقِ عَجَاجَةً   يُطَارِدُهَا قَرْنٌ مِنَ ٱلشَّمْسِ أَعْضَبُ
نَهَارٌ بِلَأْلَاءِ ٱلسُّيُوفِ مُفَضَّضٌ   وَجَوٌّ بِحَمْرَاءِ ٱلْأَنَابِيبِ مُذْهَبُ

تَرَى ٱلْيَوْمَ مُحْمَرَّ ٱلْحَوَاشِي كَأَنَّمَا عَلَى ٱلْجَوِّ غَرْبٌ مِنْ دَمٍ يَتَصَبَّبُ
صَدَمْنَا بِهَا ٱلْأَعْدَاءَ وَٱللَّيْلُ ضَارِبٌ بِأَرْوَاقِهِ جَوْنُ ٱلْمَلَاطَيْنِ أَخْطَبُ
أَخَذْنَا عَلَيْهِمْ بِٱلصَّوَارِمِ وَٱلْقَنَا وَرَاعِي نُجُومِ ٱللَّيْلِ حَيْرَانُ مُغْرِبُ
يُرَاعُونَ أَسْفَارَ ٱلصَّبَاحِ وَإِنَّمَا وَرَاءَ لِثَامِ ٱللَّيْلِ يَوْمٌ عَصَبْصَبُ
وَكُلُّ ثَقِيلِ ٱلصَّدْرِ مِنْ حَلَبِ[1] ٱلْقَنَا خَفِيفِ ٱلشَّوَىٰ وَٱلْمَوْتُ عَجْلَانُ مُقْرِبُ
يَجُمُّ إِذَا مَا ٱسْتَرْعَفَ ٱلْكَرُّ جَهْدَهُ كَمَا جَمَّتِ ٱلْغُدْرَانُ وَٱلْمَاءُ يَنْضُبُ
وَمَا ٱلْخَيْلُ إِلَّا كَٱلْقِدَاحِ يُجِيلُهَا لِغُنْمٍ فَإِمَّا فَائِزٌ أَوْ مُخَيَّبُ
دَعُوا شَرَفَ [ٱلْأَحْسَابِ] يَا آلَ ظَالِمٍ فَلَا ٱلْمَاءُ مَوْرُودٌ وَلَا ٱلتُّرْبُ طَيِّبُ
لَئِنْ كُنْتُمُ فِي آلِ فِهْرٍ كَوَاكِباً إِذَا غَاضَ مِنْهَا كَوْكَبٌ فَاضَ كَوْكَبُ
فَنَعْتِي كَنَعْتِ ٱلْبَدْرِ يُنْسَبُ بَيْنَكُمْ جَهَاراً وَمَا كُلُّ ٱلْكَوَاكِبِ تُنْسَبُ
صَحِبْتُمْ خِضَابَ ٱلزَّاعِبِيَّاتِ نَاصِلاً وَمِنْ عَلَقِ [ٱلْأَقْرَانِ] مَا لَا يُخَضِّبُ
أُهَذِّبُ فِي مَدْحِ ٱللِّئَامِ خَوَاطِرِي فَأَصْدُقُ فِي حُسْنِ ٱلْمَعَانِي وَأَكْذِبُ
وَمَا ٱلْمَدْحُ إِلَّا فِي ٱلنَّبِيِّ وَآلِهِ يُرَامُ وَبَعْضُ ٱلْقَوْلِ مَا يُتَجَنَّبُ
وَأُولِي بِمَدْحِي مَنْ أُعِزُّ بِفَخْرِهِ وَلَا يَشْكُرُ ٱلنَّعْمَاءَ إِلَّا ٱلْمُهَذَّبُ
أَرَى ٱلشِّعْرَ فِيهِمْ بَاقِياً وَكَأَنَّمَا تُحَلِّقُ بِٱلْأَشْعَارِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ
وَقَالُوا عَجِيبٌ عُجْبُ مِثْلِي بِنَفْسِهِ وَأَيْنَ عَلَى ٱلْأَيَّامِ مِثْلُ أَبِي أَبُ
لَعَمْرُكَ مَا أُعْجِبْتُ إِلَّا بِمَدْحِهِمْ وَيَحْسَبُ أَنِّي بِٱلْقَصَائِدِ مُعْجَبُ
أُعِدُّ لِفَخْرِي فِي ٱلْمَقَامِ مُحَمَّداً وَأَدْعُو عَلِيّاً لِلْعُلَا حِينَ أَرْكَبُ

---

(١) في « ديوان الشريف الرضي » (١١١/١) (جلب)

[محاكاةُ الأميرِ الباروديِّ للشريفِ الرضيِّ في قصيدتهِ]

فقالَ وترجمَ لها بقولِهِ وقالَ بروضِ القولِ علىٰ رويِّ قصيدةِ الشريفِ (١)

[من الطويل]

سِوَايَ بِتَحْنَانِ ٱلْأَغَارِيدِ يَطْرَبُ ... وَغَيْرِيَ بِٱللَّذَّاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ ٱلْخَمْرُ لُبَّهُ ... وَيَمْلِكُ سَمْعَيْهِ ٱلْيَرَاعُ ٱلْمُثَقَّبُ
وَلَكِنْ أَخُو هَمٍّ إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ ... بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ ٱلْعُلَا رَاحَ يَدْأَبُ
نَفَى ٱلنَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ ... لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ مَطْلَبُ
بَعِيدُ مَنَاطِ ٱلْهَمِّ فَٱلْغَرْبُ مَشْرِقٌ ... إِذَا مَا رَمَىٰ عَيْنَيْهِ وَٱلشَّرْقُ مَغْرِبُ
لَهُ غُدُوَاتٌ يَتْبَعُ ٱلْوَحْشُ ظِلَّهَا ... وَتَغْدُو عَلَىٰ آثَارِهَا [ٱلطَّيْرُ] تَنْعَبُ
هَمَامَةُ نَفْسٍ أَصْغَرَتْ كُلَّ مَأْرَبٍ ... فَكَلَّفَتِ ٱلْأَيَّامَ مَا لَيْسَ يُوهَبُ
وَمَنْ تَكُنِ ٱلْعَلْيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ ... فَكُلُّ ٱلَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ ٱلْمَكَارِمَ حَقَّهَا ... فَلَا عَزَّنِي خَالٌ وَلَا ضَمَّنِي أَبُ
وَلَا حَمَلَتْ دِرْعِي كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ ... وَلَا دَارَ فِي كَفِّي سِنَانٌ مُذَرَّبُ
خُلِقْتُ عَيُوفاً لَا أَرَىٰ لِٱبْنِ حُرَّةٍ ... لَدَيَّ يَداً أُغْضِي لَهَا حِينَ يَغْضَبُ
فَلَسْتُ لِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقِّعاً ... وَلَسْتُ عَلَىٰ شَيْءٍ مَضَىٰ أَتَعَتَّبُ
أَسِيرُ عَلَىٰ نَهْجٍ يَرَى ٱلنَّاسُ غَيْرَهُ ... لِكُلِّ ٱمْرِئٍ فِيمَا يُحَاوِلُ مَذْهَبُ
وَإِنِّي إِذَا مَا ٱلشَّكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ ... وَأَمْسَتْ بِهِ ٱلْأَحْلَامُ حَيْرَىٰ تَشَعَّبُ
صَدَعْتُ حِفَافَيْ طُرَّتَيْهِ بِكَوْكَبٍ ... مِنَ ٱلرَّأْيِ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ ٱلْمُغَيَّبُ

---

(١) أراد الأمير البارودي في « ديوانه » (١/٣٨ ـ ٤٤)

وَبَحْرٍ مِنَ ٱلْهَيْجَاءِ خُضْتُ عَجَاجَهُ وَلَا عَاصِمٌ إِلَّا ٱلصَّفِيحُ ٱلْمُشَطَّبُ
تَظَلُّ بِهِ حُمْرُ ٱلْمَنَايَا وَسُودُهَا حَوَاسِرُ فِي أَلْوَانِهَا تَتَقَلَّبُ
تَوَسَّطْتُهُ وَٱلْخَيْلُ بِٱلْخَيْلِ تَلْتَقِي وَبِيضُ ٱلظُّبَا فِي ٱلْهَامِ تَبْدُو وَتَغْرُبُ
فَمَا زِلْتُ حَتَّىٰ بَيَّنَ ٱلْكَرُّ مَوْقِفِي لَدَىٰ سَاعَةٍ فِيهَا ٱلْعُقُولُ تُغَيَّبُ
لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّىٰ أَتَى ٱللَّيْلُ وَٱلتُّقَىٰ عَلَىٰ غَيْهَبٍ مِنْ سَاطِعِ ٱلنَّقْعِ غَيْهَبُ
كَذَٰلِكَ دَأْبِي فِي ٱلْمِرَاسِ وَإِنَّنِي لَأَمْرَحُ فِي غَيِّ ٱلتَّصَابِي وَأَلْعَبُ
وَفِتْيَانِ لَهْوٍ قَدْ دَعَوْتُ وَلِلْكَرَىٰ خِبَاءٌ بِأَهْدَابِ ٱلْجُفُونِ مُطَنَّبُ
إِلَىٰ مَرْبَعٍ يَجْرِي ٱلنَّسِيمُ خِلَالَهُ بِنَشْرِ ٱلْخُزَامَىٰ وَٱلنَّدَىٰ يَتَصَبَّبُ
فَلَمْ يَمْضِ أَنْ جَاؤُوا مُلَبِّينَ دَعْوَتِي سِرَاعاً كَمَا وَافَىٰ عَلَى ٱلْمَاءِ رَبْرَبُ
بِخَيْلٍ [كَآرَامِ] ٱلصَّرِيمِ وَرَاءَهَا ضَوَارِي سَلُوقٍ عَاطِلٌ وَمُلَبَّبُ
مِنَ ٱللَّاءِ لَا يَأْكُلْنَ زَاداً سِوَى ٱلَّذِي يُضَرِّسْنَهُ وَٱلصَّيْدُ أَشْهَىٰ وَأَعْذَبُ
تَرَىٰ كُلَّ مُخْمَرِّ ٱلْحَمَالِيقِ فَاغِرٍ إِلَى ٱلْوَحْشِ لَا يَأْلُو وَلَا يَتَنَصَّبُ
يَكَادُ يَفُوقُ ٱلْبَرْقَ شَدّاً إِذَا ٱنْبَرَتْ لَهُ بِنْتُ مَاءٍ أَوْ تَعَرَّض ثَعْلَبُ
فَمِلْنَا إِلَىٰ وَادٍ كَأَنَّ تِلَاعَهُ مِنَ ٱلْعَصْبِ مَوْشِيُّ ٱلْحَبَائِكِ مُذْهَبُ
تُرَاحُ بِهِ ٱلْآمَالُ بَعْدَ كَلَالِهَا وَيَصْبُو إِلَيْهِ ذُو ٱلْحِجَا وَهْوَ أَشْيَبُ
فَبَيْنَا نَرُودُ ٱلْأَرْض بِٱلْعَيْنِ إِذْ رَأَىٰ رَبِيئَتُنَا سِرْباً فَقَالَ أَلَا ٱرْكَبُوا
فَقُمْنَا إِلَىٰ خَيْلٍ كَأَنَّ مُتُونَهَا مِنَ ٱلضُّمْرِ خُوطُ ٱلضَّيْمَرَانِ ٱلْمُشَذَّبُ
فَلَمَّا ٱنْتَهَيْنَا حَيْثُ أَخْبَرَ أُطْلِقَتْ بُزَاةٌ وَجَالَتْ فِي ٱلْمَقَاوِدِ أَكْلُبُ
فَمَا كَانَ إِلَّا لَفْتَةُ ٱلْجِيدِ أَنْ [غَلَتْ] قُدُورٌ وَفَارَ ٱللَّحْمُ وَٱنْفَضَّ مَأْرَبُ

وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدِرْهَا فَإِنَّمَا قُصَارَىٰ بَنِي ٱلْأَيَّامِ أَنْ يَتَشَعَّبُوا
فَقَامَ إِلَىٰ رَاقُودِ خَمْرٍ كَأَنَّهُ إِذَا ٱسْتَقْبَلَتْهُ ٱلْعَيْنُ أَسْوَدُ مُغْضَبُ
يَمُجُّ سُلَافاً فِي إِنَاءٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا ٱسْتَقَلَّتْهُ ٱلْأَنَامِلُ كَوْكَبُ
فَلَمْ نَأْلُ أَنْ دَارَتْ بِنَا ٱلْأَرْضُ دَوْرَةً وَحَتَّىٰ رَأَيْنَا ٱلْأُفْقَ يَنْأَىٰ وَيَقْرُبُ
إِلَىٰ أَنْ تَوَلَّى ٱلْيَوْمُ إِلَّا أَقَلَّهُ وَقَدْ كَادَتِ ٱلشَّمْسُ ٱلْمُنِيرَةُ تَغْرُبُ
فَرُحْنَا نَجُرُّ ٱلذَّيْلَ تِيهاً لِمَنْزِلٍ بِهِ لِأَخِي ٱللَّذَّاتِ وَٱللَّهْوِ مَلْعَبُ
مَسَارِحُ سِكِّيرٍ وَمَرْبَضُ فَاتِكٍ وَمَخْدَعُ أَكْوَابٍ بِهِ ٱلْخَمْرُ تُسْكَبُ
فَلَمَّا رَآنَا صَاحِبُ ٱلدَّارِ أَشْرَقَتْ أَسَارِيرُهُ زَهْواً وَجَاءَ يُرَحِّبُ
وَقَالَ ٱنْزِلُوا يَا بَارَكَ ٱللهُ فِيكُمُ فَعِنْدِي لَكُمْ مَا تَشْتَهُونَ وَأَطْيَبُ
وَرَاحَ إِلَىٰ دَنٍّ تَكَامَلَ سِنُّهُ وَشَيَّبَ فَوْدَيْهِ مِنَ ٱلدَّهْرِ أَحْقُبُ
فَمَا زَالَ حَتَّى ٱسْتَلَّ مِنْهُ سَبِيكَةً مِنَ ٱلْخَمْرِ تَطْفُو فِي ٱلْإِنَاءِ وَتَرْسُبُ
يَحُومُ عَلَيْهَا ٱلطَّيْرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَيَسْرِي عَلَيْهَا ٱلطَّارِقُ ٱلْمُتَأَوِّبُ
فَيَا حُسْنَ ذَاكَ ٱلْيَوْمِ لَوْ كَانَ بَاقِياً وَيَا طِيبَ هَٰذَا ٱللَّيْلِ لَوْ دَامَ طَيِّبُ
يَوَدُّ ٱلْفَتَىٰ مَا لَا يَكُونُ طَمَاعَةً وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱلدَّهْرَ بِٱلنَّاسِ قُلَّبُ
وَلَوْ عَلِمَ ٱلْإِنْسَانُ مَا فِيهِ نَفْعُهُ لَأَبْصَرَ مَا يَأْتِي وَمَا يَتَجَنَّبُ
وَلَٰكِنَّهَا ٱلْأَقْدَارُ تَجْرِي بِحُكْمِهَا عَلَيْنَا وَأَمْرُ ٱلْغَيْبِ سِرٌّ مُحَجَّبُ
نَظُنُّ بِأَنَّا قَادِرُونَ وَأَنَّنَا نُقَادُ كَمَا قِيدَ ٱلْجَنِيبُ وَنُصْحَبُ
فَرَحْمَةُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ عَلَى ٱمْرِئٍ أَصَابَ هَوَاهُ أَوْ دَرَىٰ كَيْفَ يَذْهَبُ

يقولُ الشريفُ في مطلعِ قصيدتِهِ والذي يليهِ طلبُ الإنسانِ ما أحبَّ مِنْ

أعلى الرتبِ وأرفعِ الأحوالِ طلبٌ حقٌّ أو فضيلةٌ ، وذٰلكَ مرضيٌّ للهِ ، مندوبٌ إليهِ ، ليسَ للناسِ فيهِ موضعُ عذلٍ أو تأنيبٍ ، بخلافِ غيرِهِ مِنَ الطَّلبِ ؛ فإنَّهُ يُوجِبُ سخطَ اللهِ ، فلا يُعذَرُ صاحبُهُ ، وإذاً يجدُ الناسُ موضعاً للعذلِ والتأنيبِ ؛ وهوَ التعنيفُ

أو معنى البيتِ الثاني إذا لم تكتفِ باللهِ عاذراً فلا تأملْهُ في الناسِ ؛ فإنَّما هُم بينَ عاذلٍ أو مُؤنِّبٍ ، ويكونُ شكايةً مِنْ قلَّةِ الإنصافِ

وفي قولِهِ وقد شرعَ في ذكرِ فضائلِهِ (ملكتُ بحلمي) بديعُ التجريدِ ، واستعمالُ حرفينِ مِنْ أحرفِهِ (الباءِ) و(مِنْ) ، فالحلمُ هوَ الفُرْصةُ ، والدَّهرُ هوَ مفتولُ الذراعَينِ الأغلبُ ، وتلكَ صفةُ الأسدِ ؛ أي مندمجُ الذراعَينِ ، غليظُ العنقِ ، وهوَ تصويرُ الموهومِ بالمحسوسِ ، **وحاصلُ المعنىٰ** أنَّ شدائدَ الدَّهرِ لا تذهبُ بحلمِهِ

ثمَّ قالَ فيما بعدُ إنَّهُ علىٰ صغرِ سنِّهِ كبيرُ الهِمَّةِ ، واسترسلَ في ذكرِ مناقبِ نفسِهِ حتىٰ أتمَّ الفصلَ ، ثمَّ خاطبَ صاحبَهُ ، ثمَّ طلبَ السُّقيا ؛ الأرضُ أعطشَتْ وسُقِيَ غيرُها ، وتَأسَّفَ عليها ، وأتبعَ ذٰلكَ بذكرِ برقٍ لحظَهُ ، ثمَّ ذكرَ طلباً وإخفاقاً في قولِهِ (أمِنْ بعدِ أن جلَّلتَها) ، ثمَّ وصفَ ليلةً سارَها في قولِهِ ([ودهماءَ] من ليلِ التِّمامِ) ، والتِّمامُ فيهِ بكسرِ التاءِ ؛ وهوَ التَّمامُ بفتحِها ، ولٰكنَّ اللغةَ استعملَتْهُ في هٰذا الموضعِ بالكسرِ ؛ أي مِنْ أطولِ الليالي

ثمَّ وصفَ خيلاً قصدَ بها الأعداءَ في قولِهِ (ومصقولةِ الأعطافِ) ، ثمَّ هجا ومدحَ في قولِهِ (دعوا شرفَ الأحسابِ) إلىٰ آخِرِهِ ، وقولُهُ (ممعوطةً بنُسُوعِها) أي أزالَتِ النُّسوعَ ، وهيَ السُّيورُ المجدولةُ عريضةٌ شَعَرُها لطولِ حكِّها ، فهوَ يصفُها بالتأثُّرِ وما أدركَها مِنْ نَصَبِ السفرِ ،

والمعطُ فيهِ بالعينِ ، وأمَّا **المغطُ** ـ بالغينِ ـ فهوَ أن تَمُدَّ الشيءَ تستطيلُهُ ، وهوَ المذكورُ في قولِ المتنبي (١) [من الكامل]

أَنْسَاعُهَا مَمْغُوطَةٌ وَخِفَافُهَا مَنْكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ

يصفُ المتنبي إبلَهُ بالهزالِ ، وأنَّ نسوعَها فضلَتْ عنها ، **والتعقيبُ** تكرارُ الغزوِ في سنةٍ واحدةٍ ، والتردُّدُ في طلبِ المجدِ ، **والأخطبُ** مِنَ الخُطْبةِ ؛ وهوَ لونٌ كَدِرٌ مشربٌ حمرةً في صفرةٍ ، أو غبرةٌ ترهقُها خضرةٌ ، **والزاعبياتُ** ـ بالعينِ ـ **الرماحُ** نُسِبَتْ إلىٰ بلدٍ

فانظرْ ـ هداكَ اللهُ ـ بنورِ البصيرةِ إلىٰ هاتَينِ القصيدتَينِ تَجِدْهُما قد ابتدرَتا في البلاغةِ وحسنِ السياقِ غايةً بلغتاها معاً ، وذٰلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ

ومطلعُ الثانيةِ وإن كانَ مُولَّداً مِنْ مطلعِ الأُولىٰ فهوَ أنورُ ؛ كما قيلَ (٢) [من البسيط]

وَإِنَّ فِي ٱلْخَمْرِ مَعْنىً لَيْسَ فِي ٱلْعِنَبِ

وقولُهُ بعدَهُ (وما أنا ممَّنْ تأسرُ الخمرُ) يريدُ أنَّ الهَزْلَ لا يشغلُهُ عنِ الجدِّ ، ولا يَمنعُهُ الترفُ والنعيمُ عن مباشرةِ الشدائدِ في طلبِ المجدِ



---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٤)

(٢) هو للمتنبي في « ديوانه » (ص ٣٢٨) ، والبيت بتمامه

وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ ٱلْغَلْبَاءُ عُنْصُرَهَا فَإِنَّ فِي ٱلْخَمْرِ مَعْنىً لَيْسَ فِي ٱلْعِنَبِ

[قصيدةُ أبي فراسٍ الحمدانيِّ يشتكي فيها إلىٰ سيفِ الدولةِ]

وقالَ أبو فراسٍ الحارثُ بنُ سعيدٍ عمّ سيفِ الدولةِ عليّ بنِ حمدانَ ، وكانَ يَتولَّىٰ لهُ رياسةَ الجُيوشِ ، فاتفقَ أن أسرَتْهُ الرومُ في بعضِ غزواتِهِ ، وبقيَ هنالِكَ مُدَّةً ، وكانَ يكتبُ لابنِ عمّهِ قصائدَ يَعتذِرُ فيها مِنَ الأسرِ ، ويشتكي شِدَّةَ الحالِ ، ويطلبُ الفداءَ ، وسُمّيَتْ تلكَ القصائدُ لذٰلكَ بالرُّومياتِ ، وهٰذهِ القصيدةُ إحداها[1] [من الطويل]

أَرَاكَ عَصِيَّ ٱلدَّمْعِ شِيمَتُكَ ٱلصَّبْرُ ... أَمَا لِلْهَوَىٰ نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ
بَلَىٰ أَنَا مُشْتَاقٌ وَعِنْدِيَ لَوْعَةٌ ... وَلٰكِنَّ مِثْلِي لَا يُذَاعُ لَهُ سِرُّ
إِذَا ٱللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ ٱلْهَوَىٰ ... وَأَذْلَلْتُ دَمْعاً مِنْ خَلَائِقِهِ ٱلْكِبْرُ
تَكَادُ تُضِيءُ ٱلنَّارُ بَيْنَ جَوَانِحِي ... إِذَا هِيَ أَذْكَتْهَا ٱلصَّبَابَةُ وَٱلْفِكْرُ
مُعَلِّلَتِي بِٱلْوَعْدِ وَٱلْمَوْتُ دُونَهُ ... إِذَا مِتُّ ظَمْآناً فَلَا نَزَلَ ٱلْقَطْرُ
بَدَوْتُ وَأَهْلِي حَاضِرُونَ لِأَنَّنِي ... أَرَىٰ أَنَّ دَاراً لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا قَفْرُ
وَحَارَبْتُ قَوْمِي فِي هَوَاكِ وَإِنَّهُمْ ... وَإِيَّايَ لَوْلَا حُبُّكِ ٱلْمَاءُ وَٱلْخَمْرُ
وَإِنْ كَانَ مَا قَالَ ٱلْوُشَاةُ وَلَمْ يَكُنْ ... فَقَدْ يَهْدِمُ ٱلْإِيمَانَ مَا شَيَّدَ ٱلْكُفْرُ
وَفَيْتُ وَفِي بَعْضِ ٱلْوَفَاءِ مَذَلَّةٌ ... لِإِنْسَانَةٍ فِي ٱلْحَيِّ شِيمَتُهَا ٱلْغَدْرُ
وَقُورٌ وَرَيْعَانُ ٱلصِّبَا يَسْتَفِزُّهَا ... فَتَأْرَنُ أَحْيَاناً كَمَا أَرِنَ ٱلْمُهْرُ
تُسَائِلُنِي مَنْ أَنْتَ وَهْيَ عَلِيمَةٌ ... وَهَلْ بِفَتىً مِثْلِي عَلَىٰ حَالَةٍ نُكْرُ
فَقُلْتُ كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ لَهَا ٱلْهَوَىٰ ... قَتِيلُكِ قَالَتْ أَيُّهُمْ فَهُمْ كُثْرُ

---

(١) انظر « ديوان أبي فراس الحمداني » (ص ١٢٦ ـ ١٣٠)

فَقُلْتُ لَهَا لَوْ شِئْتِ لَمْ تَتَعَنَّتِي ... وَلَمْ تَسْأَلِي عَنِّي وَعِنْدَكِ بِي خُبْرُ
وَلَا كَانَ لِلْأَحْزَانِ لَوْلَاكِ مَسْلَكٌ ... إِلَى ٱلْقَلْبِ لَكِنَّ ٱلْهَوَىٰ لِلْبِلَىٰ جِسْرُ
فَأَيْقَنْتُ أَنْ لَا عِزَّ بَعْدِي لِعَاشِقٍ ... وَأَنَّ يَدِي مِمَّا عَلِقْتُ بِهِ صِفْرُ
فَقَالَتْ لَقَدْ أَزْرَىٰ بِكَ ٱلدَّهْرُ بَعْدَنَا ... فَقُلْتُ مَعَاذَ ٱللهِ بَلْ أَنْتِ وَٱلدَّهْرُ
وَقَلَّبْتُ أَمْرِي لَا أَرَىٰ لِيَ رَاحَةً ... إِذَا ٱلْبَيْنُ أَنْسَانِي أَلَحَّ بِيَ ٱلْهَجْرُ
فَعُدْتُ إِلَىٰ حُكْمِ ٱلزَّمَانِ وَحُكْمِهَا ... لَهَا ٱلذَّنْبُ لَا تُجْزِي بِهِ وَلِيَ ٱلْعُذْرُ
تَجَفَّلُ حِيناً ثُمَّ تَدْنُو وَإِنَّمَا ... تُرَاعِي طَلاً بِٱلْوَادِ أَعْجَزَهُ ٱلْحُضْرُ
وَإِنِّي لَنَزَّالٌ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ ... كَثِيرٌ إِلَىٰ نُزَّالِهَا ٱلنَّظَرُ [ٱلشَّزْرُ]
وَإِنِّي لَجَرَّارٌ لِكُلِّ كَتِيبَةٍ ... مُعَوَّدَةٍ أَلَّا يُخِلَّ بِهَا ٱلنَّصْرُ
فَأَصْدَىٰ إِلَىٰ أَنْ تَرْتَوِي ٱلْأَرْضُ وَٱلْقَنَا ... وَأَسْغَبُ حَتَّىٰ يَشْبَعَ ٱلذِّئْبُ وَٱلنَّسْرُ
وَلَا أُصْبِحُ ٱلْحَيَّ ٱلْغَيُورَ لِغَادَةٍ (١) ... وَلَا ٱلْجَيْشَ مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِيَ ٱلنُّذْرُ
وَيَا رُبَّ دَارٍ لَمْ تُخِفْنِي مَنِيعَةٍ ... طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِٱلرَّدَىٰ أَنَا وَٱلْفَجْرُ
وَسَاحِبَةِ ٱلْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقِيتُهَا ... فَلَمْ يَلْقَهَا جَافِي ٱللِّقَاءِ وَلَا وَعْرُ
وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ ٱلْجَيْشُ كُلَّهُ ... وَرُحْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لِأَبْيَاتِهَا سِتْرُ
وَلَا رَاحَ يُطْغِينِي بِأَثْوَابِهِ ٱلْغِنَىٰ ... وَلَا بَاتَ يَثْنِينِي عَنِ ٱلْكَرَمِ ٱلْفَقْرُ
وَمَا حَاجَتِي فِي ٱلْمَالِ أَبْغِي وُفُورَهُ ... إِذَا لَمْ أَفِرْ عِرْضِي فَلَا وَفَرَ ٱلْوَفْرُ
أُسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعَزْلٍ لَدَى ٱلْوَغَىٰ ... وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رَبُّهُ غَمْرُ
وَلَٰكِنْ إِذَا حُمَّ ٱلْقَضَاءُ عَلَى ٱمْرِئٍ ... فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرُ

(١) في « ديوان أبي فراس الحمداني » (ص ١٢٨) (الحي الخلوف بغارة)

وَقَالَ أُصَيْحَابِي ٱلْفِرَارَ أَوِ ٱلرَّدَىٰ ... فَقُلْتُ هُمَا أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مُرُّ
وَلَـٰكِنَّنِي أَمْضِي لِمَا لَا يَعِيبُنِي ... وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا ٱلْأَسْرُ
وَلَا خَيْرَ فِي دَفْعِ ٱلرَّدَىٰ بِمَذَلَّةٍ ... كَمَا رَدَّهَا يَوْماً بِسَوْءَتِهِ عَمْرُو
يَمُنُّونَ أَنْ خَلَّوْا ثِيَابِي وَإِنَّمَا ... عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمُ حُمْرُ
وَقَائِمُ سَيْفٍ فِيهِمُ دَقَّ نَصْلُهُ ... وَأَعْقَابُ رُمْحٍ فِيهِمُ حُطِّمَ ٱلصَّدْرُ
سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جِدَّ جِدُّهُمْ ... وَفِي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ ٱلْبَدْرُ
وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ ٱكْتَفَوْا بِهِ ... وَمَا كَانَ يُغْنِي ٱلتِّبْرُ لَوْ نَفَقَ ٱلصُّفْرُ
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لَا تَوَسُّطَ بَيْنَنَا ... لَنَا ٱلصَّدْرُ دُونَ ٱلْعَالَمِينَ أَوِ ٱلْقَبْرُ
تَهُونُ عَلَيْنَا فِي ٱلْمَعَالِي نُفُوسُنَا ... وَمَنْ خَطَبَ ٱلْحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا مَهْرُ
أَعَزُّ بَنِي ٱلدُّنْيَا وَأَعْلَىٰ ذَوِي ٱلْعُلَا ... وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ ٱلتُّرَابِ وَلَا فَخْرُ

[محاكاةُ الأميرِ الباروديِّ لأبي فراسٍ الحمدانيِّ في قصيدتِهِ]

فقالَ في الوزنِ والرويِّ (١) [من الطويل]

طَرِبْتُ وَعَادَتْنِي ٱلْمَخِيلَةُ وَٱلسُّكْرُ ... وَأَصْبَحْتُ لَا يُلْوِي بِشِيمَتِيَ ٱلزَّجْرُ
كَأَنِّيَ مَخْمُورٌ سَرَتْ بِلِسَانِهِ ... مُعَتَّقَةٌ مِمَّا يَضَنُّ بِهَا ٱلتَّجْرُ
صَرِيعُ هَوىً يُلْوِي بِيَ ٱلشَّوْقُ كُلَّمَا ... تَلَأْلَأَ بَرْقٌ أَوْ سَرَتْ دِيمَةٌ غُزْرُ
إِذَا مَالَ مِيزَانُ ٱلنَّهَارِ رَأَيْتُنِي ... عَلَىٰ حَسَرَاتٍ لَا يُقَاوِمُهَا صَبْرُ
يَقُولُ أُنَاسٌ إِنَّهُ ٱلسِّحْرُ ضَلَّةً ... وَمَا هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ دُونَهَا ٱلسِّحْرُ
فَكَيْفَ يَعِيبُ ٱلنَّاسُ أَمْرِي وَلَيْسَ لِي ... وَلَا لِٱمْرِئٍ فِي ٱلْحُبِّ نَهْيٌ وَلَا أَمْرُ

---

(١) أي الأمير البارودي في « ديوانه » (٢/٤٠ ـ ٤٦)

وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ دِفَاعُهُ لَأَلْوَتْ بِهِ ٱلْبِيضُ ٱلْمَبَاتِيرُ وَٱلسُّمْرُ
وَلَٰكِنَّهُ ٱلْحُبُّ ٱلَّذِي لَوْ تَعَلَّقَتْ شَرَارَتُهُ بِٱلْجَمْرِ لَٱحْتَرَقَ ٱلْجَمْرُ
عَلَىٰ أَنَّنِي كَاتَمْتُ صَدْرِيَ حُرْقَةً مِنَ ٱلْوَجْدِ لَا يَقْوَىٰ عَلَىٰ مَسِّهَا صَدْرُ
وَكَفْكَفْتُ دَمْعاً لَوْ أَسَلْتُ شُؤُونَهُ عَلَى ٱلْأَرْضِ مَا شَكَّ ٱمْرُؤٌ أَنَّهُ ٱلْبَحْرُ
حَيَاءً وَكِبْراً أَنْ يُقَالَ تَرَجَّحَتْ بِهِ صَبْوَةٌ أَوْ فَلَّ مِنْ غَرْبِهِ ٱلْهَجْرُ
وَإِنِّي ٱمْرُؤٌ لَوْلَا ٱلْعَوَائِقُ أَذْعَنَتْ لِسُلْطَانِهِ ٱلْبَدْوُ ٱلْمُغِيرَةُ وَٱلْحَضْرُ
مِنَ ٱلنَّفَرِ ٱلْغُرِّ ٱلَّذِينَ سُيُوفُهُمْ لَهَا فِي حَوَاشِي كُلِّ دَاجِيَةٍ فَجْرُ
إِذَا ٱسْتَلَّ مِنْهُمْ سَيِّدٌ غَرْبَ سَيْفِهِ تَفَزَّعَتِ ٱلْأَفْلَاكُ وَٱلْتَفَتَ ٱلدَّهْرُ
لَهُمْ عُمُدٌ مَرْفُوعَةٌ وَمَعَاقِلٌ وَأَلْوِيَةٌ حُمْرٌ وَأَفْنِيَةٌ خُضْرُ
وَنَارٌ لَهَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ لِمُدَّرِعِ ٱلظَّلْمَاءِ أَلْسِنَةٌ حُمْرُ
تَمُدُّ يَداً نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ خَضِيبَةً تُصَافِحُهَا ٱلشِّعْرَىٰ وَيَلْثُمُهَا ٱلْغَفْرُ
وَخَيْلٌ يَرُجُّ ٱلْخَافِقَيْنِ صَهِيلُهَا نَزَائِعُ مَعْقُودٌ بِأَعْرَافِهَا ٱلنَّصْرُ
مُعَوَّدَةٌ قَطْعَ ٱلْفَيَافِي كَأَنَّهَا خُدَارِيَّةٌ فَتْخَاءُ لَيْسَ لَهَا وَكْرُ
أَقَامُوا زَمَاناً ثُمَّ بَدَّدَ شَمْلَهُمْ أَخُو فَتَكَاتٍ بِٱلْكِرَامِ ٱسْمُهُ ٱلدَّهْرُ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ آثَارِ نِعْمَةٍ تَضُوعُ بِرَيَّاهَا ٱلْأَحَادِيثُ وَٱلذِّكْرُ
وَقَدْ تَنْطِقُ ٱلْآثَارُ وَهْيَ صَوَامِتٌ وَيُثْنِي بِرَيَّاهُ عَلَى ٱلْوَابِلِ ٱلزَّهْرُ
لَعَمْرُكَ مَا حَيٌّ وَإِنْ طَالَ سَيْرُهُ يُعَدُّ طَلِيقاً وَٱلْمَنُونُ لَهُ أَسْرُ
وَمَا هَٰذِهِ ٱلْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلٌ يَحُلُّ بِهَا سَفْرٌ وَيَتْرُكُهَا سَفْرُ
فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلْمَرْءَ فِيهَا بِخَالِدٍ وَلَٰكِنَّهُ يَسْعَىٰ وَغَايَتُهُ ٱلْعُمْرُ

أقولُ مَنْ آتاهُ اللهُ فهماً ، وتأمَّلَ مثلَ هٰذا الشعرِ الذي هوَ مِنَ البلاغةِ في أرفعِ رتبِها عرفَ كيفَ تَتفاضلُ العقولُ ، وأنَّ اللهَ يَختصُّ مَنْ شاءَ بما شاءَ

هٰذا مطلعُ قصيدةِ أبي فراسٍ ؛ هل تجدُ أصدقَ شاهدٍ منهُ في بابِ براعتَيِ المطلعِ والاستهلالِ ؟! فإنَّهُ أخبرَ فيهِ علىٰ أنَّهُ سلكَ بهِ مسلكَ الغزلِ أنَّهُ في حالةٍ تقتضي البكاءَ والجزعَ ، وأيُّ حالةٍ أشدُّ اقتضاءً لهُما مِنْ كونِهِ أسيراً في يدِ أعداءِ دينِهِ ودنياهُ ، ممنوعاً مِنَ الوصولِ إلىٰ هواهُ في أرضِ عِزِّهِ ودارِ سلطانِهِ

وبعدَ أن تَتأمَّلَ المَطلعَ بذٰلكَ النظرِ تَتمشَّىٰ في تأمُّلِ ما اختارَ مِنْ عباراتِ الغزلِ ، فتجدُها بعينِها هيَ عباراتِ الشَّكوىٰ ؛ مِنْ بقائِهِ في الأسرِ ، وتأخُّرِ ابنِ عمِّهِ عنِ المسارعةِ إلىٰ فدائِهِ بعدَ وعدِهِ بذٰلكَ ، واستحقاقِهِ بعدَ ما ظهرَ مِنْ بلائِهِ ، وبذلِ مُهجتِهِ في خدمتِهِ وطاعةِ أمرِهِ ؛ ألَّا تلتفتَ العنايةُ إلَّا لتخليصِهِ وإبلاغِهِ أخرىٰ مناهُ ، ومعَ تأمُّلِ تلكَ المعالي تُحسِنُ اعتبارَ براعةِ تلكَ العباراتِ ، وما اشتملَتْ عليهِ مِنَ الكناياتِ والاستعاراتِ والإشاراتِ

فإذا فرغتَ مِنْ تأمُّلِها علىٰ ذٰلكَ الحدِّ مشيتَ بنورِ فكرِكَ في القصيدةِ الثانيةِ ؛ تعتبرُها بيتاً بيتاً ، وما أسكنَتْ مِنَ المعاني ، وبذٰلكَ تَحصُلُ على الغايةِ التي تسعىٰ إليها



[قصيدةُ النابغةِ الذُبيانيِّ]

وقالَ النابغةُ الذُّبيانيُّ ـ واسمُهُ زيادٌ ـ يصفُ المُتجرِّدةَ زوجَ النعمانِ بأمرِهِ ، ويُقالُ إنَّ النعمانَ معَ ذٰلكَ لمَّا سمعَ القصيدةَ غضبَ على النابغةِ وجفاهُ ، وظنَّ بهِ حتى اختفىٰ منهُ ، ثمَّ ظهرَتْ براءتُهُ لهُ ، وعادَ إلىٰ موضعِهِ مِنْ منادمتِهِ (١)

[من الكامل]

أَمِـنَ آلِ مَـيَّـةَ رَائِـحٌ أَوْ مُـغْـتَـدِ ... عَـجْـلَانَ ذَا زَادٍ وَغَـيْـرَ مُـزَوَّدِ
أَفِـدَ الـتَّـرَحُّـلُ غَـيْـرَ أَنَّ رِكَـابَـنَـا ... لَـمَّـا تَـزَلْ بِـرِحَـالِـنَـا وَكَـأَنْ قَـدِ
زَعَـمَ ٱلْـهُـمَـامُ بِـأَنَّ رِحْـلَـتَـنَـا غَـداً ... وَبِـذَاكَ خَـبَّـرَنَـا ٱلْـغُـدَافُ ٱلْأَسْـوَدُ

سبقَ أنَّهُ غيَّرَهُ (وبذاكَ تَنعابُ الغرابِ الأسودِ) هرباً مِنْ ذٰلكَ العيبِ ، ولٰكنَّ الرواةَ أثبتوهُ علىٰ أصلِهِ

لَا مَـرْحَـبـاً بِـغَـدٍ وَلَا أَهْـلاً بِـهِ ... إِنْ كَـانَ تَـفْـرِيـقُ ٱلْأَحِـبَّـةِ فِـي غَـدِ
حَـانَ ٱلـرَّحِـيـلُ وَلَـمْ تُـوَدِّعْ مَـهْـدَداً ... وَٱلـصُّـبْـحُ وَٱلْإِمْـسَـاءُ مِـنْـهَـا مَـوْعِـدِي
فِـي إِثْـرِ غَـانِـيَـةٍ رَمَـتْـكَ بِـسَـهْـمِـهَـا ... فَـأَصَـابَ قَـلْـبَـكَ غَـيْـرَ أَنْ لَـمْ تُـقْـصِـدِ
غَـنِـيَـتْ بِـذَٰلِـكَ إِذْ هُـمُ لَـكَ جِـيـرَةٌ ... مِـنْـهَـا بِـعَـطْـفِ رِسَـالَـةٍ وَتَـوَدُّدِ
وَلَـقَـدْ أَصَـابَ فُـؤَادَهُ مِـنْ حُـبِّـهَـا ... عَـنْ ظَـهْـرِ مِـرْنَـانٍ بِـسَـهْـمٍ مُـصْـرِدِ
نَـظَـرَتْ بِـمُـقْـلَـةِ شَـادِنٍ مُـتَـرَبِّـبٍ ... أَحْـوَىٰ أَحَـمِّ ٱلْـمُـقْـلَـتَـيْـنِ مُـقَـلَّـدِ
وَٱلـنَّـظْـمُ فِـي سِـلْـكٍ يُـزَيِّـنُ نَـحْـرَهَـا ... ذَهَـبٌ تَـوَقَّـدَ كَـٱلـشِّـهَـابِ ٱلْـمُـوقَـدِ

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٨٩ ـ ٩٧) .

صَفْرَاءُ كَٱلسِّيَرَاءِ أُكْمِلَ خَلْقُهَا   كَٱلْغُصْنِ فِي غُلَوَائِهِ ٱلْمُتَأَوِّدِ
وَٱلْبَطْنُ ذُو عُكَنٍ لَطِيفٌ طَيُّهُ   وَٱلْأَتْبُ تَنْفُجُهُ بِثَدْيٍ مُقْعَدِ

الأتبُ ثوبٌ رقيقٌ ، وتنفجُهُ مِنْ نَفَجَ ؛ ترفعُهُ وتبعدُهُ

مَخْطُوطَةُ ٱلْمَتْنَيْنِ غَيْرُ مُفَاضَةٍ   رَيَّا ٱلرَّوَادِفِ بَضَّةُ ٱلْمُتَجَرَّدِ
قَامَتْ تُرَائِي بَيْنَ سِجْفَيْ كَلَّةٍ   كَٱلشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِٱلْأَسْعَدِ

الأسعدُ برجُ الحملِ

أَوْ دُرَّةٍ صَدَفِيَّةٍ غَوَّاصُهَا   بَهِجٌ مَتَىٰ يَرَهَا يُهِلَّ وَيَسْجُدِ
أَوْ دُمْيَةٍ مِنْ مَرْمَرٍ مَرْفُوعَةٍ   بُنِيَتْ بِآجُرٍّ يُشَادُ وَقَرْمَدِ
سَقَطَ ٱلنَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ   فَتَنَاوَلَتْهُ وَٱتَّقَتْنَا بِٱلْيَدِ
بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ   عَنَمٌ يَكَادُ مِنَ ٱللَّطَافَةِ يُعْقَدُ
نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا   نَظَرَ ٱلسَّقِيمِ إِلَىٰ وُجُوهِ ٱلْعُوَّدِ
تَجْلُو بِقَادِمَتَيْ حَمَامَةِ أَيْكَةٍ   بَرَداً أُسِفَّ [لِثَاتُهُ] بِٱلْإِثْمِدِ
كَٱلْأُقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ   جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ [نَدِي]
زَعَمَ ٱلْهُمَامُ بِأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ   عَذْبٌ مُقَبَّلُهُ شَهِيُّ ٱلْمَوْرِدِ
زَعَمَ ٱلْهُمَامُ وَلَمْ أَذُقْهُ أَنَّهُ   عَذْبٌ إِذَا مَا ذُقْتَهُ قُلْتُ ٱزْدَدِ
زَعَمَ ٱلْهُمَامُ وَلَمْ أَذُقْهُ أَنَّهُ   يُشْفَىٰ بِرَيَّا رِيقِهَا ٱلْعَطِشُ ٱلصَّدِي
أَخَذَ ٱلْعَذَارَىٰ عِقْدَهُ فَنَظَمْنَهُ   مِنْ لُؤْلُؤٍ مُتَتَابِعٍ مُتَسَرِّدِ
لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ   عَبَدَ ٱلْإِلَٰهَ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدِ

صَرورةٌ ـ بالصَّادِ ـ قيلَ في تفسيرِهِ مَنْ لم يذنبْ قطُّ ، أو لم يبرحْ مِنْ

مكانِهِ ، وقيلَ هوَ في الجاهليةِ مَنْ لم يَتزوَّجْ ، وفي الإسلامِ مَنْ لم يحجَّ ، ولدفعِ التَّكرارِ في البيتِ يُحمَلُ علىٰ غيرِ هـٰذا المعنىٰ

لَـرَنَـا لِـرُؤْيَـتِـهَـا وَحُـسْـنِ حَـدِيـثِـهَـا وَلَـخَـالَـهُ رَشَـداً وَإِنْ لَـمْ يَـرْشُـدِ
بِـتَـكَـلُّـمٍ لَـوْ تَـسْـتَـطِـيـعُ كَـلَامَـهُ لَـدَنَـتْ لَـهُ أَرْوَى ٱلْـهِـضَـابِ ٱلـصُّـخَّـدِ

الصُّخَّدُ جمعُ صاخدٍ ؛ وهيَ الملساءُ

وَبِـفَـاحِـمٍ رَجْـلٍ أَثِـيـثٍ نَـبْـتُـهُ كَـٱلْـكَـرْمِ مَـالَ عَـلَـى ٱلـدِّعَـامِ ٱلْـمُـسْـنَـدِ
وَإِذَا لَـمَـسْـتَ لَـمَـسْـتَ أَجْـثَـمَ جَـاثِـمـاً مُـتَـحَـيِّـزاً بِـمَـكَـانِـهِ مِـلْءَ ٱلْـيَـدِ
وَإِذَا طَـعَـنْـتَ طَـعَـنْـتَ فِـي مُـسْـتَـهْـدَفٍ رَابِـي ٱلْـمَـجَـسَّـةِ بِـٱلْـعَـبِـيـرِ مُـقَـرْمَـدِ
وَإِذَا نَـزَعْـتَ نَـزَعْـتَ عَـنْ مُـسْـتَـحْـصِـفٍ نَـزْعَ ٱلْـحَـزَوَّرِ بِـٱلـرِّشَـاءِ ٱلْـمُـحْـصَـدِ
وَإِذَا يَـعَـضُّ يَـشُـدُّ مِـنْ أَعْـضَـائِـهِ عَـضَّ ٱلْـكَـبِـيـرِ مِـنَ ٱلـرِّجَـالِ ٱلْأَدْرَدِ
وَيَـكَـادُ يَـنْـزِعُ جِـلْـدَ مَـنْ أَصْـلَـىٰ بِـهِ بِـلَـوَافِـحٍ مِـثْـلِ ٱلـسَّـعِـيـرِ ٱلْـمُـوقَـدِ
لَا وَارِدٌ مِـنْـهَـا يَـحُـورُ لِـمَـصْـدَرٍ عَـنْـهَـا وَلَا صَـدِرٌ يَـحُـورُ لِـمَـوْرِدِ

[محاكاةُ الأميرِ الباروديِّ للنابغةِ الذُّبيانيِّ في قصيدته]

فمشىٰ علىٰ أثرِهِ ، وترجَم لها بقولِهِ[١] وقالَ علىٰ رويِّ قصيدةِ النابغةِ الذُّبيانيِّ التي أوَّلُها (أَمِنَ آلِ مَيَّةَ) ، وقد سلكَ فيها مسالكَ العربِ فيما كانَتْ تَتمدَّحُ بهِ ؛ مِنْ مباشرةِ الحروبِ ، وارتيادِ المنابتِ ، وركوبِ الخيلِ ، وشربِ الخمرِ ، ومزاولةِ النساءِ [من الكامل]

ظَـنَّ ٱلـظُّـنُـونَ فَـبَـاتَ غَـيْـرَ مُـوَسَّـدِ حَـيْـرَانَ يَـكْـلَأُ مُـسْـتَـنِـيـرَ ٱلْـفَـرْقَـدِ

---

(١) أي الأمير البارودي في « ديوانه » (١/١٤٨ ـ ١٥٦)

تَـلْـوِي بِـهِ ٱلـذُّكُـرَاتُ حَـتَّـىٰ إِنَّـهُ لَـيَظَـلُّ مُـلْـقـىً بَـيْـنَ أَيْـدِي ٱلْـعُـوَّدِ
طَـوْراً يَـهُـمُّ بِـأَنْ يَـزِلَّ بِـنَـفْـسِـهِ سَـرَفـاً وَتَـارَاتٍ يَـمِـيـلُ عَـلَى ٱلْـيَـدِ
فَـكَـأَنَّـمَـا ٱفْـتَـرَسَـتْ بِطَـائِرِ حِـلْـمِـهِ مَـشْـمُـولَـةٌ أَوْ سَـاغَ سُـمَّ ٱلْأَسْـوَدِ
قَـالُـوا غَـداً يَـوْمُ ٱلرَّحِـيـلِ وَمَـنْ لَـهُـمْ خَـوْفَ ٱلتَّـفَـرُّقِ أَنْ أَعِـيـشَ إِلَىٰ غَـدِ
هِـيَ مُـهْـجَـةٌ ذَهَـبَ ٱلْـهَـوَىٰ بِـشَـغَـافِـهَـا مَـعْـمُـودَةٌ إِنْ لَـمْ تَـمُـتْ فَـكَـأَنْ قَـدِ
يَـا أَهْـلَ ذَا ٱلْـبَـيْـتِ ٱلـرَّفِـيـعِ مَـنَـارُهُ أَدْعُـوكُـمُ يَـا قَـوْمُ دَعْـوَةَ مُـقْـصَـدِ
إِنِّـي فَـقَـدْتُ ٱلْـعَـامَ بَـيْـنَ بُـيُـوتِـكُـمْ عَـقْـلِـي فَـرُدُّوهُ عَـلَـيَّ لِأَهْـتَـدِي
أَوْ فَـٱسْـتَـقِـيـدُونِـي بِـبَـعْـضِ قِـيَـانِـكُـمْ حَـتَّـىٰ تَـرُدَّ إِلَـيَّ نَـفْـسِـي أَوْ تَـدِي
بَـلْ يَـا أَخَـا ٱلسَّـيْـفِ ٱلطَّـوِيـلِ نِـجَـادُهُ إِنْ أَنْـتَ لَـمْ تَـحْـمِ ٱلنَّـزِيـلَ فَـأَغْـمِـدِ
هَـٰذِي لِـحَـاظُ ٱلْـغِـيـدِ بَـيْـنَ شِـعَـابِـكُـمْ فَـتَـكَـتْ بِـنَـا خَـلْـسـاً بِـغَـيْـرِ مُـهَـنَّـدِ
مِـنْ كُـلِّ نَـاعِـمَـةِ ٱلـصِّـبَـا بَـدَوِيَّـةٍ رَيَّـا ٱلـشَّـبَـابِ سَـلِـيـمَـةِ ٱلْـمُـتَـجَـرَّدِ
هَـيْـفَـاءَ إِنْ خَـطَـرَتْ سَـبَـتْ وَإِذَا رَنَـتْ سَـلَـبَـتْ فُـؤَادَ ٱلْـعَـابِـدِ ٱلْـمُـتَـشَـدِّدِ
يَـخْـفِـضْـنَ مِـنْ أَبْـصَـارِهِـنَّ تَـخَـتُّـلاً لِـلـنَّـفْـسِ فِـعْـلَ ٱلْـقَـانِـتَـاتِ ٱلْـعُـبَّـدِ
فَـإِذَا أَصَـبْـنَ أَخَـا ٱلـشَّـبَـابِ سَـلَـبْـنَـهُ وَرَمَـيْـنَ مُـهْـجَـتَـهُ بِـطَـرْفٍ أَصْـيَـدِ
وَإِذَا لَـمَـحْـنَ أَخَـا ٱلْـمَـشِـيـبِ قَـلَـيْـنَـهُ وَسَـتَـرْنَ ضَـاحِـيَـةَ ٱلْـمَـحَـاسِـنِ بِـٱلْـيَـدِ
فَـلَـئِـنْ غَـدَوْتُ دَرِيـئَـةً لِـعُـيُـونِـهَـا فَـلَـقَـدْ أَفُـلُّ زَعَـارَةَ ٱلْـمُـتَـمَـرِّدِ
وَلَـقَـدْ شَـهِـدْتُ ٱلْـحَـرْبَ فِـي إِبَّـانِـهَـا وَلَـبِـئْـسَ رَاعِـي ٱلْـحَـيِّ إِنْ لَـمْ أَشْـهَـدِ
تَـتَـقَـصَّـفُ ٱلْـمُـرَّانُ فِـي حَـجَـرَاتِـهَـا وَيَـعُـودُ فِـيـهَـا ٱلـسَّـيْـفُ مِـثْـلَ ٱلْأَدْرَدِ
عَـصَـفَـتْ بِـهَـا رِيـحُ ٱلـرَّدَىٰ فَـتَـدَفَّـقَـتْ بِـدَمِ ٱلْـفَـوَارِسِ كَـٱلْأَتِـيِّ ٱلْـمُـزْبِـدِ

مَا زِلْتُ أَطْعَنُ بَيْنَهَا حَتَّى ٱنْثَنَتْ عَنْ مِثْلِ حَاشِيَةِ ٱلرِّدَاءِ ٱلْمُجْسَدِ
وَلَقَدْ هَبَطْتُ ٱلْغَيْثَ يَلْمَعُ نُورُهُ فِي كُلِّ وَضَّاحِ ٱلْأَسِرَّةِ أَغْيَدِ
تَجْرِي بِهِ ٱلْآرَامُ بَيْنَ مَنَاهِلٍ طَابَتْ مَشَارِبُهَا وَظِلٍّ أَبْرَدِ
بِمُضَمَّرٍ أَرِنٍ كَأَنَّ سَرَاتَهُ بَعْدَ ٱلْحَمِيمِ سَبِيكَةٌ مِنْ عَسْجَدِ
خَلَصَتْ لَهُ ٱلْيُمْنَىٰ وَعَمَّ ثَلَاثَةً مِنْهُ ٱلْبَيَاضُ إِلَىٰ وَظِيفٍ أَجْرَدِ
فَكَأَنَّمَا ٱنْتَزَعَ ٱلْأَصِيلَ رِدَاءَهُ سَلَباً وَخَاضَ مِنَ ٱلضُّحَىٰ فِي مَوْرِدِ
زَجِلٌ يُرَدِّدُ فِي ٱللَّهَاتِ صَهِيلَهُ دَفْعاً كَزَمْزَمَةِ ٱلْحَبِيِّ ٱلْمُرْعِدِ
مُتَلَفِّتاً عَنْ جَانِبَيْهِ يَهُزُّهُ مَرَحُ ٱلصِّبَا كَٱلشَّارِبِ ٱلْمُتَغَرِّدِ
فَإِذَا ثَنَيْتَ لَهُ ٱلْعِنَانَ وَجَدْتَهُ يَمْطُو كَسِيدِ ٱلرَّدْهَةِ ٱلْمُتَوَرِّدِ
وَإِذَا أَطَعْتَ لَهُ ٱلْعِنَانَ رَأَيْتَهُ يَطْوِي ٱلْمَهَامِهَ فَدْفَداً فِي فَدْفَدِ
يَكْفِيكَ مِنْهُ إِذَا ٱسْتَحَسَّ بِنَبْأَةٍ شَدّاً كَأُلْهُوبِ ٱلْأَبَاءِ ٱلْمُوقَدِ
صَلْبُ ٱلسَّنَابِكِ لَا يَمُرُّ بِجَلْمَدٍ فِي ٱلشَّدِّ إِلَّا رَضَّ فِيهِ بِجَلْمَدِ
نِعْمَ ٱلْعَتَادُ إِذَا ٱلشِّفَاهُ تَقَلَّصَتْ يَوْمَ ٱلْكَرِيهَةِ فِي ٱلْعَجَاجِ ٱلْأَرْبَدِ
وَلَقَدْ شَرِبْتُ ٱلْخَمْرَ بَيْنَ غَطَارِفٍ شُمِّ ٱلْمَعَاطِسِ كَٱلْغُصُونِ ٱلْمُيَّدِ
يَتَلَاعَبُونَ عَلَى ٱلْكُؤُوسِ إِذَا جَرَتْ لَعِباً يَرُوحُ ٱلْجِدُّ فِيهِ وَيَغْتَدِي
لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ ٱلْهَوَىٰ فَكَلَامُهُمْ كَٱلرَّوْضِ مَصْقُولٌ نَدِي
مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ ٱلْجَبِينِ كَأَنَّهُ قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ أَسْوَدِ
بَلْ رُبَّ غَانِيَةٍ طَرَقْتُ خِبَاءَهَا وَٱلنَّجْمُ يَطْرِفُ عَنْ لَوَاحِظِ أَرْمَدِ
قَالَتْ وَقَدْ نَظَرَتْ إِلَيَّ فَضَحْتَنِي فَٱرْجِعْ لِشَأْنِكَ فَٱلرِّجَالُ بِمَرْصَدِ

فَخَلَبْتُهَا بِٱلْقَوْلِ حَتَّىٰ رِضْتُهَا وَطَوَيْتُهَا طَيَّ ٱلْحَبِيرَةِ بِٱلْيَدِ
مَا زِلْتُ أَمْنَعُهَا ٱلْمَنَامَ غِوَايَةً حَتَّىٰ لَقَدْ بِتْنَا بِلَيْلِ ٱلْأَنْقَدِ
رَوْعَاءُ تَفْزَعُ مِنْ عَصَافِيرِ ٱلضُّحَىٰ تَرَفاً وَتَجْزَعُ مِنْ صِيَاحِ ٱلْهُدْهُدِ
حَتَّىٰ إِذَا نَمَّ ٱلصَّبَا وَتَتَابَعَتْ زِيمُ ٱلْكَوَاكِبِ كَٱلْمَهَا ٱلْمُتَبَدِّدِ
قَالَتْ دَخَلْتَ وَمَا إِخَالُكَ بَارِحاً إِلَّا وَقَدْ أَبْقَيْتَ عَارَ ٱلْمُسْنِدِ
فَمَسَحْتُهَا حَتَّى ٱطْمَأَنَّ فُؤَادُهَا وَنَفَيْتُ رَوْعَتَهَا بِرَأْيٍ مُحْصَدِ
وَخَرَجْتُ أَخْتَرِقُ ٱلصُّفُوفَ مِنَ ٱلْعِدَا مُتَلَثِّماً وَٱلسَّيْفُ يَلْمَعُ فِي يَدِي
فَلَنِعْمَ ذَاكَ ٱلْعَيْشُ لَوْ لَمْ يَنْقَضِي وَلَنِعْمَ هَٰذَا ٱلْعَيْشُ إِنْ لَمْ يَنْفَدِ
يَرْجُو ٱلْفَتَىٰ فِي ٱلدَّهْرِ طُولَ حَيَاتِهِ وَنَعِيمِهِ وَٱلْمَرْءُ غَيْرُ مُخَلَّدِ



[خوضُ الباروديِّ حربَينِ ضدَّ جزيرةِ أَقْرِيطِشَ وروسيا]

وقد باشرَ هـٰذا الأميرُ الحربَ مَرَّتَينِ بصدقِ شهامةٍ وعُلُوِّ هِمَّةٍ ، حتىٰ إنَّ الناسَ كانوا يَتعجَّبونَ ـ كما أخبرَني مَنْ حضرَهُ في تلكَ المواطنِ ـ مِنْ خشونةِ بأسِهِ علىٰ ترفِ نشأتِهِ ، ولطفِ حِسِّهِ

[قصيدةُ الباروديِّ يصفُ سفرَهُ للحربِ وتشوُّقَهُ إلىٰ مصرَ]

المَرَّةُ الأُولىٰ حربُ سُكَّانِ جزيرةِ أَقْرِيطِشَ المعروفةِ الآنَ بجزيرةِ جريدٍ ، حينَ خرجوا عنِ الطاعةِ سنةَ ثنتَينِ وثمانينَ ومئتَينِ وألفٍ ، فقالَ يصفُ الحالَ ، ويَتشوَّقُ إلىٰ مصرَ [1] [من الكامل]

أَخَذَ ٱلْكَرَىٰ بِمَعَاقِدِ ٱلْأَجْفَانِ ... وَهَفَا ٱلسُّرَىٰ بِأَعِنَّةِ ٱلْفُرْسَانِ

وٱللَّيْلُ مَنْشُورُ ٱلذَّوَائِبِ ضَارِبٌ ... فَوْقَ ٱلْمَتَالِعِ وَٱلرُّبَا بِجِرَانِ

لَا تَسْتَبِينُ ٱلْعَيْنُ فِي ظَلْمَائِهِ ... إِلَّا ٱشْتِعَالَ أَسِنَّةِ ٱلْمُرَّانِ

نَسْرِي بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةِ فِتْنَةٍ ... تَسْمُو غَوَارِبُهَا عَلَى ٱلطُّوفَانِ

فِي كُلِّ مَرْبَأَةٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ ... تَهْدَارُ سَامِرَةٍ وَعَزْفُ قِيَانِ

تَسْتَنُّ عَادِيَةٌ وَيَصْهَلُ أَجْرَدٌ ... وَتَصِيحُ أَحْرَاسٌ وَيَهْتِفُ عَانِي

قَوْمٌ أَبَى ٱلشَّيْطَانُ إِلَّا خُسْرَهُمْ ... فَتَسَلَّلُوا مِنْ طَاعَةِ ٱلسُّلْطَانِ

مَلَؤُوا ٱلْفَضَاءَ فَمَا يَبِينُ لِنَاظِرٍ ... غَيْرُ ٱلْتِمَاعِ ٱلْبِيضِ وَٱلْخُرْصَانِ

الخُرْصانُ جمعُ خُرْصٍ بضمٍّ أو كسرٍ فسكونٍ ؛ السنانُ

---

(١) انظر « ديوان محمود سامي البارودي » (٤/٤٣ ـ ٥٥)

فَٱلْبَدْرُ أَكْدَرُ وَٱلسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ　　　وَٱلْبَحْرُ أَشْكَلُ وَٱلرِّمَاحُ دَوَانِي
وَٱلْخَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَىٰ أَرْسَانِهَا　　　لِطِرَادِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَرِهَانِ
وَضَعُوا ٱلسِّلَاحَ إِلَى ٱلصَّبَاحِ وَأَقْبَلُوا　　　يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسُنِ ٱلنِّيرَانِ
حَتَّىٰ إِذَا مَا ٱلصُّبْحُ أَسْفَرَ وَٱرْتَمَتْ　　　عَيْنَايَ بَيْنَ [رُباً] وَبَيْنَ مَحَانِي
فَإِذَا ٱلْجِبَالُ أَسِنَّةٌ وَإِذَا ٱلْوِهَا　　　دُ أَعِنَّةٌ وَٱلْمَاءُ أَحْمَرُ قَانِي
فَتَوَجَّسَتْ فَرَطُ ٱلرِّكَابِ وَلَمْ تَكُنْ　　　لِتَهَابَ فَٱمْتَنَعَتْ عَلَى ٱلْأَرْسَانِ
فَزِعَتْ فَرَجَّعَتِ ٱلْحَنِينَ وَإِنَّمَا　　　تَخْنَانُهَا شَجَنٌ مِنَ ٱلْأَشْجَانِ
ذَكَرَتْ مَوَارِدَهَا بِمِصْرَ وَأَيْنَ مِنْ　　　مَاءٍ بِمِصْرَ مَنَازِلُ ٱلرُّومَانِ
وَٱلنَّفْسُ لَاهِيَةٌ وَإِنْ هِيَ صَادَفَتْ　　　خَلَفاً بِأَوَّلِ صَاحِبٍ وَمَكَانِ
فَسَقَى ٱلسِّمَاكُ مَحَلَّةً وَمَقَامَةً　　　فِي مِصْرَ كُلَّ رَوِيَّةٍ مِزْنَانِ
حَتَّىٰ تَعُودَ ٱلْأَرْضُ بَعْدَ ذُبُولِهَا　　　شَتَّى ٱلنَّمَاءِ كَثِيرَةَ ٱلْأَلْوَانِ
بَلَدٌ خَلَعْتُ بِهَا عِذَارَ شَبِيبَتِي　　　وَطَرَحْتُ فِي يُمْنَى ٱلْغَرَامِ عِنَانِي
فَصَعِيدُهَا أَحْوَى ٱلنَّبَاتِ وَسَرْحُهَا　　　أَلْمَى ٱلظِّلَالِ وَزَهْرُهَا مُتَدَانِي
فَارَقْتُهَا طَلَباً لِمَا هُوَ كَائِنٌ　　　وَٱلْمَرْءُ طَوْعُ تَقَلُّبِ ٱلْأَزْمَانِ
حَمَلَ ٱلزَّمَانُ عَلَيَّ مَا لَمْ أَجْنِهِ　　　إِنَّ ٱلْأَمَاثِلَ عُرْضَةُ ٱلْحَدَثَانِ
نَقَمُوا عَلَيَّ وَقَدْ فَتَكْتُ شَجَاعَتِي　　　إِنَّ ٱلشَّجَاعَةَ حِلْيَةُ ٱلْفِتْيَانِ
فَلْيَهْنَأَ ٱلدَّهْرُ ٱلْغَيُورُ بِرِحْلَتِي　　　عَنْ مِصْرَ وَلْتَهْدَأْ صُرُوفُ زَمَانِي
فَلَئِنْ رَجَعْتُ وَسَوْفَ أَرْجِعُ وَاثِقاً　　　بِٱللهِ أَعْلَمْتُ ٱلزَّمَانَ مَكَانِي
صَادَقْتُ بَعْضَ ٱلْقَوْمِ حَتَّىٰ خَانَنِي　　　وَحَفِظْتُ مِنْهُ مَغِيبَهُ فَرَمَانِي

زَعَمَ ٱلنَّصِيحَةَ بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْ بِهِ غِشّاً وَجَازَى ٱلْحَقَّ بِٱلْبُهْتَانِ

فَلْيَجْرِ بَعْدُ كَمَا أَرَادَ بِنَفْسِهِ إِنَّ ٱلشَّقِيَّ مَطِيَّةُ ٱلشَّيْطَانِ

وَكَذَا ٱللَّئِيمُ إِذَا أَصَابَ كَرَامَةً عَادَى ٱلصَّدِيقَ وَمَالَ بِٱلْإِخْوَانِ

كُلُّ ٱمْرِئٍ يَجْرِي عَلَىٰ أَعْرَاقِهِ وَٱلطَّبْعُ لَيْسَ يَحُولُ فِي ٱلْإِنْسَانِ

فَعَلَامَ يَلْتَمِسُ ٱلْعَدُوُّ مَسَاءَتِي مِنْ بَعْدِ مَا عَرَفَ ٱلْخَلَائِقُ شَانِي

أَنَا لَا أَذِلُّ وَإِنَّمَا يَزَعُ ٱلْفَتَىٰ فَقْدُ ٱلرَّجَاءِ وَقِلَّةُ ٱلْأَعْوَانِ

فَلْيَعْلَمَنَّ أَخُو ٱلْجَهَالَةِ قَصْرَهُ عَنِّي وَإِنْ سَبَقَتْ بِهِ قَدَمَانِ

فَلَرُبَّمَا رَجَحَ ٱلْخَسِيسُ مِنَ ٱلْحَصَىٰ بِٱلدُّرِّ عِنْدَ تَرَاجُحِ ٱلْمِيزَانِ

شَرَفٌ خُصِصْتُ بِهِ وَأَخْطَأَ حَاسِدٌ مَسْعَاتَهُ فَهَذَىٰ بِهِ وَقَلَانِي

[قصيدةٌ مِنَ الباروديِّ للمؤلفِ أثناءَ حربِ الروسِ]

والثانيةُ حربُ الرُّوسِ حينَ قصدوا الدولةَ سنةَ أربعٍ وتسعينَ ومئتَينِ وألفٍ ، وكانَ ـ حرسَهُ اللهُ ـ كتبَ لأبناءِ وُدِّهِ كُتُباً ولم تصلْ إليهِم ، وظنَّ وصولَها وتقصيرَهُم عنِ المبادرةِ بالإجابةِ ، وقد وصلَ إليَّ أحدَ كتابَينِ كتبَهُما لي يومَ قدومِهِ إلىٰ مصرَ بعدَ مُدَّةٍ طويلةٍ مِنْ كتابتِهِ ، وهٰذهِ أبياتُهُ (١) [من السريع]

يَا نَاعِسَ ٱلطَّرْفِ إِلَىٰ كَمْ تَنَامْ أَسْهَرْتَنِي فِيكَ وَنَامَ ٱلْأَنَامْ

أَوْشَكَ هَٰذَا ٱللَّيْلُ أَنْ يَنْقَضِي وَٱلْعَيْنُ لَا تَعْرِفُ طِيبَ ٱلْمَنَامْ

ٱللهَ فِي عَيْنٍ جَفَاهَا ٱلْكَرَىٰ فِيكُمْ وَقَلْبٍ قَدْ بَرَاهُ ٱلْغَرَامْ

(١) انظر « ديوان محمود سامي البارودي » (٣/٣٥٤ ـ ٣٦٢)

قَـدْ رَحِـمَ ٱلْـعَـاذِلُ حَـالِـي فَـمَـا يَـرْضَـىٰ لِذُلِّي فِي ٱلْهَوَىٰ بِٱلْمَلَامْ
وَيْـلَاهُ مِـنْ ظَـبْـيِ ٱلْـحِـمَـىٰ إِنَّـهُ جَـرَّعَـنِـي بِـٱلـصَّـدِّ مُـرَّ ٱلْـحِـمَـامْ
يَـغْـضَـبُ مِـنْ قَـوْلِـيَ آهٍ وَهَـلْ قَـوْلِـيَ آهٍ يَـا بْـنَ وُدِّي حَـرَامْ
لَا كُـتْـبُـهُ تَـتْـرَىٰ وَلَا رُسْـلُـهُ تَـأْتِـي وَلَا ٱلـطَّـيْـفُ يُـوَافِـي لِـمَـامْ
طَالَ ٱلنَّوَىٰ مِنْ بَعْدِكُمْ وَٱنْقَضَتْ بَـشَـاشَـةُ ٱلْـعَـيْـشِ وَسَـاءَ ٱلْـمَـقَـامْ
أَرْتَـاحُ إِنْ مَـرَّ نَـسِـيـمُ ٱلـصَّـبَـا وَٱلْـبُـرْءُ لِـي فِـيـهِ مَـعـاً وَٱلـسَّـقَـامْ
يَا لَيْتَنِي فِي ٱلسِّلْكِ حَرْفٌ سَرَىٰ أَوْ رِيـشَـةٌ بَـيْـنَ خَـوَافِـي ٱلْـحَـمَـامْ
حَـتَّـىٰ أُوَافِـي مِـصْـرَ فِـي لَـحْـظَـةٍ أَقْـضِـي بِـهَـا فِـي ٱللهِ حَـقَّ ٱلـذِّمَـامْ
مَـوْلَايَ قَـدْ طَـالَ مَـرِيـرُ ٱلـنَّـوَىٰ فَـكُـلُّ يَـوْمٍ مَـرَّ بِـي أَلْـفُ عَـامْ
أَنْـظُـرُ حَـوْلِـي لَا أَرَىٰ صَـاحِـبـاً إِلَّا جَـمَـاهِـيـرَ وَخَـيْـلاً صِـيَـامْ
وَدَيْـدَبَـانـاً صَـارِخـاً فِـي الـدُّجَـىٰ اِرْجِـعْ وَرَاءَ إِنَّـهُ لَا أَمَـامْ
يُـقْـتَـبَـلُ ٱلـصُّـبْـحُ وَيَـمْـضِـي ٱلـدُّجَـىٰ وَيَـنْـقَـضِـي ٱلـنُّـورُ وَيَـأْتِـي ٱلـظَّـلَامْ
وَلَا كِـتَـابٌ مِـنْ حَـبِـيـبٍ أَتَـىٰ وَلَا أَخُـو صِـدْقٍ يَـرُدُّ ٱلـسَّـلَامْ
فِـي هَـضْـبَـةٍ مِـنْ أَرْضِ دَبْـرِيـجَـةٍ لَـيْـسَ بِـهَـا غَـيْـرُ بُـغَـاثٍ وَهَـامْ
مِـنْ خَـلْـفِـنَـا ٱلْـبَـحْـرُ وَتِـلْـقَـاءَنَـا سَـوَادُ جَـيْـشٍ مُـكْـفَـهِـرٍ لُـهَـامْ
فَـتِـلْـكَ حَـالِـي لَا رَمَـتْـكَ ٱلـنَّـوَىٰ فَـكَـيْـفَ أَنْـتُـمْ بَـعْـدَنَـا يَـا هُـمَـامْ



[قصيدةٌ أخرىٰ مِنَ الباروديِّ للمؤلفِ]

فقالَ في نعتِ الحالِ وضَمَّنَ ذٰلكَ بعض فصولِها[1] [من الطويل]

هُـوَ ٱلْـبَـيْـنُ حَـتَّـىٰ لَا سَـلَامٌ وَلَا رَدُّ ... وَلَا نَظْرَةٌ يَقْضِي بِهَا حَقَّهُ ٱلْوَجْدُ
لَقَدْ نَعَبَ ٱلْوَابُورُ بِٱلْبَيْنِ بَيْنَهُمْ ... فَسَارُوا وَلَا زَمُّوا جِمَالاً وَلَا شَدُّوا
سَرَىٰ بَيْنَهُمْ سَيْرَ ٱلْغَمَامِ كَأَنَّمَا ... لَهُ فِي تَنَائِي كُلِّ ذِي خُلَّةٍ قَصْدُ
فَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهْيَ عَيْنٌ مِنَ ٱلْبُكَا ... وَلَا خَدَّ إِلَّا لِلدُّمُوعِ بِهِ خَدُّ
فَيَا سَعْدُ حَدِّثْنِي بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَىٰ ... فَأَنْتَ خَبِيرٌ بِٱلْأَحَادِيثِ يَا سَعْدُ
لَعَلَّ حَدِيثَ ٱلشَّوْقِ يُطْفِئُ لَوْعَةً ... مِنَ ٱلْوَجْدِ أَوْ يَقْضِي بِصَاحِبِهِ ٱلْفَقْدُ
هُوَ ٱلنَّارُ فِي ٱلْأَحْشَاءِ لَٰكِنْ لِوَقْعِهَا ... عَلَىٰ كَبِدِي مِمَّا أَلَذُّ بِهِ بَرْدُ
لَعَمْرُ ٱلْمَغَانِي وَهْيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ ... بِسَاكِنِهَا مَا شَاقَنِي بَعْدَهَا عَهْدُ
لَكَانَتْ وَفِيهَا مَا تَرَىٰ عَيْنُ نَاظِرٍ ... وَأَضْحَتْ وَمَا فِيهَا لِغَيْرِ ٱلْأَسَىٰ وَفْدُ
خَلَاءٌ مِنَ ٱلْأُلَّافِ إِلَّا عِصَابَةً ... حَدَاهُمْ إِلَىٰ عِرْفَانِهَا أَمَلٌ فَرْدُ
دَعَتْهُمْ إِلَيْهَا نَفْحَةٌ عَنْبَرِيَّةٌ ... وَبِٱلنَّفْحَةِ ٱلْحَسْنَاءِ قَدْ يُعْرَفُ ٱلْوَرْدُ
وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَرَدَّتْ بِأَلْسُنٍ ... صَوَامِتَ إِلَّا أَنَّهَا أَلْسُنٌ لُدُّ
فَمِنْ مُقْلَةٍ عَبْرَىٰ وَمِنْ لَفْحِ زَفْرَةٍ ... لَهَا شَرَرٌ بَيْنَ ٱلْحَشَا مَا لَهُ زَنْدُ
فَيَا قَلْبُ صَبْراً إِنْ أَضَرَّ بِكَ ٱلنَّوَىٰ ... فَكُلُّ فِرَاقٍ أَوْ تَلَاقٍ لَهُ حَدُّ
فَقَدْ يُشْعَبُ ٱلْإِلْفَانِ أَدْنَاهُمَا ٱلْهَوَىٰ ... وَيَلْتَئِمُ ٱلضِّدَّانِ أَقْصَاهُمَا ٱلْحِقْدُ
عَلَىٰ هَٰذِهِ تَجْرِي ٱللَّيَالِي بِحُكْمِهَا ... فَآوِنَةً قُرْبٌ وَآوِنَةً بُعْدُ

---

(١) انظر « ديوان محمود سامي البارودي » (١/١٦١ ـ ١٧٢)

وَمَا كُنْتُ لَوْلَا ٱلْحُبُّ أَخْضَعُ لِلَّتِي تُسِيءُ وَلَـٰكِنَّ ٱلْفَتَىٰ لِلْهَوَىٰ عَبْدُ
فَعُودِي صَلِيبٌ لَا يَلِينُ لِغَامِزٍ وَقَلْبِيَ سَيْفٌ لَا يُفَلُّ لَهُ حَدُّ
إِبَاءٌ كَمَا شَاءَ ٱلْفَخَارُ وَصَبْوَةٌ [يَذِلُّ] لَهَا فِي خِيسِهِ ٱلْأَسَدُ ٱلْوَرْدُ
وَإِنَّا أُنَاسٌ لَيْسَ فِينَا مَعَابَةٌ سِوَىٰ أَنَّ وَادِينَا بِحُكْمِ ٱلْهَوَىٰ نَجْدُ
نَلِينُ وَإِنْ كُنَّا أَشِدَّاءَ لِلْهَوَىٰ وَنَغْضَبُ فِي شَرْوَىٰ نَقِيرٍ فَنَشْتَدُّ
وَحَسْبُكَ مِنَّا شِيمَةٌ عَرَبِيَّةٌ هِيَ ٱلْخَمْرُ مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ دُونِهَا حَرْدُ
وَبِي ظَمَأٌ لَمْ يَبْلُغِ ٱلْمَاءُ رِيَّهُ وَفِي ٱلنَّفْسِ أَمْرٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ ٱلْجَهْدُ
أَوَدُّ وَمَا وُدُّ ٱمْرِئٍ نَافِعاً لَهُ وَإِنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ جَدُّ
وَمَا بِيَ مِنْ فَقْرٍ لِدُنْيَا وَإِنَّمَا طِلَابُ ٱلْعُلَا مَجْدٌ وَإِنْ كَانَ لِي مَجْدُ
وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلهِ عِنْدِي وَنِعْمَةٍ يَعَضُّ عَلَيْهَا كَفَّهُ ٱلْحَاسِدُ ٱلْوَغْدُ
أَنَا ٱلْمَرْءُ لَا يُطْغِيهِ عِزٌّ لِثَرْوَةٍ أَصَابَ وَلَا يَلْوِي بِأَخْلَاقِهِ ٱلْكَدُّ
أَصُدُّ عَنِ ٱلْمَوْفُورِ يُدْرِكُهُ ٱلْخَنَا وَأَقْنَعُ بِٱلْمَيْسُورِ يَعْقُبُهُ ٱلْحَمْدُ
وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِي تَصَدَّعَتْ لِعِزَّتِهِ ٱلدُّنْيَا وَذَلَّتْ لَهُ ٱلْأُسْدُ
وَمِنْ شِيَمِي حُبُّ ٱلْوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَخْلُص وُدٌّ لَمْ يُحِطْهُ ٱلْوَفَا بَعْدُ
وَلَـٰكِنَّ إِخْوَاناً بِمِصْرَ وَرِفْقَةً نَسُوا عَهْدَنَا حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ عَهْدُ
أَحِنُّ لَهُمْ شَوْقاً عَلَىٰ أَنَّ دُونَنَا مَهَامِهَ تَعْيَا دُونَ أَقْرَبِهَا ٱلرُّبْدُ
فَيَا سَاكِنِي ٱلْفُسْطَاطِ مَا بَالُ كُتْبِنَا ثَوَتْ عِنْدَكُمْ شَهْراً وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ
أَفِي ٱلْحَقِّ أَنَّا ذَاكِرُونَ لِعَهْدِكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَيْسَ يُعْطِفُكُمْ وُدُّ
فَلَا ضَيْرَ إِنَّ ٱللهَ يُعْقِبُ عَوْدَةً يَهُونُ لَهَا بَعْدَ ٱلْمُوَاصَلَةِ ٱلصَّدُّ
جَزَى ٱللهُ خَيْراً مَنْ جَزَانِي بِمِثْلِهِ عَلَىٰ شُقَّةٍ غَزْرُ ٱلْحَيَاةِ بِهَا ثَمْدُ

أَبِيتُ لِذِكْرَاكُمْ بِهَا مُتَمَلْمِلاً كَأَنِّي سَلِيمٌ أَوْ [مَشَتْ] نَحْوَهُ الوِرْدُ
فَلَا تَحْسَبُونِي غَافِلاً عَنْ وِدَادِكُمْ رُوَيْداً فَمَا فِي مُهْجَتِي حَجَرٌ صَلْدُ
هُوَ ٱلْحُبُّ لَا يُثْنِيهِ نَأْيٌ وَرُبَّمَا تَأَرَّجَ مِنْ مَسِّ ٱلضِّرَامِ لَهُ ٱلنَّدُّ
[نَأَتْ] بِيَ عَنْكُمْ غُرْبَةٌ وَتَجَهَّمَتْ بِوَجْهِيَ أَيَّامٌ خَلَائِقُهَا نُكْدُ
أَدُورُ بِعَيْنِي لَا أَرَىٰ غَيْرَ أُمَّةٍ مِنَ ٱلرُّوسِ بِٱلْبَلْقَانِ يُخْطِئُهَا ٱلْعَدُّ
جَوَاثٍ عَلَىٰ هَامِ ٱلْجِبَالِ لِغَارَةٍ يَطِيرُ بِهَا ضَوْءُ ٱلصَّبَاحِ إِذَا يَبْدُو
إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَّحَ ٱلشَّرُّ بِٱسْمِهِ وَصَاحَ ٱلْقَنَا بِٱلْمَوْتِ وَٱسْتَقْتَلَ ٱلْجُنْدُ
فَأَنْتَ تَرَىٰ بَيْنَ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَبَّةً يُحَدِّثُ فِيهَا نَفْسَهُ ٱلْبَطَلُ ٱلْجَعْدُ
عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنْهَا بِٱلدِّمَاءِ جَدَاوِلٌ وَفَوْقَ سَرَاةِ ٱلنَّجْمِ مِنْ نَقْعِهَا لِبْدُ
إِذَا ٱشْتَبَكُوا أَوْ رَاجَعُوا ٱلزَّحْفَ خِلْتَهُمْ بُحُوراً تَوَالَىٰ بَيْنَهَا ٱلْجَزْرُ وَٱلْمَدُّ
نَشُلُّهُمُ شَلَّ ٱلْعِطَاشِ وَنَتْ بِهَا مُرَاغَمَةُ ٱلسُّقْيَا وَمَاطَلَهَا ٱلْوِرْدُ
فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ وَهَارِبٍ طَلِيحٍ وَمَأْسُورٍ يُجَاذِبُهُ ٱلْقِدُّ
نَرُوحُ إِلَى ٱلشُّورَىٰ إِذَا أَقْبَلَ ٱلدُّجَىٰ وَنَغْدُو عَلَيْهِمْ بِٱلسُّيُوفِ إِذَا نَغْدُو
وَنَقْعٍ كَلُجِّ ٱلْبَحْرِ خُضْتُ غِمَارَهُ وَلَا مَعْقِلٌ إِلَّا ٱلْمَنَاصِلُ وَٱلْجُرْدُ
صَبَرْتُ بِهِ وَٱلْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً وَيَنْغَلُّ طَوْراً فِي ٱلْعَجَاجِ فَيَسْوَدُّ
فَمَا كُنْتُ إِلَّا ٱللَّيْثَ أَنْهَضَهُ ٱلطَّوَىٰ وَمَا كُنْتُ إِلَّا ٱلسَّيْفَ فَارَقَهُ ٱلْغِمْدُ
صَؤُولٌ وَلِلْأَبْطَالِ هَمْسٌ مِنَ ٱلْوَنَىٰ ضَرُوبٌ وَقَلْبُ ٱلْقِرْنِ فِي صَدْرِهِ يَغْدُو
فَمَا مُهْجَةٌ إِلَّا وَرُمْحِي ضَمِيرُهَا وَلَا لَبَّةٌ إِلَّا وَسَيْفِي لَهَا عِقْدُ
وَمَا كُلُّ سَاعٍ بَالِغٌ سُؤْلَ نَفْسِهِ وَلَا كُلُّ طَلَّابٍ يُصَاحِبُهُ ٱلرُّشْدُ
إِذَا ٱلْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ فَمَا ٱلسَّيْفُ إِلَّا آلَةٌ حَمْلُهَا إِدُّ

إِذَا كَانَ عُقْبَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ زَكَا ... فَنَاءٌ فَمَكْرُوهُ ٱلْفَنَاءِ هُوَ ٱلْخُلْدُ
فَفِيمَ يَخَافُ ٱلْمَرْءُ سَوْرَةَ يَوْمِهِ ... وَفِي غَدِهِ مَا لَيْسَ مِنْ وَقْعِهِ بُدُّ
لِيَضْنَ بِيَ ٱلْحُسَّادُ غَيْظاً فَإِنَّنِي ... لِآنَافِهِمْ رَغْمٌ وَأَكْبَادِهِمْ وَقْدُ
أَنَا ٱلْقَائِلُ ٱلْمَحْسُودُ مِنْ غَيْرِ سُبَّةٍ ... وَمِنْ شِيمَةِ ٱلْفَضْلِ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلضِّدُّ
فَقَدْ يَحْسُدُ ٱلْمَرْءُ ٱبْنَهُ وَهْوَ نَفْسُهُ ... وَرُبَّ سِوَارٍ ضَاقَ عَنْ حَمْلِهِ ٱلْعَضْدُ
فَلَا زِلْتُ مَحْسُوداً عَلَى ٱلْمَجْدِ وَٱلْعُلَا ... فَلَيْسَ بِمَحْسُودٍ فَتىً وَلَهُ نِدُّ

وقدْ شرَّفَتْ عنايةُ وُدِّهِ اسمي بهٰذهِ القصيدةِ (١) [من الطويل]

مَضَى ٱللَّهْوُ إِلَّا أَنْ يُخَبِّرَ سَائِلُ ... وَوَلَّى ٱلصِّبَا إِلَّا بَوَاقٍ قَلَائِلُ
بَوَاقٍ تُمَارِيهَا أَفَانِينُ لَوْعَةٍ ... [يُؤَرِّثُهَا] فِكْرٌ عَلَى ٱلنَّأْيِ شَاغِلُ
فَلِلشَّوْقِ مِنِّي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ ... وَخَبْلٌ إِذَا نَامَ ٱلْخَلِيُّونَ خَابِلُ
أَلِفْتُ ٱلضَّنَىٰ إِلْفَ ٱلسُّهَادِ فَلَوْ سَرَىٰ ... بِيَ ٱلْبُرْءُ غَالَتْنِي لِذَاكَ ٱلْغَوَائِلُ
فَلِلَّهِ هَـٰذَا ٱلشَّوْقُ أَيَّ جِرَاحَةٍ ... أَسَالَ بِنَا حَتَّىٰ كَأَنَّا نُقَاتِلُ
رَضِينَا بِحُكْمِ ٱلْحُبِّ فِينَا وَإِنَّنَا ... لَلُدٌّ إِذَا ٱلْتَفَّتْ عَلَيْنَا ٱلْجَحَافِلُ
وَإِنَّا رِجَالٌ تَعْلَمُ ٱلْحَرْبُ أَنَّنَا ... بَنُوهَا وَيَدْرِي ٱلْمَجْدُ مَاذَا نُحَاوِلُ
إِذَا مَا ٱبْتَنَى ٱلنَّاسُ ٱلْحُصُونَ فَمَا لَنَا ... سِوَى ٱلْبِيضِ وَٱلسُّمْرِ ٱللِّدَانِ مَعَاقِلُ
فَمَا لِلْهَوَىٰ يَقْوَىٰ عَلَيَّ بِحُكْمِهِ ... أَلَمْ يَدْرِ أَنِّي ٱلشَّمَّرِيُّ ٱلْحُلَاحِلُ
وَإِنِّي لَثَبْتُ ٱلْجَأْشِ مُسْتَحْصِدُ ٱلْقُوَىٰ ... إِذَا أَخَذَتْ أَيْدِي ٱلْكُمَاةِ ٱلْأَفَاكِلُ

(١) انظر « ديوان محمود سامي البارودي » (٣/٦١ ـ ٧٣)

إِذَا مَا ٱعْتَقَلْتُ ٱلرُّمْحَ وَٱلرُّمْحُ صَاحِبِي عَلَى ٱلشَّرِّ قَالَ ٱلْقِرْنُ إِنِّيَ هَازِلُ
لَطَاعَنْتُ حَتَّىٰ لَمْ أَجِدْ مِنْ مُطَاعِنٍ وَنَازَلْتُ حَتَّىٰ لَمْ أَجِدْ مَنْ يُنَازِلُ
وَشَاغَبْتُ هَٰذَا ٱلدَّهْرَ مِنِّي بِعَزْمَةٍ أَرَتْنِي سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ وَٱلْغَيُّ حَائِلُ
إِذَا أَنْتَ أَعْطَتْكَ ٱلْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا فَأَضْيَعُ شَيْءٍ مَا تَقُولُ [ٱلْعَوَاذِلُ]
وَمَا ٱلْمَرْءُ إِلَّا أَنْ يَعِيشَ مُحَسَّداً تَنَازَعُ فِيهِ ٱلنَّاجِذَيْنِ ٱلْأَنَامِلُ
لَعَمْرُكَ مَا ٱلْأَخْلَاقُ إِلَّا مَوَاهِبٌ مُقَسَّمَةٌ بَيْنَ ٱلْوَرَىٰ وَفَوَاضِلُ
وَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا كَادِحَانِ فَعَالِمٌ يَسِيرُ عَلَىٰ قَصْدٍ وَآخَرُ جَاهِلُ
فَذُو ٱلْعِلْمِ مَأْخُوذٌ بِأَسْبَابِ عِلْمِهِ وَذُو ٱلْجَهْلِ مَقْطُوعُ ٱلْقَرِينَةِ جَافِلُ
فَلَا تَطْلُبَنْ فِي ٱلنَّاسِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنَ ٱلْوُدِّ أُمُّ ٱلْوُدِّ فِي ٱلنَّاسِ هَابِلُ
مِنَ ٱلْعَارِ أَنْ يَرْضَى ٱلْفَتَىٰ غَيْرَ طَبْعِهِ وَأَنْ يَصْحَبَ ٱلْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُشَاكِلُ
بَلَوْتُ ضُرُوبَ ٱلنَّاسِ طُرّاً فَلَمْ يَكُنْ سِوَى ٱلْمَرْصِفِيِّ ٱلْحَبْرِ فِي ٱلنَّاسِ كَامِلُ
هُمَامٌ أَرَانِي ٱلدَّهْرَ فِي طَيِّ بُرْدِهِ وَفَقَّهَنِي حَتَّى ٱتَّقَانِي ٱلْأَمَاثِلُ
أَخٌ حِينَ لَا يَبْقَىٰ أَخٌ وَمُجَامِلٌ إِذَا قَلَّ عِنْدَ ٱلنَّائِبَاتِ ٱلْمُجَامِلُ
بَعِيدُ مَجَالِ ٱلْفِكْرِ لَوْ خَالَ خِيلَةً أَرَاكَ بِظَهْرِ ٱلْغَيْبِ مَا ٱلدَّهْرُ فَاعِلُ
طَرَحْتُ بَنِي ٱلْأَيَّامِ لَمَّا عَرَفْتُهُ وَمَا ٱلنَّاسُ عِنْدَ ٱلْبَحْثِ إِلَّا مَخَايِلُ
فَلَوْ سَامَنِي مَا يُورِدُ ٱلنَّفْسَ حَتْفَهَا لَأَوْرَدْتُهَا وَٱلْحُبُّ لِلنَّفْسِ قَاتِلُ
فَلَا بَرِحَتْ مِنِّي إِلَيْهِ تَحِيَّةٌ يُنَاقِلُهَا عَنِّي ٱلضُّحَىٰ وَٱلْأَصَائِلُ
وَلَا زَالَ غَضَّ ٱلْعُمْرِ مُمْتَنِعَ ٱلذُّرَا مَرِيعَ ٱلْفِنَا تُطْوَىٰ إِلَيْهِ ٱلْمَرَاحِلُ

وعلىٰ أن ليسَ مِنْ طبعي أن أقولَ الشعرَ ؛ إمَّا لفوتِ أوانِ تحصيلِ وسائلِهِ ،

ولم تكنْ إذ ذاكَ دواعٍ ترشدُ إليهِ ، وإمَّا لأنَّ الاستعدادَ الذي سلفَ التنبيهُ علىٰ أن لا بدَّ منهُ لم يكنْ في خليقتي أنطقَني حُبُّهُ بأبياتٍ أجملتُ فيها صفتَهُ ؛ وهيَ هٰذهِ [من البسيط]

زَكَا أَمِيرِيَ طَبْعاً وَٱعْتَلَىٰ شَرَفاً فَدَارَ حَيْثُ تَدُورُ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ
وَنَالَ مَا نَالَ عَنْ كَدِّ ٱلرِّجَالِ فَلَا مَنٌّ عَلَيْهِ لِشَخْصٍ حِينَ يَفْتَخِرُ
بِفَضْلِهِ كُلُّ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ مُعْتَرِفٌ كَمَا تَصَادَقَ فِيهِ ٱلْخُبْرُ وَٱلْخَبَرُ
لَا يَجْهَلُ ٱلرُّتْبَةَ ٱلْعَلْيَاءَ يَعْمُرُهَا وَلَا يَتِيهُ بِهَا مَا أَعْظَمَ ٱلْخَطَرُ
صَحِبْتُهُ وَهْوَ سِرٌّ فِي مَخَايِلِهِ حَتَّىٰ تَخَيَّرَ مِنْ إِعْلَانِهِ ٱلْكِبَرُ
فَمَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ شِبْهَ بَادِرَةٍ وَلَا تَخَيَّلْتُ أَمْراً مِنْهُ يُعْتَذَرُ
أَدَامَهُ ٱللّٰهُ نَقْنَىٰ مِنْ فَضَائِلِهِ وَمِنْ فَوَاضِلِهِ مَا أَنْبَتَ ٱلشَّجَرُ

وإلىٰ هنا ما أظنُّ إلَّا أنَّكَ تَحقَّقتَ بمعرفةِ تميُّزِ شعرِ الأمراءِ بما يظهرُ عليهِ مِنْ آثارِ عِزَّةٍ لنفسٍ ، ويَشمَلُ نواحيَهُ مِنَ البراعةِ والمتانةِ ، ويلوحُ فيهِ مِنْ تخيُّرِ الألفاظِ برعايةِ ما هوَ أوفقُ بالأدبِ ، أوِ الأليقُ بالمدحِ ، أوِ الأوقعُ في الزجرِ ، أوِ الأجلبُ للعطفِ والرضا ، أوِ الأدخلُ في النصيحةِ ، أوِ الأنسبُ بالغزلِ ، أوِ الأهيجُ في الحماسِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ المَقاماتِ ، وبانحصارِ أغراضِهِ فيما أمرَ بقصرِهِ عليهِ أبو [فراسٍ] حيثُ يقولُ (١) [من مجزوء الكامل]

اَلشِّعْرُ دِيوَانُ ٱلْعَرَبْ أَبَداً وَعُنْوَانُ ٱلْأَدَبْ
لَمْ أَعْدُ فِيهِ مَفَاخِرِي وَمَدِيحَ آبَائِي ٱلنُّجُبْ
وَمُقَطَّعَاتٍ رُبَّمَا حَلَّيْتُ مِنْهُنَّ ٱلْكُتُبْ

(١) انظر « ديوان أبي فراس الحمداني » (ص ٢٨)

لَا فِـي ٱلْـمَـدِيـحِ وَلَا ٱلْـهِـجَـا ءِ وَلَا ٱلْـمُـجُـونِ وَلَا ٱلـلَّـعِـبْ

وتبعَهُ المترجمُ في هٰذا المعنىٰ ، وزادَ عليهِ في الإحسانِ ؛ حيثُ يقولُ (١) [من السريع]

اَلشِّعْرُ زَيْنُ ٱلْمَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ وَسِيلَةً لِلْمَدْحِ وَٱلذَّامِ

قَدْ طَالَمَا عَزَّ بِهِ مَعْشَرٌ وَرُبَّمَا أَزْرَىٰ بِأَقْوَامِ

فَٱجْعَلْهُ فِيمَا شِئْتَ مِنْ حِكْمَةٍ أَوْ عِظَةٍ أَوْ حَسَبٍ نَامِ

وَٱهْتِفْ بِهِ مِنْ قَبْلِ تَسْرِيحِهِ فَٱلسَّهْمُ مَنْسُوبٌ إِلَى ٱلرَّامِي

ونَبَّهَ بقولِهِ (واهتِفْ بهِ مِنْ قبلِ تسريحِهِ) علىٰ أنَّهُ لا ينبغي أن يكتفيَ الشاعرُ بالنظرةِ الأُولىٰ ؛ فللنفسِ خداعٌ ، وربَّما تَنبَّهَتْ بعدَ أن غفلَتْ ، واستقبحَتْ ما استحسنَتْ ، ولذٰلكَ يقولُ الأوَّلُ (٢) [من الكامل]

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى ٱلرُّوَاةِ قَصِيدَةً مَا لَمْ تُبَالِغْ قَبْلُ فِي تَهْذِيبِهَا

فَإِذَا عَرَضْتَ ٱلشِّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ عَدُّوهُ مِنْكَ وَسَاوِساً تَهْذِي بِهَا

ويُروىٰ أنَّ زهيراً أحدَ مشاهيرِ شعراءِ الجاهليةِ كانَ يقولُ القصيدةَ في ستةِ أشهرٍ ، ثمَّ يُردِّدُها في نفسِهِ ويُكرِّرُ النظرَ فيها ستةَ أشهرٍ ، ولذٰلكَ تُسمَّىٰ قصائدُهُ بالحولياتِ ، ولمكانِ صعوبةِ الشعرِ ـ والنثرُ أشدُّ منهُ في ذٰلكَ مِنْ جهةِ تخيُّرِ الألفاظِ وتلاؤمِها ، وتناسبِ المعنىٰ لتبينَ جودةُ السياقِ ـ يقولُ الحطيئةُ (٣) [من مشطور الرجز]

اَلشِّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلَّمُهْ

---

(١) أي الأمير البارودي في « ديوانه » (٣/٥٣١ ـ ٥٣٢)

(٢) هو الحاكم المطوعي ، كما في « أنوار الربيع » (١/١٠٣)

(٣) تقدم (٣/١٥٦)

إِذَا ٱرْتَـقَـىٰ فِـيـهِ ٱلَّـذِي لَا يَـعْـلَـمُـهْ

هَـوَتْ بِـهِ إِلَى ٱلْـحَـضِـيـضِ قَـدَمُـهْ

وَٱلـشِّـعْـرُ لَا يَـسْـطِـيـعُـهُ مَـنْ يَـظْـلِـمُـهْ

وَلَـمْ يَـزَلْ مِـنْ حَـيْـثُ يَـأْتِـي يُـخْـرِمُـهْ

يُـرِيـدُ أَنْ يُـعْـرِبَـهُ فَـيُـعْـجِـمُـهْ

مَـنْ يَـسِـمِ ٱلْأَعْـدَاءَ يَـبْـقَ مِـيـسَـمُـهْ

مَنْ يَظلِمُهُ ؛ أي يَتكلَّفُهُ ، ولا يأتي بهِ في إبانةٍ ، ويريدُ أن يُعرِبَهُ ؛ أي يأتيَ بهِ عربيّاً ؛ بوضعِ الألفاظِ في مواضعِها اللائقةِ بها ، وسلامةِ التركيبِ ممَّا يُبعِدُ فهمَ المعنىٰ منهُ

وقولُهُ (مَنْ يسمِ الأعداءَ) إشارةٌ إلىٰ أنَّ وضعَ الشيءِ في موضعِهِ كما يعترفُ بهِ ذوو الإدراكِ إذا وقفوا عليهِ مُوجِبٌ لبقائِهِ ، وارتباطاتِ العناياتِ بهِ



[قصائدُ منتخبةٌ لمشاهيرِ الشُّعراءِ حَسَبَ طبقاتِهِم]

وإذْ قد عرفتَ أن لا سبيلَ لمعرفةِ الصِّناعةِ إلَّا بكثرةِ الحفظِ ، ورعايةِ ما نبَّهناكَ علىٰ رعايتِهِ فقد آنَ أن نوردَ لكَ ما يكونُ مثالاً لِمَا ينبغي أن تُحصِّلَهُ للحفظِ وترديدِ النظرِ فيه ؛ مِنْ قصائدَ لمشاهيرِ الشعراءِ

وينبغي بحَسَبِ نشأةِ الشعرِ ، وما عرض لهُ مِنَ التغيُّرِ أن نجعلَ الشُّعراءَ في ثلاثِ طبقاتٍ

الطَّبقةُ الأُولىٰ للعربِ جاهليينَ وإسلاميينَ ؛ مِنَ المُهلهِلِ إلىٰ بشارِ بنِ بردٍ



والثانيةُ : للمُحدَثينَ الذين كانوا يَحرِصونَ علىٰ موافقةِ العربِ ، ويجتهدونَ في سلوكِ طرائقِهِم ؛ مِنْ أبي نُواسٍ إلىٰ مَنْ قبلَ عبدِ الرحيمِ المعروفِ بالقاضي الفاضلِ



والثالثةُ بالشُّعراءِ الذي غلبَ عليهِمُ استعمالُ النِّكاتِ ، والإفراطُ في مراعاةِ البديعِ ؛ وهُم مِنَ القاضي الفاضلِ إلىٰ هٰذا الوقتِ



الطَّبقة الأُولىٰ

قيلَ إنَّ عدياً المُلقَّبَ بالمُهلهِلِ هوَ أوَّلُ مَنْ أطالَ الشِّعرَ ورقَّقَهُ ؛ ولذٰلكَ لُقِّبَ المُهلهِلَ ؛ مِنْ قولِهِم ثوبٌ هلهلٌ ؛ إذا لم يكنْ مدامجَ الخيوطِ ؛ بحيثُ يَشِفُّ عمَّا وراءَهُ ، وإنَّما كانَتِ الشُّعراءُ قبلَهُ تقولُ قِطَعاً تَذكُرُ فيها الوقائعَ وتفخرُ ، ولٰكنِ اتفقَتْ كلمةُ العلماءِ علىٰ أنَّ أوَّلَ مَنْ جَوَّدَ الشِّعرَ ، وأطالَ القصائدَ ، وجعلَها مشتملةً علىٰ أصنافٍ مِنَ المعاني هوَ امرُؤُ القيسِ ، ومِنْ هنا وردَ فيهِ « هُوَ حَامِلُ لِوَاءِ ٱلشُّعَرَاءِ إِلَى ٱلنَّارِ »[1]

وقالَ الصَّاحبُ ابنُ عبادٍ : (بُدِئَ الشعرُ بملكٍ ، وخُتِمَ بملكٍ)[2] ؛ يعني امرَأَ القيسِ ؛ إذ كانَ ابنَ ملكٍ مِنْ ملوكِ العربِ ، وطلبَ المُلكَ بعدَ أبيهِ ، وكانَ يُلقَّبُ بالملكِ الضِّليلِ ، وأبا فراسٍ الحمدانيَّ

فامرُؤُ القيسِ ومَنْ يُذكَرُ معَهُ مِنْ أصحابِ المُعلَّقاتِ وغيرِهِم هُم أئمةُ الشعرِ الذينَ يُقتدىٰ بهِم ، ويُصنَعُ علىٰ ما مثَّلُوهُ ؛ إذ كانوا هُمُ المخترعينَ ، وكانَتْ عباراتُهُم حكايةً عنِ الواقعِ ، وصنعةً للمَشاهدِ ، لم تكنِ الصَّنعةُ غالبةً عليهِم كما هوَ شأنُ المُتأخِّرينَ عنهُم ، وإن كانَ الشعرُ كيفَما كانَ مِنَ الأمورِ المصنوعةِ التي يتفاوتُ الناسُ في إتقانِها ، ورعايةِ جهاتِ حسنِها ، لٰكنْ مِنْ حيثُ كانَ ذٰلكَ ابتداءً لم يُحتذَ فيهِ مثالٌ قيلَ لشعرِهِم إنَّهُ مطبوعٌ ، ولشعرِ المُتأخِّرينَ إنَّهُ مصنوعٌ ؛ لكونِهِمُ احتذَوا فيهِ الأمثلةَ التي اخترعَها هٰؤلاءِ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٢٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٢/٥٩)

[المفاضلةُ بينَ امرئِ القيسِ وعلقمةَ الفحلِ في صفةِ جريِ الفرسِ]

فمِنْ شعرِ امرئِ القيسِ قصيدتُهُ التي وافقَهُ في وزنِها ورويِّها علقمةُ الفحلُ ، وتحاكما في المفاضلةِ بينَهُما وتقديمِ أحدِهِما إلىٰ أُمِّ جندبٍ ؛ وهيَ امرأةٌ مِنْ ذواتِ العقلِ والمعرفةِ ، كانَ تَزوَّجَها امرُؤُ القيسِ ، فحكمَتْ لعلقمةَ عليهِ بالبيتَينِ اللَّذينِ توافيا فيهِما علىٰ معنىً واحدٍ في صفةِ جريِ الفرسِ ، فكانَ ذلكَ سبباً لأن طَلَّقَها امرُؤُ القيسِ ، وخلفَهُ عليها علقمةُ

[قصيدةُ امرئِ القيسِ]

وهيَ هٰذهِ [1] [من الطويل]

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَىٰ أُمِّ جُنْدُبِ ... لِتَقْضِيَ لُبَانَاتِ ٱلْفُؤَادِ ٱلْمُعَذَّبِ
فَإِنَّكُمَا إِنْ تُنْظِرَانِيَ سَاعَةً ... مِنَ ٱلدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَىٰ أُمِّ جُنْدُبِ
أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً ... وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ
عَقِيلَةُ أَتْرَابٍ لَهَا لَا دَمِيمَةٌ ... وَلَا ذَاتُ خَلْقٍ إِنْ تَأَمَّلْتَ جَأْنَبِ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَادِثُ وَصْلِهَا ... وَكَيْفَ تُرَاعِي وُصْلَةَ ٱلْمُتَغَيِّبِ
أَقَامَتْ عَلَىٰ مَا بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ ... أُمَيْمَةُ أَمْ صَارَتْ لِقَوْلِ ٱلْمُخَبِّبِ
فَإِنْ تَنْأَ عَنْهَا حِقْبَةً لَا تُلَاقِهَا ... فَإِنَّكَ مِمَّا أَحْدَثَتْ بِٱلْمُجَرِّبِ
وَقَالَتْ مَتَىٰ يَبْخَلْ عَلَيْكَ وَيَعْتَلِلْ ... يَسُؤْكَ وَإِنْ يُكْشَفْ غَرَامُكَ تَدْرَبِ
تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَىٰ مِنْ ظَعَائِنٍ ... سَوَالِكَ نَقْباً بَيْنَ حَزْمَيْ شَعَبْعَبِ
عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ فَوْقَ عِقْمَةٍ ... كَجِرْمَةِ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةِ يَثْرِبِ
وَلِلهِ عَيْنَا مَنْ رَأَىٰ مِنْ تَفَرُّقٍ ... أَشَتَّ وَأَنْأَىٰ مِنْ فِرَاقِ ٱلْمُحَصَّبِ

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٤١ ـ ٥٥)

فَرِيقَانِ مِنْهُمْ جَازِعٌ بَطْنَ نَخْلَةٍ وَآخَرُ مِنْهُمْ قَاطِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ
فَعَيْنَاكَ غَرْبَا جَدْوَلٍ فِي مُفَاضَةٍ كَمَرِّ ٱلْخَلِيجِ فِي صَفِيحِ ٱلْمُصَوَّبِ
وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَعَاجِزٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ
وَإِنَّكَ لَمْ تَقْطَعْ لُبَانَةَ عَاشِقٍ بِمِثْلِ غُدُوٍّ أَوْ رَوَاحٍ مُؤَوِّبِ
بِأَدْمَاءَ حُرْجُوجٍ كَأَنَّ قُتُودَهَا عَلَىٰ أَبْلَقِ ٱلْكَشْحَيْنِ لَيْسَ بِمُغْرَبِ
يُغَرِّدُ بِٱلْأَسْحَارِ فِي كُلِّ سُدْفَةٍ تَغَرُّدَ مَيَّاحِ ٱلنَّدَامَى ٱلْمُطَرِّبِ
أَقَبُّ رَبَاعٍ مِنْ حَمِيرِ عَمَايَةٍ يَمُجُّ لُعَاعَ ٱلْبَقْلِ فِي كُلِّ مَشْرَبِ
بِمَحْنِيَةٍ قَدْ آزَرَ ٱلضَّالُ نَبْتَهَا مَجَرَّ جُيُوشٍ غَانِمِينَ وَخُيَّبِ
وَقَدْ أَغْتَدِي وَٱلطَّيْرُ فِي [وُكُنَاتِهَا] وَمَاءُ ٱلنَّدَىٰ يَجْرِي عَلَىٰ كُلِّ مِذْنَبِ
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ لَاحَهُ طِرَادُ ٱلْهَوَادِي كُلَّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ
عَلَى ٱلْأَيْنِ جَيَّاشٌ كَأَنَّ سَرَاتَهُ عَلَى ٱلضُّمْرِ وَٱلتَّعْدَاءِ سَرْحَةُ مَرْقَبِ
يُبَارِي ٱلْخَنُوفَ ٱلْمُسْتَقِلَّ زِمَاعُهُ تَرَىٰ شَخْصَهُ كَأَنَّهُ عُودُ مِشْجَبِ
لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَصَهْوَةُ عَيْرٍ قَائِمٍ فَوْقَ مَرْقَبِ
وَيَخْطُو عَلَىٰ صُمٍّ صِلَابٍ كَأَنَّهَا حِجَارَةُ غَيْلٍ وَارِسَاتٌ [بِطُحْلُبِ]
لَهُ كَفَلٌ كَٱلدِّعْصِ لَبَّدَهُ ٱلنَّدَىٰ إِلَىٰ حَارِكٍ مِثْلِ ٱلْغَبِيطِ ٱلْمُذَأَّبِ
وَعَيْنٌ كَمِرْآةِ ٱلصَّنَاعِ تُدِيرُهَا بِمَحْجِرِهَا مِنَ ٱلنَّصِيفِ ٱلْمُنَقَّبِ
لَهُ أُذُنَانِ تَعْرِفُ ٱلْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتَيْ مَذْعُورَةٍ وَسْطَ رَبْرَبِ
وَمُسْتَفْلِكُ ٱلذِّفْرَىٰ كَأَنَّ عِنَانَهُ وَمَثْنَاتَهُ فِي رَأْسِ جِذْعٍ مُشَذَّبِ
وَأَسْحَمُ رَيَّانُ ٱلْعَسِيبِ كَأَنَّهُ عَثَاكِيلُ قِنْوٍ مِنْ سَمِيحَةَ مُرْطِبِ

إِذَا مَا جَرَىٰ شَأْوَيْنِ وَٱبْتَلَّ عِطْفُهُ تَقُولُ هَزِيزُ ٱلرِّيحِ مَرَّتْ بِأَثْأَبِ
يُدِيرُ قَطَاةً كَٱلْمَحَالَةِ أَشْرَفَتْ إِلَىٰ سَنَدٍ مِثْلِ ٱلْغَبِيطِ ٱلْمُذَأَّبِ
فَيَوْماً عَلَىٰ سِرْبٍ نَقِيٍّ جُلُودُهُ وَيَوْماً عَلَىٰ بَيْدَانَةٍ أُمِّ تَوْلَبِ
فَبَيْنَا نِعَاجٌ يَرْتَعِينَ خَمِيلَةً كَمَشْيِ ٱلْعَذَارَىٰ فِي ٱلْمُلَاءِ ٱلْمُهَدَّبِ
فَكَانَ تَنَادِينَا وَعَقْدَ عِذَارِهِ وَقَالَ صِحَابِي قَدْ شَأَوْنَكَ فَٱطْلُبِ
فَلَأْياً بِلَأْيٍ مَا حَمَلْنَا غُلَامَنَا عَلَىٰ ظَهْرِ مَحْبُوكِ ٱلسَّرَاةِ مُجَنَّبِ
وَوَلَّىٰ كَشُؤْبُوبِ ٱلْعَشِيِّ بِوَابِلٍ وَيَخْرُجْنَ مِنْ جَعْدٍ تَرَاهُ مُنَصَّبِ
فَلِلسَّاقِ أُلْهُوبٌ وَلِلسَّوْطِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجَ مِنْعَبِ
فَأَدْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَثْنِ شَأْوَهُ يَمُرُّ كَخُذْرُوفِ ٱلْوَلِيدِ ٱلْمُثَقَّبِ
تَرَى ٱلْفَأْرَ فِي مُسْتَنْقَعِ ٱلْقَاعِ لَاحِباً عَلَىٰ جَدَدِ ٱلصَّحْرَاءِ مِنْ شَدِّ مُلْهِبِ
خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ عَشِيٍّ [مُجَلِّبِ]
فَعَادَىٰ عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ وَبَيْنَ شَبُوبٍ كَٱلْقَضِيمَةِ قَرْهَبِ
وَظَلَّ لِثِيرَانِ ٱلصَّرِيمِ غَمَاغِمٌ يُدَاعِسُهَا بِٱلسَّمْهَرِيِّ ٱلْمُعَلَّبِ
[فَكَابٍ] عَلَىٰ حُرِّ ٱلْجَبِينِ وَمُتَّقٍ بِمَدْرِيَةٍ كَأَنَّهَا ذَلْقُ مِشْعَبِ
وَقُلْتُ لِفِتْيَانٍ كِرَامٍ أَلَا ٱنْزِلُوا فَعَالُوا عَلَيْنَا فَضْلَ ثَوْبٍ مُطَنَّبِ
وَأَوْتَادُهُ [مَاذِيَّةٌ] وَعِمَادُهُ رُدَيْنِيَّةٌ فِيهَا أَسِنَّةُ قَعْضَبِ
وَأَطْنَابُهُ أَشْطَانُ خُوصٍ نَجَائِبٍ وَصَهْوَتُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُشَرْعَبِ
فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَضَفْنَا ظُهُورَنَا إِلَىٰ كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مُشَطَّبِ
كَأَنَّ عُيُونَ ٱلْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلِنَا ٱلْجَزْعُ ٱلَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ

نَـمُـشُّ بِـأَعْـرَافِ ٱلْـجِـيَـادِ أَكُـفَّـنَـا إِذَا نَـحْـنُ قُـمْـنَا عَـنْ شِـوَاءٍ مُـضَـهَّـبِ
وَرُحْـنَـا كَـأَنَّـا مِـنْ جُـؤَاثَـىٰ عَـشِـيَّـةً [نُعَالِي] ٱلنِّعَاجَ بَيْنَ عِدْلٍ وَمُحْقَبِ
وَرَاحِ كَـتَـيْـسِ ٱلـرَّبْـلِ يَـنْـفُـضُ رَأْسَـهُ أَذَاةً بِـهِ مِـنْ صَـائِـكٍ مُـتَـحَـلِّـبِ
كَـأَنَّ دِمَـاءَ ٱلْـهَـادِيَـاتِ بِـنَـحْـرِهِ عُـصَـارَةُ حِـنَّـاءٍ بِـشَـيْـبٍ مُـخَـضَّـبِ
وَأَنْـتَ إِذَا ٱسْـتَـدْبَـرْتَـهُ سَـدَّ فَـرْجَـهُ بِضَافٍ فُوَيْقَ ٱلْأَرْضِ لَيْسَ بِأَصْهَبِ

[شرحُ وضبطُ قصيدةِ امرئِ القيسِ]

وهٰذا الشعرُ محتاجٌ إلى الشرحِ والضبطِ ؛ لتحصلَ الفائدةُ بحفظِهِ ؛ فنقولُ

قولُهُ (خليليَّ) البيتَ ، اللُّباناتُ جمعُ لُبانةٍ بضمِّ اللامِ ؛ ما يتشهَّاهُ الإنسانُ بعدَ الحوائجِ الأصليَّةِ

وقولُهُ (ألم ترياني) يَتعلَّقُ بهِ حكايةٌ تُعرَفُ منها المفاضلةُ بينَ الشاعرَينِ ؛ يُحكىٰ أنَّ كُثَيِّرَ عَزَّةَ لمَّا قالَ[1] [من الطويل]

فَمَا رَوْضَةٌ بِٱلْحَزْنِ غِبَّ سَمَائِهَا يَمُجُّ ٱلنَّدَىٰ جَثْجَاثُهَا وَعَرَارُهَا
بِـأَطْـيَـبَ مِـنْ أَرْدَانِ عَـزَّةَ مَـوْهِـنـاً وَقَدْ أُوقِدَتْ بِٱلْمَنْدِلِ ٱلرَّطْبِ نَارُهَا

جاءَتْهُ عجوزٌ ومعَها روثةٌ ، عليها نارٌ ، فيها عُودٌ هنديٌّ ، وقالَتْ لهُ لم تزدْ في صفةِ عَزَّةَ علىٰ هٰذهِ ، ألا قلتَ كما قالَ امرُؤُ القيسِ [من الطويل]

أَلَـمْ تَـرَيَـانِـي كُـلَّـمَـا جِـئْـتُ طَـارِقـاً وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

وصفَها بأنَّ طيبَها مِنْ ذاتِها ، وكُثَيِّرٌ جعلَ طيبَها مِنْ غيرِها ، وكلُّ

(١) تقدم (٣/٤٣٤) ، وفي « ديوانه » (طيبة الزرع) بدل (غب سمائها) ، وفي بعض المصادر (طيبة الثرىٰ)

شيءٍ يطيبُ بالطِّيبِ تطيبُ رائحتُهُ ، والفضلُ للطِّيبِ لا للشيءِ

وقولُهُ (عقيلةُ أترابِ) البيتَ ، العقيلةُ الكريمةُ ، عقلَها أهلُها ومنعوها مِنَ التبذُّلِ ؛ لجمالِها ، والأتراب جمعُ تِرْبٍ ؛ وهوَ المساوي في العمرِ ، مأخوذٌ مِنَ الترابِ ؛ لأنَّهُما جاءا مِنْ ترابٍ واحدٍ ، واللدةُ مثلُهُ ؛ لأنَّهُما وُلدا معاً ، والجأنَبُ المُتجنَّبُ المحقورُ ، أوِ الغليظُ القصيرُ

وقولُهُ : (أقامَتْ) تفصيلٌ لقولِهِ (وكيفَ تراعِي وصلةَ المُتغيِّبِ) يقولُ هل بقيَتْ على ما نعهدُ ، أو تغيَّرَتْ بتغييرِ المفسدِ ؛ وهوَ المُخبِّبُ ؛ مِنَ التخبيبِ ؛ وهوَ إفسادُ عبدِ الرجلِ عليهِ أوِ امرأتِهِ

وقولُهُ (فإن تنأ) البيتَ ، رجوعٌ منهُ إلى معروفِهِ مِنْ أخلاقِها بعدَ استفهامِ التجاهلِ ، فهوَ يقولُ فإن تغبْ عنها مُدَّةً فإنَّهُ لا يَخفى عليكَ أمرُها ، ولا ما تصيرُ إليهِ ، فأنتَ منهُ بموضعِ التجريبِ ، فالمُجرَّبُ اسمُ مكانٍ في زنةِ اسمِ المفعولِ كما هوَ شأنُهُ مِنْ غيرِ الثلاثيِّ

وبَيَّنَ تجنيَها وتَخْشِينَ القولِ لهُ المنبئَ عنِ التغيُّرِ في قولِهِ (وقالَتْ متى يبخلْ عليكَ) البيتَ ، وتدربُ مِنَ الدربةِ ؛ وهيَ العادةُ ، دَرِبَ في الأمرِ ؛ اعتادَهُ ومرنَ عليهِ ، فهيَ تقولُ لهُ إنَّكَ طَموعٌ ، لا تقفُ عندَ حدٍّ

وقولُهُ (تَبصَّرْ خليلي) البيتَ ، الظَّعينةُ الجملُ عليهِ المسافرةُ ؛ وهيَ ظعينةٌ أيضاً ، والنقبُ الطريقُ في الجبلِ ، والحزمُ ـ بالميمِ ـ أغلظُ مِنَ الحزنِ بالنونِ ، وكلاهُما بفتحٍ فسكونٍ الأمكنةُ الوَعْرةُ

وشعبعبٌ بالعينِ وبالغينِ ؛ مكانٌ مِنْ أرضِ بني تميمٍ

وقولُهُ (علونَ بأنطاكيَّة) يصفُ هيئةَ الرحالِ على الإبلِ ، ويذكرُ أنَّها مِنْ

نفائسِ الثيابِ ؛ تنويهاً بعظمِ أهلِها ، وأنَّهُم مِنْ أهلِ الثروةِ ، وأنطاكيةُ مِنْ بلادِ الشامِ تُنسَبُ إليها ثيابٌ تُصنَعُ بها ، والعِقمةُ ـ بكسرٍ فسكونٍ ـ : الوشيُ ، وشَبَّهَ الإبلَ بما عليها مِنَ الملوناتِ بمزرعةِ نخلٍ ؛ وهيَ [الجِزْمةُ] بكسرٍ فسكونٍ ، وأضربَ عنِ التشبيهِ بمكانٍ غيرِ مُعيَّنٍ إلىٰ مكانٍ مُعيَّنٍ ؛ لظهورِهِ واستقرارِهِ في خيالِ السامعِ ، ويثربُ مدينةُ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، بلدُ نخلٍ ، وهناكَ بلدُ نخلٍ أيضاً يُقالُ لها يَتْرَبُ بفتحِ الياءِ والراءِ بينَهُما تاءٌ ، وهيَ المذكورةُ في قولِهِ[1] [من الطويل]

مَـوَاعِيـدَ عُـرْقُـوبٍ أَخَـاهُ [بِيَـتْـرَبِ]

وقولُهُ (وللهِ [عَيْنَا]) البيتَ وما بعدَهُ ، يصفُ بهِما اجتماعَ الحاجِّ وملتقى الأحبَّةِ وافتراقَهُم ، ويبدي أسفَهُ في ذٰلكَ ، والمُحصَّبُ مِنْ أمكنةِ تلكَ الناحيةِ ، وجزعُ الأرضِ وقطعُها معناهُما واحدٌ ، وبطنُ نخلةَ ونجدُ كبكبٍ مكانانِ إلىٰ جهتَينِ مختلفتَينِ

وقولُهُ (فعيناكَ) صفةٌ لبكائِهِ علىٰ أثرِ الظاعنينَ ، والغربُ الدلوُ العظيمةُ ، والمفاضةُ موضعُ إفاضةِ الماءِ وإسالتِهِ ؛ أي تنهملُ دموعُهُ كمرِّ الخليجِ ، والصَّفيحُ الحجارةُ ، والمصوبُ المُمالُ ، وهنالِكَ تكونُ سرعةُ جريِ الماءِ

وقولُهُ (وإنَّكَ لم يفخرْ) لمَّا افتخرَتْ عليهِ بأنَّها تكشفُ غرامَهُ ، وقرعَتْهُ بالطمعِ وتركِ الوقوفِ عندَ حدٍّ ، وهوَ لا يَقدِرُ على الإجابةِ ؛ لمكانِ الحبِّ المُوجِبِ لتسليمِ كلِّ ما يقولُهُ المحبوبُ تَذكَّرَ أنَّهُ ربَّما يَفتخِرُ على الإنسانِ مَهينٌ عاجزٌ ضعيفٌ ، ولا يجدُ الشريفُ أن يجيبَهُ ويَرُدَّ عليهِ ، حتىٰ يُخيَّلَ أنَّهُ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (١/٥٨) ، والبيت بتمامه

وَعَـدْتَ وَكَـانَ ٱلْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَـوَاعِيـدَ عُـرْقُـوبٍ أَخَـاهُ بِيَـتْـرَبِ

مغلوبٌ ، فتشتدُّ حزازةُ صدرِهِ ، ولسانُهُ لا ينطلقُ ، فرمىٰ بكلامٍ هوَ أكبرُ مِنَ الغزلِ ، ولذٰلكَ يَتمثَّلُ بهِ للتروُّحِ عندَ حصولِ مثلِ ذٰلكَ

وقولُهُ (وإنكَ لم تقطعْ لُبانةَ) البيتَ ، انتقالٌ منهُ لذكرِ الحيلةِ في السلوِّ وكسرِ سَورةِ العشقِ ، فادَّعىٰ أنَّ السفرَ والذهابَ في البلادِ يكونُ سبباً لذٰلكَ ، وشرطَ في السفرِ الإبعادَ ، ولذٰلكَ أوجبَ أن تكونَ راحلتُهُ علىٰ ما وصفَ مِنَ الشدةِ والصَّلابةِ ؛ حتىٰ تساعدَهُ علىٰ ما أرادَ ، **والغُدُوُّ** : الذهابُ أولَ النهارِ ، **والرَّواحُ** الذهابُ في آخِرِهِ ، **والتأويبُ** السيرُ نهاراً ، **والإدلاجُ** السيرُ ليلاً ، **والحُرجُوجُ** ـ كعُصفورٍ ـ : الصلبةُ ، **والقَتَدُ** ـ بفتحتينِ ـ : عُدَّةُ الراحلةِ ، **والأبلقُ** : ذو اللَّونَينِ ، **والمُغْرَبُ** ـ علىٰ زنةِ اسمِ المفعولِ ـ : **الأبيضُ** كلُّهُ ، **والأقبُّ** الضَّامرُ ورباعٍ منقوصٌ ؛ إذا نصبتَهُ أظهرتَ الياءَ ؛ فقلتَ ركبت رَبَاعِياً ؛ وهوَ الذي أُسقِطَ رباعيتُهُ ، وزنةُ الكلمةِ ثَمَانٍ وثَمَانيةٌ ، مِنْ حَمِيرِ عَمايةٍ جبلٌ بناحيةِ نجدٍ تُعرَفُ حميرُهُ بالشدَّةِ ، **واللُّعاعُ** ـ كغُرابٍ ـ : نبتٌ ناعمٌ في أوَّلِ ما يبدو ، **والمحنيةُ** ما انعطفَ مِنَ الوادي ، وهوَ أخصبُهُ ، ولذٰلكَ قالَ إنَّ نبتَهُ علا ، وكانَ كالشجرِ المُسمَّىٰ بالضَّالِ ، ووصفُهُ بكونِهِ موفراً لم ينزلْهُ الناسُ حتىٰ يرعَوْا نباتَهُ ، فهوَ علىٰ جانبٍ بحيثُ يمرُّ عليهِ الناسُ مروراً ، وبَيَّنَ ذٰلكَ في قولِهِ (ممرَّ جيوشٍ غانمينَ وخُيَّبِ) أي جيوشٍ خُيَّبٍ ، فالغانمُ فرحَ بالقُفولِ إلىٰ أهلِهِ ، فهوَ لا يُعرِّجُ علىٰ مكانٍ ، والخائبُ ساعٍ ليغنمَ ، وإذا كانَ حالُ الموضعِ ذٰلكَ وجدَتِ الحميرُ مرعىً رغداً ، فنمتْ أجسامُها ، وتزايدَتْ قُواها

وقولُهُ (قد أغتدي) البيتَ ، هوَ وقتُ الخروجِ إلى الصَّيدِ ، ولهُ كانَتْ شبابُ العربِ المُترفونَ يَستعمِلونَ الخيلَ ، ويذكرونَ ذٰلكَ في عدادِ مَلاذِّهِم ، **والمِذْنَبُ** ـ كمِنبرٍ ـ مسيلُ الماءِ إلى الأرضِ ، كالمزرعةِ والبستانِ

وقولُهُ (بمنجردٍ) المنجردُ قصيرُ الشعرِ ، وذٰلكَ محمودٌ في الخيلِ ، وقيدُ الأوابدِ ؛ وهيَ الوحشُ ، جمعُ آبدةٍ استعارةٌ معدودةٌ مِنْ حسناتِ امرئِ القيسِ ، ولاحَهُ غَيَّرَهُ مِنَ السِّمَنِ إلى الضُّمورِ ، والطرادُ الاتباعُ ، والهوادي السوابقُ ، جمعُ هاديةٍ ؛ كأنَّها دليلةٌ ما وراءَها ، وفي قولِهِ (طرادُ الهوادي) إبانةٌ لحسنِ طلبِهِ ، وأنَّهُ فاتَ الوحشَ ، وأتاهُ مِنْ قبلِ وجهِهِ ، فمنعَها السلوكَ إلىٰ وجهتِها ، والشأوُ : الطلقُ يجريهِ الفرسُ إلىٰ غايةٍ ما ، قَرُبَتْ أو بَعُدَتْ ، ولذٰلكَ قُيِّدَ بالمُغرَّبِ ؛ وهوَ البعيدُ

وقولُهُ (على الأينِ) البيتَ ، الأينُ التعبُ ، والجَيَشانُ غليانُ القِدْرِ ، وفي الفرسِ هيجانُهُ نشاطاً ووفورَ قُوَّةٍ ، وسراةُ كلِّ شيءٍ أعلاهُ ، حتىٰ في الناسِ ، قالَ قيسٌ (١) [من المتقارب]

وَعَمْرَةُ مِنْ سَرَوَاتِ ٱلنِّسَاءِ تَنْفَحُ بِٱلْمِسْكِ أَرْدَانُهَا

والسَّرحةُ واحدةُ السَّرحِ ؛ الشجرُ لا شوكَ فيهِ ، ويقابلُهُ العضهُ للشجرِ الشائكِ ، والمَرْقَبُ الموضعُ يُرقَبُ منهُ ، وكانوا يَرقُبونَ في الشجرِ العالي الكثيرِ الفروعِ ، ولهٰذهِ الصِّفةِ قَيَّدَ السَّرحةَ ليظهرَ الفرسُ في صورةِ عظمِهِ التي يحاولُ نعتَها

وقولُهُ (يباري) المباراةُ المسابقةُ ، وأصلُهُ أنَّ مَنْ يبري القوسَ يغالبُ آخرَ في عجلةِ العملِ ، والخَنوفُ اللَّيِّنُ القوائمِ بحيثُ يرمي بها في العَدْوِ رمياً ؛ يريدُ ثوراً وحشيّاً ؛ وهوَ معروفٌ بشدَّةِ العَدْوِ ، والزِّماعُ جمعُ زَمَعةٍ بفتحتَينِ ؛ شعرٌ يكونُ في أسفلِ الأرجلِ ، واستقلالُهُ ارتفاعُهُ ؛ فإنَّهُ إذا طالَ عَطَّلَ عن شدةِ الجري ، وعودُ المِشجَبِ خشبٌ ينصبُهُ القَصَّارُ ينشرُ عليهِ الثيابَ ، والمِشجبُ بزنةِ مِنبَرٍ

---

(١) انظر « ديوان قيس بن الخطيم » (ص ٦٩)

وقولُهُ (لهُ أيطلا ظبيٍ) البيتَ ، الأيطلُ : الجانبُ ، والصَّهوةُ موضعُ الراكبِ مِنَ الفرسِ ، وقصرَ في هـٰذا البيتِ عن بيتِ المُعلَّقةِ ؛ حيثُ أتىٰ في ذٰلكَ بأربعةِ تشبيهاتٍ ، وبيتُ المُعلَّقةِ[1] [من الطويل]

لَـهُ أَيْـطَـلَا ظَـبْـيٍ وَسَـاقَـا نَـعَـامَـةٍ وَإِرْخَـاءُ سِـرْحَـانٍ وَتَـقْـرِيـبُ تَـتْـفُـلِ

وتتفلٌ بزنةِ تَنصُرُ ، وأتىٰ هنا بثلاثةِ تشبيهاتٍ ، كلُّها في الجسمِ

وقولُهُ (ويخطو) البيتَ ، الحافرُ الأصمُّ الذي لا خلوَ فيهِ ، ومنهُ الصَّخرةُ الصَّمَّاءُ ، والغَيْلُ ـ بفتحِ فسكونٍ ـ : الماءُ يجري علىٰ وجهِ الأرضِ ، والوارساتُ جمعُ وارسةٍ ؛ أي ذاتِ وَرْسٍ ، وهوَ بفتحِ فسكونٍ ؛ نبتٌ أصفرُ يصبغُ بهِ كالزعفرانِ ، والحجارةُ إذا تَلوَّنَتْ بهـٰذا اللونِ كانَتْ [قد] قدمَتْ وبلغَتِ الغايةَ في الصَّلابةِ

وقولُهُ (له كفلٌ) البيتَ ، الدِّعصُ ـ بكسرِ فسكونٍ ـ أكمةٌ صغيرةٌ مِنَ الرملِ تُشبَّهُ بها الأكفالُ ، واستُعمِلَتْ في غزلِ العربِ ، وقَلَّدَهمْ غيرُهُم ، والحاركُ : طرفُ الوركِ المشرفُ مِنْ أعلاهُ ، والغبيطُ : قتبُ الهودجِ ، والمذأبُ الذي لهُ أطرافٌ بارزةٌ مشرفةٌ

وقولُهُ (وعينٌ) البيتَ ، الصَّناعُ للأنثىٰ ، وللذَّكرِ صَنَعٌ بفتحتَينِ ؛ مِنَ الصَّنعةِ للحاذقِ والحاذقةِ فيها ، ومرآةُ الصَّناعِ مشوفةٌ مُجلوَّةٌ ، ليسَ عليها صَدَأٌ ولا غبارٌ كما تكونُ مرآةُ الخرقاءِ ، والمَحْجِرُ بفتحِ الميمِ وكسرِ الجيمِ في لغةٍ ، وفي أخرىٰ بزنةِ مِنْبَرٍ ، وفي تفسيرِهِ خلافٌ ؛ أهوَ ما بانَ مِنْ أسفلِ العينِ ، أوِ البياضُ المحيطُ بالسوادِ ؟ والنصيفُ الخمارُ

وقولُهُ (لهُ أذنانِ) البيتَ ، العتقُ كرمُ الأصلِ والنجابةُ ، وآذانُ

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٢١)

أصلاءِ الخيلِ صغارٌ منتصباتٌ ، تُشبَّهُ بالأَلَّةِ ؛ أيِ الحربةِ ، وبورقِ الآسِ ، وبريةِ القلمِ ، والربربُ جماعةُ الظِّباءِ ، والمذعورةُ تنصبُ أذنَيها وترفعُ رأسَها ، والعِتقُ بكسرٍ فسكونٍ

وقولُهُ (ومستفلِكُ الذِّفرىٰ) البيتَ ؛ أي ذفراهُ ؛ وهوَ العظمُ خلفَ الأذنِ مستديرةٌ كفَلْكةِ المِغزلِ ، والمَثْناةُ عِذارُ الفرسِ ، والمُشذَّبُ المُجرَّدُ عنِ الأشياءِ الناتئةِ عليهِ

وقولُهُ : (وأسحمُ) البيتَ ، السُّحمةُ : السوادُ ، يصفُ ذنَبَهُ ، والعسيبُ منبتُ شعرِهِ ، والعثاكيلُ جمعُ عُثكولٍ ؛ شماريخُ البلحِ ، والقنوُ : مجموعُها ، وسميحةُ ناحيةٌ بها نخلٌ ، ولعلَّهُ لهُ خصوصيةٌ حتىٰ قَيَّدَ بهِ ، وقَيَّدَ بالمرطبِ لسوادِ الذنبِ ، فيتمُّ التشبيهُ

وقولُهُ (إذا ما جرىٰ) البيتَ ، أَثْأَبٌ شجرٌ للريحِ فيهِ حفيفٌ ، وهوَ بفتحِ الهمزتَينِ

وقولُهُ (يديرُ قطاةً) البيتَ ، القطاةُ مقعدُ الرديفِ ، والمحالةُ بكرةُ البئرِ ، والسَّنَدُ هنا أرادَ بهِ الحاركَ ، أعادَ وصفَهُ

وقولُهُ : (فيوماً علىٰ سِرْبٍ) البيتَ ، السِّرْبُ ـ بكسرٍ فسكونٍ ـ : القطيعُ مِنَ البقرِ ، والجماعةُ مِنَ الطيرِ ، والبيدانةُ أمُّ التَّوْلَبِ الأتانُ أمُّ الجحشِ ، والتَّوْلَبُ بسكونٍ بينَ فتحتَينِ

وقولُهُ (فلأياً بلأيٍ) اللَّأيُ البطءُ ، والمُجنَّبُ مِنَ التجنيبِ ؛ وهوَ احديدابٌ في وظيفَي الفرسِ وصلبِها ، أوِ المُحنَّبُ مِنَ التحنيبِ ؛ وهوَ بُعْدُ ما بينَ الرجلَينِ بلا فحجٍ

وقولُهُ (وولّىٰ كشُؤبوبِ العشيِّ) البيتَ ، شُؤبوبُ العشيِّ : الدفعةُ مِنَ

المطرِ ، ويُقالُ وبلَ ؛ أيِ انهملَ ، ووصفَ البقرَ بشدةِ العَدْوِ ، حتىٰ إنَّها تثيرُ الترابَ النديَّ المُتلبِّدَ ، ولا يثيرُ ذٰلكَ إلَّا قُوَّةُ الرَّكضِ بالأظلافِ ، والمُنصَّبُ المرتفعُ كالخباءِ

وقولُهُ (فللساقِ) البيتَ ، قسمَ العَدْوَ بأقسامِهِ ، والأهوجُ المِنْعَبُ الطائرُ الذي اعتادَ النعيبَ ؛ أيِ التصويتَ ، وهوَ بزنةِ مِنْبَرٍ ، ويُروىٰ (أخرجَ مذهبِ) وهو مِنْ صفةِ النعامِ

وقولُهُ (ترى الفأرَ .) البيتَ وما بعدَهُ ، يقولُ إنَّهُ يخرجُ الفيرانَ إلى اليفاعِ فتكونُ ظاهرةً ، وهوَ معنىٰ لاحبٍ ، وخفاهُنَّ أظهرَهُنَّ ، والأنفاقُ جمعُ نفقٍ ؛ شقوقُها ، والودقُ المطرُ ، والمُجلِّبُ اسمُ فاعلٍ ؛ أي ذو جلباتٍ وأصواتٍ ، وحاصلُهُ أنَّ الفئرانَ تَظنُّهُ عندَ مَرِّهِ مطراً ، فتخرجُ مِنْ مطمئنِّ الأرضِ إلىٰ مرتفعِها تطلبُ السلامةَ منهُ

وقولُهُ (فعادىٰ) البيتَ ، عادىٰ بينَ الشيئَينِ والىٰ بينَهُما ، والشَّبُوبُ الفتىٰ ، والقضيمةُ الصَّحيفةُ البيضاءُ ، وثيرانُ الوحشِ بيضٌ ، والقَرْهَبُ هنا ـ بسكونٍ بينَ فتحتَينِ ـ : البدينُ

قولُهُ : (وظلَّ لثيرانٍ) المداعسةُ موالاةُ الطَّعنِ ، والسَّمْهَرِيُّ مِنْ ألقابِ الرمحِ ، والمُعلَّبُ : اسمُ مفعولٍ مِنْ علبَ الرمحَ ؛ إذا لفَّ عليهِ سيراً مُتخَذاً مِنْ علباءِ البعيرِ ؛ وهوَ عصبُ عنقِهِ ؛ تقويةً لهُ ألَّا ينشقَّ

وقولُهُ (فكابٍ علىٰ حُرِّ الجبينِ .) البيتَ ، كبا سقطَ لوجهِهِ ، والمدريةُ أرادَ بها هنا القرنَ ، [والذَّلْقُ] الطرفُ ، والمِشعَبُ ما يُشعَبُ بهِ الجلدُ المشقوقُ

وقولُهُ (وقلتُ لفتيانٍ) البيتَ ، فعالوا ؛ أي فنزلوا فنصبوا لنا خباءً

وقولُهُ (وأوتادُهُ) وما بعدَهُ ، يذكرُ أنَّ ذٰلكَ الخِباءَ قامَ مِنْ ثيابِهِم وسلاحِهِم ، وكذٰلكَ يفعلونَ إذا كانوا في الصَّيدِ ، والماذيةُ الدرعُ البيضاءُ أوِ اللينةُ ، وردينيةٌ مِنْ ألقابِ الرماحِ ، وقَعْضَبٌ اسمُ رجلٍ كانَ يُركِّبُ أسنَّةَ الرماحِ ، والأشطانُ جمعُ شطنٍ ؛ الحبالُ ، والخُوصُ جمعُ خوصاءَ ؛ غائرةُ العينِ ، وصهوةُ الخباءِ أعلاهُ

والأَتحميُّ المُشَرْعَبُ نوعٌ مِنَ الثيابِ الفاخرةِ فيهِ تماثيلُ الشَّرْعَبِ ـ بسكونٍ بينَ فتحتَينِ ـ لنباتٍ ، ويُقالُ : ثوبٌ مطيرٌ ومخيلٌ ومُرحَّلٌ ؛ إذا رُسِمَ فيهِ تماثيلُ تلكَ الأشياءِ

وقولُهُ (فلمَّا دخلناهُ) البيتَ ، أضافَ ظهرَهُ ؛ أي أسندَهُ

والحاريُّ المنسوبُ إلى الحِيرةِ ، ويُقالُ حِيرِيٌّ على القياسِ ، وأرادَ بهِ الرحلَ المصنوعَ بها ، والمُشطَّبُ الذي فيهِ الشطبُ ؛ جمعُ شطبةٍ بضمٍّ أو كسرٍ فسكونٍ ؛ للخطوطِ والطرائقِ ، وتُذكَرُ في صفةِ السيفِ ؛ لِمَا فيهِ مِنَ الخطوطِ

وقولُهُ (كأنَّ عيونَ الوحشِ) البيتَ ، الجَزْعُ نوعٌ مِنْ خرزِ اليمنِ فيهِ خطوطٌ ، قيلَ إنَّ عيونَ البقرِ وهيَ حيةٌ تُرىٰ سوداءَ لا يظهرُ فيها البياضُ ، فإذا ماتَتْ ظهرَ

وقولُهُ (نَمُشُّ بأعرافِ الجيادِ) البيتَ ، مشَّ الكفَّ مسحَها مِنْ أثرِ الطعامِ ، والمَشوشُ ـ بفتحِ الميمِ ـ ما يُمسَحُ بهِ ؛ كالمِنديلِ ، والمُضهَّبُ الذي أعجلَ أن يَنضَجَ

يُحكىٰ أنَّ عبدَ الملكِ سألَ جلساءَهُ يوماً عن أفضلِ مناديلِ العربِ ، فكلٌّ ذكرَ مناديلَ ناحيةٍ مِنْ نواحي الأرضِ ونعتَها ، فلمَّا فرغوا . قالَ عبدُ الملكِ لم تصيبوا ، ألم تسمعوا لقولِ الشاعرِ ـ وفي الأبياتِ بيانُ المعنى الذي قصدَهُ

امرُؤُ القيسِ [1] ـ : [من البسيط]

لَـمَّـا نَـزَلْـنَـا نَـصَـبْـنَـا ظِـلَّ أَخْـبِـيَـةٍ وَفَـارَ بِـٱلـلَّـحْـمِ لِـلْـقَـوْمِ ٱلْـمَـرَاجِـيـلُ
وَرْدٌ وَأَشْـقَـرُ مَـا يُـونِـيـهِ طَـابِـخُـهُ مَـا غَـيَّـرَ ٱلْـغَـلْـيُ مِـنْـهُ فَـهْـوَ مَـأْكُـولُ
ثُـمَّـتَ قُـمْـنَـا إِلَـىٰ جُـرْدٍ مُـسَـوَّمَـةٍ أَعْـرَافُـهُـنَّ لِأَيْـدِيـنَـا مَـنَـادِيـلُ

وقولُهُ (ورحنا) البيتَ ، جُؤاثىٰ ـ كحُبارىٰ ـ : قريةٌ يُحمَلُ منها التمرُ ، ونُعالي نرفعُ رفعَ الحملِ ، وجعلَ الحملَ بينَ عدلٍ ـ وهوَ الموضوعُ علىٰ ظهرِ الحاملةِ ـ وجانبَيها ، والمُحْقَبُ الموضوع علىٰ مؤخَرِها

وقولُهُ (وراحَ كتيسِ الربلِ) البيتَ ، الربلُ نبتٌ يظهرُ في آخرِ الصَّيفِ ينبتُ علىٰ بردِ الليلِ ، لا يحتاجُ للماءِ ، وهوَ بفتحٍ فسكونٍ ، والتيسُ إذا رعاهُ بعدَما رعىٰ نباتَ الصَّيفِ يكونُ في أوفرِ قُوَّتِهِ ، وأذاةٌ بهِ ؛ أي مِنْ أذيَّةٍ فيهِ ينفضُهُ ، وإنَّما يَتأذَّىٰ مِنَ العرقِ المُتغيِّرِ ؛ وهوَ الصَّائكُ ، المُتحلِّبُ المُتصبِّبُ



(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٠٣/١) ، عزاها لأخي بني سعد عبدة بن الطبيب

[قصيدةُ علقمةَ الفحلِ]

وهٰذهِ قصيدةُ علقمةَ[1] [من الطويل]

ذَهَبْتِ مِنَ ٱلْهِجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبِ وَلَمْ يَكُ حَقّاً كُلُّ هَٰذَا ٱلتَّجَنُّبِ

لَيَالِيَ لَا تَبْلَىٰ نَصِيحَةُ بَيْنِنَا لَيَالِيَ حَلُّوا بِٱلسِّتَارِ فَغُرَّبِ

أي اذكري لياليَ لا تُمتحَنُ نصيحةُ بينِنا ؛ لخُلوصِها ؛ يعني لياليَ التصافي ، يَحثُّها على بقاءِ الوفاءِ

مُبَتَّلَةٌ كَأَنَّ أَنْضَاءَ حَلْيِهَا عَلَىٰ شَادِنٍ مِنْ صَاحَةٍ مُتَرَبَّبِ

مَحَالٌ كَأَجْوَازِ ٱلْجَرَادِ وَلُؤْلُؤٌ مِنَ ٱلْقَلَقِيِّ وَٱلْكَبِيسِ ٱلْمُلَوَّبِ

المُبتَّلةُ التي انفردَتْ بالحسنِ ، فهيَ تُذكَرُ وحدَها في النعتِ والصفةِ ، وشبَّهَها بالغزالِ المترعرعِ مِنْ غزلانِ ذٰلكَ المكانِ المُتربَّبِ ؛ أي المُربَّى المعتنىٰ بهِ ، وأنضاءُ الحَلْيِ منظومُهُ ، وفَصَّلَهُ بقولِهِ (مَحالٌ) بفتحِ الميمِ ؛ لنوعٍ مِنَ الحَلْيِ ، وكذا القَلَقِيُّ والمُلَوَّبُ ؛ المَلويُّ كالسِّوارِ

إِذَا أَلْحَمَ ٱلْوَاشُونَ لِلشَّرِّ بَيْنَنَا تَبَلَّغَ رَمْسُ ٱلْحُبِّ غَيْرَ ٱلْمُكَذَّبِ

هوَ تفسيرٌ وبيانٌ لقولِهِ (لا تبلىٰ نصيحةُ بينِنا) أي إذا اجتهدَ الوُشاةُ أن يبلغوا مآربَهُم تأكَّدَ الحبُّ المرموسُ ؛ أيِ المكتومُ ، فهوَ مِنْ إضافةِ الصفةِ

وَمَا أَنْتَ أَمْ مَا ذِكْرُهَا رَبَعِيَّةً تَحُلُّ بِإِيرٍ أَوْ بِأَكْنَافِ شُرْبُبِ

---

(١) انظر « ديوان علقمة بن عبدة » (ص ٩ ـ ٢٠)

عاتبَ نفسَهُ فقالَ ما شأنُكَ وما شأنُ ذكرِها ربعيةَ مِنْ ربيعةَ

وإيرٌ ـ بكسرِ الهمزِ ـ وشُرْبُبٌ موضعانِ

أَطَعْتَ ٱلْوُشَاةَ وَٱلْمُشَاةَ بِصُرْمِهَا فَقَدْ أَنْهَجَتْ حِبَالُهَا لِلتَّقَضُّبِ

وَقَدْ وَعَدَتْكَ مَوْعِداً لَوْ وَفَتْ بِهِ كَمَوْعُودِ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بِيَثْرَبِ

وَقَالَتْ مَتَىٰ [يَبْخَلْ] عَلَيْكَ وَيَعْتَلِلْ يَسُؤْكَ وَإِنْ يَكْشِفْ غَرَامَكَ تَدْرَبِ

فَقُلْتُ لَهَا فِيئِي فَمَا تَسْتَفِزُّنِي ذَوَاتُ ٱلْعُيُونِ وَٱلْبَنَانِ ٱلْمُخَضَّبِ

فَفَاءَتْ كَمَا فَاءَتْ مِنَ ٱلْأُدْمِ مُغْزِلٌ بِبِيشَةَ تَرْعَىٰ فِي أَرَاكٍ وَحُلَّبِ

تخاشنَ في هٰذهِ الأبياتِ ، وذكرَ أنَّهُ جازاها بعملِها ، فأعرض كما أعرضَتْ ، وأجابَها علىٰ مثلِ ما ابتدأَتْ

فَعِشْنَا بِهَا مِنَ ٱلشَّبَابِ مُلَاوَةً فَأَنْجَحَ آيَاتِ ٱلرَّسُولِ ٱلْمُخَبِّبِ

التفتَ للإخبارِ عمَّا كانَ بينَهُ وبينَها مُدَّةَ الشبابِ

والمُلاوةُ المدةُ

فَإِنَّكَ لَمْ تَقْطَعْ لُبَانَةَ عَاشِقٍ بِمِثْلِ بُكُورٍ أَوْ رَوَاحٍ مُؤَوِّبِ

بِمُجْفَرَةِ ٱلْجَنْبَيْنِ حَرْفٍ شِمِلَّةٍ كَهَمِّكَ مِرْقَالٍ عَلَى ٱلْأَيْنِ ذِعْلِبِ

كهمِّكَ ؛ أي وَفقَ غرضِكَ ، والذِّعْلِبُ ـ بكسرٍ فسكونٍ ـ الصلبةُ

إِذَا مَا ضَرَبْتُ ٱلدَّفَّ أَوْصَلْتُ صَوْلَةً تَرَقَّبُ مِنِّي غَيْرَ أَدْنَىٰ تَرَقُّبِ

الدفُّ الجانبُ ، وترقَّبُ ؛ أي تلاحظُ خوفاً ورعياً ترقُّباً شديداً ليسَ بالضَّعيفِ ، وهوَ قولُهُ (غيرَ أدنىٰ) ، وجملُ ذي الرُّمةِ أحسنُ مِنْ ناقتِهِ هٰذهِ وأفرهُ ؛ فإنَّهُ لم يَضرِبْهُ ولم يصلْ عليهِ حيثُ يقولُ وأحسنَ

ما شاءَ [١] [من الطويل]

يَكَادُ مِنَ ٱلتَّصْدِيرِ يَنْسَلُّ كُلَّمَا تَرَنَّمَ أَوْ مَسَّ ٱلْعِمَامَةَ رَاكِبُهْ

[عودٌ لقصيدةِ علقمةَ]

بِعَيْنٍ كَمِرْآةِ ٱلصَّنَاعِ تُدِيرُهَا لِمَحْجِرِهَا مِنَ ٱلنَّصِيفِ ٱلْمُنَقَّبِ

كَأَنَّ بِحَاذَيْهَا إِذَا مَا تَشَذَّرَتْ عَثَاكِيلَ قِنْوٍ مِنْ سُمَيْحَةَ مُرْطِبِ

تَذُبُّ بِهِ طَوْراً وَطَوْراً تُمِرُّهُ كَذَبِّ ٱلْبَشِيرِ بِٱلرِّدَاءِ ٱلْمُهَدَّبِ

يصفُ الذنبَ ، والحاذانِ مواقعُهُ مِنْ أدبارِ الفخذَينِ

وَقَدْ أَغْتَدِي وَٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا وَمَاءُ ٱلنَّدَىٰ يَجْرِي عَلَىٰ كُلِّ مِذْنَبِ

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ لَاحَهُ طِرَادُ ٱلْهَوَادِي كُلَّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ

كُمَيْتٍ كَلَوْنِ ٱلْأُرْجُوَانِ نَشَرْتَهُ لِبَيْعِ ٱلرِّدَاءِ فِي ٱلصُّوَانِ ٱلْمُكَعَّبِ

مُمَرٍّ كَعَقْدِ ٱلْأَنْدَرِيِّ يَزِينُهُ مَعَ ٱلْعِتْقِ خَلْقٌ مُفْعَمٌ غَيْرُ جَأْنَبِ

لَهُ حُرَّتَانِ تَعْرِفُ ٱلْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتَيْ مَذْعُورَةٍ وَسْطَ رَبْرَبِ

وَجَوْفٌ هَوَاءٌ تَحْتَ مَتْنٍ كَأَنَّهُ مِنَ ٱلْهَضْبَةِ ٱلْخَلْقَاءِ زُحْلُوقُ مَلْعَبِ

الخَلقاءُ الملساءُ

قَطَاةٌ كَكُرْدُوسِ ٱلْمَحَالَةِ أَشْرَفَتْ إِلَىٰ سَنَدٍ مِثْلِ ٱلْغَبِيطِ ٱلْمُذَأَّبِ

وَسُمْرٌ يُفَلِّقْنَ ٱلظِّرَابَ كَأَنَّهَا حِجَارَةُ غَيْلٍ وَارِسَاتٌ بِطُحْلُبِ

إِذَا مَا ٱقْتَنَصْنَا لَمْ نُخَاتِلْ بِجُنَّةٍ وَلَٰكِنْ نُنَادِي مِنْ بَعِيدٍ أَلَا ٱرْكَبِ

أَخَا ثِقَةٍ لَا يَلْعَنُ ٱلْحَيُّ شَخْصَهُ صَبُوراً عَلَى ٱلْعِلَّاتِ غَيْرَ مُسَبَّبِ

إِذَا أَنْفَدُوا زَاداً فَإِنَّ عِنَانَهُ وَأَكْرُعَهُ مُسْتَعْمَلاً خَيْرُ مِكْسَبِ

---

(١) انظر « ديوان ذي الرمة » (٢/٨٣٩)

يصفُ ثقتَهُ بالفرسِ ، وأنَّهُم لا يخاتلونَ الصَّيدَ ؛ أي لا يختالونَ عليهِ ؛ لعلمِهِم أنَّهُ يدركُهُ بشدِّهِ ، وجعلَهُ أخا ثقةٍ يستبشرُ بهِ الناسُ ولا يسبونَهُ ؛ ليمنِهِ وبركتِهِ ، وأنَّهُ في جميعِ الأحوالِ صابرٌ ، وأوضحَ ذٰلكَ بذكرِ أنَّهُ خيرُ مِكْسَبٍ ـ أي كاسبٍ بزنةِ مِنْبَرٍ ـ إذا استعملوهُ وصرفوهُ بعِنانِهِ ، فعملَتْ أرجلُهُ عملَها ، ونسبَ الكسبَ إلى العِنانِ والقوائمِ التي عَبَّرَ عنها بالأكرعِ

رَأَيْنَا شِيَاهاً يَرْتَعِينَ خَمِيلَةً   كَمَشْيِ ٱلْعَذَارَىٰ فِي ٱلْمُلَاءِ ٱلْمُهَدَّبِ
فَبَيْنَا تَمَارَيْنَا وَعَقْدُ عِذَارِهِ   خَرَجْنَ عَلَيْنَا كَٱلْجُمَانِ ٱلْمُثَقَّبِ

أرادَ أن يقولَ المنظَّمَ ؛ لكونِها متتابعةً متواصلةً ، تشبهُ العقدَ ، ولم يَتمكَّنْ ، فعَبَّرَ بالمُثقَّبِ اللازمِ لإمكانِ النظمِ ، وهٰذا الذي يُسمِّيهِ أهلُ البديعِ الطاعةَ والعصيانَ

فَأَتْبَعَ آثَارَ ٱلشِّيَاهِ بِصَادِقٍ   حَثِيثٍ كَغَيْثِ ٱلرَّائِحِ ٱلْمُتَحَلِّبِ
فَأَدْرَكَ مِنْهَا ثَانِياً مِنْ عِنَانِهِ   يَمُرُّ كَمَرِّ ٱلرَّائِحِ ٱلْمُتَحَلِّبِ
تَرَى ٱلْفَأْرَ فِي مُسْتَنْقَعِ ٱلْقَاعِ لَائِحاً   عَلَىٰ جَدَدِ ٱلصَّحْرَاءِ مِنْ شَدِّ مُلْهَبِ
خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا   تَخَلَّلَهُ شُؤْبُوبُ غَيْثٍ مُنَقِّبِ
فَظَلَّ لِثِيرَانِ ٱلصَّرِيمِ غَمَاغِمٌ   يُدَاعِسُهُنَّ بِٱلنَّضِيِّ ٱلْمُعَلَّبِ
فَهَاوٍ عَلَىٰ حُرِّ ٱلْجَبِينِ وَمُتَّقٍ   بِمَدْرِيَةٍ كَأَنَّهَا ذَلْقُ مِشْعَبِ
وَعَادَىٰ عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ   وَبَيْنَ شَبُوبٍ كَٱلْقَضِيمَةِ قَرْهَبِ
فَقُلْنَ[(١)] أَلَا قَدْ كَانَ صَيْدٌ لِقَانِصٍ   فَخَبُّوا عَلَيْنَا فَضْلَ بُرْدٍ مُطَنَّبِ

---

(١) في « ديوان علقمة بن عبدة » (ص ١٨) (فقلنا) بدل (فقلن)

كَأَنَّ عُيُونَ ٱلْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلِنَا ٱلْجَزْعُ ٱلَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ

وَرُحْنَا كَأَنَّا مِنْ جُوَاثَىٰ عَشِيَّةً نُعَالِي ٱلنِّعَاجَ بَيْنَ عِدْلٍ وَمُحْقَبِ

وَرَاحَ كَشَاةِ [ٱلرَّبْلِ] يَنْفُضُ رَأْسَهُ أَذَاةً بِهِ مِنْ صَائِكٍ مُتَحَلِّبِ

وَرَاحَ يُبَارِي فِي [ٱلْجَنَابِ] قَلُوصَنَا عَزِيزاً عَلَيْنَا كَٱلْحُبَابِ ٱلْمُسَيَّبِ

فانظرْ كيفَ تناولَ هٰذانِ الشاعرانِ تلكَ المعانيَ متناولاً واحداً ، لا تفاوتَ بينَهُما إلَّا في اليسيرِ كما يُدرَكُ بتدقيقِ النظرِ والتلبُّثِ في المقارنةِ بينَ شعرَيهِما ، وتَبيُّنُ ذٰلكَ بما تواردا عليهِ مِنَ الأبياتِ الكاملةِ ، وتأمُّلُ ذٰلكَ نافعٌ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ



[مرثيةُ محمدِ بنِ كعبٍ الغنويِّ في أخيهِ]

ومِنْ جيدِ شعرِ هٰذهِ الطَّبقةِ مرثيةُ محمدِ بنِ كعبٍ الغنويِّ التي يرثي بها أخاهُ ؛ وهيَ [1] [من الطويل]

تَقُولُ ٱبْنَةُ ٱلْعَبْسِيِّ قَدْ شِبْتَ بَعْدَنَا ... وَكُلُّ ٱمْرِئٍ بَعْدَ ٱلشَّبَابِ يَشِيبُ

وَمَا ٱلشَّيْبُ إِلَّا غَائِباً كَانَ جَائِياً ... وَمَا ٱلْقَوْلُ إِلَّا مُخْطِئٌ وَمُصِيبُ

تَقُولُ سُلَيْمَىٰ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِباً ... كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ ٱلشَّرَابَ طَبِيبُ

فَقُلْتُ وَلَمْ أَعْيَ ٱلْجَوَابَ وَلَمْ أُلِحْ ... وَلِلدَّهْرِ فِي ٱلصُّمِّ ٱلصِّلَابِ نَصِيبُ

تَتَابُعُ أَحْدَاثٍ تَخَرَّمْنَ إِخْوَتِي ... فَشَيَّبْنَ رَأْسِي وَٱلْخُطُوبُ تُشِيبُ

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مَنِيَّةٌ ... أَخِي وَٱلْمَنَايَا لِلرِّجَالِ شَعُوبُ

لَقَدْ كَانَ أَمَّا حِلْمُهُ فَمُرَوَّحٌ ... عَلَيْهِ وَأَمَّا جَهْلُهُ فَعَزِيبُ

أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ رِيبَةٍ ... وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ هَيُوبُ

أَخِي كَانَ يَكْفِينِي وَكَانَ يُعِينُنِي ... عَلَىٰ نَائِبَاتِ ٱلدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

حَلِيمٌ إِذَا مَا سَوْرَةُ ٱلْجَهْلِ أُطْلِقَتْ ... حُبَى ٱلشَّيْبِ لِلنَّفْسِ ٱللَّجُوجِ غَلُوبُ

هُوَ ٱلْعَسَلُ ٱلْمَاذِيُّ حِلْماً وَنَائِلاً ... وَلَيْثٌ إِذَا يَلْقَى ٱلْعِدَاةَ غَضُوبُ

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ ٱلصُّبْحُ غَادِياً ... وَمَاذَا يُؤَدِّي ٱللَّيْلُ حِينَ يَؤُوبُ

هَوَتْ أُمُّهُ مَاذَا تَضَمَّنَ قَبْرُهُ ... مِنَ ٱلْمَجْدِ وَٱلْمَعْرُوفِ حِينَ يَنُوبُ

أَخُو شَتَوَاتٍ يَعْلَمُ [ٱلضَّيْفُ] أَنَّهُ ... سَيَكْثُرُ مَا فِي قِدْرِهِ وَيَطِيبُ

---

(١) انظر « جمهرة أشعار العرب » (٢/٧٠١ ـ ٧١٠)

حَبِيبٌ إِلَى ٱلزُّوَّارِ غِشْيَانُ بَيْتِهِ جَمِيلُ ٱلْمُحَيَّا شَبَّ وَهْوَ أَدِيبُ
[كَأَنَّ] بُيُوتَ ٱلْحَيِّ مَا لَمْ يَكُنْ بِهَا بَسَابِسُ قَفْرٌ مَا بِهِنَّ عَرِيبُ
كَعَالِيَةِ ٱلرُّمْحِ ٱلرُّدَيْنِيِّ لَمْ يَكُنْ إِذَا ٱبْتَدَرَ ٱلْخَيْرَ ٱلرِّجَالُ يَخِيبُ
إِذَا قَصُرَتْ أَيْدِي ٱلرِّجَالِ عَنِ ٱلْعُلَا تَنَاوَلَ أَقْصَى ٱلْمَكْرُمَاتِ شَبِيبُ
جَمُوعٌ خِلَالَ ٱلْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِذَا حَلَّ مَكْرُوهٌ بِهِنَّ ذَهُوبُ
مُفِيدٌ مُلَقًّى ٱلْفَائِدَاتِ مُعَاوِدٌ لِفِعْلِ ٱلنَّدَىٰ وَٱلْمَكْرُمَاتِ كَسُوبُ
وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى ٱلنَّدَىٰ فَلَمْ يَسْتَجِبْ عِنْدَ ٱلنِّدَاءِ مُجِيبُ
فَقُلْتُ ٱدْعُ أُخْرَىٰ وَٱرْفَعِ ٱلصَّوْتَ ثَانِياً لَعَلَّ أَبِي ٱلْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ
يُجِبْكَ بِمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ أَنَّهُ بِأَمْثَالِهَا رَحْبُ ٱلذِّرَاعِ أَرِيبُ
أَتَاكَ سَرِيعاً وَٱسْتَجَابَ إِلَى ٱلنَّدَىٰ كَذَلِكَ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ كَانَ يُجِيبُ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ يَدْعُو ٱلسَّوَابِحَ مَرَّةً بِذِي لَجَبٍ تَحْتَ ٱلرِّمَاحِ مَهِيبُ
فَتىً أَرْيَحِيٌّ كَانَ يَهْتَزُّ لِلنَّدَىٰ كَمَا ٱهْتَزَّ مِنْ مَاءِ ٱلْجَدِيدِ قَضِيبُ
فَتىً مَا يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِجِسْمِهِ إِذَا نَالَ خَلَّاتِ ٱلْكِرَامِ شُحُوبُ
إِذَا مَا تَرَاءَاهُ ٱلرِّجَالُ تَحَفَّظُوا فَلَمْ تُنْطَقِ ٱلْعَوْرَاءُ وَهْوَ قَرِيبُ
عَلَىٰ خَيْرِ مَا كَانَ ٱلرِّجَالُ رُزِئْتُهُ وَمَا ٱلْخَيْرُ إِلَّا طُعْمَةٌ وَنَصِيبُ
حَلِيفُ ٱلنَّدَىٰ يَدْعُو ٱلنَّدَىٰ فَيُجِيبُهُ سَرِيعاً وَيَدْعُوهُ ٱلنَّدَىٰ فَيُجِيبُ
غِيَاثٌ لِعَانٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُعِينُهُ وَمُخْتَبِطٌ يَغْشَى ٱلدُّخَانَ غَرِيبُ
عَظِيمُ رَمَادِ ٱلنَّارِ رَحْبٌ فِنَاؤُهُ إِلَىٰ سَنَدٍ لَمْ يَجْتَنِحْهُ عُيُوبُ (١)

(١) يعني تميل به عيوب

يَبِيتُ ٱلنَّدَىٰ يَا أُمَّ عَمْرٍو ضَجِيعَهُ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي ٱلْمُنْقِيَاتِ حَلُوبُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا ٱلْحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ ... مَعَ ٱلْحِلْمِ فِي عَيْنِ ٱلْعَدُوِّ مَهِيبُ
مُعَنَّىً إِذَا عَادَى ٱلرِّجَالُ عَدَاوَةً ... بَعِيدٌ إِذَا عَادَى ٱلرِّجَالُ قَرِيبُ
غَنِينَا بِخَيْرٍ حِقْبَةً ثُمَّ جَلَّحَتْ ... عَلَيْنَا ٱلَّتِي كُلَّ ٱلْأَنَامِ تُصِيبُ
فَأَبْقَتْ قَلِيلاً ذَاهِباً وَتَجَهَّزَتْ ... لِآخَرَ وَٱلرَّاجِي ٱلْحَيَاةَ كَذُوبُ
وَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلنَّأْيَ فِي ٱلْحَيِّ مِنْهُمُ ... إِلَىٰ أَجَلٍ أَقْصَىٰ مَدَاهُ قَرِيبُ
لَقَدْ أَفْسَدَ ٱلْمَوْتُ ٱلْحَيَاةَ وَقَدْ أَتَىٰ ... عَلَىٰ نَوْمِهِ(١) عِلْقٌ عَلَيَّ حَبِيبُ
فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً ... إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ
جَمَعْنَ ٱلنَّوَىٰ حَتَّىٰ إِذَا ٱجْتَمَعَ ٱلْهَوَىٰ ... صَدَعْنَ ٱلْعَصَا حَتَّى ٱلْقَنَاةُ شَعُوبُ
أَتَىٰ دُونَ حُلْوِ ٱلْعَيْشِ حَتَّىٰ أَمَرَّهُ ... نُكُوبٌ عَلَىٰ آثَارِهِنَّ نُكُوبُ
كَأَنَّ أَبَا ٱلْمِغْوَارِ لَمْ يُوفِ مَرْقَباً ... إِذَا رَبَأَ ٱلْقَوْمَ ٱلْغُزَاةَ رَقِيبُ
وَلَمْ يَدْعُ فِتْيَاناً كِرَاماً لِمَيْسِرٍ ... إِذَا ٱشْتَدَّ مِنْ رِيحِ ٱلصَّبَاءِ هُبُوبُ
فَإِنْ غَابَ مِنْهُمْ غَائِبٌ أَوْ تَخَاذَلُوا ... كَفَىٰ ذَاكَ مِنْهُمْ وَٱلْجَنَابُ خَصِيبُ
كَأَنَّ أَبَا ٱلْمِغْوَارِ ذَا ٱلْمَجْدِ لَمْ تَجُبْ ... بِهِ ٱلْبِيدَ عَنْسٌ بِٱلْفَلَاةِ خَبُوبُ
عَلَاةٌ تَرَىٰ فِيهَا إِذَا حُطَّ رَحْلُهَا ... نُدُوباً عَلَىٰ آثَارِهِنَّ نُدُوبُ
وَإِنِّي لَبَاكِيهِ وَإِنِّي لَصَادِقٌ ... عَلَيْهِ وَبَعْضُ ٱلْقَائِلِينَ كَذُوبُ
فَتَى ٱلْحَرْبِ إِنْ حَارَبْتُ كَانَ سِمَامَهَا ... وَفِي ٱلسَّفْرِ مِفْضَالُ ٱلْيَدَيْنِ وَهُوبُ
وَحَدَّثْتُمَانِي إِنَّمَا ٱلْمَوْتُ فِي ٱلْقُرَىٰ ... فَكَيْفَ وَهَٰذِي رَوْضَةٌ وَقَلِيبُ

---

(١) في « جمهرة أشعار العرب » (٧٠٨/٢) (يومه)

وَمَـاءُ سَـمَـاءٍ كَـانَ غَـيْـرَ [مُـجِـمَّـةٍ] بِـدَوِيَـةٍ تَـجْـرِي عَـلَـيْـهِ جَـنُـوبُ
وَمَـنْـزِلُـهُ فِـي دَارِ صِـدْقٍ وَغِـبْـطَـةٍ وَمَا ٱقْتَالَ مِنْ حُكْمٍ عَلَيْهِ طَبِيبُ
فَلَوْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا تُبَاعُ ٱشْتَرَيْتُهُ بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ ٱلنُّفُوسُ تَطِيبُ
بِعَيْنَيَّ أَوْ يُمْنَىٰ يَدَيَّ وَقِيلَ لِي هُوَ ٱلْغَانِمُ ٱلْجَذْلَانُ يَوْمَ يَؤُوبُ
لَعَمْرُكُمَا إِنَّ ٱلْبَعِيدَ لَمَا مَضَىٰ وَإِنَّ ٱلَّذِي يَأْتِي غَداً لَقَرِيبُ
وَإِنِّـي وَتَـأْمِـيـلِـي لِـقَـاءَ مُـؤَمَّـلٍ وَقَدْ شَعَبَتْهُ عَنْ لِقَايَ شَعُوبُ
كَـدَاعِـي هَـدِيـلٍ لَا يَـزَالُ مُـكَـلَّـفـاً وَلَاتَ لَـهُ حَتَّى ٱلْمَمَاتِ مُجِيبُ
سَقَىٰ كُلَّ ذِكْرٍ جَاءَنَا مِنْ مُؤَمَّلٍ عَلَى ٱلنَّأْيِ رَجَّافُ ٱلسَّحَابِ سَكُوبُ

إن كنتَ معتبراً مِنْ كلامٍ صحَّةَ معنىً ، وتخيُّرَ لفظٍ ، وجودةَ تركيبٍ ، ومتانةَ سياقٍ ، وحسنَ استعارةٍ ، ولطفَ إشارةٍ ، وغرابةَ نادرةٍ فلتكنْ هٰذهِ القصيدةُ مثالَكَ الذي تحتذيهِ ، فما كانَ مِنْ شعرٍ مدانياً لها فذٰلك ما تحكمُ عليهِ بنهايةِ الجودةِ ، وإلَّا فهوَ نازلٌ بقَدْرِ بعدِهِ عن مرتبتِها مِنَ البلاغةِ



[قصيدةٌ مِنْ مختارِ شعرِ عُميرِ بنِ شُييمِ القطاميِّ]

ومِنَ الجيِّدِ شعرُ عُمَيْرِ بنِ شُيَيْمٍ التغلبيِّ المشهورِ بالقطاميِّ ، مِنْ شعراءِ بني أميةَ أيامَ عبدِ الملكِ وما بعدَهُ ، وأسلمَ عن نصرانيةِ تغلبَ ، وهوَ أوَّلُ مَنْ لُقِّبَ صريعَ الغواني بقولِهِ[1] [من الطويل]

صَرِيعُ غَوَانٍ رَاقَهُنَّ وَرُقْنَهُ لَدُنْ شَبَّ حَتَّىٰ شَابَ سُودُ ٱلذَّوَائِبِ

وبهٰذا اللقبِ لُقِّبَ مسلمُ بنُ الوليدِ بعدُ كما سيأتي[2]

رُوِيَ عنِ الإمامِ عامرِ الشعبيِّ أنَّهُ قالَ قالَ عبدُ الملكِ وأنا حاضرٌ للأخطلِ يا أبا مالكٍ ؛ أتحبُّ أنَّ لكَ بشعرِكَ شعرَ شاعرٍ مِنَ العربِ ؟ قالَ اللهمَّ لا ، إلَّا شاعراً منَّا مغدفَ القناعِ ، خاملَ الذِّكرِ ، حديثَ السِّنِّ ، إن يكنْ في أحدٍ خيرٌ فسيكونُ فيهِ ، ولوددتُ أنِّي سبقتُهُ إلىٰ قولِهِ[3] [من البسيط]

يَقْتُلْنَنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَا وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي

فَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ مَوَاقِعَ ٱلْمَاءِ مِنْ ذِي ٱلْغُلَّةِ ٱلصَّادِي

ومِنْ مختارِ شعرِهِ هٰذهِ القصيدةُ[4] [من البسيط]

إِنَّا مُحَيُّوكَ فَٱسْلَمْ أَيُّهَا ٱلطَّلَلُ وَإِنْ بَلِيتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ ٱلطِّيَلُ

أَنَّى ٱهْتَدَيْتَ لِتَسْلِيمٍ عَلَىٰ دِمَنٍ بِٱلْغَمْرِ غَيَّرَهُنَّ ٱلْأَعْصُرُ ٱلْأُوَلُ

صَافَتْ تَمَعَّجُ أَعْنَاقُ ٱلسُّيُولِ بِهَا مِنْ بَاكِرٍ سَبِطٍ أَوْ رَائِحٍ يَبِلُ

---

(١) انظر « ديوان القطامي » (ص ٢٨٠)

(٢) انظر (٤/١٨٣)

(٣) انظر « ديوان القطامي » (ص ٢٠٥)

(٤) انظر « ديوان القطامي » (ص ١٩١ ـ ٢٠١)

فِيهِنَّ كَٱلْخِلَلِ ٱلْمُوشِيِّ ظَاهِرُهَا أَوْ كَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي قَدْ مَسَّهُ ٱلْبَلَلُ
كَانَتْ مَنَازِلَ مِنَّا قَدْ نَحُلُّ بِهَا حَتَّىٰ تَغَيَّرَ دَهْرٌ خَائِنٌ خَبِلُ
لَيْسَ ٱلْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَىٰ بَشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلاً وَلَا ذُو خُلَّةٍ يَصِلُ
وَٱلْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالَةٌ إِلَّا سَتَنْتَقِلُ
وَٱلنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خَيْراً قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلِأُمِّ ٱلْمُخْطِئِ ٱلْهَبَلُ
قَدْ يُدْرِكُ ٱلْمُتَأَنِّي بَعْض حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ ٱلْمُسْتَعْجِلِ ٱلزَّلَلُ

سمعَ أعرابيٌّ منشداً يُنشِدُ هٰذا البيتَ ، فقالَ قد ثَبَّطَ هٰذا الناسَ ، هلَّا قالَ علىٰ أثرِهِ

وَرُبَّمَا ضَرَّ بَعْض ٱلنَّاسِ بُطْؤُهُمُ وَكَانَ خَيْراً لَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَجِلُوا

وأصلُ هٰذا المعنىٰ في الحديثِ الشريفِ : « مَنْ تَأَنَّىٰ أَصَابَ أَوْ كَادَ ، وَمَنِ ٱسْتَعْجَلَ أَخْطَأَ أَوْ كَادَ »[1] ، رجعَ

أَضْحَتْ عُلَيَّةُ يَهْتَاجُ ٱلْفُؤَادُ لَهَا وَلِلرَّوَاسِمِ فِيمَا دُونَهَا عَمَلُ
بِكُلِّ مُخْتَرِقٍ يَجْرِي ٱلسَّرَابُ بِهِ يُمْسِي وَرَاكِبُهُ مِنْ خَوْفِهِ وَجِلُ
يُنْضِي ٱلْهِجَانَ ٱلَّتِي كَانَتْ تَكُونُ بِهَا عُرْضِيَّةٌ وَهِبَابٌ حِينَ تُرْتَحَلُ
حَتَّىٰ تَرَى ٱلْحُرَّةَ ٱلْوَجْنَاءَ لَاغِبَةً [وَٱلْأَرْحَبِيَّ] ٱلَّذِي فِي خَطْوِهِ خَطَلُ
خُوصاً تُدِيرُ عُيُوناً مَاؤُهَا سَرَبٌ عَلَى ٱلْخُدُودِ إِذَا مَا ٱغْرَوْرَقَ ٱلْمُقَلُ
لَوَاغِبَ ٱلطَّرْفِ مَنْقُوباً مَحَاجِرُهَا كَأَنَّهَا قُلُبٌ عَادِيَّةٌ مُكُلُ

قليبٌ مكولٌ غاض ماؤُهُ

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣١٠/١٧) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه

تَرْمِي ٱلْفِجَاجَ لَهَا ٱلرُّكْبَانُ مُعْتَرِضاً		أَعْنَاقُ بُزَّلِهَا مُرْخىً لَهَا ٱلْجُدُلُ
يَمْشِينَ رَهْواً فَلَا ٱلْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ		وَلَا ٱلصُّدُورُ عَلَى ٱلْأَعْجَازِ تَتَّكِلُ
فَهُنَّ مُعْتَرِضَاتٌ وَٱلْحَصَىٰ رَمِضٌ		وَٱلرِّيحُ سَاكِنَةٌ وَٱلظِّلُّ مُعْتَدِلُ
يَتْبَعْنَ سَامِيَةَ ٱلْعَيْنَيْنِ تَحْسَبُهَا		مَجْنُونَةً أَوْ تَرَىٰ مَا لَا تَرَى ٱلْإِبِلُ
لَمَّا وَرَدْنَ نَبِيّاً وَٱسْتَتَبَّ بِنَا		مُسْحَنْفِرٌ كَخُطُوطِ ٱلسَّيْحِ مُنْسَحِلُ
عَلَىٰ مَكَانِ غِشَاشٍ لَا يُنِيخُ بِهِ		إِلَّا مُغَيِّرُنَا وَٱلْمُسْتَقِي ٱلْعَجِلُ

غِشاشٌ ـ بكسرِ أوَّلِهِ ـ عجلةٌ ؛ أي على مكانٍ مَخوفٍ يُطلَبُ النجاةُ منهُ ، وكانوا في السفرِ يُغيِّرونَ أحمالَ الإبلِ يرونَ في ذٰلكَ بعض راحةٍ لها

ثُمَّ ٱسْتَمَرَّ بِهَا ٱلْحَادِي وَجَنَّبَهَا		بَطْنَ ٱلَّتِي نَبْتُهَا ٱلْحَوْزَانُ وَٱلنَّفَلُ
حَتَّىٰ وَرَدْنَ رَكِيَّاتِ ٱلْغُوَيْرِ وَقَدْ		كَادَ ٱلْمُلَاءُ مِنَ ٱلْكَتَّانِ يَشْتَعِلُ
وَقَدْ تَعَرَّجْتُ لَمَّا أَرَّكَتْ أَرَكاً		ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَعَنْ أَيْمَانِنَا ٱلرِّجَلُ

أَرَّكَتْ أكلَتِ الأَراكَ ، بوزنِ سحابٍ ، وجمعُهُ أُرُكٌ كسُحُبٍ ، والرِّجَلُ ـ بزنةِ عِنَبٍ ـ جمعُ رِجْلةٍ بكسرٍ فسكونٍ ؛ مسيلُ الماءِ مِنَ الحرَّةِ إلى السهلِ

عَلَىٰ مُنَادٍ دَعَانَا دَعْوَةً كَشَفَتْ		عَنَّا ٱلنُّعَاسَ وَفِي أَعْنَاقِنَا مَيَلُ
سَمِعْتُهَا وَرَعَانُ ٱلطَّوْدِ مُعْرِضَةٌ		مِنْ دُونِهَا وَكَثِيبُ ٱلْغَيْبَةِ ٱلسَّهِلُ

أرادَ بالمُنادى الشَّوقَ ، خيلَهُ داعياً يسمعُهُ ، والغَيْبةُ ـ بفتحٍ فسكونٍ ـ واحدُ الغُيَّبِ ؛ للمطمئنِّ مِنَ الأرضِ

فَقُلْتُ لِلرَّكْبِ لَمَّا أَنْ عَلَا بِهِمُ		مِنْ عَنْ يَمِينِ ٱلْمُحَيَّا نَظْرَةٌ قَبَلُ
أَلَمْحَةً مِنْ سَنَا بَرْقٍ رَأَىٰ بَصَرِي		أَمْ وَجْهُ عَالِيَةَ ٱخْتَالَتْ بِهِ ٱلْكِلَلُ
تُهْدِي لَنَا كُلَّ مَا كَانَتْ عُلَاوَتَنَا		رِيحَ ٱلْخُزَامَىٰ جَرَىٰ فِيهَا ٱلنَّدَى ٱلْخَضِلُ

عُلاوتَنا ؛ أي في علاوتِنا ؛ وهيَ المكانُ المرتفعُ

وَقَدْ أَبِيتُ إِذَا مَا شِئْتُ بَاتَ مَعِي ... عَلَى ٱلْفِرَاشِ ٱلضَّجِيعُ ٱلْأَغْيَدُ ٱلرَّتِلُ

وَقَدْ تُبَاكِرُنِي ٱلصَّهْبَاءَ تَرْفَعُهَا ... إِلَيَّ لَيِّنَةٌ أَطْرَافُهَا ثَمِلُ

أَقُولُ لِلْحَرْفِ لَمَّا أَنْ شَكَتْ أُصُلاً ... مَتَّ ٱلسِّفَارِ فَأَفْنَىٰ نَيَّهَا ٱلرَّحَلُ

المتُّ المد ، والنيُّ الشحمُ

إِنْ تَرْجِعِي مِنْ أَبِي عُثْمَانَ مُنْجِحَةً ... فَقَدْ يَهُونُ عَلَى ٱلْمُسْتَنْجِحِ ٱلْعَمَلُ

أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ لَا يَحْزُنْكَ شَأْنُهُمُ ... إِذَا تَخَطَّأَ عَبْدَ ٱلْوَاحِدِ ٱلْأَجَلُ

أَمَّا قُرَيْشٌ فَلَنْ تَلْقَاهُمُ أَبَداً ... إِلَّا وَهُمْ خَيْرُ مَنْ يَحْفَىٰ وَيَنْتَعِلُ

أَلَا وَهُمْ جَبَلُ ٱللهِ ٱلَّذِي قَصُرَتْ ... عَنْهُ ٱلْجِبَالُ فَمَا سَاوَىٰ بِهِ جَبَلُ

قَوْمٌ هُمُ ثَبَّتُوا ٱلْإِسْلَامَ وَٱمْتَنَعُوا ... قَوْمُ ٱلرَّسُولِ ٱلَّذِي مَا بَعْدَهُ رُسُلُ

مَنْ صَالَحُوهُ رَأَىٰ فِي عَيْشِهِ سَعَةً ... وَلَا تُرَىٰ مَنْ أَرَادُوا ضُرَّهُ يَئِلُ

كَمْ نَالَنِي مِنْهُمُ فَضْلٌ عَلَىٰ عَدَمٍ ... إِذْ لَا أَكَادُ مِنَ ٱلْإِقْتَارِ أَحْتَمِلُ

وَكَمْ مِنَ ٱلدَّهْرِ مَا قَدْ ثَبَّتُوا قَدَمِي ... إِذْ لَا أَزَالُ مَعَ ٱلْأَعْدَاءِ أَنْتَضِلُ

فَلَا هُمُ صَالَحُوا مَنْ يَبْتَغِي عَنَتِي ... وَلَا هُمُ كَدَّرُوا ٱلْخَيْرَ ٱلَّذِي فَعَلُوا

هُمُ ٱلْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ ٱلْمُلُوكِ لَهُمْ ... وَٱلْآخِذُونَ بِهِ وَٱلسَّاسَةُ ٱلْأُوَلُ

هٰذهِ القصيدةُ والتي قبلَها مِنْ تسعٍ وأربعينَ قصيدةً كلُّ سبعٍ منها مُسمَّاةٌ باسمٍ انتخبَتْها العربُ وسمَّتْها بهِ ، وجميعُها في كتابِ « الجمهرةِ » ، وهوَ موجودٌ بدارِ الكتبِ الكبيرةِ المصونةِ ، فمَنْ أرادَها فليطلبْها هنالِكَ



[مِنْ شعرِ جريرٍ والفرزدقِ]

ومِنَ الجيِّدِ أيضاً شعرُ جريرٍ ، وإليهِ وإلى الفرزدقِ والأخطلِ انتهتِ الشهرةُ في أيامِ بني أُميَّةَ ، حتىٰ كثرَ اختلافُ العلماءِ في المفاضلةِ بينَهُم واحتجاجُهُم لذٰلكَ

فمِنْ شعرِ جريرٍ قولُهُ ـ وهوَ نهايةٌ في الرقَّةِ والسَّلاسةِ ، وكانَ الفرزدقُ يقولُ إذا سمعَ لجريرٍ مثلَ هٰذا ما أحوجَهُ إلىٰ خشونةِ شعري علىٰ عفَّتِهِ ، وأحوجَني إلىٰ رقَّةِ شعرِهِ علىٰ فُجوري !! فإنَّ المغازلةَ لم تكنْ مِنْ شأنِ جريرٍ كما كانَ الفرزدقُ ـ هٰذهِ القصيدةَ (١) [من الكامل]

مَـا لِـلْـمَـنَـازِلِ لَا يُـجِـبْـنَ حَـزِيـنَـا ... أَصَـمِـمْـنَ أَمْ قَـدُمَ ٱلْـمَـدَىٰ فَـبَـلِـيـنَـا

قَـفْـراً تَـقَـادَمَ عَـهْـدُهُـنَّ عَـلَى ٱلْـبِـلَـىٰ ... فَـلَـبِـثْـنَ فِـي عَـدَدِ ٱلـشُّـهُـورِ سِـنِـيـنَـا

وَتَـرَى [ٱلْـعَـوَاذِلَ] يَـبْـتَـدِرْنَ مَـلَامَـتِـي ... وَإِذَا أَرَدْنَ سِـوَىٰ هَـوَايَ عَـصِـيـنَـا

بَـكَـرَ [ٱلْـعَـوَاذِلُ] بِـٱلْـمَـلَامَـةِ بَـعْـدَمَـا ... قَـطَـعَ ٱلْـخَـلِـيـطُ بِـسَـاجِـرٍ لِـيَـبِـيـنَـا

أَمْـسَـيْـنَ إِذْ بَـانَ ٱلـشَّـبَـابُ صَـوَادِفـاً ... لَـيْـتَ ٱلـلَّـيَـالِـي قَـبْـلَ ذَاكَ فَـنِـيـنَـا

إِنَّ ٱلَّـذِيـنَ غَـدَوْا بِـلُـبِّـكَ غَـادَرُوا ... وَشَـلاً بِـعَـيْـنِـكَ مَـا يَـزَالُ مَـعِـيـنَـا

غَـيَّـضْـنَ مِـنْ عَـبَـرَاتِـهِـنَّ وَقُـلْـنَ لِـي ... مَـاذَا لَـقِـيـتَ مِـنَ ٱلْـهَـوَىٰ وَلَـقِـيـنَـا

وَلَـقَـدْ تَـسَـقَّـطَـنِـي ٱلْـوُشَـاةُ فَـصَـادَفُـوا ... حَـصِـراً بِـسِـرِّكَ يَـا أُمَـيْـمُ ضَـنِـيـنَـا

كُـلِّـفْـتُ حَـاجَـةَ مَـا أُكَـلِّـفُ ضُـمَّـراً ... مِـثْـلَ ٱلْـقِـسِـيِّ مِـنَ ٱلـسَّـرَاءِ بُـرِيـنَـا

رَاحُـوا ٱلْـعَـشِـيَّـةَ رَوْحَـةً مَـنْـكُـورَةً ... إِنْ حِـزْنَ حِـزْنَـا أَوْ هُـدِيـنَ هُـدِيـنَـا

---

(١) انظر « ديوان جرير » (١/٣٨٦ ـ ٣٨٨)

وَرَمَوْا بِهِنَّ سَوَاهِماً عُرْضَ ٱلْفَلَا   إِنْ مِتْنَ مِتْنَا أَوْ حَيِينَ حَيِينَا

عِيسٌ تُكَلَّفُ كُلَّ أَغْبَرَ نَازِحٍ   تَطْوِي تَنَائِفَ بِٱلْمَلَا وَحُزُونَا

حَتَّىٰ بَلِينَ مِنَ ٱلْوَجِيفِ وَرَدَّهَا   بُعْدُ ٱلْمَفَاوِزِ كَٱلْقِسِيِّ حَنِينَا

وَلَدَ ٱلْأُخَيْطِلَ نِسْوَةٌ مِنْ تَغْلِبٍ   هُنَّ ٱلْخَبَائِثُ بِٱلْخَبِيثِ غُذِينَا

إِنَّ ٱلَّذِي حَرَمَ ٱلْمَكَارِمَ تَغْلِباً   جَعَلَ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْخِلَافَةَ فِينَا

هَلْ تَمْلِكُونَ مِنَ ٱلْمَشَاعِرِ مَشْعَراً   أَوْ تَشْهَدُونَ مَعَ ٱلْأَذَانِ أَذِينَا

مُضَرٌ أَبِي [وَأَبُو](١) ٱلْمُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ   يَا خُزْرَ تَغْلِبَ مِنْ أَبٍ كَأَبِينَا

هَـٰذَا ٱبْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً   لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمُ إِلَيَّ قَطِينَا

ومِنْ شعرِ الفرزدقِ ـ وقدْ قالَتِ العلماءُ إنَّ الفرزدقَ ينحتُ مِنْ صخرٍ، وجريراً يغترفُ مِنْ بحرٍ(٢) ـ [من الطويل]

سَلَوْتُ عَنِ ٱلدَّهْرِ ٱلَّذِي كَانَ مُعْجِباً   وَمِثْلُ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ دَهْرِنَا يُسْلِي

وَأَيْقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَالَةَ مَيِّتٌ   فَمُتَّبِعٌ آثَارَ مَنْ قَدْ خَلَا قَبْلِي

وَأَنِّي ٱلَّذِي لَا بُدَّ أَنْ سَيُصِيبُهُ   حِمَامُ ٱلْمَنَايَا مِنْ وَفَاةٍ وَمِنْ قَتْلِ

فَمَا أَنَا بِٱلْبَاقِي وَلَا ٱلدَّهْرُ فَٱعْلَمِ   بِرَاضٍ بِمَا قَدْ كَانَ أَذْهَبَ مِنْ عَقْلِي

وَلَا مُنْصِفِي يَوْماً فَأُدْرِكَ عِنْدَهُ   مَظَالِمَهُ عِنْدِي وَلَا تَارِكاً أَكْلِي

وَأَيْنَ أَخِلَّائِي ٱلَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ   وَكُلُّهُمُ قَدْ كَانَ فِي غِبْطَةٍ مِثْلِي

---

(١) في الأصل (وأب)

(٢) انظر « ديوان الفرزدق » (٢/٢٩٩ ـ ٣٠٥)

دَعَتْهُمْ مَقَادِيرٌ فَأَصْبَحْتُ بَعْدَهُمْ بَقِيَّةَ دَهْرٍ لَيْسَ يُسْبَقُ بِٱلذَّحْلِ
بَلَوْتُ مِنَ ٱلدَّهْرِ ٱلَّذِي فِيهِ وَاعِظٌ وَجَازَيْتُ بِٱلنُّعْمَىٰ وَطَالَبْتُ بِٱلتَّبْلِ
وَجُرِّبْتُ عِنْدَ ٱلْمُضْلِعَاتِ فَلَمْ أَكُنْ صَرِيعَ زَمَانٍ لَا أُمِرُّ وَلَا أُحْلِي
وَبَيْدَاءَ تَغْتَالُ ٱلْمَطِيَّ قَطَعْتُهَا بِرَكَّابِ هَوْلٍ لَيْسَ بِٱلْعَاجِزِ ٱلْوَغْلِ
إِذَا ٱلْأَرْضُ سَدَّتْهَا ٱلْهَوَاجِرُ وَٱرْتَدَتْ مُلَاءَ سَمُومٍ لَمْ يُسَدَّيْنَ بِٱلْغَزْلِ
وَكَانَ ٱلَّذِي يَبْدُو لَنَا مِنْ سَرَابِهَا فُضُولَ سُيُولِ ٱلْبَحْرِ مِنْ مَائِهَا ٱلضَّحْلِ
[وَيَدعُو](١) ٱلْقَطَا فِيهَا ٱلْقَطَا فَيُجِيبُهُ تَوَائِمُ أَطْفَالٍ مِنَ ٱلسَّبْسَبِ ٱلْمَحْلِ
دَوَارِجُ أَخْلَفْنَ ٱلشَّكِيرَ كَأَنَّمَا جَرَىٰ فِي مَآقِيهَا مَرَاوِدُ مِنْ كُحْلِ
يُسَقِّينَ بِٱلْمَوْمَاةِ زُغْباً نَوَاهِضاً بَقَايَا نِطَافٍ فِي حَوَاصِلِهَا تَغْلِي
تَمُجُّ أَدَاوَىٰ فِي أَدَاوَىٰ بِهَا ٱسْتَقَتْ كَمَا ٱسْتَفْرَغَ ٱلسَّاقِي مِنَ ٱلسَّجْلِ بِٱلسَّجْلِ
وَقَدْ أَقْطَعُ ٱلْخَرْقَ ٱلْبَعِيدَ نِيَاطُهُ بِمَائِرَةِ ٱلضَّبْعَيْنِ وَجْنَاءَ [كَٱلْهِقْلِ](٢)
تَزَيَّدُ فِي فَضْلِ ٱلزِّمَامِ كَأَنَّهَا تُحَاذِرُ وَقْعاً مِنْ زَنَابِيرَ أَوْ نَحْلِ
كَأَنَّ يَدَيْهَا فِي مَرَاتِبِ سُلَّمٍ إِذَا غَاوَلَتْ أَوْبَ ٱلذِّرَاعَيْنِ بِٱلرِّجْلِ
تَأَوَّهُ مِنْ طُولِ ٱلْكَلَالِ وَتَشْتَكِي تَأَوُّهَ مَفْجُوعٍ بِثُكْلٍ عَلَىٰ ثُكْلِ
إِلَيْكَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنَخْتُهَا إِلَىٰ خَيْرِ مَنْ حُلَّتْ لَهُ عُقَدُ ٱلرَّحْلِ
إِلَىٰ خَيْرِهِمْ فِيهِمْ قَدِيماً وَحَادِثاً مَعَ ٱلْحِلْمِ وَٱلْإِيمَانِ وَٱلنَّائِلِ ٱلْجَزْلِ
وَرِثْتَ أَبَاكَ ٱلْمُلْكَ تَجْرِي بِسَمْتِهِ كَذَٰلِكَ خُوطُ ٱلنَّبْعِ يَنْبُتُ فِي ٱلْأَصْلِ

---

(١) في الأصل (ويدع)
(٢) في الأصل (كالقهل) ، والهقل الفتي من النعام .

كَـدَاوُودَ إِذْ وَلَّـىٰ سُـلَـيْـمَـانَ بَـعْـدَهُ خِلَافَتَهُ نِحْلاً مِنَ ٱللهِ ذُو ٱلْفَضْلِ
يَسُوسُ مِنَ ٱلْحِلْمِ ٱلَّذِي كَانَ رَاجِحاً بِأَجْبَالِ سَلْمَىٰ مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ عَدْلِ
هُـوَ ٱلْـقَـمَـرُ ٱلْـبَـدْرُ ٱلَّـذِي يُـهْـتَـدَىٰ بِـهِ [إِذَا][1] مَا ذَوُو ٱلْأَضْغَانِ جَارُوا عَنِ ٱلسُّبْلِ
أَغَـرَّ تَـرَىٰ نُـوراً لِـبَـهْـجَـةِ مُـلْـكِـهِ عَفُوّاً طَلُوباً فِي أَنَاةٍ وَفِي رِسْلِ
يَفِيضُ ٱلسِّجَالَ ٱلنَّاقِعَاتِ مِنَ ٱلنَّدَىٰ كَمَا فَاضَ ذُو مَوْجٍ يُقَمِّصُ بِٱلْجَفْلِ
وَكَـمْ مِـنْ أُنَاسٍ قَـدْ أَصَبْتَ بِنِعْمَةٍ وَمِنْ مُثْقَلٍ خَفَّفْتَ عَنْهُ مِنَ ٱلثِّقْلِ
وَمِـنْ أَمْـرِ حَـزْمٍ قَـدْ وَلِـيتَ نَـجِـيَّهُ بِرَأْيٍ جَمِيعٍ مُسْتَمِرٍّ قُوَى ٱلْحَبْلِ
قَـضَـيْـتَ قَـضَـاءً فِـي ٱلْـخِـلَافَـةِ ثَـابِـتاً مُبِيناً فَقَدْ أَسْمَعْتَ مَنْ كَانَ ذَا عَقْلِ
فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَرْجُو ٱلْخِلَافَةَ مِنْهُمُ وَقَدْ قُمْتَ فِيهِمْ بِٱلْبَيَانِ وَبِٱلْفَضْلِ
وَبَـيَّـنْـتَ أَنْ لَا حَـقَّ فِـيـهَـا لِـخَـاذِلٍ تَرَبَّص فِي شَكٍّ وَأَشْفَقَ مِنْ مَثْلِ
وَلَا لِٱمْـرِئٍ آتَـى ٱلْـمُـضِـلِّـيـنَ بَـيْـعَـةً رَأَى ٱلْحَرْبَ أَبْدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا ٱلْعُصْلِ
وَمَـدَّ يَـداً مِـنْـهُ لِـبَـيْـعَـةِ خَـاسِـرٍ وَمَا ٱلْمُكْسِدُ ٱلْمَغْبُونُ كَٱلرَّابِحِ ٱلْمُغْلِي
وَعَانَدَ لَمَّا أَنْ رَأَى ٱلْحَرْبَ شَمَّرَتْ عِنَادَ ٱلْخَصِيِّ ٱلْجَوْنِ صَدَّ عَنِ ٱلْفَحْلِ
فَـمَـا بَـالُ أَقْـوَامٍ بَـدَا ٱلْـغِـشُّ مِـنْـهُـمُ وَهُمْ كُشُفٌ عِنْدَ ٱلشَّدَائِدِ [وَٱلْأَزْلِ]
يُـدَاوُونَ مِـنْ قَـرْحٍ أَدَانِـيـهِ قَـدْ عَـتَـا عَلَى ٱلدَّاءِ لَمْ تُدْرَكْ أَقَاصِيهِ بِٱلْفُتْلِ
وَقَدْ كَانَ فِيمَا قَدْ تَلَوْا مِنْ حَدِيثِهِمْ شِفَاءٌ وَكَانَ ٱلْحِلْمُ يَشْفِي مِنَ ٱلْجَهْلِ
وَإِلَّا فَـإِنَّ ٱلْـمَـشْـرِفِـيَّـةَ حَـدُّهَـا دَوَاءٌ لَهُمْ غَيْرَ ٱلدَّبِيبِ وَلَا ٱلْخَتْلِ
أَوِ ٱلنَّفْيُ حَتَّىٰ عَرْضُ أَرْضٍ وَطُولُهَا عَلَيْهِمْ كَبَيْتِ ٱلْقَيْنِ أُغْلِقَ بِٱلْقَفْلِ

---

(١) في الأصل (إذ)

وَقَدْ [خَذَلُوا] (١) مَرْوَانَ فِي ٱلْحَرْبِ وَٱبْنَهُ ... أَبَاكَ وَأَذلَوْا فِيهِمَا مَعَ مَنْ يُذْلِي
وَكَانَا إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ عَظِيمَةٍ ... حَمُولَيْنِ لِلأَثْقَالِ فِي ٱلْأَمْرِ ذِي ٱلْبَزْلِ
فَصَلَّىٰ عَلَىٰ قَبْرَيْهِمَا ٱللهُ إِنَّمَا ... خَلَائِفُهُ مِنْهُ عَلَىٰ سُنَّةِ ٱلرُّسْلِ
فَفُزْتَ بِمَا فَازَا بِهِ مِنْ خِلَافَةٍ ... وَزِدْتَ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ بِٱلْخَصْلِ (٢)
بِعَافِيَةٍ كَانَتْ مِنَ ٱللهِ جَلَّلَتْ ... مَشَارِقُهَا أَمْناً إِلَىٰ مَغْرِبِ ٱلْأُمْلِ

الأملُ جمعُ أميلٍ ؛ وهو الحبلُ مِنَ الرملِ ، يريدُ إلىٰ منقطعِ الترابِ

وَكُنْتَ ٱلْمُصَفَّىٰ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَمْ يَكُنْ ... لِوَطْئِكَ فِيهِمْ زَيْغُ كَعْبٍ وَلَا نَعْلِ
أَشَارُوا بِهَا فِي ٱلْأَمْرِ غَيْرَكَ مِنْهُمُ ... وَوَلَّاكَهَا ذُو ٱلْعَرْشِ نَحْلاً مِنَ ٱلنُّحْلِ
حَبَاكَ بِهَا ٱللهُ ٱلَّذِي هُوَ سَاقَهَا ... إِلَيْكَ فَقَدْ أَبْلَاكَ أَفْضَلَ مَا يُبْلِي
[وَسِيقَتْ] (٣) إِلَىٰ مَنْ كَانَ فِي ٱلْحَرْبِ أَهْلَهَا ... إِلَىٰ وَاضِحٍ بَادٍ مَعَالِمُهُ سَهْلِ
وَمَا أَصْلَتُوا فِيهَا بِسَيْفٍ عَلِمْتُهُ ... وَلَا بِسِلَاحٍ مِنْ رِمَاحٍ وَلَا نَبْلِ
فَنُضْحِي لَكُمْ قَادَ ٱلْهَوَىٰ مِنْ بِلَادِهِ ... إِلَىٰ مَنْبِتِ ٱلزَّيْتُونِ مِنْ مَنْبِتِ ٱلنَّخْلِ



(١) في الأصل (خزلوا)
(٢) في « ديوان الفرزدق » (٣٠٤/٢) (بالحصل)
(٣) في الأصل (وسبقت)

الطَّبقةُ الثانيةُ

مشاهيرُها مسلمُ بنُ الوليدِ الأنصاريُّ ، والحسنُ بنُ هانئٍ الحكميُّ المشهورُ بأبي نُواسٍ ، وبعدَهُما أبو تمامٍ حبيبُ بنُ أوسٍ الطائيُّ ، وأبو عبادةَ الوليدُ البحتريُّ ، وأحمدُ بنُ الحسينِ المُتنبِّي ، وبعدَهُم أبو نصرٍ عبدُ العزيزِ بنُ نباتةَ السَّعديُّ ، والشريفُ محمدٌ الرضيُّ ، وتلميذُهُ مِهيارٌ الديلميُّ ، ويُذكَرُ معَ هٰؤلاءِ عليُّ ابنُ الرُّوميِّ ، ولهُم دواوينُ كبارٌ

كانَ الحسنُ بنُ هانئٍ ومسلمُ بنُ الوليدِ الأنصاريُّ قرينَيْ عصرٍ واحدٍ ، واختلفَ الناسُ في المفاضلةِ بينَهُما ، وكانَ بنو برمكَ يبالغونَ في تفضيلِ مسلمٍ ، ولكلٍّ مزيةٌ ، وكلاهُما شاعرٌ فريدٌ ، غيرَ أنَّ أبا نُواسٍ بقيَ الكثيرُ مِنْ شعرِهِ ؛ لاعتناءِ الرواةِ بهِ ، وكثرةِ تصرفاتِهِ فيهِ ، وانتهائِهِ في سائرِ فنونِ المعاني إلىٰ غايةٍ لم يدركْها سواهُ ، ومِنْ هٰذهِ الجهةِ كانَ تفضيلُهُ علىٰ مسلمٍ ؛ فإنَّ مسلماً لم يشاركْ أبا نُواسٍ في كثيرٍ مِنْ تلكَ الفنونِ ؛ كالمُجونِ ، والغزلِ ، والخمرياتِ

ولمسلمٍ صلابةُ الشعرِ ، وتجويدُهُ ، وجمعُهُ فيهِ بينَ البداوةِ والحضارةِ

يُحكىٰ أنَّ رجلاً دخلَ علىٰ أبي تمامٍ وبينَ يَديهِ كتابانِ يَقرأُ في هٰذا مَرَّةً وفي هٰذا مَرَّةً ، فسألَهُ عنهُما ، فقالَ هما ديوانا مسلمٍ والحسنِ ، وهُما اللَّاتُ والعُزىٰ ، وأنا أعبدُهُما[1]

غيرَ أنَّ شعرَ مسلمٍ لم يبقَ منهُ إلَّا ما علقتْهُ الرواةُ ؛ فإنَّهُ تَنسَّكَ آخِرَ عمرِهِ ، وهجرَ الشعرَ ، ففُرِّقَ مجموعُ شعرِهِ



(١) انظر « الأغاني » (٢١/٧٢٩٠)

[مِنْ شعرِ أبي نواسٍ في مدحِ هارونَ الرشيدِ]

فمِنْ شعرِ أبي نُواسٍ ـ وهوَ أوَّلُ إمامٍ يُقتدىٰ بهِ في الأدبِ ورعايةِ مَقاماتِ الخطابِ ، خلا أنَّ لهُ أشياءَ إمَّا أن تكونَ مناسبةً لذلكَ الوقتِ ، وإمَّا أن يكونَ سها بها ، ينبغي العدولُ عنها حَسَبَ ما تقتضيهِ التعريفاتُ الأدبيةُ ـ قولُهُ يمدحُ الرشيدَ(١) [من الكامل]

حَيِّ ٱلدِّيَارَ إِذِ ٱلزَّمَانُ زَمَانُ ... [وَإِذِ] ٱلشِّبَاكُ لَنَا حِرَىٰ وَمَعَانُ

الشِّباكُ ماءٌ بناحيةٍ واقصةَ علىٰ طريقِ الكوفةِ فيما أخبرَني بهِ معافرٌ مِنْ أهلِ الكوفةِ ، وزعمَ المُبرِّدُ أنَّ الشِّباكَ علىٰ طريقِ البصرةِ بقربِ سفوانَ ، وإيَّاها أرادَ

يَا حَبَّذَا سَفَوَانُ مِنْ مُتَرَبَّعٍ ... وَلَرُبَّمَا جَمَعَ ٱلْهَوَىٰ سَفَوَانُ

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى ٱلدِّيَارِ مُسَلِّماً ... فَلِغَيْرِ دَارِ أُمَيْمَةَ ٱلْهِجْرَانُ

إِنَّا نَسَبْنَا وَٱلْمَنَاسِبُ ظِنَّةٌ ... حَتَّىٰ رُمِيتِ بِنَا وَأَنْتِ حَصَانُ

لَمَّا نَزَعْتُ عَنِ ٱلْغَوَايَةِ وَٱلصِّبَا ... وَخَدَتْ بِيَ ٱلشَّدَنِيَّةُ ٱلْمِذْعَانُ

ويُروىٰ (لمَّا نزعتُ عنِ الغوايةِ وادعاً) أيْ كافاً ، والشدنيةُ منسوبةٌ إلىٰ فحلٍ مِنْ فحولِ مهرةَ يقالُ لهُ شدنٌ

سَبِطٌ مَشَافِرُهَا دَقِيقٌ خَطْمُهَا ... وَكَأَنَّ سَائِرَ خَلْقِهَا بُنْيَانُ

وَٱحْتَازَهَا لَوْنٌ جَرَىٰ فِي جِلْدِهَا ... يَقَقٌ [كَقِرْطَاسِ] ٱلْوَلِيدِ هِجَانُ

حكىٰ سليمانُ بنُ نيبخت قالَ سألتُ أبا نُواسٍ عن معنىٰ هذا البيتِ ،

---

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٥١ ـ ٣٥٤)

فقالَ صحيفةُ الطفلِ الذي لم يكتبْ عليهِ كاتباهُ فيها شيئاً ، فقرطاسُهُ أبيضُ

وَإِلَىٰ أَبِي ٱلْأُمَنَاءِ هَارُونَ ٱلَّذِي يَحْيَا بِصَوْبِ سَمَائِهِ ٱلْحَيَوَانُ

الأمناءُ الأمينُ والمأمونُ والمؤتمنُ ؛ فالأمينُ محمدٌ ، والمأمونُ عبدُ اللهِ ، والمؤتمنُ القاسمُ ؛ بنو هارونَ الرشيدِ

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي ٱلْقُلُوبِ مِثَالُهُ فَكَأَنَّمَا لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانُ

مَا تَنْطَوِي عَنْهُ ٱلْقُلُوبِ بِفَجْرَةٍ إِلَّا يُكَلِّمُهُ بِهَا ٱللَّحَظَانُ

فَيَظَلُّ لِاسْتِثْبَاتِهِ وَكَأَنَّهُ عَيْنٌ عَلَىٰ مَا غَيَّبَ ٱلْكِتْمَانُ

هَارُونُ [أَلَّفَنَا] ٱئْتِلَافَ مَوَدَّةٍ مَاتَتْ لَهَا ٱلْأَحْقَادُ وَٱلْأَضْغَانُ

فِي كُلِّ عَامٍ غَزْوَةٌ وَوِفَادَةٌ تَنْبَتُّ بَيْنَ نَوَاهُمَا ٱلْأَقْرَانُ

كانَ الرشيدُ عندَما أوطنَ الرقَّةَ يَحُجُّ سنةً ويغزو أخرىٰ ، والأقرانُ الحبالُ ؛ أي تنقطعُ في بُعْدِ ما بينَ الحجِّ والغزوِ .

حَجٌّ وَغَزْوٌ مَاتَ بَيْنَهُمَا ٱلْكَرَىٰ بِٱلْيَعْمُلَاتِ شِعَارُهَا ٱلْوَخَدَانُ

يَرْمِي بِهِنَّ بِسَاطَ كُلِّ تَنُوفَةٍ فِي ٱللهِ رَحَّالٌ بِهَا ظَعَّانُ

حَتَّىٰ إِذَا وَاجَهْنَ أَقْبَالَ ٱلصَّفَا حَنَّ ٱلْحَطِيمُ وَأَطَّتِ ٱلْأَرْكَانُ

أقبالُ الصَّفا ما قابلَكَ منهُ ؛ وهيَ جمعُ قَبَلٍ ، والحطيمُ حيثُ يزدحمُ الناسُ بمكَّةَ فيَحطِمُ بعضُهُم بعضاً ، وقيلَ حيثُ يَحطِمونَ بالأيمانِ ؛ لأنَّهُم كانوا يحلفونَ ثَمَّ

لِأَغَرَّ يَنْفَرِجُ ٱلدُّجَىٰ عَنْ وَجْهِهِ عَدْلُ ٱلسِّيَاسَةِ حُبُّهُ إِيمَانُ

يَصِلُ ٱلْهَجِيرَ بِغُرَّةٍ مَهْدِيَّةٍ لَوْ شَاءَ صَانَ أَدِيمَهَا ٱلْأَكْنَانُ

لَٰكِنَّهُ فِي ٱللهِ مُبْتَذِلٌ لَهَا　　إِنَّ ٱلتَّقِيَّ مُسَدَّدٌ وَمُعَانُ

أَلِفَتْ مُنَادَمَةَ ٱلدِّمَاءِ سُيُوفُهُ　　فَلَقَلَّمَا تَحْتَازُهَا ٱلْأَجْفَانُ

يقولُ ألفَتْ سيوفُهُ الدماءَ ، فكأنَّها تنادمُها لا تفارقُها ؛ مِنْ كثرةِ ما تُقتلُ بها أعداؤُهُ

ويُروىٰ (ثَلَّتْ مقارعةُ الدماءِ سيوفَهُ)

حَتَّى ٱلَّذِي فِي ٱلرَّحْمِ لَمْ يَكُ صُورَةً　　لِفُؤَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ

قالَ المُبرِّدُ ما لم يكنْ صورةً كيفَ يكونُ لهُ فؤادٌ ؟!

حَذَرَ ٱمْرِئٍ نُصِرَتْ يَدَاهُ عَلَى ٱلْعِدَا　　كَٱلدَّهْرِ فِيهِ شَرَاسَةٌ وَلَيَانُ

مُتَبَرِّجُ ٱلْمَعْرُوفِ عِرِّيضُ ٱلنَّدَىٰ　　حَصِرٌ بِلَا مِنْهُ فَمٌ وَلِسَانُ

أي يَتعرَّضُ نداهُ للناسِ

لِلْجُودِ مِنْ كِلْتَا يَدَيْهِ مُحَرِّكٌ　　لَا يَسْتَطِيعُ بُلُوغَهُ ٱلْإِسْكَانُ

تحدثَ بنو نيبختَ عن سليمانَ بنِ أبي سهلٍ قالَ لمَّا قَدِمَ أبو نُواسٍ أشرنا عليهِ أن يمدحَ الرشيدَ ، فمدحَهُ بهٰذهِ القصيدةِ ، فأمرَ لهُ بعشرينَ ألفَ درهمٍ ، وهيَ أكثرُ صلةٍ وُصِلَ بها أبو نُواسٍ

المعانُ المنزلُ المألوفُ

وقولُهُ (جمعَ الهوىٰ) مِنَ العباراتِ الفريدةِ التي بوجازتِها وكثرةِ معناها يُسمِّيها أهلُ البديعِ **الإشارةَ** ؛ وذٰلكَ أنَّ **معناها** ربَّما اشتملَ هٰذا المكانُ علىٰ ما تَهواهُ النفوسُ ؛ مِنْ سعةِ العيشِ ، ونضرةِ الناحيةِ ، ومساعدةِ الزمانِ بمَودَّاتِ الحِسانِ ، وكثرةِ الحاضرِ ؛ حتىٰ يمكنَ استغفالُ الرُّقَباءِ ، ويَخِفَّ عذلُ العُذَّالِ ، وقد نطقَ بهٰذهِ الكلمةِ قبلَهُ الغنويُّ في

القصيدةِ السابقةِ ؛ حيثُ يقولُ (١) [من الطويل]

جَمَعْنَ ٱلنَّوَىٰ حَتَّىٰ إِذَا ٱجْتَمَعَ ٱلْهَوَىٰ

وقولُهُ (ألفَتْ منادمةَ الدماءِ) الإضافةُ فيهِ لأدنىٰ ملابسةٍ ؛ أيِ المنادمةَ على الدماءِ ؛ فإنَّ الدماءَ بمنزلةِ المشروبِ ، والنديمُ : هوَ المؤانسُ على الشرابِ ، ومَنْ غلبَ عليهِ شيءٌ جرىٰ علىٰ لسانِهِ ألفاظُهُ ، وأبو نُواسٍ كانَ مدمناً ، ولذٰلكَ وقعَتْ منهُ الاستعارةُ في هٰذا الموضعِ ، وليسَتْ هنالِكَ مِنَ الحسنِ

وقولُهُ يمدحُهُ أيضاً (٢) [من الطويل]

لَقَدْ طَالَ فِي رَسْمِ ٱلدِّيَارِ بُكَائِي وَقَدْ طَالَ تَرْدَادِي بِهَا وَعَنَائِي
كَأَنِّي مُرِيغٌ فِي ٱلدِّيَارِ طَرِيدَةً أَرَاهَا أَمَامِي مَرَّةً وَوَرَائِي
فَلَمَّا بَدَا لِي ٱلْيَأْسُ عَدَّيْتُ نَاقَتِي عَنِ ٱلدَّارِ وَٱسْتَوْلَىٰ عَلَيَّ عَزَائِي
إِلَىٰ بَيْتِ حَانٍ مَا تَهِرُّ كِلَابُهُ عَلَيَّ وَلَا يُنْكِرْنَ طُولَ ثَوَائِي

كانَ ينبغي أن يُقالَ (حاني) ، ويُروىٰ (إلىٰ بيتِ علجٍ)

فَمَا رُمْتُهُ حَتَّىٰ أَتَىٰ دُونَ مَا حَوَتْ يَمِينِيَ حَتَّىٰ رِيطَتِي وَحِذَائِي
وَكَأْسٍ كَمِصْبَاحِ ٱلسَّمَاءِ شَرِبْتُهَا عَلَىٰ قُبْلَةٍ أَوْ مَوْعِدٍ بِلِقَاءِ
أَتَتْ دُونَهَا ٱلْأَيَّامُ حَتَّىٰ كَأَنَّهَا تَسَاقُطُ نُورٍ مِنْ فُتُوقِ سَمَاءِ
تَرَىٰ ظَهْرَهَا مِنْ ظَاهِرِ ٱلْكَأْسِ سَاطِعاً عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتَهَا بِغِطَاءِ
تَبَارَكَ مَنْ سَاسَ ٱلْأُمُورَ بِعِلْمِهِ وَفَضَّلَ هَارُوناً عَلَى ٱلْخُلَفَاءِ

---

(١) تقدم (٤/١٦١)

(٢) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨)

نَعِيشُ بِخَيْرٍ مَا ٱنْطَوَيْنَا عَلَى ٱلتُّقَىٰ وَمَا سَاسَ دُنْيَانَا أَبُو ٱلْأُمَنَاءِ

إِمَامٌ يَخَافُ ٱللهَ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ يُؤَمِّلُ رُؤْيَاهُ صَبَاحَ مَسَاءِ

أَشَمُّ طَوِيلُ ٱلسَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يُنَاطُ نِجَاداً سَيْفُهُ بِلِوَاءِ

أي طويلٌ كأنَّ حمائلَ سيفِهِ علىٰ رمحٍ ، قالَ المُبرِّدُ ما علمتُ قائلاً مدحَ خليفةً فنَسِبَ بمثلِ هٰذا النسيبِ ، علىٰ أنَّهُ قد جدَّ في المدحِ ، وبلغَ المرادَ

ولقد كانَ الرشيدُ ممَّنْ يُتحامى الإقرارُ بحضرتِهِ أو حيثُ يبلغُهُ بذكرِ قُبلةٍ أو شربِ كأسٍ وما أشبهَ ذٰلكَ ؛ لجلالتِهِ ونبلِ ملكِهِ ، وبعدِهِ مِنِ احتمالِ السخفِ وما دنا منهُ ، إلَّا أنَّ أبا نُواسٍ كانَ ينسبُ في المدحِ الجليلِ بالخمرِ الذي هوَ شأنُهُ ، وفيهِ تصرُّفُهُ وجُلُّ مذهبِهِ

وتَحدَّثَ عيسى بنُ عبدِ العزيزِ بنِ سهلٍ الحارثيُّ قالَ كانَ الرشيدُ لا يسمعُ مِنَ الشعرِ ما فيهِ رفثٌ ولا هزلٌ ، وكانَ لا يُذكَرُ في تشبيبِ مدحِهِ قُبلةٌ ولا غمزةٌ ، فلمَّا قدمَ أبو نُواسٍ مِنْ مصرَ امتدحَهُ ، فأوصلَهُ البرامكةُ إليهِ ، فأنشدَهُ (لقد طالَ في رسمِ الديارِ بكائي) ، فلمَّا بلغَ وصفَهُ للخمرِ تَغيَّرَ وجهُ الرشيدِ ، فلمَّا قالَ (وكأسٍ كمصباحِ السماءِ شربتُها) أرادَ أن يأمرَ بهِ ، فلمَّا أنشدَهُ (تباركَ مَنْ ساسَ الأمورَ بعلمِهِ) أخذَتْهُ هِزَّةٌ ، فأمرَ لهُ بعشرينَ ألفَ درهمٍ

[مِنْ خمرياتِ أبي نواسٍ]

وقولُهُ مِنَ الخمرياتِ ـ وذٰلكَ فنُّهُ الذي تَميَّزَ بهِ ، وفتحَ للشعراءِ بابَهُ [1] ـ [من السريع]

أَثْنِ عَلَى ٱلْخَمْرِ بِآلَائِهَا وَسَمِّهَا أَحْسَنَ أَسْمَائِهَا

---

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٥١)

لَا تَجْعَلِ ٱلْمَاءَ لَهَا قَاهِراً وَلَا تُسَلِّطْهَا عَلَىٰ مَائِهَا
كَرْخِيَّةٌ قَدْ عُتِّقَتْ حِقْبَةً حَتَّىٰ مَضَىٰ أَكْثَرُ أَجْزَائِهَا
فَلَمْ يَكَدْ يُدْرِكُ خَمَّارُهَا مِنْهَا سِوَىٰ آخِرِ حَوْبَائِهَا
دَارَتْ فَأَحْيَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةٍ نُفُوسَ [حَسْرَاهَا] وَأَنْضَائِهَا
وَٱلْخَمْرُ قَدْ يَشْرَبُهَا مَعْشَرٌ لَيْسُوا إِذَا عُدُّوا بِأَكْفَائِهَا

وقولُهُ (١) [من البسيط]

سَاعٍ بِكَاسٍ إِلَىٰ نَاسٍ عَلَىٰ طَرَبِ كِلَاهُمَا عَجَبٌ فِي مَنْظَرٍ عَجَبِ
قَامَتْ تُرِينِي وَأَمْرُ ٱللَّيْلِ مُجْتَمِعٌ صُبْحاً تَوَلَّدَ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱلْعِنَبِ
كَأَنَّ صُغْرَىٰ وَكُبْرَىٰ مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَىٰ أَرْضٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ
كَأَنَّ تُرْكاً صُفُوفاً فِي جَوَانِبِهَا تَوَاتَرَ ٱلرَّمْيُ بِٱلنُّشَّابِ مِنْ كَثَبِ
مِنْ كَفِّ سَاقِيَةٍ نَاهِيكَ سَاقِيَةً فِي حُسْنِ قَدٍّ وَفِي ظَرْفٍ وَفِي أَدَبِ
كَانَتْ لِرَبِّ قِيَانٍ ذِي مُغَالَبَةٍ بِٱلْكَشْخِ مُحْتَرِفٍ بِٱلْكَشْخِ مُكْتَسِبِ
فَقَدْ رَأَتْ وَوَعَتْ عَنْهُنَّ وَٱخْتَلَفَتْ مَا بَيْنَهُنَّ وَمَنْ يَهْوَيْنَ بِٱلْكُتُبِ
حَتَّىٰ إِذَا مَا غَلَىٰ مَاءُ ٱلشَّبَابِ بِهَا وَأُفْعِمَتْ فِي تَمَامِ ٱلْجِسْمِ وَٱلْقَصَبِ
وَجُمِّشَتْ بِخَفِيِّ ٱللَّحْظِ فَٱنْجَمَشَتْ وَجَرَّتِ ٱلْوَعْدَ بَيْنَ ٱلصِّدْقِ وَٱلْكَذِبِ
تَمَّتْ فَلَمْ يَرَ إِنْسَانٌ لَهَا شَبَهاً فِيمَنْ بَرَا ٱللهُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ
تِلْكَ ٱلَّتِي لَوْ خَلَتْ مِنْ [عَيْنِ قَيِّمِهَا] لَمْ أَقْضِ مِنْهَا وَلَا مِنْ حُبِّهَا أَرَبِي

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٦٢ ـ ٦٣)

يقولُ لو قدرتُ عليها لم أشبعْ منها أبداً ، ويُروىٰ (قضيتُ منها ومِنْ وجدٍ بها أربي)

تَحدَّثَ محمدُ بنُ المُظفَّرِ كاتبُ إسماعيلَ بنِ صبيحٍ ، عن إسماعيلَ قالَ قالَ ليَ الرشيدُ أبغني وصيفةً مليحةً فطنةً حركةً مقدودةً تسقيني ؛ فإنَّ الشرابَ يطيبُ مِنْ يدِ مثلِها ، فقلتُ يا سيدي ؛ عليَّ الجهدُ ، فقالَ اجعلْ قولَ هـٰذا العيَّارِ أمامَكَ واسترخ ، قلتُ قولَ مَنْ ؟ قالَ قولَ مَنْ يقولُ (مِنْ كفِّ ساقيةٍ ناهيكَ ساقيةً) إلىٰ قولِهِ (بينَ الصِّدقِ والكذبِ)



وقولُهُ (١) [من الطويل]

أَلَا فَٱسْقِنِي خَمْراً وَقُلْ لِي هِيَ ٱلْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرّاً إِذَا أَمْكَنَ ٱلْجَهْرُ
وَلَا تَسْقِيَنْ مِنْهَا ٱلْمُرَائِينَ قَطْرَةً لِأَنَّ رِيَاءَ ٱلنَّاسِ عِنْدِي هُوَ ٱلْهَجْرُ
فَعَيْشُ ٱلْفَتَىٰ فِي سَكْرَةٍ بَعْدَ سَكْرَةٍ فَإِنْ طَالَ هَـٰذَا عِنْدَهُ قَصُرَ ٱلدَّهْرُ
وَمَا ٱلْغَبْنُ إِلَّا أَنْ تَرَانِيَ صَاحِياً وَمَا ٱلْغُنْمُ إِلَّا أَنْ يُتَعْتِعَنِي ٱلسُّكْرُ
فَبُحْ بِٱسْمِ مَنْ أَهْوَىٰ وَدَعْنِي مِنَ ٱلْكُنَىٰ فَلَا خَيْرَ فِي ٱللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ
وَلَا خَيْرَ فِي فَتْكٍ بِغَيْرِ مَجَانَةٍ وَلَا فِي مُجُونٍ لَيْسَ يَتْبَعُهُ كُفْرُ
بِكُلِّ أَخِي قَصْفٍ كَأَنَّ جَبِينَهُ هِلَالٌ وَقَدْ حُفَّتْ بِهِ ٱلْأَنْجُمُ ٱلزُّهْرُ
وَخَمَّارَةٍ نَبَّهْتُهَا بَعْدَ هَجْعَةٍ وَقَدْ غَابَتِ ٱلْجَوْزَاءُ وَٱنْحَدَرَ ٱلنَّسْرُ
فَقَالَتْ مَنِ ٱلطُّرَّاقُ قُلْنَا عِصَابَةٌ خِفَافُ ٱلْأَدَاوَىٰ يُبْتَغَىٰ لَهُمْ خَمْرُ
وَلَا بُدَّ أَنْ يَزْنُوا فَقَالَتْ أَوِ ٱلْفِدَا بِأَبْلَجَ كَٱلدِّينَارِ فِي طَرْفِهِ فَتْرُ

---

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٩٦ ـ ٩٧) ، وفيها ما فيها من التبجح بالمجون الفاضح

فَقُلْنَا لَهَا هَاتِيهِ مَا إِنْ لِمِثْلِنَا فَدَيْنَاكِ بِٱلْآبَاءِ عَنْ مِثْلِهِ صَبْرُ
فَجَاءَتْ بِهِ كَٱلْغُصْنِ [يَهْتَزُّ] رِدْفُهُ تَخَالُ بِهِ سِحْراً وَلَيْسَ بِهِ سِحْرُ
لَهُ سِنَةٌ كَٱلْبَدْرِ لَيْلَةَ تِمِّهِ مُهَفْهَفُ أَعْلَى ٱلْكَشْحِ فِي ثَغْرِهِ أُشْرُ
فَقُمْنَا إِلَيْهِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ نُجَرِّرُ أَذْيَالَ ٱلْفُسُوقِ وَلَا فَخْرُ

قالَ المُبرِّدُ سمعتُ سليمانَ بنَ أبي داوودَ يقولُ لمَّا ملكَ الأمينُ قالَ أبو نُواسٍ (فاسقني خمراً وقلْ لي هيَ الخمرُ) ، وكانَ الفضلُ بنُ الربيعِ سيِّئَ الرأيِ فيهِ ، فأخبرَ الأمينَ بخبرِهِ وما شاعَ في العامَّةِ مِنْ تهتُّكِهِ ، فأمرَ أن يُحبَسَ ، فمدحَ الفضلَ بنَ الربيعِ ، وقالَ فيهِ تلكَ الأشعارَ كلَّها بهٰذا السببِ

وتَحدَّثَ أحمدُ بنُ الحارثِ عنِ المدائنيِّ قالَ قالَ معاويةُ يوماً ما اللَّذةُ ؟ فأكثروا الوصفَ ، فقالَ عمرُو بنُ العاصِ نحِّ الأحداثَ حتىٰ أخبرَكَ بها مِنْ فصِّها ، فنُحُّوا ، فقالَ هَتْكُ المروءةِ ، والمجاهرةُ بالخطيئةِ ، وألَّا تباليَ قبيحاً مِنْ حسنٍ ، فقالَ أحمدُ بنُ الحارثِ فقاتلَ اللهُ أبا نُواسٍ حيثُ يقولُ (فبُحْ باسمِ مَنْ أهوىٰ ودعْني مِنَ الكُنىٰ) ، وحيثُ يقولُ أيضاً (جريتُ معَ الصِّبا طلْقَ الجموحِ)

وقولُهُ (١) [من الكامل]

كَيْفَ ٱلنُّزُوعُ عَنِ ٱلصِّبَا وَٱلْكَاسِ قِسْ ذَا لَنَا يَا عَاذِلِي بِقِيَاسِ
وَإِذَا عَدَدْتُ سِنِيَّ كَمْ هِيَ لَمْ أَجِدْ لِلشَّيْبِ عُذْراً فِي ٱلنُّزُولِ بِرَاسِي
قَالُوا شَمِطْتَ فَقُلْتُ مَا شَمِطَتْ يَدِي عَنْ أَنْ تَحُثَّ إِلَىٰ فَمِي بِٱلْكَاسِ
صَفْرَاءُ زَانَ رُوَاءَهَا مَخْبُورُهَا فَلَهَا ٱلْمُهَذَّبُ مِنْ ثَنَاءِ ٱلْحَاسِي

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ١١٠ ـ ١١١)

وَكَأَنَّ شَارِبَهَا لِفَرْطِ شُعَاعِهَا		بِٱللَّيْلِ يَكْرَعُ فِي سَنَا مِقْبَاسِ
وَأَلَذُّ مِنْ أَنْغَامِ خُلَّةِ عَاشِقٍ		نَالَتْهُ بَعْدَ تَعَصُّبٍ وَشِمَاسِ
فَٱلرَّاحُ طَيِّبَةٌ وَلَيْسَ تَمَامُهَا		إِلَّا بِطِيبِ خَلَائِقِ ٱلْجُلَّاسِ
فَإِذَا نَزَعْتَ عَنِ ٱلْغَوَايَةِ فَلْيَكُنْ		لِلّٰهِ ذَاكَ ٱلنَّزْعُ لَا لِلنَّاسِ

وقولُهُ (١)		[من المديد]

يَا شَقِيقَ ٱلنَّفْسِ مِنْ حَكَمِ		نِمْتَ عَنْ لَيْلِي وَلَمْ أَنَمِ
فَٱسْقِنِي ٱلْبِكْرَ ٱلَّتِي ٱخْتَمَرَتْ		بِخِمَارِ ٱلشَّيْبِ فِي ٱلرَّحِمِ
ثُمَّتَ ٱنْصَاتَ ٱلشَّبَابُ لَهَا		بَعْدَمَا جَازَتْ مَدَى ٱلْهَرَمِ
فَهْيَ لِلْيَوْمِ ٱلَّذِي نَزَلَتْ		وَهْيَ تِرْبُ ٱلدَّهْرِ فِي ٱلْقِدَمِ
عُتِّقَتْ حَتَّىٰ لَوِ ٱتَّصَلَتْ		بِلِسَانٍ نَاطِقٍ وَفَمِ
لَٱحْتَبَتْ فِي ٱلْقَوْمِ مَاثِلَةً		ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ ٱلْأُمَمِ
قَرَّعَتْهَا بِٱلْمِزَاجِ يَدٌ		خُلِقَتْ لِلسَّيْفِ وَٱلْقَلَمِ
فِي نَدَامَىٰ سَادَةٍ زُهُرٍ		أَخَذُوا ٱللَّذَّاتِ مِنْ أَمَمِ
فَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ		كَتَمَشِّي ٱلْبُرْءِ فِي ٱلسَّقَمِ
فَعَلَتْ فِي ٱلْبَيْتِ إِذْ مُزِجَتْ		مِثْلَ فِعْلِ ٱلصُّبْحِ فِي ٱلظُّلَمِ
فَٱهْتَدَىٰ سَارِي ٱلظَّلَامِ بِهَا		كَٱهْتِدَاءِ ٱلسَّفْرِ بِٱلْعَلَمِ

قولُهُ (اختمرَتْ بخمارِ الشيبِ) قيلَ أرادَ صفتَها وهيَ في دَنِّها ؛ حيثُ

---

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ١٤٢ ـ ١٤٣)

يعلوها شيءٌ كالعنكبوتِ ، وقيلَ أرادَ صفتَها في ابتداءِ أمرِها حيثُ كانَتْ في العنبِ ؛ فإنَّهُ أوَّلُ ما يظهرُ يكونُ عليهِ غطاءٌ أبيضُ ، وهـٰذا كلامُ مَنْ يرفعُ أبا نُواسٍ عن تناولِ المعاني القريبةِ

وقولُهُ (آنصاتَ) أي أجابَ ؛ مِنَ الصَّوتِ ، فهوَ مثلُ دعاهُ فاندعىٰ

وقولُهُ (لوِ اتَّصلَتْ بلسانٍ) أي لو كانَتْ شخصاً يَتكلَّمُ لمُثِّلَتْ محتبيةً في القومِ تُحدِّثُهُم بأخبارِ القرونِ الأُولىٰ

وقولُهُ (فتَمشَّتْ في مفاصِلِهِم) أخذَ هـٰذا المعنىٰ مِنْ قولِ عربيٍّ يَصِفُ صائداً[1] [من المديد]

فَتَمَشَّىٰ لَا يُحَسُّ بِهِ كَتَمَشِّي ٱلنَّارِ فِي ٱلضَّرَمِ

قالَ أبو نُواسٍ كنتُ قلتُ (كتمشِّي النارِ في الفحمِ) فقالَ لي رحمةُ بنُ نجاحٍ لو قلتَ (كتمشِّي البرءِ في السَّقمِ) ، فعدلتُ إليهِ ، وانتقادُ مَنِ انتقدَهُ بأنَّهُ أحالَ ؛ حيثُ جعلَ عَرَضاً يَتمشَّىٰ في عَرَضٍ مِنَ التدقيقاتِ الباردةِ التي لا تحتملُها الصِّناعةُ الشعريَّةُ

قالَ الجاحظُ لمَّا سمعَ أبو شعيبٍ القلالُ هـٰذا البيتَ قالَ ما أصفىٰ هـٰذا البيتَ !! ولو نُقِرَ لطنَّ[2] ، فتكلَّمَ مِنْ جهةِ صناعتِهِ

وهـٰذا البابُ مِنْ شعرِ أبي نُواسٍ يَشتمِلُ علىٰ ثلاثِ مئةِ قصيدةٍ ومقطوعةٍ ، وجميعُ شعرِهِ الذي استقصىٰ جمعَهُ حمزةُ بنُ الحسنِ الأصبهانيُّ يبلغُ ألفاً وخمسَ مئةِ قصيدةٍ ومقطوعةٍ ، تشتملُ علىٰ ثلاثةَ عشرَ ألفَ بيتٍ



(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/٨٦ ـ ٨٧) ، ونسبه لبعض الهذليين

(٢) انظر « المثل السائر » (٢/١١٤ ـ ١١٥)

[قصيدةٌ لمسلمِ بنِ الوليدِ في مدحِ ابنِ المُهلَّبِ معَ شرحِها] (١)

ومِنْ شعرِ مسلمِ بنِ الوليدِ ـ وسأنقلُهُ مشروحاً كما وجدتُهُ ؛ لتمامِ الفائدةِ

يُحكىٰ أنَّ مُسلماً أرسلَ هٰذهِ القصيدةَ للممدوحِ ، فلمَّا وافى الرسولُ ادَّعىٰ أنَّها مِنْ شعرِهِ ، وكانَ الممدوحُ حينَ ابتدأَ الرسولُ يُنشِدُ مضطجعاً ، فاعتدلَ إجلالاً لِمَا سمعَ ، وعرفَ مِنْ فحوى الكلامِ أنَّهُ شعرُ مسلمٍ ، فقالَ للرسولِ المُدَّعي أَجَّلْتُكَ سنةً لتعملَ مثلَ هٰذهِ القصيدةِ ، فاعترفَ أنَّها شعرُ مسلمٍ ، فقالَ الممدوحُ إنَّكَ حينَ أنشدتَ مطلعَها رأيتُ كأنَّ مسلماً هوَ القائمُ يُنشِدُني

وكذٰلكَ متىٰ كانَ الإنسانُ ذا دُربةٍ وتمامِ خبرةٍ بشعرِ شاعرٍ عرفَ ما لم يَسمعْهُ مِنْ شعرِهِ بما عرفَهُ منهُ ؛ لأنَّ لكلِّ شاعرٍ فِي الكلامِ مذهباً يَخُصُّهُ ، وطريقةً لا يَتعدَّاها ـ ومدحَ بها داوودَ بنَ يزيدَ بنِ حاتمِ بنِ خالدِ بنِ المُهلَّبِ (٢)

[من البسيط]

لَا تَدْعُ بِي ٱلشَّوْقَ إِنِّي غَيْرُ مَعْمُودِ ... نَهَى ٱلنُّهَىٰ عَنْ هَوَى ٱلْهِيفِ ٱلرَّعَادِيدِ

قولُهُ (لا تدعُ بي الشَّوقَ) أي لا تدعني مشتاقاً ، ولا تقلْ إنَّ بي شوقاً إلىٰ أحدٍ ، غيرُ معمودٍ ؛ أي غيرُ عاشقٍ ، والمعمودُ المقروحُ القلبِ ، وأصلُهُ أن يصيبَ البعيرَ داءٌ في سنامِهِ ، فيهيجَ عليهِ ، حتىٰ ربَّما أخرجَتْ منهُ العظامُ ، فاستُعِيرَ ذٰلكَ للقلبِ ، والهِيفُ الضَّامراتُ البطونِ ، والرَّعاديدُ المرتجَّاتُ الأكفالِ ، والرِّعديدُ في غيرِ هٰذا هوَ الجبانُ

لَوْ شِئْتُ لَا شِئْتُ رَاجَعْتُ ٱلصِّبَا وَمَشَتْ ... فِيَّ ٱلْعُيُونُ وَفَاتَتْنِي بِمَجْلُودِ

---

(١) والشاعر مسلم بن الوليد مشهور باسم (صريع الغواني)

(٢) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ١٥١ ـ ١٧١) وفيه الشرح المنقول

يقولُ لو شئتُ ـ لا جعلَني اللهُ أشاءُ ذٰلكَ ـ . راجعتُ الصِّبَا ، ومشتْ فيَّ العيونُ ـ أي عيونُ النساءِ ـ لعشقِهِنَّ [لي] ، وفاتَتْني بمجلودٍ ؛ أي ذهبَتْ بجلدِي ؛ يريدُ أنَّهُ كانَ يصبو إليهِنَّ أيضاً

سَلْ لَيْلَةَ ٱلْخَيْفِ هَلْ أَمْضَيْتُ آخِرَهَا بِٱلرَّاحِ تَحْتَ نَسِيمِ ٱلْخُرَّدِ ٱلْغِيدِ

يقولُ إنَّهُ شربَ مِنْ أوَّلِ الليلةِ إلىٰ آخِرِها معَ **الغِيدِ** ؛ وهيَ الجواري الطِّوالُ الأعناقِ ، الناعماتُ ، يُشْتَمُّ رائحتُهُنَّ ، **والخَيفُ** أسفلُ الجبلِ ممَّا يلي الواديَ ، **وأمضيتُ الشيءَ** : إذا أتيتُ عليهِ بالتنفيذِ

شَجَّجْتُهَا بِلُعَابِ ٱلْمُزْنِ فَٱغْتَزَلَتْ نَسْجَيْنِ مِنْ بَيْنِ مَحْلُولٍ وَمَعْقُودِ

يقولُ **شَجَّجْتُهَا** ـ يعني الخمرَ ـ أي مزجتُها ، **فاغتزلَتْ** ؛ أي اختلطَتْ نسجَينِ أحدُهُما محلولٌ ، والآخَرُ معقودٌ ؛ يريدُ أنَّ ما وليَ الماءَ مِنَ الخمرِ في الكأسِ أسرعَ فيهِ الماءُ فحلَّهُ ، وما وليَ منها القاعَ بقيَ علىٰ حالِهِ لم يحلُّهُ الماءُ بعدُ ، قالَ أبو نُواسٍ يصفُ خمراً مُزِجَتْ في كأسٍ (١) [من الكامل]

حَمْرَاءُ صَفْرَاءُ ٱلتَّرَائِبِ رَأْسُهَا فِيهِ لِمَا نَسَجَ ٱلْمِزَاجُ قَتِيرُ

يريدُ أنَّ لونَها حمراءُ وصفراءُ الترائبِ ؛ يريدُ قدِ اصفرَّ أعلاها الذي سبقَ ، **والقتيرُ** الحبابُ ، **وأصلُهُ** الشيبُ

كِلَا ٱلْجَدِيدَيْنِ قَدْ أُطْعِمْتُ حَبْرَتَهُ لَوْ آلَ حَيٌّ إِلَىٰ عُمْرٍ وَتَخْلِيدِ

الجديدَينِ اللَّيلُ والنهارُ ، **والحبرةُ** النعيمُ

وقولُهُ (لو آلَ حيٌّ) أي لو صارَ حيٌّ باقياً

أَهْلاً بِوَافِدَةٍ لِلشَّيْبِ وَاحِدَةٍ وَإِنْ تَرَاءَتْ بِشَخْصٍ غَيْرِ مَوْدُودِ

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٩٨)

أهلاً بوافدةٍ ؛ أي قادمةٍ للشيبِ واحدةٍ تراءَتْ ؛ أيِ اعترضَتْ ، غيرِ مودودٍ ؛ أي غيرِ محبوبٍ

لَا أَجْمَعُ ٱلْحِلْمَ وَٱلصَّهْبَاءَ قَدْ سَكَنَتْ نَفْسِي إِلَى ٱلْمَاءِ عَنْ مَاءِ ٱلْعَنَاقِيدِ

يقولُ لا أجمعُ التكهُّلَ وشربَ الخمرِ ، قد سكَنَتْ نفسي إلى الماءِ ، واستغنيتُ بهِ عنِ الخمرِ ؛ أي لا أشربُها

لَمْ يَنْهَنِي فَنَدٌ عَنْهَا وَلَا كِبَرٌ لَكِنْ صَحَوْتُ وَغُصْنِي غَيْرُ مَخْضُودِ

الفَنَدُ اللومُ ، وغُصني ؛ أي شبابي ، والمخضودُ [الواهنُ][(١)]

أَوْفَىٰ بِيَ ٱلْحِلْمُ وَٱقْتَادَ ٱلنُّهَىٰ طَلَقاً شَأْوِي وَعِفْتُ ٱلصِّبَا مِنْ غَيْرِ تَفْنِيدِ

يقولُ أوفىٰ بيَ الحلمُ ؛ أي وافقَني ، واقتادَ العقلَ طلقاً شأوي ، وعفتُ الصِّبا ؛ أي تركتُ الصِّبا ، مِنْ غيرِ تفنيدٍ ؛ أي مِنْ غيرِ تعذيلٍ ولا لومٍ ، وأصلُ (وافقَني) لاءمَني ، وطَلَقاً مُعدّىً إليهِ الفعلُ

إِذَا تَجَافَتْ بِيَ ٱلْهِمَّاتُ مِنْ بَلَدٍ نَازَعْتُ أَرْضاً وَلَمْ أَحْفِلْ بِتَمْهِيدِ

يقولُ إذا تجافَتْ بيَ الهماتُ عن بلدٍ نازعتُ بلداً آخَرَ غيرَهُ ولم أبالِ بتمهيدٍ ؛ أي بإقامةٍ ، ونازعتُ ؛ أي قصدتُ

لَا تَطَّبِينِي ٱلْمُنَىٰ عَنْ جَهْدِ مُطَّلَبٍ وَلَا أَحُولُ لِشَيْءٍ غَيْرِ مَوْجُودِ

يقولُ لا تطبيني المنىٰ ؛ أي لا تدعوني إلىٰ أنفسِها مِنْ جهدِ مطلبٍ ، وقولُهُ (لا أحولُ لشيءٍ غيرِ موجودٍ) أي لا أطلبُ مِنَ الأمورِ غيرَ الممكنِ الوجودِ

وَمَجْهَلٍ كَٱطِّرَادِ ٱلسَّيْفِ مُحْتَجِزٍ عَنِ ٱلْأَدِلَّاءِ مَسْجُورِ ٱلصَّيَاخِيدِ

---

(١) في الأصل (الواهب)

يقولُ وربَّ مَجهلٍ كاطِّرادِ السيفِ ؛ أي كتتابعِ السيفِ في الحِدَّةِ ، مُحتجَزٍ عنِ الأدلَّاءِ مسجورِ الصَّياخيدِ مِنَ الحرورِ ، والمَجهلُ القفرُ الذي لا يُهتدىٰ بهِ

تَمْشِي ٱلرِّيَاحُ بِهِ حَسْرَىٰ مُوَلَّهَةً حَيْرَىٰ تَلُوذُ بِأَكْنَافِ ٱلْجَلَامِيدِ

يقولُ أي تمشي الرياحُ فيهِ حسرىٰ ؛ أي كالَّةً ، مُولَّهةً ؛ أي حزينةً ، تلوذُ بأكنافِ الجلاميدِ ؛ يريدُ أن ليسَ فيهِ شجرٌ ، وإنَّما تجري الرياحُ على الحجارةِ فلا تجدُ غيرَها ، والأكنافُ النواحي ، واحدُها كنفٌ

مُفَوَّفِ ٱلْمَتْنِ لَا [تَمْضِي] ٱلسَّبِيلُ بِهِ إِلَّا ٱلتَّخَلُّلَ رَيْثاً بَعْدَ تَجْهِيدِ

يقولُ إنَّ ذٰلكَ المَجهلَ مُفوَّفُ المتنِ ؛ أي مُخطَّطٌ ، أخذاً مِنَ التفويفِ في القوائمِ ؛ وهوَ التخطيطُ ، وذٰلكَ أنَّ الأرض الرديئةَ فيها ضُروبٌ مِنَ الألوانِ

وقولُهُ (لا تمضي السبيلُ بهِ) أي لا تقطعُ السبيلُ بها إلَّا التخللَ ؛ وهوَ الاندخالُ في الأشياءِ المتضايقةِ ، ريثاً بعدَ تجهيدٍ ؛ أي إبطاءً بعدَ جهدٍ ، والجهدُ التعبُ

قَرِيْتُهُ ٱلْوَخْدَ مِنْ خَطَّارَةٍ سُرُحٍ تَفْرِي ٱلْفَلَاةَ بِإِرْقَالٍ وَتَوْخِيدِ

يُقالُ قريتُهُ الوَخْدَ ؛ أي هٰذا الضَّربَ مِنَ السيرِ ؛ أي مِنْ ناقةٍ مُحرِّكةٍ لذنبِها ، سُرُحٍ خفيفةٍ ، والإرقالُ والتوخيدُ ضربانِ مِنَ السَّيرِ

إِلَيْكَ [بَادَرْتُ] إِسْفَارَ ٱلصَّبَاحِ بِهَا مِنْ جُنْحِ لَيْلٍ رَحِيبِ ٱلْبَاعِ مَمْدُودِ

يقولُ إليكَ [بادرتُ] ؛ أي سابقتُ إسفارَ الصَّباحِ ؛ أيِ [انبلاجَ] الصَّباحِ مِنْ جنحٍ ؛ أي مِنْ ظلامِ ليلٍ ، رحيبِ الباعِ ؛ أي واسعِ الباعِ ، ممدودٍ ؛ أي مُطوَّلٍ ؛ أي أتيتُكَ قبلَ الصُّبحِ

وَبَلْدَةٍ ذَاتِ غَوْلٍ لَا سَبِيلَ بِهَا إِلَّا ٱلظُّنُونُ وَإِلَّا مَسْرَحُ ٱلسِّيدِ

يقولُ ورُبَّ بلدةٍ بعيدةٍ ، لا طريقَ بها إلَّا الظُّنونُ ؛ أي تُظَنُّ طريقاً ، وإلَّا مسرحُ السِّيدِ ؛ أي وإلَّا حيثُ يَسرحُ الذئبُ

كَـأَنَّ أَعْـلَامَـهَـا وَٱلْآلُ يَـرْكَـبُـهَـا   بُـدْنٌ تَـوَافَـىٰ بِـهَـا نَـذْرٌ إِلَـىٰ عِـيـدِ

الأعلامُ الجبالُ ؛ يقولُ كأنَّ جبالَ تلكَ الفَلاةِ والآلُ يركبُها نُوقٌ بدنٌ تَوافىٰ بها نذرٌ إلىٰ عيدٍ ؛ أي جلبَها نذرٌ إلى النحرِ بمكةَ يومَ العيدِ ، كأنَّ رجلاً نذرَ أن يَنحرَ نُوقاً بمكةَ ، فقَدَّمَها لذٰلكَ ، وقد ألقىٰ عليها الملاحفَ ، فشَبَّهَ صريعُ الجبالَ وقدِ التحفَتْ في الآلِ الأبيضِ بها

كَـلَّـفْـتُ أَهْـوَالَـهَـا عَـيْـنـاً مُـؤَرَّقَـةً   إِلَيْكَ لَوْلَاكَ لَـمْ تُـكْـحَلْ بِتَـسْـهِـيدِ

يقولُ كَلَّفَتْ تلكَ الفَلاةُ عيني فسهرَتْ ، ولولاكَ أنتَ لم تسهرْ ، الأَرَقُ السَّهرُ

حَـتَّـىٰ أَتَـتْـكَ بِـيَ ٱلْآمَـالُ مُـطَّـلِـعـاً   لِلْيُسْرِ عِنْدَكَ فِي سِرْبَالِ مَحْسُودِ

يقولُ حتىٰ بَلَّغَتْني إليكَ الآمالُ مُطَّلِعاً لليسرِ في سربالِ محسودٍ ؛ أي لمَّا قصدتُكَ حسدَني الناسُ ؛ لعلمِهم بأنَّكَ تغنيني

مِنْ بَعْدِ مَا أَلْقَتِ ٱلْأَيَّامُ لِي عَرَضاً   مُلْقَىٰ رَهِينٍ لِحَدِّ ٱلسَّيْفِ مَصْفُودِ

لي عرضاً ؛ أي جانباً ، مُلقىٰ رهينٍ ؛ أي أسيرٍ قد حُبِسَ للقتلِ ، مُقدَّمٍ لحدِّ السيفِ مصفودٍ ؛ أي موثقٍ بالحديدِ ، وإنَّما يصفُ نفسَهُ أنَّهُ بقيَ مِنْ إضرارِ الدَّهرِ بهِ في مثلِ حالِ الأسيرِ المُقدَّمِ للسيفِ

وَسَـاوَرَتْـنِي بَنَاتُ ٱلدَّهْرِ فَٱمْتَحَنَتْ   رَبْـعِـي بِـمُـمْـحِـلَـةٍ شَـهْـبَـاءَ جَـارُودِ

يقولُ ساورَتْني بناتُ الدَّهرِ ؛ أي واثبَتْني ، فامتحنَتْ رَبْعي ؛ أي منزلي ، بسَنَةٍ مُمحِلةٍ ؛ أي ذاتِ مَحْلٍ وانجرادٍ مِنَ النباتِ

إِلَـىٰ بَـنِـي حَـاتِـمٍ أَدَّىٰ رَكَـائِـبَـنَـا   خَوْضُ ٱلدُّجَىٰ وَسُرَى ٱلْمُهْرِيَّةِ ٱلْقُودِ

يقولُ إلىٰ بني حاتمٍ بَلَّغَ ركائبَنا خوضُ الدُّجىٰ ؛ أي قطعُ الليلِ ، وسُرى المهريةِ القودِ ؛ السُّرَىٰ وخوضُ الدُّجىٰ واحدٌ ، ولـٰكنَّهُ كَرَّرَ اللفظَ لاختلافِهِ ، والمهريَّةُ منسوبةٌ إلىٰ مهرةَ ؛ وهوَ حيٌّ مِنْ هَمْدَانَ ، والقُودُ جمعُ قَوداءَ

تَطْوِي ٱلنَّهَارَ فَإِنْ لَيْلٌ تَخَمَّطَهَا بَاتَتْ تَخَمَّطُ هَامَاتِ ٱلْقَرَادِيدِ

يقولُ تطوي النهارَ بالسيرِ ؛ أي تقطعُ ، فإن ليلٌ صالَ عليها صالَتْ علىٰ هاماتِ القراديدِ ؛ وهيَ جمعُ قرددٍ ؛ وهوَ المرتفعُ مِنَ الجبالِ ، وأصلُ التخمُّطِ تَعرُّمُ البعيرِ الفحلِ وتصعُّبُهُ ؛ يريدُ إذا اشتدَّ عليها سيرُ الليلِ لم تبالِ بهِ معَ ما قد مضىٰ عليها مِنْ طولِ السفرِ

مِثْلَ ٱلسَّمَامِ بَعِيدَاتِ ٱلْمَقَالِ إِذَا أَلْقَى ٱلْهَجِيرُ يَداً فِي كُلِّ صَيْخُودِ

يقولُ إنَّ النُّوقَ مثلُ السَّمامِ في السُّرعةِ إذا اشتدَّ عليها الهجيرُ وهَيَّجَ كلَّ صَيْخُودٍ ، والصَّيْخُودُ شِدَّةُ الحرِّ ، والسَّمامُ طائرٌ يشبهُ القَطا ، بعيداتُ المَقيلِ ؛ أيْ لا تقيلُ هـٰذهِ النُّوقُ

حَلَّتْ بِدَاوُودَ فَٱمْتَاحَتْ وَأَعْجَلَهَا حَذْوُ ٱلنِّعَالِ عَلَىٰ أَيْنٍ وَتَحْرِيدِ

يقولُ حَلَّتْ هـٰذهِ النُّوقُ بداوودَ ؛ أي نزلَتْ بهِ ، فامتاحَتْ عطاياهُ ؛ أي أخذَتْ ، والامتياحُ استسقاءُ الماءِ مِنَ البئرِ بالأحفانِ ، فشَبَّهَ أخذَ أحفانِ المالِ مِنْ داوودَ بأخذِ الماتحِ الماءَ بأحفانِهِ ، وأعجلَها حذوُ النِّعالِ ؛ أي لمَّا أخذوا المالَ منهُ استعدُّوا إبلَهُم للرجوعِ وهيَ لم تسترخْ مِنَ الكَلَلِ ، وصفَهُ بسرعةِ العطاءِ عندَ حلولِهِم بهِ مِنْ غيرِ مطلٍ ، والأينُ الفترةُ ، والتحريدُ مِنَ الحردِ ؛ وهوَ داءٌ يصيبُ الإبلَ في قوائمِها

أَعْطَىٰ فَأَفْنَى ٱلْمُنَىٰ أَدْنَىٰ عَطِيَّتِهِ وَأَرْهَقَ ٱلْوَعْدَ نُجْحاً غَيْرَ مَنْكُودِ

يقولُ أعطىٰ داوودُ فأفنى المنىٰ ؛ منى الذينَ قصدوهُ ، أدنىٰ عطيتِهِ ؛

أي أقلُّ عطاياهُ كانَ أعظمَ مِنْ كلِّ ما انتهىٰ إليهِ أملُهُم ، وأرهقَ الوعدَ ؛ أي أتبعَ الوعدَ بالفعلِ مِنْ ساعتِهِ مِنْ غيرِ ضيقٍ ، والنُّجحُ انقضاءُ المطلبِ أو إدراكُهُ

وَٱللهُ أَطْفَأَ نَارَ ٱلْحَرْبِ إِذْ سُعِرَتْ ... شَرْقاً بِمُوقِدِهَا فِي ٱلْغَرْبِ دَاوُودُ

يقولُ اللهُ أطفأَ نارَ الحربِ في الشرقِ بداوودَ الذي أوقدَها في الغربِ علىٰ أهلِ العصيانِ ؛ يريدُ لمَّا رأىٰ أهلُ الشرقِ ما فعلَ داوودُ بأهلِ الغربِ مِنَ النكايةِ استقاموا على الطاعةِ

لَمْ يَأْتِ أَمْراً وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَىٰ حَدَثٍ ... إِلَّا أُعِينَ بِتَوْفِيقٍ وَتَسْدِيدِ

يقولُ لم يأتِ أمراً مِنَ الأمورِ ولا حدثاً يُحدِثُهُ إلَّا أعانَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ عليهِ ، والتوفيقُ التقويمُ للخيرِ ، والتسديدُ أن يدلَّ بهِ إلى الصَّوابِ

مُوَحَّدُ ٱلرَّأْيِ تَنْشَقُّ ٱلظُّنُونُ لَهُ ... عَنْ كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْهَا وَمَعْقُودِ

مُوحَّدُ الرأيِ ؛ أي رأيُهُ واحدٌ لا يختلفُ عليهِ ، كما قالَ الحسنُ (١)

[من الوافر]

وَلَمْ تَكُ نَفْسُهُ نَفْسَيْنِ فِيهِ ... فَيَفْصِلَ بَيْنَ رَأْيَيْهِ مُشِيرُ

يريدُ أنَّهُ إذا دبَّرَ أمراً انكشفَ لهُ عنِ اليقينِ ، الملتبسُ المتشابهُ

تُمْنَى ٱلْأُمُورُ لَهُ مِنْ نَحْوِ أَوْجُهِهَا ... وَإِنْ سَلَكْنَ سَبِيلاً غَيْرَ مَوْرُودِ

تُمنى الأُمورُ لهُ ؛ أي تُيَسَّرُ مِنْ طريقِ صوابِها واستقامتِها وإن سلكنَ سبيلاً غيرَ معمورٍ ، والسبيلُ الطريقُ ؛ يريدُ أنَّهُ مبخوتٌ ، فكيفَما تولَّى الأمورَ هيَّأَها اللهُ عزَّ وجلَّ لهُ

إِذَا أَبَاحَتْ حِمَىٰ قَوْمٍ عُقُوبَتُهُ ... غَادَىٰ لَهُ ٱلْعَفْوُ قَوْماً بِٱلْمَرَاصِيدِ

---

(١) أراد أبا نواس في « ديوانه » (ص ٢٩٤)

يقولُ إذا أوقعَ بقومٍ عقوبتَهُ ، فأباحَ حماهُم للغارةِ غادىٰ لهُ العفوُ قوماً بالمراصيدِ ؛ يريدُ كأنَّ العفوَ كانَ لهُم مرتصداً ، فأسقطَ ذنبَهُم ؛ يقولُ إذا قتلَ قوماً استحقُّوا القتلَ عفا عن آخَرينَ استحقُّوا القتلَ بعدَ أن قد قُدِّرَ عليهِم ؛ أي يَقدِرُ على العفوِ والعقوبةِ ، وأنَّهُ يأخذُهُما علىٰ ما أرادَهُ بهِم

كَٱللَّيْثِ بَلْ مِثْلُهُ ٱللَّيْثُ ٱلْهَصُورُ إِذَا غَنَّى ٱلْحَدِيدُ غِنَاءً غَيْرَ تَغْرِيدِ

يقولُ هوَ كالليثِ في النجدةِ ، والليثُ مثلُهُ إذا اشتدَّتِ الحربُ وطَنَّنَتِ السُّيوفُ للمضاربةِ ، والهَصُورُ البَتُورُ

يَلْقَى ٱلْمَنِيَّةَ فِي أَمْثَالِ عُدَّتِهَا كَٱلسَّيْلِ يَقْذِفُ جُلْمُوداً بِجُلْمُودِ

يقولُ يلقى الحربَ في مثلِ عُدَّتِها ، فيدفعُ المنايا بالمنايا ، كما يدفعُ السيلُ جلموداً بجلمودٍ آخَرَ يَنطِحُهُ فيزيلُهُ بهِ

إِنْ قَصَّرَ ٱلرُّمْحُ لَمْ يَمْشِ ٱلْخُطَا عَدَداً أَوْ عَرَّدَ ٱلسَّيْفُ لَمْ يَهْمُمْ بِتَعْرِيدِ

يقولُ إن قَصَّرَ الرمحُ عن إدراكِ مَنْ أرادَ يطعنُهُ بهِ لم يمشِ الخُطا تباطُؤاً كمثلِ مَنْ يَعُدُّ خُطاهُ ، بل يسرعُ هوَ عندَ ذٰلكَ ، ولم يَهمُمْ بتعريدٍ ؛ أي إن نبا السيفُ عنِ الذي ضربَهُ بهِ ؛ يريدُ أنَّهُ ماضٍ مُتقدِّمٌ إلىٰ صاحبِهِ وإن قَصُرَ رمحُهُ مَدَّهُ بباعِهِ ، عَرَّدَ السيفُ إذا لم يقطعْ

إِذَا [رَعَىٰ] بَلَداً دَانَىٰ مَنَاهِلَهُ وَإِنْ بُنِينَ عَلَىٰ شَحْطٍ وَتَبْعِيدِ

يقولُ إذا أحرزَ بلداً أمَّنَهُ ، فتقاربَتْ مناهلُهُ ؛ وهيَ منازلُ الرفاقِ على الماءِ ؛ يريدُ أنَّ الرفاقَ تنزلُ حيثُ شاءَتْ في القِفارِ ، لا تخافُ شيئاً ، وفي الخوفِ لا تنزلُ وإن كانَتِ المناهلُ بُنينَ علىٰ شحطٍ ؛ وهوَ البعدُ

جَرَىٰ فَأَدْرَكَ لَمْ يَعْنُفْ بِمُهْلَتِهِ وَٱسْتَوْدَعَ ٱلْبُهْرَ أَنْفَاسَ ٱلْمَجَاوِيدِ

يقولُ جرىٰ هـٰذا الرجلُ في المجدِ ولم يعنفْ بمهلتِهِ ؛ أي ولم يسرفْ علىٰ نفسِهِ بالتعبِ في الجريِ ، وقد تَقدَّمَ غيرَهُ ، وهـٰذا مثلٌ ضربَهُ ؛ يريدُ أنَّهُ تَقدَّمَ الرجالَ في المجدِ بغيرِ جهدٍ ، وهُم قدِ اجتهدوا جهدَهُم ، فكيفَ إذا اجتهدَ هوَ جهدَهُ كلَّهُ ، والبُهْرُ الكللُ

وقولُهُ (استودعَ البهرَ) أي أنزلَهُ بهِم ، والأنفاسُ الإطلاقُ مِنَ الجريِ ، واحدُها نفسٌ ، والمجاويدُ السِّراعُ مِنَ الخيلِ ، واحدُها مِجوادٌ

آلُ ٱلْـمُـهَـلَّـبِ قَـوْمٌ لَا يَـزَالُ لَـهُـمْ   رِقُّ ٱلـصَّـرِيـحِ وَأَسْـلَابُ ٱلْـمَـذَاوِيـدِ

رِقُّ الصَّريحِ استعبادُ الحرِّ بإسداءِ النعمِ وتقديمِ الأيادي الحسانِ إليهِم ، وأسلابُ المذاويدِ الحربُ ؛ يعني الأنجادَ ، واحدُهُم مِذودٌ

مُظَفَّرُونَ تُصِيبُ ٱلْحَرْبُ أَنْفُسَهُمْ   إِذَا ٱلْـفِـرَارُ تَـمَـطَّـىٰ بِـٱلْـمَـحَـايِـيـدِ

يقولُ أولـٰئكَ القومُ منصورونَ ، ومعَ ذٰلكَ تصيبُ الحربُ أنفسَهُم إذا الفرارُ تَمطَّىٰ بالمحاييدِ ، والمحاييدُ الجُبناءُ ، واحدُهُم مِحيادٌ ؛ يريدُ أنَّهُم يقفون حتىٰ يُقتلوا إذا هربَ غيرُهُم

نَـجْلٌ مَنَاجِيبُ لَـمْ يَعْدَمْ تِلَادُهُـمُ   فَتـىً يُرَجَّـىٰ إِلَـىٰ نَـقْـضٍ وَتَـوْكِـيـدِ

يقولُ هم نجلٌ مناجيبُ ؛ أي ذريةُ مناجيبَ ؛ يريدُ أنَّ بيتَهُم بيتُ نجابةٍ ، لم يخلُ قطُّ مِنْ أشرافٍ ينقضونَ مِنَ الأمورِ ما أحبُّوا ، ويعقدونَ منها ما أحبُّوا ، والنجلُ الذريةُ ، قالَ زهيرٌ[1] (وكلُّ فحلٍ لهُ نجلُ) أي كلُّ فحلٍ يشبهُهُ نسلُهُ ؛ أي يخرجُ الولدُ عتيقاً كأبيهِ ، وتلادُهُم أصلُهُمُ القديمُ

قَـوْمٌ إِذَا هَـدْأَةٌ شَـامَـتْ سُـيُـوفَـهُـمُ   فَـإِنَّـهَـا عُـقُـلُ ٱلْـكُـومِ ٱلْـمَـقَـاحِـيـدِ

(١) قطعة من عجز بيت من الطويل في « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٨٦) ، والبيت بتمامه
إِلَـىٰ مَعْشَرٍ لَـمْ يُـورِثِ ٱللُّـؤْمَ جَدُّهُـمْ   أَصَـاغِـرَهُـمْ وَكُـلُّ فَـحْـلٍ لَـهُ نَـجْـلُ

الهدأةُ الفترةُ ؛ يقولُ أولئكَ قومٌ إذا كانَتْ صلحٌ وهدنةٌ شامَتْ سيوفُهُم ؛ أي : أغمدَتْها ؛ فإنَّهم يعرقبونَ بها الإبلَ لأضيافِهِم ؛ يريدُ أنَّهُم يقاتلونَ بها في الحربِ ، وإذا كانَ في الصُّلحِ كانَ شغلُهُم إطعامَ الأضيافِ ؛ يُقالُ شمتُ السيفَ ؛ إذا أغمدتُهُ ، وشمتُهُ ؛ إذا سللتُهُ ، هوَ مِنَ الأضدادِ ، والعقلُ جمعُ عقالٍ ؛ وهوَ حبلٌ يعقلُ بهِ البعيرُ ، فشَبَّهَ السُّيوفَ بها ، والكُومُ الغِلاظُ الأسنمةِ ، والمقاحيدُ كذٰلكَ ، واحدُها مِقحادٌ

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا دَاوُودُ إِذْ عَلِقَتْ أَيْدِي ٱلرَّدَىٰ بِنَوَاصِي ٱلضُّمَّرِ ٱلْقُودِ

الضُّمَّرُ جمعُ ضامرٍ ، والقُودُ جمعُ أقودَ ؛ يريدُ الخيلَ ؛ يقولُ نفسي فداؤُكَ في الحربِ إذا اشتدَّ القتلُ في الناسِ ؛ أي نفسي فداؤُكَ في ذٰلكَ الوقتِ ؛ أي ما أشجعَكَ حينَئذٍ !!

دَاوَيْتَ مِنْ دَائِهَا كَرْمَانَ وَٱنْتَصَفَتْ بِكَ ٱلْمَنُونُ لِأَقْوَامٍ مَجَاهِيدِ

يقولُ : داويتَ مِنْ دائِها كرمانَ ؛ وهيَ بلدٌ نافقَ أهلُها على أميرِ المؤمنينَ ، فقتلَهُم حتىٰ رجعَ مَنْ بقيَ منهُم إلى الطاعةِ

وقولُهُ : (انتصفَتْ بكَ المَنونُ) أي : انتصفَتْ بكَ المنيةُ مِنَ الأشرارِ لهٰؤلاءِ الضُّعفاءِ الذينَ قد بلغَهُمُ الجهدُ ؛ لتضييقِ الأشرارِ عليهِم ، والمجهودُ الذي بلغَهُ الجهدُ ، والجهدُ سوءُ الحالِ

مَلأْتَهَا فَزَعاً أَخْلَىٰ مَعَاقِلَهَا مِنْ كُلِّ أَبْلَخَ سَامِي ٱلطَّرْفِ صِنْدِيدِ

يقولُ كرمانُ ملأتَها خوفاً مِنْ فعلِكَ بهم ، أخلىٰ ذٰلكَ الخوفُ معاقلَها ؛ وهيَ الجبالُ ، مِنْ كلِّ أبلخَ ؛ وهوَ المُتكبّرُ ، سامي الطَّرفِ ؛ أي مرتفعُ الطَّرفِ مِنَ العزِّ ، صِنديدٌ سيدٌ

لَمَّا نَزَلْتَ عَلَىٰ أَدْنَىٰ بِلَادِهِمُ أَلْقَىٰ إِلَيْكَ ٱلْأَقَاصِي بِٱلْمَقَالِيدِ

لَمَسْتَهُمْ بِيَدٍ لِلْعَفْوِ مُتَّصِلٍ بِهَا ٱلرَّدَىٰ بَيْنَ تَلْيِينٍ وَتَشْدِيدِ

المقاليدُ المفاتيحُ ، وإنَّما ضربَهُ مثلاً ؛ يقولُ لمَّا نزلتَ بأوَّلِ بلدِهِم تَبرَّأَ إليكَ أقصاهُم بما بيدِهِ مِنَ الملكِ

وقولُهُ (لمستَهُم بيدٍ) أي عفوتَ عنهُم وقدِ اتصلَ بهِمُ الردىٰ

أَتَيْتَهُمْ مِنْ وَرَاءِ ٱلْأَمْنِ مُطَّلِعاً بِٱلْخَيْلِ تَرْدَىٰ بِأَبْطَالٍ مَنَاجِيدِ

يقولُ جئتَهُم مِنْ وراءِ الأمنِ ؛ أي دخلتَ عليهِم في بلدٍ لم يظنُّوا أن يدخلَهُ أحدٌ مِنَ المسلمينَ لقتالِهِم ، **مُطَّلعاً** ظاهراً ، **والخيلُ تردىٰ** ؛ أي تجري بأبطالٍ مناجيدَ ؛ أي أعزاءَ

وَطَارَ فِي إِثْرِ مَنْ طَارَ ٱلْفِرَارُ بِهِ خَوْفٌ يُعَارِضُهُ فِي كُلِّ أُخْدُودِ

في كلِّ أخدودٍ ؛ يريدُ في كلِّ طريقٍ ، **والأُخدودُ** الخدشُ في الأرضِ كالخندقِ صَغُرَ أم كَبُرَ ؛ يقولُ وطارَ في إثرِ مَنْ طارَ ؛ أي أسرعَ في إثرِ مَنْ أسرعَ في الهربِ ؛ يريدُ أنَّ الخوفَ لا يفارقُهُ

فَاتُوا ٱلرَّدَىٰ وَظُبَاةُ ٱلْمَوْتِ تَنْشُدُهُمْ وَأَنْتَ نَصْبُ ٱلْمَنَايَا غَيْرُ مَنْشُودِ

يقولُ أفلتوا مِنَ الموتِ وظباةُ الموتِ **تَنشُدُهُم** ؛ أي تَطلبُهُم ، وأنتَ منصوبٌ للمنايا لا تستترُ عنها ، **غيرُ منشودٍ** غيرُ مطلوبٍ

وَلَوْ تَلَبَّثَ دَيَّانٌ لَهَا رَوِيَتْ مِنْهُ وَلَٰكِنْ شَآهَا عَدْوَ مَزْؤُودِ

يقولُ لو تَلبَّثَ هٰذا الرجلُ رَوِيَتْ تلكَ الظُّباةُ مِنْ دمِهِ ، **ولٰكنْ شآها** ؛ أي سبقَها بالهروبِ ، فنُجِّيَ منها وهوَ **مَزؤودٌ** ؛ أي مرعوبٌ

أَحْرَزَهُ أَجَلٌ مَا كَادَ يُحْرِزُهُ فَمَرَّ يَطْوِي عَلَىٰ أَحْشَاءِ مَفْؤُودِ

يقولُ أحرزَ ديَّانٌ أجلَهُ ولم يكدْ يُحرِزُهُ مِنَ الموتِ ، فهربَ وهوَ يسترُ

أحشاءَ مفؤودٍ ، والمَفؤودُ الذي أُصيبَ فؤادُهُ ؛ يُقالُ فأدتُ الرجلَ ؛ إذا أصبتُ فؤادَهُ ؛ فهوَ مفؤودٌ

وَرَأْسُ مِـهْـرَانَ قَـدْ رَكَّـبْـتَ قُـلَّـتَـهُ لَـدْناً كَـفَـاهُ مَـكَـانَ ٱللِّيـتِ وَٱلْجِيـدِ

يقولُ وقد جعلتَ رأسَ هـٰذا الرجلِ في قناةٍ قامَتْ لهُ مَقامَ العنقِ ، والقُلَّةُ أعلى الرأسِ ، واللِّيتُ [صفحةُ] العنقِ ، والجمعُ ألياتٌ

قَدْ كَانَ فِي مَعْزِلٍ حَتَّىٰ بَعَثْتَ لَهُ أُمَّ ٱلْـمَـنِـيَّـةِ فِـي أَبْـنَـائِـهَـا ٱلـصِّـيـدِ

يقولُ قد كانَ هـٰذا الرجلُ في معزلٍ عنِ الهلاكِ ، حتىٰ بعثتَ لهُ المنيةَ في الفرسانِ الصِّيدِ ؛ وهُمُ الأشرافُ ، وقالَ (أُمّاً) على الاستعارةِ ، وإنَّما أُخِذَ مِنَ الصِّيدِ ؛ وهوَ داءٌ يأخذُ الإبلَ في أعناقِها فترفعُ رؤوسَها

أَجُنَّ أَمْ أَسْلَمَتْهُ ٱلْفَاضِحَاتُ إِلَىٰ حَدِّ مِنَ ٱلسَّيْفِ مَنْ يَعْلَقْ بِهِ يُودِ

يقولُ أجُنَّ ديانٌ ؛ أي هل أصابَهُ الجُنونُ ؟! أم أسلمَتْهُ الفاضحاتُ ؛ وهيَ الأمانيُّ التي غَرَّتْهُ ، ففضحَتْهُ حينَ خرجَ إليكَ ، فتركَتْهُ إلىٰ حدِّ السيفِ ، ومَنْ يَعلَقْ بهِ يودِ ؛ أي يهلكْ

أَلْحَقْتَهُ صَاحِبَيْهِ فَٱسْتَمَرَّ بِهِمْ ضَرْبٌ يُفَرِّقُ ضَبَّاتِ ٱلْقَمَاحِيدِ

يقولُ فعلتَ بديَّانٍ ما فعلتَ بصاحبَيهِ قبلَهُ ، فاستمرَّ بهِم ضربٌ مِنَ السيفِ يُفرِّقُ الضَّبَّاتِ ؛ يعني أوصالَ الرأسِ ، [والقَمَحْدوةُ] العظمُ الناتئُ في مُؤخَّرِ الرأسِ بينَ القفا وأعلى الرأسِ

أَعْذَرَ مَنْ فَرَّ مِنْ حَرْبٍ صَبَرْتَ لَهَا يَوْمَ ٱلْحُصَيْنِ شِعَارٌ غَيْرُ مَجْحُودِ

يقولُ مَنْ فرَّ مِنْ ذٰلكَ اليومِ الذي صبرتَ أنتَ فيهِ جاءَ بما يُعذَرُ عليهِ ، والحصينُ رجلٌ برزَ هـٰذا الممدوحُ إليهِ فأهزمَهُ ، والشِّعارُ العلامةُ في الكلامِ الذي يَتعارفُ الناسُ بهِ في القتالِ

يَوْمَ ٱسْتَضَبَّتْ سِجِسْتَانُ طَوَائِفَهَا عَلَيْكَ مِنْ طَالِبٍ وَتْراً وَمَحْقُودِ

يقولُ يومَ استضبَّتْ سجستانُ طوائفَها ؛ أي أغرتْ طوائفَها ؛ وهيَ الجماعاتُ ، أخذَهُ مِنَ الضَّبِّ ؛ وهيَ العداوةُ ، كأنَّهُم قالوا احموا بلدَكُم ، واذكروا مَنْ قُتِلَ منكم ، واحتموا لأنفسِكُم

وقولُهُ (مِنْ طالبٍ وَتراً ومحقودِ) أي بعضُهُم يَطلبُ وَتراً ، وبعضُهُم يَطلبُ حقداً ، والوَترُ الطَّلبُ بالدمِ ، والحقدُ العداوةُ

نَاهَضْتَهُمْ ذَائِدَ ٱلْإِسْلَامِ تَقْرَعُهُمْ عَنْهُ ثَلَاثَ وَمَثْنَىٰ بِٱلْمَوَاحِيدِ

ناهضْتَهُم ؛ يعني أهلَ سجستانَ ، تَذودُ عنِ الإسلامِ ، فتلقىٰ منهُم ثلاثةَ رجالٍ ، ورجلَينِ ، وتَقرعُهُم تضربُهُم ، والمواحيدُ جمعُ موحدةٍ

تَجُودُ بِٱلنَّفْسِ إِذْ أَنْتَ ٱلضَّنِينُ بِهَا وَٱلْجُودُ بِٱلنَّفْسِ أَقْصَىٰ غَايَةِ ٱلْجُودِ

يقولُ تجودُ بنفسِكَ في الحربِ ؛ إذ أنتَ الضَّنينُ بها في السِّلمِ ، والجودُ بالنفسِ أكثرُ مِنَ الجودِ بالمالِ

تِلْكَ ٱلْأَزَارِقُ إِذْ ضَلَّ ٱلدَّلِيلُ بِهَا لَمْ يُخْطِهَا ٱلْقَصْدُ مِنْ أَسْيَافِ دَاوُودِ

يقولُ تلكَ الأزارقُ إذ ضلَّ الدليلُ بهِمُ ؛ الذي قادَهُم إلى الكفرِ لم يخطِها أسيافُ داوودَ إذ قصدَتْ إليهِم

كَانَ ٱلْحُصَيْنُ يُرَجِّي أَنْ يَفُوزَ بِهَا حَتَّىٰ أَخَذْتَ عَلَيْهِ بِٱلْأَخَادِيدِ

يقولُ كانَ هٰذا الخارجيُّ يطمعُ أن يفوزَ بها ، حتىٰ أخذتَ عليهِ بأفواهِ الطرقِ ، فلم تدعْهُ يقوىٰ

مَا زَالَ يَعْنُفُ بِٱلنُّعْمَىٰ وَيَغْمِطُهَا حَتَّى ٱسْتَقَلَّ بِهِ عُودٌ عَلَىٰ عُودِ

يغمطُها ؛ أي يكفرُها ، ويَعنُفُ ؛ أي يُسرِفُ ويجاوزُ الحقَّ حتىٰ صَلبْتَهُ

وَضَعْتَهُ حَيْثُ تَرْتَابُ ٱلرِّيَاحُ بِهِ وَتَحْسُدُ ٱلطَّيْرَ فِيهِ أَضْبُعُ ٱلْبِيدِ

يقولُ جعلتَهُ في مكانٍ تبلغُ الطَّيرُ ولا تبلغُهُ الضَّبعُ ، فتحسدُ الطيرَ

تَغْدُو ٱلضَّوَارِي فَتَرْمِيهِ بِأَعْيُنِهَا   تَسْتَنْشِقُ ٱلْجَوَّ أَنْفَاساً بِتَصْعِيدِ

يقولُ تنظرُ إليهِ في الخشبةِ السباعُ الضَّاريةُ بأكلِ اللحمِ ، فترفعُ رؤوسَها إليهِ فتستنشقُ رائحتَهُ

يَتْبَعْنَ أَفْيَاءَهُ طَوْراً وَمَوْقِعَهُ   يَلْغَنَ فِي عَلَقٍ مِنْهُ وَتَجْسِيدِ

يقولُ تأتي هٰذهِ الضَّاريةُ فتمشي حيثُ يمشي ظلُّهُ ، ويلعقنَ ما سقطَ مِنْ صديدِهِ ودمِهِ ، **والجسدُ** الدمُ

فَكَانَ فَارِطَ قَوْمٍ حَانَ مَكْرَعُهُمْ   بِأَرْضِ [زَاذَانَ] شَتَّىٰ فِي ٱلْمَوَارِيدِ

الفارطُ المُتقدِّمُ القومَ إلى الماءِ ليطَّلعَ أكثيرٌ هوَ أم قليلٌ ، فضربَهُ مثلاً للحصينِ وأصحابِهِ الذينَ اتبعوهُ إلىٰ مكانٍ هلكوا معَهُ ، **ومَكرعُهُم** شربُهُمُ الموتَ

يَوْمَ جُرَاشَةَ إِذْ شَيْبَانَ مُوجِفَةٌ   يَنْجُونَ مِنْكَ بِشِلْوٍ مِنْهُ مَقْدُودِ

يقولُ يومَ جُرَاشةَ إذ شيبانُ موجفةٌ ؛ أي سريعةٌ تهربُ ، وشيبانُ : قبيلةٌ ، وجُرَاشةُ رجلٌ ؛ يقولُ يهربونَ بشلوٍ ؛ أي جسدٍ بلا رأسٍ قد قُدِّدَ ؛ أي قُطِّعَ بالسيفِ

زَاحَفْتَهُ بِٱبْنِ سُفْيَانَ فَكَانَ لَهُ   ثَنَاءُ يَوْمٍ بِظَهْرِ ٱلْغَيْبِ مَشْهُودِ

ابنُ سفيانَ رجلٌ مِنْ أصحابِ الممدوحِ ؛ يقولُ ناهضتَهُ بهٰذا الرجلِ ، فكانَ لهُ ثناءٌ عرفَهُ مَنْ غابَ كأنَّهُ شهدَهُ

نَجَا قَلِيلاً وَوَافَىٰ زَجْرُ عَائِفِهِ   بِيَوْمِهِ طَيْرَ مَنْحُوسٍ وَمَسْعُودِ

يقولُ نجا قليلاً ؛ أي مهزوماً في يومٍ كانَ منحوساً علىٰ جُرَاشةَ ،

ومسعوداً علىٰ داوودَ ، **والعائفُ** الذي يزجرُ الطيرَ ؛ أي يفهمُها في خطورِها وطيرانِها

وَلَّىٰ وَقَدْ جَرَعَتْ مِنْهُ ٱلْقَنَا جُرَعاً حَيَّ ٱلْمَخَافَةِ مَيْتاً غَيْرَ مَوْءُودِ

يقولُ هربَ هـٰذا الرجلُ وقد شربَتِ الرِّماحُ في دمِهِ حينَ طُعِنَ بها ، غيرَ موءودٍ ؛ أي غيرَ مدفونٍ

زَالَتْ حُشَاشَتُهُ عَنْ صَدْرِ مُعْتَدِلٍ دَانِي ٱلْكُعُوبِ بَعِيدِ ٱلصَّدْرِ أُمْلُودِ

يقولُ نجَتْ بقيةُ نفسِهِ عن صدرِ رمحٍ معتدلٍ أصابَهُ ، أُملودٍ أملسَ

إِذَا ٱلسُّيُوفُ أَصَابَتْهُ تَقَطَّعَ فِي سُرَادِقٍ بِحَوَامِي ٱلْخَيْلِ مَمْدُودِ

يقولُ إذا السيوفُ أصابَتْهُ تَقطَّعَ بدنُهُ منها ، ويعني بالسرادقِ الغبارَ الذي أثارَتْهُ حوافرُ الخيلِ

يَفْدِي بِمَا نَحَلَتْهُ مِنْ خِلَافَتِهِ حُشَاشَةَ ٱلرَّكْضِ مِنْ جَرْدَاءَ قَيْدُودِ

يفدي بقيةَ قُوَّةِ فرسِهِ في الجريِ بخلافتِهِ ؛ يعني أنَّهُ يقولُ لفرسِهِ انجُ فدتْكَ خلافتي ، **والجَرداءُ** القصيرُ الشعرِ

حَلَّ ٱللِّوَاءَ وَخَالَ ٱلْخِدْرَ عَائِذَهُ فَعَاذَ بِٱلْخِدْرِ تِرْبُ ٱلْكَاعِبِ ٱلرُّودِ

يقولُ لمَّا قهرَ الرئيسُ مِنَ الأمراءِ(١) حلَّ اللواءَ ؛ وهوَ العقدةُ التي في القناةِ ، فظنَّ **الخدرَ عائذَهُ** ؛ أي : منجيَهُ ؛ أي إذا كانَ بينَ النساءِ . لم يُطلَبْ بعدُ ، يَعُدُّ نفسَهُ مِنَ النساءِ

وَإِنْ يَكُنْ شَبَّهَا حَرْباً وَقَدْ خَمَدَتْ فَنَائِياً حَيْثُ لَا هِيدِ وَلَا هِيدِ

يقولُ فإن يكنْ شبَّ الحربَ حرباً وقد خمدَتْ قبلَ ذٰلكَ فقد بَعُدَ

---

(١) في « شرح ديوان صريع الغواني » (ص ١٦٧) : (الأمرة)

بحيثُ لا يرىٰ عمراناً ، ولا يسمعُ فيهِ هِيداً ولا هِيدَ ؛ [وهُما] كلمتانِ يُزجَرُ بهِما الإبلُ

كُلٌّ مَثَلْتَ بِهِ فِي مِثْلِ خُطَّتِهِ قَتْلاً وَأَضْجَعْتَهُ فِي غَيْرِ مَلْحُودِ

يقولُ كلٌّ مثلتَ ؛ أي جزيتَهُ بمثلِ فعلِهِ قتلاً ، وأضجعتَهُ في غيرِ ملحودٍ ؛ أي تركتَهُ في الضِّحِّ قتيلاً(١)

عَافُوا رِضَاكَ فَعَاقَتْهُمْ بِعَقْوَتِهِمْ عَنِ ٱلْحَيَاةِ مَنَايَاهُمْ لِمَوْعُودِ

يقولُ عافوا رضاكَ ؛ أي كرهوا رضاكَ ، وعاقَتْهُم مَناياهُم ؛ أي منعَتْهُمُ الحياةُ بعقْوَتِهِم ؛ أي بفَنائِهِم ، لموعودٍ ؛ أي لأجلٍ

وَأَنْتَ بِٱلسِّنْدِ إِذْ هَاجَ ٱلصَّرِيخُ بِهَا وَٱسْتَنْفَدَتْ حَرْبُهَا كَيْدَ ٱلْمَكَايِيدِ

الصَّريخُ المستغيثُ والمستنصرُ ، واستنفدَتْ حربُ السِّندِ كيدَ المكاييدِ ؛ أي : فَرَغَتْ تلكَ الحربُ بكيدِ كلِّ مِكيادٍ ، حتىٰ عجزوا عنها ، وانقطعَ كيدُهُم فيها

وَٱسْتَغْزَرَ ٱلْقَوْمُ كَأْساً مِنْ دِمَائِهِمُ وَأَحْدَقَ ٱلْمَوْتُ بِٱلْكُرَّارِ وَٱلْحِيدِ

يقولُ استغزرَ القومُ ؛ أي شربَ بعضُهُم دماءَ بعضِهِم ؛ يريدُ قتلَ بعضُهُم بعضاً ، وأحدقَ الموتُ بالكرَّارِ ؛ الكُرَّارُ في الحربِ الذينَ يكرُّونَ فيها ، والحِيدُ المنهزمونَ ؛ يقولُ لم ينفعْ عنكَ المنهزمُ انهزامَهُ ؛ لإحاطةِ الحربِ بهِ ، والحِيدُ جمعُ أحيدَ

رَدَدْتَ أَهْمَالَهَا ٱلْقُصْوَىٰ مُخَيَّسَةً وَشِمْتَ بِٱلْبِيضِ عَوْرَاتِ ٱلْمَرَاصِيدِ

أهمالُها ؛ أي صعبُها ، والأهمالُ جمع هملٍ ؛ وهوَ الشيءُ المُسيَّبُ ، وأصلُهُ في البهائمِ التي ليسَ لها راعٍ ، فهيَ صعبةٌ ؛ يقولُ رضتَ

(١) في « شرح ديوان صريع الغواني » (ص ١٦٧) (الفحص) بدل (الضح)

صعبَها ؛ يعني الحربَ ، مُخيَّسةً ؛ أي مُذلَّلةً

وقولُهُ (شمتَ بالبيضِ) يقولُ قتلتَ الإنجادَ ، فشمتَ عوراتِهِم ؛ أي تركتَ عوراتِهِم باديةً في الصُّبحِ مِنْ غيرِ سترٍ [1]

كُنْتَ ٱلْمُهَلَّبَ حَتَّىٰ شَكَّ عَالِمُهُمْ ثُمَّ ٱنْفَرَدْتَ وَلَمْ تُسْبَقْ بِتَسْوِيدِ

يعني المُهلَّبَ بنَ أبي صفرةَ ، وكانَ جدَّ الممدوحِ ؛ يقولُ قمتَ في تلكَ الحربِ مَقامَ المُهلَّبِ حتىٰ ظنَّ عالِمُهُم أنَّكَ المُهلَّبُ ، ثمَّ انفردتَ بخصالِكَ في هٰذهِ الحربِ حتىٰ تبينتَ للناسِ ، وعرفَ أنَّكَ داوودُ

لَمْ تَقْبَلِ ٱلسِّلْمَ إِلَّا بَعْدَ مَقْدِرَةٍ وَلَا تَأَلَّفْتَ إِلَّا بَعْدَ تَبْدِيدِ

يقولُ لم تَقبلِ السِّلمَ مِنْ أهلِ السِّندِ إلَّا بعدَما قدرتَ عليهِم ، ولا جمعتَهُم إلَّا بعدَ تبديدٍ ؛ أي بعدَما بدَّدتَهُم بالحربِ ، والإيقاعِ بهِم والقتلِ

حَتَّىٰ أَجَابُوكَ مِنْ مُسْتَأْمِنٍ حَذِرٍ رَاجٍ وَمُنْتَظِرٍ حَتْفاً وَمَثْمُودِ

يقولُ حتىٰ أجابوكَ ؛ بعضُهُم يطلبُ منكَ الأمانَ ، ويحذرُ سطوتَكَ ، وبعضُهُم مثمودٌ ؛ أي لم يبقَ مِنْ أجلِهِ إلَّا قليلٌ ؛ يعني الجرحىٰ

أَهْدَىٰ إِلَيْكَ عَلَى ٱلشَّحْنَاءِ أُلْفَتَهُمْ مَوْتٌ تَفَرَّقَ فِي شَتَّىٰ عَبَادِيدِ

العباديدُ المُتفرِّقونَ ؛ يقولُ أهدى الموتُ إليكَ أُلفتَهُم معَ العداوةِ التي بينَكَ وبينَهُم

وَفِي يَدَيْكَ بَقَايَا مِنْ سَرَاتِهِمُ هُمُ لَدَيْكَ عَلَىٰ وَعْدٍ وَتَوْعِيدِ

يقولُ : وفي يدَيكَ بقايا مِنْ سَرَاتِهِم ؛ أي : أشرافِهِم ؛ يرجونَكَ ويخافونَكَ ؛ لأنَّكَ أخذتَهُم علىٰ غيرِ عهدٍ

(١) في « شرح ديوان صريع الغواني » (ص ١٦٨) (الفحص) بدل (الصبح) ، وتقدمت قريباً بلفظ (الضحِ)

إِنْ تَعْفُ عَنْهُمْ فَأَهْلُ ٱلْعَفْوِ أَنْتَ وَإِنْ   تُـمْـضِ ٱلْـعِـقَـابَ فَـأَمْرٌ غَـيْـرُ مَرْدُودِ

يقولُ إن تَعفُ عنهُم فأنتَ أهلٌ للعفوِ ، وإن قتلتَهُم فأمرُكَ نافذٌ

اِسْمَعْ فَإِنَّكَ قَدْ هَيَّجْتَ مَلْحَمَةً   وَفَـدْتَ مِـنْـهَـا بِـأَرْوَاحِ ٱلـصَّـنَـادِيـدِ

يقولُ اسمعْ مدحي لكَ ؛ فقد هَيَّجتَ ملحمةً رجعتَ منها بأرواحِ أهلِ السِّندِ

اِقْـذِفْ أَبَا مَالِكٍ فِيهَا يَكُنْكَ بِهَا   وَيَـسْـعَ فِـيـهَـا بِـجَـدٍّ مِـنْـكَ مَـجْـدُودِ

أبا مالكٍ[1] ولدُهُ ؛ يقولُ لهُ ألقِ ولدَكَ في الحربِ يقمْ مَقامَكَ فيها بجَدٍّ ؛ أي بختٍ مجدودٍ ؛ أي مبخوتٍ

يَمْضِي بِعَزْمِكَ أَوْ يَجْرِي بِشَأْوِكَ أَوْ   يَـفْـرِي بِـحَـدِّكَ كُـلَّ غَـيْـرُ مَـحْـدُودِ

الشَّأْوُ الطلقُ ، يفري يقطعُ ، والحدُّ ها هنا النجدةُ

لَا يَعْدَمَنْكَ حِمَى ٱلْإِسْلَامِ مِنْ مَلِكٍ   أَقَـمْـتَ قُـلَّـتَـهُ مِـنْ بَـعْـدِ تَـأْوِيـدِ

يقولُ لا فقدَكَ حمى الدِّينِ ؛ فإنَّكَ قد حميتَهُ ، وأقمتَ قُلَّتَهُ بعدَ تأويدٍ ، وهوَ المَيلُ ؛ أي كانَ مالَ فقَوَّمتَهُ

كَفَيْتَ فِي ٱلْمُلْكِ حَتَّىٰ لَمْ يَقِفْ أَحَدٌ   عَـلَـىٰ ضِـيَـاعٍ وَلَـمْ يَـحْـزَنْ لِـمَـفْـقُـودِ

يقولُ كفيتَ بِالملكِ حتَّىٰ لم يقلْ أحدٌ يا حسرتاهْ علىٰ فلانٍ ما كانَ أحماهُ !! ولم يقفْ أحدٌ علىٰ ضياعٍ ؛ أي حمدوكَ

أَعْطَيْتَهُمْ مِنْكَ نُصْحاً لَا كَفَاءَ لَهُ   وَأَيَّـدُوكَ بِـرُكْـنٍ غَـيْـرِ مَـهْـدُودِ

يقولُ أعطيتَ بني العباسِ نصحاً منكَ لا قبالَ لهُ ، وأيَّدوكَ هم بركنٍ غيرِ مهدودٍ ؛ أي غيرِ منهدمٍ

---

(١) في « ديوان صريع الغواني » مع الشرح أيضاً (ص ١٧٠) (ملك) بدل (مالك) في الموضعين

لَمْ يَبْعَثِ ٱلدَّهْرُ يَوْماً بَعْدَ لَيْلَتِهِ   إِلَّا ٱنْبَعَثْتَ لَهُ بِٱلبَأْسِ وَٱلْجُودِ

أَجْرَىٰ لَكَ ٱللهُ أَيَّامَ ٱلْحَيَاةِ عَلَىٰ   فِعْلٍ حَمِيدٍ وَجَدٍّ غَيْرِ مَنْكُودِ

يريدُ جعلَ اللهُ لكَ أيامَ حياتِكَ مباركةً ، لا تفقدُ فيها فعلاً محموداً ، وبختاً صاعداً

لَا يَفْقِدُ ٱلدِّينُ خَيْلاً أَنْتَ قَائِدُهَا   يُعْهَدْنَ فِي كُلِّ ثَغْرٍ غَيْرِ مَعْهُودِ

غيرِ معهودٍ يريدُ أنَّهُ يغزو إلى العدوِّ بمواضعَ لم يدخلْها أحدٌ

مُحَمَّلَاتٍ إِذَا آبَتْ غَنَائِمُهَا   وَمُقْدِمَاتٍ عَلَىٰ نَصْرٍ وَتَأْيِيدِ

يريدُ هٰذهِ الخيلُ ـ إذا رجعَتْ ـ مُحْقَباتٌ ، وإذا مضتْ هيَ منصورةٌ ومُؤيَّدةٌ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ

هُنَاكَ أَنَّكَ مَغْدَىٰ كُلِّ مُلْتَمِسٍ   جُوداً وَأَنَّكَ مَأْوَىٰ كُلِّ مَطْرُودِ

يقولُ مَنْ طلبَ جوداً فعندَكَ يجدُهُ ، ومَنْ طردَهُ أهلُهُ فأنتَ تأويهِ وتجيرُهُ عمَّن يطلبُهُ

تَسْتَأْنِفُ ٱلْحَمْدَ فِي دَهْرٍ أَوَائِلُهُ   مَوْسُومَةٌ بِفَعَالٍ مِنْكَ مَحْمُودِ

تستأنفُ الحمدَ ؛ أي تبتدئُهُ في دهرٍ أوائلُهُ موسومةٌ بفعالِكَ الجميلةِ المحمودةِ التي تُحمَدُ عليها

إِذَا عَزَمْتَ عَلَىٰ أَمْرٍ بَطَشْتَ بِهِ   وَإِنْ أَنَلْتَ فَنَيْلاً غَيْرَ تَصْرِيدِ

يقولُ وإن أنلتَ ؛ أي أعطيتَ عطاءً غيرَ قليلٍ

عَوَّدْتَ نَفْسَكَ عَادَاتٍ خُلِقْتَ لَهَا   صِدْقَ ٱلْحَدِيثِ وَإِنْجَازَ ٱلْمَوَاعِيدِ

الإنجازُ تنفيذُ الوعدِ بالوفاءِ ، والمواعيدُ جمعُ موعودٍ



داوودُ هٰذا الذي امتدحَهُ مسلمٌ بهٰذهِ القصيدةِ الفريدةِ كانَ أحدَ قُوَّادِ الرشيدِ ، ولفظُ القائدِ في ذٰلكَ العصرِ كانَ لقباً لأُمراءِ العسكرِ ، وأهلُ بيتِ هٰذا الممدوحِ إلى المُهلَّبِ ، كانوا في تلكَ الوظيفةِ لملوكِ أعصرِهِم ، فكانَ المُهلَّبُ رضيَ اللهُ عنهُ أحدَ التابعينَ ، وأبوهُ أبو صفرةَ أحدُ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُ مُتولِّياً رئاسةَ العسكرِ العراقيِّ لعبدِ الملكِ بنِ مروانَ في إمارةِ الحَجَّاجِ

وإذا عرفتَ أنَّ الممدوحَ كانَ أميرَ عسكرٍ فعليكَ أن تَتأمَّلَ الشِّعرَ ؛ لتعرفَ كيفَ يُمدَحُ مثلُهُ ، دونَ ما إذا كانَ الممدوحُ ملكاً ، أو كاتباً ، أو جابيَ خراجٍ مثلاً ، فلكلٍّ كلامٌ يَخُصُّهُ ، ومعانٍ تناسبُهُ كما تراهُ فيما تَطَّلِعُ عليهِ مِنَ القصائدِ في الأغراضِ المختلفةِ



[قصيدةٌ لأبي تمامٍ في مدحِ المعتصمِ باللهِ]

وقالَ أبو تمامٍ حبيبُ بنُ أوسٍ الطائيُّ يَمدحُ أميرَ المؤمنينَ المعتصمَ باللهِ أبا إسحاقَ محمدَ بنَ هارونَ الرشيدِ ، وكانَ أشجعَ أولادِ الرشيدِ ، غريبَ الفصاحةِ والفهمِ علىٰ أُمِّيَّتِهِ ؛ فإنَّهُ لم يَقرأْ كما قرأَ إخوتُهُ

وسببُ هٰذهِ القصيدةِ أنَّ أحدَ أصحابِ الأخبارِ للمعتصمِ وردَ عليهِ يوماً وهوَ في مجلسِ شرابِهِ ، فأخبرَهُ أنَّ بقريةٍ مِنْ قرىٰ عَمُّوريَّةَ أسيرةٌ هاشميةٌ أضرَّ بها مَنْ هيَ في يدِهِ ، فنادَتْ وا معتصماهْ ، فقالَ لها سيأتيكِ المعتصمُ علىٰ فرسٍ أبلقَ ؛ يَهزأُ بها

فقالَ المعتصمُ عندَ سماعِ ذٰلكَ لبيكِ لبيكِ ، وأمرَ ساقيَهُ أن يَختِمَ على الكأسِ الذي كانَ معَهُ لمناولتِهِ إيَّاهُ ، وحلفَ أنَّهُ لا يَشربُهُ إلَّا بعدَ إنقاذِ الأسيرةِ ، وأمرَ أن يُجهَّزَ الجيشُ بخيلٍ بُلْقٍ

ولمَّا صَمَّمَ على الخروجِ مِنْ فورِهِ قالَ لهُ المُنجِّمونَ إنَّ هٰذهِ الساعةَ لا تَصلُحُ للخروجِ ، وأبدَوا حُجَّتَهُم في ذٰلكَ ، فلم يصغِ لهُم ، وكانَ الفتحُ والسعادةُ علىٰ خلافِ حكمِ المُنجِّمينَ ، فذٰلكَ ما يشيرُ لهُ أبو تمامٍ في أوَّلِ القصيدةِ ، وكانَ أصحابُ عَمُّوريَّةَ يقولونَ بحكمِ تنجيمِهِم إنَّهُ إذا جاءَ المعتصمُ بجيشِهِ في هٰذهِ الأيامِ ولم يَنتصِرْ قبلَ نضجِ التينِ والعنبِ فإنَّهُ لا ينتصرُ بعدُ ، ولا تُفتَحُ البلدُ أبداً ، وكانوا لذٰلكَ يحاولونَ تأخيرَ الحربِ حتىٰ تمضيَ تلكَ المُدَّةُ ، فعاجلَهُم ، وفتحَ البلدَ قبلَهُ ، ولذٰلكَ الإشارةُ بقولِهِ (تسعونَ ألفاً كآسادِ الشرىٰ) البيتَ ، وبعضُ مَنْ لم يَطَّلعْ علىٰ هٰذا عابَ أبا تمامٍ بهٰذا البيتِ في هٰذهِ القصيدةِ قائلاً إنَّ لفظَهُ مِنَ الألفاظِ المُبتذَلةِ الساقطةِ

ولـمَّـا أنـشـدَ هـٰذهِ الـقـصـيـدةَ طـلـبَ الـمـعـتـصـمُ طـربـاً بـهـا إعـادةَ إنشادِها ، فأعادَهُ ، وأنشدَها ثالثةً مِنْ نفسِهِ ، فقالَ إلىٰ متىٰ تجلو هـٰذهِ العروسَ ؟! وأمرَ بعَدِّ أبياتِها ، وأجازَهُ لكلِّ بيتٍ بألفٍ ، رحمَهُمُ اللهُ تعالىٰ (١)

[من البسيط]

اَلسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ　　فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ

بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ لَا سُودُ ٱلصَّحَائِفِ فِي　　مُتُونِهِنَّ جِلَاءُ ٱلشَّكِّ وَٱلرِّيَبِ

وَٱلْعِلْمُ فِي شُهُبِ ٱلْأَرْمَاحِ لَامِعَةً　　بَيْنَ ٱلْخَمِيسَيْنِ لَا فِي ٱلسَّبْعَةِ ٱلشُّهُبِ

أَيْنَ ٱلرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ ٱلنُّجُومُ وَمَا　　صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ

تَخَرُّصاً وَأَحَادِيثاً مُلَفَّقَةً　　لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ

النَّبْعُ والغَرَبُ والشَّوحطُ ثلاثةُ أنواعٍ لجنسٍ واحدٍ مِنَ الشجرِ ، فما نبتَ منهُ في أعلى الجبلِ يُسمَّىٰ نَبعاً ، وهوَ أصلبُها ؛ لجفافِ الهواءِ هناكَ ، وتعرُّضِهِ للشمسِ ، والغَرَبُ ما في وسطِ الجبلِ ، والشَّوحطُ ما في أدناهُ ؛ وهوَ أضعفُها ، لمكانِ زيادةِ الرطوبةِ هناكَ ، ومِنَ النبعِ تُعمَلُ القِسيُّ

عَجَائِباً زَعَمُوا ٱلْأَيَّامَ مُجْفِلَةً　　عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ ٱلْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ

وَخَوَّفُوا ٱلنَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ　　إِذَا بَدَا ٱلْكَوْكَبُ ٱلْغَرْبِيُّ ذُو ٱلذَّنَبِ

وَصَيَّرُوا ٱلْأَبْرُجَ ٱلْعُلْيَا مُرَتَّبَةً　　مَا كَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ

يَقْضُونَ بِٱلْأَمْرِ عَنْهَا وَهْيَ غَافِلَةٌ　　مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطُبِ

لَوْ بَيَّنَتْ قَطُّ أَمْراً قَبْلَ مَوْقِعِهِ　　لَمْ يَخْفَ مَا حَلَّ بِٱلْأَوْثَانِ وَٱلصُّلُبِ

فَتْحَ ٱلْفُتُوحِ تَعَالَىٰ أَنْ يُحِيطَ بِهِ　　نَظْمٌ مِنَ ٱلشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ ٱلْخُطَبِ

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٤٠ ـ ٧٣)

فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ ٱلأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا ٱلْقُشُبِ
يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ ٱنْصَرَفَتْ عَنْكَ ٱلْمُنَىٰ حُفَّلاً مَعْسُولَةَ ٱلْحَلَبِ
أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي ٱلْإِسْلَامِ فِي صَعَدٍ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَدَارَ ٱلْحَرْبِ فِي صَبَبِ
أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَىٰ جَعَلُوا فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ بَرَّةٍ وَأَبِ
وَبَرْزَةُ ٱلْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا كِسْرَىٰ وَصَدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِي كَرِبِ
مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَٰلِكَ قَدْ شَابَتْ نَوَاصِي ٱللَّيَالِي وَهْيَ لَمْ تَشِبِ
بِكْرٌ فَمَا ٱفْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ ٱلنُّوَبِ
حَتَّىٰ إِذَا مَخَّضَ ٱللهُ ٱلسِّنِينَ لَهَا مَخْضَ ٱلْحَلِيبَةِ كَانَتْ زُبْدَةَ ٱلْحِقَبِ
أَتَتْهُمُ ٱلْكُرْبَةُ ٱلسَّوْدَاءُ سَادِرَةً مِنْهَا وَكَانَ ٱسْمُهَا فَرَّاجَةَ ٱلْكُرَبِ
جَرَىٰ لَهَا ٱلْفَأْلُ نَحْساً يَوْمَ أَنْقَرَةٍ إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ ٱلسَّاحَاتِ وَٱلرَّحَبِ
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِٱلأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَانَ ٱلْخَرَابُ لَهَا أَعْدَىٰ مِنَ ٱلْجَرَبِ
كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ قَانِي ٱلذَّوَائِبِ مِنْ آنِي دَمٍ سَرِبِ
بِسُنَّةِ ٱلسَّيْفِ وَٱلْخَطِّيِّ مِنْ دَمِهِ لَا سُنَّةِ ٱلدِّينِ وَٱلْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ
لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِهَا لِلنَّارِ يَوْماً ذَلِيلَ ٱلصَّخْرِ وَٱلْخَشَبِ
غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ ٱللَّيْلِ وَهْوَ ضُحىً يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ ٱللَّهَبِ
حَتَّىٰ كَأَنَّ جَلَابِيبَ ٱلدُّجَىٰ رَغِبَتْ عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ
ضَوْءٌ مِنَ ٱلنَّارِ وَٱلظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحىً شَحِبِ
فَٱلشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ وَٱلشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ
تَصَرَّحَ ٱلدَّهْرُ تَصْرِيحَ ٱلْغَمَامِ لَهَا عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُبِ

لَمْ تَطْلُعِ ٱلشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَىٰ ... بَانٍ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَىٰ غَرَبِ (١)

مَا رَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُوراً يَطِيفُ بِهِ ... غَيْلَانُ أَبْهَىٰ رُبىً مِنْ رَبْعِهَا ٱلْخَرِبِ

وَلَا ٱلْخُدُودُ وَإِنْ أُدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ ... أَشْهَىٰ إِلَىٰ نَاظِرِي مِنْ خَدِّهَا ٱلتَّرِبِ

سَمَاجَةً غَنِيَتْ مِنَّا ٱلْعُيُونُ بِهَا ... عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ

وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ ... جَاءَتْ بَشَاشَتُهُ عَنْ سُوءِ مُنْقَلَبِ

لَمْ يَعْلَمِ ٱلْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنَتْ ... لَهُ ٱلْمَنِيَّةُ بَيْنَ ٱلسُّمْرِ وَٱلْقُضُبِ

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِٱللهِ مُنْتَقِمٍ ... لِلهِ مُرْتَقِبٍ فِي ٱللهِ مُرْتَهِبِ

وَمُطْعِمُ ٱلنَّصْلِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ (٢) ... يَوْماً وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ

لَمْ يَغْزُ قَوْماً وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَىٰ بَلَدٍ ... إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ ٱلرُّعُبِ

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلاً يَوْمَ ٱلْوَغَىٰ لَغَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

رَمَىٰ بِكَ ٱللهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَهَا ... وَلَوْ رَمَىٰ بِكَ غَيْرُ ٱللهِ لَمْ يُصِبِ

مِنْ بَعْدِمَا أَشَّبُوهَا وَاثِقِينَ بِهَا ... وَٱللهُ مِفْتَاحُ بَابِ ٱلْمَعْقِلِ ٱلْأَشِبِ

وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ ... لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ ٱلْوِرْدُ مِنْ كَثَبِ

أَمَانِياً سَلَبَتْهُمْ نُجْحَ هَاجِسِهَا ... ظُبَا ٱلسُّيُوفِ وَأَطْرَافُ ٱلْقَنَا ٱلسُّلُبِ

إِنَّ ٱلْحِمَامَيْنِ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمُرٍ ... [دَلْوَا] ٱلْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشُبِ

لَبَّيْتَ صَوْتاً زِبَطْرِيّاً هَرَقْتَ لَهُ ... كَأْسَ ٱلْكَرَىٰ وَرُضَابَ ٱلْخُرَّدِ ٱلْعُرُبِ

عَدَاكَ حَرُّ ٱلثُّغُورِ ٱلْمُسْتَضَامَةِ عَنْ ... بَرْدِ ٱلثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا [ٱلْحَصِبِ]

---

(١) في « ديوان أبي تمام » (١/٥٥) (عزب) بدل (غرب)

(٢) في « ديوان أبي تمام » (١/٥٨) (ومُطْعَمُ النصرِ) بدل (ومطعم النصل)

أَجَبْتَهُ مُعْلِناً بِٱلسَّيْفِ مُنْصَلِتاً وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ ٱلسَّيْفِ لَمْ تُجِبِ
حَتَّىٰ تَرَكْتَ عَمُودَ ٱلشِّرْكِ مُنْقَعِراً وَلَمْ تُعَرِّجْ عَلَى ٱلْأَوْتَادِ وَٱلطُّنُبِ
لَمَّا رَأَى ٱلْحَرْبَ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ تُوفَلِسٌ وَٱلْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ ٱلْمَعْنَىٰ مِنَ ٱلْحَرَبِ
غَدَا يُصَرِّفُ بِٱلْأَمْوَالِ [جِزْيَتَهَا] فَعَزَّهُ ٱلْبَحْرُ ذُو ٱلتَّيَّارِ وَٱلْعِبَبِ
هَيْهَاتَ زُعْزِعَتِ ٱلْأَرْضُ ٱلْوَقُورُ بِهِ عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوِ مُكْتَسِبِ
لَمْ يُنْفِقِ ٱلذَّهَبَ ٱلْمُرْبِي بِكَثْرَتِهِ عَلَى ٱلْحَصَىٰ وَبِهِ فَقْرٌ إِلَى ٱلذَّهَبِ
إِنَّ ٱلْأُسُودَ أُسُودَ ٱلْغَابِ هِمَّتُهَا يَوْمَ ٱلْكَرِيهَةِ فِي ٱلْمَسْلُوبِ لَا ٱلسَّلَبِ
وَلَّىٰ وَقَدْ أَلْجَمَ ٱلْخَطِّيُّ مَنْطِقَهُ بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا ٱلْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ
أَحْذَىٰ قَرَابِينَهُ صَرْفَ ٱلرَّدَىٰ وَمَضَىٰ يَحْتَثُّ أَنْجَىٰ مَطَايَاهُ مِنَ ٱلْهَرَبِ
مُوَكَّلاً بِيَفَاعِ ٱلْأَرْضِ يُشْرِفُهُ مِنْ خِفَّةِ ٱلْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ ٱلطَّرَبِ
إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ ٱلظَّلِيمِ فَقَدْ أَوْسَعْتَ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ ٱلْحَطَبِ
تِسْعُونَ أَلْفاً كَآسَادِ ٱلشَّرَىٰ نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ ٱلتِّينِ وَٱلْعِنَبِ
يَا رُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا ٱجْتُثَّ دَابِرُهُمْ طَابَتْ وَلَوْ ضُمِّخَتْ بِٱلْمِسْكِ لَمْ تَطِبِ
وَمُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ ٱلسُّيُوفِ بِهِ حَيَّ ٱلرِّضَا عَنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ ٱلْغَضَبِ
وَٱلْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَأْزِقٍ لَجِبٍ تَجْثُو ٱلرِّجَالُ بِهِ صُغْراً عَلَى ٱلرُّكَبِ
كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَا قَمَرٍ وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضٍ شَنِبِ
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ ٱلرِّقَابِ بِهَا إِلَى ٱلْمُخَدَّرَةِ ٱلْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ
كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ ٱلْهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً تَهْتَزُّ مِنْ قُضُبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثُبِ
بِيضٌ إِذَا ٱنْتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ أَحَقَّ بِٱلْبِيضِ أَبْدَاناً مِنَ ٱلْحُجُبِ

خَلِيفَةَ ٱللهِ جَازَى ٱللهُ سَعْيَكَ عَنْ   جُرْثُومَةِ ٱلدِّينِ وَٱلْإِسْلَامِ وَٱلْحَسَبِ
بَصُرْتَ بِٱلرَّاحَةِ ٱلْكُبْرَىٰ فَلَمْ تَرَهَا   تُنَالُ إِلَّا عَلَىٰ جِسْرٍ مِنَ ٱلتَّعَبِ
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ ٱلدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ   مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ ٱللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا   وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرٍ أَقْرَبُ ٱلنَّسَبِ
أَبْقَتْ بَنِي ٱلْأَصْفَرِ ٱلْمُصْفَرِّ كَٱسْمِهِمُ   صُفْرَ ٱلْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهَ ٱلْعَرَبِ



[قصيدةٌ لابنِ نباتةَ السعديِّ في مدحِ ابنِ بويهَ]

وقالَ عبدُ العزيزِ بنُ نباتةَ السَّعديُّ ـ وهوَ أحدُ أشياخِ الشريفِ الرضيِّ ـ يمدحُ عضدَ الدولةِ وتاجَ المِلَّةِ ابنَ بويهَ في النَّيروزِ ، وكانَ قدِ احتفلَ في جلوسِهِ سنةَ سبعٍ وستينَ وثلاثِ مئةٍ ، وكانوا يَتَّخذونَ هٰذا اليومَ ـ وهوَ يومُ حُلولِ الشمسِ في الميزانِ ـ موسماً عيديّاً على السَّنَنِ القديمِ في العَجَمِ ، وكذٰلكَ كانوا يَتَّخذونَ يومَ حُلولِ الشمسِ في الحملِ ، ويُسمَّى المِهرجانَ (١)

[من الطويل]

سَتَعْلَمُ أَيَّ [ٱلْغَايَتَيْنِ] أُرِيدُ ... فَإِنَّ ٱلْهُوَيْنَىٰ لِلرِّجَالِ قُيُودُ

أُحِبُّ مِنَ ٱلْفِتْيَانِ كُلَّ غَشَمْشَمٍ ... لَهُ شِيَعٌ مِنْ نَفْسِهِ وَعَدِيدُ

يُنَهْنِهُهُ ٱلْأَعْدَاءُ وَهْوَ مُصَمِّمٌ ... هَجُومٌ عَلَىٰ مَا يَكْرَهُونَ وَرُودُ

يُخَاطِرُ فِي حُبِّ ٱلثَّنَاءِ بِنَفْسِهِ ... وَهَلْ لِغُلَامٍ فِي ٱلزَّمَانِ خُلُودُ

وَمَوْلىً أُدَارِي طَيْشَهُ وَهْوَ نَافِرٌ ... [أَذَبُّ] كَأُنْبُوبِ ٱلْيَرَاعِ شَرُودُ

أُكَابِدُ مِنْهُ غَصَّةً مَا يَسِيغُهَا ... مِنَ ٱلْقَوْمِ إِلَّا حَازِمٌ وَجَلِيدُ

يُعِينُ عَلَيَّ ٱلْخَصْمَ لَا يَسْتَعِينُهُ ... وَأَدْفَعُ عَنْ حَوْبَائِهِ وَأَذُودُ

إِذَا مَا رَأَيْتَ ٱلرُّمْحَ يَغْسِلُ نَحْوَهُ ... تَعَرَّض نَحْرٌ دُونَهُ وَوَرِيدُ

وَقُلْتُ تَعَلَّمْ أَنَّ كُلَّ فَضِيلَةٍ ... لَهَا كَاشِحٌ مِنْ أَهْلِهَا وَحَسُودُ

وَأَنَّ نَوَامِيسَ ٱلرِّجَالِ قَدِيمَةٌ ... تَوَارَثَ عَادٌ مُكْرَهاً وَثَمُودُ

وَلَٰكِنَّ تَاجَ ٱلْمِلَّةِ ٱلْيَوْمَ حَلَّهَا ... عَلَى ٱلدَّهْرِ حَتَّىٰ لَيْسَ فِيهِ عُقُودُ

---

(١) انظر « ديوان ابن نباتة السعدي » (١/٥٤٨ ـ ٥٥٣)

فَتىً هَجَرَ ٱللَّذَّاتِ وَٱلْعَيْشُ مُونِقٌ رَقِيقُ حَوَاشِي ٱلطُّرَّتَيْنِ بَرُودُ
وَقَاسَىٰ بَدِيعَاتِ ٱلْأُمُورِ بِنَفْسِهِ إِلَىٰ أَنْ عَلَاهُ ٱلشَّيْبُ وَهْوَ وَلِيدُ
لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِكْرَةٌ عَضُدِيَّةٌ يُصَرَّفُ وَعْدٌ بَيْنَهَا وَوَعِيدُ
تَرَحَّلُ فِيهَا لِلْفَعَالِ عَزَائِمٌ وَتَنْزِلُ فِيهَا لِلْهُمُومِ وُفُودُ
وَفَضَّلَهُ حَزْمٌ وَعَزْمٌ وَنَائِلٌ وَهَمٌّ لَهُ فِي ٱلْمَكْرُمَاتِ بَعِيدُ
وَصَبْرٌ إِذَا نَابَتْ خُطُوبٌ مُلِمَّةٌ يَقُومُ لَهَا وَٱلْفَاعِلُونَ قُعُودُ
تَلُوحُ وَرَاءَ ٱلنَّقْعِ غُرَّةُ وَجْهِهِ كَمَا لَاحَ مِنْ ضَوْءِ ٱلصَّبَاحِ عَمُودُ
فَمَا وَلَدَتْ بِيضُ ٱلْحَوَاصِنِ مِثْلَهُ وَلَا نُوَبُ ٱلْأَيَّامِ وَهْيَ وَلُودُ
أَطَبُّ بِدَاءٍ مَا يُصَابُ دَوَاؤُهُ وَأَعْلَمُ بِٱلْأَنْوَاءِ أَيْنَ تَجُودُ
وَأَطْعَنُ مِنْهُ فِي نِيَاطِ كَتِيبَةٍ بِهَا ٱلسَّيْفُ أَعْمَىٰ وَٱلسِّنَانُ بَلِيدُ
تَسِيرُ أَمَامَ ٱلْجَيْشِ قَبْلَ مَسِيرِهِ كَتَائِبُ مِنْ آرَائِهِ وَجُنُودُ
ثَلَاثِينَ شَهْراً مِنْ مَشَارِقِ فَارِسٍ إِلَى ٱلرُّومِ نَقْعٌ سَاطِعٌ وَوَئِيدُ
وَمُرْدٌ عَلَىٰ حَدِّ ٱلْمُتُونِ رِمَاحُهُمْ وَجُرْدٌ عَلَىٰ أَكْتَافِهِنَّ لُبُودُ
ثَنَاهُنَّ عَنْ أَرْضِ ٱلْحِمَىٰ مُتَنَكِّبٌ يُرِيدُ بِهِنَّ ٱللهُ حَيْثُ يُرِيدُ
فَإِنْ لَمْ تَذُقْ فِيهَا ٱلرُّقَادَ فَطَالَمَا سَهِرْتَ وَأَيْقَاظُ ٱلْخُطُوبِ رُقُودُ
شَفَيْتَ مِنَ ٱلْغِلِّ ٱلْكَمِينِ عِصَابَةً تَكِيدُ مَعَ ٱلشَّيْطَانِ حَيْثُ تَكِيدُ (١)
إِذَا تُرِكَتْ يَوْماً تَقُولُ فَإِنَّهَا تَصُولُ وَكُلُّ ٱلضَّارِيَاتِ أُسُودُ
فَيَا غَنَماً نَامَتْ بِمِصْرَ رِعَاؤُهَا بِلِكِ ٱلذِّئْبُ مِنْ بَيْنِ ٱلْبَهَامِ عَمِيدُ

---

(١) في « ديوان ابن نباتة السعدي » (١/٥٥١) (يكيد)

دَعِي مَرْتَعَ ٱلْآرَامِ مِنْ بَطْنِ جَاسِمٍ ... إِلَى ٱلرَّمْلِ يَنْمِي حَمْضُهُ وَيَزِيدُ
وَلَا تُرِدِي بِٱلْغُوطَتَيْنِ وَقِيعَةً ... يُغَازِلُهَا لَمْعَ ٱلْغَزَالَةِ سِيدُ
فَإِنِّي أَظُنُّ ٱلرِّيحَ سَوْفَ تَدُلُّهُ ... عَلَيْكِ وَبَيْنَ ٱلْمَنْهَلَيْنِ بَرِيدُ
وَخَادَعَهَا عَنْ جِدِّهَا وَمَرَاحِهَا ... ذُؤَالَةُ مِثْلُ ٱلسَّمْهَرِيِّ يَمِيدُ
تَطَامَنْ لَهَا وَٱنْصِبْ حِبَالَكَ حَجْرَةً ... فَإِنَّ نُوَارَ ٱلْوَحْشِ سَوْفَ تَرُودُ
وَإِنْ شَرَدَتْ وَٱلْعِقْدُ حُلَّ نِظَامُهُ ... فَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّهَا سَتَعُودُ
وَسَرَّكَ بِٱلْفُسْطَاطِ جَمْعٌ أَظُنُّهُ ... [يَغُرُّكَ] لَوْ عَضَّ ٱلْحَدِيدَ حَدِيدُ
أَإِنْ عُطِّلَتْ[(١)] كَأْسُ ٱلنَّدِيمِ وَرُشِّحَتْ ... لِغَايَتِهَا قُبُّ ٱلْأَبَاطِلِ قُودُ
وَأَسْرَعَ غِبَّ ٱلْمَحْضِ فِي غُلَوَائِهَا ... فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا لِلصَّنِيعِ مَزِيدُ
تَمَنَّيْتَ فِي لَهْوِ ٱلْحَدِيثِ لِقَاءَهَا ... وَإِنَّكَ مَا لَمْ تَلْقَهَا لَسَعِيدُ
وَإِنَّ عَلَيْهَا جُنَّةٌ فَارِسِيَّةٌ ... مُنَاقِلُهَا[(٢)] يَوْمَ ٱلطِّرَادِ طَرِيدُ
وَكُلُّ رَقِيقِ ٱلشَّفْرَتَيْنِ كَأَنَّهُ ... وَقَدْ أَخْلَقَتْهُ ٱلْحَادِثَاتُ جَدِيدُ
عَقَائِقُ أَمَّا لَمْعُهَا فَبَوَارِقٌ ... عَلَيْكَ وَأَمَّا وَقْعُهَا فَرُعُودُ
يُعَوِّدُهَا ضَرْبَ ٱلْجَمَاجِمِ قَاهِرٌ ... عَلَى ٱلنَّاسِ مَعْبُودُ ٱلْجَلَالِ مَجِيدُ

افتخرَ في مطلعِ القصيدةِ بكونِهِ ذا بأسٍ وعزيمةٍ ، وقفَّاهُ بأثرِ ذٰلكَ ، ثمَّ افتخرَ بالمحافظةِ علىٰ نسبةِ الصُّحبةِ أوِ القرابةِ كيفَما كانَ الصَّاحبُ أوِ القريبُ في قولِهِ (ومولىً) ، وبالغَ في ذٰلكَ ، وأحسنَ فيهِ تقريرَ مذهبِهِ

ثمَّ عادَ إلىٰ خطابِ نفسِهِ يُسلِّيها بما يكونُ عذراً يبني عليهِ احتمالَ عيوبِ

---

(١) في « ديوان ابن نباتة السعدي » (١/٥٥٢) (عوطيت) بدل (عطلت)

(٢) في « ديوان ابن نباتة السعدي » (١/٥٥٣) (مطاعنها) بدل (مناقلها)

الصَّاحبِ أوِ القريبِ في قولِهِ (وقلتُ تَعلَّمْ) ، وعطفَ عليهِ معلوماً آخَرَ ؛ وهوَ أنَّ نواميسَ الرجالِ ـ أي حيلَهُم وأشراكَ مكايدِهِم ـ ما زالَتْ في الناسِ قديماً ، واستدركَ علىٰ ذٰلكَ مُتخلِّصاً للمدحِ بأنَّ ممدوحَهُ أزالَ تلكَ الحيلَ وكشفَ الأمورَ ، وضَمَّنَ معنىٰ (حلَّ) في قولِهِ (حلَّها على الدهرِ) معنىٰ (ضيعَ) ، مثلَ قولِهِم (ضيَّعتَ علىٰ فلانٍ تعبَهُ في كذا)

ثمَّ استرسلَ في المدحِ اللائقِ بالملوكِ ذوي الهممِ العاليةِ والعزائمِ الماضيةِ ، مشيراً إلىٰ وقائعِ الممدوحِ وحروبِهِ ، وسعةِ مملكتِهِ ، مائلاً إلىٰ ذكرِ بعضِ الجهاتِ ـ كمصرَ ـ برداءةِ السياسةِ ، وكونِها تحتَ خطرِ أن يُلتفتَ إليها ، ويومي إلىٰ عسكرِها بالتحذيرِ والنصيحةِ ؛ بتركِ التعرُّضِ إلىٰ معارضتِهِ

وشعرُ ابنِ نباتةَ هٰذا ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ يطلبُ بشِدَّةِ دقَّتِهِ وبُعْدِ إشارتِهِ ممَّنْ يَطَّلِعُ عليهِ أن يَتلبَّثَ في تعقُّلِهِ وتَفهُّمِ أغراضِهِ بيتاً بيتاً ، وفصلاً فصلاً



[مِنْ شعرِ الشريفِ الرضيِّ في النَّسيبِ]

ومِنْ شعرِ الشريفِ محمدٍ الرضيِّ ـ وشعرُهُ كما سبقَ التنبيهُ عليهِ كثيرٌ جدّاً ، وديوانُهُ موجودٌ بدارِ الكتبِ الكبيرةِ ، فلنكتفِ مِنْ شعرِهِ بإيرادِ ما يكونُ أُنموذجاً يُستدَلُّ بهِ علىٰ باقيهِ ، فإن أردتَ استيفاءَ قراءتِهِ فقد علمتَ مكانَهُ ـ قولُهُ في النَّسيبِ ، وطريقتُهُ فيهِ تُسمَّىٰ بالطَّريقةِ الغراميةِ[1] [من البسيط]

يَا ظَبْيَةَ ٱلْبَانِ تَرْعَىٰ فِي خَمَائِلِهَا ... لِيَهْنَكِ ٱلْيَوْمَ أَنَّ ٱلْقَلْبَ مَرْعَاكِ

اَلْمَاءُ عِنْدَكِ مَبْذُولٌ لِشَارِبِهِ ... وَلَيْسَ يُرْوِيكِ إِلَّا [مَدْمَعِي] ٱلْبَاكِي

هَبَّتْ لَنَا مِنْ رِيَاحِ ٱلْغَوْرِ رَائِحَةٌ ... بَعْدَ ٱلرُّقَادِ عَرَفْنَاهَا بِرَيَّاكِ

ثُمَّ ٱنْثَنَيْنَا إِذَا مَا هَزَّنَا طَرَبٌ ... عَلَى ٱلرِّحَالِ تَعَلَّلْنَا بِذِكْرَاكِ

سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ ... مَنْ بِٱلْعِرَاقِ لَقَدْ أَبْعَدْتِ مَرْمَاكِ

حَكَتْ لِحَاظُكِ مَا فِي ٱلرِّيمِ مِنْ مُلَحٍ ... يَوْمَ ٱللِّقَاءِ وَكَانَ ٱلْفَضْلُ لِلْحَاكِي

كَأَنَّ طَرْفَكِ يَوْمَ ٱلْجِزْعِ يُخْبِرُنَا ... بِمَا طَوَىٰ عَنْكِ مِنْ أَسْمَاءِ [قَتْلَاكِ]

أَنْتِ ٱلنَّعِيمُ لِقَلْبِي وَٱلْغَرَامُ لَهُ ... فَمَا أَمَرَّكِ فِي قَلْبِي [وَأَحْلَاكِ]

عِنْدِي رَسَائِلُ شَوْقٍ لَسْتُ أَذْكُرُهَا ... لَوْلَا ٱلرَّقِيبُ لَقَدْ بَلَّغْتُهَا فَاكِ

وَعْدٌ لِعَيْنِكِ عِنْدِي مَا وَفَيْتُ بِهِ ... يَا قُرْبَ مَا كَذَبَتْ عَيْنِي عَيْنَاكِ

سَقَىٰ مِنىً وَلَيَالِي ٱلْخَيْفِ مَا شَرِبَتْ ... مِنَ ٱلْغَمَامِ وَحَيَّاهَا وَحَيَّاكِ

إِذْ يَلْتَقِي كُلُّ ذِي دَيْنٍ وَمَاطِلَهُ ... مِنَّا وَيَجْتَمِعُ ٱلْمَشْكُوُّ وَٱلشَّاكِي

---

(١) انظر « ديوان الشريف الرضي » (٢/١٠٧ ـ ١٠٨)

لَمَّا غَدَا ٱلسِّرْبُ يَعْطُو بَيْنَ أَرْحُلِنَا مَا كَانَ فِيهِمْ غَرِيمُ ٱلْقَلْبِ إِلَّاكِ
هَامَتْ بِكِ ٱلْعَيْنُ لَمْ [تَتْبَعْ] سِوَاكِ هَوىً مَنْ أَعْلَمَ ٱلْعَيْنَ أَنَّ ٱلْقَلْبَ يَهْوَاكِ
يَا حَبَّذَا نَفْحَةٌ مَرَّتْ بِفِيكِ لَنَا وَنُطْفَةٌ غَمَسَتْ فِيهَا ثَنَايَاكِ
وَحَبَّذَا وَقْفَةٌ وَٱلرَّكْبُ مُعْتَقِلٌ عَلَىٰ ثَرىً وَخَدَتْ فِيهِ مَطَايَاكِ
لَوْ كَانَتِ ٱللِّمَّةُ ٱلسَّوْدَاءُ مِنْ عُدَدِي يَوْمَ ٱلْغَمِيمِ لَمَا أَفْلَتِّ أَشْرَاكِي

وقولُهُ (١) [من البسيط]

يَا لَيْلَةَ ٱلسَّفْحِ أَلَّا عُدْتِ ثَانِيَةً سَقَىٰ زَمَانَكِ هَطَّالٌ مِنَ ٱلدِّيَمِ
مَاضٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ لَوْ يُفْدَىٰ بَذَلْتُ لَهُ كَرَائِمَ ٱلْمَالِ مِنْ خَيْلٍ وَمِنْ نَعَمِ
لَمْ أَقْضِ مِنْكِ لُبَانَاتٍ ظَفِرْتُ بِهَا فَهَلْ لِيَ ٱلْيَوْمَ إِلَّا زَفْرَةُ ٱلنَّدَمِ
فَلَيْتَ عَهْدَكِ إِذْ لَمْ يَبْقَ لِي أَبَداً لَمْ يُبْقِ عِنْدِي عَقَابِيلاً مِنَ ٱلسَّقَمِ
تَعَجَّبُوا مِنْ تَمَنِّي ٱلْقَلْبِ مُؤْلِمَهُ وَمَا دَرَوْا أَنَّهُ خِلْوٌ مِنَ ٱلْأَلَمِ
رُدُّوا عَلَيَّ لَيَالِيَّ ٱلَّتِي سَلَفَتْ لَمْ أَنْسَهُنَّ وَلَا بِٱلْعَهْدِ مِنْ قِدَمِ
أَقُولُ لِلَّائِمِ ٱلْمُهْدِي مَلَامَتَهُ ذُقِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنِ ٱسْطَعْتَ ٱلْمَلَامَ لُمِ
وَظَبْيَةٍ مِنْ ظِبَاءِ ٱلْإِنْسِ عَاطِلَةٍ تَسْتَوْقِفُ ٱلْعَيْنَ بَيْنَ ٱلْخَمْصِ وَٱلْهَضَمِ
لَوْ أَنَّهَا بِفِنَاءِ ٱلْبَيْتِ سَائِحَةٌ لَصِدْتُهَا وَٱبْتَدَعْتُ ٱلصَّيْدَ فِي ٱلْحَرَمِ
قَدَرْتُ مِنْهَا بِلَا رُقْبَىٰ وَلَا حَذَرٍ عَلَى ٱلَّذِي نَامَ عَنْ لَيْلَىٰ وَلَمْ أَنَمِ
بِتْنَا ضَجِيعَيْنِ فِي ثَوْبَيْ هَوىً وَتُقىً يَلُفُّنَا ٱلشَّوْقُ مِنْ فَرْعٍ إِلَىٰ قَدَمِ

---

(١) انظر « ديوان الشريف الرضي » (٢/٢٧٣ ـ ٢٧٥)

وَأَمْسَتِ ٱلرِّيحُ كَٱلْغَيْرَىٰ تُجَاذِبُنَا عَلَى ٱلْكَثِيبِ فُضُولُ ٱلرَّيْطِ وَٱللِّمَمِ

يَشِي بِنَا ٱلطِّيبُ أَحْيَاناً وَآوِنَةً يُضِيئُنَا ٱلْبَرْقُ مُجْتَازاً عَلَىٰ أَضَمِ

وَبَاتَ بَارِقُ ذَاكَ ٱلثَّغْرِ يُوضِحُ لِي مَوَاقِعَ ٱللَّثْمِ فِي دَاجٍ مِنَ ٱلظُّلَمِ

وَبَيْنَنَا عِفَّةٌ بَايَعْتُهَا بِيَدِي عَلَى ٱلْوَفَاءِ بِهَا وَٱلرَّعْيِ لِلذِّمَمِ

يُوَلِّعُ ٱلطَّلُّ يُرْدِينَا وَقَدْ نَسَمَتْ رُوَيْحَةُ ٱلْفَجْرِ بَيْنَ ٱلضَّالِ وَٱلسَّلَمِ

وَأَكْتُمُ ٱلصُّبْحَ عَنْهَا وَهْيَ غَافِلَةٌ حَتَّىٰ تَكَلَّمَ عُصْفُورٌ عَلَىٰ عَلَمِ

فَقُمْتُ أَنْفُضُ ثَوْباً مَا تَعَلَّقَهُ غَيْرُ ٱلْعَفَافِ وَرَاءَ ٱلْغَيْبِ وَٱلْكَرَمِ

وَأَلْمَسَتْنِي وَقَدْ جَدَّ ٱلْوَدَاعُ بِنَا كَفّاً يُشِيرُ بِقُضْبَانٍ مِنَ ٱلْعَنَمِ

وَأَلْثَمَتْنِيَ ثَغْراً مَا عَدَلْتُ بِهِ أَرْيَ ٱلْجَنَىٰ بِبَنَاتِ ٱلْوَابِلِ ٱلرُّذُمِ

ثُمَّ ٱنْثَنَيْنَا وَقَدْ رَابَتْ ظَوَاهِرُنَا وَفِي بَوَاطِنِنَا بُعْدٌ مِنَ ٱلتُّهَمِ

يَا حَبَّذَا لَمَّةٌ بِٱلرَّمْلِ ثَانِيَةٌ وَوَقْفَةٌ بِبُيُوتِ ٱلْحَيِّ مِنْ أَمَمِ

وَحَبَّذَا نَهْلَةٌ مِنْ فِيكِ بَارِدَةٌ يُعْدِي عَلَىٰ حَرِّ قَلْبِي بَرْدُهَا بِفَمِي

دَيْنٌ عَلَيْكِ فَإِنْ تَقْضِيهِ أَحْيَ بِهِ وَإِنْ أَبَيْتِ تَقَاضَيْنَا إِلَىٰ حَكَمِ

عَجِبْتُ مِنْ بَاخِلٍ عَنِّي بِرِيقَتِهِ وَقَدْ بَذَلْتُ لَهُ دُونَ ٱلْأَنَامِ دَمِي

مَا [سَاعَفَتْنِي] ٱللَّيَالِي بَعْدَ بَيْنِهِمُ إِلَّا بَكَيْتُ لَيَالِينَا بِذِي سَلَمِ

وَلَا ٱسْتَجَدَّ فُؤَادِي فِي ٱلزَّمَانِ هَوىً إِلَّا ذَكَرْتُ هَوَىٰ أَيَّامِنَا ٱلْقُدُمِ

لَا تَطْلُبَنَّ لِيَ ٱلْأَبْدَالَ بَعْدَهُمُ فَإِنَّ قَلْبِيَ لَا يَرْضَىٰ بِغَيْرِهِمِ



[مِنْ شعرِ مهيارِ الدَّيلَميِّ]

ومِنْ شعرِ مِهيارٍ ـ وقدْ سلكَ طريقةً يدعو الأدبُ إلىٰ سلوكِها ؛ لرفعةِ رتبتِها مِنَ البلاغةِ ؛ وهيَ أنَّهُ يجعلُ غزلَ القصيدةِ مُتضمِّناً المعنى الذي قصدَ إنشاءَها لأجلِهِ ـ هٰذهِ القصيدةُ

وسببُها أنَّه سعىٰ بهِ ساعٍ عندَ ملكِ ناحيتِهِ ، وافترىٰ عليهِ أنَّهُ عثرَ بكنزٍ ، فحبسَهُ ذٰلك الملكُ ليلةً ليُخلِّصَهُ منهُ كما جرت بهِ العادةُ في غالبِ الزمانِ مِنْ أخذِ الملوكِ ما يجدُ الناسُ مِنَ الكنوزِ ، ثمَّ تَحقَّقَ عندَ الملكِ كذبُ السِّعايةِ ، فأطلقَهُ ، وعادَ لبِرّهِ ، فأنشأَها وضَمَّنَها تهنئةً بعيدِ الفطرِ[1]

[من الطويل]

أَمَا وَهَوَاهَا عِذْرَةً وَتَنَصُّلَا ... لَقَدْ نَقَلَ ٱلْوَاشِي إِلَيْهَا فَأَمْحَلَا
سَعَىٰ جَهْدَهُ لَٰكِنْ تَجَاوَزَ حَدَّهُ ... وَكَثَّرَ فَٱرْتَابَتْ وَلَوْ شَاءَ قَلَّلَا
وَقَالَ فَلَمْ تُقْبَلْ وَلَٰكِنْ تَلَوَّمَتْ ... عَلَىٰ أَنَّهُ مَا قَالَ إِلَّا لِتَقْبَلَا
فَطَارَحَهَا أَنِّي سَلَوْتُ فَهَلْ رَأَىٰ ... لَهُ ٱلذَّمُّ مِثْلِي عَنْ هَوىً أَنَّهُ سَلَا
أَأَنْفُضُ طَوْعاً حُبَّهَا عَنْ جَوَانِحِي ... وَإِنْ كَانَ حُبّاً لِلْجَوَانِحِ مُثْقِلَا
أَبَى ٱللهُ وَٱلْقَلْبُ ٱلْوَفِيُّ بِعَهْدِهِ ... وَإِلْفٌ إِذَا عُدَّ ٱلْهَوَىٰ كَانَ أَوَّلَا
أَيَا صَاحِبَيْ نَجْوَايَ يَوْمَ سُوَيْقَةٍ ... أَنَاةً وَإِنْ لَمْ تُسْعِدَا فَتَجَمَّلَا
سَلَا ظَبْيَةَ ٱلْوَادِي وَمَا ٱلظَّبْيُ مِثْلُهَا ... وَإِنْ كَانَ مَصْقُولَ ٱلتَّرَائِبِ أَكْحَلَا
أَأَنْتِ أَمَرْتِ ٱلْبَدْرَ أَنْ يَصْدَعَ ٱلدُّجَىٰ ... وَعَلَّمْتِ غُصْنَ ٱلْبَانِ أَنْ يَتَمَيَّلَا

---

(١) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (٣/٢٣٢ ـ ٢٣٧)

وَحَرَّمْتِ يَوْمَ ٱلْبَيْنِ وَقْفَةَ سَاعَةٍ عَلَىٰ عَاشِقٍ ظَنَّ ٱلْوَدَاعَ مُحَلَّلَا

جَمَعْتِ عَلَيْهِ حُرْقَةَ ٱلدَّمْعِ وَٱلْجَوَىٰ وَمَا ٱجْتَمَعَ ٱلدَّاءَانِ إِلَّا لِيَقْتُلَا

هَبِي لِيَ عَيْنِي وَٱحْمِلِي كُلْفَةَ ٱلْأَسَىٰ عَلَى ٱلْقَلْبِ إِنَّ ٱلْقَلْبَ أَصْبَرُ لِلْبَلَا

أَرَاكِ بِوَجْهِ ٱلشَّمْسِ وَٱلْبُعْدُ بَيْنَنَا فَأَقْنَعُ تَشْبِيهاً بِهَا وَتَمَثُّلَا

وَأَذْكُرُ عَذْباً مِنْ رُضَابِكِ مُسْكِراً فَمَا أَشْرَبُ ٱلصَّهْبَاءَ إِلَّا تَعَلُّلَا

هَنِيئاً لِحُبِّ ٱلْمَالِكِيَّةِ إِنَّهُ رَخِيصٌ لَهُ مَا عَزَّ مِنِّي وَمَا غَلَا

تَعَلَّقْتُهَا غِرّاً وَلِيداً وَشَيَّبَتْ وَشِبْتُ وَنَاشِي حُبِّهَا مَا تَكَهَّلَا

وَوَحَّدَهَا فِي ٱلْحُسْنِ قَلْبِي فَمَا لَهُ وَإِنْ وَجَدَ ٱلْأَبْدَالَ أَنْ يَتَبَدَّلَا

رَعَى ٱللهُ قَلْبِي مَا أَبَرَّ بِمَنْ جَفَا وَأَصْبَرَهُ فِي ٱلنَّائِبَاتِ وَأَجْمَلَا

وَأَكْرَمَ عَهْدِي لِلصَّدِيقِ فَإِنَّهُ قَلِيلٌ عَلَى ٱلْحَالَاتِ أَنْ يَتَحَوَّلَا

وَلَيَّنَ أَيَّامِي عَلَيَّ فَإِنَّنِي أُزَاحِمُ ثَهْلَاناً بِهِنَّ وَيَذْبُلَا

وَأَهْلُ زَمَانٍ لَا هَوَادَةَ بَيْنَهُمْ إِذَا ٱسْتُؤْمِنُوا كَانُوا أَخَبَّ وَأَخْتَلَا

صَدِيقُ نِفَاقٍ أَوْ عَدُوُّ فَضِيلَةٍ مَتَىٰ طُبَّ كَانَ ٱلدَّاءُ أَدْهَىٰ وَأَعْضَلَا

وُلُوجٌ عَلَى ٱلشَّرِّ ٱلَّذِي يَرْصُدُونَهُ مَتَىٰ وَجَدُوا يَوْماً إِلَى ٱلشَّرِّ مَدْخَلَا

إِذَا مَا رَأَوْا عِنْدَ ٱمْرِئٍ زَادَ يَوْمِهِ مَشَوْا حَسَداً أَوْ بَاتَ جَوْعَانَ مُرْمِلَا

وَفِي ٱلْأَرْضِ عَنْهُمْ مَذْهَبٌ وَتَفَسُّحٌ فَمَنْ لِيَ أَنْ أَسْطِيعَ أَنْ أَتَرَحَّلَا

أَهُمُّ وَلَٰكِنْ مِنْ وَرَائِي جَوَاذِبٌ أَخَافُ عَلَىٰ أَعْطَانِهَا أَنْ تَسَلَّلَا (١)

وَتُعْلِقُنِي ٱلْآمَالُ مِنْ قُلَلِ ٱلْعُلَا فَأَجْعَلُهَا مِنْهُمْ مَلَاذاً وَمَعْقِلَا

---

(١) في « ديوان مهيار الديلمي » (٣/٢٣٣) (تشللا)

نَعَمْ عِنْدَ رُكْنِ ٱلدِّينِ وَٱبْنِ قَوَامِهِ غِنـىً وَمُـرَادٌ أَنْ أُضَـامَ وَأُسْـمَـلَا (١)

وَفِي يَدِهِ ٱلْبَيْضَاءِ يَقْطُرُ مَاؤُهَا رَبِيعٌ يَرُدُّ ٱلْجَدْبَ أَخْضَرَ مُبْقِلَا

وَبِٱلْقَصْرِ مِنْ دَارِ ٱلسَّلَامِ مُتَوَّجٌ بِإِشْرَاقِهِ أَخْزَى ٱلْبُدُورَ وَأَخْجَلَا

تَرَىٰ خَرَزَاتِ ٱلْمُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ كَوَاكِبَ نُورٍ ضَوْءُهَا يَمْلَأُ ٱلْفَلَا

يُمِيتُ ٱلنُّفُوسَ قَاطِباً [مُتَنَمِّراً] وَيُحْيِي أَوَاناً بَاسِماً مُتَهَلِّلَا

إِذَا كُفِرَ ٱلنَّعْمَاءُ شَامَ سُيُوفَهُ وَإِنْ سُئِلَ ٱلْإِغْضَاءَ شَامَ ٱلتَّفَضُّلَا

قَرِيبٌ [إِلَى ٱلْمَوْلَىٰ بَعِيدٌ] بِعِزِّهِ عَلَىٰ مَغْمَزِ ٱلْأَعْدَاءِ أَنْ يَتَسَهَّلَا

إِذَا مَنَّ أَعْطَىٰ حُكْمَهُ مُتَثَبِّتاً وَإِنْ هَمَّ أَمْضَىٰ أَمْرَهُ مُتَعَجِّلَا

حَوَىٰ حَوْزَةَ ٱلدُّنْيَا فَدَبَّرَ أَمْرَهَا مَلِيّاً بِتَقْوِيمِ ٱلْأُمُورِ مُعَدِّلَا

أَطَاعَتْهُ أَعْنَاقُ ٱلْبِلَادِ وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ ٱلْقُلُوبُ رَغْبَةً لَا تَعَمُّلَا

وَدَانَتْ لَهُ ٱلْأَقْدَارُ حَتَّىٰ تَصَرَّفَتْ عَلَىٰ أَمْرِهِ ٱلْمَاضِي صُعُوداً وَنُزَّلَا

إِذَا طَلَبَ ٱلْأَعْدَاءَ [أَنْفَذَ] جَحْفَلاً لَهَا مَا مِنَ ٱلْإِقْبَالِ يَتْبَعُ جَحْفَلَا

كَفَاهُ مَكَانَ ٱلسَّيْفِ وَٱلرُّمْحِ جَدُّهُ فَلَوْ شَاءَ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ حَارَبَ أَعْزَلَا

وَكَمْ عَادَةٍ لِلّٰهِ فِي ٱلنَّصْرِ عِنْدَهُ تَضَمَّنَ بِٱسْتِمْرَارِهَا وَتَكَفَّلَا

وَمِنْ آيَةٍ قَامَتْ بِتَثْبِيتِ مُلْكِهِ وَقَدْ كَادَتِ ٱلْأَقْدَامُ أَنْ تَتَزَلْزَلَا

ظَهَرْتَ جَلَالَ ٱلدَّوْلَتَيْنِ بِفَضْلِهَا وَمُعْجِزِهَا حَتَّىٰ ظَنَنَّاكَ مُرْسَلَا

رَأَى ٱللّٰهُ أَنَّ ٱلْأَرْض أَصْلَحُ سِيرَةً عَلَيْكَ وَأَنَّ ٱلنَّاسَ أَجْمَلُ [مَحْفَلَا]

وَأَنَّكَ تَأْوِي فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَيْهِ مُنِيباً نَحْوَهُ مُتَبَتِّلَا

---

(١) في « ديوان مهيار الديلمي » (٢٣٣/٣) (وأهملا)

فَأَوْلَاكَ فِي ضِيقِ ٱلشَّدَائِدِ فُرْجَةً   وَأَعْطَاكَ مَنْجىً فِي ٱلْخُطُوبِ وَمَوْئِلَا

وَكَمْ آبِقٍ مِنْ رِقِّ [مُلْكِكَ] غَامِطٍ   لِنُعْمَاكَ لَمْ يَنْهَضْ بِمَا قَدْ تَحَمَّلَا

عَفَوْتَ مِرَاراً عَنْ تَمَادِي ذُنُوبِهِ   فَأَنْظَرْتَهُ بِٱلْعَفْوِ حَتَّىٰ تَوَغَّلَا

وَبِٱلْأَمْسِ لَجُّوا فِي ٱلشِّقَاقِ وَأَجْلَبُوا   عَلَيْكَ وَظَنُّوهَا وَحَاشَاكَ فَيْصَلَا

فَلَمْ يَجْنِ ضَعْفُ ٱلرَّأْيِ إِلَّا عَلَيْهِمُ   وَلَا ٱزْدَدْتَ إِلَّا قُوَّةً وَتَأَثُّلَا

فَسَائِلْ بِهِمْ إِمَّا طَرِيداً مُشَرَّداً   يَلُوذُ بِصَفْحٍ أَوْ قَتِيلاً مُجَدَّلَا

فَلَا زَالَ مَنْ عَادَاكَ أَبْعَدَ شُقَّةً   وَأَخْبَثَ أَيَّاماً وَأَخْشَنَ مَنْزِلَا

وَلَا زَالَتِ ٱلرَّايَاتُ وَٱسْمُكَ حَلْيُهَا   خَوَافِقُ تَحْوِي ٱلْأَرْض سَهْلاً وَأَجْبُلَا

إِلَىٰ أَنْ تَرَىٰ بِيض ٱلْمُلُوكِ وَسُودَهَا   قِيَاماً عَلَىٰ أُخْرَىٰ بِسَاطِكَ مُثَّلَا

وَبُلِّغْتَ مِنْ نَجْمَيْكَ يَا بَدْرُ كُلَّمَا   تُؤَمِّلُ فِي نَجْمٍ عَلَىٰ أُفُقٍ عَلَا

قَدِيمُهُمَا وَٱلطَّالِعُ ٱلْآنَ قَابِساً   ضِيَاءَكَ حَتَّىٰ يَسْتَتِمَّ وَيَكْمُلَا

وَكَانَا عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ [سَيْفَيْ] تَنَاصُرٍ   شَبِيهَكَ فِيمَا أَحْدَثَا وَتَقَيَّلَا

وَشَدَّاكَ وَٱلضِّرْغَامُ أَمْنَعُ جَانِباً   وَأَنْهَضُ إِقْدَاماً إِذَا كَانَ مُشْبِلَا

وَكُثِّرْتَ بِٱلْأَوْلَادِ تُرْهِفُ مُنْصُلاً   طَرِيراً إِلَى ٱلدُّنْيَا وَتَطْبَعُ مُنْصُلَا

أُصُولُهُمُ مَنْصُورَةٌ بِفُرُوعِهِمْ   إِذَا قَامَ مِنْهُمْ آخِرٌ كَانَ أَوَّلَا

لَكُمْ فِي رِقَابِ ٱلنَّاسِ أَمْرَاسُ ذِمَّةٍ   بَعِيدٌ عَلَى ٱسْتِحْصَافِهَا أَنْ تُحَلَّلَا

مَفَاتِيحُ هَٰذَا ٱلرِّزْقِ بَيْنَ أَكُفِّكُمْ   وَنُصْرَةُ دِينِ ٱللهِ بِيضاً وَذُبَّلَا

فَمَا تَشْهَدُونَ ٱلْحَرْبَ إِلَّا إِذَا غَلَتْ   وَلَا تَشْتَرُونَ ٱلْحَمْدَ إِلَّا إِذَا غَلَا

أَتَعْرِفُ يَا مَوْلَى ٱلْمُلُوكِ كَقِصَّةٍ   بُلِيتُ بِهَا بِٱلْأَمْسِ وَٱلْحُرُّ يُبْتَلَىٰ

أَبَعْدَ قُنُوعِي بِٱلثِّمَارِ تَعَفُّفاً[(1)] وَهَجْرِيَ أَبْوَابَ ٱلْمُلُوكِ تَعَذُّلَا
وَظُلْمِيَ [فَضْلِي] وَٱهْتِضَامِي تَوَحُّدِي مَخَافَةَ أَنْ أُوذَىٰ وَأَنْ أَتَبَذَّلَا
يُسِيءُ رَعَاعُ ٱلنَّاسِ عِنْدَكَ سُمْعَتِي وَتَشْعُرُ أَنِّي حُزْتُ مَالاً مُؤَثَّلَا
وَيُغْرِي بِإِفْقَارِي وَأَنْتَ ٱلَّذِي تَرَىٰ لِمِثْلِيَ أَنْ يَغْنَىٰ وَأَنْ يَتَمَوَّلَا
وَلَٰكِنَّهَا مَا غَيَّرَتْ لَكَ شِيمَةً كَرُمْتَ بِهَا إِلَّا قَلِيلاً كَلَا وَلَا
وَلَمَّا سَعَى ٱلسَّاعِي فَجَاءَكَ كَاذِباً عَلَيَّ بِجَوْرٍ كُنْتَ أَعْلَىٰ وَأَعْدَلَا
أَتَاكَ بِزُورٍ فَاتِحاً فَمَهُ بِهِ فَأَلْقَمْتَهُ بِٱلرَّدِّ تُرْباً وَجَنْدَلَا
تَسَرَّعَ فِيهَا جَالِباً لَكَ إِثْمَهَا وَلَٰكِنْ أَرَاكَ ٱلْحَقُّ أَنْ تَتَمَهَّلَا
فَلَمْ تَأْلُنِي كَشْفاً لِصِدْقِ بَرَاءَتِي وَلَا نَظَراً فِي قِصَّتِي وَتَأَمُّلَا
وَزِنْتَ بِذِكْرِ ٱلْمَالِ مَجْدَكَ فِي ٱلْعُلَا فَكَانَ وِزَانُ ٱلْمَجْدِ عِنْدَكَ أَثْقَلَا
وَحَكَّمْتَ رَأْياً طَاهِرِيّاً وَهِمَّةً بُوَيْهِيَّةً مَا طَبَّقَتْ كَانَ مَفْصِلَا
فَأَرْضَاكَ مِنِّي ٱلصِّدْقُ لَمَّا عَلِمْتَهُ بِبَيِّنَةٍ لَمْ أَسْتَعِرْهَا تَقَوُّلَا
فَإِنْ فَاجَأَتْنِي هَجْمَةٌ مِنْ طُرُوقِهَا تَرَوَّعَ مِنْهَا جَانِبِي وَتَوَجَّلَا
حُبِسْتُ وَلَٰكِنْ كَانَ حَبْساً مُشَرِّفاً أَنَافَ بِذِكْرِي وَٱعْتِقَالاً مُجَمِّلَا
لَئِنْ عَدَّ قَوْمٌ نَكْبَةً حَبْسَ لَيْلَةٍ لَقَدْ كُنْتُ مَنْكُوباً مِنَ ٱلنَّاسِ مُعْزَلَا
وَسَبَّبَ لِي هَٰذَا ٱلْمُقَامُ تَرَفُّعِي وَقَدْ كُنْتُ عَنْهُ سَاهِياً وَمُغَفَّلَا
مَكَانٌ تَمَنَّاهُ ٱلْكَوَاكِبُ عِزَّةً فَتَبْغِي إِلَيْهِ مَهْبِطاً وَتَنَزُّلَا
وَمَنْ لِجَبِينِ ٱلشَّمْسِ لَوْ خَرَّ سَاجِداً لِأَرْضِكَ أَوْ وَافَىٰ ثَرَاكَ مُقَبِّلَا

---

(1) في « ديوان مهيار الديلمي » (٣/٢٣٥) (بالثماد) يعني الماء القليل ، بدل (بالثمار)

لَبِسْتُ بِهِ ثَوْباً ضَفَا لِيَ فَخْرُهُ بِمَدْحِكَ مَجْرُوراً عَلَيَّ مُذَيَّلَا

سَيَعْلَمُ مَنْ جَرَّ السِّعَايَةَ أَنَّهُ بِكُرْهِي إِلَىٰ مَا جَرَّ نَفْعِي تَوَصَّلَا

لَقَدْ غَرَسَ ٱلتَّعْرِيضُ بِي فِي [وَبِيئَةٍ] مَتَى ٱسْتُثْمِرَتْ أَجْنَتْهُ صَاباً وَحَنْظَلَا

إِذَا وَسَمَتْ عِرْض ٱللَّئِيمِ بِمِيسَمٍ مِنَ ٱلذَّمِّ بَاقٍ وَدَّ لَوْ كَانَ أَغْفَلَا

فَكَانَ شَقِيّاً خَابَ عِنْدَكَ سَعْيُهُ وَفُزْتُ وَكُنْتَ ٱلْمُنْعِمَ ٱلْمُتَفَضِّلَا

أَقِمْ فِيَّ مِنْ عَادَاتِ سَيْبِكَ سُنَّةً هِيَ ٱلْغَيْثُ أَوْ كَانَتْ أَعَمَّ وَأَجْزَلَا

فَكَمْ مِنْ نَوَالٍ مُشْرِفٍ قَدْ حَقَرْتَهُ (١) وَقَلَّلْتَ مِنْ جُمَّاعِهِ فَتَقَلَّلَا

وَعَارِفَةٍ لَوْ يُسْأَلُ ٱلْبَحْرُ بَعْضَهَا تَعَذَّرَ فِي إِخْرَاجِهَا وَتَبَخَّلَا

وَكُنْ مُرْغِماً خَصْمِي بِأَمْرٍ مُشَرِّفٍ تَوَفَّرَ لِي مِنْهُ ٱلْجَمَالُ ٱلْمُعَجَّلَا

وَتَجْبُرُ مِنْ جَاهِي ٱلْكَسِيرِ وَخَلَّتِي فَأَجْدَرُ مَنْ أَسْمَنْتَ مَنْ كُنْتَ مُهْزِلَا

وَثِقْ بِجَزَاءٍ شِعْرُ عَبْدِكَ ضَامِنٌ لِمَا طَابَ مِنْهُ فِي ٱلشِّفَاهِ وَمَا حَلَا

مِنَ ٱلْبَاقِيَاتِ ٱلصَّالِحَاتِ أَرُوضُهَا بِنَفْسِي إِذَا طَابَتْ وَقَلْبِي إِذَا خَلَا

سَوَائِرَ يَقْطَعْنَ ٱلْبِلَادَ حَوَامِلاً دُعَاءً مُجَاباً أَوْ ثَنَاءً مُبَجَّلَا

إِذَا مَا كَسَوْتَ ٱلْعِيدَ مِنْهُنَّ لِبْسَةً تَرَفَّلَ فِيهَا تَائِهاً وَتَخَيَّلَا

وَمَدَّ يَدَ ٱلرَّاجِي نَوَالَكَ مُدْلِياً بِحُرْمَتِهَا مُسْتَشْفِعاً مُتَوَسِّلَا

يُبَشِّرُ عَنْهَا أَنَّهُ عَائِدٌ بِهَا عَلَيْكَ مَدَى ٱلْأَيَّامِ عُمْراً وَأَطْوَلَا

هُوَ ٱلْيَوْمُ أَعْطَاهُ ٱلْإِلَٰهُ فَضِيلَةً كَمَا كُنْتَ مِمَّنْ يَحْمِلُ ٱلْأَمْرَ مُفْضِلَا

فَقَابِلْ بِهِ وَجْهَ ٱلْخُلُودِ مُبَلِّغاً شُرُوطَ ٱلْمُنَىٰ مَا كَرَّ عِيدٌ وَأَقْبَلَا

---

(١) في « ديوان مهيار الديلمي » (٢٣٧/٣) (مسرف) بدل (مشرف)

تُزَخْرَفُ جَنَّاتُ ٱلْعُلَا لَكَ مُفْطِراً وَصَائِمَ فَرْضٍ كُنْتَ أَوْ مُتَنَفِّلَا

وَكُنْ مُفْطِراً بِٱلْبِرِّ وَٱلْبَسْ عَلَى ٱلتُّقَىٰ ثَوَابَكَ وَٱنْزِعْ صَوْمَكَ ٱلْمُتَقَبَّلَا

إِلَىٰ أَنْ تَرَىٰ صُمَّ ٱلْجِبَالِ فَلَائِقاً مُسَيَّرَةً وَٱلْجَوَّ مَاءً مُسَلْسَلَا

إِذَا مَا ٱنْجَلَىٰ صُبْحٌ وَلَسْتَ مُمَلَّكاً عَلَيْنَا فَلَا شُقَّ ٱلظَّلَامُ وَلَا ٱنْجَلَىٰ



[مِنْ شعرِ الوزيرِ الطُّغرائيِّ في مدحِ أبي الفتحِ السَّلجوقيِّ]

ويلتحقُ بمَنْ سبقَ ذكرُهُم مِنْ مشاهيرِ شعراءِ هٰذهِ الطَّبقةِ في جلالةِ المحلِّ ، وعُلُوِّ المكانةِ ، وتمامِ الإجادةِ الأميرُ أبو فراسٍ الحارثُ بنُ سعيدٍ الحمدانيُّ ، وقد مضىٰ مثالُ شعرِهِ[1] ، والوزيرُ مؤيدُ الدِّينِ الطُّغرائيُّ صاحبُ « لاميةِ العجمِ » المشهورةِ ، وأبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدٍ التهاميُّ ، فلا بدَّ مِنْ تمثيلِ شعرِهِما ؛ لإتمامِ الفائدةِ

فمِنْ شعرِ الوزيرِ المذكورِ قولُهُ يَمدحُ أبا الفتحِ مسعودَ بنَ محمدٍ السَّلجوقيَّ المُلقَّبَ بقسيمِ أميرِ المؤمنينَ ، وكانَ الملوكُ مِنَ العجمِ أيامَ قُوَّةِ الدولةِ العباسيَّةِ يُدعى الواحدُ منهُم مولىٰ أميرِ المؤمنينَ ، فلمَّا قَوِيَ أمرُ سلطنةِ العجمِ ، وضَعُفَتِ الدَّولةُ كانَ يُلقَّبُ الواحدُ منهُم قسيمَ أميرِ المؤمنينَ ، وكانَ الطُّغرائيُّ بعضَ وزرائِهِم[2] [من الكامل]

نَظَرِي إِلَىٰ لَمْعِ ٱلْوَمِيضِ حَنِينُ ... وَتَنَفُّسِي لِصَبَا ٱلْأَصِيلِ أَنِينُ

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ نَازِلَةِ ٱلْحِمَىٰ ... أَنَّ ٱلْحَبَائِلَ وَٱلسِّهَامَ عُيُونُ

[رَكَزُوا] بِأَبْوَابِ ٱلْقِبَابِ رِمَاحَهُمْ ... وَوَرَاءَهُنَّ أَهِلَّةٌ وَغُصُونُ

آسَادُ مَلْحَمَةٍ وَأُدْمُ صَرِيمَةٍ ... تَحْتَ ٱلْأَكِلَّةِ فَٱلْكِنَاسُ عَرِينُ

وَمَضَوْا يَشِيمُونَ ٱلْوَمِيضَ وَقَدْ هَفَا ... بِخُفُوقِهِ خَضِلُ ٱلرَّبَابِ هَتُونُ

إِلَّا يَكُنْ نَعَبَ ٱلْغُرَابُ بِبَيْنِهِمْ ... أُصُلاً فَقَدْ نَعَبَتْ سَحَائِبُ جُونُ

بَاتُوا وَنَجْوَى ٱلْبَيْنِ بَيْنَ رِحَالِهِمْ ... فَوْضَىٰ وَمُسْتَرَقُ ٱلْحَدِيثِ شُجُونُ

---

(١) انظر (٤/١١٥)

(٢) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٧٦ ـ ٣٨٥)

وَتَحَمَّلُوا سَحَراً وَحَشْوُ حُدُوجِهِمْ صُوَرُ [ٱلْجَآذِرِ] وَٱلظِّبَاءُ ٱلْعِينُ
وَوَرَاءَ أَصْدَافِ ٱلْحُدُوجِ يَمُرُّهَا هُوجُ ٱلرَّكَائِبِ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونُ
إِنَّ ٱلْأُلَىٰ أَقْوَتْ رُبُوعُهُمُ لَهُمْ بَيْنَ ٱلْأَضَالِعِ مَنْزِلٌ مَسْكُونُ
نُشِرَتْ رُبُوعُهُمْ بِعَوْدِ قَطِينِهَا فَنُشُورُ رَبْعٍ أَنْ يَعُودَ قَطِينُ
وَمَلِيحَةٍ بَكَرَتْ عَلَيَّ مُلِيحَةً سَحَراً وَقَدْ صَبَغَ ٱلْخُدُودَ جُفُونُ
قَالَتْ عَهِدْتُكَ لَا تُرَاعُ لِحَادِثٍ وَحَصَاةُ قَلْبِكَ لَا تَكَادُ تَلِينُ
فَٱلْيَوْمَ مَا لَكَ مُسْتَكِيناً يَمْتَرِي مَخْزُونَ دَمْعِكَ قَلْبُكَ ٱلْمَحْزُونُ
تَبْغِي سُلُوِّي وَهْوَ أَعْوَزُ مَطْلَبٍ وَطِلَابُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ جُنُونُ
فَأَجَبْتُهَا كُفِّي ٱلْمَلَامَ وَأَقْصِرِي كُلٌّ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِينُ
لَمْ يُبْقِ عِنْدِي لِلتَّجَلُّدِ مَوْضِعاً بَيْنٌ بِتَفْرِيقِ ٱلْجَمِيعِ قَمِينُ
وَلَقَدْ أَثَرْتُ ٱلْعِيسَ مَا لِظُهُورِهَا مِمَّا أَضَرَّ بِهَا ٱلسِّفَارُ بُطُونُ
مَشَقَ ٱلسُّهُوبُ لُحُومَهُنَّ وَعَرَّقَتْ أَشْلَاءَهُنَّ فَكُلُّ حَرْفٍ نُونُ
يَرْسُفْنَ فِي قَيْدِ ٱلْكَلَالِ كَأَنَّمَا حَرَكَاتُهُنَّ وَقَدْ جَهِدْنَ سُكُونُ
وَلَقَدْ تَرَىٰ وَٱلرِّيحُ رَاسِفَةٌ إِذَا قِيسَتْ إِلَيْهَا وَٱلْوَمِيضُ حَرُونُ
وَكَأَنَّهَا وَٱللَّيْلُ وَحْفٌ فَاحِمٌ عُوجُ ٱلْمَدَارَىٰ وَٱلظَّلَامُ قُرُونُ
يَرْمِي بِهِنَّ نِيَاطَ كُلِّ تَنُوفَةٍ هِمَمٌ وَهَمٌّ فِي ٱلضُّلُوعِ كَمِينُ
هِمَمٌ تُعَاوِرُهَا ٱلْهُمُومُ وَعَزْمَةٌ عَذْرَاءُ شَيَّبَهَا ٱلْخُطُوبُ ٱلْعُونُ
وَإِذَا طَغَىٰ بَحْرُ ٱلزِّمَاعِ فَمَا لَهُ إِلَّا ٱلْقِلَاصُ ٱلْيَعْمُلَاتُ سَفِينُ
وَإِذَا نَبَا ٱلْوَطَنُ ٱلْعَسُوفُ بِأَهْلِهِ فَظُهُورُهُنَّ لِمَنْ حَمَلْنَ حُصُونُ

يَخْبِطْنَ أَحْشَاءَ ٱلدَّيَاجِي أَوْ يُرَىٰ لِلصُّبْحِ خَدٌّ وَاضِحٌ وَجَبِينُ
وَلَقَدْ سَلَبْتُ مِرَاحَهُنَّ إِلَىٰ حِمَىٰ مَلِكٍ لَهُ رَبُّ ٱلسَّمَاءِ مُعِينُ
مَسْعُودِ ٱلْمَيْمُونِ طَائِرُهُ ٱلَّذِي جَدُّ ٱلْمُنِيخِ بِبَابِهِ مَيْمُونُ
مَلِكِ ٱلْمُلُوكِ ٱبْنِ ٱلسَّلَاطِينِ ٱلْأُلَىٰ مَلَكُوا رِقَابَ ٱلْعَالَمِينَ وَدِينُوا
رَكَزُوا بِبُرْقَةَ وَٱلصَّعِيدِ رِمَاحَهُمْ وَٱلْهِنْدُ مَرْبِطُ خَيْلِهِمْ وَٱلصِّينُ
مَلَكُوا ٱلْأَعِنَّةَ وَٱلْأَسِنَّةَ وَٱلظُّبَا تَحْتَ ٱلْعَجَاجِ بَوَارِقٌ وَدُجُونُ
مَجْدٌ تُوُورِثَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ وَٱلدَّهْرُ مُقْتَبَلٌ وَآدَمُ طِينُ
فَٱلْعِزُّ أَقْعَسُ وَٱلْجَنَابُ مُمَنَّعٌ وَٱلْمَجْدُ أَتْلَعُ وَٱلْفِنَاءُ حَصِينُ
شُغِفَتْ بِدَعْوَتِهِ ٱلْمَنَابِرُ يَافِعاً وَصَبَا إِلَيْهِ ٱلْمُلْكُ وَهْوَ جَنِينُ
شَرِقُ ٱلْبَنَانِ بِجُودِهِ غَدِقُ ٱلنَّدَىٰ كِلْتَا يَدَيْهِ لِلْعُفَاةِ يَمِينُ
لِلْمُلْكِ مَأْوىً فِي ظِلَالِ يَمِينِهِ يَأْوِي إِلَيْهِ ٱلنَّصْرُ وَٱلتَّمْكِينُ
طَرِبُ ٱلشَّمَائِلِ حِينَ تَنْآدُ ٱلْقَنَا ثَمِلاً وَيَشْرَقُ بِٱلدِّمَاءِ وَتِينُ
يَنْجَابُ عَنْهُ ٱلنَّقْعُ وَهْوَ كَأَنَّهُ قَمَرٌ لَهُ سَعْدُ ٱلسُّعُودِ قَرِينُ
وَٱلْمَشْرِفِيَّةُ فِي ٱلْعَجَاجِ لَوَامِعٌ وَٱلْأَعْوَجِيَّةُ فِي ٱلصُّفُوفِ صُفُونُ
وَعَلَيْهِ [نَشْرُ] مِظَلَّةٍ مَكْفُوفَةٍ بِٱلدُّرِّ وَٱلْيَاقُوتِ وَهْوَ ثَمِينُ
سَوْدَاءُ حَمْرَاءُ ٱلْحِفَافِ كَأَنَّهَا زَهْرُ ٱلشَّقَائِقِ فِي ٱلرِّيَاضِ تَبِينُ
رُفِعَتْ تَرُدُّ ٱلشَّمْسَ عَنْ شَمْسٍ لَهَا نُورٌ إِذَا ٱعْتَكَرَ ٱلظَّلَامُ مُبِينُ
شَمْسَانِ يَكْتَنِفَانِهَا مِنْ فَوْقِهَا شَمْسٌ وَآخَرُ تَحْتَهَا مَدْجُونُ
فَبِنُورِ تِلْكَ أَضَاءَتِ ٱلدُّنْيَا وَذَا ضَاءَتْ بِهِ ٱلدُّنْيَا وَعَزَّ ٱلدِّينُ

فَـلَـكٌ يَـدُورُ عَـلَـىٰ ذُؤَابَـةِ تَـاجِـهِ وَيَـكُـونُ أَنَّـىٰ دَارَ حَـيْـثُ يَـكُـونُ
تَمْشِي ٱلْمُلُوكُ ٱلصِّيدُ تَحْتَ رِكَابِهِ وَيُـظِـلُّـهُ بِـجَـنَـاحِـهِ جِـبْـرِيـنُ
وَٱلْـجُـرْدُ مُـثْـقَـلَـةُ ٱلرِّقَـابِ يَـؤُودُهَـا حَـمْـلُ ٱلـنُّـضَـارِ يَـكُـدُّهَـا وَيَـزِيـنُ
سَبَقَتْ حَوَافِرُهَا ٱلنَّوَاظِرَ فَٱسْتَوَىٰ سَـبْـقٌ إِلَـىٰ غَـايَـاتِـهَـا وَشُـفُـونُ
لَـوْلَا تَـرَامِـي ٱلْـغَـايَـتَـيْـنِ لأَقْـسَـمَ ٱلرَّ اؤُونَ أَنَّ حِـرَاكَـهَـا تَـسْـكِـيـنُ
قَـدْ كَـانَ يُـشْـبِـهُـهَـا ٱلْـبُـرُوقُ لَـوَ ٱنَّـهَـا لَـمْ يَـعْـتَـلِـقْـهَـا أَعْـيُـنٌ وَظُـنُـونُ
مِـنْ كُـلِّ جَـيَّـاشِ ٱلْـعِـنَـانِ إِذَا جَـرَىٰ يَـوْمَ ٱلـرِّهَـانِ فَـسَـبْـقُـهُ مَـضْـمُـونُ
إِنْ يَـفْـرَعِ ٱلـطَّـوْدَ ٱلْأَشَـمَّ فَـأَجْـدَلٌ أَوْ يَـرْكَـبِ ٱلْـبَـحْـرَ ٱلْـخِـضَـمَّ فَـنُـونُ
بِـأَخِـيـهِ شَـدَّ ٱللهُ أَزْرَ جَـلَالِـهِ فَـوَزِيـرُهُ مِـنْ أَهْـلِـهِ هَـارُونُ
قِـدْحَـانِ قَـدْ نَـبَـتِ ٱلْـحَـوَادِثُ عَـنْـهُـمَـا فَـٱلْـعُـودُ صُـلْـبٌ وَٱلْـغِـرَارُ سَـنِـيـنُ
جُـمِـعَـا عَـلَـىٰ رَغْـمِ ٱلْـعِـدَا وَتَـسَـانَـدَا فَـكِـلَاهُـمَـا صَـدْقُ ٱلْـقَـنَـاةِ مَـتِـيـنُ
سَـبَـقَ ٱلْـمُـجَـلِّـي وَٱلْـمُـصَـلِّـي دُونَـهُ وَوَرَاءَهُ كُـلُّ ٱلْـبَـرِيَّـةِ دُونُ
يَـا أَيُّـهَـا ٱلْـمَـلِـكُ ٱلَّـذِي بِـجَـلَالِـهِ قُـضِـيَ ٱلْـقَـضَـاءُ وَكُـوِّنَ ٱلـتَّـكْـوِيـنُ
مَـرْضَـاتُـهُ تُـحْـيِـي وَيُـرْدِي سُـخْـطُـهُ فَـهُـمَـا حَـيَـاةٌ لِـلْـوَرَىٰ وَمَـنُـونُ
عَـاثَـتْ ذُؤَالَـةُ فِـي ٱلْـقَـطِـيـعِ وَمَـا لَـهُ رَاعٍ وَأَضْـحَـى ٱلـلِّـصُّ وَهْـوَ أَمِـيـنُ
وَتَـنَـازَعَ ٱلْـمُـلْـكَ ٱلـشَّـعَـاعَ عِـصَـابَـةٌ لَـمْ يُـدْرَ أَيُّـهُـمُ بِـهِ ٱلْـمَـفْـتُـونُ
وَتَـنَـاهَـبُـوا مَـا لَـمْ يَـكُـنْ مِـنْ قَـبْـلُ ذُو ٱلْـ ـقَـرْنَـيْـنِ يَـمْـلِـكُـهُ وَلَا قَـارُونُ
فَـبِـكُـلِّ أَرْضٍ رَايَـةٌ وَعِـصَـابَـةٌ جُـمِـعَـتْ وَحَـرْبٌ لَا تُـطَـاقُ زَبُـونُ
جَـرِّدْ عَـزِيـمَـتَـكَ ٱلْـمَـتِـيـنَـةَ إِنَّـهَـا فِـتَـنٌ رَكَـدْنَ سُـهُـولُـهُـنَّ حُـزُونُ

فَبُغَاثُهَا مُسْتَنْسِرٌ وَشَرَارُهَا ... نَارٌ تُشَبُّ وَدُودُهَا تِنِّينُ

وَكَأَنَّمَا ٱلدُّنْيَا وَقَدْ شُحِنَتْ بِهَا ... بَحْرٌ تَكَفَّأَ فُلْكُهُ ٱلْمَشْحُونُ

وَٱرْمِ ٱلصُّفُوفَ بِمِثْلِهِنَّ وَشُنَّهَا ... شَعْوَاءَ يُنْسَىٰ عِنْدَهَا صِفِّينُ

وَٱشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ عَمِّكَ إِنَّهُ ... مَوْلَاكَ وَهْوَ بِمَا تُحِبُّ ضَمِينُ

وَٱطْلُعْ عَلَيْهِ بِرَايَةٍ مَنْصُورَةٍ ... إِقْبَالُهُ بِطُلُوعِهَا مَقْرُونُ

أَبَنِي ٱلْمُلُوكِ ٱلصِّيدِ إِنَّ وَرَاءَكُمْ ... خَطْباً إِذَا دَبَّرْتُمُوهُ يَهُونُ

مِنْ قَبْلِ ذَا خَانَ ٱلْأَمِينُ شَقِيقَهُ ... فَأُدِيلَ مِنْهُ لِبَغْيِهِ ٱلْمَأْمُونُ

غَلَبَ ٱلْعَبِيدُ عَلَىٰ مَقَرِّ سَرِيرِكُمْ ... وَٱلْعَبْدُ خَوَّارُ ٱلْقَنَاةِ مَهِينُ

هِيَ جَوْلَةُ ٱلضَّحَّاكِ عَمَّ بَلَاؤُهَا ... كُلَّ ٱلْأَنَامِ فَأَيْنَ أَفْرِيدُونُ

فَٱنْهَضْ لَهَا بِٱلْعَزْمِ يَكْنُفُهُ ٱلظُّبَا ... وَٱلسَّابِرِيَّةُ نَسْجُهَا مَوْضُونُ

وَٱعْصِفْ عَلَيْهِمْ بِٱلْقَوَاضِبِ عَصْفَةً ... تَذَرُ ٱلرِّقَابَ ٱلْغُلْبَ وَهْيَ دَرِينُ

كَايِلْهُمُ بِٱلصَّاعِ صَاعاً وَٱجْزِهِمْ ... بِتِرَاتِهِمْ إِنَّ ٱلتِّرَاتِ دُيُونُ

إِنَّ ٱلْهَوَىٰ وَٱلرَّأْيَ مَالَا نَحْوَكُمْ ... بِرَكَائِبِي وَهَوَى ٱلرِّجَالِ فُنُونُ

أَبْغِي نِهَايَاتِ ٱلْعُلَا وَسَجِيَّتِي ... تَأْبَى ٱلتَّوَسُّطَ فَٱلتَّوَسُّطُ هُونُ

فَٱسْلَمْ لِأُدْرِكَ فِيكَ مَا أَمَّلْتُهُ ... ظَنّاً وَظَنُّ ٱلْأَلْمَعِيِّ يَقِينُ

هٰذا الشعرُ يستعيدُكَ النظرَ فيهِ ، ويستدعيكَ التأمُّلَ في مطالعِهِ ومقاطعِهِ ؛ لتَعرفَ مِنْ أينَ كانَ عُلُوُّ رتبتِهِ مِنَ البلاغةِ ؛ فإنَّكَ لا تجدُ الشاعرَ قصدَ فيهِ إلى النّكاتِ وزخرفتِهِ بالمُحسِّناتِ كما هوَ حالُ المُتأخِّرينَ ، وإنَّما قصدَ أن يكونَ الشعرُ مُتخيَّرَ اللفظِ ، مُحكَمَ التركيبِ ، مُتحدِّرَ السلاسةِ ، لا يَتوقَّفُ اللسانُ في إنشادِهِ ، معَ صحَّةِ معانيهِ ، وتمكُّنِ حدودِ فصولِهِ

ومِمَّا يكادُ أن يكونَ مِنِ اختراعِ الوزيرِ المذكورِ جمعُهُ بينَ مدحِ الفتيانِ مِنْ حيِّ الأحبابِ وغزلِ الفتياتِ منهُم ، وقد تابعَهُ في ذٰلكَ وتَوسَّعَ شهابُ الدينِ معتوقٌ الموسويُّ مِنْ مُتأخِّري أهلِ الإجادةِ ، فأكثرُ غزلِهِ مِنْ أوَّلِهِ إلىٰ آخِرِهِ لا يخلو مِنْ ذٰلكَ



[مرثيةُ أبي الحسنِ التهاميِّ في ابنٍ لهُ]

ومِنْ شعرِ أبي الحسنِ التهاميِّ قصيدتُهُ الفريدةُ ، البالغةُ في بابِها غايةً لم يبلغْها سواها ، التي يرثي في أوَّلِها صغيراً لهُ أجابَ داعيَ ربِّهِ ، ويفتخرُ في آخِرِها بفضلِهِ ، ويشكو زمانَهُ وحاسديهِ ؛ وهيَ هٰذهِ[1] [من الكامل]

حُكْمُ ٱلْمَنِيَّةِ فِي ٱلْبَرِيَّةِ جَارِ ... مَا هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ
بَيْنَا يُرَى ٱلْإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِراً ... حَتَّىٰ يُرَىٰ خَبَراً مِنَ ٱلْأَخْبَارِ
طُبِعَتْ عَلَىٰ كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا ... صَفْواً مِنَ ٱلْأَقْذَارِ وَٱلْأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ ٱلْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا ... مُتَطَلِّبٌ فِي ٱلْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ
وَإِذَا رَجَوْتَ ٱلْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا ... تَبْنِي ٱلرَّجَاءَ عَلَىٰ شَفِيرٍ هَارِ
فَٱلْعَيْشُ نَوْمٌ وَٱلْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ ... وَٱلْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خَيَالٌ سَارِ
فَٱقْضُوا مَآرِبَكُمْ عِجَالاً إِنَّمَا ... أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ ٱلْأَسْفَارِ
وَتَرَاكَضُوا خَيْلَ ٱلشَّبَابِ وَبَادِرُوا ... أَنْ تُسْتَرَدَّ فَإِنَّهُنَّ عَوَارِ
فَٱلدَّهْرُ يَخْدَعُ بِٱلْمُنَىٰ وَيُغِصُّ إِنْ ... هَنَّا وَيَهْدِمُ مَا بَنَىٰ بِبَوَارِ
لَيْسَ ٱلزَّمَانُ وَإِنْ حَرَصْتَ مُسَالِماً ... خُلُقُ ٱلزَّمَانِ عَدَاوَةُ ٱلْأَحْرَارِ
إِنِّي وُتِرْتُ بِصَارِمٍ ذِي رَوْنَقٍ ... أَعْدَدْتُهُ لِطِلَابَةِ ٱلْأَوْتَارِ
وَٱلنَّفْسُ إِنْ رَضِيَتْ بِذَٰلِكَ أَوْ أَبَتْ ... مُنْقَادَةٌ بِأَزِمَّةِ ٱلْمِقْدَارِ
أُثْنِي عَلَيْهِ بِأَثْرِهِ وَلَوَ ٱنَّهُ ... لَمْ يَغْتَبِطْ أَثْنَيْتُ بِٱلْآثَارِ

(١) انظر « ديوان التهامي » (ص ٤٦١ ـ ٤٧٣)

يَا كَوْكَباً مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمْرَهُ وَكَذَاكَ عُمْرُ كَوَاكِبِ ٱلْأَسْحَارِ
وَهِلَالَ أَيَّامٍ مَضَىٰ لَمْ يَسْتَدِرْ بَدْراً وَلَمْ يُمْهَلْ لِوَقْتِ سِرَارِ
عَجِلَ ٱلْخُسُوفُ عَلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ فَمَحَاهُ قَبْلَ مَظِنَّةِ ٱلْإِبْدَارِ
وَٱسْتُلَّ مِنْ أَتْرَابِهِ وَلِدَاتِهِ كَٱلْمُقْلَةِ ٱسْتُلَّتْ مِنَ ٱلْأَشْفَارِ
فَكَأَنَّ قَلْبِي قَبْرُهُ وَكَأَنَّهُ فِي طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ
إِنْ يُعْتَبَطْ صِغَراً فَرُبَّ مُقَحَّمٍ يَبْدُو ضَئِيلَ ٱلشَّخْصِ لِلنُّظَّارِ
إِنَّ ٱلْكَوَاكِبَ فِي عُلُوِّ مَحَلِّهَا لَتُرَىٰ صِغَاراً وَهْيَ غَيْرُ صِغَارِ
وَلَدُ ٱلْمُعَزَّىٰ بَعْضُهُ فَإِذَا مَضَىٰ بَعْضُ ٱلْفَتَىٰ فَٱلْكُلُّ فِي ٱلْآثَارِ
أَبْكِيهِ ثُمَّ أَقُولُ مُعْتَذِراً لَهُ وُفِّقْتَ حِينَ تَرَكْتَ أَلْأَمَ دَارِ
جَاوَرْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَرَ رَبَّهُ شَتَّانَ بَيْنَ جِوَارِهِ وَجِوَارِي
أَشْكُو بُعَادَكَ لِي وَأَنْتَ بِمَوْضِعٍ لَوْلَا ٱلرَّدَىٰ لَسَمِعْتَ فِيهِ مَزَارِي
وَٱلشَّرْقُ نَحْوَ ٱلْغَرْبِ أَقْرَبُ شُقَّةً مِنْ بُعْدِ تِلْكَ ٱلْخَمْسَةِ ٱلْأَشْبَارِ
هَيْهَاتَ قَدْ عَلِقَتْكَ أَسْبَابُ ٱلرَّدَىٰ وَٱغْتَالَ عُمْرَكَ قَاطِعُ ٱلْأَعْمَارِ
وَلَقَدْ جَرَيْتَ كَمَا جَرَيْتُ لِغَايَةٍ فَبَلَغْتَهَا وَأَبُوكَ فِي ٱلْمِضْمَارِ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْطِقِي وَإِذَا سَكَتُّ فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِي
أُخْفِي مِنَ ٱلْبُرَحَاءِ نَاراً مِثْلَمَا يُخْفِي مِنَ ٱلنَّارِ ٱلزِّنَادُ ٱلْوَارِي
وَأُخَفِّضُ ٱلزَّفَرَاتِ وَهْيَ صَوَاعِدٌ وَأُكَفْكِفُ ٱلْعَبَرَاتِ وَهْيَ جَوَارِ
وَشِهَابُ نَارِ ٱلْحُزْنِ إِنْ طَاوَعْتَهُ أَوْرَىٰ وَإِنْ عَاصَيْتَهُ مُتَوَارِي

وَأَكُــفُّ نِــيــرَانَ ٱلْأَسَــىٰ وَلَــرُبَّــمَــا غُـلِـبَ ٱلـتَّـصَـبُّـرُ فَـٱرْتَـمَـتْ بِـشِـرَارِ

ثَـوْبُ ٱلـرِّيَـاءِ يَـشِـفُّ عَـمَّـا تَـحْـتَـهُ وَإِذَا ٱلْـتَـحَـفْـتَ بِـهِ فَـإِنَّـكَ عَـارِ

قَـصُـرَتْ جُـفُـونِي أَمْ تَـبَاعَـدَ بَيْنُـهَا أَمْ صُـوِّرَتْ عَـيْـنِـي بِـلَا أَشْـفَـارِ

جَـفَـتِ ٱلْـكَـرَىٰ حَـتَّـىٰ كَـأَنَّ غِـرَارَهُ عِـنْـدَ ٱغْـتِـمَـاضِ ٱلْـعَـيْـنِ وَخْـزُ غِـرَارِ

وَلَـوِ ٱسْـتَـزَارَتْ رَقْـدَةٌ لَـطَـحَـا بِـهَـا مَـا بَـيْـنَ أَجْـفَـانِـي مِـنَ ٱلـتَّـيَّـارِ

أُحْيِي ٱللَّيَالِي ٱلتِّمِّ وَهْيَ تُمِيتُنِي وَيُـمِـيـتُـهُـنَّ تَـبَـلُّـجُ ٱلْأَسْـحَـارِ

حَـتَّـىٰ رَأَيْـتُ ٱلـصُّـبْـحَ تَـهْـتِـكُ كَـفُّـهُ بِـٱلـضَّـوْءِ رَفْـرَفَ خَـيْـمَـةٍ كَـٱلْـقَـارِ

وَٱلـصُّـبْـحُ قَـدْ غَـمَـرَ ٱلـنُّـجُـومَ كَـأَنَّـهُ سَـيْـلٌ طَـغَـا فَـطَـفَـا عَـلَى ٱلـنُّـوَّارِ

لَوْ كُنْتَ تُمْنَعُ خَاضَ دُونَكَ فِتْيَةٌ مِـنَّـا بِـحَـارَ عَـوَامِـلٍ وَشِـفَـارِ

وَدَحَـوْا فُـوَيْـقَ ٱلْأَرْضِ أَرْضـاً مِـنْ دَمٍ ثُـمَّ ٱنْـثَـنَـوْا فَـبَـنَـوْا سَـمَـاءَ غُـبَـارِ

قَـوْمٌ إِذَا لَـبِـسُـوا ٱلـدُّرُوعَ حَـسِـبْـتَـهَـا خُـلُـجـاً تَـمُـدُّ بِـهَـا أَكُـفُّ بِـحَـارِ

لَوْ أَشْرَعُوا أَيْمَانَهُمْ فِي طُولِهَا طَعَنُوا بِهَا عَوْضَ ٱلْقَنَا ٱلْخَطَّارِ

جَنَبُوا ٱلْجِيَادَ إِلَى ٱلْمَطِيِّ وَرَاوَحُوا بَـيْـنَ ٱلـسُّـرُوجِ هُـنَـاكَ وَٱلْأَكْـوَارِ

وَكَـأَنَّـمَـا مَـلَـؤُوا عِـيَـابَ دُرُوعِـهِـمْ وَغُـمُـودَ أَنْـصُـلِـهِـمْ سَـرَابَ قِـفَـارِ

وَكَـأَنَّـمَـا صَـنَـعُ ٱلـسَّـوَابِـغِ عَـزَّهُ مَـاءُ ٱلْـحَـدِيـدِ فَـصَـاغَ مَـاءَ قَـرَارِ

زَرَداً فَـأَحْـكَـمَ كُـلَّ مُـوصَـلِ حَـلْـقَـةٍ بِـحُـبَـابِـهِ فِـي مَـوْضِـعِ ٱلْـمِـسْـمَـارِ

فَـتَـسَـرْبَـلُـوا بِـمُـتُـونِ مَـاءٍ جَـامِـدٍ وَتَـقَـنَّـعُـوا بِـحُـبَـابِ مَـاءٍ جَـارِ

أُسْـدٌ وَلَـٰكِنْ يُـؤْثِـرُونَ بِـزَادِهِـمْ وَٱلْأُسْـدُ لَـيْـسَ تَـدِيـنُ بِـٱلْإِيـثَـارِ

يَتَزَيَّنُ ٱلنَّادِي بِحُسْنِ وُجُوهِهِمْ كَتَزَيُّنِ ٱلْهَالاَتِ بِٱلأَقْمَارِ

يَتَعَطَّفُونَ عَلَى ٱلْمُجَاوِرِ فِيهِمُ بِٱلْمُنْفِسَاتِ تَعَطُّفَ ٱلأَظْآرِ

مِنْ كُلِّ مَنْ جَعَلَ ٱلظُّبَا أَنْصَارَهُ وَكَرُمْنَ وَٱسْتَغْنَىٰ عَنِ ٱلأَنْصَارِ

وَإِذَا هُوَ ٱعْتَقَلَ ٱلْقَنَاةَ حَسِبْتَهَا صِلاًّ تَأَبَّطَهُ هِزَبْرٌ ضَارِ

وَٱللَّيْثُ إِنْ ثَاوَرْتَهُ لَمْ يَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَى ٱلأَنْيَابِ وَٱلأَظْفَارِ

[زَرَدَ] ٱلدِّلَاصَ مِنَ ٱلطِّعَانِ [بِرُمْحِهِ] فِي ٱلْجَحْفَلِ ٱلْمُتَضَايِقِ ٱلْجَرَّارِ (١)

مَا بَيْنَ ثَوْبٍ بِٱلدِّمَاءِ مُضَمَّخٍ زَلَقٍ وَنَقْعٍ بِٱلطِّرَادِ مُثَارِ

وَٱلْهُونُ فِي ظِلِّ ٱلْهُوَيْنَىٰ كَامِنٌ وَجَلَالَةُ ٱلأَخْطَارِ فِي ٱلإِخْطَارِ

تَنْدَىٰ أَسِرَّةُ وَجْهِهِ وَيَمِينُهُ فِي حَالَةِ ٱلإِعْسَارِ وَٱلإِيسَارِ

وَيَمُدُّ نَحْوَ ٱلْمَكْرُمَاتِ أَنَامِلاً لِلرِّزْقِ فِي أَثْنَائِهِنَّ مَجَارِ

يَحْوِي ٱلْمَعَالِي كَاسِباً أَوْ غَالِباً أَبَداً [يُدَانِي] دُونَهَا وَيُدَارِي

قَدْ لَاحَ فِي لَيْلِ ٱلشَّبَابِ كَوَاكِبٌ إِنْ أُمْهِلَتْ آلَتْ إِلَى ٱلإِسْفَارِ

وَتَلَهُّبُ ٱلأَحْشَاءِ شَيَّبَ مَفْرِقِي هَٰذَا ٱلضِّيَاءُ شُوَاظُ تِلْكَ ٱلنَّارِ

شَابَ ٱلْقَذَالُ وَكُلُّ غُصْنٍ صَائِرٌ فَيْنَانُهُ ٱلأَحْوَىٰ إِلَى ٱلإِزْهَارِ

وَٱلشِّبْهُ مُنْجَذِبٌ فَلِمْ [بِيضُ] ٱلدُّمَىٰ عَنْ بِيضِ مَفْرِقِهِ ذَوَاتُ نِفَارِ

وَتَوَدُّ لَوْ جَعَلَتْ سَوَادَ قُلُوبِهَا وَسَوَادَ أَعْيُنِهَا خِضَابَ عِذَارِ

---

(١) في « ديوان التهامي » (ص ٤٦٦)

زَرَدَ ٱلدِّلَاصَ مِنَ ٱلطِّعَانِ بِرُمْحِهِ مِثْلُ ٱلأَسَاوِرِ فِي يَدِ ٱلإِسْوَارِ

وَيَجُرُّ حِينَ يَجُرُّ صَعْدَةَ رُمْحِهِ فِي ٱلْجَحْفَلِ ٱلْمُتَضَايِقِ ٱلْجَرَّارِ

لَا تَنْفِرُ ٱلظَّبْيَاتُ عَنْهُ فَقَدْ رَأَتْ ... كَيْفَ ٱخْتِلَافُ ٱلنَّبْتِ فِي ٱلْأَطْوَارِ
شَيْئَانِ يَنْقَشِعَانِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ ... ظِلُّ ٱلشَّبَابِ وَخُلَّةُ ٱلْأَشْرَارِ
لَا حَبَّذَا ٱلشَّيْبُ ٱلْوَفِيُّ وَحَبَّذَا ... ظِلُّ ٱلشَّبَابِ ٱلْخَائِنِ ٱلْغَدَّارِ
وَطَرِي مِنَ ٱلدُّنْيَا ٱلشَّبَابُ وَرُوقُهُ ... فَإِذَا ٱنْقَضَىٰ فَقَدِ ٱنْقَضَتْ أَوْطَارِي
قَصُرَتْ مَسَافَتُهُ وَمَا حَسَنَاتُهُ ... عِنْدِي وَلَا آلَاؤُهُ بِقِصَارِ
نَزْدَادُ هَمّاً كُلَّمَا ٱزْدَدْنَا غِنىً ... وَٱلْفَقْرُ كُلُّ ٱلْفَقْرِ فِي ٱلْإِكْثَارِ
مَا زَادَ فَوْقَ ٱلزَّادِ خَلَّفَ ضَائِعاً ... فِي حَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ أَوْ عَارِ
إِنِّي لَأَرْحَمُ حَاسِدِيَّ لِحَرِّ مَا ... [ضَمَّتْ] صُدُورُهُمُ مِنَ ٱلْأَوْغَارِ
نَظَرُوا صَنِيعَ ٱللهِ بِي فَعُيُونُهُمْ ... فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ فِي نَارِ
لَا ذَنْبَ لِي قَدْ رُمْتُ كَتْمَ فَضَائِلِي ... فَكَأَنَّمَا بُرْقِعْتُ وَجْهَ [نَهَارِ]
وَسَتَرْتُهَا بِتَوَاضُعِي فَتَطَلَّعَتْ ... أَعْنَاقُهَا تَعْلُو عَلَى ٱلْأَسْتَارِ
وَمِنَ ٱلرِّجَالِ مَعَالِمٌ وَمَجَاهِلٌ ... وَمِنَ ٱلنُّجُومِ غَوَامِضٌ وَدَرَارِي
وَٱلنَّاسُ مُشْتَبِهُونَ فِي إِيرَادِهِمْ ... وَتَفَاضُلُ ٱلْأَقْوَامِ فِي ٱلْإِصْدَارِ
عَمْرِي لَقَدْ أَوْطَأْتُهُمْ طُرُقَ ٱلْعُلَا ... فَعَمُوا فَلَمْ يَقِفُوا عَلَىٰ آثَارِي
لَوْ أَبْصَرُوا بِقُلُوبِهِمْ لَٱسْتَبْصَرُوا ... وَعَمَى ٱلْبَصَائِرِ مِنْ عَمَى ٱلْأَبْصَارِ
هَلَّا سَعَوْا سَعْيَ ٱلْكِرَامِ فَأَدْرَكُوا ... أَوْ سَلَّمُوا لِمَوَاقِعِ ٱلْأَقْدَارِ
وَفَشَتْ خِيَانَاتُ ٱلثِّقَاتِ وَغَيْرِهِمْ ... حَتَّى ٱتَّهَمْنَا رُؤْيَةَ ٱلْأَبْصَارِ
وَلَرُبَّمَا ٱعْتَضَدَ ٱلْحَلِيمُ بِجَاهِلٍ ... لَا خَيْرَ فِي يُمْنَىٰ بِغَيْرِ يَسَارِ

[مِنْ شعرِ التهاميّ في مدحِ الأميرِ أبي نصرِ بنِ مروانَ]

وقولُهُ يَمدحُ الأميرَ نصيرَ الدَّولةِ أبا نصرِ بنَ مروانَ بميّافارقينَ[1]

[من البسيط]

عَبِسْنَ مِنْ شَعَرٍ فِي ٱلرَّأْسِ مُبْتَسِمِ ... مَا نَفَّرَ ٱلْبِيضَ مِثْلُ ٱلْبِيضِ فِي ٱللِّمَمِ

ظَنَّتْ شَبِيبَتَهُ تَبْقَىٰ وَمَا عَلِمَتْ ... أَنَّ ٱلشَّبِيبَةَ مَرْقَاةٌ إِلَى ٱلْهَرَمِ

مَا شَابَ عَزْمِي وَلَا حَزْمِي وَلَا خُلُقِي ... وَلَا وَفَائِي وَلَا دِينِي وَلَا كَرَمِي

وَإِنَّمَا ٱعْتَاض رَأْسِي غَيْرَ صِبْغَتِهِ ... وَٱلشَّيْبُ فِي ٱلرَّأْسِ دُونَ ٱلشَّيْبِ فِي ٱلشِّيَمِ

بِٱلنَّفْسِ قَائِلَةٌ فِي يَوْمِ رِحْلَتِنَا ... هَوَاكَ عِنْدِي فَسِرْ إِنْ شِئْتَ أَوْ أَقِمِ

فَبُحْتُ وَجْداً فَلَامَتْنِي فَقُلْنَ لَهَا ... لَا تَعْذُلِيهِ فَلَمْ يَلْؤُمْ وَلَمْ يَلُمِ

لَمَّا صَفَا قَلْبُهُ شَفَّتْ سَرَائِرُهُ ... وَٱلشَّيْءُ فِي كُلِّ صَافٍ غَيْرُ مُكْتَتَمِ

بَعْضُ ٱلتَّفَرُّقِ أَدْنَىٰ لِلِّقَاءِ وَكَمْ ... لَاءَمْتَ شَمْلاً بِشَمْلٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ

كَيْفَ ٱلْمُقَامُ بِأَرْضٍ لَا يُخَافُ بِهَا ... وَلَا يُرَجَّىٰ شَبَا رُمْحِي وَلَا قَلَمِي

فَقَبَّلَتْنِيَ تَوْدِيعاً فَقُلْتُ لَهَا ... كُفِّي فَلَيْسَ ٱرْتِشَافُ ٱلْخَمْرِ مِنْ شِيَمِي

لَوْ لَمْ يَكُنْ رِيقُهَا خَمْراً لَمَا ٱنْتَطَقَتْ ... بِلُؤْلُؤٍ مِنْ حَبَابِ ٱلثَّغْرِ مُنْتَظِمِ

وَلَوْ تَيَقَّنْتُ غَيْرَ ٱلرَّاحِ فِي فَمِهَا ... مَا كُنْتُ مِمَّنْ يَصِيدُ ٱللَّثْمَ بِٱللَّثَمِ

وَزَادَ رِيقَتَهَا فِي ثَغْرِهَا شِيَماً ... عَلَىٰ حَصَىٰ بَرَدٍ مِنْ ثَغْرِهَا شَبِمِ

إِنِّي لَأَطْرُفُ طَرْفِي عَنْ مَحَاسِنِهَا ... تَكَرُّماً وَأَكُفُّ ٱلْكَفَّ عَنْ أَمَمِ

وَلَا أَهُمُّ وَلِي نَفْسٌ تُنَازِعُنِي ... أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ إِلَّا سَاعَةَ ٱلْحُلُمِ

---

(١) انظر « ديوان التهامي » (ص ٣٣٣ ـ ٣٥٠)

لَا أَكْفُرُ ٱلطَّيْفَ نُعْمَىٰ أَنْشَرَتْ رِمَماً ... مِنَّا كَمَا تَفْعَلُ ٱلْأَرْوَاحُ بِٱلرِّمَمِ
حَيًّا فَأَحْيَا فَأَغْنَتْنَا زِيَارَتُهُ ... عَنِ ٱغْتِسَافِ ٱلْفَلَا بِٱلْأَيْنُقِ ٱلرُّسُمِ
وَصْلُ ٱلْخَيَالِ وَوَصْلُ ٱلْخَوْدِ إِنْ بَخِلَتْ ... سِيَّانِ مَا أَشْبَهَ ٱلْوُجْدَانَ بِٱلْعَدَمِ
وَٱلدَّهْرُ كَٱلطَّيْفِ بُؤْسَاهُ وَأَنْعُمُهُ ... عَنْ غَيْرِ فَضْلٍ فَلَا تَمْدَحْ وَلَا تَلُمِ
لَا تَحْمَدِ ٱلدَّهْرَ فِي بَأْسَاءَ يَكْشِفُهَا ... فَلَوْ أَرَدْتَ دَوَامَ ٱلْبُؤْسِ لَمْ يَدُمِ
خَالِفْ هَوَاكَ فَلَوْلَا أَنَّ أَهْوَنَهُ ... سِحْرٌ لَمَا ٱقْتُنِصَ ٱلْعِقْبَانُ بِٱلرَّخَمِ
تَرْجُو ٱلشِّفَاءَ بِجَفْنَيْهَا وَسُقْمِهِمَا ... وَهَلْ رَأَيْتَ شِفَاءً جَاءَ مِنْ سَقَمِ
وَتَدَّعِي بِصَبَا نَجْدٍ فَإِنْ خَطَرَتْ ... كَانَتْ جَوىً لَكَ دُونَ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمِ
وَكَيْفَ يُطْفِي صَبَا نَجْدٍ صَبَابَتَهُ ... وَٱلرِّيحُ زَائِدَةٌ فِي كُلِّ مُضْطَرِمِ
أَصْبُو وَأَصْحُو وَلَمْ يَكْلَمْ بِبَائِقَةٍ ... عِرْضِي كَمَا تُكْلَمُ ٱلْأَعْرَاضُ بِٱلْكَلِمِ
وَلَا أُحِبُّ ثَنَاءً لَا يُصَدِّقُهُ ... فِعْلِي وَلَا أَرْتَضِي فِي ٱلْمَجْدِ بِٱلتُّهَمِ
لَا تَحْسَبِي حَسَبَ ٱلْآبَاءِ مَكْرُمَةً ... لِمَنْ يُقَصِّرُ عَنْ غَايَاتِ مَجْدِهِمِ
حُسْنُ ٱلرِّجَالِ بِحُسْنَاهُمْ وَفَخْرُهُمُ ... بِطَوْلِهِمْ فِي ٱلْمَعَالِي لَا بِطُولِهِمِ
مَا ٱغْتَابَنِي حَاسِدٌ إِلَّا شَرُفْتُ بِهِ ... فَحَاسِدِي مُنْعِمٌ فِي زِيِّ مُنْتَقِمِ
فَٱللهُ يَكْلَأُ حُسَّادِي بِأَنْعُمِهِمْ ... عِنْدِي وَإِنْ وَقَعَتْ عَنْ غَيْرِ قَصْدِهِمِ
يُنَبِّهُونَ عَلَىٰ فَضْلِي إِذَا كُتِبَتْ(١) ... صَحِيفَتِي فِي ٱلْمَعَالِي عُنْوِنَتْ بِهِمِ
يَا طَالِبَ ٱلْمَجْدِ فِي ٱلْآفَاقِ مُجْتَهِداً ... وَٱلْمَجْدُ أَقْرَبُ مِنْ سَاقٍ إِلَىٰ قَدَمِ

---

(١) في « ديوان التهامي » (ص ٣٣٩) (كُبِتَتْ)

قُلْ نَصْرُ دَوْلَةِ دِينِ ٱللهِ لِي أَمَلٌ ... قَوْلِي وَقَدْ نِلْتَ أَقْصَىٰ غَايَةِ ٱلْهِمَمِ

كَمْ حِدْتُ عَنْهُ فَنَادَتْنِي فَضَائِلُهُ ... يَا حَاتِمَ ٱلْأَدَبِ ٱمْدَحْ حَاتِمَ ٱلْكَرَمِ

وَقَادَنِي نَحْوَهُ ٱلتَّوْفِيقُ ثُمَّ دَعَا ... هَـٰذَا ٱلطَّرِيقُ إِلَى ٱلْعَلْيَاءِ فَٱسْتَقِمِ

وَقَصْرُهُ عَرَفَاتُ ٱلْعُرْفِ فَٱغْنَ بِهِ ... وَكَفُّهُ كَعْبَةُ ٱلْعَلْيَاءِ فَٱسْتَلِمِ

تَرَى ٱلْمُلُوكَ عَلَىٰ أَبْوَابِهِ عُصَباً ... وَفْداً فَدَعْ غَيْرَهُمْ مِنْ سَائِرِ ٱلْأُمَمِ

يَحُفُّهُ كُلُّ مَحْفُوفٍ [بِمَوْكِبِهِ] ... عِزّاً وَيَخْدُمُهُ ذُو ٱلْجُنْدِ وَٱلْخَدَمِ

تَظَلُّ مُزْدَحِمَاتٍ فِي مَوَاكِبِهِ ... تِيجَانُ كُلِّ مَهِيبِ ٱلْبَأْسِ وَٱلنِّقَمِ

تَفَيَّؤُوا ظِلَّ مُلْكٍ مِنْهُ مُحْتَشَمٍ ... وَرُبَّ مُلْكٍ مُذَالٍ غَيْرِ مُحْتَشَمِ

وَٱلْمُلْكُ كَٱلْغَابِ مِنْهُ خِدْرُ ذِي لِبَدٍ ... وَمِنْهُ مُرْتَبَعٌ لِلشَّاءِ وَٱلنَّعَمِ

هُمْ أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ أَقْدَاراً وَمَقْدِرَةً ... لَـٰكِنْ أَتَىٰ فَضْلُهُ مِنْ دُونِ فَضْلِهِمِ

إِذَا بَدَا طَبَّقَ ٱلتَّقْبِيلُ سَاحَتَهُ ... فَمَا عَلَى ٱلْأَرْضِ شِبْرٌ غَيْرُ مُلْتَثَمِ

فَسَاحَةُ ٱلثَّغْرِ ثَغْرٌ أَشْنَبٌ رَتَلٌ ... مُفَلَّجٌ فَهْوَ مَرْشُوفٌ بِكُلِّ فَمِ

كَأَنَّ أَرْضَكَ مِغْنَاطِيسُ كُلِّ فَمٍ ... فَٱلطَّبْعُ يَجْذِبُهَا بِٱلطَّوْعِ وَٱلرَّغَمِ

لَمَّا عَلَوْتَ غَمَرْتَ ٱلْعَالَمِينَ نَدىً ... وَٱلْمُزْنُ تَعْلُو فَتُرْوِي ٱلْأَرْض بِٱلدِّيَمِ

تَرْقَا وَمَا رَقَأَتْ نُعْمَاكَ عَنْ أَحَدٍ ... بُورِكْتَ بُورِكْتَ مِنْ عَالٍ وَمُنْسَجِمِ

مُقَسَّمٌ فِي ٱلْعُلَا لِلْيُمْنِ يَمْنَتُهُ ... وَٱلْيُسْرِ يُسْرَتُهُ وَٱلْكُلُّ لِلْكَرَمِ

إِنْ قَالَ لَا فَهْيَ آلَاءٌ مُضَاعَفَةٌ ... وَإِنْ يَقُلْ نَعَماً أَفْضَتْ إِلَىٰ نِعَمِ

تَبْدُو صَرَامَتُهُ فِي مَاءِ غُرَّتِهِ ... وَٱلْمَاءُ بَعْضُ صِفَاتِ ٱلصَّارِمِ ٱلْخَذِمِ

هُوَ ٱلْجَرِيءُ عَلَىٰ مَالٍ يَجُودُ بِهِ ... وَٱلْكَرُّ فِي ٱلْجُودِ مِثْلُ ٱلْكَرِّ فِي ٱلْبُهَمِ

مُـفَـرَّقُ ٱلْـجُـودِ مَـقْـسُـومٌ مَـوَاهِـبُـهُ فِي عِلْيَةِ ٱلنَّاسِ وَٱلْأَوْسَاطِ وَٱلْحَشَمِ
وَٱلْغَيْثُ إِنْ جَادَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَزَّعَهُ بَيْنَ ٱلشَّنَاخِيبِ وَٱلْغِيطَانِ وَٱلْأَكَمِ
بِـهِ إِلَـىٰ كُـلِّ شَـرْبٍ لِـلْـعُـلَا ظَـمَـأٌ بَرْحٌ وَمَهْمَا ٱرْتَوَىٰ مِنْ مَائِهِنَّ ظَمِي
وَيَـعْـتَـرِيـهِ إِلَـىٰ بَـذْلِ ٱلـلُّـهَـىٰ نَـهَـمٌ وَٱلـظَّـرْفُ أَجْـمَـعُـهُ فِي ذَٰلِكَ ٱلـنَّـهَـمِ
إِلَـيْكَ نَـظَّـمْـتُ أَجْوازَ ٱلْـفَـلَاةِ عَـلَـىٰ وَجْنَاءَ تَهْوَى ٱنْقِضَاضَ ٱلْجَارِحِ ٱلْقَرِمِ
كَـأَنَّـمَـا ٱلْـبِيدُ مِنْ دَامِي مَنَاسِمِهَا مَـصَـاحِـفٌ كُـتِـبَـتْ أَعْـشَـارُهَـا بِـدَمِ
أَخْفَافُهَا شَاكِلَاتٌ كُلَّ [مُشْكِلَةٍ] بِـحُـمْـرَةٍ مُـعْـجَـمَـاتٌ كُـلَّ مُـنْـعَـجِـمِ
وَأَدْهَـمٌ وَاضِـحُ ٱلْأَوْضَـاحِ مُـشْـتَـرِكٌ بَـيْـنَ ٱلـنَّـهَـارِ وَبَـيْـنَ ٱللَّـيْـلِ مُـنْـقَـسِـمِ
لِـلـضَّـوْءِ أَرْسَـاغُـهُ إِلَّا حَـوَافِـرَهُ فَـإِنَّـهُـنَّ مَـعَ ٱلْـجِـلْـبَـابِ لِـلـظُّـلَـمِ
مُـحْـلَـوْلِكٌ عَلِقَ ٱلتَّـحْـجِيلُ أَكْرُعَهُ كَـمَـا تَـعَـلَّـقَ بَـدْءُ ٱلـنَّـارِ بِـٱلْـفَـحَـمِ
جَرَىٰ فَـجَـلَّـىٰ مُـحَـيَّـا ٱلصُّبْحِ غُـرَّتَـهُ لَـثْـمـاً وَمَـسَّـحَ بِـٱلْأَرْسَـاغِ وَٱلْـحَـذَمِ
أَضْـحَىٰ لِعَذْلِكَ ثَغْرُ ٱلثَّغْرِ مُبْتَسِماً وَكَـانَ قَـبْـلُ عَـبُـوساً غَـيْـرَ مُـبْـتَـسِـمِ
مَـا يَـنْـقِـمُ ٱلـثَّـغْـرُ إِلَّا أَنْ مَـحَـوْتَ بِـهِ لَيْلاً مِنَ ٱلظُّلْمِ كَانُوا مِنْهُ فِي ظُلَمِ
عَـفَـفْـتَ عَـنْـهُـمْ فَـزَادُوا عِـفَّـةً وَتُـقـىً فَـهُـمْ مِنَ ٱلْأَمْنِ وَٱلْإِيمَانِ فِي حَرَمِ
قَـدْ عَـظَّـمَ ٱللهُ أَمْـلَاكـاً مَـلَـكْـتَ بِـهَـا بَنِي عَقِيلٍ وَمَا يَحْوُونَ مِنْ نِعَمِ
لَوْ لَمْ تَحُزْهَا أَبَا نَصْرٍ لَمَا وَجَدَتْ كُـفْـئـاً يُـشَـاكِـلُ فِي أَصْـلٍ وَلَا كَـرَمِ
لَوْ تَطْلُبُ ٱلشَّمْسُ غَيْرَ ٱلْبَدْرِ مَا ٱتَّصَلَتْ بِـمِـثْـلِـهِ فِي سَـنَـاءِ ٱلْـقَـدْرِ وَٱلْـعِـظَـمِ
زَادَتْ إِلَـىٰ عِـزِّهَـا عِـزّاً بِـهَـا مُـضَـرٌ وَرُبَّـمَـا صِـيـدَتِ ٱلْـعَـلْـيَـاءُ بِـٱلْـحُـرَمِ
خَـمْـسُـونَ أَلْفاً يُغَطِّي ٱلْبَرَّ جَمْعُهُمُ بِـمَـوْجِ بَـحْـرٍ مِـنَ ٱلْـمَـاذِيِّ مُـلْـتَـطِـمِ

مِـنْ كُـلِّ مَـنْ يَـتَـلَـقَّـىٰ وَجْـهَ زَائِـرِهِ بِـكَـوْكَـبٍ كَـهِـلَالِ ٱلْـفِـطْـرِ مُـلْـتَـئِـمِ
يُـحَـزَّبُـونَ عَـلَـىٰ مَـخْـبُـورَةٍ غَـنِـيَـتْ عَـنِ ٱلْأَعِـنَّـةِ وَٱسْـتَـغْـنَـوْا عَـنِ ٱلْـحُـزُمِ (١)
لِصَاهِلِ ٱلْخَيْلِ مِنْ تَحْتِ ٱلرِّمَاحِ بِهِمْ كَمَا تَزَاءَرَ غُلْبُ ٱلْأُسْدِ فِي ٱلْأُجُمِ
قَوْمٌ يَرَوْنَ ٱحْتِضَارَ ٱلْعُمْرِ مَكْرُمَةً فَلَيْسَ تُفْضِي بِهِمْ سِنٌّ إِلَىٰ هَرَمِ
وَنَغْمَةُ ٱلسَّيْفِ أَحْلَىٰ نَغْمَةٍ خُلِقَتْ إِذَا تَرَنَّمَ بَعْدَ ٱلْبِيضِ فِي ٱللِّمَمِ
وَٱلْعَيْشُ فِي لَفِّ أَفْرَاسٍ مُكَلَّمَةٍ بِمِثْلِهِنَّ وَفُرْسَانٌ بِمِثْلِهِمِ
إِذِ ٱلْأَسِنَّةُ فِي ٱلْهَيْجَاءِ أَلْسِنَةٌ يُعْرِبْنَ عَنْ كُلِّ مِقْدَامٍ وَمُنْهَزِمِ
مُحْمَرَّةٌ مِنْ دَمِ ٱلْأَبْطَالِ أَنْصُلُهُمْ كَأَنَّمَا نَصَلُوا ٱلْأَرْمَاحَ بِٱلْعَنَمِ
قَدْ كُنْتُ أُنْكِرُ شِعْرِي حِينَ حَاوَلَهُ مِنِّي وَحَاشَاكَ أَمْلَاكٌ بِلَا هِمَمِ
لَا يَأْلَمُونَ لِنَقْصِ ٱلْبُخْلِ وَهْوَ بِهِمْ مُبَرِّحٌ كَيْفَ لِلْأَمْوَاتِ بِٱلْأَلَمِ
خَيْرُ ٱلْمَنَاقِبِ مَا كَانَ ٱلْبَيَانُ لَهُ سِلْكاً وَفُصِّلَ بِٱلْأَمْثَالِ وَٱلْحِكَمِ
[رِثْ] كُلَّ مَنْ بَخِلَتْ كَفَّاهُ مِنْ مَلِكٍ فَأَكْثَرُ ٱلنَّاسِ خُزَّانٌ لِغَيْرِهِمِ
ذُو ٱلْجُودِ يُورِثُ فِي مَحْيَاهُ أَنْعُمَهُ وَٱلنِّكْسُ يُورَثُ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ وَٱلْعَدَمِ
وَقِيمَةُ ٱلْمَرْءِ مَا جَادَتْ بِهِ يَدُهُ وَقَدْرُكَ ٱلْأَنْفَسُ ٱلْأَعْلَىٰ مِنَ ٱلْقِيَمِ
وَٱلْفَضْلُ أَشْيَاءُ شَتَّىٰ أَنْتَ جُمْلَتُهَا وَصِيغَةٌ أَنْتَ مَعْنَاهَا فَدُمْ [تَدُمِ]

بينَ القصيدتَينِ بونٌ بعيدٌ والشاعرُ واحدٌ ، فما كلُّ حينٍ يَجودُ الطَّبعُ بما تهوى النفوسُ ، وما أردأَ تشبيهَهُ ـ وهوَ عنهُ في غنيةٍ ـ في قولِهِ (كأنَّما البيدُ مِنْ دامي مناسِمِها) البيتَ ؛ فإنَّهُ جمعَ إلىٰ سوءِ الأدبِ كونَهُ صورةً

(١) في « ديوان التهامي » (ص ٣٤٧)
مُـجَـزَّبُـونَ عَـلَـىٰ مَـخْـبُـورَةٍ غَـنِـيَـتْ عَـنِ ٱلْأَعِـنَّـةِ فَـٱسْـتَـغْـنَـوْا عَـنِ ٱلْـحُـزُمِ

اختراعيةً ليسَ لها في الخارجِ واقعٌ ؛ إذ ليسَ مِنَ المعهودِ أن تُكتَبَ أعشارُ المصاحفِ بالدمِ

وبعدُ فليسَ في القصيدةِ غيرُ أبياتٍ ، وإنَّما أوردتُها لتعرفَ ما أشرنا إليهِ مِنْ تفاوتِ القولِ حتىٰ على الشاعرِ الواحدِ ، فلا تَغترَّ بشهرةِ المشهورِ ولٰكنْ تُحكِّمُ معرفتَكَ ، وعرضُ [ما] تجدُهُ علىٰ ما تَقرَّرَ مِنَ القوانينِ التي بموافقتِها ومخالفتِها يردأُ القولُ ويجودُ



[قصيدةٌ للأَرَّجانيِّ في مدحِ المسترشدِ باللهِ]

هٰذا ؛ وليسَ يَقصُرُ عن درجةِ هٰؤلاءِ خاتمةُ هٰذهِ الطَّبقةِ القاضي ناصحُ الدِّينِ أحمدُ الأَرَّجانيُّ ، وكانَ مُكثِراً ، حتىٰ قيلَ إنَّهُ كانَ فرض علىٰ نفسِهِ أن يقولَ كلَّ يومٍ ولو أربعةَ أبياتٍ ، لٰكنِ المُدوَّنُ مِنْ شعرِهِ قليلٌ ، وهٰذا مثالُهُ

قالَ يمدحُ الإمامَ المسترشدَ باللهِ[1] [من الطويل]

كَأَنَّكَ بِٱلْأَحْبَابِ قَدْ جَدَّدُوا ٱلْعَهْدَا ... وَأَنْجَزَتِ ٱلْأَيَّامُ مِنْ وَصْلِهِمْ وَعْدَا

وَعَادُوا إِلَىٰ مَا عَوَّدُونَا فَأَصْبَحُوا ... وَقَدْ أَنْعَمَتْ نُعْمٌ وَقَدْ أَسْعَدَتْ سُعْدَىٰ

أَمَانِيَ لَا تُدْنِي نَوىً غَيْرَ أَنَّهَا ... تُعَلِّلُ مِنَّا أَنْفُساً مُلِئَتْ وَجْدَا

وَجَمْرَةُ شَوْقٍ كُلَّمَا لَامَ لَائِمٌ ... وَرَدَّدَ مِنْ أَنْفَاسِهِ زَادَهَا وَقْدَا

أَحِنُّ إِلَىٰ لَيْلَىٰ عَلَىٰ قُرْبِ دَارِهَا ... حَنِينَ ٱلَّذِي يَشْكُو لِأُلَّافِهِ بُعْدَا

وَلِي سِلْكُ جِسْمٍ مِلْؤُهُ دُرُّ أَدْمُعٍ ... فَلَوْلَا ٱلْعِدَا أَمْسَيْتُ فِي جِيدِهَا عِقْدَا

أُكَتِّمُ جَهْدِي حُبَّهَا وَهْوَ قَاتِلِي ... وَكَامِنُ نَارِ ٱلزَّنْدِ لَا يُحْرِقُ ٱلزَّنْدَا

هِلَالِيَّةٌ قَوْماً وَبُعْداً مَنَازِلٍ ... فَهَلْ مِنْ سَناً مِنْهَا إِلَىٰ مُقْلَةٍ يُهْدَىٰ

غَزَالِيَّةٌ لِلنَّاظِرِينَ إِذَا بَدَتْ ... إِنِ ٱنْتَقَبَتْ عَيْناً وَإِنْ سَفَرَتْ خَدَّا

إِذَا زُرْتُهَا جَرَّ ٱلرِّمَاحَ فَوَارِسٌ ... لِتَقْصِيدِهَا فِيمَنْ يَرُومُ لَهَا قَصْدَا

وَحَالُوا بِأَطْرَافِ ٱلْقَنَا دُونَ ثَغْرِهَا ... كَمَا [ثَارَ] يَحْمِي ٱلنَّحْلُ بِٱلْإِبَرِ ٱلشَّهْدَا

وَآخِرُ عَهْدِي يَوْمَ جَرْعَاءِ مَالِكٍ ... بِمُنْعَرَجِ ٱلْوَادِي وَأَظْعَانُهُمْ تُحْدَىٰ

---

(١) انظر « ديوان الأرجاني » (١/٣٣٢ ـ ٣٤٠)

وَلَمَّا دَنَتْ وَٱلسِّتْرُ مُرْخىً وَدُونَهَا غَيَارَىٰ غَدَتْ تَغْلِي صُدُورُهُمُ حِقْدَا
تَقَدَّمْتُ أَبْغِي أَنْ أَبِيعَ بِنَظْرَةٍ إِلَىٰ سِجْفِهَا رُوحِي لَقَدْ رَخُصَتْ جِدًّا
أَسِفْتُ عَلَىٰ مَاضِي عُهُودِ أَحِبَّتِي وَهَلْ يَمْلِكُ ٱلْمَحْزُونُ لِلْفَائِتِ ٱلرَّدَّا
أَبَوْا أَنْ يَبِيتَ ٱلصَّبُّ إِلَّا مُعَذَّباً إِذَا بَعُدُوا شَوْقاً وَإِنْ قَرُبُوا صَدًّا
مَتَىٰ وَرَدُوا بِي مَنْهَلاً مِنْ وِصَالِهِمْ قَضَىٰ هَجْرَهُمْ أَنْ يَسْبِقَ ٱلصَّدَرُ ٱلْوِرْدَا
فَكَمْ حَادَ بِي إِنْ لَمْ أَنَلْ مِنْهُمُ مُنىً وَكَمْ عَادَ بِي إِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْهُمُ بُدًّا
وَمَا قَاتِلِي إِلَّا لَوَاحِظُ شَادِنٍ مِنَ ٱلرَّاعِيَاتِ ٱلْقَلْبَ لَا ٱلْبَانَ وَٱلرَّنْدَا
عَجِبْتُ لِلَيْلَىٰ وَهْيَ جِدُّ فَرُوقَةٍ وَقَدْ صَرَعَتْ يَوْمَ ٱللِّقَا فَارِساً نَجْدَا
كَأَنَّ مَعَاجَ ٱلْعِيسِ مِنْ بَطْنِ وَجْرَةٍ وَقَدْ طَفِقَتْ تَصْطَادُ غِزْلَانُهُ ٱلْأُسْدَا
أَظَلَّتْهُ أَيَّامُ ٱلْإِمَامِ بِعَدْلِهِ فَلَمْ يَخْشَ رِيمٌ أَحْوَرٌ أَسَداً وَرْدَا
بِحَقٍّ إِلَيْهِ ٱللهُ أَلْقَىٰ أُمُورَنَا وَللهُ أَوْفَىٰ نَاقِدٍ لِلْوَرَىٰ نَقْدَا
فَقَدْ زَيَّنَ ٱلدُّنْيَا بِآثَارِ كَفِّهِ سَمَاحاً وَخَلَّاهَا لِأَبْنَائِهَا زُهْدَا
يُؤَرِّقُهُ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ لِيَأْمَنُوا إِذَا ٱلدَّهْرُ أَنْحَىٰ نَحْوَهُمْ حَادِثاً إِدَّا
قُلُوبُ ٱلْعِدَا مِنْهُ حِذَاراً كَقَلْبِهِ عَلَيْنَا وَعَيْنَاهُ كَأَعْيُنِهِمْ سُهْدَا
إِذَا مَا ٱلْهُمُومُ ٱلْمُسْهِرَاتُ طَرَقْنَهُ ضُيُوفاً قَرَاهَا جَمْعُهُ ٱلْجِدَّ وَٱلْجَدَّا
وَكَالصُّبْحِ مُبْيَضّاً لَهُ ٱلرَّأْيُ يَنْتَضِي إِذَا مَا أَظَلَّ ٱلْخَطْبُ كَٱللَّيْلِ مُسْوَدَّا
بِمُسْتَرْشِدٍ بِٱللهِ مُسْتَخْلِفٍ لَهُ مَلِيكٌ يُرِيكَ ٱللهُ طَاعَتَهُ رُشْدَا
يَحُولُ حِجَابُ ٱلْعِزِّ دُونَ لِقَائِهِ وَإِنْ كَانَ لَا يَعْيَا عَلَىٰ طَالِبٍ رِفْدَا
وَتَنْهَى ٱلْعُيُونَ ٱلشَّمْسُ عَنْهَا إِذَا ٱعْتَلَتْ بُهُوراً وَإِنْ كَانَتْ بِأَنْوَارِهَا تُهْدَىٰ

فَدُمْ لِلْعُلَا يَا خَيْرَ مَنْ مَطَرَ ٱلْوَرَىٰ نَوَالاً فَلَمْ نَعْرِفْ لَهُ فِي ٱلنَّدَىٰ نِدَّا
وَأَنْتَ ٱلَّذِي قَدْ ضَمَّهُ ٱلْبُرْدُ مِنْ تُقىً وَمِنْ كَرَمٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرِثَ ٱلْبُرْدَا
وَوُلِّيتَ مِنْ مُلْكِ ٱلْقَضِيبِ شَبِيهَ مَا تَوَلَّاهُ مَنْ كَانَ ٱلْمُشِيرُ بِهِ جِدَّا
وَمَا هُوَ إِلَّا أَمْرُ أُمَّتِهِ ٱلَّذِي إِلَيْكَ ٱنْتَهَىٰ إِذْ كُنْتَ مِنْ بَيْنِهَا فَرْدَا
سَرَائِرُ لِلّٰهِ ٱنْطَوَتْ فِي أَمَائِرٍ أُولُو ٱلْعِلْمِ قَدْ كَانَتْ إِلَىٰ فَهْمِهَا أَهْدَىٰ
إِذَا لَمَحَتْهَا فِطْنَةٌ عَرَبِيَّةٌ غَدَتْ أَلْسُناً عِنْدَ ٱلْحِجَاجِ لَكُمْ لُدَّا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱبْنَيْ نِزَارٍ تَمَلَّكَا لَهُ ٱلْقُبَّةَ ٱلْحَمْرَاءَ وَٱلْفَرَسَ ٱلنَّهْدَا
وَكَانَ لِهَٰذَا بِٱلسِّيَادَةِ حُجَّةً وَهَٰذَا يَقُودُ ٱلْخَيْلَ نَحْوَ ٱلْوَغَىٰ جُرْدَا
دَلِيلَانِ كُلٌّ مِنْهُمَا بِوُضُوحِهِ لَكَ ٱللهُ رَبُّ ٱلْعَرْشِ أَهْدَى ٱلَّذِي أَهْدَىٰ
نُحِبُّكَ لَا حُبَّ ٱعْتِيَادٍ وَإِنَّمَا بِذَاكَ عَلَيْنَا ٱللهُ قَدْ أَخَذَ ٱلْعَهْدَا
وَمَا إِنْ نَرَىٰ أَجْراً عَلَى ٱللهِ وَاجِباً لِمَسْعَىٰ رَسُولِ ٱللهِ إِلَّا لَكَ ٱلْوُدَّا
بِكُمْ آلَ عَبَّاسٍ يُعَاذُ وَمِنْكُمُ يُعَادُ لَنَا جَزْلُ ٱلْعَطَاءِ كَمَا يُبْدَا
وَأَنْتُمْ شَفِعْتُمْ لِلْحَيَا عِنْدَ حَبْسِهِ فَأَطْلَقْتُمُوهُ حَائِزِينَ لَهُ حَمْدَا
فَهَلْ غَيْرُكُمْ مِنْ آلِ بَيْتِ مَكَارِمٍ إِذَا ٱفْتَخَرُوا كَانَ ٱلْغَمَامُ لَهُمْ عَبْدَا
لَكُمْ سَنَّ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْخِلَافَةَ آدَمٌ وَمِنْ أَجْلِكُمْ لَمْ يَأْسَ إِذْ فَارَقَ ٱلْخُلْدَا
وَفِي ظَهْرِ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ خَبِيئَةٌ أَكُفُّكُمُ حَتَّىٰ غَدَتْ نَارُهُ بَرْدَا
وَلَوْلَا ٱلَّذِي أَصْبَحْتُمُ خُلَفَاءَهُ لَمَا كَانَ مِنْ كَوْنٍ مَعَادٌ وَلَا مَبْدَا
وَلَمْ تُخْلَفُوا حَتَّىٰ غَدَا غَايَةَ ٱلَّتِي تَنَاهَتْ فَمَا عَنْهَا لِذِي نُهْيَةٍ مَغْدَىٰ
تَرَكْتَ بَنِي ٱلْإِلْحَادِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَقَدْ هَدَّ سَيْفُ ٱللهِ بُنْيَانَهُمْ هَدَّا

هُمُ خَلَطُوا ٱلْإِسْلَامَ بِٱلْكُفْرِ خَلْطَةً … فَصَيَّرْتَ حَدَّ ٱلسَّيْفِ بَيْنَهُمُ ٱلْحَدَّا
إِذَا ٱلْكَفُّ أَبْدَتْ بِٱغْتِصَابِ إِشَارَةً … إِلَىٰ حَقِّكَ ٱلْمَوْرُوثِ لَمْ تَصْحَبِ ٱلزَّنْدَا
إِذَا رَأْسُ طَاغٍ مَالَ عَنْكَ جَهَالَةً … أَبَىٰ حَيْنُهُ إِلَّا ٱلْقَنَاةَ لَهُ قَدًّا
وَمَا ٱرْتَدَّ مُنْحَازٌ فَرُدَّ بِذِلَّةٍ … إِلَى ٱلدِّينِ إِلَّا سُرْعَةَ ٱلنَّفْسِ ٱرْتَدَّا
بَقِيتَ لِدَهْرٍ لَمْ تَدَعْ أَهْلَهُ سُدىً … وَدِينٍ جَعَلْتَ ٱلسَّيْفَ مِنْ دُونِهِ سَدًّا
إِلَيْكَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ سَرَتْ بِنَا … رَكَائِبُ أَدْنَتْ مِنْ مَوَاقِفِكَ ٱلْوَفْدَا
لَطَمْنَ بِأَيْدِيهِنَّ خَدّاً مِنَ ٱلْفَلَا … عَلَىٰ عَجَلٍ حَتَّىٰ تَرَكْنَ بِهِ خَدًّا
وَقَدْ وَفَدَ ٱلْعَبْدُ ٱلْقَدِيمُ وَلَاؤُهُ … لِيُتْبِعَ طُرْفاً مِنْ مَدَائِحِكُمْ تُلْدَا
وَمَا ٱلشِّعْرُ قَاضٍ وَاجِباً مِنْ حُقُوقِكُمْ … لَدَيَّ وَلَكِنْ مِنْ مُقِلٍّ غَدَا جُهْدَا
وَلَوْلَا مَنَاهِي دِينِ جُودٍ شَرَعْتَهُ … عَمَمْتُ بَنَاتِ ٱلْفِكْرِ مِنْ أَنَفٍ وَأْدَا
فِدىً لَكَ نَفْسِي فِي ٱلْعَبِيدِ مِنَ ٱلرَّدَىٰ … فَمِثْلِيَ مَنْ يَفْدِي وَمِثْلُكَ مَنْ يُفْدَىٰ
بَقَاءَكَ أَرْجُو ٱللهَ رَبِّي وَظِلَّهُ … عَلَى ٱلْخَلْقِ طُرّاً أَنْ يَمُدَّهُمَا مَدًّا
تَصُومُ عَلَىٰ يُمْنٍ وَتُفْطِرُ دَائِماً … وَتَطْلُعُ فِي أُفْقِ ٱلْعُلَا أَبَداً سَعْدَا
وَتَبْقَىٰ إِلَىٰ أَنْ تُبْلِيَ ٱلدَّهْرَ خَالِداً … وَلَا سَرَفٌ لِلسَّيْفِ أَنْ يُبْلِيَ ٱلْغِمْدَا (١)



(١) في «ديوان الأرجاني» (١/٣٤٠) (شرف) بدل (سرف)

الطبقةُ الثالثةُ

أشهرُ أهلِها محمدُ بنُ نباتةَ المصريُّ ، وعصريُّهُ عبدُ العزيزِ بنُ سرايا الحليُّ ، فلنقتصرْ في التمثيلِ على ما نوردُهُ لهُما

[قصيدةٌ لابنِ نباتةَ المصريِّ في مدح النبيِّ ﷺ]

قالَ ابنُ نباتةَ يَمدحُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ[1] [من الطويل]

صَحَا ٱلْقَلْبُ لَوْلَا نَسْمَةٌ تَتَخَطَّرُ ... وَلَمْعَةُ بَرْقٍ بِٱلْغَضَا تَتَسَعَّرُ

وَذِكْرُ جَبِينِ ٱلْمَالِكِيَّةِ إِنْ بَدَا ... هِلَالُ ٱلدُّجَىٰ وَٱلشَّيْءُ بِٱلشَّيْءِ يُذْكَرُ

سَقَى ٱللهُ أَكْنَافَ ٱلْغَضَا سُبُلَ ٱلْحَيَا ... وَإِنْ كُنْتُ أُسْقَىٰ أَدْمُعاً تَتَحَدَّرُ

وَعَيْشاً نَضَا عَنْهُ ٱلزَّمَانُ بَيَاضَهُ ... وَخَلَّفَهُ فِي ٱلرَّأْسِ يُزْهَىٰ وَيَزْهَرُ

تَغَيَّرَ ذَاكَ ٱللَّوْنُ مَعْ مَنْ أُحِبُّهُ ... وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَا عَزُّ لَا يَتَغَيَّرُ

وَكَانَ ٱلصِّبَا لَيْلاً وَكُنْتُ كَحَالِمٍ ... فَيَا أَسَفِي وَٱلشَّيْبُ كَٱلصُّبْحِ يُسْفِرُ

يُعَلِّلُنِي تَحْتَ ٱلْعِمَامَةِ كَتْمُهُ ... فَيَعْتَادُ قَلْبِي حَسْرَةً حِينَ أَحْسِرُ

أَلَا فِي سَبِيلِ ٱللهِ صَوْمٌ عَنِ ٱلصِّبَا ... وَقَلْبٌ عَلَىٰ عَهْدِ ٱلْحِسَانِ مُفَطَّرُ

تَذَكَّرْتُ أَوْطَانَ ٱلْوِصَالِ فَأَشْهَبٌ ... مِنَ ٱلدَّمْعِ فِي مَيْدَانِ خَدِّي وَأَحْمَرُ

إِذَا لَمْ تَفِضْ عَيْنِي ٱلْعَقِيقَ فَإِذْ رَأَتْ[2] ... مَنَازِلَهُ بِٱلْوَصْلِ تُبْهَىٰ وَتَبْهَرُ

وَإِنْ لَمْ تُوَاصِلْ عَادَةَ ٱلسَّفْحِ مُقْلَتِي ... فَلَا عَادَهَا عَيْشٌ بِمَغْنَاهُ أَخْضَرُ

---

(١) انظر « ديوان ابن نباتة المصري » (ص ١٨٠ ـ ١٨٣)

(٢) في « ديوان ابن نباتة المصري » (ص ١٨٠) (فلا رأت) بدل (فإذ رأت)

لَيَالِيَ تَجْنِي ٱلْحُسْنَ فِي أَوْجُهِ ٱلدُّمَىٰ وَتَجْنِي عَلَىٰ أَجْسَامِنَا حِينَ تَنْظُرُ
يُؤَثِّرُ فِي خَدِّ ٱلْمَلِيحَةِ لَحْظُهَا وَإِنْ كَانَ فِي مِيثَاقِهَا لَا يُؤَثِّرُ
إِذَا حَلَّ مُبْيَضُّ ٱلْمَشِيبِ بِعَارِضٍ فَمَا هُوَ إِلَّا لِلْمَدَامِعِ مُمْطِرُ
كَأَنِّيَ لَمْ أَتْبَعْ صِباً وَصَبَابَةً خَلِيعَ عِذَارٍ حَيْثُ مَا هِمْتُ أُعْذَرُ
وَلَمْ أَطْرُقِ ٱلْحَيَّ ٱلْخَصِيبَ زَمَانَهُ يُقَابِلُنِي زَهْرٌ لَدَيْهِ وَمِزْهَرُ
وَغَيْدَاءَ أَمَّا جَفْنُهَا فَمُؤَنَّثٌ كَلِيلٌ وَأَمَّا لَحْظُهَا فَمُذَكَّرُ
يَرُوقُكَ جَمْعُ ٱلْحُسْنِ فِي لَحَظَاتِهَا عَلَىٰ أَنَّهُ بِٱلطَّرْفِ جَمْعٌ مُكَسَّرُ
مِنَ ٱلْغِيدِ تُخْفِيهَا ٱلظُّبَا بِحِجَابِهَا وَلَٰكِنَّهَا كَٱلْبَدْرِ فِي ٱلْمَاءِ يَظْهَرُ
يَشِفُّ وَرَاءَ ٱلْمَشْرِفِيَّةِ خَدُّهَا كَمَا شَفَّ مِنْ دُونِ ٱلزُّجَاجَةِ مُسْكِرُ
وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرُ سِحْرِ جُفُونِهَا وَأَحْبِبْ بِهَا سَحَّارَةً حِينَ تَسْحَرُ
إِذَا جَرَّدَتْ مِنْ بُرْدِهَا فَهْيَ عَبْلَةٌ وَإِنْ جَرَّدَتْ أَلْحَاظَهَا فَهْيَ عَنْتَرُ
إِذَا خَطَرَتْ فِي ٱلرَّوْضِ طَابَ كِلَاهُمَا فَلَمْ نَدْرِ مَنْ أَزْهَىٰ وَأَشْهَىٰ وَأَعْطَرُ
خَلِيلَيَّ كَمْ رَوْضٍ نَزَلْتُ فِنَاءَهُ وَفِيهِ رَبِيعٌ لِلنَّزِيلِ وَجَعْفَرُ
وَفَارَقْتُهُ وَٱلطَّيْرُ صَافِرَةٌ بِهِ وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفُرُ
إِلَىٰ أَعْيُنٍ بِٱلْمَاءِ نَضَّاخَةِ ٱلصَّفَا إِذَا سُدَّ مِنْهَا مَنْخِرٌ جَاشَ مِنْخَرُ
نَدَامَايَ مِنْ خَوْدٍ وَرَاحٍ وَقَيْنَةٍ ثَلَاثُ شُخُوصٍ [كَاعِبَانِ] وَمُعْصِرُ
قَضَيْتُ لُبَانَاتِ ٱلشَّبِيبَةِ وَٱلْهَوَىٰ وَطَوَّلْتُ حَتَّىٰ آنَ أَنِّي مُقَصِّرُ
وَرُبَّ طَمُوحِ ٱلْعَزْمِ أَدْمَاءَ جَسْرَةٍ يَظَلُّ بِهَا عَزْمِي عَلَى ٱلْبِيدِ يَجْسُرُ
طَوَتْ بِذِرَاعَيْ وَخْدِهَا شُقَّةَ ٱلْفَلَا وَكَفُّ ٱلثُّرَيَّا فِي دُجَى ٱللَّيْلِ تَشْبُرُ

بِصُمِّ ٱلْحَصَىٰ تَرْمِي ٱلْحُدَاةَ كَأَنَّمَا ... تَغَارُ عَلَىٰ مَحْبُوبِهَا حِينَ يُذْكَرُ
إِذَا مَا حُرُوفُ ٱلْعِيسِ خُطَّتْ بِقَفْرَةٍ ... غَدَتْ مَوْضِعَ ٱلْعُنْوَانِ وَٱلْعِيسُ أَسْطُرُ
فَلِلّٰهِ حَرْفٌ لَا تُرَامُ كَأَنَّهَا ... بِوَشْكِ ٱلسُّرَىٰ حَرْفٌ لَدَى ٱلْبِيدِ مُضْمَرُ
[تَخَطَّتْ] بِنَا أَرْض ٱلشَّآمِ إِلَىٰ حِمىً ... بِهِ رَوْضَةٌ رَيَّا ٱلْجَنَابِ وَمِنْبَرُ
إِلَىٰ حَرَمِ ٱلْأَمْنِ ٱلْمَنِيعِ جِوَارُهُ ... إِذَا ظَلَّتِ ٱلْأَصْوَاتُ بِٱلرَّوْعِ تَجْأَرُ
إِلَىٰ مَنْ هُوَ ٱلتِّبْرُ ٱلْخَلَاصُ لِنَاقِدٍ ... غَدَاةَ ٱلثَّنَا وَٱلصَّفْوَةُ ٱلْمُتَخَيَّرُ
نَبِيٌّ أَتَمَّ ٱللّٰهُ صُورَةَ فَخْرِهِ ... وَآدَمُ فِي فَخَّارِهِ يَتَصَوَّرُ
نَظِيمُ ٱلْعُلَا وَٱلْأُفْقُ مَا مَدَّ طِرْسَهُ ... [وَلَا ٱلزَّهْرُ إِلَّا وَٱلْكَوَاكِبُ] تُنْثَرُ
وَلَا لِعَصَا ٱلْجَوْزَاءِ فِي ٱلشُّهْبِ آيَةٌ ... وَبَحْرُ ٱلدُّجَىٰ مِنْ تَحْتِهَا يَتَفَجَّرُ
نَبِيٌّ لَهُ مَجْدٌ قَدِيمٌ وَسُؤْدَدٌ ... هَمِيمٌ وَأَخْبَارٌ تَجِلُّ وَتَخْبُرُ
تَحَزَّمَ جِبْرِيلٌ لِخِدْمَةِ وَحْيِهِ ... وَأَقْبَلَ عِيسَىٰ بِٱلْبِشَارَةِ يَجْهَرُ
فَمَنْ ذَا يُضَاهِيهِ وَجِبْرِيلُ خَادِمٌ ... لِمَقْدَمِهِ ٱلْعَالِي وَعِيسَىٰ مُبَشِّرُ
تَهَاوَتْ لِمَأْتَاهُ ٱلنُّجُومُ كَأَنَّهَا ... تُشَافِهُ بِٱلْخَدِّ ٱلثَّرَىٰ وَتُعَفِّرُ
وَيَنْضُبُ [طَامٍ] مِنْ بُحَيْرَةِ سَاوَةٍ ... وَلِمْ لَا وَقَدْ [فَاضَتْ] بِكَفَّيْهِ أَبْحُرُ
نَبِيٌّ لَهُ ٱلْحَوْضَانِ هَـٰذِي أَصَابِعٌ ... تَفِيضُ وَهَـٰذَا فِي ٱلْقِيَامَةِ كَوْثَرُ
وَعَنْ جَاهِهِ ٱلنَّارَانِ هَـٰذِي بِفَارِسٍ ... تَبُوخُ وَهَـٰذِي فِي غَدٍ حِينَ نُحْشَرُ
إِذَا مَا تَشَفَّعْنَا بِهِ كُفَّ غَيْظُهَا ... وَقَالَتْ عِبَارَاتُ ٱلصِّرَاطِ لَنَا ٱعْبُرُوا
تَنَقَّلَ نُوراً بَيْنَ أَصْلَابِ سَادَةٍ ... فَلِلّٰهِ مِنْهُ فِي [سَمَا] ٱلْفَضْلِ نَيِّرُ
وَمِنْ أَجْلِهِ جِيءَ ٱلذَّبِيحَانِ بِٱلْفِدَا ... وَصِينَ دَمٌ بَيْنَ ٱلدِّمَاءِ مُطَهَّرُ

وَلَـمَّـا أَرَادَ ٱللهُ إِظْـهَـارَ دِيـنِـهِ بَدَا قَـمَراً وَٱلشِّرْكُ كَٱللَّيْلِ يَكْفُرُ
فَجَلَّى ٱلدُّجَىٰ وَٱسْتَوْثَقَ ٱلدِّينُ وَاضِحاً [وَقَـامَ] بِـنَـصْـرِ ٱللهِ دَاعٍ مُـظَـفَّـرُ
عَـزَائِـمُ مَـنْ لَا يَـخْـتَـشِـي يَـوْمَ غَـزْوِهِ رَدىً وَعَطاً مَنْ لَيْسَ لِلْفَقْرِ يَحْذَرُ
عَـلَا عَـنْ مُـحَـاكَـاةِ ٱلْـغَـمَـامِ لِفَضْلِهِ وَكَيْفَ يُحَاكِيهِ ٱلْخُدَيْمُ ٱلْمُسَخَّرُ
يُـظَـلِّـلُـهُ وَقْـتَ ٱلْـمَـسِـيرِ وَتَـارَةً يُشِيرُ إِلَيْهَا بِٱلْبَنَانِ فَتُمْطِرُ
أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ ٱلْقَطْرَ فِي ٱلْغَيْمِ فَارِسٌ إِذَا بَـرَزَتْ آلَاؤُهُ يَـتَـعَـطَّـرُ
هُوَ ٱلْبَحْرُ فَيَّاضُ ٱلْمَوَارِدِ لِلْوَرَىٰ وَلَٰكِنَّهُ ٱلْعَذْبُ ٱلَّذِي لَا يُكَدَّرُ
فَمَنْ لِي بِلَفْظٍ جَوْهَرِيٍّ قَصَائِداً يُنَظَّمُ حَتَّىٰ يَمْدَحَ ٱلْبَحْرَ جَوْهَرُ
وَهَيْهَاتَ أَنْ [تُحْصَىٰ] بِتَقْرِيرِ مَادِحٍ مَنَاقِبُ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ تُقَرَّرُ
إِذَا شُعَرَاءُ ٱلذِّكْرِ قَامَتْ بِمَدْحِهِ فَمَا قَدْرُ مَا تُنْشِي ٱلْأَنَامُ وَتَشْعُرُ
نَبِيٌّ زَكَا أَصْلاً وَفَرْعاً وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ أُصُولٌ فِي ٱلثَّرَىٰ تَتَجَرَّرُ
وَخَاطَبَهُ وَحْشُ ٱلْمَهَامِهِ آنِساً إِلَيْهِ وَمَا عَنْ ذَٰلِكَ ٱلْحُسْنِ يَنْفِرُ
لَهُ رَاحَةٌ فِيهَا عَلَى ٱلْبَأْسِ وَٱلنَّدَىٰ دَلَائِلُ حَتَّىٰ فِي ٱلْجَمَادِ تُؤَثِّرُ
فَبَيْنَا ٱلْعَصَا فِيهَا وَرِيقٌ قَضِيبُهَا إِذَا هُوَ مَشْحُوذُ ٱلْغِرَارَيْنِ أَبْتَرُ
كَذَا فَلْتَكُنْ فِي شُكْرِهَا وَصِفَاتِهَا يَدٌ بَيْنَ أَوْصَافِ ٱلنَّبِيِّينَ تُشْكَرُ
سَخَتْ وَمَحَتْ شَكْوَىٰ قَتَادَةَ فَٱغْتَدَتْ بِهَا ٱلْعَيْنُ تَجْرِي أَوْ بِهَا ٱلْعَيْنُ تُبْصِرُ
لَعَمْرِي لَقَدْ سَارَتْ صِفَاتُ مُحَمَّدٍ كَذَاكَ ٱلنُّجُومُ ٱلزَّاهِرَاتُ تُسَيَّرُ
أَرَىٰ مُعْجِزَ ٱلرُّسْلِ ٱنْطَوَىٰ بِٱنْطِوَائِهِمْ وَمُعْجِزُهُ حَتَّى ٱلْقِيَامَةِ يُنْشَرُ
كَبِيرُ فَخَارِ ٱلذِّكْرِ فِي ٱلْخَلْقِ كُلَّمَا تَلَا قَارِئٌ أَوْ قَالَ أَللهُ أَكْبَرُ

هُوَ ٱلْمُرْتَقِي ٱلسَّبْعَ ٱلطِّبَاقَ إِلَىٰ مَدىً لِـجِـبْـرِيـلَ عَـنْـهُ مَـوْقِـفٌ مُـتَـأَخِّـرُ
هُوَ ٱلثَّابِتُ ٱلْعَلْيَا عَلَىٰ كُلِّ مُرْسَلٍ بِحَيْثُ لَهُ فِي حَضْرَةِ ٱلْقُدْسِ مَحْضَرُ
هُوَ ٱلْمُصْطَفَىٰ وَٱلْمُقْتَفَىٰ لَا مَنَارُهُ تُـحَـطُّ وَلَا أَنْـوَارُهُ تَـتَـكَـدَّرُ
إِلَـيْـكَ رَسُـولَ ٱللهِ مُـدَّتْ مَـطَـالِـبِـي عَلَىٰ أَنَّها أَضْحَتْ عَلَى ٱلْفَوْزِ تَقْصُرُ
خُـلِـقْـتَ شَـفِـيعـاً لِـلْأَنَـامِ مُـشَـفَّـعـاً فَرَجْوَاكَ فِي ٱلدَّارَيْنِ أَجْدَىٰ وَأَجْدَرُ
وَلِـي حَـالَـتَـا دُنْـيَـا وَأُخْـرَىٰ أَرَاهُـمَـا يَـمُـرَّانِ بِـي فِـي عِـيـشَـةٍ تَـتَـمَـرَّرُ
حَـيَـاةٌ وَلَـٰكِنْ بَـيْـنَ ذُلٍّ وَغُـرْبَـةٍ فَلَا ٱلْعِزُّ يُسْتَحْلَىٰ وَلَا ٱلْبَيْنُ يَفْتُرُ
وَعَـزْمٌ إِلَى ٱلْأُخْـرَىٰ يَـهُـمُّ نُـهُـوضُـهُ وَلَـٰكِنَّهُ بِـٱلـذَّنْـبِ كَـٱلـظَّـهْـرِ مُـوقَـرُ
تَـصَـبَّـرْتُ فِـي هَـٰذَا وَذَاكَ كَـأَنَّـنِـي مِنَ ٱلْعَجْزِ وَٱلْبُؤْسَىٰ قَتِيلٌ مُصَبَّرُ
وَهَـٰأَنَا قَـدْ أَبْـلَـغْـتُ عُـذْرِيَ قَـاصِـداً وَأَيْـقَـنْـتُ أَنَّ ٱلـنُّـجْـحَ لَا يُـتَـعَـذَّرُ
عَـلَـيْـكَ صَـلَاةُ ٱللهِ فِـي كُـلِّ مَـنْـزِلٍ يُـعَـبِّـرُ عَـنْ غَـرْسِ ٱلْـجِـنَـانِ وَيَـعْـبَـرُ (١)
وَآلِـكَ وَٱلـصَّـحْـبِ ٱلَّـذِيـنَ عَـلَـيْـهِـمُ تُـحَـلُّ حُـبَـا مَـدْحٍ وَتُـعْـقَـدُ خِـنْـصَـرُ
بِـجَـاهِـكَ عِـنْـدَ ٱللهِ أَقْـبَـلْـتُ لَائِـذاً وَتَـكْـبُـرُ حَـاجَـاتِـي وَجَـاهُـكَ أَكْـبَـرُ
وَنَظَّمْتُ شِعْرِي فِيكَ يُزْهَىٰ قَصِيدَةً عَلَىٰ كُلِّ بَيْتٍ لِي مِنَ ٱلشِّعْرِ يَعْمُرُ
مُـعَـظَّـمَـةَ ٱلْـمَـعْـنَـىٰ يُـكَـرَّرُ لَـفْـظُـهَـا فَـيَـحْـلُـو لَـنَـا مِـنْـهَـا ٱلْـكَـلَامُ ٱلْـمُـكَـرَّرُ
دَنَتْ مِنْ صِفَاتِ ٱلْفَضْلِ مِنْكَ فَإِنَّهَا لَـتَـفْـضُـلُ مَـا أَبْـدَاهُ طَـيٌّ وَبُـحْـتُـرُ
وَمَـا ضَـرَّهَـا إِذْ كَـانَ نَـشْـرُ نَـسِـيـمِـهَـا رَخَـاءً إِذَا مَـا لَـمْ يَـكُـنْ فِـيـهِ صَـرْصَـرُ

---

(١) في « ديوان ابن نباتة المصري » (تُعبّر عن غرس الجنان وتعبر)

ينبغي لكَ أيُّها الطالبُ الراغبُ في معرفةِ جودةِ الصِّناعةِ الشعريَّةِ أن تُكرِّرَ النظرَ في هـٰذا الشعرِ ، وتَتأمَّلَهُ بيتاً بيتاً ؛ حتىٰ تقفَ علىٰ ما أَسكنَ كلّاً منها مِنْ أنواعِ البديعِ

وحسبُكَ شاهداً علىٰ براعةِ الاستهلالِ وما ينبغي أن يُصدَّرَ بِهِ المديحُ النبويُّ مِنَ النَّسيبِ ؛ فإنَّهُ بدأَ الكلامَ بقولِهِ (صحا القلبُ) ، وهيَ عبارةٌ عربيةٌ ابتدأَ بها زهيرٌ قصائدَ وغيرُهُ ، فهيَ تصرفُ خيالَكَ إلى العربِ ، وتشعرُ أنَّهُ يريدُ القولَ في تلكَ الناحيةِ

ثمَّ خرجَ عن هـٰذهِ الإشارةِ الخفيَّةِ إلىٰ ما هوَ أوضحُ منها ، فذكرَ النسمةَ ، ولمعةَ البرقِ ، والغضا ، ثمَّ مضىٰ في ذكرِ الأماكنِ الحجازيَّةِ علىٰ طريقةِ الغرامِ ، حتىٰ تَخلَّص إلى المدحِ

[قصيدةٌ أخرىٰ لابنِ نباتةَ المصريِّ في تهنئةِ ملكٍ وتعزيتِهِ]

ومِنْ بديعِ شعرِهِ قصيدتُهُ التي جمعَ فيها بينَ تهنئةِ ملكٍ وتعزيتِهِ بأبيهِ وإن كانَ قد سُبِقَ بهِ كما عرفتَ ، ولـٰكنَّهُ قد أجادَ الاتباعَ ، وأحسنَ ما شاءَ ، وهيَ هـٰذهِ[1] [من الطويل]

هَنَاءٌ مَحَا ذَاكَ ٱلْعَزَاءَ ٱلْمُقَدَّمَا ... فَمَا عَبَسَ ٱلْمَحْزُونَ حَتَّىٰ تَبَسَّمَا
ثُغُورُ ٱبْتِسَامٍ فِي ثُغُورِ مَدَامِعٍ ... شَبِيهَانِ لَا يَمْتَازُ ذُو ٱلسَّبْقِ مِنْهُمَا
تَدِرُّ مَجَارِي ٱلدَّمْعِ وَٱلْبِشْرُ وَاضِحٌ ... كَوَابِلِ غَيْثٍ فِي ضُحَى ٱلشَّمْسِ قَدْ هَمَىٰ
سَقَى ٱلْغَيْثُ عَنَّا تُرْبَةَ ٱلْمَلِكِ ٱلَّذِي ... تَدَانَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا وَعَزَّ بِهِ ٱلْحِمَىٰ
مَلِيكَانِ هَـٰذَا قَدْ هَوَىٰ لِضَرِيحِهِ ... بِرَغْمِي وَهَـٰذَا صَانَهُ ٱللهُ قَدْ سَمَا

(١) انظر « ديوان ابن نباتة المصري » (ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠)

وَدَوْحَةِ فَضْلٍ شَادَوِيٍّ تَكَافَأَتْ فَغُصْنٌ ذَوَىٰ مِنْهَا وَآخَرُ قَدْ نَمَا
فَقَدْنَا لِأَعْنَاقِ ٱلْبَرِيَّةِ مَالِكاً وَشِمْنَا لِأَنْوَاعِ ٱلْجَمِيلِ مُتَمِّمَا
إِذَا ٱلْأَفْضَلُ ٱلْمُلْكِ ٱعْتَبَرْتَ مَقَامَهُ وَجَدْتَ زَمَانَ ٱلْمُلْكِ قَدْ عَادَ مِثْلَمَا
أَعَادَ مَعَالِي ٱلْبَيْتِ حَتَّىٰ حَسِبْتُهُ بِوَزْنِ ٱلثَّنَا وَٱلْحَمْدِ بَيْتاً مُنَظَّمَا
وَنَادَاهُ مُلْكٌ قَدْ تَقَادَمَ إِرْثُهُ فَقَامَ كَمَا تَرْضَى ٱلْعُلَا وَتَقَدَّمَا
تُقَابِلُ مِنْهُ مُقْلَةُ ٱلدَّهْرِ سُؤْدَداً صَمِيماً وَيَنْضُو ٱلرَّأْيُ عَضْباً مُصَمِّمَا
وَيَقْسِمُ فِينَا كُلَّ سَهْمٍ مِنَ ٱلنَّدَىٰ وَيَبْعَثُ لِلْأَعْدَاءِ فِي ٱلرَّوْعِ أَسْهُمَا
كَأَنَّ دِيَارَ ٱلْمُلْكِ غَابٌ إِذَا ٱنْقَضَىٰ بِهِ ضَيْغَمٌ أَنْشَا لَهُ ٱلدَّهْرُ ضَيْغَمَا
كَأَنَّ عِمَادَ ٱلْبَيْتِ غَيْرُ مُقَوَّضٍ وَقَدْ قُمْتَ يَا أَزْكَى ٱلْأَنَامِ وَأَحْزَمَا
نَهَضْتَ فَمَا قُلْنَا سِيَادَةُ مَعْشَرٍ تَدَاعَتْ وَلَا بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا
أَمَا وَٱلَّذِي أَعْطَاكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ لَقَدْ شَادَ فِي عَلْيَاكَ رُكْناً مُعَظَّمَا
وَقَدْ أُنْشِرَ ٱلْأَسْلَافُ[(١)] بِٱلْخَلَفِ ٱلَّذِي تَمَكَّنَ فِي عَلْيَائِهِ وَتَحَكَّمَا
وَإِنْ تَكُ أَوْقَاتُ ٱلْمُؤَيَّدِ قَدْ خَلَتْ فَقَدْ جَدَّدَتْ عَلْيَاكَ وَقْتاً وَمَوْسِمَا
عَلَيْهِ سَلَامُ ٱللهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
هُوَ ٱلْغَيْثُ وَلَّىٰ بِٱلثَّنَاءِ مُشَيَّعاً وَأَبْقَاكَ بَحْراً بِٱلْمَوَاهِبِ مُفْعَمَا
لَكَ ٱللهُ مَا أَبْهَىٰ وَأَبْهَرَ طَلْعَةً وَأَشْرَفَ أَخْلَاقاً وَأَفْضَلَ مُنْتَمَىٰ
بِكَ ٱنْبَسَطَتْ فِينَا ٱلتَّهَانِي وَأَنْشَأَتْ رَبِيعَ ٱلْهَنَا حَتَّىٰ نَسِينَا ٱلْمُحَرَّمَا

---

(١) في « ديوان ابن نباتة المصري » (ص ٤٣٠) (الإسلام) بدل (الأسلاف)

وَبِٱسْمِكَ فِي ٱلدُّنْيَا ٱسْتَقَرَّتْ مَحَاسِنٌ ... يُقِرُّ سَنَاهَا ٱلنَّاظِرَ ٱلْمُتَوَسِّمَا
نَوَالٌ كَمَا يَسْرِي ٱلسَّحَابُ مُطَبَّقاً ... وَبَأْسٌ كَمَا يَمْضِي ٱلْقَضَاءُ مُحَتَّمَا
وَفَضْلٌ بِهِ [ٱلْأَلْفَاظُ] لِلْعَجْزِ أُخْرِسَتْ ... وَعِزٌّ بِهِ قَلْبُ ٱلْحَسُودِ تَكَلَّمَا
أَعَدْتَ حَيَاةَ ٱلْمُقْتِرِينَ وَقَدْ عَفَتْ ... فَأَنْتَ ٱبْنُ أَيُّوبٍ وَإِلَّا ٱبْنُ مَرْيَمَا
إِذَا ٱلْغَيْثُ صَلَّىٰ خَلْفَ جَدْوَاكَ رَاكِعاً ... ثَنَتْ عَزْمَهُ لِلْإِعْتِرَافِ فَسَلَّمَا
يَرَاعُكَ يَوْمَ ٱلسِّلْمِ يَنْهَلُّ دِيمَةً ... وَسَيْفُكَ يَوْمَ ٱلْحَرْبِ يَنْهَلُّ فِي ٱلدِّمَا
وَذِكْرُ نَدَىٰ كَفَّيْكَ يُدْنِي مِنَ ٱلْغِنَىٰ ... وَلَثْمُ ثَرَىٰ نَعْلَيْكَ يُرْوِي مِنَ ٱلظَّمَا
لَكَ ٱلْمُلْكُ إِرْثاً وَٱكْتِسَاباً فَقَدْ غَدَا ... كِلَا طَرَفَيْهِ فِي ٱلسِّيَادَةِ مَعْلَمَا
وَمِثْلُكَ إِمَّا لِلسَّرِيرِ مُنَعَّماً ... يَثُوبُ وَإِمَّا لِلْجَوَادِ مُطَهَّمَا
وَلَمَّا عَقَدْنَا بِٱسْمِ عَلْيَاكَ خِنْصَراً ... رَأَيْنَا مِنَ ٱلتَّحْقِيقِ أَنْ نَتَخَتَّمَا
أَيَا مَلِكاً قَدْ أَنْجَدَ ٱلنَّاسُ [عَزْمَهُ] ... فَأَنْجَدَ مَدْحُ ٱلنَّاسِ فِيهِ وَأَتْهَمَا
سَبَقْتُ لَكَ ٱلْمُدَّاحَ قِدْماً وَبَادَرَتْ ... يَدَا كَلِمِي فَٱسْتَلْزَمَتْ مِنْكَ مَلْزَمَا
لَيَالِيَ أُنْشِي فِي أَبِيكَ مَدَائِحاً ... وَفِيكَ وَأَرْوِي مُسْنَدَ ٱلْفَضْلِ عَنْكُمَا
وَأَغْدُو بِأَنْوَاعِ ٱلْجَمِيلِ مُطَوَّقاً ... فَأَسْجَعُ فِي أَوْصَافِهِ مُتَرَنِّمَا
وَأَسْتَوْضِحُ ٱلْعَلْيَاءَ فِيكَ فِرَاسَةً ... بِمُلْكِكَ لَا أُعْطِي عَلَيْهَا مُنَجِّمَا
فَعِشْ لِلْوَرَىٰ وَٱسْلَمْ سَعِيداً مُهَنَّأً ... فَحَظُّ ٱلْوَرَىٰ فِي أَنْ تَعِيشَ وَتَسْلَمَا
وَسِرْ فِي أَمَانِ ٱللهِ وَٱقْدُمْ بِفَضْلِهِ ... أَسَرَّ ٱلْوَرَىٰ مَسْرىً وَأَيْمَنَ مَقْدِمَا
أَعَدْتَ زَمَانَ ٱلْبِشْرِ وَٱلْجُودِ وَٱلثَّنَا ... إِلَىٰ أَنْ مَلَأْتَ ٱلْعَيْنَ وَٱلْكَفَّ وَٱلْفَمَا

في قولِهِ (فقدنا لأعناقِ) البيتَ تلميحٌ بمالكٍ ومُتمِّمٍ ابنَيْ نويرةَ السابقِ ذكرُهُما[1] ، وقولُهُ (ولا بنيانُ قومٍ تَهدَّما) أي كما قالَ الأوَّلُ ومنهُ ضُمِّنَ[2] [من الطويل]

عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ وَلَٰكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا



---

(١) تقدم (٣/٢٤٦ ـ ٢٤٧)

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (١/١٨٣ ـ ١٨٤) ، وذكر بين البيتين بيتاً ثالثاً

[قصيدةٌ للحِلّيِ في مدحِ الناصرِ بنِ قلاوونَ]

ومِنْ جيِّدِ شعرِ الصَّفيِّ ـ وديوانُهُ كبيرٌ ، قَسَّمَهُ اثنيْ عشرَ باباً في أجناسِ المعاني ، وكلُّهُ مفيدٌ ، وميلُهُ للمعنىٰ أكثرُ مِنْ ميلِهِ للفظِ ، علىٰ أنَّهُ شديدُ الملاحظةِ للبديعِ ـ قصيدتُهُ التي يَمدحُ بها الناصرَ محمدَ بنَ قلاوونَ أحدَ ملوكِ الديارِ المصريةِ ، وعارض بها قصيدةً لأبي الطيبِ ، وقدِ اقترحَ عليهِ أهلُ الديوانِ ذٰلكَ ، ومطلعُ قصيدةِ أبي الطيبِ المعارضةِ (١) [من الكامل]

بِأَبِي ٱلشُّمُوسُ ٱلْجَانِحَاتُ غَوَارِبَا ... ٱللَّابِسَاتُ مِنَ ٱلْحَرِيرِ جَلَابِبَا

وقد ضَمَّنَ الصَّفيُّ صدرَ المَطلعِ دلالةً على المعارضةِ ، وهٰذهِ قصيدةُ الصَّفيِّ (٢) [من الكامل]

أَسْبَلْنَ مِنْ فَوْقِ ٱلنُّهُودِ ذَوَائِبَا ... فَتَرَكْنَ حَبَّاتِ ٱلْقُلُوبِ ذَوَائِبَا

وَجَلَوْنَ فِي صُبْحِ ٱلْوُجُوهِ أَشِعَّةً ... غَادَرْنَ فَوْدَ ٱللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبَا

بِيضٌ دَعَاهُنَّ ٱلْغَبِيُّ كَوَاعِبَا ... وَلَوِ ٱسْتَبَانَ ٱلرُّشْدَ قَالَ كَوَاكِبَا

وَرَبَائِبٌ فَإِذَا رَأَيْتَ نِفَارَهَا ... مِنْ بَسْطِ أُنْسِكَ خِلْتَهُنَّ رَبَارِبَا

سَفَّهْنَ رَأْيَ ٱلْمَانَوِيَّةِ عِنْدَمَا ... أَسْبَلْنَ مِنْ ظُلَمِ ٱلشُّعُورِ غَيَاهِبَا

وَسَفَرْنَ لِي فَرَأَيْنَ شَخْصاً حَاضِراً ... شَدَهَتْ بَصِيرَتُهُ وَقَلْباً غَائِبَا

أَشْرَقْنَ فِي حُلَلٍ كَأَنَّ أَدِيمَهَا ... شَفَقٌ تَدَرَّعَهُ ٱلشُّمُوسُ جَلَابِبَا

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٨٠)

(٢) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » (ص ٥٩ ـ ٦٢)

وَغَرَبْنَ فِي كِلَلٍ فَقُلْتُ لِصَاحِبِي بِأَبِي ٱلشُّمُوسُ ٱلْجَانِحَاتُ غَوَارِبَا
وَمُعَرْبَدِ ٱللَّحَظَاتِ يَثْنِي عِطْفَهُ فَيُخَالُ مِنْ مَرَحِ ٱلشَّبِيبَةِ شَارِبَا
حُلْوُ ٱلتَّعَتُّبِ وَٱلدَّلَالِ يَرُوقُهُ عَتَبِي وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبَا
عَاتَبْتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ وَٱزْوَرَّ أَلْحَاظاً وَقَطَّبَ حَاجِبَا
فَأَذَابَنِي ٱلْخَدُّ ٱلْكَلِيمُ وَطَرْفُهُ ذُو ٱلنُّونِ إِذْ ذَهَبَ ٱلْغَدَاةَ مُغَاضِبَا
ذُو مَنْظَرٍ تَغْدُو ٱلْقُلُوبُ لِحُسْنِهِ نَهْباً وَإِنْ مَنَحَ ٱلْعُيُونَ مَوَاهِبَا
لَا بِدْعَ إِنْ وَهَبَ ٱلنَّوَاظِرَ حُظْوَةً مِنْ نُورِهِ وَدَعَاهُ قَلْبِي نَاهِبَا
فَمَوَاهِبُ ٱلسُّلْطَانِ قَدْ كَسَتِ ٱلْوَرَىٰ نِعَماً وَتَدْعُوهُ ٱلْقَسَاوِرُ سَالِبَا
ٱلنَّاصِرُ ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي خَضَعَتْ لَهُ صِيدُ ٱلْمُلُوكِ مَشَارِقاً وَمَغَارِبَا
مَلِكٌ يَرَىٰ تَعَبَ ٱلْمَكَارِمِ رَاحَةً وَيَعُدُّ رَاحَاتِ ٱلْفَرَاغِ مَتَاعِبَا
بِمَكَارِمٍ تَذَرُ ٱلسَّبَاسِبَ أَبْحُراً وَعَزَائِمٍ تَدَعُ ٱلْبِحَارَ سَبَاسِبَا
لَمْ تَخْلُ أَرْضٌ مِنْ ثَنَاهُ وَلَوْ خَلَتْ مِنْ ذِكْرِهِ مُلِئَتْ قَناً وَقَوَاضِبَا
تُرْجَىٰ مَوَاهِبُهُ وَيُرْهَبُ بَطْشُهُ مِثْلُ ٱلزَّمَانِ مُسَالِماً وَمُحَارِبَا
فَإِذَا سَطَا مَلَأَ ٱلْقُلُوبَ مَهَابَةً وَإِذَا سَخَا مَلَأَ ٱلْأَكُفَّ مَوَاهِبَا
كَٱلْغَيْثِ يَبْعَثُ مِنْ عَطَاهُ وَابِلاً سَبْطاً وَيُرْسِلُ مِنْ سَطَاهُ حَاصِبَا
كَٱللَّيْثِ يَحْمِي غَابَهُ بِزَئِيرِهِ طَوْراً وَيُنْشِبُ فِي ٱلْقَنِيصِ مَخَالِبَا
كَٱلسَّيْفِ يُبْدِي لِلنَّوَاظِرِ مَنْظَراً طَلْقاً وَيُمْضِي فِي ٱلْهِيَاجِ مَضَارِبَا
كَٱلسَّيْلِ يُحْمَدُ مِنْهُ عَذْبٌ وَاصِلٌ وَيَعُدُّهُ قَوْمٌ عَذَاباً وَاصِبَا
كَٱلْبَحْرِ يُهْدِي لِلنُّفُوسِ نَفَائِساً مِنْهُ وَيُبْدِي لِلْعُيُونِ عَجَائِبَا

فَإِذَا نَظَرْتَ نَدَىٰ يَدَيْهِ وَرَأْيَهُ   لَمْ تَلْقَ إِلَّا صَيِّباً أَوْ صَائِبَا
أَبْقَىٰ قَلَاوُونُ ٱلْفَخَارَ لِوُلْدِهِ   إِرْثاً وَفَازُوا بِٱلثَّنَاءِ مَكَاسِبَا
قَوْمٌ إِذَا سَئِمُوا ٱلصَّوَافِنَ صَيَّرُوا   لِلْمَجْدِ أَخْطَارَ ٱلْأُمُورِ مَرَاكِبَا
عَشِقُوا ٱلْحُرُوبَ [تَيَمُّناً] بِلِقَا ٱلْعِدَا   فَكَأَنَّهُمْ حَسِبُوا ٱلْعُدَاةَ حَبَائِبَا
وَكَأَنَّمَا ظَنُّوا ٱلسُّيُوفَ سَوَالِفاً   وَٱللُّدْنَ قَدّاً وَٱلْقِسِيَّ حَوَاجِبَا
يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْعَزِيزُ وَمَنْ لَهُ   شَرَفٌ يَجُرُّ عَلَى ٱلنُّجُومِ ذَوَائِبَا
أَصْلَحْتَ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ بِهِمَّةٍ   تَذَرُ ٱلْأَجَانِبَ بِٱلْوِدَادِ أَقَارِبَا
وَوَهَبْتَهُمْ زَمَنَ ٱلْأَمَانِ فَمَنْ رَأَىٰ   مَلِكاً يَكُونُ لَهُ ٱلزَّمَانُ مَوَاهِبَا
فَرَؤُوا خِطَاباً كَانَ خَطْباً فَادِحاً   لَهُمُ وَكُتْباً كُنَّ قَبْلُ كَتَائِبَا
وَحَرَسْتَ مُلْكَكَ مِنْ رَجِيمٍ مَارِدٍ   بِصَوَارِمٍ إِنْ صُلْتَ كُنَّ كَوَاكِبَا
حَتَّىٰ إِذَا خَطِفَ ٱلْمُكَافِحُ خَطْفَةً   أَتْبَعْتَهُ مِنْهَا شِهَاباً ثَاقِبَا
لَا يَنْفَعُ ٱلتَّجْرِيبُ خَصْمَكَ بَعْدَمَا   أَفْنَيْتَ مَنْ أَفْنَى ٱلزَّمَانَ تَجَارِبَا
صَرَّمْتَ شَمْلَ ٱلْمَارِقِينَ بِمَارِقٍ   تُبْدِيهِ مَسْلُوباً فَيَرْجِعُ سَالِبَا
صَافِي ٱلْفِرِنْدِ حَكَىٰ صَبَاحاً جَامِداً   أَبْدَى ٱلنَّجِيعَ بِهِ شُعَاعاً ذَائِبَا
وَكَتِيبَةٍ تَذَرُ ٱلصَّهِيلَ رَوَاعِداً   وَٱلْبِيض بَرْقاً وَٱلْعَجَاجَ سَحَائِبَا
حَتَّىٰ إِذَا رِيحُ ٱلْجِلَادِ حَدَتْ لَهَا   مَطَرَتْ فَكَانَ ٱلْوَبْلُ نَبْلاً صَائِبَا
بِذَوَابِلٍ مُلْسٍ يُخَلْنَ أَرَاقِماً   وَشَوَازِبٍ جُرْدٍ يُخَلْنَ عَقَارِبَا
تَطَأُ ٱلصُّدُورَ مِنَ ٱلصُّدُورِ كَأَنَّمَا   تَعْتَاضُ مِنْ وَطْءِ ٱلتُّرَابِ تَرَائِبَا
فَأَقَمْتَ تَقْسِمُ لِلْوُحُوشِ وَظَائِفاً   فِيهَا وَتَصْنَعُ لِلنُّسُورِ مَآدِبَا

وَجَعَلْتَ هَامَاتِ ٱلْكُمَاةِ مَنَابِراً وَأَقَمْتَ حَدَّ ٱلسَّيْفِ فِيهَا خَاطِبَا

يَا رَاكِبَ ٱلْخَطَرِ ٱلْجَلِيلِ وَقَوْلُهُ فَخْرٌ بِمَجْدِكَ لَا عَدِمْتَ ٱلرَّاكِبَا

صَيَّرْتَ أَسْحَارَ ٱلسَّمَاحِ بَوَاكِراً وَجَعَلْتَ أَيَّامَ ٱلْكِفَاحِ غَيَاهِبَا

وَبَذَلْتَ لِلْمُدَّاحِ صَفْوَ خَلَائِقٍ لَوْ أَنَّهَا لِلْبَحْرِ طَابَ مَشَارِبَا

فَرَأَوْكَ فِي جَنْبِ ٱلنُّضَارِ مُفَرِّطاً وَعَلَىٰ صَلَاتِكَ وَٱلصِّلَاتِ مُوَاظِبَا

إِنْ يَحْرُسِ ٱلنَّاسُ ٱلنُّضَارَ بِحَاجِبٍ كَانَ ٱلسَّمَاحُ لِعَيْنِ مَالِكَ حَاجِبَا

لَمْ يَمْلَؤُوا فِيكَ ٱلْبُيُوتَ غَرَائِباً إِلَّا وَقَدْ مَلَؤُوا ٱلْبُيُوتَ رَغَائِبَا

أَوْلَيْتَنِي قَبْلَ ٱلْمَدِيحِ عِنَايَةً وَمَلَأْتَ عَيْنِي هَيْبَةً وَمَوَاهِبَا

وَرَفَعْتَ قَدْرِي فِي ٱلْأَنَامِ وَقَدْ رَأَوْا مِثْلِي لِمِثْلِكَ خَاطِباً وَمُخَاطِبَا

فِي مَجْلِسٍ سَاوَى ٱلْخَلَائِقَ فِي ٱلنَّدَىٰ وَتَرَتَّبَتْ فِيهِ ٱلْمُلُوكُ مَرَاتِبَا

وَافَيْتُهُ فِي ٱلْفُلْكِ أَسْعَىٰ جَالِساً فَخْراً عَلَىٰ مَنْ جَاءَ يَمْشِي رَاكِبَا

فَأَقَمْتُ أُنْفِذُ فِي ٱلزَّمَانِ أَوَامِراً مِنِّي وَأُنْشِبُ فِي ٱلْخُطُوبِ مَخَالِبَا

وَسَقَتْنِيَ ٱلدُّنْيَا غَدَاةَ وَرَدْتُهُ صَفْواً وَمَا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبَا

أي كما مَطَرَتِ المعارض حيثُ يقولُ (أَظْمَتْني الدنيا) ، وكانَ ذٰلكَ بسببٍ تَعرِفُهُ إذا قرأتَ شرحَ قصيدةِ أبي الطيبِ

فَطَفِقْتُ أَمْلَأُ مِنْ ثَنَاكَ وَنَشْرِهِ حُقُباً وَأَمْلَأُ مِنْ نَدَاكَ حَقَائِبَا

أُثْنِي فَتُثْنِينِي صِفَاتُكَ مُظْهِراً عِيّاً وَكَمْ أَعْيَتْ صِفَاتُكَ خَاطِبَا

لَوْ أَنَّ أَعْضَائِي جَمِيعاً أَلْسُنٌ تُثْنِي عَلَيْكَ لَمَا قَضَيْتُ ٱلْوَاجِبَا

ولهُ في بابِ الآدابِ والحِكَمِ حِسانُ مقاطيعَ يَحسُنُ بالطَّالبِ حفظُها

منها قولُهُ(١) [من المنسرح]

صَاحِبْ إِذَا مَا صَحِبْتَ ذَا أَدَبٍ مُهَذَّباً زَانَ خَلْقَهُ ٱلْخُلُقُ
وَلَا تُصَاحِبْ مَنْ فِي طَبَائِعِهِ شَرٌّ فَإِنَّ ٱلطِّبَاعَ تُسْتَرَقُ

أي كما يقولُ الناسُ الطَّبعُ لصٌّ ، وفي الشعرِ القديمِ(٢) [من الطويل]

عَنِ ٱلْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِٱلْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

وفي الحديثِ الشَّريفِ « كُلُّ ٱمْرِئٍ يُحْشَرُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ »(٣)

ومنها قولُهُ(٤) [من الخفيف]

أَقْلِلِ ٱلْمَزْحَ فِي ٱلْكَلَامِ ٱحْتِرَازاً فَبِإِفْرَاطِهِ ٱلدِّمَاءُ تُرَاقُ
قِلَّةُ ٱلسُّمِّ لَا تَضُرُّ وَقَدْ يَقْـ ـتُلُ مِنْ فَرْطِ أَكْلِهِ ٱلدِّرْيَاقُ

الدِّرياقُ مُركَّبٌ يُعطىٰ مَنْ أصابَهُ سمٌّ ليبرأَ ، وقد قيلَ قليلُ الضَّارِّ خيرٌ مِنْ كثيرِ النافعِ ، والإفراطُ ـ كما عرفتَ ـ في أكثرِ الأشياءِ ذميمٌ

وقولُهُ(٥) [من البسيط]

عَوِّدْ لِسَانَكَ قَوْلَ ٱلْخَيْرِ تَنْجُ بِهِ مِنْ زَلَّةِ ٱللَّفْظِ بَلْ مِنْ زَلَّةِ ٱلْقَدَمِ
اِحْرِسْ كَلَامَكَ مِنْ خِلٍّ تُنَادِمُهُ إِنَّ ٱلنَّدِيمَ لَمُشْتَقٌّ مِنَ ٱلنَّدَمِ

---

(١) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » (ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤)
(٢) هو لعدي بن زيد في « ديوانه » (ص ١٠٦)
(٣) أخرجه أبو داوود (٤٨٠٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه
(٤) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » (ص ٤٤٤)
(٥) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » (ص ٤٤٥)

وقولُهُ (١) [من الكامل]

اِسْمَعْ مُخَاطَبَةَ ٱلْجَلِيسِ وَلَا تَكُنْ عَجِلاً بِنُطْقِكَ قَبْلَ مَا تَتَفَهَّمُ
لَمْ تُعْطَ مِنْ أُذُنَيْكَ نُطْقاً وَاحِداً إِلَّا لِتَسْمَعَ ضِعْفَ مَا تَتَكَلَّمُ

وقولُهُ (٢) [من البسيط]

إِنَّ ٱلْغِنَىٰ لَشِهَابٌ كُلَّمَا ٱعْتَكَرَتْ دُجَى ٱلْخُطُوبِ جَلَا مِنْهَا حَنَادِسَهَا
لَا تَنْفَعُ ٱلْخَمْسَةُ ٱلْأَسْمَاءُ مُحْدِقَةً لَدَيْكَ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ سَادِسَهَا

أي الغنىٰ ، فلا ينفعُكَ أبٌ شريفٌ ، وأخٌ عظيمٌ ، وأحماءٌ كرامٌ ، ومَنطِقٌ كما يكونُ ، وكلُّ ما يَتعلَّقُ بكَ مِنَ الأشياءِ إلَّا إذا كانَ الغنىٰ لها قريناً ، رزقَنا اللهُ الغنىٰ ، وجعلَنا مِنَ الشاكرينَ

وقولُهُ (٣) [من المتقارب]

تَأَمَّلْ إِذَا مَا كَتَبْتَ ٱلْكِتَابَ سُطُورَكَ مِنْ بَعْدِ إِحْكَامِهَا
وَهَذِّبْ عِبَارَةَ طَرْزِ ٱلْكَلَا مِ وَٱسْتَوْفِ سَائِرَ أَقْسَامِهَا
فَقَدْ قِيلَ إِنَّ عُقُولَ ٱلرِّجَا لِ تَحْتَ أَسِنَّةِ أَقْلَامِهَا



---

(١) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » (ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦)
(٢) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » (ص ٤٤٩)
(٣) انظر « ديوان صفي الدين الحلي » (ص ٤٤٩)

الجهةُ الثانيةُ

[في عشرةِ أصولٍ يعتمدُها الكاتبُ في المكاتباتِ]

في أمورٍ كليَّةٍ يَتعيَّنُ علىٰ مريدِ الصِّناعةِ : التمكُّنُ مِنْ معرفتِها واعتبارِها ؛ ليأتيَ بها علىٰ وجهِها

وأوردَهـا أبو العباسِ أحمدُ القَلْقَشَنْديُّ في كتابِهِ « صبحِ الأعشىٰ » ، وسمَّاها أصولاً يعتمدُها الكاتبُ في المكاتباتِ ؛ وهيَ عشرةٌ

[حسنُ الافتتاحِ]

الأصلُ الأوَّلُ[1] حسنُ الافتتاحِ المطلوبُ في سائرِ أنواعِ الكلامِ مِنْ نثرٍ ونظمٍ ، ممَّا يُوجِبُ التحسينَ ؛ ليكونَ داعيةً لاستماعِ ما بعدَهُ ، ويَرجِعُ حسنُ الافتتاحِ في المكاتبةِ إلىٰ معنيَينِ

المعنى الأوَّلُ أن يكونَ الحسنُ فيهِ راجعاً إلى المبتدأ بهِ

إمَّا الافتتاحُ بالحمدِ للهِ كما في بعضِ المُكاتباتِ ؛ لأنَّ النفوسَ تَتشوَّقُ إلى الثناءِ على اللهِ تعالىٰ ، أو بالسلامِ الذي جعلَهُ الشارعُ مُفتتحَ الخطابِ ، أو نحوِ ذٰلك

وإمَّا بالافتتاحِ بما فيهِ تعظيمُ المكتوبِ إليهِ ، مِنْ تقبيلِ الأرضِ أوِ اليدِ ، أوِ الدعاءِ لهُ ، أو غيرِ ذٰلكَ ؛ فإنَّ أمرَ المكاتباتِ مبنيٌّ على التملُّقِ ، واستجلابِ الخواطرِ ، وتآلفِ القلوبِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا يجري هـٰذا المَجرىٰ علىٰ ما يقتضيهِ اصطلاحُ كلِّ زمنٍ في الابتداءاتِ



---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٧٤)

المعنى الثاني أن يكونَ الحسنُ فيهِ راجعاً إلىٰ ما يُوجِبُ التحسينَ ؛ مِنْ سهولةِ اللفظِ ، وصحَّةِ السَّبكِ ، ووضوحِ المعنىٰ ، وتجنُّبِ الحشوِ ، وغيرِ ذٰلكَ ؛ كما كتبَ الأستاذُ أبو الفضلِ بنُ العميدِ عن ركنِ الدَّولةِ بنِ بويهَ إلىٰ مَنْ عصىٰ عليهِ ، مُفتتِحاً كتابَهُ بقولِهِ[1] (كتابي إليكَ وأنا مُترَدِّدٌ بينَ طمعٍ فيكَ ، ويأسٍ منكَ ، وإقبالٍ عليكَ ، وإعراضٍ عنكَ ؛ فإنَّكَ تُدِلُّ بسابقِ خدمةٍ أيسرُها يُوجِبُ رعايةً ، ويقتضي محافظةً وعنايةً ، ثمَّ تشفعُها بحادثِ غلولٍ وخيانةٍ ، وتتبعُها بخلافٍ ومعصيةٍ ، أدنىٰ ذٰلكَ يُحبِطُ أعمالَكَ ، ويُسقِطُ كلَّ ما يُرعىٰ لكَ)

وكما كتبَ أبو [حفصٍ] بنُ بردٍ الأندلسيُّ عن ملكِهِ إلىٰ مَنْ عصىٰ ثمَّ عادَ إلى الطَّاعةِ[2] (أمَّا بعدُ فإنَّ الغلبةَ لنا والظُّهورَ عليكَ جلباكَ إلينا علىٰ قدمِكَ دونَ عهدٍ ولا عقدٍ يمنعانِ مِنْ إراقةِ دمِكَ ، ولٰكنَّا لمَّا وهبَ اللهُ لنا مِنَ الإشرافِ علىٰ سرائرِ الرئاسةِ والحفظِ لشرائعِ السياسةِ تأمَّلنا مَنْ ساسَ جهتَكَ قبلَنا ، فوجدْنا يدَ سياستِهِ خرقاءَ ، وعينَ حزامتِهِ عوراءَ ، وقَدَمَ مداراتِهِ شلَّاءَ ؛ لأنَّهُ مالَ عن ترغيبِكَ فلم ترجُهُ ، وعن ترهيبِكَ فلم تخشَهْ ، فأدَّتْكَ جانحتُكَ إلىٰ طلابِ المطاعمِ الدنيَّةِ ، وقِلَّةُ مهابتِكَ إلى التهالُكِ على المعاصي الوبيَّةِ)



(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٧٥)

(٢) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٧٥)

[براعةُ الاستهلالِ]

الأصلُ الثاني براعةُ الاستهلالِ المطلوبةُ في كلِّ فنٍّ مِنْ فنونِ الكلامِ ؛ بأن يأتيَ في صدرِ المُكاتبةِ بما يَدُلُّ علىٰ عَجُزِها ؛ فإن كانَ الكتابُ بفتحٍ أتىٰ في أوَّلِهِ بما يَدُلُّ على التهنئةِ ، أو بتعزيةٍ أتىٰ في أوَّلِهِ بما يَدُلُّ على التعزيةِ ، أو في غيرِ ذٰلكَ مِنَ المعاني أتىٰ في أوَّلِهِ بما يَدُلُّ عليهِ ؛ ليُعلَمَ مِنْ مبدأ الكلامِ ما المرادُ

كما يُحكىٰ أنَّ عمرَو بنَ مسعدةَ كاتبَ المأمونِ أمرَ كاتبَهُ أن يكتبَ إلى الخليفةِ كتاباً يُعرِّفُهُ فيهِ أنَّ بقرةً ولدَتْ عِجلاً وجهُهُ وجهُ إنسانٍ ، فكتبَ[1] (أمَّا بعدُ حمداً للهِ خالقِ الأنامِ في بطونِ الأنعامِ)

وفُضلاءُ الكُتَّابِ وأئمَّتُهُم يَعتنونَ بذٰلكَ كلَّ الاعتناءِ ، ويرونَ تركَهُ إخلالاً بالصَّنعةِ ، ونقصاً في الكتابةِ ، حتىٰ إنَّ الوزيرَ ضياءَ الدِّينِ بنَ الأثيرِ في « المثلِ السائرِ » قد عابَ أبا إسحاقَ الصَّابئَ ـ علىٰ جلالةِ قدرِهِ في الكتابةِ ، واعترافِهِ لهُ بالتقدُّمِ في الصِّناعةِ ـ بكتابٍ كتبَهُ بفتحِ بغدادَ وهزيمةِ التركِ ، فقالَ في أوَّلِهِ[2] (الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، الملكِ الحقِّ المبينِ ، الوحيدِ الفريدِ ، العليِّ المجيدِ ، الذي لا يُوصَفُ إلَّا بسَلْبِ الصِّفاتِ ، ولا يُنعَتُ إلَّا برفعِ النعوتِ ، الأزليِّ بلا ابتداءٍ ، الأبديِّ بلا انتهاءٍ ، القديمِ لا إلىٰ أمدٍ محدودٍ ، الدائمِ لا إلىٰ أجلٍ معدودٍ ، الفاعلِ لا مِنْ مادَّةٍ امتدَّها ، الصَّانعِ لا بآلةٍ استعملَها ، الذي لا تُدرِكُهُ الأعينُ بألحاظِها ، ولا تَحُدُّهُ الألسنُ بألفاظِها ، ولا تُخْلِقُهُ العصورُ بمرورِها ، ولا تَهدِمُهُ الدُّهورُ بكُرورِها ، ولا تجاريهِ أقدامُ

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٧٦)

(٢) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٧٦)

النظراءِ والأشكالِ ، ولا تزاحمُهُ مناكبُ القُرناءِ والأمثالِ ، بل هوَ الصَّمدُ الذي لا كفؤَ لهُ ، والفردُ الذي لا [توءمَ] معَهُ ، والحيُّ الذي لا تَخترِمُهُ المَنونُ ، والقَيُّومُ الذي لا تَشغلُهُ الشُّؤونُ ، والقديرُ الذي لا تَؤُودُهُ المُعضِلاتُ ، والخبيرُ الذي لا تَعييهِ المشكلاتُ)

فقالَ[1] (إنَّ هـٰذهِ التحميدةَ لا تناسبُ الكتابَ الذي افتتحَهُ بها ، وإنَّما تَصلُحُ أن تُوضَعَ في صدرِ مُصنَّفٍ مِنْ [مُصنَّفاتِ] أصولِ الدِّينِ ؛ ككتابِ « الشاملِ » للجوينيِّ ، وكتابِ « الاقتصادِ » للغزاليِّ ، وما جرىٰ مَجراهُما ، فأمَّا أن تُوضَعَ في أوَّلِ كتابِ فتحٍ فلا)

ثمَّ مِنَ المُكاتباتِ ما يَعسُرُ معَهُ الإتيانُ ببراعةِ الاستهلالِ ، فيأتي بها فيما يلي ذٰلكَ مِنَ الكلامِ في مُقدِّمةِ المكاتبةِ ، قبلَ الخوضِ في المقصودِ ، ولا يهملُها جملةً ، علىٰ أنَّ الشيخَ شهابَ الدِّينِ محموداً الحلبيَّ رحمَهُ اللهُ قد ذكرَ في كتابِهِ « حسنِ التوسُّلِ » أنَّهُ إن عَسُرَ عليهِ براعةُ الاستهلالِ أتىٰ بما يُقارِبُ المعنىٰ

وبكلِّ حالٍ فإذا أتىٰ ببراعةِ استهلالٍ في أوَّلِ مكاتبةٍ استصحبَها إلى الفراغِ مِنَ الخُطبةِ إن كانَ الكتابُ مُفتتَحاً بخُطبةٍ ، وإلَّا استصحبَها إلى الفراغِ مِنْ مُقدِّمةِ الكتابِ الآتي بيانُها



(١) القائل هو ابن الأثير

[المقدمةُ المشتملةُ على المقاصدِ الجليلةِ للموضوعِ]

الأصلُ الثالثُ المُقدِّمةُ التي يلزمُ أن يأتيَ بها في صدرِ الكتبِ المشتملةِ على المقاصدِ الجليلةِ ؛ تأسيساً لما يأتي بهِ في [مكاتبتِهِ] ، مثلَ أن يأتيَ في صدرِ كتبِ الحثِّ على الجهادِ : بذكرِ افتراضِهِ على الأُمَّةِ ، وما وعدَ اللهُ تعالىٰ بهِ مِنْ نصرِ أوليائِهِ ، وخذلانِ أعدائِهِ ، وإعزازِ المُوحِّدينَ ، وقمعِ الملحدينَ ، وفي صدورِ كتبِ الفتحِ بإنجازِ وعدِ اللهِ الذي وعدَهُ أهلَ الطَّاعةِ مِنَ النصرِ والظَّفَرِ ، وإظهارِ دينِهِ على الدِّينِ كلِّهِ ، وفي صدورِ كتبِ جبايةِ الخَراجِ يُصدِّرُ بحاجةِ قيامِ الملكِ إلى الاستعانةِ بما يستخرجُ مِنْ حقوقِ السُّلطانِ في عمارةِ الثغورِ ، وتحصينِ الأعمالِ ، وتقويةِ الرجالِ ، ونحوِ ذٰلكَ ممَّا يجري علىٰ هٰذا النمطِ ؛ فقد قيلَ إنَّهُ لا يَحسُنُ بالكاتبِ أن يخليَ كلامَهُ وإن كانَ وجيزاً مِنْ مُقدِّمةٍ يفتتحُهُ بها وإن وقعَتْ في حرفَينِ أو ثلاثةٍ ؛ ليُوفِّيَ التأليفَ حقَّهُ

قالَ في « موادِّ البيانِ » (١) وعلىٰ هٰذا السبيلِ جرَتْ سُنَّةُ الكتَّابِ في جميعِ الكتبِ مِنْ أيِّ نوعٍ مِنَ المعاني ؛ كالفتوحِ ، والتهاني ، والتعازي ، والتهادي ، والاستخبارِ ، والاستبطاءِ ، والإحمادِ ، والإذمامِ ، وغيرِها ؛ ليكونَ ذٰلكَ بساطاً لِمَا يريدُ القولَ فيهِ ، وحُجَّةً يستظهرُ بها السُّلطانَ ؛ لأنَّ كلَّ كلامٍ لا بدَّ لهُ مِنْ فَرْشٍ يُفرَشُ قبلَهُ ؛ ليكونَ منهُ بمنزلةِ الأساسِ مِنَ البنيانِ ، قالَ ويُرجَعُ في هٰذهِ المُقدِّماتِ إلىٰ معرفةِ الكاتبِ ما يَستحِقُّهُ كلُّ نوعٍ مِنْ أنواعِ الكلامِ مِنَ المُقدِّماتِ التي تشاكلُها

ثمَّ قالَ والطريقُ في إصابةِ المرمىٰ في هٰذهِ المُقدِّماتِ أن تُجعَلَ

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٧٨ ـ ٢٧٩)

مشتملةً علىٰ ما بعدَها مِنَ المقاصدِ والأغراضِ ، وأن يُوضَعَ للأمرِ الخاصِّ مُقدِّمةٌ خاصَّةٌ ، وللأمرِ العامِّ مُقدِّمةٌ عامَّةٌ ، ولا يُطوِّلَ في موضعِ الاقتصارِ ، ولا يُقصِّرَ في موضعِ الإيجازِ ، ولا يجعلَ أغراضَها بعيدةَ المأخذِ ، مُعتاصةً على المُتصفِّحِ ؛ وذٰلكَ أنَّ الكاتبَ ربَّما قصدَ إظهارَ القدرةِ على الكلامِ ، والتصرُّفَ في وجوهِ النطقِ ، فخرجَ إلى الإملالِ والإضجارِ الذي تَتبرَّمُ منهُ النفوسُ وذَوُو الأخطارِ الجليلةِ

أمَّا الكتبُ التي لا تشتملُ على المقاصدِ الجليلةِ ؛ كرقاعِ التحفِ والهدايا ونحوِها فقد ذكرَ في « موادِّ البيانِ » أنَّهُ لا تُجعَلُ لها مُقدِّمةٌ ؛ فإنَّ ذٰلكَ غيرُ جائزٍ ولا واقعٍ موقعَهُ ، ألا ترىٰ أنَّهُمُ استحسنوا قولَ بعضِهِم في صدرِ رقعةٍ مقترنةٍ بتحفةٍ في يومِ مِهرجانٍ (هٰذا يومٌ جرتْ فيهِ العادةُ بأن تُهدِيَ العبيدُ فيهِ إلى السادةِ) ، واستظرفوا الكاتبَ ؛ لإيجازِهِ ، وتقريبِ المأخذِ



[معرفة مراتبِ الألفاظِ ومواقِعِها]

الأصلُ الرابعُ مواقعُ الألفاظِ الدائرةُ في الكتبِ والوادي واحدٌ ، فيلزمُ أن يميزَ موقعَ كلٍّ ليضعَهُ مكانَهُ ، قالَ في « ذخيرةِ الكُتَّابِ »[1] يجبُ على الكاتبِ الرئيسِ أن يَعرِفَ مرتبةَ الألفاظِ ومواقعَها ؛ ليُرتِّبَها ويُفرِّقَ بينَها فرقاً يَقِفُهُ على الواجبِ ، وينتهي بهِ إلى الصَّوابِ ، فيخاطبُ كلّاً في مكاتبتِهِ بما يَستحِقُّهُ مِنَ الخطابِ ؛ فإنَّهُ قبيحٌ بهِ أن يكونَ خطابُهُ أوَّلاً خطابَ الرئيسِ للمَرؤوسِ ، ويتبعُ ذٰلكَ بخطابِ المرؤوسِ للرئيسِ ، أو يبدأَ بخطابِ المرؤوسِ للرئيسِ ، ثمَّ يتبعُهُ بخطابِ الرئيسِ للمرؤوسِ

قالَ ومتى استمرَّ الكاتبُ علىٰ هٰذهِ المخالفةِ مِنَ الألفاظِ والمناقضةِ نقصَتِ المعاني ، ورذلَتِ الألفاظُ ، وسقطَتِ المقاصدُ ، وكانَ الكاتبُ قد أخلَّ مِنَ الصِّناعةِ بمعظمِها ، وتركَ مِنَ البلاغةِ غايةَ مُحكَمِها ، بل يجبُ إن بدأَ بخطابِ رئيسٍ أو نظيرٍ أو مرؤوسٍ أن يكونَ ما يَتخلَّلُ مكاتبتَهُ مِنَ الألفاظِ على اتساقٍ إلىٰ آخِرِها ، واطِّرادٍ مِنْ غيرِ مخالفةٍ بينَها ولا مُضادَّةٍ ولا مناقضةٍ

نعم ؛ يَحسُنُ ذٰلكَ في معاتباتِ الإخوانِ ، والمداعباتِ الجاريةِ بينَ الخِلَّانِ

وفي هٰذا الأصلِ يَندرِجُ الفرقُ بينَ نحوِ (أصدرْنا هٰذهِ المكاتبةَ) أو (أصدرناها) ، وبينَ (أُصدِرَتْ) وبينَ (صَدَرَتْ) ، فـ (أصدرناها) أعلىٰ

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٨٠)

بالنسبةِ للمكتوبِ إليهِ ؛ للتصريحِ فيها بالضَّميرِ العائدِ على الرئيسِ الذي صدرَتِ المكاتبةُ عنهُ ؛ إذِ الشيءُ يَشرُفُ بشرفِ مُتعلَّقِهِ ، ويلي ذٰلكَ في الرتبة (أُصدِرَتْ) لاقتضائِها إصداراً في الجملةِ ، والإصدارُ لا بدَّ لهُ مِنْ مُصدِرٍ ، وذٰلكَ المُصدِرُ هوَ الرئيسُ الصَّادرةُ عنهُ في الحقيقةِ ، وإنَّما كانَتْ دونَ الأُولىٰ للتصريحِ بالضَّميرِ هناكَ دونَ هنا ، ودونَ ذٰلك في الرتبةِ (صَدَرَتْ) لاقتضاءِ الحالِ صدورَها بنفسِها دونَ دلالةٍ على المُصدِرِ أصلاً

والفرقُ بينَ (ونُبدي لعلمِهِ) وبينَ (نُوضِّحُ لعلمِهِ) ، فـ (نبدي لعلمِهِ) أعلىٰ بالنسبةِ إلى المكتوبِ إليهِ ؛ لأنَّ الإبداءَ يرجعُ في المعنىٰ إلىٰ إظهارِ شيءٍ خفيّ ، والإيضاحَ يرجعُ إلىٰ بيانِ مشكلٍ ، وحصولُ الإشكالِ المحتاجِ إلى الإيضاحِ ربَّما دلَّ علىٰ بُعْدِ فهمِ المُخاطَبِ عنِ المقصودِ ، بخلافِ إظهارِ الخفيّ ؛ فإنَّهُ لا ينتهي إلىٰ هٰذا الحدِّ

والفرقُ بينَ (علمُهُ الكريمُ) و(علمُهُ المباركُ) ، فالكريمُ أعلىٰ مِنَ المباركِ ؛ لأنَّ في الكريمِ عراقةَ أصلٍ وشرفٍ قد تُوجَدُ في المباركِ وقد تَتخلَّفُ عنهُ

والفرقُ بينَ (ومرسومُنا لفلانٍ بكذا) وبينَ (والمرسومُ لهُ بكذا) ، فـ (مرسومُنا) أعلىٰ بالنسبةِ إلى المكتوبِ عنهُ ؛ لاشتمالِهِ علىٰ نونِ الجمعِ المقتضيةِ للتعظيمِ ، ولذٰلكَ اختصَّتْ بالملوكِ دونَ غيرِهم ، بخلافِ (والمرسومُ لهُ) فإنَّهُ عارٍ عن ذٰلكَ

والفرقُ بينَ (والمسؤولُ) وبينَ (والمستمدُّ) ، فإنَّ (المسؤولَ) أعلىٰ بالنسبةِ إلى المكتوبِ عنهُ ؛ فإنَّ (المسؤولَ) يَتضمَّنُ نوعَ ذلَّةٍ ، بخلافِ الاستمدادِ ؛ فإنَّهُ لا يستلزمُ ذٰلكَ

والفرقُ بينَ (بلغَنا) وبينَ (أُنهِيَ إلىٰ علمِنا) ، وبينَ (اتصلَ بنا) ،

فـ (اتصلَ بنا) أعلىٰ مِنْ (أُنهِيَ إلىٰ علمِنا) لِمَا في معنى الاتصالِ مِنَ التلاصقِ ، بخلافِ الإنهاءِ ، و(أُنهِيَ إلىٰ علمِنا) أعلىٰ مِنْ (بلغَنا) لأنَّ البلوغَ قد يكونُ علىٰ لسانِ الآحادِ

والفرقُ بينَ (أنهىٰ فلانٌ كذا) وبينَ (عَرَّفَنا كذا) ، فـ (عَرَّفَنا) أعلىٰ بالنسبةِ إلىٰ رافعِ الخبرِ ؛ لأنَّ في التعريفِ مزيةَ قُربٍ مِنَ الرئيسِ ، بخلافِ الإنهاءِ ؛ فإنَّهُ لا يقتضي ذٰلكَ

والفرقُ بينَ (وردَتْ مكاتبتُهُ) وبينَ (وردَتْ علينا مكاتبتُهُ) فـ (وردَتْ علينا) أعلىٰ بالنسبةِ إلىٰ صاحبِ المكاتبةِ الواردةِ ؛ لتخصيصِها بالورودِ على الرئيسِ ، بخلافِ الورودِ المطلقِ

والفرقُ بينَ (عُرِضَ علينا مكاتبتُكَ) وبينَ (وقفْنا علىٰ مكاتبتِكَ) ، فـ (وقفنا) أعلىٰ بالنسبةِ إلىٰ صاحبِ المكاتبةِ ؛ لأنَّ الوقوفَ عليها يكونُ بنفسِهِ ، والعرضُ يكونُ مِنْ غيرِهِ

والفرقُ بينَ (وشكرتُ اللّٰهَ تعالىٰ علىٰ سلامتِهِ) وبينَ (وتوالىٰ شكري للّٰهِ تعالىٰ) ، فـ (توالىٰ شكري) أعلىٰ بالنسبةِ إلى المكتوبِ إليهِ ؛ لِمَا فيه مِنْ معنى التَّكرارِ ومزيدِ الشكرِ المعروفِ بالاحتفالِ

والفرقُ بينَ (ورغبتُ إلى اللّٰهِ تعالىٰ) وبينَ (وضَرَعْتُ إلى اللّٰهِ تعالىٰ) ، فـ (ضرعتُ) أعلىٰ مِنْ (رغبتُ) لِمَا في الضَّراعةِ مِنْ مزيدِ الابتهالِ في الطَّلبِ ، بخلافِ الرغبةِ ؛ فإنَّها لا تبلغُ هٰذا المبلغَ

والفرقُ بينَ (وقابلتُ أمرَهُ بالطَّاعةِ) وبينَ (وامتثلتُ أمرَهُ بالطَّاعةِ) ، فـ (امتثلتُ أمرَهُ) أعلىٰ مِنْ (قابلتُ أمرَهُ) لِمَا في الامتثالِ مِنْ معنى الإذعانِ والانقيادِ ، بخلافِ المقابلةِ

والفرقُ بينَ (وشفعتُ لهُ) وبينَ (وسألتُ فيهِ) فالسؤالُ أعلىٰ في حقِّ المسؤولِ مِنَ الشفاعةِ ؛ لِمَا في الشفاعةِ مِنْ رفعةِ المَقامِ المُؤدِّي إلىٰ قَبولِ الشفاعةِ

والفرقُ بينَ (وخاطبتُ فلاناً في أمرِهِ) وبينَ (وتَحدَّثتُ في أمرِهِ) ، فـ (تَحدَّثتُ) أشدُّ في تواضعِ المُتكلِّمِ مِنْ (خاطبتُ) لأنَّ الخطابَ مِنَ الألفاظِ الخاصَّةِ التي لا يتعاطَاها كلُّ أحدٍ ، بخلافِ التحدُّثِ

والفرقُ بينَ (تشريفي بكذا) وبينَ (إسعافي بكذا) ، فـ (الإسعافُ) أعلىٰ رتبةً مِنَ (التشريفِ) لِمَا فيهِ مِنْ دعوى الحاجةِ والفاقةِ إلى المطلوبِ ، بخلافِ التشريفِ ، و(إتحافي) دونَ (تشريفي) لأنَّ الإتحافَ قد لا يقتضي تشريفاً

والفرقُ بينَ قولِهِ (نزلَ عندَهُ) وبينَ قولِهِ (نزلَ بساحتِهِ) ، فـ (الساحةُ) أعلىٰ ؛ لِمَا فيها مِنْ معنى الفسحةِ والاتساعِ

قلتُ [١] وربَّما وجبَ اجتنابُ هٰذهِ الكلمةِ ؛ لملاحظة وقوعِها في قولِهِ عزَّ ذكرُهُ ، ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [٢] ، كما وردَ عن بعضِ الصَّحابةِ أنَّهُ سمعَ إنساناً يقولُ انصرفوا بنا ، فقالَ ألم تسمعْ ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ [٣] ، فقلْ : انقلبوا بنا ؛ لتكونَ موافقاً قولَهُ تعالىٰ ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ [٤]

والفرقُ بينَ (فيحيطُ علمُهُ بذٰلكَ) وبينَ (فيعلمَ ذٰلكَ) ، فـ (يحيطُ

---

(١) القائل هو المؤلف ضمن نقله لكلام العلامة القلقشندي من « صبح الأعشىٰ »

(٢) سورة الصافات : (١٧٧)

(٣) سورة التوبة (١٢٧)

(٤) سورة آل عمران (١٧٤)

علمُهُ) أعلىٰ مِنْ (يعلمُ ذٰلكَ) لأنَّ في قولِهِ (فيحيطُ علمُهُ بذٰلكَ) نسبةً إلىٰ سعةِ العلمِ ؛ لِمَا فيه مِنْ معنى الإحاطةِ ، بخلافِ (فيعلمُ ذٰلكَ)



[معرفةُ مراتبِ الأدعيةِ ومواقِعِها]

الأصلُ الخامسُ الأدعيةُ التي جرتْ عادةُ السلفِ وتبعَهُمُ الخلفُ باستعمالِها في المكاتباتِ ، والنظرُ فيها مِنْ ستةِ أوجهٍ

الأوّلُ أن يَعرفَ مراتبَ الدعاءِ ؛ ليوقعَها في مواقعِها ، ويوردَها في مواردِها ، ويأتي ذٰلكَ في عدَّةِ أدعيةٍ

منها الدعاءُ بإطالةِ البقاءِ ، والدعاءُ بإطالةِ العمرِ ، فالدعاءُ بإطالةِ البقاءِ أرفعُ مِنَ الدعاءِ بإطالةِ العمرِ ؛ وذٰلكَ أنَّ البقاءَ لا يَدُلُّ علىٰ مُدَّةٍ تنقضي ؛ لأنَّهُ ضدُّ الفَناءِ ، والعمرُ يدلُّ علىٰ مُدَّةٍ تنقضي ، ولذٰلكَ يُوصَفُ اللهُ تعالىٰ بالبقاءِ ، ولا يُوصَفُ بالعمرِ ، قالَ في « موادِّ البيانِ »[1] ومِنْ هنا جُعِلَ الدعاءُ بإطالةِ البقاءِ أوّلَ مراتبِ الدعاءِ ، وخُصَّ بالخلفاءِ ، وجُعِلَ ما يليهِ لِمَنْ دونَهُم ، ويتلوهُ الدعاءُ بالمَدِّ في العمرِ ، فيكونُ دونَ الدعاءِ بالإطالةِ ؛ لأنَّ الوصفَ بطولِ الزمانِ أبلغُ مِنَ الوصفِ بالمَدِّ فيهِ ؛ مِنْ حيثُ إنَّ المَدَّ قابلٌ للمُدَّةِ الطويلةِ والمُدَّةِ القصيرةِ ، ولذٰلكَ صارَتْ مرتبةُ الطُّولِ أقربَ إلىٰ مرتبةِ البقاءِ مِنْ مرتبةِ المَدِّ

ومنها الدعاءُ بدوامِ النعمةِ ، والدعاءُ بمضاعفتِها ، فالدعاءُ بالمضاعفةِ أعلىٰ ؛ لأنَّ الدوامَ غايتُهُ استصحابُ ما هو عليهِ ، والمضاعفةُ مقتضيةٌ للزيادةِ علىٰ ذٰلكَ

ومنها الدعاءُ بعزِّ الأنصارِ ، وبعزِّ النصرِ ، وبعزِّ النُّصرةِ ، وقدِ اصطلحَ كُتَّابُ الزمانِ علىٰ أن جعلوا أعلاها الدعاءَ بعزِّ الأنصارِ ؛ لأنَّ عزَّ أنصارِهِ عزٌّ لهُ

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٨٤)

بالضَّرورةِ ، معَ ما فيهِ مِنْ تعظيمِ القدرِ ورفعةِ الشأنِ ؛ إذِ الأنصارُ لا تكونُ إلَّا لملكٍ عظيمٍ أو أميرٍ كبيرٍ ، والدعاءُ بعزِّ النصرِ أعلىٰ مِنَ الدعاءِ بعزِّ النُّصرةِ ؛ لِمَا في الأوَّلِ مِنْ معنى التذكيرِ ، وهوَ أرفعُ رتبةً مِنَ التأنيثِ ، علىٰ أنَّهُ لو جُعِلَ الدعاءُ بعزِّ النصرِ أعلىٰ مِنَ الدعاءِ بعزِّ الأنصارِ لكانَ لهُ وجهٌ ؛ لِمَا في عزِّ النصرِ مِنَ الغَناءِ عن عزِّ الأنصارِ

ومنها : الدعاءُ بعزِّ الأحكامِ ، والدعاءُ بتأييدِ الأحكامِ ، فالدعاءُ بعزِّ الأحكامِ أعلىٰ ؛ لأنَّ المرادَ بالتأييدِ التقويةُ ؛ فقد تُوجَدُ القُوَّةُ ولا عزَّ معَها

وينبغي للكاتبِ أن يحترزَ في تنزيلِ كلِّ أحدٍ مِنَ المكتوبِ إليهِم منزلتَهُ في الدعاءِ ، فلا ينقصُ أحداً عن حقِّهِ ، ولا يزيدُهُ فوقَ حقِّهِ ، فقد قالَ في « موادِّ البيانِ »[1] إنَّ الملوكَ تسمحُ ببدَرَاتِ المالِ ، ولا تسمحُ بالدعوةِ الواحدةِ



الثاني أنْ يَعرِفَ ما يناسبُ كلَّ واحدٍ مِنْ أربابِ المناصبِ الجليلةِ مِنَ الدعاءِ ، فيَخُصَّهُ بهِ ؛ فيأتي بالدعاءِ في المكاتبةِ للملوكِ بإطالةِ البقاءِ ، ودوامِ السُّلطانِ ، وخلودِ الملكِ ، وما أشبهَ ذٰلكَ

ويأتي في المكاتبةِ إلى الأمراءِ بالدعاءِ بعزِّ الأنصارِ ، وعزِّ النصرِ ، ومضاعفةِ النعمةِ ومداومتِها ، وما شاكلَ ذٰلكَ ، علىٰ أنَّ ابنَ شيثٍ قد ذكرَ في « معالمِ الكتابةِ »[2] أنَّ الدعاءَ بعزِّ النصرِ ومضاعفةِ الاقتدارِ كانَ في الدولةِ الأيوبيَّةِ ممَّا يَختصُّ بالسُّلطانِ دونَ غيرِهِ

ويأتي في المكاتباتِ للوزراءِ مِنْ أربابِ الأقلامِ ومَنْ في معناهُم بالدعاءِ

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٨٥)

(٢) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٨٥)

بسبوغِ النعماءِ ، وتخليدِ السعادةِ ، ودوامِ المجدِ ، وما يضاهي ذٰلكَ

ويأتي في المكاتباتِ للقُضاةِ والحُكَّامِ بالدعاءِ بعزِّ الأحكامِ ، وتأييدِ الأحكامِ ، وما يطابقُ ذٰلكَ

ويأتي في المكاتبةِ إلى التجَّارِ بالدعاءِ بمزيدِ الإقبالِ ، وخلودِ السعادةِ ، وشبهِ ذٰلكَ

ويأتي في الإخوانياتِ ومكاتبةِ النظراءِ مِنَ الدعاءِ بما يقتضيهِ الحالُ بينَهُم مِنَ الودِّ والإدلالِ ؛ بحَسَبِ ما يراهُ الكاتبُ ، ويؤدِّي إليهِ اجتهادُهُ ، قالَ في « موادِّ البيانِ »[1] وقد كانوا يختارونَ في الدعاءِ للأدباءِ أبقاكَ اللهُ ، وأكرمَكَ اللهُ ، وفي الدعاءِ للابنِ والحُرْمةِ أبقاكَ اللهُ ، وأمتعَ بكَ

أمَّا أهلُ الكفرِ فقدِ اصطلحوا على الدعاءِ لهُم بطولِ البقاءِ وما في معناهُ ، أمَّا جوازُ أصلِ الدعاءِ لهُم فلِمَا رُوِيَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ استسقىٰ ، فسقاهُ يهوديٌّ ، فقالَ لهُ « جَمَّلَكَ اللهُ » ، فما رُئِيَ الشيبُ في وجهِهِ حتىٰ ماتَ[2] ، فدلَّ علىٰ جوازِ الدعاءِ للكافرِ بما لا ضررَ فيهِ على المسلمينَ ، ما لم يَنضمَّ إليهِ قُوَّةٌ ونحوُ ذٰلكَ ، بل ربَّما كانَ في طولِ بقائِهِ حملُ جزيةٍ أو غنيمةٌ أو ثوابُ جهادٍ ونحوُ ذٰلكَ

والثالثُ أن يَعرِفَ ما يناسبُ كلَّ حالةٍ مِنْ حالاتِ المُكاتباتِ ، فيأتي لكلِّ حالةٍ بما يناسبُها مِنَ الدعاءِ ، قالَ في « موادِّ البيانِ »[3] ينبغي أن تكونَ الأدعيةُ دالَّةً علىٰ مقاصدِ الكتابِ ؛ فإن كانَ في الهناءِ أتىٰ بما يناسبُهُ ،

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٢٨٦/٦)
(٢) أخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٨٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه
(٣) انظر « صبح الأعشىٰ » (٢٨٧/٦)

وكذٰلكَ الحالُ في كلِّ معنىً مِنَ المعاني التي يكتبُ فيها ؛ مِنَ التعزيةِ ، وشكرِ النعمةِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ؛ فإنَّهُ متىٰ خرجَ الدعاءُ عنِ المناسبةِ وباينَ المقصودَ خرجَ عن جادَّةِ الصِّناعةِ ، وتَوجَّهَ اللَّومُ على الكاتبِ ، لا سيَّما إذا أتىٰ بما يُضادُّ المرادَ ، كما حكىٰ أبو هلالٍ العسكريُّ في « الصِّناعتَينِ »[1] أن بعضَهُم كتبَ إلىٰ محبوبتِهِ عصمَنا اللهُ وإيَّاكِ ممَّا يُكرَهُ ، فكتبَتْ إليهِ يا غليظَ الطَّبعِ ؛ إنِ استُجيبَ لكَ لم نلتقِ أبداً !!

ويَختلِفُ الحالُ في ذٰلكَ باختلافِ حالِ المكاتباتِ

فتارةً يكونُ باعتبارِ الشيءِ المكتوبِ بسببِهِ ؛ كما يُكتَبُ في معنى البشارةِ بجلوسِ الملكِ علىٰ تختِ المُلْكِ لا زالَ أمرُهُ ، وأمتعَهُ مِنَ البشائرِ بما يَتوضَّحُ علىٰ جبينِ الصَّباحِ بشرُهُ ، وما يَترجَّحُ علىٰ ميزانِ الكواكبِ قدرُهُ ، وما يَنفسِحُ مِنْ أوقاتِ أمنٍ لا يختلفُ فيها زيدُهُ وعمرُهُ

وكما يُكتَبُ في البُشرىٰ بفتحٍ ولا زالَتْ آياتُ النصرِ تُتلىٰ عليهِ مِنْ صُحُفِ البشائرِ ، ونفائسُ الظَّفرِ تُجلىٰ علىٰ سِرِّهِ في أسعدِ طائرٍ ، وفواتحُ الفتحِ تُزْهىٰ بهِ الأَسِرَّةُ وتزهو بنورِهِ المنابرُ

وكما يُكتَبُ في التهنئةِ بعافيةٍ ولا برحَ في بردِ الصِّحةِ رافلاً ، بعزمِهِ وحزمِهِ كافلاً ، والإقبالُ لجنابِهِ العالي بالهناءِ بعافيةٍ واصلاً

وتارةً يكونُ باعتبارِ حالِ المكتوبِ إليهِ التي هوَ بصددِها ؛ كما يُكتَبُ لِمَنْ خرجَ إلى الغزوِ وحَفَّهُ بلطفِهِ فلا يخيبُ ، وهَيَّأَ لهُ النصرَ والفتحَ القريبَ ، وجعلَ علىٰ يدَيهِ دمارَ الكُفَّارِ ، حتىٰ لا يَبقىٰ لهُم بشِدَّةِ بأسِهِ مِنَ السلامةِ نصيبٌ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ١٦٥) ، و« صبح الأعشى » (٦/٢٨٧)

وكما يُكتَبُ إلىٰ مَنْ خرجَ إلى الصَّيدِ وأمتعَهُ بصُيودِهِ ، وجعلَ الأقدارَ مِنْ جنودِهِ ، وأراهُ مِنْ مصارعِ أعدائِهِ لسيوفِهِ ورماحِهِ ما يَراهُ مِنْ مصارعِ صيدِهِ ببُزاتِهِ وفهودِهِ

وكما يُكتَبُ لِمَنْ خرجَ في سفرٍ وقضىٰ بقُرْبِ رَجْعتِهِ ، وجعلَهُ كالهلالِ في مسيرِهِ سببُ رفعتِهِ ، وسَكَّنَ بقدومِهِ أشواقَ أوليائِهِ وأهلِ مَحبَّتِهِ

وكما يُكتَبُ لِمَنْ خرجَ لتخضيرِ البلادِ وألبسَ البلادَ بقدومِهِ أخضرَ الأثوابِ ، وأحلَّهُ أشرفَ محلٍّ وأخضرَ جنابٍ

وتارةً يكونُ باعتبارِ وظيفةِ المكتوبِ إليهِ التي هوَ قائمٌ بها ؛ كما يُكتَبُ إلىٰ [كافلِ] المملكةِ ولا زالَتْ كفايةُ كفالتِهِ تزيدُ على الآمالِ ، ويَتقرَّبُ إلى اللهِ تعالىٰ بصالحِ الأعمالِ ، ويَكفُلُ ما بينَ أقصى الجنوبِ وأقصى الشَّمالِ

وكما يُكتَبُ إلىٰ قاضٍ : ويَفصِلُ بينَ الخصومِ بأحكامِهِ المُسدَّدةِ ، وأقضيتِهِ التي بها قواعدُ الإسلامِ مُمهَّدةٌ ، وأبنيةُ الشرعِ المُطهَّرةُ وأركانُهُ مُشيَّدةٌ

وكما يُكتَبُ إلىٰ مُتصوِّفٍ وأعادَ مِنْ بركاتِ تَهجُّداتِهِ ، وأنارَ الليالِيَ بصالحِ دعواتِهِ

وتارةً يكونُ باعتبارِ بلدِ المكتوبِ إليهِ وناحيتِهِ ؛ كما يُكتَبُ إلىٰ نائبِ الشامِ ولا زالَ النصرُ حليةَ أيَّامِهِ ، وشامةَ شامِهِ ، وغَمامةَ ما يخلفُ علىٰ بلدِهِ المُخْصِبِ مِنْ غَمامِهِ (١)

وكما يُكتَبُ إلىٰ نائبِ حلبَ في زمنِ الحروبِ ولا زالَ يُعَدُّ ليومٍ تَشيبُ فيهِ الوِلدانُ ، [ويُصَدُّ دونَهُ] كُلُّ محاربٍ بينَ الشَّهباءِ والميدانِ ، ويَعُمُّ حلبَ

---

(١) في « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٨٩) (يحلّق) بدل (يخلف)

مِنْ حلي أيامِهِ ما لا يُفقَدُ معَهُ إلَّا اسمُ ابنِ حمدانَ ، ونحوُ ذٰلكَ ممَّا يَنخرِطُ في هٰذا السلكِ

وتارةً يكونُ باعتبارِ اسمِ المكتوبِ إليهِ ولقبِهِ ؛ كما يُكتَبُ إلىٰ مَنْ لقبُهُ سيفُ الدِّينِ ولا زالَ سيفُهُ في رقابِ أعدائِهِ مُغمَداً ، وحدُّهُ يَذَرُ كلَّ ملحِدٍ مُلْحَداً

وكما يُكتَبُ إلىٰ مَنْ لقبُهُ عزُّ الدِّينِ ولا زالَ عِزُّهُ دائماً ، والزمانُ في خدمتِهِ قائماً ، وطَرْفُ الدَّهرِ عن مراقبةِ سعادتِهِ نائماً

وكما يُكتَبُ إلىٰ مَنْ لقبُهُ شمسُ الدِّينِ ولا زالَتْ شمسُ سعادتِهِ مُشرِقةً ، وأغصانُ فضلِهِ بالعوارفِ مُورِقةً ، وعيونُ طوارقِ الغيرِ عنهُ في كلِّ زمنٍ مُطرِقةً

وكما يُكتَبُ إلىٰ مَنْ لقبُهُ ناصرُ الدِّينِ ونصرَ عزائمَهُ ، وشكرَ مكارمَهُ ، ووَفَّرَ مِنَ الحسناتِ مغانمَهُ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأمورِ التي ستقفُ على الكثيرِ منها في الكلامِ علىٰ مقاصدِ الكتابِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ

الرابعُ أن يَعرِفَ مواضعَ الدعاءِ على المكتوبِ إليهِ ، ومَنِ الذي يُصرَّحُ بذٰلكَ في المكاتبةِ إليهِ ، وقد ذكرَ ابنُ شيثٍ في « معالمِ الكتابةِ »[1] أنَّ الدعاءَ في صدورِ الكتبِ كانَ مِنْ عوائدِ مكاتبةِ الأدنىٰ إلى الأعلىٰ ؛ مثلُ وقصمَ ، وأذلَّ ، وقهرَ ، وحصدَ ، وكذٰلك المماثلُ والمقاربُ ، فأمَّا مِنَ الأعلىٰ إلى الأدنىٰ . فلم يكنْ ذٰلكَ معروفاً عندَ المُتقدِّمينَ ، لا سيَّما إذا كانَ الكتابُ عنِ السلطانِ ، ثمَّ قالَ ولٰكنْ قد أُفْلِتَ الحبلُ في ذٰلكَ الآنَ ، قالَ ولا يُقالُ للأدنىٰ غيرُ كُبِتَ عدوُّهُ ، أو ضدُّهُ ، أو حاسدُهُ خاصَّةً

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٩٠)

ومنها أن يَعرِفَ ما كرهَهُ الكُتَّابُ مِنَ الدعاءِ فيتجنبَهُ ، وهوَ علىٰ ضربَينِ

الضَّربُ الأوَّلُ ما كرهوهُ في المكاتبةِ إلىٰ كلِّ أحدٍ ، قالَ في « موادِّ البيانِ »[١] كانَتْ عادتُهُم جاريةً أن يَتجنَّبوا مِنَ الأدعيةِ ما لا محصولَ لهُ ؛ كقولِهِم جعلَني اللهُ فداكَ ، وقدَّمَني إلى السُّوءِ دونَكَ ؛ لِمَا في ذٰلكَ مِنَ التصنُّعِ والملقِ الذي لا يرضاهُ السُّلطانُ ؛ لأنَّ نفسَ الداعي لا تسمحُ باستجابتِهِ ، ويُؤيِّدُ ما ذكرَهُ ما كتبَ بهِ ابنُ عبدِ ربِّهِ إلىٰ بعضِ أصدقائِهِ[٢] جُعِلتُ فداكَ على الصحَّةِ والحقيقةِ ، لا علىٰ مَجرى المكاتبةِ ومذهبِ العادةِ

قالَ في « موادِّ البيانِ »[٣] : وإنَّما يَحسُنُ ذٰلكَ مِنَ الخواصِّ الذينَ يَتحقَّقونَ أنَّ بقاءَهُم معذوقٌ ببقاءِ رؤسائِهِم[٤] ، وثباتَ نعمِهِم مقرونٌ بثباتِ أيامِ سلاطينِهِم ؛ لأنَّه يَصدُرُ عن عقائدَ مُستحكِمةٍ مِنْ بذلِ الأنفسِ دونَهُم

وما ذهبَ إليهِ مِنْ كراهةِ ذٰلكَ قد نُقِلَ في « صناعةِ الكتابِ » مثلُهُ عن مالكِ بنِ أنسٍ ، واحتجَّ لهُ بما رُوِيَ عنِ الزبيرِ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ جُعِلتُ فداكَ ، فقالَ لهُ « مَا تَرَكْتَ أَعْرَابِيَّتَكَ بَعْدُ ؟! »[٥] ، علىٰ أنَّ بعضَهُم قد أجازَ ذٰلكَ ؛ احتجاجاً بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لبعضِ مَنْ كانَ يرمي دونَهُ يومَ أُحُدٍ « ٱرْمِ ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي »[٦] ، وبما رُوِيَ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قالَ لَهُ « أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ ٱللهُ بِهِنَّ ؟ » ، قالَ نعم ، جعلَني اللهُ فداكَ[٧] ،

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٩٠)
(٢) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٩٠)
(٣) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٩٠)
(٤) يقال فلان معذوق بالشر ؛ أي موسوم به
(٥) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٥٠١) عن الحسن رحمه الله تعالىٰ
(٦) أخرجه البخاري (٢٩٠٥) ، ومسلم (٢٤١١) عن سيدنا علي رضي الله عنه
(٧) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (١٩٧٢)

ولم يُنكِرْ عليهِ ، فلعلَّ إنكارَهُ عليهِ كانَ لحالةٍ قارنَتِ الدعاءَ بذٰلكَ ، وفي معنىٰ ذٰلكَ كلُّ ما يجري هٰذا المَجرىٰ ونحوَهُ

الضَّربُ الثاني ما يَختصُّ كراهتُهُ بالبعضِ دونَ البعضِ ؛ وهوَ نوعانِ

ـ النوعُ الأوَّلُ ما يَختصُّ بالرجالِ ؛ فمِنْ ذٰلكَ ما ذكرَهُ في « موادِّ البيانِ »(١) أنَّهم كانوا لا يستحسنونَ الدعاءَ بالإمتاعِ ؛ نحوَ أمتعَ اللهُ بكَ ، وأمتعَني اللهُ بكَ ، في حقِّ الإخوانِ

ومِمَّا يُحكىٰ في ذٰلكَ أنَّ محمدَ بنَ عبدِ الملكِ الزيَّاتَ كتبَ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ في كتابٍ وأمتعَ بكَ ، فكتبَ إليهِ عبدُ اللهِ بنُ طاهرٍ [من المنسرح]

أَحُلْتَ عَمَّا عَهِدْتُ مِنْ أَدَبِكْ ... أَمْ نِلْتَ مُلْكاً فَتِهْتَ فِي كُتُبِكْ
أَتْعَبْتَ كَفَّيْكَ مِنْ مُكَاتَبَتِي ... حَسْبُكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي تَعَبِكْ
إِنَّ جَفَاءً كِتَابُ ذِي مِقَةٍ ... يَكُونُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعَ بِكْ

فأجابَهُ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ الزيَّاتُ معتذراً بقولِهِ [من المنسرح]

كَيْفَ أَخُونُ ٱلْإِخَاءَ يَا أَمَلِي ... وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكْ
إِنْ يَكُ جَهْلٌ أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي ... فَعُدْ بِفَضْلٍ عَلَيَّ فِي أَدَبِكْ

ـ النوعُ الثاني ما يَختصُّ بالنساءِ فقد ذكرَ أبو جعفرٍ النَّحَّاسُ أنَّهُ لا يُقالُ في مكاتبتِهِنَّ وأدامَ كرامتَكِ ، ولا وأتمَّ نعمتَهُ عليكِ ، ولٰكنْ لديكِ

أمَّا منعُ الدعاءِ لهنَّ بالكرامةِ فلِمَا حَكىٰ محمدُ بنُ عمرَ المدائنيُّ أنَّ

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٩١)

بعض عُمَّالِ زبيدةَ كتبَ إليها كتاباً بسببِ ضِياعٍ لها ، فوَقَّعَتْ لهُ علىٰ ظهرِ كتابِهِ أردتَ أن تدعوَ لنا فدعوتَ علينا !! فأصلِحْ خطأَكَ في كتابِكَ ، وإلَّا صرفناكَ عن جميعِ أعمالِكَ

فأدركَهُ القلقُ ، وجعلَ يَتصفَّحُ الكتابَ ويَعرِضُهُ على الكُتَّابِ ، فلا يجدُ فيهِ شيئاً ، إلىٰ أن عرضَهُ علىٰ بعضِ أهلِ المعرفةِ ، فقالَ إنَّما كرهَتْ دعاءَكَ في صدرِ كتابِكَ بقولِكَ (وأدامَ كرامتَكِ) لأنَّ كرامةَ النساءِ دفنُهُنَّ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ « دَفْنُ ٱلْبَنَاتِ مِنَ ٱلْمَكْرُمَاتِ »[1] ، فغَيَّرَ ذٰلكَ الحرفَ مِنْ كتابِهِ ، وأعادَهُ إليها ، فوَقَّعَتْ لهُ علىٰ ظهرِهِ أحسنتَ ولا تعدْ

الخامسُ أن يَتجنَّبَ الخلافَ في الدعاءِ في فصولِ الكتابِ ، ولا يواليَ بينَ دعوتَينِ منهُ ، فأمَّا الخلافُ في الدعاءِ فقالَ أبو جعفرٍ النَّحَّاسُ[2] هوَ مثلُ أن يقولَ أطالَ اللهُ بقاءَ سيدي ؛ بلفظِ الغَيبةِ ، ثمَّ يقولَ بعدَ ذٰلكَ وبَلَّغَكَ أملَكَ ؛ بلفظِ الخطابِ ، وأمَّا المُوالاةُ بينَ دعوتَينِ ، ولا يأتي بهِما مُتفِقتَينِ كأن يُقالَ حرسَ اللهُ الأميرَ ، أعزَّهُ اللهُ

السادسُ أن يَتجنَّبَ وقوعَ اللَّبْسِ في الدعاءِ ، فإذا ذكرَ الرئيسَ معَ عدوِّهِ مثلاً لم يدعُ للرئيسِ حينَئذٍ ؛ فإنَّهُ لو ذهبَ يقولُ وقد كانَ مِنْ عدوِّ سيِّدي أبقاهُ اللهُ كذا لاحتُمِلَ عودُ الدعاءِ إلى الرئيسِ وإلىٰ عدوِّهِ !!



---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/٢٩٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وخُرِّج مُخرج العزاء

(٢) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٩٣)

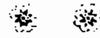
[معرفةُ الألقابِ وصفاتِها ومقدارِ مَن يكتبُ إليهِ]

الأصلُ السادسُ أن يعرفَ ما يناسبُ المكتوبَ إليهِ مِنَ الألقابِ ، فيعطيَهُ حقَّهُ منها ، ويَتعلَّقُ الغرضُ مِنْ ذٰلكَ بثلاثةِ أمورٍ

أحدُها أن يَعرِفَ ما يناسبُ كلَّ لقبٍ مِنَ الألقابِ الأصولِ ؛ كالمَقامِ ، والمَقرِّ ، والجَنابِ ، والمَجلسِ في زمانِنا ، فيعطيَ كلَّ أحدٍ مِنَ المكتوبِ إليهِم ما يليقُ بهِ مِنْ ذٰلكَ ، فيجعلَ المَقامَ لأكابرِ الملوكِ ، والمَقرَّ لِمَنْ دونَهُم مِنَ الملوكِ ، وللرتبةِ العليا مِنْ أهلِ المملكةِ ، والجَنابَ للرتبةِ الثالثةِ مِنَ الملوكِ ، والرتبةِ الثانيةِ مِنْ أهلِ الدولةِ ، والمجلسَ للرتبةِ الرابعةِ مِنَ الملوكِ ، والرتبةِ الثالثةِ مِنْ أهلِ الدولةِ ، ومجلسَ الأميرِ لِمَنْ دونَ ذٰلكَ مِنْ أهلِ الدولةِ على المصطلحِ المُستقِرِّ عليهِ الحالُ



الثاني أن يَعرِفَ ما يناسبُ كلَّ لقبٍ مِنَ الألقابِ الأصولِ مِنَ الألقابِ والنعوتِ التابعةِ لذٰلكَ ، فيُتبِعَ كلَّ واحدٍ مِنَ الأصولِ بما يناسبُهُ مِنَ الفروعِ



الثالثُ أن يَعرِفَ مِقدارَ المكتوبِ إليهِ ، فيوفيَهُ قسطَهُ مِنَ الألقابِ في الكثرةِ والقِلَّةِ بحَسَبِ ما يَجري عليهِ الاصطلاحُ ؛ فقد ذكرَ في « معالمِ الكتابةِ »(١) أنَّ السُّلطان لا يكثرُ في المكاتبةِ إليهِ مِنْ نُعُوتِهِ ، بل يَقتصِرُ على الأشياءِ التي تكونُ فيهِ ؛ مثلُ العالمِ العادلِ ، أمَّا غيرُ ذٰلكَ فيقعُ باللقبَينِ المشهورَينِ ؛ وهُما نعتُهُ المفردُ ، ونعتُهُ المضافُ إلى الدِّينِ ، وأنَّهُ

---

(١) انظر « صبح الأعشى » (٢٩٤/٦ ـ ٢٩٥)

في الكتابةِ عنِ السُّلطانِ كلَّما زِيدَ في النعوتِ كانَ أميزَ ؛ لأنَّها علىٰ سبيلِ التشريفِ مِنَ السُّلطانِ ، ويجعلُ المضافَ إلى الدِّينِ مُتوسِّطاً بينَ الألقابِ ، لا في أوَّلِها



[مراعاةُ مقاصدِ المكاتباتِ]

الأصلُ السابعُ أن يراعيَ مقاصدَ المُكاتباتِ ، فيأتيَ لكلِّ مقصدٍ بما يناسبُهُ ، ومدارُ ذٰلكَ علىٰ أمرَينِ

الأمرُ الأوَّلُ أن يأتيَ معَ كلِّ كلمةٍ بما يَليقُ بها ، ويَتخيَّرَ لكلِّ لفظةٍ ما يشاكلُها ، قالَ ابنُ عبدِ ربِّهِ[1] وليكنْ ما تَختِمُ بهِ فصولَكَ في موضعِ ذكرِ البلوىٰ ؛ مثلَ نسألُ اللهَ رفعَ المحذورِ ، وصرفَ المكروهِ ، وأشباهَ ذٰلكَ ، وفي موضعِ ذكرِ المصيبةِ إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ ، وفي موضعِ ذكرِ النعمةِ الحمدُ للهِ خالصاً ، والشكرُ للهِ واجباً ، وما شاكلَ ذٰلكَ

قالَ في « موادِّ البيانِ »[2] وإذا ذكرَ البلوىٰ شفعَها بالاستعانةِ باللهِ تعالىٰ ، والرجوعِ إليهِ فيها ، وردَّ الأمرَ إلىٰ حولِهِ وقُوَّتِهِ

قالَ ابنُ عبدِ ربِّهِ[3] فإنَّ هٰذهِ المواضعَ ممَّا يَتعيَّنُ على الكاتبِ أن يَتفقَّدَها ويَتحفَّظَ فيها ؛ فإنَّ الكاتبَ إنَّما يصيرُ كاتباً بأن يضعَ كلَّ معنىً في موضعِهِ ، ويُعلِّقَ كلَّ لفظٍ علىٰ طبقِهِ في المعنىٰ

وممَّا يَلتحِقُ بذٰلكَ أيضاً أنَّهُ إذا ذكرَ الرئيسَ في أثناءِ المُكاتبةِ دعا لهُ ؛ مثلُ أن يقولَ عندَ ذكرِ السُّلطانِ خَلَّدَ اللهُ ملكَهُ ، وعندَ ذكرِ الأميرِ الكبيرِ عزَّ نصرُهُ ، أو أعزَّ اللهُ تعالىٰ أنصارَهُ ، وعندَ ذكرِ الحاكمِ أيَّدَ اللهُ تعالىٰ أحكامَهُ ، وما أشبهَ ذٰلكَ ممَّا يجري هٰذا المَجرىٰ

---

(١) انظر « العقد الفريد » (١٨٤/٤)

(٢) انظر « صبح الأعشىٰ » (٢٩٥/٦)

(٣) انظر « العقد الفريد » (١٨٤/٤)

الأمرُ الثاني أن يَتخطَّى التصريحَ إلى التلويحِ والإشارةِ إذا ألجأَتْهُ الحالُ إلى المكاتبةِ بما لا يجوزُ كشفُهُ وإظهارُهُ علىٰ [صراحتِهِ] ممَّا في ذكرِهِ علىٰ نصِّهِ هتكُ سترٍ ، أو في حكايتِهِ إطراحُ مهابةِ السلطانِ ، وإسماعُهُ ما يلزمُ منهُ إخلالُ الأدبِ في حقِّهِ ، كما لو أطلقَ عدوُّهُ لسانَهُ فيهِ بلفظٍ قبيحٍ يَسوءُهُ سماعُهُ ، قالَ في « موادِّ البيانِ »[١] فيَحتاجُ المنشئُ إلى استعمالِ التوريةِ في هٰذهِ المواضعِ ، والتلطفِ في العبارةِ عن هٰذهِ المعاني ، وإبرازِها في صورةٍ تقتضي توفيةَ حقِّ السُّلطانِ في التوقيرِ والإجلالِ والإعظامِ والتنزيهِ عنِ المخاطبةِ بما لا يجوزُ إمرارُهُ علىٰ سمعِهِ ، وإيصالِ المعنىٰ إليهِ مِنْ غيرِ خيانةٍ في طيِّ ما لا غنىٰ بهِ عن علمِهِ ، قالَ وهٰذا ممَّا لا يَستقِلُّ بهِ إلَّا المُبرِّزُ في الصِّناعةِ ، المُتصرِّفُ في تأليفِ الكلامِ

وهاكَ مثالاً يرشدُكَ إلىٰ معرفةِ ما ينبغي أن تكتبَ بهِ إذا مرَّ بكَ شيءٌ مِنْ هٰذا البابِ ؛ فالقليلُ عندَ مَنْ يَستعمِلُ فكرَهُ يهدي إلى الكثيرِ اتَّفقَ أن أخَّرَ أميرُ المؤمنينَ المأمونُ عنِ الجندِ إطلاقَ مُرتَّباتِهم مدَّةً طويلةً ، حتىٰ دعاهُم ذٰلكَ إلى الشكوىٰ والتزيُّدِ في الكلامِ ، والقدحِ في السياسةِ ، كما يقتضيهِ وصولُ الإنسانِ إلىٰ سوءِ المعيشةِ ، معَ تكليفِهِ شاقَّ العملِ ، فكتبَ أحدُ رؤساءِ كُتَّابِهِ عمرُو بنُ مسعدةَ يُعرِّفُهُ الحالَ ، ويَستعطِفُهُ على العسكرِ بصرفِ مُرتَّبَاتِهِ ، وهٰذهِ صورةُ الكتابِ (بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ ، كتابي إلىٰ أميرِ المؤمنينَ ومَنْ قِبَلي مِنْ أجنادِهِ وقُوَّادِهِ في الطَّاعةِ والانقيادِ علىٰ أحسنِ ما يكونُ عليهِ طاعةُ جندٍ تَأخَّرَتْ أرزاقُهُم ، واختلَّتْ أحوالُهُم)[٢]

فإنَّهُ لم يذكرْ في هٰذا الكتابِ انحرافَ رأيِ المأمونِ عن جادَّةِ الصَّوابِ في

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٢٩٥/٦)
(٢) انظر « العقد الفريد » (٢٧٢/٢)

قِلَّةِ الاهتمامِ بالنظرِ في أمرِ العسكرِ الذي هوَ أوَّلُ مُهِمٍّ مِنْ مُهِمَّاتِ الملكِ ، ولم يذكرْ ما صدرَ عنِ العسكرِ مِنْ سوءِ المَقالِ ، وتواترِ الشَّكوىٰ ، وتزيُّدِ الكلامِ ، وتصريحِهِم بأنَّ هٰذهِ الحالَ ربَّما اضطَرَّتْ إلى العصيانِ والخروجِ عن ربقةِ الخدمةِ الجنديةِ ؛ للتردُّدِ في الآفاقِ طلباً للمَعاشِ بغيرِ تلكَ الجهةِ ، وإنَّما لَمَّحَ بذٰلكَ تلميحاً ، وذَكَّرَهُ الأشياءَ بذكرِ أضدادِها ، فالطَّاعةُ تُذكِّرُ المعصيةَ ، وسَلِمَ الكاتبُ مِنَ الجهتَينِ ، فلم يكنْ للأميرِ أن ينتقدَ عليهِ شيئاً ، ولا للعسكرِ أن يقولوا إنَّكَ بَلَّغْتَ حالَنا التي اضطرَّتْنا إليها مضايقةُ المعيشةِ في كلماتٍ قليلةٍ وَفَتْ بالمقصودِ حقَّ الوفاءِ

ويُحكىٰ عن أحمدَ بنِ يوسفَ قالَ[1] دخلتُ على المأمونِ وفي يدِهِ كتابٌ لعمرِو بنِ مسعدةَ وهوَ في صحنِ دارِهِ يَقرؤُهُ المَرَّةَ بعدَ المرَّةِ ، ثمَّ التفتَ إليَّ فقالَ أَحسَبُكَ مُفكِّراً فيما رأيتَ ، قلتُ نعم ، وقى اللهُ أميرَ المؤمنينَ المكارهَ ، قالَ ليسَ بمكروهٍ ، ولٰكنْ قرأتُ كلاماً وافقَ صفةَ البلاغةِ للرشيدِ ؛ سمعتُهُ يقولُ البلاغةُ التقرُّبُ مِنَ المعنى البعيدِ ، والتباعدُ مِنْ حشوِ الكلامِ ، ودلالةُ القليلِ على الكثيرِ ، فما كنتُ أتوهَّمُ كلاماً يردُ علىٰ هٰذهِ الصفةِ حتىٰ قرأتُ هٰذا الكتابَ ، وسأقضي حَقَّهُ ؛ وكانَ ذٰلكَ سبباً لأن أمرَ بصرفِ مُرتَّبِ ثمانيةِ أشهرِ



(١) انظر « العقد الفريد » (٢/٢٧٢)

[معرفةُ طبقاتِ المخاطبينَ ورتبِهِم]

الأصلُ الثامنُ : أن يَعرِفَ مِقدارَ فهمِ كلِّ طبقةٍ مِنَ المُخاطَبينَ في المُكاتباتِ مِنَ اللسانِ ، فيُخاطِبَ كلَّ أحدٍ بما يناسبُهُ مِنَ اللفظِ وما يصلُ إليهِ فهمُهُ مِنَ الخطابِ ، قالَ أبو هلالٍ العسكريُّ في كتابِهِ « الصِّناعتَين »[1] أوّلُ ما ينبغي أن تستعملَ في كتابِكَ مُكاتبةُ كلِّ فريقٍ علىٰ مِقدارِ طبقتِهِم في الكلامِ ، وقُوَّتِهِم في المَنطِقِ ، وستعرفُ ذٰلكَ فيما سننقلُهُ مِنْ كتبِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ إلى العجمِ والعربِ[2]

قالَ في « موادِّ البيانِ »[3] يجبُ على الكاتبِ أن ينتقلَ في استعمالِ الألفاظِ علىٰ حَسَبِ ما تقتضيهِ رُتَبُ الخطابِ والمُخاطَبينَ ، وأوجهُ الأحوالِ المتغايرةِ والأوقاتِ المختلفةِ ؛ ليكونَ كلامُهُ مشاكلاً لكلٍّ منها ؛ فإنَّ أحكامَ الكلامِ تَتغيَّرُ بحكمِ الأزمنةِ والأمكنةِ ، ومنازلِ المُخاطَبينَ والمُكاتَبينَ

ومِنْ هنا ترىٰ أنَّ كُتَّابَ بني أميةَ استعملوا مِنْ ألفاظِ العربيةِ الفحلةَ والمتينةَ الجزلةَ ما لم يَستعمِلْ مثلَهُ كُتَّابُ الدَّولةِ العباسيَّةِ ؛ لأنَّ كُتَّابَ الدولةِ الأمويةِ قصدوا ما شاكلَ زمانَهُمُ الذي استفاضَتْ فيهِ علومُ العربِ ولغاتُها ، حتىٰ عُدَّتْ في جملةِ الفضائلِ التي يُثابَرُ على اقتنائِها ، والأمكنةَ التي نزلَها ملوكُهُم مِنْ بلادِ العربِ ، والرجالَ الذينَ كانَتِ الكتبُ تَصدُرُ إليهِم ، وأهلَ الفصاحةِ واللَّسَنِ والخطابةِ والشعرِ

أمَّا زمانُ بني العباسِ فإنَّ الهممَ تَقاصرَتْ عمَّا كانَتْ مُقبِلةً علىٰ تطلُّبِهِ

---

(١) الصناعتين (ص ١٦٠) ، وانظر « صبح الأعشىٰ » (٢٩٦/٦)

(٢) انظر (٣٠١/٤)

(٣) انظر « صبح الأعشىٰ » (٢٩٧/٦ ـ ٢٩٩)

فيما تَصرَّمَ مِنَ العلومِ المُقدَّمِ ذكرُها ، وشُغِلَتْ بغيرِها ؛ كعلومِ الدِّينِ ، ونزلَ ملوكُهُم ديارَ العراقِ وما يجاورُها مِنْ بلادِ فارسَ ، وليسَ استفاضةُ لغةِ العربِ فيها باستفاضتِها في أرضِ الحجازِ والشامِ ، ومِنَ المعلومِ أنَّ القومَ الذينَ كانوا يكاتبونَ عنهُم لا يجارونَ تلكَ الطَّبقةَ في الفصاحةِ والمعرفةِ بدلالةِ الكلامِ ، فانتقلَ كُتَّابُها عنِ اللفظِ المتينِ الجزلِ إلى اللفظِ الرقيقِ السهلِ ، وكذٰلكَ انتقلَ مُتأخِّرو الكُتَّابِ عن ألفاظِ المُتقدِّمينَ إلىٰ ما هوَ أعذبُ منها وأخفُّ ؛ للمعنى المُتقدِّمِ ذكرُهُ

قالَ وحينَئذٍ ينبغي للكاتبِ أن يراعيَ هٰذهِ الأحوالَ ، ويُوقِعَ المشاكلةَ بينَ ما يكتبُهُ وبينَها ، فإذا احتاجَ إلىٰ إصدارِ كتابٍ إلىٰ ناحيةٍ مِنَ النواحي فلينظرْ في أحوالِ قاطنيها ؛ فإن كانوا مِنَ الأدباءِ البلغاءِ العارفينَ بنظمِ الكلامِ وتأليفِهِ فليودعْ كتابَهُ الألفاظَ الجزلةَ التي إذا حُلِّيَتْ بها المعاني زادَتْها فخامةً في القلوبِ ، وجلالةً في الصُّدورِ ، وإن كانوا ممَّنْ لا يُفرِّقُ بينَ خاصِّ الكلامِ وعامِّهِ فليُضمِّنْ كتابَهُ الألفاظَ التي يتساوىٰ سامعوها في إدراكِ معانيها ؛ فإنَّهُ متىٰ عدلَ عن ذٰلكَ ضاعَ كلامُهُ ، ولم يصلْ معنىٰ ما كتبَ فيهِ إلىٰ مَنْ كاتبَهُ ؛ لأنَّ الكلامَ البليغَ إنَّما هوَ موضوعٌ بإزاءِ أفهامِ البلغاءِ والفصحاءِ ، فأمَّا العوامُّ والحشوةُ فإنَّما يصلُ إلىٰ أفهامِهِمُ الكلامُ العاطلُ مِنْ حليِ النظمِ ، العاري مِنْ كسوةِ التأليفِ ، فيجبُ على الكاتبِ أن يَستعمِلَ في مخاطبةِ مَنْ هٰذهِ صورتُهُ أدنىٰ رتبِ البلاغةِ وأقربِها مِنْ أفهامِ العامَّةِ والأممِ الأعجميةِ إذا كتبَ

ثمَّ قالَ إنَّ الكتبَ السُّلطانيةَ منها كتبُ الفتوحاتِ والسلاماتِ ونحوِها ، وهيَ مُحتمِلةٌ للألفاظِ الفصيحةِ الجَزْلةِ ، والإطالةِ القاضيةِ بإشباعِ المعنىٰ ، ووصولِهِ إلىٰ أفهامِ كافَّةِ سامعيهِ مِنَ الخاصِّ والعامِّ ، ومنها كتبُ الخراجِ

وجبايتِهِ ، وأمورِ المعاملاتِ والحسابِ ، وهيَ لا تَحتمِلُ اللفظَ الفصيحَ ، ولا الكلامَ الوجيزَ ؛ لأنَّها مبنيةٌ علىٰ تمثيلِ ما يعملُ بهِ ، وإفهامِ مَنْ لا يصلُ المعنىٰ إلىٰ فهمِهِ إلَّا بالبيانِ الشافي في العبارةِ ، ومنها مخاطبةُ السُّلطانِ عن نفسِهِ ، فيجبُ فيها مخاطبتُهُ علىٰ قَدْرِ مكانِهِ في الخدمةِ ، فيَستعمِلُ مِنَ الألفاظِ المُتوسِّطةَ ، ولا يجوزُ أن يَستعمِلَ فيها الفصيحةَ التي لا تُحتمَلُ مِنْ تابعٍ في حقِّ متبوعٍ ؛ لِمَا فيهِ مِنْ تعاطي التفاصحِ علىٰ سلطانِهِ ، وهوَ غيرُ جائزٍ في أدبِ الملوكِ ، وكذٰلكَ لا يجوزُ فيهِ تعاطي الألفاظِ المُبتذلةِ الدائرةِ بينَ السُّوقةِ ؛ لِمَا في ذٰلكَ مِنَ الوضعِ مِنَ السُّلطانِ بمقابلتِهِ إيَّاهُ بما لا يشبهُ رتبتَهُ

وأمَّا الكتبُ الإخوانياتُ النافذةُ في التهاني والتعازي   فإنَّها تَحتمِلُ الألفاظَ الغريبةَ القويَّةَ الأخذِ بمجامعِ القلوبِ ، الواقعةَ أحسنَ المواقعِ مِنَ النفوسِ ؛ لأنَّها مبنيةٌ علىٰ تحسينِ اللفظِ ، وتزيينِ النظمِ ، وإظهارُ البلاغةِ فيها مُستحسَنٌ ، واقعٌ موقعَهُ

قلتُ[1]   والذي تُراعى الفصاحةُ والبلاغةُ فيهِ مِنَ المُكاتباتِ عنِ الأبوابِ السُّلطانيةِ في زمانِنا   مُكاتباتُ ملوكِ المغربِ ؛ كصاحبِ تُونُسَ ، وصاحبِ تِلِمْسَانَ ، وصاحبِ فاسٍ ، وصاحبِ غرناطةَ مِنَ الأندلسِ ، وكذٰلكَ القاناتُ العظامُ مِنْ ملوكِ المشرقِ ، ومَنْ يجري هٰذا المَجرىٰ ممَّنْ تَشتمِلُ بلادُهُ على العلماءِ بالبلاغةِ وصناعةِ الكتابةِ ، ويظهرُ ذٰلكَ بالاستخبارِ عن بلادِهِم ، وبالاطِّلاعِ علىٰ كتبِهِمُ الصَّادرةِ عن ملوكِهِم إلى الأبوابِ السُّلطانيةِ ، بخلافِ مَنْ لا عنايةَ لهُ بذاكَ ؛ كحُكَّامِ أصاغرِ البلدانِ ، وأصحابِ اللغاتِ العجميةِ

(١) القائل هو العلامة القلقشندي في « صبح الأعشىٰ » (٦/٢٩٩)

مِنَ الرُّومِ والفرنجِ والسُّودانِ ومَنْ في معناهُم ؛ فإنَّهُ يجبُ خطابُهُم بالألفاظِ الواضحةِ ، إلَّا أن يكونَ في بعضِ بلادِهِم مَنْ يَتعاطى البلاغةَ مِنَ الكُتَّابِ ؛ ووردَتْ كتبُهُم علىٰ نهجِها ؛ فإنَّهُ ينبغي مكاتبتُهُم علىٰ سننِ البلغاءِ

تنبيهٌ (١)

[في أنَّ المرادَ بالفصيحِ عندَ الخاصةِ]

لم يُرِدِ الشيخُ في هٰذا الكلامِ السالفِ باللفظِ الفصيحِ وغيرِهِ ما يَدُلُّكَ عليهِ حدُّ الفصاحةِ المُصدَّرُ بهِ فنُّ المعاني ؛ فإنَّ الفصيحَ لا يجوزُ العدولُ عنهُ في خطابِ مَنْ كانَ ، وإنَّما يريدُ بالفصيحِ ما لا يدورُ إلَّا بينَ خاصَّةِ الناسِ وأهلِ المعرفةِ منهُم ؛ مثلاً مِنْ أسماءِ (الأسدِ) الغضنفرُ ، والضِّرغامُ ، والرأبالُ ، وحيدرةُ ، وأسامةُ ، وهيَ لا يَستعمِلُها إلَّا خاصَّةُ الناسِ ، والعامَّةُ إنَّما يَستعمِلونَ مِنْ أسمائِهِ لفظَ (السَّبُع) ، فهوَ يريدُ ذٰلكَ بالفصيحِ وغيرِ الفصيحِ



(١) التنبيهُ من المؤلف ضمن نقله لكلام العلامة القلقشندي

[مراعاةُ رتبةِ المكتوبِ عنهُ وإليهِ في الخطابِ]

الأصلُ التاسعُ أن يراعيَ رتبةَ المكتوبِ عنهُ والمكتوبِ إليهِ في الخطابِ ، فيُعبّرَ عن كلِّ واحدٍ منهُما بما يليقُ بهِ ، [ويُخاطبَ] المكتوبَ إليهِ بما يَليقُ بمقامِهِ

فأمَّا المكتوبُ عنهُ فيختلفُ الحالُ فيهِ باختلافِ منصبِهِ ورتبتِهِ ، فيُعبّرُ في الكتبِ الصَّادرةِ عن أبوابِ الخلافةِ بأميرِ المؤمنينَ ؛ مثلُ أن يُقالَ فجرىٰ أمرُ أميرِ المؤمنينَ في كذا علىٰ كذا وكذا ، وأوعزَ أميرُ المؤمنينَ إلىٰ فلانٍ بكذا ، واقتضىٰ رأيُ أميرِ المؤمنينَ كذا ، وخرجَ أمرُ أميرِ المؤمنينَ بكذا ، ونفذَ أمرُ أميرِ المؤمنينَ إلىٰ فلانٍ بكذا ، وما شاكلَ ذٰلكَ ، وربَّما عَبَّرَ عنهُ بالسُّلطانِ ؛ مثلُ أن يُقالَ في حقِّ المخالفينَ وحاربوا عساكرَ السُّلطانِ ، أو وضعوا خراجَ السُّلطانِ ، وما أشبهَ ذٰلكَ

وقالَ ابن شيثٍ (١) ويُخاطِبُ بالمواقفِ المُقدَّسةِ الشريفةِ ، والعَتَباتِ العاليةِ ، ومَقرِّ الرحمةِ ، ومَحَلِّ الشرفِ ، وذكرَ المقرُّ الشهابيُّ بنُ فضلِ اللهِ في التعريفِ نحوَهُ فقالَ ويُخاطِبُ بالدِّيوانِ العزيزِ ، والمَقامِ الأشرفِ ، والجانبِ الأعلىٰ أوِ الشريفِ ، وبأميرِ المؤمنينَ مُجرَّدةً عن سيدِنا ومولانا ، ومَرَّةً غيرَ مُجرَّدةٍ معَ مراعاةِ المناسبةِ والتسديدِ والمقاربةِ

قالَ وسببُ الخطابِ بالدِّيوانِ العزيزِ الخُضْعانُ عن مخاطبةِ الخليفةِ نفسِهِ ، وتنزيلُ الخطابِ منزلةَ مَنْ يُخاطِبُ نفسَ الدِّيوانِ ، والمعنيُّ بهِ ديوانُ الإنشاءِ ؛ إذِ الكتبُ وأنواعُ المُخاطَباتِ إليهِ واردةٌ ، وعنهُ صادرةٌ

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٠٠)

وإن كانَ المكتوبُ عنهُ مَلِكاً فقد جرتِ العادةُ أنْ يُعبَّرَ عنهُ بنونِ الجمعِ للتعظيمِ ، فيُقالَ فعلْنا كذا ، وأمرْنا بكذا ، واقتضتْ آراؤُنا الشريفةُ كذا ، وبرزَتْ مراسيمُنا بكذا ، ومرسومُنا إلىٰ فلانٍ أن يَتقدَّمَ بكذا ، أو يَتقدَّمَ أمرُهُ بكذا ، وما أشبهَ ذٰلكَ ؛ وذٰلكَ أنَّ ملوكَ الغربِ كانوا يَجْرُونَ علىٰ ذٰلكَ في مُخاطباتِهِم ، فجرتِ الملوكُ علىٰ سَنَنِهِم في ذٰلكَ ، وفي معنى الملوكِ في ذٰلكَ سائرُ الرؤساءِ ؛ مِنَ الأمراءِ والوزراءِ والعلماءِ والكُتَّابِ ونحوِهِم ؛ مِنْ ذوي الأقدارِ العليَّةِ ، والأخطارِ الجليلةِ ، والمراتبِ السنيَّة ، في الدِّينِ والدنيا ، ممَّنْ يَصلُحُ أن يكونَ آمراً وناهياً إذا كتبوا إلىٰ أتباعِهِم ومأمورِيهم ؛ إذ كانَتْ هٰذهِ النونُ ممَّا يُختَصُّ بذوي التعظيمِ دونَ غيرِهِم ، وشاهدُ ذٰلكَ مِنَ القرآنِ العظيمِ قولُهُ تعالىٰ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾[1] ، فدَعَاهُ دعاءَ المُفرَدِ ؛ لعدمِ المشاركةِ لهُ في ذٰلكَ الاسمِ ، وسألَهُ سؤالَ الجمعِ ؛ لمكانِ العظمةِ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الآياتِ الواردةِ موردَ الاختصاصِ لهُ ، كما في قولِهِ تعالىٰ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾[2] ، وقولِهِ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[3] ، وقولِهِ ﴿ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾[4] ، وغيرِ ذٰلكَ مِنَ الآياتِ

قالَ في « معالمِ الكتابةِ »[5] وقد أخذَ كُتَّابُ المغربِ هٰذا معَ ولاةِ أمورِهِم في الجمعِ بالميمِ ؛ فخاطبوا الواحدَ مُخاطَبةَ الجمعِ ؛ مثلَ أنتُم ، وفعلتُم ، وأمرتُم ، وما أشبهَ ذٰلكَ

---

(١) سورة المؤمنون (٩٩) ، وقعت الآية في الأصل وفي « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٠١) هٰكذا (حتىٰ إذا حضر أحدهم الموت)

(٢) سورة مريم (٤٠)

(٣) سورة يسٓ (١٢)

(٤) سورة الحجر (٢٣)

(٥) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٠١)

قلتُ[١] والأمرُ في ذٰلكَ عندَهُم مُستمِرٌّ إلى الآنَ

وإن كانَ المكتوبُ عنهُ مرؤوساً بالنسبةِ إلى المكتوبِ إليهِ ؛ كالتابعِ ومَنْ في معناهُ فقالَ في « موادِّ البيانِ »[٢] ينبغي أن يَتحفَّظَ في الكتبِ النافذةِ عنهُ عنِ الإتيانِ بنونِ العظمةِ وغيرِها مِنَ الألفاظِ التي فيها تعظيمُ شأنِ المكتوبِ عنهُ ؛ مثلُ أن يقولَ أمرتُ بكذا ، أو نهيتُ عن كذا ، وأوعزتُ بكذا ، أو تَقدَّمَ أمري إلىٰ فلانٍ بكذا ، أو أُنهِيَ إليَّ كذا ، أو خرجَ أمري بكذا ، وما في معنىٰ ذٰلكَ ممَّا لا يُخاطِبُ بهِ الأتباعُ رؤساءَهُم ، بل يَعدِلُ عن مثلِ هٰذهِ الألفاظِ إلىٰ ما يُؤدِّي إلىٰ معناها ، ممَّا لا عظمةَ فيهِ ؛ مثلُ أن يقولَ وجدتُ صوابَ الرأيِ كذا ففعلتُهُ ، ورأيتُ السياسةَ تقتضي كذا فأمضيتُهُ ، وما أشبهَ ذٰلكَ إن كانَ عُرْفُ الكُتَّابِ على الخطابِ بالتاءِ ، وإلَّا قالَ وجدَ المملوكُ صوابَ الرأيِ كذا ، ورأى السياسةَ تقتضي كذا فأمضاهُ ، وما يجري هٰذا المَجرىٰ

وأمَّا المكتوبُ إليهِ .فقالَ أبو هلالٍ العسكريُّ في كتابِ « الصِّناعتَينِ »[٣] ينبغي أن يَعرِفَ قدرَ المكتوبِ إليهِ مِنَ الرُّؤساءِ والنظراءِ والعلماءِ والوكلاءِ ؛ ليُفرِّقَ بينَ مَنْ يُكتَبُ إليهِ (أنا أفعلُ كذا) ، ومَنْ يُكتَبُ إليهِ (نحنُ نفعلُ كذا) ، فـ (أنا) مِنْ كلامِ الأشباهِ والإخوانِ ، و(نحنُ) مِنْ كلامِ الملوكِ ، ويُفرِّقَ بينَ مَنْ يُكتَبُ إليهِ (فإن رأيتَ) وبينَ مَنْ يُكتَبُ إليهِ (فرأيَكَ)

قالَ في « موادِّ البيانِ »[٤] وذٰلكَ أنَّ قولَهُم (فإن رأيتَ أن تفعلَ كذا) لفظُ النظراءِ والمساوينَ ، بخلافِ (فرأيَكَ) فإنَّهُ لا يكتبُهُ إلىٰ جليلٍ مُعظَّمٍ ؛

---

(١) القائل هو العلامة القلقشندي في « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٠٢)

(٢) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٠٢)

(٣) الصناعتين (ص ١٦٤ ـ ١٦٥) ، وانظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٠٢)

(٤) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٠٢)

لتضمُّنِهِ معنى الأمرِ ، والتقديرُ فَرَهْ رأيَكَ ، على أنَّ الأخفشَ قد أنكرَ هٰذا على الكُتَّابِ ؛ لأنَّ أقلَّ الناسِ يقولُ للسُّلطانِ انظرْ في أموري ، ولفظُهُ لفظُ الأمرِ ، ومعناهُ السؤالُ ، وذكرَ مثلَهُ في « صناعةِ الكُتَّابِ » عنِ النحويينَ

قالَ في « موادِّ البيانِ »[1] وحُجَّةُ الكُتَّابِ أنَّ المشافهةَ تَحتمِلُ ما لا تَحتمِلُهُ المُكاتبةُ ؛ لأنَّ المُشافهةَ تكونُ بما يَحضُرُ الإنسانَ ولا يَتمكَّنُ مِنْ تقييدِهِ وترتيبِهِ ، بخلافِ المُكاتبةِ ، فلا عذرَ لصاحبِها في الإخلالِ بالأدبِ

قالَ في « موادِّ البيانِ »[2] لا ينبغي أن يكونَ خطابُكَ لجميعِ طبقاتِ الناسِ على صورةٍ واحدةٍ ؛ وذٰلكَ أنَّ المعانيَ التي يُكتَبُ فيها وإن كانَ كلٌّ جنساً بعينِهِ ؛ كالتهنئةِ ، والتعزيةِ ، والاعتذارِ ، والعتابِ ، والاستظهارِ ، ونحوِ ذٰلكَ فإنَّهُ لا يجوزُ أن يخرجَ المعنىٰ لكلِّ مُخاطَبٍ علىٰ صيغةٍ واحدةٍ مِنَ اللفظِ ، بل ينبغي أن يخرجَ في الصِّيغةِ المشاكلةِ للمُخاطَبِ اللّائقةِ بقدرِهِ ورتبتِهِ ؛ ألا ترىٰ أنَّكَ لو خاطبتَ سلطاناً أو وزيراً بالتعزيةِ عن مصيبةٍ مِنْ مصائبِ الدنيا لَمَا جازَ أن تبنيَ الكلامَ علىٰ وعظِهِ وتبصيرِهِ ، وإرشادِهِ وتذكيرِهِ ، وحَضِّهِ على الأخذِ بحظٍّ مِنَ الصَّبرِ ، ومجانبةِ الجزعِ ، وتلقِّي الحادثاتِ بالتسليمِ والرضا ؟! وإنَّما الصَّوابُ أن تبنيَ الخطابَ علىٰ أنَّهُ أعلىٰ شأناً ، وأرفعُ مكاناً ، وأصحُّ جزماً ، وأرجحُ حلماً مِنْ أن يُعزَّىٰ ، بخلافِ المُتأخِّرِ في الرتبةِ ؛ فإنَّهُ إنَّما يُعزَّىٰ تنبيهاً وتذكيراً وتصبيراً ، وتعريفاً للواجبِ في تلقِّي السَّراءِ بالشكرِ ، والضَّرَّاءِ بالصبرِ ، ونحوَ ذٰلكَ

وكذٰلك إذا كاتبتَ رئيساً في معنى الاستزادةِ والشَّكوىٰ لا يجوزُ أن تأتيَ بمعناهُما في ألفاظِهِما الخاصَّةِ ، بل يجبُ أن تعدلَ عنِ الشَّكوىٰ إلىٰ ألفاظِ

(١) انظر « صبح الأعشى » (٣٠٣/٦)
(٢) انظر « صبح الأعشى » (٣٠٤/٦ ـ ٣٠٥)

الشكرِ ، وعن ألفاظِ الاستزادةِ إلىٰ ألفاظِ الاستعطافِ والسؤالِ في النظرِ ؛ لتكونَ قد رَتَّبتَ كلامَكَ في رتبتِهِ ، وأخرجتَ معناكَ مُخرَجَ مَنْ يستدعي الزيادةَ ، لا مَنْ يشكو التقصيرَ

وكذٰلكَ لو وقعَ واقعٌ للسلطانِ فنصحتَهُ لم يجزْ أن توردَ ذٰلكَ موردَ التنبيهِ علىٰ ما أغفلَهُ ، والإيقاظِ لِمَا أهملَهُ ، والتعريفِ مِنَ الصَّوابِ لِمَا جهلَهُ ؛ لأنَّ ذٰلكَ ممَّا لا تَحتمِلُهُ الرُّؤساءُ مِنَ الأتباعِ ، ولٰكنْ تبني الخطابَ علىٰ أنَّ السلطانَ أعلىٰ وأجلُّ رأياً ، وأصحُّ فكراً ، وأكثرُ إحاطةً بصدورِ الأمورِ وأعجازِها ، وأنَّ آراءَ خدمِهِ جزءٌ مِنْ رأيِهِ ، وأنَّهُم إنَّما يَتفرَّسونَ مخايلَ الإصابةِ بما وقفوا عليهِ مِنْ سلوكِ مذهبِهِ ، والتأدُّبِ بأدبِهِ ، والارتياضِ بسياستِهِ ، والتنقُّلِ في خدمتِهِ ، [وأنَّ] ممَّا يَفرِضونَهُ في حكمِ الإشفاقِ والاهتمامِ ، وما يُسبِغُ عليهِم مِنَ الإنعامِ المطالعةَ بما يجري في أوهامِهِم ، ويَحدُثُ في أفكارِهِم مِنَ الأمورِ التي يَتخيَّلونَ في العملِ بها مصلحةً للدولةِ ، وعمارةَ المملكةِ ، يَتصفَّحُهُ [بأصالةِ] رأيِهِ التي هيَ أوفرُ وأثبتُ ، فإنِ استصوبَهُ أمضاهُ ، وإن رأىٰ خلافَهُ ألغاهُ ، وكانَ الأعلىٰ ما يراهُ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا يَجري هٰذا المَجرىٰ



[مراعاةُ مواقعِ الآياتِ والسجعِ في الكتبِ]

الأصلُ العاشرُ أن يراعيَ مواقعَ آياتِ القرآنِ والسَّجعَ في الكتبِ ، وذكرَ أبياتِ الشعرِ في المكاتباتِ

أمَّا آياتُ القرآنِ الكريمِ فقد ذكرَ ابنُ شيثٍ في « معالمِ الكتابةِ »[1] أنَّها في صدرِ الكتبِ قد يذكرُها الأدنىٰ للأعلىٰ في معنىٰ ما يَكتُبُ بهِ ؛ مثلُ قولِهِ تعالىٰ ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾[2] ، وقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[3] إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الآياتِ المناسبةِ للوقائعِ ، وإن كانَتْ في أثناءِ الكتبِ فقدِ استشهدَ بها جماعةٌ مِنَ الكُتَّابِ في خلالِ كتبِهِم



وأمَّا السَّجعُ فقد ذكرَ ابنُ شيثٍ[4] أنَّهُ لا يُفرَّقُ فيهِ بينَ كتابِ الأعلىٰ للأدنىٰ وبالعكسِ ، وأنَّهُ بما يُكتَبُ عنِ السُّلطانِ أليقُ ، لٰكنْ قد ذكرَ بعضُ المُتأخِّرينَ أنَّ الكتابةَ بالسَّجعِ أنقصُ في حقِّ المكتوبِ إليهِ ؛ وقضيتُهُ أنَّهُ لا يُكتَبُ بهِ إلَّا مِنْ أعلىٰ لأدنىٰ ، إلَّا أنَّ الذي جرىٰ عليهِ مصطلحُ كُتَّابِ الزمانِ تخصيصُهُ ببعضِ الكتبِ دونَ بعضٍ مِنَ الجانبَينِ



وأمَّا الشعرُ فيوردُهُ حيثُ يَحسُنُ إيرادُهُ ، ويَمنعُهُ حيثُ يَحسُنُ منعُهُ ،

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٠٦)

(٢) سورة يوسف (٩٦)

(٣) سورة فاطر (٣٤)

(٤) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٠٧)

فليسَ كلُّ مكاتبةٍ يَحسُنُ فيها إيرادُ الشعرِ ، بل يَختلِفُ الحالُ في ذٰلكَ بحَسَبِ المكتوبِ عنهُ والمكتوبِ إليهِ

فأمَّا المُكاتباتُ الصَّادرةُ عنِ الملوكِ والصَّادرةُ إليهِم فقد ذكرَ في « موادِّ البيانِ »(١) أنَّهُ لا يُتمثَّلُ فيها بشيءٍ مِنَ الشعرِ إجلالاً لهُم مِنْ شوبِ العبارةِ عن عزائمِهِم وأوامرِهِم ونواهيهِم والأخبارِ المرفوعةِ إليهِم بما يُخالِفُ نمطَها ووضعَها ، ولأنَّ الشعرَ صناعةٌ مغايرةٌ لصناعةِ الترسُّلِ ، وإدخالُ بعضِ صنائعِ الكلامِ في بعضٍ غيرُ مستحسنٍ

قلتُ(٢) الذي ذكرَهُ عبدُ الرحيمِ بنُ شيثٍ في كتابِهِ « معالمِ الكتابةِ ومواضعِ الإصابةِ »(٣) أنَّهُ يُجتَنبُ الشعرُ في المكاتباتِ الصَّادرةِ عنِ الملوكِ دونَ غيرِهِم ، وهوَ مُعارِضٌ لِمَا ذكرَهُ في « موادِّ البيانِ » ، وكأنَّهُ في « موادِّ البيانِ » يريدُ الكتبَ النافذةَ عنِ الملوكِ إلىٰ مَنْ دونَهُم ، أو مَنْ دونَهُم إليهِم ، أمَّا الملوكُ والخلفاءُ إذا كتبوا إلىٰ مَنْ ضاهاهُم في أُبَّهةِ الملكِ ، وقاربَهُم في عُلُوِّ الرتبةِ فإنَّهُ لا يمتنعُ التمثُّلُ بأبياتِ الشعرِ فيها ؛ تطريزاً للنثرِ بالنظمِ ، وجمعاً بينَ جنسَيِ الكلامِ اللَّذَينِ هُما خُلاصةُ مقاصدِهِ

وما زالَتِ الخلفاءُ والملوكُ السالفةُ يُخلِّلونَ كتبَهُم الصَّادرةَ عنهُم إلىٰ نظرائِهِم في عُلُوِّ الرتبةِ بالأبياتِ الرقيقةِ الألفاظِ ، البديعةِ المعاني ؛ للاستشهادِ على الوقائعِ المكتوبِ بسببِها ، كما كتبَ أميرُ المؤمنينَ عثمانُ بنُ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ حينَ تمالأَ عليهِ القومُ واجتمعوا علىٰ قتلِهِ إلىٰ عليِّ بنِ

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٣٠٧/٦)
(٢) هو العلامة القلقشندي في « صبح الأعشىٰ » (٣٠٧/٦)
(٣) انظر « صبح الأعشىٰ » (٣٠٧/٦)

أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ[1] أمَّا بعدُ فقد بلغَ السيلُ الزُّبىٰ ، وجاوزَ الحزامُ الطُّبْيَيْنِ ، وطمعَ فيَّ مَنْ تُعجِزُهُ المدافعةُ عن نفسِهِ ، فأقبلْ إليَّ صديقاً كنتَ أو عدوّاً

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أُمَزَّقِ[2]

وكما كتبَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ إلىٰ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ في جوابِ كتابٍ لهُ حينَ جرىٰ بينَهُما التنازعُ في الخلافةِ ، فقالَ في أثناءِ كتابِهِ[3] وزعمتَ أنِّي لكلِّ الخلفاءِ حسدتُ ، وعلىٰ كلِّهِم بغيتُ ، فإن يكُ ذٰلكَ كذٰلكَ فليسَتِ الجنايةُ عليكَ ، فيكونَ العذرُ إليكَ

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا[4]

وعلىٰ ذٰلكَ جرىٰ كثيرٌ مِنْ خلفاءِ الدَّولتَينِ الأمويةِ والعباسيةِ ، كما حكى العسكريُّ في « الأوائل »[5] أنَّ أهلَ حمص وثبوا بعاملِها فأخرجوهُ ، ثُمَّ وثبوا بعدَهُ بعاملٍ آخرَ ، فأمرَ المُتوكِّلُ إبراهيمَ بنَ عباسٍ أن يكتبَ إليهِم كتاباً يُحذِّرُهُم فيهِ ويَختصرَ ، فكتبَ أمَّا بعدُ فإنَّ أميرَ المؤمنينَ يرىٰ مِنْ حقِّ اللهِ تعالىٰ عليهِ فيما يُقوِّمُ بهِ مِنْ زيغٍ ويَلُمُّ مِنْ شعثٍ ثلاثاً يُقدِّمُ بعضَهُنَّ أمامَ بعضٍ ؛ فأُولاهُنَّ ما يستظهرُ بهِ مِنْ عظةٍ وحُجَّةٍ ، ثمَّ ما يشفعُ بهِ مِنْ تحذيرٍ وتنبيهٍ ، ثمَّ التي لا يقعُ حسمُ الداءِ بغيرِها

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٠٨)

(٢) من الطويل

(٣) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٠٨)

(٤) من الطويل ، وعزاه في « التذكرة الحمدونية » (٦/١٨٦) لأبي ذؤيب الهذلي ضمن أبيات ، والبيت بتمامه

وَعَيَّرَهَا الْوَاشُونَ أَنِّي أُحِبُّهَا وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

(٥) الأوائل (١/٣٩٠)

أَنَاةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَّبَ بَعْدَهَا وَعِيداً فَإِنْ لَمْ يُجْدِ أَجْدَتْ عَزَائِمُهْ [1]

وممَّنْ كانَ كثيرَ التمثُّلِ بالشعرِ في المُكاتباتِ مِنْ خلفاءِ بني العباسِ ويَصدُرُ إليهِ المُكاتباتُ كذٰلكَ النَاصرُ لدينِ اللهِ

يُحكىٰ أنَّ الملكَ الأفضلَ عليَّ ابنَ السُّلطانِ صلاحِ الدينِ يوسفَ صاحبِ دمشقَ حينَ تَعصَّبَ عليهِ أخوهُ الملكُ العزيزُ عثمانُ وعمُّهُ الملكُ العادلُ أبو بكرٍ كتبَ إلى الناصرِ لدينِ اللهِ يستجيشُهُ عليهما كتاباً ، يشيرُ فيهِ إلىٰ ما يَعتقِدُهُ الشِّيعةُ في أنَّ الحقَّ في الخلافةِ كانَ لعليٍّ ، وأنَّ أبا بكرٍ وعثمانَ رضيَ اللهُ عنهُما تَقدَّما عليهِ ؛ إذ كانَ الناصرُ يميلُ إلى التشيُّعِ وكتبَ فيهِ [2] [من البسيط]

مَوْلَايَ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَصَاحِبَهُ عُثْمَانَ قَدْ غَصَبَا بِٱلسَّيْفِ حَقَّ عَلِيْ
فَٱنْظُرْ إِلَىٰ حَظِّ هَٰذَا ٱلِٱسْمِ كَيْفَ لَقِي مِنَ ٱلْأَوَاخِرِ مَا لَاقَىٰ مِنَ ٱلْأُوَلِ

فكتبَ إليهِ الناصرُ الجوابَ عن ذٰلكَ وكتبَ فيهِ [من الكامل]

وَافَىٰ كِتَابُكَ يَا بْنَ يُوسُفَ نَاطِقاً بِٱلْحَقِّ يُخْبِرُ أَنَّ أَصْلَكَ طَاهِرُ
غَصَبُوا عَلِيّاً حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ ٱلنَّبِيِّ لَهُ بِيَثْرِبَ نَاصِرُ
فَٱصْبِرْ فَإِنَّ عَلَى ٱلْإِلَٰهِ حِسَابَهُمْ وَٱبْشِرْ فَنَاصِرُكَ ٱلْإِمَامُ ٱلنَّاصِرُ

وعلىٰ ذٰلكَ جرى الملوكُ القائمونَ علىٰ خلفاءِ بني العباسِ في مُكاتباتِهِم أيضاً

كما كتبَ أبو إسحاقَ الصَّابئُ عن مُعِزِّ الدَّولةِ ابنِ بويهَ إلىٰ عُدَّةِ الدَّولةِ أبي تغلبَ كتاباً يذكرُ لهُ فيهِ خلافَ قريبَينِ لهُ لم يمكنْهُ مساعدةُ أحدِهما على

(١) من الطويل

(٢) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٠٩)

الآخَرِ ، واستشهدَ فيهِ بقولِ المُتلمِّسِ[1] [من الطويل]

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ ... بِكَفٍّ لَهُ أُخْرَىٰ فَأَصْبَحَ أَجْذَمَا

فَلَمَّا ٱسْتَقَادَ ٱلْكَفُّ بِٱلْكَفِّ لَمْ يَجِدْ ... لَهُ دَرَكاً فِي أَنْ يَبِينَا فَأَحْجَمَا

وعلىٰ هٰذا النهجِ جرى الحالُ في الدَّولةِ الأيوبيَّةِ بالدِّيارِ المصريَّةِ ، كما كتبَ القاضي الفاضلُ عنِ السُّلطانِ صلاحِ الدِّينِ يوسفَ بنِ أيوبَ إلىٰ ديوانِ الخلافةِ ببغدادَ ، عندَ قتلِ ابنِ رئيسِ الرُّؤساءِ وزيرِ الخليفةِ كتاباً ليسليَ الخليفةَ عنهُ ، وكانَ ممَّنْ أساءَ السيرةَ وأكثرَ القتلَ ، مُتمثِّلاً بالبيتَينِ المَقولَينِ في أبي حفصٍ الخلالِ وزيرِ أبي العبَّاسِ السفَّاحِ ، وكانَ يُعرَفُ بوزيرِ آلِ محمدٍ[2] : [من الكامل]

إِنَّ ٱلْمَكَارِهَ قَدْ تُسَرُّ وَرُبَّمَا ... كَانَ ٱلسُّرُورُ بِمَا كَرِهْتَ جَدِيرَا

إِنَّ ٱلْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ ... أَوْدَىٰ فَمَنْ يَشْنَاكَ كَانَ وَزِيرَا

وكما كتبَ القاضي محيي الدِّينِ بنُ عبدِ الظاهرِ عنِ المنصورِ قلاوونَ إلىٰ صاحبِ اليمنِ في جوابِ تعزيةٍ أرسلَها إليهِ في ولدِهِ الملكِ الصالحِ ، معَ تعريضِهِ في أمرٍ لهُ بأنَّ الحروبَ ما تشغلُ عنها المصائبُ في الأولادِ ، مستشهداً فيهِ بقولِهِ[3] [من الوافر]

إِذَا ٱعْتَادَ ٱلْفَتَىٰ خَوْضَ ٱلْمَنَايَا ... فَأَهْوَنُ مَا تَمُرُّ بِهِ ٱلْوُحُولُ

وكما كتبَ صاحبُنا الشيخُ علاءُ الدِّينِ البيريُّ رحمَهُ اللهُ عنِ الظاهرِ برقوقَ صاحبِ الديارِ المصريَّةِ جواباً لصاحبِ تُونُسَ مِنْ بلادِ المغربِ ، واستشهدَ فيهِ لبلاغةِ الكتابِ الواردِ عنهُ بقولِهِ[4] [من الخفيف]

وَكَلَامٍ كَدَمْعِ صَبٍّ غَرِيبٍ ... رَقَّ حَتَّى ٱلْهَوَاءُ يَكْثُفُ عِنْدَهْ

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٠٩)

(٢) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣١٠)

(٣) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣١٠)

(٤) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣١٠)

رَاقَ لَفْظاً وَرَقَّ مَعْنىً فَأَضْحَىٰ كُلُّ سِحْرٍ مِنَ ٱلْبَلَاغَةِ عَبْدَهْ

وعلىٰ ذٰلكَ جرتْ ملوكُ المغربِ مِنْ بني مرينٍ وغيرُهُم ، كما كتبَ بعضُ كُتَّابِ السُّلطانِ ، أبو الحسنِ المرينيُّ ، عنهُ إلى السُّلطانِ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ قلاوونَ صاحبِ الديارِ المصريةِ ، كتاباً يخبرُهُ في خلالِهِ أنَّ صاحبَ بجايةَ خرجَ عن طاعتِهِ ، فغزاهُ وأوقعَ بهِ وبجيوشِهِ حتىٰ قمعَهُ ، مستشهداً فيهِ بقولِ القائلِ(١) [من السريع]

إنْ عَادَتِ ٱلْعَقْرَبُ عُدْنَا لَهَا وَكَانَتِ ٱلنَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهْ

إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ المكاتباتِ الملوكيَّةِ التي لا تُحصىٰ كثرةً ، بل ربَّما وقعَ التمثُّلُ بالشعرِ في المكاتباتِ عنِ الخلفاءِ والملوكِ إلىٰ مَنْ دونَهُم وبالعكسِ ، كما حكى العسكريُّ في « الأوائلِ »(٢) أنَّ رافعاً رفعَ كتاباً إلى الرشيدِ ، وكتبَ في أسفلِهِ [من الطويل]

إذَا جِئْتُ عَاراً أَوْ رَضِيتُ بِذِلَّةٍ فَنَفْسِي عَلَىٰ نَفْسِي مِنَ ٱلْكَلْبِ أَهْوَنُ

فكتبَ إليهِ الرشيدُ كتاباً ، وكتبَ في أسفلِهِ [من الطويل]

وَرَفْعُكَ نَفْساً طَالِباً فَوْقَ قَدْرِهَا يَسُوقُ لَكَ ٱلْحَتْفَ ٱلْمُعَجَّلَ وَٱلذُّلَّا



وبالجملةِ فمذاهبُ الناسِ في التمثُّلِ بالشعرِ في المُكاتباتِ الملوكيَّةِ مختلفةٌ ، ومقاصدُهُم متباينةٌ بحَسَبِ الأغراضِ ، ولذٰلكَ أوردَ الشيخُ جمالُ الدِّينِ بنُ نباتةَ هٰذهِ المسألةَ في جملةِ سؤالاتِهِ التي سألَ عنها كُتَّابَ الإنشاءِ بدمشقَ ، مُخاطِباً بها الشيخَ شهابَ الدِّينِ محمودَ الحلبيِّ ، وهوَ يومَئذٍ

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣١٠ ـ ٣١١)
(٢) الأوائل (١/٣٩١)

صاحبُ ديوانِ الإنشاءِ بها ، فقالَ[1] ومَنْ كرهَ الاستشهادَ في مكاتبةِ الملوكِ بالأشعارِ ؟! وكيفَ تركَها علىٰ ما فيها مِنَ الآثارِ ؟!



أمَّا المُكاتباتُ الإخوانياتُ بالتهاني والتعازي والتزاورِ والتهادي والمداعباتِ وسائرِ أنواعِ الرِّقاعِ في فنونِ المكاتباتِ فقد قالَ في « موادِّ البيانِ »[2] إنَّهُ يجوزُ أن تُودَعَ أبياتُ الشعرِ علىٰ سبيلِ التمثُّلِ وعلىٰ سبيلِ الاختراعِ ؛ مُحتجّاً بأنَّ الصَّدرَ الأوَّلَ كانوا يستعملونَ ذٰلكَ في هٰذهِ المواضعِ ، وهٰذا الذي ذكرَهُ لا خفاءَ فيهِ ، وكتبُ الرسائلِ المدونةُ مِنْ كلامِ المُتقدِّمينَ والمُتأخِّرينَ مِنْ كُتَّابِ المشرقِ والمغربِ شاهدةٌ بذٰلكَ ، ناطقةٌ باستعمالِ الشعرِ في صدورِ المُكاتباتِ وأثنائِها ونهاياتِها ، ما بينَ البيتِ والبيتَينِ فأكثرَ ، حتى القصائدِ الطِّوالِ ، وأكثرُ ما يقعُ مِنْ ذٰلكَ البيتُ المفردُ والبيتانِ فما حولَ ذٰلكَ ، كما استشهدَ القاضي الفاضلُ في بعضِ مكاتباتِهِ في الشوقِ بقولِهِ[3] [من الطويل]

وَمِنْ عَجَبِي أَنِّي أَحِنُّ إِلَيْهِمُ ... وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَىٰ وَهُمُ مَعِي
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا ... وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِي

وكما كتبَ أيضاً لبعضِ إخوانِهِ في جوابِ كتابٍ [من الطويل]

وَكَمْ قُلْتُ [حقّاً] لَيْتَنِي كُنْتُ عِنْدَهُ ... وَمَا قُلْتُ إِجْلَالاً لَهُ لَيْتَهُ عِنْدِي

وكما كتبَ في وصفِ كتابٍ وردَ عليهِ مستشهداً بقولِهِ [من الكامل]

وَحَسِبْتُهُ وَٱلطَّرْفُ مَعْقُودٌ بِهِ ... وَجْهَ ٱلْحَبِيبِ بَدَا لِوَجْهِ مُحِبِّهِ

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣١١)
(٢) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣١١)
(٣) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣١١ ـ ٣١٢)

إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ المُكاتباتِ التي لا يأخذُها حصرٌ ، ولا تدخلُ تحتَ حدٍّ

انتهىٰ ما أردتُ نقلَهُ مِنْ كتابِ « صبح الأعشىٰ » في هٰذا الموضعِ ، وإنَّما أوردتُهُ بصورتِهِ معَ قابليتِهِ للاختصارِ ؛ لأكونَ قد أحضرتُ ذهنَكَ كلاماً لمُؤلِّفٍ جليلٍ في التعريفِ بصناعةِ الإنشاءِ ، يكونُ لهُ مجالٌ بعدَ فهمِهِ ، واعتبارُ ما يرشدُ إليهِ أن يحاولَ تهذيبَ عبارةٍ تفيدُ معناهُ ، وتُبيِّنُ مَغزاهُ

ثمَّ إنَّهُ ليسَ الغرضُ مِنْ إيقافِكَ عليهِ أنَّكَ تتَّبعُ كلَّ ما يأمرُكَ بهِ ويُنبِّهُكَ عليهِ دونَ أن تَستعمِلَ ذوقَكَ في الاستحسانِ ، وأنتَ مستندٌ إليهِ مسترشدٌ بهِ ، حتىٰ تخرجَ منهُ إلىٰ ما يناسبُ وقتَكَ ، ويستصوبُهُ أهلُ عصرِكَ الذينَ أحوالُكَ مربوطةٌ بأحوالِهِم ، ومنافعُكَ معقودةٌ برضاهُم ، فلكلِّ مقامٍ مقالٌ ، ولكلِّ زمانٍ رجالٌ

هٰذا ؛ وإذا أردتَ استيفاءَ معرفةِ اختلافِ اصطلاحِ الكُتَّابِ في كلِّ عصرٍ مِنَ العصورِ الخاليةِ في فواتحِ الكتبِ وخواتمِها ، وما يَختصُّ بكلِّ نوعٍ مِنْ أنواعِ المكاتباتِ فالموجودُ مِنْ كتابِ « صبحِ الأعشىٰ » بدارِ الكتبِ الكبيرةِ يكفيكَ لهٰذا الغرضِ



الجهةُ الثالثةُ

[في ذكرِ أمثلةٍ معينةٍ لفهمِ هـٰذهِ الصناعةِ]

في أمثلةٍ تستعينُ بتفهُّمِها وتأمُّلِ سياقاتِها مِنْ فواتحِها إلىٰ خواتمِها علىٰ تربيةِ ذهنِكَ في هـٰذهِ الصِّناعةِ ، واختيارِ ما يرشدُكَ اللهُ لاختيارِهِ ؛ مِنْ مذهبٍ تذهبُهُ في تأليفِ الكلامِ ، وتنويعِهِ علىٰ حَسَبِ طبقاتِ مَنْ تكاتبُهُم ، وكفىٰ هـٰذهِ الصِّناعةَ شرفاً أن كانَ ابتداءُ تمثيلِها بما صدرَ عن حضرةِ المصطفىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، ومنهُ تَعرِفُ حقَّ المعرفةِ كيفَ يختلفُ حالُ الكتابةِ باختلافِ حالِ المكتوبِ إليهِ

[كتابُ رسولِ اللهِ ﷺ لقيصرِ الرُّومِ]

فمِنْ كتبِهِ للعجمِ ـ وبعضُها يشبهُ بعضاً ـ كتابُهُ الصَّادرُ لقيصرِ الرُّومِ يدعوهُ إلى الإسلامِ ، وهـٰذهِ صورتُهُ «مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ ٱلرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰ ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ ٱلْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، أَسْلِمْ يُؤْتِكَ ٱللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ؛ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ ٱلْأَرِيسِيِّينَ ، وَ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ »(١)

[كتابُ رسولِ اللهِ ﷺ لكسرىٰ ملكِ الفرسِ]

ومنها كتابُهُ الصَّادرُ إلىٰ كسرىٰ ملكِ الفرسِ في ذٰلكَ الغرضِ ، وهـٰذهِ

(١) سورة آل عمران : (٦٤) ، والحديث أخرجه البخاري (٧ ، ٢٩٤١) ، ومسلم (١٧٧٣) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما عن سيدنا أبي سفيان رضي الله عنه

صورتُهُ « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ إِلَىٰ كِسْرَىٰ عَظِيمِ فَارِسَ ، سَلَامٌ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ وَآمَنَ بِٱللهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ ٱللهِ إِلَى ٱلنَّاسِ كَافَّةً لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ، وَأَسْلِمْ تَسْلَمْ ؛ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ [إِثْمَ] ٱلْمَجُوسِ عَلَيْكَ »[1]

فكانَ الافتتاحُ بـ (مِنْ فلانٍ إلىٰ فلانٍ) سُنَّةً ، سواءٌ كانَتْ الكتابةُ مِنْ رئيسٍ أو مرؤوسٍ ، حتىٰ كتبَ النجاشيُّ ملكُ الحبشةِ إلىٰ محمدٍ رسولِ اللهِ مِنَ النجاشيِّ ، وكتبَ خالدُ بنُ الوليدِ في بعضِ كتبِهِ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وكانَ قد بعثَهُ في ناحيةٍ لمحمدٍ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ مِنْ خالدِ بنِ الوليدِ ، فكانَتْ سُنَّةً ثانيةً التزمَها الناسُ بعدُ في خطابِ المرؤوسِ للرئيسِ ؛ لِمَا تَجدَّدَ مِنَ العظمةِ الملكيةِ والجلالةِ السلطانيةِ

[كتابُ رسولِ اللهِ ﷺ لأكيدرَ صاحبِ دومةِ الجندلِ]

ومِنْ كتبِهِ للعربِ كتابُهُ الصَّادرُ لأُكَيْدِرَ صاحبِ دومةِ الجندلِ ، وهٰذهِ صورتُهُ

« مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ لِأُكَيْدِرَ ، حِينَ أَجَابَ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ ، وَخَلَعَ ٱلْأَنْدَادَ وَٱلْأَصْنَامَ ، مَعَ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ سَيْفِ ٱللهِ فِي دُومَةِ ٱلْجَنْدَلِ وَأَكْنَافِهَا إِنَّ لَنَا ٱلضَّاحِيَةَ مِنَ ٱلضَّحْلِ ، وَٱلْبُورَ وَٱلْمَعَامِيَ وَأَغْفَالَ ٱلْأَرْضِ ، وَٱلْحَلْقَةَ وَٱلسِّلَاحَ وَٱلْحَافِرَ وَٱلْحِصْنَ ، وَلَكُمُ ٱلضَّامِنَةُ مِنَ ٱلنَّخْلِ ، وَٱلْمَعِينُ مِنَ ٱلْمَعْمُورِ ، لَا تُعْزَلُ سَارِحَتُكُمْ ، وَلَا تُعَدُّ فَارِدَتُكُمْ ، وَلَا يُحْظَرُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّبَاتُ ، تُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا ، وَتُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ بِحَقِّهَا ، عَلَيْكُمْ بِذَٰلِكَ عَهْدُ ٱللهِ وَٱلْمِيثَاقُ »[2]

---

(١) انظر « شرح المواهب اللدنية » للزرقاني (١٤/٥ ـ ١٥)
(٢) انظر « الروض الأنف » (٣٩٧/٧ ـ ٣٩٨)

تفسيرُ ألفاظِهِ وبيانُ مقصودِهِ

الأندادُ جمعُ نِدٍّ بكسرِ النونِ ؛ وهوَ ضدُّ الشيءِ الذي يخالفُهُ في أمورِهِ ، ويناذُّهُ ؛ أي يخالفُهُ ، مأخوذٌ مِنْ نَدَّ البعيرُ ؛ إذا شردَ ، والمرادُ ما كانوا يتخذونَهُ آلهةً مِنْ دونِ اللهِ

والأصنامُ جمعُ صَنَمٍ ؛ وهوَ ما اتُّخِذَ إلـهاً مِنْ دونِ اللهِ ، وقيلَ ما كانَ لهُ جسمٌ أو صورةٌ ، فإن لم يكنْ لهُ جسمٌ ولا صورةٌ فهوَ وثنٌ

والأكنافُ بالنونِ جمعُ كَنَفٍ بالتحريكِ ، وهوَ الجانبُ والناحيةُ

والضَّاحيةُ بالضَّادِ المعجمةِ والحاءِ المهملةِ الناحيةُ البارزةُ التي لا حائلَ دونَها ، والمرادُ هنا أطرافُ الأرضِ

والضَّحْلُ بفتحِ الضادِ المعجمةِ وسكونِ الحاءِ المهملةِ القليلُ مِنَ الماءِ ، وقيلَ الماءُ القريبُ مِنَ المكانِ ، وبالتحريكِ مكانُ الضحلِ

والبورُ الأرضُ التي لم تُزرَعْ ؛ وهوَ بالفتحِ مصدرٌ وصفَ بهِ

والمعامي المجهولةُ مِنَ الأرضِ ، التي ليسَ فيها أثرُ عمارةٍ ، واحدُها معمىً

وأغفالُ الأرضِ بالغينِ المعجمةِ والفاءِ : الأرضُ التي ليسَ فيها أثرٌ يُعرَفُ ؛ كأنَّها مغفولٌ عنها

والحَلْقةُ بسكونِ اللامِ السلاحُ عامّاً ، وقيلَ الدروعُ خاصّاً

والسِّلاحُ ما أُعِدَّ للحربِ مِنْ آلةِ الحديدِ ممَّا يُقاتَلُ بهِ ، والسيفُ وحدَهُ يُسمَّىٰ سلاحاً

والضَّامنةُ مِنَ النخلِ بالضَّادِ المعجمةِ والنونِ ما كانَ داخلاً في العمارةِ مِنَ النخيلِ وتَضمَّنَتْهُ أمصارُهُم وقُراهم ، وقيلَ سُمِّيَتْ ضامنةً لأنَّ أربابها

ضمنوا عمارتَها وحفظَها ، فهيَ ذاتُ ضمانٍ ، كعيشةٍ راضيةٍ ؛ بمعنىٰ ذاتِ رضاً

والمَعينُ مِنَ المعمورِ الماءُ الذي ينبعُ مِنَ العينِ في العامرِ مِنَ الأرضِ

وقولُهُ (لا تُعزَلُ سارحتُكُم) بالزاي المعجمة ؛ أي لا تُصرَفُ ماشيتُكُم وتُمالُ عنِ الرعيِ ، ولا تُمنَعُ

وقولُهُ (ولا تُعَدُّ فاردتُكُم) أي لا تُضَمُّ إلىٰ غيرِها وتُحشَرُ إلى الصَّدقةِ حتىٰ تُعَدَّ معَ غيرِها وتُحسَبَ ، والفاردةُ الزائدةُ على الفريضةِ

ولا يُحظَرُ عليكُمُ النباتُ بالظاءِ المعجمةِ ؛ أي لا تُمنعونَ مِنَ الزرعِ والمرعىٰ حيثُ شئتُم

والحَظْرُ المنعُ ، ومقصودُهُ تمييزُ ما يكونُ للسلطانِ فيهِ إطلاقُ التصرُّفِ وليسَ داخلاً في حوزةِ أحدٍ مِنْ غيرِهِ وإعلامُهُم بذٰلكَ

ومعنىٰ كونِ الحلقةِ والحافرِ والحصنِ للسلطانِ أنَّهُ متىٰ أمرَ باستعمالِها في الجهادِ وجبَ عليهِم الامتثالُ حَسَبَ ما يُؤمَرونَ بهِ وإن كانَتْ لهُم مُلْكاً اختصاصياً ، بخلافِ الأشياءِ المُتقدِّمةِ

[كتابُ رسولِ اللهِ ﷺ لوائلِ بن حُجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معَ تفسيرِ ألفاظِهِ]

ومنها كتابُهُ الصَّادرُ لوائلِ بنِ حُجْرٍ أحدِ عظماءِ حضرموتَ وأمثالِهِ منهُم ، وهٰذهِ صورتُهُ « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ إِلَى ٱلْأَقْيَالِ ٱلْعَبَاهِلَةِ وَٱلْأَرْوَاعِ ٱلْمَشَابِيبِ ، [وفيهِ] وَفِي ٱلتِّيعَةِ شَاةٌ ، لَا مُقَوَّرَةُ ٱلْأَلْيَاطِ ، وَلَا ضِنَاكٌ ، وَأَنْطُوا ٱلثَّبَجَةَ ، وَفِي ٱلسُّيُوبِ ٱلْخُمُسُ ، وَمَنْ زَنَىٰ مِنَ ٱمْبَكْرِ فَٱصْقَعُوهُ مِئَةً ، وَٱسْتَوْفِضُوهُ عَاماً ، وَمَنْ زَنَىٰ مِنَ ٱمْثَيِّبِ فَضَرِّجُوهُ بِٱلْأَضَامِيمِ ، وَلَا تَوْصِيمَ

فِي ٱلدِّينِ ، وَلَا غُمَّةَ فِي فَرَائِضِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، وَوَائِلُ بْنُ حُجْرٍ يَتَرَفَّلُ عَلَى ٱلْأَقْيَالِ »(١)

تفسيرُ ألفاظِهِ

الأقيالُ جمعُ قَيْلٍ بفتحِ فسكونٍ ؛ الملكُ أو مَنْ ينوبُ عنهُ إذا غابَ ، والمرادُ في الحديثِ الأوَّلُ

والعباهلةُ في « القاموس » (العباهلةُ المقرُّونَ علىٰ ملكِهِم ، فلم يُزالوا عنهُ)(٢)

والأرواعُ جمعُ رائعٍ ، مِنْ راعَ ؛ أي أفزعَ مَنْ رَآهُ لجمالِهِ أو جلالِهِ

والمشابيبُ جمعُ مشبوبٍ ؛ وهوَ الجميلُ الزاهرُ اللونِ ؛ مِنْ شَبَّ النارَ ؛ ألهبَها

والتِّيعةُ بكسرٍ فسكونٍ أربعونَ شاةً ، وتُطلَقُ علىٰ أدنىٰ ما تجبُ فيهِ الصَّدقةُ مِنَ الحيوانِ

والمُقوَّرةُ الألياطِ المسترخيةُ الجلودِ مِنْ أقورَ

واللِّيطُ بكسرٍ فسكونٍ ، والضِّناكُ بزنةِ كِتابٍ الموثقةُ الخلقُ السمينةُ ؛ أي شاةُ الصَّدقةِ لا تكونُ مِنَ المهازيلِ ولا مِنَ الكرائمِ ، بل تكونُ وسطاً ، وهوَ المرادُ بقولِهِ وأنطوا الثَّبَجةَ ؛ أي أعطوا ، بالنونِ مكانَ العينِ ؛ وهيَ لغتُهُم ، والثَّبَجة بفتحتَينِ الوسطُ ، ومنهُ ثبجُ البحرِ

السُّيوبُ جمعِ سيبٍ ؛ وهوَ العطيةُ ، وأُريدَ بهِ في الحديثِ الرِّكازُ ؛ وهوَ دفينُ الجاهليةِ

---

(١) انظر « الشفا » (ص ١١٨ ـ ١١٩)

(٢) القاموس المحيط (٤/١٨) ، مادة (ع ب هـ ل)

وفي قولِهِ (مِنَ ٱمْبكرِ) و(مِنَ ٱمْثيبِ) جرىٰ علىٰ لغتِهِم مِنْ إبدالِ لامِ التعريفِ ميماً

والصقعُ الضَّربُ ، والاستيفاضُ التغريبُ ، والأضاميمُ الحجارةُ الصغارُ ، والتوصيمُ الفترةُ والتواني ، وترفَّلَ عليهِم ترأَّسَ

وقد رُوِيَ هٰذا الكتابُ بصورةٍ أخرىٰ ؛ وهيَ هٰذهِ « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ إِلَى ٱلْأَقْيَالِ ٱلْعَبَاهِلَةِ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتَ ؛ بِإِقَامَةِ ٱلصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ ؛ عَلَى ٱلتِّيعَةِ ٱلشَّاةُ ، وَٱلتِّيمَةُ لِصَاحِبِهَا ، وَفِي ٱلسُّيُوبِ ٱلْخُمُسُ ، لَا خِلَاطَ وَلَا وِرَاطَ ، وَلَا شَنَاقَ وَلَا شِغَارَ ، وَمَنْ أَجْبَىٰ فَقَدْ أَرْبَىٰ ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ »[1]

التيمةُ بكسرٍ فسكونٍ ، وبالهمزِ بدلَ الياءِ لغةٌ ما زادَ على الفريضةِ حتىٰ تبلغَ الفريضةُ الأخرىٰ ، أو هيَ غيرُ السائمةِ

والخِلاطُ أن يَخلِطَ الرجلُ مالَهُ بمالِ غيرِهِ لتسقطَ عنهُ الزكاةُ

والوِراطُ أن يخفيَهُ في ورطةٍ مِنَ الأرضِ حتىٰ لا يراهُ الساعي

والشَّناقُ المشاركةُ في الشَّنَقِ بفتحتَينِ ؛ وهوَ العفوُ بينَ الفريضتَينِ

والشِّغَارُ نكاحٌ في الجاهليةِ ؛ وهوَ أن يُزوِّجَ الرجلُ ابنتَهُ أو أختَهُ مِنْ رجلٍ ويَتزوَّجَ ابنةَ ذٰلكَ الرجلِ أو أختَهُ ، علىٰ أن يكونَ بُضْعُ كلٍّ منهُما صَداقَ الأخرىٰ

وقولُهُ (ومَنْ أجبىٰ فقد أربىٰ) قيلَ في تفسيرِهِ إنَّ الإجباءَ هوَ بيعُ الزرعِ قبلَ بدوِّ صلاحِهِ ، أو أن يبيعَ الرجلُ سلعةً بثمنٍ معلومٍ إلىٰ أجلٍ معلومٍ ثمَّ يشتريَها بأقلَّ مِنْ ذٰلكَ الثمنِ ، وأربىٰ وقعَ في الربا

---

(١) انظر « أسد الغابة » (٣/٥٠)

ومِنْ هٰذهِ الكتبِ تَقِفُ علىٰ أصلٍ ؛ وهوَ أنَّ مَنْ يَستحِقُّ المدحَ يُمدَحُ بإيرادِ صفاتِهِ الكماليةِ في صدرِ الكتابِ إليهِ ، كما جرىٰ عليهِ العملُ بعدُ

[كتابُ رسولِ اللهِ ﷺ لخالدِ بنِ الوليدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

ومِنْ كتبِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأهلِ الإسلامِ كتابُهُ الصَّادرُ لخالدِ بنِ الوليدِ جواباً عن كتابِهِ لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بإسلامِ بني الحارثِ ، وقد أُرسِلَ إليهِم ، وهٰذهِ صورتُهُ « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ إِلَىٰ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ ، سَلاَمٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ ٱللهَ ٱلَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ كِتَابَكَ جَاءَنِي مَعَ رَسُولِكَ يُخْبِرُنِي أَنَّ بَنِي ٱلْحَارِثِ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ تُقَاتِلَهُمْ ، وَأَجَابُوا إِلَىٰ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ ، وَشَهِدُوا أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْ قَدْ هَدَاهُمُ ٱللهُ بِهُدَاهُ ، فَبَشِّرْهُمْ وَأَنْذِرْهُمْ ، وَأَقْبِلْ وَلْيُقْبِلْ مَعَكَ وَفْدُهُمْ ، وَٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ »(١)

[كتابُ رسولِ اللهِ ﷺ للمنذرِ بنِ ساوىٰ]

وكتابُهُ الصَّادرُ إلى المنذرِ بنِ ساوىٰ ، وكانَ عاملاً للفُرْسِ على البحرَينِ ، وهٰذهِ صورتُهُ « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ إِلَى ٱلْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَىٰ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ ٱللهَ ٱلَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُذَكِّرُكَ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحْ فَإِنَّمَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ مَنْ يُطِعْ رُسُلِي وَيَتَّبِعْ أَمْرَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ نَصَحَهُمْ فَقَدْ نَصَحَ لِي ، وَإِنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَلَيْكَ خَيْراً ، وَإِنِّي قَدْ شَفَّعْتُكَ فِي

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٥٩٣/٢)

قَوْمِكَ ، فَٱتْرُكْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ ، وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ ٱلذُّنُوبِ ، فَٱقْبَلْ لَهُمْ ، وَإِنَّكَ مَهْمَا تُصْلِحْ لَنْ نَعْزِلَكَ ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَىٰ مَجُوسِيَّتِهِ فَعَلَيْهِ ٱلْجِزْيَةُ »[1]

وقولُهُ (أحمدُ إليكَ) علىٰ تقديرِ مُتوجِّهاً إليكَ

وعلىٰ صُوَرِ كتبِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ جرىٰ عملُ الخلفاءِ الراشدينَ ، ولم يكنْ يُذكَرُ في صدورِ الكتبِ بعدَ الحمدِ الصلاةُ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، حتىٰ زادَها الرشيدُ ، وعُدَّتْ مِنْ مناقبِهِ ، فكانَ يكتبُ (أحمدُ إليكَ اللهَ ، وأسألُهُ أن يصليَ)

[كتابُ سيدِنا أبي بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لأهلِ الرِّدَّةِ]

ومِنْ كُتُبِ الخلفاءِ كتابُ الصدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ لأهلِ الرِّدَّةِ حينَ وَلِيَ الخلافةَ ، ورجعَ كثيرٌ مِنَ العربِ عنِ الإسلامِ ، وهٰذهِ صورتُهُ (مِنْ أبي بكرٍ خليفةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ إلىٰ مَنْ بلغَهُ كتابي هٰذا مِنْ عامَّةٍ أو خاصَّةٍ ، أقامَ على الإسلامِ أو رجعَ عنهُ ، سلامٌ علىٰ مَنِ اتبعَ الهدىٰ ، ولم يرجعْ بعدَ الهدىٰ إلى الضَّلالةِ والعمىٰ ، فإنِّي أحمدُ إليكُمُ اللهَ الذي لا إلٰهَ إلَّا هوَ ، وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ ، وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، وأُقِرُّ بما جاءَ بهِ

أمَّا بعدُ فإنَّ اللهَ أرسلَ محمداً بالحقِّ مِنْ عندِهِ إلىٰ خلقِهِ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً منيراً ؛ لينذرَ مَنْ كانَ حيّاً ، ويحقَّ القولُ على الكافرينَ ، يهدي اللهُ للحقِّ مَنْ أجابَ إليهِ ، وضربَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بإذنِهِ مَنْ أدبرَ عنهُ ، حتىٰ صارَ إلى الإسلامِ طوعاً وكرهاً

---

(١) انظر « شرح المواهب اللدنية » للزرقاني (٥/٣٤ ـ ٣٦)

ثمَّ تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وقد نَفَّذَ لأمرِ اللهِ ونصحَ لأُمَّتِهِ ، وقضى الذي عليهِ ، وكانَ اللهُ قد بَيَّنَ لهُ ذٰلكَ ولأهلِ الإسلامِ في الكتابِ الذي أنزلَهُ ؛ فقالَ ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[١] ، وقالَ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾[٢] ، وقالَ للمؤمنينَ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٣] ، فمَنْ كانَ يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد ماتَ ، ومَنْ كانَ يعبدُ اللهَ وحدَهُ لا شريكَ لهُ فإنَّ اللهَ بالمِرصادِ ، حيٌّ قيومٌ ، لا يموتُ ، ولا تأخذُهُ سِنةٌ ولا نومٌ ، حافظٌ لأمرِهِ ، مُنتقِمٌ مِنْ عدوّهِ بحزبِهِ

وإنِّي أوصيكم بتقوى اللهِ ، وحظِّكُم ونصيبِكُم مِنَ اللهِ ، وما جاءَ بهِ نبيُّكُم ، وأن تهتدوا بهديِهِ ، وأن تعتصموا بدينِ اللهِ ، فإنَّ مَنْ لم يهدِ اللهُ ضلَّ ، وكلُّ مَنْ لم يعافِهِ مبتلىً ، وكلُّ مَنْ لم ينصرْهُ مخذولٌ ؛ فمَنْ هداهُ اللهُ كانَ مَهديّاً ، ومَنْ أضلَّهُ كانَ ضالّاً ، مَنْ يهدي اللهُ فهوَ المهتدي ، ومَنْ يضللْ فلن تجدَ لهُ وليّاً مرشداً ، ولم يُقبَلْ منهُ في الدنيا عملٌ حتىٰ يُقِرَّ بهِ ، ولم يُقبَلْ لهُ في الآخرةِ صرفٌ ولا عدلٌ

وقد بلغَني رجوعُ مَنْ رجعَ منكم عن دينِهِ بعدَ أن أقرَّ بالإسلامِ وعملَ بهِ ؛ اغتراراً باللهِ ، وجهالةً بأمرِهِ ، وإجابةً للشيطانِ ، وقالَ اللهُ جلَّ ثناؤُهُ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[٤] ، وقالَ

(١) سورة الزمر (٣٠)
(٢) سورة الأنبياء (٣٤)
(٣) سورة آل عمران (١٤٤)
(٤) سورة الكهف (٥٠)

جلَّ ذكرُهُ ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[1]

وإنّي نَفَّذتُ إليكُم خالدَ بنَ الوليدِ في جيشٍ مِنَ المهاجرينَ والأنصارِ والتابعينَ بإحسانٍ ، وأمرتُهُ ألَّا يقاتلَ أحداً ولا يقتلَهُ حتىٰ يدعوَهُ إلىٰ داعيةِ اللهِ ؛ فمَنِ استجابَ وأقرَّ وكفَّ وعملَ صالحاً قُبِلَ منهُ ، وأعانَهُ عليهِ ، ومَنْ أبىٰ أن يقاتلَهُ علىٰ ذٰلكَ ، ولا يبقيَ علىٰ أحدٍ منهُم قَدَرَ عليهِ ، وأن يُحرِقَهُم بالنيرانِ ، ويقتلَهُم كلَّ قِتلةٍ ، ويسبيَ النساءَ والذَّراريَّ ، ولا يقبلَ مِنْ أحدٍ إلَّا الإسلامَ ؛ فمَنْ آمنَ فهوَ خيرٌ لهُ ، ومَنْ تركَهُ فلن يُعجِزَ اللهَ ، وقد أمرتُ رسولي أن يقرأَ كتابي في كلِّ مجمعٍ لكُم ، والداعيةُ الأذانُ ؛ فإن أذَّنَ المسلمونَ فأذَّنوا كفُّوا عنهُم ، وإن لم يُؤذِّنوا سألوهُم ما عليهِم ، فإن أبَوا عاجلوهُم ، وإن أقرُّوا قُبِلَ منهُم ، وحملَهُم علىٰ ما ينبغي لهُم)[2]

ومِنْ هٰذا الكتابِ تَستدِلُّ علىٰ جوازِ تحليةِ الكلامِ ببعضِ ألفاظِ القرآنِ ، وتَعرِفُ الفرقَ بينَ الاقتباسِ والاستشهادِ ، وتنظرُ كيفَ تَستعمِلُ الشِّدَّةَ في موضعِها

[كتابُ سيدِنا عمرَ بنِ الخطابِ لعمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا]

صورةُ كتابٍ صدرَ مِنْ أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطابِ ـ وهوَ أوَّلُ مَنْ وضعَ هٰذا اللقبَ للخليفةِ ، وكانَ قبلُ يكتبُ مِنْ خليفةِ خليفةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فاستطالَ ذٰلكَ علىٰ مَنْ يجيءُ بعدَهُ ، فإنَّهُ يلزمُ أن يُكرِّرَ بقدرِ عددِ سلفِهِ ـ إلىٰ عمرِو بنِ العاصِ وهوَ عاملٌ علىٰ

(١) سورة فاطر (٦)
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٣/٢٥٠ ـ ٢٥١)

مصرَ مِنْ طرفِهِ مِنْ عبدِ اللهِ أميرِ المؤمنينَ إلىٰ عمرِو بنِ العاصِ ، سلامٌ عليكَ

أمَّا بعدُ فقد بلغَني أنَّهُ فشتْ لكَ فاشيةٌ مِنْ خيلٍ وإبلٍ وبقرٍ وعبيدٍ ، وعهدي بكَ قبلَ ذٰلكَ ولا مالَ لكَ ، فاكتبْ إليَّ مِنْ أينَ أصلُ هٰذا المالِ [١]

[جوابُ سيدِنا عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

جوابُ عمرٍو عن هٰذا الكتابِ لعبدِ اللهِ عمرَ أميرِ المؤمنينَ ، سلامٌ عليكَ ، فإنِّي أحمدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلٰهَ إلَّا هوَ

أمَّا بعدُ فإنَّهُ أتاني كتابُ أميرِ المؤمنينَ يَذكُرُ فيهِ فاشيةَ مالٍ فشا لي ، وإنَّهُ يَعرِفُني قبلَ ذٰلكَ ولا مالَ لي ، وإنِّي أُعلِمُ أميرَ المؤمنينَ أنِّي ببلدٍ السعرُ فيهِ رخيصٌ ، وإنِّي أعالجُ مِنَ الزراعةِ ما يعالجُهُ الناسُ ، وفي رزقِ أميرِ المؤمنينَ سعةٌ ، وواللهِ ؛ لو رأيتُ خيانتَكَ حلالاً ما خنتُكَ ، فأقصرْ أيُّها الرجلُ ؛ فإنَّ لنا أحساباً هيَ خيرٌ مِنَ العملِ لكَ إن رجعنا إليها عشنا بها ، ولعمري ؛ إنَّ عندَكَ مَنْ لا يَذُمُّ معيشةً ، ولا تُذَمُّ لهُ ، وإن كانَ ذٰلكَ . لم يفتحْ لكَ قفلاً ، ولم يشركْكَ في عملٍ

يريدُ عمرَ ، وأنَّهُ مِنْ أهلِ البيوتِ الشريفةِ التي جرتْ عادةُ مَنْ دونَهُم مِنْ طبقاتِ الناسِ ألَّا يستنكفوا مِنْ خدمتِهِم ، فيمكنُ أن يحصلَ لهُ الغنىٰ بذٰلكَ الطريقِ دونَ أن يكونَ حاكماً ، وفي آخرِ الكلامِ استشهدَ بمَنْ حصلَ لهُ الغنىٰ بتلكَ الطريقِ مِنْ أهلِهِ ؛ كعثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ [٢]

---

(١) انظر « العقد الفريد » (١/٤٦)

(٢) انظر « العقد الفريد » (١/٤٧)

[كتابُ سيدِنا عثمانَ لسيدِنا عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

صورةُ كتابٍ صدرَ مِنْ أميرِ المؤمنينَ عثمانَ بنِ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، وكانَ خرجَ إلى الينبعِ ، وقد أحاطَ الناسُ بعثمانَ ، وهيَ هـٰذِهِ أمَّا بعدُ فقد بلغَ السَّيلُ الزُّبىٰ ، وجاوزَ الحزامُ الطُّبْيَينِ ، وطمعَ فيَّ كلُّ مَنْ كانَ يَضعُفُ عن نفسِهِ ، ولم يغلبْكَ مثلُ مغلبٍ ، فأقبلْ إليَّ صديقاً كنتَ أو عدوّاً

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أُمَزَّقِ[1]

الزُّبيةُ بضمٍّ فسكونٍ حفرةٌ تُعمَلُ في رأسِ جبلٍ علىٰ طريقِ السَّبُعِ ، وتُغطَّىٰ بغطاءٍ خفيفٍ ليسقطَ السَّبُعُ في الحفرةِ إذا مرَّ عليهِ ، وهيَ مِنْ طرقِ صيدِهِ ، وهيَ مثلٌ لبلوغِ الشرِّ غايةً بعيدةً ، وكذٰلكَ مجاوزةُ الحزامِ الطُّبْيَينِ ؛ وهوَ مُثنَّىٰ طُبْيٍ بكسرٍ أو ضمٍّ فسكونٍ ، حلمةُ الضَّرْعِ مِنْ ذواتِ الخُفِّ والحافرِ والظِّلفِ ، وقولُهُ (لم يغلبْكَ مثلُ مغلبٍ) قطعةٌ مِنْ قولِ امرئِ القيسِ[2] [من الطويل]

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ



وكفاكَ هـٰذا القَدرُ مثالاً لِمَا كانَ عليهِ كتبُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وخلفائِهِ رضيَ اللهُ عنهُم قبلَ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، وأمَّا هوَ فكلامُهُ البحرُ الذي لا ساحلَ لهُ ، وإذا اطلعتَ عليهِ عرفتَ كيفَ تَصرَّفَ أُمراءُ الكلامِ في البلاغةِ

وقد جمعَ الشريفُ الرضيُّ مِنْ كلامِهِ مجموعاً صالحاً سمَّاهُ « نهجَ

---

(١) تقدم (٤/٢٩٥) ، وانظر « تاريخ المدينة » لابن شبة (٤/١١٩٩)

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٤٤)

البلاغةِ » ، وشرحَهُ ابنُ أبي الحديدِ شرحاً كبيراً في مُجلَّداتٍ كثيرةٍ ، فمَنْ أرادَ توفيرَ حظِّهِ وشحنَ خاطرِهِ مِنْ أشرفِ الكلامِ بعدَ القرآنِ وحديثِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ . فليطلبْ ذٰلكَ الكتابَ ، ويَقرأْهُ بتأمُّلٍ لألفاظِهِ ، وتفهُّمٍ لأغراضِهِ ، ولا بأسَ أن نوردَ لكَ منهُ ما يكونُ داعياً لبذلِ جهدِكَ في طلبِهِ

[كتابُ سيدِنا عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للأشترِ النخعيِّ]

هٰذهِ صورةُ عهدٍ كتبَهُ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ لمالكٍ المعروفِ بالأشترِ النخعيِّ ـ وهوَ مِنْ أجلِّ أصحابِهِ ، وكانَ يقولُ فيهِ : مالكٌ لي كما كنتُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ـ حينَ أرسلَهُ والياً علىٰ مصرَ[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هٰذا ما أمرَ بهِ عبدُ اللهِ عليٌّ أميرُ المؤمنينَ مالكَ بنَ الحارثِ الأشترَ في عهدِهِ حينَ ولَّاهُ مصرَ جبايةَ خَراجِها ، وجهادَ عدوِّها ، وإصلاحَ أهلِها ، وعِمارةَ بلادِها

أمرَهُ بتقوى اللهِ ، وإيثارِ طاعتِهِ ، واتباعِ ما أمرَ بهِ في كتابِهِ مِنْ فرائضِهِ وسننِهِ التي لا يسعدُ أحدٌ إلَّا باتباعِها ، ولا يشقىٰ إلَّا معَ جحودِها وإضاعتِها ، وأن يَنصُرَ اللهَ سبحانَهُ بيدِهِ وقلبِهِ ولسانِهِ ؛ فإنَّهُ جلَّ اسمُهُ قد تَكفَّلَ بنصرِ مَنْ نصرَهُ ، وإعزازِ مَنْ أعزَّهُ

وأمرَهُ أن يكسرَ مِنْ نفسِهِ عندَ الشهواتِ ، ويزعَها عندَ الجَمَحاتِ ؛ فإنَّ النفسَ أمَّارةٌ بالسُّوءِ إلَّا ما رحمَ اللهُ

ثمَّ اعلمْ يا مالكُ أنِّي قد وجهتُكَ إلىٰ بلادٍ قد جرتْ دُوَلاً قبلَكَ مِنْ

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٧/٣٠ ـ ١١٧)

عدلٍ أو جورٍ ، وأنَّ الناسَ ينظرونَ في أمورِكَ في مثلِ ما كنتَ تنظرُ فيهِ مِنْ أمورِ الولاةِ قبلَكَ ، ويقولونَ فيكَ كما كنتَ تقولُهُ فيهِم ، وإنَّما يُستَدلُّ على الصالحينَ بما يُجري اللهُ لهُم علىٰ ألسنةِ عبادِهِ ، فليكنْ أحبَّ الذَّخائرِ إليكَ ذخيرةً العملُ الصالحُ ، فاملكْ هواكَ ، وشُحَّ بنفسِكَ عمَّا لا يَحِلُّ لكَ ؛ فإنَّ الشُّحَّ بالنفسِ الإنصافُ منها فيما [أحبَّتْ] وكرهَتْ

وأشعر قلبَكَ الرحمةَ للرعيَّةِ ، والمحبةَ لهُم ، واللطفَ بهِم ، ولا تكونَنَّ عليهِم سَبُعاً ضارياً تغتنمُ أكلَهُم ؛ فإنَّهُم صنفانِ إمَّا أخٌ لكَ في الدِّينِ ، وإمَّا نظيرٌ لكَ في الخلقِ ، يفرطُ منهُم الزللُ ، وتَعرِضُ لهُمُ العللُ ، ويُؤتىٰ علىٰ أيديهِم في العمدِ والخطأ ، فأعطِهِم مِنْ عفوِك وصفحِكَ مثلَ الذي تُحِبُّ وترضىٰ أن يعطيَكَ اللهُ مِنْ عفوِهِ وصفحِهِ ؛ فإنَّكَ فوقَهُم ، ووالِيَ الأمرِ عليكَ فوقَكَ ، واللهُ فوقَ مَنْ ولَّاكَ ، وقدِ استكفاكَ أمرَهُم ، وابتلاكَ بهِم

ولا تَنصِبَنَّ نفسَكَ لحربِ اللهِ ؛ فإنَّهُ لا يَدَيْ لكَ بنقمتِهِ ، ولا غنىٰ بكَ عن عفوِهِ ورحمتِهِ ، ولا تَندمَنَّ علىٰ عفوٍ ، ولا تَجنحنَّ بعقوبةٍ ، ولا تُسرِعَنَّ إلىٰ بادرةٍ وجدتَ عنها مندوحةً ، ولا تَقولَنَّ إنِّي مُؤمَّرٌ آمُرُ فأُطاعُ ؛ فإنَّ ذٰلكَ إدغالٌ في القلبِ ، ومنهكةٌ للدِّينِ ، وتَقرُّبٌ مِنَ الغيرِ

وإذا أحدثَ لكَ ما أنتَ فيهِ مِنْ سلطانِكَ أُبَّهةً أو مخيلةً . فانظرْ إلىٰ عظمِ مُلكِ اللهِ فوقَكَ ، وقدرتِهِ منكَ علىٰ ما لا تَقدِرُ عليهِ مِنْ نفسِكَ ؛ فإنَّ ذٰلكَ يطامِنُ إليكَ مِنْ طماحِكَ ، ويَكُفُّ عنكَ مِنْ غَربِكَ ، ويضيءُ إليكَ ممَّا عزبَ عنكَ مِنْ عقلِكَ ، وإيَّاكَ ومساماةَ اللهِ في عظمتِهِ ، والتشبُّهَ بهِ في جبروتِهِ ؛ فإنَّ اللهَ يُذِلُّ كلَّ جبَّارٍ ، ويُهِينُ كلَّ مختالٍ

أنصفِ اللهَ وأنصفِ الناسَ مِنْ نفسِكَ ، ومِنْ خاصَّةِ أهلِكَ ، ومَنْ لكَ فيهِ هوىً مِنْ رعيَّتِكَ ؛ فإنَّكَ إلَّا تفعلْ تظلمْ ، ومَنْ ظلمَ عبادَ اللهِ كانَ اللهُ

خصمَهُ دونَ عبادِهِ ، ومَنْ خاصمَهُ اللهُ أدحض حُجَّتَهُ ، وكانَ للهِ حرباً حتىٰ يَنزِعَ ويتوبَ

وليسَ شيءٌ أدعىٰ إلىٰ تغييرِ نعمةِ اللهِ وتعجيلِ نقمتِهِ مِنْ إقامةٍ علىٰ ظلمٍ ؛ فإنَّ اللهَ سميعٌ دعوةَ المظلومينَ ، وهوَ للظالمينَ بالمِرصادِ

وليكنْ أحبُّ الأمورِ إليكَ أوسطَها في الحقِّ ، وأعمَّها في العدلِ ، وأجمعَها لرضا الرعيَّةِ ؛ فإنَّ سُخْطَ العامَّةِ يُجحِفُ برضا الخاصَّةِ ، وإنَّ سُخْطَ الخاصَّةِ يُغتفَرُ معَ رضا العامَّةِ ، وليسَ أحدٌ مِنَ الرعيَّةِ أثقلَ على الوالي مؤنةً في الرخاءِ ، وأقلَّ معونةً لهُ في البلاءِ ، وأكرهَ للإنصافِ ، وأسألَ بالإلحافِ ، وأقلَّ شكراً عندَ الإعطاءِ ، وأبطأَ عذراً عندَ المنعِ ، وأضعفَ صبراً عندَ مُلِمَّاتِ الدَّهرِ مِنْ أهلِ الخاصَّةِ ، وإنَّما عَمودُ الدِّينِ ، وجماعُ المسلمينَ ، والعدَّةُ للأعداءِ العامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ ، فليكنْ صغوُكَ لهُم(١) ، وميلُكَ معَهُم ، وليكنْ أبعدُ رعيتِكَ منكَ وأشنؤُهُم عندَكَ أطلبَهُم لمعايبِ الناسِ ؛ فإنَّ في الناسِ عيوباً الوالي أحقُّ مَنْ سترَها ، فلا تَكشِفَنَّ عمَّا غابَ عنكَ منها ؛ فإنَّما عليكَ تطهيرُ ما ظهرَ لكَ ، واللهُ يحكمُ علىٰ ما غابَ عنكَ ، فاسترِ العورةَ ما استطعتَ يسترِ اللهُ منكَ ما تحبُّ سترَهُ مِنْ رعيَّتِكَ

أطلقْ عنِ الناسِ عقدةَ كلِّ حقدٍ ، واقطعْ عنكَ سببَ كلِّ وترٍ ، وتغابَ عن كلِّ ما لا يَصِحُّ لكَ ، ولا تَعجلَنَّ إلىٰ تصديقِ ساعٍ ؛ فإنَّ الساعيَ غاشٌّ وإن تَشبَّهَ بالناصحينَ ، ولا تُدخِلَنَّ في مشورتِكَ بخيلاً يَعدِلُ بكَ عنِ الفضلِ ، ويَعِدُكَ الفقرَ ، ولا جباناً يُضعِفُكَ عنِ الأمورِ ، ولا حريصاً يُزيِّنُ لكَ الشَّرَهَ بالجورِ ، فإنَّ البخلَ والجبنَ والحرصَ غرائزُ شتىٰ يَجمعُها سوءُ الظَّنِّ باللهِ

شرُّ وزرائِكَ مَنْ كانَ قبلَكَ للأشرارِ [وزيراً] ومَنْ شركَهُم في الآثامِ ، فلا

---

(١) في « شرح نهج البلاغة » (٣٥/١٧) (صفوك)

يكونُنَّ لكَ بطانةً ؛ فإنَّهُم أعوانُ الأَثَمةِ ، وإخوانُ الظَّلَمةِ ، وأنتَ واجدٌ منهُم خيرَ الخلفِ ؛ ممَّنْ لهُم مثلُ آرائِهِم ونفاذِهِم ، وليسَ عليهِ مثلُ آصارِهِم وأوزارِهِم ؛ ممَّنْ لا يعاونُ ظالماً علىٰ ظلمِهِ ، ولا آثماً علىٰ إثمِهِ ، أولـٰئكَ أخفُّ عليكَ مؤنةً ، وأحسنُ لكَ معونةً ، وأحنىٰ عليكَ عطفاً ، وأقلُّ لغيركَ إلفاً ، فاتخذْ أولـٰئكَ خاصَّةً لخلواتِكَ وحفلاتِكَ ، ثمَّ ليكنْ آثرُهُم عندَكَ أقولَهُم لكَ بمرِّ الحقِّ ، وأقلَّهُم مساعدةً فيما يكونُ منكَ ممَّا كرهَ اللهُ لأوليائِهِ ، واقعاً ذٰلكَ مِنْ هواكَ حيثُ وقعَ

والصقْ بأهلِ الورعِ والصِّدقِ ، ثمَّ رُضْهُم علىٰ ألَّا يُطروكَ ، ولا يُبجِّحوكَ بباطلٍ لم تفعلْهُ ؛ فإنَّ كثرةَ الإطراءِ تُحدِثُ الزهوَ ، وتدني مِنَ العِزَّةِ

ولا يكونَنَّ المُحسِنُ والمسيءُ عندَكَ بمنزلةٍ سواءٍ ؛ فإنَّ في ذٰلك تزهيداً لأهلِ الإحسانِ في الإحسانِ ، وتدريباً لأهلِ الإساءةِ على الإساءةِ ، وألزِمْ كلّاً منهُم ما ألزمَ نفسَهُ

واعلمْ أن ليسَ شيءٌ بأدعىٰ إلىٰ حسنِ ظنِّ والٍ برعيتِهِ مِنْ إحسانِهِ إليهِم ، وتخفيفِهِ المؤناتِ عليهِم ، وتركِ استكراهِهِ إيَّاهُم علىٰ ما ليسَ لهُ قبلَهُم ، فليكنْ منكَ في ذٰلكَ أمرٌ يجمعُ لكَ حسنَ الظنِّ برعيتِكَ ؛ فإنَّ حسنَ الظنِّ يقطعُ عنكَ نصباً طويلاً ، وإنَّ أحقَّ مَنْ حَسُنَ ظنُّكَ بهِ لَمَنْ حَسُنَ بلاؤُكَ عندَهُ ، وإنَّ أحقَّ مَنْ ساءَ ظنُّكَ بهِ لَمَنْ ساءَ بلاؤُكَ عندَهُ

ولا تنقضْ سُنَّةً صالحةً عَمِلَ بها صدورُ هـٰذهِ الأُمَّةِ ، واجتمعَتْ بها الأُلفةُ ، وصلحَتْ عليها الرعيةُ ، ولا تُحدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بشيءٍ ممَّا مضىٰ مِنْ تلكَ السننِ ، فيكونَ الأجرُ لِمَنْ سنَّها ، والوزرُ عليكَ بما نقضتَ منها

وأكثرْ مدارسةَ العلماءِ ، ومناقشةَ الحكماءِ ؛ في تثبيتِ ما صَلَحَ عليهِ أمرُ بلادِكَ ، وإقامةِ ما استقامَ بهِ الناسُ قبلَكَ

واعلمْ   أنَّ الرعيَّةَ طبقاتٌ لا يَصلُحُ بعضُها إلَّا ببعضٍ ، ولا غنىً ببعضِها عن بعضٍ ؛ فمنها جنودُ اللهِ ، ومنها كتابُ العامَّةِ والخاصَّةِ ، ومنها قُضاةُ العدلِ ، ومنها عمالُ الإنصافِ والرفقِ ، ومنها أهلُ الجزيةِ والخَراجِ مِنْ أهلِ الذِّمَّةِ ومسلمةِ الناسِ ، ومنها التجَّارُ وأهلُ الصِّناعاتِ ، ومنها الطَّبقةُ السفلىٰ مِنْ ذوي الحاجةِ والمَسكنةِ ، وكلٌّ قد سمَّى اللهُ سهمَهُ ، ووضعَ علىٰ حدِّهِ وفريضتِهِ في كتابِهِ أو سُنَّةِ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ عهداً منهُ عندَنا محفوظاً

فالجنودُ بإذنِ اللهِ حصونُ الرعيةِ ، وزينُ الولاةِ ، وعزُّ الدينِ ، وسبلُ الأمنِ ، وليسَ تقومُ الرعيةُ إلَّا بهِم ، ثمَّ لا قوامَ للجنودِ إلَّا بما يُخرِجُ اللهُ تعالىٰ لهُم مِنَ الخراجِ الذي يَقوَونَ بهِ في جهادِ عدوِّهِم ، ويعتمدونَ عليهِ فيما أصلحَهُم ، ويكونُ مِنْ وراءِ حاجتِهِم ، ثمَّ لا قوامَ لهٰذَينِ الصنفينِ إلَّا بالصنفِ الثالثِ مِنَ القُضاةِ والعُمَّالِ والكُتَّابِ ؛ لِمَا يحكمونَ مِنَ المعاقدِ ، ويجمعونَ مِنَ المنافعِ ، ويُؤتَمَنونَ عليهِ مِنْ خواصِّ الأمورِ وعوامِّها ، ولا قوامَ لهُم جميعاً إلَّا بالتجَّارِ وذوي الصِّناعاتِ فيما يجتمعونَ عليهِ مِنْ مرافقِهِم ، ويقيمونَهُ مِنْ أسواقِهِم ، ويكفونَهُم مِنَ الترفُّقِ بأيديهِم ، ممَّا لا يبلغُهُ رفقُ غيرِهِم ، ثمَّ الطَّبقةُ السفلىٰ مِنْ أهلِ الحاجةِ والمسكنةِ الذينَ يَحِقُّ رفدُهُم ومعونتُهُم ، وفي اللهِ لكلٍّ سعةٌ ، ولكلٍّ على الوالي حقٌّ بقدرِ ما يُصلِحُهُ

فولِّ مِنْ جنودِكَ أنصحَهُم في نفسِكَ للهِ ولرسولِهِ ولإمامِكَ ، وأطهرَهُم جيباً ، وأفضلَهُم حلماً ؛ ممَّنْ يبطئُ عنِ الغضبِ ، ويستريحُ إلى العذرِ ، ويرأفُ بالضُّعفاءِ ، وينبو على الأقوياءِ ؛ ممَّن لا يثيرُهُ العنفُ ، ولا يقعدُ بهِ الضَّعفُ

ثمَّ الصقْ بذوي المروءاتِ والأحسابِ ، وأهلِ البيوتاتِ الصالحةِ والسوابقِ الحسنةِ ، ثمَّ أهلِ النجدةِ والشجاعةِ ، والسخاءِ والسماحةِ ؛ فإنَّهُم جماعٌ مِنَ الكرمِ ، وشعبٌ مِنَ العُرْفِ

ثمَّ تفقَّدْ مِنْ أمورِهِم ما يَتفقَّدُهُ الوالدانِ مِنْ ولدِهِما ، ولا يتفاقمنَّ في نفسِكَ شيءٌ قَوَّيتَهُم بهِ ، ولا تَحقِرَنَّ لطفاً تتعاهدُهُم بهِ وإن قلَّ ؛ فإنَّهُ داعيةٌ إلىٰ بذلِ النصيحةِ لكَ ، وحسنِ الظنِّ بكَ ، ولا تدعْ تَفقُّدَ لطيفِ أمورِهِم اتكالاً علىٰ جسيمِها ؛ فإنَّ لليسيرِ مِنْ لطفِكَ موضعاً ينتفعونَ بهِ ، وللجسيمِ موقعاً لا يستغنونَ عنهُ

وليكنْ آثرُ رؤوسِ جندِكَ عندَكَ مَنْ واساهم في معونتِهِ ، وأفضلَ عليهِم مِنْ جِدَتِهِ بما يَسعُهُم ويَسَعُ مَنْ وراءَهُم مِنْ خُلُوفِ أهلِهِم ، حتىٰ يكونَ همُّهُم همّاً واحداً في جهادِ العدوِّ ؛ فإنَّ عطفَكَ عليهِم يُعطِّفُ قلوبَهُم عليكَ ، ولا تَصِحُّ نصيحتُهُم إلَّا بحيطتِهِم علىٰ ولاةِ أمورِهِم ، وقِلَّةِ استثقالِ دولِهِم ، وتركِ استبطاءِ انقطاعِ مُدَّتِهِم

فافسحْ في آمالِهِم ، وواصلْ مِنْ حسنِ الثناءِ عليهِم ، وتعديدِ ما أبلىٰ ذوي البلاءِ منهُم ؛ فإنَّ كثرةَ الذِّكرِ لحسنِ فعالِهِم تَهزُّ الشجاعَ ، وتُحرِّكُ الناكلَ إن شاءَ اللهَ تعالىٰ

ثمَّ اعرفْ لكلِّ امرئٍ منهُم ما أبلىٰ ، ولا تَضُمَّنَّ بلاءَ امرئٍ إلىٰ غيرِهِ ، ولا تقصرَنَّ بهِ دونَ غايةِ بلائِهِ ، ولا يدعوَنَّكَ شرفُ امرئٍ إلىٰ أن تُعظِّمَ مِنْ بلائِهِ ما كانَ صغيراً ، ولا ضعةُ امرئٍ أن تَستصغرَ مِنْ بلائِهِ ما كانَ عظيماً ، واردُدْ إلى اللهِ ورسولِهِ ما يُضلعُكَ مِنَ الخُطوبِ ، ويشتبهُ عليكَ مِنَ الأمورِ ، فقد قالَ اللهُ سبحانَهُ لقومٍ أحبَّ إرشادَهُم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[1] ، فالردُّ إلى اللهِ الأخذُ بمُحكَمِ كتابِهِ ، والردُّ إلى الرسولِ الأخذُ بسُنَّتِهِ الجامعةِ غيرِ المُفرِّقةِ

ثمَّ اخترْ للحكمِ بينَ الناسِ أفضلَ رعيَّتِكَ في نفسِكَ ، ممَّنْ لا تضيقُ بهِ

(١) سورة النساء (٥٩)

الأمورُ ، ولا تمحكُهُ الخصومُ ، ولا يتمادىٰ في الزَّلَّةِ ، ولا يحصرُ عنِ الفيءِ إلى الحقِّ إذا عرفَهُ ، ولا تَشرُفُ نفسُهُ علىٰ طمعٍ ، ولا يكتفي بأدنىٰ فهمٍ دونَ أقصاهُ ، أوقفَهُم في الشبهاتِ ، وآخذَهُم بالحججِ ، وأقلَّهُم تبرُّماً بمراجعةِ الخصمِ ، وأصبرَهُم علىٰ تكشيفِ الأمورِ ، وأصرمَهُم عندَ اتضاحِ الحكمِ ؛ ممَّنْ لا يزدهيهِ إطراءٌ ، ولا يستميلُهُ إغراءٌ ، وأولـٰئكَ قليلٌ

ثمَّ أكثرْ تعاهدَ قضائِهِ ، وأفسحْ لهُ في البذلِ ما يُزيحُ علَّتَهُ ، ويَقِلُّ معَهُ حاجتُهُ إلى الناسِ ، وأعطِهِ مِنَ المنزلةِ لديكَ ما لا يطمعُ فيهِ غيرُهُ مِنْ خاصَّتِكَ ، لتأمنَ بذٰلكَ اغتيالَ الرجالِ لهُ عندَكَ

فانظرْ في ذٰلكَ نظراً بليغاً ؛ فإنَّ هـٰذا الدِّينَ قد كانَ أسيراً في أيدي الأشرارِ ، يُعمَلُ فيهِ بالهوىٰ ، وتُطلَبُ بهِ الدنيا

ثمَّ انظرْ في أمورِ عُمَّالِكَ ؛ فاستعملْهُم اختباراً ، ولا تُولِّهِم محاباةً وأثرةً ؛ فإنَّهُم جماعٌ مِنْ شعبِ الجورِ والخيانةِ ، وتَوخَّ منهُم أهلَ التجربةِ والحياءِ مِنْ أهلِ البيوتاتِ الصالحةِ ، والقدمِ في الإسلامِ المُتقدِّمةِ ؛ فإنَّهُم أكرمُ أخلاقاً ، وأصحُّ أعراضاً ، وأقلُّ في المطامعِ إشراقاً ، وأبلغُ في عواقبِ الأمورِ نظراً

ثمَّ أسبغْ عليهِمُ الأرزاقَ ؛ فإنَّ ذٰلكَ قُوَّةٌ لهُم على استصلاحِ أنفسِهِم ، وغنىً لهُم عن تناولِ ما تحتَ أيديهِم ، وحُجَّةٌ عليهِم إن خالفوا أمرَكَ أو خانوا أمانتَكَ ، ثمَّ تفقَّدْ أعمالَهُم ، وابعثِ العيونَ مِنْ أهلِ الصِّدقِ والوفاءِ عليهِم ؛ فإنَّ تعاهدَكَ في السرِّ لأمورِهِم حَذْوةٌ لهُم على استعمالِ الأمانةِ ، والرفقِ بالرعيَّةِ ، وتحفظْ مِنَ الأعوانِ ، فإن أحدٌ منهُم بسطَ يدَهُ إلىٰ خيانةٍ اجتمعَتْ بها عليهِ عندَكَ أخبارُ عيونِكَ اكتفيتَ بذٰلكَ شاهداً ، فبسطتَ عليهِ العقوبةَ في بدنِهِ ، وأخذتَهُ بما أصابَ مِنْ عملِهِ ، ثم نصبتَهُ بمَقامِ المَذلَّةِ ، ووسمتَهُ بالخيانةِ ، وقلَّدتَهُ عارَ التُّهَمَةِ

وتفقَّدْ أمرَ الخَراجِ بما يُصلِحُ أهلَهُ ، فإنَّ في صلاحِهِ وصلاحِهِم صلاحاً لِمَنْ سواهُم ، ولا صلاحَ لِمَنْ سواهُم إلَّا بهِم ؛ لأنَّ الناسَ كلَّهُم عيالٌ على الخَراجِ وأهلِهِ ، وليكنْ نظرُكَ في عمارةِ الأرضِ أبلغَ مِنْ نظرِكَ في استجلابِ الخَراجِ ؛ لأنَّ ذٰلكَ لا يدركُ إلَّا بالعمارةِ ، ومَنْ طلبَ الخَراجَ بغيرِ عمارةٍ أخربَ البلادَ ، وأهلكَ العبادَ ، ولم يستقمْ أمرُهُ إلَّا قليلاً ، فإن شَكَوا ثِقَلاً ، أو عِلَّةً ، أوِ انقطاعَ شربٍ أو بالَّةٍ[1] ، أو إحالةَ أرضٍ اغتمرَها غرقٌ ، أو أجحفَ بها عطشٌ خَفَّفتَ عنهُم بما ترجو أن يَصلُحَ بهِ أمرُهُم

ولا يثقلنَّ عليكَ شيءٌ خفَّفتَ بهِ المؤنةَ عنهُم ؛ فإنَّهُ ذخرٌ يعودونَ بهِ عليكَ في عمارةِ بلدِكَ ، وتزيينِ ولايتِكَ ، معَ استجلابِكَ حسنَ ثنائِهِم ، وتبجُّحِكَ باستفاضةِ العدلِ فيهِم ، مُعتمِداً فضلَ قُوَّتِهِم ؛ بما ذخرتَ عندَهُم مِنْ إجمامِكَ لهُم ، والثقةِ منهُم بما دعوتَهُم إليهِ ، لِمَا سبقَ مِنْ عدلِكَ عليهِم ، ورفقِكَ بهِم ، فربَّما حدثَ مِنَ الأمورِ ما إذا [عَوَّلتَ] فيهِ عليهِم مِنْ بعدُ احتملوهُ طَيِّبةً أنفسُهُم ؛ فإنَّ العمرانَ يَحتمِلُ ما حمَّلتَهُ ، وإنَّما يأتي خرابُ الأرضِ مِنْ إعوازِ أهلِها ، وإنَّما يُعوِزُ أهلُها ؛ لإشرافِ أنفسِ الولاةِ على الجمعِ ، وسوءِ ظنِّهِم بالبقاءِ ، وقِلَّةِ انتفاعِهِم بالعِبَرِ

ثمَّ انظرْ في حالِ كُتَّابِكَ ، فولِّ على أمورِكَ خيرَهُم ، واخصصْ رسائِلَكَ التي تُدخِلُ فيها مكايدَكَ وأسرارَكَ بأجمعِهِم لوجوهِ صالحِ الأخلاقِ ؛ ممَّنْ لا تبطرُهُ الكرامةُ فيجترئَ بها عليكَ في خلافٍ لكَ بحضرةِ ملأٍ ، ولا تُقصِّرُ بهِ الفضلةُ[2] عن إيرادِ مكاتباتِ عُمَّالِكَ عليكَ ، وإصدارِ جواباتِها على الصَّوابِ عنكَ ، وفيما يأخذُ لكَ ويعطي منكَ ، ولا يُضعِفُ عقداً اعتقدَهُ لكَ ، ولا

(١) البالَّة المطر

(٢) في « شرح نهج البلاغة » (١٧/٧٥) (الغفلة) بدل (الفضلة)

يَعجِزُ عن إطلاقِ ما عُقِدَ عليكَ ، ولا يَجهلُ مبلغَ قدرِ نفسِهِ في الأمورِ ؛ فإنَّ الجاهلَ بقدرِ نفسِهِ يكونُ بقدرِ غيرِهِ أجهلَ

ثمَّ لا يكنِ اختيارُكَ إيَّاهُم علىٰ فراستِكَ [واستنامِكَ] وحسنِ الظنِّ منكَ ؛ فإنَّ الرجالَ يَتعرَّفونَ لفراساتِ الولاةِ بتصنُّعِهِم وحسنِ خدمتِهِم ، وليسَ وراءَ ذٰلكَ مِنَ النصيحةِ والأمانةِ شيءٌ ، ولٰكنِ اختبرْهُم بما وُلُّوا للصَّالحينَ قبلَكَ ، فاعمدْ لأحسنِهِم في العامَّةِ أثراً ، وأعرفِهِم بالأمانةِ وَجْهاً ؛ فإنَّ ذٰلكَ دليلٌ علىٰ نصيحتِكَ للهِ ، ولِمَنْ وليتَ أمرَهُ ، واجعلْ لرأسِ كلِّ مِنْ أمورِكَ رأساً منهُم ، لا يقهرُهُ كبيرُها ، ولا يَتشتَّتُ عليهِ كثيرُها ، ومهما كانَ في كتابِكَ مِنْ عيبٍ فتغابيتَ عنهُ ألزمتَهُ

ثمَّ استوصِ بالتُّجَّارِ وذوي الصِّناعاتِ ، وأوصِ بهِم خيراً ، المقيمِ منهُم ، والمُضطرِبِ بمالِهِ ، والمُترفِّقِ ببدنِهِ ؛ فإنَّهُم موادُّ المنافعِ ، وأسبابُ المرافقِ ، وجُلَّابُها مِنَ المتباعدِ والمطارحِ في بَرِّكَ وبحرِكَ ، وسهلِكَ وجبلِكَ ، وحيثُ لا يلتئمُ الناسُ لمواضعِها ، ولا يَجترِئُونَ عليها ؛ فإنَّهُم سِلْمٌ لا تُخافُ بائقتُهُ ، وصُلحٌ لا تُخشىٰ غائلتُهُ ، وتَفقَّدْ أمورَهُم بحضرتِكَ ، وفي حواشي بلادِكَ

واعلمْ معَ ذٰلكَ : أنَّ في كثيرٍ منهُم ضيقاً فاحشاً ، وشحّاً قبيحاً ، [واحتكاراً] للمنافعِ ، وتحكُّماً في البياعاتِ ، وذٰلكَ بابُ مَضرَّةٍ للعامَّةِ ، وعيبٌ على الولاةِ ، فامنعْ مِنَ الاحتكارِ ؛ فإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ منعَ منهُ

وليكنِ البيعُ بيعاً سمحاً ؛ بموازينِ عدلٍ ، وأسعارٍ لا تُجحِفُ بالفريقَينِ مِنَ البائعِ والمبتاعِ ، فمَنْ قارفَ حُكْرةً بعدَ نهيِكَ إيَّاهُ فنَكِّلْ بهِ ، وعاقبْ مِنْ غيرِ إسرافٍ

ثمَّ اللهَ اللهَ في الطَّبقةِ السُّفلىٰ مِنَ الذينَ لا حيلةَ لهُم ، والمساكينِ والمحتاجينَ ، وأهلِ البؤسِ والزَّمْنَىٰ ؛ فإنَّ في هٰذهِ الطَّبقةِ قانعاً ومُعترّاً ،

واحفظْ للهِ ما استحفظَكَ مِنْ حقِّهِ فيهِم ، واجعلْ لهُم قسماً مِنْ بيتِ مالِكَ ، وقسماً مِنْ غلَّاتِ صوافي الإسلامِ في كلِّ بلدٍ ؛ فإنَّ للأقصىٰ منهُم مثلَ الذي للأدنىٰ ، وكلٌّ قدِ استُرعِيتَ حقَّهُ

ولا يَشغلَنَّكَ عنهُم بطرٌ ؛ فإنَّكَ لا تُعذَرُ بتضييعِ التافهِ لإحكامِكَ الكبيرَ المُهِمَّ ، فلا تشخصْ همَّكَ عنهُم ، ولا تُصعِّرْ خَدَّكَ لهُم ، وتَفقَّدْ أمورَ مَنْ لا يصلُ إليكَ منهُم ؛ ممَّنْ تقتحمُهُ العيونُ ، وتحقرُهُ الرجالُ ، ففرِّغْ لأولـٰئكَ ثقتَكَ مِنْ أهلِ الخشيةِ والتواضعِ ، فليرفعْ إليكَ أمورَهُم ، ثمَّ اعملْ فيهِم بالإعذارِ إلى اللهِ سبحانَهُ يومَ تلقاهُ ؛ فإنَّ هـٰؤلاءِ مِنْ بينِ الرعيَّةِ أحوجُ إلى الإنصافِ مِنْ غيرِهِم ، وكلٌّ فأعذرْ إلى اللهِ في تأديةِ حقِّهِ إليهِ

وتَعهَّدْ أهلَ اليُتْمِ وذوي الرِّقَّةِ في السنِّ ؛ ممَّنْ لا حيلةَ لهُ ، ولا يَنصِبُ للمسألةِ نفسَهُ ، وذٰلكَ على الولاةِ ثقيلٌ ، وقد يُخفِّفُهُ اللهُ علىٰ أقوامٍ طلبوا العافيةَ ، فصبَّروا أنفسَهُم ، ووثقوا بصدقِ موعودِ اللهِ لهُم

واجعلْ لذوي الحاجاتِ منكَ قسماً تُفرِّغُ لهُم فيهِ شخصَكَ ، وتجلسُ لهُم مجلساً عامّاً ، [فتتواضعُ] فيهِ للذي خلقَكَ ، وتُقْعِدُ عنهُم جندَكَ وأعوانَكَ مِنْ أحراسِكَ وشرطِكَ ، حتىٰ يُكلِّمَكَ مُتكلِّمُهُم غيرَ متعتعٍ ؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يقولُ في غيرِ موطنٍ « لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ ٱلْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ »[١]

ثمَّ احتملِ الخُرْقَ منهُم والعِيَّ ، ونحِّ عنقَ الضِّيقِ والأنفةِ[٢] يبسطِ اللهُ عليكَ بذٰلكَ أكنافَ رحمتِهِ ، ويُوجِبْ لكَ ثوابَ طاعتِهِ ، وأعطِ ما أعطيتَ هنيئاً ، وامنعْ في إجمالٍ وإعذارٍ

---

(١) انظر « البدر المنير » (٩/٥٤١ ـ ٥٤٦)

(٢) في « شرح نهج البلاغة » (١٧/٨٨) (عنهم الضيق والأنف) بدل (عنق الضيق والأنفة)

ثـمَّ أمورٌ مِنْ أمورِكَ لا بدَّ لكَ مِنْ مباشرتِها ؛ منها إجابةُ عُمَّالِكَ بما يعيا عنهُ كُتَّابُكَ ، ومنها إصدارُ حاجاتِ الناسِ عندَ ورودِها عليكَ ممَّا يُحرِجُ صدورَ أعوانِكَ ، وأمضِ لكلِّ يومٍ عملَهُ ، فإنَّ لكلِّ يومٍ ما فيهِ ، واجعلْ لنفسِكَ فيما بينَكَ وبينَ اللهِ تعالىٰ أفضلَ تلكَ المواقيتِ ، وأجزلَ تلكَ الأقسامِ ، وإن كانَتْ كلُّها للهِ إذا صَلَحَتْ فيها النيةُ ، وسَلِمَتْ منها الرعيةُ

وليكنْ في خاصَّةِ ما تُخلِصُ للهِ بهِ دينَكَ إقامةُ فرائضِهِ التي هيَ لهُ خاصَّةً ، فأعطِ اللهَ مِنْ بدنِكَ في ليلِكَ ونهارِكَ ، ووَفِّ ما تَقرَّبتَ بهِ إلى اللهِ سبحانَهُ مِنْ ذٰلكَ كاملاً غيرَ مثلومٍ ولا منقوصٍ ، بالغاً مِنْ بدنِكَ ما بلغَ

وإذا قمتَ في صلاتِكَ للناسِ فلا تكونَنَّ مُنفِّراً ولا مُضيِّعاً ؛ فإنَّ في الناسِ مَنْ بهِ العِلَّةُ ، ولهُ الحاجةُ ، وقد سألتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حينَ وَجَّهَنِي إلى اليمنِ كيفَ أُصلِّي بهم ؟ فقالَ « صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ ، وَكُنْ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً »(١)

وأمَّا بعدَ هٰذا فلا تُطوِّلَنَّ احتجابَكَ عن رعيَّتِكَ ؛ فإنَّ احتجابَ الوُلاةِ عنِ الرعيَّةِ شعبةٌ مِنَ الضِّيقِ ، وقِلَّةُ عِلْمٍ بالأمورِ ، والاحتجابُ منهُم يقطعُ عنهُم علمَ ما احتجبوا دونَهُ ، فيَصغُرُ عندَهُمُ الكبيرُ ، ويَعظُمُ الصَّغيرُ ، ويَقبُحُ الحسنُ ، ويَحسنُ القبيحُ ، ويُشابُ الحقُّ بالباطلِ ، وإنَّما الوالي بشرٌ لا يَعرِفُ ما تـوارىٰ عنهُ الناسُ بهِ مِنَ الأمورِ ، وليسَتْ على الحقِّ سماتٌ تُعرَفُ بها ضروبُ الصِّدقِ مِنَ الكذبِ ، وإنَّما أنتَ أحدُ رجلَينِ إمَّا امرُؤٌ سخَتْ نفسُكَ بالبذلِ في الحقِّ ، ففيمَ احتجابُكَ مِنْ واجبِ حقٍّ تعطيهِ ، أو فعلٍ كريمٍ تبديهِ ؟! أو مبتلىً بالمنعِ فما أسرعَ كفَّ الناسِ عن مسألتِكَ إذا أيسوا مِنْ

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٥٦/٩) عن سيدنا عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه

بَذلِكَ معَ أنَّ أكثرَ حاجاتِ الناسِ إليكَ ما لا مؤنةَ فيهِ عليكَ ؛ مِنْ شَكاةِ مَظلِمةٍ ، أو طلبِ إنصافٍ في معاملةٍ

ثمَّ إنَّ للوالي خاصَّةً وبطانةً ، فيهِم استكثارٌ وتطاولٌ ، وقلةُ إنصافٍ في معاملةٍ ، فاحسمْ مؤنةَ أولـٰئكَ بقطعِ أسبابِ تلكَ الأحوالِ ، ولا تَقطعَنَّ لأحدٍ مِنْ حاشيتِكَ وحامَّتِكَ قطيعةً ، ولا يَطمعَنَّ منكَ في اعتقادِ عُقدةٍ تَضُرُّ بمَنْ يليها مِنَ الناسِ في شِرْبٍ أو عملٍ مشتركٍ ، يحملونَ مؤنتَهُ علىٰ غيرِهِم ، فيكونَ مهنأُ ذٰلكَ لهُم دونَكَ ، وعيبُهُ عليكَ في الدنيا والآخرةِ

وألزمِ الحقَّ مَنْ لزمَهُ مِنَ القريبِ والبعيدِ ، وكنْ في ذٰلكَ صابراً مُحتسِباً ، واقعاً ذٰلكَ مِنْ قرابتِكَ وخواصِّكَ حيثُ وقعَ ، وابتغِ عاقبتَهُ بما يَثقلُ عليكَ ؛ فإنَّ مَغبَّةَ ذٰلكَ محمودةٌ

وإن ظنَّتِ الرعيةُ بكَ حيفاً فأصحرْ لهُم بعذرِكَ ، واعدِلْ عنكَ ظنونَهُم بإصحارِكَ ، فإنَّ في ذٰلكَ إعذاراً تبلغُ فيهِ حاجتَكَ مِنْ تقويمِهِم على الحقِّ ، ولا تَدفعَنَّ صُلْحاً دعاكَ إليهِ عدوُّكَ للهِ فيهِ رضاً ؛ فَإِنَّ في الصُّلحِ دعةً لجنودِكَ ، وراحةً مِنْ همومِكَ ، وأمناً لبلادِكَ ، ولـٰكنِ الحذرَ كلَّ الحذرِ مِنْ عدوِّكَ بعدَ صلحِهِ ، فإنَّ العدوَّ ربَّما قاربَ ليتغفَّلَ ، فخُذْ بالحزمِ ، واتَّهِمْ في ذٰلكَ حسنَ الظنِّ ، وإن عقدتَ بينَكَ وبينَ عدوِّكَ عُقدةً ، أو ألبستَهُ منكَ ذمَّةً فحُطْ عهدَكَ بالوفاءِ ، وارعَ ذمَّتَكَ بالأمانةِ ، واجعلْ نفسَكَ جُنَّةً دونَ ما أعطيتَ ؛ فإنَّهُ ليسَ مِنْ فرائضِ اللهِ شيءٌ الناسُ أشدُّ عليهِ اجتماعاً معَ تفريقِ أهوائِهِم وتشتُّتِ آرائِهِم مِنْ تعظيمِ الوفاءِ بالعهودِ ، وقد لزمَ ذٰلكَ المشركونَ فيما بينَهُم دونَ المسلمينَ ؛ لما استوبَلُوا مِنْ عواقبِ الغدرِ ، فلا تَغدِرَنَّ بذمَّتِكَ ، ولا تَخيسَنَّ بعهدِكَ ، ولا تَختِلَنَّ عدوَّكَ ؛ فإنَّهُ لا يَجترِئُ على اللهِ إلَّا جاهلٌ شقيٌّ

وقد جعلَ اللهُ عهدَهُ وذمَّتَهُ أمناً أفضاهُ بينَ العبادِ برحمتِهِ ، وحريماً يسكنونَ إلىٰ منعتِهِ ويستفيضونَ إلىٰ جوارِهِ ، فلا إدغالَ ، ولا مدالسةَ ، ولا خداعَ فيهِ

ولا تعقدْ عقداً تُجوّزُ فيهِ العللَ ، ولا تُعوّلَنَّ علىٰ لحنِ القولِ بعدَ التأكيدِ والتوثقةِ لضيقِ أمرٍ لزمَكَ فيهِ عهدُ اللهِ إلىٰ طلبِ انفساخِهِ بغيرِ الحقِّ ؛ فإنَّ صبرَكَ علىٰ ضيقِ أمرٍ ترجو انفراجَهُ وفضلَ عاقبتِهِ خيرٌ مِنْ غدرٍ تَخافُ تبعتَهُ ، وأن تحيطَ بكَ فيهِ مِنَ اللهِ طِلْبةٌ لا تستقيلُ فيها دنياكَ ولا آخرتَكَ

إيَّاكَ والدماءَ وسفكَها بغيرِ حلِّها ؛ فإنَّهُ ليسَ شيءٌ أدعىٰ لنقمةٍ ، ولا أعظمَ لتبعةٍ ، ولا أحرىٰ بزوالِ نعمةٍ وانقطاعِ مُدَّةٍ مِنْ سفكِ الدماءِ بغيرِ حقِّها ، واللهُ سبحانَهُ يتولَّى الحكمَ بينَ العبادِ فيما تسافكوا مِنَ الدماءِ يومَ القيامةِ ، فلا تُقوِّيَنَّ سلطانَكَ بسفكِ دمٍ حرامٍ ، فإنَّ ذٰلكَ ممَّا يضعفُهُ ويوهنُهُ ، بل يزيلُهُ ويَنقلُهُ

ولا عذرَ لكَ عندَ اللهِ ولا عندي في قتلِ العمدِ ؛ لأنَّ فيهِ قَوَدَ البدنِ ، وإنِ ابتُليتَ بخطأٍ وأفرطَ عليكَ سوطُكَ أو يدُكَ بعقوبةٍ ؛ فإنَّ في الوكزةِ وما فوقَها مقتلةً ، فلا تَطمحَنَّ بكَ نخوةُ سلطانِكَ عن أن تُؤدِّيَ إلىٰ أولياءِ المقتولِ حقَّهُم

وإيَّاكَ والإعجابَ بنفسِكَ ، والثقةَ بما يُعجِبُكَ منها ، وحبَّ الإطراءِ ؛ فإنَّ ذٰلكَ مِنْ أوثقِ فرصِ الشيطانِ في نفسِهِ ؛ ليمحقَ ما يكونُ مِنْ إحسانِ المحسنِ

وإيَّاكَ والمنَّ علىٰ رعيَّتِكَ ، والتزيُّدَ فيما كانَ مِنْ فعلِكَ ، وأن تَعِدَهُم فتتبعَ موعدَكَ بخُلفِكَ ؛ فإنَّ المنَّ يبطلُ الإحسانَ ، والتزيدَ يذهبُ بنورِ الحقِّ ،

والخُلْفَ يُوجِبُ المقتَ عندَ اللهِ والناسِ ، قالَ اللهُ سبحانَهُ ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1]

وإيَّاكَ والعجلةَ بالأمورِ قبلَ أوانِها ، والتساقطَ فيها عندَ إمكانِها ، أو اللَّجاجةَ فيها إذا تنكَّرَتْ ، أوِ الوهنَ عنها إذا استوضحَتْ ، فضعْ كلَّ أمرٍ موضعَهُ ، وأوقعْ كلَّ عملٍ موقعَهُ

وإيَّاكَ والاستئثارَ بما الناسُ فيهِ أسوةٌ ، والتغابيَ عمَّا تُعنىٰ بهِ ممَّا قد [وضحَ] للعيونِ ـ أيِ الجواسيسِ ـ فإنَّهُ مأخوذ منكَ لغيرِكَ ، وعمَّا قليلٍ تنكشفُ عنكَ أغطيةُ الأمورِ ، وينتصفُ منكَ المظلومُ

املِكْ حميَّةَ نفسِكَ ، وسَوْرةَ حَدِّكَ ، وسطوةَ يدِكَ ، وغَرْبَ لسانِكَ ، واحترسْ مِنْ كلِّ ذٰلكَ بكفِّ البادرةِ ، وتأخيرِ السَّطوةِ ، حتىٰ يسكنَ غضبُكَ ، [فتملكَ] الاختيارَ

ولن تَحكُمَ ذٰلكَ مِنْ نفسِكَ حتىٰ تكثرَ همومُكَ بذكرِ المعادِ إلىٰ ربّكَ ، والواجبُ عليكَ أن تَتذكَّرَ ما مضىٰ لِمَنْ تَقدَّمَكَ ؛ مِنْ حكومةٍ عادلةٍ ، أو سُنَّةٍ فاضلةٍ ، أو أثرٍ عن نبيّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، أو فريضةٍ في كتابِ اللهِ ؛ فتقتديَ بما تشاهدُهُ ممَّا عملنا بهِ فيها ، وتجتهدَ لنفسِكَ في اتباعِ ما عهدتُ إليكَ في عهدي هٰذا ، واستوثقتُ بهِ مِنَ الحُجَّةِ لنفسي عليكَ ؛ لكي لا يكونَ لكَ عِلَّةٌ عندَ تَسرُّعِ نفسِكَ إلىٰ هواها

وأنا أسألُ اللهَ بسعةِ رحمتِهِ ، وعظيمِ قدرتِهِ علىٰ إعطاءِ كلِّ رغبةٍ ؛ أن يُوفِّقَني وإيَّاكَ لِمَا فيهِ رضاهُ ؛ مِنَ الإقامةِ على العذرِ الواضحِ إليهِ وإلىٰ خلقِهِ ، معَ حسنِ الثناءِ في العبادِ ، وجميلِ الأثرِ في البلادِ ، وتمامِ النعمةِ ، وتضعيفِ

---

(١) سورة الصف (٣)

الكرامةِ ، وأن يَختِمَ لي ولكَ بالسعادةِ والشهادةِ ، إنَّا إلى اللهِ راغبونَ ، والسلامُ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ الطيبينَ الطاهرينَ[١]



مَنْ شاءَ ينظرُ إلىٰ جمالِ البلاغةِ ظاهرةً في صورِها ، مُتبرِّجةً في زينةِ ملابسِها وأنواعِ حَلْيِها فليطلْ ترديدَ نظرِهِ في فصولِ هٰذا الكتابِ الوافي بجميعِ ما يَحسُنُ لكلِّ إنسانٍ أن يَتأدَّبَ ويأخذَ لهُ منهُ حظاً في أخلاقِهِ وأعمالِهِ ، لا يَخُصُّ ذٰلكَ أميراً دونَ مأمورٍ وإن كانَ وضعُهُ علىٰ نصيحةِ والٍ يَتولّىٰ أمورَ بعضِ العبادِ

ورأيتُ في « شرحِهِ » كلاماً منقولاً عن بعضِ عقلاءِ مَنْ تَقدَّمَ بهِمُ الزمانُ ، يَشتمِلُ علىٰ آدابٍ ينبغي لِمَنْ يريدُ الاستكمالَ أن يَتفهمَها ويَتأدَّبَ بها ، فوجدتُ تعقيبَهُ بإثباتِ ذٰلكَ ؛ حيثُ كانَ أهمَّ أغراضِ هٰذا الكتابِ تعريفُ طلبةِ العلمِ أنَّ ألزمَ شيءٍ يطلبونَهُ ، وأكبرَ أمرٍ ينبغي أن يحاولوا تحصيلَهُ ؛ لتطيبَ حياتُهُم ، وتجملَ بهِم أوقاتُهُم ، وتَتحلّىٰ بهِم أُمَّتُهُم إنَّما هيَ الآدابُ التي يلتئمونَ بها معَ جميعِ طبقاتِ الناسِ ، ويكونُ لهُم معَ كلِّ طبقةٍ منها كلامٌ يَعمُرُ قلوبَهُم ، ويَتصرَّفُ في عقولِهِم ؛ حتىٰ يكونوا منهُم بتلكَ المكانةِ التي صارَتْ غيرَ مأهولةٍ إلَّا بالقليلِ

فمِنْ ذٰلكَ ما نقلَهُ ابنُ أبي الحديدِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ مِنْ « آدابِ ابنِ المُقفَّعِ » قالَ : (لا يكونَنَّ صحبتُكَ للسلطانِ إلَّا بعدَ رياضةٍ منكَ لنفسِكَ علىٰ طاعتِهِم في المكروهِ عندَكَ ، وموافقتِهِم فيما خالفَكَ ، وتقديمِ[٢] الأمورِ علىٰ أهوائِهِم دونَ هواكَ ، فإن كنتَ حافظاً إذا ولَّوكَ ، حَذِراً إذا قرَّبوكَ ، أميناً إذا ائتمنوكَ

(١) إلىٰ هنا ينتهي النقل عن « شرح نهج البلاغة » (١٧/٣٠ ـ ١١٧)

(٢) في « شرح نهج البلاغة » (١٧/٧٦ ـ ٧٧) (تقدير) بدل (تقديم)

تُعلِّمُهُم وكأنَّكَ تَتعلَّمُ منهُم ، وتُؤدِّبُهُم وكأنَّكَ تَتأدَّبُ بهِم ، وتشكرُ لهُم ولا تُكلِّفُهُم الشكرَ ، ذليلاً إنْ صرموكَ ، راضياً إن أسخطوكَ ، وإلَّا فالبعدَ عنهُم كلَّ البعدِ ، والحذرَ منهُم كلَّ الحذرِ

وإن وجدتَ عنِ السُّلطانِ وصحبتِهِ غنىً فاستغنِ عنهُ ؛ فإنَّهُ مَنْ يَخدُمُ السلطانَ حقَّ خدمتِهِ يُخلِّي بينَهُ وبينَ لذَّةِ الدنيا وعملِ الآخرةِ ، ومَنْ يَخدُمُهُ غيرَ حقِّ الخدمةِ فقدِ احتملَ وزرَ الآخِرةِ ، وعَرَّضَ نفسَهُ للهلكةِ ، والفضيحةِ في الدنيا ، فإذا صحبتَ السُّلطانَ فعليكَ بطولِ الملازمةِ في غيرِ إملالٍ ، وإذا نزلتَ [منهُ] بمنزلِ الثقةِ فاعزلْ عنهُ كلامَ المَلَقِ ، ولا تكثرْ لهُ مِنَ الدعاءِ ، ولا تردنَّ عليهِ كلاماً [في حفلٍ] وإن أخطأَ ، فإذا خلوتَ بهِ فبصِّرْهُ في رِفْقٍ ، ولا يكونَنَّ طلبُكَ ما عندَهُ بالمسألة ، ولا تَستبطئْهُ وإن أبطأَ ، ولا تُخبِرَنَّهُ أنَّ لكَ عليهِ حقّاً ، وأنَّكَ [تعتمدُ] عليهِ ببلاءٍ ، وإنِ استطعتَ ألَّا ينسىٰ حقَّكَ وبلاءَكَ بتجديدِ النصحِ والاجتهادِ فافعلْ ، ولا تُعطِيَنَّهُ المجهودَ كلَّهُ مِنْ نفسِكَ في أوَّلِ صحبتِكَ لهُ ، وأعدَّ موضعاً للمزيدِ ، وإن سألَ غيرَكَ شيئاً فلا تكنِ المجيبَ

واعلَمْ أنَّ استلابَكَ الكلامَ خفةٌ فيكَ ، واستخفافٌ منكَ بالسائلِ والمسؤولِ ، فما أنتَ قائلٌ إن قالَ لكَ السائلُ ما إيَّاكَ سألتُ ؟! أو قالَ المسؤولُ أجبْ بمجالستِهِ ومحادثتِهِ أيُّهَا المُعجَبُ بنفسِهِ ، والمُستخِفُّ بسلطانِهِ ؟!) (١)

معنىٰ هـٰذهِ الجملةِ الأخيرةِ أنَّ المسؤولَ يُقرِّعُ المجيبَ الذي لم يُسأَلْ بتفويضِ الجوابِ إليهِ ، وسكوتِهِ هوَ عنهُ ، فلعلَّ المُستعجِلَ لم يكنْ فهمَ الغرضَ ، ولا وصلَ إلىٰ ما يَعلَمُ المسؤولُ ، فهوَ يقولُ لهُ أجبْ لا بعلمٍ ، بل

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٧/٧٦ ـ ٧٧)

بسببِ كونِ السُّلطانِ جعلَكَ لهُ جليساً ، وأعدَّكَ لمحادثتِهِ أحياناً ، فإن كانَ ذٰلكَ كافياً في الإجابةِ دونَ علمٍ فافعلْ



وهٰذهِ الآدابُ التي انتهتْ بهٰذا الفاضلِ إليها المشاهدةُ والتجربةُ ، وأبقاها بالعبارةِ عنها حسنةً لِمَنْ بعدَهُ يَستحِقُّ مِنَ الناسِ شكرَها ، ويستدعي مِنَ اللهِ جزيلَ أجرِها ، لا شبهةَ في لزومِها لِمَنْ يريدُ صحبةَ أهلِ القهرِ والاستبدادِ والعظمةِ والكبرياءِ مِنْ ذوي الرئاسةِ ؛ فإنَّ لهُم حدوداً يَحدُّونَها لأنفسِهِم تجبُ رعايتُها ؛ طلباً للسلامةِ منهُم ، وإن كانَ بعضُها لا يَخُصُّ ذٰلكَ المَقامَ ، والاطلاعُ على الأحوالِ المختلفةِ يميزُ لكَ اختلافَ الآدابِ حَسَبَ الهيئاتِ المُتغيِّرةِ ؛ فإنَّ تلكَ الأحوالَ الشديدةَ لا تلزمُ لصحبةِ نبيٍّ ومَنْ سارَ بسيرتِهِ ، أو قاربَ ذٰلكَ

[نصيحةُ الأميرِ عبدِ الملكِ بن صالحٍ لمعلِّمِ الصِّبيانِ]

ومِنْ ذٰلكَ ما نقلَهُ مِنْ نصيحةِ عبدِ الملكِ بنِ صالحٍ لرجلٍ كانَ عندَهُ مُعلِّمَ صبيانٍ ، فلمَّا وجدَهُ ذا أدبٍ ولطفٍ أرادَ أن يتخذَهُ سميراً يأتنسُ بهِ ، وعبدُ الملكِ هٰذا أحدُ الأمراءِ مِنْ بني العباسِ أيامَ الرشيدِ ، وكانَ شهماً فصيحاً ، ذا عزمٍ وحزمٍ ، وكانَ الرشيدُ يَخافُهُ على الملكِ ، فكانَ بذٰلكَ بينَهُما ماجرياتٌ يطلعُكَ عليها التاريخُ ، وهٰذهِ هيَ النصيحةُ قالَ[1]

يا عبدَ اللهِ ؛ كنْ على التماسِ الحظِّ بالسكوتِ أحرصَ منكَ على التماسِهِ بالكلامِ ؛ فإنَّهُم قالوا إذا أعجبَكَ الكلامُ فاصمتْ ، وإذا أعجبَكَ الصَّمتُ فتكلَّمْ

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٧/٧٧ ـ ٧٨)

واعلمْ أنَّ أصعبَ الملوكِ معاملةً الجبارُ الفطنُ المُتفقِّدُ ؛ فإنِ ابتليتَ بصحبتِهِ فاحترسْ ، وإن عُوفِيتَ فاشكرِ اللهَ على السلامةِ ؛ فإنَّ السلامةَ أصلُ كلِّ نعمةٍ

لا تساعدْني علىٰ ما يَقبُحُ بي ، ولا تَردَّنَّ علىٰ خطأً في مجلسٍ ، ولا تُكلِّفْني جوابَ التشميتِ والتهنئةِ ، ودعْ عنكَ كيفَ أصبحَ الأميرُ ؛ وكيفَ أمسىٰ ، وكلِّمْني بقدرِ ما أستنطقُكَ ، واجعلْ بدلَ التقريظِ لي صوابَ الاستماعِ منِّي

واعلمْ أنَّ صوابَ الاستماعِ أحسنُ مِنْ صوابِ القولِ ، وإذا سمعتَني أتحدَّثُ فلا يَفوتَنَّكَ منهُ شيءٌ ، وأرني فهمَكَ إيَّاهُ في طَرْفِكَ ووجهِكَ ، فما ظنُّكَ بالملكِ وقد أحلَّكَ محلَّ المُعجَبِ بما يُسمِعُكَ إيَّاهُ ، وأحللتَهُ بمَحلِّ مَنْ لا تَسمعُهُ منهُ ، وهٰذا يحبطُ إحسانَكَ ، ويُسقِطُ حقَّ حرمتِكَ

ولا تستدعِ الزيادةَ مِنْ كلامي بما تُظهِرُ مِنِ استحسانِ ما يكونُ منِّي ، فمَنْ أسوأُ حالاً ممَّنْ يَستلِذُّ الملوكَ بالباطلِ (١) ، وذٰلكَ يَدُلُّ علىٰ تهاونِهِ بقدرِ ما أوجبَ اللهُ تعالىٰ مِنْ حقِّهِم

واعلمْ أنِّي جعلتُكَ مُؤدِّباً بعدَ أن كنتَ مُعلِّماً ، [وجعلتُكَ] جليساً مُقرَّباً بعدَ أن كنتَ معَ الصبيانِ مباعداً ؛ فمتىٰ لم تَعرِفْ نقصانَ ما خرجتَ منهُ لم تَعرِفْ رجحانَ ما دخلتَ فيهِ ، وقد قالوا مَنْ لم يَعرِفْ سوءَ ما أُولىٰ لم يَعرِفْ حسنَ ما أبلىٰ

في قولِهِ : (فمَنْ أسوأُ حالاً) إيجازٌ ، والمعنىٰ فإنَّ استدعاءَ الزيادةِ طلبٌ للاستلذاذِ بحديثِ الملكِ ، وهوَ قبيحٌ ، سواءٌ كانَ بحقٍّ أو باطلٍ ، تمويهاً

---

(١) في « شرح نهج البلاغة » (٧٨/١٧) (يستكدُّ الملوك بالباطل) بدل (يستلذُّ الملوك بالباطل)

على الملكِ ، لكنْ إذا كانَ بالباطلِ كانَتِ الإساءةُ فيهِ فاحشةً ، وهوَ ما فرَّعَهُ بقولِهِ (فمَنْ أسوأُ حالاً) إلىٰ آخِرِهِ

[وصيةُ أبرويزَ أحدِ الأكاسرةِ لكاتبِهِ]

ومِنْ ذٰلكَ ما نقلَهُ مِنْ وصيةِ أبرويزَ أحدِ الأكاسرةِ لكاتبِهِ ؛ وهيَ هٰذه قالَ لهُ[1]

اكتمِ السِّرَّ ، واصدقِ الحديثَ ، واجتهدْ في النصيحةِ ، وعليكَ بالحذرِ ؛ فإنَّ لكَ عليَّ ألَّا أعجلَ عليكَ حتىٰ أستأنيَ لكَ ، ولا أقبلَ فيكَ قولاً حتىٰ أستيقنَ ، ولا أُطمِعَ فيكَ أحداً فتغتالَ

واعلمْ أنَّكَ بمنجاةِ رفعةٍ فلا تَحُطَّها ، وفي ظلِّ مملكةٍ فلا تستزيلَنَّهُ

قاربِ الناسَ مجاملةً مِنْ نفسِك ، وباعدْهُم مسامحةً مِنْ عدوِّكَ ، واقصدْ إلى الجميلِ ازدراعاً لغدِكَ ، وتَنزَّهْ صوناً لمروءتِكَ ، وتَحبَّبْ عندي بما قدرتَ عليهِ

احذرْ لا تُسرِعَنَّ الألسنةُ عليكَ ، ولا تَقبحَنَّ الأُحدوثةُ عنكَ ، وصُنْ نفسَكَ صونَ الدُّرَّةِ الصافيةِ ، وأخلصْها إخلاصَ الفضةِ البيضاءِ ، وعاتبْها معاتبةَ الحَذِرِ المُشفِقِ ، وحَصِّنْها تحصينَ المدينةِ المنيعةِ

لا تَدعَنَّ أن ترفعَ إليَّ الصغيرَ ؛ فإنَّه بدلٌ عنِ الكبيرِ ، ولا تَكتمَنَّ عنِّي الكبيرَ ؛ فإنَّهُ ليسَ بشاغلٍ عنِ الصغيرِ ، هَذِّبْ أمورَكَ ثُمَّ القَني بها ، وأحكِمْ أمرَكَ ثُمَّ راجِعْني فيهِ ، ولا تَجترِئَنَّ عليَّ فأمتعض ، ولا تَنقبِضَنَّ عنِّي فأَتَّهِمَ ، ولا تُمرِضَنَّ ما تلقاني بهِ ، ولا تَخدجنَّهُ ، وإذا أفكرتَ فلا تعجلْ ، وإذا كتبتَ فلا تُعذِرْ ، ولا تَستعِنْ بالفضولِ ؛ فإنَّها علاوةٌ على الكفايةِ ، ولا تقصرنَّ عنِ

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٧/٨١ ـ ٨٢)

التحقيقِ ؛ فإنَّها هجنةٌ بالمقالةِ ، ولا تلبسْ كلاماً بكلامٍ ، ولا تُبعِدَنْ معنىً عن معنىً

وأكرمْ لي كتابَكَ عن ثلاثٍ خضوعٍ يَستخِفُّهُ ، وانتشارٍ يهجنُهُ ، ومعانٍ تُعقَدُ به ، واجمعِ الكثيرَ ممَّا تريدُ في القليلِ ممَّا تقولُ ، وليكنْ بسطةُ كلامِكَ علىٰ كلامِ السُّوقةِ كبسطةِ الملكِ الذي تُحدِّثُهُ على الملوكِ

لا يكنْ ما نلتَهُ عظيماً ، وما تتكلَّمُ به صغيراً ؛ فإنَّما كلامُ الكاتبِ علىٰ مِقدارِ الملكِ ، فاجعلْهُ عالياً كعُلُوِّهِ ، وفائقاً [كتفوُّقِهِ] ؛ فإنَّما جماعُ الكلامِ كلِّهِ خصالٌ أربعٌ ، سؤالُكَ الشيءَ ، وسؤالُكَ عنِ الشيءِ ، وأمرُكَ بالشيءِ ، وخبرُكَ عنِ الشيءِ ، فهٰذهِ الخصالُ دعائمُ المقالاتِ ، إنِ التُمِسَ إليها خامسٌ . لم يُوجَدْ ، وإن نُقِصَ منها واحدٌ . لم تَتِمَّ ، فإذا أمرتَ فأحكمْ ، وإذا سألتَ فأوضحْ ، وإذا طلبتَ فأسمحْ ، وإذا أخبرتَ . فحَقِّقْ ؛ فإنَّكَ إذا فعلتَ ذٰلكَ أخذتَ بجراثيمِ القولِ كلِّهِ ، فلم تَشتبِهْ عليكَ واردةٌ ، ولم تُعجِزْكَ صادرةٌ

أثبتْ في دواوينِكَ ما أخذتَ ، وأحصنْ فيها ما أخرجتَ ، وتَيقَّظْ لِمَا تعطي ، وتَجرَّدْ لِمَا تأخذُ ، ولا يَغلِبَنَّكَ النسيانُ عنِ الإحصاءِ ، ولا الأناةُ عنِ التقدُّمِ ، ولا تُخرِجَنَّ وزنَ قيراطٍ في غيرِ حقٍّ ، ولا تُعظِّمَنَّ إخراجَ الألوفِ الكثيرةِ في الحقِّ ، وليكنْ ذٰلكَ كلُّهُ عن مؤامرتي

[وصيةُ أكثمَ بنِ صيفيٍّ لقومِهِ]

ومِنْ ذٰلكَ ما نقلَهُ مِنْ وصيةِ أكثمَ بنِ صيفيٍّ ـ أحدِ حكماءِ العربِ في الجاهليةِ ـ لقومِهِ مِنْ تميمٍ ؛ وهيَ هٰذهِ قالَ[1]

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٢٠/١٧ ـ ١٢١)

يا بني تميمٍ ؛ لا يَفوتَنَّكُم وعظي إن فاتَكُمُ الدهرُ بنفسي ، إنَّ بينَ حَيْزومِي وصدري لَكلاماً لا أجدُ لهُ مواقعَ إلَّا أسماعَكُم ، ولا مَقارَّ إلَّا قلوبَكُم ، فتَلقَّوهُ بأسماعٍ مصغيةٍ ، وقلوبٍ واعيةٍ تَحمَدُوا مغبَّتَهُ الهوىٰ يَقظانُ ، والعقلُ راقدٌ ، والشَّهواتُ مُطلَقةٌ ، والحزمُ معقولٌ ، والنفسُ مهملةٌ ، والرويَّةُ مقيدةٌ ، ومِنْ جهةِ التواني وتركِ الروِّيةِ يتلفُ الحزمُ ، ولن يَعدَمَ المشاورُ مرشداً ، والمُستبِدُّ برأيِهِ موقوفٌ علىٰ مداحضِ الزللِ ، ومَنْ سَمَّعَ سُمِّعَ بهِ ، ومصارعُ الرجالِ تحتَ بروقِ الطَّمعِ ، ولوِ اعتبرتَ مواقعَ المِحَنِ ما وُجِدَتْ إلَّا في مقاتلِ الكرامِ ، وعلى الاعتبارِ طريقُ الرشادِ ، ومَنْ سلكَ الجددَ أمِنَ العثارَ ، ولن يَعدَمَ الحسودُ أن يُتعِبَ قلبَهُ ، ويَشغلَ فكرَهُ ، ويؤرثَ غيظَهُ ، ولا تجاوزَ مَضرَّتُهُ نفسَهُ

يا بني تميمٍ ؛ الصَّبرُ علىٰ جرعِ الحلمِ أعذبُ مِنْ جنىٰ ثمرِ الندامةِ ، ومَنْ جعلَ عِرْضَهُ دونَ مالِهِ . استَهدَفَ للذمّ ، وكَلْمُ اللسانِ أنكىٰ مِنْ كَلْمِ السِّنانِ ، والكلمةُ مرهونةٌ ما لم تنجُمْ مِنَ الفمِ ، فإذا نجمَتْ فهيَ أسدٌ مُحرَّبٌ ، أو نارٌ تَلَهَّبُ ، ورأيُ الناصحِ اللبيبِ دليلٌ لا يجورُ ، ونَفاذُ الرأيِ في الحربِ أجدىٰ مِنَ الطَّعنِ والضَّربِ

[نصيحةُ أردشيرَ بنِ بابكَ إلى الملوكِ مِنْ بعدِهِ]

ومِنْ ذٰلكَ ما نقلَهُ مِنْ كتابِ أولِ ملوكِ الأكاسرةِ بعدَ ملوكِ الطَّوائفِ ، ينصحُ بهِ مَنْ يجيءُ بعدَهُ مِنَ الملوكِ ، وفيهِ مِنَ الفوائدِ السياسيةِ ما لا يَخُصُّ الملوكَ دونَ عامَّةِ الناسِ ؛ وهوَ هٰذا قالَ[١]

رشادُ الوالي خيرٌ للرعيةِ مِنْ خصبِ الزمانِ ، الملكُ والدِّينِ توءمانِ ، لا

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٢٤/١٧ ـ ١٣٠)

قوامَ لأحدِهِما إلَّا بصاحبِهِ ، فالدِّينُ أُسُّ المُلْكِ وعمادُهُ ، ثمَّ صارَ المَلِكُ حارسَ الدِّينِ ، فلا بدَّ للملكِ مِنْ أُسِّهِ ، ولا بدَّ للدِّينِ مِنْ حارسِهِ ، فأمَّا ما لا حارسَ لهُ فضائعٌ ، وأمَّا ما لا أُسَّ لهُ فمهدومٌ

إنَّ رأسَ ما أخافُ عليكُم مبادرةُ السفلةِ إيَّاكم إلىٰ دراسةِ الدِّينِ وتأويلِهِ والتفقُّهِ فيهِ ، فتحملُكُم الثقةُ بقُوَّةِ الملكِ على التهاونِ بهِم ، فتحدثُ في الدِّينِ رئاساتٌ منتشراتٌ سرّاً بمَنْ قد وترتُم وجفوتُم ، وحرمتُم وأخفتُم وصَغَّرتُم مِنْ سفلةِ الناسِ والرعيةِ وحشوِ العامَّةِ ، ثمَّ لا تنشبُ تلكَ الرئاساتُ أن تُحدِثَ خَرْقاً في الملكِ ، ووهناً في الدولةِ

واعلموا أنَّ سلطانَكُم علىٰ أجسادِ الرعيةِ ، لا علىٰ قلوبِها ، وإن غلبتُمُ الناسَ علىٰ ما في أيديهِم فلن تغلبوهُم علىٰ ما في عقولِهِم وآرائِهِم ومكايدِهِم

واعلموا أنَّ العاقلَ المحرومَ سالٌّ عليكُم لسانَهُ ، وهوَ أقطعُ سيفَيهِ ، وأنَّ أشدَّ ما يضرُّ بكُم مِنْ لسانِهِ ما صرفَ الحيلةَ فيهِ إلى الدِّينِ ، فكانَ [للدنيا] يحتجُّ ، وللدِّينِ فيما يظهرُ يَتعصَّبُ ، فيكونُ للدِّينِ [بكاؤُهُ] وإليهِ [دعاؤُهُ] ، ثمَّ هوَ أوجدُ للتابعينَ والمُصدِّقينَ والمناصحينَ والموازرينَ ؛ لأنَّ تَعصُّبَ الناسِ مُوكَّلٌ بالملوكِ ، ورحمتُهُم ومَحبتُهُم مُوكَّلةٌ بالضُّعفاءِ المغلوبينَ ، فاحذروا هٰذا المعنىٰ كلَّ الحذرِ

واعلموا أنَّهُ ليسَ ينبغي للملكِ أن يَعرِفَ للعبادِ والنُّسَّاكِ بأنْ يكونوا أَولىٰ منهُ بالدِّينِ ، ولا أحدبَ عليهِ ولا أغضبَ لهُ ، وأن يخليَ النُّسَّاكَ والعُبَّادَ مِنَ الأمرِ والنهيِ في نسكِهِم ودينِهِم ؛ فإنَّ خروجَ النُّسَّاكِ وغيرِهِم مِنَ الأمرِ والنهيِ عيبٌ على الملوكِ وعلى المملكةِ ، وثُلْمةٌ بينةُ الضَّررِ على الملكِ وعلىٰ مَنْ بعدَهُ

واعلموا أنَّهُ قد مضىٰ قبلَنا مِنْ أسلافِنا ملوكٌ كانَ الملكُ منهُم يَتعهَّدُ الحمايةَ بالتفتيشِ ، والجماعةَ بالتفصيلِ ، والفراغَ بالأشغالِ كتعهُّدِ جسدِهِ بقصِّ فضولِ الشعرِ والظُّفرِ ، وغسلِ الدَّرَنِ والغمصِ ، ومداواةِ ما ظهرَ مِنَ الأدواءِ وما بطنَ ، وقد كانَ مِنْ أولٰئكَ الملوكِ مَنْ صحَّةُ ملكِهِ أحبُّ إليهِ مِنْ صحَّةِ جسدِهِ ، فتتابعَتْ تلكَ الأملاكُ بذٰلكَ ، كأنَّهُم ملكٌ واحدٌ ، وكأنَّ أرواحَهُم روحٌ واحدةٌ ، يُمكِّنُ أولُهُم لآخِرِهِم ، ويُصدِّقُ آخِرُهُم أوَّلَهُم ، تَجتمِعُ أنباءُ أسلافِهِم ومواريثُ آرائِهِم وثمراتُ عقولِهِم عندَ الباقي منهُم بعدَهُم ، وكأنَّهُم جلوسٌ معَهُ ، يُحدِّثونَهُ ويشاورونَهُ ، حتىٰ كانَ علىٰ رأسِ دارا بنِ دارا ما كانَ مِنْ غلبةِ الإسكندرِ الروميِّ علىٰ ما غلبَ عليهِ مِنْ ملكِهِ ، وكانَ إفسادُهُ أمرَنا ، وتفرقتُهُ جماعتَنا ، وتخريبُهُ عمرانَ مملكتِنا أبلغَ لهُ فيما أرادَ مِنْ سفكِ دمائِنا ، فلمَّا أذنَ اللهُ عزَّ وجلَّ في جمعِ مملكتِنا ، وإعادةِ أمرِنا كانَ مِنْ بعثِهِ إيَّانا ما كانَ ، وبالاعتبارِ يُتَّقَى العثارُ ، والتجارِبُ الماضيةُ دُستورٌ يرجعُ إليهِ في الحوادثِ الآتيةِ

واعلموا أنَّ طباعَ الملوكِ علىٰ غيرِ طباعِ الرعيةِ والسُّوقةِ ، فإنَّ الملكَ يطيفُ بهِ العزُّ والأمنُ والسرورُ والقدرةُ علىٰ ما يريدُ ، والأنفةُ والجراءةُ والطيشُ والبطرُ ، وكلَّما ازدادَ في العمرِ تَنفُّساً ، وفي الملكِ سلامةً ازدادَ مِنْ هٰذهِ الطَّبائعِ والأخلاقِ ، حتىٰ يسلمَهُ ذٰلكَ إلىٰ سُكْرِ السُّلطانِ الذي هوَ أشدُّ مِنْ سُكْرِ الشرابِ ، فينسى النَّكَباتِ والعَثَراتِ ، والغِيرَ والدَّوائرَ ، وفحشَ تَسلُّطِ الأيامِ ، ولؤمَ غلبةِ الدَّهرِ ، فيرسلُ يدَهُ بالفعلِ ، ولسانَهُ بالقولِ ، وعندَ حسنِ الظَّنِّ بالأيَّامِ تَحدُثُ الغِيَرُ ، وتزولُ النعمُ ، وقد كانَ مِنْ أسلافِنا وقُدماءِ ملوكِنا مَنْ يُفكِّرهُ عِزُّهُ الذُّلَّ ، وأمنُهُ الخوفَ ، وسرورُهُ الكآبةَ ، وقدرتُهُ المَعْجَزَةَ ، وذٰلكَ هوَ الرجلُ الكاملُ ، قد جمعَ بهجةَ الملوكِ ، وفكرةَ السُّوقةِ ، ولا كمالَ إلَّا في جمعِهِما

واعلموا أَنَّكُم ستُبلونَّ على الملكِ بالأزواجِ والأولادِ والقرباءِ والوزراءِ والأخدانِ والأنصارِ والأعوانِ والمُتقرّبينَ والنُّدماءِ والمُضحِكينَ ، وكلُّ هٰؤلاءِ ـ إلّا قليلاً ـ أن يأخذَ لنفسِهِ أحبُّ إليهِ مِنْ أن يعطيَ منها ، وإنَّما عملُهُ سوقٌ ليومِهِ ، وذخيرةٌ لغدِهِ ، فنصيحتُهُ للملوكِ فضلُ نصيحتِهِ لنفسِهِ ، وغايةُ الصَّلاحِ عندَهُ صلاحُ نفسِهِ ، وغايةُ الفسادِ عندَهُ فسادُها ، يقيمُ للسُّلطانِ سوقَ المَودَّةِ ما أقامَ لهُ سوقَ الأرباحِ والمنافعِ

إذا استوحشَ الملكُ مِنْ ثقاتِهِ أطبقَتْ عليهِ ظُلَمُ الجهالةِ

أخوفُ ما يكونُ العامَّةُ أخوفُ ما يكونُ الوزراءُ

واعلموا أنَّ كثيراً مِنْ وزراءِ الملوكِ مَنْ يحاولُ استبقاءَ دولتِهِ وأيامِهِ بإيقاعِ [الاضطرابِ] والخبطِ في أطرافِ مملكةِ الملكِ ؛ ليحتاجَ الملكُ إلىٰ رأيِهِ وتدبيرِهِ ، فإذا عرفتُم ذٰلكَ مِنْ وزيرٍ مِنْ وزرائِكُم فاعزلوهُ ؛ فإنَّهُ يُدخِلُ الوهنَ والنقص على الملكِ والرعيةِ لصلاحِ حالِ نفسِهِ ، ولا تقومُ نفسُهُ بهٰذهِ النفوسِ كلِّها

واعلموا أنَّ ذهابَ الدولةِ يَنشأُ مِنْ قِبَلِ إهمالِ الرعيةِ بغيرِ أشغالٍ معروفةٍ ، ولا أعمالٍ معلومةٍ ، فإذا نشأَ الفراغُ تَولَّدَ منهُ النظرُ في الأمورِ ، والفكرُ في الفروعِ والأصولِ ، فإذا نظروا في ذٰلكَ نظروا فيهِ بطباعٍ مختلفةٍ ، فتختلفُ بهِمُ المذاهبُ ، ويَتولَّدُ مِنِ اختلافِ مذاهبِهِم تعاديهِم وتضاغُنُهُم ، وهُم معَ اختلافِهِم هٰذا متفقونَ ومجتمعونَ علىٰ بغضِ الملوكِ ، فكلُّ صنفٍ منهُم إنَّما يجري إلىٰ فجيعةِ الملكِ بملكِهِ ، ولٰكنَّهُم لا يجدونَ سُلَّماً إلىٰ ذٰلكَ أوثقَ مِنَ الدِّينِ والناموسِ ، ثمَّ يَتولَّدُ مِنْ تعاديهِم أنَّ الملكَ لا يستطيعُ جمعَهُم علىٰ أهواءٍ واحدةٍ ، فإذا انفردَ باختصاصِ بعضِهِم صارَ عدوَّ بقيَّتِهِم

وفي طباعِ العامَّةِ استثقالُ الولاةِ وملالُهُم ، والنفاسةُ عليهِم ، والحسدُ

لهُم ، وفي الرعيَّةِ المحرومُ والمضروبُ والمُقامُ عليهِ الحدودُ ، ويَتولَّدُ مِنْ كثرتِهِم معَ عداوتِهِم أن يجبنَ الملكُ عنِ الإقدامِ عليهِم ، فإنَّ في إقدامِ الملكِ على الرعيةِ كلِّها كافةً تغريراً بملكِهِ ، ويَتولَّدُ مِنْ جبنِ الملوكِ عنِ الرعيةِ استعجالُهُم عليهِ وهُم أقوىٰ عدوٍّ لهُ وأخلقُهُ بالظَّفرِ ؛ لأنَّهُ حاضرٌ معَ الملكِ في دارِ ملكِهِ ، فمَنْ أفضىٰ إليهِ الملكُ بعدي فلا يكونَنَّ بإصلاحِ جسدِهِ أشدَّ اهتماماً منهُ بهـٰذهِ الحالِ ، ولا يكونَنَّ لشيءٍ مِنَ الأشياءِ أكرهَ وأنكرَ منهُ لرأسٍ صارَ ذنباً ، وذنبٍ صارَ رأساً ، ويدٍ مشغولةٍ صارَتْ فارغةً ، أو غنيٍّ صارَ فقيراً ، أو عاملٍ مصروفٍ ، أو أميرٍ معزولٍ

واعلموا أنَّ سياسةَ الملكِ وحراستَهُ ألَّا يكونَ ابنُ الكاتبِ إلَّا كاتباً ، وابنُ الجنديِّ إلَّا جنديّاً ، وابنُ التاجرِ إلَّا تاجراً ، وهـٰكذا في جميعِ الطَّبقاتِ ؛ فإنَّهُ يَتولَّدُ مِنْ تَنقُّلِ الناسِ عن حالاتِهِم أن يلتمسَ كلُّ امرئٍ منهُم فوقَ مرتبتِهِ ، فإذا انتقلَ أوشكَ أن يرىٰ شيئاً أرفعَ ممَّا انتقلَ إليهِ ، فيحسدَهُ وينافسَهُ ، وفي ذٰلكَ مِنَ الضَّررِ المُتولِّدِ ما لا خفاءَ بهِ

فإن عَجزَ ملكٌ منكُم عن إصلاحِ رعيَّتِهِ كما أوصيناهُ فلا يكنْ للقميصِ القَمِلِ أسرعَ خلعاً منهُ لِمَا لبسَ مِنْ قميصِ ذٰلكَ الملكِ

واعلموا أنَّهُ ليسَ ملكٌ إلَّا وهوَ كثيرُ الذِّكرِ لِمَنْ يلي الأمرَ بعدَهُ ، ومِنْ إفسادِ أمرِ الملكِ ذكرُهُ ولاةَ العهودِ ؛ فإنَّ في ذٰلكَ ضروباً مِنَ الضَّررِ ، وإنَّ ذٰلكَ دخولُ عداوةٍ بينَ الملكِ ووليِّ عهدِهِ ؛ لأنَّهُ تطمحُ عيناهُ إلى الملكِ ، ويصيرُ لهُ أحبابٌ وأخدانٌ يمنُّونَهُ ذٰلكَ ، ويَستبطئونَ موتَ الملكِ ، ثمَّ إنَّ الملكَ يَتوحَّشُ منهُ ، وتَنساقُ الأمورُ إلىٰ هلاكِ أحدِهِما

ولـٰكنْ لينظرِ الوالي منكُم للهِ تعالىٰ ، ثمَّ لنفسِهِ ، ثمَّ للرعيةِ ، ويَنتخِبْ وليّاً للعهدِ مِنْ بعدِهِ ، ولا يُعلِمُهُ ذٰلكَ ولا أحداً مِنَ الخلقِ ، قريباً كانَ أو بعيداً ،

ثمَّ يكتبُ اسمَهُ في أربعِ صحائفَ ، ويَختِمُها بخاتمِهِ ، ويَضعُها عندَ أربعةِ نفرٍ مِنْ أعيانِ أهلِ المملكةِ ، ثمَّ لا يكونُ منهُ في سرِّهِ وعلانيتِهِ أمرٌ يُستدَلُّ بهِ علىٰ وليِّ عهدِهِ مَنْ هوَ ، لا في إدناءٍ وتقريبٍ يُعرَفُ بهِ ، ولا في إقصاءٍ وإعراضٍ يُستَرابُ لهُ ، وليتقِ ذٰلكَ في اللحظةِ والكلمةِ

فإذا هلكَ الملكُ جُمِعَتْ تلكَ الصَّحائفُ إلى النسخةِ التي تكونُ في خزانةِ الملكِ ، فتُفَضُّ جميعاً ، ثمَّ يُنَوَّهُ حينَئذٍ باسمِ ذٰلكَ الرجلِ ، فيلقى المُلكَ إذا لقيَهُ بحداثةِ عهدٍ بحالِ السُّوقةِ ، ويَلبَسُهُ إذا لبسَهُ ببصرِ السُّوقةِ وسمعِها ، فإنَّ في معرفتِهِ بحالِهِ قبلَ إفضاءِ الملكِ إليهِ سكراً تُحدِثُهُ عندَهُ ولايةُ العهدِ ، ثمَّ يلقاهُ المُلكُ فيزيدُهُ سكراً إلىٰ سكرِهِ ، فيعمىٰ ويصمُّ ، هٰذا معَ ما لا بدَّ أن يلقاهُ أيامَ ولايةِ العهدِ مِنْ حيلِ العُتاةِ ، وبغيِ الكذَّابينَ ، وترقيةِ النمَّامينَ ، وإيغارِ صدرِهِ ، وإفسادِ قلبِهِ علىٰ كثيرٍ مِنْ رعيَّتِهِ وخواصِّ دولتِهِ ، وليسَ ذٰلكَ بمحمودٍ ولا صالحٍ

واعلموا أنَّهُ ليسَ للملكِ أن يَحلِفَ ، لأنَّهُ لا يَقدِرُ أحدٌ على استكراهِهِ ، وليسَ لهُ أن يغضبَ ؛ لأنَّهُ قادرٌ ، والغضبُ لقاحُ الشرِّ والندامةِ ، وليسَ لهُ أن يعبثَ ويلعبَ ؛ لأنَّ اللعبَ والعبثَ مِنْ عملِ الفراغِ ، وليسَ لهُ أن يفرغَ ؛ لأنَّ الفراغَ مِنْ أمرِ السُّوقةِ ، وليسَ لهُ أن يحسدَ أحداً إلَّا علىٰ حسنِ التدبيرِ ، وليسَ لهُ أن يَخافَ ؛ لأنَّهُ لا يدَ فوقَ يدِهِ

واعلموا أنَّكُم لن تَقدِروا علىٰ أن تَختِموا أفواهَ الناسِ مِنَ الطَّعنِ والإزراءِ عليكُم ، ولا قدرةَ لكُم علىٰ أن تجعلوا القبيحَ مِنْ أفعالِكُم حسناً ، فاجتهدوا في أن تَحسُنَ أفعالُكُم كلُّها وألَّا تجعلوا للعامَّةِ إلى الطَّعنِ عليكُم سبيلاً

واعلموا أنَّ لباسَ الملكِ ومطعمَهُ مُقارِبٌ للباسِ السُّوقةِ ومطعمِهِم ، وليسَ فضلُ الملكِ على السُّوقةِ إلَّا بقدرتِهِ على اقتناءِ المحامدِ واستفادةِ

المكارمِ ؛ فإنَّ الملكَ إذا شاءَ أحسنَ ، وليسَ كذٰلكَ السُّوقةُ

واعلموا أنَّ لكلِّ ملكٍ بطانةً ، ولكلِّ رجلٍ مِنْ بطانتِهِ بطانةً ، ثمَّ لكلِّ امرئٍ مِنْ بطانةِ البطانةِ بطانةً ، حتىٰ يَجتمِعَ في ذٰلكَ أهلُ المملكةِ ، فإذا أقامَ الملكُ بطانتَهُ علىٰ حالِ الصَّوابِ أقامَ كلُّ امرئٍ منهُم بطانتَهُ علىٰ مثلِ ذٰلكَ ، حتىٰ يَجتمِعَ على الصَّلاحِ عامَّةُ الرعيةِ

احذروا باباً واحداً طالَما أمنتُهُ فضرَّني ، وحَذِرْتُهُ فنفعَني ، احذروا إفشاءَ السرِّ بحضرةِ الصِّغارِ مِنْ أهليكُم وخدمِكُم ؛ فإنَّهُ ليسَ يَصغُرُ واحدٌ منهُم عن حملِ ذٰلكَ السرِّ كاملاً لا يتركُ منهُ شيئاً حتىٰ يَضعَهُ حيثُ تكرهونَ ؛ إما سقطاً أو غشّاً

واعلموا أنَّ في الرعيةِ صنفاً أتَوُا الملوكَ مِنْ قبلِ النصائحِ لهُم ، والتمسوا إصلاحَ منازلِهِم بإفسادِ منازلِ الناسِ ، وهُم أعداءُ الملوكِ ، ومَنْ عادى الملوكَ والناسَ كلَّهُم فقد عادىٰ نفسَهُ

واعلموا أنَّ الدَّهرَ حاملُكُم علىٰ طبقاتٍ ؛ فمنها حالُ السَّخاءِ حتىٰ يدنوَ أحدُكُم مِنَ السَّرفِ ، ومنها حالُ التقديرِ حتىٰ يدنوَ مِنَ البخلِ ، ومنها حالُ الأناةِ حتىٰ يدنوَ مِنَ البلادةِ ، ومنها حالُ انتهازِ الفرصةِ حتىٰ يدنوَ مِنَ الخفَّةِ ، ومنها حالُ الطَّلاقةِ في اللسانِ حتىٰ يدنوَ مِنَ الهذرِ ، ومنها حالُ الأخذِ بحكمةِ الصَّمتِ حتىٰ يدنوَ مِنَ العِيِّ ، فالملكُ منكم جديرٌ أن يبلغَ مِنْ كلِّ طبقةٍ في محاسنِها حدَّها ، فإذا وقفَ عليهِ ألجمَ نفسَهُ عمَّا وراءَهُ

واعلموا أنَّ ابنَ الملكِ وأخاهُ وابنَ عمِّهِ يقولُ كدتُ أكونُ ملكاً ، وبالحريِّ ألَّا أموتَ حتىٰ أكونَ ملكاً ، فإذا قالَ ذٰلكَ قالَ ما لا يَسُرُّ الملكَ ، وإن كتمَهُ فالداءُ في كلِّ مكتومٍ ، وإذا تَمنَّىٰ ذٰلكَ جعلَ الفسادَ سُلَّماً إلى الصَّلاحِ ، ولم يكنِ الفسادُ سُلَّماً إلىٰ صلاحٍ قطُّ

وقد رسمتُ لكُم مثالاً ؛ اجعلوا المُلكَ لا ينبغي إلَّا لأبناءِ الملوكِ مِنْ بناتِ عمومتِهِم ، ولا يَصلُحُ مِنْ أولادِ بناتِ العمِّ إلَّا كاملٌ غيرُ سخيفِ العقلِ ، ولا عازبِ الرأيِ ، ولا ناقصِ الجوارحِ ، ولا مطعونٍ عليهِ في الدِّينِ ، فإنَّكُم إذا فعلتُم ذٰلكَ قلَّ طُلَّابُ المُلْكِ ، وإذا قَلَّ طُلَّابُهُ استراحَ كلُّ امرئٍ إلىٰ ما يليهِ ، ونزعَ إلىٰ حدٍّ يليهِ ، وعرفَ حالَهُ ، ورضيَ معيشتَهُ ، واستطابَ زمانَهُ [١]

وحيثُ جرىٰ ذكرُ الإسكندرِ وتفرقتُهُ مملكةَ فارسَ بينَ أبناءِ الملوكِ الذين قيلَ لهُم ملوكُ الطَّوائفِ ، وكانَ ملكُهُم فاصلاً بينَ سلسلتَيِ الملوكِ مِنَ الفُرْسِ ، آخِرُ أولاهُما دارا بن دارا ، وأولُ الثانية أردشيرُ فلا بأسَ أن نُثبِتَ في هٰذا الموضعِ كتابَ الإسكندرِ إلىٰ شيخِهِ الحكيمِ أرسطو ؛ يَستشيرُهُ فيما يفعلُ بأبناءِ الملوكِ أيقتلُهُم أم يبقيهِم ، وجوابَ الحكيمِ لهُ عن ذٰلكَ

[كتابُ الإسكندرِ إلى الحكيمِ أرسطو]

وهٰذهِ صورةُ كتابِ الإسكندرِ قالَ [٢]

عليكَ أيُّها الحكيمُ منَّا السلامُ ، أمَّا بعدُ فإنَّ الأفلاكَ الدائرةَ والعللَ السماويةَ وإن كانَتْ أسعدَتْنا بالأمورِ التي أصبحَ الناسُ لنا بها دائنينَ فإنَّا جِدُّ واجدينَ لمَسِّ الاضطرارِ إلىٰ حكمتِكَ ، غيرَ جاحدينَ لفضلِكَ ، والإقرارِ بمنزلتِكَ ، والاستنامةِ إلىٰ مشورتِكَ ، والاقتداءِ برأيِكَ ، والاعتمادِ لأمرِكَ وفهمِكَ ؛ لِمَا بلونا مِنْ إجداءِ ذٰلكَ علينا ؛ وذُقنا مِنْ جنىٰ منفعتِهِ ، حتىٰ صارَ ذٰلكَ بنجوعِهِ فينا وترسُّخِهِ في أذهانِنا كالغذاءِ لنا ، فما ننفكُّ نعولُ عليهِ ،

---

(١) إلىٰ هنا ينتهي النقل عن « شرح نهج البلاغة »
(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٧/٥٥ ـ ٥٦)

ونَستمِدُّ منهُ استمدادَ الجداولِ مِنَ البحورِ ، وتعويلَ الفروعِ على الأصولِ ، وقُوَّةُ الأشكالِ بالأشكالِ

وقد كانَ ممَّا سبقَ إلينا مِنَ النصرِ والفَلْجِ ، وأُتيحَ لنا مِنَ الظَّفَرِ والقهرِ ، وبلغنا في العدوِّ مِنَ النكايةِ والبطشِ ما يَعجِزُ القولُ عن وصفِهِ ، ويَقصُرُ شكرُ المُنعِمِ عن موقعِ الإنعامِ بهِ ، وكانَ مِنْ ذٰلكَ أن جاوزنا أرض سوريةَ والجزيرة إلىٰ بابلَ وأرضِ فارسَ ، فلمَّا حللنا بعَقوةِ أهلِها وساحةِ بلادِهِم لم يكنْ إلَّا ريثَما تَلقَّانا نفرٌ منهُم برأسِ ملكِهِم هديَّةً إلينا ، وطلباً للحظوةِ عندَنا ، فأمرنا بصلبِ مَنْ جاءَ بهِ وشهرتِهِ ؛ لسوءِ بلائِهِ ، وقِلَّةِ ارعوائِهِ ووفائِهِ

ثمَّ أمرنا بجمعِ مَنْ كانَ هناكَ مِنْ أولادِ ملوكِهِم وأحرارِهِم وذوي الشَّرفِ منهُم ، فرأينا رجالاً عظيمةً أجسامُهُم وأحلامُهُم ، حاضرةً ألبابُهُم وأذهانُهُم ، رائعةً مناظرُهُم ومناطقُهُم ، دليلاً علىٰ أنَّ ما يظهرُ مِنْ رُوائِهِم ومنطقِهِم أنَّ وراءَهُ مِنْ قُوَّةِ أيديهِم وشدَّةِ نجدتِهِم وبأسِهِم ما لم يكنْ ليكونَ معَهُ لنا سبيلٌ إلىٰ غلبتِهِم وإعطائِهِم بأيديهِم لولا أنَّ القضاءَ أدالَنا منهُم ، وأظفرَنا بهِم ، وأظهرَنا عليهِم ، ولم نرَ بعيداً مِنَ الرأيِ في أمرِهِم أن نستأصلَ شأفتَهُم ونَجتَثَّ أصلَهُم ونُلحِقَهُم بمَنْ مضىٰ مِنْ أسلافِهِم ؛ لتسكنَ القلوبُ بذٰلكَ إلى الأمنِ مِنْ جرائرِهِم وبوائقِهِم ، فرأينا ألَّا نعجلَ بإسعافِ بادئَ الرأيِ في قتلِهِم دونَ الاستظهارِ عليهِ بمشورتِكَ فيهِم ، فارفعْ إلينا رأيَكَ فيما استشرناكَ فيهِ بعدَ صحَّتِهِ عندَكَ ، وتقليبِكَ إيَّاهُ بجليِّ نظرِكَ ، وسلامٌ لأهلِ السلامِ ، فليكنْ علينا وعليكَ

[جوابُ الحكيمِ أرسطو إلى الإسكندرِ]

وهٰذهِ صورةُ جوابِ الحكيمِ إلى الملكِ قالَ[1]

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٧/٥٦ ـ ٥٨)

لملكِ الملوكِ وعظيمِ العظماءِ ، الإسكندرِ المُؤيَّدِ بالنصرِ على الأعداءِ ، المُهدىٰ لهُ الظَّفَرُ بالملوكِ ، مِنْ أصغرِ عبيدِهِ وأقلِّ خولِهِ أرسطو البَخُوعِ بالسجودِ والتذلُّلِ في السلامِ والإذعانِ في الطَّاعةِ

أمَّا بعدُ فإنَّهُ لا قُوَّةَ بالمَنطِقِ وإنِ احتشدَ الناطقُ فيهِ ، واجتهدَ في تثقيفِ معانيه ، وتأليفِ حروفِهِ ومبانيهِ على الإحاطةِ بأقلِّ ما تنالُهُ القدرةُ مِنْ بسطةِ عُلُوِّ الملكِ ، وسُمُوِّ ارتفاعِهِ عن كلِّ قولٍ ، وإبرازِهِ عن كلِّ وصفٍ ، وقد كانَ تَقرَّرَ عندي مِنْ مُقدِّماتِ إعلامِ فضلِ الملكِ في صهلةِ سبقِهِ ، وبروزِ شأوِهِ ، ويُمنِ نقيبتِهِ ؛ مذ أَدَّتْ إليَّ حاسَّةُ بصري صورةَ شخصِهِ ، وأطربَ في حسنِ سمعِي صوتُ لفظِهِ ، ووقعَ وهمي علىٰ تعقُّبِ نجاحِ رأيِهِ ، أيامَ كنتُ أُؤدِّي إليهِ مِنْ تكلُّفِ تعليمي إيَّاهُ ما أصبحتُ قاضياً علىٰ نفسي بالحاجةِ إلىٰ تعلُّمِهِ منهُ ، ومهما يكنْ منِّي إليهِ في ذٰلكَ فإنَّما هوَ عَقلٌ مردودٌ إلىٰ عقلِهِ ، مستنبطةُ أواليهِ وتواليهِ مِنْ علمِهِ وحكمتِهِ

وقدْ جلَّىٰ إليَّ كتابُ الملكِ ومخاطبتُهُ إيَّايَ ومسألتُهُ عمَّا لا يَتخالجُني الشكُّ في أنَّ لقاحَ ذٰلكَ وإنتاجَهُ مِنْ عندِهِ ، فعنهُ صدرَ ، وعليهِ وردَ ، وأنا فيما أشيرُ بهِ على الملكِ وإنِ اجتهدتُ فيهِ واحتشدتُ لهُ وتجاوزتُ حدَّ الوسعِ والطاقةِ في استنظافِهِ واستقصائِهِ كالعدمِ معَ الوجودِ ، وما لا يَتجزَّأُ في جنبِ معظمِ الأشياءِ ، ولٰكنِّي غيرُ ممتنعٍ مِنْ إجابةِ الملكِ إلىٰ ما سألَ معَ علمي ويقيني بعظيمِ غناهُ عنِّي ، وشدَّةِ فاقتي إليهِ ، وأنا رادٌّ إلى الملكِ ما أكتسبُهُ منهُ ، ومشيرٌ عليهِ بما أخذتُهُ منهُ ؛ فقائلٌ لهُ

إنَّ لكلِّ تربةٍ ـ لا محالةَ ـ قسماً مِنَ الفضائلِ ، وإنَّ لفارسَ قسمَها مِنَ النجدةِ والقُوَّةِ ، وإنَّكَ إن تقتلْ أشرافَهُم تُخلِّفِ الوضعاءَ علىٰ أعقابِهِم ، وتورثْ سفلتَهُم منازلَ عليتِهِم ، وتغلبْ أدنياءَهُم علىٰ مراتبِ

ذوي أخطارِهم ، ولم يُبتَلَ الملوكُ قطُّ ببلاءٍ هوَ أعظمُ عليهِم وأشدُّ توهيناً لسلطانِهم مِنْ غلبةِ السَّفلةِ وذلِّ الوجوهِ ، فاحذرِ الحذرَ كلَّهُ أن تُمكِّنَ تلكَ الطَّبقةَ مِنَ الغلبةِ والحركةِ ؛ فإنَّهُم إن نجمَ منهُم بعدَ اليومِ علىٰ جندِكَ وأهلِ بلادِكَ ناجمٌ دهمَهُم منهُ ما لا رويةَ فيهِ ولا بقيةَ معَهُ ، فانصرفْ عن هٰذا الرأيِ إلىٰ غيرِهِ

واعمَدْ إلىٰ مَنْ قبلَكَ مِنْ أولـٰئكَ العظماءِ والأحرارِ ؛ فوزِّعْ بينَهُم مملكتَهُم ، وألزم اسمَ الملكِ كلَّ مَنْ ولَّيتَهُ منهُم ، واعقدِ التاجَ علىٰ رأسِهِ وإن صَغُرَ ملكُهُ ، فإنَّ المُتسمِّيَ بالملكِ لازمٌ لاسمِهِ ، والمعقودَ التاجِ علىٰ رأسِهِ لا يخضعُ لغيرِهِ ، فليسَ ينشبُ ذٰلكَ أن يوقعَ كلَّ ملكٍ منهُم بينَهُ وبينَ صاحبِهِ تدابراً وتقاطعاً ، وتغالباً على الملكِ ، وتفاخراً بالمالِ والجندِ حتىٰ يَنسَوا بذٰلكَ أضغانَهُم عليكَ ، وأوتارَهُم فيكَ ، ويعودَ حربُهُم لكَ حرباً بينَهُم ، وحنقُهُم عليكَ حنقاً منهُم علىٰ أنفسِهِم ، ثمَّ لا يزدادونَ في ذٰلكَ بصيرةً إلَّا أحدثوا لكَ بها استقامةً ؛ إن دنوتَ منهُم [دانوا] لكَ ، وإن نأيتَ عنهُم تَعزَّزوا بكَ ، حتىٰ يثبَ مَنْ ملكَ منهُم علىٰ جارِهِ باسمِكَ ، ويسترهبَهُ بجندِكَ ، وفي ذٰلكَ شاغلٌ لهُم عنكَ ، وأمانٌ لأحداثِهِم بعدَكَ ، وإن كانَ لا أمانَ للدهرِ ولا ثقةَ بالأيامِ

قد أدَّيتُ إلى الملكِ ما رأيتُهُ لي حظّاً ، وعليَّ حقّاً مِنْ إجابتي إيَّاهُ إلىٰ ما سألَني عنهُ ، ومحضتُهُ النصيحةَ فيهِ ، والملكُ أعلىٰ عيناً ، وأنفذُ رويَّةً ، وأفضلُ رأياً ، وأبعدُ هِمَّةً فيما استعانَ بي عليهِ ، وكَلَّفَني تبيينَهُ ، والمشورةَ عليهِ فيهِ ، لا زالَ الملكُ مُتعرِّفاً مِنْ عوائدِ النعمِ ، وعواقبِ الصنعِ ، وتوطيدِ الملكِ ، وتنفيسِ الأجلِ ، ودركِ الأمل ما تأتي فيهِ قدرتُهُ علىٰ غايةِ أقصىٰ ما تَنالُهُ قدرةُ البشرِ ، والسلامُ الذي لا انقضاءَ لهُ ولا انتهاءَ ، ولا غايةَ ولا فناءَ ، فليكنْ على الملكِ

ومِنْ كتابِ أرسطو هٰذا يستحكمُ لكَ فهمُ قولِ ابنِ المُقفَّعِ السابقِ (تُعلِّمُهُم وكأنَّكَ تَتعلَّمُ منهُم ، وتُؤدِّبُهُم وكأنَّكَ تَتأدَّبُ بِهِم) ، وتَعرِفُ كيفَ ذٰلكَ ، ومنهُ تَعرِفُ أيضاً ـ إذ كانَ ترجمةَ كلامٍ يونانيٍّ ـ أنَّ التشبيهَ والاستعارةَ لا يَخصَّانِ اللغةَ العربيةَ ؛ مِنْ مثلِ قولِهِ (صهلةِ سبقِكَ ، وبروزِ شأوِكَ)

وفي قولِهِ (أواليهِ وتواليهِ) تغييرُ اللفظِ لأجلِ تحصيلِ الازدواجِ بينَ الكلمتَينِ بقلبِ لفظِ (أوائلَ) ، وقد ثبتَ جوازُ ذٰلكَ حيثُ كانَ التغييرُ مقارباً بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لنائحاتٍ خرجنَ خلفَ الرجالِ : « ٱرْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ »[1] ، فغيَّرَ (موزوراتٍ) مِنَ الوزرِ لذٰلكَ

[كتابٌ مِنْ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ للحجَّاجِ معَ جوابِهِ]

صورةُ كتابٍ مِنْ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ للحجَّاجِ بنِ يوسفَ وجوابُهُ منهُ لهُ تَشتمِلُ عليهِما حكايةٌ مناسبةٌ للغرضِ المُعوَّلِ عليهِ في نقلِ هٰذهِ الكتبِ ؛ لِمَا احتوَتْ عليهِ مِنَ الكَلِمِ العربيِّ ، والأحوالِ التي تُحِبُّ الأنفسُ الشريفةُ الاطِّلاعَ عليها

قالَ عمرُو بنُ بحرٍ الجاحظُ[2] كانَ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ سنانَ قريشٍ وسيفَها رأياً وحزماً ، وعابدَها قبلَ أن يُستخلَفَ ورعاً وزهداً ، فجلسَ يوماً في خاصَّتِهِ ، فقبض علىٰ لحيتِهِ فشمَّها مليّاً ، ثمَّ اجترَّ نفسَهُ ونفخَ نفخةً أطالَها ، ثمَّ نظرَ في وجوهِ القومِ فقالَ ما أقولُ يومَ المسألة عن أمرِ الحَجَّاجِ وقد أدحض المُحتجُّ على العليمِ بما طوتْهُ الحُجُبُ ؟ أما إنَّ تمليكي لهُ قرنَ بي لوعةً يُلهِبُها التَّذكارُ ، كيفَ وقد علمتُ فتعاميتُ ، وسمعتُ فتصاممتُ ، وحملَهُ الكرامُ الكاتبونَ ؟! واللهِ ؛ لكأنِّي آلفُ هٰذا الطَّعنَ علىٰ نفسي بعدَ أن

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٦٣) عن سيدنا علي رضي الله عنه

(٢) انظر « العقد الفريد » (٥/٢٠ ـ ٢٩)

نعَتِ الأيامُ بتصرُّفِها نفساً حقَّ لها الوعيدُ بتصرُّمِ الزوالِ ، وما أبقتِ الشبهةُ للباقي مُتعلَّقاً ، وما هوَ إلَّا الغلُّ الكامنُ ، اللهمَّ ؛ أنتَ لي أوسعُ ، غيرَ منتصرٍ ولا معتذرٍ

قلتُ هٰذا الكلامُ يختبرُ بهِ ما في نفوسِ القومِ الذينَ ظهرَ منهُم أماراتُ الغيظِ مِنَ الحجَّاجِ علىٰ ثقةِ عبدِ الملكِ بهِ واختيارِهِ علىٰ غيرِهِ ، وطرحَ كلَّ ما يُقالُ فيهِ علماً منهُ بأنَّهُ لا يقومُ أحدٌ بما قامَ بهِ الحجَّاجُ

ثمَّ قالَ يا كاتبُ ؛ هاتِ الدَّواةَ والقرطاسَ ، فقعدَ كاتبُهُ بينَ يدَيهِ ، وأملىٰ عليهِ بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ ، مِنْ عبدِ اللهِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ إلى الحجَّاجِ بنِ يوسفَ

أمَّا بعدُ فقد أصبحتُ بأمرِكَ بَرِماً ، يقعدُني الإشفاقُ ، ويقيمُني الرجاءُ ، عجزتُ في دارِ [السعةِ] وتوسُّطِ الملكِ وحينِ المهلِ واجتماعِ الفكرِ ألتمسُ العذرَ في أمرِكَ ؛ فأنا ـ لعمرُ اللهِ ـ في دارِ الجزاءِ ، وعدمِ السُّلطانِ ، واشتغالِ النفسِ ، والركونِ إلى الذلةِ مِنْ نفسي ، والتوقُّعِ لِمَا طُوِيَتْ عليهِ الصُّحفُ أَعجزُ ، وقد كنتُ أشركتُكَ فيما طَوَّقَني اللهُ حملَهُ ، وألاثَ بحقوي مِنْ أمانةِ اللهِ في هٰذا الخَلْقِ المرعيّ ، فدُلِلتُ منهُ على الحزمِ والجِدِّ في إماتةِ بدعةٍ وإنعاشِ سُنَّةٍ ، فقعدتَ عن تلكَ ، ونهضتَ بما عاندَها ، حتىٰ صرتَ حُجَّةَ العائبِ ، [وعذرَ] اللاعنِ والشاهدِ القائمِ ، فلعنَ اللهُ أبا عقيلٍ وما نجلَ ، فألأمُ والدٍ وأخبثُ نسلٍ ، فلعمري ؛ ما ظلمَكُمُ الزمانُ ، ولا قعدَتْ بكُمُ المراتبُ ، لقد ألبستُكُم مَلبسَكُم ، وأقعدتُكُم علىٰ روابي خططِكُم ، وأحلتُكُم علىٰ قدرِ منعتِكُم ، فكنتُم بينَ حافرٍ وناقلٍ وماتحٍ في الفَلَواتِ القفرةِ ، ما تَقدَّمَ بكُمُ الإسلامُ ، ولقد تأخَّرتُم ، وما الطائفُ منَّا ببعيدٍ يجهلُ أهلَهُ

ثمَّ قمتَ بنفسِكَ ، وطمحتَ بهِمَّتِكَ ، وسَرَّكَ انتضاءُ سيفِكَ ، فاستخرجَكَ أميرُ المؤمنينَ مِنْ أعوانِ روحِ بنِ زنباعٍ وشرطتِهِ وأنت علىٰ معاونتِهِ يومَئذٍ محسودٌ ، فهفا أميرُ المؤمنينَ ، واللهُ يُصلِحُ بالتوبةِ والغفرانِ زَلَّتَهُ ، [وكأنّي] بكَ وكأنَّ ما لو لم يكنْ لكانَ خيراً ممَّا كانَ ، كلُّ ذٰلكَ مِنْ تجاسرِكَ وتحاملِكَ على المخالفةِ لرأيِ أميرِ المؤمنينَ ، فقرعتَ صفاتِنا ، وهتكتَ حجبَنا ، وبسطتَ يدَيكَ تحفنُ بهِما مِنْ كرائمِ ذوي الحقوقِ اللازمةِ والأرحامِ الواشجةِ في أوعيةِ ثقيفٍ !!

فأستغفرُ اللهَ لذنبٍ ما لهُ عذرٌ ، فلئنِ استقالَ أميرُ المؤمنينَ فيكَ الرأيَ فلقد حالَتِ البصيرةُ في ثقيفٍ بصالحِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ(١) ؛ إذِ ائتمنَهُ على الصَّدقاتِ وكانَ عبدَهُ ، فهربَ بها عنهُ ، وما هوَ إلَّا اختبارٌ للثقةِ ، والمطلبُ لمواضعِ الكفايةِ ، فقعدَ فيهِ الرجاءُ كما قعدَ بأميرِ المؤمنينَ فيما نَصَّبَكَ لهُ ، فكأنَّ هٰذا ألبسَ أميرَ المؤمنينَ ، ثوبَ العزاءِ ، ونهض بعذرِهِ إلى استنشاقِ نسيمِ الروحِ ، فاعتزلْ عملَ أميرِ المؤمنينَ ، وأظعنْ عنهُ باللعنةِ اللازمةِ والعقوبةِ الناهكةِ إن شاءَ اللهُ ، إذا استحكمَ لأميرِ المؤمنينَ ما يحاولُ مِنْ رأيِهِ ، والسلامُ

ودعا عبدُ الملكِ مولىً لهُ يُقالُ لهُ نباتةُ ، لهُ لسانٌ وفضلُ رأيٍ ، فناولَهُ الكتابَ ، ثمَّ قالَ لهُ يا نباتةُ ، العجلَ ثمَّ العجلَ حتىٰ تأتيَ العراقَ ، فضعْ هٰذا الكتابَ في يدِ الحجَّاجِ ، وتَرقَّبْ ما يكونُ منهُ ، فإن جبنَ عندَ قراءتِهِ واستيعابِ ما فيهِ فاقلعْهُ عن عملِهِ ، وانقلعْ معَهُ حتىٰ تأتيَ بهِ ، وهَدِّئِ الناسَ حتىٰ يأتيَهُم أمري بما تَصِفُني بهِ في حينِ انقلاعِكَ مِنْ حُبِّي لهُمُ السلامةَ ، وإن هشَّ للجوابِ ، ولم تأخذْهُ الحَيرةُ فخذْ منهُ ما يجيبُ بهِ ، وأقرِرْهُ علىٰ عملِهِ ، ثمَّ اعجلْ عليَّ بجوابِهِ

---

(١) في « العقد الفريد » (٥/٢٢) (جالت البصيرة) بدل (حالت البصيرة)

قالَ نباتةُ فخرجتُ قاصداً إلى العراقِ ، فضمَّتْني الصحاري والفيافي ، واحتواني القرُّ ، وأخذَ منّي السفرُ حتىٰ وصلتُ ، فلمَّا وردتُهُ أُدخِلتُ عليهِ وعليَّ شحوبُ مُضنىً ، وقد تَوسَّطَ خدمَهُ مِنْ نواحيهِ ، وتَدثَّرَ بمطرفِ خزٍّ أدكنَ ، ولاثَ بِهِ الناسُ مِنْ بينِ قائمٍ وقاعدٍ ، فلمَّا نظرَ إليَّ ـ وكانَ لي عارفاً ـ قعدَ ، ثمَّ تَبسَّمَ تَبسُّمَ الوَجِلِ ، ثمَّ قالَ أهلاً بكَ يا نباتةُ ، أهلاً بمولىٰ أميرِ المؤمنينَ ، لقد أثَّرَ فيكَ سفرُكَ ، وأعرفُ أميرَ المؤمنينَ بكَ ضنيناً ، فليتَ شعري !! ما دَهِمَكَ أو دَهِمَني عندَهُ ؟ قالَ فسلمتُ وقعدتُ ، فسألَ : ما حالُ أميرِ المؤمنينَ وخولِهِ ؟

فلمَّا هدأَ أخرجتُ لهُ الكتابَ ، فناولتُهُ إيَّاهُ ، فأخذَهُ منّي مُسرِعاً ويدُهُ تُرعَدُ ، ثمَّ نظرَ في وجوهِ الناسِ ، فما شعرتُ إلَّا وأنا معَهُ ليسَ معَنا ثالثٌ ، وصارَ كلُّ مَنْ يطيفُ مِنْ خدمِهِ يلقاهُ خالياً ، لا يسمعونَ منَّا إلَّا الصوتَ ، فلا يقربونَ ، ففكَّ الكتابَ فقرأَهُ ، وجعلَ يتثاءَبُ ويُردِّدُ تثاؤبَهُ ، ويَسيلُ العرقُ علىٰ جبينِهِ وصُدغَيهِ علىٰ شِدَّةِ البردِ مِنْ تحتِ قلنسوتِهِ ، وعلىٰ رأسِهِ عمامةُ خزٍّ خضراءُ ، وجعلَ يشخصُ إليَّ ببصرِهِ ساعةً كالمُتوهِّمِ ، ثمَّ يعودُ إلىٰ قراءةِ الكتابِ ، ويلاحظُني النظرَ كالمُتفهِّمِ ، إلَّا أنَّهُ واجمٌ ثمَّ يُعاوِدُ الكتابَ ، وإنِّي لأقولُ ما أراهُ يُثبِتُ حروفَهُ مِنْ شدَّةِ [اضطرابِ] يدِهِ ، حتى استقصىٰ قراءَتَهُ ، ثمَّ مالَتْ يدُهُ حتىٰ وقعَ الكتابُ على الفراشِ ، ورجعَ إليهِ ذهنُهُ ، فمسحَ العرقَ عن جبينِهِ ثمَّ قالَ مُتمثِّلاً [من الكامل]

وَإِذَا ٱلْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

قَبُحَ واللهِ منَّا الحسنُ يا نباتةُ ، وتواكلَتْنا عندَ أميرِ المؤمنينَ الألسنُ ، وما هٰذا إلا سانحُ فكرةٍ نَمَّقَها مُرْصِدٌ يكلَبُ بقصَّتِنا معَ حسنِ رأيِ أميرِ المؤمنينَ فينا ، يا غلامُ ؛ فتبادرَ الغِلمانُ الصيحةَ فمُلِئَ علينا منهُمُ المجلسُ ،

حتىٰ دَفَّأَتْني منهُمُ الأنفاسُ ، فقالَ الدواةَ والقرطاسَ ، فأُتِيَ بدواةٍ وقرطاسٍ ، فكتبَ بيدِهِ وما رفعَ القلمَ إلَّا مُستمِدّاً ، حتىٰ سطرَ مثلَ خدِّ الفرسِ

فلمَّا فرغَ قالَ لي يا نباتةُ ؛ هل علمتَ ما جئتَ بهِ فنسمعَكَ ما كتبنَا ؟ قلتُ لا ، قالَ إذاً حسبُكَ منَّا مثلُهُ ، ثمَّ ناولَني الجوابَ ، وأمرَ لي بجائزةٍ فأجزلَ ، وجَرَّدَ لي كساءً ، ودعا لي بطعامٍ ، فأكلتُ ، ثمَّ قالَ نكلُكَ إلىٰ ما أُمِرتَ بهِ مِنْ عجلةٍ أو توانٍ ، وإنِّي لأُحِبُّ مقارنتَكَ والأُنسَ برؤيتِكَ ، فقلتُ كانَ معي قفلٌ مفتاحُهُ عندَكَ ، ومفتاحُ قفلِكَ عندي ، فما جدتُ لكَ الوافيةَ بالأمرَينِ (١) ، فأقفلتَ المكروهَ ، وفتحتَ العافيةَ ، وما ساءَني ذٰلكَ ، وما أُحِبُّ أن أزيدَكَ بياناً

قلتُ الوافيةُ الوفاءُ ، وقولُهُ (فأقفلتَ) دعاءٌ ؛ أي جعلَني اللهُ سبباً لانصرافِ المكروهِ ، وإقبالِ المحبوبِ

ثمَّ قالَ ثمَّ نهضتُ ، وقامَ مُودِّعاً لي ، فالتزمَني وقالَ بأبي أنتَ وأمِّي ، ربَّ لفظةٍ مسموعةٍ ومحتقرٍ نافعٍ ، فكنْ كما أظنُّ ، فخرجتُ مُستقبِلاً وجهي ، حتىٰ وردتُ علىٰ أميرِ المؤمنينَ ، فوجدتُهُ مُنصرِفاً مِنْ صلاةِ العصرِ ، فلمَّا رآني قالَ ما اجتواكَ المضجعُ يا نباتةُ ؟ فقلتُ مَنْ خافَ مِنْ وجهِ الصَّباحِ أدلجَ ، فسلَّمتُ وانتبذتُ عنهُ ، فتركَني حتىٰ سكنَ جأشي

ثمَّ قالَ مهيمْ ؟ فدفعتُ إليهِ الكتابَ ، فقرأَهُ مُتبسِّماً ، فلمَّا مضىٰ فيهِ ضحكَ حتىٰ بدتْ لهُ سنٌّ سوداءُ ، ثمَّ استقصاهُ ، فانصرفَ إليَّ فقالَ كيفَ رأيتَ إشفاقَهُ ؟ قالَ فقصصتُ عليهِ ما رأيتُ منهُ ، فقالَ صلواتُ اللهِ على الصَّادقِ الأمينِ ؛ « إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً »

---

(١) العبارة في « العقد الفريد » (٥/٢٥) (فأحدثت لك) بدل (فما جدت لك)

ثمَّ قذفَ الكتابَ إليَّ ، فقالَ اقرأْ ، فقرأتُهُ ، فإذا فيهِ

بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ ، لعبدِ اللهِ أميرِ المؤمنينَ ، وخليفةِ ربِّ العالمينَ ، والمُؤيَّدِ بالولايةِ ، المعصومِ مِنْ خطلِ القولِ وزللِ الفعلِ بكفالةِ اللهِ الواجبةِ لذوي أمرِهِ ، مِنْ عبدٍ اكتنفَتْهُ الذلَّةُ ، ومدَّ بهِ الصَّغارُ إلىٰ وخيمِ المرتعِ ووبيلِ المكرعِ ، مِنْ جائلٍ قادحٍ ومعترٍّ فادحٍ [١] ، والسلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ التي اتَّسَعَتْ فوسعَتْ ، وكانَ بها التقوىٰ إلىٰ أهلِها قائداً ، فإنِّي أحمدُ اللهَ إليكَ راجياً لعطفِكَ بعطفِهِ ، الذي لا إلـٰهَ إلَّا هوَ

أمَّا بعدُ كانَ اللهُ لكَ بالدَّعةِ في دارِ الزوالِ ، والأمنِ في دارِ الزلزالِ ؛ فإنَّهُ مَنْ عُنِيَتْ بهِ فكرتُكَ يا أميرَ المؤمنينَ مخصوصاً ، فما هوَ إلَّا سعيدٌ يؤثرُ ، أو شقيٌّ يوترُ ، وقد حجبَني عن نواظرِ السَّعدِ لسانٌ مرصدٌ ، ونافثُ حقدٍ انتهزَ بهِ الشيطانُ حينَ الفكرةِ ، فافتتحَ بهِ أبوابَ الوسواسِ بما تحتويهِ الصُّدورُ ، فوا غوثاهْ باستعاذةِ أميرِ المؤمنينَ مِنْ رجيمٍ إنَّما سلطانُهُ على الذينَ يَتولَّونَهُ ، واعتصاماً بالتوكُّلِ علىٰ مَنْ خَصَّهُ بما أجزلَ لهُ مِنْ قسمِ الإيمانِ وصادقِ السنَّةِ ، فقد أرادَ اللعينُ أن يفتقَ لأوليائِهِ فتقاً نبا عنهُ كيدُهُ ، وكَثُرَ عليهِ تَحسُّرُهُ ، بليَّةٌ قرعَ بها فكرَ أميرِ المؤمنينَ مُلبِّساً ، وكادحاً [ومؤرشاً] ؛ ليَفُلَّ مِنْ غَرْبِهِ الذي نصبَني ، ويصيبَ ثأراً لم يزلْ بهِ موتوراً ، وأذكرَهُ قديمَ ما مَتَّ بهِ الأوائلُ حتىٰ لحقْتُ بمثلِهِ منهُم وبما كنتُ أبلوهُ مِنْ خِسَّةِ أقدارٍ ومزاولةِ أعمالٍ ، إلىٰ أن وصلتُ ذٰلك بالتشرُّطِ لروحِ بنِ زنباعٍ

وقد علمَ أميرُ المؤمنينَ بفضلِ ما اختارَ اللهُ لهُ تباركَ وتعالىٰ مِنَ العلمِ المأثورِ الماضي ؛ بأنَّ الذي عُيِّرَ بهِ القومُ [مِنْ] مصانعِهِم مِنْ أشدِّ ما كانَ يزاولُهُ أهلُ القُدْمةِ الذينَ اجتبى اللهُ منهُم ، وقدِ اعتصموا وامتعضوا مِنْ ذكرِ ما كانَ ، وارتفعوا بما يكونُ ، وما جهلَ أميرُ المؤمنينَ ـ وللبيانِ موقعُهُ غيرَ

---

(١) في « العقد الفريد » (٥/٢٥) (من جليل فادح ومعتدٍ قادح)

مُحتجٍ ولا مُعتدٍ ـ أنَّ متابعةَ روحِ بنِ زنباعٍ طريقٌ إلى الوسيلةِ لِمَن أرادَ مَنْ فوقَهُ ، وأنَّ رَوْحاً لم يُلبِسْني العزمَ الذي بهِ رفعَني أميرُ المؤمنينَ عن خولِهِ ، وقد ألصقَتْني بروحِ بنِ زنباعٍ هِمَّةٌ لم تزلْ نواظرُها ترمي بيَ البعيدَ ، وتطالعُ الأعلامَ

وقد أخذتُ مِنْ أميرِ المؤمنينَ نصيباً اقتسمَهُ الإشفاقُ مِنْ سخطِهِ ، والمواظبةُ علىٰ موافقتِهِ ، فما بقيَ لنا بعدَ الإصابةِ أمرٌ تجولُ بهِ النفسُ وتطرفُ النواظرُ ، ولقد سرتُ بعينِ أميرِ المؤمنينَ سيرَ المُتثبّطِ لِمَنْ يتلوهُ ، المُتطاوِلِ لِمَنْ يقدمُهُ ، غيرَ مُنبتٍ مُوجِفٍ ، ولا مُتثاقلٍ مُجحِفٍ ، ففُتُّ الطالبَ ، ولحقتُ الهاربَ ، حتىٰ ثارَتِ السُّنَّةُ ، وبادَتِ البدعةُ ، وخسأَ الشيطانُ ، وحملَتِ الأديانُ إلى الجادَّةِ العظمىٰ والطَّريقةِ المثلىٰ

فهـٰأنذا يا أميرَ المؤمنينَ نُصبَ المسألةِ لِمَنْ رامَني ، وقد عقدتُ الحبوةَ ، وقرنتُ الوَظِيفَينِ لقائلٍ مُحتجٍ ، أو لائمٍ مُلتجٍ ، وأميرُ المؤمنينَ وليُّ المظلومِ ، ومعقلُ الخائفِ ، وستُظهِرُ لهُ المحنةُ نبأَ أمري ، ولكلِّ نبأٍ مُستقرٌّ ، وما حفنتُ يا أميرَ المؤمنينَ في أوعيةِ ثقيفٍ حتىٰ رَوِيَ الظمآنُ ، وبطنَ الغرثانُ ، وغَصَّتِ الأوعيةُ ، وانقدَّتِ الأوكيةُ في آلِ مروانَ ، فأخذَتْ ثقيفُ فضلاً صارَ لها ، لولاهُ لقطنَتِ السابلةُ(١)

ولقد كانَ ممَّا أنكرَهُ أميرُ المؤمنينَ مِنْ تحامِلِي ، وكانَ ممَّا لو لم يكنْ لعظمَ الخطبُ فوقَ ما كانَ ، وإنَّ أميرَ المؤمنينَ لرابعُ أربعةٍ ؛ أحدُهُمُ ابنةُ شعيبٍ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ؛ إذ رمتَ بالظنِّ [غرض] اليقينِ تَفرُّساً في النجيِّ المصطفىٰ بالرسالةِ ، فحقَّ لها فيهِ الرجاءُ ، وزالَتْ شبهةُ الشكِّ بالاختبارِ ، وقبلَها العزيزُ في يوسفَ ، ثمَّ الصِّدِّيقُ في الفاروقِ رحمةُ اللهِ عليهِما ، وأميرُ

(١) في « العقد الفريد » (٢٧/٥) (لولاهم للقطته السابلة)

المؤمنينَ في الحجّاجِ ، وما حسدَ الشيطانُ [يا أميرَ] المؤمنينَ خاملاً ، ولا شَرِقَ بغيرِ شجىً ، فكم غبطةٍ [يا أميرَ] المؤمنينَ الرجيمُ أدبرَ منها ولهُ عُواءٌ ، وقد قَلَّتْ حيلتُهُ ووهنَ كيدُهُ يومَ كيتَ وكيتَ ، ولا أظنُّ أذكرَ لها مِنْ أميرِ المؤمنينَ

ولقد سمعتُ لأميرِ المؤمنينَ في صالحٍ صلواتُ اللهِ عليهِ في ثقيفٍ مقالاً ، هجمَ بي الرجاءُ لعدلِهِ عليهِ بالحُجَّةِ في ردِّهِ بمُحكَمِ التنزيلِ ، علىٰ لسانِ ابنِ عمِّهِ خاتمِ النبيينَ وسيدِ المرسلينَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ؛ فقد أخبرَ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ بحكايةِ [عنِ] الملأ مِنْ قريشٍ عندَ الاختيارِ والافتخارِ وقد نفخَ الشيطانُ في مناخرِهِم ؛ قالوا لولا نُزِّلَ هـٰذا القرآنُ علىٰ رجلٍ مِنَ القريتَينِ عظيمٍ ، فوقعَ اختيارُهُم عندَ المباهاةِ بنفخةِ [الكفر] وكبرِ الجاهليةِ على الوليدِ بنِ المغيرةِ المخزوميِّ وأبي مسعودٍ الثقفيِّ ، فصارا في الافتخارِ بهِما صِنوَينِ ، ما أنكرَ اجتماعَهُما مِنَ الأُمَّةِ مُنكِرٌ في مدِّ صوتِ القرآنِ ومُبلِّغِ الوحيِ ، وإن كانَ لَيُقالُ للوليدِ في الأُمَّةِ يومَئذٍ ريحانةُ قريشٍ ، وما ردَّ ذٰلكَ العزيزُ تعالىٰ إلَّا بالرحمةِ الشاملةِ في القسمِ السابقِ ؛ فقالَ عزَّ وجلَّ ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١)

وما قَدَّمَتْني ـ يا أميرَ المؤمنينَ ـ ثقيفٌ في الاحتجاجِ لها ، وإنَّ لها مقالاً رحباً ، ومعاندةً قديمةً ، إلَّا أنَّ هـٰذا مِنْ أيسرِ ما يَحتجُّ بهِ العبدُ المُشفِقُ علىٰ سيّدِهِ المُغضَبِ ، والأمرُ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ ، عزلَ أم أقرَّ ، وكلاهُما عدلٌ مُتَّبعٌ ، وصوابٌ معتدلٌ ، والسلامُ عليكَ يا أميرَ المؤمنينَ ورحمةُ اللهِ

قالَ نباتةُ فأتيتُ على الكتابِ بمحضرِ أميرِ المؤمنينَ عبدِ الملكِ ، فلمَّا استوعبتُهُ سارقتُهُ النظرَ على الهيبةِ منهُ ، فصادفَ لحظي لحظَهُ ،

(١) سورة الزخرف (٣٢)

فقالَ اقطعْهُ ، ولا تُعلِمَنَّ بما كانَ أحداً ، فلمَّا ماتَ عبدُ الملكِ فشا عنِّي الخبرُ

إنَّكَ تنظرُ أيُّها الطالبُ مِنْ هٰذهِ الحكايةِ بلاغةً عاليةً ، وسياسةً محكمةً ، تَعرِفُ منها قدرَ ما كانَ عليهِ عبدُ الملكِ والحجَّاجُ ، وكيفَ كانَ عَلوُّ أمرِ الدولةِ [يومَ ذاكَ]

[كتابٌ آخرُ مِنْ أميرِ المؤمنينَ عبدِ الملكِ للحجاجِ معَ جوابِهِ]

وهٰذهِ حكايةٌ ثانيةٌ هيَ أوفقُ بالغرضِ مِنَ الأولىٰ ، تَشتمِلُ أيضاً علىٰ كتابٍ وجوابِهِ لهُما[١] ، وأمورٍ تستفيدُ بمعرفتِها زيادةَ مُكنةٍ ممَّا تحاولُ أن تصلَ إلىٰ معرفتِهِ ، والتحقُّقِ بما يَستبينُ لكَ مِنْ آدابِهِ

قالَ سعيدُ بنُ جويريةَ[٢] خرجَتْ خارجةٌ على الحجَّاجِ بنِ يوسفَ ، فأرسلَ إلىٰ أنسِ بنِ مالكٍ أن يخرجَ معَهُ ، فأبىٰ ، فكتبَ إليهِ يشتمُهُ ، فكتبَ أنسُ بنُ مالكٍ إلىٰ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ يشكوهُ ، وأدرجَ كتابَ الحجَّاجِ في جوفِ كتابِهِ

قالَ إسماعيلُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي المهاجرِ بعثَ إليَّ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ في ساعةٍ لم يكنْ يبعثُ إليَّ في مثلِها ، فدخلتُ عليهِ وهوَ أشدُّ ما كانَ حَنَقاً وغيظاً ، فقالَ يا إسماعيلُ ؛ ما أشدَّ عليَّ أن تقولَ الرعيةُ ضَعُفَ أميرُ المؤمنينَ وضاقَ ذرعُهُ في رجلٍ مِنْ أصحابِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ؛ لا يقبلُ لهُ حسنةً ، ولا يتجاوزُ لهُ عن سيئةٍ ، فقلتُ وما ذاكَ يا أميرَ المؤمنينَ ؟ قالَ أنسُ بنُ مالكٍ خادمُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ كتبَ إليَّ يذكرُ

---

(١) كذا في الأصل ، والمراد تشتمل علىٰ كتاب من الحجاج وأنس بن مالك رضي الله عنه إلىٰ عبد الملك ، وجوابه لهما ، كما يظهر من السياق

(٢) انظر « العقد الفريد » (٥/٣٦ ـ ٤١)

أنَّ الحجَّاجَ قد أضرَّ بهِ وأساءَ جوارَهُ ، وقد كتبتُ في ذٰلكَ كتابَينِ ؛ كتاباً إلىٰ أنسِ بنِ مالكٍ ، والآخَرَ إلى الحجَّاجِ ، فاقبضْهُما ثمَّ اخرجْ على البريدِ ، فإذا وردتَ العراقَ فابدَأْ بأنسِ بنِ مالكٍ فادفعْ لهُ كتابي ، وقل لهُ اشتدَّ علىٰ أميرِ المؤمنينَ ما كانَ مِنَ الحجَّاجِ إليكَ ، ولن يأتيَ إليكَ أمرٌ تَكرهُهُ إن شاءَ اللهُ ، ثمَّ ائْتِ الحجَّاجَ فادفعْ إليهِ كتابَهُ ، وقلْ لهُ قدِ اغتررتَ بأميرِ المؤمنينَ غرَّةً لا أظنُّهُ يخطئُكَ [شرُّها] ، ثمَّ افهمْ ما يَتكلَّمُ بهِ وما يكونُ منهُ حتىٰ تُفهِمَني إيَّاهُ إذا قدمتَ عليَّ إن شاءَ اللهُ

قالَ إسماعيلُ فقبضتُ الكتابَينِ ، وخرجتُ على البريدِ حتىٰ قدمتُ العراقَ ، فبدأتُ بأنسِ بنِ مالكٍ في منزلِهِ ، فدفعتُ إليهِ كتابَ أميرِ المؤمنينَ ، وأبلغتُهُ رسالتَهُ ، فدعا لهُ وجزاهُ خيراً ، فلمَّا فرغَ مِنْ قراءةِ الكتابِ قلتُ لهُ أبا حمزةَ ؛ إنَّ الحجَّاجَ عاملٌ ، ولو وُضِعَ لكَ في جامعةٍ . قدرَ أن يَضرَّكَ وينفعَكَ ، فأنا أريدُ أن تصالحَهُ ، قالَ ذٰلكَ إليكَ ، لا أخرجُ عن رأيِكَ

ثمَّ أتيتُ الحجَّاجَ ، فلمَّا رآني رَحَّبَ وقالَ واللهِ ؛ لقد كنتُ أحبُّ أن أراكَ في بلدي هٰذا ، قلتُ وأنا واللهِ قد كنتُ أحبُّ أن أراكَ وأقدمَ عليكَ بغيرِ ما أُرسلتُ بهِ إليكَ ، قالَ وما ذاكَ ؟ قلتُ فارقتُ الخليفةَ وهوَ أغضبُ الناسِ عليكَ ، قالَ ولمَ ؟ قالَ فدفعتُ إليهِ الكتابَ ، فجعلَ يَقرؤُهُ وجبينُهُ يَعرَقُ ، فمسحَهُ بيمينِهِ ، ثمَّ قالَ اركب بنا إلىٰ أنسِ بنِ مالكٍ ، قلتُ لهُ لا تفعلْ ؛ فإنِّي سأتلطَّفُ بهِ حتىٰ يكونَ هوَ الذي يأتيكَ ، وذٰلكَ للَّذي أشرتُ عليهِ مِنْ مصالحتِهِ

قالَ ففكَّ كتابَ أميرِ المؤمنينَ ، فإذا فيهِ بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ ، مِنْ عبدِ اللهِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ إلى الحجَّاجِ بنِ يوسفَ ، أمَّا بعدُ فإنَّكَ عبدٌ طمَتْ بكَ الأمورُ ، فطغيتَ وعلوتَ فيها حتىٰ جزتَ قدرَكَ ، وعدوتَ

طورَكَ ، وايمُ اللهِ يا بنَ المستفرمةِ بعَجَمِ زبيبِ الطائفِ ؛ لَأغمزَنَّكَ كبعضِ غمزاتِ الليوثِ للثعالبِ ، ولَأركُضَنَّكَ ركضةً تَدخلُ منها في وِجارِكَ

اذكرْ مكاسبَ آبائِكَ بالطَّائفِ ؛ إذ كانوا ينقلونَ الحجارةَ علىٰ أكتافِهِم ، ويحفرونَ الآبارَ في المناهلِ بأيديهِم ، فقد نسيتَ ما كنتَ عليهِ أنتَ وآباؤُكَ مِنَ الدَّناءةِ واللؤمِ والضَّراعةِ

وقد بلغَ أميرَ المؤمنينَ استطالةٌ منكَ علىٰ أنسِ بنِ مالكٍ خادمِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، جراءةً منكَ علىٰ أميرِ المؤمنينَ ، وغِرَّةً بمعرفةِ غِيَرِهِ [ونقماتِهِ] وسطواتِهِ علىٰ مَنْ خالفَ سبيلَهُ ، وعمدَ إلىٰ غيرِ محبَّتِهِ ، ونزلَ عندَ سخطتِهِ ، وأظنُّكَ أردتَ أن تَرُوزَهُ بها لتعلمَ ما عندَهُ مِنَ التغييرِ والتنكيرِ فيها ؛ فإن سُوِّغتَها مضيتَ قُدُماً ، وإن غصصتَ بها ولَّيتَ دبراً ، فعليكَ لعنةُ اللهِ مِنْ عبدٍ أخفشِ العينَينِ ، أصكِّ الرجلَينِ ، ممسوحِ الجاعرتَينِ

وايمُ اللهِ ؛ لو أنَّ أميرَ المؤمنينَ علمَ أنَّكَ اجترمتَ منهُ جُرماً ، وانتهكتَ لهُ عِرَضاً فيما كتبَ بهِ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ لَبعثَ إليكَ مَنْ يَسحبُكَ ظهراً لبطنٍ حتىٰ ينتهيَ بكَ إلىٰ أنسِ بنِ مالكٍ ، فيحكمَ فيكَ بما أحبَّ ، ولم يخفَ علىٰ أميرِ المؤمنينَ نبؤُكَ ، ولكلِّ نبأٍ مُستقرٌّ ، وسوفَ تعلمونَ

قالَ إسماعيلُ فانطلقتُ إلىٰ أنسٍ ، فلم أزلْ بهِ حتى انطلقَ معي إلى الحجَّاجِ ، فلمَّا دخلنا عليهِ . قالَ يغفرُ اللهُ لكَ أبا حمزةَ ، عجلتَ باللَّائمةِ ، وأغضبتَ علينا أميرَ المؤمنينَ ، ثمَّ أخذَ بيدِهِ فأجلسَهُ معَهُ على السريرِ ، فقالَ أنسٌ إنَّكَ تزعمُ أنَّا الأشرارُ ، واللهُ سمَّانا الأنصارَ ، وقلتَ إنَّا مِنْ أبخلِ الناسِ ، واللهُ يقولُ فينا ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[1] ،

---

(١) سورة الحشر (٩)

وزعمتَ أنَّا أهلُ نفاقٍ ، واللهُ تعالىٰ يقولُ فينا ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾ (١) ، فكانَ المخرجُ والمشتكىٰ في ذٰلكَ إلى اللهِ وإلىٰ أميرِ المؤمنينَ ، فتولَّىٰ مِنْ ذٰلكَ ما ولَّاهُ اللهُ ، وعرفَ مِنْ حقِّنا ما جهلتَ ، وحفظَ منَّا ما ضيَّعتَ ، وسيحكمُ في ذٰلكَ ربٌّ هوَ أرضىٰ للمُرضىٰ ، وأسخطُ للمسخطِ ، وأقدرُ على الغيرِ ؛ في يومٍ لا يشوبُ الحقَّ فيهِ الباطلُ ، ولا النورَ الظلمةُ ، ولا الهدى الضَّلالةُ ، واللهِ ؛ لو أنَّ اليهودَ أوِ النصارىٰ رأت مِنْ خدمِ موسى بنِ عمرانَ أو عيسى بنِ مريمَ يوماً واحداً لرأتْ لهُ ما لم ترَوا لي في خدمةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ عشرَ سنينَ

قالَ فاعتذرَ إليهِ الحجَّاجُ وترضَّاهُ حتىٰ قبلَ عذرَهُ ورضيَ عنهُ ، وكتبَ برضاهُ وقَبولِهِ عذرَهُ ، ولم يزلِ الحجَّاجُ لهُ مُعظِّماً هائباً حتىٰ هلكَ رضيَ اللهُ عنهُ

وكتبَ الحجَّاجُ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ ، أمَّا بعدُ أصلحَ اللهُ أميرَ المؤمنينَ وأبقاهُ وسَهَّلَ حظَّهُ وحاطَهُ ولا [عدمناهُ] ، فإنَّ إسماعيلَ بنَ أبي المهاجرِ رسولَ أميرِ المؤمنينَ أعزَّ اللهُ نصرَهُ ، قدمَ عليَّ بكتابِ أميرِ المؤمنينَ ـ أطالَ اللهُ بقاءَهُ ، وجعلَني مِنْ كلِّ مكروهٍ فداءَهُ ـ بذكرِ شتيمتي ، وتوبيخي بآبائي ، وتعييري بما كانَ قبلَ نزولِ النعمةِ بي مِنْ عندِ أميرِ المؤمنينَ أتمَّ اللهُ نعمتَهُ عليهِ وإحسانَهُ إليهِ ، ويُذكِّرُني أميرُ المؤمنينَ جعلَني اللهُ فداءَهُ استطالةً منِّي علىٰ أنسِ بنِ مالكٍ خادمِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، جراءةً [منِّي] علىٰ أميرِ المؤمنينَ ، وغرَّةً بمعرفةِ غيرِهِ ، ونقماتِهِ وسطواتِهِ علىٰ مَنْ خالفَ سبيلَهُ وعمدَ إلىٰ غيرِ

---

(١) سورة الحشر (٩)

محبَّتِهِ ، ونزلَ عندَ سخطتِهِ ، وأميرُ المؤمنينَ ـ أصلحَهُ اللهُ ـ مِنْ قرابتِهِ مِنْ محمَّدٍ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ إمامِ الهدىٰ وخاتمِ النبيينَ أحقُّ مَنْ أقالَ عثرتي ، وعفا عن ذنبي ، فأمهلَني ولم يعجلْني عندَ هفوتي ، لِلذي جُبِلَ عليهِ مِنْ كريمِ طبائعِهِ ، وما قَلَّدَهُ اللهُ مِنْ أمورِ عبادِهِ

فرأيُ أميرِ المؤمنينَ أصلحَهُ اللهُ في تسكينِ روعتي ، و [إفراجِ] كُربتي ؛ فقد مُلِئتُ رعباً وفَرَقاً مِنْ سطوتِهِ ، وفجأةِ نقمتِهِ ، وأميرُ المؤمنينَ ـ أقالَهُ اللهُ العثراتِ ، وتجاوزَ لهُ عنِ السيئاتِ ، وضاعفَ لهُ الحسناتِ ، وأعلىٰ لهُ الدرجاتِ ـ أحقُّ مَنْ صفحَ وعفا ، وتَغمَّدَ وأبقىٰ ، ولم يُشمِتْ فيَّ عدوّاً مكبّاً ، ولا حسوداً مصبّاً ، ولم يُجرّعْني غصصاً ، والذي وصفَ أميرُ المؤمنينَ مِنْ صنيعتِهِ إليَّ ، وتنويهِهِ لي بما أسندَ إليَّ مِنْ عملِهِ ، وأوطأني مِنْ رقابِ رعيَّتِهِ فصادقٌ فيهِ ، مجزيٌّ بالشكرِ عليهِ ، والتوسُّلُ منِّي إليهِ بالولايةِ ، والتقرُّبُ لهُ بالكفايةِ ، وقد عاينَ إسماعيلُ بنُ أبي المهاجرِ ـ رسولُ أميرِ المؤمنينَ وحاملُ كتابِهِ ـ مِنْ نزولي عندَ مَسرَّةِ أنسِ بنِ مالكٍ ، وخضوعي عندَ كتابِ أميرِ المؤمنينَ ، وإقلاقِهِ إيَّايَ ، ودخولِهِ بالمصيبةِ عليَّ ، ما سيعلمُهُ أميرُ المؤمنينَ (١)

فإن رأىٰ أميرُ المؤمنينَ ـ طَوَّقَني اللهُ بشكرِهِ ، وأعانَني علىٰ تأديةِ حقِّهِ ، وبَلَّغَني إلىٰ ما فيهِ موافقةُ مرضاتِهِ ، ومَدَّ لي في أجلِهِ ـ . أن يأمرَ لي بكتابٍ مِنْ رضاهُ وسلامةِ صدرِهِ ما يُؤمِّنُني بهِ مِنْ سفكِ دمي ، وبردِّ ما شردَ مِنْ نومي ، ويَطمئنُّ بهِ قلبي ؛ فقد وردَ عليَّ أمرٌ جليلٌ خطبُهُ ، عظيمٌ أمرُهُ ، شديدٌ عليَّ كربُهُ ، أسألُ اللهَ ألَّا يُسخِطَ أميرَ المؤمنينَ ، وأن يثبتَهُ في حزمِهِ وعزمِهِ ، وسياستِهِ وفراستِهِ ، ومواليهِ وحشمِهِ ، وعُمَّالِهِ وصنائعِهِ ؛ ممَّا يُحمَدُ بهِ حسنُ

(١) في « العقد الفريد » (٥/٤٠) (ودخوله [عليَّ] بالمصيبة ، علىٰ ما سيعلمه أمير المؤمنين وينهيه إليه)

رأيِهِ ، وبُعْدُ هِمَّتِهِ ؛ إنَّهُ وليُّ أميرِ المؤمنينَ ، والذابُّ عن سلطانِهِ ، والصَّانعُ لهُ في أمرِهِ ، والسلامُ

فحَدَّثَ إسماعيلُ أنَّهُ لمَّا قرأَ أميرُ المؤمنينَ الكتابَ قالَ يا كاتبُ ؛ أفرخْ روعَ أبي محمدٍ ، فكتبَ إليهِ بالرضا عنهُ



إنَّكَ تعلمُ أيُّها الطالبُ مِنْ كتابِ عبدِ الملكِ هٰذا وجوابِهِ للحجَّاجِ والي العراقِ مِنْ قِبَلِهِ أنَّ القومَ كانوا يستجيزونَ العقوبةَ بالشتمِ والإفحاشِ في السبِّ واللعنِ عندَ عِظَمِ الجنايةِ ، وكيفَ يَتملَّقُ الضَّعيفُ للقويِّ ، ويَحتمِلُ ما يَرِدُ عليهِ منهُ ، ويَتلقَّاهُ بالرضا والتسليمِ ، وقولُ عبدِ الملكِ (يا بن المستفرمةِ بعَجَمِ زبيبِ الطائفِ) من الإفحاشِ في السبِّ ؛ فإنَّ الاستفرامَ هوَ أن تأخذَ المرأةُ شيئاً مِنَ الأمورِ الحرّيفةِ كالشبِّ والعفصِ وبزرِ العنبِ الذي هوَ العَجَمُ ، فتجعلَهُ في خرقةٍ ، وتضعَهُ في فرجِها ؛ لينكمشَ فيضيقَ

وفي قولِ عبدِ الملكِ صدرَ كلامِهِ (لا يُقبَلُ لهُ حسنةٌ ، ولا يُتجاوزُ لهُ عن سيئةٍ) إشارةٌ إلىٰ وصيَّةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بالأنصارِ لِمَنْ يَتولَّى الأمرَ بعدَهُ ؛ أن يقبلَ مِنْ محسنِهِم ، ويَتجاوزَ عن مسيئِهِم [1] ، وبهٰذهِ الوصيةِ احتجَّ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ على الأنصارِ في أنَّهُ لا حقَّ لهُم في الخلافةِ ، حيثُ كانوا موصىً بهِم ، فالوالي إذاً يكونُ مِنْ غيرِهِم ، فقبلوا ذٰلكَ منهُ ، وانكفُّوا عن طلبِ الخلافةِ بعد مَا كانَ مِنَ الحبابِ بنِ المنذرِ يومَ السقيفةِ ؛ إذ يقولُ حالَ المشورةِ : (أنا جُذَيلُها المُحكَّكُ ، وعُذَيقُها المُرَجَّبُ ؛ منَّا أميرٌ ومنكُم أميرٌ) [2] رضيَ اللهُ عنِ الجميعِ

---

(١) أخرجه البخاري (٩٢٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، ومسلم (٢٥١٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٣٠)

[كتابٌ مِنْ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ للحجاجِ معَ جوابِهِ]

وهٰذهِ حكايةٌ ثالثةٌ تَشتمِلُ علىٰ كتابٍ مِنْ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ أيامَ ولايةِ أخيهِ الوليدِ إلى الحجَّاجِ ، وجوابِهِ مِنَ الحجَّاجِ إليهِ[1] قالوا كانَ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ يكتبُ إلى الحجَّاجِ في أيامِ أخيهِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ كُتُباً ، فلا ينظرُ لهُ فيها ، فكتبَ

بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ ، مِنْ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ إلى الحجَّاجِ بنِ يوسفَ ، سلامٌ علىٰ أهلِ الطَّاعةِ مِنْ عبادِ اللهِ

أمَّا بعدُ فإنَّكَ امرؤٌ مهتوكٌ عنهُ حجابُ الحقِّ ، مُولَعٌ بما عليكَ لا لكَ ، مُنصرِفٌ عن منافعِكَ ، تاركٌ لحظِّكَ ، مُستخِفٌّ بحقِّ اللهِ وحقِّ أوليائِهِ ، لا ما سلفَ إليكَ مِنْ خيرٍ يعطفُكَ ، ولا ما عليكَ لا لكَ تصرفُهُ في مُهمَّةٍ مِنْ أمرِك ، معموهٌ معصوصٌ عنِ الحقِّ اعصيصاءً ، لا تسكتُ عن قبيحٍ ، ولا ترعوي عن إساءةٍ ، ولا ترجو للهِ وقاراً ؛ حتىٰ دعيتَ فاحشاً سبَّاباً ، فقسْ شبرَكَ بفترِكَ

وايمُ اللهِ ؛ لئن أمكنَني اللهُ منكَ . لأَدوسَنَّكَ دَوسةً تلينُ منها فرائصُكَ ، ولأجعلَنَّكَ شريداً في الجبالِ تلوذُ بأطرافِ الشمالِ ، ولَأُعلِّقَنَّ الروميةَ الحمراءَ بثدَييها ، علمَ اللهُ ذٰلكَ منِّي ، فقِدْماً غرَّتْكَ العافيةُ ، وانتحيتَ أعراض الرجالِ ، فإنَّكَ قدرتَ فبذختَ ، وظفرتَ فتعدَّيتَ ، فرويدَكَ حتىٰ تنظرَ كيفَ يكونُ مصيرُكَ إن كانَتْ بي وبكَ مُدَّةٌ أَتعلَّقُ بها ، وإن تكُ الأخرىٰ فأرجو أن تؤولَ إلىٰ مَذلَّةٍ ذليلةٍ ، وخزيةٍ طويلةٍ ، ويُجعَلَ مصيرُكَ في الآخرةِ شرَّ مصيرٍ ، والسلامُ

فكتبَ إليهِ الحجَّاجُ بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ ، مِنَ الحجَّاجِ بنِ يوسفَ إلىٰ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ ، سلامٌ علىٰ مَنِ اتَّبع الهدىٰ

---

(١) انظر « العقد الفريد » (٥/٤١ ـ ٤٣)

أمّا بعدُ فإنَّكَ كتبتَ إليَّ تذكرُ أنِّي امرؤٌ مهتوكٌ عنِّي حجابُ الحقِّ ، مُولَعٌ بما عليَّ لا لي ، مُنصرِفٌ عن منافعي ، تاركٌ لحظِّي ، مُستخِفٌّ بحقِّ اللهِ وحقِّ وليِّ الحقِّ ، وتذكرُ أنَّكَ ذو مصاولةٍ

ولَعمري ؛ إنَّكَ لصبيٌّ حديثُ السنِّ ، تُعذَرُ بقلَّةِ عقلِكَ ، وحداثةِ سنِّكَ ، ويرقبُ فيكَ غيرُكَ ، فأمَّا كتابُكَ إليَّ فلعمري ؛ لقد ضَعُفَ فيهِ عقلُكَ ، واستخفَّ به حلمُكَ ، فللهِ أبوكَ ، أفلا انتصرتَ بقضاءِ اللهِ دونَ قضائِكَ ، ورجاءِ اللهِ دونَ رجائِكَ ، وأمتَّ غيظَكَ ، وأنمتَ عدوَّكَ ، وسترتَ عنهُ تدبيرَكَ ، ولم تُنبِّهْهُ فيلتمسَ مِنْ مكايدتِكَ ما تلتمسُ مِنْ مكايدتِهِ ؟! ولٰكنَّكَ لم تشفِ بالأمورِ علماً ، ولم تُرزَقْ مِنْ أمرِكَ حزماً ، جمعتَ أموراً دلَّاكَ فيها الشيطانُ علىٰ أسوأ أمرِكَ ، فكانَ الجفاءُ مِنْ خليقتِكَ ، والحمقُ مِنْ طبيعتِكَ ، وأقبلَ الشيطانُ بكَ وأدبرَ ، وحَدَّثَكَ أنَّكَ لن تكونَ كاملاً حتىٰ تَتعاطىٰ ما يعيبُكَ ، فتزحلقَتْ صخرتُكَ لقولِهِ[1] ، واتسعَتْ جوانبُها لكذبِهِ

وأمَّا قولُكَ (لو مَلَّكَكَ اللهُ لَعلَّقتَ زينبَ بنةَ يوسفَ بثدَييها) فأرجو أن يكرمَها اللهُ بهوانِكَ ، وألَّا يُوفِّقَ ذٰلكَ لكَ إن كانَ ذٰلكَ مِنْ رأيِكَ ، معَ أنِّي أعرفُ أنَّكَ كتبتَ إليَّ والشيطانُ بينَ كتفَيكَ ، فشرُّ مُمْلٍ علىٰ شرِّ كاتبٍ راضٍ بالخسفِ ، فأحرىٰ بالحمقِ ألَّا يَدلَّكَ علىٰ هدىً ، ولا يَرُدَّكَ إلَّا إلىٰ ردىً ، ومالَ بكَ الأملُ ، وتَحلَّبَ فوكَ للخلافةِ ، فأنتَ شامخُ البصرِ ، طامحُ النظرِ ، تَظنُّ أنَّكَ حينَ تملكُها لا تنقطعُ عنكَ مُدَّتُها ؟! إنَّها لنعمةُ اللهِ ، أسألُ اللهَ أن يلهمَكَ فيها الشكرَ ، معَ أنِّي أرجو أن ترغبَ فيما رغبَ فيهِ أبوكَ وأخوكَ ، فأكونَ لكَ مثلي لهما ، وإن نفخَ الشيطانُ في منخرِكَ فهوَ أمرٌ أرادَ اللهُ نزعَهُ عنكَ ، وإخراجَهُ إلىٰ مَنْ هوَ أكملُ بهِ منكَ ، ولَعمري ؛

---

(١) في « العقد الفريد » (٥/٤٢) (فتحذلقت حنجرتك لقوله)

إنَّها النصيحةُ ، فإن تقبلْها فمثلُها قُبِلَ ، وإن تَردَّها عليَّ اقتطعتُها دونَكَ ، وأنا الحجاجُ



زينبُ بنةُ يوسفَ أختُ الحجَّاجِ ، هيَ التي أرادَها سليمانُ بقولِهِ (الروميةَ الحمراءَ) يشتمُها بذلكَ ، وقولُ الحجَّاجِ (تَحلَّبَ فوكَ للخلافةِ) كقولِ الناسِ (سالَ لعابُهُ لكذا ، وجرىٰ ريقُهُ)

في هٰذهِ القصَّةِ ظهرَتْ مِنْ سليمانَ جهالاتٌ

منها ما قالَهُ الحجَّاجُ في كتابِهِ مِنْ تنبيهِ عدوِّهِ لِمَا أضمرَ لهُ ، فإمَّا أن يلتمسَ لهُ المكايدَ ، وإمَّا أن يَحترِسَ منهُ حتىٰ لا يبلغَ فيهِ مرامَهُ

ومنها تَوعُّدُهُ أوانَ عجزِهِ بمنتظرِ قدرةٍ تكونُ أو لا تكونُ

ومنها تَعرُّضُهُ لتحرُّكِ غيرةِ السلطانِ القائمِ وسوءِ ظنِّهِ بهِ ، وربَّما كانَ ذٰلكَ سبباً لإيقاعِهِ بهِ وذهابِهِ بنفسِهِ ، فقد قيلَ المُلْكُ عقيمٌ ؛ يعني أنَّهُ ربَّما دعا الملكَ بحادثةٍ مِنَ الحوادثِ إلىٰ أن يقتلَ ابنَهُ أو أخاهُ

ومنها قرنُهُ نفسَهُ علىٰ صغرِ سنِّهِ برجلٍ نكرةٍ داهيةٍ تَصرَّفَتْ بهِ الأحوالُ ، ومرَّتْ علىٰ رأسِهِ حوادثُ الأيامِ ، حتىٰ عرفَ وجوهَ المنافعِ والمَضارِّ

وَٱبْنُ ٱللَّبُونِ إِذَا مَا لُزَّ فِي قَرَنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ ٱلْبُزْلِ ٱلْقَنَاعِيسِ (١)



---

(١) من البسيط

[تقسيمُ ابنِ خلدونَ الإنشاءَ إلىٰ طبقاتٍ]

هٰذهِ صورةُ ما كانَتْ عليهِ الكتابةُ في الطَّبقةِ الأُولىٰ ، لا ترىٰ في الكتابةِ زيادةً عنِ المقصودِ ، وعنايةُ صاحبِهِ إنَّما هيَ إيفاءُ تأديةِ المرادِ

ومثلُ هٰذهِ الكتابةِ هوَ الذي أرادَ ابنُ خلدونَ بالمرسلِ مِنْ قسمَيِ الكتابةِ ، ومدحَهُ وعابَ غيرَهُ ، وهٰذا هوَ الفصلُ الذي أبانَ فيهِ ذٰلكَ ؛ قالَ (اعلمْ أنَّ لسانَ العربِ وكلامَهُم علىٰ فنَّينِ

الشعرُ المنظومُ : وهوَ الكلامُ الموزونُ المُقفَّىٰ ؛ ومعناهُ الذي تكونُ أوزانُهُ كلُّها علىٰ رويٍّ واحدٍ ؛ وهوَ القافيةُ

والنثرُ وهوَ الكلامُ غيرُ الموزونِ

وكلُّ واحدٍ مِنَ الفنَّينِ يَشتمِلُ علىٰ فنونٍ ومذاهبَ في الكلامِ

فأمَّا الشعرُ فمنهُ المدحُ ، والهجاءُ ، والرثاءُ

وأمَّا النثرُ فمنهُ السَّجعُ الذي يُؤتىٰ بهِ قطعاً ، ويُلتزَمُ في كلِّ كلمتَينِ منهُ قافيةٌ واحدةٌ ، ومنهُ المُرسَلُ ؛ وهوَ الذي يُطلَقُ فيهِ الكلامُ إطلاقاً ، ولا يُقطَّعُ أجزاءً ، بل يُرسَلُ إرسالاً مِنْ غيرِ تقييدٍ بقافيةٍ ، ويُستعمَلُ في الخُطَبِ والدعاءِ ، وترغيبِ الجمهورِ وترهيبِهِم

وأمَّا القرآنُ وإن كانَ مِنَ المنثورِ إلَّا أنَّهُ خارجٌ عنِ الوصفَينِ ، وليسَ يُسمَّىٰ مرسلاً مطلقاً ، ولا مسجعاً ، بل مُفصَّلٌ بآياتٍ ينتهي إلىٰ مقاطعَ يشهدُ الذَّوقُ بانتهاءِ الكلامِ عندَها ، ثمَّ يُعادُ الكلامُ في الآيةِ الأخرىٰ بعدَها ويُثنَّىٰ مِنْ غيرِ التزامِ حرفٍ يكونُ سجعاً ولا قافيةً ؛ وهوَ معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ

أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾[1] ، وقالَ ﴿ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾[2] ، ويُسمَّىٰ أواخرُ الآياتِ منها فواصلَ ؛ إذ ليسَتْ أسجاعاً ، ولا التُزِمَ فيها ما يُلتزَمُ في السجعِ ، ولا هيَ أيضاً قوافٍ

وأُطلِقَ اسمُ المثانِي علىٰ آياتِ القرآنِ كلِّها على العمومِ لِمَا ذكرناهُ ، واختصَّتْ بأُمِّ القرآنِ للغلبةِ فيها ؛ كالنجمِ للثريَّا ، ولهـٰذا سُمِّيَتِ السبعَ المثانيَ ، وانظر هـٰذا معَ ما قالَهُ المُفسِّرونَ في تعليلِ تسميتِها بالمثاني يشهدْ لكَ الحقُّ برجحانِ ما قلناهُ

واعلمْ أنَّ لكلِّ واحدٍ مِنْ هـٰذه الفنونِ أساليبَ تَخْتَصُّ بهِ عندَ أهلِهِ ، ولا تصلحُ للفنِّ الآخرِ ولا تستعملُ فيهِ ؛ مثلُ النسيبِ المختصِّ بالشعرِ ، والحمدِ والدعاءِ المختصِّ بالخطبِ ، والدعاءِ المختصِّ بالمخاطباتِ ، وأمثالُ ذٰلكَ

وقدِ [استعملَ] المُتأخِّرونَ أساليبَ الشعرِ وموازينَهُ في المنثورِ ؛ مِنْ كثرةِ الأسجاعِ ، والتزامِ التقفيةِ ، وتقديمِ النسيبِ بينَ يدَيِ الأغراضِ ، وصارَ هـٰذا المنثورُ ـ إذا تأمَّلتَهُ ـ مِنْ بابِ الشعرِ وفنِّهِ ، ولم يفترقا إلَّا في الوزنِ ، واستمرَّ المُتأخِّرونَ مِنَ الكُتَّابِ علىٰ هـٰذهِ الطريقةِ ، واستعملوها في المُخاطَباتِ السُّلطانيةِ ، وقصروا الاستعمالَ في المنثورِ كلِّهِ علىٰ هـٰذا الفنِّ الذي ارتضَوهُ ، وخلطوا الأساليبَ فيهِ ، وهجروا المرسلَ [وتناسَوهُ] ، وخصوصاً أهلَ المشرقِ ، وصارَتِ المُخاطباتُ السُّلطانيَّةُ لهـٰذا العهدِ عندَ الكُتَّابِ الغفلِ جاريةً علىٰ هـٰذا الأسلوبِ الذي أشرنا إليهِ ، وهوَ غيرُ صوابٍ مِنْ جهةِ البلاغةِ ؛ لِمَا يُلاحَظُ في تطبيقِ الكلامِ علىٰ مقتضى الحالِ مِنْ أحوالِ المُخاطِبِ والمُخاطَبِ

وهـٰذا الفنُّ المنثورُ المُقفَّىٰ أدخلَ المُتأخِّرونَ فيهِ أساليبَ الشعرِ ، فوجبَ

---

(١) سورة الزمر (٢٣)

(٢) سورة الأنعام (٩٧)

أن تُنزَّهَ المُخاطَباتُ السُّلطانيةُ عنهُ ، والمحمودُ في المُخاطَباتِ السلطانيةِ الترسُّلُ ؛ وهوَ إطلاقُ الكلامِ وإرسالُهُ مِنْ غيرِ تسجيعٍ إلَّا في الأقلِّ النادرِ ، وحيثُ ترسلُهُ المَلَكةُ إرسالاً مِنْ غيرِ تكلُّفٍ لهُ ، ثُمَّ إعطاءُ الكلامِ حقَّهُ في مطابقتِهِ لمقتضى الحالِ ؛ فإنَّ المَقاماتِ مختلفةٌ ، ولكلِّ مَقامٍ أسلوبٌ يَخُصُّهُ ؛ مِنْ إطنابٍ ، أو إيجازٍ ، أو حذفٍ ، أو إثباتٍ ، أو تصريحٍ ، أو إشارةٍ وكنايةٍ واستعارةٍ

وأمَّا إجراءُ المُخاطَباتِ السُّلطانيةِ علىٰ هٰذا النحوِ الذي هوَ أساليبُ الشعرِ فمذمومٌ ، وما حملَ عليهِ أهلَ العصرِ إلَّا استيلاءُ العجمةِ علىٰ ألسنتِهِم ، وقصورُهُم لذٰلكَ عن إعطاءِ الكلامِ حَقَّهُ في مطابقتِهِ لمقتضى الحالِ ، فعَجَزوا عنِ الكلامِ المرسلِ ؛ لبعدِ أمدِهِ في البلاغةِ ، وانفساخِ خطوِهِ[١] ، وولعوا بهٰذا السجعِ يُلفِّقونَ بهِ ما نقصَهُم مِنْ تطبيقِ الكلامِ على المقصودِ ومقتضى الحالِ فيهِ ، ويجبرونَهُ بذٰلكَ القدرِ مِنَ التزيينِ بالأسجاعِ والألقابِ البديعيةِ ، ويغفلونَ عمَّا سوىٰ ذٰلكَ

وأكثرُ مَنْ أخذَ بهٰذا الفنِّ وبالغَ فيهِ في سائرِ أنحاءِ كلامِهِم كُتَّابُ المشرقِ وشعراؤُهُ لهٰذا العهدِ ، حتىٰ إنَّهُم لَيُخِلُّونَ بالإعرابِ في الكلماتِ والتصريفِ إذا دخلَتْ لهُم في تجنيسٍ أو مطابقةٍ لا يجتمعانِ معَهُما ، فيُرجِّحونَ ذٰلكَ الصنفَ مِنَ التجنيسِ ، ويَدَعونَ الإعرابَ ، ويفسدونَ بُنيةَ الكلمةِ ؛ عساها تصادفُ التجنيسَ)[٢]

[تقسيمُ طبقاتِ الإنشاءِ إلىٰ ثلاثٍ]

فتأمَّلْ ذٰلكَ بما قدَّمناهُ لكَ تَقِفْ علىٰ صحَّةِ ما ذكرناهُ ، فإذا قرأتَ

---

(١) في « مقدمة ابن خلدون » (وانفساح خطوبه)

(٢) انظر « مقدمة ابن خلدون » (ص ٥٦٦ ـ ٥٦٨)

هٰذا الفصلَ مِنْ كلامِ ابنِ خلدونَ علمتَ أنَّهُ قد حصلَ في الإنشاءِ تغيُّراتٌ تقتضي التقسيمَ إلىٰ طبقاتٍ كما كانَ في الشعرِ ، وبالاستقراءِ وتشابهِ الكيفيةِ وتقاربِها في كلِّ عصرٍ **تجدُ أنَّها ثلاثُ طبقاتٍ كطبقاتِ الشُّعراءِ**

فأوَّلاها الأُمَّةُ العربيةُ التي انتهتْ بانتهاءِ دولةِ بني أميةَ ؛ فإنَّ عبدَ الحميدِ بنَ يحيىٰ كاتبَ مروانَ آخِرَ ملوكِهِم **يُعَدُّ فاتحاً للطبقةِ الثانيةِ** ؛ حيثُ أطالَ النفسَ في الكلامِ ، وفسحَ في العباراتِ ، وزادَ عنِ المقاصدِ زيادةً تُخرجُ الكلامَ عن حدِّ الإفادةِ ، وتُدخِلُهُ في كونِهِ أداءَ رسمٍ ، وإقامةَ شعيرةٍ مِنْ شعائرِ الملكِ ؛ فإنَّهُ يحتاجُ لإجراءِ ما تَضمَّنَهُ إلىٰ تلخيصٍ وتفتيشٍ عنِ المقصودِ ؛ بحيثُ إذا وردَ الكتابُ علىٰ مأمورٍ بأمرٍ ينفذُهُ قالَ لكاتبِهِ خذْ هٰذا الكتابَ ، واقرأْهُ وتأمَّلْ ما فيهِ ، واستخرجْ لي غرضَهُ ، وخُذْ لي مآلَهُ ، فيَتعَبُ الكاتبُ في ذٰلكَ حتىٰ يُلخِّص عبارةً صغيرةً تَتضمَّنُ المقصودَ ، فتكونَ هيَ روحَ الكتابِ والمُعوَّلَ عليهِ فيهِ ، ويكونَ الباقي بمنزلةِ اللغوِ

وإنَّنا لم نجدْ كثرةَ الكلامِ وإطالةَ [الكتب] إلَّا عندَ انتهاءِ الدولةِ وإشرافِها على الزوالِ ، تجدُ ذٰلكَ في كلِّ عصرٍ ، بخلافِ الحالِ في أوائلِ الدُّوَلِ وحينَ قُوَّتِها ، وكأنَّ كثرةَ الأشغالِ بمُهِمَّاتِ الأمورِ إذ ذاكَ لا تَدَعُ موضعاً لكثرةِ الأقوالِ ، يَدُلُّكَ علىٰ ذٰلكَ ما نُقِلَ عن جعفرِ بنِ يحيىٰ مِنْ قولِهِ لكُتَّابِهِ **إنِ استطعتُم أن تجعلوا كتبَكُم كلَّها توقيعاتٍ فافعلوا**[1]

والتوقيعُ هوَ ما يكتبُهُ الكاتبُ عنِ السُّلطانِ فمَنْ دونَهُ مِنْ أُولي الأمرِ في أواخرِ الكتبِ بما يريدُ المكتوبُ عنهُ إجراءَهُ ؛ وذٰلكَ يكونُ بعباراتٍ صغيرةٍ وافيةٍ بالغرضِ ، مُتمكِّنةٍ في بابِ البلاغةِ ، فقد كانَ الناسُ يطلبونَ توقيعاتِ

(١) انظر « أدب الكُتَّاب » للصولي (ص ١٣٤)

جعفرِ بنِ يحيىٰ ، ويتنافسونَ في الحصولِ عليها ، حتىٰ قيلَ إنَّ الورقةَ مِنْ كتبِهِ ربَّما اشتُرِيَتْ بدينارٍ

وأمَّا عندَ انتهاءِ الدولةِ فإنَّ الأمورَ تكونُ قد تَمهَّدَتْ ، والأحوالَ قدِ اطمأنَّتْ ، وأقبلَ العظماءُ والرؤساءُ على استعمالِ اللَّذَّاتِ ، والمُضيِّ معَ الشهواتِ ، وتسييرِ الأعمالِ على الترتيبِ والتمهيدِ الذي تعبَ فيهِ أوائلُ تلكَ الدولةِ ، وحينَئذٍ تكونُ أوقاتُهُم فارغةً ، يجدُ المُقالُ لهُ فيها مجالاً فيتَّسِعُ ، وتَطولُ الكتبُ إلىٰ ذٰلكَ الحدِّ المذمومِ الذي وقعَتِ الإشارةُ إليهِ والتصريحُ بهِ مِن ابنِ خلدونَ ومَنْ تكلَّمَ مثلَ كلامِهِ ؛ فقد قيلَ إنَّ عبدَ الحميدِ بنَ يحيىٰ كتبَ عن سلطانِهِ كُتُباً جاءَتْ وقرَ بعيرٍ ، ولٰكنْ لم يبقَ مِنْ كلامِهِ شيءٌ يَتناقلُهُ الناسُ ؛ لانمحاءِ دولتِهِ ، وذهابِ آثارِها ، وخمودِ ذكرِها ؛ إمَّا لمحبةِ الدولةِ القائمةِ ، أوِ الخوفِ منها والتملُّقِ لها ، كما هوَ الحالُ في كلِّ دولةٍ تذهبُ بقيامِ غيرِها

[وصيةُ عبدِ الحميدِ بنِ يحيىٰ للكُتَّابِ بمحاسنِ الآدابِ]

إلَّا أنَّهُ قد بقيَ مِنْ كلامِ عبدِ الحميدِ هٰذا كتابٌ أوصىٰ فيهِ الكُتَّابَ بمحاسنِ الآدابِ ؛ وهوَ مُشتمِلٌ علىٰ أدبٍ لا يَخُصُّ الكُتَّابَ ، وهٰذهِ صورتُهُ(١)

أمَّا بعدُ : حفظَكُم اللهُ يا أهلَ صناعةِ الكتابةِ ، وحاطَكُم ووَفَّقَكُم وأرشدَكُم ؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جعلَ الناسَ بعدَ الأنبياءِ والمرسلينَ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم أجمعينَ ومِنْ بعدِ الملوكِ المكرمينَ أصنافاً ، وإن كانوا في الحقيقةِ سواءً ، وصَرَّفَهُم في صنوفِ الصِّناعاتِ وضروبِ المحاولاتِ إلىٰ أسبابِ معاشِهِم وأبوابِ أرزاقِهِم ، فجعلَكُم معشرَ الكُتَّابِ في أشرفِ الجهاتِ ؛ أهلِ

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (١/٨٥ ـ ٨٩)

الأدبِ والمروءاتِ ، والعلمِ والرزانةِ ، بكم تنتظمُ للخلافةِ محاسنُها ، وتستقيمُ أمورُها ، وبنصحائِكم يُصلِحُ اللهُ للخلقِ سلطانَهُم ، وتَعمُرُ بلدانُهم ، لا يستغني الملكُ عنكم ، ولا يُوجَدُ كافٍ إلَّا منكُم ، فموقعُكُم مِنَ الملوكِ موقعُ أسماعِهِمُ التي بها يسمعونَ ، وأبصارِهِمُ التي بها يبصرونَ ، وألسنتِهِمُ التي بها ينطقونَ ، وأيديهِمُ التي بها يَبطِشونَ ، فأمتعكَمُ اللهُ بما خَصَّكُم مِنْ فضلِ صناعتِكُم ، ولا نزعَ عنكُم ما أضفاهُ مِنَ النعمةِ عليكُم

وليسَ أحدٌ مِنْ أهلِ الصناعاتِ كلِّها أحوجَ إلى اجتماعِ خلالِ الخيرِ المحمودةِ وخصالِ الفضلِ المذكورةِ المعدودةِ منكُم أيُّهَا الكُتَّابُ ؛ إذا كنتُم علىٰ ما يأتي في هـٰذا الكتابِ مِنْ صفتِكُم ؛ فإنَّ الكاتبَ يحتاجُ في نفسِهِ ، ويحتاجُ منهُ صاحبُهُ الذي يثقُ بهِ في مُهِمَّاتِ أمورِهِ أن يكونَ حليماً في موضعِ الحلمِ ، فهيماً في موضعِ الحُكْمِ ، مِقداماً في موضعِ الإقدامِ ، مِحجاماً في موضعِ الإحجامِ ، مُؤثِراً للعفافِ والعدلِ والإنصافِ ، كَتوماً للأسرارِ ، وفيّاً عندَ الشدائدِ ، عالماً بما يأتي مِنَ النوازلِ ، يضعُ الأمورَ مواضعَها ، والطَّوارقَ في أماكنِها ، قد نظرَ في كلِّ فنٍّ مِنْ فنونِ العلمِ فأحكمَهُ وإن لم يُحكِمْهُ أخذَ منهُ بمِقدارِ ما يكتفي بهِ ، يَعرِفُ بغريزةِ عقلِهِ ، وحسنِ أدبِهِ ، وفضلِ تجربتِهِ ما يَرِدُ عليهِ قبلَ ورودِهِ ، وعاقبةَ ما يَصدُرُ عنهُ قبلَ صدورِهِ ، فيُعِدُّ لكلِّ أمرٍ عدَّتَهُ وعتادَهُ ، ويُهيِّئُ لكلِّ وجهٍ هيئتَهُ وعادتَهُ

فتنافسوا يا معشرَ الكُتَّابِ في صنوفِ الآدابِ ، [وتَفقَّهوا] في الدينِ ، وابدؤوا بعلمِ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ والفرائضِ ، ثمَّ العربيةِ ؛ فإنَّها [ثقافُ] ألسنتِكُم ، ثمَّ أجيدوا الخطَّ ؛ فإنَّهُ حليةُ كتبِكُم ، وارؤوا الأشعارَ ، واعرفوا غريبَها ومعانيَها ، وأيامَ العربِ والعجمِ ، وأحاديثَها وسيرَها ؛ فإنَّ ذٰلكَ مُعِينٌ لكُم علىٰ ما تسمُو إليهِ هممُكُم ، ولا تُضيِّعوا النظرَ في الحسابِ ؛ فإنَّهُ قوامُ

كُتَّابِ الخراجِ ، وارغبوا بأنفسِكُم عنِ المطامعِ ، سَنيِّها ودَنيِّها ، وسَفسافِ الأمورِ ومَحاقرِها ؛ فإنَّها مذلَّةٌ للرقابِ ، مفسدةٌ للكُتَّابِ ، ونزِّهوا صناعتَكُم عنِ الدناءةِ ، واربؤوا بأنفسِكُم عنِ السِّعايةِ والنميمةِ وما فيهِ أهلُ الجهالاتِ ، وإياكُم والكبرَ والسخفَ والعظمةَ ؛ فإنَّها عداوةٌ مجتلبةٌ مِنْ غيرِ إحنةٍ ، وتحابُّوا في اللهِ عزَّ وجلَّ في صناعتِكُم وتواصُوا عليها بالذي هوَ أليقُ لأهلِ الفضلِ والعدلِ والنبلِ مِنْ سلفِكُم

وإن نبا الزمانُ برجلٍ منكُم . فاعطفوا عليهِ ، وواسوهُ حتىٰ يرجعَ إليهِ حالُهُ ، ويثوبَ إليهِ أمرُهُ ، وإن أقعدَ أحداً منكُمُ الكبرُ عن مكسبِهِ ولقاءِ إخوانِهِ فزوروهُ وعظِّموهُ وشاوروهُ ، واستظهروا بفضلِ تجربتِهِ وقديمِ معرفتِهِ ، وليكنِ الرجلُ منكُم علىٰ مَنِ اصطنعَهُ واستظهرَ بهِ ليومِ حاجتِهِ إليهِ أحوطَ منهُ علىٰ ولدِهِ وأخيهِ ؛ فإن عرضَتْ في الشغلِ محمدةٌ فلا يَصرِفْها إلَّا إلىٰ صاحبِهِ ، وإن عرضَتْ مَذمَّةٌ . فليحملْها هوَ مِنْ دونِهِ ، وليحذرِ السقطةَ والزلَّةَ والمَلَلَ عندَ تغيُّرِ الحالِ ؛ فإنَّ العيبَ إليكُم ـ مَعشرَ الكُتَّابِ ـ أسرعُ منهُ إلى الفِرَاءِ ، وهوَ لكم أفسدُ منهُ لها

فقد علمتُم أنَّ الرجلَ منكُم إذا صحبَهُ مَنْ يَبذُلُ لهُ مِنْ نفسِهِ ما يجبُ لهُ عليهِ من حقِّهِ فواجبٌ عليهِ أن يعتقدَ لهُ مِنْ وفائِهِ وشكرِهِ واحتمالِهِ ونصيحتِهِ وكتمانِ سِرِّهِ وتدبيرِ أمرِهِ ما هوَ جزاءٌ لحقِّهِ ، ويُصدِّقُ ذٰلكَ فعلُهُ عندَ الحاجةِ إليهِ ، والاضطرارِ إلىٰ ما لديهِ .

فاستشعِروا ذٰلكَ ـ وَفَّقَكُمُ اللهُ ـ مِنْ أنفسِكُم في حالةِ الرخاءِ والشدَّةِ ، والحرمانِ والمواساةِ والإحسانِ ، والسَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، فنعمَتِ الشِّيمةُ هٰذهِ لِمَنْ وُسِمَ بها مِنْ أهلِ هٰذهِ الصِّناعةِ الشريفةِ

وإذا وليَ الرجلُ منكُم أو صُيِّرَ إليهِ مِنْ أمرِ خلقِ اللهِ وعيالِهِ أمرٌ

فليراقبِ اللهَ عزَّ وجلَّ ، وليؤثرْ طاعتَهُ ، وليكنْ على الضّعيفِ رفيقاً ، وللمظلومِ مُنصِفاً ، فإنَّ الخلقَ عيالُ اللهِ ، وأحبُّهُم إليهِ أرفقُهُم بعيالِهِ ، ثمَّ ليكنْ بالعدلِ حاكماً ، وللأشرافِ مُكرِماً ، وللفيءِ مُوفِراً ، وللبلادِ عامراً ، وللرعيةِ مُتألِّفاً ، وعن أذاهُم مُتخلِّفاً ، وليكنْ في مجلسِهِ متواضعاً حليماً ، وفي سِجِلّاتِ خَراجِهِ واستقضاءِ حقوقِهِ رفيقاً

وإذا صحبَ أحدُكُم رجلاً فليختبرْ خلائقَهُ ، فإذا عرفَ حسنَها وقبيحَها أعانَهُ على ما يوافقُهُ مِنَ الحسنِ ، واحتالَ على صرفِهِ عمَّا يَهواهُ مِنَ القبيحِ بألطفِ حيلةٍ وأجملِ وسيلةٍ ، وقد علمتُم أنَّ سائسَ البهيمةِ إذا كانَ بصيراً بسياستِها التمسَ معرفةَ أخلاقِها ، فإن كانَتْ رَموحاً لم يهجْها إذا ركبَها ، وإن كانَتْ شبوباً اتَّقاها مِنْ بينِ يدَيها ، وإن خافَ منها شُروداً تَوقَّاها مِنْ ناحيةِ رأسِها ، وإن كانَتْ حَروناً قمعَ برفقٍ هواها في طرقِها ، فإنِ استمرَّتْ عطفَها يسيراً ، فيَسلَسُ لهُ قيادُها ، وفي هٰذا الوصفِ مِنَ السياسةِ دلائلُ لِمَنْ ساسَ الناسَ وعاملَهُم ، وجَرَّبَهُم وداخلَهُم

والكاتبُ لفضلِ أدبِهِ ، وشريفِ صنعتِهِ ، ولطيفِ حيلتِهِ ، ومعاملتِهِ لِمَنْ [يحاورُهُ] مِنَ الناسِ ويناظرُهُ ، ويفهمُ عنهُ أو يخافُ سطوتَهُ أَولىٰ بالرفقِ لصاحبِهِ ومداراتِهِ وتقويمِ أَودِهِ مِنْ سائسِ البهيمةِ التي لا تَحيرُ جواباً ، ولا تَعرِفُ صواباً ، ولا تفهمُ خطاباً ؛ إلَّا بقدرِ ما يُصيِّرُها إليهِ صاحبُها الراكبُ عليها ، ألا [فأمعنوا] ـ رحمَكُمُ اللهُ ـ في النظرِ ، وأعملوا ما أمكنَكُم فيهِ مِنَ الرويةِ والفكرِ تأمنوا بإذنِ اللهِ ممَّنْ صحبتُمُوهُ النبوةَ والاستثقالَ والجفوةَ ، ويصيرُ (١) منكُم إلى الموافقةِ ، وتصيروا منهُ إلى المؤاخاةِ والشفقةِ إن شاءَ اللهُ

---

(١) كذا في الأصل و« صبح الأعشىٰ » (١/٨٧) بإثبات الياء

ولا يُجاوِزَنَّ الرجلُ منكُم في هيئةِ مجلسِهِ ومَلبسِهِ ومَركبِهِ ومَطعمِهِ ومَشربِهِ وخَدَمِهِ وغيرِ ذٰلكَ مِنْ فنونِ أمرِهِ قدرَ حقِّهِ ؛ فإنَّكُم معَ ما فَضَّلَكُمُ اللهُ بهِ مِنْ شرفِ صنعتِكُم . خَدَمةٌ ، لا تُحملونَ في خدمتِكُم على التقصيرِ ، وحفظةٌ لا تُحتمَلُ منكُم أفعالُ التضييعِ والتبذيرِ ، واستعينوا علىٰ أفعالِكُم بالقصدِ في كلِّ ما ذكرتُهُ لكُم وقصصتُهُ عليكُم

واحذروا متالفَ السرفِ ، وسوءَ عاقبةِ الترفِ ؛ فإنَّهُما يُعقِبانِ الفقرَ ، ويُذِلَّانِ الرقابَ ، ويَفضحانِ أهلَهُما ، ولا سيِّما الكُتَّابِ وأربابِ الآدابِ ، وللأمورِ أشباهٌ ، وبعضُها دليلٌ علىٰ بعضٍ ، فاستدلُّوا علىٰ مؤتنفِ أعمالِكُم بما سبقَتْ إليهِ تجربتُكُم ، ثمَّ اسلكوا مِنْ مسالكِ التدبيرِ أوضحَها محجَّةً ، وأصدقَها حُجَّةً ، وأحمدَها عاقبةً

واعلموا أنَّ للتدبيرِ آفةً مُتلفةً ؛ وهوَ الوصفُ الشاغلُ لصاحبِهِ عن إنفاذِ علمِهِ ورويتِهِ ، فليقصدِ الرجلُ منكُم في مجلسِهِ قصدَ الكافي في مَنطِقِهِ ، وليوجزْ في ابتدائِهِ وجوابِهِ ، وليأخذْ بمجامعِ حُجَجِهِ ، فإنَّ ذٰلكَ مصلحةٌ لفعلِهِ ، ومدفعةٌ للشاغلِ مِنْ إكثارِهِ ، وليضرعْ إلى اللهِ في صلةِ توفيقِهِ ، وإمدادِهِ بتسديدِهِ ؛ مخافةَ وقوعِهِ في الغلطِ المُضِرِّ ببدنِهِ وعقلِهِ وأدبِهِ ؛ فإنَّهُ إن ظنَّ منكُم ظانٌّ ، أو قالَ قائلٌ إنَّ الذي برزَ منِّي جميلٌ صنعتُهُ ، وقُوَّةُ حركتِهِ إنَّما هوَ بفضلِ حيلتِهِ وحسنِ تدبيرِهِ[1] فقد تَعرَّض بحسنِ ظنِّهِ أو مقالتِهِ إلىٰ أن يَكِلَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ إلىٰ نفسِهِ ، فيصيرَ منها إلىٰ غيرِ كافٍ ، وذٰلكَ علىٰ مَنْ تَأمَّلَهُ غيرُ خافٍ

ولا يقلْ أحدٌ منكُم إنَّهُ أبصرُ بالأمورِ وأحملُ لأعباءِ التدبيرِ مِنْ مرافقِهِ في صناعتِهِ ، ومصاحبِهِ في خدمتِهِ ؛ فإنَّ أعقلَ الرجلَينِ عندَ ذوي الألبابِ مَنْ

---

(١) في « صبح الأعشىٰ » (إن الذي برز من جميل صنعته ، وقوة حركته)

رمىٰ بالعجبِ وراءَ ظهرِهِ ، ورأىٰ أنَّ أصحابَهُ أعقلُ منهُ وأجملُ في طريقتِهِ

وعلىٰ كلِّ واحدٍ مِنَ الفريقَينِ أن يَعرِفَ فضلَ نعمِ اللهِ جلَّ ثناؤُهُ ؛ مِنْ غيرِ اغترارٍ برأيِهِ ، ولا تزكيةٍ لنفسِهِ ، ولا يكاثرَ علىٰ أخيهِ أو نظيرِهِ ، وصاحبِهِ وعشيرِهِ

وحمدُ اللهِ واجبٌ على الجميعِ ؛ وذٰلكَ بالتواضعِ لعظمتِهِ ، والتذلُّلِ لعِزَّتِهِ ، والتحدُّثِ بنعمتِهِ ، وأنا أقولُ في كتابي هـٰذا ما سبقَ بهِ المثلُ مَنْ تلزمُهُ النصيحةُ يلزمُهُ العملُ ، وهوَ جوهرُ هـٰذا الكتابِ وغُرَّةُ كلامِهِ ، بعدَ الذي فيهِ مِنْ ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فلذٰلكَ جعلتُهُ آخِرَهُ وتَمَّمتُهُ بهِ ، تَولَّانا اللهُ وإيَّاكُم يا معشرَ الطَّلبةِ والكتبةِ بما يَتولَّىٰ بهِ مَنْ سبقَ علمُهُ بإسعادِهِ وإرشادِهِ ؛ فإنَّ ذٰلكَ إليهِ وبيدِهِ ، والسلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ



قولُ عبدِ الحميدِ في آفةِ التدبيرِ : هو ما سبقَتِ الإشارةُ إلىٰ وجوبِ التحرُّزِ منهُ مِنْ زيادةِ الكلامِ على المقاصدِ زيادةً تمنعُ صاحبَ الكاتبِ وهوَ أميرُهُ عن إنفاذِ علمِهِ وإعمالِ رويتِهِ في تلكَ المقاصدِ ، فيجبُ الاقتصارُ علىٰ أقوى الحججِ بمنفعةِ ما يُرادُ إجراؤُهُ ، ولا يذهبْ كثيراً مِنَ الأوقاتِ بالاشتغالِ في الأوصافِ وعددِ المحاسنِ والمساوي بالعباراتِ المختلفةِ ، إلَّا حيثُ يقتضي الحالُ ذٰلكَ

ومشاهيرُ هـٰذهِ الطَّبقةِ التي افتتحَها عبدُ الحميدِ هـٰذا كثيرٌ ؛ كالربيعيِّ ، والفضلِ ابنِهِ ، ويعقوبَ بنِ داوودَ ، وبني برمكَ ، ومحمدِ بنِ عبدِ الملكِ الزيَّاتِ في أوائلِ الدولةِ العباسيَّةِ وبني الفراتِ ، والأستاذِ ابنِ العميدِ ، والصَّاحبِ إسماعيلَ بنِ عبادٍ ، وأبي إسحاقَ الصَّابئِ ، وأبي الفضلِ أحمدَ المعروفِ ببديعِ الزمانِ وأبي بكرٍ الخوارزميِّ في أواسطِها

[أمثلةٌ للطبقةِ الثانيةِ]

وهٰذهِ أمثلةٌ تَعرِفُ بها ما كانَ عليهِ حالُ الكتابةِ في هٰذهِ الطَّبقةِ التي تُعقِبُها الطَّبقةُ الثالثةُ المفتتحةُ بعبدِ الرحيمِ البَيْسانيِّ المشهورِ بالقاضي الفاضلِ وزيرِ صلاحِ الدِّينِ يوسفَ بنِ أيوبَ أوَّلِ ملوكِ الكردِ بمصرَ

[كتابُ المعتصمِ إلىٰ نواحي بلادِ المسلمينَ]

صورةُ كتابٍ عنِ المعتصمِ إلىٰ نواحي بلادِ الإسلامِ يَتضمَّنُ شكرَ اللهِ على الظَّفَرِ بعدوٍّ ، والبشارةَ بذٰلكَ (١)

أمَّا بعدُ فالحمدُ للهِ الذي جعلَ العاقبةَ لدينِهِ ، والعصمةَ لأوليائِهِ ، والعزَّ لِمَنْ نصرَهُ ، والفلجَ لِمَنْ أطاعَهُ ، والحقَّ لِمَنْ عرفَ حَقَّهُ ، وجعلَ دائرةَ السَّوْءِ علىٰ مَنْ عصاهُ ، وصدفَ عنهُ ، ورغبَ عن ربوبيتِهِ ، وابتغىٰ إلـٰهاً غيرَهُ ، لا إلـٰهَ إلَّا هوَ ، وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، يَحمَدُهُ أميرُ المؤمنينَ حمدَ مَنْ لا يَعبدُ غيرَهُ ، ولا يَتوكَّلُ إلَّا عليهِ ، ولا يُفَوِّضُ أمرَهُ إلَّا إليهِ ، ولا يرجو الخيرَ إلَّا مِنْ عندِهِ ، والمزيدَ إلَّا مِنْ سعةِ فضلِهِ ، ولا يَستعينُ في أحوالِهِ كلِّها إلَّا بهِ ، ويَسألُهُ أن يصليَ علىٰ محمدٍ عبدِهِ ورسولِهِ ، وصفوتِهِ مِنْ عبادِهِ ، الذي ارتضاهُ لنبوَّتِهِ ، وابتعثَهُ بوحيِهِ ، واختصَّهُ بكرامتِهِ ، فأرسلَهُ بالحقِّ شاهداً ومُبشِّراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً منيراً

والحمدُ للهِ الذي [تَوجَّهَ] لأميرِ المؤمنينَ بصنعِهِ ، فيَسَّرَ لهُ أمرَهُ ، وصَدَّقَ لهُ ظنَّهُ ، وأنجحَ لهُ طلبتَهُ ، وبلغَ لهُ محبَّتَهُ ، وأدركَ المسلمونَ بثأرِهِم علىٰ يدِهِ ، وقتلَ عدوَّهُم ، وأسكنَ رَوعتَهُم ، ورحمَ فاقتَهُم ، وآنسَ وَحشتَهُم ، فأصبحوا آمنينَ مطمئنينَ ، مقيمينَ في ديارِهِم ، مُتمكِّنينَ في أوطانِهِم ، بعدَ

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٤٠٠ ـ ٤٠٤)

القتلِ [والخوفِ] والتشريدِ ، وطولِ العَناءِ وتتابعِ البلاءِ ؛ مَنّاً مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ علىٰ أميرِ المؤمنينَ بما خَصَّهُ بهِ ، وصنعاً لهُ فيما وَفَّقَهُ لطلبهِ ، وكرامةً زادَها فيما أجرىٰ علىٰ يدِهِ

فالحمدُ للهِ كثيراً كما هوَ أهلُهُ ، وترَغُّباً إلى اللهِ في تمامِ نعمِهِ ودوامِ صنعِهِ ، وسعةِ ما عندَهُ بمَنِّهِ ولطفِهِ

ولا يَعلَمُ أميرُ المؤمنينَ ـ معَ كثرةِ أعداءِ المسلمينَ ، وتَكنُّفِهِم إيَّاهُم مِنْ أقطارِهِم ، والضَّغائنِ التي في قلوبِهِم علىٰ أهلِهِ ، وما يَترصَّدونَهُ مِنَ العداوةِ ، ويَنطوُونَ عليهِ مِنَ المكايدةِ ؛ إذ كانَ هوَ الظَّاهرَ عليهِم ، والآخذَ منهُم ـ عدوّاً كانَ أعظمَ بليَّةً ، ولا أجلَّ خَطْباً ، ولا أشدَّ كَلَباً ، ولا أبلغَ مكايدةً ، ولا أرمىٰ بمكروهٍ مِنْ هٰؤلاءِ الكَفَرةِ الذينَ [يغزوهُمُ][1] المسلمونَ ، فيستعلونَ عليهِم ، ويضعونَ أيديَهُم حيثُ شاؤوا منهُم ، ولا يقبلونَ لهُم صلحاً ، ولا يميلونَ معَهُم إلىٰ موادعةٍ وإن كانَتْ لهُم علىٰ طُولِ الأيامِ وتَصرُّفِ الحالاتِ وبعضِ ما لا يزالُ يكونُ مِنْ فتراتِ وُلاةِ الثغورِ أدنىٰ دولةٍ مِنْ دولاتِ الظَّفَرِ ، وخُلْسةٍ مِنْ خلسِ الحربِ ؛ كانَ بما لهُم مِنْ خوفِ العاقبةِ في ذٰلكَ مُنغِّصٌ لِمَا تَعجَّلوا مِنْ سرورِهِ ، وما يَتوقَّعونَ مِنَ الدَّوائرِ بعدُ مُكدِّرٌ لِمَا وصلَ إليهِم مِنْ فرحةٍ

فأمَّا اللعينُ بَابَكُ وكَفَرَتُهُ فإنَّهُم كانوا يَغزونَ أكثرَ ممَّا يُغزَونَ ، وينالونَ أكثرَ ممَّا يُنالُ منهُم ، ومنهُمُ المُنحرِفونَ عنِ الموادعةِ ، المُتوحِّشونَ عنِ المراسلةِ ، ومَنْ أُديلوا مِنْ تتابعِ الدولِ ، ولم يخافوا عاقبةً تدركُهُم ، ولا دائرةً تدورُ عليهِم ، وكانَ ممَّا وَطَّأَ ذٰلكَ ومَكَّنَهُ لهُم أنَّهُم قومٌ ابتدؤوا أمرَهُم علىٰ حالِ تشاغلٍ مِنَ السُّلطانِ ، وتتابعِ مِنَ الفتنِ ،

---

(١) في الأصل (يغزونهم)

[واضطرابٍ][1] مِنَ الحيلِ ، فاستقبلوا أمرَهُم بعزَّةٍ مِنْ أنفسِهِم ، واستشارةٍ مِنْ ذوي آرائِهِم ، فأجلَوْا مَنْ حولَهُم لتخلُص البلادُ لهُم ، ثمَّ أخربوا البلادَ ليَعِزَّ مطلبُهُم ، وتَشتدَّ المؤنةُ ، وتعظُمَ الكلفةُ ، ويقوَوْا في ذاتِ أيديهِم ، فلم يتوافَ قُوَّادُ السُّلطانِ إلَّا وقد توافَتْ إليهِمُ القُوَّةُ مِنْ كلِّ جانبٍ ، فاستفحلَ أمرُهُم ، وعَظُمَتْ شوكتُهُم ، واشتدَّتْ ضروراتُهُم[2] ، واستجمعَ لهُم كيدُهُم ، وكثُرَ عددُهُم واعتدادُهُم ، وتَمكَّنَتِ الهيبةُ في صدورِ الناسِ منهُم ، وتَحقَّقَ في نفوسِهِم أنَّ كلَّ ما يَعِدُهُمُ الكافرُ ويُمنِّيهِم أخذٌ باليدِ ، وكانَ الذي بقيَ عندَهُم منهُ كالذي مضىٰ ، وبدونِ هٰذا ما يُخْتَدَعُ الأريبُ ، ويُستنزَلُ العاقلُ ، ويُعتَقَلُ الفطنُ ، فكيفَ بمَنْ لا فكرةَ لهُ ولا رويَّةَ عندَهُ ؟!

هٰذا معَ كلِّ ما في قلوبِهِم مِنْ حسدِ أهلِ النعمِ ، ومنافستِهِم علىٰ ما في أيديهِم ، وتقطُّعِهِم حسراتٍ في أثرِ ما خُصُّوا بهِ ، وأنَّهُم إلَّا يكونوا يرونَ أنفسَهُم أحقَّ بذٰلكَ فإنَّهُم فيهِ سواءٌ

ولم يزلْ أميرُ المؤمنينَ قبلَ أن تُفضِيَ إليهِ الخلافةُ مادّاً عنقَهُ ، مُوجِّهاً هِمَّتَهُ إلىٰ أن يوليَهُ اللهُ أمرَ هٰؤلاءِ الكَفَرَةِ ، ويُملِّكَهُ حربَهُم ، [ويَجعلَهُ] القارعَ لهُم عن دينِهِ ، [والمناجزَ] لهُم عن حَقِّهِ ، فلم يكنْ يألو في ذٰلكَ حرصاً وطلباً واحتيالاً ، فكانَ أميرُ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنهُ يأبىٰ ذٰلكَ ، لضنِّهِ بهِ ، وصيانتِهِ لهُ

فلمَّا أفضى اللهُ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ بخلافتِهِ ، وأطلقَ الأمرَ في يدِهِ لم يكنْ شيءٌ أحبَّ إليهِ ولا آخذَ بقلبِهِ مِنْ معاجلةِ الكافرِ وكَفَرَتِهِ ، وأعزَّهُ اللهُ وأعانَهُ ، فللهِ الحمدُ علىٰ ذٰلكَ وتَيسُّرِهِ ، فأعدَّ مِنْ أموالِهِ

---

(١) في الأصل (واطراب)

(٢) كذا في الأصل و« صبح الأعشىٰ » (٦/٤٠٢) ، ولعل الأنسب (ضراوتهم)

[أخطرَها] ، ومِنْ قُوَّادِ جيشِهِ أعلمَهُم بالحربِ ، وأنهضَهُم بالمُعضِلاتِ ، ومِنْ أوليائِهِ وأبناءِ دعوتِهِ ودعوةِ آبائِهِ صلواتُ اللهِ عليهِم أحسنَهُم طاعةً ، وأشدَّهُم نكايةً ، وأكثرَهُم عدَّةً ، ثمَّ أتبعَ الأموالَ بالأموالِ ، والرجالَ بالرجالِ ، مِنْ خاصَّةِ مواليهِ وعددِ غلمانِهِ ، وقبلَ ذٰلكَ ما اتَّكلَ عليهِ مِنْ صنْعِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ووَجَّهَ إليهِ مِنْ [رعبتِهِ] ، فكيفَ رأى الكافرُ اللعينُ وأصحابُهُ الملاعينُ أنَّ اللهَ يكذبُ ظنونَهُم ، ويشفي صدورَ أوليائِهِ منهُم ، يقتلونَهُم كيفَ شاؤوا في كلِّ موطنٍ ومعتركٍ ، ما دامَتْ عندَ أنفسِهِم مقاومةٌ ؟!

فلمَّا ذلُّوا وقلُّوا وكرهوا الموتَ صاروا لا يَتراءَونَ إلَّا في رؤوسِ الجبالِ ، ومضايقِ الطرقِ ، وخلفَ الأوديةِ ، ومِنْ وراءِ الأنهارِ ، وحيثُ لا تنالُهُمُ الخيلُ ؛ طلباً للمطاولةِ ، وانتظاراً للدوائرِ ، فكادَهُمُ اللهُ عندَ ذٰلكَ وهوَ خيرُ الكائدينَ ، واستدرجَهُم حتىٰ جمعَهُم إلىٰ حصنِهِم معتصمينَ فيهِ عندَ أنفسِهِم ، فجعلَ اعتصامَهُم جُبناً لهُم ، وصنعاً لأوليائِهِ ، وإحاطةً منهُ بهِم ، تباركَ وتعالىٰ ، فجمعَهُم وحصرَهُم ؛ لكي لا تبقىٰ منهُم بقيةٌ ، ولا تُرجىٰ لهُم عاقبةٌ ، ولا يكونَ الدِّينُ إلَّا للهِ ، ولا العاقبةُ إلَّا لأوليائِهِ ، ولا التعسُ والنكسُ إلَّا لِمَنْ خذلَهُ

فلمَّا حصرَهُمُ اللهُ ، وحبسَهُم عليهِم ، ودانَتْهُم مصارعُهُم سَلَّطَهُمُ اللهُ عليهِم كيدٍ واحدةٍ ، يَختطفونَهُم بسيوفِهِم ، ويَنتظمونَهُم برماحِهِم ، فلا يجدونَ ملجأً ولا مهرباً ، ثمَّ أمكنَهُم مِنْ أهاليهِم وأولادِهِم ، ونسائِهِم وحرمِهِم ، وصيَّروا الدارَ دارَهُم ، والمَحَلَّةَ مَحَلَّتَهُم ، والأموالَ قسماً بينَهُم ، والأهلَ إماءً وعبيداً

وفوقَ ذٰلكَ كلِّهِ ما أعدَّ اللهُ لهٰؤلاءِ مِنَ الرحمةِ والثوابِ ، وما أعدَّ لأولٰئكَ

مِنَ الخزيِ والعقابِ ، وصارَ الكافرُ بَابَكُ لا فيمَنْ قُتِلَ فسلمَ مِنْ ذلِّ الغلبةِ ، ولا فيمَنْ نجا فعاينَ في الحياةِ بعضَ العوضِ ، ولا فيمَنْ أُصيبَ فيشتغلَ بنفسِهِ عنِ المصيبةِ بما سواهُ ، لٰكنَّهُ سبحانَهُ وتعالىٰ أطلقَهُ [وسدَّ] مذاهبَهُ ، وتركَهُ بينَ الذلِّ والخوفِ ، والغصَّةِ والحسرةِ ، حتىٰ إذا ذاقَ طعمَ ذٰلك كلِّهِ ، وفهمَهُ وعرفَ موقعَ المصيبةِ ، وظنَّ معَ ذٰلكَ كلِّهِ أنَّهُ علىٰ طريقٍ مِنَ النجاةِ ضربَ اللهُ وجهَهُ ، وأعمىٰ بصرَهُ ، وسدَّ عليهِ ، وأخذَ بسمعِهِ وبصرِهِ ، وحازَهُ إلىٰ مَنْ لا يرقُّ لهُ ، ولا يرثي لمصرعِهِ

فامتثلَ ما أمرَ بِهِ الأفشينُ حيدرُ بنُ طاووسٍ مولىٰ أميرِ المؤمنينَ في أمرِهِ ، فبثَّ لهُ الحبائلَ ، ووضعَ عليهِ الأرصادَ ، ونصبَ لهُ الأشراكَ ؛ حتىٰ أظفرَهُ اللهُ بِهِ أسيراً ذليلاً ، موثقاً في الحديدِ ، يراهُ في تلكَ الحالةِ مَنْ كانَ يراهُ ربّاً ، ويرى الدائرةَ عليهِ مَنْ كانَ يظنُّ أنَّها ستكونُ لهُ ، فالحمدُ للهِ الذي أعزَّ دينَهُ ، وأظهرَ حجَّتَهُ ، ونصرَ أولياءَ مَنْ أهلكَ أعداءَهُ ، حمداً يُقضَىٰ بِهِ الحقُّ ، وتَتِمُّ بِهِ النعمةُ ، وتَتَّصِلُ بِهِ الزيادةُ

والحمدُ للهِ الذي فتحَ علىٰ أميرِ المؤمنينَ ، وحَقَّقَ ظنَّهُ ، وأنجحَ سعيَهُ ، وحازَ لهُ أجرَ هٰذا الفتحِ [وذخرَهُ] وشرفَهُ ، وجعلَهُ خالصاً لتمامِهِ وكمالِهِ بأكملِ الصنعِ وأحسنِ الكفايةِ ، ولا خلا مِنْ سرورٍ يراهُ ، وبشارةٍ تَتجَدَّدُ لهُ عندَهُ ، فالحمدُ للهِ أوَّلاً ، والحمدُ للهِ آخِراً ، والحمدُ للهِ علىٰ عطاياهُ التي لا تُحصىٰ ، ونعمِهِ التي لا تُنسىٰ ، إن شاءَ اللهُ تعالىٰ



وهٰذا الكتابُ مِنَ البليغِ المرسلِ الوافي ، إذا تأمَّلتَهُ وجدتَهُ قد شرحَ الحالَ علىٰ أحسنِ وجهٍ وأجملِهِ ، لم يغادرْ دقيقةً إلَّا أظهرَها ، وأكملَ الحديثَ عنها ، مِنْ أوَّلِ فكرةٍ إلىٰ آخرِ عاقبةٍ

[كتابُ الخليفةِ الطَّائعِ إلىٰ أبي كيجارَ بنِ بُوَيهِ]

وهـٰذهِ صورةُ كتابٍ مِنْ إنشاءِ أبي إسحاقَ الصَّابئِ عنِ الخليفةِ الطَّائعِ ، إلىٰ صمصامِ الدولةِ ابنِ عضدِ الدولةِ بنِ بويهِ ، بسببِ كردويهِ الخارجِ عنِ الطاعةِ[1]

مِنْ عبدِ اللهِ عبدِ الكريمِ الإمامِ الطَّائعِ للهِ أميرِ المؤمنينَ ، إلىٰ صمصامِ الدولةِ وشمسِ المِلَّةِ ، أبي كيجارَ بنِ عضدِ الدولةِ وتاجِ المِلَّةِ ، مولىٰ أميرِ المؤمنينَ سلامٌ عليكَ ، فإنَّ أميرَ المؤمنينَ يَحمدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلـٰهَ إلَّا هوَ ، ويسألُهُ أن يُصلِّيَ علىٰ محمدٍ عبدِهِ ورسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ

أمَّا بعدُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَكَ ـ فإنَّ أميرَ المؤمنينَ وإن كانَ قد بَوَّأَكَ المنزلةَ العليا ، وأنالَكَ مِنْ أُثْرتِهِ الغايةَ القصوىٰ ، وجعلَ لكَ ما كانَ لأبيكَ عضدِ الدولةِ وتاجِ المِلَّةِ رحمةُ اللهِ عليهِ مِنَ القَدْرِ والمَحَلِّ ، والموضعِ الأرفعِ الأجلِّ فإنَّهُ يُوجِبُ لكَ عندَ كلِّ أثرٍ يكونُ لكَ في الخدمةِ ، ومَقامِ حمدٍ تقومُهُ في حمايةِ البيضةِ إنعاماً يظاهرُهُ ، وإكراماً يتابعُهُ ويواترُهُ ، واللهُ يُؤيِّدُكَ مِنْ توفيقِهِ وتسديدِهِ ، ويُمِدُّكَ بمعونتِهِ وتأييدِهِ ، ويخيرُ لأميرِ المؤمنينَ فيما رأيُهُ مُستمِرٌّ عليهِ مِنْ مزيدِكَ وتمكينِكَ ، والإنافةِ بكَ وتعظيمِكَ ، وما توفيقُ أميرِ المؤمنينَ إلَّا باللهِ ، عليهِ يتوكَّلُ وإليهِ ينيبُ

وقد عرفتَ ـ أدامَ اللهُ عزَّكَ ـ ما كانَ مِنْ أمرِ كردويهِ كافرِ نعمةِ أميرِ المؤمنينَ ونعمتِكَ ، وجاحدِ صنيعِهِ وصنيعِكَ ؛ في الوثبةِ التي وثبَها ، والكبيرةِ التي ارتكبَها ، وتقديرِهِ أن ينتهزَ الفرصةَ التي لم يُمكِّنْهُ اللهُ منها ، بل كانَ مِنْ وراءِ دفعِهِ وردِّهِ عنها ، ومعاجلتِكَ إيَّاهُ الحربَ التي أصلاهُ اللهُ نارَها ، وقَنَّعَهُ عارَها

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٩٦ ـ ٣٩٧)

وشنارَها ، حتى انهزمَ والأوغادَ الذينَ شركوهُ في إثارةِ الفتنةِ علىٰ أقبحِ أحوالِ الذلَّةِ والقِلَّةِ ، بعدَ القتلِ الذَّريعِ ، والإثخانِ [الوجيعِ] ، فالحمدُ للهِ علىٰ هـٰذهِ النعمةِ التي جَلَّ موقعُها ، وبانَ على الخاصَّةِ والعامَّةِ أثرُها ، ولزمَ أميرَ المؤمنينَ خصوصاً والمسلمينَ عموماً نشرُها ، والحديثُ بها ، وهوَ المسؤولُ إقامتَها وإدامتَها برحمتِهِ

وقد رأىٰ أميرُ المؤمنينَ أن يجازيَكَ عن هـٰذا الفتحِ العظيمِ ، والمَقامِ المجيدِ الكريمِ ؛ بخِلَعٍ تامَّةٍ ، ودابَّتَينِ ومركبَينِ [ذهباً] مِنْ مراكبِهِ ، وسيفٍ وطوقٍ وسوارٍ مُرَصَّعٍ ، فتلقَّ ذٰلكَ بشكرِهِ عليهِ ، والاعتدادِ بنعمتِهِ فيهِ ، والبسْ خلعَ أميرِ المؤمنينَ وتَكرِمتَهُ ، وسِرْ مِنْ بابِهِ علىٰ حملانِهِ ، وأظهرْ ما حباكَ بهِ لأهلِ حضرتِهِ ؛ ليُعِزَّ اللهُ بكَ وليَّهُ ووليَّكَ ، ويُذِلَّ عدوَّهُ وعدوَّكَ ، إن شاءَ اللهُ تعالىٰ ، والسلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ تعالىٰ وبركاتُهُ

[تعزيةُ الخليفةِ المقتفي للسلطانِ مسعودٍ بوفاةِ ابنِهِ]

وهـٰذهِ صورةُ كتابِ تعزيةٍ عنِ الخليفةِ المقتفي إلى السُّلطانِ مسعودِ بنِ محمدِ بنِ ملكشاهِ السَّلْجُوقيِّ عندَ وفاةِ ابنِهِ [١]

مِنْ عبدِ اللهِ أبي عبدِ اللهِ محمدٍ المقتفي لأمرِ اللهِ أميرِ المؤمنينَ ، إلىٰ شاهنشاهِ المعظمِ ، مولى الأممِ ، مالكِ رقابِ العربِ والعَجَمِ ، جلالِ دينِ اللهِ ، ظهيرِ عبادِ اللهِ ، حافظِ بلادِ اللهِ ، معينِ خليفةِ اللهِ ، غياثِ الدُّنيا والدِّينِ ، ناصرِ الإسلامِ والمسلمينَ ، محيي الدَّولةِ القاهرةِ ، مُعِزِّ المِلَّةِ الزاهرةِ ، عمادِ المِلَّةِ الباهرةِ ؛ أبي الفتحِ مسعودِ بنِ محمدِ ملكشاهِ ، قسيمِ أميرِ المؤمنينَ سلامٌ عليكَ ، فإنَّ أميرَ المؤمنينَ يَحمدُ إليكَ اللهَ

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٣٩٧ ـ ٣٩٩)

الذي لا إلٰهَ إلَّا هوَ ، ويَسألُهُ أن يُصلِّيَ علىٰ محمدٍ عبدِهِ ورسولِهِ ويُسلِّمَ تسليماً

أمَّا بعدُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَكَ ، وأدامَ عِزَّكَ وتأييدَكَ ، وسعادتَكَ ونعمتَكَ ، وأحسنَ حفظَكَ وكلاءتَكَ ورعايتَكَ ، وأمتعَ أميرَ المؤمنينَ بكَ ، [وبالنعمةِ] الجليلةِ والموهبةِ الجزيلةِ والمِنحةِ النفيسةِ فيكَ وعندَكَ ، ولا أخلاهُ منكَ ـ فإنَّ أَولىٰ مَنِ ادَّرعَ للحوادثِ جُنَّةَ الاصطبارِ ، ونظرَ أحوالَ الدنيا في تقلُّبِها بعينِ الاعتبارِ ، ورجعَ إلى اللهِ في قدرِهِ وقضائِهِ ، وسَلَّمَ لأمرِهِ الذي لا رادَّ لهُ في امتحانِهِ وابتلائِهِ ، وعرفَ أنَّ لهُ سبحانَهُ في كلِّ ما يجريهِ علىٰ عبادِهِ حكمةً باطنةً ، ومصلحةً كامنةً ؛ مِنْ خيرٍ عاجلٍ ييسرُهُ ، وثوابٍ آجلٍ يُؤخِّرُهُ لهُم إلىٰ يومِ الجزاءِ ويَدَّخِرُهُ ، وفائدةٍ هوَ أدرىٰ بها وأعلمُ ، وفعلةٍ فيها أتقنَ وأحكمَ مَنْ خَصَّهُ بما خَصَّكَ اللهُ بهِ مِنَ الدِّينِ الراجحِ ، والخُلُقِ الصالحِ ، والمُعتقَدِ الواضحِ ، والنعمِ التي جادَكَ في كلِّ يومٍ سحابُها ، واتَّسعَتْ بينَ يدَيكَ عندَ مضايقِ الأمورِ رحابُها ، وأنِسَتْ إذا استوحشَتْ مِنَ العاجزينَ عنِ ارتباطِها بالشُّكرِ صحابُها ، والمناقبِ التي فرعتَ بها صهواتِ المجدِ ، وتَملَّكتَ رقَّ الثناءِ والحمدِ ، وعلوتَ فيها عنِ المساجلِ والمطاولِ ، وبَعُدَ ما [حضرَ] لكَ منها عن أن تَنالَهُ يدُ متناولٍ

وتأدَّىٰ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ ـ أمتعَهُ اللهُ ببقائِكَ ، ودافعَ لهُ عن حَوبائِكَ ـ نبأُ الحادثةِ بسليلِكَ الذي اختارَ اللهُ لهُ كريمَ جوارِهِ ، فأحبَّ لهُ الانتقالَ إلىٰ محلِّ الفوزِ ومدارِهِ ، فوجدَ لذٰلكَ وجوماً مُوفَّراً ، وهمّاً للسكونِ مُنفِراً ، وتَوزُّعاً تقتضيهِ المشاركةُ لكَ فيما ساءَ وسرَّ ، والمساهمةُ الحاصلةُ في كلِّ ما حلا مِنَ الأمورِ وأمرَّ ، وأمرَ عندَ ورودِ هٰذا الخبرِ بالتصدِّي للعزاءِ ، وإعلانِ ما يعلنُ عن مقاسمتِكَ في الضَّرَّاءِ ـ دفعَها اللهُ عنكَ ـ والسَّراءِ ، إلىٰ ما أبانَ عنِ انصرافِ الهممِ الإماميةِ إليكَ فيما خَصَّ وعمَّ مِنْ حالِكَ ، واستجلابِهِ لكَ

دواعيَ المَسارِّ في حِلِّكَ وتَرحالِكَ ، وكونِ الأفكارِ الشريفةِ موكلةً بكلِّ ما حمىٰ مِنَ الروائعِ قلبَكَ ، وأعذبَ شربَكَ ، وأنتَ حقيقٌ بمعرفةِ هٰذهِ الحالِ مِنْ طويَّتِهِ لكَ ونيَّتِهِ ، ورأيِهِ فيكَ وشفقتِهِ ، ورعايةِ مصلحتِكَ منهُ بعينٍ كاليةٍ ، ورجوعِهِ مِنَ المحافظةِ في حقِّكَ إلىٰ ألفةٍ بالصَّفاءِ حاليةٍ ، وتلقِّي الرزيَّةِ التي أرادَها اللهُ وقضاها ، وأنفذَ مشيئتَهُ فيها وأمضاها ؛ بالصَّبرِ المأمورِ بهِ ، والاحتسابِ والتسليمِ الموعودِ عليهِ بجزيلِ الثوابِ ، علماً أنَّ الأقدارَ لا تُغالَبُ ، وغريمَها لا يُطالَبُ ، وأن لا سبيلَ لأحدٍ مِنْ خلقِهِ إلى البقاءِ ، ولا طريقَ للخلودِ في دارِ الفَناءِ ، ولا دافعَ لحكمِهِ جَلَّتْ عظمتُهُ فيما قَدَّرَهُ مِنَ الآجالِ ، وسبقَ في علمِهِ مِنَ الرَّوائعِ في الابتلاءِ والأوجالِ ، وما يزالُ التطلُّعُ واقعاً إلىٰ وصولِ جوابِكَ الدالِّ على السلوةِ التي هيَ أليقُ بكَ ، والأدعىٰ إلىٰ حصولِ بغيتِكَ مِنْ رضا اللهِ وأربِكَ لتُحَطَّ الأنسةُ معَ وصولِهِ في رحالِها ، وتؤذنَ بصرفِ الهمومِ الجاريةِ لأجلِكَ وارتحالِها

هٰذهِ مناجاةُ أميرِ المؤمنينَ لكَ أدامَ اللهُ تأييدَكَ وأمتعَ بكَ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ ، والسلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ

[صورةُ جوابٍ عنِ المقتفي]

وهٰذهِ صورةُ جوابٍ عنِ المقتفي إلىٰ غياثِ الدينِ مسعودٍ السَّلْجُوقيِّ حيثُ كتبَ يخبرُهُ بعودِ خارجٍ إلى الطاعةِ(١)

مِنْ عبدِ اللهِ أبي عبدِ اللهِ محمدٍ الإمامِ المقتفي لأمرِ اللهِ أميرِ المؤمنينَ ، إلىٰ غياثِ الدِّينِ ـ وساقَ ما تَقدَّمَ مِنَ الألقابِ ثمَّ قالَ ـ

أمَّا بعدُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَكَ ـ فإنَّ كتابَكَ عُرِض بحضرةِ أميرِ المؤمنينَ

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٤٤٨ ـ ٤٤٩)

مُعرباً عن إخبارِ سعادتِكَ ، وجريِ الأمورِ علىٰ إرادتِكَ ، وبلوغِ الأغراضِ مِنَ الوجهةِ التي تَوجَّهتَ إليها ، والأطرافِ التي أشرقَتْ سعادتُكَ عليها ، بميامنِ ما تُكِنُّهُ مِنَ الطاعةِ الإماميةِ وتُضمِرُهُ ، وتَعتقِدُهُ مِنَ الإخلاصِ وتستشعرُهُ ، وإنَّ ركنَ الدِّينِ محمداً ومَنِ انضمَّ إلىٰ جملتِهِ ، وانتظمَ في سلكِ موافقتِهِ ؛ لمَّا ظفروا منكَ بذمامٍ اطمأنوا إليهِ وسكنوا ، وأمانٍ وثقوا بهِ وركنوا أبصروا الرشدَ فاتبعوهُ ، واستجابوا الداعيَ إذ سمعوهُ ، وأذعنوا بطاعتِكَ مسرعينَ ، وانقادوا إلىٰ متابعتِكَ مهطعينَ ، على استقرارِ مسيرِهِم تحتَ لوائِكَ إلىٰ بابِ [همذانَ] ؛ ليكونَ تقريرُ القواعدِ الجامعةِ للمصالحِ عندَ وصولِها ، والتوفُّرُ علىٰ تحرِّي ما تَقرُّ بهِ الخواطرُ معَ حلولِها ، ووقفَ عليهِ وعرفَ مضمونَهُ وجَدَّدَ ذٰلكَ لديهِ مِنَ الابتهاجِ والاغتباطِ الواضحِ المنهاجِ ما تقتضيهِ الثقةُ بولائِكَ ، واعتمادُهُ وتعويلُهُ علىٰ جميلِ معتقدِكَ ، واعتضادُهُ مِنْ طاعتِكَ بحبلٍ لا تنقضُ الأيامُ مُبرَمَهُ ، وسكونُهُ مِنْ ولائِكَ إلىٰ وزرٍ لا تروعُ المخاوفُ حرمَهُ ، وواصلَ شكرَ اللهِ تعالىٰ علىٰ ما شهدَتْ بهِ هٰذهِ النعمةُ العميمةُ والموهبةُ الجسيمةُ مِنْ إجابةِ الأدعيةِ التي ما زالَتْ جنودُها نحوَكَ مُجهَّزةً ، ووعودُهُ ـ جَلَّتْ عظمتُهُ ـ بقَبولِ أمثالِها مُنجَّزةً ، وإمدادُكَ منها بأمدادٍ تستدعي لكَ النصرَ وتَستنزلُهُ ، وتستكملُ الحظَّ مِنْ كلِّ خيرٍ وتستجزلُهُ ، وبلغَ الأملُ منكَ فيمَنْ هوَ العدَّةُ للمُلِمَّاتِ ، والحامي بتقريرِ الأنسِ مِنْ روائعِ الشتاتِ ، ومَنْ بقاؤُهُ يَكُفُّ عنِ الامتدادِ أكفَّ الخُطوبِ ، ويطلقُ وجوهَ المَسارِّ مِنْ عقلِ القطوبِ ، ويأبى اللهُ العادلُ في حكمِهِ وحكمتِهِ ، الرؤوفُ بعبادِهِ وخليفتِهِ إلَّا إعلاءَ كلمةِ الحقِّ بالهممِ الإماميَّةِ ، والإجراءَ علىٰ عوائدِ [صنيعتِهِ] الخفيةِ ، الكافلةِ بصلاحِ العبادِ والرعيةِ

وقد أُقيمَتْ أسواقُ التهنئةِ بهٰذهِ البشرىٰ ، وأفادَتْ جَذلاً تتابعُ وفودِهِ

تَترىٰ ، لا سيَّما معَ الإشارةِ إلىٰ قُرْبِ الأوبةِ التي تدني كلَّ صلاحٍ وتجلبُهُ ، وتزيلُ كلَّ خللٍ أتعبَ القلوبَ وتذهبُهُ

وإلى الباري جلَّ اسمُهُ الرغبةُ في اختصاصِكَ مِنْ عنايتِهِ بأحسنِ ما عهدتَهُ وأجملِهِ ، وصلةِ آخِرِ وقتِكَ في نُجْحِ المساعي [بأوَّلِهِ] ، وألَّا يخليَ الدارَ العزيزةَ مِنْ إخلاصِكَ في ولائِها ، ورغبتِكَ في تحصيلِ مراضيها وشريفِ آرائِها

هـٰذهِ مناجاةُ أميرِ المؤمنينَ ـ أدامَ اللهُ تأييدَكَ وأمتعَ بكَ ـ جرىٰ فيها علىٰ عادةِ تَكرمتِهِ ، وأعربَ بها عنِ اعتقادِهِ فيكَ وطويَّتِهِ ، ومكانِكَ الأثيلِ في شريفِ حضرتِهِ ، وابتهاجِهِ بنعمةِ اللهِ عندَكَ وخيرتِهِ ، فتأمَّلْها تأمُّلاً يشاكلُ طاعتَكَ الصَّافيةَ مِنَ الشوائبِ والأقذاءِ ، وتَلقَّها بصدقِ الاعتمادِ عليها وحسنِ الإصغاءِ تفزْ بالإصابةِ قداحُكَ ، ويقربُ بالتوفيقِ مغداكَ ومراحُكَ ، إن شاءَ اللهُ تعالىٰ ، والسلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ

[جوابُ الحافظِ لدينِ اللهِ أبي الميمونِ للأميرِ ابنِ ظهيرِ الدِّينِ]

وهـٰذهِ صورةُ جوابٍ عنِ الحافظِ لدينِ اللهِ ، أحدِ الفاطميينَ ؛ حيثُ وردَ عليهِ كتابٌ مِنْ أحدِ أمرائِهِ وكانَ أرسلَهُ إلى الدِّيارِ الشاميَّةِ ، وقد أخبرَ هـٰذا الأميرُ في كتابِهِ أنَّهُ حَسَّنَ لفخرِ الملكِ التوجُّهَ إلىٰ مصرَ ، وأثنىٰ عليهِ بحسنِ اجتهادِهِ في قتالِ الإفرنجِ بطرابلسَ وقتلِهِ عظيمَهُم (١)

مِنْ عبدِ اللهِ ووليِّهِ عبدِ المجيدِ أبي الميمونِ الإمامِ الحافظِ لدينِ اللهِ أميرِ المؤمنينَ ، إلى الأميرِ فلانٍ

أمَّا بعدُ فإنَّهُ عُرِض بحضرةِ أميرِ المؤمنينَ كتابُكَ مِنْ يدِ فتاهُ ووزيرِهِ ،

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٤٥٠ ـ ٤٥١)

وصفيِّهِ وظهيرِهِ ، العبدِ الأجلِّ الأفضلِ ، الذي بذلَ نفسَهُ في نصرةِ الدِّينِ يداً ولساناً ، وأوضحَ اللهُ للدولةِ الحافظيَّةِ بوزارتِهِ حُجَّةً وبرهاناً ، وأسبغَ النعمةَ علىٰ أهلِها ؛ فإنَّهُ جعلَهُ فيهِم ناظراً ولهُم سلطاناً ، ووَفَّقَهُ في حسنِ التدبيرِ ، والعملِ بما يقضي بمصالحِ الصغيرِ والكبيرِ ، ولمَّا أعادَ المملكةَ إلىٰ أفضلِ ما كانَتْ عليهِ مِنَ النضرةِ والبهجةِ ، ولم يُخْرِجِ المادحينَ لها إذا اختلفوا عنِ التحقيقِ وصدقِ اللَّهجةِ ؛ فقد ساوَتْ سياستُهُ بينَ البعيدِ والقريبِ ، وأخذَ كلٌّ منها بأجزلِ حظٍّ وأوفرِ نصيبٍ ، وسارَتْ سيرتُهُ الفاضلةُ في الآفاقِ سيرَ المثلِ ، واستوجَبَ مِنْ خالقِهِ أجرَ مَنْ جمعَ في طاعتِهِ بينَ القولِ والعملِ ، وشفعَ عَرْضَهُ مِنْ وصفِكَ وشكرِكَ ، والثناءِ عليكَ وإطابةِ ذكرِكَ ، وإنهاءِ ما أنتَ عليهِ مِنَ الولاءِ ، وشكرِ الآلاءِ ، بما يضاهي ما ذكرتَهُ فيهِ ، ممَّا عُلِمَ عندَ تلاوتِهِ ، وأُصغِيَ إليهِ عندَ قراءتِهِ ، وقدِ استقرَّ بحضرةِ أميرِ المؤمنينَ مكانُكَ مِنَ المشايعةِ ، وموقعُكَ مِنَ المخالصةِ ، وكونُكَ مِنْ ولاءِ الدَّولةِ علىٰ قضيةٍ أكسبَتْكَ شرفاً تَفيَّأتَ ظلالَهُ ، وأفاضَتْ عليكَ ملبساً جررتَ أذيالَهُ ، وسمتْ بكَ إلىٰ مَحَلٍّ لا يُباهىٰ مَنْ بلغَهُ ، ولا يُطاوَلُ مَنْ نالَهُ ، وكنتَ في ذٰلكَ سالكاً للمنهجِ القويمِ ، ومُعتقِداً ما عليهِ أهلُ بيتِكَ في القديمِ ؛ لا جرمَ أنَّهُ عادَ عليكَ مِنْ حسنِ رأيِ أميرِ المؤمنينَ بما تَقصُرُ عنهُ كلُّ أمنيةٍ ، ويَشهدُ لكَ بمخالصةٍ جمعتَ فيها بينَ عملٍ ونيةٍ ، واللهُ يضاعفُ أجرَكَ على اعتصامِكَ مِنْ طاعةِ أميرِ المؤمنينَ بالحبلِ المتينِ ، ويوزعُكَ شكرَ ما منحَكَ مِنَ الاستضاءةِ بنورِ الحقِّ المبينِ

فأمَّا الأميرُ فخرُ الملكِ رواجُ ، وبعثُكَ لهُ على الوصولِ إلى البابِ ، وحضُّكَ إيَّاهُ على التعلُّقِ مِنَ الخدمةِ بمحصدِ الأسبابِ فما كانَ الإذنُ لهُ في ذٰلكَ إلَّا لأنَّ كتابَهُ وصلَ يلتمسُهُ ، وعرض فيهِ نفسَهُ ، وبذلَ المناصحةَ والخدمةَ ، وسألَ سؤالَ مَنْ يَعرِفُ قدرَ العارفةِ بالإجابةِ إليهِ وموقعَ النعمةِ ، فأجيبَ إلىٰ

ذٰلكَ إسعافاً لهُ بمرادِهِ ، وعملاً برأيِ الدَّولةِ فيمَنْ يرغبُ إلى التحيُّزِ إليها مِنْ أقطارِهِ وبلادِهِ ، وإلَّا فلا حاجةَ لها إليهِ ولا إلىٰ غيرِهِ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ ـ ولهُ الحمدُ ـ وَفَّرَ حظَّها مِنَ الأولياءِ والأشياعِ ، والأنصارِ والأتباعِ ، والعساكرِ والجيوشِ ، والأجنادِ والأنجادِ ، والأعوانِ الأقوياءِ الشِّدادِ ، وعبيدِ الطَّاعةِ الذينَ يتبارَوْنَ في النصحِ ، ويتنافسونَ في الاجتهادِ والحرصِ علىٰ سعةِ الأموالِ وعمارةِ الأعمالِ ، وجمعِ الرجالِ في العزائمِ بينَ الأفعالِ والأقوالِ ، ولو وصلَ المذكورُ لكانَتِ المنَّةُ للدولةِ عليهِ ، والحاجةُ لهُ في ذٰلكَ لا إليهِ ، قالَ اللهُ عزَّ مِنْ قائلٍ ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1]

وأمَّا توجُّهُهُ إلىٰ طرابلسَ ، وظفرُهُ بالعدوِّ فيها فاللهُ تعالىٰ يُعِزُّ الإسلامَ وينشرُ لواءَهُ ، ويعلي منارَهُ [ويخذلُ] أعداءَهُ ، وينصرُ عساكرَهُ وأجنادَهُ ، ويبلغُهُ في أحزابِ الكفرِ والضَّلالِ مرادَهُ ، وهوَ عزَّ وجلَّ يُمتِّعُكَ [مِنَ الولاءِ] بما منحَكَ ، وينيلُكَ في دينِكَ ودنياكَ أملَكَ ومقترحَكَ ، فاعلمْ هٰذا ، واعملْ بهِ ، إن شاءَ اللهُ تعالىٰ

[كتابُ الصَّابئِ عنِ ابنِ بُوَيهَ إلى المطيعِ للهِ]

وهٰذهِ صورةُ كتابٍ مِنْ إنشاءِ الصَّابئِ ، عن عزِّ الدولةِ أحدِ ملوكِ ذٰلكَ العصرِ ، أنفذَهُ إلىٰ خليفتِهِ المطيعِ للهِ ، وقد قصدَ أبا تغلبَ الحمدانيَّ أحدَ الأمراءِ إذ ذاكَ ، حيثُ خرجَ عنِ الطَّاعةِ ، فانهزمَ أبو تغلبَ ، وفرَّ هارباً[2]

لعبدِ اللهِ الفضلِ المطيعِ أميرِ المؤمنينَ ، مِنْ عبدِهِ وصنيعتِهِ عزِّ الدولةِ ابنِ مُعزِّ الدولةِ مولىٰ أميرِ المؤمنينَ ، سلامٌ علىٰ أميرِ المؤمنينَ ورحمةُ اللهِ ،

---

(١) سورة الحجرات (١٧)

(٢) انظر « صبح الأعشى » (٦/٤٨٣ ـ ٤٩٢)

فإنّي أحمدُ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ اللهَ الذي لا إلـٰهَ إلّا هوَ ، وأسألُهُ أن يُصلّيَ علىٰ محمدٍ عبدِهِ ورسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وسلَّمَ

أمّا بعدُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَ أميرِ المؤمنينَ ، وأدامَ لهُ العزَّ والتأييدَ ، والتوفيقَ والتسديدِ ، والعلوُّ والقدرةَ ، والظُّهورَ والنصرةَ ـ [فالحمدُ] للهِ العليِّ العظيمِ ، الأزليِّ القديمِ ، المنفردِ بالكبرياءِ والملكوتِ ، المُتوحِّدِ بالعظمةِ والجبروتِ ، الذي لا تَحُدُّهُ الصفاتُ ، ولا تَحوزهُ الجهاتُ ، ولا تحصرُهُ قرارةُ مكانٍ ، ولا يُغيِّرُهُ مرورُ زمانٍ ، ولا تمثلُهُ العيونُ بنواظرِها ، ولا تُخيِّلُهُ القلوبُ بخواطرِها ، فاطرِ السماواتِ وما تُظِلُّ ، وخالقِ الأرضِ وما تُقِلُّ ، الذي دلَّ بلطيفِ صفتِهِ علىٰ جليلِ حكمتِهِ ، وبَيَّنَ بجليِّ برهانِهِ علىٰ خفيِّ وجدانِهِ ، واستغنىٰ بالقدرةِ عنِ الأعوانِ ، واستعلىٰ بالعزَّةِ عنِ الأقرانِ ، البعيدِ عن كلِّ معادلٍ ومضارعٍ ، الممتنعِ عن كلِّ مطاولٍ ومقارعٍ ، الدائمِ الذي لا يزولُ ولا يحولُ ، العادلِ الذي لا يَظلِمُ ولا يَجورُ ، الكريمِ الذي لا يَضَنُّ ولا يَبخلُ ، الحليمِ الذي لا يَعجلُ ولا يَجهلُ ، ذٰلكمُ اللهُ ربُّكُم ، لا إلـٰهَ إلَّا هوَ ، فادعوهُ مخلصينَ لهُ الدِّينَ ، منزلِ الرحمةِ علىٰ كلِّ وليٍّ تَوكَّلَ عليهِ ، وفَوَّضَ إليهِ ، وأْتمرَ لأوامرِهِ ، وازدجرَ بزواجرِهِ ، ومُحِلِّ النقمةِ بكلِّ عدوٍّ صدَّ عن سبيلِهِ وسَنَنِهِ ، وصدفَ عن فرائضِهِ وسُننِهِ ، وحادَّهُ في مكسبِ يدِهِ ومسعاةِ قدمِهِ ، وخائنةِ عينِهِ وخافيةِ صدرِهِ ، وهوَ راتعٌ رتعةَ النَّعَمِ السائمةِ ، في أكلاءِ النِّعَمِ السابغةِ ، وجاهلٌ جهلَها بشكرِ آلائِها ، ذاهلٌ ذهولَها عن طُرُقِ استيفائِها ، فلا يلبثُ أن يُنْزَعَ سرابيلَها صاغراً ، ويَتعرَّىٰ منها حاسراً ، ويَجعلَ اللهُ كيدَهُ في تضليلٍ ، ويوردَهُ شرَّ الموردِ الوبيلِ ، إنَّ اللهَ لا يُصلِحُ عملَ المفسدينَ ، ولا يَهدي كيدَ الخائنينَ

والحمدُ للهِ الذي اصطفىٰ للنبوّةِ أحقَّ عبادِهِ بحملِ أعبائِها ، وارتداءِ

ردائِها ؛ محمداً صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وسَلَّمَ ، وعَظَّمَ خطرَهُ وكَرَّمَ ، فصدعَ بالرسالةِ ، وبالغَ في الدلالةِ ، ودعا إلى الهدايةِ ، ونجَّىٰ مِنَ الغوايةِ ، ونقلَ الناسَ عن طاعةِ الشيطانِ الرجيمِ ، إلىٰ طاعةِ الرحمـٰنِ الرحيمِ ، وأعلقَهُم بحبائلِ خالقِهِم ورازقِهِم ، وعصمةِ محييهِم ومميتِهِم ، بعدَ انتحالِ الأكاذيبِ والأباطيلِ ، واستشعارِ المحالاتِ والأضاليلِ ، والتهوُّكِ في الاعتقاداتِ الذائدةِ عنِ النعيمِ ، السائقةِ إلى العذابِ الأليمِ ، فصلَّى اللهُ عليهِ مِنْ ناطقٍ بالحقِّ ، ومنقذٍ للخلقِ ، وناصحٍ للربِّ ، ومُؤدٍّ للفرضِ ، صلاةً زاكيةً ، رائحةً غاديةً ، تزيدُ على اختلافِ الليلِ والنهارِ ، وتَعاقبِ الأعوامِ والأدوارِ

والحمدُ للهِ الذي انتخبَ أميرَ المؤمنينَ مِنْ ذٰلكَ السنخِ الشريفِ ، والعنصرِ المنيفِ ، والعترةِ الثابتِ أصلُها ، المُمتدِّ ظلُّها ، الطَّيبِ جناها ، الممنوعِ حماها ، وحازَ لهُ مواريثَ آبائِهِ الطَّاهرينَ ، صلواتُ اللهِ عليهِم أجمعينَ ، واختصَّهُ مِنْ بينِهِم بتطاولِ أمدِ الخلافةِ ، واستحصافِ حبلِها في يدِهِ ، ووَفَّقَهُ لإصابةِ الغرضِ مِنْ كلِ مرمىً يرميهِ ، ومَقصِدٍ ينتحيهِ ، وهوَ جلَّ ثناؤُهُ الحقيقُ بإتمامِ ذٰلكَ عليهِ ، والزيادةِ فيهِ لديهِ

وأحمدُهُ سبحانَهُ حمداً أبتدئُهُ ثمَّ أعيدُهُ ، وأُكرِّرُهُ وأستزيدُهُ ؛ علىٰ أن أهَّلَ ركنَ الدَّولةِ أبا عليٍّ ، وعضدَ الدولةِ أبا شجاعٍ ، مولىٰ أميرِ المؤمنينَ ، وأهَّلَني للأثرةِ التي بذذْنا فيها الأكفاءَ ، وفُقْنا فيها القرناءَ ، وتَقطَّعَتْ دونَها أنفاسُ المنافسينَ ، وتَضرَّمَتْ عليها أحشاءُ الحاسدينَ ، وإذ أَولاني في كلِّ مغزىً في خدمةِ أميرِ المؤمنينَ أغزوهُ ، ومنحىً أنحوهُ ، ورأبٍ أرأبُهُ ، وشعثٍ أَلُمُّهُ ، وعدوٍّ أُرغمُهُ ، وزائغٍ أُقوِّمُهُ أفضلَ ما أَولاهُ عبادَهُ السليمةَ غُيُوبُهُم ، النقيَّةَ جُيوبُهُم ، المأمونةَ ضمائرُهُم ، المشحوذةَ بصائرُهُم ؛ مِنْ تمكينِ يدِهِ ، وتثبيتِ قدمِهِ ، ونصرِ رأيِهِ ، وإعلاءِ كلمِهِ ، وتقريبِ بغيتِهِ ، وإنالةِ أمنيَّتِهِ ،

وكذٰلكَ يكونُ مَنْ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ اعتزاؤُهُ ، وبشعارِهِ اعتزازُهُ ، وعن زنادِهِ قدحُهُ ، وفي طاعتِهِ كدحُهُ ، واللهُ وليُّ ما خوَّلَنيهِ مِنْ هٰذهِ المنقبةِ ، وسوَّغَنيهِ مِنْ هٰذهِ الموهبةِ ، وأن يَتوحَّدَ أميرُ المؤمنينَ في جميعِ خَدَمِهِ الذائدينَ عن حوزتِهِ ، المنتمينَ إلىٰ دعوتِهِ ؛ بيمنِ الطَّائرِ ، وسعادةِ الطَّالعِ ، ونجاحِ المطلبِ ، وإدراكِ الأربِ ، وفي أعدائِهِ الغامصينَ لنعمتِهِ ، الناقضينَ مواثيقَ بيعتِهِ ؛ بإضراعِ الخدِّ ، وإتعاسِ الجدِّ ، وإخفاقِ الأملِ ، وإحباطِ العملِ

ولم يزلْ مولانا أميرُ المؤمنينَ ينكرُ قديماً مِنْ فضلِ اللهِ بنِ ناصرِ الدولةِ أحوالاً حقيقاً مثلُها بالإنكارِ ، ومُستحِقّاً مَنْ ارتكبَها للإعراضِ ، وأنا أذهبُ في حفظِ غيبِهِ ، وإجمالِ محضرِهِ ، وتمحُّلِ حُجَّتِهِ وتلفيقِها ، وتأليفِ معاذيرِهِ وتنميقِها مذهبي الذي أعمُّ بهِ كلَّ مَنْ جرىٰ في ناشئِ دولتِهِ ، ومغتذٍ بنعمتِهِ ، ومنتسبٍ إلىٰ ولايتِهِ ، ومُشتهِرٍ بصنعتِهِ ، وأقدرُ أن أستصلحَهُ لأميرِ المؤمنينَ وأصلحَهُ لنفسِهِ ؛ بالتوقيفِ علىٰ مسالكِ الرشادِ ، ومناهجِ السَّدادِ ، وهوَ يريني أن قد قبلَ وارعوىٰ ، وأبصرَ واهتدىٰ ، حتىٰ رغبتُ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ فيما شفَّعَني مُتفضِّلاً فيهِ ؛ مِنْ تقليدِهِ أعمالَ أبيهِ ، والقناعةِ منهُ في الضَّمانِ بميسورِ بذلِهِ ، وإيثارِهِ بهِ علىٰ مَنْ هوَ فوقَهُ مِنْ كبراءِ إخوتِهِ وأهلِهِ

فلمَّا بلغَ هٰذهِ الحالَ ألطَّ بالمالِ ، وخاسَ بالعهدِ ، وطَرَّقَ لفسخِ العقدِ ، وأجرىٰ إلىٰ أمورٍ كرهتُها ، ونَفِدَ الصَّبرُ منِّي عليها ، وخفتُ أن أستمرَّ على الإغضاءِ عنها والمسامحةِ فيها ، فيطلعَ اللهُ منِّي علىٰ إضاعةِ الاحتياطِ في أمرٍ قَلَّدَني أميرُ المؤمنينَ زمامَهُ ، وضَمَّنَني دَرَكَهُ ، وإرجائي لرجلٍ قَبلَ في الاعتمادِ عليهِ رأيي ، وعَوَّلَ في أخذِهِ بما يلزمُهُ علىٰ نظري واستيفائي ، فتناولتُهُ بأطرافِ العذلِ مُلَوِّحاً ، ثمَّ بتأنيبِهِ مُفصِحاً مُصرِّحاً

ورسمتُ لعبدِ أميرِ المؤمنينَ الناصحِ أبي طاهرٍ أن يُحدِّثَهُ ويدخلَ عليهِ مِنْ طريقِ المشورةِ والرفقِ إلىٰ أخرىٰ ، وينتقلَ معَهُ بينَ اللِّينِ والخشونةِ طوراً فطوراً ، ففعلَ ذٰلكَ علىٰ رسمِهِ في التأنِّي لكلِّ فاسدٍ حتىٰ يَصلُحَ ، ولكلِّ أبيٍّ حتىٰ يَسمحَ ، ولم يدعِ التناهيَ في وعظِهِ ، والتماديَ في نصحِهِ ، وتعريفَهُ سوءَ عاقبةِ اللَّجاجِ ، وشنعةَ مَغبَّةِ الإحراجِ ، وهوَ يزيدُ طمعاً في الأموالِ وشرهاً ، وعمىً في الرأيِ وعمهاً ، إلىٰ أن كادَ أمرُنا معَهُ يخرجُ عن حدِّ الانتظارِ ، إلىٰ حدِّ الرضا بالإصرارِ ، فاستأنفتُ ادّراعَ الحزمِ ، وامتطاءَ العزمِ ، ونهضتُ إلىٰ أعمالِ الموصلِ وعندي أنَّهُ يغنيني عنِ الإتبابِ ، ويَتلقَّاني بالأعتابِ ، وينقادُ إلى المرادِ ، ويَتجنَّبُ طريقَ العنادِ

فحينَ عرفَ خبرَ مسيري ، وجدي فيهِ وتشميري برزَ بروزَ المخالفِ المكاشفِ ، وتَجرَّدَ تَجرُّدَ المواقعِ المواقفِ ، وهوَ معَ ذٰلكَ إذا ازددتُ منهُ قرباً ازدادَ منِّي بُعداً ، وإذا دلفتُ إليهِ ذراعاً نكص عنِّي باعاً

وتوافَتْ إلىٰ حضرتي وجوهُ القبائلِ مِنْ عقيلٍ وشيبانَ وغيرِهما ، في الجمعِ الكثيفِ مِنْ [صعاليكِهما] والعددِ الكثيرِ مِنْ [صناديدِهما] ، داخلينَ في الطَّاعةِ ، مُتصرِّفينَ في عوارضِ الخدمةِ ، فلمَّا شارفتُ الحديثةَ انتقضَتْ عزائمُ صبرِهِ ، وَتقوَّضَتْ دعائمُ أمرِهِ ، وبَطَلَتْ أمانيُّهُ ووساوسُهُ ، واضمحلَّتْ خواطرُهُ وهواجسُهُ ، [واضطربَ] عليهِ مِنْ ثقاتِهِ وغلمانِهِ مَنْ كانَ بهِم يَعتضِدُ ، وعليهِم يَعتمِدُ ، ورأَوا خِذلانَهُ ، والأخذَ لنفوسِهِم ومفارقتَهُ ، والطَّلبَ لحظوظِهِم ، وحصلَ بحضرتي إلىٰ هٰذهِ الغايةِ زُهاءَ خمسِ مئةِ رجلٍ ذوي خيلٍ مختارةٍ ، وأسلحةٍ شاكَّةٍ ، فصادفوا عندي ما أمَّلُوا مِنْ فائضِ الإحسانِ ، وغامرِ الامتنانِ ، وذكروا عمَّنْ وراءَهُم مِنْ نظرائِهِم الحرصَ على الاستئمانِ ، وأنَّهُم يَردونَ ولا يَتأخَّرونَ ، ويبادرونَ ولا يتوانونَ

ولمَّا رأىٰ ذٰلكَ لم يملكْ نفسَهُ أن مضىٰ هارباً علىٰ طريقِ سنجارَ ، منكشفاً عن هـٰذهِ الدِّيارِ ، قانعاً مِنْ تلكَ الآمالِ الخائبةِ ، والظُّنونِ الكاذبةِ ؛ بسلامةِ حُشاشةٍ هيَ رهينةُ غيِّها ، وصريعةُ بغيها

وكانَ انهزامُهُ بعدَ أن فعلَ الفعلَ السَّخيفَ ، وكادَ بالكيدِ الضَّعيفِ بأن غَرَّقَ سفنَ الموصلِ ، وأحرقَ جسرَها ، واستذمَّ إلىٰ أهلِها ، وتَزوَّدَ منهُمُ اللعنَ المطيفَ بهِ أينَ يَمَّمَ ، الكائنَ معَهُ حيثُ خَيَّمَ

ودخلتُها يومي هـٰذا ـ أيَّدَ اللهُ أميرَ المؤمنينَ ـ دخولَ الغانمِ الظَّافرِ ، المستعلنِ الظاهرِ ، فسكَّنتُ مِنْ نفوسِ سُكَّانِها ، وشرحتُ صدورَ قُطَّانِها ، وأعلمتُهُم ما أمرَني بهِ أميرُ المؤمنينَ ـ أعلا اللهُ أمرَهُ ـ مِنْ تأنيسِ وَحشتِهِم ، ونظمِ [أُلفتِهِم] ، وضمِّ نشرِهِم ، ولمِّ شعثِهِم ، وإجمالِ السيرةِ فيهِم في ضروبِ معاملاتِهِم وعُلَقِهِم ، وصنوفِ مُتصرَّفاتِهِم ومعايشِهِم ، وكَثُرَ منهُمُ الثناءُ والدعاءُ ، واللهُ سامعٌ ما رفعوا ، ومجيبٌ ما سألوا

وأَجْلَتْ حالُ هـٰذا الجاهلِ ـ أيَّدَ اللهُ أميرَ المؤمنينَ ـ عن أقبحِ هزيمةٍ ، وأذلِّ هضيمةٍ ؛ لأنَّهُ لم يلقَ لقاءَ الباخعِ بالطَّاعةِ ، المعتذرِ مِنْ سالفِ التفريطِ والإضاعةِ ، ولا لقاءَ المُصدِّقِ لدعواهُ في الاستقلالِ بالمقارعةِ ، المُحقِّقِ لزعمِهِ في الثباتِ للمدافعةِ ، ولا كانَ في هـٰذَينِ الأمرَينِ بالبَرِّ التقيِّ ، ولا الفاجرِ القويِّ ، بل جمعَ بينَ نقيصةِ شقاقِهِ وغدرِهِ ، وفضيحةِ جبنِهِ وخورِهِ ، منتهكاً للصَّلاحِ ، عادلاً عنِ الصَّوابِ ، قد ذهبَ عنهُ الرشادُ ، وضربَتْ بينَه وبينه الأسدادُ ، وأنزلَهُ اللهُ منزلةَ مثلِهِ ؛ ممَّنْ أساءَ حفظَ الوديعةِ ، وجوارَ الصَّنيعةِ ، واستوجبَ نزعَهُما منهُ

وتأمَّلتُ ـ أيَّدَ اللهُ أميرَ المؤمنينَ ـ أمرَهُ على التجريبِ ، وتصفحتُهُ بالتقليبِ ؛ فإذا هوَ الرجلُ الذي أطاعَ فيهِ أبوهُ هوىٰ أُمِّهِ ، وعصىٰ دواعيَ رأيِهِ

وحزمِهِ ، وقَدَّمَهُ مِنْ ولدِهِ علىٰ مَنْ هوَ آنسُ رشداً ، وأكبرُ سنّاً ، وأثبتُ جأشاً ، وأجرىٰ جناناً ، وأشجعُ قلباً ، وأوسعُ صدراً ، وأجدرُ لمخايلِ النجابةِ وشمائلِ اللبابةِ

فلمَّا اجتمعَتْ لهُ أسبابُ القدرةِ والثروةُ ، وأمكنَتْهُ مناهزُ الغرةِ والفرصةِ وثبَ عليهِ وثبةَ السِّرحانِ ، في ثلَّةِ الضَّانِ ، وجزاهُ جزاءَ أُمِّ عامرٍ لمجيرِها ؛ إذ فرتْهُ بأنيابِها وأظفارِها ، واجتمع وأخوهُ مِنَ الأمِّ ، المُرتضِعِ معَهُ لبانَ الإثـمِ ؛ المُكنىٰ بأبي البركاتِ وليسَ بأبٍ لها ، ولا حَرٍ بشيءٍ منها ، علىٰ أن صرعاهُ وعاقاهُ ، وقبضا عليهِ وأوثقاهُ ، وأقرّاهُ مِنْ قلعتَيهِما حيثُ يُقَرُّ العتاةُ ، ويُعاقَبُ الجُناةُ ، ثمَّ أتبعا ذٰلكَ باستحلالِ دمِهِ ، وإفاضةِ مهجتِهِ ، غيرَ راعيَينِ فيهِ حقَّ الأُبـوَّةِ ، ولا حانيَينِ عليهِ حُنُوَّ البنوَّةِ ، ولا مُتذمِّمَينِ مِنَ الإقدامِ علىٰ مثلِهِ ممَّنْ تَقدَّمَتْ عندَ سلطانِهِ قدمُهُ ، وتَوكَّدَتْ أواصرُهُ وعصمُهُ ، ولا راحمَينِ لهُ مِنْ ضَعفِ شيخوختِهِ ، ولا مصغيَينِ إلىٰ وصيةِ اللهِ إيَّاهُما بهِ ، التي نصَّها في محكمِ كتابِهِ ، وكرَّرَها في آيهِ وبيِّناتِهِ ؛ إذ يقولُ ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] ، وإذ يقولُ ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[2]

فبأيِّ وجهٍ يلقى اللهَ قاتلُ والدٍ حدبٍ قد أُمِرَ ألَّا ينهرَهُ ؟! وبأيِّ لسانٍ يَنطِقُ يومَ يُسأَلُ عمَّا استجازَهُ فيهِ وفعلَهُ ؟! وتاللهِ ؛ لو أنَّ بمكانِهِ عدوّاً لهُما قد قارضَهُما الذحولَ ، وقارعَهُما عنِ النفوسِ ۝ لَقَبُحَ بهِما أن يلؤُما ذٰلكَ

(١) سورة لقمان (١٤)

(٢) سورة الإسراء (٢٣ ـ ٢٤)

اللُّؤمَ عندَ الظَّفرِ بهِ ، وأن يركبا تلكَ الخُطَّةَ الشنعاءَ في الأخذِ بناصيتِهِ ولم يرض فضلُ اللهِ بما أتاهُ إليهِ حتى استوفىٰ حدودَ قطعِ الرَّحِمِ ؛ بأن تَتبَّعَ أكابرَ إخوتِهِ السالكينَ خلافَ سبيلِهِ ، المُتبرّئينَ المستبرئينَ إلى اللهِ مِنْ عظيمِ ما اكتسبَ ، ووخيمِ ما احتقبَ ؛ لما غضبوا لأبيهِم ، وامتعضوا مِنَ المُستحِلّ فيهِ وفيهِم ، فقبض علىٰ محمدِ بنِ ناصرِ الدولةِ حيلةً وغيلةً ، وغدراً ومكيدةً ، ونابذَ حمدانَ بنَ ناصرِ الدولةِ منابذةً خارَ اللهُ لهُ فيها ؛ بأن أصارَهُ مِنْ فِناءِ أميرِ المؤمنينَ إلى الجانبِ العزيزِ ، والحرزِ الحريزِ ، وأن أجرى اللهُ علىٰ يدِهِ الحربَ الواقعةَ بينَهُ وبينَ المعروفِ بكنيتِهِ أبي البركاتِ ، التي لقَّاهُ اللهُ فيها بخسَهُ ، وأتلفَ نفسَهُ ، وصرعَهُ بعقوقِهِ وبغيِهِ ، وقَنَّعَهُ بعارِهِ وخزيِهِ ، وهوَ معَ ذاكَ لا يتعظُ ولا ينزعُ ، ولا ينزجرُ ولا يقلعُ ؛ إصراراً على الجرائرِ التي اللهُ عنها حسيبُهُ ، وبها طليبُهُ ، والدنيا والآخرةُ مرصدتانِ لهُ بالجزاءِ المحقوقِ عليهِ ، والعقابِ المسوقِ إليهِ

وأعظمُ مِنْ هٰذا كلِّهِ ـ أيدَ اللهُ أميرَ المؤمنينَ ـ خطباً ، وأوعرُ مسلكاً ولحباً ؛ أنَّ مِنْ شرائطِ العهدِ الذي كانَ عُهِدَ إليهِ ، والعقدِ الذي عُقِدَ لهُ ، والضَّمانِ المُخفَّفِ مبلغُهُ عنهُ ، المأخوذِ عفوُهُ منهُ أن يتناهىٰ في ضبطِ الثغورِ ، وجهادِ الرومِ ، وحفظِ الأطرافِ ، ورمِّ الأكنافِ ، فما وفَّىٰ بشيءٍ مِنْ ذٰلكَ ، بل عدلَ عنهُ إلى الاستئثارِ بالأموالِ واقتطاعِها ، وإحرازِها في مكانِها وقلاعِها ، والضَّنِّ بها دونَ الإخراجِ في وجوهِها ، والوضعِ لها في حقوقِها ، وأن تراخىٰ في أمرِ عظيمِ الرومِ مُهمِلاً ، واطَّرحَ الفكرَ فيهِ مُغْفلاً ، حتىٰ هجمَ في الدِّيارِ ، وأثَّرَ الآثارَ ، ونكأَ القلوبَ ، وأبكى العيونَ ، وصدعَ الأكبادَ ، وأحرَّ الصُّدورَ ، فما كانَ عندَهُ فيهِ ما يكونُ عندَ المسلمِ القارئِ لكتابِ اللهِ ؛ إذ يقولُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ

وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١)

بل صدفَ عن ذكرِ اللهِ لاهياً ، وعدلَ عن كتابِهِ ساهياً ، واستفسخَ ذٰلكَ البيعَ والعقدَ ، واستنجزَ الوعيدَ لا الوعدَ ، ولاطفَ طاغيةَ الرومِ وهاداهُ ، وأمارَهُ وأعطاهُ ، وصانعَهُ بمالِ المسلمينَ الذي يلزمُهُ ـ إن سلمَ دينُهُ وصحَّ يقينُهُ ـ أن ينفقَهُ في مرابطِهِم ، ويَذُبَّ بهِ عن حريمِهِم ، وأبىٰ إلَّا أن يعكسَ ويلفتَهُ عن وجهتِهِ ؛ بالنقلِ إلىٰ عدوِّهِم ، وإدخالِ الوهنِ بذٰلكَ عليهِم ، وقادَ إليهِ مِنَ الخيلِ العِتاقِ ما هوَ الآنَ عونٌ للكفرِ على الإيمانِ ، ونجدةٌ للطَّاغيةِ على السُّلطانِ ، وكانَ فيما أتحفَهُ بهِ الخمرُ التي حظرَ اللهُ عليهِ أن يشربَها ويسقيَها ، وأمرَهُ بأن يجتنبَها ويجتويَها ، وصُلبانُ ذهبٍ صاغَها لهُ ، وتَقرَّبَ بها إليهِ تَقرُّباً قد باعدَهُ اللهُ فيهِ عنِ الإصابةِ والأصالةِ ، وأدناهُ مِنَ الجَهالةِ والضَّلالةِ ، حتىٰ كأنَّهُ عامِلٌ مِنْ عُمَّالِهِ وبِطْرِيقٌ مِنْ بطارقتِهِ

فأمَّا فشلُهُ عن مكافحتِهِ ، ولهجُهُ بملاطفتِهِ فضدُّ الذي أمرَهُ اللهُ بهِ في قولِهِ تعالىٰ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةًۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)

وأما نقلُهُ ما نقلَ مِنَ الخيلِ عن ديارِ المسلمِين إلىٰ ديارِ أعدائِهِم فنقيضُ قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٣)

---

(١) سورة التوبة (١١١)

(٢) سورة التوبة (١٢٣)

(٣) سورة الأنفال (٦٠)

وأمَّا إهداؤُهُ الخمرَ والصُّلبانَ فخلافُ قولِهِ تعالىٰ ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]

كلُّ ذٰلكَ عناداً لربِّ العالمينَ ، وطمساً لأعلامِ الدِّينِ ، وضنّاً بما حامىٰ عليهِ مِنْ ذٰلكَ الحُطامِ المجموعِ مِنَ الحرامِ ، المُثمرِ عنِ الآثامِ ، المُقتطَعِ مِنْ فيءِ الإسلامِ

وقد فعلَ الآن بي وبالعساكرِ التي معي ومَنْ يَضُمُّ ولاءَ أميرِ المؤمنينَ ، الذينَ هُم إخوتُهُ وصحبُهُ إن كانَ مؤمناً ، وأنصارُهُ وحزبُهُ إن كانَ موقناً مِنْ توعيرِ المسالكِ ، وتغريقِ السُّفنِ ، وتضييقِ الأقواتِ ، واستهلاكِ الأزوادِ ؛ ليُوصِّلَ إلينا الضُّرَّ ، ويُلحِقَ بنا الجهدَ ، فعلَ العدوِّ المبينِ ، المخالفِ في الدِّينِ ، فهل يُؤمَّلُ في هٰذا النادِّ المعاندِ والشاذِّ الشاردِ ؟! وهل يَطمعُ مِنْ مثلِهِ في حقٍّ يقضيهِ ، أو فرضٍ يؤدِّيهِ ، أو عهدٍ يرعاهُ ، أو [ذمامٍ] يَحفظُهُ ، وهوَ للهِ عاصٍ ، ولإمامِهِ مخالفٌ ، ولوالدِهِ قاتلٌ ، ولرحمِهِ قاطعٌ ؟!

كلا واللهِ ، بل هوَ الحقيقُ بأن تُثنىٰ إليهِ الأعنَّةُ ، وتُشرَعَ نحوَهُ الأسنَّةُ ، وتُنصَبَ لهُ الأرصادُ ، وتُشحَذَ لهُ السُّيوفُ الحِدادُ ؛ ليقطعَ اللهُ بها دابرَهُ ، ويَجُبَّ غاربَهُ ، ويَصرَعَهُ مَصرَعَ الأثيمِ المليمِ ، المُستحِقِّ للعذابِ الأليمِ ، أو يفيءَ إلى الحقِّ إفاءةَ الداخلِ فيهِ بعدَ خروجِهِ ، العائدِ إليهِ بعدَ مروقِهِ ، التائبِ المنيبِ النازعِ المستقيلِ ، فيكونَ حكمُهُ شبيهاً بحكمِ الراجعِ عنِ الردَّةِ ، المحمولِ علىٰ ظاهرِ الشريعةِ ، واللهُ يهدي مَنْ يشاءُ إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ

فالحمدُ للهِ الذي هدانا المراشدَ ، ووقفَ بنا على السبيلِ المنجيةِ لنا ، والمقاصدِ المفضيةِ إلىٰ رضاهُ ، المؤمنةِ مِنْ سطاهُ

---

(١) سورة المائدة (٩٠)

والحمدُ للهِ الذي أعزَّ أميرَ المؤمنينَ بالنصرِ ، وأعطاهُ لواءَ القهرِ ، وجعلَ أولياءَهُ الغالبينَ ، وأعداءَهُ السافلينَ الهابطينَ ، وهنَّأَهُ اللهُ هٰذا الفتحَ ، ولا أخلاهُ مِنْ أشكالٍ لهُ تقفوهُ وتتبعُهُ ، وأمثالٍ تتلوهُ وتشفعُهُ ، واصلاً فيها إلىٰ ما وصلَ إليهِ فيهِ ؛ مِن حيازتِهِ مهنأً لم يُسفَكْ فيهِ دمٌ ، ولم يُنتهَكْ مُحرَّمٌ ، ولم يُنَلْ جهدٌ ، ولم يمسَّ نصبٌ

أنهيتُ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ ذٰلكَ ؛ ليضيفَ صنعَ اللهِ لهُ فيهِ إلى السالفِ مِنْ عوارفِهِ عندَهُ وأياديهِ ، وليُجدِّدَ مِنْ شكرِهِ ما يكونُ داعياً إلى الإدامةِ والمزيدِ ، مقتضياً للفوزِ والتأييدِ ، إن شاءَ اللهُ تعالىٰ

[كتابُ الملكِ صلاحِ الدِّينِ إلىٰ مَقَرِّ الخلافةِ ببغدادَ]

وهٰذهِ صورةُ كتابٍ مِنْ إنشاءِ الفاضلِ ، الذي سلفَ القولُ بأنَّهُ أوَّلُ الطَّبقةِ الثالثةِ عن ملكِهِ صلاحِ الدِّينِ يوسفَ مِنْ مصرَ إلىٰ مَقرِّ الخلافةِ بغدادَ ، بالبشارةِ عن فتحِ بلدٍ مِنْ بلادِ النُّوبةِ ، وانهزامِ ملكِها وعساكرِهِ[1]

صلواتُ اللهِ التي أعدَّها لأوليائِهِ وادَّخرَها ، وتحياتُهُ التي قذفَ بشهبِها شياطينَ أعدائِهِ ودحرَها ، وبركاتُهُ التي دعا بها كلَّ مُوحِّدٍ فأجابَ ، وانقشعَ بها غمامُ الغمِّ وظلامُ الظلمِ فانجابَ عن أَنْجابٍ ، وزكاتُهُ التي هيَ للمؤمنينَ سكنٌ ، وسلامُهُ الذي لا يعتري الموقنينَ في ترديدِهِ حَصَرٌ ولا لَكَنٌ ، علىٰ مولانا عاقدِ ألويةِ الإيمانِ ، وصاحبِ دورِ الزمانِ ، وساحبِ ذيلِ الإحسانِ ، وغالبِ حزبِ الشيطانِ ، الذي [زلزلَتْ] إمامتُهُ قدمَ الباطلِ ، وحَلَّتْ خلافتُهُ ترائبَ الدَّهرِ العاطلِ ، واقتضتْ سيوفُهُ ديونَ الدِّينِ مِنْ كلِّ غريمٍ ماطلٍ ، وأمضَتْ غَرْبَ كلِّ عزمٍ للحقِّ مفلولٍ ، وأطلعَتْ غاربَ نجمِ كلِّ هدىً آفلٍ ،

---

(١) انظر « صبح الأعشى » (٦/٥١١ ـ ٥١٥)

وشفعَتْ يقظاتُ استغفارِهِ إلىٰ غافرِ ذنبِ كلِّ غافلٍ ، وعلىٰ آبائِهِ الغايةِ والمفزعِ ، والملاذِ في وقتِ الفزعِ ، والقائمينَ بحقوقِ اللهِ إذ قعدَ الناسُ ، والحاكمينَ بعدلِ اللهِ إذ عُدِمَ القسطاسُ ، والمستضيئينَ بأنوارِ الإلهامِ الموروثةِ مِنَ الوحيِ إذ أعجزَ الاقتباسُ ، والصَّابرينَ في البأساءِ والضَّرَّاءِ وحينَ الباسِ ، خُزَّانِ الحِكَمِ وحُفَّاظِها ، ومعاني النعمِ وألفاظِها ، وأعلامِ العلومِ المنشورةِ إلىٰ يومِ القيامةِ ، وكالئي الروحِ المنتشرةِ بكلاءةِ يدِ الإمامةِ ، ومَنْ لا يَنفُذُ سهمُ عملٍ إلا إذا شُحِذَ بولايتِهِم ، ولا يَتألَّقُ صبحُ هدايةٍ إلَّا إذا استصبحَ الساري بدلالتِهِم

المملوكُ يُقبِّلُ الأرض بمطالعِ الشرفِ ومنازلِهِ ، ومرابعِ المجدِ ومعاقِلِه ، ومجالسِ الجودِ ، [ومَحَالِّ] السجودِ ، ومختلفِ أنباءِ الرحمةِ المُنزَّلةِ ، ومرسىٰ أطوارِ البسيطةِ المتزلزلةِ ، ومفترِّ مباسمِ الإمامةِ ، ومَجَرِّ مساحبِ الكرامةِ ، ومكانِ جنوحِ أجنحةِ الملائكةِ حيثُ يدخلونَ مِنْ كلِّ بابٍ مُسلِّمينَ ، وتتبعُهُم ملوكُ الأرضِ مستسلمينَ ، ومشاهدُ الإسلامِ كيومِ أُنزلَ فيهِ ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ (١) ، [وينعقدُ] على الولايةِ ؛ فأمَّا غيرُهُ فلهُ قولُهُ ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم ﴾ (٢) ، ويناجيها بلسانِ جليِّ الإخلاصُ الصَّادقُ عقيدتُهُ ، ونشاطُ الولاءِ السابقِ عقيلتُهُ (٣) ، وأرهفَ الإيمانُ الناصعُ مضاربَهُ ، وأفسخَ المعتقدُ الناصحُ مذاهبَهُ ، فأعربَ عن خاطرٍ لم يَخطُرْ فيهِ لغيرِ الولاءِ خَطْرةٌ ، وقلبٍ أعانَهُ علىٰ ورودِ الولاءِ [أنَّ] صفاءَ المصافاةِ فيهِ فِطْرَةٌ

واللهُ سبحانَهُ يزيلُ عنهُ في شرفِ المثولِ عوائقَ القدرِ وموانعَهُ ، ويكشفُ

(١) سورة المائدة (٣)

(٢) سورة التوبة (١٢٣)

(٣) في « صبح الأعشىٰ » (٥١٣/٦) (بلسانٍ جلَّى الإخلاصُ الصادقُ عقيدتَهُ ، وأنشطَ الولاءُ السابقُ عقيلتَهُ)

لهُ عن قناعِ الأنوارِ التي ليسَتْ هِمَّتُهُ بما دونَ نظرِها قانعةً ، وكانَ تَوَجَّهَ منصوراً بجيشِ دعائِهِ قبلَ جيشِ لوائِهِ ، وبعسكرِ إقبالِهِ قبلَ عسكرِ قتالِهِ ، وبنصالِ سلطانِهِ قبلَ نصالِ أجفانِهِ ، لا جرمَ أنَّ كتائبَ الرعبِ سارَتْ أمامَ الكتائبِ ، وقواضبَ الحذرِ غمضَتْ في جفونِها عيونُ القواضبِ ، وسارَ أولياءُ أميرِ المؤمنينَ الذينَ تجمَّعوا مِنْ كلِّ أُمَّةٍ ، وتداعَوا بلسانِ النعمةِ ، وتَصرَّفوا بيدِ الخدمةِ ، وصالوا بسيفِ العزمةِ ، متواخيةً نيَّاتُهُم في الإقدامِ ، متآلفةً طويَّاتُهُم في طاعةِ الإمامِ ؛ كالبنيانِ المرصوصِ انتظاماً ، وكالغابِ المُشجَّرِ أعلاماً ، وكالنهارِ الماتعِ حديداً وهَّاجاً ، وكالليلِ الشاملِ عَجَاجاً عَجَّاجاً ، وكالنهرِ المتدافعِ أصحاباً ، وكالمشطِ المُطَّرِدِ اصطحاباً ، فما أُبْصِرَتْ رياضُها المزهرةُ ، وغياضُها المُشجَّرةُ إلَّا دَلَّتْ على أنَّ السَّحابَ الذي سقاهُم كريمٌ ، والإنعامَ الذي غمرَهُم عظيمٌ ، والدنيا التي وسعَتْهُم مِنْ عزمتِهِم تظعنُ وتقيمُ

ولمَّا علمَ العدوُّ أنَّ الخطبَ المظنونَ قد صَرَّحَ خطابُهُ ، والأملَ المخدوعَ قد صفرَ وِطابُهُ راسلَ ورأىٰ أنَّ سلَّ السيوفِ يغمدُهُ ، وماكَرَ وما كرَّ لعلمِهِ أنَّ الحتفَ يَعْمِدُهُ ، واندفع هارباً هائباً ، وخضعَ كائباً كاذباً ، فمضى المملوكُ قُدُماً ، وحَمَّلَهُ ظلمَهُ وقد خابَ مَنْ حملَ ظُلْماً ، وأجابَهُ بأنَّهُ إن وَطِئَ البساطَ برجلِهِ وإلَّا وطِئَهُ برأسِهِ ، وإن قدمَ على المملوكِ بأملِهِ ، وإلَّا أقدمَهُ [بيأسِهِ] ، وإن أظهرَ أثرَ التوبةِ ، وإلَّا أقامَ عليهِ الحدَّ بسكرةِ الموتِ مِنْ كأسِهِ ، فلم يخرجْ مِنْ مراوغةٍ تحتَها مغاورةٌ ، ومكاشرةٍ وراءَها مكابرةٌ

فاستخارَ اللهَ في طلبِهِ ، وانتهزَ فيهِ فرصةَ شغلِ قلبِهِ بريبِهِ ، ولم يغرَّهُ ما أملىٰ لهُ في البلادِ مِنْ تقلُّبِهِ ، وسارَ ولم يزلْ مُقتحِماً ، ويقدمُ أوَّلَ العسكرِ مُحتدِماً ، وإذا الدارُ قد تَرحَّلَ أهلُها منها فبانوا ، وظعنوا عن ساحتِها فكأنَّهُم

ما كانوا ، ولم يبقَ إلَّا مواقدُ نيرانٍ رحلَتْ قلوبُهُم بضرامِها ، وأثافيُّ دهمٌ أعجلَتِ المهابةُ ما ردَّ شقيَّهُم عن طعامِها[1] ، وغربانُ بَيْنٍ كأنَّها في الدِّيارِ ما قُطِعَ مِنْ رؤوسِ بني حامِها ، وعوافي طيرٍ كانَتْ تنظرُ مِنْ أشلائِهِم فطرَ صيامِها ، وعادَتِ الرسلُ المنفذةُ لاقتفاءِ آثارِهِم ، وأداءِ أخبارِهم ، ذاكرةً أنَّهُم لبسوا الليلَ حِداداً على النعمةِ التي خُلِعَتْ ، وغسلوا بماءِ الصُّبحِ أطماعَ نفسٍ كانَتْ قد تَطلَّعَتْ ، وأنَّهُم طلعوا الأوعارَ أوعالاً والعقابَ عِقْباناً ، وكانوا لمهابطِ الأوديةِ سيولاً ، ولأعالي الشجرِ قضباناً ، فرأى المملوكُ أنَّ الكتابَ قد بلغَ أجلَهُ ، والعزمَ منهُم قد نالَ أملَهُ ، والفتكَ بهِم قد أعملَ [مُنْصُلَهُ] ، وأنَّ سيوفَ عساكرِ أميرِ المؤمنينَ مُنزَّهةٌ أن تريقَ إلَّا دماءَ أكفائِها مِنَ الأبطالِ ، وأن تلقىٰ إلَّا وجوهَ أنظارِها مِنَ الرجالِ ، وأصدرَ هٰذهِ الخدمةَ والبلادُ مِنْ مَعرَّتِهِم عاريةٌ ، والكلمةُ بانخفاضِهِم غاليةٌ عاليةٌ ، ويدُ اللهِ علىٰ أعدائِهِ غاديةٌ ، وأنفسُ المخاذيلِ في وثاقِ مهابتِهِ عانيةٌ ، فرأى المملوكُ أن يُرتِّبَ بعدَهُ الأميرَ فلاناً ليبذُلَ الأمانَ لسُوقةِ أهلِ البلادِ ومزارعيها ، ويفصلَ المحاكماتِ بينَ متابعي السَّلطنةِ ومطاوعيها ويفسحَ مجالَ الإحسانِ لمعاودي المواطنِ ومراجعيها ، فإنَّ مَقامَ المملوكِ ومَنْ معَهُ مِنْ عساكرَ تمنعُ الشمسَ مِنْ مطلعِها ، وتردُّ جريةَ البحرِ عن مدفعِها ، ممَّا يضرُّ بالغلالِ وينسفُها ، ويجحفُ بالرعايا ويعسفُها

فالحمدُ للهِ الذي جعلَ النصرَ لائذاً بأعطافِ اعتزامِهِ ، وأناملَ الرعبِ السائرِ إلى الأعداءِ محركةً عذباتِ أعلامِهِ ، والعساكرَ المناضلةَ بسلاحِ ولائِهِ تغني بأسمائِها عن مرهفاتِها ، والكتائبَ المقاتلةَ بشعارِ علائِهِ تقرأُ كتبَ النصرِ مِنْ حماتِها

---

(١) في « صبح الأعشىٰ » (٦/٥١٤) (سَغِبُهم عن طعامها) بدل (شقيهم عن طعامها)

[كتابُ السُّلطانِ صلاحِ الدِّينِ إلىٰ ديوانِ الخلافةِ]

وهٰذهِ صورةُ كتابٍ مِنْ إنشاءِ العمادِ الأصفهانيِّ ؛ وهوَ عصريُّ الفاضلِ ، ومِنْ مشاهيرِ هٰذهِ الطَّبقةِ عنِ السُّلطانِ صلاحِ الدِّينِ ، يخبرُ فيهِ ديوانَ الخلافةِ بالانتصارِ على الإفرنجِ ، وإزالتِهم عن بعضِ بلادِ الشامِ حينَ كانَ قاصداً أن يجليَهُم عن بيتِ المقدسِ وتلكَ النواحي (١)

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾(٢)

الحمدُ للهِ علىٰ ما أنجزَ مِنْ هٰذا الوعدِ ، وعلىٰ نصرتِهِ لهٰذا الدِّينِ الحنيفِ مِنْ قبلُ ومِنْ بعدُ ، وعلىٰ أن أجرىٰ هٰذهِ الحسنةَ التي ما اشتملَ علىٰ مثالِها كرامُ الصَّحائفِ ، ولم يجادلْ عن مثلِها في المواقفِ ، في الأيامِ الإماميةِ الناصريةِ زادَها اللهُ غُرراً وأوضاحاً ، ووالى البشائرَ فيها بالفتوحِ غدوّاً ورواحاً ، ومَكَّنَ سيوفَها في كلِّ مأزقٍ مِنْ كلِّ كافرٍ ومارقٍ ، ولا أخلاها مِنْ سيرةٍ سريَّةٍ تجمعُ بينَ مصلحةِ مخلوقٍ وطاعةِ خالقٍ ، وأطالَ أيديَ أوليائِها لتَحميَ بالحقيقةِ حمى الحقائقِ ، وأنجزَها الحقَّ وقذفَ بهِ على الباطلِ الزاهقِ ، ومَلَّكَها هواديَ المغاربِ ومراميَ المشارقِ ، ولا زالَتْ إرادتُها في الظُّلماتِ مصابحَ ، وسيوفُها للبلادِ مفاتحَ ، وأطرافُ أسنَّتِها لدماءِ الأعداءِ نوازحَ

والحمدُ للهِ الذي نصرَ سلطانَ الدِّيوانِ العزيزِ وأيَّدَهُ ، وأظفرَ جندَهُ الغالبَ وأنجدَهُ ، وجلا بهِ جلابيبَ الظلماءِ [وجدَّدَ جُدُدَهُ] ، وجعلَ بعدَ عسرٍ يسراً ، وقد أحدثَ اللهُ بعدَ ذٰلكَ أمراً ، وهَوَّنَ الأمرَ الذي ما كانَ الإسلامُ يستطيعُ عليهِ صبراً ، وخُوطِبَ الدِّينُ بقولِهِ ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴾(٣) ، فالأُولىٰ في

---

(١) انظر « صبح الأعشىٰ » (٦/٥١٧ ـ ٥٢٠)

(٢) سورة الأنبياء (١٠٥)

(٣) سورة طٰه (٣٧)

عصرِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ والصَّحابةِ ، والأخرىٰ هٰذهِ التي عتقَ فيها مِنْ رقِّ الكآبةِ ، فهوَ قد أصبحَ حُرّاً ، والزمانُ كهيئتِهِ استدارَ ، والحقُّ ببهجتِهِ قدِ استنارَ ، والكفرُ قد ردَّ ما كانَ عندَهُ مِنَ المُستعارِ ، وغُسِلَ ثوبُ الليلِ بماءِ فجرٍ فُجِّرَ مِنْ أنهارِ النهارِ ، وأتى اللهُ بنيانَ الكفرِ مِنَ القواعدِ ، وشفىٰ غليلَ صدورِ المؤمنينَ برقراقِ ماءِ المورداتِ البواردِ

أنزلَ ملائكةً لم تظهرْ للعيونِ اللَّاحظةِ ، ولم تخفَ عنِ القلوبِ الحافظةِ ، عَزَّتْ سِيمَا الإسلامِ بمُسوَّمِها ، وترادفَ نصرُهُ بمردفِها ، وأخذَتِ القرىٰ وهيَ ظالمةٌ ، فترىٰ مترفيها كأن لم يَغنوا فيها ، فكم أقدمَ بها حيزومٌ ، وركض فأتبعَهُ سحابٌ عجاجٌ مركومٌ ، وضربَ فإذا ضربُهُ كتابُ جراحٍ مرقومٌ ، وإلَّا فإنَّ الحربَ إنَّما عُقِدَتْ سِجالاً ، وإنَّما جمعَتْ رجالاً ، وإنَّما دعَتْ خفافاً وثقالاً ، فما سيوفٌ تقابلُ سيوفاً ، وزحوفٌ تقاتلُ زحوفاً ، فيكونُ حدُّ الحديدِ بيدٍ مُذكَّراً وبيدٍ مُؤنَّثاً ، ويكونُ السَّيفُ في اليدِ الموحِّدةِ يغني بالضَّربةِ المُوحَّدةِ ، وفي اليدِ المُثلِّثةِ لا يغني بالضَّربِ مُثلَّثاً ؛ وذٰلكَ أنَّهُ في فئتَينِ التقتا ، وعدوَّتَينِ لغيرِ مَودَّةٍ اعتنقَتا ، وإنَّ هٰذهِ النصرةَ إن زُويَتْ عن ملائكةِ اللهِ جُحِدَتْ كراماتُهم ، وإن زُويَتْ عنِ البشرِ فقد عُرِفَتْ قبلَها مقاماتُهم ، فما كانَ سيفٌ تَيقَّظَ مِنْ جفنِهِ قبلَ أن ينبهَهُ الصَّريخُ ، ولا كانَ ضربٌ يطيرُ الهامَ قبلَ ضربٍ يراهُ الناظرُ ويسمعُهُ المُصيخُ ، فكم ضربةٍ كأنَّها هجرةُ الموتِ وبها التاريخُ !! وكم طعنةٍ تَخِرُّ لها هضابُ الحديدِ ولها شماريخُ !!

والحمدُ للهِ الذي أعادَ الإسلامَ جديداً ثوبُهُ بعدَ أنْ كانَ جديداً حبلُهُ ، مُبْيضّاً نصرُهُ مُخْضَرّاً نصلُهُ ، مُتَّسِعاً فضلُهُ ، مجتمعاً شملُهُ ، والخادمُ يشرحُ مِنْ نبأ هٰذا الفتحِ العظيمِ والنصرِ الكريمِ ما يشرحُ صدورَ المؤمنينَ ، ويمنحُ

الحُبورَ لكافَّةِ المسلمينَ ، ويُكرِّرُ البشرىٰ بما أنعمَ اللهُ بهِ مِنْ يومِ الخميسِ الثالثِ والعشرينَ مِنْ ربيعِ الآخِرِ إلىٰ يومِ الخميسِ منسلخِهِ ، وتلكَ سبعُ ليالٍ وثمانيةُ أيامٍ حسوماً ، سَخَّرَها اللهُ على الكُفَّارِ ، فترى القومَ فيها صرعىٰ كأنَّهُم أعجازُ نخلٍ خاويةٍ ، ورايتُها إلى الإسلامِ ضاحكةٌ كما كانَتْ مِنَ الكفرِ باكيةً

فيومُ الخميسِ الأوَّلُ فُتِحَتْ طبريةُ ، وفاض ريُّ النصرِ مِنْ بُحيرتِها ، وفضَتْ علىٰ جسرِها الفرنجُ فقضَتْ نحبَها بِحَيْرَتِها ، وفي يومِ الجمعةِ والسبتِ كُسِرَ الفرنجُ الكسرةَ التي ما لهُم بعدَها قائمةٌ ، وأخذَ اللهُ أعداءَهُ بأيدي أوليائِهِ أخذَ القرىٰ وهيَ ظالمةٌ ، وفي يومِ الخميسِ مُنسلَخَ الشهرِ فُتِحَتْ عَكَّا بالأمانِ ، ورُفِعَتْ بها أعلامُ الإيمانِ ، وهيَ أمُّ البلادِ ، وأختُ إرمَ ذاتِ العمادِ ، وقد أصبحَتْ كأن لم تَغنَ بالكفرِ ، وكأن لم تفتقرْ مِنَ الإسلامِ

وقد أصدرَ هـٰذهِ المطالعةَ وصليبُ الصَّلَبُوتِ مأسورٌ ، وقلبُ ملكِ الكفرِ الأسيرِ جيشُهُ المكسورُ مكسورٌ ، والحديدُ الكافرُ الذي كانَ في الكفرِ يَضرِبُ وجهَ الإسلامِ ، قد صارَ حديداً مسلماً يُفرِّقُ خطواتِ الكفرِ عنِ الأقدامِ ، وأنصارُ الصَّليبِ وكبارُهُ ، وكلُّ مَنِ المعموديَّةُ عمدتُهُ والدير دارُهُ قد أحاطَتْ بهِ يدُ القبضةِ ، وأُخِذَ رهناً فلا يُقبَلُ فيهِ القناطيرُ المُقنطَرةُ مِنَ الذَّهبِ والفضةِ ، وطبريةُ قد رُفِعَتْ أعلامُ الإسلامِ عليها ، ونَكَصَتْ مِنْ عَكَّا مِلَّةُ الكفرِ علىٰ عقبَيها ، وعُمِّرَتْ إلىٰ أن شهدَتْ يومَ الإسلامِ وهوَ خيرُ يومَيها ، بل ليسَ مِنْ أيامِ الكفرِ يومٌ فيهِ خيرٌ ، وقد غُسِلَ عن بلادِ الإسلامِ بدماءِ الشركِ ما كانَ تَخلَّلَها فلا ضررَ ولا ضيرَ ، وقد صارَتِ البِيَعُ مساجدَ بها مَنْ آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ ، وصارَتِ المذابحُ مواقفَ لخطباءِ المنابرِ ، واهتزَّتْ أرضُها لوقوفِ المسلمينَ فيها وطالَما ارتجَّتْ لمواقفِ الكافرِ ، وافترَّتِ النصرةُ عن ثغرِ

عَكًّا بحمدِ اللهِ الذي يَسَّرَ فتحَها ، وتَسلَّمَتْها المِلَّةُ الإسلاميةُ بالأمانِ وعرفَتْ في هٰذهِ الصَّفقةِ ربحَها ، وأمَّا طبريةُ فافترَتْها يدُ الحربِ فأنهرَتِ الحربُ جرحَها

فالحمدُ للهِ حمداً لا تُضرَبُ عليهِ الحدودُ ، ولا تُزكَّىٰ بأزكىٰ منهُ العقودُ ، وكأنَّه بالبيتِ المُقدَّسِ وقد دنا الأقصىٰ مِنْ أقصاهُ ، وبَلَّغَ اللهُ فيهِ [الأملَ] الذي علمَ أن يُحصيَهُ وأحاطَ بأجلِهِ وقضاهُ ، لكلِّ أجلٍ كتابٌ ، وأجلُ العدوِّ هٰذهِ الكتائبُ الجامعةُ ، ولكلِّ عملٍ ثوابٌ ، وثوابُ مَنْ حظيَ بطاعتِهِ جنَّاتُ نعيمِهِ الواسعةُ ، واللهُ المشكورُ علىٰ ما وهبَ ، والمسؤولُ في إدامةِ ما استيقظَ مِنْ جدِّ الإسلامِ وهبَّ

[عهدٌ منَ المستعينِ باللهِ إلى الملكِ العادلِ مُظفَّر شاهٍ]

ومِنْ مشاهيرِ هٰذهِ الطَّبقةِ : تقيُّ الدِّينِ أبو بكرٍ ابنُ حِجَّةَ ، صاحبُ « خزانةِ الأدبِ » ، وإنشاؤُهُ كثيرٌ ، جُمِعَ في كتابٍ ذي مُجلَّداتٍ ، مُلقَّبٍ بـ « قهوةِ الإنشاءِ » ، فمِنْ إنشائِهِ صورةُ عهدٍ كتبَهُ عن خليفةِ وقتِهِ المستعينِ لأحدِ سلاطينِ الهندِ ؛ وهيَ هٰذهِ[1]

الحمدُ للهِ الذي وَثَّقَ عهدَ النجاحِ للمستعينِ بهِ ، وثَبَّتَ أوتادَهُ ليفوزَ مَنْ تَمسَّكَ مِنْ غيرِ فاصلةٍ بسببِهِ ، وزَيَّنَ السماءَ الدنيا بمصابيحَ وحفظاً ، وأفرغَ علىٰ أعطافِ الأرضِ حللَ الخلافةِ الشريفةِ ، وعلمَ أنَّ في خلفِها الزاهرِ زهرةَ الحياةِ الدنيا ، فقالَ عَزَّ مِنْ قائلٍ ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2] ، واختارَها مِنْ بيتٍ براعةُ استهلالِهِ في أوَّلِ بيتٍ وُضِعَ للناسِ ، وسبقَتْ إرادتُهُ ولهُ الحمدُ

(١) قهوة الإنشاء (ص ٤٢٨ ـ ٤٣٤)
(٢) سورة البقرة (٣٠)

أن تكونَ هـٰذهِ النهلةُ الشريفةُ مِنْ سقايةِ العباسِ ، فالحمدُ للهِ علىٰ أن جعلَ هـٰذهِ السِّقايةَ عيناً يشربُ بها المُقرَّبونَ ، ومَنْ علمَ شرفَها تَميَّزَ بقولِهِ تعالىٰ ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١)

فالحمدُ للهِ الذي استخلفَ آلَ النبيِّ في الأرضِ وفَضَّلَهُم ، وإن تَحدَّثَ أحدٌ في شرفِ بيتٍ فاللهُ قد جعلَ البيتَ والحديثَ لهُم ، فأكرمْ بهِ بيتاً مَنْ أقرَّ بعبوديتِهِ كانَ لهُ مِنَ النارِ عتقاً ، وتَمتَّعَ بنعيمِ بركتِهِ التي لا يَتجنَّبُها إلَّا الأشقىٰ ، وكيفَ لا وهوَ البيتُ الذي بعثَ اللهُ منهُ شاهداً ومُبشِّراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً منيراً ، وصَفَّىٰ أهلَهُ مِنَ الأدناسِ ، وأنزلَ في حقِّهِم ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(٢) ، وأبرزَ علمَهُمُ الخليفتيَّ علىٰ وجنةِ الدِّهرِ شامةً ، وخَصَّهُم بالتقديمِ فالحمدُ للهِ واللهُ أكبرُ لهـٰذهِ الإمامةِ ، وإذا كانَ النسيبُ مُمدَّحاً وهوَ في النظمِ واسطةُ العقودِ فهـٰذا هوَ النسبُ الذي يلوحُ عليهِ مِنْ شمسِ الضُّحىٰ نورٌ ومِنْ فَلَقِ الصَّباحِ عمودٌ ، وهـٰذا هوَ الركنُ الذي مَنِ استلمَهُ واستندَ إليهِ قيلَ لهُ فزتَ بعُلُوِّ سندِكَ ، فقد قيلَ إنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قالَ « أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا عَمُّ ؟ » ، قالَ : بلىٰ يا رسولَ اللهِ ، قالَ « إِنَّ ٱللهَ قَدْ فَتَحَ ٱلْأَمْرَ بِي ، وَيَخْتِمُهُ بِوَلَدِكَ »(٣)

فأحببْ بها شجرةَ نسبٍ زكا غرسُها ونما ، وتسامَتْ بها الأرضُ وكيفَ لا ؟! وأصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماءِ ، فسلامٌ علىٰ خلفِها الذي منهُ المستعينُ باللهِ ، والمُتوكِّلُ عليهِ ، والواثقُ بهِ والرشيدُ ، ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ عليكُم أهلَ البيتِ ، إنَّهُ حميدٌ مجيدٌ

---

(١) سورة الزمر (٩)

(٢) سورة الأحزاب (٣٣)

(٣) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/٣١٥) بنحوه عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

نحمدُهُ حمدَ مَنْ عَلِمَ أنَّ آلَ هٰذا البيتِ النبويِّ كسفينةِ نوحٍ وتَعلَّقَ بهِم فنجا ، ونشكرُهُ شكرَ مَنْ مالَ إلى الدخولِ تحتَ العلمِ العباسيِّ ، وتَنصَّلَ مِنَ الخوارجِ فوجدَ لهُ مِنْ كلِّ ضيقٍ مَخرجاً ، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةً نرجو أن تكونَ مقبولةً عندَ الحاكمِ وقتَ الأدا ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الذي حَرَّضَنا على الوفاءِ بالعهدِ وأرشدَنا إلىٰ طريقِ الهدىٰ ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ الذينَ وَفَّوا لهُ بالعهودِ ، وأقامَتْ مواضي سيوفِهِمُ الحدودَ ، صلاةً يسقي عِهادُ الرحمةِ إن شاءَ اللهُ عهدَها ، وينظمُ في سلكِ العبوديةِ عقدَها ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً

وبعدُ فالحمدُ للهِ الذي ألهمَنا الرشدَ وجعلَ منَّا الخلفاءَ الراشدينَ ، وبنسبتِنا إلىٰ علمِ الهدىٰ فَضَّلَنا بالأئمةِ المهديينَ ، واصطفىٰ مِنْ هٰذا الخلفِ الشريفِ خلائفَ الأرضِ ، وسَنَّ مواضيَ العقولِ التي قطعَتْ أنَّ طاعتَنا فرضٌ ؛ فإنَّ لعهدِنا العباسيِّ شرفاً لا يَرفُلُ في حللِهِ الشَّريفةِ إلَّا مَنِ اتخذَ معَ اللهِ عهداً وأتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ ؛ فقد قالَ اللهُ تعالىٰ ـ بعدَ أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (١)

ولا يَتمسَّكُ بطيبِ هٰذا العهدِ الشريفِ إلَّا مَنْ صحا إلى القيامِ بواجبِ الطاعةِ ، وتركَ أهلَ الجهلِ في سكرتِهِم يعمهونَ ، وانتظمَ في سلكِ مَنْ أنزلَ اللهُ في حقِّهِم ﴿ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة آل عمران (٧٧)

(٢) سورة البقرة (١٧٧)

وهوَ قبضةٌ مِنْ آثارِ البيعةِ النبويَّةِ ، وشعارٌ يَتشرَّفُ به مَنْ مشىٰ تحتَ الرايةِ العبَّاسيةِ ، وما أُرسِلَ هـٰذا العهدُ النبويُّ إلىٰ ملكٍ مِنْ ملوكِ الأرضِ إلَّا عمَّهُ الشَّرفُ مِنْ جميعِ جهاتِهِ ، واللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالاتِهِ ، ولا أُعلِنَ بهِ علىٰ منبرٍ إلَّا شَدَتْ أعوادُهُ طرباً ، وأزهرَتْ رونقاً وأثمرَتْ أدباً ، وقالَتْ وقد رَنَّحَتْها نسماتُ القَبولِ مِنْ ساكنِ الروضةِ ، واخضلَّ نباتُ تلكَ البقاعِ وأينعَ وعمَّ الفرحُ بها كلَّ غيضةٍ

وكانَ المَقامُ الأشرفُ العالي ـ إلىٰ آخرِ الصِّفاتِ السُّلطانيةِ ـ السلطانيُّ ، الملكُ المظفريُّ ، شمسُ الدنيا والدينِ ، والمستعينُ في زيادةِ شرفِ ملكِهِ بعدَ اللهِ بالمستعينِ ، لا زالَتْ أيامُهُ الزاهرةُ بشمسِهِ المنيرةِ مشرقةً ، وتوقيعاتُ الرقاعِ بنسخِ صفاتِهِ الشريفةِ مُحقَّقةً ممَّنْ رغبَ في التمسُّكِ بهـٰذا العهدِ الشريفِ ؛ ليزيلَ عن ملكِهِ الالتباسَ ، واستندَ إليهِ ليرويَ في سندِهِ العالي عنِ ابنِ عباسٍ ، ومشىٰ بعينِ البصيرةِ في هـٰذا المنهجِ القويمِ ، وتلا لَهُ لسانُ الحالِ ﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (١) ، وطاولَ بيدِ الخلافةِ الشريفةِ لإقامةِ الحدِّ ـ علماً بأنَّ يدَ الخلافةِ لا تطاولُها يدٌ ـ وأخلص مَودَّتَهُ في التقرُّبِ إلىٰ بيتِنا الشريفِ لِمَا شغفَهُ حبّاً ، وتمسَّكَ بطيبِ ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ (٢) لأنَّـهُ الملكُ الذي ظَفَّرَهُ اللهُ بأعداءِ هـٰذا الدِّينِ وسمَّاه مُظفَّراً ، ولَقَّبَهُ بالشمسِ واختارَ لهُ أن يقارنَ مِنَ الطَّلعةِ المستعينيَّةِ قمراً ، أينعَ زهرُ العدلِ بحضرةِ [دِهْلي] فعطَّرَ الآفاقَ ، وضاعَ نشرُهُ بالهندِ فعادَ الشمُّ إلى المزكومِ بالعراقِ ، وصارَتْ دمنُ سُمْناتَ عامرةً بقيامِ الدِّينِ ، وأيَّدَهُ اللهُ فيها بعدَ القتالِ بالفتحِ المبينِ ، ولم يتركْ للعدوِّ في بيتَ بَيْتَ ليلةً ، وأبطلَ ما دَهَّرَهُ أهلُ داهرَ بحسنِ اليقظةِ وقُوَّةِ

---

(١) سورة الملك (٢٢)

(٢) سورة الشورىٰ (٢٣)

الصَّولةِ[1] ، وأبادَ الكفرةَ مِنْ دِيوَ ولم يقبلْ لهُم ديةً ، وفاؤوا إلىٰ غيرِ أمرِ اللهِ فقصمَهُم بسيفِهِ الهنديِّ ولم تقمْ لهُم فِيه ، وفطرَ أكبادَ مَنْ ناواهُ بها فلازموا عن رؤيتِها الصومَ ، ونادىٰ منادي عدلِهِ بالبلادِ الهنديَّةِ لا ظلمَ اليومَ ، ودانَتْ لهُ تلكَ الممالكُ برّاً وبحراً ، وسهلاً ووعراً

ما نظمَ الأعداءُ علىٰ ذٰلكَ البحرِ المديدِ بيتاً إلَّا أبانَ زحافَهُ وأدارَ عليهِ دوائرَهُ ، وكم نظمَ شملَ الرعايا بالعدلِ ، ونثرَ رؤوسَ الكفرةِ بالسيفِ ، فلا عدمَ الإسلامُ في الحالَينِ ناظمَهُ وناثرَهُ عربيٌّ ، وكم كَلَمَ الأعداءَ بلسانِ الهنديِّ فأحجمَهُم عندَ ملتقاهُ عادلٌ تسلسلَ حديثُ فضلِهِ فغدا مرسلاً معَ الرواةِ ، عاطرُ الأرجاءِ ولم ينمَّ المِسكُ إلَّا بطيبِ تربتِهِ ، سلطانٌ تَتطفَّلُ الملوكُ علىٰ أواني موائدِهِ وتخضعُ لسلطانيَّتِهِ ، سُئِلَتِ الرُّكبانُ في البرّ عن مناقبِهِ الشريفةِ وعمَّ يتساءلونَ وقد صارَ لها عظيمُ النبا ، وصرَّحَ راكبُ البحرِ بعدَ التسميةِ باسمِهِ فاتخذَ سبيلَهُ في البحرِ عجباً ، فظلُّهُ في البرّ ظليلٌ ، وعدلُهُ في البحرِ بسيطٌ وطويلٌ

هٰذا ؛ ولم يبقَ في تلكَ الممالكِ الهنديَّةِ بقعةٌ إلَّا ولم يصغرِ اللهُ بسنابكِ الخيلِ فيها ممشاهُ ، ولا نفسٌ خارجةٌ عنِ الطَّاعةِ الشريفةِ إلَّا ماتَتْ في رقعةِ الأرضِ بمُظَفَّرِ شاهٍ ، فلذٰلكَ رُسِمَ بالأمرِ الشريفِ ـ إلىٰ آخرِ الصِّفاتِ الإماميةِ ـ أن يُفوَّض إليهِ مِنْ ولايةِ العهدِ وكفالةِ السلطنةِ الشريفةِ بالبلادِ الهنديَّةِ ما هوَ المعهودُ ؛ ليهطلَ جودُ الرحمةِ علىٰ تلكَ البِقاعِ المباركةِ إن شاءَ اللهُ ويجودُ ، عهداً شريفاً ـ إلىٰ آخرِ الصِّفاتِ ـ وأن يستخلفَ فيما فَوَّضَهُ اللهُ إلينا مِنْ صلاحِ الأُمَّةِ ومصالحِ الخلقِ ، استخلافاً تَتحلّىٰ بذكرِهِ الأفواهُ ، وتَترنَّمُ بهِ في شعابِ مَكَّةَ الحُداةُ ، ويَقطعُ بهِ ويَحفظُهُ ربُّ كلِّ سيفٍ وقلمٍ ، ويَعتمِدُ عليهِ

(١) في « صبح الأعشىٰ » (١٠/١٣٢) (دِهلي بحسن اليقظة) بدل (داهر بحسن اليقظة)

كلُّ ذي عِلْمٍ وعَلَمٍ ، فلا زعيمَ جيشٍ إلَّا وهٰذا التفويضُ الشريفُ يَسَعُهُ في بلادِهِ ويَشملُهُ ، ولا إقليمَ مِنْ أقاليمِهِ إلَّا ومَنْ بهِ يُقبِّلُهُ ويَقبَلُهُ ، ويَتمثَّلُ بهِ ويَمتثِلُهُ ، ولا مِنبرَ إلَّا وخطيبُهُ يتلو كتابَ هٰذا التفويضِ ويُرتِّلُهُ

وأمَّا الوصايا . فعندَهُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ تهبُّ نسماتُ قَبولِها ، ويُعرِبُ عن نصبِ مفعولِها ، وهوَ بحمدِ اللهِ لِوصايا هٰذا العهدِ الشريفِ نِعْمَ القابلُ ، فقد قيلَ إنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قالَ « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ ٱللهُ فِي ظِلِّهِ »[1] ، منهُمُ الإمامُ العادلُ ، والوصيةُ بالرَّعايا واجبةٌ ، وقد حَرَّض النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ على العدلِ فيهِم ، وحَرَصَ عليهِ وقالَ : « يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً أَحْوَجَ مَا تَكُونُ ٱلْأَرْضُ إِلَيْهِ »[2]

وقالَ ابنُ عمِّنا عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ (الملكُ والدِّينُ أخوانِ ، لا غنىٰ لأحدِهِما عن الآخَرِ ، فالدِّينُ أُسٌّ والمَلِكُ حارسٌ ؛ فإن لم يكنْ لهُ أُسٌّ فمهدومٌ ، وما لم يكنْ لهُ حارسٌ فضائعٌ)[3] ، فهٰذهِ الحكمةُ بها يعالجُ ما ضَعُفَ مِنْ أركانِ الملكِ ، وهٰذا المشرعُ يَجري علىٰ أجملِ الشرائعِ ، فليأمرْ بالمعروفِ ، وينهَ عنِ المنكرِ ، علماً أنَّهُ ليسَ يُسأَلُ في غدٍ عن ذٰلكَ سوانا وسواهُ ، ويردَّ نفسَهُ الشريفةَ عنِ الهوىٰ ، ولا يَحسُنُ لنباتِ قَدِّهِ أن يَميلَ معَ هواهُ ، وليتركِ الثغورَ بعدلِهِ باسمةً ، وقواعدَ الملكِ بفضلِهِ قائمةً ، وليجاهدْ في اللهِ حقَّ جهادِهِ ، ويلطفْ بالرعايا ويعلمْ أنَّ اللهَ لطيفٌ بعبادِهِ ، وليشرحْ لهُم بالإحسانِ صدراً ليَجرُوا إذا وقفَ علىٰ أحوالِهِم أحسنَ مَجرىً

وهوَ بحمدِ اللهِ غيرُ محتاجٍ إلى التأكيدِ ؛ لأنَّهُ لم يخلُ لهُ مِنَ القيامِ في

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) أخرجه بنحوه إلىٰ قوله « صباحاً » البيهقي في « السنن الكبير » (١٦٢/٨) برقم (١٦٧٢٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما

(٣) انظر « إحياء علوم الدين » (٦٧/١)

مصالحِ الأُمَّةِ فكرٌ ، ولـٰكنَّهُ تجديدُ ذكرٍ علىٰ ذكرٍ ، واللهُ تعالىٰ يُمتِّعُ بطولِ بقائِهِ البلادَ والعبادَ ، ولا برحَتْ سيوفُهُ الهنديَّةُ تَكْلُمُ أعداءَ هـٰذا الدِّينِ بألسنةٍ حدادٍ ، وثَبَّتَ ملكَهُ بالعدلِ وشيَّدَ أقوالَهُ ، وختمَ بالصَّالحاتِ أعمالَهُ ، إن شاءَ اللهُ تعالىٰ

[عقدُ نكاحِ السلطانِ الناصرِ فرجٍ لبعضِ بناتِ أمرائِهِ]

وهـٰذِهِ صورةُ تسجيلِ عقدِ نكاحٍ ويُسمَّىٰ صداقاً ، وقد تَزَوَّجَ سلطانُ وقتِهِ الناصرُ بعض بناتِ أمرائِهِ [١]

الحمدُ للهِ الذي أيَّدَ السنةَ الشريفةَ بقُوَّةٍ وناصرٍ ، وأعزَّها بعزيزِ مصرَ ؛ لأنَّهُ شعرَ ببركتِها فجعلَها لهُ مِنْ أجملِ الشَّعائرِ ، سنَّ ـ خَلَّدَ اللهُ ملكَهُ ـ أسنَّتَها فصارَ لها بهِ ملكةٌ وسلطانٌ ، وشهرَ سيفَها لإقامةِ الحدودِ فأقامَ بهِ قواعدَ الإيمانِ ؛ فالشكرُ للهِ علىٰ أن عَرَّفَنا بطيبِ هـٰذا الأثرِ الشريفِ وشرحَ للتمسُّكِ بهِ صدراً ، ووضعَ عنَّا بهِ وزراً ، وأمدَّنا بأموالٍ وبنينَ وجعلَ بينَنا نسباً وصهراً ، وسقىٰ سبحانَهُ وتعالىٰ أرض المصاهرةِ بماءِ القربِ ففاحَ نشرُها الأريجُ ، واهتزَّتْ وربَتْ وأنبتَتْ مِنْ كلِّ زوجٍ بهيجٍ ، وقَرَّبَ بينَ البعيدَينِ ، فصارا زوجَينِ اثنَينِ ، [وهـٰذِهِ] نكرةٌ بغيرِ قدرتِهِ لا تَتعرَّفُ ، وأَلَّفَ بينَ أجانبَ لو أنفقتَ ما في الأرضِ جميعاً ما أَلَّفتَ بينَ قلوبِهِم ولـٰكنَّ اللهَ أَلَّفَ ، فلهُ المِنَّةُ علىٰ أن جعلَ النساءَ حرثاً لزرعِ نباتِهِ زهرةَ الحياةِ الدنيا ، وسقياً لهـٰذا النباتِ ورعياً

نحمدُهُ حمدَ مَنْ تَرقَّىٰ باتباعِ السنَّةِ الشريفةِ إلىٰ أعلى الدَّرَجِ ، ونشكرُهُ شكراً يأتينا عندَ كلِّ شِدَّةٍ بفرجٍ ، ونشهدُ أن لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، وحدَهُ لا شريكَ

---

(١) انظر « قهوة الإنشاء » (ص ٤٣٥ ـ ٤٣٨)

لهُ ، شهادةً مقبولةً إن شاءَ اللهُ عندَ أحكمِ الحاكمينَ في دارِ المُقامةِ ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الذي قالَ « تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا ؛ فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمُ ٱلْأُمَمَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[١] ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ الذينَ أيَّدوا مِلَّتَهُ ، واتبعوا سُنَّتَهُ ، وسَلَّمَ تسليماً

وبعدُ فإنَّ النكاحَ سُنَّةٌ مِنْ سننِ الأنبياءِ ، وحليةٌ مِنْ شعارِ الأولياءِ ، تنتظمُ جواهرُهُ في أسلاكِ عقودِ الشملِ ، وتمسي عرائسُ غصونِهِ ببركةِ هٰذا الغراسِ في حملٍ ، ما برحَ نورُها في جباهِ هٰذهِ الأُمَّةِ يتضحُ ويتبلَّجُ ، وقد حَرَّضَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ عليهِ فقالَ : « يَا مَعْشَرَ ٱلشَّبَابِ ؛ مَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمُ ٱلْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ »[٢]

وكانَ المُقامُ الشريفُ العالي المولويُّ السلطانيُّ الملكيُّ الناصريُّ ، مُؤيِّدُ السُّنَّةِ الشريفةِ وناصرُها ، والقامعُ بسيفِهِ الشريفِ أهلَ البدعِ وقاهرُها ، ركنُ الإسلامِ والمسلمينَ ، مبيدُ الطُّغاةِ والمُتمرِّدينَ ، سلطانُ العربِ والعجمِ ، والعزيزُ الذي ذلَّتْ لبأسِهِ صِيدُ الملوكِ وخضعَتْ رقابُ الأُمَمِ ، ناظرُ الحرمَينِ ، وصاحبُ وقعةِ الجيتينِ ، ومذيلُ التاريخِ على الناصرَينِ ، أبو السعاداتِ فرجُ بنُ مولانا السُّلطانِ السعيدِ الشهيدِ ، الدَّارجِ إلىٰ رحمةِ ربِّهِ المجيدِ ، الملكِ الظاهرِ أبي سعيدٍ برقوقَ ، خَلَّدَ اللهُ تعالىٰ ملكَهُ ، وأعزَّ سلطانَهُ ، وجعلَ مِنَ الملائكةِ المُقرَّبينَ أنصارَهُ وأعوانَهُ

مُلْكٌ إِذَا حَدَّثُوا عَجَائِبَهُ ... فَإِنَّهَا ٱلْبَحْرُ مَا لَهُ آخِرْ
وَإِنْ تَقَوَّىٰ بِغَيْرِهِ مَلِكٌ ... فَمَا لَهُ قُوَّةٌ وَلَا نَاصِرْ[٣]

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١٠٣٩١) عن سعيد بن أبي هلال رحمه الله تعالىٰ مرسلاً بنحوه
(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٥) ، ومسلم (١٤٠٠) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه
(٣) من المنسرح

سلطانُ اللهُ أكبرُ ، كأنَّ المقاديرَ لأوامرِهِ الشريفةِ طائعةٌ ، ما قاومَتْهُ ملوكُ الأرضِ إلَّا ذبحَتْها عزائمُهُ على الشرقِ وجاءَتْهُ رؤوسُها إلى الغربِ خاضعةً ، ولا كادَهُ عدوٌّ إلَّا ردَّ اللهُ كيدَهُ في تضليلٍ ، ألم ترَ كيفَ فعلَ ربُّكَ بأصحابِ الفيلِ ؟! تتزاحمُ تيجانُ الملوكِ حولَ ركابِهِ الشريفِ ، وإن ذُكِرَ تزاحمَتِ الأسماءُ أكثرَ ، وكيفَ لا وهوَ الملكُ الذي لم يخلُ مِن اسمِهِ الشريفِ درهمٌ ولا دينارٌ ولا عودُ منبرٍ ؟! إن تلاعبَتْ كُماتُهُ بعواليها لا تسلْ عن تلاعبِ الأشبالِ في الآجامِ ، أو أمالَتْ ألفاتُ رماحِها طاعنةً عذلَ نفسَهُ صاحبُ كلِّ لامةٍ ولامَ ، ما قابلَ خميسَ حربٍ إلَّا ولم يَبْقَ مِنْ جمعةِ ذٰلكَ الخميسِ أحدٌ ، ولا سلَّ بيدِهِ الشريفةِ سيفاً لامعاً إلَّا فرَّ صاحبُ القوسِ وعلمَ أنَّ الطالعَ بالشمسِ والأسدِ ، ولا خفقَتْ أعلامُهُ الصُّفرُ في سوادِ نقعٍ إلَّا سُلِقَتِ البيضُ مِنْ زرقِ لسنتِهِ بألسنةٍ حدادٍ ، وأصابَ كلَّ فؤادٍ ، مُصدِّقاً أبا الطيبِ في قولِهِ (١) [من الوافر]

وَقَدْ صُغْتَ ٱلْأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ ... فَمَا يَخْطُرْنَ إِلَّا فِي فُؤَادِ

[وقالَ القاضي الفاضلُ] (٢) [من الكامل]

وَهِيَ ٱلسَّعَادَةُ فِي ٱلسِّمَاكِ فَلَوْ يَشَا ... لَأَصَابَ مِنْهَا رَامِحاً بِٱلْأَعْزَلِ

هٰذا ؛ وسيوفُ حكمِهِ ـ خَلَّدَ اللهُ ملكَهُ ـ ما تضربُ إلَّا صفحاً عن كلِّ آثمٍ ، وما أحقَّهُ بقولِ القائلِ لو علمَ الناسُ محبتي بالعفوِ لتقرَّبوا إليَّ بالجرائمِ

وأمَّا عطاؤُهُ ـ سبحانَ المانحِ ـ ما أعطىٰ إلَّا وَدَّتْ أغنياءُ الملوكِ أن تصيرَ سائلةً كأبناءِ السبيلِ ، وكيفَ يحيا لجعفرٍ خالدُ ذكرٍ وما جعفرٌ بالنسبةِ

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٦١)

(٢) انظر « ديوان القاضي الفاضل » (ص ٢٨١)

إلىٰ بحرِ النيلِ ؟! فلو أدركَهُ الفاضلُ لقالَ هـٰذهِ المناقبُ الناصريَّةُ ، وعبدُ الرحيمِ عبدُ الرحيمِ !! وأنشدَ وقد شاهدَ ما قالَهُ عياناً في الناصرِ القديمِ (١) [من البسيط]

أَهَـٰذِهِ سِيَرٌ فِي ٱلْمَجْدِ أَمْ سُوَرٌ وَهَـٰذِهِ أَنْجُمٌ فِي ٱلسَّعْدِ أَمْ غُرَرُ
وَأَنْمُلٌ أَمْ بِحَارٌ وَٱلسُّيُوفُ بِهَا مَوْجٌ وَإِفْرِنْدُهَا فِي لُجِّهَا دُرَرُ
وَأَنْتَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ فَوْقَ ٱلسَّمَاءِ وَفِي يَمِينِكَ ٱلْبَحْرُ أَمْ فِي وَجْهِكَ ٱلْقَمَرُ
يُقَبِّلُ ٱلْبَدْرُ تُرْباً أَنْتَ وَاطِئُهُ فَلِلتُّرَابِ عَلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَثَرُ
نَأَىٰ بِكَ ٱلْمُلْكُ حَتَّىٰ قِيلَ ذَا مَلَكٌ دَنَا بِكَ ٱلْجُودُ حَتَّىٰ قِيلَ ذَا بَشَرُ
خَلَائِقٌ فِي سَمَاوَاتِ ٱلْعُلَا زُهُرٌ لَنَا تُنِيرُ وَفِي رَوْضِ ٱلثَّنَا زَهَرُ

ونعودُ إلىٰ أنَّهُ ـ خَلَّدَ اللهُ ملكَهُ ـ هوَ المُتحلِّي بشعارِ هـٰذهِ السُّنَّةِ ، والمُتقلِّدُ للهِ سبحانَهُ وتعالىٰ هـٰذهِ المِنَّةَ ؛ لأنَّهُ الملكُ الذي إن نصرَ السُّنَّةَ فهوَ ناصرُ الدنيا والدِّينِ ، أو أبانَ شرفَها فقد تأيَّدَتْ منهُ بسلطانٍ مبينٍ ، أو تَرقَّىٰ إلىٰ أوجِها حلَّ منها في أرفعِ مَحَلٍّ ، أو عقدَ عليها خناصرَهُ الشريفةَ فإنَّهُ صاحبُ العقدِ والحلِّ

رغبَ إليها ـ خَلَّدَ اللهُ ملكَهُ ـ فسرىٰ نسيمُ القَبولِ ، وفتحَ طُروسَ الأوراقِ في مسراهُ وجرتْ حمرُ الأقلامِ في ميادينِ الطُّروسِ ، فكتبَتْ

باسمِ اللهِ ، هـٰذا ما أصدقَ مولانا المقامُ الشريفُ العالي المولويُّ السُّلطانيُّ الملكيُّ الناصريُّ ـ لا زالَتْ أبكارُ العقودِ وأيتامُها بسلكِهِ الشريفِ منظومةً ، وفتحَ لهُ كلُّ مانعٍ وكثرةُ الفتوحاتِ في الأيامِ الناصريَّةِ معلومةٌ ـ مرغوبتَهُ الجهةَ المصونةَ ، المُمنَّعةَ المُحجَّبةَ المُكرَّمةَ ، الخوندَ الخاتونَ ،

(١) انظر « ديوان القاضي الفاضل » (ص ٢٢١ ـ ٢٢٢)

دُرَّةَ تاجِ الفخرِ ، وعينَ إنسانِ الخواتينِ ، ويتيمةَ العقودِ ومُخدَّرةَ الملوكِ والسلاطينِ ، ثالثةَ القمرَينِ ، والممدودَ سترُها الرفيعُ علىٰ مفرقِ الفرقدَينِ ، ربيبةَ حجرِ الملكِ ورضيعةَ لبانِهِ ، وخلاصةَ الذَّهبِ الإبريزِ وقلادةَ عِقيانِهِ ، والنهدَ الذي كبا خلفَهُ كلُّ كميتٍ براكبِهِ ، وكيف لا ووالدُها كانَتِ الشقراءَ والشهباءَ مِنْ بعضِ جنائبِهِ ؟! ذاتَ الستورِ الرفيعةِ ، والحجبِ المنيعةِ ، ستَّ الملوكِ بنتَ المقرِّ الأشرفِ السيفيِّ المرحوميِّ ، كشبغا بنِ عبدِ اللهِ الحمويِّ الظاهريِّ ، البِكْرَ العاقلَ الصحيحةَ الأوصافِ ، الخليةَ عنِ الموانعِ الشَّرعيةِ ، أسبغَ اللهُ تعالىٰ ظلالَ خُدورِها ، ومدَّ على الآفاقِ أطنابَ ستورِها ، أصدقَها علىٰ بركةِ اللهِ وعونِهِ وتوفيقِهِ وسُنَّةِ نبيِّهِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ صَداقاً مبلغُهُ مِنَ الذَّهبِ المصريِّ ألفُ دينارٍ ، نصفُها خمسُ مئةِ دينارٍ ، ومِنَ الدراهمِ الفضةِ الجيدةِ المعاملةِ يومَئذٍ عشرونَ ألفَ درهمٍ ، نصفُها عشرةُ آلافِ درهمٍ

وَلِيَ تزويجَها منهُ علىٰ ذٰلكَ بإذنِها الكريمِ مولانا وسيِّدُنا العبدُ الفقيرُ إلى اللهِ تعالى ، الشيخُ الإمامُ القدوةُ العلَّامةُ ، حُجَّةُ الإسلامِ والمسلمينَ ، حسنةُ الأيامِ ورحلةُ الطالبينَ ، عَلَمُ المُحقِّقينَ ، خالصةُ أميرِ المؤمنينَ ؛ أبو حفصٍ عمرُ بنُ أبي جرادةَ الحنفيُّ ، الناظرُ في الحكمِ العزيزِ بالديارِ المصريةِ وسائرِ الممالكِ الإسلاميةِ ، أعزَّ اللهُ تعالىٰ أحكامَهُ ، ونشرَ على الخافقَينِ بالعِلْمِ الشريفِ أعلامَهُ ، قبلَ منهُ ذٰلكَ لنفسِهِ الشريفةِ ـ عَظَّمَ اللهُ تعالىٰ شرفَها ـ قَبولاً صحيحاً شرعيّاً ، بحضرةِ مَنْ تمَّ العقدُ الشريفُ بحضورِهِ شرعاً

فأكرِمْ بهِ اتصالاً شريفاً ، اجتمعَ طريفُهُ وتالدُهُ ، وأحببْ بهِ عقداً ناصريّاً والقاضي الفاضلُ عاقدُهُ ، وتاللهِ ؛ لقد أضحىٰ بنظمِ هاتَينِ الجوهرتَينِ في عقدِهِ رفيعَ المنالِ ، وحظيَ مِنْ تنقُّلِ هٰذَينِ القمرَينِ إلىٰ أُفقِهِ بشرفِ الانتقالِ ،

وكيفَ لا وقد حصلَ لهُما بهٰذا العاقدِ الكمالُ ، تَرقَّتْ إلىٰ أعلى الدرجِ بسيفِ الإسلامِ ، فلسانُ الهَنا علىٰ منابرِ الشكرِ خطيبٌ ، وحصلَ لها بالناصرِ وقربِ كاتبِ سِرِّهِ نصرٌ مِنَ اللهِ وفتحٌ قريبٌ ، وأمستْ ستَّ الدِّيارِ المصريَّةِ وراحَتْ بغيضتِها ستَّ الشامِ ، وأبى اللهُ أن يمتطيَ صهوةَ هٰذا النهدِ إلَّا فارسُ الإسلامِ ، جعلَهُ اللهُ عقداً مباركاً ميموناً ، تَتجمَّلُ بسوادِ سطورِهِ وبياضِ طُروسِهِ الليالي والأيامُ ، وكما أحسنَ ابتداءَهُ يجعلُ مِنْ مسكِ القَبولِ لهُ حسنَ الختامِ ، إن شاءَ اللهُ تعالىٰ

[تقليدُ قضاءِ القضاةِ بدمشقَ لابنِ الآدميِّ الحنفيِّ]

وهٰذِهِ صورةُ تقليدِ قضاءِ القُضاةِ بدمشقَ لصدرِ الدِّينِ عليِّ المعروفِ بابنِ الآدميِّ ، سنةَ عشرٍ وثمانِ مئةٍ(١)

الحمدُ للهِ الذي أقرَّ عينَ الشامِ وشرحَ بعدَ القبضِ صدرَها ، وأيَّدَها بالإمامِ عليٍّ وأعزَّ بالسُّيوفِ العلويَّةِ نصرَها ، ورفعَها بمَنْ إن تسامىٰ فقد دارَتْ على القطبِ دوائرُهُ ، أو كاثرَ بالعلمِ قلَّ نظيرُهُ وما ألهاهُ تكاثرُهُ

أحمدُهُ حمدَ مَنْ علمَ أنَّهُ المُبدِئُ المعيدُ ، وأشكرُهُ شكراً يقمعُ بإحكامِهِ كلَّ جبَّارٍ عنيدٍ ، وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللهُ ، وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، شهادةً أرجو أن تكونَ مقبولةً يومَ فصلِ القضاءِ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، الذي سَنَّ سيفَ الشريعةِ ، وأوضحَ أحكامَها ، فقابلَتْها الأُمَّةُ بالطَّاعةِ والرضا ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ الذينَ رَضوا بأحكامِ القضاءِ والقَدَرِ ، صلاةً ينشرحُ لها الصَّدرُ كلَّما وردَ فضلُها وصدرَ ، وسَلَّمَ تسليماً

وبعدُ فإنَّ أَولىٰ مَنْ رفلَ في حللِ إنعامِنا الشريفةِ مَنْ وجبَ حَقُّهُ علينا ،

---

(١) انظر « قهوة الإنشاء » (ص ٤٣٩ ـ ٤٤١)

وأعدنا إليهِ بضاعتَهُ التي ربحَتْ تجارتُها في أيامِنا الشريفةِ فتلا ﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا ﴾[(١)] ، وصدرناهُ فحسنَتْ بهِ التوريةُ وأصبحَ صدرَ الشامِ ، وحكمناهُ فكانَ بحمدِ اللهِ نافذَ القضايا والأحكامِ ، فهوَ الصَّدرُ الذي حصلَ لهُ القبضُ بعدَنا وانشرحَ بعودِنا وابتهجَ ، وأصبحَ بعدَ ضيقِهِ مِنْ سلطانِنا علىٰ كلا الحالَينِ في فرجٍ ، أودعناهُ قديماً سرَّنا الشريفَ فكانَ لهُ نعمَ الصَّدْرُ ، ونطقَتْ ألسنُ أقلامِهِ في ثغورِ الأقاليمِ بشكرِنا فقابلناهُ بعُلُوِّ القَدْرِ

وكانَ المجلسُ العالي الفلانيُّ الصَّدريُّ هوَ الذي نظمَ في سلكِ شكرِهِ مِنْ ثنائِنا الشريفِ هٰذهِ القلائدَ ، وعادَتْ عليهِ صلةُ برِّنا فهوَ يَرفُلُ مِنْ إنعامِنا الشريفِ بينَ الصِّلةِ والعائدِ ، وضُرِبَتْ بفضلِهِ الأمثلةُ فلم يُوجَدْ لهُ مثالٌ ، وشهدَ لهُ ابنُ العديمِ وناهيكَ بمَنْ حصلَ لهُ هٰذا الكمالُ

فلذٰلكَ رُسِمَ بالأمرِ الشريفِ العالي المولويِّ السُّلطانيِّ الملكيِّ الناصريِّ ـ لا زالَتْ صدقاتُهُ الشريفةُ تعطي كلَّ مُستحِقٍّ وتمنحُ ، ولا برحَ كلُّ صدرٍ يتلو في هٰذه الأيامِ الشريفةِ (ألَمْ نشرحْ) ـ أن يَستقِرَّ المجلسُ العالي القضائيُّ الصَّدريُّ في وظيفةِ قضاءِ قضاةِ الحنفيَّةِ بدمشقَ المحروسةِ علىٰ عادتِهِ في ذٰلكَ وقاعدتِهِ ؛ لأنَّهُ بحرُ العلمِ الذي ظهرَتْ عجائبُهُ واجتمعَتْ في سلكِ الفضلِ فرائدُهُ ، والخليفةُ الباقيةُ للفضائلِ وكيفَ لا والأمينُ والدُهُ ؟! والإمامُ الذي لو أدركَهُ محمدٌ عينُ الأصحابِ لاعترفَ بفضلِهِ المليِّ ، واتخذَهُ صاحباً وقالَ ما لمحمدٍ غيرُ عليٍّ ، والفاضلُ الذي إن ألقىٰ درساً فهوَ على الحقيقةِ صدرُ المدرسينَ ، أو ذُكِرَتِ الفتاوىٰ والفُتوَّةُ فما تمَّ بحمدِ اللهِ أفتىٰ مِنْ عليٍّ في هٰذا الحينِ

أحرزَ قصباتِ السبقِ علىٰ فرسانِ مذهبِهِ فعلمنا أنَّهُ فارسُ الشقراءِ والميدانِ ،

---

(١) سورة يوسف (٦٥)

وكمِ اقتطفنا مِنْ رياضِ علومِهِ زهرةً علمنا بها أنَّهُ شقيقُ النعمانِ !! فلو أدركَهُ صاحبُ « الدررِ » لَقَلَّدَهُ وانتظمَ في سلكِ عقودِهِ ، وكم طما بحرُ علمِهِ وجودِهِ فعلمنا أنَّهُ « مجمعُ البحرينِ » مِنْ طارفِهِ وتليدِهِ !! هـٰذا ؛ وما لابنِ الساعاتيِّ « دقائقُهُ » ولا ارتفاعُ هـٰذا المقامِ ، ولو عاصرَهُ صاحبُ « المُختارِ » ما اختارَ غيرَهُ وقالَ علِيٌّ هوَ الإمامُ

فليباشرْ ذٰلكَ علىٰ ما عُهِدَ مِنْ جميلِ أدواتِهِ ، ومحاسنِهِ التي هيَ كالخيلانِ علىٰ جِيدِ الدَّهرِ ونَعُدُّها مِنْ حسناتِهِ ، وليقابلْ هـٰذهِ النعمةَ السابغةَ بما يجبُ مِنْ شكرِ اللهِ عليهِ ، ويُحسِنْ كما أحسنَ اللهُ إليهِ ، والوصايا كثيرةٌ وهوَ بحمدِ اللهِ غيرُ محتاجٍ إلىٰ وصيةٍ ؛ لأنَّ الوظائفَ تَتجمَّلُ بحسنِ سيرتِهِ العلويَّةِ ، واللهُ تعالىٰ يُسدِّدُ سهامَ أحكامِهِ ، ويجعلُ مِنْ مسكِ الثنا حسنَ ختامِهِ

[تقليدُ نظرِ البيمارستانِ لأبي الحسنِ عليّ الحنبليّ]

وهـٰذهِ صورةُ تقليدِ نظرِ البِيمارستانِ للشيخ أبي الحسنِ عليٍّ الحنبليِّ (١)

الحمدُ للهِ الذي رفعَ قدرَ مَنْ برزَ في العلمِ وجعلَهُ عليّاً ، واصطفىٰ مِنْ عبادِهِ مَنْ أرضعَهُ لبانَ الفضلِ صغيراً وآتاهُ الحكمَ صبيّاً ، وخصَّ بالنظرِ في مصالحِ هـٰذهِ الأُمَّةِ مَنْ جعلَ الحلمَ شعارَهُ ولم يكنْ جبَّاراً عتيّاً ، فهوَ المُبدِئُ المعيدُ ، والقاصمُ بسيفِ عليٍّ كلَّ جبَّارٍ عنيدٍ ، أحمدُهُ حمداً يَتقوَّىٰ بهِ الضَّعيفُ ، وأشكرُهُ شكراً وافياً يكونُ لنا نعمَ العلاجُ عندَ الحكيمِ اللطيفِ ، وأشهدُ أن لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، شهادةَ مَنْ نظرَ بنورِ اللهِ فكانَ مِنْ أهلِ النظرِ والبصيرةِ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الذي أمسَتِ الأعينُ

---

(١) انظر « قهوة الإنشاء » (ص ٤٤١ ـ ٤٤٣)

بحسنِ نظرِهِ الشريفِ قريرةً ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ صلاةً تزيلُ قذى العينِ وتُنوِّرُ الناظرَ ، وننتصرُ ببركتِها علىٰ كلِّ معاندٍ وفاجرٍ ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً

وبعدُ فإنَّ للوظائفِ الدينيةِ فضلاً أبىٰ أن يكونَ إلَّا لأهلِهِ ، وحكمةً أنفَ سرُّها أن يُوضَعَ إلَّا في مَحَلِّهِ ، وكانَ المقرُّ الشريفُ العالي الشيخيُّ القدويُّ الإماميُّ العلاميُّ الأوحديُّ العامليُّ العالميُّ المفيديُّ القضائيُّ العلائيُّ عليُّ بنُ المغلي الحنبليُّ هو الذي لمَّ شملَ العلمِ بعدَ شتاتِهِ ، وخطبَتْهُ عرائسُ الممالكِ لنفسِها فأبىٰ إلَّا جبرَ قلبِ حماتِهِ ، ركبَ الشهباءَ فخضعَتْ لهُ أهلُ الشقراءِ والميدانِ ، ووَدَّتْ مصرُ أن تستضيءَ بنورِهِ بعدَ سراجِها الذي نَوَّرَ الأكوانَ ، فلو أدركَهُ إمامُهُ السابقُ لقالَ هٰذا المُصلِّي الذي أزالَ الإبهامَ وعليهِ الخناصرُ تعقدُ ، وقد علمَ كلُّ أحدٍ أنَّ علياً أعلمُ أصحابِ أحمدَ

فلذٰلكَ رُسِمَ بالأمرِ الكريمِ العالي الفلانيِّ ـ لا زالَ علمُ الشرعِ الشريفِ مشهوراً في أيامِهِ ، ولا برحَ كلٌّ مِنْ ذوي الاستحقاقِ واصلاً في هٰذهِ الأيامِ الزاهرةِ إلىٰ أقصىٰ مرامِهِ ـ أن يَستقِرَّ المُشارُ إليهِ في وظيفةِ نظرِ البيمارستانِ النوريِّ بحماةَ المحروسةِ ، فلقد سَعِدَتْ بقعتُهُ بعدَ الشقاءِ وقالَتْ أهلاً بعيشٍ أخضرَ يَتجدَّدُ

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى ٱلْبِقَاعِ وَجَدْتَهَا ... تَشْقَىٰ كَمَا تَشْقَى ٱلرِّجَالُ وَتَسْعَدُ (١)

وصفتْ مشاربُ الضُّعفاءِ بعدَ الكدرِ وسقاهُم ربُّهُم شراباً طهوراً ، وتلا لِمَنْ سعىٰ في ذٰلكَ وجزىٰ بالخيراتِ ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ (٢) ، ودارَ شرابُ العافيةِ علىٰ أهلِ تلكَ الحضرةِ بالطَّاسِ والكاسِ ، وحصلَ لهُمُ

---

(١) انظر « ديوان ابن نباتة المصري » (ص ١٦١) ، والبيت من الكامل

(٢) سورة الإنسان (٢٢)

البرءُ مِنْ تلكَ البراني التي يخرجُ مِنْ بطونِها شرابٌ مختلفٌ ألوانُهُ فيهِ شفاءٌ للناسِ ، وتَمَشَّتِ الصحةُ في مفاصلِ ضُعفائِهِ وقيلَ لهُم جُوزيتُم بما صبرتُم ، وامتدَّتْ مقاصيرُهُم وفُتِحَتْ أبوابُها وقالَ لهُم خزنتُها سلامٌ عليكُم طبتُم ، فلقد قامَ بحسنِ نظرِهِ الكريمِ في طاعةِ اللهِ ومشىٰ ، وأعادَ بنورِ طلعتِهِ البهجةَ النوريَّةَ فقلنا نورٌ علىٰ نورٍ يهدي اللهُ لنورِهِ مَنْ يشا

فليباشرْ ذٰلكَ مِنْ غيرِ وصيةٍ ؛ لأنَّهُ أكبرُ وأجلُّ قدراً ، فلقد تلتْ جهاتُ الوقفِ المعسرةُ فرحةً بقدومِهِ ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[1] ، وليتناولْ معلومَهُ الشاهدَ بهِ ديوانُ الوقفِ المبرورِ ، واللهُ تعالىٰ يَحفظُ الجهاتِ النوريَّةَ بنظرِهِ ، ويحرسُهُ بسورةِ (النورِ) بمنِّهِ وكرمِهِ ، إن شاءَ اللهُ تعالىٰ

[تقليدُ نظرِ المساجدِ لأبي الفتوحِ]

وهٰذهِ صورةُ تقليدٍ بنظرِ مساجدَ[2]

الحمدُ للهِ الذي زادَ القائمينَ بشعارِ بيتِهِ صلاحاً وجعلَهُم مِنْ أهلِ النظرِ ، وصَيَّرَ جميلَ ذكرِهِم مبتدأً كلَّما ذُكِرَ عن أهلِ الصَّلاحِ خبرٌ ، نحمدُهُ حمدَ مَنْ عَمَرَ مساجدَ اللهِ بالذِّكرِ وحَسُنَ في بناءِ هٰذا التأسيسِ نظمُهُ ، ونشكرُهُ شكرَ مَنِ انتصبَ لرفعِ بيوتٍ أذنَ اللهُ أن تُرفَعَ ويُذكَرَ فيها اسمُهُ ، وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللهُ ، وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، شهادةَ شاهدٍ علمَ أنَّهُ الحاضرُ الناظرُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الذي محىٰ آثارَ الشركِ عن بيتِ اللهِ وقامَ لهُ بأجملِ الشَّعائرِ ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ الذينَ ما برحوا خُدَّامَ هٰذا البيتِ الشريفِ ، والمتقينَ بظلِّهِ الوريفِ ، صلاةً نزدادُ بها نظراً وبصيرةً ، وتكونُ لنا يومَ الحسابِ نِعْمَ الذخيرةُ ، وسَلَّم تسليماً

---

(١) سورة الشرح (٥ ـ ٦)

(٢) انظر « قهوة الإنشاء » (ص ٤٤٣ ـ ٤٤٥)

وبعدُ فإنَّ أولىٰ ما بادرَ إليهِ أهلُ البصائرِ النظرُ في بيوتِ اللهِ ؛ فإنَّهُ مِنْ أعظمِ القُرَبِ ، ولا يشعرُ بهٰذهِ الشعائرِ إلَّا مَنْ ظهرَ صلاحُهُ ولم يفصلْ بينَهُ وبينَ الخيرِ فاصلةٌ ولا سببٌ ، وبادرَ إلىٰ عِمارتِها بالذِّكرِ ودخلَ إليها مِنْ أبوابِها ؛ مُتمسِّكاً بقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ (١)

وكانَ المقرُّ الكريمُ العالي المولويُّ القضائيُّ الصَّلاحيُّ ـ إلىٰ آخرِ الصفاتِ ـ ممَّنْ أدركَ فعلَ الخيراتِ قبلَ إدراكِهِ وجبلَتْ عليهِ جبلَّتُهُ ، ولا يَشُكُّ في حسنِ نظرِهِ إلَّا مَنْ عَمِيَتْ بصيرتُهُ ، إنِ اتَّسعَ للفضائلِ مِضمارٌ كانَ جوادُ فضلِهِ هوَ السابقَ الجَموحَ ، أو فُتِحَ للخيرِ أبوابٌ فصلاحُ الدِّينِ بحمدِ اللهِ أبو الفتوحِ ، ظهرَتْ عليهِ بهجةُ ذٰلكَ النجمِ الذي إلىٰ غيرِ فعلِ الخيراتِ ما هوىٰ ، وصحبَ أفعالَهُ الجميلةَ فتلا لسانُ الحالِ ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (٢) ، ما أطلقَ سهمَ عزمِهِ إلىٰ غرضِ خيرٍ إلَّا وكانَ بحمدِ اللهِ نفَّاذاً ، ولا أظهرَ فعلاً إلَّا تَلقَّى الناسُ بالقَبولِ وما قيلَ يوسفُ أعرضْ عن هٰذا ، وهوَ ذو اليراعِ الذي إذا خطَّ خطّاً أطاعَتْهُ المقاديرُ ، وكم جرَتْ خلفَهُ حمرُ الأقلامِ حتىٰ حفيَتْ فما لحقَتْ لهُ غباراً ؛ لأنَّهُ حوىٰ قصَباتِ السبقِ ورفلَ في حُلَلِ التحبيرِ ، إن سطرَ مربعةَ جيشٍ ضربَ الأخماسَ في الأسداسِ أئمَّةُ الكُتَّابِ ، أو كتبَ كتابَ إنشاءٍ عَوَّذَنا بـ (الٓمٓ ، ذٰلكَ الكتابُ)

فلذٰلكَ رسمَ بالأمرِ الكريمِ العالي المولويِّ الفلانيِّ ـ لا زالَ كلُّ مُستحِقٍّ في أيامِهِ الزاهرةِ بالغاً أقصى المرادِ ، ولا برحَ يُظهِرُ لنا في كلِّ حينٍ صلاحاً يزيلُ عنَّا الفسادَ ـ أن يَستقِرَّ المُشارُ إليهِ أدامَ اللهُ تعالىٰ نظرَهُ في وظيفةِ نظرِ

---

(١) سورة البقرة (١١٤)

(٢) سورة النجم (٢)

الجامعِ الكبيرِ الأعلىٰ بحماةَ المحروسةِ على العادةِ في ذٰلكَ والقاعدةِ ؛ لئلا يكونَ لصالحِ المسلمينَ وجهٌ إلَّا وهوَ لهُ ناظرٌ ، ولا ينظمُ للوظائفِ الدينيةِ عروضٌ إلَّا وهوَ بحرُهُ الوافرُ ، خاطبَهُ الجامعُ بلسانِ الحالِ ليكونَ لشملِهِ جامعاً ، وجبرَ قلبَ المحمديَّةِ وخرَّ ماؤُها ساجداً ودخلَ عاصيها إلى الجامعِ طائعاً ، وأمسىٰ علىٰ ذٰلكَ الصَّحنِ حلاوةٌ ظاهرةٌ ، وتَيقَّظَتْ مُقَلُ مصابيحِهِ بعدَ طولِ الغمضِ فإذا هم بالساهرةِ ، واهتزَّ طَرَباً مِنْ طيبِ هٰذا الثنا المنيرِ وكادَتْ أعوادُهُ أن تزهرَ ، فرحةً بهٰذا الزمنِ الغضِّ والعيشِ الأخضرِ ، وضعفَ نظرُ الرسَّامِ وأمستْ مراسيمُهُ غيرَ مقبولةٍ

هٰذا ؛ ولو أدركَهُ ابنُ كتائبَ لَقالَ ما أنا مِنْ فرسانِ مَنْ كتيبةُ كلِّ جيشٍ بنظرِهِ مشمولةٌ ، أو لحقَهُ ابنُ السَّمينِ لَتحقَّقَ ضعفَهُ وضعفَ أبيهِ عنِ القيامِ بهٰذا الشعارِ ، أو عاشرَهُ ابنُ رواحةَ الأنصاريُّ لَكانَ لهُ مِنْ جملةِ الأنصارِ

وأمسىٰ جامعُنا وهوَ الأعلىٰ علىٰ مَنْ قبلَهُ وبعدَهُ ، وتلا أهلُ الصلاةِ وقد حُظُوا بيوسفَ في السجدةِ ، وزالَ مَحْلُ بلادِهِ في هٰذهِ الأيامِ اليوسفيَّةِ ، وأمسىٰ في بسطٍ بعدَما طوىٰ بساطَهُ بالكليَّةِ ، وزالَ فسادُهُ وللهِ الحمدُ بهٰذا الصَّلاحِ ، وأعلنَ مؤذنوهُ في أعلىٰ منارتِهِ بحيَّ على الفلاحِ

فليباشرْ ذٰلكَ مباشرةً تثمرُ جزيلَ الثوابِ ، وليظعنْ أعداؤُهُ مِنْ دعاءِ كلِّ قائمٍ بالمحرابِ ، وليحسنْ إلىٰ حلقةِ كلِّ علمٍ لينشرحَ صدرُها ، فما لرجالِ الحلقةِ غيرُ ناظرِ الجيشِ إذا أشكلَ أمرُها ، وليرمِ مَنْ عاندَهُ بسهامٍ مِنَ الأدعيةِ عن قوسِ كلِّ راكعٍ ، وليتوجَّهْ في ذٰلكَ إلى اللهِ تعالىٰ وأحسنُ ما كانَ التوجُّهُ في الجامعِ ، والوصايا كثيرةٌ ، وهوَ بحمدِ اللهِ تعالىٰ في غُنيةٍ عن ذٰلكَ ، واللهُ تعالىٰ يُؤيِّدُهُ ويُجمِّلُ بهِ الوظائفَ الدينيَّةَ ويجعلُهُ لأزمَّتِها خيرَ

مالكٍ ، ولا برحَ كفُّهُ مبسوطاً للخيراتِ وتُعقَدُ عليهِ خناصرُ كفَّالِ الممالكِ ، إن شاءَ اللهُ تعالىٰ

[كتابٌ واديٌّ مِنِ ابنِ حِجَّةَ الحمويِّ إلى القاضي الدمامينيِّ]

وهٰذهِ صورةُ كتابٍ واديٍّ إخوانيٍّ ، أنفذَهُ مِنَ القاهرةِ إلى الثغرِ يُخاطِبُ فيهِ القاضيَ بدرَ الدِّينِ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ الدَّمامينيِّ المخزوميِّ ، يخبرُهُ فيهِ بفرارِهِ مِنْ بلادِ الشامِ لحربٍ كانَتْ هناكَ وبما قاساهُ مِنَ الشدائدِ في البحرِ[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُقبِّلُ الأرض التي سُقِيَ دوحُها بنزولِ الغيثِ فأثمرَ الفواكهَ البدريَّةَ ، وطلعَ بدرُ كمالِها مِنَ المغربِ فسلَّمنا لمعجزاتِها المحمديَّةِ ، وجرىٰ لسانُ البلاغةِ في ثغرِها فسما على العقدِ بنظمِهِ المُستجادِ ، وأنشدَ ـ لا فَضَّ اللهُ فاهُ ـ وقدِ ابتسمَ عن محاسنِهِ التي لم يُخلَقْ مثلُها في البلادِ[2] [من الوافر]

لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ ٱلْأَيَّامُ حَتَّىٰ ... كَأَنَّكَ فِي فَمِ ٱلدَّهْرِ ٱبْتِسَامُ

فأكرمْ بهِ موردَ فضلٍ ما برحَ منهلُهُ العذبُ كثيرَ الزحامِ !! ومدينةَ علمٍ تَشرَّفَتْ بالجنابِ المحمديِّ فعلىٰ ساكنِها السلامُ !! ومجلسَ حكمٍ ما ثبتَ لمُدَّعي الباطلِ بهِ حُجَّةٌ !! وعرفاتِ أدبٍ إن وقفتَ بها وقفةً صرتَ على الحقيقةِ ابنَ حجَّةَ !! وأفقَ معالٍ بالغَ في سُمُوِّ بدرِهِ فلم يقنعْ بما دونَ النجومِ !! وميدانَ عربيةٍ تجولُ بهِ فرسانُ الفصاحةِ مِنْ بني مخزومٍ ، وتاللهِ ؛ ما لفرسانِ الشقراءِ والأبلقِ في هٰذا الميدانِ مجالٌ ، وإذا اعترفوا بما حصلَ

---

(١) انظر « ثمرات الأوراق » (ص ٣٥٠ ـ ٣٥٥) ، وقوله الآتي (ولا ناب) ، وقوله أيضاً (مكرهاً لا بطل) على لغة ربيعة من حذف تنوين النصب

(٢) البيت للمتنبي في « ديوانه » (ص ٧٧)

للفارسِ المخزوميّ عندَهُم مِنَ الفتحِ كفى اللهُ المؤمنينَ القتالَ !!

وينهي بعدَ أدعيةٍ ما برحَ المملوكُ منتصباً لرفعِها ، وتغريدِ أثنيةٍ ما لسجعِ المُطوَّقِ في الأوراقِ النباتيَّةِ حلاوةُ سجعِها ، وأشواقٍ برحَتْ بالمملوكِ ولٰكنْ تَمسَّكَ في مصرَ بالآثارِ

وَأَبْـرَحُ مَـا يَـكُـونُ ٱلـشَّـوْقُ يَـوْمـاً إِذَا دَنَـتِ ٱلـدِّيَـارُ مِـنَ ٱلـدِّيَـارِ (١)

وصولَ المملوكِ إلىٰ مصرَ محتمياً بكنانتِها وهوَ بسهامِ البينِ مصابٌ ، مذعوراً لِمَا شاهدَهُ مِنَ المصارعِ عندَ مقاتلِ الفرسانِ في منازلِ الأحبابِ ، مُكلَّماً مِنْ ثغرِ طرابلسِ الشامِ بألسنةِ الرماحِ ، محمولاً علىٰ جناحِ غرابٍ وقد حكمَ عليهِ البينُ ألَّا يبرحَ مِنْ سفرِهِ علىٰ جناحِ

وَكَـانَ فِـي ٱلْـبَـيْـنِ مَـا كَـفَـانِـي فَـكَـيْـفَ بِـٱلْـبَـيْـنِ وَٱلْـغُـرَابِ (٢)

يا مولانا ؛ لقد قُرِعَتْ سنُّ هٰذا الثغرِ بأصابعِ السهامِ ، وقُلِعَ منهُ ضرسُ الأمنِ ولم يبقَ لهُ بعدَ ما سعرَ بهِ البينُ نظامٌ (٣) ، وكسَرَتِ الحربُ بينَ ثناياهُ عن أنيابٍ ، واقتلعنا منهُ معَ أنَّهُم لم يتركوا لنا فيهِ ثنيةً ولا ناب ، وأمستْ شهبُ الرماحِ قافيةً علىٰ آثارِنا والسابقُ السابقُ منَّا الجوادَ ، ولزمَتِ الرويَّ مِنْ دمائِنا لئلا يظهرَ لقافيتِنا عندَ نظمِ الحربِ سنادٌ ، وفسدَ انسجامُ تلكَ الأبياتِ المنظومةِ علىٰ ذٰلكَ البحرِ المديدِ ، وبُدِّلَتْ جنَّتُها بنارِ الحربِ التي كم نقولُ لها هلِ امتلأتِ فتقولُ هل مِنْ مزيدِ ، ونفذَ حكمُ القضاءِ وكم جرحَ خصمُ السيفِ في ذٰلكَ اليومِ شهوداً ، واتَّصلَ الحكمُ بقضاةِ القضاةِ فلم يسلمْ منهُم إلَّا مَنْ كانَ مسعوداً ، ووقعَ غالبُنا في القبضِ

(١) من الوافر

(٢) من مخلع البسيط

(٣) في « ثمرات الأوراق » (ص ٣٥١) (ما شعر به البين نظام) بدل (ما سعر به البين نظام)

مِنْ عروضِ حربِهِمُ الطَّويلِ ، وتَبدَّلَتْ محاسنُ طرابلسَ الشامِ بالوَحشةِ فلم نفارقْها علىٰ وجهِ جميلِ

وتـالله ؛ لـم يدخلْها المملوكُ في هـٰذهِ الواقعةِ إلَّا مكرهاً لا بطل ، وكم قلتُ لساريةِ العزمِ لمَّا كشفَ لي عن ضيقِ سهلِها يا ساريةُ ؛ الجبلَ ، ورامَ المملوكُ أن يَتنصَّلَ مِنِ انتظامِهِ في هـٰذا السلكِ جملةً كافيةً ، فقالَ لهُ لسانُ الحالِ عندَ نظمِ هـٰذهِ الكائنةِ جرَّتْكَ القافيةُ ، ولـم يُطلِّقِ المملوكُ عروسَ حماتِهِ إلَّا جبراً أظهرَ بهِ كسرَهُ ، والعلومُ الكريمةُ محيطةٌ كيفَ يكونُ طلاقُ المُكرَهِ

يا مولانا [من الطويل]

بِوَادِي حَمَاةَ ٱلشَّامِ عَنْ أَيْمَنِ ٱلشَّطِّ وَحَقِّكَ تَطْوِي شُقَّةَ ٱلْهَمِّ بِٱلْبَسْطِ

بِلَادٌ إِذَا مَا ذُقْتُ كَوْثَرَ مَائِهَا أَهِيمُ كَأَنِّي قَدْ ثَمِلْتُ بِإِسْفَنْطِ

وَمَنْ يَجْتَهِدْ فِي أَنَّ بِٱلْأَرْضِ بُقْعَةً تُشَاكِلُهَا قُلْ أَنْتَ مُجْتَهِدٌ مُخْطِي

وَصَوِّبْ حَدِيثَيْ مَائِهَا وَهَوَائِهَا فَإِنَّ أَحَادِيثَ ٱلصَّحِيحَيْنِ مَا تُخْطِي

بِمِعْصَمِهَا إِنْ دَارَ مَلْوِي سِوَارِهَا فَمَا ٱلشَّامُ بِٱلْخَلْخَالِ أَوْ مِصْرُ بِٱلْقُرْطِ

تَنَظَّمَ بِٱلشَّطَّيْنِ دُرُّ ثِمَارِهَا عُقُوداً لَهَا ٱلْعَاصِي رَأَيْنَاهُ كَٱلسِّمْطِ

وَتُرْخِي عَلَيْنَا لِلْغُصُونِ ذَوَائِباً يُسَرِّحُهَا كَفُّ ٱلنَّسِيمِ بِلَا مُشْطِ

وَمُذْ مَدَّ ذَاكَ ٱلنَّهْرُ سَاقاً مُدَمْلَجاً وَرَاحَ بِنَقْشِ ٱلنَّبْتِ يَمْشِي عَلَىٰ بُسْطِ

لَوَيْنَا خَلَاخِيلَ ٱلنَّوَاعِيرِ فَٱلْتَوَتْ وَأَبْدَتْ لَنَا دُوراً عَلَىٰ سَاقِهِ [ٱلسَّبْطِ]

سَقَىٰ سَفْحَهَا إِنْ قَلَّ دَمْعِي سَحَابَةٌ مُطَنَّبَةٌ بِٱلدَّمْعِ مُنْهَلَّةُ ٱلنَّقْطِ

وَيَا أَسْطُرَ ٱلنَّبْتِ ٱلَّتِي قَدْ تَسَلْسَلَتْ بِصَفْحَتِهَا لَا زِلْتِ وَاضِحَةَ ٱلْخَطِّ

وَلَا زَالَ ذَاكَ ٱلْخَطُّ بِٱلطَّلِّ مُعْجَماً　　وَمِنْ شَكْلِ أَنْوَاعِ ٱلْأَزَاهِرِ فِي ضَبْطِ
لَوَيْتُ عِنَانِي فِي حِمَاهَا عَنِ ٱلْوَرَىٰ　　وَهِمْتُ بِهَا لَا بِٱلْمُحَصَّبِ وَٱلسَّقْطِ
وَلَذَّ عِنَاقُ ٱلْفَقْرِ لِي بِفِنَائِهَا　　وَفِي غَيْرِهَا لَمْ أَرْضَ بِٱلْمُلْكِ وَٱلرَّهْطِ
مَنَازِلُ أَحْبَابِي وَمَنْبِتُ شُعْبَتِي　　وَأَوْطَانُ أَوْطَارِي بِهَا وَرِضَا سُخْطِي
نَعِمْتُ بِهَا دَهْراً وَلَٰكِنْ سُلِبْتُهُ　　بِرَغْمِي وَهَٰذَا ٱلدَّهْرُ يَسْلُبُ مَا يُعْطِي
وَقَدْ جَاءَ شَرْطُ ٱلْبَيْنِ أَنِّي أَغِيبُ عَنْ　　حِمَاهَا لَقَدْ أَدْمَىٰ فُؤَادِيَ بِٱلشَّرْطِ
وَحَطَّ عَلَيَّ ٱلدَّهْرُ عَمْداً وَشَالَنِي　　إِلَىٰ غَيْرِهَا صَبْراً عَلَى ٱلشَّيْلِ وَٱلْحَطِّ
وَسُبْحَةُ جَمْعِ ٱلشَّمْلِ كَانَتْ لَنَا بِهَا　　مُنَظَّمَةً لَٰكِنْ قَضَى ٱلدَّهْرُ بِٱلْفَرْطِ
أُمَثِّلُ شَوْقاً شَكْلَهَا فِي ضَمَائِرِي　　فَتَتْبَعُ عَيْنِي ذَٰلِكَ ٱلشَّكْلَ بِٱلنَّقْطِ
وَقَدْ صَارَ يَمْشِي ٱلْهَمُّ نَحْوِي بِسُرْعَةٍ　　فَيَا لَيْتَهُ لَوْ كَانَ فِي مَشْيِهِ يُبْطِي
وَأَصْبَحَ نَظْمِي رَاجِعاً بِي إِلَىٰ وَرَا　　كَأَنِّيَ فِي ٱلدِّيوَانِ أَكْتُبُ بِٱلْقِبْطِي

فما هٰذهِ المحنُ التي توالَتْ علىٰ أهلِ الأدبِ بعدَ زوالِ فخرِها ، لٰكنْ أدامَ اللهُ تعالىٰ مجدَها وأنارَ شهابَها وأقمرَ ليالِيَ بدرِها

يا مولانا ؛ وأبثُّكَ ما لقيتُ مِنْ أهوالِ البحرِ وأُحدِّثُ عنهُ ولا حرجَ ، فكم وقعَ المملوكُ مِنْ أعاريضِهِ في زحافٍ تَقطَّعَ منهُ القلبُ لمَّا دخلَ إلىٰ دوائرِ تلكَ اللججِ ، وشاهدتُ منهُ سلطاناً جائراً يأخذُ كلَّ سفينةٍ غصباً ، ونظرتُ إلى الجواري الحسانِ وقد رمتْ أُزُرَ قلوعِها وهيَ بينَ يدَيهِ لقِلَّةِ رجالِها تسبىٰ ، فتحققتُ أنَّ رأيَ مَنْ جاءَ يسعىٰ في الفلكِ جالساً　غيرُ صائبٍ ، واستصوبتُ هنا رأيَ مَنْ جاءَ يمشي وهوَ راكبٌ ، وزادَ الظمأُ بالمملوكِ وقدِ اتخذَ في البحرِ سبيلَهُ ، وكم قلتُ مِنْ شِدَّةِ الظمأ　يا ترىٰ قبلَ الحفرةِ هل أطوي مِنَ البحرِ هٰذهِ الشقَّةَ الطَّويلةَ ؟!
[من البسيط]

وَهَلْ أُبَاكِرُ بَحْرَ ٱلنِّيلِ مُنْشَرِحاً وَأَشْرَبَ ٱلْحُلْوَ مِنْ أَكْوَابِ مَلَّاحِ[1]

بحرٌ تلاطمَتْ علينا أمواجُهُ حينَ متنا مِنَ الخوفِ وحملَنا علىٰ نعشِ الغرابِ ، وقامَتْ واواتُ دوائرِهِ مَقامَ (معْ) فنصبَتْنا للغرقِ لمَّا استوَتِ المياهُ والأخشابَ ، وقارنَ العبدُ فيهِ سوداءَ استرقَّتْ مواليَنا وهيَ جاريةٌ ، وغشيَهُم في اليمِّ منها ما غشيَهُم فهل أتاكَ حديثُ الغاشيةِ ؟!

واقعَها الحربُ فحملَتْ بنا ودخلَها الماءُ فجاءَها المَخاضُ ، وانشقَّ قلبُها لفقدِ رجالِها وجرىٰ ما جرىٰ علىٰ ذٰلكَ القلبِ ففاض ، وتَوشَّحَتْ بالسَّوادِ في هـٰذا المأتمِ وسارَتْ على البحرِ وهيَ مَثَلٌ

وكم سُمِعَ منها للمغاربةِ علىٰ ذٰلكَ التوشيحِ زجلٌ !! برجٌ مائيٌّ ولـٰكنْ تُعربُ في رفعِها وخفضِها عنِ النَّسرِ والحوتِ ، وتَتشامخُ كالجبالِ وهيَ خُشُبٌ مُسنَّدةٌ مَنْ تَبطَّنَها عُدَّ مِنَ المُصبَّرينَ في تابوتٍ ، تأتي بالطِّباقِ ولـٰكنْ بالمقلوبِ ؛ لأنَّ صغيرَها كبيرٌ وبياضَها سوادٌ ، وتمشي على الماءِ وتطيرُ معَ الهواءِ وصلاحُها عينُ الفسادِ ، إن نقرَ الموجُ علىٰ دفوفِها لعبَتْ أناملُ قلوعِها بالعودِ ، وتُرقِّصُنا علىٰ آلتِها الحدباءِ فتقومُ قيامتُنا مِنْ هـٰذا الرقصِ الخارجِ ونحنُ قعودٌ ، تتشامَمُ وهيَ كما قيلَ أنفٌ في السماءِ وٱسْتٌ في الماءِ

وكم نطيلُ الشكوىٰ إلىٰ قامةِ صاريها عندَ الميلِ وهيَ الصَّعدةُ الصَّمَّاءُ ، فيها الهدىٰ وليسَ لها عقلٌ ولا دينٌ ، وتَتصابىٰ إذا هَبَّتِ الصَّبا وهيَ ابنةُ مئةٍ وثمانينَ ، وتُوقِفُ أحوالَ القومِ وهيَ تجري بهِم في موجٍ كالجبالِ ، وتَدَّعي براءةَ الذِّمَّةِ وكمِ استغرقَتْ لهُم مِنْ أموالِ

هـٰذا ؛ وكم ضَعُفَ نحيلُ خصرِها عن تثاقلِ أردافِ الأمواجِ !! وكم وَجِلَتِ القلوبُ لمَّا صارَ لأهدابِ مجاذيفِها علىٰ مقلةِ البحرِ اختلاجٌ !! وكم أسبلَتْ

---

(١) البيت لابن نباتة المصري في « ديوانه » (ص ١٠٦)

علىٰ وَجنتِهِ طُرَّةَ قلعِها فبالغَ الريحُ في تشويشِها !! وكم مرَّ علىٰ قريتِها العامرةِ فتركَها وهيَ خاويةٌ علىٰ عروشِها !! تَتعاظمُ فتهزلُ إلىٰ أن ترىٰ ضلوعَها مِنَ السُّقمِ تُعَدُّ ، ولقد رأيتُها بعدَ ذٰلكَ قد تَبَّتْ وهيَ حَمَّالةُ الحطبِ في جِيدِها حبلٌ مِنْ مسدٍ

وخَلَص المملوكُ مِنْ كَدَرِ المالحِ إلى النِّيلِ المباركِ ، فوجدَهُ مِنْ أهلِ الصَّفاءِ ، وإخوانِ الوفاءِ ، وتَنصَّلَ مِنْ ذٰلكَ العدوِّ الأزرقِ الذي ما برحَ باطنُهُ وهوَ كدرٌ ، وجمعَ مِنْ عذوبةِ النِّيلِ ونضارةِ شطوطِهِ بينَ عينِ الحياةِ والخضرِ ، ووصلَ بعدَ عدمِ القرارِ مِنْ بحيرتِهِ إلىٰ ذاتِ قرارٍ ومعينٍ ، وقُضِيَ الأمرُ وقيلَ بُعداً للقومِ الظَّالمينَ ، وتلا لسانُ الحالِ على المملوكِ وأصحابِهِ ﴿ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ [ءَامِنِينَ] ﴾ (١)

وبعدُ فالمملوكُ يسألُ الإقالةَ مِنْ عثراتِ هٰذهِ الرسالةِ ، فقد علمَ اللهُ أنَّها صدرَتْ عن فكرٍ تركَهُ البينُ مُشتَّتاً ، والإغضاءَ عن كثرةِ بردِها فقد خرجَتْ مِنَ البحرِ عاريةً في أيامِ الشتا ، وليسترْ عورتَها بستائرِ الحلمِ وينظرْ إليها مِنَ الرحمةِ بعينٍ ، وليكنْ ضربُها بسيفِ النقدِ صفحاً فقد كفىٰ ما جُرِحَتْ بسيوفِ البينِ

وتاللهِ ؛ لم يسلكِ المملوكُ هٰذهِ الجادَّةَ إلَّا ليجدَ لهُ سبيلاً إلىٰ نهلةٍ مِنْ عذبِ تلكَ المواردِ ، ويعودَ قلبَهُ الضَّعيفَ الذي قطعَتْ صلاتُهُ مِنْ صفيِّ هٰذا المشربِ عائدٌ ، ويصيرَ العبدُ مسعوداً إذا عُدَّ للأبوابِ العاليةِ مِنْ جملةِ الخُدَّامِ ، ويحصلَ لكبدِهِ الحرَّىٰ مِنْ ذٰلكَ النسيمِ الغربيِّ بردٌ وسلامٌ ، واللهُ تعالىٰ يَمُنُّ بقربِ المثولِ بينَ يدَيهِ ؛ ليحصلَ للملوكِ بعدَ التخلُّصِ مِنَ البَينِ حسنُ الختامِ ، بمَنِّهِ وكرمِهِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ

---

(١) سورة يوسف (٩٩)

[رسالةٌ مِنِ ابنِ حِجَّةَ في إتمامِ مَقامةٍ استعصتْ على القاضي الفاضلِ]

حكى ابنُ حِجَّةَ أنَّ القاضيَ الفاضلَ أرادَ يُعارِضُ « مَقاماتِ الحريريِّ » ، فلمَّا وصلَ إلى (المَقامةِ البغداديةِ) التي لَمَّحَ فيها بأسماءِ الأعضاءِ أمسكَ عنِ المعارضةِ ؛ لاستصعابِهِ ذٰلكَ المسلكَ ، وهٰذهِ عبارةُ المَقامةِ المشتملةِ علىٰ ذٰلكَ التلميحِ مِنْ كلامٍ نسبَهُ إلىٰ عجوزٍ ، قالَ[1] إنَّها وقفَتْ علىٰ جماعةٍ مِنَ الأدباءِ فيهِمُ الحارثُ بنُ همَّامٍ في صورةِ سائلةٍ ؛ قالَتْ (حيَّا اللهُ المعارفَ ، وإن لم يكنَّ معارفَ ، اعلموا يا مآلَ الآملِ ، وثِمالَ الأراملِ ؛ أنِّي مِنْ سَرَواتِ القبائلِ ، وسريَّاتِ العقائلِ ، لم يزلْ أهلي وبعلي يَحُلُّونَ الصَّدرَ ، ويسيرونَ القلبَ ، ويُمْطُونَ الظَّهرَ ، ويولونَ اليدَ ، فلمَّا أردى الدهرُ الأعضادَ ، وفجعَ بالجوارحِ الأكبادَ ، وانقلبَ ظهراً لبطنٍ نبا الناظرُ ، وجفا الحاجبُ ، وذهبَتِ العينُ ، وفُقِدَتِ الراحةُ ، وصَلَدَ الزندُ ، ووهنَتِ اليمينُ ، وضاعَ اليسارُ ، وبانَتِ المرافقُ ، ولم يبقَ لنا ثنيةٌ ولا نابٌ)

فتَعجَّبَ ابنُ حِجَّةَ مِنِ استصعابِ الفاضلِ ذٰلكَ ، وأنشأَ هٰذهِ الرسالةَ مستوفياً فيها ذكرَ الأعضاءِ إلَّا ما يُستحىٰ مِنَ النُّطقِ بهِ ، واعتذرَ عن ذٰلكَ بما سيأتي نقلُهُ عنهُ[2]

[من الطويل]

لِأَرْوَاحِ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ رَوْضَةَ مُشْتَهَىٰ ... يُقَبِّلُ أَرْضاً بِٱلْعُلَا قَدْ تَجَسَّدَتْ
فَلَا زَالَ صَدْرُ ٱلدِّينِ مُنْشَرِحاً بِهَا ... وَهَبَّتْ بِأَنْفَاسِ ٱلْعُلُومِ قَبُولُهَا

ولا برح هٰذا الصَّدرُ محروساً بـ ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾[3]

(١) انظر « المقامات » للحريري (ص ٨٨ ـ ٨٩) ، و« خزانة الأدب » للحموي (٤/٤٢٩ ـ ٤٣٢)
(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٤/٤٣٠)
(٣) سورة الشرح (١ ـ ٣)

صَـدْرٌ غَـدَا رَأْسـاً لِـكُـلِّ فَـضِـيـلَـةٍ صُـوَرُ ٱلْـمَـعَـانِـي تَـلْـتَـقِـيـهِ بِـبِـشْـرِهَـا
فَـإِذَا أَتَـىٰ نَـحْـوَ ٱلـشَّـآمِ مُـنَـاظِـرٌ فِـي كُـلِّ عِـلْـمٍ قَـابَـلَـتْـهُ بِـصَـدْرِهَـا

هـٰذا ؛ وكم لهـٰذا الرأسِ في العلومِ مِنْ فرقٍ دَقَّ على الأفهامِ !! وهوَ كالغرَّةِ في جباهِ الأيامِ ، لا زالَ المجدُ لهُ حاجباً مقروناً بسعدِهِ الشاملِ ، ولا برحَ بعلمِهِ عيناً لوجوهِ المسائلِ ، فللهِ أهدابُ معانيهِ التي هيَ أسحرُ مِنْ عيونِ الغزلانِ ، وأمضىٰ مِنَ السُّيوفِ إذا برزَتْ مِنَ الأجفانِ ، وأصداغُ فضائلِهِ التي هيَ عاطفةٌ علىٰ وَجَناتِ الوجودِ ؛ لأنَّها كالعوارضِ الماطرةِ ، وكم أنستْ عندَ ذكرِها مِنْ سالفٍ !! وكم لها في قلوبِ الأعداءِ مِنْ خدودٍ !! وندىٰ جودِهِ الذي إذا جاءَهُ الشاربُ وجدَ عندَهُ شفاهُ ، وحلاوةُ نظمِهِ الذي أنسانا ذكرَ العُذَيبِ وثناياهُ ، وعنقُ مكارمِهِ التي ألفَتْ مِنَ البديعِ الالتفاتَ ، وأوصافُهُ التي غدتْ علىٰ جِيدِ الدَّهرِ شاماتٍ ، حتىٰ تَبدَّلَتْ سيئاتُهُ بالحسناتِ ، كفَّ عنَّا تعبَ الفقرِ بكرمِ راحتِهِ المتزايدِ ، مِنْ غيرِ أن يُقالَ لهُ ساعد ، وشهدنا بأنَّ أياديَهُ بحرٌ يفيضُ بصنائعِهِ ، فأشارَ النيلُ إلىٰ قَبولِ هـٰذهِ الشهادةِ بأصابعِهِ

فللهِ ندىٰ يمينِهِ الذي لم يزلِ المملوكُ بهِ في بلادِ الشمالِ مكفي !! وكم فاض منهُ قلبُ النيلِ وجهدَ أن يوفيَهُ بالباعِ والذراعِ فما قدرَ يوفي !! جبلَتْ علىٰ محبَّتِهِ القلوبُ فصارَ حبُّهُ ظاهراً في كلِّ باطنٍ ، وحَنَّتْ إليهِ الجوارحُ لمَّا سارَتْ مناقبُهُ إلىٰ كلِّ جانبٍ فحرَّكَتْ كلَّ ساكنٍ

وينهي بعدَ أدعيتِهِ التي هيَ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ نعيمٌ للبدنِ الكريمِ ، واعتدالٌ لِلَطيفِ ذٰلكَ المِزاجِ ، وأثنيتِهِ التي هيَ كالمناطقِ علىٰ خُصورِ الحِسانِ وبها لكلِّ خاطرٍ ابتهاجٌ أشواقَ مَنْ تثاقلَتْ عليهِ أردافُ النوىٰ ، وأسكنَتْ في وسطِ قلبِهِ الجوىٰ ، وقَدَّهُ الانقطاعُ بسيفِهِ الذي زادَ في حَدِّهِ ، ولـٰكنَّهُ زادَ

في قَدِّهِ ، ولو حصرَ المملوكُ ما ساقَ ، إليهِ البعدُ مِنَ الاشتياقِ ؛ إلىٰ تقبيلِ الأقدامِ لم تَسعْهُ قائمةٌ ، وهوَ يعدُ القلبَ بالصَّبرِ ولٰكنْ كما ذكرَ كعبٌ عن مواعيدِ عُرْقُوبٍ ، فنسألُ اللهَ حسنَ الخاتمةِ

قالَ ابنُ حجَّةَ علىٰ أثرِ ذٰلكَ (ولم يبقَ مِنْ هٰذا القدرِ إلَّا ما تَمُجُّهُ أفواهُ الأسماعِ ، ويَنفرُ منهُ سليمُ الطِّباعِ ، وعلىٰ كلِّ حالٍ فهٰذهِ صُبابةُ الحاصلِ ، ونسألُ اللهَ السلامةَ مِنَ الجاهلِ المتغافلِ ؛ بمَنِّهِ وكرمِهِ ، إن شاءَ اللهُ تعالىٰ)

إذا قرأتَ مُتأمِّلاً حقَّ التأمُّلِ ما نقلناهُ لكَ مِنْ إنشاءِ ذوي العصورِ المتتاليةِ عرفتَ كيفَ اختلافُ مذاهبِ الناسِ في الإنشاءِ ، وإذا يسلكُ بكَ التوفيقُ إلى اختيارِ طريقةٍ تناسبُ أحوالَ بني وقتِكَ ، وتوافقُ أفهامَهُم ؛ إذا دعتْكَ داعيةٌ للإنشاءِ المصنوعِ



[مِنْ مُنشآتِ الوزيرِ الأديبِ عبدِ اللهِ فكري بك]

هٰذا ؛ وأنفعُ ما أراهُ ينبغي لكَ أن تتخذَهُ دليلاً يرشدُكَ إلىٰ كلِّ وجهٍ جميلٍ مِنْ وجوهِ الفنونِ التي تحاولُ فيها أن تكتبَ الكتابةَ الصِّناعيَّةَ المناسبةَ لوقتِكَ ، الذي تأملُ أن تعيشَ في رضا أهلِهِ عنكَ ، واعترافِهِم بظهورِ ما يَعودُ منكَ عليهِم نفعُهُ   مُنشآتُ الأميرِ الجليلِ صاحبِ الوقتِ ، الذي لو تَقدَّمَ بهِ الزمانُ   لكانَ لهُ بديعانِ ، ولم ينفردْ بهٰذا اللَّقبِ علَّامةُ همَذانَ ، عبدِ اللهِ فكري بكْ أطابَ اللهُ أيَّامَهُ ، وأعلىٰ ـ كما نرجوهُ ـ منهُ تعالىٰ حيثُ كانَ مَقامَهُ

[جوابُ تحيةٍ وسؤالٍ]

فمنها ـ وبهِ صَدَّرتُ ما سأنقلُهُ لِمَا اشتملَ عليهِ مِنْ نصيحةِ الإخوانِ أن يذهبوا بأنفسِهِم مَذاهبَ الأفاضلِ ، ولا يقعدوا بها مَقاعدَ كلِّ وضيعٍ خاملٍ ، فيكونوا قد رَضُوا لها بالدُّونِ ، وأنزلوها منازلَ الهُونِ ـ ما كتبَ لبعضِ إخوانِهِ جوابَ تحيَّةٍ وسؤالٍ ؛ قالَ

كتبتُ والذِّهنُ فاترٌ مِنْ وهنِ الدَّفاترِ ، والتبييضِ والتسويدِ ، والتقييدِ والتسديدِ ، والتقييدِ والتشديدِ ، والترجمةِ وكثرتِها ، والهِمَّةِ وفترتِها ، والماهيةِ وقِلَّتِها ، والنَّفْسِ وذِلَّتِها ، وراتبي لا يكفي أجرةَ البيتِ ، ولا يفي ثمنَ الماءِ والزيتِ ، وبالأمسِ وعدَ الوكيلُ بالزيادةِ ، واعتذرَ اليومَ بالأصيلِ على العادةِ ، علىٰ أنَّهُ لو حصلَتْ زيادةٌ   فلزيدٍ وعمرٍو ، إلىٰ آخِرِ الزمرِ ، وللهِ الأمرُ ، أحوالٌ مُتبدِّدةٌ ، ونفوسٌ مُتبلِّدةٌ ، وأشغالٌ مُتعدِّدةٌ ، وإخوانٌ خُوَّانٌ ، وخِلَّانٌ غيلانٌ ، ورفاقٌ وما أجملَ الفراقَ !! وقلتُ   [من الطويل]

إِلَامَ أُعَانِي ٱلصَّبْرَ وَٱلدَّهْرُ غَادِرٌ   وَحَتَّىٰ مَتَىٰ أَشْكُو وَمَا لِيَ عَاذِرُ

وَلَوْ أَنَّنِي أَشْكُو عَظَائِمَ شِدَّتِي لِمَيْتٍ لَرَقَّتْ لِي ٱلْعِظَامُ ٱلنَّوَاخِرُ

وسألتُ عن فلانٍ وفلانٍ ، وهَيَّانَ بنِ بَيَّانَ ، ممَّنْ ينتسبُ للعلمِ وأهلِهِ ، ويتظاهرُ بشعارِ فضلِهِ ، ولو كانَ العلمُ بلحيةٍ تعظمُ وتطولُ ، وشواربَ تُحَفُّ وتُستأصَلُ ، وعيونٍ على ما بها مِنْ غمصٍ ورمصٍ تكحلُ ، وعِمامةٍ تعظمُ حتى ترذلُ ، وطيلسانٍ يُلَفُّ ويُسدَلُ ، وكم يُوسَّعُ ويسبلُ !! وأحاديثِ خرافةَ تُقَصُّ وتُنقَلُ ، ومِحفظةٍ تفعمُ وتثقلُ ، وسواكٍ يظهرُ مِنَ العمامةِ نصفُهُ ، وكتابٍ يخرجُ مِنَ الجيبِ طرفُهُ ، ثمَّ بتَشدُّقٍ في الكلامِ ، وتبأً لهُ في المرامِ ، وتَعسُّفٍ في الأفهامِ ، وحرصٍ على الحطامِ ، ثمَّ بقولِ الإنسانِ حضرتُ درسَ فلانٍ ، وسمعتُ مِنْ لفظِهِ باللسانِ ، وقضيتُ في العلمِ كذا سنةً مِنَ الزمانِ فهُم أعلمُ مَنْ أقلَّتْهُ الغبراءُ ، وأفقهُ مَنْ أظلَّتْهُ الخضراءُ ، وإن كانَ للعلمِ غيرُ هٰذهِ الآلاتِ فما لهُم سوى هٰذهِ الحالاتِ ، غايةُ الأمرِ أنَّهُم قضَوا أرذلَ العمرِ في كتبٍ معدودةٍ ، وشروحٍ موجودةٍ ، وهُم يُكرِّرونَها ولا يَدْرونَها ، ويُقرِّرونَها ولا يُحرِّرونَها ، ويتداولونَها ولا يَتعقَّلونَها ، ولو صرفَ حماري هٰذا العمرَ فيها لأصبحَ فقيهاً ، وأضحى نبيهاً

والذي يُظهِرُ مينَهُم وشينَهُم ، وعلامةَ ما بينَنا وبينَهُم أن يُؤمَرَ أحدُهُم برقعةٍ تُكتَبُ لحاجةٍ معهودةٍ ، ويُمتحَنُ بكتابٍ غيرِ هٰذهِ الكتبِ المعدودةِ ، فيهِ بعضُ كلامِ العربِ وأشعارِها ، وشيءٌ مِنْ وقائعِها وأخبارِها ، فإن كتبَ فصيحاً ، وقرأَ صحيحاً ، وفهم مليحاً عرفنا أنَّهُ شمَّ عَرْفَ العلمِ ، وذاقَ طعمَ الفهمِ ، وسلَّمنا إليهم ما يَدَّعونَ ، وتركنا لهُم ما يأتونَ وما يَدَعُونَ ، وإنِ ارتبَكَ للرقبةِ ، ووقفَ حمارُ الشيخِ في العقبةِ عرفنا حالَهُ ، وقلنا لهُ[1] [من الخفيف]

(١) هما لأبي نواس في « ديوانه » (ص ٤١٩)

أَيُّهَا ٱلْمُدَّعِي سُلَيْماً سَفَاهاً   لَسْتَ مِنْهَا وَلَا قُلَامَةَ ظُفْرِ
إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ سُلَيْمٍ كَوَاوٍ   أُلْحِقَتْ فِي ٱلْهِجَاءِ ظُلْماً بِعَمْرِو

وقد مررتُ بالأمسِ على أحدِهِم في الدرسِ يقرأُ « القطرَ » لابنِ هشامٍ ، ويلحنُ لحنَ العوامّ ، ومررتُ بآخَرَ يدرسُ « الكافي في علمَيِ العَروضِ والقوافي » ، يُقرِّرُ قولَهُ [من مجزوء المتدارك]

قِفْ عَلَىٰ دَارِهِمْ وَٱبْكِيَنْ   بَيْنَ أَطْلَالِهَا وَٱلدِّمَنْ

فلا وربّكَ ما أقامَ لهُ وزناً ، ولا عرفَ لهُ معنىً ، معَ سهولةِ مبناهُ ، وظهورِ معناهُ ، فحَطَمَهُ حَطْمَ الهشيمِ ، ومَزَّقَهُ تمزيقَ الأديمِ ، فقلتُ : سبحانَكَ اللهمَّ !! كأنَّ الشاعرَ عناني بهٰذا الكلامِ ، وعلمَ أنّي أقومُ هٰذا المَقامَ ، فأمرَني بالبكاءِ على العلمِ والدروسِ ، وما جرىٰ علىٰ معاهدِهِ مِنْ دروسٍ

يا قومُ ؛ أهٰذا النحوُ وإعرابُهُ ، والصَّرفُ وأبوابُهُ ، والعَروضُ وأوزانُهُ وأبحرُهُ ، والمعاني وإنشاؤُهُ وخبرُهُ ، والبيانُ وفرائدُهُ ، والبديعُ وشواهدُهُ ؟!

وهٰذِهِ العلومُ الموضوعةُ ، والأسفارُ المحمولةُ ، والدروسُ المأهولةُ ، والأصواتُ المهولةُ   لمُجرَّدِ معرفةِ ضربِ زيدٍ وعمرٍو ، وقتالِ خالدٍ لبكرٍ ، وأنَّ (قالَ) أصلُها (قَوَلَ) ، ثمَّ لا يدري ما حصلَ ، والطَّويلَ مِنْ (فعولنْ مفاعيلُ) ، ثمَّ لا يعلمُ كيفَ ينظمُ ، والفصلِ والوصلِ ، ولا أصلَ ولا فصلَ ، والحقيقةِ والمجازِ ، وليسَ لهُما مجازٌ ، والتوريةِ والجِناسِ ، ممَّا يحفظُ ولا يُقاسُ

إذاً ؛ واللهِ تكونُ تلكَ الفنونُ مِنْ أفانينِ الجُنونِ ، ويكونُ الميلُ إليها ، الإقبالُ عليها ، عملاً حابطاً ، وشغلاً ساقطاً ، وهوساً عاطلاً ، ووسواساً باطلاً ، ويكونُ واضعوها أساؤوا الناسَ ، وأخطؤوا القياسَ ، وبنوا علىٰ غيرِ أساسٍ !!

كلَّا ؛ إنَّما وضعوا هٰذهِ القواعدَ ، وشرعوا للناسِ تلكَ المواردَ ؛ ليتكلَّموا بكلامِ العربِ مثلَ ما تَكلَّمَتْ ، ويفهموا مِنْ ألفاظِها كالذي فهمَتْ ، ويُترجِموا عن سرائرِ الضَّمائرِ كما ترجمَتْ ، وينثروا وينظموا كما نثرَتْ ونظمَتْ ، وقد كانَتْ هٰذهِ العربُ التي أودعَ اللهُ الفصاحةَ لسانَها ، وشَرَّفَ بسيِّدِنا النبيِّ والقرآنِ العربيِّ مكانَها تَتكلَّمُ بهٰذهِ اللغةِ العليَّةِ ، على الفطرةِ الأصليةِ ، والسَّجيةِ الجبليةِ ، مِنْ غيرِ هٰذهِ القواعدِ والأصولِ ، وتلكَ الأبوابِ والفصولِ ، وكانَتْ تَعتدُّ البلاغةَ مبلغَ علاها ، وتعتقدُ الفصاحةَ مِنْ محاسنِ حلاها

ثمَّ بعثَ اللهُ تعالىٰ نبيَّهُ الأكرمَ ، صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وشَرَّفَ وكَرَّمَ ، أفصحَها لساناً ، وأوضحَها بياناً ، وأنزلَ عليهِ قرآناً ، في أعلىٰ درجاتِ البلاغةِ ، وأرقىٰ طبقاتِ البراعةِ في حسنِ الصِّياغةِ ، فاهتدَوا بقرآنِهِ ، واقتدَوا ببيانِهِ ، فازدادوا بسطةً في اللسنِ ، وتوسُّعاً في البيانِ الحسنِ ، إلىٰ أنِ اختلطَتْ أنسابُهُم ، وتَقطَّعَتْ أسبابُهُم ، وانقرضَتْ دولتُهُم ، وانقضَتْ مُدَّتُهُم ، واختلَّتْ ألسنتُهُم ، وخلتْ أمكنتُهُم ، وخيفَ أن تذهبَ معَهُم هٰذهِ اللغةُ المنيفةُ ، التي هيَ مدارُ الشريعةِ الشريفةِ ، وخيرُ لغةِ العالمِ ، وأبرعُ لسانٍ تَكلَّمَتْ بهِ بنو آدمَ

فقيض اللهُ لحفظِها الأئمةَ الأعلامَ ، هُداةَ الأنامِ ، ورُعاةَ الإسلامِ ، فرتَّبوا قواعدَها ، وشدُّوا سواعدَها ، وصَنَّفوا تلكَ الفنونَ العديدةَ ، وألَّفوا هٰذهِ الكتبَ المفيدةَ ؛ لتسهيلِ الأربِ ، مِنْ لغةِ العربِ ، والتكلُّمِ بلسانِهِم ، علىٰ بعدِ أزمانِهِم ، ومجاراتِهِم في بيانِهِم ، علىٰ سَعَةِ ميدانِهِم ، والتفنُّنِ في أساليبِ الكلامِ ، وصوغِهِ علىٰ حَسَبِ مُقتضى المَقامِ ، واستمرَّ العملُ علىٰ ذٰلكَ بينَ الأنامِ ، وتداولَتْ عليهِ الأيامُ والأعوامُ

إلىٰ أنْ خلفَ هٰذا الخلفُ الملومُ ، والخلقُ المذمومُ ، والجيلُ المشؤومُ ،

فظنُّوا تلكَ الوسائلَ مقاصدَ ، ليسَ بعدَها غايةٌ لقاصدٍ ، وحسبوا هـٰذهِ الكتبَ تُقصَدُ لذاتِها ، ويُكتفىٰ بالتعبُّدِ بكلماتِها ، فوقفوا عندَها ، ولم يَتجاوزُوها لِمَا بعدَها ، واتخذوا الأدبَ وراءَهُم ظهرياً ، وجعلوا النظمَ والنثرَ شيئاً فرياً ، فإذا كتبَ أحدُهُم رقعةً لحاجةٍ أرادَها ، أوِ ابتُلِيَ بكتابٍ غيرِ هـٰذهِ التي اعتادَها فلا تسلْ عنِ الغلطِ الواضحِ ، واللحنِ الفاضحِ ، والذِّهنِ الغائبِ ، والفهمِ العائبِ ؛ فإن وقفتَهُ علىٰ غلطِهِ ، وعَرَّفتَهُ بعض سقطِهِ قالَ ما نحنُ مِنْ أهلِ ذاكَ الشانِ ، ولا خيلُ هـٰذا الرهانِ ؛ إنَّما نحنُ لفهمِ الكُرَّاسِ ، لا يَسبقُنا أحدٌ مِنَ الناسِ

فيا أنعامَ الأنامِ ، ويا ألأمَ اللئامِ ؛ أيُّ فائدةٍ إذاً للكُرَّاسِ ، غيرِ وجعِ الراسِ ؟! وأيُّ معنىً لتلكَ العلومِ ، غيرِ سعةِ الحلقومِ ؟! وماذا ينفعُ الإعرابُ مَنْ لا يُعرِبُ عنِ المَرامِ ؟! وماذا يصنعُ بالصَّرفِ مَنْ لا يَتصرَّفُ في أساليبِ الكلامِ ؟! وماذا يغني العَروضُ عن قومٍ لا يشعرونَ ، والمعاني والبيانُ مِنْ قومٍ لا ينظمونَ ولا ينثرونَ ؟!

وقد زارَني أحدُهُم في الدِّيوانِ لبعضِ شانِهِ ، وأعطاني رقعةً كتبَها لحاجةٍ بخطِّ بنانِهِ ، فإذا رقعتُهُ أُنموذجُ الرقاعةِ ، وتِمثالُ الشناعةِ ، ومجموعُ البلاهةِ ، وينبوعُ العيِّ والفهاهةِ ، وها هيَ واصلةٌ طيَّ كتابي إليكَ ، لتكونَ علىٰ ما قلتُ حُجَّةً وبينةً لديكَ ؛ فقد عرفتُ قدرَ تظاهرِ هـٰذا الرجلِ بالعلمِ ، وتفاخرِهِ بحِدَّةِ الذِّهنِ وجودةِ الفهمِ ، وسترىٰ ما بها مِنْ زللٍ ، وخطأٍ وخطلٍ ، ولفظٍ باردٍ ، ومعنىً جامدٍ ، وتركيبٍ فاسدٍ ، ورسمٍ خامدٍ

وقد كانَ في يدي « معاهدُ التنصيصِ شرحُ شواهدِ التلخيصِ » ، فناولتُهُ بعض ورقاتِهِ ، وسألتُهُ في فهمِ بعضِ مَحَلَّاتِهِ ، لا جهلاً بأمرِهِ ، ولـٰكنْ إظهاراً لعُجَرِهِ وبُجَرِهِ ، ثمَّ جهدتُ بهِ أن يكتبَ ما فهمَهُ بعدَ أن مدحتُ لهُ ما توهَّمَهُ ،

وكنتُ أريدُ أن أُتحِفَكَ بغرائبِ أنظارِهِ ، ووساوسِ أفكارِهِ ؛ لتعلمَ أيُّ أطفالٍ في ثيابِ رجالٍ ، وأيُّ حميرٍ تركبُ البغالَ ، إلَّا أنَّهُ لم يسمحْ بكتابةِ ما قالَ ، وفي رقعتِهِ كفايةٌ ، فهيَ في الدلالةِ علىٰ حالِهِ غايةٌ

أمَّا فلانٌ وأترابُهُ ، وفلانٌ وأضرابُهُ فهُم أعجوبةُ الأيامِ ، وأُحدوثةُ الأنامِ ، أحوالٌ متناقضةٌ ، وأفعالٌ متعارضةٌ ، فكبرٌ وفقرٌ ، وعجزٌ وفخرٌ ، وأنفٌ في السماءِ ، وٱستٌ في الماءِ ، وحالٌ تحتَ الترابِ ، ونفسٌ فوقَ السحابِ ، إن صدَقتَهُم كذبوا ، وإن أرضيتَهُم غضبوا ، وإن تباعدتَ عنهُم لاموا وعذلوا ، وإن تَقرَّبتَ منهُم سَئِموا ومَلُّوا ، كلابٌ في جلودِ أسودٍ ، وجوهٌ بيضٌ وقلوبٌ سودٌ ، صغيرةُ السيئةِ عندَهُم كبيرةٌ ، وكبيرةُ الحسنةِ لديهِم صغيرةٌ ، عيونٌ منتقدةٌ ، وقلوبٌ متقدةٌ ، وألسنةٌ حِدادٌ ، وأفئدةٌ شدادٌ ، وأجسامٌ صحيحةٌ ، وقلوبٌ مريضةٌ ، وجهلٌ طويلٌ ، ودعاوىٰ عريضةٌ ، النصحُ لديهِم خيانةٌ ، والسُّوءُ عندَهُم ديانةٌ

وقد بذلتُ في مرضاتِهِم جهدي ، وأجنيتُهُم مُرِّي وشهدي ، وقابلتُهُم باللطفِ والعنفِ ، وعاملتُهُم بالنُّكْرِ والعُرْفِ ، فلا وأبيكَ ما زادوا إلَّا فجوراً ، وعُتوّاً ونفوراً ، ومكراً وشروراً ، وكبراً وغروراً ، ولو وقفتُ عليهِم ليلتي ويومي ، وهجرتُ لديهِم راحتي ونومي ، وفديتُهُم بعشيرتي وقومي ، ثمَّ أطعمتُهُم مِنْ جسمي ، وآثرتُهُم مِنَ العافيةِ بقَسْمي لَمَا بلغتُ مِنْ نفوسِهِم رضاها ، ولا أدَّيْتُ مِنْ حقوقِهِم علىٰ زعمِهِم مقتضاها ، بل ولو صاحبَهُم جبريلُ ، وخاطبَهُم بالتنزيلِ ، وأهداهمُ الجنةَ في مِنديلٍ ، وأنزلَ الشمسَ إليهِم في قنديلٍ ، ونظمَ لهُمُ النجومَ عقوداً ، وشَقَّ لهُم مِنَ المجرةِ بروداً ، وصَيَّرَ الإنسَ والجِنَّ لهُم عبيداً ، وجعلَ الملائكةَ لهُم بعدَ ذٰلكَ جُنوداً ، وأطلعَهُم علىٰ غيبِ السماءِ والأرضِ ، وخَبَّرَهُم بما كانَ وما يكونُ إلىٰ يومِ العَرْضِ لَمَا أصبحَ عندَهُم إلَّا مذموماً ، ولا أمسىٰ لديهِم إلَّا ملوماً ، ولكانَ

منسوباً للقصورِ والتقصيرِ ، والإخلالِ بالقليلِ والكثيرِ ، قومٌ هٰذهِ طباعُهُم ، وتلكَ أوضاعُهُم ؛ مَنْ ذا يرضيهِم بحالٍ ، ولو فعلَ لهُمُ المحالَ ؟!

أمَّا فلانٌ وما أدراكَ . فهوَ شركُ الأشراكِ ، وعارُ العربِ والأتراكِ ، وفضيحةُ الزمانِ ، وخزيُ الكونِ والمكانِ ، صورةٌ كثيفةٌ ، وسيرةٌ أنتنُ مِنَ الجِيفةِ

وَوَجْـهٌ لَـوْ رَمَـيْـتَ بِـهِ لِـكَـلْـبٍ   عَلَىٰ جُوعٍ لَعَافَ ٱلْكَلْبُ أَكْلَهْ (١)

وأخلاقٌ أسمجُ مِنَ السماجةِ ، وعقلٌ أضلُّ مِنَ الدجاجةِ ، وكلامٌ على الراسِ ، أشدُّ مِنْ قلعِ الأضراسِ ، إذا تَجرَّعَتْهُ الآذانُ ، تَقيَّأَتْهُ الأذهانُ ، فهوَ ذَنوبُ الذُّنوبِ ، وعَيبةُ العيوبِ ، وقذى النواظرِ ، وأذى الخواطرِ ، وبليةُ النفسِ ، وآفةُ الأُنسِ ، وشرُّ الجِنِّ والإنسِ ، وهوَ مِنْ قومٍ تَقدَّموا بأعجازِهِم لا بإعجازِهِم ، وبقيادتِهِم لا بسادتِهِم ، وبالشمولِ لا بالشمائلِ ، وبالفضولِ لا بالفضائلِ ، فلا نَعَّمَ اللهُ بالَهُم ، ولا بَلَّغَهُم آمالَهُم ، فليسوا للنعمةِ أهلاً ، ولا للكرامةِ مَحَلّاً

نِـعَـمُ ٱللهِ لَا تُـعَـابُ وَلَٰكِنْ   رُبَّمَا ٱسْتُقْبِحَتْ عَلَىٰ أَقْوَامِ
لَا يَـلِـيقُ ٱلْـغِـنَىٰ بِـوَجْـهِ فُـلَانٍ   لَا وَلَا نُـورُ بَـهْـجَـةِ ٱلْإِسْـلَامِ
وَسِـخُ ٱلـثَّـوْبِ وَٱلْـعِـمَـامَـةِ وَٱلْـبِـرْ   ذَوْنِ وَٱلْـوَجْـهِ وَٱلْـقَـفَـا وَٱلْـغُـلَامِ (٢)

وقد طالَ الكلامُ ، في هٰؤلاءِ الطَّغامِ ، وإنّي لمأسوفٌ علىٰ زمنٍ قطعتُهُ بأنبائِهِم ، وقرطاسٍ دَنَّستُهُ بأسمائِهِم ، وما كنتُ لأريدَ أن أطيلَ المِقْوَلَ في فصولِ هٰذا الفضولِ ، ولٰكنَّ حديثَ الأفاعي يطولُ ، وقد نذرتُ للرحمانِ صوماً ، فلن أذكرَهُم بعدَ هٰذا يوماً

---

(١) من الوافر

(٢) من الخفيف

فهلمَّ أطارحْكَ ذكرَ الودادِ ، وأبثَّكَ شكوىٰ ما في الفؤادِ ، مِنْ لاعجِ البعادِ ، فعندي لكَ مِنَ الودِّ ، والشوقِ والوجدِ ؛ ما ملأَ الجوانحَ ، وملكَ الجوارحَ ، فلا يبليهِ البعدُ ، ولا ينسيهِ طولُ العهدِ ، فاللهُ يديمُ حسنَ رعايتِكَ ، ويسمعُني ما يَسُرُّ مِنْ ناحيتِكَ ، ويُتِمُّ نعمتَهُ عليكَ بالدَّوامِ ، ويبلغُكَ غاياتِ المرامِ

وكتبَ إلىٰ إمامِ مسقطَ مِنْ طرفِ الحضرةِ الخديويَّةِ

ما روضةٌ سحبَتْ عليها السَّحائبُ ذُيولَ مطارفِها ، وخلعَتْ عليها مِنْ خِلَعِ الربيعِ محاسنَ طرائفِها ، فظلَّتْ تُثني عليها أدواحُها بما استودعَتْهُ أرواحُ النسيمِ ، حينَ سرتْ بَلِيلةَ الأذيالِ عاطرةَ الشميمِ ؛ بأحسنَ ولا أبهىٰ ، ولا ألطفَ ولا أشهىٰ ؛ مِنْ تحيةٍ بهيَّةٍ تَعلَّمَتْ لطفَها نسماتُ الشمائلِ ، وأثنيةٍ سنيَّةٍ استفادَتْ مِنْ حسنِ تلكَ الشمائلِ ، وتسليماتٍ زهيَّةٍ يَتلألأُ في أرجاءِ المَودَّةِ سناها ، ويَتفيَّأُ في أنحاءِ الأفئدةِ ظلالُ معناها ، تُقدِّمُ وتُبدىٰ ، وتُتحِفُ وتُهدىٰ ؛ إلىٰ حضرةِ ذروةِ المجدِ الشامخِ ، وتاجِ هامةِ السعدِ والشرفِ الباذخِ ، حسنةِ الدنيا ، وحليةِ المجدِ والعليا ، بدرِ المفاخرِ الذي أضاءَتْ بهِ نواحيها ، ومنارِ المآثرِ الذي اهتدىٰ بهِ ساريها ، ربِّ الهِمَمِ العوالي ، وسليلِ الأكارمِ الأعالي ، وبهجةِ الأيامِ والليالي ، وزينةِ المحامدِ والمعالي ، حرسَ اللهُ بهجتَهُ ، وأدامَ [مهجتَهُ] ، وحمىٰ حماهُ ، ورعىٰ رعاياهُ ، ولا زالَتْ ثغورُ الآمالِ بوجودِهِ بواسمَ ، ورياحُ الإقبالِ بوفودِهِ نواسمَ

وبعدُ فقد وصلَ إليَّ كتابُكُم الكريمُ ، وتَلَقَّيتُهُ بما ينبغي لهُ مِنَ التكريمِ ، فملأَ العينَ قُرَّةً ، والقلبَ مَسرَّةً ، والنفسَ ارتياحاً ، والصَّدرَ انشراحاً ، واجتليتُ منهُ روضةَ بلاغةٍ أزهرَتْ نجومُها ، وسماءَ فصاحةٍ أسفرَتْ نجومُها ، واغتنمتُ مِنْ براعاتِ عباراتِهِ الفائقةِ مزيدَ المَسرَّاتِ ؛ بما ابتديتُموهُ مِنْ حسنِ الميلِ إليَّ

وبديعِ الالتفاتِ ، وشكرتُ المولى العظيمَ ، علىٰ صحَّةِ ذٰلكَ المزاجِ الكريمِ ، وهٰذا المُحِبُّ في صحَّةٍ وعافيةٍ ، ونعمةٍ مِنَ اللهِ وافيةٍ ، فنسألُهُ ونبتهلُ إليهِ سبحانَهُ أن يديمَ علينا وعليكُم إحسانَهُ ، آمينَ

[مقالةٌ من أهلِ الصعيدِ لوليِّ النِّعمِ الخديويِّ السعيدِ]

وكتبَ صورةَ مَقالةٍ تُقدَّمُ مِنْ أهلِ الصَّعيدِ لوليِّ النعمِ

يا ملكَ الملكوتِ ، وربَّ العظمةِ والجبروتِ ؛ نحمدُكَ علىٰ سوابقِ نعمائِكَ ، وسوابغِ آلائِكَ ، ونُصلِّي ونُسلِّمُ علىٰ خيرِ أنبيائِكَ ، وواسطةِ عِقدِ أصفيائِكَ ، ونشكرُكَ علىٰ ما ألهمتَهُ حضرةَ أميرِ المؤمنينَ ، وخليفةَ رسولِكَ الأمينِ ، وظلَّكَ الممدودَ علىٰ مفارقِ العالمينَ ؛ مِنْ تحويلِ وراثةِ مصرَ إلىٰ نسلِ عزيزِها الأفخمِ ، وتخويلِ أهلِها بهٰذهِ المِنَّةِ الكبرىٰ جلائلَ النعمِ والفضلَ الأعمَّ

وهٰذا شيءٌ طالمَا لَهِجَتْ بهِ ألسنتُنا ، وامتدَّتْ إلىٰ أنظارِهِ أعينُنا ، واشتغلَتْ بهِ خواطرُنا ، واشتملَتْ عليهِ سرائرُنا ، فدلَّتْ عليها ظواهرُنا ، وما ذاكَ إلَّا مِنْ فرطِ حبِّنا لأوطانِنا السعيدةِ ووليِّ أمرِها ، وعلمِنا بما يَترتَّبُ علىٰ تلكَ البغيةِ الحميدةِ لهٰذهِ الدِّيارِ مِنِ اتساعِ خيرِها ، وامتناعِ ضيرِها وارتفاعِ قدرِها ، واستكمالِ أسبابِ غناها وفخرِها ، وتماديها في التقدُّمِ والتمكُّنِ ، وتَرقِّيها في درجاتِ حسنِ التمدُّنِ ، ومعموريةِ بلدانِها ، ورفاهيةِ سُكَّانِها ، إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنْ ثمراتٍ نافعةٍ ، ومحاسنَ بارعةٍ ، نرى العزيزَ ـ أدامَ اللهُ بقاءَهُ ، وخَلَّدَ في ملكِهِ أبناءَهُ ـ لا يزالُ آخذاً في أسبابِها ، مُتوصِّلاً إليها مِنْ خيرِ بابِها

ولعلَّ اللهَ جَلَّتْ حكمتُهُ ، وعلتْ كلمتُهُ ؛ ما اختصَّ هٰذا الجنابَ الخديويَّ بتلكَ المزيَّةِ العاليةِ بعدَ ما تداولَتْهُ علىٰ تمنِّيها الأعصرُ الخاليةُ ، وشَلَّتْ دونَ

تعاطيها الأيدي المتناولةُ ، وقصرَتْ عن ترجّيها الهممُ المُتطاوِلةُ إلَّا لِمَا جُبِلَ عليهِ جنابُهُ الكريمُ ، وجُعِلَ حليةَ طبعِهِ السليمِ ؛ مِنْ حبِّ الخيرِ والنفعِ للخاصَّةِ والعامَّةِ ، وبذلِ في تَقدُّمِ هـٰذهِ الأوطانِ مزيدَ الهممِ التامَّةِ

ونحنُ لو أردنا بيانَ ما استفدناهُ مِنَ السُّرورِ ، والحظِّ والحُبورِ ، والأنسِ والحضورِ ، لهـٰذا الأمرِ المبرورِ لوجدنا كلَّ عبارةٍ قاصرةً عنِ المَرامِ ، وكلَّ براعةٍ مُقصِّرةً عن إيفاءِ حقِّ هـٰذا المَقامِ

فنسألُكَ اللهمَّ لأميرِ المؤمنينَ نصراً على العِدا ، وملكاً يبقىٰ أبداً سرمداً ، ولا ينتهي إلىٰ مدىً ، ونستوهبُكَ لعزيزِنا الأكرمِ ، ووليِّ نعمتِنا المُعظَّمِ ؛ طولَ عمرٍ يَتمتَّعُ فيهِ بدوامِ إقبالِهِ ، مسروراً بنجاحِ أعمالِهِ ، وبلوغِ آمالِهِ ، وصحةِ أنجالِهِ ، ما تَحلَّى الأفقُ بحليةِ هلالِهِ ، وتَجلَّى البدرُ في حُلَّةِ كمالِهِ

[فرمانٌ بتنصيبِ محافظٍ]

وممَّا كتبَهُ صورةُ فرمانٍ بنصبِ محافظٍ

صدرَ هـٰذا الفرمانُ المُطاعُ ، الواجبُ لهُ القَبولُ والاتباعُ ، خطاباً إلى الحُكَّامِ والعلماءِ ، والقضاةِ والأعيانِ ، والوجوهِ والعمدِ ومشايخِ البلدانِ ، وعمومِ الأهالي المُتوطِّنينَ في محافظةِ كذا بجهاتِ السُّودانِ

ليكنْ معلوماً لديكُم ، بوصولِ هـٰذا المنشورِ إليكُم ؛ أنَّهُ قدِ اقتضَتْ إرادتُنا تنصيبَ فلانٍ محافظاً عليكُم ؛ لِمَا تَوسَّمناهُ فيهِ مِنَ الدِّرايةِ والاستعدادِ ، والسلوكِ في طرقِ الرشادِ ، وبذلِ الهِمَّةِ في أمورِ المصلحةِ ومزيدِ الاجتهادِ ، فامتثلوا أوامرَهُ التي تصدرُ في صالحِ المصلحةِ ، واجتنبوا نواهيَهُ ، واجتهدوا فيما يعودُ بهِ عليكُم مزيدَ العماريةِ ؛ لتنالوا حسنَ الرفاهيةِ ، واعملوا بقولِهِ

تعالىٰ ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [1] ؛ لتفوزوا بزيادةِ التفاتِنا إليكُم ، ورضانا عنكُم

وأنتَ ـ أيُّها المحافظُ ـ قد علمتَ ما لدينا مِنَ الشغفِ باتساعِ دائرةِ المدنيةِ ، وحصولِ الخيرِ لجميعِ أهلِ هٰذهِ الدِّيارِ الوطنيةِ ، والميلِ إلىٰ دوامِ راحةِ العبادِ ، وتأمينِ السبلِ وتمدينِ البلادِ ، فعليكَ برعايةِ ما يلزمُ لذٰلكَ ، واسلكْ في إدارةِ أشغالِ هٰذهِ المحافظةِ أحسنَ المسالكِ ، ودمْ على العدلِ والإنصافِ ، واحذرْ مِنَ الظلمِ والإجحافِ ، وانظرْ إلىٰ قولِهِ عليهِ السلامُ لأُمَّتِهِ « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّ رَاعٍ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » [2] ، ولتكنْ مُهتمّاً بتحصيلِ حقوقِ المصلحةِ في أوقاتِها ، ورؤيةِ جميعِ الأشغالِ علىٰ أحسنِ حالاتِها ؛ ليدومَ حسنُ أنظارِنا عليكَ ، وتفوزَ بمزيدِ التفاتِنا إليكَ ، اعلمْ ذٰلكَ واعملْ بهِ ، واحذرْ مِنْ مخالفةِ موجَبِهِ

[ممَّا كتبَهُ الوزيرُ فكري بك لبعضِهِم]

وممَّا كتبَهُ لبعضِهِم

سلامٌ يُعبّرُ عنِ الودادِ طِيبُ عبيرِهِ ، ويُخبرُ عن إخلاصِ الفؤادِ لطفُ تعبيرِهِ ، وثناءٌ علىٰ محاسنِ تلكَ الشمائلِ ، أرقُّ مِنْ نسماتِ الشمائلِ ، وتحيةٌ بهيَّةٌ تباهي الخمائلَ بنفحاتِ أورادِها ، وأدعيةٌ مرضيَّةٌ جعلَتْها الألسنةُ خيرَ أورادِها ، وسؤالٌ عنِ المِزاجِ الزاهرِ ، وصحَّةِ الخاطرِ الباهرِ ، لا زلتُم مَحَلَّ نعمةٍ يتصلُ علىٰ مدى الأيامِ بقاؤُها ، ويزيدُ علىٰ مَرّ الشُّهورِ والأعوامِ بهاؤُها ، ولا برحَتْ ثغورُ الإقبالِ إليكم بواسمَ ، ورياحُ الآمالِ لديكُم نواسمَ ،

---

(١) سورة النساء (٥٩)

(٢) أخرجه البخاري (٨٩٣) ، ومسلم (١٨٢٩) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما

ولا انفكَّتِ الأيامُ والليالي مُتقلِّدةً بحلاكُم أجيادُها ، والمعالي متسابقةً إلىٰ ساحةِ حماكُم جيادُها ، آمينَ

وبعدُ فإنَّ بي مِنَ الأشواقِ ما تَضعُفُ عن حملِهِ إلىٰ حماكُم الأوراقُ ، ومِنَ التأسُّفِ علىٰ ما حرمتُهُ مِنْ لقياكُم ، والتلهُّفِ إلىٰ مطالعةِ أنوارِ مُحيَّاكُم ، ما يقصرُ عن وصفِهِ لسانُ اليراعةِ ، ويقصرُ دونَ وصفِهِ بيانُ البراعةِ ، ويضيقُ عنهُ نطاقُ العبارةِ ، ولا ينفسحُ لهُ ميدانُ الإشارةِ ، وإنَّ في ضميرِكُم الأجلىٰ ، ونورِ فكرِكُمُ الأعلىٰ ، ما يكفي في الدلالةِ ، ويغني عنِ الإطالةِ في المَقالةِ

وإن تَفضَّلتُم بالسؤالِ ، فإنَّا بحمدِ اللهِ قد بلغنا الآمالَ ، والجميعُ في صحَّةٍ وعافيةٍ وحسنِ حالٍ ، والكلُّ مشتاقونَ إليكُم ، ويُسلِّمونَ عليكُم ، وعبدُ اللهِ فكري يُقبِّلُ يديكُم

وأيضاً الشوقُ إلىٰ لقياكُم ، واجتلاءُ نورِ مُحيَّاكُم ، تَضعُفُ عن نقلِهِ حمائِمُ الرسائلِ ، ولا يحتاجُ في إثباتِهِ [للحججِ] والدلائلِ ، فاللهُ يطوي شقَّةَ البينِ ، ويقرُّ بكم العينَ ، ويُمتِّعُني ببقائِكُم ، وطيبِ لقائِكُم

وقد وردَ خطُّكُمُ الكريمُ فسرَّ أنفساً تَعرِفُهُ وتألفُهُ ، وأقرَّ أعيناً لا تزالُ تَترقَّبُهُ وتَتشوَّفُهُ ، وقد كانَ مرَّ بخاطري وخطرَ لفكري أن أسابقَ سيدي ومولايَ برسالةٍ أشكو فيها لواعجَ البعادِ ، وأقضي بها بعض الفروضِ الواجبةِ مِنْ حقوقِ الودادِ ، ولٰكنْ أبى اللهُ إلَّا أن يكونَ سيدي هوَ السابقَ لتلكَ الفضيلةِ ، والبادئَ بهٰذهِ المَكرُمةِ الجميلةِ ، وأن أكونَ المُقصِّرَ في جنبِ تَطوُّلِهِ ، والمُفرِّطَ في جانبِ تفضُّلِهِ ، علىٰ أنِّي لم أكنْ مُقصِّراً في دعاءٍ يَصحَبُهُ الحبُّ ويرافقُهُ الإخلاصُ ، وثناءٍ علىٰ محاسنِ تلكَ الشمائلِ أوجبَهُ مزيدُ الاختصاصِ ، وسؤالٍ عن ذٰلكَ الخاطرِ الزاهرِ أستقبلُ بهِ كلَّ واردٍ ،

وأُشيِّعُ كلَّ صادرٍ ، والأملُ اتصالُ ما يَطمئنُّ بهِ الفؤادُ ، مِنْ رسائلِ الودادِ ، حتىٰ ينقضيَ أمدُ البِعادِ ، ذٰلكَ غايةُ المرادِ

قولُهُ في هٰذا الكتاب (حمائمُ الرسائلِ) يشيرُ إلىٰ ما كانَ في سالفِ الزمانِ مِنِ استعمالِ الحمامِ في إيصالِ الكتبِ التي يُرادُ سرعةُ وصولِها إلى الأمكنةِ البعيدةِ ؛ وذٰلكَ أنَّ الناسَ لمَّا عرفوا في الحمامِ خاصَّةَ الأُلفةِ لموضعِهِ ، واهتدائِهِ لهُ إذا أبعدَ عنهُ ، وعرفوا منهُ نوعاً قَوِيَتْ فيهِ تلكَ الخاصَّةُ رَتَّبوا أبراجاً بينَ النواحي المتباعدةِ ؛ كمصرَ والشامِ وبغدادَ ، واتخذوا لكلِّ برجٍ حماماً ربَّوهُ فيهِ حتىٰ ألفَهُ ، وكانوا ينقلونَ حمامَ كلِّ برجٍ إلىٰ ما يليهِ ، فإذا أرادوا أن يوصلوا الكتابَ عَلَّقوهُ في جناحِهِ وأرسلوهُ ، فيتلقَّاهُ المُوظَّفونَ لأخذِ الكتبِ منه عندَ وصولِهِ إلىٰ برجِهِ ، ويُعلِّقونَهُ في جناحِ حمامِ البرجِ الآخَرِ ، وهٰكذا ، فكانَ يصلُ الكتابُ إلى المقصدِ في زمنٍ لا يمكنُ للبريدِ ، وكانَ للحمامِ ديوانٌ لهُ رؤساءُ وخدمٌ ، وكانَ مِنَ المصالحِ المُهِمَّةِ ، وأغنىٰ عنهُ وعن غيرِهِ في زمانِنا هٰذا ذٰلكَ السلكُ الممدودُ علىٰ ذٰلكَ الخشبِ المنصوبِ ، الذي صارَ شبكةً على الكرةِ الأرضيَّةِ

[كتابٌ منَ الحضرةِ الخديويةِ إلىٰ سلطانِ المغربِ]

وكتبَ لسلطانِ المغربِ مِنَ الحضرةِ الخديويةِ جواباً عن كتابٍ

قُرَّةُ نواظرِ الدِّينِ والدنيا ، وغرَّةُ مفاخرِ الملكِ والعليا ، وبدرُ مطالعِ السعدِ المشرقةِ أزمانُهُ بلألائِهِ ، وذخرُ مجامعِ المجدِ المورقةِ أفنانُهُ بآلائِهِ ، القائمُ بأمرِ الدِّينِ الحنيفِ ، وحامي حمى الملكِ المنيفِ ، ماحي ظُلَمِ الظُّلْمِ ومُبدِّدُ مراسمِهِ ، ورافعُ لواءِ العدلِ ومُجدِّدُ معالمِهِ ، ذُروةُ هامةِ الشرفِ الأسمىٰ ، ومَنْ تتباهىٰ بحلاهُ النعوتُ والأسما ، الملكُ المُعظَّمُ ، السُّلطانُ المُفخَّمُ ،

أميرُ المؤمنينَ بالدِّيارِ المغربيةِ ، دامَتْ محفوفةً بالرعايةِ الأبديَّةِ ، محفوظةً بالوقايةِ الأحديَّةِ ، ملحوظةً بعينِ العنايةِ الصَّمديَّةِ ، ولا بَرِحَتْ أعوادُ المنابرِ متباهيةً باسمِهِ الكريمِ ، وأجيادُ المفاخرِ حاليةً بمجدِهِ القديمِ ، ولا زالَتْ سُدَّتُهُ الكريمةُ مَحَلَّ إجلالٍ وتفخيمٍ

سلامٌ يستتبعُ مزيدَ التكريمِ ، ويَستجمِعُ صنوفَ التبجيلِ والتعظيمِ ، وأدعيةٌ بهيَّةٌ تَتمسَّكُ بأذيالِ الإجابةِ والقَبولِ ، وأثنيةٌ سنيةٌ تَتمسَّكُ بها نفحةُ الصَّبا والقَبولِ [1] ، يُهدَىٰ لذٰلكَ المَقامِ الأرفعِ ، والحمى الأعلى الأعزِّ الأمنعِ ـ أدامَهُ اللهُ ـ موردَ قبولٍ وإقبالٍ ، ومعهدَ فضلٍ وإفضالٍ ، ولا زالَتْ أنديتُهُ معمورةً بالعزِّ والتمكينِ ، وألويتُهُ منشورةً بالنصرِ المبينِ

وبعدُ فقد حظيتُ بورودِ مُشرَّفِكُم العالي ، وقَرَّتْ بمطالعتِهِ عيونُ آمالي ، وشكرتُ لِمَا تَفضَّلتُم بإبدائِهِ ، وسُرِرتُ بما تَطوَّلتُم بإهدائِهِ ، واغتبطتُ بما تَكرَّمتُم بحسنِ بيانِهِ ؛ مِنْ تأكيدِ الودِّ القديمِ وتشييدِ بنيانِهِ ، والتهنئةِ بما تَجدَّدَ لديَّ ، مِنْ نعمِ اللهِ تعالىٰ عليَّ ، فكانَ نزهةَ النواظرِ ، وبهجةَ الخواطرِ ، وبغيةَ القرائحِ ، ومَسرَّةَ الجوانحِ

هٰذا ؛ وإنِّي ما زلتُ أسمعُ أحاديثَ علاكُم مُتصِلةَ الإسنادِ ، فأطربُ على السماعِ ، وأنشرُ مِنْ مدائحِ محامدِكُم ما تَتعطَّرُ بهِ الأفواهُ والأسماعُ ، وأعتدُّ مَودَّتَكُم غنيمةَ النفسِ ومناها ، ومُصافاتَكُم غايةَ الآمالِ ونهايةَ مداها ، فقد شاعَ مِنْ محاسنِ شمائلِكُم الساميةِ ، وغُررِ مزاياكُم الكريمةِ وجلائلِ فضائلِكُم الناميةِ ، وقيامِكُم بأمرِ الشريعةِ الشريفةِ ، واهتمامِكُم بتأييدِ هٰذهِ المِلَّةِ المنيفةِ ، ونشرِ أنواعِ العدلِ بينَ العبادِ ، والقيامِ علىٰ أقدامِ الإقدامِ في مناهجِ السَّدادِ ما تناقلَتْهُ السُّمَّارُ في أسمارِها ، وسارَتْ بهِ الرُّكبانُ

(١) الصبا والقبول اسمان لريح تقابل الدَّبور

في أسفارِها ، وخَلَّدَتْهُ الأيامُ في أسفارِها ، وأخجلَ الشمسَ الضَّاحيةَ في إسفارِها ، حتىٰ أصبحَتِ الليالي متباهيةً بعلاهُ ، حاليةً بحلاهُ ، وصارَ مِصداقُ الحديثِ الواردِ في الطَّائفةِ القائمةِ علىٰ أمرِ اللهِ ، فأبقاكُمُ اللهُ للإسلامِ ساعداً وعضداً ، وللدِّينِ قُوَّةً ومدداً ، وللأنامِ ركناً وسنداً ، وللحقِّ عماداً ومعتمداً ، وأدامَ عليكُم وعلينا نعمَهُ باطنةً وظاهرةً ، وحفَّنا وإيَّاكُم بعونِهِ وعنايتِهِ ، في الدِّينِ والدنيا والآخرةِ

[كتابٌ إلىٰ سلطانِ زنجبارَ]

وكتبَ لسلطانِ زنجبارَ

الملكُ المُعظَّمُ ، والسُّلطانُ المُفخَّمُ ، سلطانُ جزيرةِ زَنْجِبارَ ، صانَها اللهُ تعالىٰ مِنَ الأكدارِ ، سلامٌ يُسفِرُ عن إخلاصِ المَودَّةِ سناهُ ، وثناءٌ يُخبِرُ عن صدقِ المَحبَّةِ لفظُهُ ومعناهُ ، وتحيةٌ تَتمسَّكُ بنفحاتِها المحافلُ ، وتَتمسَّكُ بأذيالِها نسماتُ الشمائلِ ، إلىٰ حضرةِ خلاصةِ الأماجدِ الأكارمِ ، ويَنبوعِ الفضائلِ والمكارمِ ، مَفخرِ الملكِ والعليا ، وإنسانِ عينِ الدِّينِ والدنيا ، مَنْ أشرقَتْ صفحاتُ الأيامِ بنورِ إقبالِهِ ، واتفقَتْ كلماتُ الأنامِ علىٰ شكرِ خلالِهِ ، وقَرَّتْ بسعودِهِ النواظرُ ، وتَرنَّحَتْ بوجودِهِ أعوادُ المنابرِ ، فكأنَّها الغصونُ النواضرُ ، الأجلُّ الأكرمُ ، الأسعدُ الأمجدُ الأفخمُ ، المُشارُ إليهِ أعلاهُ ، حرسَ اللهُ علاهُ

ولا زالَتْ ثُغورُ الملكِ بمعاليهِ باسمةً ، ورياحُ السَّعدِ في نواديهِ ناسمةً ، وعيونُ الخُطوبِ عن سدَّتِهِ نائمةً ، وغيوثُ السُّرورِ في ساحتِهِ دائمةً ، آمينَ

وبعدُ : فقد وصلَ إليَّ مُشرَّفُكُم الكريمُ ، وتَلقَّيتُهُ بما ينبغي لهُ مِنَ التكريمِ ، فحصلَ لي مزيدُ المَسرَّةِ ، بصحَّةِ مِزاجِ تلكَ الحضرةِ ، وأخبرَني أيضاً فلانٌ

قبودانُ سفينتِنا الإبراهيمةِ[1] ، أنَّهُ لمَّا وصلَ إلىٰ جهةِ مملكتِكُم المَحميَّةِ حظيَ مِنْ جنابِكُمُ العالي بحسنِ التشريفِ ، وحصلَ لهُ غايةُ المساعدةِ ونهايةُ التلطيفِ ، وشرحَ لديَّ ما نالَهُ هناكَ مِنْ صنوفِ الالتفاتِ والإسعادِ ، وأوصلَ إليَّ أيضاً مِنْ طرفِكُم الشريفِ فرسَينِ كريمتَينِ مِنَ الصَّافناتِ الجِيادِ ، فأحاطَ بي مِنَ السُّرورِ والابتهاجِ بما أبديتُموهُ مِنْ معالي هِمَمِكُم ، ولا سيّما ما تَكرَّمتُم بهِ مِنْ تشريفِ تلكَ السفينةِ بقدومِ قدمِكُم ، ما يَقصُرُ في وصفِهِ اللسانُ ، ويَقصُرُ عن تعريفِهِ بنانُ البيانِ ، ويَضيقُ عنهُ نطاقُ التعبيرِ ، ولا ينفسحُ لهُ مجالُ التقريرِ والتحريرِ ، فشكرَ اللهُ تلكَ الهِمَمَ العواليَ ، وأبقاها ما دامَتِ الأيامُ والليالي

وهٰذا المُحِبُّ بحمدِ اللهِ في صحَّةٍ وعافيةٍ ، ونعمةٍ مِنَ اللهِ تعالىٰ وافيةٍ ، ولا زالَ مشمولَ القلبِ بالمَودَّةِ إليكُم ، مشغولَ اللسانِ بالثناءِ عليكُم ، محافظاً علىٰ صدقِ الموالاةِ والودادِ ، مواظباً علىٰ حسنِ المُصافاةِ ومزيدِ الاتحادِ ، والمرجوُّ أن يَتَّصلَ ذٰلك بينَ الطرفَينِ على الدَّوامِ ، وكلُّ ما لزمَ مِنْ هٰذا الجانبِ فهوَ رهينُ الإشارةِ والسلامُ

[فرمانٌ منَ الحضرةِ الخديويةِ]

وممَّا كتبَهُ فرمانٌ مِنَ الحضرةِ الخديويةِ

قد صدرَ هٰذا الفرمانُ اللازمُ طاعتُهُ ، الواجبُ امتثالُهُ ومتابعتُهُ ، خطاباً إلىٰ كافَّةِ القُضاةِ والحكامِ ، والمعاونينَ ونُظَّارِ الأقسامِ ، وسائرِ المعاونينَ والمشايخِ والعمدِ والمُستخدَمينَ بمديريةِ كذا زيدَ قدرُهُم

ليكنْ معلوماً لديكُم ، بوصولِ أمرِنا هٰذا إليكُم ؛ أنَّنا جعلنا فلاناً مديراً

(١) قبودان السفينة : رُبَّانها ، لفظة تركية

عليكُم ؛ لِمَا رأيناهُ فيهِ مِنَ الأهليَّةِ ، والصَّداقةِ وحسنِ الرَّوِيَّةِ ، فامتثِلوا أوامرَهُ على الأصولِ المَرعيَّةِ ، وبادِروا بأداءِ [أشغالِ] المديريةِ ؛ لتفوزوا بزيادةِ التفاتِنا إليكُم ، ورضانا عنكُم ، وقد علمتُم قولَهُ تعالىٰ ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (١)

وأنت أيُّها المديرُ المُومأُ إليهِ ، المُعوَّلُ في حسنِ إدارةِ هٰذهِ المديريةِ عليهِ ؛ قد علمتَ رغبتَنا في البرِّ والسَّدادِ ، واتباعِ سبلِ الرشادِ ، وعمارةِ البلادِ ، وراحةِ العبادِ ، ونشرِ لواءِ الأمنِ والأمانِ ، في جميعِ القرىٰ والبلدانِ ، ومَحبَّتَنا للعدلِ وأهلِهِ ، وكراهتَنا للظلمِ وفعلِهِ ، وشغفَنا برفاهيةِ الرعيةِ ، وحسنِ حالِ البريةِ ، الذينَ هُم وديعةُ ذي الجلالِ والإكرامِ ، في أيدي الولاةِ والحُكَّامِ ، فاعملْ أنتَ أيضاً علىٰ حَسَبِ ذٰلكَ ، سالكاً في جميعِ أحوالِكَ أحسنَ المسالكِ ، واجتهدْ في حسنِ الإدارةِ ، وتيسيرِ أمورِ الزراعةِ والصِّناعةِ والتجارةِ ، ومزيدِ التمدُّنِ والعمارةِ ، وتأمينِ الطُّرقِ والجهاتِ ، في جميعِ الحالاتِ والأوقاتِ ، وصيانةِ الأجانبِ المُتوطِّنينَ في المديريةِ والمُتردِّدينَ عليها ، والأهالي المقيمينَ بها والواردينَ إليها ، وحسنِ نهْوِ القضايا وفصلِها ، وتوصيلِ الحقوقِ إلىٰ أهلِها ، وأداءِ الأشغالِ المِيريَّةِ ، وإدارةِ أمورِ المديريةِ ، علىٰ حَسَبِ الأصولِ المعتبرةِ ، والقواعدِ المُقرَّرةِ ، ودُمْ على الاستقامةِ ، والصَّداقةِ التامَّةِ ، والعدلِ بينَ الخاصَّةِ والعامَّةِ ؛ فإنَّ العدلَ سببُ السلامةِ ، والظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ ، فقمْ علىٰ أقدامِ الإقدامِ ، وشَمِّرْ عن ساعدِ الاهتمامِ ، في إجراءِ ما شرحناهُ على الدَّوامِ ، باذلاً كلَّ جهدِكَ واستطاعتِكَ ، كما هوَ المأمولُ في حسنِ براعتِكَ ؛ لتنالَ زيادةَ التفاتِنا إليكَ ، ودوامَ إقبالِنا عليكَ

وليسلكْ أيضاً الجميعُ علىٰ هٰذا المنهجِ البديعِ ، وليَسعَوا في إجراءِ ما

(١) سورة النساء (٥٩)

شرحنا ، ويساعدوا في إنفاذِ ما أوضحنا ، فبادِروا بامتثالِ هٰذا الواجبِ ، وليبلغِ الحاضرُ منكُم الغائبَ ، نسألُ اللهَ الإعانةَ والعنايةَ ، وحسنَ الهدايةِ في البدايةِ والنهايةِ

[كتابٌ منَ الحضرةِ الخديويةِ إلىٰ مَن بجزيرةِ كريدَ منَ العساكرِ المصريةِ]

وكتبَ إلىٰ مَنْ بجزيرةِ كريدَ مِنَ العساكرِ المصريَّةِ ، مِنْ طرفِ الجنابِ الخديويِّ ليقرأَ عليهِم

لقد عُلِمَ لدينا بما وردَ إلينا مِنْ جرنالِ الوقعاتِ العسكريَّةِ ، وما أوضحَهُ أيضاً فلانُ باشا في معروضاتِهِ الشفاهيةِ ؛ ممَّا رآهُ بالعيانِ ، ورواهُ بالبيانِ تفصيلُ ما وقعَ مِنَ الحروبِ والغزواتِ ، في نواحي أبو قرونٍ وما يليها مِنَ الجهاتِ ، وأحطنا بما أبديتُم مِنَ الإقدامِ والشجاعةِ ، وما أدَّيتُم مِنَ الاهتمامِ والبراعةِ ، وما كانَ منكُم مِنْ ثباتِ الجأشِ والقلبِ ، في مواقعِ الضَّربِ ومعامعِ الحربِ ، وما شاهدَتْهُ منكمُ الأعينُ ، وشهدَتْ لكُم بهِ الألسنُ ؛ مِنَ الهجومِ على الجبالِ الوعرةِ ، واقتحامِ المَحالِّ العسرةِ ، وإظهارِ البأسِ والصَّولةِ ، في تأييدِ المِلَّةِ والدَّولةِ ، وتبديدِ مَنْ لقيتُم مِنْ جنودِ العُصاةِ البغاةِ ، وتسخيرِ ما كانوا مُتمكِّنينَ بهِ ومُتحصِّنينَ فيهِ مِنَ المَحَلَّاتِ ، وتبديدِ ما أحكموا مِنِ استحكاماتِهِم ، وتنديدِ مَنْ أقدموا مِنْ طُغاتِهِم ، فأحاطَ بي مِنَ السُّرورِ ، وكمالِ الأُنسِ والحُبورِ ، ومزيدِ الحظِّ الموفورِ ما ملأَ الجوانحَ انشراحاً ، والجوارحَ طرباً وارتياحاً ، وأظهرَ حسنَ اعتقادي في شجاعتِكُمُ القلبيةِ ، وبراعتِكُمُ الحربيةِ ، وغَيرتِكُمُ المِلِّيَّةِ ، وحَمِيَّتِكُمُ الجِبِلِّيَّةِ ، وشفقتِكُم بإعلاءِ شأنِ الوطنِ ، وإبقاءِ الذِّكرِ الجميلِ والصِّيتِ الحسنِ

وأَكَّدَ ذٰلكَ ما شهدَتْ بهِ الأنامُ ، مِنْ سوالفِ الأيامِ ، للعساكرِ المصريَّةِ ، وضباطِها الجهاديَّةِ ؛ مِنْ قدمِ الصِّدقِ في الحروبِ ، وحسنِ السابقةِ في الخُطوبِ ، وثباتِ القدمِ والجَنانِ ، إذا طاشَ قدمُ الهَلُوعِ وطارَ قلبُ الجبانِ ؛ فإنَّهُم خَلَّدوا في أوراقِ الليالي علاهُم ، وقَلَّدوا في أعناقِ المعالي حلاهُم ، بما لهُم مِنَ الوقائعِ المشهورةِ ، والمواقفِ المشكورةِ ، وقُوَّةِ الباسِ على الأعداءِ ، وشِدَّةِ الصَّولةِ والبسالةِ في مواقفِ الهيجاءِ ، وما بَنَوهُ مِنْ منارِ الفخرِ والمجدِ علىٰ أساسِ الشرفِ والمَظهرِ ، وما اجتنَوهُ مِنْ ثمراتِ النصرِ مِنْ ورقِ الحديدِ الأخضرِ ، وأنتُم أَولىٰ بتشييدِ ما بنتْهُ إخوانُكُمُ الأُوَلُ ، وتأييدِ ما شاعَ لهُم مِنَ الفخرِ والشهرةِ عندَ جميعِ الدُّولِ

ثمَّ إنَّكُم إذا أمعنتُمُ الفكرَ الثاقبَ ، وتَبَيَّنتُم النظرَ الصَّائبَ ، وتَفكَّرتُم في أعقابِ الأمورِ ومصايرِها ، وتَدبَّرتُم في مواردِ الأحوالِ ومصادرِها علمتُم أنَّكُم إذا أثبتُّم ذٰلكَ الصِّيتَ الممدوحَ ، واكتسبتُم بمشيئةِ اللهِ تعالى النصرَ والفتوحَ كانَ لكُم ذٰلكَ افتخاراً بينَ أقرانِكُم ، وسُروراً لأهلِكُم وإخوانِكُم ؛ فإنَّ الأخبارَ تَتناقلُها الرُّواةُ ، وتَتواصلُ بالمكاتباتِ والأفواهِ

ثـمَّ ليكنْ علىٰ بالِ منكُم ، ولا يغبْ طرفةَ عينٍ عنكم أنَّ هٰذهِ البلادَ التي أنتُم لديها ، والجبالَ والأوديةَ التي أنتُم عليها وحواليها كم سبقَ فيها مِنْ غزوةٍ عظيمةٍ ، ووقعةٍ جسيمةٍ ، ووقفةٍ كريمةٍ ؛ لإخوانِكُمُ الأولينَ ، مِنَ العساكرِ المصريينَ ، أبرزوا فيها شرفَ الرايةِ العسكريةِ ، وأظهروا مآثرَ النجدةِ والحميةِ ، والغَيرةِ الوطنيةِ ، حتىٰ سارَتْ بحديثِ وقائعِهِمُ الركبانُ ، وأثنىٰ علىٰ محاسنِ بدائعِهِم كلُّ لسانٍ ، فما هناكَ مِنْ بقعةٍ إلَّا وفيها وقعةٌ ، ولا مِنْ موطئِ قدمٍ إلَّا وفيهِ أُريقَ دمٌ ، فمضىٰ مَنِ استشهدَ منهم فائزاً بالثوابِ والأجرِ ، وعادَ مَنْ بقيَ حائزاً للفخرِ والنصرِ

وهٰأنتُم مِنْ نسلِهِم وإخوانِهِم ، ومِنْ أبناءِ أوطانِهِم ، وأنتُم خيرُ خلفٍ ، لأولٰئكَ السَّلفِ ، كما أنَّ هٰؤلاءِ العُصاةَ نسلُ مَنْ كانَ بها مِنْ أهاليها ، وهٰذهِ الجزيرةُ التي أنتُم بها هيَ بعينها التي كانوا فيها ، فمهما أقدمتُم ونصرتُم ، واقتحمتُم وظفرتُم كانَ ذٰلكَ لِمَنْ بقيَ هنالِكَ مِنْ أرواحِ الشهداءِ رَوْحاً وريحاناً ، وتَكرِمةً وإحساناً ، كما أنَّهُ يجعلُ لكُم في جميعِ الآفاقِ شرفاً وشاناً ، ويمكنُ لكُم بينَ الرفاقِ عزَّةً ومكاناً ، ويقيمُ لكُم على الشجاعةِ والبراعةِ دليلاً وبرهاناً

ثمَّ إنَّكُم عندَ عودتِكُم بعونِ اللهِ القويّ المتينِ ، حاملينَ راياتِ الفتحِ المبينِ ، رافلينَ في حللِ النصرِ والتمكينِ يكونُ لكُم ذٰلكَ شرفاً سرمداً ، وافتخاراً تَتحدَّثونَ بهِ على المدىٰ ، حتىٰ إذا التفَّتْ عليكُمُ المحافلُ ، واجتمعَ لديكُم المستخبرُ والناقلُ كانَ لكُم بذٰلكَ لسانٌ ذَلْقٌ ، وصوتٌ صَهْصَلْقٌ ، وتجدونَ حينَئذٍ للبراعةِ مقالاً ، وللفخرِ بالشجاعةِ مجالاً ، وترونَ لأقوالِكُم مَنْ يُصدِّقُها ، ولأخبارِكُم مَنْ يُحقِّقُها ، وهٰذهِ لَذَّةُ الرجالِ ، ومزيَّةُ الأبطالِ

فهل للرجلِ فخرٌ أعظمُ مِنْ هٰذا الحالِ ؟! وهل لهُ فضلٌ على المرأةِ إلَّا بإقدامِهِ على الخُطوبِ واقتحامِهِ الأهوالَ ؟! وهل يَتميَّزُ الشجاعُ الصِّنديدُ مِنَ الجبانِ الرِّعيدِ إلَّا في مواقفِ القتالِ ، ومواقعِ الحربِ والنزالِ ؟! وهل للعسكريِّ شرفٌ يَكتسِبُهُ إلَّا بينَ البنادقِ والمدافعِ ، وهل لهُ فخرٌ يَذكُرُهُ أو يُذكَرُ بهِ إلَّا بما يبديهِ في تلكَ الوقائعِ ؟! وهل [للكريمِ] الحُرِّ أربٌ في الحياةِ إلَّا لفخرٍ يَقتنيهِ ؛ بصعبٍ يرتقيهِ ، وذكرٍ جميلٍ يبقيهِ ، بأثرٍ جليلٍ يبديهِ ؟! فإذا العسكريُّ لمْ يَكتسِبِ الفخرَ في مجالِ الحروبِ فأيُّ فرصةٍ يَترقَّبُها ؟! وأيُّ حالةٍ يَتطلَّبُها لاستحصالِ ذٰلكَ المرغوبِ ؟!

وإنِّي ما اخترتُكُم لهٰذا الأمرِ العظيمِ إلَّا لإعلاءِ شأنِ الوطنِ الكريمِ ،

وإعلانِ ما لكم مِنَ الصِّيتِ والفخرِ القديمِ ؛ لحسنِ اعتقادي في صغيرِكُم وكبيرِكُم ، وحسنِ نظري في مأمورِكُم وأميرِكُم ، وقد لاحَ مِنْ مساعيكُم ، تأييدُ ما أملتُهُ فيكم ، وظهرَتْ بحمدِ اللهِ بشائرُ النجاحِ ، وسفرَتْ أشائرُ الظَّفَرِ والفلاحِ ، وإنَّما الأعمالُ بخواتيمِها ، وثمراتُ الأمورِ في تتميمِها ، ورجائي مِنْ مِنَنِ اللهِ العظيمةِ ، وألطافِهِ العميمةِ

ثمَّ أملي في طويَّاتِكُمُ السليمةِ ، ومساعيكُمُ القويمةِ ؛ أن تكونَ العاقبةُ خيراً والختامُ حسناً ، وأن تفوزوا بالأجرِ والثنا ، وأن تدوموا علىٰ منهجِ السَّدادِ ، والاجتهادِ في الجهادِ ، والقيامِ علىٰ أقدامِ الإقدامِ ، وبذلِ الجدِّ والجهدِ والاهتمامِ ، حتىٰ ينتهيَ الأمرُ ، ويستكملَ النصرُ ، ويزولَ أثرُ الاختلالِ ، وتَستقِرَّ الأحوالُ ، وتعودوا إن شاءَ اللهُ منصورينَ ، فرحينَ مسرورينَ ، مستبشرينَ بعنايةِ اللهِ العليَّةِ ، في ظلِّ السَّلطنةِ السَّنيةِ

واعلموا أنَّ جميعَ أخبارِكُم تُنقَلُ في جرنالِ الوقعاتِ ، فتُعلَمُ لديَّ أحوالُكُم في جميعِ الحركاتِ والسَّكَناتِ ، حتىٰ كأنِّي مقيمٌ لديكُم ، وحتىٰ كأنِّي أراكُم وأنظرُ إليكُم ، فكلُّ مَنْ فاقَ أقرانَهُ في الحروبِ ، وأبدىٰ مِنَ الإقدامِ والحميَّةِ ما هوَ المطلوبُ فلهُ ما يَسُرُّهُ مِنَ المكافآتِ ، وحسنِ التلطيفِ ومزيدِ الالتفاتِ

فاعلموا ذٰلكَ واعملوا علىٰ حَسَبِهِ في كلِّ آنٍ ومكانٍ ، وأدُّوا مِنَ الإقدامِ والاهتمامِ غايةَ الاستطاعةِ ونهايةَ الإمكانِ ، وقد أصدرتُ أمري هٰذا إليكُم إعلاماً بما حواهُ ، ودُستوراً يُعمَلُ بمُقتضاهُ ، وإعلاناً لِمَسَرَّتي مِنْ حسنِ صنيعِكُم ، وإيذاناً بفرحي وابتهاجي بجميعِكُم ، واستفساراً عن خواطرِكُم ، وافتخاراً بمفاخرِكُم ، أمدَّكُمُ اللهُ بعنايتِهِ وعونِهِ ، وجعلَكُم في حرزِ رعايتِهِ وصونِهِ ، وأدامَ توفيقي وإيَّاكُم لِمَا يرضاهُ ، والسلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ

[كتابُ الحضرةِ الخديويةِ إلىٰ مَن باشرَ واقعةَ أرقازي مِنَ الضباطِ الجهاديةِ]

وكتبَ أيضاً مِنَ الحضرةِ الخديويةِ إلىٰ مَنْ باشروا واقعةَ أرقازي مِنَ الضُّباطِ الجهاديةِ ، وأفرادِ العساكرِ المصريةِ

سلامٌ مِنَ اللهِ وتسليمٌ ، ورضوانٌ كريمٌ ، يُهدىٰ لأولِكُم وآخِرِكُم ، ويُسدىٰ لمأمورِكُم وآمرِكُم ، لا زلتُم محفوفينَ مِنَ اللهِ بنصرِهِ ، محفوظينَ بأمرِهِ ، غالبينَ علىٰ عدوِّكُم بقهرِهِ ، مُتقلِّبينَ في نعمتِهِ وبرِّهِ ، ولا انفكَّتْ عزائمُكُم في كروبِ الحروبِ عزائمَ ، وثغورُكُم في قطوبِ الخُطوبِ بواسمَ ، وأعلامُكُم للنُّجْحِ والتمكينِ علائمَ ، وأيامُكُم للفتحِ المبينِ مواسمَ ، ورياحُ القهرِ والدَّمارِ علىٰ عدوِّكُم سمائمَ ، ونسماتُ النصرِ والفَخارِ في رواحِكُم وغُدُوِّكُم نواسمَ

وبعدُ فما زلتُ أتشوَّقُ مِنْ أخبارِ شجاعتِكُم ما يَسُرُّ الخواطرَ ، وأتشوَّفُ مِنْ آثارِ براعتِكُم ما يقرُّ النواظرَ ، واثقاً بعزمِكُم وحزمِكُم في المضايقِ ، مُبتهجاً بما أبديتُموهُ مِنْ حسنِ السَّوابقِ ، حتىٰ وردَ وابورُ الشرقيةِ ، مِنْ طرفِ حضرةِ الباشا ناظرِ الجهاديةِ ؛ بيومياتِ الوقائعِ العسكريةِ ، مشتملةً علىٰ وقعةِ أرقازي وتفصيلاتِها ، وما كانَ مِنْ رسوخِ أقدامِكُم وثباتِها ، وإقدامِكُم في جهاتِها ، واقتحامِكُم مضايقَ حصونِها واستحكاماتِها ، وتسخيرِ مستعصماتِها ، وتدميرِ أشقياءِ العُصاةِ وكُماتِها ، حتىٰ زُلزِلَتْ صياصيها ، وذُلِّلَتْ نواصيها ، ودنا لكُم قاصيها ، ودانَ عاصيها ، فكذا تكونُ رجالُ الجهادِ ، وأبطالُ الجدالِ والجلادِ ، وهٰكذا تُفتَحُ الحصونُ ، ويَبرُزُ سرُّ النصرِ المصونُ ، وفي ذٰلكَ فليتنافسِ المتنافسونَ

فقد أسفرَ لكُم بحمدِ اللهِ وجهُ التهاني ، وأثمرَ فيكُم بعونِ اللهِ غرسُ الأماني ، وأيَّدتُم ما ثبتَ للعساكرِ المصريةِ ، مِنْ حسنِ الشهرةِ في الأمورِ

العسكريةِ ، فحصلَ لي مِنَ الأُنْسِ والسُّرورِ بهٰذهِ البشارةِ ، ما لم تقدرِ الإنسُ أن تصفَ مقدارَهُ ، ولا يَتسِعُ لهُ مجالُ الإشارةِ ، وتأيَّدَ فيكم حسنُ أنظاري ، وظهرَتْ ثمراتُ أفكاري ، وتَحقَّقتُ أنَّكُم بعدَ الآنَ بعونِ اللهِ الكريمِ ، لا تزلونَ عن هٰذا الطريقِ القويمِ ، ولا تزالونَ في تأييدِ ما لكُم مِنَ المجدِ القديمِ

وقد شاعَ حديثُ نصرِكُم بينَ الأهلِ والدِّيارِ ، وسارَتِ الرُّكبانُ بمحاسنِ هٰذهِ الأخبارِ ، كما نقلَتْهُ صُحُفُ الوقائعِ إلىٰ جميعِ الأقطارِ ، فانشرحَتْ صدورُ أهلِكُم وإخوانِكُم ، وفرحَتْ بكم جميعُ أهلِ بلدانِكُم ، وابتسمَتْ ثُغورُ أوطانِكُم ، وافتخرَتْ بأحاديثِ شجعانِكُم ، وارتاحَتْ أرواحُ الشهداءِ مِنْ أقرانِكُم

والمأمولُ في ألطافِ اللهِ العليةِ ، وبركاتِ السلطنةِ السنيةِ ، ثمَّ في حميتِكُم المليَّةِ ، وغَيرتِكُمُ الوطنيَّةِ أن يزولَ حالُ الاختلالِ عن قربٍ ، وينتهيَ أمرُ القتالِ والحربِ ، ويطيعَ الجميعُ ، ويسهلَ كلُّ صعبٍ منيعٍ ، وتعودوا لوطنِنا العزيزِ ، ظافرينَ بالتعزيزِ ، وقد قَرُبَ حصولُ الأملِ ، ونجاحُ العملِ ، ومضى الأكثرُ وبقيَ الأقلُّ ، والحربُ للرجلِ العسكريِّ ، والبطلِ الجريِّ سوقٌ عظيمٌ ، وموسمٌ كريمٌ ، تُشترىٰ فيهِ غوالي المعالي ، بأعلى العوالي ، وتُنالُ فيهِ منازلُ الأكارمِ ، في ظلِّ السيوفِ الصَّوارمِ ، ويُدرَكُ الفخرُ الصَّادقُ ، بمرامي المدافعِ والبنادقِ

وقد علمتُم أنَّ الشجاعةَ وإن كانَتْ تَبلُغُ الآمالَ لا تُقصِّرُ الآجالَ ، كما أنَّ الجبنَ وإن كانَ يُورثُ العارَ . لا يُؤخِّرُ الأعمارَ ، وإنَّما هيَ آجالٌ محدودةٌ ، وأنفاسٌ معدودةٌ ، لا تَقبلُ التغييرَ ، ولا التقديمَ والتأخيرَ ، والشجاعةُ صبرُ ساعةٍ ثمَّ ينكشفُ الغبارُ ، وتُسفِرُ الأخبارُ ، ويُتناقلُ حديثُ الشجعانِ ، ويَخلُدُ

في تواريخِ الزمانِ ، فداوموا على إبداءِ الاجتهادِ ، وقوموا بأداءِ حقوقِ الجهادِ ، واثبُتوا على الشجاعةِ والإقدامِ ، وثباتِ القلوبِ والأقدامِ ، وأنجزوا بمعونةِ اللهِ تعالىٰ هٰذا المرامَ ، وكما جوَّدتُم براعةَ المطلعِ أحسنوا براعةَ الختامِ

[كتابٌ مِنَ الحضرةِ الخديويةِ إلىٰ ملكِ دارفورَ]

وكتبَ في أوائلِ عهدِ الجنابِ الخديويِّ عن حضرتِهِ إلىٰ ملكِ دارفورَ

حمداً لِمَنْ ألَّفَ بينَ قلوبِ المؤمنينَ ، وجعلَهُم بنعمتِهِ إخواناً في الدِّينِ ، وصلاةً وسلاماً علىٰ رسولِ جنابِهِ ، وسيِّدِ أحبابِهِ ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ

مِنْ كافلِ الدِّيارِ المصريةِ ، وما والاها مِنَ الأقطارِ السُّودانيةِ ، إلىٰ حضرةِ صفوفِ السيادةِ الأماجدِ ، الجامعِ ما تَفرَّقَ مِنْ مكارمِ المحامدِ ، غُرَّةِ جبينِ الشرفِ الأجلىٰ ، وقُرَّةِ عينِ المجدِ الأعلىٰ ، بحرِ الفضلِ الزاخرِ ، وبدرِ سماءِ المحاسنِ والمفاخرِ ، وفخرِ الأوائلِ والأواخرِ ، الملكِ المُعظَّمِ ، السُّلطانِ المُفخَّمِ ؛ محمدِ بنِ الحسينِ المهديِّ سلطانِ مملكةِ دارفورَ ، حفظَهُ اللهُ بدوامِ السُّرورِ والسَّعدِ الموفورِ ، آمينَ

بعدَ سلامٍ ينبئُ عن صريحِ الودادِ ، ويُخبِرُ عمَّا في صميمِ الفؤادِ ؛ مِنْ صحيحِ المحبةِ والاتحادِ ، وتحيةٍ يحلو على الألسنِ حسنُ تكريرِها ، ويُعبِّرُ عن صدقِ الوَلاءِ طيبُ عبيرِها ، وشوقٍ يَقِلُّ عنهُ البيانُ ، ويَكِلُّ دونَهُ البَنانُ ، وسؤالٍ عنِ الخاطرِ العالي أدامَ اللهُ معاليَهُ ، وحَفَّ بطوالعِ السُّعودِ أيَّامَهُ ولياليَهُ بينَما نحنُ في انتظارِ ما يَرِدُ مِنَ الرسائلِ ، والثناءِ علىٰ حسنِ تلكَ الشمائلِ وردَ لنا خطابُكُمُ الكريمُ ، فقابلناهُ بمزيدِ التعظيمِ ، وسُرِرنا بحسنِ صحَّتِكُم ، وما أبديتُموهُ مِنْ لطفِ مودَّتِكُم ، فاللهُ يرعىٰ تلكَ الصحَّةَ ويَلحظُها ، ويديمُ هٰذهِ المحبةَ ويَحفظُها

وقد أوضحتُم أنَّ سلفَنا السعيدَ ، المُنتقلَ إلىٰ رحمةِ ربِّهِ المجيدِ ، ضاعفَ اللهُ حسناتِهِ ، وأحلَّهُ أعاليَ جَنَّاتِهِ كانَ قد جعلَ فلاناً وكيلاً في رؤيةِ أمورِكُمُ البهيَّةِ علىٰ مَنهجِ السَّدادِ ، ونحنُ أيضاً قَرَّرناهُ في هٰذهِ الوظيفةِ ، وأوصيناهُ بالاهتمامِ فيما يَتعلَّقُ بتلكَ الحضرةِ الشريفةِ ، وسيجدُ منَّا في ذٰلكَ حسنَ المساعدةِ ، ودوامَ التسهيلِ والمعاضدةِ

ثمَّ ما تَكرَّمتُم بإرسالِهِ معَ كريمِ خطابِكُم ، علىٰ يدِ القاصدينَ الواردينَ مِنْ عالي جنابِكُم قُوبلَ بقَبولِهِ ، عندَ وصولِهِ ، والمبعوثُ معَ القاصدينَ المذكورينَ لناديكُمُ الكريمِ ما هوَ مُوضَّحٌ في البطاقةِ المَطويَّةِ معَ هٰذا الرقيمِ ، والمَرجوُّ أن تَتَّصِلَ بينَنا روابطُ الودِّ على الدوامِ ، كما جمعَتْنا علاقةُ الأخوةِ في الإسلامِ ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمدٍ بدرِ التمامِ ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ الأعلامِ ، غيوثِ الإفضالِ ، وغاياتِ الكمالِ

[بعضُ المفاكهاتِ والمداعباتِ]

وممَّا ينبغي ألَّا تَقصُرَ العنايةُ بهِ عن العنايةِ بمقابلِهِ هٰذهِ المداعباتُ والمفاكهاتُ الجاريةُ بينَ الإخوانِ ، لِمَا فيها مِنْ تأكيدِ الودِّ ، وبسطِ النفوسِ ، واطِّراحِ مؤنةِ التحفُّظِ ، كما قيلَ[١] [من المنسرح]

فِـيَّ ٱنْـقِـبَـاضٌ وَحُـشْـمَـةٌ فَـإِذَا لَاقَـيْـتُ أَهْـلَ ٱلْـوَفَـاءِ وَٱلْـكَـرَمِ
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَىٰ سَجِيَّتِهَا وَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

وتمثيلُ ذٰلكَ ما صدرَ عن هٰذا الأميرِ علىٰ لسانِ بعضِ أعيانِ تُجَّارِ الوقتِ ، يُخاطِبُ أحدَ الأمراءِ ، وهوَ هٰذا

المعروضُ علىٰ ساحةِ سيِّدي الأميرِ ـ لا زالَتْ عيونُ الإقبالِ لحماهُ نواظرَ ،

(١) عزاهما في « البيان والتبين » (٣٤٨/٣) لابن كناسة

ورياضُ الآمالِ بنداهُ نواضرَ ، ونسائمُ البشائرِ بطيبِ أخبارِهِ خواطرَ ، وسحائبُ المفاخرِ بحسنِ آثارِهِ مواطرَ ـ أنّي وإن كنتُ مِنْ قديمِ الزمانِ ، خليعَ العنانِ ، أجري معَ أبي مُرَّةَ شريكَيْ عِنانٍ ، وفرسَيْ رهانٍ ، لا أرىٰ صهوةَ خلاعةٍ إلَّا كنتُ راكبَها ، ولا ذروةَ رقاعةٍ إلَّا تسنَّمتُ غاربَها ، ولا مواردَ لذَّةٍ إلَّا استطبتُ مشاربَها ، ولا داعيةَ شهوةٍ إلَّا قضيتُ مآربَها ، ولا سُوقَ فسوقٍ إلَّا كنتُ كنقيبِها ، ولا حانةَ مجانةٍ إلَّا حزتُ أوفرَ نصيبِها ، ولا غايةَ عمايةٍ إلَّا كنتُ لها مِنَ السابقينَ المُقدَّمينَ ، ولا رايةَ غوايةٍ إلَّا تَلقَّيتُها باليسارِ وباليمينِ

أي تَفوُّقاً علىٰ عرابةَ الذي يقولُ مادحُهُ[1] [من الوافر]

رَأَيْتُ عَرَابَةَ ٱلْأَوْسِيَّ يَسْمُو ... إِلَى ٱلْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ ٱلْقَرِينِ

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِٱلْيَمِينِ

إذا حَيْعَلَ داعي الفلاحِ قلتُ حيَّ على الراحِ ، وإذا قاموا للصلاةِ والصَّلاحِ قمتُ للأقداحِ في أكفتِ الملاحِ ، فما ذُكِرَ الفرحُ إلَّا ذُكِرتُ ، ولا حضرَ القدحُ إلَّا سكرتُ ، ولا وردَ الطَّربُ إلَّا وردتُ ، ولا شُهِدَ الخيرُ إلَّا شردتُ

فلولا أنَّ إبليسَ وهوَ إمامُ الخَلاعةِ ، ورئيسُ الجماعةِ في هٰذهِ الصِّناعةِ ؛ وُعِدَ بالخلودِ ، وأُنظِرَ إلى اليومِ الموعودِ لَجعلَني مِنْ بعدِهِ وصيّاً ، كما اتخذَني صفيّاً ، وكانَ لي وفيّاً ، وبي حفيّاً ، بل لو أنصفَ وخالفَ هواهُ ، وتركَ الكِبْرَ وهوَ أوّلُ [بلواهُ] لاتخذَني لهُ مُعلِّماً ، وقامَ بينَ يدَيَّ مُتعلِّماً

إذاً لَعَلَّمْتُهُ مِنْ أَصْلِ صَنْعَتِهِ ... مَا لَمْ يَكُنْ قَطُّ يَأْتِيهِ عَلَىٰ بَالِ[2]

---

(١) تقدم (٢/٤٠٤)

(٢) من البسيط ، وانظر « عروس الأفراح » (١/٣٣١)

هـٰذا مِنْ ألطفِ أنواعِ الحَلِّ وأدقِّها ، وكنتُ عزمتُ علىٰ إيرادِ أمثلةٍ لهُ ، ولـٰكنِ اكتفيتُ بالإشارةِ ، وفيها للَّبيبِ غنىً ، فإنَّ هـٰذا الكلامَ مُختلَسٌ معناهُ اختلاساً أدبيّاً صناعيّاً مِنْ قولِ بعضِ السلفِ [من الطويل]

وَكُنْتُ فَتىً مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ فَٱرْتَقَىٰ ... بِيَ ٱلْحَالُ حَتَّىٰ صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي

فَلَوْ مَاتَ قَبْلِي كُنْتُ أُحْدِثُ بَعْدَهُ ... طَرَائِقَ فِسْقٍ لَيْسَ يُحْسِنُهَا بَعْدِي

ومَنْ أرادَ استيفاءَ الاطلاعِ علىٰ أنواعِ الحَلِّ والاستعانةِ ببسطِ معاني الآيةِ والحديثِ والشعرِ فلابنِ الأثيرِ في ذٰلكَ رسالةٌ ؛ أوردَ فيها تلكَ الأنواعَ مِنْ إنشائِهِ ، وهيَ موجودةٌ بدارِ الكتبِ الكبيرةِ

رجعَ القولُ (١)

ولـٰكنَّنِي الآنَ قد تَنسَّكتُ فيمَنْ تَنسَّكَ ، وتَمسَّكتُ بطيبِ أذيالِ التقىٰ فيمَنْ تَمسَّكَ

وَقُلْتُ لِلْقَلْبِ كُفَّ وَٱزْجِعْ ... وَٱحْذَرْ مِنَ ٱلنَّارِ أَنْ تَمَسَّكْ (٢)

فأنا الآنَ باسمِ اللهِ ، ما شاءَ اللهُ ، لا قُوَّةَ إلَّا باللهِ بينَ خشوعٍ وخضوعٍ ، وسجودٍ وركوعٍ ، وصلاةٍ وصلاحٍ ، ونجاحٍ وفلاحٍ ، وأورادٍ وأذكارٍ ، وبركاتٍ وأسرارٍ ، لا أعني أسرارَ الشيرةِ ؛ فقد تركتُ هـٰذهِ العشيرةَ ، وإنَّما هيَ أسرارُ الأنفاسِ ، وإن كانَتْ هـٰذهِ أيضاً لا تخلو عن إلباسٍ ، والحاصلُ أنِّي لزمتُ الخيرَ والتقوىٰ ، وتَمسَّكتُ مِنْ طاعةِ اللهِ بالسببِ الأقوىٰ ، فمَنْ رأى الآنَ صلاحَ شاني لم يَشكَّ أنَّ أبا نُواسٍ إنَّما قالَ عن لساني (٣) [من الخفيف]

---

(١) أراد الرجوع إلىٰ رسالة الأديب عبد الله فكري

(٢) من مخلع البسيط

(٣) انظر « ديوانه » (ص ٢٦٢ _ ٢٦٣)

ٱزْعَوىٰ بَاطِلِي وَأَقْصَرَ جَهْلِي وَتَبَدَّلْتُ عِفَّةً وَزَهَادَهْ
لَوْ تَرَانِي ذَكَرْتَ بِي ٱلْحَسَنَ ٱلْبَصْـ ـرِيَّ فِي حَالِ نُسْكِهِ أَوْ قَتَادَهْ
مِنْ خُشُوعٍ قَرَنْتُهُ بِنُحُولٍ وَٱصْفِرَارٍ مِثْلِ ٱصْفِرَارِ ٱلْجَرَادَهْ
اَلتَّسَابِيحُ فِي ذِرَاعِيَ وَٱلْمُصْـ ـحَفُ فِي لَبَّتِي مَكَانَ ٱلْقِلَادَهْ
فَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَرَىٰ طُرْفَةً تَعْـ ـجَبُ مِنْهَا مَلِيحَةً مُسْتَفَادَهْ
فَٱدْعُ بِي لَا عَدِمْتَ تَقْوِيمَ مِثْلِي وَتَفَطَّنْ لِمَوْضِعِ ٱلسَّجَّادَهْ
تَرَ أَثْراً مِنَ ٱلصَّلَاةِ بِوَجْهِي تُوقِنُ ٱلنَّفْسُ أَنَّهَا مِنْ عِبَادَهْ
لَوْ يَرَاهَا بَعْضُ ٱلْمُرَائِينَ يَوْماً لَٱشْتَرَاهَا يُعِدُّهَا لِلشَّهَادَهْ

خاطبَ الحسنُ بنُ هانئٍ أبو نُواسٍ بهٰذهِ الأبياتِ الفضلَ بنَ الربيعِ الوزيرَ ، وكانَ حبسَهُ يستتيبُهُ

رجعَ فهٰذهِ الآنَ حالي ، وإن كانَتْ تُستغرَبُ علىٰ أمثالي ، ترىٰ عليَّ سيما الأبرارِ ، وعلائمَ المتقينَ الأخيارِ ، السُّبحةُ في كلتا يدَيَّ ، والسِّواكُ خلفَ أُذنيَّ ، وزبيبةُ الصَّلاةِ بينَ عينَيَّ ، والدراويشُ حواليَّ ، ووجهي مِنْ نورِ العبادةِ كأنَّما دُهِنَ بالزيتِ ، وأنا مِنَ البيتِ إلى الجامعِ ومِنَ الجامعِ إلى البيتِ ، أقومُ الليالِيَ إلى الأسحارِ ؛ في ذكرٍ واستغفارٍ ، وأطوفُ بالنهارِ ، علىٰ مقاماتِ آلِ البيتِ الأطهارِ ؛ ليسعفَ اللهُ رجائي ، ويَقبلَ صالحَ دعائي ، في حسنِ عودتِكُم سالمينَ ، معَ الموكبِ الشريفِ رافلينَ ، في ظلِّ الإقبالِ والسعادةِ والتشريفِ ، فهٰذا غايةُ المسؤولِ ، ونهايةُ المأمولِ

وما صدرَ عنِ السيدِ الشيخِ الفاضلِ الجليلِ عليٍّ أبي النصرِ واتفقَ أنَّهُ

كانَ جالساً معَ بعضِ أصحابِهِ علىٰ دُكَّانٍ ، فوردَ عليهِم كتابُ سلامٍ مِنْ صاحبٍ لهُم غائبٍ ، وكانَ عندَ سفرِهِ إلىٰ طندتاءَ استعارَ برذعةً ولجاماً ، فكتبَ الشيخُ جوابَ ذٰلكَ الكتابِ ، وهوَ هٰذا

سلامٌ ألذُّ مِنْ أكلِ البرسيمِ ، وتحيةٌ ألطفُ مِنَ الرِّبَّةِ عندَ البهيمِ ، وأشواقٌ ربيعيةٌ ، ومحبةٌ دائماً غليظيةٌ ، إلىٰ صاحبِ الطَّبيعةِ الشاخرةِ الناخرةِ ، معدنِ الأنقاطِ ، المتكلِّمِ في القماطِ ، مَنْ يعملُ للسماكِ المفرود والمُثنىٰ ، أحدُ إخوانِهِ الشيخُ عليٌّ الحسنيُّ ، بَلَّغَهُ اللهُ مِنَ الريفِ أملَهُ ، ورَدَّهُ إلى المحروسةِ علىٰ عجلةٍ ، آمينَ آمينَ ، بجاهِ دربِ التَّرَّاسينَ (موضعُ فجورٍ بتلكَ الناحيةِ كدربِ القمرِ)

أمَّا بعدُ : فقد وردَ عزيزُ جوابِكُمُ الشريفُ ، المُشتمِلِ علىٰ أنواعِ التخريفِ ، فعلمنا أنَّكُم مِنْ حظِّ الفلاحينَ في قرارٍ مكينٍ ، فحمدنا اللهَ علىٰ ذٰلكَ ، وسألناهُ أن يفتحَ لكُم أوسعَ المسالكِ ، ومَنْ عندَنا جميعَ الإخوانِ يشيرُ إلىٰ غفلتِكُم بأطرافِ البنانِ ، سيَّما أخيكم عليّ رضوانَ ، التائبِ بعدَ غيبتِكُم عن اليونانِ (لقبٌ للحشيشةِ اصطلحوا عليهِ) ، وكذا سيدي مصطفى السيوفيُّ ، فهوَ يخلعُ عليكُم نصفَ قياسٍ منوفيٍّ ، وكذا سيدي محمدٌ عربيةٌ ، قد أمرَ لكُم ببوظةِ الداووديَّةِ ، وكذا سيدي خضرٌ شويشٌ ، فقد بَرَّرَ لكُم في دكاكينِ الحشيشِ

ومِنْ خصوصِ البرذعةِ واللجامِ : فقد رأيناكُم لابسيهِما في المنامِ ، فحصلَ عندَنا وسوسةٌ شيطانيةٌ ، وتَعجَّبنا في طبيعتِكُمُ الحماريةِ ، ونسألُ اللهَ القريبَ المجيبَ ، أن يعيدَكُم إلى المحروسةِ عن قريبٍ

اذكرْ أيُّها الطالبُ قولَ الطُّغرائيِّ (١) [من البسيط]

---

(١) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٣)

حُلْوُ ٱلْفُكَاهَةِ مُرُّ ٱلْجِدِّ قَدْ مُزِجَتْ بِشِدَّةِ ٱلْبَأْسِ مِنْهُ رِقَّةُ ٱلْغَزَلِ

وقولَ البحتريّ (١) [من الكامل]

اَلْجِدُّ شِيمَتُهُ وَفِيهِ فَكَاهَةٌ سَمْحٌ وَلَا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ

[عودٌ لبعضِ مكاتباتِ الأمير]

ولنعدْ لنقلِ شيءٍ مِنْ جدِّيَّاتِ ذٰلكَ الأميرِ ؛ فمِنْ ذٰلكَ

ما كتبَهُ مِنْ بعضِ الأمراءِ إلى الشيخِ العروسيِّ شيخِ الجامعِ الأزهرِ رحمَهُ اللهُ

أهدي مِنَ التحيَّةِ أسناها ، ومِنَ الأثنيةِ حسناها ، إلىٰ حضرةِ شمسِ سماءِ المعارفِ ، وظلِّ الفضلِ الوارفِ ، بحرِ الكمالِ وينبوعِهِ ، ومفردِ المجدِ ومجموعِهِ ، مقتدى الأنامِ ، وشيخِ مشايخِ الإسلامِ ، أطالَ اللهُ بقاءَ حضرتِهِ ، وسرَّنا بأخبارِ صحَّتِهِ ، آمينَ

وبعدَ لثمِ راحاتِكُم ، والتماسِ بركاتِ دعواتِكُم أُنهي لحضرتِكُمُ البهيَّةِ ، أنِّي لمَّا تَشرَّفتُ بالمُثولِ لدى الحضرةِ السنيةِ الخديويةِ قمتُ عن جنابِكُم مَقامَ الاعتذارِ عن الحضورِ ، والتهنئةِ بما يَسَّرَهُ اللهُ مِنْ هٰذا الحُبورِ ، فقُوبلَ ذٰلكَ بما هوَ المأمولُ ، مِنْ حسنِ الإقبالِ والقَبولِ ، وظهرَ مِنَ الجنابِ العالي التأسُّفُ علىٰ تَوعُّكِ مِزاجِ حضرتِكُم ، والدعاءُ إلى اللهِ تعالىٰ بتعجيلِ شفائِكُم وصحَّتِكُم ، وقالَ أرجو مِنَ الألطافِ الإلٰهيَّةِ ، والمكارمِ الربانيَّةِ ؛ أنِّي عندَ وصولي لمصرَ المحميَّةِ ، يكونُ قد زالَ عن حضرةِ الأستاذِ ما عرض مِنَ المرضِ ، وحصلَ مِنْ مزيدِ العافيةِ والصحَّةِ على الغرضِ ، فأحظىٰ بلقائِهِ ، وأُسَرُّ بشفائِهِ ، فبادرتُ بترقيمِهِ إشعاراً بذٰلكَ لحضرتِكُم ، واستفساراً عن حالِ

(١) هو لأبي تمام انظر « ديوانه » (١/١٠٢)

صحَّتِكُم ، ودمتُم في مَسَرَّةٍ وحسنِ حالٍ ، حليةً لأجيادِ المعالي وتاجاً لهامةِ الكمالِ



وكتبَ مولانا الأعزُّ الأكرمُ المُعظَّمُ المُفخَّمُ حفظَهُ اللهُ

أهدي بديعَ سلامٍ تَتكفَّلُ بشرحِ تلخيصِ المَحبَّةِ مبانيهِ ، وتَتضمَّنُ بيانَ مُطوَّلِ الوجدِ والمَودَّةِ معانيهِ ، وأشواقاً يَقِلُّ البيانُ عندَ تِبيانِ أطولِها ، ويَكِلُّ البَنانُ عن إيضاحِ مُفصَّلِها ومُجمَلِها ، معَ دعاءٍ يحلو إطنابُهُ وإيجازُهُ ، وينتهي بفضلِ اللهِ إلىٰ حقيقةِ الإجابةِ مَجازُهُ

وبعدُ فإنَّ الداعيَ قد شرعَ منذُ مُدَّةٍ مِنَ الأيامِ ، في كتابةِ شرحِ « الأطولِ على التلخيصِ » للفاضلِ العصامِ ، غيرَ أنَّ النسخةَ التي عثرنا عليها ، ووصلَتْ يدُ الأفكارِ إليها رأيناها قد هدمَ التحريفُ معمورَ أبياتِها ، وأطفأَ التصحيفُ نورَ مِشكاتِها ؛ بحيثُ لا يَجِدُ الذِّهنُ لبابِ فهمِها مِفتاحاً ، ولا يرى الساري في دياجي غلطاتِها مِصباحاً ، يقولُ رائيها حينَ يجدُ معاهدَها تَغيَّرَتْ وبدا عليها الدُّثورُ [من مجزوء المتدارك]

هَٰذِهِ دَارُهُمْ أَقْفَرَتْ أَمْ زُبُورٌ مَحَتْهَا ٱلدُّهُورْ

وقد أخبرَنا غيرُ واحدٍ أنَّ عندَكُم نسخةً صحيحةً مِنْ مُخلَّفاتِ حضرةِ الأستاذِ الوالدِ ، فالمأمولُ مِنْ هِمَّتِكُم ، والمسؤولُ مِنْ حضرتِكُم التكرُّمُ بإرسالِ تغييرِهِ مِنْ أوَّلِ الكتابِ المذكورِ ؛ ليكونَ لكُم بذٰلكَ جزيلُ الثوابِ والأجورِ ، علىٰ يدِ أخينا الشيخِ فلانٍ حاملِ هٰذهِ التذكرةِ ، أسبغَ اللهُ عليكُم مِنَ الإحسانِ أتمَّهُ وأوفرَهُ



وكتبَ سلامٌ يُسفِرُ عن خالصِ الودادِ ، ويُخبِرُ عمَّا في الفؤادِ ، مِنْ كمالِ

المحبةِ والاتحادِ ، إلىٰ فرعِ الدوحةِ العليةِ المحمديةِ ، وثمرةِ الشجرةِ المباركةِ النبويةِ ، سلالةِ الأشرافِ السادةِ ، وصفوةِ أهلِ المجدِ والسيادةِ ، حفظَ اللهُ حضرتَهُ ، وأدامَ بهجتَهُ ومَسرَّتَهُ ، آمينَ

وبعدُ فإنَّ الإطنابَ في وصفِ تَشوُّقي إلىٰ حضرةِ السيِّدِ أدامَ اللهُ علاهُ ، وزانَ جِيدَ المعالي بحلاهُ مِنْ قبيلِ تحصيلِ الحاصلِ ، وتوضيحِ الواضحِ بغيرِ طائلٍ ، فحسبي أن أكتفيَ في هٰذا الشأنِ بشهادةِ ذاكَ الضَّميرِ المنيرِ ؛ فإنَّهُ ينظرُ بنورِ الله تعالىٰ ما يضيقُ عنه نطاقُ التعبيرِ

وبينَما هٰذا المُحِبُّ مشغولُ اللسانِ بالثناءِ علىٰ تلك الحضرةِ ، مشعوفُ الجَنانِ بما يَرِدُ مِنْ أخبارِ المَسرَّةِ[١] وردَتْ مكاتبةُ سيادتِكُم ، فشكرتُ المولىٰ علىٰ صحَّةِ سعادتِكُم ، وعلمتُ تَفضُّلَكُم علينا بالدعواتِ الخيريةِ ، في تلكَ الأماكنِ العليةِ ، وهٰذهِ مِنَّةٌ جليلةٌ يجبُ شكرُها ، ومِنحةٌ جزيلةٌ لا يجهلُ قدرُها ، ولا بدعَ ؛ فإنَّكُم بَضعةُ النبوَّةِ ، ومعدِنُ الكرمِ والفتوةِ ، بكُم تُستمطَرُ سحائبُ البركاتِ ، وتُستفتَحُ أبوابُ الخيراتِ ، وبجَدِّكُم يُتشفَّعُ في يومِ المحشرِ ، وبأسلافِكُمُ الأماجدِ يُستسقىٰ مِنَ الكوثرِ ، فلا عدمنا تلكَ الأخلاقَ العليَّةَ ، ولا حُرِمنا هٰذهِ المكارمَ الهاشميةَ

ثمَّ إنَّني ببركةِ دعواتِكُم أحمدُ اللهَ على الصحَّةِ والسلامةِ ، وأسألُهُ أن يديمَ علينا وعليكُم إنعامَهُ ، وقد بادرتُ بتحريرِ خطابي هٰذا وأنا أحسدُهُ علىٰ وصولِهِ لذاكَ النادي المباركِ قبلي ، وأودُّ لو أنِّي أكونُ مكانَهُ لأقضيَ مِنْ مشاهدةِ ذاكَ المحيا أملي ، وغايةُ رجائي ألَّا تَنسَونا ممَّا عودتُمونا مِنَ الأدعيةِ الصالحةِ ، وتلاوةِ الفاتحةِ ، بينَ يدَيْ حضرةِ سيدِ الأنبياءِ المكرمينَ ، والرحمةِ العامَّةِ للعالَمينَ ، صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ

(١) الشعف شدة الحب ، فأحرق فؤاده ، وقيل أمرضه

وجميعِ المنتمينَ إليهِ ، ثمَّ في باقي ما تَتردَّدونَ عليهِ مِنَ الأماكنِ الطَّاهرةِ ، والمواطنِ المُشرَّفةِ الباهرةِ ، التي لا يَمتدُّ كفُّ الثريَّا إلَّا للثمِ ترابِها ، ولا ينحني ظهرُ الهلالِ إلَّا لتقبيلِ أعتابِها ، وكلُّ ما يلزمُ لحضرتِكُم مِنْ هٰذا الطرفِ رهينُ الإشارةِ والإعلامِ ، ومنِّي لناديكُمُ الشريفِ مزيدُ التحيةِ والسلامِ



وكتبَ مِنَ الجنابِ الخديويِّ أيامَ نيابتِهِ عن عمِّهِ المرحومِ سعيدٍ باشا صورةَ فرمانٍ

صدرَ هٰذا الفرمانُ الواجبُ طاعتُهُ ، اللازمُ امتثالُهُ ومتابعتُهُ ، خطاباً إلىٰ كافَّةِ القضاةِ والحكامِ ، والعلماءِ الأعلامِ ، والمشايخِ والعمدِ بالأقطارِ السودانيَّةِ ، مِنَ الحكومةِ العليَّةِ المصريةِ

ليكنْ معلوماً لديكُم ، بوصولِ هٰذا إليكم ؛ أنَّهُ قدِ اقتضَتِ الإرادةُ السنيَّةُ الخديويَّةُ ؛ بنصب فلانٍ حكمداراً علىٰ عمومِ الأقاليمِ السودانيَّةِ ؛ لِمَا هوَ معلومٌ فيهِ مِنَ الصَّداقةِ والأهليةِ ، وحسنِ الرويةِ والإدارةِ السياسيةِ ، فينبغي أن تطيعوا أحكامَهُ ، وتقابلوا بالسمعِ والطَّاعةِ كلامَهُ ، وتُنفِّذوا لأوامرِهِ ونواهيهِ ، وتمتثلوا لِمَا يُبدِيهِ ممَّا يوافقُ الأوامرَ العليَّةَ ، والأصولَ والقوانينَ المرعيَّةَ ، وبادروا بأداءِ كافَّةِ المطاليبِ الميريةِ في أوانِها ، وعدمِ تأخيرِها عن أوقاتِها ؛ لتفوزوا بزيادةِ الرضا عليكُم ، وحسنِ النظرِ والالتفاتِ إليكُم

وأنت أيُّها الحكمدارُ ، عليكَ باتباعِ التقوىٰ ؛ فإنَّها لحصولِ كلِّ خيرٍ هيَ السببُ الأقوىٰ ، وعاملِ الناسَ بالعدلِ والإنصافِ ، واجتنبِ الجورَ والاعتسافَ ، واستعملِ الرشدَ والسَّدادَ ، وابذلْ غايةَ الاجتهادِ ؛ في معموريةِ البلادِ ، ورفاهيةِ العبادِ ، ونجازِ الأشغالِ الميريةِ ، وحسنِ إدارةِ الحكمداريةِ ،

ورؤيةِ جميعِ المصالحِ ، علىٰ مقتضى الأوامرِ والأصولِ والقوانينِ واللوائحِ ، والاعتناءِ براحةِ البريةِ ، وحسنِ سياسةِ الرعيةِ ؛ فإنَّ الخلقَ في أيدي الحكامِ وديعةُ اللهِ سبحانَهُ ؛ فمَنْ أكرمَهُم أكرمَهُ ، ومَنْ أهانَهُم أهانَهُ ، فاعلَمْ ذٰلكَ ، واتبعْ أحسنَ المسالكِ ؛ لتفوزَ بحسنِ حالِكَ ومآلِكَ ، وبلوغِ غايةِ آمالِكَ

تحريراً في كذا سنةَ ثمانٍ وسبعينَ ومئتَينِ وألفٍ ، مِنْ هجرةِ المبعوثِ بأحسنِ وصفٍ ، عليهِ أكملُ الصَّلاةِ وأتمُّ السلامِ ، ما لاحَ بدرُ تمامٍ وفاحَ مسكُ ختامٍ

وكتبَ عن بعضِ الأحبَّةِ في جوابِ كتابٍ بوصولِ هديةٍ

إنَّ أبدعَ ما رَقَمَهُ بَنانُ البيانِ ، وأبرعَ ما نظمَهُ لسانُ الافتنانِ ، وأبهرَ ما سمعَتْهُ آذانُ الأذهانِ ، وأزهرَ ما طالعَتْهُ عيونُ الاستحسانِ سلامٌ يفوحُ طيبُ الودِّ مِنْ نفحِ عبيرِهِ ، ويلوحُ نشرُ الوجدِ مِنْ طيِّ تعبيرِهِ ، وثناءٌ يجاري نسماتِ الصَّبا بلطفِ الشمائلِ ، ويباري زهراتِ الرُّبىٰ بظَرْفِ الغلائلِ ، معَ شوقٍ يَقصُرُ عن وصفِهِ لسانُ التقريرِ ، ويَضيقُ عن نصفِهِ نطاقُ التحريرِ ، إلىٰ حضرةِ جمالِ الدِّينِ والدنيا ، وتاجِ هامةِ المجدِ والعليا ، الفائزِ مِنَ الشرفِ الأعلىٰ بالقَدَحِ المُعلَّىٰ ، لا زالَتْ ثُغورُ السرورِ باسمةً إليهِ ، وظلالُ الإقبالِ دائمةً عليهِ

وبعدُ فما روضةٌ رعَتِ النسائمُ زواهرَ أغصانِها ، ودوحةٌ وَشَّحَتِ الغمائمُ بواهرَ أفنانِها ، فباحَتْ فيها الحمائمُ بترديدِ أشجانِها ، وصدحَتِ البلابلُ بتغريدِ ألحانِها ، واختالَتِ الأشجارُ مِنْ دُرِّ زهرِها وفضةِ غدرانِها ، بينَ حليِ خلاخلِها وتيجانِها بأبهىٰ منظراً ، ولا أشهىٰ خبراً ومخبراً ، ولا ألطفَ

موقعاً ، ولا أظرفَ مسمعاً ؛ مِنْ كتابٍ استكملتُ أنواعَ المَسرَّةِ بورودِهِ ، واقتطفتُ في حدائقِ المودةِ أزهارَ ورودِهِ ، قد جرىٰ بهِ ماءُ الفصاحةِ غيرَ آسنٍ ، وجمعَ أشتاتَ الملاحةِ والمحاسنِ ، مِنْ كلِّ لفظٍ أحلىٰ مِنَ الشهدِ ، وألذَّ مِنْ طيبِ الكَرَىٰ بعدَ طولِ السُّهْدِ ، وقد وصفَ بعض ما أكابدُهُ مِنْ آلامِ الفراقِ ، ولواعجِ الأشواقِ ، فكأنَّما عَبَّرَ بهِ عن لسانِ حالي ، وإن قصرَ دونَهُ لسانُ قالي ، ووصلَ معَهُ ما تَفضَّلتُم بإهدائِهِ ، وتَكرَّمتُم بإسدائِهِ ، ممَّا هوَ أثرُ الودادِ ، وثمرةُ محبةِ الفؤادِ

فاللهُ تعالىٰ يُمتِّعُ بقربِكُم ، قلباً يَتقلَّبُ في حُبِّكُم ، ويُسِرُّ بدوامِ بقائِكُم ، روحاً ترتاحُ لطيبِ لقائِكُم ، ثمَّ الرجا ألَّا تَنسَونا مِنْ مراسلاتِ الودادِ ، التي يَطمئنُّ بها الفؤادُ ، فذٰلكَ غايةُ المأمولِ ، ونهايةُ المسؤولِ

❊ ❊

وكتبَ رسالةً ودادية تَتضمَّنُ التهنئةَ بالعيدِ

وصلنا إلى المحروسةِ بحمدِ اللهِ تعالىٰ وبركاتِ تَوجُّهاتِ سعادتِكُم ، وحسنِ أنظارِ سيادتِكُم ، ونحنُ نتلو مِنْ محامدِ إفضالِكُم ما يُخجِلُ الدررَ في أسلاكِها ، ونَبُثُّ مِنْ محاسنِ خلالِكُم ما يزري بالدراري في أفلاكِها ، وقد صدرَتْ هٰذهِ المكاتبةُ عن يدٍ مُمتدَّةٍ إلى اللهِ تعالىٰ في الدعاءِ بدوامِ معاليكُم ، وناظرٍ لا ينتظرُ إلَّا لِمَا يَرِدُ مِنْ نحوِ ناديكُم ، وقلبٍ لا يَتقلَّبُ إلَّا في محبةِ ذاكَ الجنابِ العالي ، وخاطرٍ لا يَخطُرُ فيهِ غيرُ تَذكُّرِ تلكَ الهممِ العوالي ، فعسىٰ تنوبُ عنِّي هٰذهِ الرقيمةُ فيما أحسدُها عليهِ مِنَ المُثولِ بذٰلكَ النادي ، والوصولِ إلىٰ لثمِ تلكَ الأيادي الباهرةِ الأيادي ، والتهنئةِ بالعيدِ السعيدِ المُترقَّبِ قُرْبُ إقبالِهِ ، أبقى اللهُ سيدي إلىٰ آلافِ أمثالِهِ ، مُمتَّعاً بدوامِ قَبولِهِ وإقبالِهِ ، رافلاً في حُلَلِ فضلِهِ وكمالِهِ

ثـمَّ إن لـزمَ لـسعـادتِكُـم خـدمـةٌ بـهـٰذا الـطـرفِ فـإنَّ لـنا فـي قـضـائِـهـا غـايـةَ الشرفِ ، والأمرُ أمرُكُم

وكتبَ تهنئةً بمولودٍ

سلامٌ علىٰ سيدي الأعزِ سَلَّمَهُ اللهُ وأسعدَهُ ، وأكثرَ بفضلِهِ عددَهُ ، وحفظَ لهُ ما وهبَ مِنْ نعمِهِ ، وخَوَّلَهُ المزيدَ مِنْ فيضِ كرمِهِ

وقد حظيتُ بكتابِهِ ، المُبشِّرِ والحمدُ للهِ بصحةِ جنابِهِ ، واستقامةِ الأحوالِ لـديهِ ، وتـرادفِ نِـعَـمِ اللهِ سبحانَهُ عليهِ ، ومـا منحَهُ مِنَ الـمولـودِ السعيدِ الـقـادمِ عليهِ ، إن شـاءَ اللهُ بـالـرزقِ الـجديدِ ، والـعمرِ الـمزيدِ ، فاستوفيتُ حظِّي مِنْ هـٰذهِ البشائرِ موفىً موفراً ، ووجـبَ علـيَّ الـشكـرُ للهِ سبحانَهُ وتعالىٰ مضاعفاً مُكرَّراً ، وابتهلتُ إليهِ تبارَكَ خيرُهُ ، ولا إلـٰهَ غيرُهُ ؛ في أن يدومَ علىٰ سيِّدي مِنْ نعماهُ ، ويزيدَهُ مِنْ وافرِ عطاياهُ ، ما يديمُ سرورَهُ وسروري لحضرتِهِ ، علىٰ حَسَبِ حظِّي مِنْ محبتِهِ ، واندراجي في جملتِهِ ، وأن يبـاركَ علىٰ هـٰذا النجلِ النبيلِ ، والنسلِ الأصيـلِ ، ويَمنحَهُ العمرَ الطويلَ ، والخيرَ الجزيلَ ، ويبقيَ سيدي أدامَ اللهُ عـلاءَهُ ، وأطـالَ بقـاءَهُ ، حتىٰ يرى الكثيرَ مِنْ أولادِهِ ، والجمَّ الغفيرَ مِنْ أحفادِهِ ، مُمتَّعاً بالسلامةِ ، وكمالِ الكرامةِ

والمَرجوُّ مِنْ سيِّدي أدامَ اللهُ سرورَهُ ، ويَسَّرَ أمورَهُ أن يواصلَ تعريفي بما يَتجدَّدُ مِنْ سائرِ أخبارِهِ ، لأَشركَهُ فيما يقتضيهِ ، وإعلامي بما عساهُ يَسنحُ مِنْ هـٰذا الطرفِ مِنْ أوطارِهِ ؛ لأفوزَ بالانتهاءِ لغايةِ استطاعتي فيهِ ، مُوفَّقاً إن شاءَ اللهُ تعالىٰ

وكتبَ في تعزيةٍ

يَعِزُّ عليَّ أن أكاتبَ سيِّدي مُعزِّياً ، أو أُلِمَّ بهِ في مُلِمَّةٍ مُسلِّياً ، ولٰكنَّهُ أمرُ اللهِ الذي لا يُقابَلُ بغيرِ التسليمِ ، وقضاؤُهُ الذي ليسَ لهُ عدَّةٌ سوى الصَّبرِ الكريمِ ، وقد علمَ مولايَ أجملَ اللهُ صبرَهُ ، ولا أَراهُ مِنْ بعدُ إلَّا ما سَرَّهُ وشرحَ صدرَهُ أنَّ اللهَ جلَّ ثناؤُهُ ، وتباركَتْ آلاؤُهُ ، إذا امتحنَ عبدَهُ فصبرَ آجرَهُ وعَوَّضَهُ بكرمِهِ ، كما أنَّهُ إذا أنعمَ عليهِ فشكرَ زادَهُ وضاعفَ لهُ مِنْ نعمِهِ

وقد عُرِفَ مِنْ حالِ سيدي في الشكرِ على السَّرَّاءِ ما يَستوجِبُ المزيدَ منها والظنُّ بحزمِهِ وعلمِهِ أن يكونَ حالُهُ في الصَّبرِ على الضَّرَّاءِ يَستجلِبُ الأجرَ عليها والتعويض عنها

ثمَّ نحنُ إذا أمعنَّا في التفكُّرِ ، ووفَّينا هٰذا الأمرَ حَقَّهُ مِنَ التدبُّرِ . رأينا أنَّنا ولو تأخَّرَتْ آجالُنا ، وطالَتْ آمالُنا لسنا في دارِ المُقامةِ ، وقرارِ الكرامةِ ؛ حتىٰ نحزنَ علىٰ مَنْ فارقَها وزايلَها ، ولٰكنَّا في سبيلِ سفرٍ ، ودارِ كدرٍ ، يَحِقُّ واللهِ أن نَغبِطَ مَنْ رحلَ عنها وزايلَ غوائلَها ، فأجملُنا حالاً أسرعُنا ارتحالاً ، وعلىٰ كلِّ حالٍ الجزعُ لا ينفعُ وإن أغضبَ اللهَ سبحانَهُ ، والصَّبرُ لا يَضُرُّ وإن جلبَ رضوانَهُ وإحسانَهُ ، واللهُ يُسهِّلُ لسيدي سبيلَ الصَّبرِ ، وتحصيلَ الأجرِ ، ويَعصِمُهُ مِنْ شواردِ الوزرِ ، ومكايدِ الدَّهرِ ، ويَتولَّى الماضيَ بالرحمةِ والإنعامِ ، والبرِّ والإكرامِ ، ويُحسِنَ مثواهُ في دارِ السلامِ ، ويُنعِمَ لهُ عندَ نزولِ الحِمامِ ، وانتهاءِ الأيامِ ، بحسنِ الختامِ



جوابٌ عن كتابِ عتابٍ

وردَ كتابُ سيِّدي أرشدَهُ اللهُ وأسعدَهُ ، ولا زالَ مساعدَهُ ومُسعِدَهُ ؛ يشكو

مِنْ جفائي ، وقِلَّةِ وفائي ، ما بسطَ فيهِ لسانَهُ ، وأطالَ بهِ أيَّدَهُ اللهُ بيانَهُ ، وأدَّىٰ حَقَّهُ مِنَ البلاغةِ أداءَ مُتفنِّنٍ مُتمكِّنٍ ، وذهبَ فيهِ مِنْ سحرِ الكلامِ كلَّ مذهبٍ مُمكِنٍ وغيرِ مُمكِنٍ ، حتىٰ إنَّني لقُوَّةِ تخييلِهِ وتصويرِهِ ، وفَرْطِ براعتِهِ ـ أيَّدَهُ اللهُ ـ في حسنِ تعبيرِهِ كدتُ أتوهَّمُ أنِّي فعلتُ ما لم أفعلْ مِنَ الذنبِ ، وأنَّني استوجبتُ ما أوردَهُ ـ أعزَّه اللهُ ـ مِنَ العَتْبِ

فلمَّا لفحَني حَرُّ المعاتبةِ ، وخشنَ عليَّ ملمسُ المخاطبةِ ، وأخذَ منِّي اللومُ مأخذَهُ إيلاماً ، وبلغَ بي مبلغَهُ إنكاراً وإعظاماً أردتُ أن آخذَ لنفسي بالحُجَّةِ ، والدلالةِ علىٰ سواءِ المَحَجَّةِ ، لولا أنِّي رجعتُ فذكرتُ أنَّ مولايَ أعزَّهُ اللهُ وإن ركبَ مِنَ المغالطةِ في هٰذهِ المكاتبةِ خلافَ رأيِهِ ، وسلكَ مِنَ المواربةِ في هٰذهِ المعاتبةِ خلافَ مذهبِهِ إلَّا أنَّهُ بجليَّةِ الأمرِ أعرفُ وأعلمُ ، ومِنْ أن يلتبسَ عليهِ الحالُ بالمُحالِ أحزمُ وأحكمُ

وإنَّما حملَهُ علىٰ هٰذهِ الطَّريقةِ ، معَ كمالِ علمِهِ ومعرفتِهِ بالحقيقةِ قصدُ المبالغةِ في تبرئةِ ناحيتِهِ ، ودفعِ اللومِ علىٰ أن يُلِمَّ بعليِّ ساحتِهِ ، وقَدَّرَ أنَّهُ إن خَلَصَ مِنْ هٰذهِ القضيةِ كفافاً لا لهُ ولا عليهِ فقد ربحَ السلامةَ بما عساهُ أن ينجرَّ مِنَ الملامةِ إليهِ ، فإن كانَ هٰذا مبلغَ ما تَوخَّاهُ ، مِنْ ذٰلكَ المنحى الذي نحاه فأنا لا أقنعُ لهُ مِنَ النصرِ ، بذٰلك القدر النزرِ ، بل أحبُّ أن تكونَ الغلبةُ لهُ كاملةً غيرَ منتقصةٍ ، ونصرتُهُ حرسَهُ اللهُ مُهنَّأَةً غيرَ مُنغَّصةٍ ، فأنا أخاصمُ نفسي مِنْ جهتِهِ ، وأعارضُها بمحبتِهِ ، وأُلزِمُها أن تَنزِلَ علىٰ حكمِهِ ، وتَنزِعَ إلىٰ سلمِهِ ، وأعترفُ لهُ بجميعِ ما أجملَهُ وفَصَّلَهُ اعترافاً يزيلُ الشقاقَ ، ويَرُدُّ الوفاقَ

ثمَّ أسألُهُ أن يَعفوَ ويَصفحَ ، عارفاً بأنَّهُ إذا ملكَ أسجحَ ، وإذا قَدَرَ عفا وأصلحَ ؛ فإن فعلَ ذٰلكَ فقد فازَ معَ لذَّةِ الظَّفَرِ والنصرِ ، بما يرجوهُ

على العفوِ مِنْ حسنِ الثوابِ والأجرِ ، وفزتُ أنا في الجملةِ بتحصيلِ رضاهُ ، وعدمِ الخروجِ عن موافقةِ هواهُ ، وانفصلنا عنِ القضيةِ وكلُّنا فائزٌ بسهمِهِ ، راضٍ بما حصلَ في قَسْمِهِ

وإن أبىٰ إلَّا أن يناقشَني الحسابَ ، ويَتمادىٰ حرسَهُ اللهُ علىٰ ذٰلكَ العتابِ فلن يعدمَ داعيهِ في مَعرِضِ الجدلِ شبهةً إذا لم يجدْ حُجَّةً ، وقد جاءَ في المثلِ لا تَعدَمُ الخَرقاءُ حيلةً ، وما أظنُّهُ يَراني أقلَّ مِنْ هٰذهِ درجةً ، فليختَرْ لنفسِهِ ما يَراهُ أقربَ إلى الصَّوابِ ، وليتفضَّلْ علىٰ داعيهِ ومُحِبِّهِ وراجيهِ بالجوابِ ، مُوفَّقاً إن شاءَ اللهُ تعالىٰ ، آمينَ ، يا ربَّ العالمينَ



وكتبَ تقريظاً لصحيفةِ الوقائعِ المصريَّةِ حينَ أصلحَ أمرَها بعدَ سابقِ اختلالٍ اعتراها

لا ريبَ أنَّ كلَّ مَنْ عرفَ التمدُّنَ ، وشمَّ عَرْفَ التفنُّنِ ، وأخذَ بنصيبٍ مِنَ الفهمِ والتفطُّنِ كانَ أحبَّ شيءٍ إليهِ ، وأوجبَ أمرٍ لديهِ ؛ أن يكونَ مُطَّلعاً علىٰ وقائعِ مصرِهِ ، عارفاً بما تَجدَّدَ بينَ بني عصرِهِ ؛ مِنْ حوادثِ الزمانِ ، وعجائبِ عالمِ الإمكانِ ، وما هوَ صائرٌ في الممالكِ المُتمدِّنةِ ، ودائرٌ بينَ الملوكِ المُتمكِّنةِ ، وما هوَ جارٍ بينَ الدُّولِ المتفقةِ ، والمللِ المُتفرِّقةِ ؛ مِنْ عهودٍ تُجدَّدُ ، وشروطٍ تُؤكَّدُ ، وآثارٍ تُغيَّرُ ، وصعابٍ تُيسَّرُ ، وما بينَهُم مِنْ نزاعٍ ومقاتلةٍ ، وخداعٍ ومخاتلةٍ ، وسكونٍ وهدنةٍ ، وحركةٍ وفتنةٍ ، وما حدثَ في أحوالِ التجارةِ ، وأمورِ السياسةِ والإدارةِ ، وما أبدتْهُ فحولُ العقلاءِ في مجامعِها ، وما استبدأَتْهُ عقولُ النبلاءِ مِنْ بدائعِها ، وما ظهرَ مِنْ روائعِ الصَّنائعِ وعوارفِ المعارفِ ، وطرائفِ اللطائفِ ، فتتسعَ دائرةُ اطِّلاعِهِ ، ويَمتدَّ إلى المعالي طويلُ باعِهِ ، ويَعرِفَ العوائدَ مذمومَها وممدوحَها ، ويميزَ الآراءَ

راجحَها ومرجوحَها ، فيجتنيَ ثمراتِ الأفكارِ ، ويقتنيَ محاسنَ الآثارِ ، ويتمتعَ وهوَ مستريحٌ بنتيجةِ ما تَعِبَ فيهِ غيرُهُ الليلَ والنهارَ ، ويكونَ كأنَّما طافَ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها ، وجَرَّبَ جميعَ الأمورِ ودرىٰ عواقبَها ، فلا تكادُ تَنزِلُ بساحتِهِ حادثةٌ إلَّا وقد أحاطَ علمُهُ بنظيرِها ، وعرفَ غايةَ مصيرِها ، وكيفَ يفتتحُ بابَ النجاحِ في حسنِ تدبيرِها ، إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ المنافعِ الجمَّةِ ، وغُرَرِ المحاسنِ المُهِمَّةِ ، التي يَقصُرُ عن حدِّها اللسانُ ، ويَقصُرُ في عدِّها البيانُ

ولا مريةَ في أنَّ صحفَ الأخبارِ هيَ الحافلةُ بهٰذهِ المزايا ، الكافلةُ باستخراجِ فرائدِ الفوائدِ مِنْ خبايا الزوايا ، فهيَ جُهينةُ الأخبارِ ، وخزينةُ ذخائرِ الأفكارِ ، وصَيْقَلُ الأذهانِ ، ومِرآةُ حوادثِ الزمانِ ، وهيَ الجليسُ الذي تُعجِبُ نوادرُهُ ، والأنيسُ الذي يُطرِبُ حديثُهُ مَنْ يُسامِرُهُ ، والخليلُ الذي لا يسترُ منكَ أمراً ، ولا يخبأُ عنك خَبراً ولا خُبْراً ، والنديمُ الذي لا تُخافُ عربدتُهُ ، والصَّاحبُ الذي تَسُرُّكَ مَودَّتُهُ ، وهيَ السائحُ الذي يطوفُ البلادَ ، ويأتيكَ بأخبارِ العبادِ ، ويُعرِّفُكَ أحوالَ زمانِكَ ، وأنتَ لا تَبرحُ مِنْ مكانِكَ

ثمَّ مؤنتُهُ هينةٌ ، ومعونتُهُ بينةٌ ، تَنتفِعُ منهُ وتستفيدُ ، ولا تَصرِفُ عليهِ في العامِ غيرَ شيءٍ زهيدٍ ، فالنُّجباءُ مِنَ الناسِ لا يَفتُرونَ عن هٰذهِ اللَّطائفِ ، ولا يَفتُرونَ مِنْ مطالعةِ تلكَ الصَّحائفِ

وقد كانَتْ صُحُفُ الوقائعِ المصريةِ ، في الممالكِ الإسلاميةِ ؛ مِنَ الصُّحفِ الأُولى ، الراقيةِ مِنْ مراتبِ الإجادةِ والإفادةِ إلى الدرجةِ الأُولىٰ ، ثمَّ عَدَتْ عليها عوادي الزمانِ ، فبقيَتْ في حضيضِ الإهمالِ تحتَ ذيلِ الهجرانِ ، حتىٰ نَسَجَتْ عليها عناكبُ النِّسيانِ ، إلىٰ أن أعادَها معيدُ رسومِ المعارفِ بعدَ اندراسِها ، وباني بيوتِ المعالي علىٰ مُحكَمِ أساسِها ؛ بدرُ

فلكِ الحكومةِ المصريةِ وشمسُ سمائِها الماحي بأنوارِ هِمَّتِهِ السنية حنادسَ ظلمائِها ، المقتدي بوالدِهِ الماجدِ وجَدِّهِ الكريمِ سميِّ سيدِنا إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ، أبقاهُ اللهُ ذُخراً للفضلِ وأهلِهِ ، ولا برِحَتْ مصرُ مُعطَّرةَ الأرجاءِ بأريجِ عدلِهِ

إلَّا أنَّ الصَّحيفةَ المذكورةَ لم تَعُدْ في النشأةِ الآخرةِ إلىٰ حالِها الأوليةِ ، حتىٰ لقد بقيَتْ مُدَّةً مِنَ الزمنِ خاليةً عنِ الأخبارِ الأجنبيةِ ، وكثيرٍ مِنَ الحوادثِ الداخليةِ ، وتاللهِ ؛ لقد كنَّا ننظرُ إليها نظرَ المُتأسِّفِ ، وننتظرُ إصلاحَها انتظارَ المُتلهِّفِ ، ونراها بحالٍ عليلٍ ، كلُّ مَنْ رنا إليهِ رثىٰ إليهِ ، وكلَّما أبصرَهُ أهلُهُ تَمنَّوا أن يُقضىٰ لهُ الشفاءُ أو يُقضىٰ عليهِ ، ولمَّا كانَ ما بها مِنْ تلكَ الحالةِ علىٰ ضدِّ المقاصدِ العليَّةِ الداوريةِ ، ولم تزلِ العنايةُ السنيةُ مُنعطِفةً لتقدُّمِ أحوالِ هٰذهِ الديارِ المصريةِ ، وكانَ ممَّنْ يَعلَمُ ذٰلكَ حقَّ يقينِهِ ، الأميرُ الجليلُ الذي لا يسمحُ الزمانُ بقرينِهِ ، العَلَمُ المفردُ في العلمِ والأدبِ ومعالي الهممِ ، البارعُ المُتقِنُ المُتفنِّنُ في لغةِ العربِ والتركِ والعجمِ ، حضرةُ أحمدَ بيكْ خيري مكتوبي الجنابِ الداوريِّ اهتمَّ بتحسينِ هٰذهِ الصَّحيفةِ وإصلاحِها ، وأشارَ إلىٰ مأمورِها بما يكونُ فيهِ حسنُ نجاحِها ، وساعدَ علىٰ إنفاذِ هٰذهِ النيَّةِ السنيةِ صاحبُ المعارفِ الباهرةِ ، والأفكارِ الزاهرةِ ، والهِمَمِ العليَّةِ ، حضرةُ محمدٍ شريفِ باشا ، ناظرُ الأمورِ الداخليةِ والخارجيةِ ، والمدارسِ المصريةِ ، فعادَتْ كما بدتْ وأحسنَ بهِمَّةِ المُشارِ إليهِما ، وغدَتْ بلسانِها الفصيحِ تُثني على الجنابِ الأكرمِ الخديويِّ ثمَّ عليهِما

وناهيكَ بإزالةِ ما كانَ في وجهِها مِنَ الخطِّ الثقيلِ ، واستبدالِهِ بما تراهُ الآنَ مِنَ الخطِّ الجميلِ ، الذي صارَ في مطلعِها براعةَ استهلالٍ ؛ لِمَا قدِ انتقلَتْ إليهِ مِنْ لطفِ الأسلوبِ وحسنِ الأحوالِ ، فوجبَ علىٰ أهلِ الوطنِ العزيزِ ،

وأصحابِ المعارفِ والتميزِ أن يشكروا فضلَ هٰذهِ الهِمَمِ الخيريةِ ، بعدَ خيرِ الدعاءِ للحضرةِ الداوريةِ ؛ فإنَّها الأصلُ الأصيلُ في الإصلاحِ ، والمرشدُ الدليلُ إلىٰ سبيلِ النجاحِ

ونرجو مِنْ مُحرّرِ هٰذهِ الصَّحيفةِ ومأمورِها ، والقائمينَ بإدارةِ أمورِها أَلَّا تزالَ راقيةً في مدارجِ الكمالِ ، رافلةً في حُلَلِ الحسنِ متحليةً بحَلْيِ الجمالِ ، فائزةً بسلوكِ جادَّةِ الإجادةِ ، حائزةً براعةَ العبارةِ وكثرةَ الإفادةِ ؛ بحيثُ تكونُ حلاوةُ مبانيها ، وطلاوةُ معانيها ، ولطفُ أساليبِها ، وظَرْفُ تراكيبِها أُنموذجاً لِمَنْ يَتعلَّمُ حسنَ التعبيرِ والتقريرِ ، ومثالاً يقتدي بهِ مَنْ يرومُ تحبيرَ التحريرِ ، معَ استيفاءِ الأخبارِ الداخليةِ ، وما يلزمُ مِنَ الحوادثِ الأجنبيةِ ، وإنباءِ الإخوانِ ؛ مِنْ أبناءِ الأوطانِ ، بما يعودُ عليهِم نفعُهُ ، ويعظمُ لديهِم وقعُهُ ، وإرشادِهِم لِمَا يفيدُهُم مزيدَ التقدُّمِ في التمدُّنِ ، وتنبيهِهِم علىٰ ما يَقبُحُ مِنَ العوائدِ وما يَحسُنُ ، وإنَّما قلتُ ما قلتُ وأكثرتُ في هٰذا الرجا وطَوَّلتُ ؛ لأنَّ في مأموري هٰذهِ الصَّحيفةِ أهليةً لِمَا أمَّلتُ

والمأمولُ مِنْ سُكَّانِ الدِّيارِ المصريةِ ، ولا سيَّما أهلِ هٰذهِ الحاضرةِ البهيةِ أن يُقبِلوا علىٰ صحائفِ الوقائعِ ويلتفتوا إليها ، ويرغبوا في مطالعتِها ويَحرِصوا عليها ، ويتبعوا ما يُنبَّهونَ عليهِ مِنَ الأمورِ النافعةِ والعاداتِ الحسنةِ ؛ ليكونوا مِنَ الذينَ يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحسنَهُ

أليسَ هٰذا أَولىٰ مِنَ الأمورِ العبثيةِ ؟! كالعكوفِ على الملاهي وسماعِ القصصِ الخرافيةِ ؛ مثلَ ما اشتَهرَ مِنْ قصةِ سيفِ بنِ ذي يزنٍ ، وحكايةِ عنترةَ والظاهرِ وإبراهيمَ بنِ حسنٍ ، وأمثالِ ذٰلكَ مِنَ الحكاياتِ التي أكثرُها أكاذيبُ وتمويهاتٌ

وأسوأُ مِنْ ذٰلكَ حالاً قومٌ ينتدبونَ للمشاجرةِ فيما شجرَ بينَ الصَّحابةِ ،

ويتجاذبونَ اختلافَ الخلافِ فيما ينسبونَ لبعضِ هٰذهِ العصابةِ مِنَ الخطأ والإصابةِ !! علىٰ أنَّ بعضَهُم لا يعرفُ وجهَ ما يخوضُ فيهِ ، ولا يدري على الحقيقةِ كُنْهَ ما يخرجُ مِنْ فيهِ ، وإنَّما هوَ تقليدٌ بلا دليلٍ ، وخبطٌ علىٰ غيرِ سبيلٍ ، لا سيَّما والتواريخُ مضطربةُ الأقوالِ ، علىٰ حَسَبِ اختلافِ الأغراضِ والأحوالِ ، ولا ثمرةَ للخلافِ ، ولم نكنْ حاضري المَصافِّ ، فيا ليتَ شعري !! أيُّ معنىً في هٰذا العناءِ الباطلِ ؟! وأيُّ طائلٍ وقد نهانا عنِ الخوضِ في ذٰلكَ أكابرُ العلماءِ الأفاضلِ ؟! وهل ذٰلكَ لزعمِ مثوبةٍ أخرويَّةٍ ، أم لتوهُّمِ فائدةٍ دنيويةٍ ؟!

إن كانَتِ الأُولىٰ فعندَنا ما هوَ أَولىٰ ؛ مثلُ دراسةِ كتابِ اللهِ القديمِ ، وكلامِ نبيهِ الكريمِ ، عليهِ أفضلُ الصَّلاةِ والتسليمِ ، وعلىٰ أهلِ بيتِهِ الطَّيبينَ الأطهارِ ، وصحابتِهِ الخيرةِ الأبرارِ ، ومثلُ تَعلُّمِ أصولِ الدِّينِ وعقائدِهِ ، والاشتغالِ بمعرفةِ آدابِهِ الشريفةِ وقواعدِهِ ، إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأعمالِ الفاخرةِ ، الجالبةِ خيرَيِ الدنيا والآخرةِ

وإن كانَتِ العِلَّةُ الحاملةُ حصولَ الثمرةِ العاجلةِ فثَمَّ مسالكُ أقربُ لذٰلكَ ؛ كاجتهادِ الإنسانِ في نحوِ تجارتِهِ [وزراعتِهِ] ، واهتمامِهِ بازديادِ براعتِهِ في صناعتِهِ ، والتوسُّلِ إلىٰ توسيعِ دائرةِ المدنيَّةِ ، بالجِدِّ والجهدِ في الفنونِ والمعارفِ الإنسانيَّةِ ، وعقدِ الشركاتِ في الأمورِ النافعةِ ، والاستعانةِ باجتماعِ الأيدي على اجتناءِ ثمراتِ الربحِ اليانعةِ ؛ فإنَّهُ يَتهيَّأُ للاثنَينِ ما ليسَ للواحدِ بهِ استطاعةٌ ، وحسبُكَ بما وردَ « يَدُ ٱللهِ مَعَ ٱلْجَمَاعَةِ »(١)

وبالجملةِ فإنَّ في الشركةِ مِنْ عظيمِ الخيرِ والبركةِ ما تشهدُ بهِ العينانِ ، ولا حُجَّةَ أكبرُ مِنَ العِيانِ ، ألا ترىٰ إلىٰ هٰذهِ الشركةِ المعنونةِ بالقومبانيةِ

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه

العزيزيةِ المصريةِ ، المُؤسَّسةِ في ظلِّ الحضرةِ الملكيةِ بحسنِ الهِمَمِ العليةِ الداوريةِ ؛ كيفَ نجحَتْ أسبابُها ، وانتفعَتْ بفوائدِها أربابُها ، وسلكَتْ علىٰ أحسنِ سبيلٍ ، في البحرِ المِلْحِ وفي نهرِ النيلِ ، وكيفَ صارَتْ عوناً حسناً على التجارةِ والسياحةِ وتسهيلِ طريقِ الحُجَّاجِ ، بعنايةِ اللهِ الذي مرجَ البحرَينِ هـٰذا عذبٌ فراتٌ وهـٰذا مِلْحٌ أُجاجٌ

وإنَّا لنرجو لها مزيدَ التقدُّمِ بجليلِ هِمَّةِ الجنابِ الخديويِّ وجملِ إقدامِهِ ، ونراها كالطِّفلِ بانَتْ علائمُ نجابتِهِ قبلَ إبَّانِ فطامِهِ ، لا شكَّ أنَّها مِنْ حسناتِ وليِّ النعمِ الخديويِّ الأكرمِ ، الداوريِّ الأفخمِ ، الذي تَعطَّرَتِ الأفواهُ بطيبِ ذكرِ سنائِهِ ، وتَحلَّتِ الشِّفاهُ بمُكرَّرِ شكرِ آلائِهِ ، فأدامَ اللهُ دولتَهُ السنيَّةَ غُرَّةً في جبهاتِ الأعصارِ ، كما جعلَ حكومتَهُ العادلةَ المرضيةَ قُرَّةً لعيونِ الأمصارِ

هـٰذا ؛ والمرجوُّ كلَّ الرجا ، مِنْ حضراتِ أهلِ المعارفِ وأربابِ الحِجا ألَّا يبخلوا علىٰ إخوانِهِم ، بما هوَ في إمكانِهِم ؛ مِنَ المقالاتِ المفيدةِ ، والآراءِ السَّديدةِ ، والأفكارِ الناجحةِ ، والأخبارِ الصالحةِ ؛ لتدرجَ عنهُم في صحفِ الوقائعِ وتُنشَرَ ، وتُسطَّرَ في صفحاتِ الأيامِ وتُذكَرَ ، فقد تَعهَّدَ مأمورُ الوقائعِ بإعلانِ كلِّ ما يَرِدُ إليهِ مِنْ هـٰذا القبيلِ ، واللهُ تعالىٰ يُوفِّقُنا جميعاً للخيرِ والرشادِ ويهدينا سواءَ السبيلِ ، وقلتُ مُضمِّناً الشطرَ الأخيرَ [من الطويل]

وَقَائِعُ مِصْرَ ٱلْآنَ فَاقَتْ بِحُسْنِهَا ... وَبَاهَتْ بِمَا جَادَتْ بِهِ مِنْ بَدَائِعِ
فَدُونَكَ مِنْ عَذْبِ ٱلْحَدِيثِ وَحُلْوِهِ ... جَنَى ٱلنَّحْلِ مَمْزُوجاً بِمَاءِ ٱلْوَقَائِعِ

وقلتُ مُضمِّناً أيضاً [من الكامل]

يَا أَهْلَ مِصْرَ لَكُمْ زَهَا نُورُ ٱلْمُنَىٰ ... وَبَدَا بِكُمْ نُورُ ٱلْمَعَالِي سَاطِعَا

فَقَطَفْتُمْ زَهْرَ ٱلْحَوَادِثِ نَاضِراً وَجَنَيْتُمْ ثَمَرَ ٱلْوَقَائِعِ يَانِعَا[1]

ذٰلكُم أيُّها الإخوانُ المنهلُ الصافي ، والمَورِدُ العذبُ النميرُ الشافي ، أسألُ اللهَ لمنشئِهِ دوامَ حسنِ عنايتِهِ ، وإنارةَ بصائرِكُم بأنوارِ هدايتِهِ

[مولدُ هٰذا الأميرِ بحسابِ الجمَّلِ]

مِنَ الاتفاقِ الغريبِ أن كانَ جُمَّلُ حروفِ قولِهِ تعالىٰ ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[2] ، تاريخَ مولدِ هٰذا الأميرِ حَرَسَهُ اللهُ ، وبلغَ بهِ أقصىٰ مناهُ



(١) وقع في هامش الأبيات الأربعة علامة (م) في الأصل ؛ إشارة لكونها مُضمَّنة

(٢) سورة مريم (٣٠)

[خاتمة الكتاب]

وألتمسُ مِنْ أذكياءِ الإخوانِ ـ وكلُّهُم أذكياءُ ـ أن يَحرِصوا علىٰ دراسةِ هٰذا المجموعِ بغايةِ الاعتناءِ ، ويَتخذونَهُ مبدأً للتعليم ، ومَنْ أرادَ التوسُّعَ بعدُ فقد عرفَ الصِّراطَ المستقيمَ

وقد أذنتُ لِمَنْ وثقَ مِنْ نفسِهِ أن يُوضِّحَ ما يَراهُ موضعاً للإيضاحِ ، وأن يُصلِحَ ما دعا السهوُ فيهِ إلىٰ نوعِ إصلاحٍ

واللهُ سبحانَهُ لي ولكُم نِعْمَ المعينُ ، والوسيلةُ إليهِ في ذٰلكَ سيِّدُ المرسلينَ ، صلواتُ اللهِ وتسليماتُهُ عليهِم أجمعينَ ، ورضاهُ عن أوليائِهِم وسائرِ التابعينَ

[خاتمة الطبع]

يقولُ أسيرُ الشَّهَواتِ ، وكثيرُ المساوي والهفَواتِ ، راجي التجاوزِ عن زلاتِهِ وآثامِهِ ، حسنُ بنُ الشيخِ [أبي] زيدٍ سلامةَ ، غفرَ اللهُ ذنوبَهُما بمنِّهِ وإكرامِهِ ، وأثابَهُما جَنَّتَهُ بفضلِهِ وإنعامِهِ ، والمسلمينَ أجمعينَ ، بجاهِ نبيِّهِ الصَّادقِ الأمينِ

بعدَ حمدِ مَنْ جعلَ لغةَ العربِ وسيلةً لمعرفةِ فنونِ الأدبِ ، والصَّلاةِ والسلامِ علىٰ أشرفِ مُنتخَبٍ وآلِهِ وأصحابِهِ الفائزينَ بأعلى الرُّتَبِ ، والتابعينَ المُتمسِّكينَ مِنَ التقوىٰ بأقوىٰ سببٍ قد تمَّ بإسعافِ الألطافِ الجليلةِ ، طبعُ مجموعٍ لفنونِ الأدبِ وسيلةٌ ، حوىٰ مِنْ كلِّ علمٍ أحسنَهُ ، واشتملَ علىٰ نفائسِ دُرَرٍ مُستحسَنةٍ ، بناتِ فكرٍ اخترعَتْها فكرةٌ سليمةٌ ، وعرائسِ خدرٍ أبرزَتْها محاسنُ كريمةٌ ، فهوَ وسيلةُ الأدبِ ، ومبلغٌ لتمامِ الأربِ ، جمعَهُ العَلَمُ

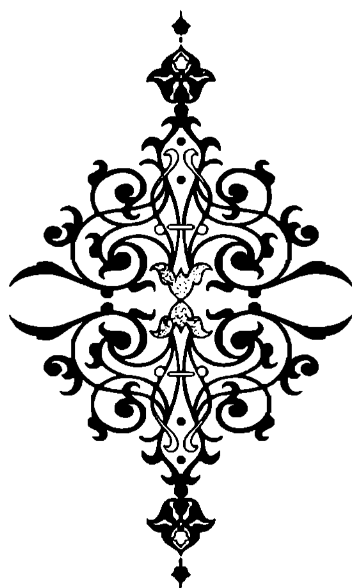
الشهيرُ ، البحرُ الحبرُ النحريرُ ، صاحبُ البيانِ الوفيّ ، مَنْ بهِ الفؤادُ مِنْ سقامِ الجهالةِ يشتفي ، علّامةُ وقتِهِ ، وفريدُ عصرِهِ ؛ الشيخُ حسينٌ المَرصفيُّ ، لا زالَ ملحوظاً مِنَ الجليلِ بكمالِ العنايةِ ، محفوظاً برعايةِ الكريمِ في البدايةِ والنهايةِ ، غوثاً يسحُّ وينزلُ ، وبحراً يفيضُ ويسترسلُ

والنصحُ لِمَنْ يصلُ هٰذا المجموعُ إليهِ أن يعضَّ بنواجذِهِ عليهِ ؛ لينالَ غايةَ ما يَتمنَّاهُ ، ويفوزَ بتحصيلِ ما قد حواهُ ، ويخرجَ مِنْ ربقةِ أسرِ الجهلِ ، ويفوزَ بدرجةِ أهلِ الفضلِ ، وليتلقَّ هٰذا الجامعَ بحسنِ قَبولٍ ، ويرجو مِنَ الكريمِ إلىٰ فهمِ ما فيهِ الوُصولَ

وكانَ تمامُ طبعِهِ ، وحسنُ ترتيبِهِ ووضعِهِ ؛ بمطبعةِ وادي النيلِ البهيةِ ، بخطِّ بابِ الشعريةِ مِنْ مصرَ المحميةِ ، في ظلِّ وليّ العهدِ والتوفيقِ ، أفندينا محمدٍ باشا توفيقٍ ، جعلَهُ اللهُ رحمةً على العبادِ ، وغيثاً مريعاً لكلِّ حاضرٍ وبادٍ ، وقَوَّمَ بعدلِهِ حالَ الرعيةِ ، وعَمَّمَ بفضلِهِ سائرَ البريةِ ، مُصحِّحاً بمباشرةِ هٰذا العبدِ الفقيرِ ، الكليلِ الخاطرِ الكسيرِ ، أوائلَ شهرِ اللهِ رجبِ الأصمِّ الأصبِّ ، سنةَ (١٢٩٦ هـ) ستٍّ وتسعينَ ومئتَينِ بعدَ الألفِ ، مِنْ هجرةِ مَنْ كانَ يرىٰ مِنْ أمامِهِ كما يَرىٰ مِنَ الخلفِ

صلَّى اللهُ وسَلَّمَ عليهِ ، وآلِهِ وصحبِهِ وكلِّ منتمٍ إليهِ ، ما انتشرَ مِسكُ ختامٍ وفاحَ ، ونادى المُؤذِّنُ حيَّ على الفلاحِ ، آمينَ





أهمّ المصادر والمراجع (١)

١ ـ أباطيل وأسمار ، لمحمود شاكر ؛ العلامة شيخ العربية الأديب أبي فهر محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر الجرجاوي المصري (ت ١٤١٨ هـ) ، ط ٣ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيري الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق مركز الدراسات القرآنية في مجمع الملك فهد ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، السعودية

٣ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين ابن الخطيب ؛ الإمام المؤرخ الوزير الأديب الفيلسوف لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب السلماني اللوشي الغرناطي (ت ٧٧٦ هـ) ، تحقيق محمد عبد الله عنان (ت ١٤٠٦ هـ) ، ط ٤ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٤ ـ إحياء علوم الدين ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية

٥ ـ الآداب (الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة) ، لابن شمس الخلافة ؛

---

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، واسم المؤلف وسنة وفاته ، واسم المحقق ، ورقم الطبعة ، وتاريخ طبعه ، والدار الناشرة ومقرها

الأديب الشاعر الأمير الأيوبي مجد الملك أبي الفضل جعفر بن شمس الخلافة محمد بن مختار الأفضلي القوصي المصري (ت ٦٢٢ هـ) ، بعناية العلامة البحاثة محمد أمين بن عبد العزيز الخانجي الحلبي (ت ١٣٥٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٦ ـ أدب الإملاء والاستملاء ، لابن السمعاني ؛ الإمام الحافظ محدث خراسان تاج الإسلام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي الشافعي (ت ٥٦٢ هـ) ، عني به ماكس فايسفايلر ، ط ١ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

٧ ـ أدب الدين والدنيا ، للماوردي ؛ الإمام الفقيه الأصولي المفسر أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البغدادي الشافعي (ت ٤٥٠ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية

٨ ـ أدب الكاتب ، لابن قتيبة الدينوري ؛ إمام الأدب واللغة القاضي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي ، ط ٢ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان

٩ ـ أدب الكُتَّاب ، للصولي ؛ الإمام الأديب النديم النادرة أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله ابن صول (صول تكين) الصولي البغدادي البصري (ت ٣٣٥ هـ) ، تحقيق العلامة محمد بهجة الأثري (ت ١٤١٦ هـ) ، ط ١ ، (١٣٤١ هـ ، ١٩٢٢ م) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، مصر

١٠ ـ إرشاد الساري إلىٰ شرح صحيح البخاري ، للقسطلاني ؛ الإمام الحجة المحدث الفقيه شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري الشافعي (ت ٩٢٣ هـ) ، ط ٦ ، (١٣٠٤ هـ ، ١٨٨٦ م) ، طبعة مصورة عن نشرة بولاق لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان

١١ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق عادل مرشد ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار الأعلام ، عمان ، الأردن

١٢ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ؛ الإمام المؤرخ النقاد النابغة عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري الموصلي الشيباني الشافعي (ت ٦٣٠ هـ) ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور والعلامة محمود عبد الوهاب فايد (ت ١٤١٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م) ، دار الشعب ، القاهرة ، مصر

١٣ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان

١٤ ـ أطراف الغرائب والأفراد ، لابن القيسراني ؛ الإمام الحافظ الجوال الرحال الصوفي أبي الفضل محمد بن علي بن أحمد بن طاهر ابن القيسراني المقدسي الظاهري (ت ٥٠٧ هـ) ، تحقيق جابر بن عبد الله السريِّع ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار التدمرية ، الرياض ، السعودية

١٥ ـ إعجاز القرآن ، للباقلاني ؛ الإمام المتكلم الأصولي القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني البصري البغدادي المالكي (ت ٤٠٣ هـ) ، تحقيق العلامة السيد أحمد صقر (ت ١٤١٠ هـ) ، ط ٥ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

١٦ ـ الأعلام ، للزركلي ، الأديب الكبير المؤرخ خير الدين بن محمود بن محمد الزِّرِكلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) ، بدون تحقيق ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان

١٧ ـ الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ؛ الإمام الراوية الأديب الكاتب أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي الأصبهاني البغدادي (ت ٣٥٦ هـ) ،

تحقيق العلامة إبراهيم الأبياري (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م) ، دار الشعب ، القاهرة ، مصر

١٨ ـ الأمثال السائرة من شعر المتنبي ، لابن عباد ؛ الوزير الأديب المتكلم أبي القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد بن العباس الطالقاني الأصفهاني (ت ٣٨٥ هـ) ، تحقيق العلامة محمد حسن آل ياسين (ت ١٤٢٧ هـ) ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق

١٩ ـ الأمثال ، لابن سلام ؛ الإمام المحدث الفقيه الأديب أبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي الخراساني (ت ٢٢٤ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش ، ط ١ ، (١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م) ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، سورية

٢٠ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع ، لابن معصوم ؛ الإمام المؤرخ الأديب الشريف علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين ابن معصوم الحسيني الحسني المدني (ت لعله بعد ١١٠٠ هـ) ، تحقيق العلامة شاكر هادي شكر (ت ١٤١٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م) ، مطبعة النعمان ، النجف ، العراق

٢١ ـ الأوائل ، لأبي هلال العسكري ؛ إمام اللغة والأدب الناقد أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري الأهوازي (ت بعد ٣٩٥ هـ) ، تحقيق محمد المصري والدكتور وليد إبراهيم قصاب ، ط ١ ، (١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، سورية

٢٢ ـ أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك ، لابن هشام ؛ إمام العربية واللغة المفسر جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يوسف الأنصاري المصري الشافعي الحنبلي (ت ٧٦١ هـ) ، شرح العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان

٢٣ ـ البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ، لابن الملقن (ابن النحوي) ؛ الإمام الحافظ الفقيه أعجوبة الزمان سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد ابن الملقن الأندلسي المصري الشافعي

(ت ٨٠٤ هـ) ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار الهجرة ، جدة ، السعودية

٢٤ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيري الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤ م) ، طبعة مصورة لدى المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان

٢٥ ـ البيان والتبيُّن ، للجاحظ ؛ إمام البيان أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ الليثي الكناني (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق وشرح العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ٧ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٢٦ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ؛ الإمام الكبير الحافظ الفقيه اللغوي الشريف أبي الفيض وأبي الوقت محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) وجماعة من أئمة التحقيق ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت

٢٧ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، للطبري ؛ الإمام المحدث المفسر المؤرخ أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م) ، طبعة مصورة دون ناشر ، بيروت ، لبنان

٢٨ ـ تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة) ، لابن شبة ؛ العلامة المحدث المؤرخ أبي زيد عمر بن شبة بن عبيدة النميري البصري (ت ٢٦٢ هـ) ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، ط ١ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م) ، نشر علىٰ نفقة السيد حبيب محمود أحمد رحمه الله ، المدينة المنورة ، السعودية

٢٩ ـ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز

بنواحيها من وارديها وأهلها ، لابن عساكر ؛ الإمام الحافظ الكبير المجود ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي الشافعي (ت ٥٧١ هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان

٣٠ ـ التذكرة الحمدونية ، لابن حمدون ؛ الإمام الأديب الأخباري بهاء الدين أبي المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي (ت ٥٦٢ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) وبكر عباس ، ط ١ ، (١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٣١ ـ تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، للبغوي ؛ الإمام الحافظ الفقيه المجتهد ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق الشيخ خالد عبد الرحمٰن العك (١٤٢٠ هـ) ومروان سوار ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان

٣٢ ـ تفسير الكشاف (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، للزمخشري ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظار جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ط ٢ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان

٣٣ ـ التمثيل والمحاضرة ، للثعالبي ؛ إمام اللغة والأدب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، مصر

٣٤ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، للثعالبي ؛ إمام اللغة والأدب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار البشائر ، دمشق ، سورية

٣٥ ـ ثمرات الأوراق ، لابن حجة ؛ الإمام الأديب الكاتب تقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله التقي ابن حجة الحموي الأزراري (ت ٨٣٧ هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٣٦ ـ جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق أبو الأشبال الزهيري ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، السعودية

٣٧ ـ الجامع لشعب الإيمان ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط ٢ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية

٣٨ ـ جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، لأبي زيد القرشي ؛ الإمام النحوي الراوية أبي زيد محمد بن أبي الخطاب البري القرشي (ت بعد ٣٠٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد علي الهاشمي ، ط ٣ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار القلم ، دمشق ، سورية

٣٩ ـ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، للهاشمي ؛ للأديب المعلم أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي الأزهري (ت ١٣٦٢ هـ) ، عني به لجنة من الجامعيين ، ط ٢ ، بدون تاريخ ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان

٤٠ ـ حاشية الصبان علىٰ « شرح الأشموني » علىٰ « ألفية ابن مالك » ، للصبان ؛ العلامة الأديب اللغوي أبي العرفان محمد بن علي الصبان المصري الشافعي (ت ١٢٠٦ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، نسخة مصورة عن دار إحياء الكتب العربية لدى انتشارات زاهدي ، قم ، إيران

٤١ ـ حاشية الصبان علىٰ شرح الملوي على السلم المنورق ، للصبان ؛ العلامة الأديب اللغوي أبي العرفان محمد بن علي الصبان المصري الشافعي

(ت ١٢٠٦ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ م) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر

٤٢ ـ حاشية العطار على جمع الجوامع ، للعطار ؛ الإمام الفقيه الأصولي الأديب شيخ الجامع الأزهر حسن بن محمد بن محمود العطار المغربي المصري الشافعي (ت ١٢٥٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٣ هـ ، ١٨٩٣ م) ، نسخة مصورة عن المطبعة العلمية ، القاهرة لدى دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

٤٣ ـ حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، للشهاب الحلبي ؛ العلامة الأديب المنشئ الشاعر شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبي الدمشقي الحنبلي (ت ٧٢٥ هـ) ، ط ١ ، (١٢٩٨ هـ ، ١٨٨١ م) ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ، مصر

٤٤ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصبهاني ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني الشافعي (ت ٤٣٠ هـ) ، ط ٥ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧ هـ) لدى دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر بيروت ، لبنان

٤٥ ـ حياة الحيوان الكبرى ، للدميري ؛ الإمام العلامة الفقيه الأديب كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري القاهري الشافعي (ت ٨٠٨ هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار البشائر ، دمشق ، سورية

٤٦ ـ الحيوان ، للجاحظ ؛ إمام البيان أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ الليثي الكناني (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة البابي الحلبي لدى دار الجيل ، بيروت ، لبنان

٤٧ ـ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ، للعماد الأصفهاني ؛ الإمام المؤرخ الأديب الشاعر عماد الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد

الكاتب الأصفهاني الشافعي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور شكري فيصل (ت ١٤٠٥ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٥ م) ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، سورية

٤٨ ـ خزانة الأدب وغاية الأرب ، لابن حجة ؛ الإمام الأديب الكاتب تقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله التقي ابن حجة الحموي الأزراري (ت ٨٣٧ هـ) ، تحقيق الدكتورة كوكب دياب ، ط ٢ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٤٩ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، للبغدادي ؛ الإمام الأديب النحوي اللغوي عبد القادر بن عمر بن بايزيد البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) ، تحقيق العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٥٠ ـ الخطط التوفيقية الجديدة لمصر ؛ القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، لعلي مبارك ، المؤرخ النابغة الوزير علي باشا بن مبارك بن سليمان الروجي (ت ١٣١١ هـ) ، أعيد نشره وتحقيقه بإشراف مركز تحقيق التراث بدار الكتب ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، مصر

٥١ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، للمحبي ؛ الإمام القاضي الأديب المؤرخ محمد أمين بن فضل الله بن محمد المحبي العلواني الحموي الدمشقي الحنفي (ت ١١١١ هـ) ، ط ١ ، (١٢٨٤ هـ ، ١٨٦٤ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الوهبية لدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان

٥٢ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي ؛ الإمام المفسر عالم العربية شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يوسف بن محمد السمين الحلبي القاهري الشافعي (ت ٧٥٦ هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٧ م) ، دار القلم ، دمشق ، سورية

٥٣ ـ الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر

العسقلاني الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان

٥٤ ـ الدعاء ، للطبراني ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد سعيد بن محمد حسن البخاري ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية

٥٥ ـ دلائل الإعجاز ، للجرجاني ؛ إمام اللغة والبلاغة والكلام مجد الإسلام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمٰن بن محمد الجرجاني الشافعي (ت ٤٧١ هـ أو سنة ٤٧٤ هـ) ، تحقيق العلامة محمود محمد شاكر (ت ١٤١٨ هـ) ، ط ٤ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٥٦ ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار الريان ، القاهرة ، مصر

٥٧ ـ ديوان ابن الخياط برواية تلميذه ابن نصر القيسراني (٥٤٨ هـ) ، لابن الخياط ؛ شاعر الشام الكاتب الأديب أبي عبد الله أحمد بن محمد بن علي التغلبي الدمشقي (ت ٥١٧ هـ) ، تحقيق الأديب الوزير خليل مردم بك (ت ١٣٧٩ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٥٨ ـ ديوان ابن الدمينة (صنعة ثعلب وابن حبيب) ، لابن الدمينة ؛ الشاعر الرقيق الفحل أبي السري عبد الله بن عبيد الله بن عمرو بن مالك ابن الدمينة الخثعمي (ت نحو ١٣٠ هـ) ، تحقيق العلامة أحمد راتب النفاخ (ت ١٤١٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٩ هـ ، ١٩٥٩ م) ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، مصر

٥٩ ـ ديوان ابن الرومي ، لابن الرومي ؛ الشاعر العباسي الكبير أبي الحسن علي بن العباس بن جريج ابن الرومي البغدادي (ت ٢٨٣ هـ) ، تحقيق العلامة

الدكتور حسين نصار (ت ١٤٣٩ هـ) ، ط ٣ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، مصر

٦٠ ـ ديوان ابن الفارض ، لابن الفارض ؛ سلطان العاشقين العارف بالله شرف الدين أبي حفص عمر بن علي بن مرشد ابن الفارض السعدي الحموي المصري الشافعي (ت ٦٣٢ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٦١ ـ ديوان ابن المعتز ، لابن المعتز ؛ الشاعر الأمير المبدع الغالب بالله أبي العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بالله محمد بن المتوكل العباسي (ت ٢٩٦ هـ) ، تحقيق وشرح مجيد طراد ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان

٦٢ ـ ديوان ابن النبيه ، لابن النبيه ؛ الشاعر المنشئ الرقيق كمال الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الحسن ابن النبيه المصري العباسي (ت ٦١٩ هـ) ، عني به عبد الغني أفندي فكري ، ط ١ ، (١٢٨٠ هـ ، ١٨٦٠ م) ، نسخة مصورة عن نشرة مطبعة عبد الغني أفندي فكري ، القاهرة ، مصر

٦٣ ـ ديوان ابن حيوس ، لابن حيوس ؛ الشاعر العباسي الأمير مصطفى الدولة أبي الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الغنوي الدمشقي (ت ٤٧٣ هـ) ، تحقيق الأديب الوزير خليل مردم بك (ت ١٣٧٩ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٦٤ ـ ديوان ابن رشيق القيرواني ، لابن رشيق القيرواني ؛ الإمام الأديب النقاد أبي علي الحسن بن رشيق بن عبد الله القيرواني الأزدي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق الدكتور صلاح الدين الهواري وهدىٰ عودة ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان

٦٥ ـ ديوان ابن زيدون ورسائله وأخباره ، لابن زيدون ؛ الوزير الكاتب الشاعر أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن زيدون المخزومي الأندلسي

(ت ٤٦٣ هـ) ، شرح وتحقيق محمد سيد كيلاني (ت ١٤١٩ هـ) ، ط ٣ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر

٦٦ ـ ديوان ابن شرف القيرواني ، لابن شرف ؛ الشاعر الأديب أبي عبد الله محمد بن سعيد (أبي سعيد) بن شرف الجذامي القيرواني (ت ٤٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور حسن ذكري حسن ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر

٦٧ ـ ديوان ابن نباتة السعدي ، لابن نباتة السعدي ؛ شاعر الوقت المجيد أبي نصر عبد العزيز بن عمر بن أحمد ابن نباتة السعدي التميمي البغدادي (ت ٤٠٥ هـ) ، تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي ، ط ١ ، (١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م) ، وزارة الإعلام ، بغداد ، العراق

٦٨ ـ ديوان ابن نباتة المصري ، لابن نباتة ؛ الإمام الفقيه الخطيب الأديب جمال الدين أبي بكر محمد بن محمد بن محمد ابن نباتة الجذامي الفاروقي المصري (ت ٧٦٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٢٣ هـ ، ١٩٠٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة التمدن لدئ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان

٦٩ ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي ، للدؤلي ؛ التابعي الجليل واضع علم النحو أبي الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني الدؤلي (ت ٢٩٠ هـ) ، برواية أبي سعيد الحسن السكري (ت ٢٩٠ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين (ت ١٤٢٧ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان

٧٠ ـ ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره ، لأبي الشيص ؛ الشاعر المطبوع أبي الشيص محمد بن علي بن عبد الله الخزاعي (ت ١٩٦ هـ) ، صنعة عبد الله الجبوري ، ط ١ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان

٧١ ـ ديوان أبي العتاهية (أبو العتاهية أشعاره وأخباره) ، لأبي العتاهية ؛ رئيس الشعراء المكثر المولد أبي إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد أبي العتاهية العيني العنزي الكوفي (ت ٢١١ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور شكري

فيصل (ت ١٤٠٥ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤ م) ، دار الملاح ، دمشق ، سورية

٧٢ ـ ديوان أبي الفتح البستي ، للبستي ؛ الشاعر الأديب الكاتب أبي الفتح علي بن محمد بن الحسين البستي (لشكر كاه ، أفغانستان) الشافعي (ت ٤٠٠ هـ) ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية

٧٣ ـ ديوان أبي النجم العجلي ، للعجلي ؛ الشاعر الراجز الأموي أبي النجم الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلي البكري (ت ١٣٠ هـ) ، شرح وتحقيق الدكتور محمد أديب عبد الواحد جمران ، ط ١ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية

٧٤ ـ ديوان أبي بكر بن دريد الأزدي ، لابن دريد ؛ إمام اللغة والأدب أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (ت ٣٢١ هـ) ، عني به السيد محمد بدر الدين العلوي ، ط ١ ، (١٣٦٥ هـ ، ١٩٤٦ م) ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، مصر

٧٥ ـ ديوان أبي تمام ، لأبي تمام الطائي ؛ أمير البيان وإمام اللغة أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الإمامي (ت ٢٣١ هـ) ، بشرح إمام اللغة والأدب أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط ٥ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

٧٦ ـ ديوان أبي فراس الحمداني ، لأبي فراس الحمداني ؛ الأمير الشاعر الفارس البليغ أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الوائلي (ت ٣٥٧ هـ) ، عني به عبد القادر محمد مايو ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار القلم العربي ، حلب ، سورية

٧٧ ـ ديوان أبي نواس برواية الصولي ، لأبي نواس ؛ شاعر العراق في عصره أبي نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول الحكمي (ت ١٩٨ هـ) ، تحقيق الدكتور

بهجة عبد الغفور الحديثي ، ط ١ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، أبو ظبي ، الإمارات

٧٨ ـ ديوان الأخطل ، للأخطل ؛ الشاعر أبي مالك غياث بن غوث بن الصلت الأخطل التغلبي الأموي النصراني (ت ٩٢ هـ) ، تحقيق الدكتورة كارين صادر ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٧٩ ـ ديوان الأرجاني ، للأرجاني ؛ الإمام القاضي شاعر زمانه ناصح الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني التستري الشافعي (ت ٥٤٤ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد قاسم مصطفىٰ (ت ١٤٢٦ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م) ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، العراق

٨٠ ـ ديوان الأعشى الكبير ، للأعشىٰ ؛ الشاعر الجاهلي صاحب المعلقة أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الأعشى الكبير (ت ٧ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود إبراهيم محمد الرضواني ، ط ١ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، الدوحة ، قطر

٨١ ـ ديوان البارودي ، للبارودي ؛ الأديب الشاعر الأمير محمود سامي باشا بن حسن حسين بن عبد الله البارودي الشركسي المصري (ت ١٣٢٢ هـ) ، تحقيق العلامة علي الجارم (ت ١٣٦٨ هـ) والأديب محمد شفيق معروف ، ط ١ ، (١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر

٨٢ ـ ديوان البحتري ، للبحتري ؛ الشاعر الكبير أحد السلاسل الذهبية أبي عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي البحتري (ت ٢٨٤ هـ) ، شرح وتحقيق العلامة الدكتور حسن كامل الصيرفي (ت ١٤٠٥ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

٨٣ ـ ديوان البوصيري ، للبوصيري ؛ إمام المادحين وأعجوبة النثر والنظم شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد المغربي الصنهاجي البوصيري (ت ٦٩٦ هـ) ، تحقيق محمد سيد كيلاني (ت ١٤١٩ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م) ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر

٨٤ ـ ديوان التهامي ، للتهامي ؛ الشاعر الخطيب أبي الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي (ت ٤١٦ هـ) ، تحقيق الدكتور علي نجيب عطوي ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان

٨٥ ـ ديوان الحطيئة ، للحطيئة ؛ الشاعر المخضرم أبي مُلَيْكة جرول بن أوس بن مالك الحطيئة العبسي (ت ٤٥ هـ) ، برواية وشرح ابن السكيت ؛ أبي يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت الدورقي الأهوازي البغدادي (ت ٢٤٤ هـ) ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٨٦ ـ ديوان الخنساء ، للخنساء ؛ الصحابية الشاعرة المخضرمة الخنساء أم عمرو تماضر بنت عمرو بن الحارث النجدية رضي الله عنها (ت ٢٤ هـ) ، بشرح إمام الكوفيين المحدث أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد ثعلب الشيباني البغدادي (٢٩١ هـ) ، تحقيق الدكتور أنور أبو سويلم ، ط ١ ، (١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار عمار ، عمان ، الأردن

٨٧ ـ ديوان الراعي النميري ، للراعي ؛ الشاعر الفحل الوجيه عبيد بن حصين بن جندل الراعي النميري القيسي (ت ٩٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد نبيل طُريفي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٨٨ ـ ديوان السري الرفاء ، للسري الرفاء ؛ الشاعر الأديب الوراق أبي الحسن السري بن أحمد بن السري الرفاء الكندي الموصلي (ت ٣٦٦ هـ) ، عني به الأديب كرم البستاني (ت ١٣٨٦ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٨٩ ـ ديوان السموءل ، للسموءل ؛ الشاعر الجاهلي الحكيم السموءل بن عريض بن عادياء اليهودي (ت ٦٤ ق هـ) ، صنعة إمام النحو الفقيه المحدث أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه العتكي الأزدي الواسطي (ت ٣٢٣ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين (ت ١٤٢٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٥ م) ، مطبعة المعارف ، بغداد ، العراق

٩٠ ـ ديوان الشاب الظريف ، للتلمساني ؛ الشاعر المترقق المجيد الشاب الظريف شمس الدين محمد بن سليمان بن علي التلمساني الدمشقي (ت ٦٨٨ هـ) ، تحقيق العلامة شاكر هادي شكر (ت ١٤١٢ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان

٩١ ـ ديوان الشريف الرضي ، للشريف الرضي ؛ الإمام الفقيه شاعر الطالبيين ونقيبهم أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الرضي العلوي الموسوي الحسيني البغدادي (ت ٤٠٦ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٩٢ ـ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، للشماخ ؛ الشاعر المخضرم الصحابي أبي سعيد الشماخ (معقل) بن ضرار بن حرملة المازني الذبياني الغطفاني رضي الله عنه (ت ٢٢ هـ) ، شرح وتحقيق صلاح الدين الهادي ، ط ١ ، (١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

٩٣ ـ ديوان الصبابة ، لابن أبي حجلة ؛ الإمام الفقيه الكاتب الزاهد شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى ابن أبي حجلة التلمساني الحنفي (ت ٧٧٦ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد زغلول سلام (ت ١٤٣٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

٩٤ ـ ديوان الطغرائي ، للطغرائي ؛ الوزير الكاتب العميد المنشئ الكيميائي مؤيد الدين أبي إسماعيل الحسين بن علي بن محمد الطغرائي الدؤلي الأصبهاني (ت ٥١٥ هـ) ، تحقيق الأديب الدكتور علي جواد الطاهر (ت ١٤١٧ هـ) والدكتور يحيى الجبوري ، ط ١ ، (١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٦ م) ، وزارة الإعلام ، بغداد ، العراق

٩٥ ـ ديوان العباس بن الأحنف ، لابن الأحنف ؛ الشاعر العذري أبي الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي النجدي البصري (ت حوالي ١٩٤ هـ) ، تحقيق الدكتورة عاتكة الخزرجي (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٤ م) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر

٩٦ ـ ديوان العباس بن مرداس رضي الله عنه ، لابن مرداس ؛ الصحابي الشاعر

الفارس أبي الهيثم العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي المضري ابن الصحابية الشاعرة الخنساء رضي الله عنهما (ت نحو ١٨ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان

٩٧ ـ ديوان العرجي ، **للعرجي** ؛ شاعر الغزل الكبير عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي الأموي (ت ١٢٠ هـ) ، رواية أعجوبة الزمان وإمام العربية والنحو ابن جني أبي الفتح عثمان الأزدي الموصلي الحنفي (ت ٣٨٢ هـ) ، شرح وتحقيق الأديب خضر بن عباس الطائي (ت ١٤٠٠ هـ) والأديب الدكتور رشيد بن عبد الرحمٰن العبيدي (ت ١٤٢٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٦ م) ، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر ، بغداد ، العراق

٩٨ ـ ديوان الفرزدق ، **للفرزدق** ؛ الشاعر النبيل الأموي أبي فراس همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق الدارمي التميمي (ت ١١٠ هـ) ، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان

٩٩ ـ ديوان القاضي الفاضل ، **للقاضي الفاضل** ؛ إمام الكُتَّاب الوزير البليغ محيي الدين أبي علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن اللخمي البيساني العسقلاني المصري القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ) ، تحقيق الدكتور العلامة أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت ١٣٨٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨١ هـ ، ١٩٦١ م) ، دار المعرفة ، القاهرة ، مصر

١٠٠ ـ ديوان القطامي ، **للقطامي** ؛ الشاعر الفحل الرقيق أبي سعيد وأبي غنم عمير بن شييم بن عمرو التغلبي الأموي (ت ١٠١ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود الربيعي ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر

١٠١ ـ ديوان الكميت بن زيد الأسدي ، **للكميت** ؛ الشاعر الراوية المقدم أبي المستهل الكميت بن زيد الأسدي الكوفي الاثني عشري (ت ١٢٦ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد نبيل طُريفي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

١٠٢ ـ ديوان المتلمس الضبعي ، للمتلمس الضبعي ؛ الشاعر الجاهلي جرير بن عبد العزىٰ (عبد المسيح) الضبعي (ت نحو ٥٠ ق هـ) ، رواية أبي الحسن الأثرم (ت ٢٣٢ هـ) وأبي عبيدة عن الأصمعي (ت نحو ٢٠٩ هـ) ؛ تحقيق العلامة الدكتور حسن كامل الصيرفي (ت ١٤٠٥ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، مصر

١٠٣ ـ ديوان المتنبي ، للمتنبي ؛ الشاعر الحكيم وأحد مفاخر الأدب أبي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن المتنبي الجعفي الكندي الكوفي (ت ٣٥٤ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٤٢ هـ ، ١٩٢٣ م) ، مطبعة هندية ، القاهرة ، مصر

١٠٤ ـ ديوان المرقشين ، للمرقش الأكبر والمرقش الأصغر ؛ الشاعر الفارس المرقش الأكبر عمرو بن سعد بن مالك البكري الوائلي اليمني النجدي (ت ٥٧ ق هـ) ، والشاعر الفارس المرقش الأصغر عمرو بن حرملة بن سعد البكري الوائلي النجدي (ت ٥٠ ق هـ) ، تحقيق الدكتورة كارين صادر ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

١٠٥ ـ ديوان النابغة الجعدي ، للنابغة ؛ الشاعر المفلق الصحابي قيس بن عبد الله بن عدس الجعدي رضي الله عنه (ت نحو ٥٠ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور واضح الصمد ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

١٠٦ ـ ديوان النابغة الذبياني ، للنابغة ؛ الشاعر الجاهلي زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني (ت نحو ١٨ ق هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

١٠٧ ـ ديوان النمر بن تولب العكلي رضي الله عنه ، للعكلي ؛ الصحابي الشاعر المخضرم أبو ربيعة النمر بن تولب بن زهير العكلي (ت نحو ١٤ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد نبيل طُريفي ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

١٠٨ ـ ديوان الهذليين ، لابن التلاميد ؛ العلامة المحدث اللغوي الأديب محمد محمود ولد أحمد ابن التلاميد التركزي العبشمي الشنقيطي المدني المكي

(ت ١٣٢٢ هـ) ، عني به الأديب أحمد الزين (ت ١٣٦٦ هـ) ، ط ٣ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، دار الكتب والوثائق المصرية ، القاهرة ، مصر

١٠٩ ـ ديوان امرئ القيس ، لامرئ القيس ؛ شاعر المجون واللهو الملك الضليل امرئ القيس أبي الحارث حندج بن حجر بن الحارث الكندي (ت ٨٠ ق هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٥ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

١١٠ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت ، لابن أبي الصلت ؛ الشاعر الجاهلي الحكيم أبي الحكم أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي (ت ٥ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي ، ط ٣ ، (١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م) ، نشره محققه ، دمشق ، سورية

١١١ ـ ديوان أوس بن حجر ، لأوس ؛ شاعر مضر الجاهلي الحكيم أبي شريح أوس بن حجر بن مالك المازني التميمي (ت نحو ٢ ق هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد يوسف نجم (ت ١٤٣٠ هـ) ، ط ٣ ، (١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

١١٢ ـ ديوان بشار بن برد ، لبشار بن برد ؛ الشاعر المولد الخطيب أبي معاذ بشار بن برد بن بهمن الفارسي العقيلي البصري (ت ١٦٧ هـ) ، تحقيق وشرح العلامة محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) ، وتعليق محمد رفعت فتح الله والعلامة محمد شوقي أمين (ت ١٤١١ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة لجنة التأليف والترجمة والنشر لدئ وزارة الثقافة ، الجزائر

١١٣ ـ ديوان بهاء الدين ، للعاملي ؛ الإمام الفقيه الفيلسوف الأديب الملا بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني الجبعي (ت ١٠٣١ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد ألتونجي ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق ، دمشق ، سورية

١١٤ ـ ديوان تأبط شراً وأخباره ، لتأبط شراً ؛ الشاعر الصعلوك ثابت بن فؤاد بن حامد بن جابر تأبط شراً التهامي الكناني (ت نحو ٥٣٠ م) ، شرح وتحقيق علي

ذو الفقار شاكر ، ط ٢ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان

١١٥ ـ ديوان جميل (شاعر الحب العذري) ، **لجميل بثينة** ؛ الشاعر المطبوع الراوية العاشق أبي عمرو جميل بن عبد الله بن معمر (جميل بثينة) العذري القضاعي (ت ٨٢ هـ) ، جمع وتحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، مصر

١١٦ ـ ديوان حسان بن ثابت ، **لحسان رضي الله عنه** ؛ الصحابي الجليل وشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بن المنذر النجاري الخزرجي (ت ٤٠ هـ) ، تحقيق الدكتور وليد عرفات ، ط ١ ، (١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

١١٧ ـ ديوان دريد بن الصمة ، **لابن الصمة** ؛ الشاعر الجاهلي الفارس دريد بن الصمة (معاوية الأصغر) بن الحارث الجشمي (ت ٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عمر عبد الرسول ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

١١٨ ـ ديوان ديك الجن الحمصي ، **لديك الجن** ؛ الشاعر عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي الحمصي (ت ٢٣٦ هـ) ، تحقيق مظهر الحجي ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية

١١٩ ـ ديوان ذي الرمة ، **لذي الرمة** ؛ الشاعر الفحل الأموي أبي الحارث ذي الرمة غيلان بن عقبة بن بهيش العدوي (ت ١١٧ هـ) ، بشرح الإمام الأديب أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي (ت ٢٣١ هـ) تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، ط ٤ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار الرشيد ، دمشق ، سورية

١٢٠ ـ ديوان سحيم ، **لسحيم** ؛ الشاعر المخضرم سحيم (حية) عبد بني الحسحاس الحبشي أو النوبي الحجازي (ت ٤٠ هـ) ، تحقيق العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي (ت ١٣٩٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٦٩ هـ ، ١٩٥٠ م) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر

١٢١ ـ ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري ، لسويد ؛ الشاعر المخضرم المقل أبي سعد سويد بن أبي كاهل غطيف بن حارثة الذبياني الكناني اليشكري (ت بعد ٦٤ هـ) ، جمع وتحقيق الأديب شاكر عاشور كاظم العاشور ، ط ١ ، (١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م) ، دار الطباعة الحديثة ، البصرة ، العراق

١٢٢ ـ ديوان صفي الدين الحلي ، للحلي ؛ الشاعر الأديب المجيد صفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن نصر الحلي الطائي السنبسي (ت ٧٥٢ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، طبعة مصورة لدى الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، لبنان

١٢٣ ـ ديوان عبد الصمد بن المعذل ، لابن المعذَّل ؛ الشاعر العباسي أبي القاسم عبد الصمد بن معذل بن غيلان بن حكم البختري العبدي (ت نحو ٢٤٠ هـ) ، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

١٢٤ ـ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، لابن قيس الرقيات ؛ شاعر قريش الأموي عبيد الله بن قيس بن شريح الرقيات (ت نحو ٧٥ هـ) ، رواية الحسن السكري عن ابن حبيب ، تحقيق العلامة الدكتور محمد يوسف نجم (ت ١٤٣٠ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

١٢٥ ـ ديوان عدي بن الرقاع العاملي برواية ثعلب ، لابن الرقاع ؛ الشاعر الأموي أبي داوود عدي بن زيد بن مالك ابن الرقاع العاملي القضاعي الدمشقي (ت نحو ٩٥ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور نوري حمودي القيسي (ت ١٤١٥ هـ) ، والعلامة الدكتور حاتم صالح الضامن (ت ١٤٣٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، العراق

١٢٦ ـ ديوان عدي بن زيد ، للعبادي ؛ الشاعر الجاهلي الداهية الفارس عدي بن زيد بن حماد العبادي التميمي (ت نحو ٣٥ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد جبار المعيبد (ت ١٤٢٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، وزارة الثقافة والإرشاد ، بغداد ، العراق

١٢٧ ـ ديوان عفيف الدين التلمساني ، لعفيف التلمساني ؛ الشاعر الصوفي عفيف الدين أبي الربيع سليمان بن علي بن عبد الله الكومي العابدي التلمساني (ت ٦٩٠ هـ) ، تحقيق الدكتور يوسف زيدان ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر

١٢٨ ـ ديوان علقمة بن عبدة ، لعلقمة الفحل ؛ الشاعر الجاهلي علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة التميمي (ت نحو ٢٠ ق هـ) ، قدم له سعيد نسيب مكارم ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

١٢٩ ـ ديوان علي بن الجهم ، لابن الجهم ؛ الشاعر العباسي الأديب أبي الحسن علي بن الجهم بن بدر السامي البغدادي الحنبلي (ت ٢٤٩ هـ) ، تحقيق الأديب الوزير خليل مردم بك (ت ١٣٧٩ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

١٣٠ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ، لابن أبي ربيعة ؛ الشاعر الرقيق أبي الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة المخزومي (ت ٩٣ هـ) ، عني به الدكتور فايز محمد ، ط ٣ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان

١٣١ ـ ديوان عمرو بن كلثوم ، لابن كلثوم ؛ الشاعر الجاهلي المعمر المجيد أبي الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي (ت ٣٩ ق هـ) ، تحقيق الدكتور علي أبو زيد ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، دار سعد الدين ، دمشق ، سورية

١٣٢ ـ ديوان عنترة ، لعنترة العبسي ؛ الشاعر الجاهلي والفارس العربي أبي المغلس وأبي عبلة عنترة بن شداد بن عمرو العبسي (ت نحو ٣٢ ق هـ) ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، ط ١ ، (١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان

١٣٣ ـ ديوان قيس بن الخطيم ، لابن الخطيم ؛ الشاعر الجاهلي الفارس الصنديد أبي يزيد قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي (ت نحو ٢ ق هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور ناصر الدين الأسد (ت ١٤٣٦ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

١٣٤ ـ ديوان كثير عزة ، لكثير عزة ؛ الشاعر الأموي المتيم المشهور كثير بن عبد الرحمٰن بن الأسود الخزاعي المدني (ت ١٠٥ هـ) ، جمع وشرح العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان

١٣٥ ـ ديوان كشاجم ؛ للشاعر الأديب المنشئ أبي الفتح محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك الرملي كشاجم (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

١٣٦ ـ ديوان ليلى الأخيلية ، لليلى الأخيلية ؛ الشاعرة الأموية المجيدة ليلىٰ بنت عبد الله بن الرحال بن شداد الأخيلية (ت نحو ٨٠ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور خليل إبراهيم العطية (ت ١٤١٩ هـ) والدكتور جليل إبراهيم العطية ، ط ١ ، (١٣٨٦ هـ ، ١٩٦٧ م) ، دار الجمهورية ، بغداد ، العراق

١٣٧ ـ ديوان مجنون ليلىٰ ، لمجنون ليلىٰ ؛ شاعر الغزل قيس بن الملوح بن مزاحم العامري (ت ٦٨ هـ) ، جمع وتحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، مصر

١٣٨ ـ ديوان محمد بن هانئ الأندلسي ، لابن هانئ ؛ الشاعر الكبير أبي القاسم محمد بن هانئ المغربي الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد اليعلاوي (ت ١٤٣٦ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان

١٣٩ ـ ديوان محمود الوراق ، للوراق ؛ الشاعر الواعظ المجيد أبي الحسن محمود بن الحسن الوراق العباسي (ت نحو ٢٢٥ هـ) ، تحقيق الدكتور وليد قصاب ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، مؤسسة الفنون ، عجمان ، الإمارات

١٤٠ ـ ديوان مهلهل بن ربيعة ، للزير سالم ؛ الشاعر الجاهلي الفارس المهلهل الزير سالم أبي ليلىٰ عدي بن ربيعة بن مرة التغلبي (ت نحو ١٠٠ ق هـ) ، قدم له طلال حرب ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

١٤١ ـ ديوان مهيار الديلمي ، لمهيار ؛ الشاعر الكبير المبتكر أبي الحسن مهيار بن مزرويه الفارسي الديلمي (ت ٤٢٨ هـ) ، ضبط وشرح أحمد نسيم ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، مؤسسة النور للمطبوعات ، بيروت ، لبنان

١٤٢ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام ؛ الإمام الأديب المؤرخ أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني التغلبي الإشبيلي (ت حوالي ٥٤٢ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان

١٤٣ ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، للزمخشري ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظار جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي (ت ١٤٠٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الذخائر ، قم ، إيران

١٤٤ ـ الرحيق المختوم (بحث في السيرة النبوية علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام) ، للمباركفوري ؛ الشيخ الداعية صفي الرحمـٰن بن عبد الله بن محمد أكبر المباركفوري الأعظمي الهندي (ت ١٤٢٧ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية

١٤٥ ـ الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام ، للسهيلي ؛ الإمام الحافظ المبدع أبي القاسم عبد الرحمـٰن بن عبد الله بن أحمد السهيلي الأندلسي (ت ٥٨١ هـ) ، بعناية عمر عبد السلام السلامي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان

١٤٦ ـ الزهد ، لهناد الدارمي ؛ الإمام الحافظ الثقة الزاهد أبي السري هناد بن السري بن مصعب التميمي الدارمي الكوفي (ت ٢٤٣ هـ) ، تحقيق عبد الرحمـٰن بن عبد الجبار الفريوائي ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت

١٤٧ ـ زهر الأكم في الأمثال والحكم ، لليوسي ؛ الإمام الفقيه الأديب النظار نور الدين أبي علي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي (اليوسفي) المالكي

(ت ١١٠٢ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور محمد حجي (ت ١٤٢٣ هـ) والدكتور محمد الأخضر ، ط ١ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب

١٤٨ ـ الزهرة ، لابن داوود ؛ الأديب المناظر الفقيه الشاعر أبي بكر محمد بن داوود بن علي الأصبهاني الظاهري (ت ٢٩٧ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إبراهيم السامرائي (ت ١٤٢٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م) ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن

١٤٩ ـ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، للبكري ؛ الإمام المؤرخ الجغرافي الموسوعي الوزير أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأونبي الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ) ، تحقيق العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي (ت ١٣٩٨ هـ) ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، مصر

١٥٠ ـ سنن ابن ماجه ، لابن ماجه ؛ الإمام الحافظ الثبت المفسر أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه الربعي القزويني (ت ٢٧٣ هـ) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور العلامة أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، طبعة خاصة عن نشرة جمعية المكنز الإسلامي لدىٰ دار المنهاج ، جدة ، السعودية

١٥١ ـ سنن أبي داوود ، المسمىٰ « كتاب السنن » ، لأبي داوود ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة محمد عوامة ، ط ٣ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية

١٥٢ ـ سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، للترمذي ؛ الإمام الحافظ العلم الفقيه أبي عيسىٰ محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر (ت ١٣٧٧ هـ) والعلامة محمد فؤاد عبد الباقي

(ت ١٣٨٨ هـ) والشيخ إبراهيم عطوة عوض (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان

١٥٣ ـ السنن الكبرىٰ ، للنسائي ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي عبد الرحمـٰن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الخراساني (ت ٣٠٣ هـ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان

١٥٤ ـ السنن الكبير ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، القاهرة ، مصر

١٥٥ ـ سير أعلام النبلاء (مع السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين) ، للذهبي ؛ الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركماني الدمشقي الشافعي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) ، ط ١١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان

١٥٦ ـ السيرة النبوية ، لابن هشام ؛ الإمام المؤرخ راوي السيرة جمال الدين أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري الشافعي (ت ٢١٨ هـ) ، تحقيق العلامة مصطفى السقا (ت ١٣٨٩ هـ) والعلامة إبراهيم الأبياري (ت ١٤١٤ هـ) وعبد الحفيظ شلبي ، ط ٢ ، (١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مصطفى البابي الحلبي لدىٰ دار ابن كثير ، دمشق ، سورية

١٥٧ ـ شذا العرف في فن الصرف ، للحملاوي ؛ العلامة اللغوي الرائد أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي البلبيسي الحسيني الشافعي (ت ١٣٥١ هـ) ، تحقيق الشيخ علاء الدين عطية ، ط ٤ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مكتبة دار البيروتي ، دمشق ، سورية

١٥٨ ـ شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك ، لابن عقيل ؛ إمام النحاة والبيان

الفقيه بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عبد الله ابن عقيل الهاشمي البالسي الحلبي الشافعي (ت ٧٦٩ هـ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المحقق ، القاهرة ، مصر

١٥٩ ـ شرح أشعار الهذليين أبو خراش ، للسكري ؛ العلامة الأديب الراوية أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار العروبة لدىٰ مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر

١٦٠ ـ شرح أشعار الهذليين شعر أبي ذؤيب الهذلي ، للسكري ؛ العلامة الأديب الراوية أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار العروبة لدىٰ مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر

١٦١ ـ شرح الأشموني علىٰ « ألفية ابن مالك » ، للأشموني ؛ الإمام الفقيه النحوي نور الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عيسى الأشموني الشافعي (ت بعد ٩٠٠ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، نسخة مصورة عن دار إحياء الكتب العربية لدى انتشارات زاهدي ، قم ، إيران

١٦٢ ـ شرح التصريح على التوضيح ، لخالد الأزهري ؛ الإمام النحوي زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر الوقاد الجرجاوي الأزهري الشافعي (ت ٩٠٥ هـ) ، ط ٢٨ ، (١٣٠٥ هـ ، ١٨٨٥ م) ، طبعة مصورة عن النشرة المصرية لدىٰ دار الفكر ، بيروت ، لبنان

١٦٣ ـ شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، للزرقاني ؛ الإمام المحدث الحجة الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي (ت ١١١٢ هـ) ، عني به محمد عبد العزيز الخالدي ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

١٦٤ ـ شرح المعلقات العشر ، للخطيب التبريزي ؛ إمام اللغة والأدب أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، ط ٢ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، دار الفكر ، دمشق ، سورية

١٦٥ ـ شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول ، للقرافي ؛ الإمام الأصولي شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمٰن الصنهاجي القرافي البهنسي المالكي (ت ٦٨٤ هـ) ، تحقيق طٰه عبد الرؤوف سعد ، ط ١ ، (١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م) ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر

١٦٦ ـ شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد) ، للمعري ؛ الشاعر الفيلسوف الحكيم أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري (ت ٤٤٩ هـ) ، تحقيق ودراسة الدكتور عبد المجيد دياب ، ط ٢ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

١٦٧ ـ شرح ديوان الحماسة ، للخطيب التبريزي ؛ إمام اللغة والأدب أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٨ هـ ، ١٩٣٨ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة حجازي لدىٰ عالم الكتب ، القاهرة ، مصر

١٦٨ ـ شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ؛ الإمام العلامة النحوي الأديب أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) ، تحقيق الأديب أحمد أمين (ت ١٣٧٣ هـ) والعلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ١ ، (١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م) ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان

١٦٩ ـ شرح ديوان جرير ، لابن حبيب ؛ الإمام الأديب النسابة الأخباري أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ) ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طٰه ، ط ٤ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

١٧٠ ـ شرح ديوان صريع الغواني ، لمسلم بن الوليد ؛ الشاعر المداح المفوه صريع الغواني أبي الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري البغدادي (ت ٢٠٨ هـ) ، برواية وشرح العلامة الأديب المؤدب أبي العباس الوليد بن عيسى بن الحارث الطبيخي الأموي الأندلسي (ت ٣٥٢ هـ) ، تحقيق الأديب الدكتور محمد سامي الدهان (ت ١٣٩١ هـ) ، ط ٣ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

١٧١ ـ شرح ديوان طرفة بن العبد ، **للأعلم الشنتمري** ؛ الإمام عالم العربية واللغة أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري الأندلسي (ت ٤٧٦ هـ) ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، ط ١ ، (١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية

١٧٢ ـ شرح ديوان كعب بن زهير ، للسكري ؛ العلامة الأديب الراوية النحوي اللغوي أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الرحمٰن العتكي السكري (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق عباس عبد القادر ، ط ٤ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، مصر

١٧٣ ـ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، للبيد رضي الله عنه ؛ الشاعر الفارس الصحابي لبيد بن ربيعة بن مالك العامري رضي الله عنه (ت ٤١ هـ) ، تحقيق وشرح العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٢ م) ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت

١٧٤ ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، **لابن هشام** ؛ إمام العربية واللغة المفسر جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يوسف الأنصاري المصري الشافعي الحنبلي (ت ٧٦١ هـ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (١٣٩٢ هـ) ، وسمىٰ تحقيقه « منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب » ، ط ٨ ، (١٣٨٠ هـ ، ١٩٦٠ م) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر

١٧٥ ـ شرح شعر زهير بن أبي سلمىٰ ، لثعلب ؛ إمام الكوفيين المحدث أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد ثعلب الشيباني البغدادي (ت ٢٩١ هـ) ،

تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، ط ١ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان

١٧٦ ـ شرح مقصورة ابن دريد ، لابن خالويه ؛ فريد دهره الإمام الفذ النحوي أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني البغدادي الحلبي الشافعي (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق محمود جاسم محمد ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٦ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان

١٧٧ ـ شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ؛ الإمام الأديب المؤرخ عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحديد المدائني البغدادي المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الجيل ، بيروت ، لبنان

١٧٨ ـ شروح سقط الزند « ضوء السقط ـ شرح التبريزي ـ شرح ابن السيد البطليوسي » ، للمعري ؛ الشاعر الفيلسوف الحكيم أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي (ت ٤٤٩ هـ) ، بشرح إمام اللغة والأدب أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ، وعلامة اللغة والأدب عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) ، والعلامة الفقيه القاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي المعروف بـ صدر الأفاضل (ت ٦١٧ هـ) ، تحقيق العلامة مصطفى السقا (ت ١٣٨٩ هـ) وعبد الرحيم محمود والعلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) وإبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد ، ط ١ ، (١٣٦٤ هـ ، ١٩٤٥ م) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر

١٧٩ ـ شعر ابن طباطبا العلوي ، لابن طباطبا ؛ الشاعر المفلق الناقد الأديب أبي الحسن محمد بن أحمد بن محمد ابن طباطبا الهاشمي القرشي الأصفهاني الحسني (ت ٣٢٢ هـ) ، جمع وتحقيق ودراسة الأديب الدكتور محمد سالمان (محمد علي علوان محمد سالمان) ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر

١٨٠ ـ شعر ابن ميادة ، لابن ميادة ؛ الشاعر الرقيق الهجاء أبي شراحيل (أبي حرملة) الرماح بن أبرد بن ثوبان (ابن ميادة) السلمي المري (ت ١٤٩ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور حنا جميل حداد (ت ١٤٣٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية

١٨١ ـ شعر أبي حية النميري ، لأبي حية ؛ الشاعر المجيد المخضرم (الأموي العباسي) أبي حية الهيثم بن الربيع بن زرارة النميري القيسي (ت بعد ١٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ط ١ ، (١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، سورية

١٨٢ ـ شعر الأحوص الأنصاري ، للأحوص ؛ الشاعر الهجاء عبد الله بن محمد بن عبد الله الأحوص الضبيعي الأنصاري (ت ١٠٥ هـ) ، تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال ، ط ٢ ، (١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

١٨٣ ـ شعر البعيث المجاشعي ، للمجاشعي ؛ الشاعر الخطيب المجيد البعيث أبي مالك (أبي يزيد) خداش بن بشر بن خالد المجاشعي التميمي البصري (ت ١٣٤ هـ) ، تحقيق الدكتور عدنان محمد أحمد ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠١٠ م) ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، سورية

١٨٤ ـ شعر الشنفرى الأزدي (ت ٧٠ ق .هـ) ، للسدوسي ؛ الإمام اللغوي النسابة الشاعر أبي الفيد مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي البصري (ت ١٩٥ هـ) ، تحقيق الأستاذ الدكتور علي ناصر غالب ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار اليمامة ، الرياض ، السعودية

١٨٥ ـ شعر العكوك ، للعكوك ؛ شاعر العراق المجيد أبي الحسن علي بن جبلة بن مسلم العكوك الخراساني (ت ٢١٣ هـ) ، تحقيق الدكتور حسين أحمد عطوان ، ط ٣ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

١٨٦ ـ شعر دعبل بن علي الخزاعي ، لدعبل ؛ الشاعر المتكلم الهجَّاء الرَّاوية أبي علي دعبل (حسن) بن علي بن رزين الخزاعي الكوفي البغدادي

(ت ٢٤٦ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور عبد الكريم الأشتر (ت ١٤٣٢ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية

١٨٧ ـ شعر زياد الأعجم ، للأعجم ؛ الشاعر المجيد الجزل أبي أمامة زياد بن سليم (سليمان) الأعجم العبدي الأصفهاني الخراساني (ت بعد ١٢٥ هـ) ، تحقيق الدكتور يوسف حسين بكار ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، وزارة الثقافة والإرشاد ، دمشق ، سورية

١٨٨ ـ شعر عروة بن أذينة ، لابن أذينة ؛ الشاعر الفقيه المحدث الناسك أبي عامر عروة بن أذينة يحيى بن مالك الليثي المدني الكناني (ت حوالي ١٣٠ هـ) ، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ط ١ ، (١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م) ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، العراق

١٨٩ ـ شعر عمرو بن معديكرب ، لعمرو بن معديكرب رضي الله عنه ؛ فارس اليمن الشاعر أبي ثور عمرو بن معديكرب (وجه الفلاح) بن عبد الله الزبيدي اليمني (ت ٢١ هـ) ، جمع وتنسيق العلامة مطاع الطرابيشي ، ط ٣ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية

١٩٠ ـ شعر مروان بن أبي حفصة ، لابن أبي حفصة ؛ الشاعر المخضرم ورأس الشعر ذو الكمر أبي السمط (أبي الهيذام) مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يزيد بن عبد الله الأموي (ت بعد ١٨٢ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور حسين أحمد عطوان ، ط ٣ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

١٩١ ـ شعر نصيب بن رباح ، لأبي المحجن نصيب ؛ الشاعر الفحل أبي المحجن (الحجناء) نصيب بن رباح الأسود النوبي الكناني الأموي (ت ١٠٨ هـ) ، جمع وتقديم الأستاذ الدكتور داوود سلوم (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م) ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، العراق

١٩٢ ـ شعراء عباسيون منسيون ، للدكتور إبراهيم النجار ؛ ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان

١٩٣ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، **للقاضي عياض** ؛ الإمام الحافظ الأوحد القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي المالكي (ت ٥٤٤ هـ) ، تحقيق عبده علي كوشك (ت ١٤٣٦ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، مكتبة الغزالي ودار الفيحاء ، دمشق ، سورية

١٩٤ ـ شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، **للترمذي** ؛ الإمام الحافظ العلم الفقيه أبي عيسىٰ محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق محمد وائل الحنبلي ، ط ٢ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار البيروتي ، دمشق ، سورية

١٩٥ ـ الشيخ الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول للعلوم الأدبية بدار العلوم ، **لعبد الجواد** ؛ الأستاذ الأديب اللغوي محمد عبد الجواد ، ط ١ ، (١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٢ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

١٩٦ ـ صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشا ، **للقلقشندي** ؛ الأديب المؤرخ البحاثة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري الشافعي (ت ٨٢١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م) ، طبعة مصورة لدى المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، مصر

١٩٧ ـ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، **للجوهري** ؛ أعجوبة الزمان وأحد أئمة اللسان واللغة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان

١٩٨ ـ صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) « الطبعة السلطانية اليونينية » ، **للبخاري** ؛ إمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ٣ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ، السعودية بيروت ، لبنان

١٩٩ ـ صحيح مسلم (الجامع الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، لمسلم ؛ حافظ الدنيا المجود الحجة أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١ ، (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ، السعودية بيروت ، لبنان

٢٠٠ ـ الصمت وآداب اللسان ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان

٢٠١ ـ الصناعتين الكتابة والشعر ، للعسكري ؛ إمام اللغة والأدب الناقد أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري الأهوازي (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق العلامة علي محمد البجاوي (ت ١٣٩٩ هـ) والعلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر

٢٠٢ ـ طبقات الشافعية الكبرىٰ ، للتاج السبكي ؛ الإمام الحافظ المجتهد النظار قاضي القضاة تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي الشافعي (ت ٧٧١ هـ) ، تحقيق العلامة محمود محمد الطناحي (ت ١٤١٩ هـ) والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر

٢٠٣ ـ الطبقات الكبير ، لابن سعد ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي الزهري البصري (ت ٢٣٠ هـ) ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٢٠٤ ـ الطبقات الكبير ، لابن سعد ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي عبد الله

محمد بن سعد بن منيع الهاشمي الزهري البصري (ت ٢٣٠ هـ) ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٢٠٥ ـ طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ؛ الإمام النحوي المؤرخ الأديب أبي عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله الجمحي البصري (ت ٢٣١ هـ) ، تحقيق العلامة محمود محمد شاكر (ت ١٤١٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المحقق لدىٰ دار المدني ، جدة ، السعودية

٢٠٦ ـ الطرائف الأدبية ، ويضم قصائد من « ديوان الأفوه الأودي » و« ديوان الشنفرىٰ » و« ديوان إبراهيم الصولي » ، للجرجاني ؛ إمام اللغة والبلاغة والكلام مجد الإسلام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمـٰن بن محمد الجرجاني الشافعي (ت ٤٧١ هـ أو سنة ٤٧٤ هـ) ، تحقيق العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي (ت ١٣٩٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٧ م) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، مصر

٢٠٧ ـ عروس الأفراح في شرح « تلخيص المفتاح » ، بهاء الدين السبكي ؛ الإمام الفقيه المحدث بهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي الشافعي (ت ٧٧١ هـ) ، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم خليل ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

٢٠٨ ـ العقد الفريد ، لابن عبد ربه ؛ الإمام الأديب شاعر الأندلس شهاب الدين أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأموي القرطبي (ت ٣٢٨ هـ) ، تحقيق الأديب أحمد أمين (ت ١٣٧٣ هـ) والأديب أحمد الزين (ت ١٣٦٦ هـ) والعلامة إبراهيم الأبياري (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م) ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، مصر

٢٠٩ ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده ، لابن رشيق ؛ الإمام الأديب النقاد أبي علي الحسن بن رشيق بن عبد الله القيرواني الأزدي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ،

تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٢١٠ ـ عمل اليوم والليلة ، لابن السني ؛ الإمام الحافظ الرحلة أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق ابن السني الدينوري (ت ٣٦٤ هـ) ، تحقيق الشيخ بشير محمد عيون (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية

٢١١ ـ عيون الأخبار ، لابن قتيبة الدينوري ؛ إمام الأدب واللغة القاضي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، تحقيق ثلة من أهل العلم ، ط ١ ، (١٣٤٣ هـ ، ١٩٣٠ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر

٢١٢ ـ العيون الغامزة علىٰ خبايا الرامزة ، للدماميني ؛ الإمام الفقيه الأديب النحوي بدر الدين أبي بكر محمد بن أبي بكر بن عمر الدماميني الإسكندري المالكي (ت ٨٢٧ هـ) ، تحقيق الحساني حسن عبد الله ، ط ٢ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٢١٣ ـ الفردوس بمأثور الخطاب ، للديلمي ؛ الإمام الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه إلكيا الديلمي الهمذاني (ت ٥٠٩ هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

٢١٤ ـ الفلاكة والمفلكون ، للدلجي ؛ الإمام الفيلسوف الاقتصادي شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الله الدلجي الصعيدي المصري (ت ٨٣٨ هـ) ، بعناية خليل صادق ، ط ١ ، (١٣٢٢ هـ ، ١٩٠٤ م) ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، مصر

٢١٥ ـ فوات الوفيات والذيل عليها ، للكتبي ؛ الإمام المؤرخ الأديب صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي الداراني الدمشقي (ت ٧٦٤ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٢١٦ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي ؛ الإمام الحجة الفقيه الثبت زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي القاهري الشافعي (ت ١٠٣١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ م) ، طبعة مصورة عن المكتبة التجارية الكبرىٰ لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان

٢١٧ ـ القاموس المحيط ، للفيروزاباذي ؛ الإمام الكبير بحر اللغة وشيخ الإسلام مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزاباذي الشيرازي الشافعي (ت ٨١٧ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان

٢١٨ ـ القسطاس المستقيم في علم العروض ، للزمخشري ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظار جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسني (ت ١٤٢٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٩ هـ ، ١٩٧٠ م) ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، العراق

٢١٩ ـ قهوة الإنشاء ، لابن حجة ؛ الإمام الأديب الكاتب تقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله التقي ابن حجة الحموي الأزراري (ت ٨٣٧ هـ) ، تحقيق رودولف فيسيلي ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، بيروت ، لبنان

٢٢٠ ـ قواعد الإملاء (المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية) ، للهوريني ؛ العلامة المحقق اللغوي الأديب أبي الوفاء نصر بن نصر الهوريني الوفائي الأزهري الشافعي رئيس التصحيح بالمطبعة الأميرية (ت ١٢٩١ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الوهاب محمود الكحلة ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان

٢٢١ ـ الكامل ، للمبرد ؛ إمام النحاة والعربية أبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد البصري البغدادي (ت ٢٨٥ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي ، ط ٣ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان

٢٢٢ ـ الكتاب ، لسيبويه ؛ إمام اللغة ورئيس النحاة أبي بشر عمرو بن

عثمان بن قَنْبر (سيبويه) الفارسي الحارثي (ت ١٨٠ هـ) ، تحقيق العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ٣ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٢٢٣ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، للعجلوني ؛ محدث الشام العلامة المفسر أبي الفداء إسماعيل بن محمد جراح بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي الشافعي (ت ١١٦٢ هـ) ، ط ٣ ، (١٣٥١ هـ ، ١٩٣٢ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان

٢٢٤ ـ لباب الآداب ، لابن منقذ ؛ الأمير الشجاع الأديب المؤرخ مجد الدين مؤيد الدولة أبي المظفر أسامة بن مرشد بن علي ابن منقذ الكناني الشيزري (ت ٥٨٤ هـ) ، تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر (ت ١٣٧٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٤ هـ ، ١٩٣٥ م) ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، مصر

٢٢٥ ـ اللباب في تهذيب الأنساب ، لابن الأثير ؛ الإمام المؤرخ النقاد النابغة عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري الموصلي الشيباني الشافعي (ت ٦٣٠ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٢٢٦ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير ؛ الإمام الأديب النابغة ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري الموصلي الشيباني الشافعي (ت ٦٣٧ هـ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان

٢٢٧ ـ مجمع الأمثال ، للميداني ؛ الإمام الأديب اللغوي الكاتب أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني النيسابوري (ت ٥١٨ هـ) ، تحقيق الدكتور جان عبد الله توما ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٢٢٨ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، للراغب الأصبهاني ؛

الإمام اللغوي الحكيم أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق الدكتور رياض عبد الحميد مراد ، ط ٢ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٢٢٩ ـ المحاضرات في الأدب واللغة ، لليوسي ؛ الإمام الفقيه الأديب النظار نور الدين أبي علي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي (اليوسفي) المالكي (ت ١١٠٢ هـ) ، تحقيق وشرح العلامة الدكتور محمد حجي (ت ١٤٢٣ هـ) والعلامة الأديب أحمد الشرقاوي إقبال (ت ١٤٢١ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان

٢٣٠ ـ المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، للسري الرفاء ؛ الشاعر الأديب الوراق أبي الحسن السري بن أحمد بن السري الرفاء الكندي الموصلي (ت ٣٦٦ هـ) ، تحقيق مصباح غلاونجي ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية

٢٣١ ـ محك النظر ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية

٢٣٢ ـ مختصر شرح لامية العجم ، للدميري ؛ الإمام العلامة الفقيه الأديب كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري القاهري الشافعي (ت ٨٠٨ هـ) ، عني به محمد شادي عربش ، ط ٢ ، (١٤٣٩ هـ ، ٢٠١٨ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية

٢٣٣ ـ مدخل إلىٰ تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف ، للطناحي ؛ العلامة الدكتور المحقق محمود بن محمد بن علي بن محمد الطناحي المنوفي المصري (ت ١٤١٩ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٤ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٢٣٤ ـ مرقاة المفاتيح شرح « مشكاة المصابيح » ، لملا علي القاري ؛ الإمام

المحدث الفقيه نور الدين أبي الحسن ملا علي بن سلطان محمد القاري الهروي المكي الحنفي (ت ١٠١٤ هـ) ، تحقيق جمال عيتاني ، ط ٢ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

٢٣٥ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيري الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق العلامة محمد أحمد جاد المولىٰ (ت ١٣٦٣ هـ) والعلامة علي محمد البجاوي (ت ١٣٩٩ هـ) والعلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٣ ، (١٣٧٨ هـ ، ١٩٥٨ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار إحياء الكتب العربية لدىٰ دار الفكر ، بيروت ، لبنان

٢٣٦ ـ المستدرك على الصحيحين ، للحاكم ؛ الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم الطهماني النيسابوري الشافعي (ت ٤٠٥ هـ) ، وبهامشه تعليقات الأئمة البيهقي والذهبي وابن الملقن وابن حجر العسقلاني ، ط ١ ، (١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م) ، دار الميمان ، الرياض ، السعودية

٢٣٧ ـ المستطرف في كل فن مستظرف ، للأبشيهي ؛ الإمام الأديب الخطيب بهاء الدين أبي الفتح محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي المحلي الشافعي (ت ٨٥٤ هـ) ، عني به إبراهيم صالح ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٢٣٨ ـ مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، لابن حنبل ؛ إمام أهل الدنيا الحجة الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية

٢٣٩ ـ مسند البزار (البحر الزخار) ، للبزار ؛ الإمام الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار (ت ٢٩٢ هـ) ، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمٰن زين الله (ت ١٤١٨ هـ) وعادل سعد وصبري عبد الخالق ،

ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، السعودية

٢٤٠ ـ مسند الدارمي (سنن الدارمي) ، للدارمي ؛ الإمام الحافظ الفقيه أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الفضل التميمي السمرقندي الدارمي (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق الشيخ حسين سليم أسد الداراني ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار المغني ، الرياض ، السعودية

٢٤١ ـ مسند القضاعي (شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب) ، للقضاعي ؛ الإمام المحدث المفسر المؤرخ القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي الشافعي (ت ٤٥٤ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان

٢٤٢ ـ مصارع العشاق ، للسراج القارئ ؛ الإمام الحافظ الأديب أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ البغدادي الشافعي (ت ٥٠٠ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان

٢٤٣ ـ المصنف ، لعبد الرزاق ؛ الإمام الحافظ الثقة عالم اليمن أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني (ت ٢١١ هـ) ، تحقيق العلامة المحدث حبيب الرحمٰن الأعظمي (ت ١٤١٢ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، المجلس العلمي بالتعاون مع المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان

٢٤٤ ـ مطالع البدور في منزل السرور ، للغزولي ؛ العلامة الأديب الأريب علاء الدين علي بن عبد الله الغزولي البهائي التركي المملوكي (ت ٨١٥ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر

٢٤٥ ـ معاهد التنصيص علىٰ شواهد التلخيص ، للعباسي ؛ الإمام المحدث الأديب الشريف أبي الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمٰن بن أحمد العباسي (ت ٩٦٣ هـ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢ هـ) ،

ط ١ ، (١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المكتبة التجارية الكبرىٰ لدىٰ عالم الكتب ، بيروت ، لبنان

٢٤٦ ـ معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب) ، **لياقوت الحموي** ؛ العلامة المؤرخ الأديب الجغرافي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) ، قدم له الدكتور عمر فاروق الطباع ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان

٢٤٧ ـ المعجم الأوسط ، **للطبراني** ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، مكتبة المعارف ، الرياض ، السعودية

٢٤٨ ـ المعجم الكبير ، **للطبراني** ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان

٢٤٩ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ، وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذٰلك من يوم ظهور الطباعة إلىٰ نهاية السنة الهجرية (١٣٣٩) الموافقة لسنة (١٩١٩) ميلادية ، **لسركيس** ، الأديب الكاتب يوسف بن إليان بن موسىٰ سركيس الدمشقي (ت ١٣٥١ هـ) ، بدون تحقيق ، طبعة مصورة لدىٰ مكتبة المرعشي النجفي ، قم ، إيران

٢٥٠ ـ معيار العلم ، **للغزالي** ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية

٢٥١ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، **لابن هشام** ؛ إمام العربية واللغة

المفسر جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يوسف الأنصاري المصري الشافعي الحنبلي (ت ٧٦١ هـ) ، تحقيق الدكتور العلامة مازن المبارك والعلامة محمد علي حمد الله (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ٥ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار الفكر ، بيروت ، لبنان

٢٥٢ ـ مفتاح العلوم ، **للسكاكي** ؛ إمام العربية والأدب سراج الدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي (ت ٦٢٦ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

٢٥٣ ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، **للسخاوي** ؛ الإمام الحافظ الناقد شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد السخاوي القاهري الشافعي (ت ٩٠٢ هـ) ، عني به عبد الله محمد الصديق الغُماري (ت ١٤١٣ هـ) وعبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر

٢٥٤ ـ مقامات الحريري ، **للحريري** ؛ الإمام البارع ذو البلاغتين أبي محمد القاسم بن علي بن محمد البصري الحرامي الحريري الشافعي (ت ٥١٦ هـ) ، ط ١ ، (١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م) ، مصورة عن طبعة بولاق لدىٰ دار المنهاج ، جدة ، السعودية

٢٥٥ ـ مقدمة ابن خلدون ، وهي مقدمة كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » ، **لابن خلدون** ؛ الإمام المؤرخ نادرة العصر ولي الدين أبي زيد عبد الرحمٰن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٤٥ هـ ، ١٩٢٦ م) ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، مصر

٢٥٦ ـ مقدمة الأدب ، **للزمخشري** ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظار جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي (ت ٥٣٨ هـ) ، ط ١ ، (١٨٤٣ م) ، مطبعة ابن قنيسل ، لايبزيغ ، ألمانيا

٢٥٧ ـ المقدمة الجزرية (منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه) ، لابن الجزري ؛ الإمام الحجة المحقق شيخ الإقراء شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي العمري الشافعي (ت ٨٣٣ هـ) ، تحقيق الشيخ أيمن رشدي سويد ، ط ٧ ، (١٤٣٩ هـ ، ٢٠١٧ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية

٢٥٨ ـ مكارم الأخلاق ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق الشيخ بشير محمد عيون (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ١ ، (٢٠٠٢ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية

٢٥٩ ـ مناقب الشافعي ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق العلامة السيد أحمد صقر (ت ١٤١٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م) ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر

٢٦٠ ـ المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان

٢٦١ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي ؛ الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركماني الدمشقي الشافعي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق العلامة علي محمد البجاوي (ت ١٣٩٩ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٣ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان

٢٦٢ ـ النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ؛ الإمام الحجة المحقق شيخ الإقراء شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي العمري الشافعي (ت ٨٣٣ هـ) ، عني به شيخ عموم المقارئ المصرية العلامة

نور الدين علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة التجارية الكبرىٰ لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

٢٦٣ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، **للمقري** ؛ الحافظ المؤرخ الأديب شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقري التلمساني المالكي (ت ١٠٤١ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٢٦٤ ـ نفحة اليمن بما يزول بذكره الشجن ، **للشرواني** ؛ العلامة الأديب أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الشرواني اليمني الشافعي (ت ١٢٥٣ هـ) ، بدون تحقيق ، ط ١ ، (١٣٢٤ هـ ، ١٩٠٦ م) ، مطبعة التقدم العلمية ، القاهرة ، مصر

٢٦٥ ـ النكت في إعجاز القرآن ، **للرماني** ؛ الإمام النحوي المتكلم أبي الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني البغدادي المعتزلي (ت ٣٨٦ هـ) ، العلامة الدكتور محمد زغلول سلام (ت ١٤٣٤ هـ) ومحمد خلف الله أحمد ، ط ٦ ، (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

٢٦٦ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، **للنويري** ؛ المؤرخ البحاثة شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري القرشي التيمي البكري (ت ٧٣٣ هـ) ، بعناية مجموعة من الباحثين ، ط ١ ، (١٣٤٢ هـ ، ١٩٢٣ م) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر

٢٦٧ ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، **للسيوطي** ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيري الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر

٢٦٨ ـ الوافي بالوفيات ، **للصفدي** ؛ الإمام المؤرخ الأديب صلاح الدين أبي الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبَكي الصفدي الدمشقي الشافعي

(ت ٧٦٤ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ط ٢ ، (١٣٨١ هـ ، ١٩٦٢ م) ، دار فرانز شتاينر ، فيسبادن ، ألمانيا

٢٦٩ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للجرجاني ؛ الإمام الحافظ الفقيه القاضي الأديب أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسين الجرجاني الثقفي الشافعي (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، والعلامة علي محمد البجاوي (ت ١٣٩٩ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان

٢٧٠ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ؛ الإمام المؤرخ قاضي القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان البرمكي الإربلي الدمشقي الشافعي (ت ٦٨١ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

٢٧١ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، للثعالبي ؛ إمام اللغة والأدب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ، ط ١ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان



محتوى المجلد الرابع

